لابي شجاع وليس لمسكويه

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

كان من شروط التخرج في دار المعلمين ببغداد ان يؤلف الطالب « رسالتين » : واحدة في التربية وثانية في مادة التخصص . ويستعد الطلبة لذلك منذ السنة الثالثة استعدادا عاما . وكان « مسكويه » اول ـ وآخر ـ ما تبادر الى الذهن ، وقد دل عليه كتابه « تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق » .

وشرعت اقرأ عنه هنا وهناك ، مادة في دائرة المعارف الاسلاميه ، وترجمة في « معجم الادباء » واقرأ له « تهديب الاخلاق » و « الفوز الاكبر » و « الفوز الاصغر » و « تجارب الامم » .

ان مسكويه حبيب الى النفس لا يلبث ان يصبح صديقا ، اسلوبه سهل يسير لا يتكلف فيه ويتصنع كما تفعل الكثره الكاثره من كتاب عصرنا ، وهو يعرض المسائل الفلسفية عرضا واضحا لايثقله ما يثقل آثار الاخرين ، ولعله اديبا اكثر منه فيلسوفا ، او انه فيلسوف لا يتحدث الا بما يتمثله جيدا ويصبح جزءا من وجوده .

وفي « تجارب الامم » ذخيرة عن الامم وعن العصر البويهي .. وعن مسكويه نفسه ، واذا ، فلا بد من ادامة النظر فيه ، وقراءته اكثر من مرة ..

وانجز « البحث »وقدم اواخر العام الدراسي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ ، وانتهت الخطوة الرسمية بسلام .

ولم يكن مسكويه من ينتهي بانتهاء مرحلة ، لانه يبقى في النفس ، ويظل صاحبه يتتبع اخباره ، ويطالع كل ما مت اليه بصلة .. وكنا نقرأ للدكتور زكي مبارك كثيرا ، لاننا نجد فيه طرافة وجراة ، اما ادعاؤه الطويل العريض فكنا نأخذه مأخذ الظرف ، وربما سمينا هذه الظاهرة المميزة « بالزكمبريات » .. نحن نقول : الدكتور وهو يقول : الدكاتره .. كان يفخر بكل شيء ، ولكن اعتزازه بكتابه « النثر الفني في القرن الرابع » لا يعدله اعتزاز ، فهو يذكره لمناسبة ولغير مناسبة ، ويتحدى به من يستحق التحدي ومن لا يستحق . ومع هذا ـ وربما لهذا ـ لم يرد على الذهن لدى كتابتي البحث عن « مسكويه » .

ولكن ، ما لا يدرك في حينه ، يمكن ان يستدرك بعد حين ، وهكذا كان ، ولنقرأ « النثر الفني في القرن الرابع » :

الكتاب ـ في الاصل ـ الرسالة التي نال بها الدكتوراه من باريس سنة ١٩٣١ ثم نقله الى العربية وطبعه بالقاهرة عام ١٩٣٤ ثم اعاد طبعه بها عام ١٩٥٧ .

ولنقرأ ما جاء فيه عن مسكويه (١) ، وهو يتحدث عن « السجع والازدواج » فيقول (١) :

«وليتبين القارىء الفرق بين كاتب يتأنق كالتوحيدي وكاتب يترسل كابن مسكويه نعرض نموذجا مما قصه صاحب تجارب الامم عن ابي نصر كاتب عضدالدولة اذ قال:

كان بالقصر جماعة من الغلمان تحمل اليهم مشاهراتهم من الخزانة بالحضرة ، فلما كان في آخر شهر قد بقي منه ثلاثة ايام استدعاني وقال لي : تقدم الى الخازن في بيت المال بأن يزن كذا وكذا الف درهم ويسلمها الى ابي عبد الله بن سعدان ليحملها الى نقيب الغلمان . فقلت: السمع والطاعة . فانسيت ذلك وسألني عنه بعد اربعة ايام ، فاعتذرت بالنسيان فخاطبني بأغلظ خطاب ، فقلت امس كان استهلال الشهر ، والساعة تحمل المادة ، وما ههنا ما يوجب شغل القلب بهذا الامر ، فقال : المصيبة بما لا تعلم ما في فعلك من الغلط اكثر منها فيما استعملته من التفريط ! الا تعلم انا اذا اطلقنا لهؤلاء الغلمان ما لديهم وقد بقي في الشهر يوم كان الفضل لنا عليهم ، واذا انقضى الشهر واستهل الاخر حضروا عند عارضهم فأذكروه فيعدهم ،ثم يحضرونه في اليوم الثاني فيعتذر اليهم ، ثم في الثالث فتبسط في اقتضائه ومطالبته السنتهم فتضيع المنة وتحصل الجراة ، ونكون الى الخسارة اقرب منا الى الربح » .

ويذكر الدكتور زكي مبارك في هامش الصفحة مصدره الذي استقى منه هذا النص : تجارب الامم ج ٣ ص٤٥ . وكنت حديث عهد بتجارب الامم فما تذكرت اني قرأت فيه مثل هذا الخبر . ولا بأس ، فلنقرأ ما يقوله الدكتور زكي مبارك :

« .. ولكن هذا اليسر في رواية الخبر لم يمنع ابن مسكويه من التأنق في التعليق عليه اذ قال : « ولعل عضد الدولة نظر في هذا الوقت الى ما وجد في سيرة المعتصم رضوان الله عليه . وهل ينكر لبني هاشم ان يقتدى بأقوالهم او يهتدى بأفعالهم ، وهم الاصدقون اقوالا والاكرمون افعالا والاشرفون انسابا ، جبال الحلوم، وبحار العلوم ، واعلام الهدى ، وساسة الدين والدنيا ، وفرسان الحروب والمحاضر ، واملاك الاسرة والمنابر ، الى مكارمهم ينتهي الكرم ، وبمآثرهم تنجلي الظلم ، المعتصم بينهم المعتصم » .

اشهد اني لم اقرأ لمسكويه مثل هذا ، وليس من داع لمسكويه لان يصل عضد الدولة بسيرة خلفاء بني العباس، ولا من داع لان يتملق هؤلاء الخلفاء وهو الذي يعيش في ظل بني بويه ، بل في ظل عضد الدولة البويهي وكان الخليفة العباسي ذليلا مهانا . لا بد من ان يكون في الامر سر ! ولنرجع الى المصدر نفسه ، ورجعنا فرأينا ان النص الذي استشهد به الدكتور زكي مبارك على انه لمسكويه « المتوفي سنة ٤٢١ » في كتابه تجارب الامم ، ليس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمسكويه . وانما هو للوزير ابي شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراوري المتوفي سنة ٤٤٨ . لاننا نعلم ان المطبوع بتصحيح هـ. ف آمدروز . القاهرة ، مطبعة شركة التمدن الصناعية جزءان : الاول (وهو الخامس من الاصل الذي نشره ليون كايتاني مصورا) عام ١٣٣٢ ـ ١٩١٤ ، والثاني (وهو الجزء السادس من الاصل) عام ١٣٣٣ ـ ١٩١٥ وينتهي بحوادث من سنة ٣٦٩ وهو «اخر ما عمله الاستاذ ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه » .

اما ما سماه الدكتور زكي مبارك بالجزء الثالث فهو ليس جزءا ثالثا من تجارب الامم ، وانما هو ـ كما مبين على الغلاف ـ ذيل تجارب الامم للوزير ابي شجاع .. من سنة ٣٦٩ الى ٣٨٩ ، وان الصفحة الـ ٤٥ التي اقتبس عنها نصه هي الصفحة ٤٥ من كتاب ابي شجاع وتقع حوادثها عام ٣٧٢ ولم يبلغ مسكويه في كتابة تأريخه هذا العام . والمسألة واضحة ، فما علينا الا ان نفتح ص ٤٥ من « ذيل تجارب الامم » حتى نرى النص كاملا : «كان بالقصر جماعة من الغلمان تحمل اليهم مشاهراتهم .. ونكون الى الخسارة اقرب منا الى الربح » ونرى « ولعل عضد الدولة نظر في هذا الوقت الى ما وجد في سيرة المعتصم .. »

وهذا التعليق اصبح ممكن التفسير ميسوره . فلأبي شجاع كثير من الدواعي التي تدفعه الى الثناء على خلفاء بني العباس ، ويكفي انه كان وزيرهم « وزر للمقتدي بالله سنة ٣٧٦ » في العهد السلجوقي ، ولا بد من انه قال ما قال قبل ان يعزل ويصرف عن الوزارة ويلزم « بالقعود في داره » ..

ولنعد الى « النشر الفني » لنسمع الدكتور زكي مبارك يقول (٣) : « ويمكن المضي في استقراء الفصول الجيدة مما كتب ابن مسكويه في التاريخ فهو يسرد الاخبار في يسر ملموس ثم يعقب عليها بتأنق مقبول وانظر قوله في خواص الملوك :

« ومن حسن سياسة الملوك ان يجعلوا خاصتهم كل مهذب الافعال ، محمود الخصال ، موصوفا بالخير والعقل معروفا بالصلاح والعدل ، فان الملك لا تخالطه العامة ولا اكثر الجند ، وانما يرون خواصه : فان كانت طرائقهم سديدة ، وافعالهم رشيدة ، عظمت هيبة الملك في نفس من يبعد عنه ، لاستقامة طريقة من يقرب منه ... واذا كان خواص الملك ممن يقدح فيهم ، وتذكر مساويهم ، قلت الهيبة في النفوس ، فاظهر الجند استقلالا لامره ، ثم صار الاضمار نجوى بينهم ، ثم زادت الحيرة فصارت النجوى اعلانا ، فعند ذلك تقع المجاهرة ، وترتفع المراقبة ، ويتحكمون عليه تحكم الآمر لا المأمور ، والقاهر لا المقهور » .

ويذكر الدكتور زكي مبارك في هامش الصفحة من كتابه مصدر النص : تجارب الامم ص ١٨٨ .

وبامكاننا ان نجد الخطأ في هذه النسبة بالرجوع الى المصدر فنراه من انشاء ابي شجاع في ذيل تجارب الامم فهو كامل على الصفحة ١٨٨ منه .

ومما يذكر ان الدكتور زكي مبارك عندما يذكر مراجع مؤلفه في آخر الجزء الثاني منه لا يورد « ذيل تجارب الامم لابي شجاع » ، وانه اذ يورد «تجارب الامم» يقول : « طبعة مرجوليون » وقد راينا انه رجع الى طبعة هـ. ف. آمدروز .

ان الذي وقع للدكتور زكي مبارك قد وقع ، وقد يقع لغيره . ولقد مضى على ملاحظتي للسهو الحاصل اكثر من عشرين عاما لم اتحدث عنه خلالها ، ولم اذعها ، ولعلي لو كتبتها ايام كان الدكتور زكي مبارك حيا لاقتنع بها وغير من كتابه ما غير في طبعته الثانية .

لقدطويت الملاحظة كأنها لم تكن ولا ادري سرا لذلك.

اما اليوم فقد رأيت واجبا تسجيلها ، فقد قرات ان القاهرة تعتزم اعادة طبع « النشر الفني في القرن الرابع » اكراما لذكرى الدكتور زكي مبارك ، فوددت ان يتنبه القائمون على المشروع الى مثل هذه الملاحظة ، والى ملاحظات اخرى ، بمعنى ان يوكل الكتاب الى استاذ مختص بالقرن الرابع ليذيل عليه بهوامش مختصرة مبينا ما فات المرحوم مبارك وما جد من دراسة وتحقيق بعده .

ان مثل هذه الملاحظات تخدم الحقيقة ، وتخدم القارىء ، وتزيد على قيمة الكتاب قيمة . واخشى ما يخشى ان يعاد الطبع بالتصوير (الاوفست) . لقد دخل « النشر الفني » في دائرة « روائع » البحث الحديث ولم يكن الدكتور زكي مبارك مبالغا كثيرا اذ قال : « ان هذا الكتاب اول كتاب من نوعه في اللغة العربية ، او هو ـ على الاقل ـ اول كتاب صنف عن النشر الفني في القرن الرابع ، فهو بذلك اول منارة اقيمت لهداية السارين في غيابات ذلك العهد السحيق » .

الرياض — علي جواد الطاهر

(١) هو ابو علي احمد بن محمد يرد على «مسكويه» وعلى « ابن مسكويه ، وقد يكون الاول أصح . (٢) الجزء الاول ، ط ٢ (م. السعادة بمصر ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧) ص ١٢٣ . (٣) ج ١ ص ١٢٤ .

دمعة

لا تستحي ، يا عين ، من دمعة
اما استباحت سرها في الخفاء
لا تمنعيها ، فهي في عجزها
قد تهب المحروم بعض العزاء

حلب — علي الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

كيف يؤلفون الكتب

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

كان من رأي اديبنا الكبير الاستاذ امين الخولي رحمه الله ان توجد رقابة أدبية علمية على المؤلفات التي يخرجها الكتاب ، بمعنى أن تؤلف لجنة من كبار الاساتذة المتخصصين لفحص الانتاج العلمي والادبي قبل ان يظهر للناس ، فاذا رأت به ما يستحق النشر لفائدته الجديدة أقرته واذنت باذاعته ، واذا كان مجرد تكرار لما سبق ، دون اضافة حقيقية لقضايا العلم والادب فالاولى به ان يريح الناس من وجوده ! ولكن اسم الرقابة ثقيل ، بغيض ، وهو في مجال التأليف العلمي اشد ثقلا واكثر نقصا لانه يؤذن في بعض دلائله بتقييد حرية الفكر ، وقد تنقلب الرقابة الى هيئة متحكمة غاشمة تمنع الجيد والرديء معا لبعض الاغراض التي تسيطر على البشر فلا يكاد ينجو منها الا من شذ وندر ! لذلك كان اقتراح الاستاذ الخولي رحمه الله وقد جهر به في بعض ندوات الهلال بعيدا عن التنفيذ .

ولنا ان نحلل الباعث الملح الذي دفع اديبا من قادتنا الموجهين كالاستاذ الخولي الى مثل هذا الاقتراح ، لنلمسه واضحا في اكثر ما تنشره المطابع اليوم من مؤلفات ، فقد داب أناس على التأليف المتتابع لا لشيء سوى انهم يجدون الناشر ! او يملكون نفقات الطبع فاذا بحثت ما يكتبون فانك ترى غرائب من الفهم وعجائب من التفكير تصبح مجال التندر والتهكم لا موضع الافادة والتعليم ، هذا اذا كان الكتاب يدور حول موضوع جديد لم تسبق معالجته ، او عولج من زاوية غير الزاوية التي ينتحيها المؤلف الجديد ! اما اذا كان الكتاب تكرارا لما سبق أن كثر الخوض في موضوعه فانك في جميع صفحاته لن تعثر على شيء لا تعلمه !! وموضع الخطر في ذلك ـ لدى الاستاذ الخولي ومن ينحو منحاه في الحرص على مستوى التأليف ـ ان المؤلف من هذا الطراز لا يفتأ يتابع مؤلفاته التافهة دون سأم ، وسيقرؤها الناشئة على أنها نماذج جيدة للتأليف ، اذ أن الصفحة الاخيرة من الكتاب من غلاف الكتاب تحمل فهرسا بأسماء المؤلفات السابقة للكاتب ، فتلقى في خواطر الناشئة ان الرجل كاتب كبير وانه أنموذج يحتذى ، وهو بعد لا شيء ، فاذا صار صاحب الفهرس الضخم من المؤلفات نموذجا يحتذى ، وذاع له بين القراء صيت مدو ، ووجد بين مقرظي الكتب في الصحف ، وكاتبي المقدمات الكاذبة في صدور مؤلفاته من يشيد بعمله ، ويثني على موهبته ! اذا صار صاحبنا كذلك فقد انتقلت عدواه الى لباب الادب والعلم ، وهبط بمستوى التأليف الى قرار سحيق .

ونحن اذ يطول بنا العجب العجاب لهذا التكالب النهم على التأليف دون موضوع ودون كاتب حتى اصبح لدينا من يجاهر بأن مؤلفاته قد جاوزت الثلاثين والاربعين من الكتب ، متخذا ذلك مجال فخره وموضع تعاليه انما نشير الى المقياس المضطرب الذي يزن به الكاتب الدعي نفسه بين الكتاب والى النظرة الساذجة عند عامة القراء تلك التي تجعل الكم العددي في التأليف مجال التقدير وموضع الرجحان لدى المقارنة بين المؤلفين ! وقد نسوا ان ما خطه الكاتب المسكين في جميع مؤلفاته سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ! انهم نسوا ذلك لانهم يجهلون حقيقته فقد لمع امامهم السراب في الصحراء فجزموا انه ماء !

ونحن نعرف ان الكم العددي في التأليف كما يدل على الغزارة والعمق ، والتمكن من البيان وجودة القريحة وقوة الاستعداد وكمال الموهبة عند الخاصة من الباحثين ذوي الصبر الدائب ، والفحص اللجوج ـ وما اقل هؤلاء في كل مكان ـ فانه يدل على الخواء والتخبط والسطو المقنع ، والفثاثة الركيكة لدى العامة من حاطبي الليل في التأليف ، ونستطيع ان نذكر ادباء مرموقين تسنم الاديب منهم مجده العلمي بكتاب دسم واحد ، أفرغ فيه جهد الحريص ، وصبر على مشاق البحث ومعاناة النظر حتى وصل الى نتائج جيدة تعزى اليه ، وتقرن به ، وهو بعد صاحب كتاب واحد ، لا خمسين كتابا ، كما نعلم من متابعة الحركة الثقافية في كل عصر أن مؤلفا واحدا يثير من الضجة والنقد عاصفة تمتد سنوات وسنوات وتعقب كتبا كثيرة في مجال النقد والتمحيص ما بين مؤيد ومعارض ، ولست أرى في هذه الضجة الحادثة منالا

يقصد ، او امنية ترجى ! وانما انبعث دويها عن ضرورة ملزمة احدثتها جدة الآراء ، وصعوبة منزعها ، وقوة احتجاجها وفي ذلك ما يدل كل الدلالة على تمكن المؤلف من موضوعه واستعداده له ، وحشده جميع الطاقات الممكنة لديه في اتمامه ونضوجه ! وهذا وحده ما ينبغي لكل مؤلف جاد ان يلتزمه ، واذا كان في هذه الآراء الجديدة ما ينقد ويخذل فتلك طبيعة الاشياء ، فلم لايتأمل المكثرون ذلك ليعلموا ان البغاث كثير العدد دون جدوى وام الصقر مقلال نذور .

ونحن مع ما نشهد من تكالب الادعياء على التأليف المتواصل دون اعياء ، نشهد مع ذلك تقديرا للتبعة وعزوفا عن الضجيج الصاخب لدى بعض الاصلاء من المؤلفين ، ممن يقدرون مكانة التأليف ، ويعرفون ان الكتاب الجديد لا بد ان يحمل أشياء جديدة ذات بال ! لذلك نرى فريقا من نابهي المفكرين لدينا لم يجرءوا على متابعة التأليف وهم بعد اساتذة المادة ، واصحاب القيادة العلمية في بيئاتهم الثقافية ، كل في دائرة اختصاصه ! بل ان فيهم من عكف السنوات الطويلة على تأليف كتاب دقيق المنهج جديد المنزع ، قوي النتائج ثم سمح لنفسه ان يئد كتابه وادا دون ان يخرجه للناس مع ما تحمل فيه من معاناة البحث ، وكد التأمل ، وسد الثغرات ، وتلمس الصوى في بيداء مجهل يضل بها الدليل :

حدثني استاذي الكبير احمد حسن الزيات ان المغفور له الاستاذ عبد الحميد العبادي قد الف كتابا تاريخيا يصور حوادث الصدر الاول من تاريخ الاسلام من الناحية السياسية ، كما فعل الاستاذ احمد امين في تصوير هذا العصر من الناحية العقلية في كتاب فجر الاسلام وكان العبادي واحمد امين وطه حسين قد اتفقوا على اصدار موسوعة ثقافية كل في نوع اختصاصه ، فثابر احمد امين حتى اصدر الفجر والظهر والضحى في ثمانية اجزاء ، وتنوعت اعمال الدكتور طه فصرفته عن مشروعه ! اما الاستاذ العبادي فقد اصدر الجزء الاول من كتابه في ستمائة صفحة تنطق بالمعاناة المريرة والجهد الشاق ثم قراه على نفر من اصدقائه كان من بينهم الاستاذ احمد حسن الزيات فعدوه مثالا جيدا للتأليف التاريخي ، ولكن العبادي تردد في نشره ، وحدثني الاستاذ الزيات انه استحثه على طبعه استحثاثا ملحا فلم يستجب ، وواد كتابه العزيز وأدا ، لانه لم يبلغ المستوى المثالي الذي يريد !!

فهذا مؤرخ جامعي عميد حاضر بالكليات العالية اكثر من اربعين عاما في دقائق التاريخ الاسلامي ، ورأى من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه من يملئون المكتبة التاريخية بأبحاثهم ! ثم آثر مع هذه الاستاذية الجديرة بالنفع التريث في نشر مؤلف ضخم عالجه في تمكن وخطه في حيطة ، ودرس مواده في صبر تمده خبرات السنين الطوال .. ومضى الى ربه دون ان يرى كتابه الضياء ! ولو أقدم على طبعه لتتالت طبعاته وكان احد المراجع الهامة بالجامعات العربية ، ولجنى من ورائه جهارة الصيت ووفرة الثراء !

هذا مثل نذكره في التحرج العلمي ، وتقدير التبعة القاسية للتأليف ، وليس العبادي فريدا في ذلك بل ان الصفوة من الاصلاء المعرقين يشاركونه تقدير التبعة وشدة التحرج ، فلا يخرجون الا ما وثقوا بكماله وثوقا لا يتطرق اليه فتيل من الشك عالمين أن من ألف فقد استهدف ، ولست ادعو الى الامتناع عن مواصلة التأليف كما قد يقع في بعض الافهام ولكني ادعو الى التمكن والرسوخ ثم الحيطة والحذر قبل المباهاة بغزارة الانتاج وتنوع التأليف!

وربما سألت ؟ كيف يكون الكاتب خواء الذهن ناضب القريحة ، قليل الاطلاع ، ركيك الاسلوب ضرير الاستنباط ثم يصدر مؤلفاته تباعا كما يتقاطر الغيث الهتون ! ولك الحق ان تسأل ؟ وواجبي ان اجيب في صراحة واضحة فاضحة فأقول : ان هذا النفر من الادعياء، لا يستطيع ان ينهض بموضوع جديد على الاطلاق ، فهو حين تستولي عليه حمى التأليف ملهبة احاسيسه بسياط لا تهدأ ، انما يتجه الى الفهارس العامة ، فاذا كان ممن يدعون المشاركة في الدراسات الادبية مثلا فانه يستنجد بالفهارس المكتبية ليقع على موضوع كثر القول فيه وتعددت المؤلفات عنه فهنا مجال اصطياده ، وموضوع حديثه ، ولنفرض انه اختار الجاحظ مثلا ثم نتصور ماذا يصنع ؟ انه يمد يده الى اول كتاب يجده عن صاحبه ، وليكن كتاب الاستاذ حسن السندوبي وهو اول معاصر تحدث عن الجاحظ في كتاب خاص فيما نعلم فيتصفحه الكاتب ويقف امام صحيفة المراجع التي دونها السندوبي واشار اليها فيلم بها ويستعير ما امكن استعارته من كتبها في دور الكتب ثم يقرأ في الفهارس ان زيدا وعمرا وبكرا وخالدا مما لا نرى داعيا لتسطير اسمائهم قد اصدروا مؤلفات حديثة عن الجاحظ ، فيخف لطيته ويجمع كل ما يستطيع ان يجمعه ، وفي كل كتاب كتبه هؤلاء عن الجاحظ سجل من المراجع يرشد صاحبنا الى الجديد حتى اذا استكمل استيعاب ما عثر عليه من المكتبة الجاحظية ، قرأ ما قرأ في عجلة لوضع الفهرس التقليدي للكتاب على نحو مدرسي لا يكاد يخرج عن الحديث عن عصر الجاحظ ونشأته وبيئته وعمن اتصل بهم من الخلفاء والرؤساء وعن مذهبه الكلامي ومؤلفاته واسلوبه ! ثم يملأ كل موضوع بما تناثر في الكتب المعاصرة وحدها محاولا خديعة القارىء اذ يوهمه اطلاعه على بعض المصادر القديمة بترداد اسمائها ، وهو في واقع امره ناقل رديء عن ناقل مجيد!! فقل لي بربك الا يستطيع دعي من هذا الطراز ان يكتب

شجرة الحور

ربيبة الماء عبي كوثر الماء
فمن كؤوسك يا حوراء صهبائي
بنت النعيم الذي أولاك بردته
بيضاء ترفل في وشي ولألاء
ميسي بقامتك الهيفاء سامقة
وعانقي الشمس في صبح وامساء
فانت اول من يشتار مبسمها
والنحل لما تفق من حلم عذراء
فما أحبك والاطيار هارجة
على غصونك في دل واغراء
والبدر فيض من الاشعاع منهمر
وقد تناثر في طل وانداء
أشهى ثمارك اعشاش مكورة
كانها حلق في جيد حسناء

وديع ديب

مائتي صفحة عن مثل الجاحظ ! والمراجع معدة ، والتبويب مريح ، والابتكار فقيد ، والسطو واضح ، ومن وراء ذلك طبع فاخر ، وورق لامع ، ومقدمة يستجديها من كاتب جهير لسبب لا ندريه .

هذه هي طريقة التأليف النشيطة كما يعرفها هؤلاء ، وقد يتطاول احدهم فلا يكتفي بالتأليف في مجال قراءاته ومراجعاته بل يقفز الى مجال آخر بمنأى عن حقله المعهود، وانا اعرف كاتبا ما ادعى الكتابة الادبية على طريقته المعروفة ، فأخذ يصدر كتبه المتوالية عما يزعمه من قضايا الشعر والنثر ثم شاء ان يقفز فجأة الى تفسير القرآن الكريم فجعل يصدر الجزء وراء الجزء ، وفي المكتبة القرآنية مئات التفاسير ما بين قديمة وحديثة ، ولا بد لمن يشرئب الى كتابة تفسير جديد ، ان يفتح الله عليه بما ابرزه الزمن المعاصر من فهم جديد لبعض قضايا الفقه والتشريع والاخلاق كما تحدث عنها القرآن الكريم ، لتظهر عظمة كتاب خالد يفيض على الاجيال المتعاقبة من نوره كل صباح ما تفيضه الشمس على الفياهب كل يوم ! فبماذا فتح الله على هذا العلامة الجديد ! لقد قرات الجزء الاول من تفسيره ، وانا اعلم سلفا انه نقول مسطرة عن السابقين ! وكنت اتصور انه قرأ أمثال الطبري والنيسابوري والزمخشري والفخر الرازي .. الى أمثال رشيد رضا وطنطاوي جوهري وفريد وجدي ثم تابع التلخيص ، ولكن الكارثة حارة اذ اقتصر صاحبنا على تفسير الالوسي وحده المسمى بروح المعاني ، واخذ يعالج النقل المبتور بتصرف يضر اكثر مما يفيد ! واذا كنا نعلم ان الالوسي رحمه الله قد قدم في تفسيره الكبير خلاصة لاكثر اقوال السابقين مشفوعة برأيه فان صاحبنا زعم في مقدمته انه قرأ أقوال السابقين ايضا وقدم خلاصة لها ! ليخدع السذج بأنه عانى معاناة الصابر الدءوب ! ولكن المقارنة بين تفسيره وتفسير الالوسي تجعلنا نتساءل عن الامانة العلمية أين تكون ، اذا لم تكن لدى مفسر القرآن الكريم !

ولنا ان نقف قليلا عند من يشجع هؤلاء على الكثرة الكاثرة من الاجهاض الكتابي الشائه ، فنعلم انه الناشر ! والناشر وحده هو الذي يفتن في التوزيع والنشر افتتانا صار به تاجرا كبيرا ذا ثراء وجاه ! حين مد اخطبوطه المحكم الى جهات كثيرة ، فهو يتقدم بخدماته الى لجان فحص الكتب في وزارة التربية والتعليم ليعلن استعداده لطبع مؤلفات ذوي الكلمة المسموعة من حضراتهم مقدما من الاجر ما يقنع ! ثم يلقى اليهم قوائم فهارسه لتكون موضع عطفهم ، وقد اسرهم بمعروفه ، فيسارعون الى اختيار كميات وافرة من مطبوعاته تخزن خزنا في مكاتب المدارس الثانوية والاعدادية والتجارية والصناعية والزراعية ودور المعلمين والمعلمات بشتى محافظات الجمهورية ، ثم لا يقتصر على ذلك بل يلقي حباله الى اساتذة الجامعات في شتى الكليات المختلفة ، مرحبا بطبع محاضراتهم لقاء أجر مقنع ثم ملتمسا النظر الى قائمة مطبوعاته فيما يختارونه لمكتبات الكليات بالجامعة ، فيرى التشجيع والاقبال ، ولا ينسى ان يوثق علاقاته بالقائمين على توزيع الصحف اليومية والمجلات ، فيضع كتبه الجديدة في ورق السلوفان الموصد ، ويقوم بائعو الجرائد في كل مكان بعرضها مع الصحف اليومية ، وكثير من قراء هذه الصحف يسألون البائع عما لديه ليختاروه بمظهره لا بمخبره ، اذ ليسوا ممن يقرءون للاستفادة بل ممن يتباهون بالشراء ، وتجميل المنزل بالحديث من المؤلفات ! فالكتاب لدى هؤلاء لا يزيد عن قدح او طبق او كرسي يجد مكانه المعد في المنزل وان لم يحن ميعاد استعماله واذا كنت تعرف ان كل شارع لا يخلو من بائع صحف ! فانك تعرف ان اتساع منافذ العرض على هذا النحو مما يحتم ان يتصيد الكتاب مئات الاغرار ممن يعتزون بالورق المطبوع دون ارتقاء الى ما سواه ! وبذلك يرجع الناشر بخيره الجزيل فيلقي ببعضه الى صاحبه الذي تهيأ في نشوة التوزيع الى اصدار كتاب جديد .

هذه خواطر متناثرة اسودها كما توالت على النفس حين حملت القلم للكتابة ! وقد وقفت في هذه الجلسة القصيرة لدى هذا الحد المقتضب حين كل الذهن وما اكثر ما يدركه الكلال ، وانا اعلم جيدا أن الموضوع لم ينته بعد ، فله معقبات وذيول ، ولا بد من العودة اليه في مقال آخر اذا اتيح الصفاء !

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



توديع لرئيف خوري

* * *

رئيف أيا زين النهى والفضائل ... نفديك لو نستطيع رد الغوائل
أأذكر اذ ضمت بلودان عهدنا ... ومؤتمر الاداب عز الموائل
فكنت على الشام العروبة والحجى ... هدية لبنان الحبيب المواصل
أسافرت والدنيا مطية راكب ... فآثرت بايجاز الطريق لراحل
وبالامس وافينا اللقاء بندوة ... تدافع فيها الخصم دفع المقاتل
ولا خصم في الاداب والفكر انما ... نلاقي بهذا الحب عذل العواذل
أيكفيك دمع الحزن منا واننا ... لنبكي نبوغ العبقري المناضل
لقد عشت من خبز اليراع وبؤسنا ... تصوغ له الاقدار سوء الشمائل
وما مكسب الاقلام الا زهادة ... لظمآن يروى بالسراب المخاتل
فيا كاتبا ما كان الا تعلة ... بدهر أبى التخليد الا لكامل
أرب البيان العذب ، ودعت قبلما ... أراك وما وجدي عليك بزائل
أهذي خواتيم الاديب وطالما ... تهادت له الاحلام في ثوب آمل
وأسأل نفسي ما الحياة وما الغنا ... فالقى الصدى قد عاد في لفظ سائل
تأوب حزني والليالي ملحة ... بآلامنا والحرب ماجت بصائل
اذا القمر ازدان الدجى بضيائه ... سألنا وهل يخفى لديك بماثل
نعم يا شقيق الفكر ، يخفى كما بدا ... محياك خلف الغيب في بين عاجل
ستانس في أوج النعم بشاعر ... وذي أدب او فيلسوف مساجل
لعل هناك العقل اوعى لفكرة ... تخالط قلبا باليقين المغازل
فيا سيرة الآداب في حلو شربة ... تظل على لبنان نبعة ناهل
ويا زهرة نفح العباقر طيبها ... لقد كان فيها الغصن زهو الخمائل
ويا نغمة ريا الحنان بعازف ... أمن بعدها يصفو هديل العنادل
عليك سلام الله في ذروة الدنى ... بذكرى توافي بالضحى والاصائل

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وديع عقل احد الخالدين في لبنان

بقلم محمد جميل بيهم

* * *

في مطلع هذا القرن تأهبت مدينة بيروت ، وقد كانت في العهد العثماني قاعدة ولاية تحمل اسمها بالاشتراك مع متصرفية لبنان الممتازة، لان تدعى بحق درة تاج آل عثمان. ذلك لان تطورها التجاري والثقافي المطرد بالاضافة الى تجددها باقتباس التمدن الحديث سمحا للامبراطور غليوم الثاني بأن يطلق عليها هذا الوصف عندما زارها مع زوجته في آخر القرن الفائت .

ففي تلك الحقبة من الزمن بدأ ازدهار بيروت ولبنان عمرانيا ومدنيا ، واتسع نطاق تجارتها اتساع مدى انتشار العلم والادب فيها . وظهرت فيها وفي جبال لبنان نخبة من سكانها كانوا بمثابة الرعيل الثاني للبعث الثقافي العربي الجديد على انهم كانوا يمتازون على الرعيل الاول بالتجديد وبالمسحة الغربية التي اصبحت بارزة في ادبهم .

وكان بين هؤلاء الرواد المرحوم وديع عقل الذي لم يكن اديبا وشاعرا فحسب ، وانما كان صحافيا وسياسيا في نفس الوقت . وفضلا عن انه انتخب مرتين نقيبا للصحافة فقد رئس المجمع العلمي اللبناني ، وانتخب سنة ١٩٣٤ نائبا عن جبل لبنان وتكريما لذكراه اقامت نخبة من عارفي فضله حفلة في قاعة محاضرات وزارة التربية ببيروت وذلك في ٢٩ اكتوبر ١٩٦٧ دعي للكلام فيها الاساتذة جورج ابو سعدى عن اللجنة ، ورياض طه عن الصحافة ، والشيخ عبد الله العلايلي والشاعر بولس سلامه ، ووسيم تقي الدين ، والشاعر فوزي سابا ، والشاعر اسعد سابا ، والمؤرخ محمد جميل بيهم ، وفاضل سعيد عقل عن آل المحتفى به .

وقد اتيح للاستاذ بيهم الذي خلف الفقيد على رياسة المجمع العلمي اللبناني عام ١٩٣٠ ان يصوره بريشة عارف خبير لانه عاصره ورافقه في ذلك المجمع رئيسا ومرئوسا .

في صدر هذا القرن كان وديع عقل في عداد الذين ادركوا ذروة الشهرة من اللبنانيين . بيد ان الشهرة ليست في الواقع صالحة لان تكون المقياس لتقدير قيم الناس . ورب امرىء احرزها كاملة ، وهو لا يستحقها ، وآخر حالت الظروف دون ادراك حقه فيها ، وهو اجدر بها من سواه . واما الذي يقدر القيم على حقيقتها فهي المعاملة التي جاء في الحديث عنها : « الدين المعاملة » .

وبالمعاملة يبدو الناس على فريقين : فريق اذا تعرفت اليهم رأيتهم يملأون القلب والعين احتراما ، ولكنك اذا ما خالطتهم ، وسبرت غور نفوسهم لم تلبث ان تشعر بانكماش ظل احترامك لهم تدريجيا حتى لا يبقى له اثر ، وفريق آخر يزداد اعجابك بهم كلما ازددت اختبارا لهم .

ولقد اتيحت لي الفرصة للتعارف الى صاحب « الراصد » تعارفا كاملا ، وذلك ابان ما كان رئيسا للمجمع العلمي اللبناني ، ثم في غضون ما كان هو والشيخ ابراهيم المنذر معاونين للرئاسة منذ ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٢٩ . وفي المدتين ادركت ان هذا الاديب الكبير كان من اولئك الافذاذ الذين كلما طال امد تعاملك معهم تضاعف احترامك لاخلاقهم ، وتقديرك لمواهبهم .

كنت قبل هذه المصاحبة اكن للوديع العاقل جزيل الاحترام على اعتبار انه شاعر مجيد ، وكاتب قدير ، ولكني ما ان تعاونت معه في المجمع العلمي حتى ادركت ان سر شهرته لم يكن لمجرد ادبه ، وان انتخابه رئيسا لتلك المؤسسة التي كانت تمثل وجه لبنان الثقافي لم يكن لعلمه وفضله فحسب وانما تعود لكفاءات اخرى كان يتحلى بها . بل ادركت ايضا ان هذا الرئيس الشاعر الناثر رب المحابر والمنابر كان من الذين يزدادون في عينك اجلالا كلما ازددت بهم اختلاطا .

كان المرحوم لا يبالي بالمظاهر بقدر ما كان يتعصب للقيم الروحية . فاذا رأيته في بساطة زيه ، ووداعة اخلاقه ، وتواضع نفسه ، وذلك على غير تعارف سابق ، وقيل لك ان محدثك هو محرر الوطن ، وصاحب الراصد وهو ناظم تلك الروائع الشعرية ، وكاتب تلك البدائع النثرية تكاد لا تصدق الخبر وذلك بأنه كان على الرغم من دعوته الى التطور والتجدد ، ومن مناداته الى التحفز والتقدم كان شديد الحرص على المستحسن من التقاليد القومية ، وبساطة الطابع اللبناني الاصيلة ، شأنه في ذلك شأن ثلة من مشاهير معاصريه . منهم داوود بركات محرر جريدة الاهرام التي كانت عميدة الصحف العربية ، والشيخ يوسف الخازن النائب اللبناني الجريء . ورشيد نخله ناظم النشيد اللبناني . وهو في ذلك كان عصريا متطورا ، ولكنه كان في نفس الوقت لبنانيا محافظا يتحلى بالمناقب التي هي من مفاخر لبنان وسائر بلاد العرب .

واني سأترك لسواي من الخطباء الكرام التحدث عن أدبه وفضله لاتناول ناحية اخرى من سيرته اتيح لي ان ادركها بنفسي خلال مصاحبتي له . واعني بها رجحان عقله على عواطفه ، واعتدال مسلكه واتزانه في حياته الاجتماعية .

كان وديع عقل لبنانيا متعصبا لوطنه يدافع عنه

بقلمه وبروحه غير ان تعصبه للبنان كان مشفوعا بحبه للعروبة . فكان يفاخر بها ايضا ، ويباهي بلغتها ، ولا بدع فهي لغته ولغة آبائه واجداده . وكم له من حملات على المتبرئين منها في غضون تلك المحاولات الاجنبية التي كانت ترمي الى عزله لبنان عن العالم العربي ، وكم له من هجمات على الذين تعرضوا لها في المجلس النيابي .

ولما انتخب رئيسا للمجمع العلمي اللبناني اتيح له ان يقرن القول بالعمل : فكان الرائد الاول في الدعوة الى تعاون الامصار العربية الشقيقة ، ولا سيما في الناحية الثقافية . وقد عهد الي المجمع بناء على اقتراحه زيارة القاهرة لهذه الغاية ابان ما كانت مصر في عهد الحماية منطوية على نفسها . فكان تجاوبها مع هذه الدعوة الذي يرجع الفضل فيه لاحمد زكي باشا شيخ العروبة ، بمثابة الخطوة الاولى في سبيل التعاون العربي الحديث يوم كانت البلاد العربية يباعد بينها الاستعمار على الرغم من اجماعها على تمني الوحدة .

ثم لما انفت الحكومة اللبنانية مجمعها العلمي بحجة الاقتصاد ، وهي انما الفته مسايرة للانتداب من جراء هذا التعاون هب وديع عقل هبيب النمر ، واعرب عن اله من هذا التجني بمقال ناري صدر في جريدته الراصد يوم ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٣٠ . وكان عنوانه : « من كان عدوا للعربية ، فهو عدو العرب وعدو لبنان » .

وهذه كانت غضبة غسانية بريئة لا شائبة فيها لان وديع عل لم يكن وقتئذ رئيسا للمجمع العلمي اللبناني حتى يتهم بأن ثورته على حكومته كانت تعود الى حرمانه من ذاك المنصب الرفيع .

والى هذا كان وديع عقل من اللبنانيين المحبين لفرنسا الموالين لانتدابها ، وكان كثيرا ما ينوه بها ويدافع عنها الا انه في حبه لحامية الكثلكة في الشرق لم ينس وطنه . فكان لا يتوانى في الدفاع عن كرامة اللبنانيين وحقوقهم ، وعن التنديد بعمل الانتداب خاصة ، وعن التعريض بالاستعمار على وجه عام .

وكان كذلك من خصوم الدعوة الى الوحدة السورية تلك الدعوة التي ظهرت بقوة في اعقاب ممارسة فرنسا لانتدابها على سوريا ولبنان . ولكن معارضته للوحدة لم تكن مجاراة للسلطة ولا ممالأة لها وانما كانت قائمة على اقتناع مداره ان يترك للزمن الفرصة الكافية حتى يجعل هذه الوحدة تفرض نفسها فرضا نتيجة للمصلحة العامة .

هكذا كان صاحب الراصد في حياته الخاصة والعامة متزنا في سلوكه ، مستقلا برأيه لا تتحكم في عقله العواطف ، ولا يقوى التيار مهما كان جارفا ان يحيد به عن سنة الاعتدال . على اننا لا نكون قد وفيناه حقه من التعريف اذا لم نلق نظرة على جريدته التي كانت تنطق بلسانه ، وتعبر عن خلجات قلبه .

كانت « الراصد » جريدة سياسية ، وللسياسة فيها مقام الصدارة ، ولكنها كانت مع ذلك كمجلة ادبية يلقى فيها اهل الادب ، وطلاب المدارس ضالتهم المنشودة . ذلك بان صاحبها وان القى نفسه في احضان السياسة الا ان نزعته الادبية ظلت بارزة اكثر من اي نزعة اخرى .

وهنا لابد لي من الاشارة الى ان جريدة الراصد كانت ايضا صحيفة نسائية : ففي ذلك الحديث اليومي الرقيق الذي كان عنوانه « بنات حواء » كان المحرر ينتقل من زهرة الى زهرة : من الحب الى الجمال ، ومن الفكاهة الى اخبار الحسان داعيا الى تحرير المرأة ، والى تعليم البنات فيصوغ من تلك الازاهير الناضرة شهدا شهيا فيه شفاء للناس يقبلون عليه دون الخوف من ابر التقاليد البالية . فكان وديع عقل بذلك من انصار المرأة الذين دعوا الى سبيل تحريرها بالحكمة والموعظة الحسنة فكانت دعوتهم مستجابة .

وفي ذلك العهد ، عهد الشباب ، وليته يعود يوما ، كانت نسيبة لي قد رغبت الي بان ازودها بالكتب والمجلات الجديرة بالقراءة . فكنت لا اتلو جريدة الراصد الا واجد فيها من النسائيات الجذابة ، والفوائد المختارة ما هو جدير بأن يقطع ويضم الى باقة الفرائد التي كنت اهديها الى هذه الصبية المجتهدة .

وبعد فاني اذ اترحم على هذا الصديق الكبير الذي مثل لبنان احسن تمثيل في صدر هذا القرن ، وساهم في بنيان مجده اوجه الشكر الجزيل الى عارفي فضله الذين شاؤوا ان يحيوا ذكراه بهذه الحفلة . واشكرهم ايضا على دعوتي للمساهمة في هذا الواجب . فهم جديرون بالشكر ، ولا يعرف الفضل الا ذووه .

محمد جميل بيهم

صفحة عمري

قالوا : كبرت .. وهذا الشيب يضطرم
في ذروة الرأس .. والايام تنتقم
فقلت : لا غرو اما الدهر كللني
وما ترون بياضا انه قمم
صنين لولا ثلوج الكبر تحرسه
ما كان زهوا لنور الشمس يبتسم
بياض قلبي على فودي منتشر
وتلك ((صفحة عمري)) .. كلها شمم

حمص **عبدو مسوح**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« اصوات من الخارج : طب ! طب ! طب ! ـ القنابل ! القنابل ـ احمد! استيقظ يا ولدي ! قنابل ! قنابل ! قم ! هيا ـ اليهود ! اليهود ! الى اين نذهب ؟ ـ هووو ! آخ ! راسي! راسي ! لقد هدمت الدار . هدمت القنابل الدار . ـ نجية ! اين سمير؟ احضري الولد وتعالي الي . ـ ابا حمدان ! انظر ! ان الناس يخرجون من الدور الى الشوارع . انظر ! الى اين هم ذاهبون ؟ ـ طب ! طب ! ـ لقد سقطت قنبلة على دار ابي سليم العبد الله . يا لله ! لقد هدمت القنابل السقف . الا ترى ؟ ـ ام رجب ! ـ نعم . ـ ماذا تفعلين ؟ ـ انني احزم الملابس والامتعة . ـ اسرعي ! اسرعي ! يجب ان نخرج من الدار على عجل والا هلكنا . انمدافع العدو تقصف البلد . ـ طب ! طب ! طب ! ـ محمود ! ـ ماذا تريد ؟ ـ هل رايت خطيبتي سعاد ؟ ـ كلا . ـ لقد بحثت عنها في دار عمي ولكنني لم اجدها ولم اجد احدا من ابناء عمي . ـ ربما خرجوا من طولكرم . ـ اتركي الامتعة الثقيلة . من يستطيع ان يحمل كل هذه الامتعة ؟ احزمي الامتعة الخفيفة فقط . الحرامات وقليل من الملابس الداخلية تكفي . هيا اسرعي ! ـ وابوك من يحمله ؟ انه شيخ ضرير . سأتعاون انا واخي على حمله حتى نجد في طريقنا سيارة تقلنا الى عمان . طب ـ يا وردي ! يا وردي ! ـ ما هذا ؟ صراخ . ـ لا بد ان تكون احدى القنابل قد قتلت بعض السكان . ـ طك ! طك ! ـ صوت رصاص بنادق ان اليهود يفتكون بالاهالي . لقد انتشروا في البلد . هاتي الامتعة . الحقيني انت والاولاد . هيا ! سنتناول الفطور فيما بعد، في الطريق . ـ امك مريضة وهي عجوز لا تستطيع السير على قدميها ـ سأحملها . ـ خذي معك قوارير ممتلئة بالماء . كل شيء ما عدا الماء . ـ يقال ان الجنود الاسرائيليين ينذرون الاهالي بالقتل ان لم يخرجوا من المدينة . ـ ضعي النقود في لحاف الطفل لئلا ينتزعها اليهود منا ـ والحلي الذهبية ؟ اين تخفيها؟ ـ ضعيها تحت قبعة الطفل . ان اليهود لا يفتشون ملابس الاطفال . ـ يا فتاح يا عليم ! اين كان هذا الهم مخبوءا لنا ؟ ـ ليس هذا الوقت وقت تأسف وتحسر . هناك وقت اخر للانتقام . ان الحياة ليست نعيما كلها ولا شقاء كلها . اننا راحلون الان ولكن لا بد من العودة الى طولكرم » .

(اصوات من الداخل : ها انا احمل كيس امتعتي على ظهري وما حملت في حياتي قط كيسا مثله ومشيت به في شوارع طولكرم كما

الرحيل عن طولكرم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي

يمشي العتال الفقير . اتريدون ان تذلوني ايها اللئام ؟ لا ، ان هذا لاينال من عزة نفسي ولا يثبط عزيمتي . سأقاومكم الان بصبري وغدا بسلاحي ـ يعز علي كثيرا يا بلدي الحبيب ان اتركك للاعداء . لقد قضيت في ربوعك اجمل ايام حياتي كلها : طفولتي وصباي وشبابي وشيخوختي لا بد من العودة اليك يا طولكرم . ان ما تركته فيك من مواطن الذكرى هو المغناطيس الذي يجذبني اليك . ـ سيروا يا اولادي . لا تفكروا في ،



انني استطيع السير معكم جنبا الى جنب . انني وان كنت ضعيفة الساقين محدودبة الظهر ما زلت قوية الامل في الحياة . ـ اأترك اراضي المشجرة ودوري العامرة في مسقط راسي واهيم على وجهي في بلاد الغربة ؟ ان هذا ليمزق الفؤاد .

ـ ايستولي الاعداء على حانوتي العامر بجميع الوان البضائع التي بذلت مالي وقدمت عصارة ذهني ثمنا لها ؟ ـ كيف اتخلى عن اثاث منزلي الثمين لقوم ليسوا اهلا لان يحتفظوا بقطعة واحدة منه ؟ لقد قضيت عمري وانا اجمع النقود لاتزوج واملأ منزلي بالاثاث الفاخر. وقد استأجرت منزلا فخما وجلبت اليه افضل انواع الاثاث ، وقدمت الى عروسي حليا نفيسة وملابس انيقة ، وكان في النية ان اتزوج بعد اسبوع . وهكذا ذهبت اتعابي ادراج الرياح . ـ ان لي على ابي سليمان اليوسف ثلاثمائة دينار ، وقد وعدني بدفع مئة دينار من هذا المبلغ غدا . يا لله ما اعجب الاقدار ! ـ ومالي الذي في البنك ؟ ان لي في البنك الفي دينار . يا ضياع مالي وتعبي ! ـ بيارتي الواسعة بأشجار برتقالها الخضر واثمارها اليانعة . أاتركها لقمة سائغة للاعداء ؟ ـ يا قوم ! الى اين انتم هاربون ؟ قفوا ! عودوا الى بلدكم . ان كنتم ذاهبين الى الطمأنينة والسعادة والهناء فلا تبحثوا عنها في غير بلدكم طولكرم فهي موجودة هنا . هاجموا الاعداء وانتزعوا منهم اسلحتهم وقاوموهم بها لكي تحتفظوا بطمأنينتكم وسعادتكم وهنائكم التي خلفتموها وراءكم) .

هرع الاهالي من طولكرم في تدفق وذهول وارتباك رجالا ونساء واطفالا هذا يحمل على ظهره كيس امتعة ، وتلك تحمل على ساعدها طفلا . كانوا كلهم متجهين الى الشرق حيث ارتفعت الشمس عن الافق قليلا وهي تحدق باشعتها الحارة . وكان كثيرون منهم في ملابس النوم اذ لم

يجدوا وقتا كافيا لارتداء ملابسهم الخارجية . لقد قضوا الليلة الماضية في راحة وهناء اذ لم يخطر في بالهم ان صباح اليوم التالي يحمل لهم من الحوادث والانباء ما يتعارض مع اماني نفوسهم واحوالهم . وكانوا من حين الى آخر يلتفتون وراءهم لا ليودعوا مدينتهم الحبيبة بل ليتأكدوا من ان القنابل التي كانت تطلقها مدافع الاعداء لم تقترب منهم فقد شغلهم الارتباك عن كل شيء ما عدا التفكير في السلامة . كان الواحد منهم يسير ذاهلا حتى عن صديقه او جار له يسير بجانبه من حيث لا يدري ما عدا رجلا واحدا التفت الى يساره متنهدا اذ علق نظره ببيارته الكبيرة .

خرجت الجموع العربية من شرق المدينة ، ودخلت الجموع اليهودية من غربها . اخذ جنود الاعداء يعيثون في المدينة فسادا . اطلقوا النار على اقفال ابواب الحوانيت ثم اقتحموها ناهبين مختلسين . ولم يكتفوا بذلك بل انتزعوا النقود والحلى من الاهلين وهم يخرجون من المدينة نازحين . ولم يستطع الاهلون ان يفعلوا شيئا فقد كانوا عزلا من الاسلحة والاصدقاء الاقوياء والمغيثين الاشداء وذوي الانسانية والعدالة .

وكان بين تلك الجموع الغفيرة رجل اسمه امين وهو شاب صلب العضلات ناري النظرات مديد القامة مندفع الصدر . وكانت تسير الى جانب هذا الرجل اسرة مؤلفة من استاذ كان يعلم في مدرسة ثانوية في المدينة واسمه يحيى ومن زوجته وولد في السابعة عشرة من عمره وبنت في العاشرة من عمرها . وعلى مقربة من هؤلاء رجل اسمه شفيق وامرأة صبية حبلى كان قد تزوج بها منذ بضعة اشهر . ولم يخوضوا موضوعا من مواضيع الاحاديث اثناء سيرهم ما عدا عبارات التأسف والتحسر التي كانوا ينفسون بها عن قلوبهم المعذبة من حين الى اخر . غير ان يحيى وهو رجل فكري بحكم وظيفته كان مستغرقا في تفكير عميق . وكثيرا ما هم بالنطق بما يدور في ذهنه من افكار غير ان المصيبة كانت تعاجل لسانه بنخسة في قلبه فيمتنع عن النطق ، واخيرا وضع حدا لسكوته اذ التفت الى امين قائلا :

ـ الى اين تريد ان تذهب يا امين ؟

فأطلق امين من عينيه الواسعتين اللامعتين نظرة طويلة شاردة ثم اجاب بعد قليل من التفكير :

ـ وجهتي نابلس .

فأجال الاستاذ نظره في محدثه وقال :

ـ نابلس ! ولكن الاعداء لا بد ان يزحفوا الى تلك المدينة يا رفيقي .

(اخشى ان ترغم على الرحيل كما رحلت عن طولكرم) .

فقال امين بلا مبالاة :

ـ وان يكن ؟

وبعد هنيهة التفت امين الى يحيى قائلا : ـ وانت ؟ ما وجهتك ؟

ـ عمان . ان لي اقرباء هناك .

(يجب ان اكون بمنأى عن الاعداء لكي اتمكن من الدفاع عن وطني ولو بقلمي) .

ثم التفت الى شفيق قائلا :

ـ وانت يا شفيق ما وجهتك ؟

ـ انني متجه الى اربد حيث تقيم اسرة زوجتي .

(لو لم تكن اسرة زوجتي هناك لاضطررت ان اقيم في خيمة بأحد المخيمات) .

وفي طريقهم مروا بأسرة مؤلفة من شيخ وعجوز مريضة كانت مستلقية على العشب ومن شاب وثلاثة اولاد كانوا جالسين على الارض . وكان الشيخ والشاب يتناولان فطورهما ماضغين الطعام بأسنانهما والهموم بعقليهما وقلبيهما .

وبعد برهة مروا برجل اعمى يقوده حفيده وهو في الحادية عشرة من عمره . وكان الشيخ يتلو ايات من القرآن بصوت ذليل ليفرج الله عنه كربه ويهديه الصراط المستقيم ، بينما كان حفيده يصغي اليه في خوف وتأمل واحترام .

وقد اقبلوا على رجل مرتد ثوبا ابيض وعلى رأسه عمامة خضراء امتد طرفها على عنقه ، وقد طوق عنقه بسبحة كبيرة ذات خرزات ضخمة . اما ثوبه فقد كان فضفاضا شبيها بخيمة انتزعت اوتادها وارتخت اسبابها . وكان يسوق امامه حمارا يحمل قربة ممتلئة بالماء . وكان يطوف بالمارة من اللاجئين وهو يقدم اباريق من الماء ليسقي العطاش ولا سيما الاطفال والغلمان . وكانت الاصوات ترتفع من كل ناحية : « يا شيخ مسعود ! ماء يا شيخ مسعود » وكان الرجل يخدم ابناء بلده في رضا وغبطة عجيبين ، وقد قنع بالدعوات الحارة التي تنبعث من افواه العطاش جزاء له على عمله الطيب .

ولما وصل النازحون الى بلدة عنبتا تجمهر اهلوها من حولهم يسألونهم ماذا حدث لطولكرم وهل بقي فيها احد . وقد استعمرت وجوههم امارات الخوف والذعر اذ خشي الاهالي ان يكون مصيرهم شبيها بمصير مدينة طولكرم . وكانت الهزات الحزينة التي تصدر عن رؤوسهم الجامدة اثناء الاستماع الى حديث النازحين دليلا على ذلك .

وواصل النازحون سيرهم مخلفين في بلدة عنبتا الجياع والمرضى ومن تعبت ارجلهم وتألمت اقدامهم . ولم يكد نصف ساعة يمضي على خروجهم من بلدة عنبتا حتى بدأ التعب يتمشى في ارجلهم وظهورهم والملل في نفوسهم والسخط في افواههم .

وبينما كان يحيى وصحبه يتحدثون اثناء سيرهم اذ مرت بهم سيارة . فلما وقع نظر امين عليها قال للاستاذ :

ـ هذا درويش حسنين السائق . لقد رحل عن طولكرم هو وأسرته في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيارته .

وقال شفيق : ـ هنيئا له ! ليت لي سيارة كسيارته . اذن لركبنا جميعا فيها . لقد كنت شريكا لاخي في سيارة اجرة غير انني بعتها اخيرا لكثرة النفقات التي اقتضاها ما كان يصيبها من تلف .

(ليتني لم ابع سيارتي . انها في مثل هذه الساعة خير من الاموال كلها) .

وقال يحيى : ـ ان من حسن حظ ذلك السائق ان يفر بسيارته من وجوه الاعداء وينجو من شرهم ، فان سيارات الاجرة والسيارات الخاصة يأخذها الاعداء منا ويحتفظون بها سلابا .

(كان في امكاني حينما كنت في طولكرم ان اطلب من صديقي حامد ايوب ان يقلني معه في سيارته الخاصة ، ولكنني ابيت ان اعرض عليه ذلك اذ ربما كان في النية ان يركب معه اشخاص من اقربائه) .

وانهم لكذلك اذ سمعوا دويا هائلا حشا القبة الزرقاء بالازعاج وانزل صواعق من الرعب على الارض . فأصغى النازحون بآذانهم وعقولهم وقلوبهم وجوارحهم ، وشعروا ان سوء حظهم ما يزال يلاحقهم . نظروا الى السماء باحثين بعيونهم التعبة عن الطائرات التي بعثت ذلك الدوي الهائل . وارتفعت الاصوات : طائرات ! طائرات يهودية !

وتفرق النازحون هاربين الى نواح مختلفة . اختبأ بعضهم تحت اشجار الزيتون ، واعتصم بعضهم ببطون الصخور . وبعد قليل سمع دوي قنابل تردد صداه في الاودية والقلوب .

ظل اللاجئون في مخابئهم حتى ابتعد دوي الطائرات عنهم فأيقنوا انهم اصبحوا بمأمن من شر الاعداء ، فعادوا الى الطريق وواصلوا المسير وراحوا يتحدثون عن تلك الطائرات وعما القته من قنابل . وقد تبين لهم ان احدا منهم لم يصب بأذى ، وخطر في بالهم ان قوات الجيش الاردني والعراقي هي التي كانت هدفا لقنابل الاعداء .

وبينما كان يحيى وصحبه يسيرون اذ صاح امين وهو يشير بأصبعه الى سيارة تحترق في الطريق :

ـ انظروا ! انها سيارة تحترق .

(انها سيارة مدنية . اخشى ان تكون سيارة درويش حسنين) .

وقال يحيى : ـ لاشك ان الاعداء القوا عليها قنابل محرقة . تبا لاولئك المجرمين !

وقال شفيق : ـ اقتربوا من السيارة . دعونا نذهب لنراها .

(ترى هل احترق كل من فيها) .

اقتربت الجماعة من السيارة على عجل واخذ الجميع يسرحون انظارهم فيها وفي ركابها . وكان امين يحدق في ركابها بعين جامدة كعدسة المصور كأنه اراد ان يلتقط صورة تذكارية لهم ، ثم تراجع متأثرا وصاح :

ـ مجرمون ! لقد احترق جميع من في السيارة . انها سيارة درويش حسنين الذي مر بنا منذ بضع دقائق . انها هي نفسها . أجل هو درويش حسنين ، يمكنني ان اتبين ملامح وجهه على الرغم من التشويه الذي سببته القنابل المحرقة له .

ثم اخذ يحرق الارم سخطا وغيظا وقد اطبق اصابعه وشد اعصاب يديه فتجمعت عضلاتهما الصلبة .

(اصوات من الداخل : اين السلاح ؟ اعطوني سلاحا . اشعر برغبة في العودة للانتقام من اولئك الغادرين الذين احرقوا هؤلاء العزل . أحرقوا الاطفال والنساء والاولاد . ويل لهم !)

(منظر في الداخل : يعود الى طولكرم فيخطف مدفعا رشاشا من جندي يهودي ويأخذ في اطلاق النار على الاعداء) .

ولما رأى شفيق ما حل بركاب السيارة اطلق تنهدة عميقة ، وقال في حزن شديد : ـ لا حول ولا قوة الا بالله !

اما الاستاذ يحيى فقد عجز عن التعبير عما انبعث في قلبه من الثورة والاسى بالكلام فانطلقت نفسه تحدثه في حرية صامتة ، واخذت الاخيلة ترسم في ذهنه صورا ملتهبة :

(اصوات من الداخل : هل من الشجاعة ان تلقى القنابل المحرقة على هذه الاسرة العزلاء ـ على النساء والاطفال ؟ لقد سمحوا لتلك الاسرة بالرحيل عن طولكرم ، فلماذا لحقتها طائراتهم واحرقتها ؟ اين الحق ؟ اين العدل ؟)

(منظر في الداخل : يقف على منصة ويلقي على جمع من الناس كلمة مؤثرة يصف بها ما شاهده بعد رحيله عن طولكرم) .

وواصلت الجماعة السير مع بقية اللاجئين . وفي الطريق وقعت انظارهم على احدى سيارات الجيش وقد احترقت بمن فيها بسبب قنبلة محرقة القتها طائرات الاعداء عليها ، ورأوا بجانبها دبابة تالفة مائلة الى الخندق .

وعلى بعد بضعة امتار من الدبابة والسيارة رأى اللاجئون جنديا اردنيا ملقى على الارض ، وقد تمدد بجانبه جندي آخر عراقي . وكان كلاهما قتيلا .

كاد يحيى ينفجر ثورة وسخطا :

(اصوات من الداخل : لماذا هزمنا هذه الهزيمة الفاضحة ؟ لقد كان العرب في فجر الاسلام كتلة من الحماسة والحيوية والشجاعة . خرجوا من الصحراء القاحلة ليضموا بلادا الى بلادهم ، ومات كثيرون منهم شهداء في سبيل الاسلام مؤملين ان يكون جزاؤهم على اخلاصهم في القتال جنات سماوية فيها اطايب المأكولات وفيها الحور والعين . ونحن خرجنا من الفردوس ، ونحاول اليوم ان نسترد ارضا فقدناها ـ نسترد جنة حافلة بألوان السعادة والهناء والخصب والفواكه والثراء . ينبغي لنا ان نكافح ونحارب في أمل وبسالة من أجل فردوسنا المفقود . نحارب لنسترد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جنتنا فنتمتع بما فيها من نعيم وهناء . وكل يساير عامة الناس وينزل الى مستواهم في تفكيرهم . وبمقدار ما يساير العوام ينبذ المثقفون المنتجون من انهم اولى بالعناية والتقدير والاهتمام من العوام اذ هم الذين يكشفون عن امراض المجتمع ويقدمون له العلاج الناجع . وبدون تشجيع المثقفين المنتجين ولا سيما العباقرة منهم يظل المجتمع مريضا جاهلا شقيا متأخرا في سلم الرقي والتقدم) .

وكانت على مقربة من احد الجنديين بندقية محشوة لم يطلق من عياراتها شيء بعد . ولما وقع نظر امين عليها تقدم اليها بضع خطوات بقدمين عصبيتين طعن بها ظهر الارض ، وأخذ يجيل بصره فيها متفقدا ، ثم تناولها عن الارض في تؤدة واطبق على مقبضها اصابع احدى يديه ، ثم تناول صف الرصاص عن كتف صاحبها الجندي القتيل والقاه على كتفه وتنكب البندقية ثم اتجه نحو الغرب ـ نحو طولكرم . فاستغرب صاحباه ما فعل . وقال له شفيق :

ـ ماذا تريد ان تفعل ؟

فاجابه امين في عزم وايجاز ورزانة : ـ اريد ان اعود الى طولكرم لاحارب .

ـ ولكنك وحيد . انك تعرض نفسك للقتل .

(لا شك انك شجاع ابي النفس)

وقال يحيى لشفيق بنغمة مفعمة بالتأثر : ـ دعه . انه يريد ان يثأر للقتلى منا .

(ليت بيننا الفا من امثال هذا الرجل . اذن لتغلبنا على الاعداء) .

ومشى امين في قوة وسخط قائلا : انني لست وحيدا ففي ذهني الوف من الاصوات تحثني على الجهاد والدفاع عن الوطن . لذا اشعر بان في جسمي قوى الوف من الناس . انني لا استطيع ان أرضي ضميري اذا لم اجاهد واكافح .

وبعد ذلك تفرق اللاجئون هنا وهناك مبتعدين عن الطريق العام لئلا يقع عليهم شيء من قنابل الطائرات . وكان يحيى يسير هو وافراد اسرته في مسلك يؤديه الى قمةجبل نبتت عليه اشجار متنوعة. اما شفيق وزوجته فقد اتخذا لهما مسلكا آخر بعد ان التقيا اقرباء لهم من النازحين .

صعد يحيى وافراد اسرته الى قمم الجبال وهبطوا الى اوديتها فنال التعب والمشقة منهم لما اعترض سبيلهم من عقبات ولما عانوه من جوع وظمأ وضلال عن الطريق . ولما حل المساء استقر بهم المقام مؤقتا تحت شجرة فينانة ليقضوا هناك ليلتهم ثم يواصلوا المسير في اليوم التالي .

وفي اثناء الليل استيقظت بنت يحيى على صوت حيوان ، فاستولى عليها ذعر شديد ، ولصقت بأمها توقظها . وقد داخل هذه خوف فايقظت بدورها زوجها . وبعد ان ارهف الزوجان السمع تبين لهما ان الصوت هو نباح صادر عن كلب. ثم القى الايقاظ رؤوسهم على مخدات من التراب ملتحفين بحرام واحد غطيت به اجسامهم جميعا تحت ليل من الاشجار فوقه ليل من السماء .

وفي صباح اليوم التالي تابعوا المسير بشيء قليل من النشاط ، غير انهم شعروا بآلام في اصابع اقدامهم من شدة المشي . ثم انهم جلسوا تحت شجرة ضافية الظل ليتناولوا غداء مؤلفا من قليل من الصعتر والبصل وفتات من ارغفة جافة .

انتهوا الى الغور وهو شديد الانخفاض حار الهواء . وهناك شعروا بضيق خانق من لهب الهواء وشآبيب العرق الساخن . وبذلك تكالب عليهم الجوع والظمأ والحر والعرق . كان منظرهم منظر متشردين هائمين على وجوههم لا وطن لهم ولا عشيرة ولا اقربين ولا اصدقاء . ان هؤلاء الاشخاص كانوا في الامس موضع احترام الناس واعجابهم وتقديرهم وانسهم .

ولما اعترضهم نهر الاردن التفتوا حولهم فرأوا تنكات من الجبن والزيت والزيتون تركها اصحابها هناك لعدم تمكنهم من حملها . عبروا الجسر وقطعوا بقية الغور .

ثم اعترضتهم جبال السلط الشامخة فبدت كأنها مصائبهم وهمومهم مجسمة . تسلقوها تسلق الاغنام بأنفاس متقطعة وصدور مرهقة واقدام محطمة .

ـ لقد هلكت تعبا . متى نصل يا ابي ؟

ـ بعد قليل يا بنتي .

(بعد ساعات طوال) .

وفي أعلى احد الجبال اسغرقوا في نوم عميق . وفجأة شق صوت منكر سكون الليل وعكر صفوه . تكرر ذلك الصوت الغريب . ولما زحف في اذن زوجة يحيى رفعت رأسها عن الارض مصغية . لقد ملأ الصوت قلبها رعبا ، فامتدت يدها الى كتف زوجها تهزها هزا عنيفا ليعلمها صوت اي وحش ذاك الذي تسمعه . ولكنه آثر الاستغراق في النوم قائلا : « انه صوت كلب كالعادة » . غير انه لم يلبث أن هب منتصبا حينما أيقن ان الصوت هو صوت ضبع . لقد سمعه مرة من قبل . أخذ يفكر في وسيلة للتخلص منه . ليس لديه مسدس او سكين يقتله به . وفجأة التمعت فكرة في ذهنه مستقاة من احدى القصص التي طالعها وهي ان يوقد النار لعل الضبع يبتعد عنهم . وما كاد الضبع يقترب منهم حتى اشتعلت النار فولاهم ظهره ومضى .

وفي صباح اليوم التالي واصلوا السير وهم يترنحون تعبا وضعفا . ولما اقتربوا من طريق السلط اشار يحيى الى سيارة (باص) فوقفت وركبوا فيها ملقين عنهم احمال تعبهم . واتجهت السيارة الى عمان.

عمان **عبد الحميد الانشاصي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جولة مع فلاسفة السخرية والفكاهة

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

ارقى انواع الفكاهة هو السخرية ، سخرية العظيم من اوضاع المجتمع الذي يعيش تحت ظلاله ، يرى فيه نقصا ، وانحرافا عن الكمال الانساني ، والمثل العليا التي يتشوقها في نفسه ، فتعتريه الحسرة ، فينتقد النقص ، ويسخر منه في قالب فكاهي ، يسخر والارض تميد تحت اقدامه، انه السخر الناتج عن الالم الانساني في ابعد مراميه ، هو السخر الهادف الذي يرجو للانسانية الكمال ، ويبين للناس نقائصهم ،ونواحي ضعفهم ، ليحيدوا عن المشرع الخاطيء وليتخذوا طريق الصواب والكمال ، وليس سخر البطر والاستهزاء والانانية ..

والساخر العظيم يتسلح بذكاء حاد ، يبين له الفرق والفراغ بين النقصان والكمال ، وفي المجال الانساني نقاط ضعف كثيرة ، يتأهب لها الذكي النابه بما امده الله به من الذكاء الفياض والروح الشفافة الحلوة ، ليكتسح هذه الثغرات الضعيفة بمعول سخره الكبير ، فنرى الفرق بين النقص والكمال .. ونستطيع ان نجد في فكاهات عباقرة السخر ونقدهم العميق البناء فيضا زاخرا من الافكار المكشفة ، يرسلونها عميقة حارة صادرة عن اتون نفسهم الكبير ، يغنينا عن قراءة كتب عديدة تلهب افكارنا واحاسيسنا وتهز انفسنا ، فنضحك منها ومن غرورنا اذ استطاع هؤلاء العباقرة ان يلتقطوا ما ران على انفسنا من الغرور ، واطلعونا على نقايات الضعف الكامن فينا ، فضحكنا وضحكوا معنا ساخرين ..

ومن كبار الظرفاء الساخرين الشاعر « امام العبد » وكان قفاشا مليح النكتة والنادرة ، وساخرا من طراز رفيع ..كان يمر مع احد اصدقائه الوجهاء ، في ليلة باردة ماطرة باحدى مقاهي القاهرة ، وعند انتهاء السهرة عرض الوجيه معطفه على امام ليرتديه اتقاء للبرد .. اذ لم يكن متدثرا بالملابس الشتوية ، على ان يعيده في ليلة ثانية ، ولامر ما لم يحضر امام الا بعد اسبوعين ، وقد تناوله الوجيه بقوارص الكلام ، واذ علم « العبد » بما تقوله عليه الوجيه ، ذهب الى سوق الثياب القديمة (روبا بيكا) واشترى سترة قديمة ، وما عتم حتى انطلق بها والمعطف الى حيث كان يسمر الوجيه، فتلقاه اصدقاؤه بالترحيب والتأهيل ، واعاد المعطف الى الوجيه وسلمه السترة ايضا ، ولما سأله الوجيه عن سبب احضار السترة اجاب امام : السترة هي الفائدة الفاحشة عن المعطف ..

فضحك الوجيه والاصحاب .. لقد عرض امام بالوجيه ، وكان هذا مرابيا كبيرا من الطراز الاول ، يرهن الفلاحون عنده اطيانهم ومزارعهم لقاء فائدة فاحشة ، ولا مراء ، فان وراء هذه السخرية مغزى اجتماعيا كبيرا ، فهي تأنيب الوجيه على سوء فعله مع مديونيه بالاضافة الى انه اوراه موضع النقص في اخلاقه ، وحثه على معاملة الناس معاملة انسانية ، صب كل ذلك في قالب فكاهي فيه ابداع وتفنن .

وثمة فيلسوف اجتماعي وساخر كبير ، كان استاذا لامام العبد في ميدان الفكاهة والنقد والسمر هو « محمد البابلي » ويضرب المثل بحديثه الحلو الجميل فيقولون « حديث بابلي » . كان يستمع الى المغني الكبير عبد الحي حلمي في احد مسارح القاهرة وهو يغني مقطع الدور الذي جاء فيه «اهل السماح الملاح. دول. فين اراضيهم؟» فأجابه البابلي .. في البنك العقاري يا عبدالحي ! فضحك المستمعون وضحك المغني ، وتوقف عن الغناء . لقد عرض البابلي بطائفة كبيرة من ابناء الاعيان الاثرياء ، وطلاب اللذات والشهوات ، الذين يرهنون املاكهم لدى البنك العقاري ، لقاء اقتراضهم سلفات كبيرة يبذرونها على موائد الميسر والقمار وعلى غواني المسارح ، انه تعريض بالبذخ والترف ، ونقد اجتماعي للحالة التي كان عليها الناس .. واذا كان البابلي والعبد عرفا بميدان الفكاهة والسخر ، فثمة شاعر اخر كان له جولات في ميدان الشعر والسخرية والنقد الاجتماعي العميق الا وهو « ابراهيم الدباغ » وكان هؤلاء الاقانيم الثلاثة لا يتفرقون حتى يجتمعوا اما في مقهى اسبلنديد او بار اللواء، او في مواطن السمر في قصور الوجهاء واكابر العظماء بالقاهرة ومنها قصر شيرين ، وقصر احمد تيمور والسادات وغيرهم .

جاء احدهم الى ابراهيم الدباغ وهو بمقهى الفيشاوي واخبره عن وليمة كبرى أقامها في داره في ضواحي القاهرة ، وذكر له اصناف الماعز والخراف التي قدمها لضيوفه ، وكان يستمع اليه وهو مغضب محنق على سوء تبذيره ، ولما انتهى من الوصف والتعداد أجابه الدباغ مرتجلا امام جمع كبير من الاصدقاء :

والذي قرب القرابين فتكا لاناس .. غدا ستسأل عنها
من كباش ذبحتها ، وخراف انت اولى والله ، بالذبح منها

ولقد شاهد ولع السيدات بالمساحيق وفي طلائها مسخ لمظاهر الصدق والطبيعة ، فآلمته هذه المغالطات وازعجه اقبال السيدات ابان الصيف يمرحن على شاطىء البحر ، مرتديات البسة الفتنة ، دونما وازع من حياء او دين ، يفصن في البحر سابحات غير محتشمات ، فانقبض من هذا المشهد المؤلم ، واسبغ المه على البحر الذي غطى وجهه بالموج فقال :

تزور البحر ، فاتنة لعوب تزل خواطر الشعراء عنها

عطري

عطري الذي أحببته سأ ... رشه فوق الوساده
لابيت احلم بالذي ... أهواه حبا كالعباده

وأقول في الاحلام ... ما لم استطعه في الحقيقه
حذر العيون تردنا ... حتى عن النجوى الرقيقة

عطري سأبعثه اليك ... مع النسيمات العليله
وابث في طياتها حبي ... واحلامي الجميله

لتحس رغم بعاد ... نا يا ملهمي اني قريبه
وبانني رمز الوفاء ... وأنني أغلى حبيبه

عطري مزجت عبيره ... يا ملهمي بهوى فؤادي
لم ينس من يستافه ... في نشوة أبدا ودادي

لك انت وحدك يا ... حبيبي ذلك العطر الفريد
يوم اللقاء يضوع في ... فرح به ثوبي الجديد

لم أنس يوم سألتني ... أي العطور تفضلين
وتقول اني قد سكر ... ت وانت نحوي تخطرين

فاذا اردت ارشه فو ... ق الثرى تمشي عليه
وأقول للعطر المفضل ... بلغن شوقي اليه

عطري وحقك لن ... يفوح أريجه الا معك
من حزنه يخبو و ... يبخل بالشذى ان ودعك

يا عطري الفواح يا ... شفة ترتل أغنياتي
بل يا رسول اثنين قد ... سكرا بغير ترشفات

طف حوله انى يكون ... وبلغ الاشواق عني
وانقل له لحن الحنين مع ... الوفاء فانت مني

مصر الجديدة — روحية القليني

تعرى ، من ملاءتها ، حياء ... ودين لم تصنه ، فلم يصنها
وضاع ، لبيتها شرف وطهر ... وعز هونته ، ولم يهنها
تمر بصخرة الدأماء حوتا ... ويفزعها ، مهب رياح ـ بنها ـ
رآها البحر ، مقبلة عليه ... فغطى وجهه بالموج منها

وماذا عساه ان يقول لو مد الله في اجله وشاهد السيدات يلبسن « البكيني » ويؤلفن حول خصورهن ومواقع الفتنة ، نطاقا من الاحداق والمهجات ، أتراه يقول ان نساء الماضي هم نساء هذه الايام مع تحوير لطيف في المشاهد والمباذل ، وان ما قاله بالامس عنهن وهن يذرعن الشوارع بعد ان هجرن البيوت ينطبق عليهن ما قاله من قصيدة طويلة :

واما القيد ، والبيض العذارى ... وهن سوافر في شبه لبس
بذلن الحسن من ساق لوجه ... وخضن عليه من نظر ولمس

عمان ـ الاردن — مصطفى درويش الدباغ

الهوى و حديث العينين

•

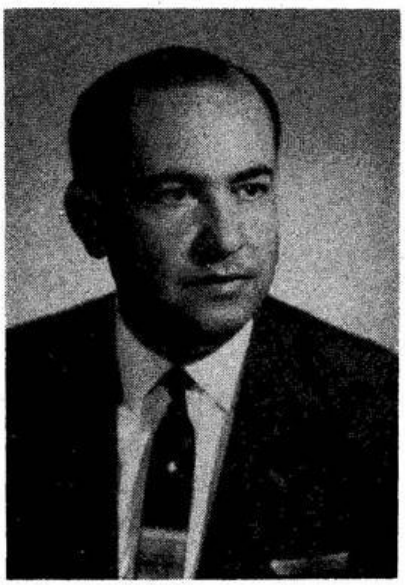
فـــؤاد الخشـــن

•

ما اجمل ان تنمو زهره
في قلبك ..
ان تهوى مره !
ان تصبح انسانا آخر
ان تعشق انسانا آخر
ترشف ذهلا من شفتيه
وتضيع .. تغيب بعينيه ..
ما اروع همس العينين
حين يدار
بين اثنين
اعمق من بوح الشفتين
بحديث القلبين !
العين تغيم
لتقول اهيم
ويروح البوبؤ
يمطر لؤلؤ
ويدور حوار
كحوار النار
ومضا يشرح عن سرين
بين اثنين

•

امنيات



اود لو الملم الانداء
عن وردة عجيبة الصفاء
اغزلها ملاءة رقيقة
لعينك الحالمة الخضراء
منامة شفيفة ازرارها النجوم
وزنبق على سنا غديرنا يعوم !
اريد ان احوك من براعم الوزال
للعاريين الناصعين شال
يلف ما اشرأب في تلهف السؤال
يا ربة تذيب في عروقي الحمم
والتوق للقمم
تحيلني « سيزيف »
في جبرية دائبة العناد
لتستقر صخرتي في ذروة المراد
تبعث بي للكشف سندباد
رؤياه لا تغيب عن وضوحها جزيره
مرصودة على اسمه
كنوزها الكثيرة !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمال الدين الشيال الذي فقدناه

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

للدكتور « جمال الدين الشيال » بضعة عشر كتابا ما بين تحقيق وتاليف ، عدا مقالاته وبحوثه العديدة المنشورة هنا وهناك ، كالفصل الذي كتبه في كتاب « تراث مصر القديمة » الذي شارك في تاليفه نخبة من اساتذة جامعة القاهرة وطبعة المقتطف سنة ١٩٣٧ ، وكالمقال الممتع الذي نشره في المجلد الثاني من « مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية » سنة ١٩٤٤ بعنوان : « الدكتور برون والشيخان محمد عياد الطنطاوي ومحمد عمر التونسي » ، وكمقاله الذي نشره في مجلة الرسالة سنة ١٩٣٧ عن « الاسلام في غرب افريقيا » .

واذا كان الدكتور المؤرخ جمال الدين الشيال قد اختاره الله لجواره على غير طول في الاجل ومناة في العمر ، فان الله قد بارك في حياته المملوءة شبابا وصحة وحيوية ونشاطا ، فاسهم في المكتبة التاريخية بكتب ودراسات كثيرة ، اعانه عليها امور كثيرة . فقد كان ـ رحمه الله ـ قوي البناء ، شديد الاسر ، جلدا على العمل المتواصل ، والبحث الدائم ، عاكفا على كتبه ومكتبته يقرؤها في صبر جميل ، ويسجل في اوراق خاصة ما يعين على ان يقوم بحث متكامل الاطراف في موضوع معين .

والصبر والدأب وحدهما لا يكفيان ما لم يعززهما الميل الدافع ، والهوى المتدافع . وقد كان صديقنا الشيال ذا هوى ينزع به الى التاريخ منذ كان طالبا في الجامعة ، ومنذ كان مدرسا للتاريخ بمدرسة العريش الابتدائية سنة ١٩٤٠ . فقد كان في ذلك المرفا المصري العزيز ـ رد الله غربته الينا ـ بعيدا عن القاهرة ودور كتبها، ومجالات بحثها ، ومواسم محاضراتها . والطريق بين العريش وبين القاهرة في ذلك الزمان لم يكن بالطائرة ، حتى تطوى بهاء مسافة البعد ويدنو بعيدها ، ولكنه كان بالقطار الذي يقطع جزءا من ارض سيناء الغالية في عشر ساعات طوال ثقال ...

ولكن مؤرخنا الناشيء الحديث يومذاك لم يضق بمغتربه في العريش ، ولم ينب به الدهر والنوى في ذلك المكان البعيد ، فاخذ معه من كتب المراجع والمصادر ما يعينه على القراءة والبحث والتحقيق ، حتى تهيا له في تلك الفترة ان يخرج مخطوطا للمؤرخ المقريزي عنوانه « اغاثة الامة بكشف الغمة » . ولم ينفرد جمال الدين الشيال بتحقيق هذا المخطوط الهام ونشره لاول مرة في العالمين العربي والغربي ، فلقد شاركه في التحقيق والنشر استاذه وصديقه الدكتور محمد مصطفى زيادة الذي كان في ذلك الحين استاذا مساعدا في كلية الاداب بجامعة القاهرة .

ولا يكاد هوى الشيال ونزوعه الشديد الى التاريخ يخفى علينا لحظة واحدة . فان كتبه التي الفها وحققها ، ومقالاته التي دبجها وحررها تدل عليه ، وتشير اليه بوضوح ظاهر . على انه هو احيانا كان في بعض المواطن من كتبه وتحقيقاته يشير الى هذه النزعة التاريخية التي هيأه الله لها ، وأساره في دربها .. فنراه يقول ـ مثلا ـ في مقدمة لكتابه المفيد الطريف « أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي » الذي نشرته دار المعارف سنة ١٩٦٥ : « وانا منذ اخترت لنفسي ـ او اختار لي القدر ـ التخصص في دراسة التاريخ الاسلامي وجدتني أشغف شغفا كبيرا بتواريخ المدن ، وتواريخ الثغور البحرية بصفة خاصة ... »

ولعل غرامه بالتاريخ للثغور والمدن البحرية قد جاء من كونه هو من مواليد احد الثغور المصرية . فان مدينة « دمياط » هي وطنه الصغير ومسقط رأسه . على ان الله العلي القدير شاء ان يربطه بالثغور والموانيء المصرية برباط آخر لا يقل عن رباط المولد قوة وآصرة . فقد تزوج من الاسكندرية ، وكان ولداه وبناته من أهل ذلك الثغر العريق . ولا يدع هو ـ رحمه الله ـ هذه اللفتة تمر دون ان يبرزها في اطار خاص . فهو يهدي كتابه عن اعلام الاسكندرية : « الى زوجتي بنت اسكندرية ، والى ولدي وبناتي ابناء وبنات اسكندرية ». وهو اهداء فيه من الوفاء للصهر والنسب والزوجة والاولاد وموطن العمل ما فيه .

ولقد شاء الله ان يرتبط الدكتور جمال الدين الشيال بالاسكندرية برباط آخر قوي لاصق ، هو رباط العمل والكسب والمعاش . فقد عين للتدريس في جامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٣ والحرب العالمية الثانية في رابع اعوامها . وكان تعيينه هذا في جامعة الاسكندرية ، او نقله من التدريس بمدارس وزارة المعارف الى التدريس بكلية الاداب ، ذا أثر كبير في حياته كلها . فقد كان قصاراه في الوزارة ان يكون ناظرا او مفتشا او مديرا في احدى المناطق التعليمية . ولكن الجامعة فتحت امامه مناهج البحث ، وسبل الدرس ، وشعب الانتاج ، فانخصب في هذا المجال اخصابا كانما كانت هذه الوظيفة على قده ...

ولم ينس «الشيال» فضل الذين أعانوه في هذا النقل الذي غير مجرى حياته . ففي سنة ١٩٤٨ اصدر كتابا للمقريزي من تحقيقه عنوانه « اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا » ، ولم يفته ان يصدر الكتاب باهداء وفي نبيل الى استاذه المؤرخ الكبير عبد الحميد العبادي « بك » عميد آداب الاسكندرية واستاذ التاريخ الاسلامي بها حينذاك ، يقول فيه : « واني لأعتبر هذا النقل اهم حادث في حياتي ، فقد أتاح لي الجو الملائم لاشباع هوايتي ، والاقبال على الدرس والبحث والانتاج . ثم أتاح لي ايضا القرب منكم والعمل تحت اشرافكم حتى حصلت على درجتي الماجستير والدكتوراه » ...

ونستطيع ان نعد المؤرخ المرحوم عبد الحميد العبادي أحد العوامل التي ساعدت على توجيه جمال الدين الشيال هذه الوجهة التاريخية الاسلامية . فقد كان طالبا في كلية الاداب بجامعة القاهرة فيما بين سنتي ١٩٣٢ ، ١٩٣٦ ، وكان تلميذا للمرحوم العبادي . وقد أعجب ـ كما يقول ـ بطريقته الفذة في تناول التاريخ العربي واحيائه ، وباسلوبه الممتاز في عرض الاحداث وتحليل الشخصيات . ولم يقطع الطالب صلة باستاذه بعد تخرجه في الجامعة سنة ١٩٣٦ . فظل على قرب منه ، وزيارات قريبة له « فبهرتني روحكم العالية ، ونفسكم الصافية . وحببني هذا كله في دراسة التاريخ الاسلامي ، فاقبلت على قراءة كتبه اقبال الشغف ... »

ورأى العبادي في جمال الدين الشيال ما يبشر بخير ، ويعد بثمرة طيبة في مجال التاريخ والدراسات الجامعية . فرشحه للنقل من وزارة المعارف الى الجامعة ، وزكى هذا الترشيح بقوة ومساندة غالبة ، حتى دخل الشيال آداب الاسكندرية مدرسا للتاريخ الى ان انتهى بها عميدا لها واستاذا للتاريخ الاسلامي فيها حيث اختاره الله الى جواره (يوم الخميس ٢ نوفمبر ١٩٦٧) .

ولقد ذلل الشيال اكناف العلم ، ووطأ لها مهاد الثقة الجامعية ذلك الخلق السمح الرضي الذي جمل الله به نفسه . فقد لاحظت عليه ـ منذ عرفته سنة ١٩٤٥ ـ سماحة في الطبع ، ونبالة في الخلق ، وتواضعا في القدر لم أصادفها في كثير من المشتغلين بالعلم الذين القت بهم الاقدار في طريقي ... وتحمل توقيعاته باهداء كتبه الي تشريفي « بصداقته » ، وهي كلمة كان يحرص على كتابتها الي

في كل اهداء . وما أظنه أخل يوما واحدا بحقوق الصداقة التي الزم نفسه بها ، وربط نفسه بوثاقها ...

فهو عالم يحبه كل من رآه ، ويحب هو كل انسان ، ويبذل حبال مودته بأيسر جهد . ولعل من سماحة نفسه وكرم خلقه ذلك الوفاء النادر منه ، الذي بدا في سلوكه مؤيدا لما كان يبدو من أقواله . وكلمته الى أستاذه المؤرخ عبد الحميد العبادي في صدر كتاب « الاتعاظ » للمقريزي تحمل دلائل قوية على هذا الوفاء المحض . على ان كتابه الذي ألفه سنة ١٩٤٧ بعنوان « مصر والشام بين دولتين » وصدر عن « دار الفكر العربي » يحمل معنى آخر من معاني الوفاء والعرفان لصديقه وزميله الاستاذ محمد خلف الله الذي كان أستاذا للادب العربي بآداب الاسكندرية في ذلك العهد ، والذي أصبح وكيلا لجامعة عين شمس بعد ذلك . فقد صدر جمال الدين الشيال كتابه ـ او قصته التاريخية هذه ـ باهداء نرجو ان تتسع له بضعة اسطر من هذا المقال تقديرا للخلق النبيل ، يقول فيه : « أخي خلف الله . كان لي اخوان شقيقان هما المرحومان الاستاذان حامد ومحمد عبد الرحيم ، وكانا يكبرانني سنا . وعلم الله لقد كانا في الشباب مثالين عاليين : أخلاق نبيلة كريمة ، ووطنية مخلصة صادقة ، وايمان بالله عميق وثيق ، ونفس طاهرة صافية .

ولقد نعمت بأخوتهما زمانا كنت فيه طفلا وصبيا ويافعا ، فكانا لي القدوة الطيبة والاستاذين الجليلين ، فقبست من شمائلهما ما زلت أعتد به حتى اليوم . ثم تخيرهما الله لجواره خير ما يكونان أملا باسما مبشرا، واشد ما أكون حاجة الى اخوتهما وعونهما . وبقيت وحدي أنشد الاخ في الحياة فلا أجده ، وأكتم الالم على فقدهما في أعماق نفسي ، وابكيهما بقلبي ووجداني . وذخيرتي الوحيدة التي أستضيء بها ، هي ذكرى هذه الاخوة الحبيبة ـ وكأنها حلم جميل ـ أتلمسها كلما ادلهمت بي الخطوب اواحتجت الى الاخ المعين ..

ثم نقلت الى الاسكندرية ، وتعرفت اليك ايها الاخ النبيل ، فعرفت فيك صورة من أخوي الراحلين ، ووجدت من عواطفك الرقيقة ، وخلقك الانساني ، وعطفك علي عوضا طيبا عما فقدت بفقد اخوي ... »

والحق اننا وقفنا عند خلق المؤرخ الراحل جمال الدين الشيال وقفة خاصة ، لاعتقادنا بأهمية الاخلاق للعلماء . وأولينا الخلق عنده سبقا في الحديث عنه قبل ان نمضي فيما نحن بسبيله من اهتماماته التاريخية ، وتصنيف مؤلفاته وكتبه ، ومحاولاته لعرض تاريخنا القومي والاسلامي عرضا قصصيا جذابا ، ومنهجه في التحقيق الذي أخذه عن استاذيه عبد الحميد العبادي والدكتور محمد مصطفى زيادة ، وزاد عليه باجتهادات شخصية كثيرة ، واسلوبه الذي كان يكتب به مؤلفاته ، ويحرر به مقدمات تحقيقاته ، واهتمامه البالغ في المخطوطات التي يحققها ، والكتب التي يصنفها ، والمقالات التي يدبجها بابراز العنصر القومي ، واظهار العامل الوطني ، واهتماماته البالغة بمخطوطات المقريزي المؤرخ ، حتى لقد نوى ان يجعل من صغارها في الحجم مكتبة صغيرة اسماها باسم « مكتبة المقريزي الصغيرة » سيرد الحديث عنها عما قليل ، وترحيبه بنقد كتبه وتحقيقاته ، لا يضيق بنقد ولا ناقد ، كما كان استاذاه العبادي ومحمد مصطفى زيادة ، وكما يكون الافاضل دائما من أهل العلم وطلاب الحقيقة ، ورواد المعرفة .

واذا استعرضنا كتب الشيال المؤرخ وجدناها تنحصر في أربعة أصناف من العمل التاريخي : أولها تحقيق المخطوطات واخراجها على أحسن الوجوه القريبة مما اراد لها مؤلفوها الاوائل . واذا كان رحمه الله قد اهتم اول الامر بكتب المقريزي ، فانه اتجه بعد ذلك الى غيره من قدامى المؤرخين . فقد رأيناه ـ وهو مزدحم الرأس والفكر والوقت بمكتبة المقريزي الصغيرة ـ يتجه الى المؤرخ جمال الدين به واصل المتوفي سنة ٦٩٧ هـ ليخرج كتابه الضخم : « مفرج الكروب ، في أخبار بني ايوب » منشورا لاول مرة في العالم كله عن مخطوطات كامبريدج وباريس واستانبول ، ومحققا على منهجه السليم الدقيق في التحقيق .

ولقد كانت بعض الاعتبارات الوطنية والقومية ـ بالاضافة الى الاعتبارات الاسلامية ـ تملي على الدكتور الشيال اتجاهاته في اختيار المخطوطات التي يحققها . فكتاب « مفرج الكروب » هو في تاريخ الدولة الايوبية ، والجزء الثاني من هذا الكتاب هو تاريخ للبطل المسلم صلاح الدين وجهوده الكبيرة التي بذلها لتكوين الجبهة الاسلامية المتحدة ، وجهاده الاعظم ضد قوى الصليبيين الذي توج أخيرا بانتصاره الحاسم الرائع في موقعة حطين ، واسترداده بيت المقدس بعد ان ظل تحت حكم الصليبيين قرابة قرن من الزمان . ولا شك ان اختيار هذا الكتاب للنشر كان لهذا ..

وهذه الاعتبارات القومية والوطنية العالية جعلت الشيال المؤرخ متيقظا شديد التيقظ لكل ما يبرز الشعور القومي في مصر . فهو يلاحظ ان المقريزي سبق رجال عصره بهذا الشعور القومي حين قال في مقدمة كتابه « المواعظ والاعتبار » المعروف بخطط المقريزي : « وكانت مصر هي مسقط رأسي ، وملعب أترابي ، ومجمع ناسي ، ومغنى عشيرتي وحامتي ، وموطن خاصتي وعامتي ، وجؤجؤي الذي ربى جناحي في وكره ، وعش مأربي فلا تهوى الانفس غيره ذكره . ولا زلت ـ منذ شدوت العلم ـ وأتاني ربي الفطانة والفهم ، أرغب في معرفة اخبارها ، وأحب الاشراف على الاغتراف من آبارها ، واهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ... » ويقول الشيال عن هذا الشعور القومي عند المقريزي : « هذا الشعور الوطني القوي الممتاز كان شعورا مبكرا ، سبق به المقريزي عصره ، فنحن لا نجد له شبيها حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حين يبدأ الشيخ رفاعة الطهطاوي يشيد بذكر الوطن والوطنية في كتابه : مناهج الالباب المصرية ، وفي اناشيده الشعرية الكثيرة ... »

ومن هذه الناحية القومية الوطنية جاء اهتمام جديد آخر للدكتور الشيال ، فاعجب بالشيخ رفاعة الطهطاوي الرائد المصلح ، وترجم له سيرة حافلة . ولم يكتف بأن يؤلف في ذلك كتابا واحدا ، بل صنع في الطهطاوي كتابين يكادان يكونان متغايرين : أولهما في سلسلة « أعلام الاسلام » سنة ١٩٤٥ بعنوان « رفاعة الطهطاوي » ، وثانيهما في مجموعة نوابغ الفكر العربي » سنة ١٩٥٨ بعنوان « رفاعة رافع الطهطاوي » .

والثاني من تصنيف العمل التاريخي عند الشيال هو التراجم والسير . وقد قسم الشيال نفسه هنا بين التراجم للرجال ، والتراجم للمدن . أما التراجم للرجال فقد وزعها على رفاعة الطهطاوي في الكتابين اللذين سلف الحديث عنهما ، وعلى « أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي » ـ وقد ترجم فيه لثلاثة عشر علما اسكندريا منذ العصر الاول للاسلام الى زماننا هذا . وكل منهم بارز في ميدانه ، سواء أكان عالما أم مؤلفا امصوفيا ، أم وطنيا ثائرا ، ام مجاهدا . والاعلام الثلاثة عشر هم : ابو الدرداء ، وعبد الرحمن بن هرمز ، والطرطوشي ، وابن عنان ، وابن عوف ، والحافظ السلفي ، وابو الحسن الشاذلي ، وابو العباس المرسي ، وابن عطاء الله السكندري ، والقباري ، والسيد محمد كريم ، وعبد الله النديم ، والشيخ عبد العزيز شاويش .

على ان هناك مجموعة من التراجم للرجال نشرت له في فصول ومقالات . كترجمته لعمرو بن العاص في مجلة المعهد العالي للتربية سنة ١٩٣٧ ، وترجمته للشاعر تاج الملوك بوري بالثقافة عدد ١٣٠ ، وترجمته للشاعر ابن عينين بمجلة الثقافة عدد ٢٥٤ ، وترجمته الرائعة للدكتور برون والشيخين محمد عياد الطنطاوي ومحمد عمر التونسي المنشورة

بمجلة كلية الاداب بالاسكندرية ـ العدد الثاني سنة ١٩٤٤ .

اما تراجمه وسيره للمدن العربية الاسلامية فقد خص بها ثغر دمياط في كتابه « مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا » المنشور سنة ١٩٤٩ ، كما خص الاسكندرية بكتابه « الاسكندرية . طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور الى الوقت الحاضر » المنشور سنة ١٩٥٢ بالقاهرة . على ان الفسطاط كانت محل عنايته ايضا فكتب فيها بحثا طيبا عنوانه « الفسطاط . كيف اختير مكانها ، ولم سميت بهذا الاسم » نشر بمجلة الرسالة ، العدد ٦٤٠ .

والثالث من تصنيف العمل التاريخي عند الشيال هو القصص التاريخي الجذاب ، وقد أسهم فيهذا المجال بكتاب واحد هو « مصر والشام بين دولتين » ، ويصور الاحداث في القطرين الشقيقين زمن انحلال الدولة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية . وقد مهد الشيال لنشر هذه القصة التاريخية بقبوله : « ان هذا التاريخ لو استخلص من هذه المخطوطات ، ونفضنا عنه ما يتعلق به من أسانيد واستطرادات وعرضناه على شبابنا عرضا قصصيا جذابا ، أذن لوجد طريقه الى نفوسهم سهلة ميسورة ، وأذن لاثر فيهم اثرا طيبا فأحيا هممهم ، وشحذ عزائمهم ، وزودهم بتجارب غالية ثمينة ، تفيدهم الفائدة كلها وهم يضطربون في هذا العصر القلق ، يبنون لانفسهم وللعرب أسس النهضة الجديدة ... »

وقد ظهرت هذه القصية سنة ١٩٤٧ اي بعد تعيينه في جامعة الاسكندرية بأربع سنوات ـ وقد قصد بها ان تكون اولى المحاولات في هذا الميدان ، ولكنا نستظهر ان شواغل البحث والدرس والمحاضرات والتحقيق والتاليف التاريخي المبتكر قد صرفته عن هذا المجال جملة، فكان كتابه هذا بيضة الديك كما يقول شاعرنا القديم ..

أما التاليف والبحث فهو رابع مجالات التصنيف للعمل التاريخي عند مؤرخنا الراحل . ولم يكن ـ رحمه الله ـ فيه مقصرا ، ولا عنه وانيا . وله فيه كتاب « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي » المنشور بالقاهرة سنة ١٩٥١ ، وكتاب « تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية المنشور بالقاهرة سنة ١٩٥٠ .

ولم يكن الشيال يحقق المخطوطات التاريخية بلا منهج . وقد اخذ المنهج عن استاذه الدكتور محمد مصطفى زيادة . فهو يستوفي النسخ الخطية في اماكن وجودها قدر طاقته . ولقد حدث له في تحقيق كتاب « الذهب المسبوك » ، في ذكر من حج من الخلفاء والملوك » للمقريزي انه حصل على نسخة خطية ثالثة من الكتاب بعد تعديله على نسختين . فوجد النسخة الثالثة ـ بعد ان قطع في قراءة النسختين شوطا كاملا ـ تفضلهما قدما وصحة وضبطا . فعاد من جديد ليقابل النص كله على النسخة الجديدة . وحين قام بتحقيق كتاب « نحل عبر النحل » للمقريزي ، كان يتمنى لو حصل على مخطوطتي ليدن وباريس لولا حيلولة الظروف العالمية دون ذلك ، فكتب في المقدمة يقول : « ومما لا شك فيه ان نشر وتحقيق اي مخطوط يكون اقرب الى الكمال اذا حصل الناشر على كل النسخ الموجودة منه . وكنت اتمنى ان أوفق للحصول على نسختي باريس وليدن ، غير ان الظروف الحالية ـ سنة ١٩٤٦ ـ حالت بيني وبين تحقيق هذه الامنية ، فبدأت تحقيقه معتمدا على نسخة دمياط وحدها ... »

وتمتاز المقدمات التي يكتبها الشيال للمخطوطات التي يحققها بدراسات وافية ، وملحوظات ثمينة عن الكتاب وعصره ومؤلفه وقيمته ، واستنباطات ذكية ، وطرائف ممتعة . ففي مقدمة للذهب المسبوك للمقريزي يلاحظ بذكاء وفهم عميق ان المقريزي اعترف بخلافة عبد الله بن الزبير ، ولهذا سلكه في سمط الخلفاء الذين حجوا ... كما يلاحظ ان احدا من خلفاء دولة بني أمية بالاندلس ، او خلفاء الفاطميين بالمغرب ومصر لم يحج ... كما يلاحظ ان المستنصر الفاطمي كان يخرج في موكب الى الحج خروجا وهميا ! ويلاحظ ايضا ان واحدا من سلاطين الايوبيين لم يذهب الى الحج ، ويعلل هذا بانشغالهم بالجهاد الاعظم ضد الصليبيين .

ويمعن الشيال في التحقيق الدقيق حتى لعناوين الكتب التي يحققها .. فكتاب « اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الخلفا » هو كذلك عند المؤرخ ابن تغري بردى ، ولكنه عند السخاوي والسيوطي اسمه : « اتعاظ الحنفا ، بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا » بالقاف لا بالفاء في الكلمة الاخيرة ، ويفسره حاجي خليفة ، بانه من « خلق الامل » ،

ولا يكتفي الشيال في تحقيقه للمخطوطات بالرجوع الى النسخ الخطية للكتاب نفسه ، بل يذهب الى ابعد من هذا ، فيحقق على الكتب والمؤلفات التي رجع اليها صاحب المخطوط . فاذا كان الطبري المؤرخ وابن الاثير صاحب « الكامل » يشيران في آخر كل سنة ـ اي في اعقاب حوادثها ـ الى من خرج للحج من الخلفاء في عهود الراشدين والامويين والعباسيين ، فان مؤرخنا الحديث جمال الدين الشيال يعتبر الطبري وابن الاثير مرجعين ثانويين يعود اليهما لمقابلة النص من كتاب « الذهب المسبوك » وتصحيحه ، كما يستعين على تصحيح ذلك بكتاب « جمهرة انساب العرب » لابن حزم ، و « حلية الاولياء » لأبي نعيم . وكثيرا ما يعود صاحبنا ـ رحمه الله ـ الى دواوين الشعراء ليعارض الشعر الوارد في الكتاب المحقق على أصوله في الدواوين ، كما فعل في كتاب « اتعاظ الحنفا » للمقريزي واشار الى ذلك في مقدمته .

وقد يزدحم الكتاب المخطوط باعلام ومصطلحات خاصة كانت في الاستعمال واسماء بلدان وامكنة ، وهنا نرى الشيال يترجم للاعلام في الهوامش ترجمات وجيزة مجزية ، كما يعرف في الهوامش ايضا بالمصطلحات والاستعمالاتالتي لا تجيء في معاجم اللغة . ولا يكتفي بذلك التعريف الضروري للقارىء بل يضع في آخر الكتاب فهارس وافية للاعلام والاماكن والمصطلحات التاريخية من دواوين ووظائف وملابس واسلحة وسفن ونقود وموازين ومكاييل . وقد يزيد في انواع الفهارس ، فيجعل واحدا للاديان والفرق والمذاهب والملل والنحل ، وآخر لاسماء الكتب المذكورة في متن الكتاب المحقق ، كما صنع في « الاتعاظ » .

ويحاول الشيال دائما ان يعين القارىء والباحث في كتابه المحقق ولا يعينه بالحيرة في اسماء الاعلام وما يستتبعها من كنايات والقاب قد يشتهر بها العلم فلا يعرف ما أصله . فالخليفة الامين العباسي هو « محمد » . والسفاح هو « ابو العباس » . والخليفة المأمون العباسي هو « عبد الله » . والملك الناصر صلاح الدين الايوبي هو « يوسف بن ايوب » . وبيبرس البندقداري هو الملك الظاهر ركنالدين وهكذا . فلا يضل باحث ولا قارىء في التهدي الى شخصية الكتاب المحقق بأسرع نظرة ، وادنى جهد .

ولما كان بعض النساخين على مر العصور يتساهلون في الرسم الاملائي ، فان جمال الدين الشيال لم يتقيد في تحقيقه للمخطوطات بطريقتهم . فاذا كانوا يكتبون (ذخاير) ، (وحايزة) بالياء بدلا من الهمزة ، فان الشيال لم يتبع طريقتهم ، ورسمها على الاصول والقواعد المقررة في رسم الحروف وقواعد الاملاء . وقد اشار الى طريقته هذه في مقدمات كتبه حتى يكون القارىء على سواء من الامر .

واذا التقى الشيال في اثناء تحقيقه بموضوع أوجزه المؤلف القديم ، فانه يكلف نفسه عناء كثيرا بهدايته الى المصادر والمراجع التي يمكن ان يكون الموضوع فيها قد عولج معالجة وافية . فقد اشار المقريزي في « الذهب المسبوك » اشارة عابرة الى غزو الملك المعظم توران شاه للغوية واليمن . ولكن الشيال يحيل في الهامش الى مراجع مطبوعة وخطية تشتمل على تفاصيل الغزو . وتصور أنت بربك اي جهد بذله المحقق في هذا السبيل ...

لمن ؟

أحب نداء حبيبي اليك ... أحب ارتعاشي ولهفي عليك
أحب غروري أحب هواني ... أحب الركون الى مقلتيك
أحب انسياب ضلوعي شعرا ... يطيب ويحلو على شفتيك
أحب انسكاب كلامك همسا ... يغل الحنايا فتجثو لديك

أنا لست أدري الى م المسير ... حبيبي ولا ما يجن الضمير
فاني واياك قيد النوى ... وبين الجوانح حلم غرير
أنا ان رعيت غروري زمانا ... فها قد رعاني حنين مرير
وعشت أجر جر خيبة عمر ... أماني تصبي وذكرى تثير

لمن ستهب أعاصير حبي ... ومن سيعيد الحياة لقلبي
ومن سيلبي اذا ما النداء ... هزيم يسد منافذ دربي
ومن سيثير قصيدي رؤاه ... فيصبو ويعيا لديه التصبي
لمن يا حبيبي سأشكو وأهفو ... ومن سأنادي ومن سيلبي

دمشق — سلافة العامري

على ان ذلك لا يمنعنا هنا ان نقول : ان جمال الدين الشيال لم يبلغ في ذلك كل ما نريد . فقد تفوته احيانا كلمات وحروف لا يهتدي فيها الى وجه من الحق . كاسم الامير « سيف الدين طقز تمر » فقد سجله في « الذهب المسبوك » هكذا ، ثم قال عنه في الهامش : « كذا في الاصل ، وهو في السلوك : طقتمر » . وكاسم ملك التكرور من اقصى بلاد المغرب ، فقد ذكره في « الذهب المسبوك » : سرمندانه ، وعلق عليه في الهامش بقوله : « كذا في الاصل وهي في نسخة ل ، و ب : سربندانه .. »

وهكذا تركنا في تحقيق اللفظة حائرين لا نهتدي فيها الى اصل يعول عليه . وقد كان الشيال يحاول في كل كتاب يحققه او يؤلفه ان يفيد من كل مرجع قديم اوحديث . ولكنه ـ لاعتبارات لا نعرفها ـ قد يهمل اسم مرجع لا يعفيه من اللوم اهماله او اغفاله . فحين اصدر في سنة ١٩٥٨ كتابه عن رفاعة رافع الطهطاوي فاته ان يجعل من مراجعه كتابا نفيسا عن رفاعة الطهطاوي للمرحوم الدكتور احمد احمد بدوي استاذ الادب بدار العلوم ومشارك الشيال في شرف الانتساب الى دمياط ...

ويتميز اسلوب الدكتور جمال الدين الشيال في مؤلفاته وبحوثه ومقدماته ومقالاته بالبساطة التامة والوضوح والبعد عن الاغراب في الاساليب والالفاظ . فلا دائما يؤثر اللفظة السمحة المتداولة المألوفة على اللفظة التي تقرع الاذن بغرابتها . ولا نجد له لفظة معجمية غريبة الا في مقدمة كتاب « اغاثة الامة » للمقريزي . واللفظة هي « تنتفش » بمعنى : تزدحم وتمتلىء ! . كما نجد في المقدمة نفسها كلمة «حرد» المتن المقابلة لكلمة Galophon وهو الخط او الرقش الذي يوجد في آخر الكتاب المخطوط . وعذره في هذا الاغراب ان شريكه في المقدمة وفي تحقيق « اغاثة الامة » هو استاذه الدكتور محمد مصطفى زيادة الذي يتانق احيانا بالاغراب في الالفاظ والعبارات على سبيل الاطراف ...

ولقد كان المؤرخ المحقق الشيال يرحب بكل ما يوجه الى اعماله من نقد ، ولا يضيق به . ويعتبره عونا على الاصلاح وتقويم المنهج . وكثيرا ما كان ينشر هذه النقود او يشير اليها كما فعل في نقد كتاب « مفرج الكروب في اخبار بني ايوب » ـ ج ١ . فقد اشار الى الناقدين في مقدمة الجزء الثاني ، وعد ذلك تشجيعا منهم وتقريظا . ومن ذلك نقد استاذه الدكتور زيادة ، ونقد الدكتور حسين مؤنس ، ونقد الدكتور مصطفى جواد العالم العراقي ، ونقد الاستاذ « كلود كاهن » استاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعة استراسبورج .

وما وجدت المرحوم الشيال ضاق بنقد كما فعل في نقد المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر كتاب « نحل عبر النحل » للمقريزي في مجلة « الكتاب » التي كانت تصدرها دار المعارف . ففي عدد فبراير سنة ١٩٤٧ من هذه المجلة وفي ص ٦٤٣ رأينا الشيال بعد الرد الموضوعي على النقد وفي آخر المقال يشير الى طريقة الشيخ احمد شاكر قائلا : « وبعد ! فهذه بعض المآخذ التي اراني أخالف فيها الاستاذ الناقد ، وبقي ان اشير الى ان الاستاذ قد اصطنع لنفسه عند النقد برجا عاجيا ، وفرض ـ وهو يجدث من هذا البرج ـ انه فوق كل الناس علما ومعرفة ، فهو يخاطبهم دائما كما يخاطب الاستاذ الكبير تلاميذه الجاهلين اوالمبتدئين .. » . وقد شاء الله ان اكون شاهد هذه المعركة بين عالمين جليلين ، وان يوفقني الله فيها الى الصلح بين الطرفين ...

بقي ان نذكر ونحن من هذا المقال على خواتيمه لماذا شغف الدكتور الشيال المؤرخ الحديث بكتب المقريزي مؤرخ العرب والاسلام ومصر في القرن التاسع ؟ لقد كشف لنا هو نفسه عن جواب هذا السؤال حين ذكر في مقدمته البديعة لكتاب « نحل عبر النحل » ان كتب المقريزي الصغيرة الحجم تحتوي على مناقشة بعض نواحي التاريخ الاسلامي ، او عرض موجز لتاريخ بعض اطراف البلاد الاسلامية ، او التاريخ لبعض النواحي الاجتماعية والاقتصادية في العالم الاسلامي عامة ، وفي مصر الاسلامية خاصة . وفي هذا الصنف الثالث او الاخير من كتب المقريزي بعد الرجل قليلا عن تواريخ الخلفاء والملوك والسلاطين والامراء ، وقرب فيها قليلا من الشعب ومشكلاته الاجتماعية والاقتصادية . والكتب التي تؤرخ للشعب وتهتم به وبمسائله هي احب الكتب الينا ، لانها تؤرخ لنا ، وتصور حياتنا نحن ، وتعالج مشكلاتنا نحن ، فنجد فيها من العزاء ، والصبر ، ما لا نريده في الكتاب الذي يؤرخ للحكام .

القاهرة — محمد عبدالغني حسن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

عبد الحميد ياسين - حسن الكرمي برهان الدجاني

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ عبد الحميد ياسين

عندما أتصدى للحديث عن عبد الحميد ياسين هذا المفكر المربي أتجاهل العاطفة التي تربط ذاته الى ذاتي ، والتزم جانب الموضوعية والحذر، ورائدي كلمة « أرسطو »في « افلاطون » : « ان كل الاحاسيس الشخصية يجب ان تطرح جانبا وان افلاطون احب الناس الي وأقربهم الى قلبي ، لكن حبي للحق يفوق حبي لأفلاطون بمراحل ! » .

ولد « عبد الحميد » في بلدة اللد بفلسطين عام ١٩٠٨ ، وتلقى دراسته الثانوية في كلية « دار المعلمين » بالقدس ، وفي عام ١٩٢٤ تخرج منها يحمل شهادتها . وبعد ممارسة التعليم ست سنوات التحق بالجامعة الاميركية في القاهرة وتخرج منها يحمل شهادة بكالوريوس في العلوم الاجتماعية والادب عام ١٩٣٣ .

عمل عبد الحميد في حقل التدريس في مدارس حكومية وفي مدرسة الفرندز برام الله وعني خلال تدريسه في هذه بتنظيم حفلات « عكاظ » الادبية ، وقام مع زملائه فيها برحلة لأوربا عام ١٩٣٥ وفي عام ١٩٣٦ عين مساعدا لمدير البرامج العربية في محطة الاذاعة الفلسطينية في عهد مديرها المرحوم الشاعر ابراهيم طوقان .

وفي عام ١٩٣٧ نقل الى «مكتب الترجمة» احد فروع السكرتيرية العامة بالقدس ، وفي عام ١٩٤٢ عين مساعدا لمفتش دائرة شؤون العمل ، وفي عام ١٩٤٥ عين مفتشا للجمعيات التعاونية ، وفي مطلع عام ١٩٤٦ استقال من عمله الحكومي ، والتحق بـ «المكتب العربي» في القدس مساعدا للمدير ثم مساعدا لمدير المشروع الانشائي وبعد حين استقال من عمله وعين مديرا لادارة بلدية يافا عام ١٩٤٧ .

وعند حلول النكبة الفلسطينية في عام ١٩٤٨ هاجر الى الاردن ، ثم بارحها الى القاهرة حيث عمل مسجلا للجامعة الاميركية ومدرسا وعميدا لكلية التربية فيها ، ومحررا لمجلة «التربية الحديثة» الصادرة عنها . وفي اثناء عمله هذا أحرز شهادة بكلوريوس في التربية منها .

وفي عام ١٩٥٣ عاد الى الاردن وعهد اليه بادارة « دار المعلمين » لدى انشائها بعمان وفي عام ١٩٥٦ قام برحلة الى الولايات المتحدة وبريطانيا للاطلاع على الاساليب التربوية فيها ، وانشأ في دار المعلمين مجلة باسم « رسالة العلم » وترأس تحريرها .

وفي عام ١٩٥٣ عاد الى الاردن وعهد اليه بادارة « دار المعلمين » عام ١٩٦٢ عاد الى وزارة التربية والتعليم الاردنية رئيسا لدائرة البحث والاحصاء والتخطيط فيها ، ثم استعارته الجامعة الاردنية أمينا عاما لها ، وفي عام ١٩٦٤ وقع عليه اختيار المسؤولين في الاردن ليكون رئيسا لدائرة التربية والتعليم في وكالة غوث اللاجئين بالاردن .

وفي عام ١٩٦٥ أعير الى منظمة التحرير الفلسطينية عضوا في لجنتها التنفيذية ومديرا لمكاتبها في القاهرة وممثلها الدائم لدى جامعة الدول العربية . وفي عام ١٩٦٦ عاد الى وزارة التربية والتعليم الاردنية مديرا للتعليم العالي فيها ، ثم استعارته مؤسسة الاسكان الاردنية لدى انشائها عام ١٩٦٦ مديرا عاما لها . وفي ربيع ١٩٦٧ مثل الاردن في ندوة للاسكان الريفي عقدت في كراكاس ، عاصمة فنزويلا ، وعين عضوا في اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر .

وبالرغم من هذه المناصب الحساسة والوان النشاط المتنوعة ، ظل عبد الحميد ولوعا بشؤون التربية والثقافة والادب .

خلال دراسة عبد الحميد في دار المعلمين بالقدس تأثر باستاذه الدكتور خليج طوطح الى حد بعيد ، وظل يتاسى خطاه في تفكيره واحكامه واستقامته ، وودع تلك الدار الى دنيا الناس المكتظة بالصراع ، وهو مسلح بصفات قبسها من رائده الاول الدكتور طوطح أبرزها : الصدق في القول ، والانجاز في الوعد ، والصراحة في الرأي . لكن بعض الناس الذين ولج عبد الحميد مجتمعهم لم يستسيغوا هذه الصراحة من مثقف ند عن دربهم ، وجانب سلوكهم ! وعبد الحميد يتعشق العدل والانصاف ، ويمقت الظلم وهضم الحقوق، فتراه يحارب الظالم مهما سمت قمته ، وتعالت منزلته ، لان في عقيدته سبة وعار .. ولان الظالم في يقينه عدو من اعداء الانسانية !

ولم يتورع عبد الحميد وهو موظف في حكومة الانتداب بفلسطين عن مهاجمة الحاكم الباغي ، تارة بقلمه ، وتارات باحاديث وأقاصيص بثها من دار الاذاعة الفلسطينية نفسها بلباقة هي من أبرز خصائصه .

والمستعمر أنى كان فهو في نظر عبدالحميد طفيلي يعيش على امتصاص دماء الشعوب ، ولا بد لدولته ان تدول . ودستوره في الحياة « لا يصح الا الصحيح » كما ان من شعاراته « ان الحق أبلج والباطل لجلج » و « ان الغنى غنى النفس » و « ان الدين المعاملة » .

ومن شعاراته الاخرى : « ليس للانسان الا ما سعى » و « كن جميلا ترى الوجود جميلا » و « الخط المستقيم أقصر مسافة بين نقطتين » و « لكم دينكم ولي دين » و « لم يعش من عاش لنفسه فقط » . وهذه الشعارات وغيرها مفتاح لشخصية عبد الحميد وان كانت شخصيته منفتحة لا تحتاج الى مفتاح « ان احسنتم احسنتم لانفسكم » و « قيمة الانسان ما يحسنه ! » .

وكمفكر انساني ظل عبد الحميد يحارب الالتواء وجنون العظمة أنى كان مصدرهما ، وراح يبث تعاليمه في نفوس طلابه ، ويغرس فيهم روح الكرامة والانفة ومجابهة من حملهم غرورهم على ايذاء الاخرين واستباحة حقوقهم . ومن ابرز صفاته الاحسان الى الناس بما يقدم لهم من مثل ونصح بالاستقامة والترفع عن الصغار والزيف والتحليق عن الشر والاذى كأحسن ما يستطاع .

من آثاره القلمية : كتب عبد الحميد عشرات المقالات في التربية والثقافة والادب ، كما وضع وترجم بعض الاقاصيص ، واكتست فصوله صبغة من الاسلوب الرصين ، والتفكير العميق والاحاطة الشاملة . ودونك بعض ما صنف من آثار قلمية مطبوعة :

(١) اقاصيص : مجموعة قصص قصيرة ، طبعت بيافا عام ١٩٤٦

(٢) ١٠ اقاصيص : مجموعة تضم المجموعة السابقة وغيرها ، طبعت بعمان عام ١٩٥٩ ،

(٣) العقل المنطلق : «مترجم» طبع في بيروت عام ١٩٦٠ ،

وخاتمة المطاف : ما ذكرت حكمة الكاتب الاميركي الراحل ارنست هيمنجواي وهي : « العمل الاخلاقي هو ما تصنعه ثم تحس بعده بانك سعيد ! » الا وذكرت معها عبد الحميد ياسين .

نماذج من نثره : كتب عبد الحميد مقالا بعنوان « هذه الشجرة » اتسم بالطابع الادبي الفلسفي ، ودونك ما كتب :

« في الشجرة حق وخير وجمال ، فيها مثل الحياة جميعا نماء وثراء وبهاء ! في الشجرة تتمثل حقيقة الحياة : من انبثاق وتفتح

ونمو وخلود . فهي تنبثق من أصل سابق ، ولا توجد من عدم يخطيء من يرى في نفسه القدرة على ايجاد شيء من عدم .

والشجرة تتفتح وتنمو بفضل ما ركب في طبيعتها من قابلية النماء والتفتح ، وما تتناوله من البيئة من ماء وغذاء وهواء .

وهي بعد ذلك تنضج ، ثم تهرم وتشيخ ، لكنها تترك وراءها ذرية تخلدها . حتى ورقها وثمرها وخشبها ، وان جف وتناثر وانحل وتحلل ، فهو مادة تنتقل وتتغير ، لكنها لا تفنى . نعم ! في الشجرة تتمثل حقيقة الحياة الازلية المتطورة السرمدية .

وفي الشجرة كذلك يتمثل خير الحياة ، فهي تمنحنا نحن البشر، وتمنح الطير وغيره من الخليقة ظلها الظليل ، ونسيمها العليل . وهي تنفحنا وتنفع غيرنا ، ثمارها اليانعة الشهية ، ولكنها لا تمن بالظل والجنى على أحد ، بل لا تدري انها تسدي معروفا الى احد . فهذا طبعها ، مذ كانت الاشجار . ولو درت ووعت وكان لها في الامر خيرة ، لاختارت ان تفصل ظلها على جسدها ، ولا تثمر الا ما تأكل ، لعريت من ورقها حتى لم تظلل جسدها ، وعقمت حتى لم تطعم نفسها ، فانتحرت بيدها وانقرض النوع كله . نعم في الشجرة خير الحياة ، خيرها التلقائي الطليق من كل قيد .

وفي الشجرة يتمثل ، غير الحقيقة والخير ، جمال الحياة أيضا . والجمال اشكال والوان وانغام وطعوم . فالشكل جميل تتناسب اجزاؤه معا ، وما اكثر التناسب في الشجر !

وهو جميل حين تستجيب الشجرة للريح والنسيم بالتثني والرقص والتصفيق ، واللون جميل مريح في خضرته ، وتزيده تلاوين الزهور رونقا وبهجة ، وحفيف الورق موسيقى عذبة ، وقد تصحبها مزاهر الاغصان ، وعبق الزهور في الربيع له فعل الرحيق المختوم .

فان سال سائل : لم الجمال، وهو لا يزيدنا فهما لحقيقة الحياة، بل لا يعطينا الحياة ولا يبقيها ؟ كان الجواب : ان الجمال ارتعاشات سعيدة تمنح الحياة قيمة فتصبح جديرة بان تعاش !

هذه هي الشجرة : مرآة الحياة ، تمثال الحياة بل بنت الحياة. وقد ورثت عن الام سجاياها الثلاث : فاخذت تنطق بالحق دون لسان ، وتصنع الخير دون تكلف ، وتشح بالجمال بلا تطبع .

هذه الشجرة التي نغرسها اليوم ، فيها معنى يشير التأمل ، وأمل يوحي بالجذل ، وقدسية توجب الخشوع ! »

وكتب عبد الحميد مقالا بعنوان « صفحة من مذكرات ديك » بمناسبة صدور الطبعة الثانية من « مذكرات دجاجة » للدكتور اسحق موسى الحسيني ، تلك المذكرات التي خاطبت الدجاجة فيها الفراخ بقولها : « ليس لكم الا ان تنشروا في هذه الارض ، وتبشروا الخلق بالخضوع للحق وحده ، وتقنعوا الباغي بان بغيه يرديه ... سيحوا في الارض ، وتوزعوا بين الخلق ، وانشروا بينهم المثل العليا ، والمبادىء السامية » .

ومما جاء في مقال « صفحة من مذكرات ديك » الذي كتبه عبد الحميد قوله : « ٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٤٣ ـ يتنازعني اليوم فرح وحزن ، اما الفرح فلاني قد أصبحت لي رفيقة وشريكة في الحياة ، آنس بها وتأنس بي ، وأبادلها العطف والحدب والرعاية . واما الحزن فللمغلة التي سمعت جارتي تخاطب بها الفراخ عند الظهيرة ، ولرؤيتي اياهم ـ والشمس قد آذنت بالغروب ـ يغادرون البيت مودعين وكل منهم يمم شطرا .

لقد قالت جارتي الشيء الكثير عن الحق والباطل ، والعدل والظلم ، والهدى والضلال ، فوعيته واستسغته ولكن لم أع ولم استسغ انها وصفت تلك العائلة الطارئة ، التي فرضت عليهم فرضا ، بانها ضيف واجب الاكرام والرعاية ، ولم أدر كيف يجلو المضيف عن بيته ليقر فيه ضيف ثقيل !

كان جاري الفقيد ، مثل زوجه العاقلة المفلسفة الشاعرة الرحيمة البليغة الفصيحة ، يؤمن بالمثل العليا ، ولكنه كان يضمنها الكرامة والحمية والحفاظ . كان عادلا منصفا لا يحب الظلم والعدوان ، ولكنه كان يدفع الظلم والعدوان بكل ما اوتي من قدرة وجلاد . كان يرى ان الدجاج ، وهو اضعف من العمالقة لا يملك ان يعلمهم العدل والرحمة والتسامح ، اذ حري بهم هم ان يحملوا لواءها وينشروه في الارض ، وقد كنت صنوه في هذا الرأي .

٢٥ ـ ١٢ ـ ١٩٤٨ ـ مسكينة تلك الفراخ التي هجرت بيتها ، ومسكينة تلك الدجاجة التي بقيت في البيت . اما العائلة الطارئة التي سكنته فلا أقول انها مسكينة . فالفراخ تجوب الارض داعية مبشرة ، تلتقط الحب أنى وجدته ، وتشرب الماء صفوا وكدرا ، فلا تعدم ان تسمع شاكيا يقول انها تنازعه الحب وتعكر عليه الماء . ما حيلة الفراخ في ذلك ، وهي لا تستطيع ان تشغل حوصلتها بالدعوة الى الخير ، ولا ان تروي ظماها بالتبشير بالمثل العليا ! لقد شغلتني تصاريف الحياة هذه السنوات الاخيرة ، حتى عن تدوين المذكرات الذي هو أضعف الايمان .

يا لقسوة الحياة وما تحويه من جمود وجبروت ! نعم لقد شغلتني عن متابعة ما يحل ببيت جاري الفقيد ، وما يصيب ابناءه الفراخ المشتتين في الارض ، اللهم الا ما يساقط الي من انبائه في الحين بعد الحين .

فمن هذه الانباء ان العائلة الطارئة تجري في البيت على سنن صاحبه الاصيل ، وتسلك فيه مسلك مالكه من الازل الى الابد ، فتغير من معالمه ، وتستغل موارده ، وترفع فيه عمادا ، وتضرب فيه أوتادا ، كما تشاء وتهوى !

ومنها ان جارتي الزعيمة طالما رعت صالح تلك العائلة ، وكنت عونا لها على ما تبغي ، آملة ان يتبين لها وجه الحق والخير والعدل والرحمة يوما من الايام . ولكن هذا اليوم لم يأت ولم يؤذن بالاقتراب، والزعيمة قد اعياها الجهد والهم ، وتقدمت بها السن ، فازدادت هزالا وعللا عن ذي قبل . ومن يدري فلعلها الان قد فارقت الحياة .

ومنها ان بعض الفراخ قد أعادوا النظر فيما هم فيه من تجوال وتبشير ، فأخذوا يفكرون في العودة الى البيت ، حتى ان واحدا منهم او اثنين قد جاءا بالفعل واتخذا موقعا قريبا منه مشرفا عليه ، لينفذا منه اليه ، حين يتبين صواب ذلك . ان التمييز بين المكاره ، واختيار أي منها ، تتجنب وأيها نواجه ونقتحم ، لعمل يجمع بين البصيرة والشجاعة ، وهو من الفضائل . أما التهور ، والقاؤنا انفسنا الى التهلكة دون تبصر الامور ، فمن الرذائل ، ولكن مثله من الرذائل أيضا ان نتجنب المكاره جميعا دون تمييز !

هذه الانباء وهذه الاراء ، حين أضمها بعضا الى بعض ، تشق لي طريقا جديدا للفكر والعمل : الفكر في العودة والعمل عليها . وليت لي ان أوصل هذا الى الفراخ جميعا ! ليت لي ! » .

وكمرب نابه له مكانته الرفيعة في دنيا التربية يتوجه عبدالحميد الى الله ويبتهل بقوله :

« اللهم هبني يدا تعمل في بصيرة ورفق ، وهبني قلبا يفيض فهما وقوة ، وهبني عقلا عطوفا عاملا !

اللهم لا تجعل يدي مجرد اداة للتنفيذ ، ولا قلبي مجرد وعاء للمشاعر ، ولا عقلي يركن لمحض التأمل ، او يكفيه جمع الحقائق واستخلاص النتائج ! بل اجعلني اللهم انسانا ينسجم في كيانه العقل والعاطفة واليد ، ليكون كل من العناصر الثلاثة هذه عونا وتكميلا للعنصرين الاخرين . ان العون كله منك ، والكمال كله لك . انك على كل شيء قدير ، وأنت علام الغيوب ، وأنت الرحمن الرحيم !»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ حسن الكرمي

رأى نور الحياة في بلدة طولكرم بفلسطين وتلقى تعليمه الاولي في زمن العهد العثماني بمسقط رأسه ، ثم انتقل الى دمشق مع اشقائه وافراد الاسرة حينما تعين والده الشيخ سعيد الكرمي عضوا في المجمع العلمي العربي ، وهناك دخل مدرسة السلطاني أو مدرسة عنبر ، كما كانت تعرف في الاصل ، وأتم فيها الدورة الاستعدادية ، وشعورا منه بضرورة التعلم في مدرسة فلسطينية ، تمهيدا للعودة الى فلسطين ، بادر دمشق الى بيت المقدس في سنة ١٩٢٤ ودخل الكلية الانكليزية « كلية الشباب » وأتم تعليمه الجامعي فيها وحصل على شهادة البكالوريوس الفلسطينية في سنة ١٩٣٠ وتعين معلما في حكومة فلسطين وعلم في مدرسة الرمله وفي الكلية الرشيدية والكلية العربية بالقدس. وفي هذه الاثناء انتدب للدراسة في بلاد الانكليز للاختصاص بالتربية واصول الاحصائيات التعليمية ثم انتقل في سنة ١٩٣٨ الى ادارة المعارف العامة بالقدس ، وعند زوال الانتداب البريطاني عن فلسطين عرض عليه مركز كبير في القسم العربي في هيئة الاذاعة البريطانية بلندن فقبله وانضم اليه ،وأول مركز شغله هناك مركز المراقب اللغوي وظل خبيرا لغويا طول المدة ، واستفاد من خبرته باللغة الانكليزية في حقلي التعليم والترجمة فاخرج عددا من برامج تعليم الانكليزية بالراديو ، ولكن اهتمامه بالادب ساعده على اخراج عدد من البرامج المعروفة واشهرها « قول على قول » .

من آثاره القلمية : في هذه الاثناء عكف السيد الكرمي على اعداد قاموس انكليزي ـ عربي على اصول حديثة أسماه « قاموس لونغمنس Longman's Dictionary وقد أنجز هذا القاموس وترجم كتابا بعنوان « خروج العرب من اسبانيا » وكتب المقالات العديدة في مجلات انكليزية مختلفة وفي بعض الموسوعات عن اللغة العربية والادب العربي والاسلام منها موسوعة « تشمبرز » وموسوعة « نيو وورلد » وله سلسلة مقالات بلغت عدتها اربعين مقالة في الفلسفة بعنوان « طبقة الفهماء » نشر اغلبها في مجلة « الاديب » وستنشر في كتاب كما ستنشر سلسلة « قول على قول » في ثلاث مجلدات و « حياة قط » في كتاب مستقل .

ويتميز الاستاذ الكرمي باللغة بصورة خاصة وبالفلسفة عامة ، والناحية المعجمية هي الغالبة عليه .

نموذج من نثره : « أقول في البلاد الاخرى ، والاحرى بي ان أقول في البلاد العربية ، فان الناس في هذه البلاد يقسمون القطاط قسمين : قطاط أهلية وقطاط برية . والقطاط الاهلية على قسمين : قطاط تعيش في البيوت منعمة مرفهة ، وقطاط تعيش في الشوارع والازقة بلا مأوى ، تنام على أبواب البيوت يطردونها اينما وجدوها ، ويضربها الاولاد كلما أحبوا . وقد كنت أرى بام عيني كيف ان بعض غلاظ القلوب من الاولاد وغيرهم ، اذا ظفر بقط او قطة من هذه القطاط ، كان يمسكه من ذنبه ويلوحه مرة او مرتين ويضرب به بحائط او صخر ، ولا يزال يفعل ذاك حتى يقتله او يتركه اقرب الى الموت من الحياة ، دون ان يجد هذا القط المنكود الحظ معترضا من الناس على هذه الفظاعة او تصيرا من هذه الفعلة الشنيعة وامثالها . ونصيب أمثال هذه القطط الموت جوعا او بردا أو بيد مجرم من مثل هؤلاء المجرمين .

وقد كنت دائما ولا أزال شديد الشفقة على القطاط لسبب نفساني من جهة ، ولكثرة ما كنت اشاهد من ألوان التعذيب والتجويع والتشريد من جهة اخرى . وأذكر انني كنت في زيارة لمدينة مراكش في المغرب العربي في شتاء ١٩٥٨ ، فمررت في أحد الشوارع فوجدت قطة سوداء هائمة في الطريق على اشد ما تكون من الهزال والضعف ، تترنح في مشيتها لقلة ما في جسمها من قوة ولشدة ما بها من جوع، كانت تسير وهي في هذه الحالة تبحث عن شيء تأكله فلا تجد شيئا . رأيتها فوقفت أرقبها مدة وانا اشعر بالالم في نفسي لهذه المسكينة ، وعمدت الى صاحب دكان هناك وقلت له : « يا سيدي ، اترى هذه القطة المسكينة ؟ » فقال : وما بالها ؟ » فقلت : « أترى كيف انها تبحث عن شيء تأكله ولا تجده ؟ » فقال : « اكثر القطاط يا سيدي على هذه الحالة ! » فقلت : « ولكنني لا استطيع ان اسعف هذه القطاط كلها في هذه المدينة ، وانما اريد اسعاف هذه القطة بعينها !» فقال : « وماذا تأمر ؟ » فقلت : « أدفع لك شيئا من المال ، وارجو ان تشتري به كل يوم شيئا تأكله هذه القطة الى ان تستعيد صحتها وقوتها ، ولعلها حينئذ تقوى على تدبير امرها بعد ذلك ! » فاخذ المال مني ووعد بان يفعل كما طلبت ! »

نموذج من شعره : قرض الاستاذ الكرمي الشعر كما قرضه والده المرحوم الشيخ سعيد الكرمي وشقيقه « أبو سلمى » وله في هذا المضمار ومضات وشطحات منها الابيات التالية وقد نظمها في غربته ببريطانيا ، وفيها تذكر لفلسطين موطنه المفصوب :

انا على العهد مهما شت نائينا ... وأوسع الدهر حبل الوصل توهينا
وأمعنت صور الاحداث ضاربة ... أطنابها لتزيد الخطب توهينا
فلا البعاد مزيل ما بانفسنا ... ولا التنائي بماح بعض ما فينا
أرض أنيطت بها يوما تمائمنا ... وفي الصبا قد اميطت عن تراقينا

نحن شوقا الى تلك الربوع كما ... يحن الف لالف فاته حينا
ونبعث الرسم تخييلا عسى أثر ... في الذهن عن رؤية الاعيان يكفينا
حتى الحقيقة ما أشفت لنا غللا ... فكيف أخيلة تروي وتشفينا
فلا الجبال جبال النار نعهدها ... ولا الاراضي بها شبه لوادينا
ولا الملامح في الاشخاص نعرفها ... كأنما الناس ليسوا من أناسينا

٣ ـ برهان الدجاني

القاعدة الذهبية التي سار عليها « برهان » ودرج منذ حداثته : « لا معنى للحياة بدون كتاب » ولو دخل « برهان » الجنة ولم يجد فيها مكتبة لصاح من توه : « أجنة بغير كتاب ؟ » .

ولد برهان في يافا بفلسطين عام ١٩٢١ وأكمل دراسته الثانوية في العامرية ببافا ثم انتسب للجامعة الاميركية في بيروت ، ونال بكلوريوس في العلوم عام ١٩٤٠ فاستاذا في العلوم عام ١٩٤٤ وانضم الى المكتب العربي بالقدس عام ١٩٥٤ وعمل فيه بكل جهد وطاقة (١٩٤٥ ـ ١٩٤٨) . وخلال اقامته في بيت المقدس درس الحقوق ونال دبلوما من معهد الحقوق الفلسطيني عام ١٩٤٨ .

وبعد حلول النكسة الفلسطينية الاولى وتوحيد ضفتي الاردن نال من السلطات الاردنية امتياز جريدة باسم « الهدف » وصدر العدد الاول منها في بيت المقدس يوم ١٧ شباط ١٩٥٠ وأقبل على معالجة القضية الفلسطينية باسلوب علمي متين .

وسرعان ما طلق برهان الصحافة وانضم الى القطاع الاقتصادي وعين عام ١٩٥١ امينا عاما لاتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية فاستاذا للاقتصاد في كل من « الاكاديمية اللبنانية » و « الجامعة اللبنانية » و « جامعة بيروت العربية » و « الجامعة الاميركية » في بيروت .

من آثاره القلمية : بعد ان مل « برهان » السياسة آمن بان البلاد العربية في حاجة ماسة الى تطوير اقتصادي فاقبل على التاليف في هذا القطاع ايمانا منه بان لغة الارقام افصح من لغة « البحتري » و « أبي تمام » ودونك بعض آثاره المطبوعة :

(١) الاقتصاد العربي . طبع في عام ١٩٥٧ .
(٢) محاضرات عن التنمية الاقتصادية للاردن . طبع في عام ١٩٥٧
(٣) تحليل بعض أوجه العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية . طبع في عام ١٩٦١ .
(٤) العلاقات الاقتصادية في الدول العربية . طبع في عام ١٩٦٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نموذج من نثره : عالج برهان القضايا والشؤون الاقتصادية والسياسية كما كتب في القصة القومية القصيرة التي هدف منها الى التوعية وبث روح الشجاعة والصبر على عوادي الايام في نفس النشء الفلسطيني ودونك قصة كتبها بعنوان « البيت الحزين » .

« لو سألت أي رجل في يافا ان كان يعرف محمد ابو خالد لأجابك قائلا : « لعلك تعني صاحب البيت الاخضر ؟ » فقد استقر في اذهان الناس جميعا ان هذا الرجل وبيته كائن واحد لا يتجزأ ، وحل لقب صاحب البيت الاخضر محل ما تعارف عليه الناس من مناداة الرجل بكنيته او باسم عائلته . ولست اعرف اول رجل فهم بشعور غريزي هذه العلاقة الغريبة بين هذا الانسان : الكائن الحي العاقل ، وبين بيته الحجري . ولعله في اللحظة التي أطلق فيها ذلك الرجل اللقب على محمد ابو خالد كان هنالك اشخاص آخرون قد ادركوا الشيء نفسه فوجدوا في اللقب وصفا صحيحا لما كانوا يحسون به بينهم وبين انفسهم حول هذا الرجل . فقد كانوا كلما تناولوا محمد ابو خالد بالحديث اسرعوا الى القول بانه رجل شاذ ، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون وصفا دقيقا لما انصرف اليه شذوذه ، الى ان وجد بينهم من دعاه (صاحب البيت الاخضر) فوجدوا في اللقب رمزا للغامض المجهول في هذا الرجل واجمعوا على اطلاقه عليه .

وقد عرفت محمد ابو خالد معرفة تامة وجمعتني به صداقة قوية ومحبة ثابتة . عرفته قبل ان يكون صاحب البيت الاخضر ، ومع ذلك لو سألني عنه اي انسان لاجبته على الفور « لعلك تعني صاحب البيت الاخضر ؟ » ولعل هذا السؤال يخرج مني انا ايضا بفعل الغريزة وبدون تفكير او قصد . فلست اعرف لقبا ينطبق على صاحبه كما ينطبق هذا اللقب على محمد ابو خالد . وقد قلت له في يوم من الايام ممازحا : اتعلم ان من يعرفون اسمك في يافا قليلون ، ولكن ليس في المدينة كلها شخص واحد لا يعرف «صاحب البيت الاخضر ؟». فابتسم لهذا الحديث وقال لي في هدوئه ووداعته « انهم في ذلك على حق ، وان هذا اللقب الذي يطلقونه ليعبر في الحقيقة عن اعماق ما في نفسي . انه يصفني بشكل ابعد غورا مما يفهمونه منه . اتدري ما احبه من هذا اللقب .. احب كلمة (صاحب) . بالطبع يفهمها الناس على انها تعبير عن التملك والتصرف ، ولكنني افهمها انا بمعنى الصحبة والصداقة والزمالة ...

نعم يا اخي انا صاحب هذا البيت لانني احبه ، وآنس اليه ، واطمئن في ارجائه . ولا اعترف بأي نوع آخر من الصحبة بيني وبينه » « وسكت طويلا ، وبدا على وجهه صفاء جميل ، وتاهت عيناه كأنه يحدق في شيء بعيد ويتملى من حقول من الجمال قد حجبت عني ، ثم قال « ليس غريبا ان يعبد الانسان ربه داخل البيوت . لقد بنى الانسان المعابد والهياكل ، ثم الكنائس والمساجد ، وانفق فيها من الجهد والمال ما لا يوصف ، ليعبد الله في داخلها ، بل لقد سماها بيوت الله ... وليست هذه التسمية نوعا من العبث ، او سقم الخيال ، بل هي تصيب الحقيقة في الصميم ... انني اشبه الروح الالهية بطير لا يتعبه الطيران فيظل محلقا في السماء الى ان يرى مكانا جميلا يستحق ان يهبط فيه ، فينزل من عليائه ولا يرتاح فهو لا يتعب ولا يأكل او يشرب فهو لا يجوع ولا يعطش ولكن ليضيف الى ما اعطاه من الجمال قداسة خاصة بحضوره المباشر فيه ... وقد بنيت المعابد الجميلة رائعة ليسكنها الله من قداسته » .

اما البيت الاخضر الذي عرف به صاحبه ، فهو بيت صغير جميل يقع على مرتفع من تل الريش خارج مدينة يافا بقليل . وقد عرفت محمد ابو خالد لاول مرة عندما التقيت به صدفة على ذلك التل ، وقبل ان يبني بيته المشهور ، وما زلت اذكر ذلك اليوم . فقد الحت علي نفسي بالخروج من المدينة ، فسرت بين بياراتها مخترقا سكنة درويش الى ان وصلت الى ذلك التل الجميل . وكان اليوم رائعا .

ووقفت في اعلى نقطة من التل اسرح نظري ببطء في مجالي الطبيعة تلك اشجار البرتقال الجميلة تفصل بيني وبين يافا ، وذلك هو البحر الذي يبتدىء بلونه الازرق الصافي عند نهاية الاشجار . وفي وسط هذين اللونين الرائعين ، كانت هذه المدينة الوديعة تربض . وأخذت اتابع بنظري شوارعها ومساكنها التي اعرفها حق المعرفة : ذلك شارع النزهة ، وهذا شارع العجمي، وهناك شارع الحلوة. تلك هي البصة، وذلك مستشفى الدجاني، وهذا دير الاقباط. وقلت في نفسي ان هذا المكان لم يخلق الا ليبنى فيه بيت يطل على هذا الجمال، ونظرت حولي، فاذا رجل يبدو عليه انه غارق في تأمل ما يحيط بهذا المكان . وحياني بشيء من الخجل ثم قال وكأنه يقرأ ما يجول بفكري : « الا ترى ان هذا المكان لم يخلق الا لبيت يطل على ما حوله من جمال ؟ » قلت بلى ، قال : « هنا سأبني ذلك البيت » ، « انني لا افهم لماذا لم ينتبه لهذه البقعة احد من قبل ، فليس فيها الان مسكن واحد ... على أي حال هذا من حسن حظي ، فلو كانت مكتظة بالمساكن لما جئتها » قلت له « لعل سبب ذلك ان جمال هذا الكون مختلط في ذهن الناس ، بذكريات اليمة واساطير غريبة » قال « وما تلك ؟ » قلت « ان الناس يعتقدون ان تسمية هذا المكان بتل الريش انما هي تحريف لاسمه الاصلي وهو تل الرؤوس . والاسم الاصلي هذا اكتسبه التل عندما احتل نابليون مدينة يافا وأسر حاميتها المؤلفة من خمسة الاف جندي تقريبا وجاء بهم الى هذا التل واجهز عليهم ودفنوا في ارجائه . ويقول الناس ان الارواح الهائمة لهؤلاء الشهداء الابرياء ما زالت تسمع متجولة في هذا المكان ، وما زال أنينها يبعث الرهبة والخوف » ولاحظت اجفاله من هذا الحديث وامتعاضه منه . ووبختني نفسي على التكلم بهذا الشكل بعد ان اخبرني الرجل عن عزمه على بناء بيت لنفسه هناك ، فقلت مستدركا ومسليا « انما هي اساطير سخيفة وما قصدت به سوى مجرد الكلام ... ولكني اعتقد ان السبب الحقيقي لخلو هذا المكان من الساكن هو بعده عن المدينة وعدم وجود طريق جيدة او وسائل للمواصلات تصل بينه وبينها » . وافترقنا زمنا .

واقبل على بناء البيت بنشاط لا مثيل له وكان يطلعني على كل خطوة يقوم بها في هذا السبيل . وضع تصميم البيت بنفسه وقد فسر ذلك لي بقوله « انما البناء نوع من الخلق والابداع ، يتمشى مع فكرة معينة . فان وضع الفكرة غيرك فهو ليس خلقك ولا ابداعك ، ولكنه خلق ذلك الاخر . والبيت الذي تصممه بنفسك أحب اليك وأملا الى ما في قلبك من فراغ .. مثله مثل ابنك فقد يكون اقل جمالا ونجابة من ابناء سواك ، ولكن له ابدا في نفسك موقعا خاصا .

وعندما شرع في البناء اخذ يشترك فيه بنفسه : يخطط الغرف ويعين المواقع، يجبل الطين ويحمل الحجارة ، ويراقب كل شيء بنفسه. وكان يفعل ذلك مزهوا سعيدا ، ويفسره بقوله ان العمل هو اشرف ما في الحياة . هو ليس ضرورة للعيش فقط بل هو ضرورة نفسية واخلاقية لان به يؤكد المرء ثقته بنفسه ومنه يستمد كثيرا من كبريائه .. ثم ان العمل خلاق وليس في الحياة بهجة كتلك التي يشعر بها الانسان عندما يوجد شيئا من العدم ، فالانسان به قبس الهي ، ومن اهم صفات الله انه خالق ، ومن هذه الصفة تجد الانسان يتحرق نزوعا للخلق والابداع تشبها بالقوة الالهية التي اوجدته والخلق يتبع الفكرة الحية ، فهي تضع المثال والتصميم ، ثم تخلق شوقا لرؤية هذا التصميم متحققا في الواقع ، فتتحرك القوة الانسانية الكامنة كلها لتحقيق الفكرة وتجد النفس فرصا عظيما كلما رأت العمل متجها نحو تحقيقها .

وتم بناء البيت ، وما عرفت في حياتي بيتا اجمل منه تصميما ولا اكثر ملاءمة للموقع الذي أقيم فيه ، عندما نظرت اليه لاول مرة بعد اتمامه قلت في نفسي « لقد كان هذا التل الجميل كقاعدة التمثال التي لم تتوج بالتمثال الذي اعدت له ، فظلت ناقصة مشيرة الى ما فوقها

من فراغ . وقد جاء هذا البيت كالتمثال المنتظر من زمن بعيد » لقد كان آية في كل شيء . ودعاني الى زيارته فذهبت وجلسنا للحديث وقال لي « ان الناس يتوهمون حينما يعتقدون ان المحبة لا تكون الا للبشر . ففي وسعك ان تحب كل شيء فيما حولك مما جعله الله . وقد ينفرد بحبك شيء واحد بينك وبينه صلة خاصة كشجرة وحيدة في سهل واسع او غدير معين او مكان خاص ولا شك في ان الحب يكون اعظم عندما يكون الشيء الذي تحبه من صنع عقلك وخيالك ويديك .. اما انا فان محبتي منصرفة الى هذا البيت الذي تراه .. وقد تضحك مني ولكنني كثيرا ما اتخيله كائنا حيا يبادلني حبا بحب وعطفا بعطف . كثيرا ما اتصور الابواب والجدران تبتسم لي ، كثيرا ما اتخيل الموقد تسرى عني وتشجعني ، كثيرا ما يدور في خلدي ان الشبابيك تعتني بي وتهتم بصحتي .

قلت له متفلسفا ، او محاولا مجاراته على مستوى تفكيره وخياله « انني استطيع ان افهم تماما محبة الانسان لما هو ليس بشرا ، وانني لأروي لك على سبيل المثال حادثا وقع لي شخصيا . فقد كان عندي فرس في غاية الجمال والاخلاص . ابتعتها وهي رضيع وربيتها ، واعتنيت بها بنفسي ، تماما كما كنت تفعل مع بيتك . ودللتها كما دلل هذا البيت ، وكنت احدثها واتوهم انها تفهمني ، وأفسر حركاتها انها اجابة لكلامي . وكلما كبرت دربتها وصرت اذهب بها كل يوم في نزهة طويلة ، ويخيل الي انها صديق لي يشعر معي ويشاركني فيما يمر بي من عواطف وخواطر » .

فبان عليه السرور وقال مبتسما « واين فرسك الان ، فاني احب ان أراها ؟ » قلت « لقد ماتت ، او بالاحرى لقد قتلتها بيدي ، ففي احدى المرات بينما كانت تعدو انزلقت رجلها في حفرة مخيفة فانكسرت، ولم يعد بد من اتلافها لان بقاءها لا يفيدها بشيء ، بل يعني استمرار آلامها ولا امكانية مطلقا لشفائها .. ما زلت اذكر الي الشديد لما حل بها وتصميمي على اتلافها بعد لهفة وتردد . ما زلت اذكر كيف وضعت المسدس على جبينها وخيل الي انها فهمت كل شيء ونظرت الي نظرة صفح وتضحية .. ثم اطلقت الرصاصة فخرت على الارض وانتهى كل شيء » .

كنت مندفعا في تلاوة القصة فلم الحظ ما كان يرتسم على وجهه من الم .. ولكنه فجأة جفل ، تماما كما فعل يوم أخبرته عن قصة نابليون وادركت عندها انني اخطأت للمرة الثانية ، فحاولت ان اصلح خطأي وقلت له « هذا هو الفرق بين التعلق بالاشياء الحية والاشياء التي لا حياة فيها . فالاولى تتلف ، اما الثانية فانها تبقى ما بقي صاحبها ، بل تلازم اجيالا واجيالا » ولكنه كان متجهم الوجه فلم يجب بشيء . وجاءت الحوادث الاخيرة ، فاذا المكان الذي يقع البيت الاخضر فيه اهم موقع للدفاع عن يافا . واذكر انني كنت أسير بعد ابتداء الحوادث ببضعة اسابيع فاذا رجل مشعث الشعر يلبس اردية المناضلين يناديني ، ولم اعرفه بادىء الامر ، ولكن عندما اقتربت منه وجدته صديقي صاحب البيت الاخضر . قال لي « ها انت لم تعرفني بملابس الميدان ، ولكننا نحارب ، ونصد العدو ، ونلقي به افدح الخسائر . لقد تغير شكله ايضا وهو اليوم مثلي يرتدي ملابس الميدان » وكنت تائه الفكر مشغولا بأمور اخرى فلم افهم لاول وهلة ما يعني وقلت له « من هو ؟ من تعني ؟ » فأجاب ضاحكا « البيت الاخضر ، أنسيت ؟ انه يساوي خمسين مناضلا . انه لبيت شجاع » .

ومرت الحوادث بسرعة لا مثيل لها ، وخرجت من مدينة يافا بعد ان فقدت الامل في امكان حمايتها والدفاع عنها ، ونسيت امر صديقي محمد ابو خالد في تلك العاصفة الصاخبة من الحوادث والعواطف . وكنت مرة اسير في احد شوارع بيروت فاذا به وجها لوجه امامي . وكان يبدو عليه الم شديد يشبه اليائس ، بل يزيد عنه . سلم علي واقتادني الى مقهى غير مطروق واخذ يحدثني عن اله وهمومه . قال « كم كنت احب لو بقيت في بيتي ، واستمررت ادافع عنه الى ان يتهدم فوقي فأموت معه وأدفن بين انقاضه . لكنهم قالوا لي بأن المسألة لا تتعدى ، لا تلبث الجيوش العربية بعدها ان تدخل المدينة وتعيدها الينا .. لقد تركت بيتي وودعته وأكدت له انني سأعود بعد بضعة ايام ، بعد اسبوعين او ثلاثة على الاكثر ، ولكنه لم يكن مقتنعا . كان ينظر الي نظرة الم وعتاب ، وكأنه كان يسألني لماذا اوجدته من العدم ما دمت ستتركه . ولكني كنت كالمخبول فلم افهم شيئا .. بل قل انني كنت انانيا جبانا . فقد فكرت بنفسي فقط ولم افكر فيه . فكرت بكبريائي فخفت ان يشلها العدو المنتصر ، وفكرت بشرفي فخشيت ان يمسه العدو النشوان .. ولكن غاب عني ان كبريائي وشرفي هما في ذلك البيت الذي تركته . غاب عني ان تمرغ العدو في بيتي انما عار متجدد يلحقني في كل يوم وفي كل ساعة . انني لأتصورهم يجولون في الاماكن التي كنت اعتبرها رمزا للقداسة والخشوع يرسلون فيها القهقهات السافرة ، ويدنسون ارجاءها بعهرهم ... واني لاتصور هذا البيت الطيب الصديق متألما عاتبا . واني لأعلم الان ان بقاءه لا يفيده في شيء بل يعني استمرار آلامها وزيادتها » . وسكت طويلا فلم أجرأ ان اقطع السكون مخافة ان أزيد في تهيجه وألمه ثم قال فجأة « هل قلت بأنها فهمت كل شيء ونظرت اليك نظرة صفح وتضحية » . وأصابني قلق شديد ، فاني لم افهم ما كان يرمي اليه صديقي ، وخشيت ان يكون عقله قد اختلط وقلت له باستغراب « من هي ؟ ماذا تعني ؟ » فقال بهدوء ، كأنه فهم خشيتي واراد ان يطمئنني « انما قصدت فرسك التي كسرت رجلها وقتلتها بيدك : ألم تحدثني عنها يوما ؟ « قلت بلى » وسكت ، وافترقنا ، وكان ذلك آخر عهدي به .

قيل لي بعد ذلك بأن راديو اسرائيل اذاع بأن مجهولا تسرب من المنطقة العربية ونسف بيتا في تل الريش على من فيه من السكان اليهود ، وانه وجدت بين الانقاض جثة شخص يعتقد انه هو الجاني ».

عمان ــ الاردن

البدوي الملثم

صراخ

الازهار البالية في زاوية الجدار
سخرية اللامتناهي المرعب
في شلالي المتجمد
يلتهم الحياة ، يمضغ قلبي .
الهوة ... الهوة !
حينما اجر اذيال ضجري ...
اتوق الى اللاشيء
التلاشي في سبات عميق
وفي حضرة الوحدة السوداوية استيقظ
كل شيء يهرب ، كل شيء يئن
كل شيء يسير في احضان الريح
آلاف الافكار النائمة تصرخ فجأة
وتضيع برعشة حنين كل المثل

حلب

هناء الطيبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

انسان وحيد في العيد

مهداة الى الاستاذ الزيات مترجم «آلام فرتر»

بقلم محمود الشرقاوي

في ليلة من ليالي هذه الايام الاخيرة من ديسمبر ، أيام الوداع والرجاء ، وداع عام مضى ورجاء عام جديد ، جلس انسان وحده في حجرة باردة ، طقسها بارد ولكنها حارة الذكريات .

انسان وحيد جلس يكتب فلم يستطع ، ما يحسه قلبه لا يستطيع ان يكتبه ، وما يكتبه يجده بعيدا غريبا عما في قلبه وصدره . ما يكتبه يجده باردا كصورة الحريق واللهب والبركان على قطعة من الشمع الملون ، وفي شعر هندي يقال : « مات المعنى الحي حين احتواه اللفظ » . وفي الانجيل يقال : « ينطق اللسان فضلة ما في القلب »

انه يجلس الى الراديو يدير مفتاحه ، ينتقل به من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ، فلا يسمع الا الرقص والغناء والموسيقى . الاحاديث لا يسمعها ، يمر عليها في مفتاح الراديو ، كما يمر الشهاب في السحاب .

الدنيا كلها تغنى وسط هذه المذبحة البشرية ، والناس كلهم يرقصون على دقات «الجاز» الصاخب وعلى انغام الفالس الهادىء الناعم كأحلام الصفاء في آخر الليل ، وبعض الناس في هدوئهم وسمت وقارهم وصفاء قلوبهم ينشدون ويرتلون . اولئك هم المتوجهون الى الله في السماء .

ايها الصاخبون الراقصون على الجاز والفالس ، خذوني معكم . انا انسان وحيد غريب في هذه الدنيا . انسان يريد ان يعيش وان يعرف الحياة وان ينطلق بعد حبس طويل . يريد ان يفرح ويقفز ويبتهج كما تفعلون . ثم يلقي جسمه المنهوك في الفراش بعد المرح الطويل فينام وقد حل في قلبه السلام .

ايها المؤمنون الخاشعون المرتلون المتوجهون الى الله في السماء ، خذوني معكم . انا انسان يريد ان يهدأ وأن يعيش وان يهب قلبه الصفاء والنقاء بعد سواد طويل ، يريد ان يتوجه الى الله يتأمل ويصلي ، قد انصرفت عنه دنياه ويئس منها ، يحبها ويريدها ولكنها لا تريده . قد أشقاه ادبارها ولم تقبل عليه مرة ، فهو يريد أن يعلو عليها يأسا منها ، وان يتوجه الى ربه مثلكم يرتل ويتأمل ويصلي ويتبتل حتى ينهك جسمه كما أنهك الرقص جسوم الراقصين فينام وقد حل في قلبه السلام .

انه يسير في الطرقات ويركب ما يركب الناس ، فيجد الشاب والفتاة والعجوز والصبي كل قد امسك هدية لمن يحب قربان حبه ، الورود والازاهير يحملونها يضمونها الى صدورهم ضمة العشق .

ويرى الناس قد اذهلهم الشقاء واستولى عليهم جهد العيش فلا يتحدثون ولا يفكرون الا فيما يأكلون ويكتسون ، ليس لهم حبيب ولا يريدونه ، ليست لهم زهور ولا قرابين ولا يريدونها .

ايها العاشقون السعداء يحملون الهدايا ، خذوني معكم .

انا انسان وحيد يريد ان يهدى الى أحب شيئا ، يهدى اليه قلبه وحنانه وحبه وحاضره كله ومستقبله كله .

بلى . لقد اهدى الي من احب هذا كله وفوق هذا كله ، ولكن من احب لم يقبل منه ما أهدى ، وطرد الرسول وانصرف عنه كما انصرفت عنه دنياه ويئس منه ... من حبيبه ... انه يحبه ويريده ، ولكنه لا يريده .

قلبه وحنانه وحبه وحاضره كله ومستقبله كله ، لا يريده ، وفوق هذا كله لا يريده .

ايها الحاملون الهدايا والازاهير الى عشاقكم ومحبيكم وازواجكم ، خذوني معكم .

اني اريد ان اكون واحدا منكم فأقدم الى حبيبي خيرا مما تقدمون ... مع قلبي وحناني وحبي ، فاذا رضي عن هديتي وتقبل قرباني ملأ قلبي الفرح وشمخ راسي فوق كل راس ، واتعبني حمل السعادة فأنام وقد حل في قلبي السلام .

ايها الاشقياء التاعسون : خذوني معكم .

انا انسان وحيد اريد ان أعيش ان أيتئس وان أشقى حتى اذهل ، وحتى يموت في قلبي الرجاء من كل شيء والامل في كل شيء ، وان يستولي علي جهد العيش والفكر فيما آكل وما اكتسي حتى يرهق جسمي الفكر والجهد فأنام وقد حل في قلبي السلام .

رأيتكم من قبل في كثير من مثل هذه الايام الاخيرة من ديسمبر ، ايام الوداع والرجاء .

رأيتكم من قبل ايها الراقصون والمرتلون والعاشقون والذاهلون بالشقاء فلم أطلب ان اكون منكم لاني كنت أوقن اني سأكون خيرا منكم عندما تقبل علي دنياي .

دنياي كانت أخي الغائب حتى يعود، والقلب الذي رجوته واصطفيته وأحببته وارتقبته ، وصبرت على ما لم يصبر له الصابرون حتى يكون معي ، حتى يكون لي وحدي .

أنا وأمسي وغدي

وليـال وسنين
مثقلات بالحنين
كـان فيهـا شاهدي
أنجم ترعى بليل كضمير الحاقد
لألأت وانطفأت

واختفت خلف غلاف جامد
بين أفق ، وضباب ، وسكون
ودجـون
فدفنـا
أنـا والامس بقبـر واحد

قلـت للدهـر
هنـا يـا قاتلي
فوق هـذا الساحل
قذف الموج بقايـا قارب
لم يجد نجما به قد يهتدي

فوق لـج غاضب
ففرقنـا
انـا والامس ، ولم يسلم غدي

ومضت بضع سنين وليالي
وأنـا
وأنـا الميت هنـا
اختفي خلف ظلالي
قد جعلت الغد تابوتا وأمسي كفنا
لسـت أدري
أأنـا الراقد هذا ام خيالي

قـد أضعنا كـل شيء
وفقدنـا الزمنـا
والصبـا
والوطنـا

بغداد

صفاء الحيدري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكنت في سنوات كثيرة اجلس في هذه الايام الاخيرة من ديسمبر وأسمع وأرى مواكب حياتكم ايها السعداء ، فأبتسم ، ستقبل دنياى وأغدو خيرا منكم يوم يعود لي اخي البعيد ، ويوم يكون القلب الحبيب لي وحدي .

ثم جاءت الايام الاخيرة من ختام هذا العام ، فاذا الاخ البعيد لم يعد، ولن يعود ، واذا القلب الحبيب قد رد علي ـ مطرودا ـ قلبي وحناني وحبي ، واختار ان يكون لغيري ، له وحده ، واني احبه وما كرهته .

في هذا العام اجلس وحدي في غرفة باردة ، طقسها بارد لكنها حارة الذكريات ، اسمع وأرى مواكبكم ايها السعداء ، ولكني لا أبتسم . لن اكون في يوم ما خيرا منكم ولا واحدا منكم ، ان اخي لن يعود ، والقلب الحبيب لن يعود ، فلن تعود لي دنياى . وما كانت دنياى لي حتى تعود .

انسان وحيد في العيد

كان يسير في ركب الحياة معه اخوه وحبيبه ... زوجه ... لا يريد غيرهما ولا يرجو ، فسقط اخوه والركب يسير . فتخلف يقضي حقه يواريه ويبكيه ، وقلبه يتوجه الى حبيبه الذي بقي يرجوه لا سواه .

يتوجه اليه بالرجاء والعزاء ، يريده وحده لا يريد غيره ولا يرجو.

وماذا يهمني من الركب وليس لي فيه ... ؟

ـ انه القلب الذي احببته ـ معي. وأنا به مع الركب وامامه أسبقه واعلو عليه . ونحن وحدنا القافلة والركب والحياة والدنيا لنا ، أنا ـ معه ـ غني عن جميع الناس . انني به غني عن العالمين .

فلما أفاق وقضى لاخيه بعض حقه تلفت فاذا الحبيب الذي كان بقي . ما بقى ... ! سلك بنفسه في زحمة الحياة وخلف القلب الوحيد لا رجاء ولا عزاء . وشق الطريق لذاته لم يتلفت .

الركب بعيد ، وهو منه منفرد وحيد . ما بقيت به قوة وليس حوله سوى الظلام والوحشة والاحزان وذئاب الطريق ، وفي قلبه الحسرات الباقيات ولا احد معه .

ايها السعداء الذين أرى مواكبهم وأسمع رقصهم على « الجاز » الصاخب و « الفالس » الهادىء الناعم كأحلام آخر الليل ، والذين يقضون هذه الايام الاخيرة من العام ، أيام الوداع والرجاء ، ثم ينامون وقد حل في قلبهم السلام .

خذوني معكم .. !

مصر الجديدة

محمود الشرقاوي



عيسى الناعوري

بين الفكر العربي والاسباني

بقلم عيسى الناعوري

* * *

في اعتقادي ان اختيار مدينة قرطبة مقرا لعقد هذه الدورة السادسة لابحاث الثقافة العربية الاسبانية ، لم يكن الا تكريما لهذه المدينة التي ساهمت مساهمة كبيرة في حضارة الفكر الاندلسي المشترك ، والتي كانت يوما من المراكز الكبرى للثقافة في العالم ، وهي اليوم احد مراكز الثقافة العصرية ايضا .

لقد كانت هذه المدينة اول مركز للثقافة العربية الاسلامية في الاندلس ، وظلت على ازدهارها الفكري طوال الفترة الاولى من الفتح الاسلامي . فلما قامت فتنة البربر في اوائل القرن الحادي عشر الميلادي ـ الخامس الهجري ـ قضت هذه الفتنة على ازدهار قرطبة وعمرانها . ومن هناك تفرق علماؤها وشعراؤها ومفكروها ، وانتشر ما كان في قصورها من نفائس الكتب ، فكان ذلك عامل نهضة وازدهار فكري في سائر انحاء الاندلس : في طليطلة ، واشبيلية ، وبلنسية ، وغرناطة ، ومرسية ، ورندة ، وفي كل جهة اخرى .

في هذه المدينة ، وفي معاهد الثقافة فيها ، ظهر وتتلمذ عدد غفير من ابرز مفكري الاندلس وعلمائها : زرياب وابن حزم ، وابن مرة ، والغزال ، وابن شهيد ، وابن زيدون ، وابن عبد ربه ، وابن رشد ، والكثيرون غيرهم من أهل العلم والادب الفلسفه . وبهذا حملت قرطبة مشعل الثقافة فترة غير قصيرة ، حين كانت اوروبا ما تزال تنتظر فجر الانبعاث العلمي والحضاري .

ليس من شك في ان فترة الحكم العربي في اسبانيا ـ رغم كل ما يمكن ان يقال فيها ـ كانت خيرا ونعمة على الغرب بأسره ، وقد جعلت من اسبانيا وعاء ثمينا تنصب فيه حضارة الفكر ومدنية المجتمع ، كما جعلت منها جسرا عظيم الاهمية لنقل الثقافة والمدنية الى اوروبا . لقد كانت اسبانيا حينذاك يدا تتلقى العطاء الحضاري سخيا رخيا ، ويدا اخرى تمتد بدورها بالعطاء السخي الرخي الى الغرب بعد حين . فأوروبا كلها مدينة بنهضتها لاسبانيا : فهي القاعدة ، وهي المنطلق الاول للنهضة الغربية .

وانه لمن حق اسبانيا أن تنظر باعتزاز قومي الى تلك الفترة من تاريخها ، وان تعتبر كل ما ظهر على ارضها في عهد الحكم العربي فيضا من عطائها الاسباني ـ العربي ، وجزءا من اعظم اجزاء تاريخها الماضي ازدهارا : فالواقع ان قسما كبيرا ممن خدموا الفكر والحضارة في ذلك العهد في اسبانيا كانوا ممن ولدوا ونشأوا فيها : من مواطنيها العرب والاسبان معا .

ان حضارة الفكر الاندلسي لهي عطاء مشترك : ساهم فيه الاسبان مع العرب مساهمة كبيرة . لقد اعطى العرب الاسبان واخذوا منهم ، وبتعاون الجميع نهض بناء الحضارة الاندليسية ، وازدهر الفكر الاندلسي . ومن المؤكد انه لو كان العطاء والبناء من جانب واحد فقط لما كان في الاندلس ذلك الازدهار الرائع في الحضارة ، ولا تلك النهضة الفكرية المدهشة . أقول هذا وانا اعلم حق العلم ان التأثير الاكبر كان للفكر العربي الاسلامي الذي دخل مع الجيوش العربية ، وتكامل بعد الفتح ، ولقي استجابة سريعة وتعاونا كبيرا من السكان الاصليين ، ثم لقي مع الزمن اقبالا عظيما كذلك من شعوب البلدان الاوروبية المجاورة . وبذلك اتسع مدى الاخذ والعطاء اتساعا عظيما .

حين جاء العرب الى اسبانيا كان لهذه البلاد ثقافتها المسيحية، وكان فيها عناصر باقية من الحضارتين الاغريقية واللاتينية ، تتمثل كلها في سائر مجالات الفكر ، والفن ، والعمران . وفي المسيحية والاسلام عناصر روحية مشتركة عديدة : كلتا الديانتين تؤمن بالله ورسله وانبيائه وباليوم الاخر ، وكلتاهما تعد بالثواب وتنذر بالعقاب ، وكلتاهما تستمد قوتها من السماء ، وكلتاهما تصدر عن مصدر

(*) نص المحاضرة التي القاها المؤلف في مؤتمر الدراسات الاسبانية العربية السادس في قرطبة يوم الاربعاء ١٨ اكتوبر ١٩٦٧ .

ازلي واحد ، هو الله ، وتصب في مصب واحد ، هو الحق ، وكلتاهما تدعو الى الخير والرحمة والاخاء الانساني . وقد تختلف بعض الوسائل والسبل ، انما تبقى الاصول واحدة . ومن هنا كان لا بد من استجابة متبادلة بين الثقافة الاسلامية والثقافة المسيحية ، ومن تعاون مشترك بين الفكر الاسلامي والفكر المسيحي . وكانت اسبانيا هي البوتقة التي اجتمع فيها المعدنان الروحيان والفكريان فترة طويلة من الزمن ، وانصهرا معا بنار واحدة، فخرج منهما معدن كريم آخر هو الثقافة الاسبانية ـ العربية الزاهرة . وبفضل امتزاجهما هذا ظهرت على اثرهما النهضة الاوروبية الكبرى ، مبتدئة بايطاليا :جارة اسبانيا والمتأثرة بها تأثرا مباشرا واسعا .

وما كانت الثقافة المسيحية ـ قبل عهد الحكم العربي في الاندلس وفي اثنائه ـ كافية وحدها للاندفاع بقوة نحو الازدهار : فالازدهار يتطلب حرية كبيرة في التجاذب والتفاعل الفكريين ، والفكر المسيحي كان حتى ذلك الحين ينحصر في الاديرة وعلى اقلام الرهبان والقسس، وكان العالم المسيحي خاضعا لسلطة الكنيسة . ولهذا كان الفتح العربي الاسلامي خيرا وبركة للفكر المسيحي والفكر الاسلامي على السواء ، لانه اتاح لعامة الناس ـ وليس للاكليروس وحده ـ ان يشاركوا في اكتساب الثقافة والاستزادة منها دون حدود ، كما اتاح حرية التجاذب والتفاعل مع الفكر الاسلامي الجديد ، واوجد كثيرا من حرية الانطلاق لدى الجانبين . ونحن نجد هذه الحرية لدى المفكرين المسلمين ـ ومن دخلوا في الاسلام من الاسبان ـ كابن باجه ، وابن حزم ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وكثيرين غيرهم ، كما نجدها لدى سكان البلاد الاصليين من المسيحيين واليهود الذين تأثروا بجو الحرية .

قلت أن العطاء الفكري والحضاري كان مشتركا متبادلا في الاندلس . والواقع ان العرب الذين حملوا الى هذه البلاد علوم الدين الاسلامي ، وعلوم اللغة العربية وآدابها ،ثم اضافوا اليها بعدئذ مختلف العلوم والفلسفات، كانوا يحملون عناصر قوية خيرة لحضارة تتطلب التكامل، وتنشد التعاون على انمائها وانتشارها . وقد وجدت ههنا التربة الصالحة للفراس الجديدة ، ووجد كذلك التجاوب الواسع معها ، والاستعداد النشيط لتغذيتها وتنميتها . وما كان يمكن مطلقا ان تفرض الحروب والفتوحات وحدها حضارة معينة على شعب من الشعوب اذ لم يكن لدى ذلك الشعب استعداد للتجاوب معها ، ولتغذيتها وانمائها ، وأكثر من ذلك ، اذا لم يكن في تربة ذلك الشعب نفسه عناصر اصيلة تتجانس بقوة وحيوية مع البذور الجديدة ، وتمنحها القدرة على النمو الصالح.

ولقد كانت هذه العناصر المتجانسة موجودة فعلا في التربة الاسبانية ، ولذلك سرعان ما استطاعت غراس الحضارة الاسلامية ان تزدهر وتينع باوسع ما ازدهرت واينعت في جهات اخرى من الاقطار العربية نفسها التي ظهر وانتشر فيها الاسلام نفسه اولا : فهناك جهات عربية اسلامية ازدهرت فيها علوم الدين وعلوم اللغة العربية والشعر فقط ، ولكن ظل انتشار الفلسفة وعلوم الطب والفلك ، والرياضيات ، والهندسة المعمارية ، وما اليها محدودا جدا ، وفي بعض الاحيان لا وجود له . هذه العلوم كلها ازدهرت اكثر ما ازدهرت في الاندلس ، وفي بلاد الفرس ، والهند ، واواسط آسيا .

وعندما انطلق العرب والمسلمون من جزيرتهم في المشرق والمغرب التقوا بشعوب اخرى ، لها دياناتها ، ولها عقلياتها ، وحضاراتها ، وانماطها الحياتية ، فكان لا بد عندئذ من التجاذب بين العقليات والبيئات ،والحضارات، والديانات ، والمشاعر القومية ، وكان لا بد من التفاعل بينها بعدئذ . ومن هذا التفاعل وذلك التجاذب كانت الحضارة العربية الاسلامية الرائعة ، ومن نتيجتهما ظهرت العقول الباهرة في تاريخ الاسلام : ظهر ابن سينا ، وابن رشد ، والفارابي ، والكندي ، وابن حزم ، والبيروني ، والخوارزمي ، وابن فرناس ، وابن طفيل ،واخوان الصفاء، وابن الهيثم ، وابن خلدون ، والرازي ، وجابر بن حيان، والبتاني ، والعديدون جدا وغيرهم ممن ابدعوا في مختلف نواحي العلوم ، وكانوا منارات تهدي الاجيال من بعدهم .

والى جانب هؤلاء العلماء الافذاذ وسواهم كانت البلدان العربية والاسلامية كلها تزخر بالعديد جدا من الشعراء والناثرين ، وعلماء الشريعة ، واللغويين ، والمؤرخين ، والنسابين ، كما كان فيها الكثير من المغنين ، والفنانين ، وارباب الصناعات والمهن . وباجتماع هؤلاء واولئك جميعا كانت الثقافة الاسلامية الواسعة الغنية ، التي فرضت نفسها على الدنيا اجيالا طويلة بعد ان التقت فيها خلاصات الثقافات والحضارات السابقة والمعاصرة لها، وانصهرت كلها في بوتقة الاسلام واللغة العربية .

وبينما كانت الفنون الادبية اصيلة قديمة في البلدان العربية، لم ينضج التفكير العلمي عند العرب الا بعد امتزاجهم بالشعوب الاخرى في المشرق والمغرب ، وبعد ان ترجمت الى اللغة العربية علوم القدماء ـ من فرس ، واغريق ، وهنود ، وسواهم ـ وتتلمذ عليها الكثيرون، ثم ظهر بين العرب والمسلمين من استطاعوا ان يهضموها هضما جيدا ويشرحوها بعدئذ شرحا بينا ويضيفوا اليها الكثير من نتيجة تجاربهم الشخصية وعقولهم النيرة .

ولقد استطاعت بغداد العباسية ان تكون المجلى الاكبر للنهضة الفكرية الاسلامية لانها كانت ملتقى كبيرا لمختلف الشعوب ، والثقافات : كان يجتمع فيها العربي، والفارسي ، والتركي ، والهندي ، والسرياني ، ويلتقي فيها المسلم ، والمسيحي ، واليهودي ، والوثني . وبذلك كانت بغداد مركزا عظيما للحضارة الاسلامية في أروع مظاهرها ، وكان العلماء والشعراء والفلاسفة من كل قطر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرحلون اليها للتزود من العلم والثقافة الناشئين عن هذا الامتزاج الامي الكبير .

ان هذا كله لدليل قاطع على ان الحضارة ليست سوى نتيجة للتجاذب والتفاعل بين الشعوب ، والعقليات، والبيئات ، والمذاهب ، والثقافات المتعددة ، ولكنها لا تكون ابدا نتاج عقلية واحدة ، وشعب واحد .

من هذه النقطة أعود الى موضوع هذه الكلمة الاساسي . وسأقتصر على بعض عناصر التفاعل الحضاري في الفكر العربي ـ الاسباني ، وعلى الاخص : عنصر اختلاف البيئة المكانية ، وعنصر تعدد المذاهب الدينية والفئات القومية .

لقد ذكرت في ما تقدم أن العرب حين فتحواالاندلس كان في هذه البلاد ثقافتها المسيحية ، وان التفاعل بين المسلمين الفاتحين وسكان البلاد الاصليين هو الذي انتج الحضارة الاندلسية الزاهرة . وانا الان اريد ان ازيد هذه النقطة ايضاحا من بعض جوانبها . فلقد كان لهذا التعايش بين الشعبين والديانتين ، مضافا اليهما اليهود وثقافتهم الدينية ـ وكانوا كذلك من سكان البلادالاصليين ـ أثره الكبير في مختلف مجالات الفكر والفن : في انتشار الجدل الفلسفي والديني ، وفي الهندسة العمرانية ، وفي الشعر ، والموسيقى ، والغناء وكذلك في اسلوب الحياة الاجتماعية .

وعلى الرغم من ان من طبيعة أهل كل دين واهل كل قومية أن يشعروا بالمقاومة العنيدة لكل عقيدة ولكل قومية طارئة تحتل مكانها الى جانب عقيدتهم وقوميتهم ، فقد كانت العناصر الروحية والسماوية ، المتماثلة جدا بين المسيحية والاسلام واليهودية ، ذات اثر كبير في ان تتفاعل مذاهب الفكر الثلاثة تفاعلا جادا وواسعا على أرض اسبانيا . وقد شجع على ذلك ما كان لدى ملوك المسلمين وولاتهم ـ وعلى الاخص في عهد ملوك الطوائف ـ من التسامح الفكري والديني ، ومن تشجيع للعلوم والاداب والفنون هذا التسامح الذي جعل غوستان لوبون يقول: « لم يعرف العالم فاتحا ارحم من العرب » . ومما قاله أيضا المستشرق الاسباني اميليو غارثيتا غوميث : « كانت قرطبة نصف بلد عربي : يتحدث أهله العربية وعجمية أهل الاندلس ، ويختلط فيه رنين الاجراس بآذان المؤذن.. وتجلى اختلاط الناس بعضهم ببعض ، وتجاورت الديانات بعضها لبعض عن جوسمح جميل انساني شفاف» (تاريخ الفكر الاندلسي ـ ترجمة حسين مؤنس ـ ص ٥٩ ـ ٦٠)

يقول المستشرق الاسباني خوان فيرنيت في كتابه (Los Musulmanes Espanôles) في حديثه عن (الفنون الجميلة ـ الهندسة المعمارية) :

«ان المسلمين الاسبان ، باتصالهم بالثقافات الاخرى القائمة في شبه الجزيرة ، قد اقتبسوا عن الشعب المحتل عددا من العناصر وجسدوها . ونستطيع ان نذكر مثلا ، التأثير القوطي ، في القوس الشبيه بالحذوة ».

ثم يتحدث « فيرنيت » عن جامع قرطبة الذي بناه عبد الرحمن الاول على انقاض كاتدرائية القديس فنسنت، والذي شاء به ان يقف وقفة الند امام الخلافة في بغداد . ويقول فيرنيت في هذا الجامع : « ان اول ما نعرفه من الاخبار عن هذا الفن الجديد في العمران الذي نشأ في اسبانيا ، نجده في جامع قرطبة » . ويذكر انه حتى عام ٧٤٨ كانت تقام في كنيسة سان فنسنت الشعائر المسيحية والاسلامية معا : الشعائر النصرانية للمسيحيين المستعربين ، والشعائر الاسلامية . ثم اشترى عبد الرحمن الاول الجانب الخاص بالنصارى المستعربين، واقام الجامع في مكان الكنيسة عام ٧٨٥ . (١) ومن الشرح الضافي الذي كتبه فيرنيت عن بناء الجامع ، نرى انه قد اجتمع في هندسته عناصر من هندسة البناء القوطية للكاتدرائية نفسها ، ومن آثار الهندسة اليونانية ، ثم البيزنطية . وبهذا المزيج الهندسي جاء جامع قرطبة آية من آيات الفن العمراني الاسلامي .

ومن المؤكد ان الهندسة المعمارية الاسلامية كانت دائما متأثرة بعناصر فنية متعددة من شعوب اخرى كانت لها حضاراتها العمرانية . وقد استطاع العرب ان يؤلفوا بينها تأليفا متناسقا ، ويزينوا العمران بالآيات الكريمة بخطوط جميلة زاهية الالوان ، بديعة التنسيق .

واضافة الى فن الهندسة الذي اشتهرت به قصور الاندلس ومساجدها ، هناك أثر الديانتين المسيحية واليهودية الكبير في العديد من المؤلفات التي كانت توضع في الجدل الديني ، وفي التفاضل بين الديانات ، مما جعل للفلسفة ، وكتب التفسير ، ونقد المذاهب سوقا واسعة بين ارباب الفكر من المسلمين والنصارى واليهود . ولعل كتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل » لابن حزم، هو كنموذج واحد من عشرات النماذج . ناهيك بما كتبه ابن رشد ، وابن باجة ، وابن مسرة ، وابن عربي، وابن ميمون ، والكثيرون غيرهم . فهذا التجاذب الواسع، أو التفاعل السلبي بين المذاهب الدينية المختلفة ، كان وسيلة مهمة من وسائل انتشار الفلسفة وكتب الدين . ونحن لا ننسى كم كان لفلسفةابن رشد ، بشكل خاص ، من اثر في كبار فلاسفة النصارى ، ولا سيما في القديس توما الاكويني الذي يعتبر بين اعظم فلاسفة الكنيسة الكاثوليكية . (٢)

ان المقام لا يسمح لي بالتفصيل وضرب الامثلة ، فالمجال المتاح قصير جدا ، ثم ان مثل هذه التفاصيل لا بد ان تكون معرفتكم بها اوسع من معرفتي ، وقد وضعت فيها المؤلفات العديدة المسهبة : بأقلام مستشرقين اعلام من مختلف البلدان ، واقلام كتاب من العرب . وكل

(١) الدكتور حسين مؤنس في كتابه « رحلة الاندلس » ينفي هذه الرواية نفيا باتا (رحلة الاندلس ـ ص ٧٥) . (٢(انظر كتاب El Averroismo Téologico De Santo Tomas De Aquino لميجل آسين بلاثيوس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصدي في هذه الالمامة السريعة ان اضع الايدي على بعض الخطوط الرئيسية ، راجيا عفوكم لاكتفائي بالاشارة دون التفصيل والتمثيل .

ولأنتقل الان الى نقطة اخرى من نماذج تأثر العرب المسلمين باتصالهم بالنصارى، وهي تتعلق بالغناء الشعبي.

لقد اتيح لي ان استمع العام الماضي ، في تونس وفي ليبيا ، الى نماذج متعددة من الغناء الشعبي الاندلسي: سواء في حفلات حية شهدتها في تونس وصفاقس ، ام في تسجيلات اذاعية استمعت اليها في تونس وليبيا. وهم في بلدان المغرب يهتمون الآن اهتماما كبيرا باحياء هذا الغناء الاندلسي ، ويدعونه هناك (المالوف) . ولعل فيكم من استمع مثلي الى هذا المالوف .

في هذا المالوف اثر واضح لالحان الغناء الديني في الكنائس الكاثوليكية . لقد كنت استمع الى المألوف فاشعر بأنني ــ وانا في حفلة كيف وطرب ــ اعود الى الكنيسة ، استمع الى ترانيمها الدينية . ولم استغرب ذلك ما دام هذا الغناء قد نشأ في اسبانيا : ايام امتزاج العرب المسلمين بأهل البلاد النصارى قرونا متعددة ، حيث تتجاور الكنيسة والجامع ، وحيث تحول العديد من النصارى الى الاسلام ، وتركوا الكثير من آثارهم في الفكر والفن ، وفي حياة الكيف والطرب كذلك .

وأنتقل الآن الى نقطة اخرى كانت من عناصر التأثير في رقة الشعر والغناء ،وانفتاح النفوس للتجديد والابداع فيهما تلك هي طبيعة بلاد الاندلس الجميلة التي لم يألف العرب مثلها من قبل . وحسبي ان اورد ههنا ما قاله الشقندي (ابو الوليد اسماعيل بن محمد) في «رسالته» التي كتبها لابي يحي ابن ابي زكريا ، عامل سبته ، في المفاضلة بين الاندلس والمغرب . وقد اورد بعضها المستشرق بالنثيا في كتابه :

Historia De La Literatura Arabigo - Espanola

الذي ترجمه حسين مؤنس الى العربية بعنوان « تاريخ الفكر الاندلسي » . يقول الشقندي واصفا محاسن اشبيلية :

« اما اشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء ، وحسن المباني ، وتزيين الخارج والداخل ، وتمكن التمصر ، حتى ان العامة تقول : لو طلب لبن الطير في اشبيلة وجد ، ونهرها الاعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر ... وزيادته على الانهار كون ضفتيه مطرزة بالمنازه ، والبساتين والكروم والانشام ، متصل ذلك اتصالا لا يوجد على غيره ... وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مسرة ، وان جميع ادوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر ، لا ناه عن ذلك ولا منتقد .. »

ويضيف ايضا :« ان اشبيلية تحوي كل ادوات الطرب .. وان كان جميع هذا موجودا في غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها أكثر واوجد . وليس في بر العدوة من هذا شيء الا ما جلب اليه من الاندلس ».

ولست اريد ان امضي مع الشقندي في ما وصف به قرطبة ، ومالقة ، ومرسية ، وبلنسية ، وغيرها ،وانما اقصد من هذا الاقتباس الخاطف أن ابين ما كان لجمال الطبيعة الاندليسية من أثر في تفتق الاذهان وانفتاح آفاق الخيال ، وتدفق المشاعر الرقيقة في النفوس ، والانطلاق في فنون الحياة الرخية ، واتساع مجال الفنون لدى العرب الذين لم يألفوا ذلك من قبل في بلادهم ، فلما وجدوه هنا اغترفوا منه مادة لادبهم وشعرهم وتفكيرهم وحياتهم . يؤكد ذلك الشقندي نفسه في رسالته ، اذ يذكر انه يختلف كل الاختلاف عما « نجده في المغرب من فقر في نواحي الحضارة ، وجدب طبيعي » ، كما يذكر انه ليس لنهر اشبيلية ومتنزهاته مثيل في مصر ولا في بغداد . واذا لم يكن له مثيل في مصر ولا في بغداد فطبيعي انه ليس له مثيل في شبه الجزيرة العربية كذلك .

هذا الجمال في الطبيعة ، وما من حياة السكان الاسبان من تفتح وانطلاق وحب للهو ، كان جديدا ، وكان لا بد له من تأثير مباشر في العرب الفاتحين : فكرا ، وفنا ، وحياة .

لقد اقتصر حديثي هذا على عناصر التفاعل بين العرب والاسبان ، وبين الفكر الاسلامي والفكر المسيحي في عهود الحكم العربي في الاندلس ، وما كان لهذا الامتزاج بين الشعبين ، والتفاعل بين الديانتين ، من أثر كبير في وصول الفكر العربي الاندلسي الى ما وصل اليه من الازدهار المدهش . وانا لو اردت ان ابحث في اثر هذه الثقافة الاندلسية العربية في العالم من بعد ذلك لكنت كالسابح في بحر لا حدود له . لقد كتبت في هذا الكتب العديدة ، وما زالت تكتب الى اليوم ، وستظل تكتب الى اجيال اخرى . ولن يكون حديثي فيه سوى تكرار لافكار معروفة .

ان اثر الفلسفة العربية ــ الاندلسية في الفكر الغربي ، واثر الموشح والزجل في الشعر الاوروبي ، واثر الغناء الشعبي العربي ــ الاسباني في الغناء الشعبي الغربي ، كل هذا اوسع من ان تحيط به محاضرة ، او يتسع له كتاب ، ومثله ايضا اثر فن البناء الاسلامي الاندلسي ، واثر العلوم الفلكية ، والطبية ، والرياضية ، والجغرافية ، وعلم الاجتماع ، وغيرها من العلوم العقلية والبصرية العربية .

وانه لمن حق اسبانيا ان تفاخر بانها كانت الوعاء الذي انصب فيه ذلك كله ، والجسر الذي عبر عنه الى العالم الغربي بأسره . لقد شاركت اسبانيا في كل ذلك مشاركة جدية فعالة ، ولم تكتف بان تمد يدها للاخذ فحسب ، وبذلك كان لها فضل المشاركة في البناء وفي العطاء ، كما كان لها من جراء ذلك فضل التهيئة للنهضة الاوروبية من بعد .

عمان ــ الاردن

عيسى الناعوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أندلسيات :

سقوط طليطلة

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى » في لندن

سقطت طليطلة في يد الفونسو السادس سنة ١٠٨٥ م فاهتزت لذلك أركان الاندلس وكأن الارض قد مادت من تحت أقدامها . وكانت الاندلس آنذاك تشبه رجلا لاهيا سادرا في لهوه فجاء من لطمه لطمة عنيفة على وجهه جعلته يصحو بعدها ويقف مبهوتا مشدوها وكأنه لا يصدق ما حدث لشدة غرابته . ولم يكن أحد من ملوك العرب والمسلمين في الاندلس يحب «القادر بن ذي النون» صاحب طليطلة ولم يكن « القادر » من النوع الذي تسهل محبته على الناس . ومن الطريف ان لقب « القادر » كان أشبه بتسمية الامور حسب اضدادها كأن نسمي الغراب بأبي البيضاء ونسمي المريض بالسليم ، ذلك لان صفة الاقتدار لم تكن من صفات « القادر » في شيء ولو تسمى بما يليق به لكانت صفة « العاجز » أو الخانع أقرب الى حقيقته وأصدق . وعن هذه التسمية وأمثالها قال ابن رشيق عندما زار الاندلس :

مما يزهدني في ارض اندلس القاب معتمد فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

وكانت طليطلة عاصمة اسبانيا قبل دخول العرب . ولما دخل طارق سار بقواته بعد معركته الاولى صوب طليطلة رأسا . فقد عرف ذلك النابغة العسكري ان من قبض على طليطلة فقد قبض على الاندلس كلها فهي قلب الجزيرة وتكاد تتوسطها تماما وتقع فوق هضاب عالية يضاف الى ذلك انها كانت ذات مكانة خاصة في قلوب الاسبان . ولهذا بقيت أثناء الحكم العربي لها الذي دام ثلاثمائة وسبعين سنة عاصمة الاسبان الروحية ورمز سيادتهم القديمة ولذلك فان استرجاعها كان امنية من أعز امنياتهم وحلما من أعذب أحلامهم .

وتقول الرواية الاسبانية ان العناية الالهية قد يسرت السبيل الوحيد لاحتلال طليطلة وذلك هو تعريف الفونسو بوسائل الدفاع الداخلية وطريقة توزيعها ومقدار قوتها الفعلية . ولذلك قصة طريفة هي ان الفونسو عندما توفي والده هرب من وجه أخيه « سانشو » الذي استأثر بالملك دونه والتجأ الفونسو الى ملكة طليطلة محتميا بالمأمون بن ذي النون جد القادر . وأكرم المأمون وفادته وعاش عنده الفونسو تسعة أشهر معززا مكرما .

وقد تعرف في تلك الفترة على وسائل الدفاع الداخلية للمملكة وبقي هناك الى ان قتل اخوه « سانشو » وجاءه رسول وهو في طليطلة ينبئه بان عرش قشتالة قد آل اليه . ويعلم المأمون بن ذي النون ان الفونسو سيصبح ملك قشتالة فيطلب منه قبل ان يسمح له بالذهاب ان يقسم بان لا يحاول الاستيلاء على طليطلة اثناء مدة حياة المأمون او حياة ابنه من بعده فيقسم له الفونسو بذلك . وتشاء المصادفات ان يتوفى المأمون بعد ذلك باربع سنوات فلا يخلفه ابنه بل حفيده يحيى القادر . وهكذا يصبح الفونسو في حل من قسمه السابق لان القسم شمل الابن ولم يشمل الحفيد .

وكانت تحيط بطليطلة من الممالك العربية مملكة سرقسطة من الشرق واشبيلية من الجنوب وبطليوس من الغرب . وكانت مملكة طليطلة في نزاع دائم معها جميعا لا سيما مع مملكة سرقسطة التي كان يحكمها « مقتدر » آخر هو المقتدر بن هود . وقد يصب على المرء ان يجد خلافا في التاريخ العربي اكثر شؤما ونحسا من الخلاف بين المقتدر والقادر خصوصا وان ذلك الخلاف الانتحاري كان قائما على امتلاك قلعة صغيرة تقع بين المملكتين لا تضر ولا تنفع ومع ذلك نجد ابن ذي النون يدفع الاموال للملك قشتالة ليقوم الاخير بالعيث والتخريب في مملكة سرقسطة ويرد على ذلك ابن هود فيدفع اموالا اكثر للملك قشتالة ليقوم بالعيث والتخريب في مملكة طليطلة . وتكون النتيجة ان يهاجم الاسبان ارض المملكتين العربيتين باذن من ملكيها فينهبون الاموال ويخربون الزرع ويسبون النساء والاطفال ثم يأخذون الاجر على ذلك .

اما المعتمد ملك اشبيلية فلم تكن علاقاته بالقادر احسن من علاقات ملك سرقسطة . فقد كان المعتمد يغتنم فرصة انشغال القادر فيأخذ الحصون المتاخمة لبلاده واحدا بعد الاخر . وكان يتطلع الى توسيع رقعة مملكته توسيعا كبيرا بضم القسم الذي يقع جنوب نهر التاجة من مملكة طليطلة . وكان يتفاوض مع الفونسو على هذا الامر ، ويقال ان الاتفاق قد تم فعلا بين الطرفين على ان يأخذ المعتمد المنطقة التي يريدها ويرضى بأن يستولي الفونسو على طليطلة . وتقول المراجع الاسبانية ان المعتمد قد زوج الفونسو في ذلك الحين من ابنته « زائدة » تأكيدا لولائه ، وتثبيتا لاتفاقه . ولا شك ان الفونسو قد تزوج من اهل المعتمد ولكن الارجح انه تزوج كنة المعتمد اي ارملة ابنه سراج الدولة وقد تسمت باسم ماريا وانجبت له ولده الوحيد « سانشو » وولي عهده فيما بعد .

واخيرا يضيق اهل طليطلة ذرعا بالقادر فيخلعوه فيهرب ويختبىء في قلعة بعيدة ويرسل اهل طليطلة الى ملك بطليوس « المتوكل بن الافطس » ليأتي ويحكمهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وياتي المتوكل وهو كاره ويحكم طليطلة عشرة اشهر الى ان يستجير القادر بالفونسو ويذكره باحسان جده اليه . فيوجه الاخير جيشا الى طليطلة يعيد القادر من جديد الى عرشه السابق ويعود المتوكل الى بطليوس راضيا من الغنيمة بالاياب .

ولكن لا تلبث خطورة ذلك الحدث الجلل ان تبدو واضحة عند الامعان في النظر فقد احست الاندلس العربية لاول مرة ان سيادتها العسكرية او تفوقها على عدوها لم يعد كما كان منذ ايام الفتح أمرا طبيعيا لا جال فيه بل أصبحت الامة العربية بين عشية وضحاها تحت رحمة عدوها واصبح الفونسو قادرا على محاربة الممالك العربية كلها مجتمعة والانتصار عليها .. ويقول في ذلك مؤرخ عربي بعد سقوط طليطلة « وبذلك اخذ القشتاليون بمخنق الاسلام وبركوا على قلبه في جزيرة الاندلس وصار بعدها ثغره معورا وأمره مدبرا » . واحس الناس احساسا عميقا بالهزيمة والخوف من المستقبل . وفي ذلك قال ابن العسال وهو عبد الله بن فرج اليحصبي على أثر سقوط طليطلة :

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس ... فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى ... ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ولدينا صور شعرية كثيرة تظهر حال طليطلة في تلك الفترة فهذا شاعر يقول لابن ذي النون وكان يبني قصرا من قصوره العديدة :

أتبني بناء الخالدين وانما ... بقاؤك فيها لو علمت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية ... لمن كل يوم يعتريه رحيل

وقال شاعر آخر يصف طليطلة بعد ان غادرها اهلها :

أضحت طليطلة معطلة ... من اهلها في قبضة الصفر
تركت بلا أهل تؤهلها ... مهجورة الاكناف كالقبر

أثناء كل هذا بقي الجبار نائما مستغرقا في سباته ذلك هو الشعب العربي في الاندلس . فقد كانت الدسائس والمشاحنات تقوم بين ملوكه ولم تكن له فيها ناقة او جمل وكانت ملوكه ترهقه بالضرائب الباهظة فيذهب معظمها جزية للملوك قشتالة وليون وينفق الباقي على حياة البذخ والترف والرفاهية . ولهذا لم يكن هناك اتفاق في الاتجاه والمصلحة بين الشعب العربي من جهة وبين حكامه من جهة اخرى . وهذا يفسر الاهمال في رغبة الناس للقتال ويفسر الاهمال الذي كان يقابل به الناس مصاير اولئك الملوك . فمثلا عندما جرى بعد بضع سنوات للمعتمد بن عباد ما جرى من ذل وأسر لم ينتصر له احد ولم يحاول شعبه ان يساعده في شيء . هكذا كانت الاحوال قبل « البطشة الكبرى » وانقضاض الفونسو على طليطلة عاصمة القوط القديمة وحجر الزاوية في بناء الاندلس تلك التي قال عنها الشاعر :

زادت طليطلة على ما حدثوا ... بلد عليه نضرة ونعيم
الله زينه فوشح خصره ... نهر المجرة والفصون نجوم

وبعد حصار دام تسعة اشهر دخلها الفونسو (الاذفنش) ظافرا ونزل في قصرها المشهور الذي كان ينزل فيه ايام محنته في ضيافة المأمون . أما « القادر » فيصف لنا ابن بسام خروجه من طليطلة بهذه العبارات « وخرج ابن ذي النون خائبا مما تمناه شرقا بعقبى ما جناه والارض تضج من مقامه وتستأذن في انتقامه والسماء تود لو لم تطلع نجما الا كدرته عليه حتفا مبيدا ولم تنشىء عارضا الا مطرته فيه عذابا شديدا واستقر بمحلة اذفنش مخفور الذمة مذال الحرمة ليس دونه باب ولا دون حرمه ستر ولا حجاب . حدثني من رآه يومئذ بتلك الحال وبيده اصطرلاب يرصد فيه أي وقت يرحل وعلى أي شيء يعول وأي سبيل يتمثل . وقد اطاف به النصارى والمسلمون اولئك يضحكون من فعله وهؤلاء يتعجبون من جهله » .

وهنا نقف قليلا لنسترجع الاحداث الرئيسية في هذه القصة الاليمة .. لا شك ان الممالك العربية كانت في نزاع مستمر وحرب دائمة فيما بينها وكانوا يصانعون عدوهم المشترك ويدفعون له الجزية . وقد ذهب المعتمد الى حد التواطؤ معه في أخذ طليطلة . ومع ذلك نجد ان الاندلس تهتز من اقصاها الى اقصاها وتحس بسقوط طليطلة احساسها بزلزال قد أصاب الدنيا فقلب الاوضاع راسا على عقب ويستغرب الدارس لاول وهلة عنف ذلك الانفعال وشدته لا سيما وان سقوط طليطلة يبدو نتيجة حتمية طبيعية للظروف السائدة في ذلك الحين .

هناك بعض الشبه بين سقوط القدس وسقوط طليطلة . وتنحصر أوجه الشبه في قيمة المدينتين من الناحية العاطفية عند الجانب الاخر ثم الانفعال العنيف الذي ظهر على الشعب العربي عند سقوط المدينتين يضاف الى ذلك ان العدو اصبح يتيه بقوته ويدل بعنفوانه لان الاوضاع العسكرية قد انقلبت بشكل فجائي . ولو لم اعرف ان هذه الابيات قيلت في أهل طليطلة لقلت انها في اهل فلسطين :

كفى حزنا بان الناس قالوا ... الى أين التوجه والمسير
أتترك دورنا ونفر عنها ... وليس لنا وراء الارض دور
فنح وانـدب رفاقا في فلاة ... حيارى لا تحط ولا تسير
لئن غبنا عن الاخوان انا ... باحزان واشجان حضور
وكان بنا وبالقينات أولى ... لو انضمت على الكل القبور

ونستطيع اليوم ان نرسل لعدونا نفس الرسالة التي ارسلها آنذاك المتوكل بن الافطس ، ملك بطليوس الى الفونسو السادس يرد بها على تهديده ووعيده فيقول :

« اما تعييرك لنا فيما وهى من احوالنا فبالذنوب المركوبة ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الاملاك علمت اي مصاب اذقناك كما كانت آباؤك تتجرعه . وما تتربصون لنا الا باحدى الحسنتين :

نصر عليكم فيا لها ... من نعمة او شهادة
في سبيل الله ... فيا لها من جنة »

غرناطة

ذكراك يجهش دونها الندم ... وبها يضج الجرح والالم
تبلى العصور وعار ما اجترحت ... كف الهزيمة ليس يلتئم
أشجاك أن بنيك من خور ... خذلوك عند البأس وانهزموا
حذروا الحمام فأحجموا سفها ... والموت في العيش الذي وهموا
يا بؤس للقوم الاولى جبنوا ... عن حفظ ما تستودع الذمم
عيش الذليل على المدى غصص ... من دونه الاوجاع تلتطم
ولرب عيش من مهانته ... يحلو لديه الموت والرجم
من نام قرب النار تحرقه ... النار ما تلقاه تلتهم

ما كان أفجع ما رويت لنا ... بلسان حال ليس يتهم
أعربت بالشكوى فهجت لنا ... شجنا كغرب النار يضطرم
وأثرت أوجاعا نكاتمها ... حينا على كره ونبتسم
شكواك ما رسم المغيب على ... لوح السماء وردد النغم
وحفيف أوراق تعابثها ... وهنا يد لنسائم وفم
تطوين اوجاعا وينشرها ... رجع الصدى والسهل والاكم
أوليس في ناي المغيب صدى ... من دونه الزفرات تنسجم
كم تعرب العبرات عن شجن ... في وصفه تستعجم الكلم

استرفد الذكرى فتعرض لي ... صور تشيب لهولها اللمم
وتغص أجفان بحرقتها ... من ذكريات حشوها السقم
من ذا ألوم وما أقول اذا ... قسط البنون وعقت الرحم
ان العداة بنوك حين مشوا ... في عاصف الاهواء وانقسموا
أحقادهم ما بينهم عصفت ... بغوارب وكانها حمم
يتقاتلون على الهوى شططا ... وديارهم بيد الردى رمم
قصرت عن العلياء همتهم ... وامتد باع للخنا وفم
ان الاولى في ظلم ما اقترفوا ... صرعوا وكانوا الاثمين هموا

(حمراء) (١) ما تخفين جاهدة ... أوجاعه ما ليس ينكتم
شر المصائب ما جنته يد ... لم يثنها عن ظلمها رحم
والعار حي لا يموت اذا ... قدم الزمان وبادت الامم
ان الخيانة ليس يغسلها ... من خاطىء (٢) دمع ولا ندم
هل رد دمع سال صيبه ... ما ضيع الخزلان والهرم
دمع الهوان العار ليس له ... من راحم ويمجه الكرم
تغلو الديار بأهلها لكم ... بالاسد عز الغيل والاجم
والعجز زلزل شامخا وطوى ... للمجد ركنا ليس ينهدم

دمشق — عدنان مردم بك

(١) قصر الحمراء المشهور (٢) لما انسحب ابو عبد الله الصغير اخر ملوك بني الاحمر اخذ يبكي

لذلك الموقف الشريف الذي وقفه في ذلك الحين . ومما يثلج الصدر ان الله قدر لذلك « الشهم » بعد سنة واحدة ان يشاهد الحسنة الاولى تتحقق في معركة الزلاقة وذلك في اكتوبر سنة ١٠٨٦ م. ومن يدري فقد يمن علينا الله فتكتحل اعيننا نحن ايضا بزلاقة جديدة وما ذلك على الله بكثير .

لندن — فؤاد جبور حداد



يوسف عبد المسيح ثروة

مسرح صموئيل بيكيت

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

صموئيل بيكيت (١٩٠٦ ـ ..) قاص وكاتب مسرحي ارلندي ولد في دبلن . هاجر ـ وهو في مقتبل شبابه ـ الى فرنسا وهناك تعرف على جيمس جويس ، وعاد الى دبلن في اواخر الثلاثينات ليدرس في كلية Trinity . وفي سنة ١٩٣١ ترك مهنة التدريس وطاف في ارجاء كثيرة من اوروبا واستقر به المقام في باريس عام ١٩٣٧ ، ومن هناك بدأ نشاطه القصصي والمسرحي ، ولما كنا في صدر دراسته بصفته كاتبا مسرحيا فاننا سنضرب صفحا عن قصصه التي لم تنل ما نالته مسرحياته من شهرة طائرة وصيت واسع ..

كتب بيكيت مسرحيات عديدة منذ ظهور مسرحيته « بانتظار غودو » سنة ١٩٥٣ ومنها « نهاية اللعبة » و « كل الساقطين و « الجنوات » و « الايام السعيدة » و « فصول بلا كلام » وآخر مسرحية ظهرت له هي « مسرحية » سنة ١٩٦٣ ..

فما هي المميزات البارزة في مسرح بيكيت ؟ وما هي مقومات هذا المسرح ؟ وما هي المنطلقات الفكرية التي يصدر عنها هذا المسرح ؟ وما هي مكانته بالقياس الى مسرح العبث ؟ ودور هذا المسرح في المسرح العالمي الحديث ؟ هذه الاسئلة وكثير غيرها تتوارد على الذهن مسرعة متلهفة احيانا ووانية احيانا اخرى بغية الحلول الشافية ، ولا سيما في بلدنا الذي يجد نفسه منذ عهد قريب تجاه مذاهب فكرية جديدة اتخذت لها مضامين مسرحية جديدة على أيدي سارتر وكامي وروبلس واونيسكو .. واخيرا جاء دور بيكيت ، الذي يز الجميع في القدرة على التغريب والاغراق في الوحشية الفكرية والتحليق في السدم والمجرات ، وفي الغوص الى اعماق النفس ، الى اسافل الحثالة في هذه الاعماق ، وفي التعرية العنيفة للصفيف من الاستار والبراقع والاقنعة .

وبلدنا حائر بائر ـ وهو في صدد هذا الطوفان ـ من الافكار الغريبة الجديدة ، وعلة هذه الحيرة يعزى ـ بالدرجة الاولى ـ الى افتقادنا الى دراسة جدية موضوعية نقدية للفكر العالمي المعاصر ، بفروعه وتشعباته وتفرعاته ، فما ينقل الى لغتنا ـ في هذا الصدد ـ لا يعدو ترجمات لكتب ذات اتجاه معين : فمن البراغماتية والوضعية والوجودية والعدمية الى ادب (اللا معقول) وكلها تنفرد بصفة مشتركة هي الاهتمام المرضي بالذات الفردية ، وتمكينها من التشرنق في الشرنقة الحريرية وابعادها ـ ولو من طريق فكري ـ عن الالتمام بالذوات الاخرى ، بالاخرين ، حتى اذا كانت الوسيلة الى ذلك الانسلاخ المزيد من الاغراب والاغراق في الحذلقة والاستغراق في السفسطة والعنجهية الذهنية ! .

هذا عن الفكر بعامة اما عن المسرح بخاصة ، هذا الحقل الخصب الذي اخذ يتوسع ـ على حساب الحقول الاخرى في ارجاء العالم المثقف كافة فانكماشنا عنه ـ باستثناء الكتابة ـ مدة طويلة ، وانفتاحنا المفاجيء عليه في الفترة الاخيرة ـ وضعنا في موضع المنتبه لتوه من نومه بفعل كابوس حلم على افظع ما يكون من الثقل والعنف والفجاءة ، فانبهرت انفسنا بسبب عدم استعدادنا وميوعة مواقعنا الفكرية وتسيبنا الايديولوجي المتشبث باللبرالية الفوضوية ، والتذرع بالشهادة (ان وجدت) امعانا في الكسل الذهني ، وكل هذه الامور تفتح السدود على مصاريعها امام تيارات الفكر العابثة واللا معقولة والبعيدة عن ارضية الواقع ، والمحلقة في سديم (الانا) واجواء اللاجدوى ..

هذه التيارات استطاعت ـ في غفلة من الزمن ـ وعلى حساب الفكر الجاد والباحث المنقب ـ ان تفصلنا عن واقعنا الحي ، وان تبدد قوانا وتشل فعاليتنا وتمزق قدراتنا ، فيكون ما يكون من آثار الطوفان التي لا نزال نواجهها بقلوب دامية ونفوس مهيضة ، ونحن لا نعرف سبيلا واضحة في ميدان الفكر الوسيع ، اذا اختلطت علينا السبل واختلفت امامنا الافاق ، وتاه الادلاء المعنيون بالفكر ، فاذا ما قالوه البارحة بشأن فلان لا يصلح ان يكون اليوم دليلا هاديا ، في الطريق الفلانية ، واذا بنا في ليل بهيم ، يحل بارضنا ثقيلا ثقل الرصاص ، ونحن تائهون نتعثر هنا وهناك طلبا لضوء نجمة قصية او شهاب عابر ! يأخذنا هذا الكاتب العابث يمنة ليتسلمنا كاتب عابث آخر يسرة ، وكلهم في العبث سواسية ، واذا لم يعد العبث ينطلي على ابناء الغرب منذ سنة ١٩٦٢ كما هي شهادة الاستاذ الناقد ج. آر تايلر (١) . فهو لا يزال منطليا علينا ، لان الجدة تبهرنا عن حقيقة هؤلاء العابثين الكبار من الكتاب الذين تعرت مواقفهم وتبدت حقيقتهم، واستقر امرهم على ما استقر عليه ، واذا هم كهنة فريسيون، ظاهر وجودهم بياض ناصع كالقبور المكلسة وباطنهم عظام نخرة وجيف تعيش على اغلالها الديدان كما كان يقول الناصري بحق وحقيق!

ومن يكون بيكيت غير واحد من اساطين العابثين من الكتاب الذين لا يجدون معنى لاي شيء لانه لا سبب لاي شيء ؟ قد يكون في هذا غلو او اعتباط او مغالاة وتجن ، وقد اكون مخطئا ، وانا في بداية بحثي ان اقول ما اقول ، وارجو ان اكون كذلك دفعا لمختلف الظنون والاوهام . ولكن الحقيقة ـ مع مزيد من الاسف الفاضب ـ لا تفر من كونها حقيقة وان عذبت واهينت ووضعت في قفص !

فمن مميزات مسرح بيكيت معالجة تفاهة الكون والوجود الانساني، وحقيقة الفراغ وسقم الصراع بين التفاهة والوصول الى هدف معين في الحياة ، وعدم وجود معنى ، مهما يكن هذا المعنى هزيلا سقيما ، والتوكيد على هزلية الحياة ،واعتبارها لعبا ولهوا ، والاقتصار على هذا اللهو واللعب وهكذا « فان فكرة الحياة كلعبة وكمحاولة الانسان للعب تظل الموضوع الرئيسي في المسرح البيكيتي (٢) » وكذلك الصلات الانسانية ليست سوى مجهودات ضرورية لخلق التوتر الذي هو ضرب من ضروب اللعب ... وجمال هذه الصلات (من ناحيتي الزمان والمكان) هو الحلبة الطبيعية الملائمة للعب الاطفال الاشرار ، الذين هم نحن

وانتم وهم .

ان مسرح بيكيت لا يعترف بوجود الحياة الا بصفة هذا الوجود تفاهة كبيرة وسخافة دامية مأساوية .. ولذا فحواره الذي يتضمن في توتر مسرحه ، حوار مليء بالقتامة والبؤس والاستخذاء المهين ، و « هذا التوتر هو وجودنا نفسه » . وكل مظاهر الحياة ـ عند بيكيت ـ ليست غير ولادة وفراغ وموت . ومن ثم فالعبث هو ظل الحياة الظليل ، هو الوجود نفسه ، بسقمه وقماءته وشروره ، هو الميسم الذي يسم كل شيء في هذه الحياة ، ولهذا السبب بالذات فان بيكيت لا يصارع في مسرحه الشر بصفته طابعا سلبيا في الحياة، بل يعادي الحياة نفسها باعتبارها دملة كبيرة في هذا الوجود ، في الكون ، والعالم ، وفي الانسان نفسه . واذن ليس ثمة من محبة وحب وتعاطف ومشاركة واحدة في مصير واحد ، بل مقت متقابل شديد ، مستور باغشية النفاق والرياء والمخاتلة . الفرد يكره الفرد فهو نقيضه ، والفرد يكره المجتمع فهو عدوه ، والمجتمع يمقت الفرد فهو غريمه ، والكل في غمرة البغضاء غارقون . لا أمل لا رجاء ، لا طريق من هاوية الفراغ واللا جدوى واللا معنى !

اما مقومات مسرح بيكيت ، فتبدو في فكرة الانسلاخ عن الواقع الحي ، وابعاد الانسان عن تاريخيته واجتماعيته ، وفي جو الرعب المذهل الذاهل الذي يسيطر على كل شخوصه ، ومحاولة قتل الوقت باللجوء الى تفاهات وسخافات رمزية . والاهتمام بالتعلق الذهني بشيء ، قد يحصل او لا يحصل ، اي التوقع المليء بالهواجس السود، وحشد المواقف السلبية حشدا مقصودا بغية القضاء على كل امل او رجاء في فرج قريب او بعيد ، والتوكيد على انعدام الزمن ، وبقاء الاشياء في مواضعها ، على الرغم من الحركة الظاهرية المشلولة . واكبر دليل على انعدام الزمان هو الانتظار الذي لا ينتهي ، والذي ليس له قرار . والانتظار في نفسه ـ مرارة علينا ان نتجرعها لانها هي القيمة الوحيدة في الحياة والحركة نفسها ، اذا وجدت ، فهي ليست انطلاقا حيا واستجابة من انسان حي ، انها موجودة لا وجودا عيانيا بل وجودا وظيفيا ، انها لازمة من لوازم ازجاء الوقت ، قتل الفراغ ، عمل المستحيل ، في عالم ميت ووجود هامد .

اما المنطلقات الفكرية التي يصدر عنها مسرح بيكيت فيمكن تركيزها في العدمية الميتافيزيقية ، التي تدرس ظاهرة الانسان دراسة ذاتية بعيدة عن كل موضوعية ، فهي تتجاوز الحواجز المادية للوجود البشري بانتزاعها هذه الحواجز وعرض هذا الوجود عرضا سلبيا عاريا، اي وضع الانسان امام مصيره بصفته كائنا فريدا ، لا تربطه بالمجتمع اية روابط ، لان جميع الروابط مواضعات اجتماعية ينبغي عدم الاعتراف بها ولان الظاهرة الانسانية ظاهرة عشوائية غير قصدية وغير غائية ، اي انها طرح او انبثاق في الوجود ، حدث بلا سبب مبرر ، ولا استجابة لاية عوامل ضرورية ، كامنة في دورة الوجود ، في العالم ، وفي الكون . والعدمية الميتافيزيقية تسعى جاهدة الى اثبات سخف الوجود الانساني وعدم معقوليته وسديمية مضمونه ، ومن هنا فقد كان لعزل الظاهرة الانسانية عن غيرها من ظواهر الحياة صلة وثقى بالعدمية من حيث كونها فلسفة تهتم اشد الاهتمام بانفرادية كل ظاهرة ، ودراستها على ذلك الاساس ، من جهة وافراغ المحتوى الايجابي من هذه الظاهرة بحيث تتحول الى اداة سلب ، بل موضوع سلبي في النهاية من جهة اخرى ..

ان العدمية ـ فلسفة وتفكيرا وسلوكا ـ تعني ـ في مضمونها وشكلها ، وفي كل تفرعاتها ـ الى سلب التاريخ من مضمونه التطوري وقيمة الانسانية ، ونكران كل القيم التي جاهد الانسان ـ عبر تاريخ وجوده الحضاري والمدني ـ على تثبيتها وتركيزها وتاصيل جذورها .. ان السلب والعزل هما الركنان الاساسيان في العدمية الميتافيزيقية ، ولهذا ف « بطل مثل هذا المسرح ليس فقط بطلا ممزقا بشكل دائم وقائما خلف نفسه ، ولكنه ممثل يتصارع مع اقنعته » لان « كل شيء في الواقع غير حقيقي » ومن ثم فوجود الانسان نفسه هو موضوع سؤال كبير ، لا يفترض اساسا وجود حل له .. ذلك ان العدمية تضع السؤال تلو السؤال من غير ان تجهد نفسها لايجاد اي جواب .. اذ لا جواب ، في هذا الوجود يمكن الاطمئنان اليه !

مسرحية : في انتظار غودو

ان مكانة بيكيت في مسرح العبث مكانة مرموقة ، وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد يوجين اونيسكو ، وقد احتل هذه المرتبة بجدارة بمسرحيته « في انتظار غودو » وهي خير مسرحية كتبت بمداد الفكر اللا معقول ، لان مؤلفها بقدرته الدرامية استطاع ان يشد ذهن المشاهد والقارىء شدا غريبا ، على الرغم من عدم وجود مضمون معقول في المسرحية ، وعلى الرغم من بشاعة جوها ، وقتامة طورها ، وتفاهة شخوصها ، وسطحية وجودها .. ومرد ذلك ـ على ما اعتقد ـ هو قدرة الكاتب على تحميل الترقب المسرحي طاقة حيوية مدهشة تمتص شخوصنا بعد جذبها اليها ، وتحيلنا بحبكتها الدرامية الى شخوص تنتظر كما هي الحال بالقياس الى بطلي المسرحية . وقد كان لهذا الايهام ، فعل السحر في المسارح العالمية ، بحيث ادى الى ان يكون لهذه المسرحية شأن واي شأن في النظارة والقراء والنقاد على حد سواء . غير ان هذا الضياء الغامر وصل اقصى حدود انتشاره ، ومن ثم فلا بد له انيعود الى مواضع انحساره ، وها هو في طريقه الى ذلك ، بل هو قد عاد ! .

فقد اخذ مسرح اللامعقول ، بالقياس الى المسرح العالمي ، في شتى مذاهبه ـ النقدية والملحمية والرمزية والواقعية ، يتراجع لان ميتافيزيقيته غطت على وجوده ، كقوة محولة ، مغيرة ، باعثة على الحياة ، ساعية الى صعيد اسمى من صعيدنا ، وجعلت منه قوة معوقة ، وحواجز تحول بين الانسان وبين ان يرى شيئا ابعد من انفه. على الرغم من انها ادعت ولا تزال تدعي انها لم تفرز الانسان عن وجوده الا لكي تعرضه عاريا كما هو في مخاضه وولادته ووجوده الاجوف وانتظاره المرعب ، وموته . الذي هو الحل الوحيد لمعضلة وجوده . ومن الادلة على تراجع هذا المسرح هبوب عاصفة شديدة من النقد حتى في الولايات المتحدة نفسها . ولكي نكون منصفين فيما ذهبنا اليه عن مسرح العبث لا بد لنا ان نلتفت الان الى شواهد تثبت ما ذهبنا اليه ، فلنمد ببصرنا الى مسرحية (بانتظار غودو) ففيها الشيء الكثير من هذه الشواهد ...

المسرحية كما يعنونها المؤلف (مأساة هزلية) تتالف من فصلين: المشهد : طريق ريفية . شجرة . الوقت مساء . البطل الاول ايستراغون (مستسلما) يحدث صاحبه مبتدئا : « لا شيء يمكن فعله » فيجيبه فلاديمير : « لم يعد المرء يستطيع حتى ان يضحك . » ايستراغون يصف البشر جميعا بكونهم قردة جاهلة .. انه يواجه النظارة ثم يلتفت الى فلاديمير فيطالبه بالمسير لكنهما لا يستطيعان . لماذا ؟ لانهما بانتظار غودو . ويلتفت ايستراغون الى اوراق الشجرة ، فاذا بها جافة ميتة ، ويعود ببصره الى صاحبه ليتاكد من المكان ، من الشجرة ، من محل الموعد . واذا بصاحبه ليس متاكدا من المكان المعين كما هي الحال بالقياس اليه .. ان الاثنين مرتبطان لاول مرة بشخص هو غودو ، وهما يظنان ان اسمه هو كذا ...

وحين يتحدثان عن مذاق رأس الجزر ، الذي هو هنا مذاق الحياة . لا يعدو الحوار بينهما عن اجتهاد بسيط ، فالمذاق نفسه هو مسالة مزاج ، او اخلاق ، او قصور لا يمكن فعل شيء تجاهه ... ذلك انه لا فائدة من الصراع ، فالانسان هو هو . والشيء الجوهري فيه لا يمكن ان يتغير . ويحل بوزو ضيفا لينظم الى الجوالين التائهين . فيظنانه غودو ويخيب ظنهما ويكون مع بوزو عبده « لكي »

الذي يشد قياده بحبل متين . ويوكد بوزو وجود المصادفة العمياء في مسيرة الحياة ويذكر ايستراغون وفلاديمير بتلك الحقيقة بقوله : « تذكرا انني كان يمكن ان اكون في حذائيه ، كما كان هو يمكن ان يكون في حذائي لو لم ترغب المصادفة في خلاف ذلك . » وعندما يساله فلاديمير : « الا تريد التخلص منه (يقصد من لكي) ؟ يجيبه بوزو : « .. الحقيقة انك لا تستطيع ان تقصي هذه المخلوقات بعيدا عنك . فاحسن شيء تستطيعه هو ان تقتلها » .

لكي بعد ان بكى كثيرا ينقطع عن البكاء ، فيعلق على ذلك بوزو متوجها بحديثه الى ايستراغون : « .. ان دموع العالم كمية ثابتة . فكلما بدا احدهم يبكي انقطع آخر من البكاء » . ثم يضحك بوزو ويستطرد قائلا : « دعنا اذن لا نتحدث حديثا فيه قسوة على جيلنا ، فهو ليس اشد تعاسة من اسلافه » . ويتوقف الوقت فجاءة ، ويبدو كل شيء للكي اسود داكنا .. ويريد بوزو ان يتحرك ولكنه يفطن الى غفلته ويتساءل عن اسم ايستراغون بقوله : « ما اسمك » فيجيبه الاخير : « آدم » . وينسى انه ساله هذا السؤال وينظر الى السماء فيفكر فيها مليا ويقول : « .. وراء هذا الستار من الرقة والسلام والهدوء يتمخض الليل وسينفجر علينا تماما في الوقت الذي لا نتوقعه » . ويختتم كلامه : « هكذا تجري الامور على ظهر الارض الكلبة هذه . » ويساله ايستراغون عن امر ما فيرد عليه بان ذاكرته ضعيفة ، وهنا ينتبه ايستراغون الى نفسه ويقول : « وفي الوقت نفسه لا شيء يحدث » . ويريد بوزو ان يروح عن سام صاحبيه فيلتقط حبل لكي ويقول : « ماذا تفضلان ؟ هل لنا ان نحمله على الرقص او الغناء او المذاكرة اوالتفكير او ؟ وهنا يتساءل فلاديمير : «ويفكر؟» فيجيبه بوزو : « بالتوكيد ، وبصوت مرتفع. حتى انه اعتاد ذات مرة ان يفكر بصورة جيدة ، بحيث اصخت اليه السمع ساعات » . لكن هذا كله لا يهم ، فليس التفكير ولا اي شيء آخر ذا جدوى « لانه شيء يحدث ، ولا انسان يأتي ، ولا انسان يذهب . » الى حد ان بوزو نفسه وقد قصد الرحيل تسمرت رجلاه بتسمر قدميه في الارض فلا يعود يقدر على التزحزح من مكانه فهو غير قادر (بعد تردد طويل) على الرحيل .. هذه هي الحياة تسمر في موضع ما ، لا نامسة ولا حركة ، هجود شامل عام ، سكينة مطلقة ، كابوس من الرعب الاسود يمزق كل معنى وكل انسجام وكل غاية ..

وتضيع المفاهيم في هذا السديم الغريب الى حد غريب ايضا ، فالصبي الذي يجده فلاديمير بغتة يعسر عليه التفريق بين السعادة والشقاء فاذا ساله فلاديمير : « انت لست شقيا ؟ » يجيبه بعد تردد : « لا ادري ؟ » وعندما يجابهه بقوله : « انت لا تدري اشقي انت ام لا ؟ »يردد الصبي قوله السابق بايجاز :« كلا . يا سيدي !» وهكذا فالصبي لا يقل عنهما شقاء اذا لم يكن واحدا منهما ، ولهذا فهو ساهم ينظر الى القمر وهو يحلق في السماء ويتوقف في مسيرته ليلقى ظلا شاحبا على المشهد .. ماذا يعمل القمر ؟ لماذا هو شاحب الوجه ، انه شاحب ، قد انهكه التعب . ويتحول هذا التعب في نفسي ايستراغون وفلاديمير الى سام يائس ، الى قنوط اسود الى حد يدفع بفلاديمير الى القول : « لم يعد لنا ما نفعله هنا » فيستطرد صاحبه : « ولا في اي مكان آخر . » ويبتعد ايستراغون عن صاحبه قليلا ويقول : « لم نخلق لطريق واحدة » فيضيف فلاديمير من غير غضب : « ليس الامر اكيدا . » ويردف ايستراغون قول صاحبه بقوله : « لا ، ليس من شيء مؤكد » .

وفي اليوم التالي وفي الوقت نفسه والمكان نفسه ينكشف الفصل الثاني عن ايستراغون وقد اشتبه عليه المكان الذي هما فيه فيتساءل : « هنا ، اين نحن الان ؟ فيجيبه فلاديمير : « اين تظن نحن ؟ الاتتعرف على المكان ؟ وعلى حين غرة ، يجيبه صاحبه متاججا بالغضب : « اتعرف ؟ على ماذا اتعرف ؟ كل حياتي المقملة لم افعل شيئا غير الزحف في الاوحال ، وانت تحدثني عن هذا المنظر ». وتشتد المرارة في نفس ايستراغون حتى لا يجد مفرا من القول وقد عيل صبره : « ان احسن شيء هو ان تقتلني ، كالاخرين » . فيتساءل فلاديمير « ومن هم الاخرون ؟ » فيجيبه ايستراغون « البلايين من الاخرين . » كل هؤلاء الموتى ، كل تلك الاصوات الميتة التي تحدث « صخبا كالاجنحة ، كالاوراق ، كالرمل وكلها تنطق مجتمعة » .

ويتخيل فلاديمير قدوم غودو ، ويهتف هتاف النصر ويقول : « انه غودو ، في الختام . غوغو . انه غودو . لقد نجونا » . ويسحب فلاديمير صاحبه وينظر مليا الى الافق فلا يجد غير فراغ اجوف ، واذا به يعود الى الارض مرة اخرى ، بعد ان طاش سهمه وخاب ظنه ، ليرتمي في احضان الجحيم . ويأتي دور ايستراغون ليتخيل جماعة قادمة لانقاذهما ، ويبوء هو الاخر بفشل ذريع ، وينتبه الى فشله هذا فيعتذر من صاحبه ويقول : « لقد اضعت وعيي . حدثني ما العمل ؟ » فيرد عليه فلاديمير : « لا شيء يمكن عمله » . ها هما قد ابرا بوعدهما ، ولكن غودو لم يأت ، وهو لن يأتي ، وهما ليسا قديسين ليظلا في موضعهما ينتظران ، لا بد اذن من الرحيل ، وهنا ينبثق بوزو من العدم ، ليحل محل غودو المنتظر ، وليلقي بالرعب ، رعبه هو ، في قلبي الجوالين الافاقين ، فيقول فلاديمير : « كل ما اعرفه ان هذه الساعات طويلة ، في هذه الظروف ، وليس لنا الا ان نزجي الوقت بما يبدو معقولا اول وهله .. ولكن لم يطل هذا التيه في الليل من غير نهاية في هذه الاعماق السفلى ؟ » نعم لقد استطال الوقت وحان المغيب ليتلاشى كل من الافاقين في وحدة وسط لا شيء . وبعد اخذ ورد بين بوزو والافاقين ، ينتفض بوزو غاضبا ويقول : « الم تكتفيا بتعذيبي بوقتكما الملعون ، امر فظيع . متى ! متى ! ذات يوم .يوم كفيره من الايام . يوم اصبح هو (٤) فيه اخرس . ويوم اصبحت فيه اعمى ويوم سنصبح فيه بكما . ذات يوم ولدنا وذات يوم سنموت . اليوم نفسه والثانية نفسها . الا يكفيكما هذا . ان النساء يلدن الاطفال والقبر بين اقدامهن . ويتلالأ الضوء لحظة ثم يأتي الليل مرة اخرى » .

وعلى هذه الشاكلة من المرارة القاتمة يحدثنا بوزو وعلى لسان بيكيت عن فلسفته في الحياة ، وعن مأساة العالم في وجوده الظاهر الوقتي وعن الوقت الذي لا يتغير ، لانه فاقد الحركة ، جامد ، وعن المصير الاسود الذي ينتظر كل شيء يدب على هذه الارض ، وعن تشابه الايام والثواني واللحظات ورتابتها المقيتة ، حتى يعسر التفكير في كل ذلك ، وهذا العسر يظهر جليا على لسان فلاديمير حين يقول : « انا لا اعرف بماذا افكر بعد هذا كله » . ومع ذلك فان شبح غودو لا يزال يعذب فلاديمير ولذا فهو يسأل الصبي : « ماذا يعمل السيد غودو ؟ » فيجيبه الاخير : « سيدي . انه لا يعمل شيئا » . ثم يمطر الصبي باسئلة تتناول مظهره وشكله ، ويخيل للصبي انه يعرفه فيجيبه بما يستطيع الاجابة عنه ، ولكن فلاديمير يشك في كل ذلك ولذا فهو يقول موجها كلامه للصبي : « .. انت متاكد انك رأيتني . ولن تأتي غدا وتقول لي انك لم ترن قط ».

وهذه المفاهيم البائسة المظلمة تتناثر بكثرة في (نهاية اللعبة) وهي تتمة منطقية لـ (في انتظار غودو) فهام الاعمى يسجن ابويه ناغ ونيل في برميلي قمامة ، ويبقى معه في غرفته اليتيمة عبده اللقيط

(١) المعجم المسرحي . جون رسل تايلر . مادة العبث (اللامعقول)
(٢) دراسات في المسرح الفرنسي المعاصر : جاك جويشارنود وجين بيكلمان : الترجمة شاكر النابلسي . (٣) دراسات في المسرح الفرنسي المعاصر : جاك جويشارنود وجين بيكلمان ، ترجمة شاكر النابلسي .
(٤) يعني افراد القطيع البشري باسره ، ي. ع. ثروة . (٥) ضرورة الفن : ارنست فشر .

الحرف العقيم

مع هديل الحمام كان يعدو وراء الكلمات
قلبه مفعم بالحب
وامنياتي فجة ضريرة
آه لـو تكونين
قطرة مطـر ...
حبـة قمح ...
لؤلؤة في قاع البحار
قوس قزح ينطلق
من ارخبيل الطبيعة
آه لو امسك
قلب المدينة الدافيء بيديه
هكـذا ...
لحضرت معي يا صغيرتي
حضورا ابديا ..

القاهرة — هند نوري

كلوف .. ويبدأ هام بالحديث وكأنه يتمم حديثا سابقا : « هل مـن تعاسة اشد وارفع من تعاستي ؟ لا شك ان ثمة تعاسـة اشـد مـن تعاستي في ماضي الزمن . اما الان ؟ فوالدي (وقفة) والدتي (وقفة) كلب .. ي (وقفة) انني ارغب في ان يقاسوا بقدر ما تقاسي هـذه المخلوقات » . لا بد اذن من نهاية للعذاب ، ولكنه التردد قاتله الله ..

وناتي الى الكلام على الوقت فاذا به هو هو لا يتغير ، كما هي الحال في (بانتظار غودو) . اما الاسئلة التي تثار في الحياة باسرها فهي الاسئلة نفسها وكذلك الاجوبة هي الاجوبة نفسها ، لا تبديـل ولا تغيير ، فموضوعات الحياة متجمدة ، لان العالم كله اصبح قطبا شماليا او جنوبيا ، ولم تعد الانهار فيه او البحار او المحيطات غير قطعة من الجليد هائلة مرعبة ، ولم يعد كل ما يصوت علـى هذه القطعة من الجليد غير عواء رياح ثلجية ذلك ان الطبيعة نفسها نستنا فلم يعد ثمة طبيعة . التجمد يصيب ابناء البشر جميعا فيصرخ الاب ناغ : « انني اتجمد » ويقل الضياء فيعوي كلوف : « لا ارى ضيائي يخفت » وتضحك الام نيل من الشقاء قائلة : « وهل من شيء ابعـث على السخرية من الشقاء » . ويضرب هام الجدار بكفيه ويولول : « الا تسمع ايها القرميد الاجوف ، الا تسمع ؟ » ويرقى كلوف السلم ومعه التلسكوب ويرى اول ما يرى حشودا من الناس وهم في زهـوة المرح والنشوة ، ثم ينظر بامعان واذا هذه الحشود (صفر) ويطيل النظر فاذا بالصفر لا يتغير الكل لا شيء ، لا شيء مطلقا .. ثـم يعود الى البحر فاذا بالاشرعة تغيب في اليم الواحد تلو الاخر ، ثم يغيب الضياء في المياه ، فلا يعود غير الظلام من وجود ..

ويتساءل هام عن الامواج فيوجه كلوف التلسكوب نحوها ويقول : « الامواج ؟ انها رصاصة » .. ويسأل هام عن الشمس فيرد عليـه كلوف : « صفر » وماذا عن الفراغ الذي سيلف العالم ، انه ـ على حسب رأي هام ـ « فراغ لا حدود له ، سيطوقنا جميعا ، ولـن يستطيع كل الموتى الذين سيبعثون من ملئه . » وهذا الفراغ نفسـه يزحف زحفا بطيئا الى اللغة نفسها فيفرغ كلماتها من محتواها ومعناها ولذا فان كلوف يجد من المناسب ان يقول متحديا هام : « .. انـا استعمل الكلمات التي علمتني اياها ، فاذا لم تعد تعني شيئـا ، فعلمني كلمات اخرى ، والا دعني اصمت » .

وفي هذا الجو الملىء بتوقعات الموت والانحلال والتفسخ ، يطيب لكلوف ان يتصور نفسه وقد فارق الحياة ، وقد اخذت جثته بالتفسخ واخذت رائحة النتن تفح ، وهذا ما حمله على القول : « .. لا بـد من ان التفسخ ان عاجلا او آجلا . » الا ان صاحبه يجده متفسخـا وهو لما يزل على قيد الحياة ، ولهذا فهو يقول له : « انك قد نتنت منذ حين . والمكان كله نتن منبعث من جثث هامدة » . واذن فالبشر الاحياء اموات وان حسبوا انهم احياء ، كل شيء في الوجود ميـت ، فلماذا يؤتى بالانسان الى هذا الكون الميت ؟ لماذا يجني الاب علـى ابنه ؟ ومن هذا التساؤل ينطلق هام عندما يواجه اباه بقوله : « ايها الوغد ، لماذا انجبتني ؟ » . وحيث الموت ، السكون ، الهمود يكـون النظام ، وبسبب من تعلق كلوف بهذا النظام نراه يناجيه : « انني احب النظام . فهو حلمي . عالم حيث كل شيء هادىء وصامـت وكل شيء في موضعه الاخير ، تحت التراب الاخير . » ومع كل ذلك فان كلوف يريد من صاحبه ان يستمر في الحياة ، ولكن صاحبه يجد الجفاف محيطا به ، نافذا الى وجوده ، وهو لذلك يقـول : « .. اشعر كاني تيبست .. آه لو كنت مستطيعا ان اسحب نفسي الـى البحر ! اذن لعملت لنفسي وسادة من الرمل بانتظار مجيء الموج . »

ومن هذا الخيال الشاعري ، ينتقل هام الى موضوع السعـادة ويسأل صاحبه : « هل حظيت بلحظة من السعادة ؟ » فيجيبـه صاحبه « على ما اعلم ، كلا . » ويعود هام ليحلم بالهدوء والراحة ، فيأمل في الوصول اليهما ، حتى ينتهي كل شيء ، الصوت والحركة ، والهمسة في الظلام ، والكلمات اللعينة . وتمضي به الهواجس صعدا في الخيالات ، الى ان يختل توازنه فلا يعود يدري اهو ممتلك زمـام ذهنه ام ان هذا الزمام ولى منه هاربا ؟ . ويخيل لكلوف انه يحلـم فاذا به يتحدث عن الصداقة التي يتحدث بها الناس ، وعن الجمال وعن النظام ، ويفطن بغتة ان صاحبه لا يعرف هذه الاشياء فيخاطبـه قائلا : « .. انك لست وحشا ، فكر في هذه الاشياء ، وسترى كيف يصبح كل شيء جليا وبسيطا . » غير ان صاحبه لا يمكنه ان يفهـم هذه الاشياء : « .. انا لا افهم ، سينتهي كل شيء ذات يوم فجاءة ، سيتغير ، سيموت . وقد اكون انا الميت . وهذا ايضا لا افهمه . سافتح باب الزنزانة واذهب . انني محني الظهر الى حد اننـي لا ارى الا قدمي اذا ما فتحت عيني والا اثرا من تراب اسود بين ساقي. وحينئذ احدث نفسي واقول : انطفات الارض ، ولو اني لم ارهـا مضيئة قط . »

وهكذا ف « نهاية اللعبة » كانت خسارة منذ القدم ، وكيف لا تكون كذلك والوقت نفسه ليس غير لحظات من لا شـيء ، الان ودائما ، لم يكن له من وجود ، او هو قد انتهى ان كان موجودا ، وقد اغلق باب الحساب ، وتمت الحكاية .. واذا اخذنا كل هـذه التجريدات بنظر الاعتبار ، الا يصح لنا ان نقول مع فشر : « ان مثل هؤلاء الكتاب يعملون على عزل الانسان عن المجتمع ، باذابة شخصيته وطبه في الاسرار بصفته اداة « وجود خالد » و « قوى اصيلة لا شكل لها .. وهذا الميل لجعله اداة (سرية) في مسرح الاسرار الكونيـة ، يقصد منه محو وجهه الاجتماعي وحتى الفردي في ضباب سري قديـم ينتهي الى لا شيء (٥) » ؟ ونزيد عليه ، ان هذا ليس صورة الواقع في مسرح اللا معقول فحسب ، بل هو جوهره الفرد الذي يمكـن التعرف عليه بيسر متى امعنا في مضمونه النظر الجديد ايضا .

بغداد — يوسف عبدالمسيح ثروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل البحر قرص الشمس وعانقه ، والصمت يصرعنا نحن الثلاثة ، اذ لا شيء بيننا سوى تكسر الامواج وارتطامها وصوت سفينة حزينة تودع الميناء .. اشعلت سيجارة وحاولت ابتلاع دخانها لاول مرة ، فقد تعودت ان احبسه في فمي واقذفه اذ أشعر بسخونته تلدغ لساني سعلت ، فرشقني الصديقان بابتسامتين غامضتين . كل منا كان يعارك افكاره ، عدنان يسقط راسه على حافة مسند الكرسي ، وينظر الى الافق بشرود .. واحمد يقلب صفحات مفكرته الصغيرة .. ويعيد تقليبها . ولا ادري كيف قلت.

ـ البحر جميل ..

قال احمد بلهجة غاضبة

ـ كان سيأخذك هذا الصباح .

ـ قلت : هكذا حالنا نحن اهل المدن التي لا تمتلك بحرا ..

ـ قال عدنان دون ان يحرك راسه : نظل نسبح .. ولا نفكر بالغرق .

وعاد الصمت .. السفينة تنساب بدلال من الميناء ، وقوارب صغيرة يجتذبها الشاطىء . حاولت ان امحو من راسي ما حدث لي هذا الصباح فعجزت .. ماذا لو غرقت .. لماذا انقذني عدنان في اللحظة الاخيرة ، هل كانت فاتنة ستبكي ؟ تخيلت الدموع في عينيهاالنجلاوتين .. تخيلت ابتسامتها ، شفتيها ووجهها ، لا يمكن ان تبكي ، يجب ان تظل عيناها صافيتين تشعان بالطيبة .. تحكيان اسطورة آلهة قديمة . قال عدنان وكأنه يهمس همسا .

ـ نحن خلقنا تعساء ..

وانتظرت ان يقول شيئا آخر ، ولكنه اغمض عينيه كمن يحاول ان يتذكر ما أدمناه .

ـ قال احمد : نحن نحمل الدنيا على اكتافنا .. نظن اننا مسؤولون عن كل شيء ونحن لا نملك اي شيء .

واعتدل في جلسته وهو يشير بيده الى البحر : الشاطىء كان مليئا بالناس !

وسكت . وادركت انه يريد ان يقول : لماذا انت بالذات كنت ستغرق ؟ » . قال احمد : نحن تعساء لا نعرف ما نريد .

لقد هربنا من المدينة آملين ان نجدد حياتنا ، ان نغذيها بنسغ جديد يجعلها تتحرك ولكن ما حدث لي أمسك السنتنا فجاءة وجعل حالتنا اشد سوًا مما كنا عليه ، تساءلت مع نفسي لماذا نحن تعساء . قلت :

ـ نحن بحاجة الى امراة تملأ قلوبنا .

تحدث احمد في يأس .. وبان

الغرق

بقلم جهاد الكاتب

أنه يريد أن يبكي .

ـ قطعنا الخامسة والعشرين ولا زال كل منا يعلم بانه سيلتقي بفتاة تحبه ويحبها اننا نكبر سريعا .. سريعا .. نحلم .. ونفكر .. ونظل نفكر في امراة .

بعد دقيقة صمت متشنج .. قال :

ـ سنموت ونحن نحلم .

اطبقنا افواهنا .. ارخى كل منا ظهره على كرسيه . وحاولت ان أشغل نفسي عن البحر والغرق وصوت السفينة الراحلة .. ومن الطيور التي تبحث عن الشمس ، والقوارب التي تتمدد على الرمل لتنام باكرا .. ولكنني لم اقدر ان انسى الغرق والحب . ان فاتنة ليست بالنسبة الي أنثى فقط ... انها الحياة ، فعندما القاها أشعر انني اعيش كما يجب ان اعيش الانسان ، ويزداد ايماني بأن الموت والحب لا يقتلهما كائن .. هما اقوى سر في هذا الوجود . لا ادري ماذا أقول عندما القاها .. أظل انصت اليها عيناي تعانقان شفتيها القرمزيتين .. تصلي لهما وتقبلان خديها الورديين وتسرحان على شعرها .. على جديلتهاالطويلة التي ضفرتها الملائكة بعطورالجنة وينتابني شعور بانني سأعيش ألف سنة ... وانني لا يمكن ان اموت . قال عدنان فجاءة بعد ان اعتدل في مقعده :

ـ ما رايكم ان ننزل الليلة الى حلب ؟

لم أبد حركة واحدة ، كأنني لم اسمع شيئا ، في حين قال احمد بعد اطراقة قصيرة :

ـ ان البحر لا يستطيع ان يغير شيئا من انفسنا حتى ولو ظللنا في مياهه سنوات .. ثم اتجهت انظارهما الي ، قلت :

ـ السفر في الليل خطير .. والطريق وعرة .

وادركت انني قلت شيئا لا أؤمن به ، فاتفقنا ان نعود ، وتلك هي المرة الاولى التي نتفق فيها على شيء بمثل هذه السرعة ...

في الطريق كان الظلام طامسا كل شيء اذ لم نكن لنرى غير انوار مجنونة تتخطف بين اللحظة واللحظة فشعرت انني اقعد في قبر مظلم انتظر حضورالملكين ... ولم اصدق اننا نعود وراعني اننا لم نقض عند البحر غير يوم واحد .. كان سيأخذني معه .. كان سيحرمني من رؤية الشمس ثانية .. من وداع فاتنة التي كانت ماثلة امامي حتى وانا اغرق ولا ادري ان ناديتها ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكنني اذكر جيدا انني تذكرت كل كلمة قالتها لي .. ومرت في خاطري دفعة واحدة اشياء متناثرة .. الشمس .. الله .. الماء المالح ، امي ، الديدان ، تابوت اسود ، طيور كبيرة ، اراض جرداء ، كان البحر يحتضنني .. أشعر بلذة وانا بين ذراعيه ، وكان صديقاي يسبحان ، يتسابقان ، وانا اراقبهما حتى اختفيا وراء الامواج الصغيرة ، فاستلقيت على ظهري استريح ، ووجهي الى شمس الصباح المأنوسة احرك رجلي ببطء .. وتمنيت ان تدوم النشوة ، نشوة الانعزال والوحدة ، متغنيا باحلامي التي اعشقها ولا اريد فراقها . تذكرت كل شيء احبه في هذه الحياة ولم اعد ارى فيها الكآبة التي تعودت ان اراها . الحب هو وحده الذي شدني اليه وداعبني .. منحني كل شيء . ولم ادر ان الطيور التي كانت تحوم فوقي تنتظر ان ينطفىء جسدي ، وان البحر سيسأم هدوئي .. وتتعب يداه فتتخلى عن ظهري . ظللت أحلم .. الحياة امل وحلم ، وتوقع سعيد .. وفجاءة غمرتني موجة ، وتلتها اخرى اشد عنفا .. انتفضت ، قذفت بنفسي الى الاعلى وصحت .. ثم طرحتني موجة ثالثة .. وصرخت ، ورفعت يدي .. شعرت بالملوحة تفزع احشائي وتحرق عيني وناديت كل جنيات البحر .. كل الطيور ، والشاطيء بعيد .. والاصدقاء بعيدون، قفزت مرات الى ان انطفأت الشمس في عيني . حين وجدت نفسي منطرحا على الرمال مسحت بكفي وجهي المستسلم لاشعة الشمس واحسست انني اعيش حلما وسرعان ما تبدد هذا التفكير اذ سمعت احدهم يقول بصوت مرتفع :

ـ البحر غدار .. يأخذ في كل سنة شابا .

وهزتني فرحة البقاء حيا ... لم يأخذني البحر ، لا بأس ان يأخذ غيري .. يجب ان ابقى حيا حتى اعرف شيئا واحدا عن الحياة .. شيئا بسيطا من صورها ، ولكي اصرف نفسي عن حادثة الغرق اخذت استعيد كل لقاءاتنا .. عددها .. الاثواب التي تلبسها ، سخرت من نفسي انني لم اقل لها شيئا بعد .. وقد لا اقول لانني لا اعرف ما اقول ولا اقول كل ما اريد . وتمنيت ان تضمنا مدينة واحدة فقلت للسائق : ـ متى نصل ؟

وتلهفت ان يطمئنني ... ولكنه رمقني بطرف عينه وقال وكأنه يسخر :

ـ لا يستطيع احد ان يقدر متى نصل .

ان سرعة السيارة وطول الطريق والساعات المشدودة الى معاصمنا يمكن ان تعطينا فرصة لمعرفة ساعة وصولنا ، والمضحك اننا لا نستطيع مع ذلك ان نقدر متى نصل ، لمست ان السائق يحب الصمت .. تأثرت ان تضمنا لذته . ان الصمت عالم كامل .. فيه استغراب وعذاب وكآبة ، فيه امل لا تصنعه الضجة فيه نشوة هزيمة وانتصار . ثم انفجر حديث مقتضب بيننا وبين السائق عن حوادث السيارات .. والزواج والاولاد .. وشجر الزيتون الذي لا يسقط ورقه في الشتاء ، وصمتنا حين قال السائق :

ـ في هذا الوقت من الليل يعود كل الاباء الى اولادهم .

وصعد زفرة وتابع :

ـ لا اعرف ان كنت سأعود ..

عبأ السائق قلبي بكآبة جديدة .. لماذا نحمل هذه الدنيا على رؤوسنا ان ما جرى فيها لا دخل لنا فيه .. لماذا نقضي الساعات نتناقش ونحن أضعف من ان نقدر ساعة وصولنا لماذا ينتابنا شعور باننا نخسر في كل يوم شيئا !

لماذا لم امت اليوم صباحا .. ماذا لو كنت مت ! هل سيتغير شيء في هذا العالم . هل ستقف السفينة يوما آخر في الميناء .. ان الشمس لن ترقض السقوط في البحر ولن تذوب الامواج او تركد المياه .. لن تتوقف الحياة . التفت الي السائق وبدا يريد ان يتهمني بشيء . قال :

ـ اليوم كان احدهم يغرق في البحر .

وخيم صمت مشحون بنداءات واستفسارات كئيبة .. وتابع بعد دقيقة :

ـ عجيب ! كيف ينزل الانسان الى البحر وهو لا يعرف السباحة ؟ .. له عمر .. فهو لم يمت .

قلت بصوت مرتفع : ماذا لو مات .. ان شيئا واحدا لن يتغير في كل هذا العالم .

اشعل لي صديقي سيجارة .. ودخل هواء سريع رطيب من النافذة، يلهب دخانها . وسعلت حتى شعرت ان حلقي قد جرح . وتراقصت السيجارة بين أصابعي . قال السائق :

ـ رائحة حريق !

انتفضنا .. نظر كل منا الى ثيابه. فوجدت في صد رقميصي دائرة صغيرة تشتعل ببطء .. ووضعت كفي عليها واعتصرت القميص وكأنني افتقد شيئا . ان فاتنة معجبة بهذا القميص ، وانا احرص على ارتدائه دوما لانه يذكرني بها . وشعرت انني احبها بجنون ... واعترفت امام نفسي انني جبان . انني اخاف عليها من الغبار .. من الشمس . واتظاهر انني امقتها . كنت ساموت دون ان اترك اثرا او تدري انني .. انني لا استطيع ان ازيل صورتها من خيالي . قلت للسائق : الا يمكن ان تسرع ! ..

فاجابني عن رغبتي دون اعتراض.

ظل الصمت يدفع السيارة حتى ابتلعتنا شوارع حلب . افترقنا بتحيات مقتضبة . وعندما حاولت ان أنام ... فشلت . كان زئير

قصائد في المعركة

●

الى القنيطرة

معذرة يا قلعة الاسود
ان دنست ترابك الطهور
شراذم التتار
معذرة اما تجول السكارى
او راح لص يفتح الابواب
في ظهيرة النهار
ويرعب الاطفال والنساء
معذرة اما تجول السكارى
عند هدأة المساء
بين البيوت دونما رقيب
معذرة ان انتظرنا
نجمة الصباح
لنسترد وجهك المباح
يا حبة القلوب .

صورة

ومن خلال النار والدخان
بين سحائب الرصاص والغبار
رأيتها تقلب الحجار
وتنبش التراب
تبحث ـ والاسى يرجها ـ
عن طفلها الوحيد
تصيح : « يا أسود
لا ترهبوا الحديد والعبيد
ولا تنمر الغراب »
رأيتها في حلكة النهار
رمزا لقلعة الصمود

كـر وفر

حين تكسرت سيوفنا
وخيمت على ديارنا الظلال
وانسحب الضياء
خلف الافق البعيد
واكتست التلال
بالدم والاباء
قال : غدا نعود ، والحياة
كـر وفر ،
أين يصبح الطفاة
حين تهب للقتال
جحافل الرجال
وحين تقصف الرعود

دمشق — رضوان عقل

البحر في رأسي .. السفينة الراحلة تصرخ .. القارب اليتيم يصرخ .. الطيور تصرخ .. وكل الناس يصرخون «غريق» «غريق» . غمرني خوف متزايد .. خوف لا استطيع احتماله . ارعبني ذاك المصير ، الماء المالح في احشائي .. واذناي مسدودتان . انا جثة منتفخة .. الدود يأكلني ، وانا لا اتحرك . الدود يمتصني .. يمتصني وتنكشف عظامي !

كرهت الماء .. كرهت اللون الاخضر ، والازرق .. وتقيأت نفسي الرمال والسباحة .

غسلت وجهي .. حاولت ان اسمع لحنا ، اي لحن . ولكن كل ما في الغرفة كان يصرخ .. حتى ثيابي .. قميصي يصرخ . تخيلت ما كان سيحدث . البيت يصبح مبكى . والاصدقاء يضعون اكاليل على قبري ويسرقها التربي ويعيدها الى بائع الزهور ، ويقبض ثمنها .. حتى الموت . يصبح ربحا للاخرين . سينساني الاصدقاء ، واصبح حكاية ، قضية عتيقة في ملفات الشرطة او خبرا في زاوية حقيرة من زوايا جريدة مغمورة .

بللت الدموع عيني .. طمرت وجهي . انني ابكي . خوفا على نفسي او فرحة لانني لا ازال حيا .. لم اكن اعتقد انني احب الحياة . تمنيت الموت اكثر من مرة واشتهيته مرات لانه ينقذني من عذاب لا أعرف مصدره . لماذا يفرق الانسان وهو يعرف السباحة ؟!

بكيت .. بكيت لانني اكتشفت انني امتلك ما هو اقوى من الموت . وما هو اقوى من الحياة .

حلب — جهاد الكاتب



١ ـ دراسات في النقد والادب

تأليف الدكتور لويس عوض ـ مجموعة ابحاث ـ ٣٩٤ صفحة ـ قطع كبير ـ مطبعة الجيل للطباعة بالقاهرة

من الكتب التي صدرت حديثا للدكتور لويس عوض ، مؤلفه الضخم « دراسات في النقد والادب » ويقسم ناقدنا كتابه الى اربعة أقسام، في الادب والمجتمع ـ في الشعر ـ في المسرحية ـ في القصة . يتناول في القسم الاول شخصيات لعبت دورها الكبير في اعطاء فكرنا بعض قسماته المعروفة ، مثل عبد الرحمن بن خلدون واحمد لطفي السيد وعباس محمود العقاد وسلامة موسى وشفيق غربال ، الى جانب موضوعات : معنى جديد للواقعية ، زيادة على عرض كتاب د. عبد اللطيف احمد علي « مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الاوراق البردية » وكتاب احمد رشدي صالح « في الادب الشعبي » . وفي القسم الشعري يقدم ناقدنا طريق الشعر الجديد المسدود من خلال ديوان صلاح عبد الصبور « اقول لكم » . ثم يعرض لـ « جبهة الغيب» لبشر فارس ودراسة اخرى عن صاحبها ايضا ، و « الارغن» للمستشار حسين عفيف ، و « ابن الانسان » لجبران خليل جبران ترجمة د. ثروت عكاشة . واذا انتقلنا الى المسرحية وجدناه يدرس « يا طالع الشجرة » لتوفيق الحكيم في مقالتين ، ثم « لعبة الحب » للطفي الخولي ، و « السبنسة » لسعد الدين وهبة و « بيت العوانس » للكاتب الاسباني جارثيا لوركا ، و « مأساة جميلة » لعبد الرحمن الشرقاوي . ويأتي القسم الرابع والاخير لنقرأ دراستين عن نجيب محفوظ وقصصه في « اللص والكلاب وبين القصرين » ، وكذلك اللامنتمي يحيى حقي في كتابه « خطوات في النقد » ، و « حادث شرف » ليوسف ادريس ، ثم اخيرا « شلة الانس » للاديب الحزين د. مصطفى محمود .

ان من قسمات الوجوه ما تبدو ثابتة بعيدة الغور تحدد ملامح الشخصية وتبلور اعماقها ، اما البعض الاخر من هذه القسمات فهو حائل اللون ضعيف الاثر لا يطبع بصمة . ومن الصنف الاول في وجه لويس عوض ، جذور الماضي .. التراث القديم الذي لا يجب ان ينكر لحظة واحدة . ويخيل الي ان هذه العقيدة الاولى عند ناقدنا الكبير والتي تنعكس في كل ما يكتب شعرا او نثرا ، مسرحية او نقدا . فلا يمكن فهم الحاضر فهما جيدا الا بدراسة القديم واستيعابه تماما ، والا كان بناء بلا أساس مآله الانهيار . ويخطىء من يظن ان لويس عوض يعني بالماضي ، مرحلته القريبة فحسب . فهو يعني ايضا البعيدة والموغلة في البعد . فهو يرى جذورنا تمتد الى مراحل ما قبل أديان التوحيد .. الى مصر الوثنية كذلك . يؤكد له ذلك المقاومة الشعبية ومكافحة الاستعمار على مدى احقاب التاريخ الطويل ، كما يؤكده ايضا .. الادب الشعبي .

ولا يكتفي فنانا بالاشارة الى هذا الموضع او دراسته فحسب ، بل انه ليدعو مثقفينا الى مشاركته مسؤولية هذا الفهم . فهو مثلا يرى ان الخطوة الاولى في سبيل بناء ثورتنا هي « الكشف عن شخصيتنا الممتدة جذورها في أعماق تراثنا وفي جهادنا وفي الامنا وفي آمالنا كشفا موضوعيا يعيننا على فهم النفس وعلى تحقيق الذات وتوكيدها لا اكتشافا زائفا يقوم على اوهام الفرور » (ص ١٧٢) . واذا كان لا معنى للبحث في جذور الماضي بلا التفات الى اصحاب هذا الماضي نفسه ، فقد كان الشعب ذاته هو المحور الذي يستقطب اهتمامات لويس عوض والهدف الواضح الذي يرنو اليه في مباشرة وغير مباشرة ، لذلك كان الشعب هو البطل الذي يستشعر القارىء وجوده في كل عمل لكاتبنا . ومن الطريف ان اوضح مثال يمكنه ان يعكس هذا الجانب عند صاحب « دراسات في النقد والادب » هو الادب الشعبي . فنحن ازاء مواطن ينتفض وطنية ومثقف يتقد حماسا وتشتعل كلماته ثورة .. واول مظهر من مظاهر الثقافة هي اعتراف الادب الرسمي بالادب الشعبي فالاعتراف بادب الشعب هو اعتراف بالشعب ، فلويس عوض لا يفهم كيف يتفق اقامة مجتمع الشعب فيه ركن ركين ولا يعترف فيه بثقافة الشعب وأدبه وسائر فنونه .. يقول .. ولست أزعم هنا ان الادب الشعبي يداني الادب التقليدي رفعة واصالة فما هنا مجال الحكم او التقييم ، ولكني ازعم ان الادب الشعبي رغم قصوره من وجوه كثيرة فيه من مواطن القوة والعمق والجلال ما يستحق الاحترام وأزعم ان احتقاره احتقار لذات الشعب ولضمير الشعب ولوجدان الشعب ، وهو امر لا يتفق مع ايماننا بأن فطرة الشعب سليمة خلاقة رغم كل ما عليها من غبار الفقر والجهالة . ولا نعجب لهذه الكلمات المتحمسة من لويس عوض اذا عرفنا ان اول كتاب اصدره ناقدنا وهو ديوان « بلوتولاند » الذي دعا فيه الى تحطيم عمود الشعر ، واثار فيه قضية الاهتمام بالادب الشعبي ، قد سبقته محاولته التي لم تكتب لها النجاح وهي جمع ما تيسر من الشعر الشعبي من افواه الناس بغية دراسته من جميع جوانبه .

ويسوقنا هذا الحديث الى القسمة الثالثة في كتابات لويس عوض ، وهي التي يعكسها العنصر الديني .. فمن الاشياء الكثيرة في حياتنا التي في حاجة الى المراجعة ، تقيمها تقييما دقيقا نافذا الى اعماقها مكتشفة حقيقتها لتضعها في مكانها المناسب ، الزعم او المغالاة في زعم روحانية الشرق . ومن الطريف ان الكثيرين منا يعتمدون في اثبات هذه الروحانية على قوة سلطان رجال الدين وكثرة الدراويش المشعوذين وانتشار « اولياء الله الصالحين » احياؤهم وامواتهم ! نفعل ذلك متجاهلين مرايا أصدق في الدلالة والتعبير عن هذه الروحانية وتصوير انعكاساتها ، مثل الفنون والاداب . واذا بحثنا في ادبنا المعاصر وخاصة في انتاج هذه السنوات الاخيرة بالذات ، فاننا نصدم ونحن لا نكاد نجد اثرا قويا لهذا التأثير الديني ، بعكس الادب الغربي « المادي » ! ولا يفوتنا في هذا الموضع ان نفرق بين شيئين يبدوان متداخلين ويختلط مفهومهما عند الكثيرين وهما ، تعرض الاديب لتناول موضوع ديني ، وسريان الروح الديني في كتاباته جميعا .. الاول يحمل اهتماما وقتيا عابرا وربما غير أصيل او غامر في شخصية صاحبه ، والثاني يكشف عن مادة اولية تشترك في تكوين شخصية الاديب . وفي أغلب الاحيان نستشعر النقص في وجود اللون الثاني الذي يفصح ـ أي هذا النقص ـ عن ضعف الصلة بين الفنان والعقيدة الدينية أيا كان شكلها . ومن الكتاب القليلين عندنا الذين يعكسون قوة هذه الصلة ، نجد مثلا عبد الحميد جودة السحار ود. لويس عوض . يبلور الاول في انتاجه القيم الاسلامية ويبلور الثاني قيم قبطيته . وقد عانت هذه البلورة الدينية في بعض الاحيان من المفهوم الخاطىء الذي يتهم ظهور هذا الانعكاس الديني بالتعصب والتفرقة الدينية ، ولا يلتفت الى ان اقليمية الادب أيضا

وصدق صاحبها مع نفسه يجب ان تعكس صلة الفنان بدينه . وفي اكثر من موضع في كتابنا هذا تبدو لمسات لهذا الاثر ، بعضها واضح كما في دراسة لويس عوض لبشر فارس مثلا ، وبعضها لا تفصح عنه النظرة الاولى كما في تناوله لابن خلدون ..

ولا شك ان مؤلفنا بثقافته المستوعبة ونظرته المتكاملة ومنهجه في المقارنة ، قد قدم في مجلده هذا الكبير ، الكثير في شتى الالوان . وفي كثير من المواضع في «دراسات في النقد والادب» يصل صاحبه الى احسن مستوياته ، كما في اشادته بابن خلدون المبشر بالانسان باني الحضارة (ص ٥٠) ولطفي السيد بين حكم الصفوة وحكم الشعب (ص ٨٥ ــ ٨٧) . والعقاد وقوله في شبابه بحتمية التفكير الاشتراكي (ص ٩٦ ــ ٩٧) ، وحياة شفيق غربال الخاصة (ص ١١٧ ــ ١١٩) ، والسخرية من الادب الهادف بشعارات كفاحه وكفاح شعاراته (ص١٨٢)، والشاعر صلاح عبد الصبور والالتزام (ص ١٨٩ ــ ١٩١) ، وبشر فارس وسوء التفاهم في أدبه وحياته الخاصة (ص ٢١٣ ــ ٢١٧) ، وحسين عفيف وسبب انطوائيته (ص ٢٢٢) ، وثروت عكاشة وظاهرة حركة الاحياء الرومانسي (ص ٢٣١) ، وتوفيق الحكيم والفن الشعبي (ص ٢٣٩) الخ ...

وقارىء «دراسات في النقد والادب» معرض في بحثه عن رؤية لويس عوض ومنهجه الادبي وفلسفة الفن ، لعدم الاهتداء سريعا الى فهم مفتاح كاتبه . وذلك لضخامة حجم الكتاب نسبيا ــ حوالي ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ــ وكثرة موضوعاته المتنوعة ، وخاصة في اهتمامات ناقدنا الكبير بالنواحي التراثية . الا ان دعوة لويس عوض المعروفة الى أدب وفن في سبيل الحياة والمجتمع ، لا تلبث ان تطل عاكسة فهمها الصحيح في هذه المجموعة من الدراسات ، ولا تحيد عنها . يقول فنانا في مقدمته .. صاحب هذا الكتاب ممن يعتقدون ان هناك علاقة عضوية بين كل مجتمع وما ينتج من أدب او فن او فكر دون ان يجعله هذا الاعتقاد يغض من اهمية التكوين الفردي في توجيه الاديب او الفنان او المفكر . وصاحب هذا الكتاب لا يفهم المجتمع بالمعنى المحلي الضيق ، وانما يفهمه باوسع معانيه حيث تتعانق روح العصر كله وروح الانسانية جمعاء بروح المجتمع المعين المحدود بحدود الزمان والمكان ، ولذا فهو يؤثر دائما الحديث عن العلاقة العضوية بين الادب والحياة ، فالحياة اعم من المجتمع واشمل لانها تتسع للوجود الفردي والوجود الاجتماعي متداخلين ، وتتسع للوجود القومي والوجود الانساني متداخلين ، وتتسع اخيرا للماضي وتراثه وللحاضر واثقاله وللمستقبل واحلامه عجنت كلها في عجينة واحدة .. وتكتمل صورة الناقد والدارس لويس عوض بموقفه من المذاهب الادبية المختلفة .. اذ لا يقتصر هضمه لمذهب دون اخر ، فثمرات العقول والقرائح الانسانية عنده جميعا على حد سواء شريطة ان تكون ناضجة ، ايمانا منه بقول شكسبير في الملك لير « النضوج هو كل شيء في الحياة » .

وبعد فما أشد حاجة القارىء العربي الذي يشكو من فقر مكتبته العربية النقدية الحديثة ، الى نشاط وحماس كل ناقد عربي يسهم في اثراء هذه المكتبة المسكينة التي تتضور جوعا وهزالا ..

٢ ــ أحمد شفيق المؤرخ .. حياته وآثاره

تأليف دكتور عبد العزيز رفاعي ــ بحث ــ ١٨٠ صفحة ــ منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة ــ مطبعة مخيمر بالقاهرة .

يستشعر المرء في كثير من الاحايين حاجته الشديدة ازاء عدم التخطيط في المكتبة العربية الحديثة وبالتالي فقرها في بعض الالوان او الفنون، الى الالتجاء الى ما يشبه ايمان العجائز في تبرير الاشياء غير المفهومة ، وهو أسلوب مهما كان الحكم عليه يفي بالغرض في مثل هذه الاحوال! يحضر القارىء مثل هذا الخاطر وهو يحاول ان يعلل انتظاره ربع قرن



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الزمان على وفاة علم من مؤرخينا المعاصرين هو احمد شفيق (باشا)، ليصدر أول كتاب عنه بقلم د. عبد العزيز رفاعي !

ولقد كان احمد شفيق من الشخصيات التي يصدق عليها ، انها تملأ السمع والبصر حقا . فلزمن يمتد على ربع قرن كان المترجم له يشارك في صنع بعض ملامح مصرنا الحديثة بأكثر من أسلوب . فلسنوات طوال كان هو السلطان غير المتوج او الرجل الثاني في بلدنا بعد خديو مصر عباس حلمي ، يشرف على القصر الملكي ومن بين يديه تخرج أخطر القرارات . واذا بعدنا عن مجال السلطة او السياسة وجدنا لشفيق ايضا مساهمته الفعالة في ميدان اخر له خطورته ، وهو كتابة تاريخنا المعاصر . فكان جهده الذي لا ينكر في ارساء مدرسة المؤرخين المصريين بمذكراته وحولياته .. وكان لثقافة الرجل انعكاسها بقدر غير قليل كذلك في مجالات التعليم والصحافة والاوقاف والازهر.

ويحتوي البحث على بابين ، الاول (حياة احمد شفيق) ويضم فصلين هما : نشأته وحياته الدراسية ، وتدرجه في الوظائف واضطلاعه على دخائل السياسة . والباب الثاني (آثار احمد شفيق التاريخية) بفصوله السبعة وهي ، احمد شفيق وكتابة المذكرات التاريخية ـ مذكراتي في نصف قرن ـ التمهيد لحوليات مصر السياسية ـ مؤلفات احمد شفيق ـ آراؤه الاجتماعية والثقافية ـ صفاته ووفاته .

وقد عمد دارسنا في المقام الاول الى ان يجلو شخصية احمد شفيق ، وان يجيب على التساؤل الذي يشكك دائما بصورة ما في أصالة هذه الشخصية وطيب معدنها ، باحثا عن حقيقتها . لقد كان احمد شفيق يبدو في نظر الناس أحد رجلين ، رجل الحاشية الامين لسيده الى درجة انمحاء الذاتية . او الوطني الغيور الذي شاء له سوء طالعه ان يوجد وسط دسائس القصور . ومن المبالغة في كلتا الصورتين اهتزت ملامح صاحبنا. وقد حاول د. رفاعي ان يحدد الملامح الحقيقية الثابتة ، فقدم هذه الصورة الدقيقة التي تبلور حقيقة المترجم له ... « كان أحمد شفيق كسائر موظفي السراي في ولائه لعباس ، ولكنه كان في ذلك ينزع عن طبيعة خاصة قوامها مزيج من حبه للخير والاعتدال والشعور بالكرامة . وقد اثر ذلك في مقدار ذلك الولاء له فكان ولاء سلبيا في كثير من الحالات من حيث اتجاه عباس وانحرافه عموما ، عن هذه المبادىء ، وايجابا في اتجاه الخديو لمقاومة الاحتلال مثلا او مع الصالح العام . فلم يكن ولاؤه بهذا لعباس حرفيا دائما ، ولكن في اطار هذه النزعة التي كانت ترتكز على هذا المزيج من المبادىء . وكانت تلك واضحة في حياته الرسمية والخاصة على حد سواء بشكل أضفت على آثاره ثقة واتزانا . » (ص ٢٠) .

وقد تميز بحث د. رفاعي بسمات معينة أهمها ، محاولته الدائمة ربط كل حديث يتناول احمد شفيق سواء في خصوصياته او عموميات بمنهج الرجل في كتابته التاريخ واضفاء روح الثقة بامانته وعدله وحياده . فذاتيته مثلا ازاء شخصية الخديو عباس انعكست باتزانه في تاريخه (ص ٤٨) ، واخلاصه الوطني في موقف كاصلاح الازهر (ص ٣٤) لون مذكراته التاريخية بنفس العنصر .. وهكذا . الى الدرجة التي يعقب فيها مؤلفنا على هذا كله بقوله .. لقد ارتبطت حياة النشأة والاعداد والحياة العملية والتدرج في مناصبها بمختلف ألوان النشاط ، بحياته كمؤرخ ، فكانت الحياة الاولى جزءا منها منذ ان كانت السبيل اليها . كذلك لم يعمد دارسنا الى التعمل في تحليل مواقف المترجم له وسلوكه وتجديدها بقوالب صارمة متعسفة . بل عمل على متابعة تطوره وما يكشفه ضغط الاحداث على هذا التطور بما تملي من اتخاذ موقف تقليدي تستند به أجواء البلاط او متطور تفرضه عليه أخلاقيات صاحبنا الشخصية .

وبطريق غير مباشر يثير كتاب د. رفاعي بأسلوب تناوله قضية هامة هي ، اعادة كتابة تاريخنا الحديث ، وهل من الضروري او المحتم حقا ان نقوم بهذه المهمة ام لا . فيقدم دليلا طيبا على ان المضمون مهما كانت موضوعيته فهو يتأثر بشكل ما بالعهد الذي كتب فيه . فالحقيقة حتى اذا استطيع قولها فهي يمكن ان تبتر او لا تقال كلها .. وان المؤرخ مهما كانت نزاهته فهو يرضخ بشكل او باخر لنظام الحكم المطبق في أيامه خاصة اذا كان الممثل له أي الحاكم مستبدا . ويعرض « احمد شفيق المؤرخ .. حياته وآثاره » اكثر من مثال على ان النظرة المتحررة بتأثير عهد مغاير تقدم المزيد من الحقائق والابعاد .

ويبدو ان مؤلفنا قد امضه الا يعرف القارىء العربي كثيرا او قليلا عن اعمال المؤرخ احمد شفيق ، فاتبع هذا الاسلوب الذي يعتمد على العرض التفصيلي لما يشتمل عليه كل كتاب وكل جزء خطه المؤرخ وخاصة الحوليات في تناول هذه الاعمال . وهكذا استولى هذا العرض التفصيلي على اكثر صفحات الدراسة ، مما التهم ـ اكبر الظن ـ حيزا غير صغير مخصصا لمنهج شفيق في التأليف التاريخي والى أي مدرسة ينتمي مع مقارنته بمؤرخينا المختلفين ... الخ .

والاشياء القليلة التي يمكن ان يختلف المتلقي مع د. عبد العزيز رفاعي بشأنها ، تنقسم الى لونين . الاول ويتصل بأسلوب الدراسة نفسه الذي لم يهتم اهتماما كافيا بالتعمق والمزيد من الدسامة واستكمال جوانب البحث مثل روح العصر ، وفكر أحمد شفيق ، ومدى تأثر المترجم له بالجبرتي .. الخ . وباعث ذلك على ما يبدو ان مؤلفنا لم يرد ان يقدم « احمد شفيق المؤرخ .. حياته وآثاره » لغير القارىء العادي . واللون الثاني ، هنات قليلة مثل ما يتعرض له في التعبير في بعض الاحيان من عدم استقامة حتى ليغمض المعنى . وكذلك اغفال بعض ملامح المترجم له كشفيق صحفيا عندما أصدر « صحيفة الاعلانات» او عندما كان يشرف على مجلة جمعية الرابطة الشرقية .

وعلى الرغم من هذه الهنات فلا ريب ان د. رفاعي قد وفق في تجسيد شخصية احمد شفيق ودراسة آثاره في الحدود التي رسمها لذلك .

المنصورة ـ ج. ع. م — علاء الدين وحيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ ذكريات الحكيم

عرفنا معالي القاضي النزيه العادل الاستاذ يوسف الحكيم (موظفا) مرموق المكانة في كافة المراكز الحساسة التي شغلها ابان العهدين التركي والعربي و « وزيرا » مثاليا آمن بان الحكم تضحية وامانة .. و (انسانا) حمل بين جنبيه ضميرا حيا لينضح نزاهة ويتنزى تقوى.

وكان من جرأة هذا الشيخ الوقور ان اقدم غير هياب ولا وجل ، بينما تخلف غيره من ساستنا الذين عملوا في الحقل الوطني ، على تدوين مذكراته ونشرها في ثلاثة اجزاء ، وقد تناول في الجزء الاول منها « سورية والعهد العثماني » وفي الجزء الثاني « بيروت ولبنان في عهد آل عثمان » وفي الجزء الثالث تناول « سورية والعهد الفيصلي».

وكان الصيد الذي خرجت به من هذا الطواف الشذي الفوح موفورا دسما ، وكانت حصيلة مطالعتي لهذه الاجزاء الثلاثة دانية القطوف ، بالاضافة الى ظاهرة بارزة جديرة بالتنويه وهي انصاف الاستاذ الحكيم لفئات من حكام العهد العثماني الذين زاملهم وعمل واياهم في المجالين العدلي والاداري ، واطراؤه خصالهم الحميدة ، وترفعهم عن الرشوة ! بينما الشائع لدى من عاصروا العثمانيين وقرأوا تاريخ حكمهم انهم قوم قساة القلوب غلاظ الاكباد .. لا يترفعون عن اجتراح الموبقات واقتراف الآثام ، وانهم اوغلوا ، خلال حكمهم الاقطار العربية ، بسلب الخيرات ، وفرض الاتاوات ، وقبض الرشوات ...

لكن الاستاذ الحكيم يذكر بريشته التجرد والانصاف ان في عداد اولئك الموظفين الاتراك رجالا مؤمنين ... اعتصموا بحبل الله ، وعرفوا طريق الحق ، وحكموا بين الناس بالعدل ، وترفعوا عن صغائر الحياة، ونظروا الى مغريات الحياة نظرة استخفاف وازدراء !

والاسلوب الذي دون فيه الاستاذ الحكيم مذكراته جاء اسلوبا رفيعا ينم على انه اديب ذواقة يجمع بين الرواية والنكتة عمق الفكرة وبراعة الصورة ، ولو قدر له ان يتولى رئاسة تحرير جريدة يومية كبرى « كالاهرام » مثلا لكان كاتبا سياسيا لبقا بعيد النظر ، ينتظم وكتابنا السياسيين امثال ارسلان والجميل وبركات وجبران التويني وفتح الله الصفال ويوسف العيسى في سمط واحد .

والشيء الذي اركز على الاشارة اليه ان الاستاذ الحكيم تقدم بمفرده صفوف اخوانه العاملين معه في الحقل السياسي ، بينما تأخر هؤلاء عن تدوين ذكرياتهم ونشرها بدعوى حرصهم على صداقات تربطهم ببعض اخوان لهم ، وقد فاتهم ان المذكرات السياسية هي ملك للتاريخ الذي من ابرز مهامه اطراء حسنات المحسن وشجب سيئات المسيء .

ولا شك في ان ما اقدم عليه الاستاذ الحكيم يتميز بالاقدام والرجولة ، ولم يجاره في هذا المضمار ، اي في تدوين المذكرات السياسية ونشرها وهو على قيد الحياة ، سوى نفر قليل من رجالنا اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرحمن الرافعي واحمد شفيق واسعد داغر في مصر ، وطه الهاشمي وفاضل الجمالي وروفائيل بطي في العراق ، والدكتور عبد الرحمن الكيالي وحسن الحكيم وفتح الله الصقال في سورية ، والملك عبد الله بن الحسين في الاردن .

ولو حذا رجالنا العاملون في حقل القضية العربية حذو الاستاذ الحكيم لكان لهذه القضية رصيد غير هذا الرصيد ، ولعرف الجيل الصاعد وجوها نكثت بالعهد المسؤول ، وخانت الامانة وكانت عيونا وعسسا للاجنبي الدخيل !

بعد هذه المجالة لي رجاء اوجهه الى معالي الصديق الاستاذ يوسف الحكيم هو ان يتقبل ، باسم تاريخنا المعاصر ، تهاني من الاعماق على هذه المذكرات التي خلعها في ثلاثة اجزاء على المكتبة العربية ، وقد تميزت بالجرأة وقول الحق والجهر بالصوت !

٢ ـ الحياة والشباب

هذا سفر جليل فرغت من مطالعته بهوس ولذة وخرجت معجبا بالموضوعات الطريفة التي عالجها المؤلف بلباقة ، وساءلت نفسي عما حملني على الاعجاب بهذا الاثر الماتع فجاءني الرد المنطقي فورا وهو : طرافة الموضوع ورشاقة العبارة التي خلعها المؤلف على فصول الكتاب!

كل هذه الخصائص اثارت في الاعجاب بهذا الكتاب الذي وضعه بالانكليزية الدكتور اريك تريمر ونقله الى العربية الكاتب الكبير معالي الاستاذ محمد اديب العامري وزير التربية والتعليم في الاردن ، وعرض فيه موضوعات طريفة جمعت الى بحث العمر الطبيعي للانسان معنى الايجابية وتفادي الجلطة ، او ما يسمونها الانسداد التاجي ، الى بحث السرطان ، هذا الداء المستشري ، وطرق التحايل عليه ، الى تجنب الهرم من عسر الهضم الى التهاب القصبات الرئوية ، الى تحديد الشباب والاخطار التي تنجم عن تقاعد الانسان بعد عمل طويل ، الى وجبات الطعام والفوائد التي يجنيها الانسان من التمارين الرياضية .

والنصيحة التي اتوجه بها للقارىء النابه ان يقرأ هذا الكتاب الطريف ، استاذا كان او طالبا ، والدا كان او اما ، طبيبا كان او مهندسا ، فهو يصلح لكافة الاعمار والفئات ، وبعد ان يتملى من موضوعه الطريف سيشاركني الاعجاب بقلم الاستاذ العامري الذي احسن الاختيار ، وابدع في النقل ، وسيتوجه معي الى شكر معاليه على هذه الطرفة المدونة ورجائه الاقبال على الترجمة والتأليف ، فمجاله فيهما رحب فسيح ، وسوقه دوما رائجة ، وتجارته رابحة ، وقطوفه يانعة شهية !

٣ ـ القاضي الجرجاني الاديب الناقد

هذه دراسة قيمة سخا بها قلم الاديب المثقف الدكتور محمود السمرة احد دعامات أدبنا المعاصر والعامل في حقل التاليف بصمت وهدوء .

وفي هذه الدراسة الممتعة تناول الدكتور السمرة ، احد أساتذة الادب العربي في الجامعة الاردنية ، القاضي الجرجاني (٩٣٢ ـ ١٠٠٠) وحاول ان يربط بين هذا الاديب وعصره ربط تفسير وتحليل وتعليل ، ويسعى الى جلاء آرائه النقدية وبيان مدى اصالتها ، وعقد صلة بينها وبين مثيلاتها في النقد الفني بالغرب .

والواقع ان الدكتور السمرة اصاب الهدف في كل ما ندب نفسه له ، وحسبه هذه الفصول الاربعة التي خص بها هذه الدراسة وكرسها لدراسة الجرجاني وعصره ، من سائر الابعاد والجوانب .

واذا كنت ايها القارىء الطيب القلب ممن طالعوا للدكتور السمرة عرضه الشهري لكل كتاب يتناوله بقلمه في مجلة « العربي » الشهيرة، فستتضاعف غبطتك عندما تقبل على قراءة كتابه عن القاضي الجرجاني.. عندها تسهم معي في شكر الدكتور السمرة على موضوع طريف كشف لك فيه عن نوافذ جديدة للنقد تكسب ادبنا المعاصر صحة وعافية ، وتعود عليه بالتجدد وتطلعك على براعة الحديث عن نظرية السرقات الادبية وانواعها ، قبل الجرجاني وعنده ، ونظريات السرقات الادبية عند الاوروبيين والعرب .

وقبل ان اعود الى شكر الدكتور السمرة وهز يده ، اهمس في اذنك قائلا : حذار ان تفوتك مطالعة الكتاب الذي نحن بصدده !

٤ ـ ادباء الكويت في قرنين

من لقي الاديب الكبير والشاعر الرقيق الاستاذ خالد سعود الزيد ، احد دعامات أدبنا المعاصر في الكويت ، عرف فيه الغيرة على موطنه وجنوحه الى المفاخرة بكل أثر من اثاره .. حتى « الامثال العامية » فقد اولاها « خالد » اهتمامه وصنف فيها كتابا ضخما دون فيه الامثال العامية في القطر الشقيق وقارنها بما يقابلها من امثال عربية او آيات قرآنية او احاديث نبوية .

والكتاب الذي نحن في الحديث عنه هو الجزء الاول من سلسلة « ادباء الكويت في قرنين » وقد اسنهله المؤلف بفصل عن تاريخ الحركة الفكرية في الكويت خلال اربع مراحل ، وخلص منها الى تسجيل ترجمة لحياة كل شاعر او كاتب كويتي ، وعززها بنماذج من نظم ذلك الشاعر او نثر ذلك الكاتب ، ايمانا منه بان نتاج كل أديب هو مفتاح شخصيته، وعنوان بيئته .

وتعميما للفائدة التي توخاها الاستاذ خالد فقد ذيل كل فصل باسماء المراجع التي يمول عليها في كتابة ذلك الفصل ، واهم ما اعتمده في هذا السبيل المخطوطات التي دونها المرحوم والده سعود بن محمد الزيد بقلمه والمراجع الادبية والتاريخية التي احتفظ بها ذلك الوالد الماجد في خزانة كتبه العامرة .

لا شك في ان العمل الذي اضطلع به الاستاذ خالد الزيد لعمل جبار يستحق التهنئة من كل أديب اصيل في البسيط العربي ، وتقدير الدولة لهذا الجهد المبارك ، ولينقبل منا الاخ الزيد تهنئة قلبية مشفوعة برجاء وهو اخراج بقية الاجزاء من موسوعته الكبرى ، وسيذكر تاريخ ادبنا المعاصر اي جهد اجترحه الاستاذ خالد بمفرده ... وسيقابل هذا الصنيع بالشكر والتقدير والاطراء .

٥ ـ القومية والانسانية : في شعر المهجر الجنوبي

في عام ١٩٦٤ قدمت الاديبة النابهة عزيزة مريدن رسالة الى جامعة

القاهرة عنوانها « القومية والانسانية : في شعر المهجر الجنوبي » فنالت بهذه الدراسة درجة الماجستير بتقدير اللجنة الفاحصة .

وفي ربيع عام١٩٦٧ اعدت هذه الباحثة الواعية رسالة الى جامعة القاهرة عنوانها « القصة في الشعر العربي المعاصر » فاحرزت بأثرها النفيس هذا الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى .

قابلت الاوساط الادبية الراقية في مصر وسورية ولبنان والاردن موسوعة « القومية والانسانية : في شعر المهجر الجنوبي » بالاطراء والتقدير واثنت على الجهد الذي بذلته الاستاذة مريدن في تصنيف هذه الموسوعة المهجرية التي تتالف من ٦٧٠ صفحة من القطع الكبير وتشتمل على خمسة فصول مطولة . وقد تناولت في الفصل الاول « البيئة الجغرافية والادبية في المهجر الجنوبي » وجاءت فيه على تاريخ قصة الهجرة العربية وبواعثها واسبابها الى العالم الجديد . وفي الفصل الثاني تناولت « الوطنية في شعر المهجر الجنوبي » وصورت اللواعج التي تركتها نار الهجرة في نفوس الشعراء من حنين الى اوطانهم وديارهم ولهفة الى والديهم واحبابهم ، الى تذكر ايام الطفولة في مدارج صباهم . وفي الفصل الثالث صورت الاستاذة مريدن « الشعر القومي» والانتفاضات العربية في منظوم الشعراء العرب في المهجر الجنوبي واندفاعهم في دعم الحركات القومية وتأييد الكفاح العربي ضد الاستعمار الغشوم . وفي الفصل الرابع تناولت الاستاذة مريدن باسهاب « الانسانية في شعر المهجر الجنوبي » وتبسطت في تصوير ابعادها وجوانبها . وفي الفصل الخامس تحدثت عن « الخصائص الفنية لشعر القومية العربية » وجالت في هذا الفصل جولات موفقة وصورت الصدق في التعبير والتصوير الفني الحركي في الصورة والمطالع الحماسية المجلجلة .

هذا تعريف خاطف بالملحمة المهجرية التي قدمتها الكاتبة البارعة الاستاذة مريدن للخزانة الادبية العربية وانا لننتظرون اثرها النفيس « القصة في الشعر العربي المعاصر » بفارغ الصبر .

٦ ـ مذهب الموحدين

عندما كسر صديقي الباحث الكبير الاستاذ عبد الله النجار الجليد عن كتابه المغلول « مذهب الدروز والتوحيد » واذن له بالخروج الى عالم النور وزفه الى قراء العربية في طبعته الاولى كتبت لسيادته اقول :

« كشفت يا صديقي للناس النقاب عن ماهية مذهب سمح يعز على كل عربي ان يتمطى في قمقمه ، وتنسج حوله الاساطير . ولقد ابت عليك مروءتك المعهودة الا ان تجلو الرغوة عن هذا المذهب الطهور ، فتؤرخ له ، وتكشف للقارىء ، عربيا كان او غربيا ، عن اصوله . فاضفيت على المكتبة العربية سفرا جليلا ، واسديت للمذهب الدرزي السمح خدمات منها :

١ ـ الكشف عن جوهره الصافي ، ٢ ـ هدم ما حاكه الخصوم وبعض المستشرقين المغرضين حوله من روايات ملفقة واسانيد باطلة وافتراءات رخيصة . فذوو العقول النيرة في العالم العربي يقدرون عملك ، ويمجدون الرسالة التي اديتها لامتك في صدق واخلاص ! » .

واستكمالا لهذا الموضوع الظريف صورة واطارا اعاد العلامة النجار طبع كتابه باسم جديد هو « مذهب الموحدين : الدروز » فجاء في طبعة موسعة منقحة وصارح اخونا عبد الله المتسائل من اهل بيته وخارجه بقوله :

« ... ومن اولى من اصحاب البيت بتلبية نداء العلم ، وفتح الباب على مصراعيه، ولو كره المطمئنون خلف جدرانه . ففي ذلك تحقيق لرغبة المستطلعين ، ومعظمهم من ابناء هذا المذهب نفسه . فقد سألني العدد العديد منهم عما انطوى عليه ، وما نسب اليه ، وما الفائدة من الانتماء الى ملة دون الاعتزاز بها ، كمن يحمل اسما لا معنى له ؟ وكيف يدين المرء بالولاء لما يجهل ؟ او يحب ما لا يعرف ؟ كالابن الذي يطلب منه ان يحب والدا لا يعرفه !

ما اكثر ما جر الكتمان على اصحابه من اجتراء وافتراء ، وتمويه وتشويه . وهو الجزاء العدل لمن ترك لسواه الكشف عما انطوى عليه ، ولم ينبر لتصحيح ما اتهم به وسدد اليه ، في فوضى اختلاط الغث بالسمين ، والانيض بالغريض ، واستسلام الاخذ للعطاء ، دون تمحيص او استقراء ! » .

لو كنت املك جائزة ادبية شهرية كما يملك سعيد عقل مثلا ، لوجهت جائزتي هذه ، بلا جلبة او ضوضاء ، الى سيادة الاستاذ الكبير عبد الله النجار ، تقديرا لكتابه المفيد الذي صور فيه مذهبا سمحا طهورا ، واماط فيه اللثام عن جواهر ظلت في القوقعة زمنا طويلا ... حتى جاء هذا الحكيم البصير فجلا بقلمه الصدأ عنها وقال للناس : « دونكم هذه الجواهر ... قضوا وتملوا من وهجها ! » فوقف الناس مبهورين وازالوا القذى عن عيونهم وتملوا من بريق تلك الجواهر !

ليتقبل سيادة الصديق النبيل الاستاذ عبد الله النجار شكر أهل القلم على هذه الدرر الوهاجة التي قدمها لمواطنيه بتواضعه الذي عرفناه من ابرز صفاته ، وهي صفات توفرت في العالم المتطامن النفس، الرفيع الخلق !

٧ ـ الروض

درج الشاعر الكبير الاستاذ محمد العدناني على نشر مجموعة من دواوينه باسم « العدنانيات » واختار لكل ديوان منها اسما يدل على ذوق شاعرنا ورهافة حسه . واخر ما سخا به قلم العدناني على دولة الشعر ديوان اطلق عليه اسم « الروض » وهو الخامس من سلسلة « العدنانيات » وقد اشتمل على انواع جديدة من الشعر المتسم بالرشاقة والحكمة والاخوانيات والتهكم ، ولو طالبني القارىء اطلاعه على نموذج من شعر هذا الديوان الحافل بالطرائف والمباسطات لاخترت له دعابة شعرية ارسلها العدناني الى صديقه العالم الدكتور قدري طوقان وقد مهد لها بقوله :

« ... وهو في قصر القامة آية ، وفي القبح غاية ، وفي الظرف والذكاء لا نهاية ، والقصيدة الآتية نظمتها في ليلة سمر بنابلس :

اطلت ليلة القدر ... علينا الان يا « قدري » !
أهذا وجهك البادي ... لنا ، أم طلعة البدر ؟
هجرت الشعر من حين ... فمالي عدت للشعر ؟
وكان الغيد قد زود ... تني بالفزل البكر
فخاض القلب من بحر ... عروضي الى بحر
ولكن بعدما أمسى ... بفودي الردى يسري
شهرن الهجر في وجهي ... فعاذ القلب بالهجر
فلم أنظم بحواء ... تسيبا عابق الزهر
فما لي عدت مفتونا ... بنظم الشعر في نمر
فهل أصبحت شيطاني ... لتحبيني مدى الدهر ؟
فتوحي يا شقيق الروح ... لي آي الهوى العذري
فانت البحر في مد ... ولست البحر في جزر
وانت القلب يا (قدري) ... يناجي أضلع الصدر
وأنت الحسن ، فالعينا ... ن تزدانان بالسحر
ولولا خدك الوردي ... عفنا طلعة الفجر
وطي الثغر ياكل المنى ... سمطان من در
وهذا الجيد لم تعرفه ... الا ظبية القفر
فسبحان الذي أعطاك ... هذا الحسن يا (قدري) !

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم



لقاء مع الشاعر المهاجر جورج صيدح

على بعد كبير ، وابعاد ضاربة في التيه ، استجاب الشاعر المهاجر جورج صيدح لي في اللقاء معه ، على صفحات هذه المجلة ، واني وان كنت اريد ان اجلس معه جنبا الى جنب ، واحادثه شفاها ، الى انني والحق يقال : قد قضيت معه هذا الشطر من الحديث وكاني احادثه وهو يسمع الي ، أملي وهو يجيب ، كما لو كنت بجانبه ، اجلس معه الى مائدة واحدة .

والواقع ان جورج صيدح الذي يرقع شيخوخته الان بالمستشفيات والرحلات ، بعد ما طلق الشعر ثلاثا ، الا ما كان يحنث فيه من ابيات تتدفق بين يديه ، وتابى الا النشاز ، والخروج على القسم وتتحدى المقسم به ، يستجيب ، بالرغم من لواذه بالصمت ، الى الافاضة في حياته ، ونبش ماضيه ، ويعرض ما عن له ، او وقع فيه ...

والشاعر العظيم الذي ملا الدنيا تغريدا ، واسهم في دراسة اللغة والادب ، لا يحب التواري ، او اخفاء فجوة في حياته ، تعد ثلمة في عيون الشانئين او الراصدين لمعايب الاخرين . وانما يهمه ان يعرض نفسه بما فيها من خير وشر ، وحلو ومر ، ليكون مثلا وقدوة ونبراسا ، ورسولا ، يهتدي به السائرون في دنيا الأدب ، والضاربون في صحراء الفكر ، والتائهون في بيداء القريض على وجه اخص .. فحياة جورج صيدح ورفاقه من المهاجرين الاولين ترسم خطوطا عريضة في افق الدراسة الادبية الجادة ، وتعين على قطع طريق الحياة الشاقة التي بلاها هؤلاء المهاجرون في ديار الغربة ، يوم ان كانت هذه الديار ، ضربا من الخيال ، والعيش في اكنافها نوعا من المحال ...

ـ متى بدات نشر شعرك وفي اي المجلات او دوريات الادب ؟

ـ بدات نشر شعري في جريدة .. الاخطل الصغير عام ١٩١٠ ، اذ كنت قد دفعت قصيدتين : الاولى بعنوان : « اذكريني » ، لحنت وغناها المطربون ، ونالت الاستحسان في كل مكان ذهبت اليه وقتذاك ، واعتقد انها تنال استحسانك انت واستحسان كل من يقرؤها اليوم ، لانها تنال استحساني كلما اعدت تلاوتها ، او عثرت على ابياتها بين قصاصاتي التي اجمعها من هنا وهناك ، وان كانت تابى الامتناع ، وتصر على السفر الى اقطار الارض في مكاتب المحبين والمقدرين :

اذكريني واذكري الحب معي ... واذكري ما مر في تلك السنين
اذكريني واسالي قلبك كم ... تسحق الذكرى قلوب العاشقين

اما القصيدة الثانية ، فكانت بعنوان : « غرام » ، وهي قصيدة اذا طالعها من لا يعرفني ، يعتقد انني كنت رجلا ولها ، تركته حبيبته ، فتالم من هذا الترك ، واصبحت جوارحه تشكو هذا الغرام ، حتى امسى له افئدة جلى ، تالم وتشكو في كل مكان من جسمه :

أصبحت من جور الصدود تخالني ... شبحا اذا مر النسيم تالما
تشكو الغرام جوارحي فكان لي ... في كل جارحة فؤادا مغرما

على انني كنت أنظم شعري بالسجية ، فلا اتعهد تقليد احد ، وان كنت قد تاثرت بشعر شوقي اولا ، وشعر ايليا ابي ماضي ثانيا ، ولا اكتمك الحق اذا قلت لك : انني كنت وانا بعد تلميذ في المدرسة احفظ قصائد المتنبي دون ان افهمها ، لمجرد شغفي بموسيقاها ، فلما اتسعت مداركي وازداد اقبالي على الشعر ، ورحلت الى مصر ، انصرف اعجابي الى شعراء الرقة والعذوبة والبساطة والمجون كابي نواس ، وابن الرومي من القدامى ، واسماعيل صبري ، وحفني ناصف وطانيوس عبده من المعاصرين .

ولقد اتسع الافق امامي في مصر ، ووجدت بيئة صالحة لنشر انتاجي ، ولا سيما مجلة « سركيس » التي لا تكاد مجموعة من مجموعاتها تخلو من قصيدة لي وان كنت منصرفا الى تجارتي بكل قواي ، لا حبا لها او ابتغاء الثراء بل حفظا لكرامتي بين اهلي وعشيرتي الذين كانوا يخافون علي من ضربات الزمن ، وكساد التجارة ، فاعود اليهم مثقلا بانواع الهموم ، واحمال الديون .

والواقع ان الاب « سارلوت » الذي خلف الاب « سالياج » على رياسة « عنطورة » كان يوصيني بمتابعة دراستي الى درجة الدكتوراه ، وكتب الى اهلي راجيا منهم قبول طلبي بدراسة الحقوق قبل ولوج ميدان التجارة ، فلم يقبلوا ، ورضيت بقسطي على مضض ، وسرت في هذا الميدان الفسيح لا الوي على شيء ، ولا يهمني الا نجاحي في ميداني ، حتى كنت ابخل على نفسي بساعة انظم فيها الشعر او اطالع فيها كتابا ، اللهم الا في فترات المسير من البيت الى المتجر او في ساعات السفر في القطار ، وان كان الجو الادبي الذي ساد مصر في تلك الحقبة قد اثر في ، وتاثرت به ، فقرات الكثير ، وطالعت جل ما نشر في الصحف والمجلات والدوريات نثرا وشعرا ..

ـ قلت : انك كنت حريصا على النجاح في تجارتك ، فكيف افلست ، وكنت اشد حرصا على الاشارة اليك في ميدان الادب ، فما هي الاسباب التي جعلت تجارتك تكسد ، وما هي نفسيتك عندما انتقلت الى جو غريب عليك في ثقافتك ؟؟

ـ كان انتقالي من مصر الى اوربا :الى هذا المحيط التعس ، حدثا مفجعا في حياتي وزادني غما حال احواني المهاجرين الذين اضاعوا لغتهم ونسبهم واعتنقوا الجنسية الفنزويلية لحماية كيانهم ومصالحهم ، حيث لا سفارة ترعاهم ، ولا راية تحميهم ، ونظرا لقلة عددهم ولتفرقهم في انحاء البلاد لم تتجاوز مساكنهم ومتاجرهم في حي واحد كما في بقية المهاجر الامريكية ، لذلك لم يتعارفوا ويتالفوا ، بل تشتتوا فرادى في احياء الشعب الفنزويلي بل اندمجوا فيه ، واعتادوا الكلام بلسانه ، حتى ثقل عليهم اللفظ العربي ، واصبحت اللغة الاسبانية لغة الحديث في كل شؤونهم داخل بيوتهم ...

وحسبي ان اقول لك ان هذه الظاهرة قد صدمتني في عاطفتي وفي آمالي . اذ شعرت بقساوة الغربة ، وفداحة التضحية التي فرضت علي .. ففي مصر فتحت مجلة « سركيس » صدرها لقصائدي ووصلتني بطائفة من الادباء الكبار :

مطران ، انطون الجميل ، بركات ، الدكتور محجوب ثابت ، احمد زكي باشا الذي كان يجلس في منزله لاستقبال الادباء بعد الفراغ من عمله ، كما كان يتاح لي التادب بالمطالعة ساعات الليل ، وهذا العصر الذي امضيته في القاهرة ، كان عصر ازدهار الادب العربي في مصر ، بلغ فيه الشعر أوج مجده ، وراجت سوق عكاظه رواجا فريدا ، فكنت احضر حفلة لتكريم شوقي وحفلة لتكريم حافظ واخرى لمطران او الريحاني

ولقد دعيت مرة الى القاء قصيدة في احدى تلك الحفلات ، وشعرت باني لو عقلت لأوجدت لنفسي حيثية ادبية في ذلك المجتمع الراقي ، ولكن مع الاسف كان طيش الصبا مسيطرا علي ، وكان اغراء اللذات أشد وأقوى من تلك الحوافز الادبية ، فاخفقت شاعرا كما اخفقت تاجرا !!

في « الازبكية » آثار لعربدتي ... وفي « الجزيرة » اصداء لانشادي
الزهر في «القبة» الخضراء متكئ ... والبدر في القبة الزرقاء قوادي
وصاحباي : جمال جائع وهوى ... صاد قد التقيا في ارض ميعاد

اما اخفاقي في تجارتي ، فيرجع الى انني دخلت اليها باجنحة متكسرة ، لا تكاد تحملني على التحليق في سماوات الغنى والعز ، واحقق ما كنت اصبو اليه على الرغم من انني صرفت وقتي كله اليها ، ولم اضن على الذهاب الى المتجر بيوم واحد ، حتى احقق ما عقدت العزم عليه ، وما اوصاني به اهلي من عدم اللعب ، والبعد عن مغريات القاهرة ، وفاتنات النيل ، الا انني بقدر ما خسرت في هذه التجارة ، بقدر ما كسبت من الاصدقاء والمعارف ، وبقدر ما تسلحت بهذا السلاح الفكري الذي أذود به عن نفسي الان وانا في شيخوختي ، وسيري حثيثا مع الايام

ـ ما رأيك في الشعر بعامة بعد اقامتك في باريس ، هل يستطيع ان يكمل نفسه ام يكمل الشعر الفرنسي ؟

ـ الشعر المعاصر اجمالا ، فيه الأصيل والدخيل ، وفيه القديم والحديث ، وفيه النظامي والفوضوي . وأنا لا استطيع الجواب على هذا السؤال ما لم افصل الشعر الكلاسيكي المعاصر عن الشعر « البولشفيكي » فالشعر الكلاسيكي يستطيع ان يكمل نفسه ، ولا يمت الى الشعر الفرنسي بأية صلة ما خلا صلة التعارف والتبادل الثقافي .. ولقد نمت حيوية هذا الشعر في عمره المديد بما اختزنه من خبرة ومعرفة، وبما اكتسبه من مرونة في معاصرة الأولين والاخرين من عشرة قرون مما جعله اليوم كامل الرجولة ، مؤهلا التأهيل الواجب لهذا الاستقلال الذاتي ، بل هو مستعد لمجاراة هذا العصر في التطور الحضاري الذي يحيط بالعالم اليوم ..

اما الشعر الموجة الجديدة ، فالقليل الذي أفهمه منه لا يعطيني حق الحكم عليه أوله ، ولكني أرى ، ان هذا اللون الذهني الفلسفي المنتسب الى الشعر العربي منذ عهد قريب ، لايكمل نفسه بنفسه ، بل يكمل نفسه بعناصر غريبة تتداخل فيه ، ولا يكمل الشعر الفرنسي الذي يستغنى عنه ولا يتاثر به وان كان يؤثر فيه .

على ان من الجائز في مقبل الايام ، اذا بلغ الرشد ، واستوى على جادة الشعر ان يقرر مصيره بنفسه ، وفي هذه اللحظة ـ لحظة اشتداد عوده ، يكون بين عاملين لا ثالث لهما ، اما ان ينتكر للجذور العربية الاصيلة ويرتمي في احضان الغرب واما ان ينزع الوصاية عن عنقه ويعود الى ساحة الضاد الفسيحة ، ويمشي في بلاد العروبة ويتنسم عبيرها في شوق ، بعد طول اغتراب والتياع ..

ـ ما هي المشروعات الادبية التي تنوي في الوقت الحاضر القيام بها ، او قمت بها فعلا ولكن لم تظهر الى الوجود ؟

ـ المشروعات كثيرة وينقصني عزم الشباب لانجازها ، وان كان اهم ما يشغلني اليوم ، العثور على اسم ملائم لهذا النوع من الاداء المستحدث الذي يسمونه خطأ « الشعر الحر » . ومتى وفقت الى الاسم المطلوب ، اعلنته بكل شجاعة واقترحته بكل احترام على شعراء الموجة الجديدة الذين انتشروا في كل ارجاء الارض ، ولا هم لهم الا الدعوة لهذا الشعر ، وبث التعاليم لاعتناق مذهبهم في كل مكان ..

ولا ريب في ان الذين يحاولون هذا الشعر ، ويدعون لتحطيم الشعر القديم ويزدرون بقواعده وقوالبه وقوافيه ، لا يليق بهم ان يطلقوا كلامهم على لفظة « شعر » بل اولى لهم ، ان يطلقوه على هذه الكلمة مقلوبة فيقال « الرعش الحر » واقترح كذلك كلمة « منظوم » وان شاءوا التفخيم فلتكن « باشمنظوم » او على الطريقة الفرنسية « سوير أوم » .

ـ ما هي حكاية دواوينك الثلاثة : النوافل ـ النبضات ـ حكاية مغترب ؟ ..

ـ كنت في « كراكس » أصفي أشغالي التجارية ، وأحول كل نشاطي الى خدمة القضايا الوطنية منذ ابتداء الحرب العالمية الثانية، وان كنت لم انس الاشتغال بالادب ، فقد كان في مكتبي ملف ضخم يرافقني منذ عهد الدراسة اجمع فيه قصاصات القصائد التي أنظمها وانساها ، جعلني اقدم على الاتفاق على طباعته واخراجه كما أحب وأريد ، فأطلقت يد المشرف على هذا العمل الادبي بكل سخاء ، ونمت على حرير ، ولكن النوم طال الى منتصف عام ١٩٤٧ ، ودنا موعد سفري من فنزويلا الى الارجنتين .

ولما وصلت بونس‌ايرس في خريف ذلك العام ، كان الديوان مطبوعا ومعدا للتجليد في مائتي صفحة من الورق الرخيص والطبع السقيم ، وكانت الاغلاط المطبعية التي ارتكبها الناشر ، اضعاف الاخطاء اللغوية التي ارتكبتها وانكى من ذلك طبع محتويات الملف كلها دون غربلة ولا عناية بالاختيار ، مما اطلق علي سهام النقاد ، وبالرغم من نبالة الغرض المقصود من نشر هذا الديوان .

اما « النبضات » فهو عبارة عن ثمان وثلاثين قصيدة ، صدرت في حلة فخمة فضفاضة مزينة بثمانية رسوم ، وان كانت الاخطاء قد قضت على الديوان ، وجعلته اثرا غير صالح للقراءة ، ولكني كنت قد اعلنت عن صدوره ، ووعدت الاصحاب بهدايا منه ، فاخذت اصوب الاخطاء بخطي في كل نسخة قبل ان اهديها ، واكرس ساعتين في اليوم لتصحيح أربع نسخ حتى بلغ ما صححته واهديته مئتي نسخة ، ثم عراني الملل ، وندمت على هذا العمل في ديوان قبيح مشوه لا يليق بمهديه ولا بالمهدى اليه ، فاتلفت ما بقي من النسخ ، وترحمت على المال وعلى الجهود والآمال .

على ان « حكاية مغترب » ، كانت نتيجة الصدمتين اللتين اصابتاني في « النوافل » و « النبضات » وتركتاني بلا سلاح ادافع به عن نفسي على صعيد الشعر ..

والواقع ، ان الصديق الاستاذ يوسف الخال ، اقنعني بانني لن اقف على قدمي ، وانتصف لنفسي الا اذا اصدرت ديوانا جامعا يمثلني بشكله ومضمونه ، ودفعت به الى الاسواق حتى يعرض للبيع في المكتبات ، ويرى القراء للمرة الاولى ديوانا يحمل اسمي ، فادركت وجاهة رأيه ، ولكنني اعتذرت لظروف حياتي التي تضطرني للسفر الى باريس بعد شهر ، فلا أشرف على طبع الديوان ، وأتعرض لماساة ثالثة اذا طبع الديوان في غيبتي ، فكان جوابه مفحما ، نقل الى نفسي ثقته بنفسه ، اذ أراني نماذج المطبوعات ومعدات الطبع وامكانيات العمل في دار مجلة « شعر » وأخذ على نفسه مسئولية التصحيح ، متعهدا بألا يقع في الديوان خطأ مطبعي واحد ..

ولقد وضعت في هذا الديوان خمسين قصيدة ، واضفت ثمانين قصيدة قديمة اخترتها من ديواني : « النوافل » و « النبضات » ، فكان نماذج من منظومي في مختلف مراحل العمر ..

ـ هل تنصح الاديب اليوم بان يقنع بالقديم ويسير على نهج الاقدمين في المنظوم والمنثور ؟

صدر حديثا

محاجر في الكروف

مجموعة شعرية — المرحلة الثالثة

ثريا ملحس

٤١٦ صفحة — حجم كبير

توزيع دار الكتاب اللبناني في بيروت

ـ لا يمكن ان اطلب من أديب اليوم ، ان يقنع بتقليد البستاني ، والشرتوني ، واليازجي ، ويتفانى في القناعة ، ولكني أحض كل أديب على ان يفنى في رسالة الادب دون انصراف الى نزعة او شهرة ، او استعجال الى قطف الثمار ، وهي لم تنضج بعد ..

وانا ادعو الى الثورة على الكسل والتفاهة والارتجال والخلاعة والانانية والعنجهية والاقليمية الضيقة التي تفتك جراثيمها بادبنا ، وتحيله عودا يابسا ، لا روح فيه ولا حياة ..

ـ الاحظ فيه انفعالات الشباب واندفاعه ، وحرصه على حياة افضل في كل منحى من مناحيها ؟

ـ ومن قال انني عجوز .. ان حياتي كلها شباب وقوة واندفاع ومخاطرات ومن يعيش في ظل هذا التنقل ، ويشغف بالرحلات ، لا تصيبه الشيخوخة ابدا ، وان بدت على جسده ، فلا يمكن ان تبدو على ادبه وعواطفه ونبضاته وشعوره .

ـ اذن ، لك مراح ومغدى في العواطف ؟

ـ اخفقت مرارا في هذا الميدان ، الى ان ضبطني صديقي جورجي حداد في واقعة من الوقائع ، فنظم ملحمة رقيقة ، هي بين يدي القراء، ليعلموا انني دخلت كل ميدان ، واصابني النجاح بقدر ما اصابني الفشل ، وان كنت أحمد الله على بقايا قلبي الذي ينبض اليوم ، بما كنت أتوق اليه بالامس وأجري وراءه وأنا اخضر العود ، غض الاهاب ، أحب الجمال وأسعى اليه .

أي عين سحرته اي عين
فجفا النوم وراعى الفرقدين
مغرم حاول كنان الهوى
فاذاعته دموع الناظرين
أمرد غض الصبا ، عف المنى
ماجد الاصل ، كريم النبعتين .
فتنته ذات حسن باهر
أوشكت تفتن زهر الغوطتين .

القاهرة — ابو طالب زيان

●

« الجمهورية » مع رائد الشعر الطلق

خلال الستة والعشرين عاما الماضية صدرت مئات الصحف والمجلات الادبية في الوطن العربي ، توارى معظمها عن انظار القراء ، ولم تثبت في هذا الميدان الا مجلات محدودات .. فمعاناة الادب، والصحافة، معاناة ثقيلة قل ان يستطيع احد تحمل اعبائها مدة طويلة من الزمن .

وقصة الاديب العربي البير اديب صاحب مجلة « الاديب » البيروتية قصة فريدة في ذاتها .

لقد ثابر هذا الاديب من اجل ان يجعل من مجلته نموذجا فريدا في نوعه ، اذ واصل اصدارها منذ عام ١٩٤٢ حتى اليوم ، واتخذ لها خطة تكاد تكون ثابتة رغم مضي هذه المدة غير القصيرة في الوقت الذي ألفنا فيه تغير مواقف وأشكال ومضامين كثير من الصحف .

والبير اديب هذا يعتبر بحق رائد الشعر الطلق في المدرسة الشعرية الحديثة وقد نهج نهجه كثير من شعراء الطليعة ، عرف بموهبته المبدعة وعطائه الجم .

له مجموعة شعرية بعنوان « لمن ؟ » هي تعبير عن تجارب عاش بعض حوادثها وصور البعض الاخر بقلمه وقلبه ، وهي مثال صادق لواقع الحياة العربية .. فيها من الصور ما تهز المشاعر .. كلماتها ذات معنى غني .. افكارها .. افكار شباب خضراء .. وعواطف من صنع فصل الربيع .

مجلة الاديب

ومجلة ـ الاديب ـ التي يصدرها البير كانت وما زالت منذ ستة وعشرين عاما مدرسة كبرى لاعداد وتخريج الكتاب والشعراء .

لقد عانى البير اديب اعباء الصحافة والادب وحمل بين يديه وعلى كتفيه طوال تلك المدة متاعب كثيرة . ولا شك انه لامر عسير ان يصابر اديب لوحده في ميدان الادب كل تلك السنوات .. رغم كل الاعباء .

فالبير اديب يصدر وحده تلك المجلة التي ما ان تتصفحها حتى تتصور ان هناك هيئة كبرى تتولى اصدارها .. ولكن « اديب » وحده في عمله .. بل لم يتخذ للمجلة مكتباخاصا ، لقد اكتفى بغرفة خاصة في بيته لتكون مكتب المجلة .

وفي بيته .. في بيروت ، وفي الغرفة المخصصة لاصدار المجلة كان لي لقاء مع البير اديب .. وكانت قضايا الادب والصحافة محور حديثنا .

الشعر الحديث

تحدث الاستاذ البير فيما تحدث عن الشعر الحديث غير التقليدي المتمثل في الشعر الطلق والشعر الحر والقصيدة النثرية فقال :

لا شك ان ذلك التجديد في هذا اللون من الشعر يعود الى سنة التطور ، ومن المؤسف ان اكثر النقاد يحكمون سلفا على هذا الشعر سواء منهم المؤيد او المهاجم ، مع ان المستقبل وحده هو الكفيل في تقييم هذه الالوان من الشعر الحديث ، الا انه من المؤكدان كل تجديد سواء أخفق ام نجح هو دليل على التطور والحيوية وان كل جمود هو تخلف .

مستوى الشعر

وسألته عن رأيه بمستوى الشعر العربي الحديث بعد ان ظهر الى الوجود واصبح حقيقة واقعة ، فقال :

هذا سؤال وجيه ، فلا شك ان الشعر الحديث كأي لون من الوان الادب يساهم فيه موهوبون ودخلاء .. والاصالة والاجادة والابداع هي المقاييس التي يجب ان نحكم بموجبها على النتاج ، غير ان المؤسف ان نرى كثرة المتطفلين على هذا اللون الادبي ظنا منهم ان التحرر من الوزن والقافية بمعناه ان بوسع اي كان ان يكتب على هواه باعتباره شعرا . واخذت الصحف تنشر النتاج الفاشل مما اساء الى النتاج الاصيل ، ولكن من البديهي اننا نستطيع بعد التمحيص غربلة ما نقرأ .. والاصالة والابداع والاجادة هي التي تخلد القصيدة سواء

من سلسلة الثائرون العرب في التاريخ

صدر

لعلي ناصر الديـن

صاحب قضية العرب

الملك سيف بن ذي يزن

ابو ذر الغفاري

طبعة انيقة ثانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت كلاسيكية ام حديثة ... فانا قد اعجب بقصيدة تتوفر فيها مثل تلك الشروط كتبت قبل الف عام وقد لا اعجب بقصيدة حديثة .. وان العكس ممكن ايضا .

بقي ان تعرف اخي القارىء بان الشعر الطلق الذي يعتبر البير اديب رائده هو غير الشعر المنثور الذي كان جبران خليل جبران رائده .

ادب العراق

وسألت البير اديب ..

نشرت « الاديب » منذ صدورها وما تزال ، النتاجات الادبية لادباء عراقيين فما هو رأيك في الادب العراقي من خلال ما ينشر في «الاديب» فقال :

هذا صحيح ، فقد كانت غايتي من اصدار الاديب ان اجعل منها بالدرجة الاولى مجلة عربية جامعة غير اقليمية ففتحت ابوابها لكل كاتب عربي من الخليج الى المحيط ، وكانت هذه المحاولة غير مألوفة في مجلاتنا الثقافية وكان نصيب العراق كبيرا في تلك المساهمة ، ذلك ان نهضة ادبية كان يتأجج بها العراق ، لا سيما هؤلاء الشبان الشعراء والقصاصين الطليعيين . ولا اريد هنا ان اذكر اسماءهم ، فالكل يعرفونهم ، اما في الحقبة الحالية فانني اشعر ان في العراق فتورا ان لم أقل ركودا ، ولعل ذلك يعود الى الظروف التي مر بها العراق ، لكن بوارق الامل ما زالت تلمع من خلال ما يصلني من نتاجات الشباب .

دار القصة العربية

تقدم ، في مكتبتها بحلب ، نماذج من مؤلفات اشهر كتاب القصة والرواية والمسرحية في العالم العربي :

اولاد حارتنا	نجيب محفوظ
أم الخير	محفوظ عبد العال غانم
الزير سالم	الفرد فرج
ثلاثية الدار الكبيرة	محمد ديب
عدالة السماء	ناجية ثامر
ارض بلا مطر	ابراهيم الناصر
الحقد الاسود	شاكر خصباك
مع الايام	ناجي جواد
رماد الليل	عامر رشيد السامرائي
اصابعنا التي تحترق	سهيل ادريس
فارس آغا	مارون عبود
طيور ايلول	املي نصر الله
باسمة بين الدموع	عبد السلام العجيلي
وداعا يا افاميا	شكيب الجابري
ثم أزهر الحزن	فاضل السباعي

ويسر الدار ان تعقد مع الكتاب العرب او ناشريهم صلات مباشرة لتوزيع منشوراتهم في الجمهورية العربية السورية .

المراسلة مع

دار القصة العربية

حلب ، سورية ، شارع اسكندرون

ادبنا والعالم

وعن مستوى حركة الشعر العربي الحديث نسبة الى الشعر العالمي قال :

لا شك ان الشعر العربي الحديث بدأ يأخذ طريقه الى خارج عالمنا العربي ، وقبل ذلك كان من النادر جدا ان يترجم الشعر العربي الى لغات اجنبية ، ويعود ذلك الى ان الشعر الكلاسيكي عند تجريده من الوزن والقافية اي من موسيقاه يفقد كثيرا ويصبح اذا ترجم لا رونق فيه ، ومن المعلوم ان الشعر الحديث اصبح يعتمد الان على الفكرة والموضوع اكثر من اعتماده على وحدة القصيدة مما يجعل نرجمته ممكنة وذات معنى . لذا فقد ترجم كثير من الشعر العربي الحديث الى عدة لغات .. ولو شئنا تقييم الشعر الحديث بالنسبة الى الشعر العالمي فيجب الاعتراف اننا لم نبلغ القمة بعد ، وان بلغنا تقدما محسوسا .

الصحافة الادبية

بعد هذا عدت مع الاستاذ البير للحديث عن الصحافة الادبية فكان سؤالي :

هل تعتقد ان الصحافة الادبية في الوطن العربي قد أدت الدور الملقى على عاتقها في هذه المرحلة من تاريخنا ؟ فقال :

لا شك في انها اسهمت اسهاما كبيرا في تحقيق ذلك ، وان لم تكن قد حققته كاملا ، ويعود ذلك الى ظروف عدة منها الصعوبات المالية .

وهنا تحدث عن الصعوبات التي تواجه مجلته فقال :

من دعائم الصحافة المادية هو الاعلان الذي يدر دخلا يساعد الصحيفة على الاستمرار في الصدور ، وتعاني المجلات الادبية ـ بصورة عامة ـ ازمة في هذا الباب اذ ان المعلنين يعرضون عنها ، فتضطر المجلات الادبية الى الاعتماد على البيع والاشتراكات والاعانات الحكومية وهذه الاخيرة مفقودة عندنا في لبنان ـ مع الاسف ـ مما يجعل المجلات الادبية تعاني من ازمة مالية .

وعن الاسس التي يراعيها عند نشره موضوعا ادبيا في مجلته قال :

الاساس الذي نعتمده هو الاجادة ، وان كنا نتسامح احيانا في حالة ايجادنا بادرة تدل على استعداد ابداعي .. ولا ننظر الى الاسماء اطلاقا ، فكثيرا ما ننشر لمغمورين ويكون ذلك نتاجهم الاول وهكذا عرفت « الاديب » دائما ، فكم من شاعر او قاص بدأ في «الاديب» واصبح فيما بعد من المعروفين .

الشعر الطلق

قلت بعد هذا للاستاذ اديب :

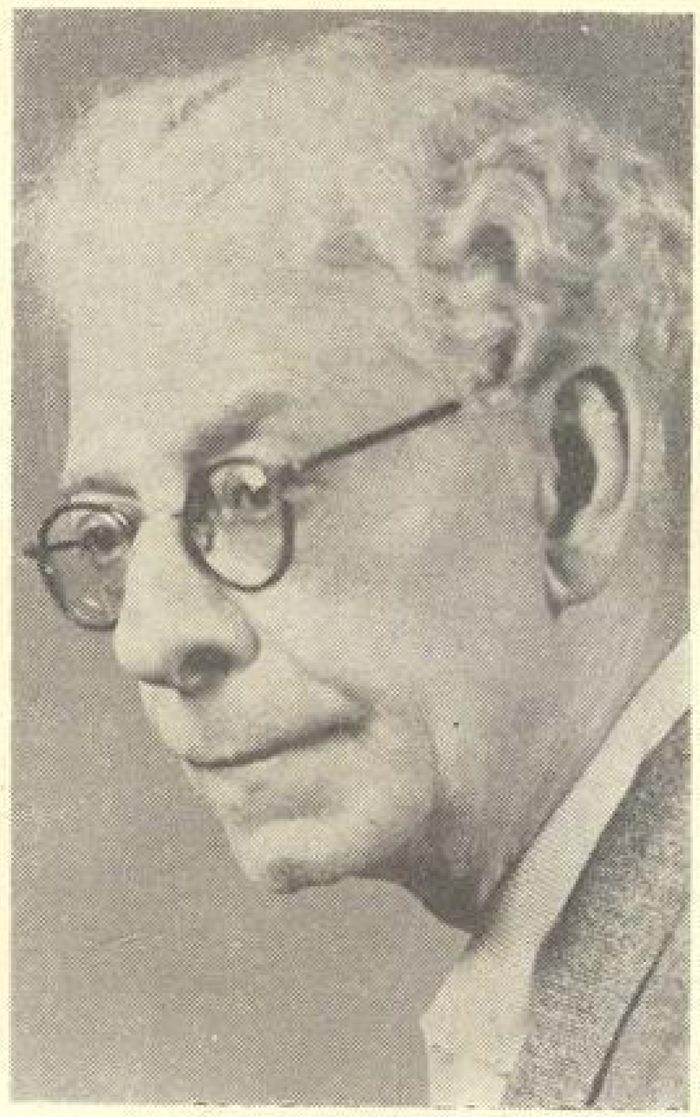
بصفتك اول من كتب الشعر الطلق ، فمتى كتبت هذا اللون من الشعر ؟ فقال :

يتمتع الشعر الطلق بكل مزايا الشعر من حيث اللوحة والموسيقى والايقاع الداخلي واللفظ الشعري ، وقد نشرت هذا اللون في مصر في صحيفة « السياسة الاسبوعية » وفي « الرقيب » وفي غيرهما منذ عام ١٩٢٧ ، وقد واصلت نشره في لبنان في مجلاتها المختلفة لا سيما مجلة « المعرض » كما نشرت في « الاديب » مجموعة غير قليلة منه .

بعد ذلك ، وفي الختام طلبت منه ان يقول كلمته للشباب فقال :

ادعو الشباب ان لا يستعجلوا النشر وان يكونوا مخلصين نحو انفسهم ومجتمعهم فيما يكتبون سيما ونحن في عصر تخصص علمي ، فلا بد ازاء هذا من الاطلاع على الكثير في شتى شؤون المعرفة .

جريدة « الجمهورية » ـ بغداد — هادي نعمان الهيتي



ابراهيم المصري

راسين وشكسبير او بين الكمال والقوة

بقلم ابراهيم المصري

• • •

يقول المؤرخ والناقد الايطالي « جوليلمو فيريرو » ان النزعة السكسونية والجرمانية في الادب والفن هي نزعة ترمي الى توكيد القوة اما النزعة اللاتينية فترمي الى توكيد وتغليب الكمال .

وهذا ما احسست به تمام الاحساس واذا اطالع للمرة الثالثة مسرحية « فيدر » للشاعر الفرنسي العظيم راسين .

وقصة فيدر هي قصة الحب المحرم في افجع الوانه . قصة امرأة تهيم حبا بابن زوجها . فيستشعر هو هذا الحب ويقابلهابالصد والاعراض والكبرياء القاسية وعدم الاكتراث . فتثور ثائرة المرأة ، وتشتعل فيها انوثتها المحقرة المهينة . فتتوزع بين واجب الزوجية وسورة الحواس . فيزيدها هذا التوزع اشتعالا ، ويزيد غرائزها تأججا ، فلا تستطيع الا ان تصارح ابن زوجها بما يكنه له فؤادها المعذب من حب . فيستنكر منها الشاب هذه العاطفة ، وينحي عليها باللائمة بوصفها زوج ابيه . ولكنها تهدر كرامتها في تصرف طائش مفتون . فتجثو عند قدمي الشاب مستعطفة متوسلة . فتهوله جسارتها واستهانتها بواجبها الزوجي . فيهم بالفرار منها . فتقنط وتهيب به ان يسرع فيقتلها انقاذا لها مما تعانيه . فيحجم . فتمتشق هي حسامه تريد اغماده في صدرها .

بيد ان عاطفتها المضطرمة نفسها ، تشل يدها ، وتلهب فيها على النقيض غريزة البقاء ، وتحفزها على التشبث بكيانها ، والذود العنيد عن المتعة التي تنشدها في حبها ، شعورا منها بان الحب الذي يستعر في صدرها هو اقوى من الموت الذي تصبو اليه مع ذلك وتدعوه . وهكذا تأبى الا ان تعيش كي تضاعف قوة غرامها ، وقوة التذاذها بعذاب هذا الغرام ، وقوة ارادتها في ان تمتلك ذلك الحبيب المترفع القاسي ، وتخضعه لسلطانها ان طوعا وان كرها .

وبينما هي تكافح وتناضل ما استطاعت للفوز بالشاب ، تعلم بغتة انه يهوى سواها ، ويؤثر عليها مفاتن امراة دونها جمالا وعزة ومكانة . فيتوه عقل فيدر ، ويتحول قلبها النائح المستصرخ المكلوم الى اتون متقد من الانفعالات العنيفة المتضاربة ، بل الى بركان ثائر يقذف ما فيه من حمم على كل ما يحيط به من اشخاص واشياء .

ولم ار في اروع قصص الادب العالمي صورة مخلوق جمع من العواطف ما احتشد في صدر فيدر . فالارتياع من خيانة الزوج ، واستفظاع الحب المحرم ، والتلهف في الوقت نفسه عليه ، ومرارة الاحساس بالوحدة والنبذ والذل ، وضرورة التهافت والتوسل والتضرع ، وسطوة الرغبة الحسية العمياء ، نار الغيرة المشتعلة الاكلة ، وارادة الانتقام والتغلب والتشفي ، كل هذه العوامل والاحساسات تعصف بالمراة عصفا مدويا . فتعود وكانها انسان تجرب عليه الحياة عناصرها كي تجعل منه هو نفسه عنصرا جامحا يدور ويلتف حول ذاته ، وينشر في لوثة غاشمة شر ضروب الخراب والدمار .

وابدع ما في فن الشاعر العظيم راسين هو انه يتدرج بتلك العوامل في شخصية بطلته من اقلها حدة ، الى اوسطها انفعالا ، الى اعلاها واشدها عنفا ، كي يعود بها الى اليقظة الذاهلة والندم الهامد . فتبدو لنا تلك الشخصية وكانما هي تنمو امام عيوننا ، وتتضخم شيئا فشيئا ، كعاصفة تبدأ سحبا ملبدة ، ثم تنطلق رعودا قاصفة ، فامطارا غزيرة ساحقة ، فجليدا يتكسر ويتحلل ، وترجع بعده الحياة الى سابق سكونها وعدم احتفالها .

ولو ان شكسبير كان قد تناول هذا الموضوع لملأه بالاستعارات الهجامة الخارقة ، والتأملات الفلسفية البعيدة الغور ، والصور والخيالات والرؤى المتلاحقة المتدافعة ، والتي يخيل الى القارىء انها وان كانت زاخرة الاعماق بالحقائق الابدية الا انها تنطلق قبل كل شيء من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرح خيال الشـــــاعر لا من الحياة اليومية الواقعة المباشرة .

ففن شكسبير هو فن القـــوة كما يسميه الناقـد الايطالي فيريرو . فن يتحكم فيه خيال الفنان ، وينبع من تصوره المحتدم ، وعاطفته المشبوبة ، وفطرته الجائشة. فتختلط الوانه ، وتهدد موسيقاه ، فـي غـير ما اكتراث لمنطق او عناية بحساب .

فن قوامه الجموح في تصوير ابطاله ، ومراكمـــة الاستعارات الشعرية على انفعالاتهم واعمالهم ، واغراقهم وهم يتحركون ويعملون ، في سيل من الخواطر والتأملات الخلقية والفلسفية ، التي تغيب حقيقتهم الظاهرة فـي الحقيقة الابدية الباطنة وفي غمرة التخيـــل الشـعري والتأمل الفكري التي اجتاحت الشاعر ســاعة الخلـــق والابداع .

فالبطل من ابطال شكسبير يعمل في الواقع وهو يسبح في الخيال ، اي ان حياته العملية لا تصدر عـــن الواقع اليومي كما اسلفنا ، بل عن الواقع العميق متفجرا من الخيال الشعري ومغمورا به ، ومشوشا باندفاقـه ، وتائهـا فيـه .

ولا ريب ان في هذا التفجر الخيالي عند شكسبير روعة خالبة . ولكن فيه الكثير ايضا من المغالاة والشطط.

اما الخيال عند راســين فمضبوط ومكبـــوح ، وتصوراته واستعاراته الشعرية لا تحمل ذلك الغلو المفرط، ولا تحول بين ابطاله وبين اتصالهم المباشر بالحياة . فهم اقرب الى الواقع اليومي الذي نحسه ماثلا امامنا علـى الفور من ابطال شكسبير . هم اوضح احساسا ، واجلى عاطفة ، وابصر بدخيلة نفوسهم من ابطال شكسبير . بل هم يحللون انفعالاتهم ، وينفذون الى اعماقها ، ويحصون كل خلجة من خلجات قلوبهم ، وكل لهفـــة من لهفـات حواسهم ، في دقة مشرقة ، وتسلسل منسق ، ونظـام محكم عجيـب .

ففن راســين هو فـن ارادة الكمـال في الشـكل والجوهر . فن متزن ، يشيع فيه التناسـب والمنطـق والقياس وتلاؤم الالوان المتمايزة وانسجامها وسطوعها .

وهذه الفضائل لم تنضج في اعماله ، الا لانه تأثـر بالفن الاغريقي ولا سـيما بمسرحيـــات سوفوكليس . فاستطاع ان يجمع الى خيال الشاعر ، تيقظ الناقد وثباته ونظرته الواعية ، مما اضفى على فنه مزيجا متعادلا مـن العاطفة والعقل ، تبدو معه شخصيات ابطاله وكأنهـــا تعيش معنا ، ولا تفيض علينا مـن خيال الشاعر الا بمـا تسمح به المواقف التي تتخبط فيها تلك الشخصيـات لا اكثر ولا اقل .

فكمية الشعر عند راسين لا تربي على الحادثـــة نفسها ولا تزيد عما يمكن ان يعتمل في وجدان البطل وهو في نشوة الفرح او في حمى الامل والالم والصراع . امـا كمية الشعر عند شكسبير فتجاوز الاحداث والمواقف ، وتخضع الخيال الشاعر المنطلق من عبقرية جارفة لا تحفل بالتناسب والقياس ولا تهتم بجمال الاشكال والاوضـاع ما دام جوهر الشخصية الانسانية صادقا وسليما .

فشكسبير بعيد عن الحياة المباشرة ولكن الحيـاة العميقة تنمو فيـه . وراسين يحاول ان يوفق بين مظهر الحياة المباشرة وجوهر الحياة العميق .

الاول عماده الغريزة والمخيلة وان طغت قواهما علـى العقل ، والثاني ينزع الى السيطرة على الغريزة والمخيلة مهتديا بحكم العقل .

فشكسبير قد يبعث الخوف في نفس قارئه ، امـا راسين فيبعث الاطمئنان . والخوف من شكسبير يرجـع الى انه الطبيعة الثائرة المكتسحة ، اما الاطمئنـــان الـى راسين فيرجع الى انه انسان متحضر ، يريد ان ينفذ الى لب تلك الطبيعة الثائرة بخياله وان يسودها ايضا بعقله ، لا ان يشربها نفسه ويندمج فيها ويؤديها عاصفة صاخبـة كمـا هـي .

ونحن لا ننزع الى المفاضلة بين الشاعرين . فالفن غير العلم ، وهو لا يقبل القواعد الثابتة . وهل يمكن ان يكون للعواطف الصائلة في مختلف قلوب الناس قواعـد وحـدودا .

وهل انا ارى العالم كما تراه انت، وهل احس الحب والبطولة والالم والفرح كما تحسها انت . بل هل انا افهم الخير والشر كما تفهمهما انت ؟ . .

ما الفن الا رؤيا مستقلة تنبع من الفرد ومن خصائص بيئته وعنصره ، وبقدر ما في الدنيا من مخلوقات سابحة على سطح الحياة ، بقدر ما فيها من الوان الفن والجمال .

والفنان العظيم هو الذي يستطيع ان يمنحنا صورة جديدة للدنيا ، هو الذي يمكنه ان يراها بغير العيون التي نراها نحن بها . وكلما كان احساسه عميقا ونظرته نافذة، اماط لنا اللثام عن مباهج ومناعم لم نفطن اليهـــا لفرط تعلقنا بظواهر الاشياء وانشغالنا عن النظر الى بواطنها .

ففن راسين هو رجع صدى مزاجه ، وهو أثر من آثار عنصره اللاتيني . والشعوب اللاتينية بوجه عـــام تنشد في الفن الكمال ، اي صدق التعبير وعمقه مقترنين بروعة الشكل ممثلا كما اسلفنا في الوضوح والاتـــزان وتناسب الاوضاع وتماسكها المنطقي ، وتتوسل الى ذلك باخضاع العاطفة لحكم العقل .

فالفن اللاتيني يتصل بالعلم ، والفنان اللاتيني يمت الى العالم بأوثق صلة . وكما يرى العالم ان للطبيعـــة نظما وقوانين عليه ان يفهمها ليسيطر عليها وينفع الغـير بها ، كذلك الفنان اللاتيني يحاول ان يسيطر على الطبيعة بعقله ليفهمها وينفع بها الانسان في اكتناه اسرار نفســه ونفوس الاخرين ، وضبط انفعالاتها ومشتهياتها ونزواتها، والاتجاه بها في طريق سليم يختطه لها العقل .

فقيد الشعر الاخطل الصغير

مات فـــي الارز عبقري المشاعر فاذرف الدمع كالسيول الحوادر
وانعه للسماء للمـــلأ الاعلـى ، لنور الضحـــى لكـــل الزواهـــر
للحساسين فـي ربى الارز تزقـو لهـــى الشام للشوادي الشواعـر
للرياض الغناء للغابـة الشجراء للنهـــر للخميـــل الزاهـــر
للقياثيـــر للكـــؤوس عليهـــا خمرة الوحي مـن كروم العباقر
خمرة الوحي كـم سقاها نفوسا سادرات لـدى الوجود حوائـر
وتتغنى بأمـــة العـرب حتـــى شعره ارقص النهـــى والمنابـر
وهداها الـــى طريـــق سـوي فمضت تنشد الغوالي الذخائـر
واثـار الحسان شـــدو شجي رددته مـن الحسان ، الحناجـر
ما لك اليوم قد سكت عن التغريد وأخترت ضجعـة فـي الحفائـــر
من يعزي الرياض صوحها الحـــزن وحالت الـــى وجـــوم المقابـر
والنجوم التـــي رعيت طويـــلا لفها البث في ظـــلام الدياجـر
صرعـة هـــزت الشـام ولبنـا ن وناحت مـع الحجاز الجزائر
وعلـى النيـــل لوعـة وشجون وعلـــى دجلـــة قلوب سواعـر
وفلسطين فـــي نشيـج ممض شلها الحـزن والجدود العواثـر
نـــم هنيئا فلـــن تضيع بـلاد قد عقدنا علـــى فداها الخناصر
لـــن تضيع الحقوق فـــي غضبة الشعب ولن تكهم السيوف البواتـر
أمة العرب لن تزول علـى الدهر وفـــي القوم يقظة فـــي الضمائـر
فابعث الشعر فـي غناها شرودا وأثـــره عواصفـــا وقنابـــر
كرمى عين الفقيد مـــن نظم الشعر عقـــودا لجيدهـــا ، والجواهـر

سأغنـي امجادهـا كـــل يـوم بقصيد فـي كـل نـاد وسامـر
واوالي الجهاد حتـــى اراهـــا حـــرة النفس لا تلين لجائـــر

لاباز ـ بوليفيا

جورج الكعدي

اما الفنان السكسوني او الجرماني فهو في القالب لا يحفل بأن يسود الطبيعة ، بل يطمح الى الانطواء فيهـا والفناء في اشكالها ، اذ الفن في عرفه تمجيـــد لقـوى الحياة قبل ان يكون دراسة عقلية لتلك القوى . وكـــلا الفنين عظيم، وكلاهما رائعوجميل . وانمن يؤثر احدهما على آخر ، او ينتصر لهذا على ذاك ، ينكر على المـــزاج البشري مميزاته ، ويثير معارك جدلية لا طائل تحتها .

بيد اني اذهب في تقديري لمسرحيـــة « فيـدر » مذهبا خاصا . فأقول انها ملتقى النقيضـين ومجمـــع النزعتين : القـوة والكمـال .

فاندماج راسين اندماجا تاما في العواطف الجامحة التي اراد ان يصورها ، وتوفر في المسرحية . وهذه هي روح القـوة .

ومنطق الاسلوب واتزانه ووضوحه وتحليقه فـوق العواطف صافيا ساطعا مسيطرا ، متوفر ايضا فيهـا . وهذه هي روح الكمال .

فمسرحية فيدر معجزة فنية ، وهي آية مـن آيات الادب الفرنسي الكلاسيكي .

القاهرة

ابراهيم المصري

المعتمد وابن عمار

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

كيف تتحول الصداقة الى عداوة والمحبة الى كراهية والمودة الى حقد ، كيف تتغير العذوبة في الفم الى مرارة كالعلقم ويغدو التفاني رغبة جامحة الى التعذيب والقتل . لعل هذا هو سر من اسرار القلب الانساني وان كنت لا استطيع له تفسيرا الا انني ساروي قصة تاريخية جرت فيها كل هذه الامور ولعلها من اروع القصص التاريخية في الادب العربي ، قصة حب المعتمد لرجل بدات باتخاذه اياه اخا وصديقا ونديما ووزيرا ثم انتهت بأن حمل المعتمد بلطة هشم بها راسه تهشيما .

أحب المعتمد ابن عمار كما يحب الشاعر الملك او كما لم يحب المعتمد رجلا آخر في حياته مثله . تعرف عليه عندما كان المعتمد واليا من قبل والده المعتضد على مدينة شلب Silves وهي مدينة في جنوب البرتغال وكان المعتمد آنذاك ولي العهد لمملكة اشبيلية ولم يبلغ الثلاثين من عمره بعد . اما ابن عمار فقد كان شابا بسيطا من سكان (شلب) يصفه ابن بسام فيقول « انه امترى احلاف الحرمان وقاسى شدائد الزمان وبات بين الدكة والدكان واستجلس دهليز فلان وابي فلان » وروى ابن بسام ايضا في مكان آخر كيف تصدى ابن عمار بالمدح الى احد اعيان (شلب) فأجازه بمخلاة شعير وقال له « خذ ما حضر وانت احق من عذر » . وعندما تصدى ابن عمار لمدح والي مدينته وهو المعتمد عرف الاخير ان ذلك الشعر كان من شاعر مفطور له مستقبل عظيم ان تعهده بعنايته وعطفه . فقربه اليه وكانا في عمر واحدة تقريبا فتوثقت بينهما اواصر الود واصبح له فيما بعد صديقا حميما ونديما مفضلا لا يصبر على فراقه . وكانت براعة ابن عمار في النظم هي احب صفاته لاميره الشاعر وبقيا صديقين حميمين في شلب مدة ثلاث سنوات الى ان توفي المعتضد سنة ١٠٩٦ م وذهب المعتمد الى اشبيلية لتولي زمام البلاد وكان اول ما عمل المعتمد هو تعيين صديقه ابي بكر محمد بن ابي عمار واليا على مدينة شلب . وما ان يستقر الاخير في منصبه الجديد حتى تصله قصيدة من المعتمد تصور حياتهما السابقة في تلك المدينة البرتغالية الجميلة :

الا حي اوطاني بشلب ابا بكر ... وسلهن هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على قصر (الشراجيب) من فتى ... له ابدا شوق الى ذلك القصر
منازل آساد وبيض نواعم ... فناهيك من غيل وناهيك من خدر
فكم ليلة قد بت انعم جنحها ... بمخصبة الارداف مجدبة الخصر
وبيض وسمر فاعلات بمهجتي ... فعال الصفاح البيض والاسل السمر
وليل بسد النهر ليلا قطعته ... بذات سوار مثل منعطف البدر
نفت بردها عن غصن بان منفم ... نضير كما انشق الكمام عن الزهر

ولم يصبر المعتمد على فراق صديقه ابن عمار فما لبث ان استدعاه الى اشبيلية واسند اليه وزارته واصبح ابن عمار الرجل الثاني في مملكة اشبيلية لا يرفض له المعتمد طلبا ولا يمنعه عن شيء يريده . وتترك لنا كتب الادب لمحات لطيفة تصور مجالس هذين الرجلين وحياتهما في اشبيلية من ذلك ان المعتمد ركب في يوم من ايام الجمعة قاصدا الجامع للصلاة والوزير ابوبكر بن عمار يسايره . فسمع اذان المؤذن فقال المعتمد :

هذا المؤذن قد بدا بأذانه

فقال ابن عمار :

يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد :

طوبى له من شاهد بحقيقة

فقال ابن عمار :

ان كان عقد ضميره كلسانه

وادخلت على المعتمد يوما باكورة نرجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه :

قد زارنا النرجس الذكي ... وآن من يومنا العشي
وعندنا مجلس انيق ... وقد ظمئنا وفيه ري
ولي خليل غدا سميي ... يا ليته ساعد السمي

فأجابه ابن عمار :

لبيك لبيك من مناد ... له الندى الرحب والندي
ها انا بالباب عبد قن ... قبلته وجهك السني
شرفه والداه باسم ... شرفته انت والنبي

وهناك قصص للمعتمد وابن عمار تذكرنا بقصص هارون الرشيد مع جعفر ومن الطريف ان علاقة هارون مع جعفر كانت قريبة الشبه في مجراها ونهايتها من صداقة المعتمد وابن عمار . من ذلك انه مر المعتمد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندر فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال : من هذا ؟ فقال ابن عباد : انسان يرغب ان تقد له هذه الفتيلة . فقال : والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت ما فتحته . فقال : فأنا ابن عباد فقال : مصفوع الف صفعة . فضحك المعتمد حتى سقط على الارض وقال لوزيره امض بنا قبل ان يتعدى الصفع من القول الى الفعل . ولما كان من غد تلك الليلة وجه له الف درهم وقال لموصلها قل له هذه حق الالف صفعة التي كانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البارحة .

وتمضي حوالي عشر سنوات على هذه الحالة وابن عمار يعيش عيشة الملوك ويتقلب فيها على فراش العز والنعيم وكان اليد اليمنى للمعتمد في كل شؤونه لا سيما في السفارات الى الخارج والتفاوض مع ملوك الاسبان وملوك العرب . وكان ابن عمار يقوم بكل هذه المهام خير قيام مما جعل الفونسو السادس ملك قشتالة يقول عبارة من عباراته العديدة المشهورة « ان ابن عمار هو رجل الجزيرة » .

وفي هذه الفترة ايضا انتج ابن عمار اروع شعره فقد كان شاعرا مجيدا يقف في صف واحد مع اعظم شعراء الاندلس ان لم يكن في مقدمتهم وكان البلاط الاشبيلي يعج بهم في ذلك الحين . ولكن في تلك الفترة بالذات حدثت حادثة مهمة جدا وان لم تستلفت الانظار ولم يسجلها المؤرخون في كتاباتهم ولعلها الحادثة الاصلية التي كانت كل الاحداث الاخرى التي جرت بعدها صدى وترجيعا وتطورا طبيعيا لها تلك هي ان « اعتماد » الرميكية زوجة المعتمد اصبحت تغار من ابن عمار وتنظر بعين السخط الى حب المعتمد له وعطفه عليه . واخذت اعتماد تنقل الى المعتمد شكاواها من ابن عمار ولا شك انها كانت تخترع ان لم تجد ما تبالغ في وصفه . ويستدعي المعتمد في كل مرة ابن عمار فيدافع الاخير عن نفسه ويقدم هو شكاواه منها فتدافع عن نفسها ويفترق الخصمان وهما اشد عداوة من قبل ثم تعود القصة من جديد وتزداد العداوة عن ما كانت عليه وهكذا الى ان وجد المعتمد مخرجا من الازمة وحلا للموقف فقرر ارسال ابن عمار الى شرق الاندلس ليفتح له مدينة « مرسية » اذ كان المعتمد دائما يتشوق الى ضمها لمملكته .

ويذهب ابن عمار على راس جيش كبير ويفتح مرسية باسم المعتمد وذلك سنة ١٠٧٨م ويستقر له الامر هناك ويبقى واليا عليها كما كان سابقا في مدينة شلب ولكن المعتمد لا يلبث ان يحن الى صديقه القديم ويشتاق الى مجلسه ويحتاجه في ادارة المملكة ولذلك يطلب منه الرجوع الى اشبيلية وهنا يرفض ابن عمار ، يرفض ان يرجع الى الحالة التي كان عليها من قبل ولعله تصور نفسه وقد عاد الى دسائس اعتماد والى مواقف المهانة التي كان يقفها مع اعتماد امام المعتمد وهو يبرىء نفسه من اتهاماتها ولعله ايضا تذكر كيف كانت تحض اولادها لا سيما « الرشيد » على ان يتطاولوا على ابن عمار وان يهينوه علنا كلما سنحت لهم الفرصة بسبب وبدون سبب فعز عليه الرجوع ورأى انه لو استقل بنفسه في تلك المدينة البعيدة فانه لن يقلل من ملك المعتمد فهو الذي افتتحها له على اي حال والمعتمد في غنى عنها . ولعل ابن عمار لم ير في استقلاله عن ملك ابن عباد خيانة او غدرا بسيده وولي نعمته وانما رأى فيه حلا نهائيا لمشكلته . اما المعتمد فقد رأى فيه وقاحة وخيانة وغدرا فاضطرم غيظا وقامت الوشاية والسعاية لتزيد من اوار ذلك الغيظ وتساعد على اشتعاله . ولم يحسن ابن عمار حكم مرسية بعد استقلاله فيها والمهم ان ابن عمار لم ينجح في مغامرته اذ اوعز المعتمد الى قائد الجيش « ابن رشيق » ان يتولى الامر بنفسه وفي ذات يوم غادر ابن عمار مرسية لتفقد بعض الحصون الخارجية فوثب ابن رشيق واستولى على المدينة واغلق ابوابها في وجه ابن عمار . وسار ابن عمار يضرب في الارض على غير هدى وهو في حيرة من امره . وبدأ بذلك حياة التشرد فالتجأ في اول الامر الى سرقسطة ثم ذهب الى ابن المبارك في حصن « شقورة » وكانت قصة ابن عمار مع المعتمد قد انتشرت وشاعت في ذلك الحين واصبحت في جميع الاندلس حديث العامة والخاصة . فاراد حاكم ذلك الحصن ان ينال حظوة في عين المعتمد فالقى القبض على ضيفه وقيده بالحديد وارسله الى المعتمد في اشبيلية وهكذا يدخلها موكب ابن عمار لآخر مرة في حياته ويتقاطر آلاف الناس لمشاهدته وما اشد الفرق بين الامس واليوم فقد كانت اشبيلية تهتز عندما يدخلها ابن عمار او يخرج منها وكانت مواكبه تتألق تألقا اشبه بالاعراس الصاخبة واليوم يدخلها اسيرا ذليلا منكس الراس كسير القلب والعين . وينظر الناس اليه مبهوتين وكأن على رؤوسهم الطير ويتساءلون في قلوبهم كيف سيقتله المعتمد وما هي المنية التي سيختارها له .

ويضعه المعتمد في السجن وكان يطلب احضاره اليه كل صباح فيقف ابن عمار امامه في حالة زرية والقيد في رجليه ويديه ويأخذ المعتمد في تأنيبه وتقريعه ولومه فيستعطف ابن عمار ويسترحم ويتضرع ويطلب الرحمة والغفران . وكان ابن عمار ينظم ارق الشعر من سجنه ويرسله الى المعتمد الى ان اخذ قلب المعتمد يرق وبدأ يفكر في اطلاق سراحه . ومن قصائده :

سجاياك، ان عافيت، اندى وأسجح	وعذرك، ان عاقبت، أجلى واوضح
وان كان بين الخطتين مزية	فانت من الادنى الى الله أجنح
نعم لي ذنب غير ان لحلمه	صفات يزل الذنب عنها فيسفح
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدمة	يكران في ليل الخطايا فيصبح
أقلني بما بيني وبينك من رضى	له نحو روح الله باب مفتح
وعف على آثار جرم جنيته	بهبة رحمى منك تمحو وتمصح
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم	فكل اناء بالذي فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بفعله	فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمؤيد يرتمي	ولكن حلما للمؤيد أرجح
وبين ضلوعي من هواه تميمة	ستنفع لو ان الحمام مجلح

وكانت قصائد ابن عمار في استعطاف المعتمد تقرأ في المجالس الادبية ومرة في حضرة المعتمد اخذ اعداء ابن عمار ينتقدون الشعر ويطلبون له عيبا ويقولون اي معنى اراد في البيت الاخير فما قال شيئا ولا كاد فقال لهم المعتمد مهما سلبه الله من المروءة والوفاء فلم يسلبه

انا والليل

وسرقت يا ليل الطريق ،
وسلبت من نجمي البريق
امواجك السوداء لفتني كافعى جائعه
صفصافة في حقلك المصفر ...
تعوي حولها ريح الشتاء

ايــن القمر ؟
اعرفته يا ليل فهي اي البحور
لم تبق لي دربا لفجر
ارتجي منه العبور ...

ما لي ارى هذي الغيوم
عمياء لا تدري الى اين المسير
تجري ... تفتش عن مقر ...
امطارها طفل هوى من مهده
ليمس اكمام الزهر !

سيري غيوم الليل
نحو الرمل والصحراء
غيثا من رجاء
ينهل فيها يغسل الادران املاح السموم
ليطل ، بعد غياب ، وجه القمر
وترف آلاف النجوم !

حمص — حيدر سلوم

الشعر انما قلب بيت الهذلي :

واذا المنيــة انشبت اظفارهــا ألفيت كــل تميمــة لا تنفــع

وسمعت اعتماد بان المعتمد ينوي اطلاق سراح ابن عمار فجن جنونها واستعانت بابي بكر ابن زيدون والــد الشاعر المعروف واستعان هــذا بصغار الشعراء الذين كانوا يحسدون ابن عمار فقالوا للمعتمد ان ابن عمار وهو في مرسية نظم قصيدة في هجاء اهــل المعتمد لا سيما زوجته واولاده فلم يصدق المعتمد فاستمهلوه الــى ان يحصلوا على اثبات قاطع له واخيرا تــم لهم مــا ارادوا فحصلوا على نسخة من تلك القصيدة مكتوبة بخط يد ابن عمار نفسه والقصيدة واردة في عدة مراجع ادبية فيهــا شيء غير قليل من الفحش والاقذاع ومع ذلك فهي قويــة السبك متينة العبارة مطلعها :

ألا حــي بالغــرب حيــا حــلالا أناخــوا جمــالا وحازوا جمــالا
وعــرج (بيومين) ام القــرى ونــم فعسى ان تراهــا خيــالا
لتسأل عــن ساكنيهــا الرمــاد ولم تــر للنــار فيهــا اشتعــالا

وينتقل الى هجو اعتماد الرميكية زوجة المعتمد :

تخيرتهــا مــن بنــات الهجــين رميكيــة مــا تساوي عقــالا
فجــاءت بكــل قصيــر العذار لئيــم النجارين عمــا وخــالا
قصــار القــدود ولكنهــم أقامــوا عليهــا قرونــا طــوالا

ثم يصف ايام شبابهما وصفا بذيئا ويقول :

ساكشف عرضك شيئــا فشيئــا واهتــك ستــرك حــالا فحــالا

ويقرأ المعتمد تلك القصيدة كاملة بخــط ابن عمار فيفقد صوابه . وتقول لنا الرواية انه مسك طبرزينا وهي آلة أشبه بالبلطة كان قد اهداها اليه الفونسو السادس وذهب الى حيث كان ابن عمار يرسف في اغلاله ففــزع ابن عمار لرؤيته وارتمى علــى رجليه يقبلهما ويبللهمــا بدموعه ولكن المعتمد اخذ يضربه بتلك الآلــة حتى اجهز عليه ولم يتركه الا جثة هامدة تضرجها الدماء .

تلك هي قصة المعتمد وابن عمار . فهــل هي قصة صداقة تحطمت على صخرة العقوق ام ان هناك حــدا يضيق بعده المرء بالاحسان اليه وينقم عنده على المحسن نحوه ، ذلك لان الاحسان يضع المرء في موقف الضعيف المستجدي ام ان الصراع في الاصل هو صراع بين ابــن عمار واعتماد للاستئثار بقلب المعتمــد . ان مثل هــذا الصراع لا بد بطبيعته ان ينتهي بفشل ابن عمار فاعتماد كانت اثيرة عند المعتمد وان امرأة بذكاء اعتماد اقرب الى اذن زوجها واقرب الى حياته من اي كائن آخر . فــأن سعى ابن عمار فــي منافسة اعتماد واكتساب عداوتها فقد ارتكب بذلك خطأه الفادح ام ان هذا العداء هو نتيجة حتمية لم يكن لابن عمار يد او مجال للاختيار فيها وليس منها لاحد مهرب او نجاة ذلك لان كلاهما اراد الاستئثار بالمعتمــد .

ومهما كان الحال فقد حزن المعتمد بعد ذلك حزنــا شديدا على صديقه القديم وندم لفعلته اشد الندم ويقول صاحب النفح ان ذلك الندم بقي ينغص على المعتمد هناءه وسعادته طوال بقية حياته .

لندن — فؤاد جبور حداد

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

موسى العلمي - محيي الدين الملاح
مصطفى مراد الدباغ

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ موسى العلمي

الحكمة التي آمن بها موسى العلمي وبشر بها في ندواته ومجالسه ، واتخذها شعارا قبل وقوع النكبتين المروعتين في فلسطين قوله : « اننا لن ننتصر على اسرائيل النصر النهائي حتى ننتصر على انفسنا ! »

ولد موسى العلمي » في بيت المقدس عام ١٨٩٧ ودرج في مغارس العز والدلال وانتقل من منزله في القدس الى الكولونية الاميركية في المدينة الثكلى وتعلم الانكليزية في مدرستها وعاد الى رعاية والده العالم المرحوم فيضي العلمي وتلقى دروسا خاصة الى عام ١٩٠٩ والتحق بـ « المدرسة الدستورية » بالقدس لمؤسسها المربي المرحوم خليل السكاكيني وامضى فيها سنتين ومنها انتقل الى كلية الفريير بالقدس وقضى على مقاعد الدرس ثلاث سنوات . وبعد نشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) دخل الجندية وتنقل بين دمشق واستانبول ، وبعد ان وضعت الحرب اوزارها قصد جامعة كمبردج في بريطانيا طلبا للعلم وصرف فيها اربع سنوات (١٩١٩ ـ ١٩٢٢) وتخصص في الحقوق ونال شهادة L.L.B. بشرف وفي الوقت نفسه التحق بمعهد حقوق INNER TEMPLE وتخرج منه عام ١٩٢٣ وعاد الى فلسطين يحمل درجة BARRISTER - ATLAW

وفي عام ١٩٢٥ عين في وظيفة كبرى بدائرة النيابات العامة بالقدس وظل يعمل فيها لغاية عام ١٩٣٧ وبعدها شغل وظيفة « محامي الحكومة » وهي اعلى وظيفة اسندت لعربي في فلسطين .

وفي عام ١٩٣٧ اقاله المسؤولون البريطانيون من عمله ايمانا منهم بعطفه على قضية بلاده وشجبه تهويدها واغراقها بسيل الهجرة اليهودية فأبعدوه الى بيروت تخلصا من رجل يقاوم سياستهم الملتوية.

وعندما دعت بريطانيا الى مؤتمر فلسطين المنعقد في لندن عام ١٩٣٩ كان الاستاذ العلمي احد اعضاء الوفد الفلسطيني المفاوض ، وبعد ان نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) ابعدته السلطات الفرنسية عن لبنان الى العراق وظل فيه الى ان دخله الانكليز عام ١٩٤٠ فعاد الى بيروت الى ان احتل الجيش البريطاني لبنان عام ١٩٤١ فعالج مع المسؤولين البريطانيين قضية تشريده عن بلاده فسمحوا له بالعودة الى فلسطين والاقامة في « شرفات » (وهي قرية يملكها الاستاذ العلمي بالقرب من مدينته بيت لحم) اقامة جبرية لمدة سنة .

وبعد ان تلطف الجو السياسي عام ١٩٤٣ سمح له بالاقامة في القدس ومزاولة المحاماة. وفي خريف عام١٩٤٤ كان موضع ثقة الاحزاب السياسية الفلسطينية التالية : الحزب العربي ، حزب الدفاع ، حزب الاستقلال ، حزب الكتلة الوطنية ، حزب الاصلاح ، حزب الشباب .

ولبعده عن الحزبية اختارته هذه الاحزاب ممثلا لها في المؤتمر المنعقد في الاسكندرية عام ١٩٤٤ لتأسيس « الجامعة العربية » . ولخطورة هذا الموضوع يجدر بنا ان نجيء على ذكر بعض التطورات السياسية التي مر بها هذا المؤتمر .

مؤتمر الاسكندرية : في ٢٥ ايلول من عام ١٩٤٤ اجتمعت وفود الدول العربية في الاسكندرية ، في مؤتمر عرف فيما بعد بـ « مؤتمر الاسكندرية » مع ان اسمه الحقيقي « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام » واشترك فيه مندوبون عن دول مصر وسورية والعراق ولبنان والاردن والسعودية واليمن .

اما (فلسطين) فلم تدع لهذا الاجتماع ، مع ان قضيتها هي من صميم القضايا العربية بل انها اكثرها خطورة وابعدها مدى في التاثير على مستقبل العرب وعلى كرامتهم وعلى امكانية تكتلهم وجمعهم في وحدة شاملة .

غير ان ذوي الرأي في فلسطين رأوا خلاف رأي الدول العربية ، وصمموا على ارسال وفد فلسطيني الى هذا المؤتمر ليوضح لرجال الدول العربية حقيقة الموقف في فلسطين وليؤكدوا لهم انه لن تكون هناك وحدة حقيقية اذا لم تكن فلسطين في صميمها وان اهمالهم دعوتها لهذا المؤتمر قد يفسر في الخارج على انه اقرار من الدول العربية بان فلسطين ليست عربية وان امرها ومستقبلها لن يثيرا في العرب اهتماما .

وبعد تشاور ذوي الرأي في فلسطين قررت الاحزاب الفلسطينية المذكورة ارسال وفد الى الاسكندرية لينوب عنها في اقناع الدول العربية بضرورة اشتراك فلسطين في هذا المؤتمر ثم الدفاع عن قضيتها فيه ، فاختارت الاحزاب الستة الاستاذ موسى العلمي ليمثلها بمفرده في ذلك المؤتمر ، فقصد الاسكندرية وذلل الصعاب التي قامت في وجه قبول فلسطين في المؤتمر ، وتمكن من اقناع المؤتمرين بقبول وجهة نظر عرب فلسطين ، فاشترك في ابحاث المؤتمر ودافع عن اظلم قضية عرفها التاريخ ضمن حدود الميثاق القومي الفلسطيني .

ونجم عن هذه الابحاث وضع بروتوكول الاسكندرية عام ١٩٤٤ وفيه عهد للدول العربية بانقاذ فلسطين ، لكن الدول العربية لم تف بالعهد المسؤول ، وفي هذا المؤتمر بحثت لاول مرة فكرة انقاذ اراضي فلسطين عن طريق تمكين الفلاح فيها وذلك بتحسين حالة الاراضي وزيادة انتاجها ورفع مستوى الفلاح اقتصاديا وثقافيا وصحيا . وما لبثت هذه الفكرة ان تبلورت في اللجنة الاقتصادية التابعة للـ « جامعة العربية » في شهر تموز ١٩٤٥ واخيرا في دستور « المشروع الانشائي العربي » الذي تبناه مجلس الجامعة .

المشروع الانشائي العربي : ومن حق التاريخ العربي المعاصر علي ان اجيء بلمحة عن هذا المشروع العربي :

تألفت في الاسكندرية لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي (من ٢٥ ايلول ١٩٤٤ الى ٧ تشرين الاول ١٩٤٤) بحضور ممثلين عن سبع دول عربية وكان الاستاذ العلمي ممثلا لعرب فلسطين . وبعد ان وقف وشكر المؤتمرين على قبوله في اللجنة التحضيرية انبرى يشرح ادوار القضية الفلسطينية وما مر بها من ثورات واضطرابات ، وما يبيت لها في السر والعلن من مؤامرات للاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة وتسليمها لقمة سائغة للكارن كايميث « شركة الصندوق القومي اليهودي » ومحو القرى العربية من الوجود وتشتيت اهلها وشطب اسمائها من خارطة فلسطين .

وفي الجلسة الثالثة المنعقدة في ١ تشرين الاول ١٩٤٤ اقترح الاستاذ العلمي تأسيس صندوق قومي عربي عام تشترك فيه جميع الاقطار العربية وتشرف على ادارته ، فتوقف للعرب ، كما يوقف اليهود لليهود ، اراضي فلسطين الباقية لتظل في ايديهم ، وانذر العلمي المجتمعين بان عرب فلسطين اذا ما حملوا على الخروج منها فلن يتمكنوا من الرجوع اليها ، وختم كلامه بقوله :

« والخلاصة اننا نحن عرب فلسطين قد اصابنا من جراء السياسة الصهيونية اكبر ضيم ، وقمنا بأكبر التضحيات ، وقد استشهد منا اكثر من خمسة آلاف شهيد ، ونسف لنا عشرة آلاف بيت ، وهدمت بالمصفحات بيوت حقيرة للفقراء والمساكين ، وخسائرنا المادية لا تقدر بالملايين ، وتشتت زعماؤنا واولو الرأي فينا . وما زالت السجون ملأى برجالنا والمعتقلات تضم ابناءنا .. فحملنا ثقيل والطريق شاق .

فاذا سألتموني ماذا نحن بعد ذلك فاعلون ؟ قلت لكم بكل هدوء واطمئنان : اننا مصممون على الاستمرار في الجهاد حتى يقضي الله امرا كان مفعولا ، لاننا نرفض الذل ولا نرضى بالاستعباد ! » .

وقبل انفضاض اللجنة التحضيرية في الاسكندرية ابلغ مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر آنذاك ، الاستاذ العلمي تعيينه عضوا في اللجنة الاقتصادية التي اشار اليها بروتوكول الاسكندرية ، فشرع من توه في درس الموضوع ومراجعة الخبراء ، واخيرا اسمت اللجنة التحضيرية هذا المشروع « المشروع الانشائي العربي » ولهذا المشروع أساسان مهمان :

الاول ـ ان تقوم به الحكومات العربية دون تفكير بربح او باسترجاع رأس المال ، بل تقوم به على أساس فكرة المحافظة على الكيان ومنع جلاء العرب والحيلولة دون زوالهم من فلسطين .

الثاني ـ ان المشروع مبني على العمل لاستئصال المرض من الاصل وليس على فكرة تخفيف وطأة المرض عند حلوله . وبمعنى آخر يجب ان لا ننتظر حتى تقع ارض عربية في خطر البيع فنأتي لانقاذها وتخليصها من المشتري اليهودي ، بل علينا ان نمنع الظروف والاسباب التي تحمل صاحب الارض على بيع أرضه .

وفعلا تألفت في مدينة القدس جمعية سميت « جمعية المشروع الانشائي العربي » مركزها مدينة اريحا ، وسجلت في الدوائر المختصة بموجب قانون الجمعيات ، وغاياتها الاساسية :

أ ـ اصلاح القرية العربية ورفع مستواها الصحي والعمراني ،
ب ـ تحسين حالة المزارعين العرب الاقتصادية والاجتماعية ،
ج ـ تحسين الصناعات الزراعية والقروية ،
د ـ تشجيع التشجير على انواعه ،
هـ ـ الاخذ بالنظام التعاوني ،
و ـ انشاء معاهد للتدريب الزراعي والصناعي للايتام والمعوزين العرب مجانا .

بعد النكبة الاولى : لكن هذه الاهداف تغيرت بعد وقوع النكبة الفلسطينية المروعة (١٩٤٨) فبعد ان فقد العرب مدنا وقرى فلسطينية وخرج حوالي مليون عربي الى التيه ... ترتب على جمعية « المشروع الانشائي العربي » واجبات جديدة لم تكن تخطر على البال ، فالهدف الذي كان « رفع مستوى القرى وتحسين احوالها » اصبح في عام ١٩٤٨ « جمع الشمل ورفع الروح المعنوية وخلق امة جديدة واعية » .

وبعد توحيد ضفتي الاردن اتصل المسؤولون عن جمعية المشروع الانشائي العربي بالمسؤولين الاردنيين وطلبوا السماح لهم بالاستيلاء على اراض موات ، تقع بين أريحا ـ الشونة ، بقصد احيائها وفي شهر آب ١٩٤٩ سمح للجمعية بوضع يدها على تلك الاراضي الموات وبدأ المسؤولون بدرس احسن الطرق لاحيائها والتنقيب عن المياه الجوفية بآلات وادوات بدائية ، وفي نهاية كانون الثاني ١٩٥٠ تفجرت المياه الحلوة في تلك الاراضي الموات وتحققت الآمال ، وتطلع الاستاذ العلمي وبقية اعضاء جمعية المشروع الى تأسيس معاهد لايتام اللاجئين والمعوزين .

ففي شهر آذار ١٩٥٢ افتتح مركز التدريب الزراعي الصناعي لايواء وتعليم الايتام والمعوزين من اللاجئين ، ويشمل التدريب الزراعي عملية تحلية الاراضي من الملوحة وتسويتها وزراعة الحبوب والخضار والفواكه وتربية الدواجن والابقار وصنع الالبان .

يشمل التدريب الصناعي النجارة والحدادة والميكانيك والخياطة والنسيج وصناعة الاحذية .

وبفعل ايمان الاستاذ العلمي استحالت الصحراء الموات الى جنان وارفة الظلال وبرهن هذا العملاق الفلسطيني على ان الارادة القوية لا تعرف يأسا ، فاجترح وحده معجزات عجزت عنها الدول العربية مجتمعة !

وفي عام ١٩٤٥ ، على اثر اقرار «الجامعة العربية » انشاء مكاتب عربية في لندن وواشنطون للدعاية للقضايا العربية ، انشأ الاستاذ العلمي مكتبا في نيويورك وآخر في لندن وثالث في القدس ورابع في بيروت .

والذين عاصروا هذه المكاتب يذكرون نجاحها اذ لجأ الاستاذ العلمي في توجيهها الى خطة حكيمة هي الاتصال بما يسمونهم « الرجال ـ المفاتيح » ككبار موظفي الخارجية والساسة والصحفيين باعتبار ان التأثير في هذه الفئات اختصار للشوط الذي سبقتنا اليه الدعاية الصهيونية .

هناك اجماع كلي على ان الاستاذ العلمي شخصية فذة وهبها الله قدرا موفورا من الاخلاص والعلم والذكاء ورجاحة العقل ، و «الوطنية» في مفهوم تفكير وادراك وعمل ... لا كلام وشقشقة وثرثرة !

من آثاره القلمية : عز على الاستاذ العلمي ان تزدرد الصهيونية العالمية (فلسطين) قلب العالم العربي ، وتشرد شعبها ، وتطمس معالم العروبة والاسلام فيها ، فهب ، وهو الحكيم الرصين الى معالجة الكارثة الاولى التي عصفت بالعرب عام ١٩٤٨ بوضع كتاب قيم اسماه « عبرة فلسطين » ولنفاسة الموضوعات التي عالجها الاستاذ العلمي اقبل المثقفون العرب على دراسته ، ونجم عن هذا الاقبال طبع الكتاب ثلاث طبعات في عام ١٩٤٩ .

نموذج من نثره : « مرت معركة فلسطين في دورين : ففي الدور الاول كان عبء الدفاع ملقى على عاتق الفلسطينيين . وفي الدور الثاني تناولته الجيوش العربية ، لكن العرب لم يحسنوا الدفاع عن فلسطين في كلا الدورين .

في الدور الاول ، كانت مواطن الضعف الاساسية في الدفاع العربي ، أنا كنا على غير اهبة ، وان لم نؤخذ على غرة . وكان اليهود على اهبة كاملة . وانا سرنا في المعركة على مقياس الثورات السابقة ، وسار اليهود فيها على مقياس الحرب الشاملة . وأنا ادرناها على طريقة موضعية ، دون وحدة ، ودون شمول ، ودون قيادة عامة ، فكان دفاعنا مفككا ، وامرنا فوضى ، كل بلد يحارب وحده ، ولم يدخل المعركة الا ابناء المناطق المجاورة لليهود .

وادارها اليهود بنظام موحد ، وقيادة موحدة ، وتجنيد عام ، وان سلاحنا كان رديئا وناقصا ، وكان سلاح اليهود حسنا قويا ، وان اهدافنا في المعركة كانت مضطربة متباينة ، وكان هدف اليهود كسب المعركة .

هذه الثغرات نفسها كانت مواطن الضعف في دفاعنا ، في الدور الثاني ، دور الجيوش العربية : التفكك وفقدان القيادة الموحدة ، والارتجال وتباين الاهداف ، وزاد عليها التخاذل وعدم الجد في الحرب .

وكما اننا لم نحسن العمل في الميدان العسكري ، كذلك لم نحسنه في الميدان السياسي . كانت اعمالنا مرتجلة ، وكانت تصرفاتنا سلسلة من الاخطاء الكبيرة ، ولم يكن لنا هدف واضح ، ولا خطة معينة . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا وذاك ان حلت بنا الكارثة واضعنا فلسطين !

وانما كانت هذه الثغرات انعكاسا لحالة الامة العربية والنظم القائمة فيها ، فهي في نظامها السياسي مفككة ، يقوم نظامها على التجزئة ، وقد انعكس ذلك على صفوفها في المعركة ، فكان هذا التفكك

والتخاذل . ثم ان زمامها في ايدي حكومات عاجزة تنقصها الكفايـــة والامة نفسها لا تزال ضعيفة الوعي والنمو » .

٢ ـ الشيخ محيي الدين الملاح

ولد في ميناء طرابلس الشام عام ١٨٧٦ وتعلم القرآن الكريم وختمه عند الشيخة صفية زوجة المرحوم عبد القادر جعاره التاجر في الميناء وأتقنه قراءة وتجويدا على الشيخ عبـــد اللطيف العلمـــي الحسيني المعروف بـ (السبع) وتعلم على يديه الخط والانشاء والحساب . ثم لزم العالم الورع الشيخ ابراهيم السندروسي الحسيني ، الامـــام والمدرس في الجامع المنصوري الكبيـر بطرابلس وقـرأ عليـه قسـم العبادات ، من حاشية ابن عبادين وقسما من علم التوحيد ، ولـــزم دروس الشيخ عبد الكريم بن السيد محمد عويضة مدة طويلة وقـــرأ عليه الكتب العلمية العالية من نقليـــة وعقلية واجازه اجازة عامـة بالفتوى والتدريس العام وكناه منذ صغره بـ « ابي الفضل » .

وفي عام ١٩٠٢ عين معلما للدروس الدينية والعربية في المدرسة السورية ببيروت في عهد مديرها الشيخ طه النصولي وفي عام ١٩٠٥ عين رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية في حيفا وقام بالتدريس في جامع النصر الكبير هناك . وفي صيف عام ١٩١٨ عين قاضيا شرعيا فيهـــا ونقل في شتاء عام ١٩٢١ قاضيا شرعيا ليافا وفي ربيع عام ١٩٢٣ نقل قاضيا شرعيا للرملة .

وفي صيف عام ١٩٢٤ نقل الى القضاء المدني وعين قاضي صلـح في بئر السبع فخدم القضاء الشرعي والمدني هناك وفي صيف عـــام ١٩٢٨ نقل قاضي صلح في غزة فاستقال مـــن القضاء الشرعي وتفرغ للقضاء المدني .

وفي ربيع عام ١٩٣١ نقل قاضي صلح لنابلس وبقي فيها الى ان احيل على التقاعد في عام ١٩٣٧ وخلال توليه القضاء كان مثالا اعلـــى للقاضي النزيه وفي ذلك يقول :

صن ايهـا المأمـور أي وظيفـــة ... وليتهـا وانهض بها بالصدق نهضا
ان الوظيفة مثل عرضك صونهـا ... فرض فلا تثلم وقيت السوء عرضا

وتميز الفقيد بنصرة الحق ، وفـــي سبيل الحق كان لا يتأثـــر بالصداقات وفي ذلك يقول :

الحكم للحق عندي فالصديق بـه ... مثل العدو هما بالعدل ســيان
فـلا صديقي يرجونـي لباطلـــه ... ولا عدوي عنـد الحـق يخشانـي

وفي كل صباح كان يناجي نفسه قائلا :

ان تشـأ ان تكون دومـا قويـــا ... فتوكـل علـى العزيـز القـــوي
وقل الحق لا تخف فيـه لومـــا ... واستقم وامض في الصراط السوي

وكان يصارح (الوسطاء) بان الحق شفيع نفسه ، وان الباطل لا شفاعة فيه :

يا مـن أتى متشفعـــا بقضيـــة ... أو أي امـــر للســـوى يقضيـه
الحق اكبر شافـع فـي نفســـه ... والبطل لا ترجـى الشفاعة فيـــه
لم اعط دينـي للشفيع بباطـل ... وأصون عرضي عـن فعال سفيه

وكان المترجم له اذا خرج من المحكمة جـم الحياء ، موفـــور التواضع ، يسلم على الكبير والصغير والبشاشة تعلو وجهه :

اني من الناس لا أعلو على أحـــد ... الا على من بثـوب الكبـر مؤتـزر
وان من شيمـي والديـن أدبنـي ... حسن التواضع عـن قدر له خطر

وفي عام ١٩٣٨ زاول الفقيد المحاماة امـــام المحاكم الشرعيـــة والنظامية بفلسطين وكان المبدأ الذي سار عليه رفض أية دعوى تقـــوم على الباطل . وفي اخريات ايامه هجر اصحابه وجاور مسجـــد كاتب الولايات بمدينة غزة ، يطالع الكتب ، ويعد الخطب ، ويردد هـــذا البيـت :

فمن زارني أهلا وسهلا ومرحبـا ... ومن لم يزرني لا مـــلام ولا عتبـا

وفي شهر كانون الاول من عام ١٩٥٢ اصيب برشح لم يمهله اكثر من ثلاثة ايام ففاضت روحه يوم الجمعة الموافق ٢٦ كانون الاول ١٩٥٢ ودفن في المقبرة المجاورة للمستشفى البلدي بغزة هاشم .

من آثاره القلمية :

١ ـ الفرر البهية ، في نظم متن الحكم السكندرية (لابن عطاء اللـــه السكندري) في التصوف والتوحيد وقد نظمها الملاح شعرا .
٢ ـ عمدة الحاكم ، ومن يتردد للمحاكم (في القضاء) .
٣ ـ نظم الدر المنثور ، من الحكم والامثال والمأثور .
٤ ـ دروس العوام ، في شهر الصيام (ضم طائفة من تفسير بعض آي من الذكر الحكيم وبعض الاحاديث النبوية) .
٥ ـ خير الاستدلال ، بتفضيل العلم على المال (وهـــو حوار بلسان خمسة من طلاب المدارس) .
٦ ـ النهج المؤيد ، بمولد محمد صلى الله عليه وسلم .
٧ ـ الفرائد من شوارد الفوائد .
٨ ـ الخطة العصرية في الخطب المنبرية الوعظية .
٩ ـ نيل الامنية في المحاضرات الادبية .

نموذج من شعره : في شهر آب عام ١٩٢٧ زار « شوقي » لبنان فزين له احبابه والمعجبون به زيارة (زحلة) جـــارة الوادي وارض العنب ... وذكره المرحوم شكري بخاش صاحب « زحلـــة الفتاة » بالخريدة التي وعد بها في وصف زحلة ومفاتن واديها وسحره الخلاب !

وفي اعقاب آب ١٩٢٧ خف « شوقي » الى زحلة عاصمة البقاع وهناك جذبته الطبيعة التي نحتها الخالق . وانجازا للوعد نظم القصيدة التي وعد بها في وصف زحلة وهو نزيل « فنـــدق قادري » وقدمـه المرحوم خليل مطران اميـــر الصناعتين والقى القصيدة بالنيابة عـن « شوقي » وبحضوره الكاتب الناقد الاستاذ فكري أباظه وكان مطلعها :

شيعت أحلامـي بقلـب بـــاك ... ولمت مـن طـرق الملاح شباكي

الى ان يقول :

يا جاري الوادي طربت وعادنـي ... ما يشبه الاحـلام مـن ذكـراك !

وتناهت ابيات هذه المعلقة المعتقة الى الشيخ محيي الدين الملاح فبادر الى تشطيرها وكان موفقا في عملـــه ، ومما وعته الذاكرة مـن أبياتها قوله :

لم انس في (الوادي) لقاء زادني ... شغفـــا بجارتـه وانسا صادنـي
قسما بحسن للصبابـة قادنـــي ... يـا جارة الوادي طربت وعادنـي
ما يشبه الاحلام من ذكراك

اصبحت من خمر الحرام محـيرا ... وبمهجتي جمـــر الهيام تسعـرا
وفقدت ما يدعى الشعور بما جرى ... مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى
والذكريات صدى السنين الحاكي

والله يشهد كم سريت بغـــدوة ... ابغـي لقاك وكم سرحت بعـدوة
ولكم هبطت وكم علـوت بـذروة ... ولقد مررت على الرياض بربـوة
غنـــاء كنـت حيالهـا القـاك

يا منية النفس التي بعد النـوى ... منت بوصل كان لي نعم الـدوا
اني على فرط اشتياقي والجـوى ... لم ادر ما طيب العناق على الهوى
حتـــى ترفـــق ساعدي فطواك

ونشرت شعرك فاحمـا متوهجـــا ... فبدا بـه فجر المحيا ابلجـــا
ونظرت ثغرك فانعطفت معرجـــا ... ودخلت في ليلين فرعك والدجـى
ولثمت كالصبـــح المنور فـــاك

وهناك اخبار العفاف تواثبـــت ... ومع النفوس الهائجـات تجاذبت
فتقطعت سبل المنى وتـــراقبت ... وتعطلت لغـة الكـلام وخاطبـت
عيني فـــي لغـة الهوى عيناك

ما لي زمان في حياتي يحمـــد ... الا الذي القـاك فيـــه فاسعد
يا بهجـة الايـام انت المقصـــد ... لا امس من عمر الزمان ولا الغـد
جمع الزمان فكان يوم لقـــاك !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ــ مصطفى مراد الدباغ

من ابرز سمات « مصطفى » دفاع عن الحق ، وصراع مع الباطل وامعان في محاربة الظلم ومقارعة الظالمين . وكان شعاره لنجليه وطلابه قول سعد زغلول : « لا يفوتكم ان تحتجوا على كل عمل ترون فيه مخالفة للقانون مهما كان صغيرا في نظركم ، فربما كان لهذا الامر الصغير علاقة في المستقبل بامر كبير ، فيتخذ سكوتكم حجة عليكم ! » .

في يافا عروس الشاطىء الفلسطيني ولد « مصطفى » عام ١٨٩٨ واكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الاميرية بيافا ودراسته الثانوية في سلطاني بيروت . وفي عام ١٩١٥ عين مرشح ضابط في الجيش العثماني وارسل الى معسكرات الجيش في استانبول وسرعان ما انضم الى الحملة التي قصدت الحجاز بقيادة فخري باشا . وبوصفه عربيا لم يرسله المسؤولون الاتراك مع رفاقه الضباط الذين يمموا الجبهة ، بل عهدوا اليه بعمل كتابي في المدينة المنورة وحوصر فيها عندما اعلن الحسين بن علي الثورة على الاتراك .

وحينما استسلم فخري باشا القائد التركي للجيش العربي التحق « مصطفى » بالجيش العربي بقيادة الامير عبد الله بن الحسين وبعده شقيقه الامير علي ، وظل « مصطفى » في الحجاز حتى اعلان الهدنة واحتلال الجيش البريطاني لفلسطين فعاد اليها وعين مديرا لمدرسة المنشية الاميرية (١٩١٩ ــ ١٩٢٢) فمديرا لثانوية الخليل (١٩٢٢ ــ ١٩٢٧) فمساعدا لمفتش المعارف بلواء نابلس (١٩٢٧ ــ ١٩٢٨) فمساعدا لمفتش المعارف في غزة (١٩٢٨ ــ ١٩٣٢) فمفتشا للمعارف في يافا (١٩٣٣ ــ ١٩٤٠) فمفتشا للمعارف في نابلس (١٩٤٠ ــ ١٩٤٥) فمفتشا للمعارف في يافا (١٩٤٥ ــ ١٩٤٨) .

وبعد ان اجتاحت النكبة الاولى فلسطين (١٩٤٨) عين استاذا للاجتماعيات في ثانوية حلب فمفتشا لمدارس المقاصد الخيرية ببيروت (١٩٤٩) فمساعدا لوكيل وزارة المعارف الاردنية (١٩٥٠) فوكيلا لوزارة المعارف (١٩٥٤) فمديرا للمعارف في قطر (١٩٥٩ ــ ١٩٦١).

من آثاره القلمية : زود « مصطفى » الخزانة العربية بمجموعة من المؤلفات ، ودونك اسماءها :

(١) مدرسة القرية طبع عام ١٩٣٥
(٢) بلادنا فلسطين طبع عام ١٩٤٧ (الطبعة الاولى)
(٣) التاريخ القديم للوطن العربي طبع عام ١٩٥١
(٤) الموجز في تاريخ فلسطين طبع عام ١٩٥٦
(٥) قطر : ماضيها وحاضرها طبع عام ١٩٦١
(٦) الجزيرة العربية (جزءآن) طبع عام ١٩٦٢
(٧) بلادنا فلسطين (الجزء الاول ــ القسم الاول) طبع عام ١٩٦٥
(٨) بلادنا فلسطين (الجزء الاول ــ القسم الثاني) طبع عام١٩٦٦
(٩) نابلس وبلادها (جزءآن)

وفي خريف عام ١٩٦٦ منحت « جمعية اصدقاء الكتاب » في لبنان نصف « جائزة فلسطين» التي قدمها السيد توفيق عساف وقيمتها ٣٠٠٠ ليرة لبنانية ، للاستاذ الدباغ تقديرا لكتابه الجامع « بلادنا فلسطين » . وهذا الكتاب يعرض لك صورة حية لمعالم بلادنا ، فلسطين ، ذاكرا اسماء جميع مدنها وقراها ومختلف بقاعها ونواحيها باسمائها العربية ، التي عمل الاعداء على تبديلها وتسميتها باسماء يهودية ، حتى تزيل صبغتها العربية وينساها الفلسطينيون والعرب .

نموذج من نثره : « وهكذا فانت ترى ايها القارىء الكريم ، بان بلادنا ، فلسطين ، الارض الطاهرة ، الارض الطيبة المستباحة ، القطعة الغالية المقدسة من الوطن العربي ، والتي لا تزيد مساحتها عن عشرة الاف ميل مربع الا قليلا ، تمتاز بروائع تكوينها وبجمالها الطبيعي الساحر الخلاب ، وبمناخها المطلوب لاي فصل من الفصول ، وباريج زهورها ورياحينها ، وبوجهها المخضوض الذي يرتد البصر عن آفاقه حاسرا وهو يرجو لو علق به الى الابد .

ففي الجبال ، التي كانت معاقل الجهاد ، تتجلى لك فلسطين بما فيها من سمو وجمال . فدائرة المشاهد فيها مترامية الاطراف ، بعيدة الآفاق ، تطل على اجمل ما خلقه الله من مناظر . في هذه الاعالي الاعجوبة ، فهي تريك طورا البحر والسهول وتارة الاغوار والنجود : مشاهد طبيعية رائعة تكمن فيها الفتنة ويستشف منها السحر .

ففي الربى يكون الجمال بين يديك ، والخيرات امام ناظريك . والهواء النقي المنعش يتخلل رئتيك ... تسمع فيها خرير المياه المتدفقة وتغريد الطيور الجميلة وحفيف الاشجار العالية .

ومن اجمل ما تراه العين من الاعالي الحقول ، اما محروثة او عامرة سنابلها بالحب ، والسهول الخصبة اللطيفة التي تتخلل المرتفعات ، والاودية والشعاب التي تتموج في اخضرارها واصفرارها ، والربى الخضراء البهيجة المزينة بالازهار المختلفة الالوان يفوح طيبها بين الادغال تحيي المارة بروائحها الذكية ...

كما ترى كروم العنب وقد احتضنت ثمرها ، وغابات الزيتون البهيجة العامرة تداعبها الرياح فتظهر للرائي ، وكانها مغطاة ببرقع فضي شفاف جميل للغاية ... وتبدو القرى خلال هذه الربى والمزارع والكروم والغابات وكانها جزر من اللؤلؤ في بحر الزمرد ، او متنزه رشيف تلفه الاشجار الوارفة الظلال والازاهير الزاهية الالوان ...

وعلى الجبال « صفد » المطلة على اجمل المناظر ، واغربها واكثرها روعة : الجليل وطبرية والحولة وغيرها ... و « الناصرة » عروس الجليل الحافلة بالذكريات المسيحية المقدسة ، والتي كان بيتا من بيوتها قد جمع الطهارة باكملها ، وانشأ شابا خالصا من كل شائبة في وجه دنيا رجس وسوء ... وبقية القدس ، التي تضم كثيرا من رفات الصحابة والذكريات ودماء الشهداء ... وغيرها من المدن والقرى التي نعرفها ، كل شبر فيها يحكي قصة ويروي تاريخا . (والحمد لله الذي وقى بعضها شر الاعداء اللئام) .

وفي الجبال بعض الربى الماحلة ، الا انها لا تخلو من اماكن تزينها الكروم ، وادواح خضراء متناثرة على سفوحها ، ووديان مخضرة يسرح فيها قطعان من المواشي . وفي هذه الارجاء تختبىء مواطن فتنة وسحر عديدة حبتها بها الطبيعة الطيبة .

واذا وليت وجهك من هذه الجبال ، شطر الغرب تر مشهدا منقطع النظير ، فلما تجد له شبيها في سحره وفتنته : انهرا وجداول ، حقولا مزروعة ومحصودة ، سهولا فسيحة تزدهي بشتى الخيرات من حبوب وبقول وخضر وفواكه ...

وفي هذه السهول ترى غابات البرتقال وبياراته ، جنة الساحل وفخره ، مثقلة بالاثمار الذهبية في فصل الشتاء ، وفواحة باريج الزهور وشذا العطر التي يحملها النسيم رطبا معطرا الى مختلف الاماكن في الربيع ، وتفيء من ادواح شجرها سابغ الظل طيلة ايام السنة .

وهناك دون السهول وبيارات البرتقال شواطىء البحر الجميلة الخلابة التي تتدافع عليها الامواج مرددة اغنية التاريخ وما قبل التاريخ وحوادث الايام ... ذلك الشاطىء الذي كان يعمره المستحمون وطلاب المتع الشاطئية من بني يعرب بحيويتهم الدافقة ، ويشيعون من حولهم مجالي البهجة والمرح .

وفي الافق ازرقاق البحر الذي تتالق صفحاته في وهج الشمس، وقد ترى فيه دخان البواخر واشرعة المراكب ... يا له من مشهد رائع ساحر ! ها هي يافا : عروس الوطن المنتهب ، وسيدته الكبرى ، وكانها واحة افلتت من الجنة ؟

ها هي الرملة واللد واطرافهما ! تذكرنا ببطولة اهلها ، وببطولة قافلة من شهدائنا استشهدوا في سبيل وطنهم ، ولكل منهم قصة خالدة على مر الزمن .

وهناك في الجنوب العروسان اللتان بشرنا بهما الرسول : غزة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعسقلان .

وهناك في الشمال حيفا ! قرة عين الوطن الحبيب وربة الساحل ومحجة القلوب ... وفي الافق البعيد عكا ! الشامخة الشائقة الخالدة ، البلدة الصغيرة الهادئة التي تحمل نبأ الدهور ... والتي ذكرها النبي العربي بقوله : (طوبى لمن رأى عكا) ...

وهناك فضلا عن ذلك سلسلة المدن والمزارع والقرى التي سهرت مع المجاهدين وزودتهم بالمؤونة والسلاح للابقاء على عروبة فلسطين .. مما يثير بنا كوامن المشاعر ، وثير فينا غوالي الذكريات ...

واذا وليت وجهك شطر المشرق رأيت الوهاد السحيقة والصخور الصماء ، والغور بمزارعه وقراه ومدنه وبحيراته وانهاره . يتهادى اليك نسيم الغور في الشتاء والربيع رفيقا ، رضيا ، جافا ، معطرا باريج الازاهير والرياحين وشذا الثمار .

نرى الغور في الفصلين المذكورين مروجا خضراء تمتد عن يمين وشمال تعاونت يد الله ويد العرب بترصيعه بأروع الالوان . تراه بهيجا باخضراره ، ناعما بانواره جميلا باعشابه . وكأنه فردوس بما يزينه من الوان الازاهير الرائعة ...

وفي الغور « الاردن » الذي يعد جدولا صغيرا بالنسبة لانهار العالم الكبرى الا انه الخالد بين الانهار ، والحامل هو وبحيراته وجواره ، المقدس من المياه والذكريات !

وليس أفضل وابهج من تمضية فصل الشتاء في « الغور » . ولعل مشتى (اريحا) وجوارها لا يضاهيه مثيل في العالم في دفئه وآثاره القديمة .

وفي الغور «بيسان» البلدة المتواضعة التي شاهدت عزا ومجدا، وعاشت اياما من الدمار والخراب . ومن « طبرية » وبحيرتها ترى اجمل المناظر الساحرة واكثرها فتنة تقع عليها العين فيوطننا المغتصب.

وهناك مدن وقرى ومزارع في الغور ، حماها الله منشرور اليهود ووحشيتهم !..

واذا جنحت من الجبال جنوبا ، وانحدرت الى بئر السبع وما بعدها ، حيث يضمحل الاخضرار ، وتنضاءل الظلال ، فتغدو في بادية جبلية ، قاحلة جرداء عليها جهامة ، يحرقها لهيب الشمس .. وهي مع ذلك تمتاز بصفاء جوها ونسيمها الجاف المنشط وبهدوئها البعيد القرار . والله وحده يعلم ما تخفي من اسرار وما تخبىء من ثروات وخيرات .

وهي هي حلقة الاتصال بين عرب اسيا وعرب افريقيا .. وهي هي التي يتطلع العدو لاروائها واملائها بشبابه ورجاله .. وهي هي التي يتطلع اليها العدو لتصله مع افريقية واسيا ...

من الذي يدعي ان في وسعه وصف جمال هذه البقعة المقدسة من الارض ؟

من قال ان باستطاعته ان يفاضل بين اجزائها ، هل الساحل والسهول اكثر جمالا من الجبال ؟ ام هل الاغوار العجيبة والعميقة والصحارى المترامية اقل روعة من غيرها ؟ انها الجنة بكل معانيها ..

جمال يناجي القلب ويثير اشتات الذكريات ويبعث في الجوانح حرارة التشوق والهيام !

هذه هي نظرة خاطفة على وطننا الحبيب ، على الارض الطيبة المغتصبة ، على سواحلها وسهولها واعاليها ، وعلى اغوارها وصحاريها وعلى ثرواتها وخيراتها وجناتها وفتنتها ...

وكأنه قد اجتمع في وطننا العزيز الغالي كل مثال لمختلف الاقطار والاقاليم المسكونة على وجه البسيطة ، الامر الذي لا تجد له مثيلا في اي قطر ـ في مثل مساحتها ـ من اقطار العالم .

فلسطين لنا ونحن لها ، فلسطين لنا وحدنا ، ولا نريد فيها شريكا .. يشدنا اليها رباط اقوى من ان تعبث به الاحوال او تفصم عراه يد الزمان ...

هذه الارض الطاهرة التي استمدت من الله حنانا وتقديسا ، هذه الارض المباركة التي اسبغ الله عليها القداسة ما ملأ الدنيا ، هذه فلسطين الحبيبة ، التي تجود بخيرات وخيرات .. تذكرنا بجدودنا وابائنا ـ رضوانالله عليهم اجمعين ـ الذين حرروها وعمروها وانبتوها، تم حموها بالنبيل الغالي من دمهم .. تعرض ابناؤهم لغدر البريطان الذين خانوا الامة ، وللجناية المنكرة التي رماهم بها الامريكان ، ولبطش العدو اللئيم .. فكان الاخراج من الاوطان واللجوء والتشرد .. الشعب الذي كان آمنا مطمئنا اقتلع من ارضه وجرد من ممتلكاته وتمزق شمله في الفلوات ، وتعرض لاعظم الشقاء ، واقصى الذل والمهانة وتبددت حياته تقتيلا وتجويعا وديست حرماته عدوانا واثما . فان ما لاقاه « العائدون » بشكل افجع صفحة ذكرها التاريخ البشري ..

واصبحت فلسطين ، بما حل فيها من جماعات محمولة من شتى بقاع الارض يهودية صهيونية بعد ان كانت عربية مسلمة .

وهكذا تمركز في قلب العالم العربي عنصر غريب معاد طامح يهدد كيان العرب في سائر اقطارهم .

واليوم اشتاقت هذه البلاد الى السواعد السمراء القوية التي تعهدت جمالها الطبيعي وحولته الى سحر وفتنة .. والتي حطمت بجهودها الجبارة الصخور لتستدرها الرزق والخير وتستنبتها الزرع والعيش ...

ان الارض المخصاب والمزارع الخيرة ، اشتاقت الى الايادي القحطانية والعدنانية التي كانت تفلح وتكدح وتزرع وتحصد فتشيع الدفء في باطنها ..

اشتاقت اشجار البرتقال والكرمة والزيتون والموز .. اشتاقت البساتين المورقة الفناء التي تواتيك من الثمر بما طاب ، وتنفحك من الزهر بما نضر .. اشتاقت لفارسيها ورعاتها الذين تعهدوها بعرق كفاحهم ، وانضجوها بالدأب والكد .. فبدت لناظريها وكأنها فيعرس من الخضرة والجمال ...

متى تعود ، وترى قرانا ومواقدها وسحب دخانها !

متى تعود ، وترى مدننا وحدائق منازلنا !

متى تعود ، لمسرح طفولتنا وملعب صبانا !

متى تعود ، لمهد الذكريات ومثوى الاباء والاجداد !

متى تعود ، الى حيث نود حقا ان نعيش ونموت !

اننا ننتظر اللحظة التي نعود فيها الى ارضنا الطيبة لنسجد على ثراها الطاهر الذي روته دماء الرسل والانبياء والصحابة والشهداء والاجداد .

رعاك الله ايها الوطن العزيز الغالي ! والله ما خطونا خطوة في تشردنا الا وذكرناك وانت على البعد والقرب ملء قلوبنا ووجداننا ما دبت فينا ، وفي الاجيال التي تاتي من بعدها حياة ...

فلا خفف الرحمن ما بي منالهوى ولا قطع الرحمن عن حبها قلبي
فما سرني اني خلي من الهوى ولو ان لي ما بين شرقه الىغرب

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

ام كلثوم

كانت قد ألفت بمصر لجنة من الشعراء يرعاها الوزير الاستاذ حسن عباس زكي ويرسم منهجها الاستاذ عبد الحميد جودة السحار لانتقاء ملحمة تكتب عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لتكون نشيدا تنشده « ام كلثوم » مضارعا للمنظومة الابتهالية « نهج البردة » لاحمد شوقي . وقد وقع اختيار اللجنة على النشيد العاشر « نجم احمد » من الملحمة العربية الاسلامية التي يكتبها صديقنا الدكتور زكي المحاسني ووافقت ام كلثوم على انشاد هذا النشيد . (الاديب) .

يا « أم كلثوم » خل الحب يرعانا ... أنت التي قد جعلت الحب نجوانا
غنيت في الدهر آلام الغرام وما ... يلقى المحبون ، أسقاما واشجانا
فقلت آه ورد الآه كل فتى ... يرى غناك له نعمى وسلوانا
قالوا بصوتك صاح العندليب فان ... شقشقت فيه بدا في السمع مفتانا
وقيل اسطورة « أورفي » حواك بها ... فكنت من عبقر صوتا وألحانا
لكن ، أقول وعفو الله يشملني ... فمنه صوتك قد وافاك رحمانا
بنت الخلود وأخت الدهر هات لنا ... مديد عمر لنحيا فيك أزمانا
هل كان عيسى به عهد اليك فلو ... غنيت أهل البلى أحييت موتانا
من عهد آدم كان الصوت آسية ... تأسو الجراح وتعطي الروح ندمانا
يروق الكأس من خمر معتقة ... قد راح فيها اخو الآزال سكرانا
يا رب وجد غلا في صوت منشده ... فنبه النجم حتى بات يقظانا
أأنت جنية من عالم بعدت ... منه اللقاءات حتى ضن حرمانا
أم أنت انسية تهفو بشائرها ... على السنين وتلقى الناس تحنانا
أطربت عالمنا حتى لقد نزلت ... في كل اذن نجاوى منك سكانا
وطفت في الشرق مثل الشمس مشرقة ... وكوكب الشرق قد سموك اعلانا
ورحت للغرب فاهتاجت مسامره ... لكي ترى نجمك الوهاج مرنانا
يا عفة لزمتك العمر حانية ... على الصبا واكتهال العهد برهانا
يا سيرة ملؤها عطر يفوح على ... هام الزمان لكم عطرت انسانا
كانت قيان لبسن العمر مثلبة ... فباعهن الشقا ظلما ونكرانا
فعشن في غمرات الحظ باكية ... قلوبهن وقد خالطن مجانا
أما « دنايز » فازدادت محاسنها ... لما بدت فيك طي الدهر تلقانا
نلت الدنايز آلافا مؤلفة ... كفاء صوت يزيد الروح احسانا
يا « أم كلثوم » وافيت الوئام على ... شعري بانشاده في الحفل ريانا
متى تغنينه في لحن نابغة ؟ ... يعطي تلاحينه روحا وريحانا
أنا الذي سكب الاشعار والهة ... عند الرسول وناجى النور ولهانا
أمي على التيم ربتني وقد مسحت ... بكفها عن جبين الطفل احزانا
قالت : تعال نزر أرض الرسول ففي ... لقائه لا يعود القلب حيرانا
اني لابدعها للعرب ملحمة ... تحوي التهاويل فيما جل تبيانا
ونجم أحمد فيها منك مطلعه ... ليبدع الفن في معناه أكوانا
« عين الحميد بن سحار » له شغف ... بملحماتي التي تغريه ألوانا
وراح بالحمد صوفي يكرمني ... هو الزكي الذي افديه ديانا

يا « أم كلثوم » يا نجوى الانام اذا ... ضاع النجي وبات القلب اسوانا
يا ليت صرخة آه منك تبعثني ... يوم الحساب فالقى فيك « رضوانا»

دمشق

زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحب والناس

بقلم حسني سيد لبيب



التقي بك اليوم عبر كلمات هذه الرسالة ، وعذرا يا نبيل .. فقد تملك مني المرض وارقدني الفراش .. وعز علي أن أعيش يوما كهذا اليوم دون ان اراك ، فوجدت في الكتابة اليك سلوى وعزاء . ولانها تعبير عن مشاعر غامضة ما كنت سأبوح بها وانا معك . فلطالما خانتني الشجاعة واسقط في يدي الموقف ، فلا أعبر عما اريد او ابوح بما احس.

انا حائرة يا نبيل . كثيرا ما اسائل نفسي عن سبب لقائي بك الدائم . وكثيرا ما اثور عليها الومها وأعنفها . ثم أفشل كلما اقترب لنا لقاء ، وأجد نفسي لتوي انهض انسانة اخرى . وأجدني مدفوعة اليك . ارتدي ثيابي ، وامعن النظر في المرآة . ابتسم لنفسي، واسائلها في زهو : هل انا جميلة ؟ .. هل أنا أعجبه ؟! . امعن النظر في المرآة، مزهوة بجمالي شاكرة المرآة لانها كانت الواسطة بين نفسي وجمالي . وكم تمنيت لو لثمت المرآة ، تمنيت لو كانت المرآة انت .. فهي تطري جمالي وتزهو به مثلما تفعل انت .

نبيل يا أحلى نداء .. انت لا تعجب الناس . كل الذين يلوكون سيرتك لا يعرفون لك حسنة واحدة ، وانما هم يعرفونك بسقطاتك . انت لا تعجبهم ، ولا تعجب هذه الاعين الجائرة الحاقدة الحاسدة التي لا ترى فيك شيئا جميلا . الناس .. الناس يا نبيل كلمة عملاقة لا أعمل حسابها او ادخلها في دماغ عقلي واهتم بها . بل أنا لا افكر ابدا بعقلي .. انه يناقضني تماما ، فيثور علي دائما مثلما يثور الناس على احاسيسي الرائعة . عقلي قطعة ليست مني ، قطعة ناتئة أشعر بنفوري منها ، اشعر بها شيئا تافها يزحم اعماقي ويعوق مسير دمي الثائر .

الناس كلمة ثقيلة مضجرة . أشعر بها كالجدار بيني وبينك رغم لقاءاتنا ورغم صدق مشاعرنا وفيض عواطفنا . الناس كلمة اخافها كل الخوف واعمل حسابها ـ قرابة لحظات ـ لكنها تتبدد حين أجدني منساقة بغريزتي اليك ، مدفوعة الى محراب حبنا الذي يخشع فيه قلبي ، وتسكن نظرات عيناي في عينيك بلا خوف او ارتياب، فأستمد ثقتي من بريقهما . والناس .. هذه الكلمة تذوب ، يذوب ثقلها وينمحي ضجري منها . لا أخافها ، ولا اعمل حسابها .

الناس كلمة عملاقة احس بها في تصرفات أبي القلقة . انني احبه كل الحب ، واعزه كل الاعزاز . لكنه يزجرني ويعنفني ، واجده يشفق علي وينصحني بتغيير سلوكي . انه ينهاني عنك ، لا لانه يتنكر لحبي ، لكنه يبخسني حقي فيه . هذا رايه ، وهذه كلماته ، وهذه عيناه تنطقان برأيه وكلماته ، وتنظران الي في عتاب وارتياب . ولا يكتمني ما يفكر فيه ، لا يكتمني رأيه في سلوكي المنحرف كما يسميه . لكني لا أملك ان افعل شيئا . انه ساخط عليك ، وكثيرا ما نصحني بالابتعاد عنك وعن امثالك ، فهو لا يراك مناسبا .

يؤلمني ابي بكلماته ، ثم يتركني أصارع نفسي .. ثم .. ثم ماذا يا نبيل ؟! .. وانا أجدني مدفوعة اليك . تضيع كلمات أبي ، وينطفىء ضوؤها الخاطف من سنا خاطري ويشرق نور جديد ، نور أستمده منك يا نبيل .. هذا النور احيا به ، أستمد منه حياتي .

اهرع اليك ، ونلتقي ..

كما أحس بأبي يتألم ويتوجع حين يراني واقفة قبالة المرآة اصبغ شفتاي واعطي لعيناي بريقهما . أحس به يتألم ويتوجع حين يراني امسك بالعقد اطوق به عنقي وادعه يتدلى على جيدي ، وحين يراني حائرة امام فساتيني لا ادري أيها ارتدي ، وأيها يحوز اعجابك . أحس بأبي حينذاك يتألم ويتوجع ، انه لا يملك ان يواجهني بتأنيب او تعنيف ، ويدعني أقابلك . انه يسخط على اليوم الذي عرفتك فيه ، وعلى اليوم الذي ولدت فيه . ولطالما واجهني بسخطه بكلمات هادئة رتيبة . اما وقت ذهابي اليك ، فلا يملك حتى هذه الكلمات .. يتركني أذهب اليك وهو يدري أني لا استغني عنك او اقدر على العيش بدونك . وفي هذه اللحظة تمنيت لو واجهت ابي وصارحته بأن سحرا عجيبا يشدني اليك ، تمنيت لو جثوت على جبينه أودعه قبلة حنان وأقول له :

« لا تحزن يا ابي .. لا تغضب مني .. فأنا مطيعة لك دائما . أحترمك واقدرك . لكن ما ترجوني بالتخلي عنه ، يكون فوق طاقتي ، فوق قدرتي .. يكون فوق طاقة البشر . انه الحب » .

تمنيت لو قلت له ذلك . لكن الكلمات تموت على لساني فلا ابوح . أدعه غارقا في عذاباته وأهرع باحساسي الفياض وجمالي الثائر اليك .

الناس كلمة عملاقة أحس بها في ثورة اخي . انه يضيع وقته في شتمك ولعنك . وأضحك أنا من أعماقي ، وأعجب لحياة اخي التي يضيعها في الشتم واللعن وما أجداه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بها في شيء اخر . ولا أتصور ان أخي يحيا حياة اخرى غير هذه ، كأنما وجد لهذا ! . أجده طيلة مكوثه في البيت يصفعني بكلماته الحادة ، ويلطمني بمبادئه التي لا تكون الا باحراقك في خياله وامامي . ثم هو يعرف وقت خروجي اليك . يعرفه وانا اجول في البيت حائرة مضطربة كمن يبحث عن شيء مفقود .. انها نفسي التي افتقدتها وأنا بعيدة عنك .

وأنت .. أنت يا نبيل نفسي الضائعة التي ابحث عنها .. فأهرع اليك .. الى نفسي !

وتمنيت لو كان اخي صورة مشابهة لك . تمنيت لو امتلك اخي هذا الشيء الحاذ الذي يحفزني للقياك . لكنه غيرك تماما .. يناقضك تماما .. يلعنك ويشتمك ليل نهار ، فترتفع أنت قدرا على حساب لعناته وشتائمه .. ويزداد تشبثي بك .

وحين يلحظ ابي وهو يشفق علي وعلى لقائي بك ، لا يملك هو الاخر الا ان يشفق ، وتتبدد ثورته .. وسرعان ما تزول صلافته وقت خروجي ، وتنمحي قساوة ملامحه ازاء اصراري وازاء ما انا به .

واختي تحتضن جسدي في المساء كأنها تطمئن على انه لم ينقص منه شيء . فحين أعود ، ارتمي على الفراش .. فتحتضنني وتعنفني بهمساتها المتوجسة الخائفة ، وتلعنك في صمتها وفي همساتها وفي صيحاتها ، وتخاف منك . فالناس تخافك يا نبيل . الناس يا نبيل كلمة عملاقة احس بها في قلق اختي ، أحس بضخامتها وثقلها حين تحتضنني . كأنها بهذا تنسيني ان في عالمنا من اسمه نبيل ، وكأنها تفوت علي فرصة اللقاء بك في الحلم ! . تحاول ان تنسيني عالمي ووجودي وتشدني الى عالمها ووجودها .. تحتضنني ، تقبلني .. لكني وانا في حضن اختي اهرب بأحاسيسي اليك ، فأنت عالمي ووجودي . والناس ، هذه الكلمة العملاقة ، سرعان ما تذوب وتنصهر فتصير سائلا حلو المذاق أسميه نبيل ، يسري في دمائي ، وتنتفض له عروقي .

وتمنيت وأنا في حضن اختي لو كنت في حضنك أذوب في عالمك ووجودك ، فأنت .. انت يا نبيل كل عالمي ووجودي ، انت صحوي وشرودي ، أنت نفسي ورداني ، انت شكي ويقيني ، انت واقعي وخيالي .. وانت حياتي ، كل حياتي .

الناس ، هذه الكلمة العملاقة ، أحس بها في صرامة امي كلما رأتني أخرج اليك ، فتوقفني وتسألني في عنف : « الى اين ؟ » . فأجيبها في تردد : « الى .. الى ثريا » . وأخون ما قلت وأذهب اليك ، وقد لقنت ثريا ما تقوله .. بأن تدعي اننا نذاكر الكتب الصماء التي يتحفوننا بها اساتذة الجامعة .

وحين تراني امي وانا أتزين ، تثور في وجهي وتتساءل : « هل الزينة شرط للمذاكرة المجدية ؟ » . فأبتسم وأقول : « تعودت يا امي ان اخرج هكذا .. » وتكتم امي ثورتها وتكبت انفعالاتها .

وحين تجيء سيرتك في مجلسنا ، تعلن امي عن رايها فيك ، فتقول وهي في ضيق شديد : « انه لا يصلح ان يكون رجلا ، ولا ان يكون زوجا ، ولا ان يكون أي شيء .. » وتصمت امي ، ثم تستطرد .. « لا بأس ان المكان اللائق به هو « التياترو » .. انه يصلح ان يكون راقصا في « تياترو » ! » . واضحك لتهكم امي عليك ، فبينا أنا أتصورك راهبا يحوطك الجلال والوقار برغم انفعالك وسلوكك الحاد ، وبرغم ما تعلنه لي من انك فنان متحرر .. بينا أتصدرك هكذا أجد الناس يتصورونك راقصا في « تياترو » .. ولا تصلح لشيء غير هذا ! . وأعجب لهذا الاختلاف الكبير بين رأي فيك وحكم الناس عليك .

وتمنيت لو كنت يا نبيل قاضيا بليغا حكيما في ساحة القضاء ، ترتدي ثوب الوقار .. وتمنيت ان اقول لامي : « ها هو ذا نبيل يا امي . ليس راقصا كما تقولين ، انه راهب ! .. » تمنيت يا نبيل هذا . تمنيت لو فعلت انت اي شيء ، حتى لا يحنق الناس عليك وينبذونك . تمنيت ان تفعل شيئا من اجل هذه الكلمة العملاقة التي تحاصرنا . اما انا ، فلا اتمنى شيئا سواك .. قد أحببتك كما انت .

كما انك لا تعجب صديقتي ثريا . انها تعجب لسر انجذابي اليك . وهي لا تألو جهدا في التلمظ بك والتعبير عن استيائها .

كثيرا ما حدثتها عن حبي لك عن حياتي التي أعيشها بك ، عن أحلامي وآمالي ، وعن أوقاتي السعيدة التي أقضيها معك .

ورغم انك لا تعجبها ، فهي تحنو علي ولا تخيب رجائي فيها ، فتدعي امام امي اننا نذاكر كل يوم معا ، لكنها لا تحبس ما تريد البوح به ، فتقول لي : « ما بك يا سميرة وهذا الشاب ، انه متهور ولا يناسبك . انا لا ألومك ابدا ، لكني أرجوك ان ان تقيدي علاقتك به » . فأهمس : « لا أقدر ، لا أقدر .. حاولت كثيرا ، وفشلت كثيرا » .

وتمنيت لو تراك ثريا في هدوئك واتزانك ، وأقول لها : « نبيل ليس بمتهور كما تدعين .. » . وبرغم حكم امي عليك ورأي ثريا فيك .. فاني أحبك كما انت .

الناس كلمة عملاقة تحيا في خاطري وتؤلم خافقي وتضنيه . أجد الناس يسبونني ويشتمونني ، بل لا ينسون كذلك ان يسبوك ويشتموك . لكن هذه الكلمة تذوب . ولا أجد بعد ذوبانها بقايا متجمدة . انها تنصهر عن آخرها وتكون سائلا دافئا هو انت . الناس عندي هم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فـــراق

★

للحب أيـــام قصار
والآن سار بك القطار
وأظل وحدي في المدينة خائفا أترقب
كالطفل يترك في الظلام وحوله ما يرهب

أكذا يدور بنا الزمان ؟
ويمر ما كنا وكان ؟
دلفت الى الماضي أماني التي أملتها
عبرت كحلم حاضري فاذا انتبهت فقدتها

ما بين حيطان حزينه
تمضي سراديب المدينه
يا للغريب بها اذا ما فاته القلب الحنون
ينساب ظلا باهتا ان يبد تلفظه العيون

هبني أفر الى الدموع
من وحدتي بين الجموع
اذ ذاك دمعي لا يلبيني فأبقى في اكتئابي
أنأى بنأيك كل ما يسلي .. اذن يا عظم ما بي

أقضي النهار مضيعا
أرتاد ما ارتدنا معا
فاذا دجا ليلي مضيت لتحتويني حجرتي
سجنا يعذبني وقد كانت مسارح صبوتي

من بعد تحليق النسور
عانيت ظلمات الجحور
وحسوت بعد مباهج الروح التي ساقيتني
جرع الضنا ومرارة الحرمان اذ غادرتني

أحييتني حتى العباده
ومنحتني سر السعاده
واليوم ليس لدي من هذا سوى ذكرى غرام
أحيا بها حتى تعود فتلتقي أشواق عام

لكن أيام اللقاء
أغنت وجودي بالضياء
مهما تكاثفت السحائب في سماء فراقنا
فلقاؤنا شمس تبددها لحين لقائنا

الجزائر — جمال مرسي بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انت .. فانت ناسي، ودنياي الرائعة الجميلة ، وعالمي الحقيقي . وانت ابي وامي واخي واختي وصديقتي والناس جميعهم .

قد تسألني لماذا انا احبك ؟! . لكني لا اقدر على الايجاب ، فلا ادري لماذا انجذب اليك واتشدق بك وبنبض عروقك ودفء كلماتك . هنالك شيء حاد يجذبني اليك ، شيء قد أراه في شفتيك ، وقد اراه في عينيك ، وقد اراه في جبهتك العريضة ، وقد اراه في ردائك ، لكني لا ادري كنهه .. لا ادري هذا الشيء الحاد ! . وانما ادري فقط اني احبك .. **وادري** انك الناس جميعهم .

القاهرة — **حسني سيد لبيب**

ميشال معلوف

بقلم شكر الله الجر

* * *

هناك في مدينة (الغمائم الزرقاء) ريو جنيرو ، وعلى اجمل شاطيء من شواطئها . يقوم قصر كالزنبقة البيضاء تجعدت ملامحه لطول عهده بالسنين ، وما زال واقفا يراقب مواكب العابرين امامه لعله يرى بينهم ذلك الشاعر الذي رفع قبابه . ويراقب المراكب المقبلة في عرض البحر لعل صاحبه عائد مع العائدين فيها . .

ولكن هيهات ان من بناه لن يعود . . لانه اصبح في منازل الخلد يعيش وراء الغيوم والنجوم يدغدغ في مقاصير الجنة عرائس احلامه . أليس هو القائل :

تعالي نسير الى الشاطىء ... نودع يا نفس من ازمعوا
رحيلا ولن يرجعوا ... تعالى نلوح للراحلين
سياتي زمان به نقلع ... بزورقنا ماخرين العباب
الى اربع جوها آهل ... باطياف احلامنا في الغياب

اجل لقد ذهب الشاعر الى حيث يجتمع بأحلامه ولم يبق له من اثر على الارض سوى ذلك البناء الابيض المستطيل تعكس الشمس ظله على الشاطىء وبقية من ذكريات تطوف بزوايا القصر وتتهادى في ظلال حديقته . ولعله القصر الوحيد الذي بقيت له حديقته بين ناطحات السحاب من حوله . فهل يعلم سكانه اليوم ان الذي بناه على تلك الهندسة الشرقية كان شاعرا من شعراء الارز . بسم له الحظ في غيبوبة من الدهر . فكان له ذلك القصر البديع تجبل عرائس الخيال باناملها الوردية طينه وتزخرف جدرانه وتنسج الستائر المخملية والحريرية لنوافذه وابوابه . .

ويشهد الله اني ما وقفت على شاطىء « كوباكابانا » مرة الا شعرت بيد تتشبث بأذيالي وتقودني الى وقفة طويلة امام قصرين عزيزين ، هما قصر «كونتيننتال» حيث كان يسكن ميشال معلوف . وقصر « بوتنجي » حيث كان يسكن اخي عقل . وكم لي في ظلال القصرين من ذكريات لذيذة حولها مرور الليالي عليها الى مرارة في القلب ودمعة في العين .

كان الشاعران عقل وميشال صديقين حميمين ومتجاورين مكانا ، فكانت لهما مهرجانات حافلة بالمسرات على ذلك الشاطيء قوامها الادب والسياسة والشعر . وكنت أطل عليهما في عشيات سادرة هنيئة لأحتسي واياهما من خمرة الشعر الذها واشهاها . ولا ازال اذكر ونحن في مجلس من مجالسنا الانيسة اذ دخلت علينا سيدة شقراء كان لها على صديقنا ميشال دالة الجمال وصلة الجوار . وراحت تشاطرنا زهوة الحديث ونكهة المجلس ثم عن لها ان تستبدل اسم «بالاسيو كونتيننتال» وهو القصر الذي يقطنه الصديق ميشال بأسم « ليريو برانكو » ومعناه (الزنبقة البيضاء) نظرا لشكله الطويل وبياض لونه فصفقنا لها اعجابا بالتسمية الشعرية اللطيفة . ومنذ ذلك الحين اتخذ البناء الجميل اسم الزنبقة البيضاء ثم اطلقنا بعدئذ على البناء الفخم الذي كان اخي عقل يشغل شقة فيه بقصر « الحمام الزاجل » انسجاما مع ساكناته الحسان وجلهن من شهيرات المغنيات والراقصات في مسارح العاصمة الليلية .

انها لذكريات حلوة وحزينة معا ما برحت تراود نفسي على بعد ما بيني وبينها . وما كنا لنجهل في تلك الفترة من العمر ان دوام حال من المحال وان الحياة على خبثها وصفارها لا بد ان تتنكر لنا في يوم من الايام فكنا نعتصر من خلها خمرا ومن مرها شهدا ومن كدرتها صفاء .

قالت لي سيدة ايطالية مثقفة وهي ممن نهلن من حنان الشاعر معلوف ومن عطفه ومن جيبه ايضا : « ان في عيني هذا الرجل بريقا كئيبا ينقلني الى عالم غريب » وهذا ما كنت اقوله بيني وبين نفسي عندما كنت أدمن النظر في عينيه او امعن الفكر في شعره لا سيما قصيدته « الخريف في جنائن فرساي » ولا احسب ان شاعرا مهما بلغت دقة احساسه استطاع ان يلبس شعره من وحشة الخريف ما البس ميشال معلوف قصيدته تلك من احاسيس الخريف في جنائن فرساي . وكأن الخريف نفسه هناك كان ينتظر ان يطل عليه شاعر له رقة « لامرتين » في شعره لينقل الى قوافيه هواجس نفسه وكآبة ايامه . فاذا نحن امام مقاطع من الشعر هي اقرب الى اناشيد المتصوفين منها الى شعر الوصف والحنين قال :

يا سحابة راكضة في الفضاء ... مجدة في السير نحو المغيب
ناشدتك الله ترى للفناء ... ذاهبة ام للرجوع القريب
ما الطف الظل الذي تنشرين ...
أواه لو انه ...
باق ولكنه ...
سار مع السائرين ..
في الغاب لا يسمع غير الحفيف ... وغير شدو الطائر النازح
تفرق الشمل وعاد الخريف ... ما اقرب اليوم الى البارح
يا ليتني اعلم اين النوى ...
واين ريح الجنوب ...
تحمل اوراق غصن ذوى على ... جناح الفروب

اكتفي من قصيدة الشاعر بهذين المقطعين وفيهما صورة عن خريف فرساي وعن خريف نفسه الدائم .

عهد مضى

راح عهد الصبا وعهد التصابي ... وتلاشى حلم الهوى والشباب
بين هم وغربة وانشغال ... لهف نفسي ما حاق من أسباب
كان حلما بين الخيال كبيرا ... فتوارى في الافق مثل السراب
ثم أمسى بعد المدى ذكريات ... عاصفات ، تقتات من أعصابي
كيف ولى ذاك الزمان بعيدا ... في مدار يمضي بدون اياب
كل عام يزيد في العمر ، نقص ... يتجلى في المرء بعد الحساب
بعد حين من الزمان برأسي ... أومض البرق من خلال سحاب
أبعد الكأس يا نديم برفق ... لا أريد الهموم بعد الشراب
ربما أشغل المشيب العذارى ... بصدود ، يزيد في أتعابي

الكوت ـ العراق — كاظم محمد حسين

لمحة عن حياته : فارق ميشال معلوف وادي العرائش في زحلة وهو في مطلع الشباب وذلك قبل الحرب الكونية الاولى ملتحقا باخويه جورج وقيصر معلوف من كبار التجار والصناعيين في مدينة سان باولو . فوجد كل اسباب النجاح متوفرة له بفضل اخويه . فانصرف بدوره الى التجارة ثم الى الصناعة يحتلب ضرعها فوطأ له الزمان اكناف النعمة عن طريقها . وراح يحلق بجناحين جناح الثروة وجناح العافية والشباب ، الى ان لمع اسمه كشاعر ذواقة مقل ولكنه مجيد ثم أقمناه رئيسا « للعصبة الاندلسية » وهي الجامعة الادبية التي انضوى تحت لوائها فحول أدباء العربية في البرازيل وكان لصاحب هذا المقال جهوده الفعالة في تأسيسها والترويج لها على صفحات مجلته « اندلس الجديدة » التي استمرت عامين كاملين تنقل الى قرائها نفحات ادباء العصبة وشعرائها حتى تهيأ للعصبة اصدار مجلة خاصة تحمل اسمها وانطلقت لها شهرة في الاقطار العربية ما زال صداها يتردد حتى اليوم .

وطابت لميشال الحياة في جوه الادبي الجديد . ولذت مجالس السمر في داره لابناء الفن والادب وخاصة الشعراء .

وبعد سنوات انتقل الى عاصمة الاتحاد « ريو جنيرو » ليشرف بنفسه على ذلك البناء الذي شيده على شاطئها . ولما كنت واخي عقل من سكانها كثرت اجتماعاتنا به وحفلت مجالسنا بالرائع والجميل من صور الحياة .

ثم حنت نفس صديقنا الى مدينة الشعر زحلة والى ذكريات ايام الصبا فيها وقد طال بعده عنها وفي ذلك يقول :

امذكري باحبتي وبلادي ... رفقا فدمعي منذر بنفاد
طالت سنون في البعاد ظننتها ... خلوا من الاحباد والاعياد
اواه من ذكرى الاحبة والحمى ... ومنازل الآباء والاجداد
ما كنت احسب ان بعدي عنهم ... بعد بلا أمل ولا ميعاد

ومن غزله الرقيق هذه الابيات :

ما الغيد الا بسمات الضحى ... لاحت لعيني العاشق المجهد
ينتقل القلب بجناتها ... من مورد عذب الى مورد
لولا عيون الغيد ما ثمة ... مجد ولم نطمح الى سؤدد

ومنها :

من لي بعين ان انم شاكيا ... الام جسم مضنك تسهد

وما ان عاد رحمه الله الى بلدته واختار لنفسه العين الحنونة التي تسهر على آلام جسمه الناحل ، حتى سارع اليه ملاك الموت فقطف انفاسه الطاهرة ولطم بريش جناحه تلك العين الساهرة فأدمعها وادماها كما ادمى قلوب الكثيرين من صحبه ومريديه وفي جملتهم هذا القلب الذي يتحدث عنه الان بلهفة الصديق المشتاق متذكرا تلك العشيات الانيسة وليالي السمر الطلية معه على تلك الشواطىء السحرية من مدينة الاحلام ريو جنيرو .

ومن مباهج الحياة ومآسيها ان تبقى على هذه الضفة من بحيرة الوجود لنستعيد ذكرياتنا عن اولئك المحبين وقد رحلوا عنا وخلفونا نردد احاديثهم على مسامع السنين ونطوف باكوابهم على الشاربين ..

ومن قصيدة لي في رثائه لما اتصل بي نعيه من لبنان وانا في البرازيل :

دفنت بارض طالما اشتقت تربها ... فحققت بعد الموت بعض منى النفس
على حين لا ادري مكان منيتي ... ولا اي عين سوف تبكي على رمسي

جبيل ـ لبنان — شكر الله الجر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ناجي جواد

لسان الدين ابن الخطيب

بقلم المحامي ناجي جواد

* * *

ويومها كان لسان الدين ابن الخطيب اعظم شخصية ظهرت في الاندلس وكانت لامعة ذكية تميزت بعبقرية متعددة الجوانب ، فهو طبيب وفيلسوف ، وهو كاتب وشاعر من الطراز الاول، ومؤرخ بارع ووزير قوي الادراك وسياسي ثاقب النظر .

يعود نسبه الى القبائل القحطانية اليمنية التي وفدت على الاندلس بعد الفتح العربي .. واستقرت في قرطبة ، ثم رحلت الى طليطلة ، ولما شعرت بالخطر المحدق بهذهالمدينة لانها غدت مطمع الاسبان يكيدون لها ويخططون الخطط ليستولوا عليها ، عندها غادرتها الاسرة الىمدينة (لوشة) التي اصبحت مسقط راس لسان الدين عام ١٣١٣ م .

وحينما زرت مدينة (لوشة) ورحت اطوف في ارجائها .. اخذت الذكريات بأحداثها الجسام تنهال على فكري ، وكانت شخصية كاتبها العبقري وشاعرها الالمعي لسان الدين تفمر وجداني وكلمات موشحاته تتراقص على طرف لساني ، وانا اجوب دروبها الساحرة وانعطف بأزقتها الضيقة ، فرايتها مدينة مشرقة عامرة ، تتجه احياؤها الى الربوة العالية ، والوسطى تستقر في بطن الوادي وجلها ضيقة الدروب والمسالك ، على الطريقة الاندلسية العربية الا شارعها الرئيسي الطويل العريض الذي يقودنا الى مدينة (اشبيلية) وهنا تنتشر المقاهي والمتاجر المهمة والفنادق الفخمة .

وكما حدثنا ابن خلدون .. ان ابن الخطيب نشأ في غرناطة وتلقى بها دراسته ، ومع انه استقر فيها منذ حداثته الا انه لم ينس قط مسقط راسه ومرتع طفولته (لوشة) فكان لها في قلبه منزلة وفي ذكرياته نغم ، فكثيرا ما تغنى بها في اشعاره .

وتاثر ابن الخطيب منذ فتوته بالافق السلطاني الذي عاش والده ابو عبد الله بن الخطيب في كنفه ، ولما توفي والده قتيلا في موقعة (طريف) سنحت الفرصة المرجوة لابن الخطيب حين دعي للخدمةمكان ابيه ، وكان يومئذ فتى في الثامنة والعشرين ، وتولى امانة السر لاستاذه الرئيس ابي الحسن الجياب .

وهنا تلقى ابن الخطيب على يد استاذه ابن الجياب أرفع اساليب النثر والنظم ، وظهرت براعته في تدبيج الرسائل السلطانية ، ولما توفي ابن الجياب بالطاعون الجارف خلفه ابن الخطيب في الوزارة كما تقلد ديوان الانشاء للسلطان ابي الحجاج يوسف .. وراح السلطان يغدق عليه عطفه وآثره بثقته وجعله كاتب سره ولسانه في المكاتبات السلطانية ، حيث صدرت له طائفة منروع الرسائل الملوكية التي نعتها ابن خلدون (بالفرائب) لروعتها وبراعة كاتبها وقد جمع ابن الخطيب الكثير منها في كتابه «ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب» كما نقل المقري فيكتابه « نفح الطيب » الكثير من تلك الرسائل الذكية .

ولما قتل السلطان فخلفه في الملك ولده محمد الفني بالله ، استمر ابن الخطيب في منصبه، وارسله السلطان الجديد سفيرا الى السلطان ابي عنان المريني ملك المغرب ، يستنصره ويطلب عونه على مقاومة ملك قشتالة، وليؤكد بينهما عهد الصداقة جريا على سنة اسلافه ملوك بني الاحمر فاستقبله السلطان بحفاوة بالغة ، وانشد ابن الخطيب بين يديه قصيدته المشهورة :

خليفة الله ساعد القدر ... علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته ... ما ليس يستطيع دفعه البشر
والناس طرا بارض اندلس ... لولاك ما اوطنوا ولا عمروا
وغاية الامر انه وطن ... في غير علياك ما له وطر

فتاثر السلطان لانشاده ، ووعد باجابة مطلبه « فنجح السعي وائتمر الجهد وصدقت المخيلة » هذا ما قاله ابن الخطيب عن سفارته .

وبهذا النضوج والذكاء استاثر ابن الخطيب بثقة السلطان ، فأسبغ عليه لقب ذي الوزارتين ، لجمعه بين الكتابة والوزارة .

ولما نشبت الثورة في غرناطة ، وبها فقد الفني بالله ملكه ، حيث انتهز المتآمرون فرصة ابتعاده عن دار ملكه وسكن ذات مساء قصر « جنة العريف » الواقع شمال شرقي قصر الحمراء ، فهاجموا قلعة الحمراء ، ونادوا بالامير اسماعيل اخي السلطان ملكا ، وعندها شعر السلطان محمد بعبث المقاومة وفر الى « وادي آش » .

وهنا الفى ابن الخطيب نفسه بين عشية وضحاها مسلوب الحظوة والمنصب ، بعد ان سطع نجمه وعاش في

ترف وبذخ يتناسبان ومركزه الرفيع وعلمه الغزيـــر ، قضاها بين قصره الفخم بالحمراء وقصره الرائع الـــذي شيده في ضاحية « عين الدمع » التي اشتهرت بروعـة جنانها وجمال حدائقها ، فكانت مسكن الـوجهاء وذوي الحظوظ والثراء ...

الا ان محنة ابن الخطيب لم تطـل فسرعان ما جاءه الانقاذ من الضفة الاخرى ، حيث كانت تربط السلطـان محمد الغني بالله وشائج صداقة ومودة مع ملك المغـرب ابي سالم الذي لجأ الى الغني بالله يوم تغلب عليه اخـوه ابو عنان ونفاه الى الاندلس ، فيومها اكرم الغني مثواه ، وانزله منزلة الضيف العزيز .

واليوم فقد الغني بالله عرشه ، وانقلبت الاحـداث ضده ..! وهذه سنة الحياة .. وطبيعة الايام « وتلـك الايام نداولها بين الناس » .

فاستجاب السلطان لنداء الضمير وصمم علـــى الوفاء للصديق وعزم على رد الجميل ، فأرسل في الحال سفيره الى غرناطة يسعى لدى حكومتها الجديدة بالسماح للسلطان المخلوع ووزيره المعتقل ابن الخطيب بالسفر الى المغـرب .

فانصاع السلطان لنداء الضمير، وصمم على الوفاء للصديق حفظا للمودة واستبقاء للنجدة التي انقـــذت الاندلس مرارا من جيوش الاسبان .

سافر الغني بالله مع وزيره القديم ابن الخطيب ونفر كبير من اهله وصحبه الى « فاس » فاستقبلهم السلطان ابو سالم اجمل استقبال واحتفل بقدومهم في يوم مشهود فانشده ابن الخطيب قصيدة من اروع الشعر وابلغه

سلا هل لديها من مخبر ذكر ... وهل اعشب الوادي ونم به الزهر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى ... باكنافها والعيش فينان مخضر
وجوي الذي ربى جناحي وكره ... فها انا ذا ما لي جناح ولا وكر
فصدناك يا خير الملوك على النوى ... لتنصفنا ممـا جنى عبدك الدهر
كففنا بك الايام عن غلوائها ... وقد رأينا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى ... ولذنا بذاك العـزم فانهزم الشر
ولما اتينا البحر يرهب موجه ... ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر

ومن طريف ما تذكره الرواية ، ان المؤرخ الكبير والعلامة الجليل ابن خلدون كان من شهود هذا الحفل ، وبه التقى ابن الخطيب بأبن خلدون ، وكان لهذا اللقـاء البديع بين نابغتين اثره ونتائجه في حياة كل منهما ، حيث اثر وتأثر كل بصاحبه ، وقد كان كل منهما يسمع عـن صاحبه ويتوق الى لقائه ، حتى جمعت بينهما الصـدف وقربتهما الاحداث .

والغريب انهما كانا متقاربين في اشياء كثيرة ادبيـة ومادية حيث كان كلاهما استاذ عصره وقطره كمـا كـان كلاهما شخصية بارزة في حوادث زمانه ، يتصل بهـا بأوثق صلة ، ويخوض غمار احداثها مترقبا غنمها وغرمها، فقد كان كلاهما وزيرا ومستشارا لامراء عصره محرضـا لهم او عليهم .

فابن خلدون كان يشغل في دول المغرب نفس المركز الذي يشغله ابن الخطيب في دول الاندلس ، فاستأثـر ابن خلدون في المغرب منفردا بزعامة التفكير والكتابـة ، كما استأثر ابن الخطيب منفردا بهما في الاندلس .

فروابط النسب الادبية والعلمية والسياسية شدت اواصر الصداقة والمحبة بين العبقريين في بداية اللقاءات، ولما دب دبيب الغيرة والتنافس تغيرت الطباع وتفـرق الرجلان ولكن رغم ذلك بقي كل منهما يحتـرم صاحبه ، ويكبر مواهبه حتى جرهم هذا الاعجاب وذاك الاحترام الى ان يترجم كلا منهما الاخر وذكره بما ينم عـــن خالـص التقدير والاجلال ، كما تبادلا طائفة طيبة من الرسائـــل الشخصية والسياسية ، تعتبر من ابدع نماذج النثر في ادب الاخوانيات ، واحفلها بمعاني التجربة والحكمة .

وكان يومها سلطان غرناطة المخلوع الغني بالله محمد بن الاحمر في مدينة فاس يترقب الحوادث ويطمح الـى استرداد ملكه .. والايام حبلى بالمفارقات والمفاجآت ... تولد غرائب الاحداث ما لم يحسب لها العاقل اي حساب.

فقد وقعت ثورة في غرناطة قتـــل فيها السلطان اسماعيل على يد الرئيس ابي سعيد فتهيأت الفـــرصة للسلطان المخلوع فتوجه الى الاندلس ، واستولى علـــى « مالقة » وسار مع صحبه الى غرناطة فاستولى عليهـــا وفر الرئيس ابو سعيد الى « قشتالة » .

وما كاد السلطان الغني بالله يجلس من جديد على عرشه حتى كتب الى وزيره ابن الخطيب المنفي في المغرب، رسالة رقيقة رائقة ، ينعته بها بأرفع النعوت ويبشـره بنجاحه ويطلب عودته ليتقلد منصبه .

فنزل ابن الخطيب عند رغبة السلطان ، وجاز الى الاندلس وبرفقته اسرة السلطان وولده ، ولما وصل الـى غرناطة اصدر السلطان (ظهيرا) اي (مرسوما) باعادة ابن الخطيب الى منصبه .

وفي تلك الفترة وفد صديقه ابن خلدون علـــى الاندلس ، بعد ان فقد حظوته ونفوذه في بلاط فـاس ، واضطرته الاحداث واعاصير السياسة وتوالي الثورات الى مغادرة البلاد ، وابن خلدون يعلم بأنه قد اسدى الـــى السلطان الغني بالله كثيرا من الخدمات اثناء اقامته بفاس، وكما توقع فقد استقبله السلطان استقبالا حافلا واغدق عليه عطفه وصلاته وجعله من خاصته ، حتى بعث بـــه سفيرا الى ملك قشتالة ، فأدى ابن خلدون سفارته خـير اداء وفي كثير من التوفيق والسداد لما كان يتمتع به من علمية وذكاء وقاد .

كما استقبله صديقه ابن الخطيب بمنتهى المـــودة والاخاء ولكن لما حظي بهذه المنزلة وذاك العطاء غص ابـن الخطيب وراح يوغر صدر السلطان عليه وعندما شعر ابن

خلدون بتحول السلطان عنه .. غادر الاندلس وعاد الى المغرب ليخوض غمار حوادثها .

والواقع أن ابن الخطيب في هذه المرحلة الوزارية اصبح يتمتع بالسلطان المطلق والنفوذ العريض ، وامسى حاكما بأمره فاذكى بذلك سخط منافسيه ، واثار بغض حاسديه .

ولما تعاظم استبداده واستسلم لنزواته وأودع ثقته بالايام .. التي لا تستقر على حال ولا يدوم فوقها عز ولا مال .. بدات نار الظنون تسري في مخيلة السلطان تذكيها السنة الحساد والمنافسين الذين راحوا يوحون له بأن استبداد ابن الخطيب وسعة ثرائه وعرض جاهه ، فيه الكثير من الاعتداء على سلطانه والتجاوز على سيادته .

وطبعا تحسس ابن الخطيب الشاعر المرهف والاديب الذكي بأن السلطان بدا يتأثر بسعاية الحساد ، ويتغير بكلام الوشاة وان حظه بدا يتخبط ، وجدته بدات تتعثر .

والغريب في الامر ما علمه من ان تلميذه ومعاونه في الوزارة محمد بن يوسف بن زمرك كان اول الساعين ضده ، واحقد حساده واخطر انداده .. فتزعم خصومته السياسية ، بينما كان القاضي ابو الحسن النباهي يتزعم حملة اشد خطورة وخطرا، حيث اتهم ابن الخطيب بالالحاد مستندا على ما ورد في كتبه .

وادرك ابن الخطيب بفطنته ، ان السعادية اثمرت ، وان الايام تقلبت ، وان الصداقة هزلت ، عندها صمم على مفادرة الاندلس واللجوء الى سلطان المغرب .

فاستاذن السلطان بالسفر الى الثغور بحجة تفقدها .. فاذن له بذلك ، وسار بصحبة ولده وجماعة من الفرسان ولما وصلوا جبل طارق استقبله قائدها بقواته المرابطة حسب اوامر سلطان المغرب ، وجهزت السفن اللازمة لنقله ومن معه الى المغرب وركب ابن الخطيب البحر الى مدينة سبتة .

وقبل ان يغادر جبل طارق بعث برسالة مؤثرة الى سلطانه ، يودعه فيها ويوضح له اسباب هجرته وسر تصرفه ويلتمس رعايته لاسرته وولده ويطلب مغفرته وعفوه وقد استهلها ابن الخطيب :

بانوا فمن كان باكيا يبكي هذه ركاب السرى بلا شك

ثم يبدؤها بقوله : « مولاي .. كان الله لكم ، وتولى امركم : اسلم عليكم سلام الوداع وادعو الله في تيسر اللقاء والاجتماع ، من بعد التفرق والانصداع واقر لديكم ان الانسان اسير الاقدار ، مسلوب الاختيار ، متقلب في حكم الخواطر والافكار ، وانه لا بد لكل اول من آخر .. »

سار ابن الخطيب من (سبتة) الى (تلمسان) حيث كان بلاط المغرب ، وهناك استقبله السلطان اجمل استقبال وارسل في الحال سفيرا الى سلطان غرناطة يسعى لاستقدام اسرة الوزير المهاجر فأتى بها معززة مكرمة .

والغريب ان هذين التشرد والتغرب لم يشفيا غليل حساده وخصومه حيث أتخذوا من فراره وهجرته ذريعة للاطاحة بمجده الادبي ، وسلب ما حظى به من مقام سياسي لدى سلطانه ، فقد غاظهم افلاته ونجاته ونجاحه .. فأخذوا يضاعفون نشاطهم العدائي ضده ويجددون لفطهم الدعائي حوله كي يطمسوا معالم فضله وادبه ومقامه ، عندها اخذوا يؤلون ما جاء في كتبه ورسائله وفق مقاصدهم ويفسروها حسب اهوائهم ، فرموه بالزندقة واتهموه بالالحاد ...!

وطبعا كان تلميذه وخلفه في الوزارة محمد بن زمرك اكبر مروج لهذه الدعاية المغرضة ، كما تولى صياغة قرار الاتهام وتأويل معاني الكلام القاضي ابو الحسن النباهي ، حيث افتى بحرق كتبه .. وبالفعل تم احراقها في ساحة غرناطة .

ومن المؤلم حقا ان ابن الخطيب هو الذي رشح النباهي لدى السلطان ليكون قاضيا للجماعة ، واستصدر (ظهيرا) مرسوما لتعيينه ، نعته فيه بأرفع النعوت ووصفه بأسمى الصفات ، وعندما الف ابن الخطيب كتابه « الاحاطة » ظفر النباهي منه بحظ وأفر من التقدير والثناء ..!

ومما ضاعف احزان ابن الخطيب ان يعلم بأن القاضي النباهي هذا قد انحاز الى تلميذه ابن زمرك ، حينما لاحظ تقلب الطقس وتقلص ظل نفوذ ابن الخطيب حتى امسى في طليعة خصومه ، ومن اشد الساعين لتحطيمه .

فرغم تشرد ابن الخطيب وحرق كتبه لم تطف نار الحسد المتأججة في قلب القاضي ، بل سعى لدى السلطان فصادق على قرار الحكم بادانته بالالحاد والزندقة .. ثم ارسل رسله بهذا الحكم الى سلطان المغرب يطالبه بتنفيذ حكم الشرع وهو انزال عقوبة الاعدام به .. ففضب سلطان المغرب لهذا القرار المجحف وعنف رسل الاندلس وراح يضاعف اكرام ابن الخطيب .

ولكن الايام اذا ما راق لها ان تعبث ، والحظوظ اذا ما حلى لها أن تعبس ، عندها لا تشفع سمو المواهب ولن تجدي راجحات العقول نفعا .. فنرى في هذا الموقف الدقيق والوقت العصيب لمحنة ابن الخطيب ، يأبى الموت الا ان يتصدى لسلطان المغرب .. وبعده تتمخض الاحداث عن انقلاب اقتحم الثوار مدينة فاس وخلعوا الملك الطفل ونادوا بالامير احمد ملكا على عرش المغرب .

فبادر السلطان احمد بالقبض على ابن الخطيب تنفيذا لعهد قطعه لسلطان غرناطة ، الذي بات يحقد على وزيره السابق ، فأرسل السلطان وزيره ابن زمرك الى المغرب ، ليعمل على تنفيذ حكم الشرع .. الذي صاغه القاضي النباهي في قرار الاتهام ..

عندها عقد السلطان احمد مجلسا من رجال الدولة واهل الشورى استدعى اليه ابن الخطيب ليواجه التهم

الركب والدرب والسر

الركب ماض في المسير ... لم يثنه لفح الهجير
والعين ترقب خطوها ... تخشى الوقوف على الشفير
والافق يحجبه انكسار ... والدرب مجهول الضمير
والقلب يعوزه الرجاء ... وسبيله أبدا عسير

عرضا أخي كنا هنا ... عرضا وجدنا في الطريق
عرضا عرفنا أننا ... ظلان في درب عتيق
وغدا سنمضي يا أخي ... والشك يمضي والطريق
فالصوت والخطوات أو ... هام بأجفان الغريق

وكلا الرفيقين ارتمى ... في الدرب يقلقه المصير
يجتاحه فيض الرؤى ... وغريمه سر كبير
فانا وأنت السائران ... والعمر محدود قصير
والسر أنا الباقيا ... ن ، وغيرنا وهم غرير

دمشق — سلافة العامري

المنسوبة اليه ، واهمها الالحادَ والزندقة .. ويومها عنف ابن الخطيب وعذب ، بدلا من ان يناقش ، ويحاسب .. ولما اقتيد الى سجنه دس عليه من قتله خنقا ..! وفي الغد اخذت جثته لتضرم فيها النار ..! ثم دفنت في ضاحية فاس .

ويسجل ابن خلدون هذه المأساة في مقدمته، فيشير الى صديقه ابن الخطيب بقوله « الهالك لهذا العهد شهيدا بسعاية اعدائه .. »

ثم ينقل الينا ابياتا نظمها ابن الخطيب في سجنه يترقب مصيره حيث يقول :

بعدنا وان حاورتنا البيوت ... وجئنا بوعظ ونحن صموت
وكنا عظاما فصرنا عظاما ... وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا ... غربن فناحت عليها البيوت
فكم خذلت ذا الحمام الضبا ... وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سبق القبر في خرقة ... فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيـ ... ـب وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له ... فقل يفرح اليوم من لا يموت

وهكذا ذهب الكاتب والمفكر الكبير ضحية الجهل والتعصب الاعمى والاحقاد السياسية الوضيعة والحسد الاسود والطمع الدنيوي الدنيء .

ومن يطالع الوصية البليغة التي وجهها ابن الخطيب لاولاده ، حيث ينصحهم فيها بعدم الاسراف في اقتناء العقار بالاندلس وان لا يطمئنوا الى يد الحدثان .. يجد فيها الدليل الواضح على سعة تفهمه للامور ، وما يتمتع به من قوة الادراك للخطر المريب الذي يحدق بموطنه العزيز ، فاستمع اليه حيث يقول : « ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه اجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعيا لنفسه ، ان يتقلب العدو على بلده من الافتضاح والافتقار ، ومعوقا عن الانتقال امام النوب الثقال ، واذا كان رزق العبد على المولى فالاجمال في الطلب اولى » .

ولا يفوتنا ان ابن الخطيب كان ثاقب النظر ، فقد ادرك من سير الحوادث في الاندلس ، واستقرأ حجب المستقبل من الماضي القريب ، وتوالي الفتن وتعاقب الثورات وتشعب الاراء وتقلب الاهواء ، النهاية المحتومة لهذا الوطن الفني الذي اضحى يفتقر الى رجاحة العقل وغنى النفس والقناعة والاخلاص .

لذا راح يهيب بقومه الى توحيد الكلمة ، وتجنب العثرات ، والحد من الجشع والشهوات ، والابتعاد عن المطامع والنزوات والكف عن التحاسد والمشاحنات ، حتى بات يستنجد باخوانه فيما وراء البحار ليبادروا الى نصرة وطنه وغوثه من الطامعين الاعداء .

ولابن الخطيب في ذلك رسائل كثيرة مؤثرة يوجهها الى قومه وبني وطنه والى ملوك المغرب ممن يتوسم فيه النخوة والنجدة ، وكان يوضح لهم المصير المحزن الذي ينتظر امته ويلفت نظرهم الى الخطر المحدق بوطنه ...! وكلها رسائل تمتاز بروعة الاسلوب وسعة الافق وخصب القريحة وعمق التجربة .

بغداد — ناجي جواد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتسألني صديقاتي

لـو ان الشوق في قلبي حكى عـن سر اعماقي
لسجـل باللهيب لظـى وأحـرق كـل أوراقي

فهـل فـي عالـم الاشواق مـن بالصبـر عاناها
كمـا عانيـت يـا قلبي ونـار الحـب تصلاها

أراه فتهـرب الكلمـات لا أحكـي لـه شيـا
ولـو انـي نطقت بهـا لرويت الهـوى ريـا

ولـو انـي قضيت العمر أحكـي سـر أسـراري
لضاع العمر مـن عمري ومـا أوفـى بأخباري

ويلمح سر مـا أخفي ورغم الصمت يدريـه
وفي عينيه كـل حنان هـذا الكـون يبديـه

اذا مـا ضمنا يومـا مكان نلتقـي فيـه
فلمسة كفـه بالـود ترخينـي وترخيـه

قضيت العمـر حالمـة وراحت كـل أيامي
بـه جاءت مقاديري بـه جـددت أحلامي

وكـان لقاؤنـا قـدرا فمـا أحلـى المقاديـر
وقـد رقت نسيمات فأنستنـي الاعاصيـر

يربـت فـي حنـان الحب قلبـا شفـه الوجـد
ويبعـث مـن حنيـن القلـب حبـا مـا لـه حـد

وتسألني صديقاتـي عـن اسمك والهـوى العاتـي
وطي جوانحي نـار تضـل بـه عباراتي

أقول لهن في ولـه هـو الدنيـا وما فيها
ونور قد سرى أمـلا يبـدد لـي دياجيها

هو الحب الذي ما زال فـي سمع الهوى نغمـا
هو السر الذي ما زال في عمـر النوى ألمـا

فمـا عرف الجوى قلبي ولا الاشـواق عاناهـا
الـى ان ضمنا قـدر عرفت بـه ضحاياها

هواه هـوى يؤرقني بليـل السهـد يطويني
ولكني أحـب هـواه يحرقنـي ويضنينـي

ولـو طافت قلـوب الناس حولـي تبتغـي حبـي
لقلت لهـم خلقت له وليس لغيـره قلبـي

تبادلنا الهـوى عطـرا يـؤرج جـو دنيانـا
واعطينـا الهـوى قلبـين أشواقـا وألحانـا

فـان طـال النـوى وشجـاه يشغلني خيال لقـاه
وان عـز اللقـا وسنـاه يحيى القلب فـي ذكـراه

مصر الجديدة

روحية القليني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أشباح المدينة

بقلم رياض نصور

رزق « ميهوب » طفلة بعد زواج سبع سنوات مجدبة . عمت الفرحة ، ورقص الجيران في القرية الوادعة التي تربض في كنف الجبل ، على انغام المزمار، اصطفت حلقات الدبكة، وردد الوادي صدى الاغنيات . ذبح خاروفا على قبر الولي الصالح وأكل واطعم الجميع . لقد نال كل ما يرجو ويأمل . لقد حصل على ولد من صلبه في يوم رأى به نجم السعد يعتلي حضن السماء ويتوهج بنور ما رأى مثله في حياته .

وشبت الصغيرة عن الطوق وترعرعت في كنف اب محب شغوف . وراقب الاب نموها كما كان يراقب شتلات الدخان وهي تنمو في بستان الآغا . انها تكبر . ترتفع يوما عن يوم ، وتعلو ويكتنز جسمها . الدماء تمور في وجنتيها وينهد صدرها .

وتطلب « جمانة » وبالحاح من والدها فستانا احمر رأت ابنة المختار تلبس مثله . يعدها بالفستان وتمضي السنة دون ان يتمكن من الوفاء بالوعد . ترى ماذا يفعل ؟ ويفكر بالحل ! قال لزوجته : سنجمع بيض الدجاج في السل الكبير ، وعندما يقترب عيد الفصح سأسافر الى المدينة لابيع البيض ، وسأحمل معي عند عودتي الفستان الاحمر . وتتهادى « جمانة » في الفرقة متظاهرة وكأنها ترتدي الفستان الجديد ، وبغنج ودلال تقبل وجنة امها وراس ابيها . انها ترقص وتتلوى . تغني وكأنها ملكت الدنيا . كيف لا وعما قريب سترتدي فستانا لم تلبس مثله الا ابنة المختار . وظلت العائلة على الوعد . لم تأكل بيضة واحدة لتحقق للفتاة الحلوة ما تبتغيه .

سيفي « ميهوب » لابنته بالوعد. وسينزل الى المدينة للمرة الرابعة . فقد سافر اول مرة لاحضار دبلة الزواج مع بعض الاصدقاء . وفي المرتين الثانية والثالثة صحبه الآغا لتسليم محصول الدخان لدائرة التبغ . اما هذه المرة فسيسافر وحده حاملا سل البيض الكبير ليشتري فستانا احمر لوحيدته .

ارتدى « ميهوب » قمبازه المقلم و (الجاكيتة) السوداء التي اشتراها من بائع العتيق الذي يزور القرية في المواسم والاعياد. وهو لم يلبسها الا قليلا خوفا من ان تذهب جدتها . واعتمر عقاله المفضض ثم حمل عصاه رفيقته وسلاحه ايام الشدة . ثم قبل ابنته وقد تفتحت زهرة جميلة على ثغرها الرقيق .

كانت الظلمة ما تزال تغلف الكون عندما غادرت السيارة القرية . رائحة الارض تنبعث في الاجواء رطبة طيبة : وقد بللتها الامطار ، ممتزجة برائحة النباتات البرية . وكانت السيارة تمضي بالناس الهابطين الى المدينة . « ميهوب » يحمل فوق ظهره اثقال الدنيا . المهمة صعبة. لا يدري، هل سيتمكن من بيع البيض والعودة سريعا بالفستان الاحمر لوحيدته ؟؟ ويرى بعين خياله جمانة الحبيبة تختال في ثوب رائع في ازقة القرية . تبتسم وتتهادى بلين ، كغصن تداعبه نسائم الفجر فيهتز مزهوا راقصا بغنج ، مختالا بدلال . وحيدته ، وردة القرية المتفتحة ، آماله وحبه وحياته ، هي كل ما يملك ويرتجي ويأمل .

يدخل المدينة الضاجة الصاخبة . الناس يتبعثرون في ازقتها وشوارعها . بعضهم يسرح والبعض الاخر يتوقف بكسل ورخاوة كالاحجار ، كالقمامة . انه يكره القمامة ويكره التوقف بلا عمل . السل بيده ثقيل جدا . والبرد قارس شديد . صوته الجاف يتعالى وهو يقف مستندا الى الحائط :

ـ البيض البلدي الطازج ! البيض البلدي الطازج !

امرأة عجوز ، اشترت منه عشر بيضات وناولته الثمن : انها امرأة طيبة كما يبدو . قال لها برفق :

ـ استفتاحك مبارك يا ست .

ويمضي « ميهوب » مناديا من شارع الى شارع ومن زقاق الى اخر . عصاه في يد ، والسل في اليد الاخرى .

قال له احدهم : اذهب الى البازار يا أخ ، هناك يبيعون البيض . اشترى منه خمس بيضات قلبها طويلا حتى انتقى اكبرها حجما ... ود ان يقول له ارجوك ان تتركني ، لقد انتصف النهار ولم ابع شيئا . لكنه خجل منه . رائحة العطر النفاذة تتصاعد منه والعلكة تتطرقع في فيه .. عاد الى ترتيب البيض في التبن ، ومضى مثقلا نحو البازار ..

كان بعض الصبية هناك يتجمعون للشقاوة ومعاكسة الناس . سرعان ما اقتربوا منه متظاهرين بالشفقة عليه . قال له اكبرهم سنا .

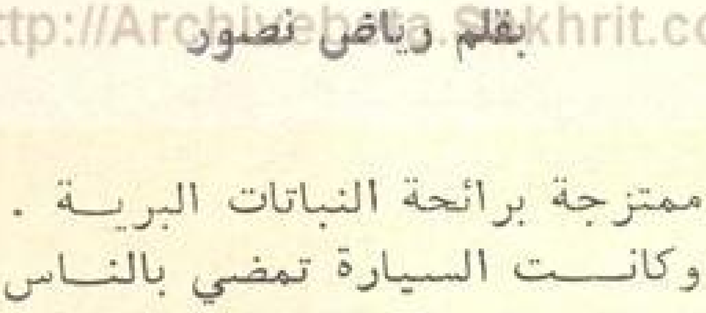
ـ اتريد ان اساعدك بحمل السل يا عم ..

ـ لا لا شكرا يا بني . ممنون يا ابن الحلال .

ـ كلا سأحملها عنك .

ـ قلت لك يا ولدي ممنون .

احس بدنو العاصفة . وضع السل على الارض وجلس قربه



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر الملاح

*

أتجتث الاسى عينا ك من أعماق أغواري ؟
وتطفىء لوعة العمر فتشرق كل أقماري
وهذا البحر يطويني بتذكاري واسراري
أغني كنت في ليلي وكان الحزن قيثاري
اذا ما هبت الريح وهزت بعض اوتاري
لهيب سار في صدري وفي ابيات اشعاري
لافني جدب أيامي بآهاتي وتذكاري

البصرة ـ العراق — محمد صالح عبد الرضا

فاقتربوا منه اكثر . الشرر يتطاير من عيونهم . شعر بشيء من الخوف. كانوا يتضاحكون، ويتزاحمون حوله. قال له احدهم اطعمنا بيضا ، واقتربوا اكثر من السل . رفع عصاه صارخا في وجوههم : بحق الانبياء اتركوني يا ابنائي . اذهبوا عني . قال كبيرهم متظاهرا الصدق: لن نفعل شيئا يا عم سنشتري بيضا، معنا دراهم . واخرج من جيبه حفنة منها مقتربا من السل . كان احدهم يحمل هرا كبيرا ويقف خلفه . ربط احدهم ذنب الهر بعقاله ، وضربه فمضى مذعورا جارا عقال «ميهوب»

صرخ القروي ضاربا بعصاه من حوله ، ومضى صارخا في اثر الهر الذي اختفى عن الانظار . عاد حاسرا ، ليرى المشردين الصغار يضحكون في الزوايا . يلحق بهم حاملا عصاه فيتفرقون ليعودوا من جديد . ماذا يفعل ؟ يصرخ ويعربد كالمجنون فيزدادون شراسة . راى شرطيا ناداه قائلا : ارجوك سرقوا عقالي ، وكسروا بيضي ، الق القبض عليهم . نظر الشرطي حوله وهو يتثاءب بمضض ، لم يجد احدا . سأله : من تشكو ؟ تعال معي الى القسم لننظم مخالفة . من هو خصمك ؟ من المعتدي عليك ، اسمه، لقبه ، ماذا يعمل ؟ انه لا يرى احدا. يرتجف من البرد وعصاه في يده مقرورة مثله. ود لو يضرب الشرطي، لو يقول له يجب ان تعرف انت من هم اعدائي . يجب ان تحميني .

مضى الشرطي في طريقه . و «ميهوب » يتساءل من هو عدوه ؟ فقد يمر شرطي اخر يسأله السؤال نفسه ؟

من الزوايا برزت وجوههم من جديد . وسخة ، بشعة ، كالحة . قهقهاتهم ضاجة اكثر من ضجيج المدينة .

ـ اتشكونا الى الشرطي يا كلب ؟

بصق احدهم في وجهه وهرب . لحق به ، ضربه بالعصا . تعلق بسترته فوقعا ارضا . تقدم احدهم من السل والقى بمحتوياته ارضا . تكسر البيض ، وسال في الشارع ممتزجا بالتراب والتبن . تجمهر بعض الناس الضاحكين . لحق بالاولاد مزمجرا ، ضاربا بعصاه صائحا ، معربدا . انهالت عليه قطع من الخضار والحصى . احس بأنه مغلوب على امره ، وبأنه في المعركة وحده ، لا احد معه .. المدينة كلها ضده . لوح بعصاه بيده المتعبة ومضى هاربا في طريق القرية . اتراهم يلحقون به؟ اصواتهم مزمجرة وقحة . قذارتهم تملأ خياشيمه بروائح نتنة . لن يقف . سيحمل نفسه بعيدا ، بعيدا عن القذارة التي احاطت به فاتعبته ، تركته تافها اضحوكة للمشردين . لا لن يتوقف. لن يبقى اضحوكة لهم ما دام يقوى على الركض . مفاصله تتراخى .. تضعف ، تتلاشى . وهم وراءه يركضون . يلاحقونه باعينهم المحجرة . قهقهاتهم تتعالى ، تزمجر، تعربد لتصل اليه . انه لا يحس شيئا . لا يقوى على الركض . يتهاوى على الارض ، والعرق يتفصد بغزارة من جسده كله .. الارض الملساء الناعمة . رفع رأسه عن الاسفلت الرطب . ونظر الى اعدائه تخيلهم امامه ما زالوا يلاحقونه . شياطين المدينة الاوغاد . ما زالوا يضربونه بلؤم وحقارة واستفزاز .. لا زالوا يقهقهون .

تناول عصاه ووقف من جديد . واستدار ضاربا بقسوة . الليل يلف الدنيا من حوله ، والاصوات الشريرة تعربد ، وهو يضرب ، يضرب باستمرار ، يمينا ويسارا ، وبلا توقف . يضرب هذا العدو المخيف البشع، هذا الوحش الكاسر الرهيب. ويمضي ضاربا الاشباح من حوله بلا شفقة ويود ان لا يكف عن الضرب .

وتتخاذل قواه وتتلاشى .. يفنى .. يذوب .. يسقط على الاسفلت الاسود من جديد متمتما بصوت هامس اجش كأنه يخرج من اعماق كهف قديم :

فتلت المدينة . !

اللاذقية — رياض نصور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يوسف عبد المسيح ثروة

مسرح جـان جينيـه

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

جان جينيه (١٩١٠ ـ ...) كاتب مسرحي فرنسي عرف بحياته الغريبة كما عاشها في البيوت المشبوهة ، لقيطا ، ابن سفاح ، يتلقفه هـذا البيب ليرمي به الى هذا الشارع المهمـل او ذاك الزقاق المهجور ، والطفل يئن ويقاسي ويتعذب ، وكأن العذاب موكل به ليذرعـه . الطفل لا يفهم لماذا قذف به الى هذا العالم ، اثر نزوة عابرة ، ليكـون طعمة لكل هذه الهواجس وهاتيك المخاوف ، مـن غير ذنب اقترفه ، سوى انه حكم عليه غيابيا في الموت بين احضان الحياة الفاجرة .. انه جاء الوجود هذا وانفه راغم ، ولهذا السبب الغريـب ما عليه الا ان يتقبل ثقل الحياة راضيا .. واذا كان في هذا الامر تناقض فليكـن هذا التناقض حادا اشد ما تكون الحدة ، فليس من المعقول ـ فـي شيء ـ ان تكون العاقبة المنسجمة تتمة منطقية لفوضى طاغية . ذلك ان الفوضى مجموعة غريبة من المصادفات والمتناقضات والعشوائيـات تتلاطم جميعا في خضم واحد من العبث الهازل والسخف الاجـوف والجهل الارعن .. وكيف لا تكون الحال كذلك ، والمجتمع نفسه ، في اساسه ، وفي بنائه الفوقي ، كومة هائلة مـن ترسبات تاريخيـة متحجرة ، واخلاط عجيبة من قوى دينامية حية ، وقـوى متفسخة عفنة ، وفعاليات فردية خلاقة ، واخرى وحشية مستكلبة تتضخـم بالانانية الفردية ، وغيرها قوى ايجابية منفعلة بالمجتمع وفاعلة فيه ، متأثرة به ومؤثرة في مجرى تطوره ..

والانسان الفريد ، الوحيد ، المنعزل حتى عن شجرة نسبـه ، دودة باهتة، شاحبة ، ضائعة تائهة ، في هذا الوجود الكبير، المعروف بالمجتمع المتمدن ، لانه مولود فيه ، وقد دمغت ناحيته بالانسلاخ عـن وجوده العتيق بصفته انسانا ، وعن آدميته بصفته فردا ضائعا من قطيع ضائع .. التائه الصغير يتمرغ في اوحال المدينة الكبيرة ، مدينـة النور والاثم ، في باريس اصحاب الملايين والقصور السامقة ، وسيارات الليموزين الفارهة ، والمسابح البللورية ، والاضواء الباهرة ، والاجواء المعطرة ، هذا وجه من وجوه المدينة المتعددة الوجوه ، اما الوجه الذي واجه الطفل فوجه كالح اسحم ، تقدح عيناه شررا ملعونا ، وينفث فمه المتشقق سموما متطايرة وزبدا متقيحا ، ودخانا اسود حالك الظلمة ، يغطي الشوارع والازقة معا بسخام العهر والشذوذ والرذيلة . والطفل لا يجد له سبيلا يسلكها ، ولا طريقا يطرقها ، لان عزلته تأبه عليه ان يتزحزح مما هو فيه من موضع .. واذا ما تزحزح بفعل الشر او بحثـا عن لقمة سوداء ، او امتثالا لباعث خيالي طفولي ، كي ينوع ما هو غير منوع من هذه الحياة الراكدة الهامدة ، فهو لن يفعل ذلك ، الا ليجد نفسه وقد انقلب رأسا على عقب . واذا بالشر يـزداد بشاعة ، واذا بالشذوذ يزداد اغرابا وغربة واذا بالطرقات كلها تـؤدي الى بابـل الجديدة ، بل روما الجديدة .. حيث المتاجرون بـالارواح يتكاثـرون تكاثر النمل الابيض بسبب من تكاثر تلك الارواح ، في تواتر عجيب ، وتوافر مريب .. والسنة بسطاء الناس تقول هذا هو الواقع ، وليس غير الواقع من حقيقة راهنة في هذه الحياة .

وتجري السنون العجاف جارفة الطفل ، جان ، معها ، ليكـون صبيا ثم يافعا فشابا شب عن الطوق .. فرجلا ، فأين نجده في غـير الاماكن التي ينبغي له ان يوجد فيها .. ها هو ذا في الزنزانة رقم .. في احد السجون المعروفة . او في ذلك المنزل ذي العتبة البالية ، او في ذلك الزقاق الليلي ، المحسوب من ازقة البشر ، او في تلك الحانة التي تنضح بالشذوذ ، الحانة المخمورة التي تأبى ان تنام حتى فـي النهار .. ومن ذلك العالم السفلي ، عالم الجناة والمختلسين والشذاذ، والقتلة والمجرمين واصحاب السوابـق وقطاع الطـرق واللصـوص والنشالين وكل الحثالة التي تسكن في دهاليز باريس المظلمة .. من ذلك المكان المرعب ، المجنون ، الذي تقطنه شياطين الانس والجن ، خرج جان جينيه برائعته « خفارة الموت » سنة ١٩٤٧ .. وهي مسرحية مـن فصل واحد تتضمن نزاعا متوترا يصيب ثلاثة من الشبان الوسيمين ، معبودهم مجرم قاتل هو (ستوبول) الزنجي ، وفي هذه المسرحية يعلو صوت الحب وينخفض متماوجا ، صاخبا احيانا ورخيا هادئـا احيانـا اخرى ، كما فيها ، فضلا عن الحب شؤون من شؤون الحياة الشجية .. اما خلفية هذه المسرحية فهي زنزانة في سجن من سجون باريس .

ثم اعقبها جينيه بعد امد قصير بمسرحيته « العذارى » وهـي حكاية اخرى من حكايات العنف والعاطفة الوحشية غير الطبيعية ... واردفها بمسرحيات «الشرفة» و « السور » و « الاستار » على التوالي ... ولما كنا سنتناول ببحثنا هذا مسرحيتي «خفارة الموت» و «الشرفة» فلا بد لنا ان نشيح صفحا عن سائر المسرحيات الاخرى ، غير انه لا بد لنا في الوقت نفسه الا ان نمر بمسرحيتي « السود » و « الاستار » مرور الكرام . فالاولى تتحدث عن التمايز العنصري وعن اثار هـذا التمايز العنصري في الشخصية الانسانية ، وفيها نجد نار الحقـد المقدس يتلظى حمما وسعيرا في قلوب الزنوج ، كما يتلظى الحقـد الاسود الظلوم ، في قلوب السادة البيض وكل ذلك باسلوب مشرق ، فيه حلاوة المشاركة الوجدانية يمحضها جينيه لشخوصه المنسحقين ، الذين قدر لجسومهم ان تستحم في القار بمحض المصادفة البيولوجية العجيبة ، والصراع ـ في هذه المسرحية ـ كما في سائر مسرح جينيه ـ يتسم بالمواضعات الطقسية والاحلام والخيالات المجنحة .. التي تدعى (الفانتازيا) . اما مسرحية « الاستار » فهي تـواكب سير ابطـال التحرير في الجزائر ، ام الشهداء المليون ، خطوة خطوة ، وتطـرح مشكلة الاستعمار بعامة ومشكلة الاستعمار الفرنسي بخاصة طرحـا انسانيا ، عميق الغور ، اصيل الجذور ، صافي الرؤيا والرؤية ولا شك في ان منبت جينيه له صلة اكيدة بمنبت الثورة الجزائرية ، لان جامعة العذاب والمعاناة تربط بينهما .. وان كان الاول حضيضـا فرنسيا والثاني تربة جزائرية شريفة النجد ، رفيعة المحتد .

ان جينيه ـ بمسرحيتيه هاتين ـ يقفز من الصعيد القومي الـى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصعيد الانساني قفزة ذات دلالات ، فيها يتجلى الحب الانساني الشامل لكل كبيرة وصغيرة في عالمنا هذا ، فالكاتب الفرنسي الذي يشعر بما يشعر به الزنوج ويشعر بما يعتمل في جوانح الجزائريين ، لم يعد يلتزم المواقف التزاما آنيا ، على حسب الظروف والاحوال ، بل هو يأخذ القضية الانسانية مأخذا جادا ، ويتلمس في حلها حلا لمعضلته بالذات ، بصفته انسانا له معضلة تتطلب حلا تماما كما هي الحال مع معضلات القضية الانسانية العامة ، من اضراب الاستعمار والتمايز العرقي العنصري ، والتمايز الطبقي وما الى ذلك .. وهو ـ فيما هو فيه ـ لا ينطلق من اجواء ميتافيزيقية موغلة تتناول الانسان باعتباره كائنا مستقلا منفردا ، ذاتا موجودة لذاتها ، وعينة فريدة منفصلة عن بقية العينات .. لان الاخرين هم الجحيم .. بل هو ينطلق من منطلق بسيط ، هو حياته المأساة ، ليضم اليها مأساة الاخرين فيكون الكل المجتمع من هذه المآسي معينا لا ينضب لمسرحه ، من حيث صلة هذا المسرح بمجريات الحياة في العالم وقضايا هذا العالم المنتفضة الحادة ، الماثلة امام كل كاتب جاد يريد ان يربط مصيره بمصير العالم ..

مسرحية : خفارة المـوت

اما ابطال « خفارة الموت » فهم ابو العيون الزرق وليفرانك وموريس ، والاول محكوم عليه بالموت بالمفصلة في غضون شهر والثاني على وشك الخروج من السجن والثالث صبي في السابعة عشرة من عمره ، جاء السجن متطوعا .. تتكشف المسرحية في حلم من الاحلام.. وبتجاذب الثلاثة الحوار فيها في مزيد من الاصالة بالقياس الى الاول والثالث ، وفي كثير من الادعاء والزيف والتظاهر بالقياس على الثالث.

واول ما ينطلق الحديث يتناول (البطل) سنوبول الذي سيوليه ليفرانك باوفر قسط من الثناء فهو « يفوق الجميع بأسا ، اذ لا يتمكن منه اي من المحكومين فلا يطال نوره احد ، وهو قـوة مؤذية حقا » فيزيد موريس على ذلك بقوله : « من ينكر ذلك . انه شاب وسيم ، قوي البنية . يمكن ان تدعو (ابو العيون الزرق) متسربلا بستار من الدخان ، ابو العيون الزرق مطليا بالوحل ، ابو العيون الزرق في الظلام » . وفي رأي ليفرانك ان الزنجي اسود لكنه يضيء الزنزانات الالفين بأسرها . لم يطرحه احد على الارض قط . واذا ما مشى اميالا في الردهات والزنزانات ، فماذا يحدث ؟ ان اصفاده هي التي تحمله. ذلك ان سنوبول ملك . قد يكون اتى من الغابة . لكنه لم يات الا ورأسه عالي الجبين ، الا ان هذه الاقوال الموغلة في المغالاة لا تجد لها مكانا مكينا في قلب ابي العيون الزرق الذي يتدخل في الموضوع فيقول: « ليس من ملك في السجن . سواء سنوبول ام غيره من السجناء . اما كلامه عن جرائمه فيمكن ان تكون هواءا في شباك » .

ويتأزم الوضع بين ليفرانك وابي العيون الزرق ، لان الاول يتماهل في قراءة رسالة عشيقة ابي العيون ، ولان الاخير مضطر ـ بحكم اميته ـ ان يلجأ الى صاحبه ، كلما جاءت رسالة اليه . ولذا فابو العيون لا يرى مفرا من تهديد ليفرانك لانه ليس من السهل ان يتحداه ، وان عليه ان يرقب كل خطوة يخطوها ، والا فلا بد من حلول مشكلة في الزنزانة . والامر الذي يزيد المعضلة حراجة ان العشيقة علمت علم اليقين ان كاتب الرسائل اليها ليس هو ابو العيون ، ولذا فهي تطالبه ان يكتب هو نفسه ، مهما تكن كتابته .. انها تعلم الان ـ على يذهب ليفرانك اليه ـ ان ابا العيون لا يعرف القراءة او الكتابة .. واذن فثمة مكيدة ، ثمة فخ . اذ كيف عرفت الحبيبة البعيدة ، ان الكتابة ليست كتابة ابي العيون ، وما هي المكيدة غير تواطوء مكشوف بين هذه الخائنة وبين ليفرانك ، وبينه وبينها ثلاثة ايام فحسب ؟.. انه يفعل ذلك بأمل الحصول عليها واختطافها منه . فالويل له اذن . لكن ليفرانك لا يعترف بذلك ، ولا يريد ان يصرح بشيء امام موريس ، فيسمع موريس بتلك الرغبة المكبوتة ويلتفت الى ليفرانك قائلا :

« .. كان يجب ان تقول هذا . اذا كنت ازعجتك فيمكنني ان اتلاشى في الضباب » ويلح عليه مطالبا بالاعتراف بحقيقة الحال ، وبحبه لفتاة صاحبه ، واحتياله عليه .. ذلك ان موريس مدين له بحياته له ، لابي العيون . ومن الخير ان يخرج ليفرانك من السجن . لينالا قسطا من الهدوء والسكينة والراحة .

واذن ليفرانك غير مرغوب فيه ، ومن هو الذي لا يرغب فيه ؟ انه موريس الذي يستطيع ليفرانك طحنه وسحنه ونثر عظامه وفري لحمه وابادته في لحظات .. ايصح لهذا الصبي ان يتطاول عليه هذا التطاول المشين ؟ انه بايماءاته وتلميحاته قد استطاع ان يخدع الحراس ويخدع (ابا العيون) لكنه اعجز ما يكون حيلة ومكرا حياله ، ولولا رحمته به لقضى عليه ، ولكنه سيريه ، قبل ان يغادر السجن كيف تكون المسألة هذه المرة . فينتفض الصبي خوفا ورعشة ويتمسك برحمته مجددا بقوله : « حسنا ، جورجي كن عنيفا كما تشاء . تعال الان بينا انا ناظر اليك . الا انك قبل ان حاولت قتلي، كانت ليال كنت فيها تغطيني بما تلتحف به . لحظت ذلك من مدة طويلة كما لحظها ابو العيون الزرق . وهذا ما اضحكنا كلينا ايضا » . ويفتاظ ليفرانك مما قاله موريس ، ويعزو موريس هذا التبرم الى كونه قد قضى زمنا يسيرا في السجن والى ان ليفرانك كان يسر اشد السرور من رؤية شعره وهو يتناثر بين فكي المقص ومن رؤيته وهو يتالم . كما سئم منه اشد ما يكون السأم « فليس يكفي ان يموت الانسان من الجوع ، وان تغلق عليه الزنزانة ، وهو فاقد الحياة » هذا كله لا يكفي ، اذ لا بد من ان يقتل احدهم الاخر .

ويحاول موريس ان يعلل الامر ، فقد يكون السبب انه اعطاه نصف قوته ، لكن هذا كله لا يعني ليفرانك في شيء ، فهو يريد ان يتكلم لينفس عما في نفسه من غيظ مكتوم ويريد من صاحبه ان يلتزم الصمت ، فمن حقه ان يفعل ذلك ومن واجب صاحبه ان يصمت. وكيف لا يحق له هذا ، وقد تحمل وشم عبيد السجون الفظيعة طيلة تلثمئة سنة ، انه لا بد ان يصبح ماردا جبارا (سايكلون) ليمزق زميله اربا اربا . فهو لم يعد يطيق عذوبة موريس التي تقتله ، واذن فلا مفر ان يذهب احدهما. لان موريس والقاتل اللطيف اخذا يضجرانه .. ها هو ذا يتهم ابا العيون الزرق مرة اخرى ، في محاولة منه لتغطية اساليبه الخبيثة لاختطاف فتاته التي كان يتصور تحرقا اليها .. حقا ان موريس كان على حق باتهامه ليفرانك ، لقد حزر ذلك ، فهو قد عمل ما في مستطاعه ليبعد الفتاة عن فتاها .. ذلك انه يريد ان يبقى ابو العيون الزرق وحيدا فريدا ، كما يشتهي الاخير ، وهو حين يكون همزة وصل بين الفتاة وفتاها ، لا يفعل ذلك الا بصفته اداة توصيل ، دائرة بريد لا غير ...

هذا ما يدعيه ليفرانك ، ولكن اهذا الادعاء صحيح ؟ كيف يمكن ان يكون هذا الادعاء صحيحا وهو يكتب الى الفتاة بفيض من قبله ، كأنما كان يكتب الى فتاته ؟ هذا ما يذهب اليه موريس ، اما ليفرانك فيوجه سهامه الى صاحبه بهذه الكلمات : « ولكنك انت الذي عانيت . ولا تزال تعاني . انك توشك ان تبكي وانا الذي حملتك على البكاء متأرجحا بين العار والغضب » ويستمر شجار الكلمات هذه بين موريس وليفرانك متصاعدا متوهجا ، حتى يفزع ابو العيون مما هو فيه ويتحسس وجوده ويتلمسه ، فيضجر من القيل والقال ويمسح وجود صاحبيه بكلماته : « انا برم بكما ، فانتما لم تعودا موجودين . ففي غضون شهر سينالني الفأس وسيكون رأسي في مكان وجسمي في مكان اخر . انا الرعب . انا الرعب المقدس . استطيع ان اهشمكما . اذا كنتما تريدان فتاتي ، دونكما المرأة خذاها. انكما منذ زمن تدوران وتدوران حولي في محاولة للعثور على موطىء قدم » .

ابو العيون الزرق في طريقه الى العالم الثاني ، فلماذا لا يفسح

في المجال لفتاته لتشرع في حياة جديدة . انها ستجده بعد امـــد قصير جثمانا مسجى ، وستكون ارملته اذا لم تفارقه سريعا ، ليس لها الا ان تصلي على قبره ، وبيدها اكليل من الازهار ، انه رجل ميـت فهل يضحكهما ذلك ؟ وهي تكرهه وقد هجرته الاقدار . ثم يحس ابو العيون الزرق بمعنى الفراق والهجران ، وطول المسافة بينه هو الميت وبينها هي الحية ، فلا تستطيع شفتاه الا ان تتمتما بغيظ وحنـق : « امرأتي الصغيرة . الكلبة الصغيرة . انها تركتني وحيدا اشد مـا تكون الوحدة ، وسط الصحراء » وهنا يقسم موريس انه ان عثر بها فسيقضي عليها في الحال ، فيعلق ابو العيون على هذا القسم بقوله: « فات الاوان ، فحالما ستلقي ناظريك عليها ، ستنسى كل شيء عـن ابي العيون الزرق » فيجيبه موريس : « ابدا » ، الا انه يرد عليـه بحدة : « لا تقل ابدا . انا اعرف كل شيء عن الاصدقاء الذيـن يقسمون بأنهم لن يفعلوا هذا الشيء او ذاك . لا ينبغي لك ان تمسها .. فهي فتاة فقيرة ، بحاجة الى رجل حقيقي ، وانا لم اعد غـير شبح . كان ينبغي لي ان اعرف كيف اكتب . كان لا بد لي ان اصنع جملا بديعة . لكنني انا جملة بديعة » .

هذه كلمات رجل ، بينه وبين الموت ايام معدودات ، كلمات نابعة من قلب كسير ، من روح شفافـة ، منسحقـة ، يتلمسها الغفران فيحيلها الى معان انسانية رقيقة تطير على اجنحة الملائكة البيـض ، في زرقة السماء ، لتواجه جبين الشمس ، ببراءتها الجميلة وبساطتها الخلابة ، لتقول لغلاظ الاكباد من الناس ؟ هذه كلمات انسان مجـرم عادت اليه آدميته ، وهو يواجه القدر ، انه واحد من هؤلاء الساقطين الذين هم ايضا بشر .. اسمعه وهو يحاور صاحبيه :

« انكما تضحكاني . الا تريان حالي . الا تريان اننا هنا لا نصنع الا قصصا لا تعيش الا بين الجدران الاربعة . تعتقدان انني احمـق . الا تعرفان من انا ؟ الا تدركان ان القبر مفتوح بـين قدمي ؟ ايهـا السادة ، الفأس . انا لم اعد حيا . انا وحيد . وحيد . ساموت هادئا . لم اعد اتالق . انا متجمد » . ومع هذه الكلمات البراكين ، نصر البلاغة على القول ، انها تعبير وتعبير دقيق عـن خوالج النفس ! ويتحدث ابو العيون الزرق عن ارهاصة جريمته فيقول : « حاولت ان اكون كل شيء كيلا اصبح مجرما . حاولت ان اكون كلبا ، قطـة ، حصانا ، نمرا ، منضدة ، حجرا ، حاولت ، انا بالذات ، ان اكـون زهرة .. حاولت ان اعيد عقارب الساعة » . لكن الجريمة وقعـت ، ووقع اسيرها انسان اراد ان يتداركها فلم يقدر ، انه شد الى الجريمة شدا لا انفكاك له ، فكانها وجدت بوجوده ، وكانهما توأمان من رحـم واحدة ، ان ايدي الاقدار هي التي حلت محل يديه .. فمن العـدل ان تقع عوضا عن رأسه لانه لم يفعل شيئا غير ان ينفذ ارادة غـيره ، فكيف يحل العقاب به ، وهو مدفوع مسير ، فاقد الحرية ، ومن فقد الشيء لا يمنحه لغيره ، وماذا تكون الاقدار غير هـذا المجتمع الظالـم الذي يسوغ الجرائم وييسر لها اسباب الوجود ، بما فيه من دوافـع اليأس ونوازع القنوط وحوافز الافلاس الروحي ، وكلها قوى جبـارة تدفع بخيار النفوس البريئة اصلا الى مهاوي الاثم والجريمة ..

وبعد ان وقعت الجريمة ، ماذا يحدثنا عنها ابو العيون وقـد خنقت الضحية ؟ « لم اجسر على مغادرة المكان . ظننـت انني ارى حشدا مرعبا في الشارع وحسبت انهم ينتظرونني لاريهم نفسي مـن الشباك . » ها هو المجرم ينبهت ، يذهل ، يتصلب ، يتحجر فـي مكانه ، انه يؤخذ على يديه ، ويتقطع نفسه ، وينشده ، ويريـد ان يعود انسانا فما يستطيع .. ها هو قد خرج من عالم الى عالم اخـر ، فتفتتت اركانه ، ولهذا نراه يواجه صاحبيه بقوله : « تتصوران انني قد تفتت ، لا تتصورا انني سابقى متفتتا . ان ابـا العيـون الـزرق سيلتئم ويعيد تنظيم نفسه . سأبني نفسي مرة اخرى .. وسأقـوي نفسي واكون اشد صلابة من قلعة ، من سجن . اتسمعاني انا هنـا السجن نفسه ، انا السجن وانا الوحيد في العالم » .

ويحل يوم الزيارة ، ويطول انتظاره لفتاته ، ويعود الى زنزانتـه خاسئا حسيرا ، وبعد ان ينقطع به حبل الرجاء ، يحضر الحارس الى الزنزانة ليخبره ، ان صاحبته بانتظاره ، فيجيبه وقد اخذ القنـوط بخناقه ، « بعد كل هذا اذا كنت تحبها فجرب حظك » . فيقول لـه الحارس : « لا مزاح ؟ اتعني اني قادر ؟ » ، فيرد عليه : « لم لا ؟ لقد تركت الارض وبرمت بي الحياة . ثم انك لست كسائر الحراس ». ذلك انه فهم كل شيء ، وكان من الشجاعة بحيث انتصر للوحـدة ، وترك كل ما في العالم . وهذه الوحدة يؤكدها ليفرانك ويعمل لهـا والى هذا الامر يشير بقوله : « يا ابا العيـون الزرق ، اردت ان افصلك عن فتاتك ، وقد عملت كل ما استطيع لابعدك عن العالم، وابعد الزنزانة والسجن كذلك » .

ولكن السجن هو سجن ابي العيون وهو المسؤول عن المشهـد بأكمله ، واذا كان له ان يقوم بعمل ما فقد فات وقته لانه ليس مـن الانسانية ان تتوقع شيئا ذا اهمية من انسان يوشك ان يموت وبخاصة بعد قفزته الكبيرة في عالم الفراغ والعدم وبعد ان قطع اخر الاواصر التي تربطه بالكائنات الانسانية . ومع ذلك فانه لا يفقد شجاعته ، فهو في السجن قوة يعتد بها ، لان قوته منبثقة من قوة الحديد والصلب والجريمة ، القوة التي يمثلها سنوبول ، الانسان الذي ثبت وجـوده في وجود السجن ، فرسخت فيه قدماه ، وتوسعت فيه شخصيتـه حتى طفت على كل السجن ، فأصبحت ارادته هي الارادة العليـا الحاكمة بأمرها اما ليفرانك الدعي ، الطبل الاجوف ، فقـد واجهـه موريس بحقيقته بقوله : « .. انت فارغ ، اجوف حتى في مخ عظامك، وفصتك حول مراكب السجناء والوشم على رسغيك واسرارك مـع فتاتك ومشاكلك مع سنوبول .. وغضبك كل ذلك فارغ اجوف » .

وهكذا وبهذا الاسلوب الصارخ وبهذه التعرية التي تمزق البراقع والاقنعة ، يستطيع موريس ان يعطي ليفرانك حقه في الوجود فـي الزنزانة . وان يبين له ان ليس هنا مكانه .. فيثور ليفرانك لكرامته المداسة ، وتمتد يداه بصورة اوتوماتيكية الى رقبة صاحبه موريس . وتنقطع انفاس الاخير بغتة .. وبين الذهول والانبهار والفجاءة يتمثل ابو العيون الحال فينتفض قائلا : « قتلته للاشيء ! من اجل المجد » وهنا يستعطفه ليفرانك قائلا « انك لن تتركني ؟ » فيرد عليه بعنف : « لا تتكلم معي . لا تمسني . اتدري ما معنى سوء الطالع ؟ اتعلم انـي حاولت ان اتجنب ذلك الطالع ؟ يا احمق . اتريد ان تغطي علـي بفعلتك . اتسمعني ؟ انني لم ارد ان افعل اي شيء . لم ارد ان يقع لي ما وقع؟ كل ما جرى لي جاءني هبة من الشيطان. شيئا لم ارده».

في هذا الاقرار بل الاعتراف من واحد من عتاة الجناة ، شـيء عميق الغور من الندم والاسى والحرقة ، شيء يتضرع بالغفران ليسمح له ان يجثو على قدميه ، كي يعود الانسان المطرود عن انسانيته انسانا مطهرا ، مولودا من جديد ، ولكن اوضاع المجتمع لا تيسر مثل هـذه العودة بل هي على الضد من ذلك تجعل من المجرمين ابطالا ومن الاقزام اغوالا ، ولذا فمن السهل ان ندرك ما يعنيه تشبث ليفرانك بمجد ابي العيون وبطولته بقوله : « اريد ان اترك وحيدا . اريد ان يتركني كل فرد . اريد ان اصبح فريدا ، اريد ان اعود ما كنته » وهنا يجيبـه صاحبه : « نحن ما نحن على الرغم من انوفنا » فيرد عليه ليفرانـك قائلا : « ما انت فخور بأن تكونه » . واذن فقد انحدر ليفرانك الـى الهاوية تعلقا منه ببهرج القوة والمجد والبطولة ، وطموحا في سـوء الطالع الذي يؤدي الى هذه الهاوية .. ان الجريمة التي افتعلهـا جريمة متكلفة اصطناعية ، لانه اختارها بنفسه وبمحض ارادته ، فـي حين ان الجريمة هي التي اختارت ابا العيون وهي التي فرضت نفسها عليه فجثت على كتفيه وتعلقت به تعلق الارضة بالتربة الملائمة لها .. لقد حاول كثيرا ان يتخلص منها فصارعها ولاكمها .. ورقص وغنى ـ

ظنا منه ـ انه يبتعد عنها غير انها صرعته ـ وحين وجد نفسه قادرا على زحزحتها من صدره ، استكان لها وسلم اموره للاقدار ... وظل صاحبه يتخبط وهو يطرق باب الزنزانة مستدعيا الحراس لموضع الجريمة .. ليستطيع مرة على الاقل ان يعتزل الناس وان يكون بطلا في الوهم ..

مسرحية : الشرفة

اما ابطال مسرحية « الشرفة » فهم انماط مختلفة من المجتمع يجمعها مجرى واحد من الاعترافات في بيت مسكون بالشياطين والمردة من هؤلاء الناس المزيفين الذين يضيعون في المجتمع ، بما عرفوا به من سمات الدجل والنفاق والرياء ، فلا يجدون بدا من ان يروحوا عن انفسهم في مستقر الجحيم ، لينفضوا عنهم غبار الرتابة والتعقل والتنطع والزيف .. انهم هنا في هذا البيت الملعون يتحدثون على سجيتهم وكأنهم عراة ينظرون في المرايا فيتعرفون على حقيقة وجودهم بعيدا عن الاغطية والاردية والالبسة الاجتماعية .

الزوار في هذا البيت كثيرون منهم القاضي والشحاذ والجنرال والجلاد والاسقف ومندوب البلاط وصاحب الشرطة و (الملكة) ارما واللص و (المرأة) روزين وفتاة وكارمن وشانتال .. البناء قصر فخم كل قاعة فيه مزدانة بالثريات والمرايا ..

كلهم يسمع بالثورة الناشئة في البلد ، فتقول ارما : « الدم في كل مكان » . » ويضيف الاسقف الى ذلك قوله : « نظام العالم ضعيف بحيث تستطيعين ان تفعلي كل شيء هناك » . لا بد من انهناك وميضا عابرا . لكن لا بد من التوبة . هناك حيث الثوار يتجمعون وينتظمون افواجا افواجا تعتورهم رغبة عارمة من حب العدوان . ان الشر الذي يدفعهم الى فعل ما يفعلون لا يلبث قليلا حتى ينظر بوجه شاحب الى الهوة التي حفرها ، فيحدق فيما فعل طويلا .. لكن الشر هناك في العالم لا هنا حيث لا يمكن فعل الشر ، بل حتى احتمال فعله . لان من يعيش في الشر لا يستطيع ان يجترحه وبخاصة وقد تلاشى الندم وحل محله اوار الجحيم الذي يحرق الشرور وافعال الخير معا . ها هو الاسقف ينظر الى المرآة ، انه لا ينظر اليها حسب بل في دخيلة نفسه ايضا ، ولذلك ينزع رداءه الكهنوتي ، بلمحة من الاعتراف فيقول : « الجلال والوقار اللذان يضيئان شخصي لا ينبثقان من وظيفتي الاجتماعية .. انما ينبثقان من مناقبي الخاصة » .

والقاضي الذي يجد اللص في هذا المكان البعيد عن المعمورة اسما ، لا يرى حرجا من مخاطبته بقوله : « .. لا بد ان تكون لصا انموذجيا ، لاكون انا قاضيا انموذجيا ، فاذا كنت لصا مزيفا ، فانا لن اكون غير قاضي مزيف » . واذا كانت الاحكام ـ على حسب رأي القاضي ـ قد اصدرت جديا ، فلا بد ان كلا منها ستكلفه حياته ، ولهذا فهو ميت بالقياس الى العالم ، ولهذا فهو ساكن الان في تلك المنطقة من الحرية المطلقة . حيث يملك كل شيء ، لانه هو الملك المطاع والآمر الناهي ووازن الارواح في ذلك الجحيم المقيم .. وبعد اعتراف اللص بسرقاته يبادره القاضي بقوله : « انك ـ على الاقل ـ لا تكذب فيما يخص سرقاتك ، لقد اقترفت ما اقترفت ، اليس كذلك؟» القاضي لم يسأل هذا السؤال الا بعد ان نظر الى شفتي الجلاد فمطهما ونصح صاحبهما بقوله ، « ارهم انيابك . الانياب المرعبة البيض » ، ثم يلتفت الى اللص ليقول له : « ان وجودي بصفتي قاضيا هو فيض منبثق من وجودك بصفتك لصا وليس لك الا ان ترفض ان تكون من تكون حتى اختفي من الوجود ، اتلاشى ، اتبخر انفجر » .

ثم يعود الى الحق والباطل والتفريق بينهما فيخاطب سيدته قائلا : « اذا لم اعد اميز بين الحق والباطل فأي جدوى يبقى في وجودي ؟ » ومن هنا فوجود القاضي لا يتحقق الا بوجود نقيضه ، وجود اللص ، ومن ثم فكفتا ميزان العدل ترتبكان اذا انعدم وجود اللصوص في المجتمع . وتتحدث الفتاة عن الثورة فتقول : « انها قادمة . السماء هادئة فرمزية . الارض تسبح في سلام فجائي . هديل الحمام ـ السلام الذي يسبق المعارك . الهواء ساكن كل السكون والاشياء تمسك انفاسها » . وبدا الموت يتحرك فسار بخفة من شخص الى اخر ، معمقا جرحا ، مفشيا بصرا ، منتزعا ذراعا ، فاتحا شريانا ، مشوها وجها ، منهيا صرخة ، اغنية . ثم استراح الموت من تعبه ونصبه ، فلم يجد غير كاهل الجنرال عشا امينا لمثواه .. اما كيف يعيش سكان هذا الكهف الاسود ، فليس للملكة ارما شأن فيه . ولهذا فكارمن تقول « عندما ينقضي اجل جلساتنا ينبغي ان ننتهي الحديث عنها ايضا . فانت يا سيدتي لن تسمحي بالتحدث عنها . ولذلك فليس لك من فكرة عما نشعر به حقا .. لانك تلحظين كل شيء من بعيد .. ولانك تخافين من ابتسامة ، من نكتة . » ارما تخاف لان الابتسامة ، النكتة ، الغمغمة الضاحكة تفسد كل شيء ، وخاصة الابتسامة التي تعني الشك .

ها ان المدينة ملأى بالجثث وقد انقطعت الطرق وانضم الفلاحون الى المتمردين واخذت ارما تفكر بالوباء . لان (الثورة وباء) ويخطر على بال ارما ان تتحدث عن مؤسستها وعن مكانة هذه المؤسسة في واقع الحياة فتقول وهي تتجاذب اطراف الحديث مع كارمن : « انا التي سميت مؤسستي دار الاوهام ولست انا سوى مديرة . كل من يدق الجرس ويدخل يجلب معه السيناريو الخاص به . وعملي لا يقتضيني سوى ايجار القاعة ومستلزمات التمثيل وتقديم الممثلين والممثلات . » وخلافا لرأي ارما عن الكهف ، فان كارمن لا تعد الكهف دار اوهام بل حقيقة واقعة ، واقعا حيا ، وهي لذا تقول « ان الدخول الى (هنا) يعني نبذ العالم . فانا هنا وسأبقى هنا . ومراياك واوامرك وعواطفك هن حقيقتي » . في هذا الكهف يظهر الناس ذواتهم العارية . وتبدو الحياة قصية بعيدة . عميقة اشد ما يكون العمق ، كأنها تمتلك كل اللاواقعية التي تمتاز بها الافلام ..

وعلى حين غفلة يدخل صاحب الشرطة ، فتستقبله ارما خير استقبال وتلح عليه بأن يستبسل في القتال ، وان يزيد من عدد الضحايا ليقترب يوم النصر بسرعة اكبر . فيصغي اليها مؤكدا رأيها ويقول : « انا اعمل ما في استطاعتي . والناس يخشونني اكثر فاكثر» .. غير ان ارما لا تكتفي بذلك وتستزيده من العزم والاصرار وتقول : « لا يكفي . عليك ان تنحدر مندفعا الى الظلام ، الى الوحل ، الى الدم » . الا ان صاحب الشرطة لا يرى رأي ارما . فالثورة بالقياس اليه لعبة ، وكل ثائر يلعب لعبة يحبها . ولكن الشيء الذي يخيف ارما ان العاطفة قد تأخذ بزمام الثوار بحيث لا يعودون يدركون اي شيء ، فيقفزون بغير وعي منهم الى الواقع وهو امر يدركه صاحب الشرطة تمام الادراك ، وبما انه هو صاحب اليد العليا ، فسيكون الفائز الوحيد .. واذن اليس في الثورة جاذبية ، وعزم وارادة ؟.. ان فيها من ذلك الشيء الكثير .. لكنها وقد تسامت مبتعدة عن العالم ، فهي ستتبخر في اسرع وقت وستتجسد في اغنية . والامل في الاغنيات كبير ان يكن اغنيات جميلات .. وهنا تتساءل ارما : «ماذا لو ان اغنيات الثوار كانت حافزا مشجعا لهم ؟ ماذا لو كان الثوار يرغبون في الموت من اجلها ؟ » فيرد صاحب الشرطة عليها قائلا : «ان جمال اغانيهم سيجعلهم يخففون من غلوائهم » .

اما شانتال الغانية التي تسبح في اجواء الثورة ، فهي ليست صوت الناس وروحهم حسب ، بل هي صوت الثورة وروحها ايضا . ولذا فهي تسحر الرعاع بصوتها الجهوري وغضبها الزائف وتالقها المزركش ، وعينيها العقيقتين ، ولهذا كله يصغي اليها الناس ويحبونها ويتبعونها ، ثم ينسون اسباب الثورة ، فينفضون عنها .. ويعود مندوب البلاط من القصر ليتحدث عن الملكة التي احتمت بأحد الصناديق متزملة بالثياب الملكية ، وعن الجنرال الذي اضاع رشده في سورة غضب الجماهير فأنقذه جنونه من ذلك الغضب ويتم الانتصار لصاحب الشرطة بصفته قوة تمثل نظاما جديدا يحتذي طريقا جديدة .

بغداد

يوسف عبد المسيح ثروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغربة الروحية

بقلم داود الزبيدي

* * *

ان مشكلة الغربة الروحية مشكلة ممعنة في القدم . فقديما ابتدع الفيلسوف اليوناني سنيكا ، معلم الاسكندر المكدوني ، مذهبه الفلسفي « السنيكية » وقد انضم اليه طلاب ومؤيدون . والمتحمسون له كمن يجلسون في مقهى بلدي يدخنون الشيشة ليل نهار وهم يحدقون بالمارة كأناس بدائيين لم يملوا الكفاح الغريزي من اجل لقمة العيش . فالسنيكيون دائما ابدا في سخرية من احوال المارة وقد قنعوا بالخروج من دائرة الحياة والاعتكاف للتفرج والتمتع والرثاء في آن واحد مما يدور ويجري رهن السمع والبصر . هم يعبرون عن انفسهم بكونهم اناسا يعرفون ثمن اي شيء في الحياة ولكنهم لا يجدون قيمة لأي شيء . في جعبتهم الذكاء الحاد وعمق النظر للامور ولكن مع ذلك ليس ثمة من جاه يستهويهم او مجد يهز مشاعرهم ، فاللا ابالية طابع اصيل فيهم . الحياة في نظرهم ملأى بالسفاسف والترهات ، والخلود مهزلة كبيرة لا يثيرهم بشيء بأي حال من الاحوال . عندهم شيء من الزهد والتقشف ولكن لا مخافة من احد وليس من طمع بدنيا اخرى ، فهم فوق متواضعات المجتمع . لا تلهيهم هواية ولا تأخذ بألبابهم ، فزعا وهلعا ، احداث الزمن ، حتى وان احتدم الحابل بالنابل وعمت الحروب وتفاقم الشر وساد التضامن بل وغرق العالم في طوفان .

الحزن على موت القريب ضعف ، والتكالب على مطمع ضيق نظر ، والغلو في عقيدة تعصب اعمى لا جدوى من ورائه . قض ساعتك فرحا ، او قضها حزينا ولكنها ساعة زمنية في عباب الدهر الابدي ، ولا بد انها ستمر وستمضي وتصبح حدثا في سجل الماضي ، ولن يغير فرحك او حزنك في تيار الزمن العاتي بشيء . بل قف هنيهة او لساعة متدبرا حالتي الفرح والحزن ان استغرقتا ساعة واحدة . بل ليكن التدبر طابعك الاصيل طيلة حياتك ، وافراح الغير واحزانهم تتراى كشريط سينمائي لك . وبعبارة اخرى لتخرج عن نطاقهم .. ولتكن على هامش الحياة . لتقل : هذا خير وذاك شر .. ما معنى كل منهما ؟ اليس هذا بعبث ؟ فنحن نقتل في ساحة الحرب تحت اقنعة معينة بينما يتعذر علينا ذلك في حياتنا اليومية العادية . كن طبيبا في رعاية مريض يتعذر شفاؤه فهو يعاني من مرض وبيل مزمن . اين حدود الشر لامكانية استغلال الطبيب عجز مريضه ؟ واين حدود الخير في وضع حد لحياة المريض ومن ثم وضع حد لآلامه وحشرجته ؟

يذهب الفيلسوف الالماني نيتشه وقد جن تطرفا في وضع معالم السوبرمان الى تبرير قتل العاجز ولا يرى غضاضة في تعدي حدود المألوف في متعارفات الخير والشر والرحمة والقسوة ، وعلى النقيض يفيض قلب الفيلسوف الروسي ليوتولستوي رحمة وخيرا في رفع شأن العاجز الضعيف . ويوغل العالم النفساني فرويد في تفسير جانبي الخير والشر والتطرف لاحدهما . وعلى ضوء اسس نظرياته نجد كلا من نيتشه وتولستوي حالة نفسية للدراسة . بل وحتى فرويد نفسه حالة اخرى . فأسس نظرياته قائمة على ما قاساه في طفولته من عنت ولجاجة وقسوة مجتمع . وبعد فأين نحن الان من صاحبنا اسير الوحدة الروحية العائش على هامش الحياة ؟

في الماضي كان عنوان الفرد ومحط تفكيره ان اعمل حتى لا تهلك جوعا . وما زال هذا الحال على نطاق اضيق قليلا جدا في عصرنا عما كان عليه في السابق . ولكن الشيء السائد في ايامنا الحاضره : ان فكر حتى لا تهلك . وهو على نطاق أوسع الان . فنحن نفكر باحدث الاشياء ونغير أساليب العيش القديمة فنبدع ونجدد ومن ثم فنحن نفكر في تيسير العلاج واستتباب وسائل الراحة بل ووسائل الترفيه .. وهم الكثير هو اطالة العمر . ولكن يبدو ان من يقاسي من الغربة الروحية في حل من كلتا الحالتين فهو لا يأبه بقليل او كثير لان يعمل مجدا او يفكر كثيرا حتى لا يهلك . فكل ما يعرف ان له معدة واحدة ليس بكثيرملؤها وان عليه ان يستنشق الهواءوان يستلقي مفترشا الارض ان اقتضى الامر ليحظى بقسط من راحة وقتية .. يعود بعدها ليجتر الخواطر نفسها ويعيد حلقة التفكير عينها ، وماهية الغربة الروحية ابدا دائما تجد في مطاردته . فتفاهة الاشياء صفة دائما لها جذور راسخة في مخيلته ، وان زمرتم وطبلتم يا بني البشر لغريزة حفظ النوع وحب البقاء ، وهما دائما ما تعتزون بهما ، بل واسمى وارفع ما تبذلون الغالي والرخيص في سبيلهما .. فانا الغريب روحيا .. تعالوا فاشنقوني !

والان اما آن الوقت لايجاد حل لهذه المعضلة ؟ ان اصولها تمتد عبر التاريخ وهذا النفر من الناس منتشر في جميع انحاء العالم مع فارق في الكثرة والقلة ، ولكن يبدو ان حركة التصنيع والرفاه الاقتصادي في بعض البلدان قد زادت من ذلك ، فنسبة المنتحرين في الشعوب الاسكندنافية مريعة حين نعرف ان اسبابها غريبة الاطوار ، فهي ليست صادرة على الاكثر الاعم عن جرمان مادي ، ولكن هذا الفراغ الروحي والغربة في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غريب

لن أرتجل اشعاري الغزلية يا رفيقي الطيب .
فالصمت يخنق حنجرتي عندما تهب النسائم العذراء
بعث قيثارتي وقلبي الى صحفي ثرثار .
واتجهت صوب منطلق جديد .
ها أنذا أعيش تاريخ مولدي دون زيف .
حياتي سرب ضحكات تناثرت كحصى الطرقات ،
في بحيرة عميقة ،
وارتسمت دوائر لم تزل ثابتة في ذاكرتي ،
سرابا بلون الجزر العارية .
أيامي ، غني يا مرافىء البحار ،
تداولتها أصابع الزمان على حدود الابدية ،
فصارت اكثر حلاوة ووقارا .
وتدحرجت الساعات في حركة لاشعورية ،
كجماجم القتلى .
أنا على المرفأ ، أتأمل مدهوشا هذا المشهد اللذيذ .
الزمان يحفر تاريخي المثير ،
على شاهدة القبر الذي سادفن فيه ،
غداة ادرج في الكفن .
آه يا كآبة ... !
يا مطرا لا ينضب تحت حرارة الحب .
طفولتي تمتزج ، في جريان الدم ، معك يا كآبة .
تتغذى بها اعصابي فأنتشي وأطير .
يا جناحا ،
يا حلما بلون القرمز يحملني الى منفاي .
طر كروح لا مكان لها في العالم ،
لترتفع جبهتي كزهرة اللوز ،
المتشحة بالانتصارات ... !

حذائي تآكل ... تمزق ...
تلوث بالوحل والغبار .
وانا اقرع عصاي بالدروب .
باحثا عن جيل اضاع مفاتيح الحب الذهبية .
فيتناهى الى مسمعي صوت بلون الدموع .
يا غريبا يرتجل اغنية للضياع والتشرد .
من هنا مـر البارحة ،
شاعر يأتزر وشاحا رقيقا ،
وفي يديه اللتين لا عنف فيهما ،
ديوان اشعار جميلة تزخر بالمحبة ،
كان يغنيها للمارة الذاهبين في البواكير الى اعمالهم ،
كان يستوقفهم جرح بليغ ،
منقوش فوق ثديه الايسر .
وكبرت يا رفيقي .! وكبر تاريخي ولم أزل غريبا ،
اسمع الصوت نفسه كل صباح ،
فأعري عيوبي للطيبين ،
وأضعها امامهم للمناقشة بلا محاباة ،
لم يعد في قدمي حذاء .
لم تعد معدتي تؤدي وظيفتها بانتظام ،
غني يا مرافىء البحار .
ليس لي قبر ضيق ألملم فيه عظامي .
لا بد من أن أرجع وحيدا مكسور الخاطر .
الحنين يتشبث بقلبي كطفل جميل .
حملت شاهدتي وحذائي المهترىء ،
واذا دمعة تنسرح من عيني ،
كشحرور ينفلت في اتجاه الوطن ..!

دمشق

صالح درويش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احضان هذا العصر ، هما ما تعتملان به نفوس المنتحرين .

وبعد فان هي الا حقبة زمنية يعيشها كل فـرد ، يكافـح ويمرض ويشقى ويتعذب ، او يفتني او يصيبه المجد بعد نضال متعب شاق ، او يعتري جسمه او فكره شيء مشين فهو في لظى عاهة مؤرقة تقض مضجعه . كل هذا في جانب ، وصاحبنا من يشعر بالغربة الروحية في صعيد اخر .. وهكذا تسير هاتان الدفتان .

واني لاستغرب ايهما اسعد في الخلاصة ، وحين الاقتراب من عتبة القبر ؟ او لعل حتى هذه النسبية في مقياس السعادة بينهما ، هي ملهاة ومـادة للسخرية والتفاهة لمـن يعيش على هامش الحيـاة اسير غربتـه الروحيـة ؟ .

هنتس ـ انجلترا

داود الزبيدي

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

يكـــاد المريـــب ..

ذلك الواحد من الناس .. الـــذي لا تجلس اليـــه الا ويحدثك عن نزاهته وعفته ، ويبالغ فـــي ذكر الشواهد عن صدقه وامانته ، ولا يقف عند حد واحد ، او حادثة بعينها ، ولكنه يلج بك الى هذا الموضوع مـــن شتى حدوده ، ومختلف اطرافه ، فيروي جملـــة حوادث ، لا تقدر على حصرها لو حاولت ذلك ..

بل انك لا تلمحه في مجلس ، يتسع لـــه مجـــال الحديث فيه ، الا وينزلق بمن يلقى هناك ممن يعرف او لا يعرف ، الي ذلك الحديث اياه ، ينقله اليهم ، ويقحمه عليهم ويفرضه فرضا لا يجدون منه مفرا ، ولا يملكـــون عنه محيصا ..

وحين تسأل نفسك ، او حين تسأل اولئك الذين من حولك : ما له يفعل ذلك .. ومن حمله عليه يا ترى؟! من غمزه او لمزه او اتهمه ، فهو ينبري يدافع عـــن نفسه ، يبرىء ساحته ، ويثبت صفاء ذمتـــه ، ونقـــاء سيرته ؟! .. من فعل ذلك ؟ حتى اثار في نفسه ، حمية الدفاع عن ذاته ، والذود عن كرامته ، ودفع المكروه قبل ان ينزل بساحته ، وتصيبه عواقبه ،وينزل به اذاه ..؟! اجل .. من فعل ذلك ؟ انه لم يفعله احد .. فما الذي حمله عليه اذن ؟ ..

ويستعصي عليك الجواب ، لا يرد بـــه من تساله ، ولكنك تسمعه من لسان الحال ، تنطق به حكم الدهر ، وامثال الماضين ..

وما اصدقها من امثال .. وما ابلغه مـــن لسان حال ، حين يرسلها تصيب المحز وتبلغ الصميم ، وهـــو يسردها بوقار السنين مرددا : « يكاد المريب .. يقـــول خذوني !! »

الايمـــــان .. اولا ..

قال لي وانا اجاذبه اطراف الحديث :

ما زلت أجدني حائرا امام هذه الدعوةالرحيمة التي يطالبونك فيها ان لا تبادىء بالعدوان احدا ، وذلك مـــن أجل ان يسود السلام عـــلى الارض ، ويستتب الامن ، ويعيش الناس في دعة وطمأنينة ..

لقد خيل الي ان اشبه داعية هذا شانه ، بـــزارع كثير التفاؤل ، ينظر الى حقله الواسع بين يديه ، بما فيه من ماشية وخير ، فاذا هو يعد نفسه بالنماء والثراء ..

اليس هو سيزرع الارض الطيبة بالبذار الجيد ؟..

اليس هو سيعلف الماشية فتسمن وتنجب ، والطير فيفرخ ويبيض ؟.. انه سوف يفعل ذلك كله ، فما لـــه لا يترقب من بعده النماء والثراء ..

ان مثل هذا الزارع حين يعيش في تفاؤله الجميل، سوف يكون مصابه كبيرا حين تنزل الآفات بزرعه ، فاذا هو هشيم تذروه الرياح ، لا نفع فيه ولا غناء ، وحـــين ينتاب طيره وماشيته الوباء ، فاذا هو يقلب كفيه اسفا ، وقد اصبح لا يجد ما كان يحلم به من جني ..

بهذا امثل ذلك الداعية للسلام ، وانا واثق مـــن انني لم اخطىء التمثيل ..

قلت ، افانت تريد الناس ان يتركوا الدعوة الـــى السلام ، ليتركوا الفرصة لذئـــاب البشر تضاعف مـــن سطوها ، وتزيد من عدوانها ؟..

قال ، وهل كانت هذه الدعوة وحدها كافية لـــرد جماح العدوان ، وايقافه عند حده ؟.. انهم لـــو فعلوا ذلك ووقفوا عنده ، لكان عملهم هذا تعلقا بأهداب الامـــل الكاذب ، شأنهم في ذلك شأن الزارع الذي لـــم يبذل الحيلة والوسيلة فيقرنهما بتفاؤلـــه لتستحيل معهمـــا تمنياته الى واقع يمتلىء به ناظراه ، وتزدحم به يداه .

قلت ، فما تريد ان يكون مع هـــذه الدعوة اذن ؟ أتريدهم ان يسندوها باسلحة الدمار والبوار ؟ وهـــل ستكون دعوة سلام عند ذلك ؟

فقال ، ما اريدهم ان يسندوا الدعوة الـى السلام بسلاح .. وما دامت دعوة سلام فلن يكون للسلاح مكان الى جانبها .. ولكني اريدهم ان يؤمنوا بهذه الدعوة ..

ان يؤمنوا بها فقط .. ولن يطالبهم احد باكثر من هذا الايمان .. وعندها سوف يعـــم الارض السلام .. وتشملها الطمانينة ويسودها الرخاء ..

قلت ، صدقت .. انهم لو آمنوا بما يدعون اليه لما ساد في الناس غير المحبة والسلام .

اصـــداء .. تتـــردد

كنت ادخل عند صاحبي الموظف في شأن مـــن شؤون العمل ، وكان يقف الى جانب مكتبه شاب مـــن المبتدئين في الخدمة ، وهو يتلقى مطالبه في كثير من الجفاء ، وبما لا يشعر معه السامع بلين المودة ..

وانتظرت ان يفرغ الحديث بينهما ، ولـــم يكـــن حديثا ، وانما كان شيئا يوشك ان ينحرف الى ما يشبه الجدل والحجاج ، او ان شئت قـــل ، الى مـــا يشبه المناظرة والمنافرة ..

وانصرف الشاب اخيرا ، وكانت له غاية لـــم يصل اليها ، وهذه الغاية هي ان ينفد صبر صاحبي ، ويخرج

عيونك

عيونك فيهـــا ضيـــاء وفـي ... فأسكرت مـن نظـــرة ناظـري
وامـا نظرتـــك تنعـــم عينـي ... ويفرح قلبـــي فـــي جانبـي
وحـين تصافـح كفـــك كفـي ... أحس بقلبـــك بـــين يـــدي
ورغـم التمنع طرفـــك هـــذا ... يبـوح بشـــيء ويكتـــم شـــي
كـأن بهدبـك شيئـــا يقـــول ... تعال الـي .. تعـــال الـــي !

الوجه البديع

وجه كما طلـــع الصباح بديـع ... هل لـي الى الوجه المليح رجوع
او شمس هاتيك العيون تعود لي ... ولها على وجهي الكئيب طلـــوع
هي فرصة مـرت علـــي هنيهة ... ومضت كحلم في الصباح يضيع
عرضت مفاتنها علـــي وأعرضت ... فأكاد مـن هـذا النقضي أضيع
حدثتهـــا بلباقـــة ولطافـــة ... فتبسمت وحـــلا لهـا الموضوع
ثـــم انثنيت متمتما متسائـــلا ... ما الاسم ؟.. قالت انه ممنوع !

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عن حلمه ، فيغلظ له في القول ، ويكون بينهما خصام ، يتخذ منه الشاب ذريعة ..

اجل انصرف الشاب دون ان يصـــل الى غايته ، بفضل ما تجمل به صاحبي من حلم ، حين تغاضى عـن كل ما سمع ، وحمله ـ متكلفا ـ علـى غيـــر محمله . وعجبت من تحامل صاحبي على نفسه ، فقلت له اسأله، ما هذا الذي رأيت وسمعت ؟

فقال وهو يبتسم ، هذا هو (الصدى) .. هـل سمعت بالصدى الذي يتردد به الصوت اذا ما اطلقته في واد سحيق او بئر عميق ؟.. هل سمعت بذاك الـــذي يسمونه بالانجليزية « صوت سيده » ؟.. ذاك هو الذي رأيت .. وذاك هو الذي سمعت ..

فقلت ، وما الذي اراده من عمله ذاك حين اقـدم عليه ؟..

فقال ، اراد ان يتزلف لرئيسه عاتب علي او غاضب مني ، وهو يرى ان خير ما يقربه منه هو ان يسلك هذا السبيل ، فيصل منه اليه بخصومتي ، ولكننـي خيبت امله كما شاهدت ..

ومضى على ذلك حين .. ولقيت صاحبي الموظف من بعده ، فقلت له اداعبه :

« اخبرني هل تبدد الضباب اخيرا عن جبل الشيخ؟ .. وانا اشير الى ما بينه وبين زميله فـــي العمل مـن خلاف وعدم صفاء .. !!

فقال وهو يبتسم :

نعم لقد تبدد الضباب اخيرا عن ذلك الجبل ، وعاد الى صفائه واشراقه ..

فقلت اكمل دعابتي له ، وتجاوب (الصدى) فـي (وادي حرمون) عند سفح ذلك الجبل ؟..

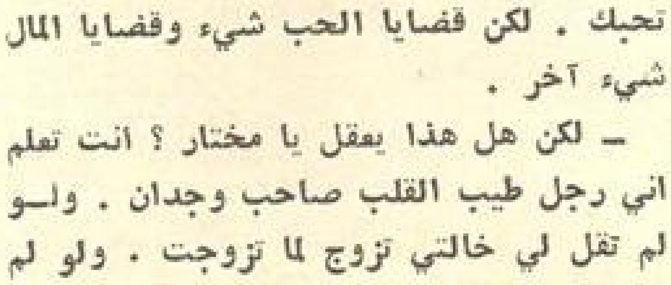
فقال ، أجل .. كأنك تسمع وترى .. لقد تجاوب الصدى مع هذا الاشراق ، فليتك شهدت كيف تجاوب..

فقلت ارد على ما تمنى ، ما اغناني عن ذلك ، ومـا اشد زهدي له ، فلقد طال ما شهدت الكثير مـن مثله ، وشهد الكثير من مثله الناس .. وسوف يشهدون ، فهي صورة تعيش مع الناس ما عاشوا ، في كل زمان .. وفي كل مكان .. !!

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

الحجة المزورة

بقلم جرجي نقولا



ماتت خالتي . واذا قلت ان خالتي ماتت فالمعنى انني اصبحت غنيا سعيدا . سل اي واحد من القرية حتى مجنونها يقول لك ذلك. لكن الواقع غير هذا، لقد تبين لنا انه غير هذا. لانه في اليوم التالي لموت خالتي جاء ابناء اخوتها واخواتها يريدون ان يطردوني من البيت بالقوة ! قالوا ان عمتهم تركت لهم كل شيء وحرمتني . هل يعقل هذا ؟ هل يصدق ؟ كانت تحبني وكنت احبها . وكلهم كانوا يرون هذا ويقولون انها سوف تترك لي كل ما تملك . فهل يعقل بعد هذا ان تحرمنا كل شيء حتى قطعة حصير نمد عليها فرشتنا في الليل ؟

انا رجل فقير معدم ، يتيم لطيم ، مات اهلي كلهم في حادثة المقلع المشهورة وبقيت انا وحدي لشقاء الحياة وتعاستها . خالتي كانت قد تزوجت الى قرية نائية ، ثم عادت الى هنا بعد ان مات زوجها واصبحت غنية بما ورثته عنه ، واخذتني الى كنفها ، ايام الحرب وبعدها ، واحبتني كابن لها لو كان لها ابن . ومن سنة تقريبا عندما رأت ان الوهن ابتدأ يدب في اوصالها شيئا فشيئا ، قالت لي:

ـ يا ابن اختي ، انا صرت في اواخر ايامي . لو كنت تبحث لنفسك عن عروس لافرح بك قبل ان اموت .

فحنيت رأسي ولم اجب .

ـ ما قولك ان تتزوج فلانة (سعدى ابنة ابو عساف) فهذه قد لا تترفع عن خدمتي اذا سقطت طريحة الفراش لا قدر الله . انا اعلم انك قد لا تكون تحبها ، بنات اليوم وشبابه لا يتزوجون الا عن حب ، اسمالله عليهم ! لكن سعدى فتاة متعلمة ، مهذبة ، جميلة ، هادئة الطباع مثلك ...

ابتسم قلبي من الداخل عندما سمعتها تقول هذا ، اذ انني لا اجرؤ ان اظهر كل عواطفي امامها . قلت :

ـ خالتي ، هل اقول لك سرا ؟

ـ قل .

ـ انه سر كان يحفر في قلبي من مدة طويلة ولم اجرؤ ان اقوله حتى لنفسي .

ـ قله لي .

ـ انا احب سعدى .

ـ صحيح ؟

ـ لكن هي لا تحبني لانني فقير .

ـ كلا لست فقيرا . الجزء الاكبر مما املك هو لك . لك هذا البيت هنا وهذه الجنينة حوله . ولك جورة الزيتون الكبيرة هناك التي تجاور املاك المختار . هل يكفي هذا ؟ ثمنه لا اقل من مئة عثمانية ذهبا .

فلم اجب ، وهل كان باستطاعتي ان اجد شيئا اقوله ؟ وسمع المجنون ، الذي هو جريدة الضيعة ، هذا الخبر. فنقله حالا الى كل اهل الضيعة فانتشر بينهم انتشار النار في الهشيم اليابس . وجاء ابو عساف وعائلته تلك الليلة (سعدى لم تكن معهم في الليلة الاولى) وعملوا لنا سهرة طويلة حتى الصباح . وفي الليلة التالية كنا نحن ، انا وخالتي ، ضيوفهم . وهكذا لم تمض اشهر الصيف حتى كانت سعدى قد اصبحت زوجتي . كان هذا من سنة وبضعة اشهر . وبالامس عندما ماتت خالتي ، واذاع المجنون خبر خداعها وغدرها بي ، صدق الجميع حالا ! قالوا : « المختار يزور حجة ؟ يا عيب الشوم ! حجته هو لا بد ان تكون مزورة ، لانه ماذا فعل ليستحق ان تهبه خالته مئة عثمانية ذهبا ؟ المختار هو زعيم الضيعة ووجيهها ، يبيض وجوهنا امام الاغراب ، بجعل لقريتنا كلمة في الحكومة . ماذا باستطاعة هذا الصعلوك ان يفعل ؟ وما حاجته لكل هذا المال ؟ »

وقال لي المختار بحنان ومحبة :

ـ يا ابني ، نحن لا ننكر ان خالتك كانت تحبك . لكن قضايا الحب شيء وقضايا المال شيء آخر .

ـ لكن هل هذا يعقل يا مختار ؟ انت تعلم اني رجل طيب القلب صاحب وجدان . ولو لم تقل لي خالتي تزوج لما تزوجت . ولو لم تعدني بما وعدتني به لما تزوجت . نفسي لا تهمني ، لكن زوجتي وابنتي الصغيرة ماذا افعل بهما ؟ ماذا فعلنا لنتعذبا كما سأتعذب انا ؟ وفوق هذا فمنا ، انا وزوجتي ، بتعهداتنا كاملة . خدمنا خالتي بدموع عيننا ايضا وليس بسواعدنا فقط . سهرنا عليها الليالي الطوال . نظفناها ونظفنا فراشها دائما دون ان نخاف العدوى ودون ان تشمئز نفوسنا منها . لم نتركها تشكو من اي نقص ابدا كائنا ما كان . وكنتم كلكم ، اولهم انت، تقولون انه من الصواب ان تترك لنا كل ما تملك وليس ما تركت فقط . ماذا حدث الان لكي يتغير رأيكم سريعا وينقلب الى الضد ؟

فهز كتفيه واجاب بهدوء : قلت لك ، قضايا العاطفة شيء وقضايا المال شيء آخر.

ـ لكن هل هذا يعقل ؟ هل هو منطقي ؟

ـ لا يعقل ولكنه حدث . الواقع يدحض المنطق .

ـ حجتنا معنا .

وتناول من جيب سترته الداخلي ورقة ملفوفة على شكل اسطوانة ، بسطها امامه على الارض وقال : تعال واقرأ .

فقمت وقرأت . ولم اصدق حرفا واحدا مما قرأت ، او الاصح لم افهم حرفا واحدا مما قرأت . كانت تشبه حجتي تمام الشبه ، بل وتكاد تكون نسخة طبق الاصل عنها ، مع تغيير الاسم طبعا . فقالت زوجتي ، وكانت ما زالت مالكة لوعيها اكثر مني :

ـ لكن تاريخ هذه الحجة يسبق تاريخ حجتنا بيوم ؟

فاجاب المختار : نعم ، ذلك لان خالتك خدعتك . كتبت لنا حجتنا ثم عادت وكتبت لكم حجتكم . اي انها باعت منكم املاكا لا تملكها !

وقام ومشى وتبعه الاخرون بهدوء . التفت الى زوجتي وقلت :

ـ ماذا تعتقدين ؟

كانت هي تنظر الي ايضا وعلى وجهها كلام.

ـ الا تعتقدين ان حجتهم مزورة ؟

ففتحت فمها لتتكلم ، لكنها تنهدت وحركت لسانها بفمها كأنها تبتلع شيئا ، وصمتت .

حجتهم طبعا مزورة . لكن ماذا باستطاعتنا ان نفعل ؟ كيف نكشف التزوير ونحن لا حول لنا ولا قوة ، وهم لهم الحول والطول والمال وكل شيء ؟

هذا هو الشيء الذي ابتلعته زوجي عندما حركت لسانها بفمها كأنها تبتلع شيئا ، والذي علي ان ابتلعه انا ايضا صاغرا .

لا نستطيع الا ان نصمت ونرضخ للواقع ، والواقع يدحض المنطق كما قال المختار . لكن هذا الواقع ما هو ؟ من يستطيع ان يرى الواقع على حقيقته ؟ اليس لكل مخلوق وجهة نظر خاصة ؟ بل الا تبدو الاشياء نفسها ، او اكثرها ، مختلفا باختلاف الزوايا التي تنظر اليه منها ؟

اهل قريتي يختلفون على اشياء كثيرة . لكن لم تتفق كلمتهم جميعا الا على ان خالتي خدعتني وحرمتني من ميراثها . كيف حدث هذا ؟ لست ادري . كيف صدقوا هذا الامر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد ان كانوا يقولون انه من الصواب ان نترك لي كل شيء وليس ما وعدت به فقط ، لست ادري . عندنا مثل يقول : « اذا وقعت البقرة كثر سلاخوها » . وانا بقرة وقعت لم يبق لها الا ان تنجو بجلدها فقط اذا استطاعت .

جمعت دفاتري واوراقي الخاصة ، وهي كل ما املك . وحملت زوجتي طفلتها الصغيرة مع بقجة علقتها بكوعها ومشت امامي . وما فتحت الباب حتى اندفع صعلوك الى الداخل كانه كان متكأ الى الباب يصغي الى افكارنا الداخلية . وعندما رأته زوجتي خافت وابتعدت . فاقتربت منه وقلت :

ـ من انت ؟ ماذا تفعل هنا ؟

فوقف ونفض الغبار عن ثوبه واجاب وهو يضحك كالاطفال :

ـ انا ارسين لوبين ، جئت اساعدك .

ـ من ؟ ارسين لوبين ؟

ـ نعم ، ارسين لوبين . الا اعجبك ؟

ـ عجيب !

ـ عجيب ؟ لماذا ؟ هل يستطيع احد ان يحل مشكلتك غير ارسين لوبين ؟ .

ـ بالفعل لا يستطيع احد ان يحلها ، حتى ربما ارسين لوبين ايضا .

ـ لا ، لا توجد مشكلة تستعصي على ارسين لوبين . قل ما هي مشكلتك بالتفصيل .

فلم اتكلم ، وقالت زوجتي وهي تنظر اليه من تحت الى فوق ومن فوق الى تحت :

ـ لقد شاخ ارسين لوبين على ما يظهر ، مع اني كنت اعتقد ان الايام لا تنال منه منالا .

فقال حالا : لو كانت الايام لا تنال منه منالا لما استطاع ان يتقدم مع الايام حتى يصل اليكم .

فصرخت : ـ ماذا تقول ؟ ارى انك لا تخلو من ذكاء يا هذا .

ـ كم هي الثروة التي دعوتني لاجلها ؟

ـ قل لي اولا ، هل انت حقيقة ارسين لوبين ؟ قرأت عدة روايات عن هذه الشخصية الاسطورية حتى تصورتها ..

فقاطعني قائلا بلهجة جادة جازمة بحيث لم استطع الا ان ارد على كل اسئلته باخلاص ووضوح :

ـ لا يهمني كيف تصورتها ، ما هي الثروة التي دعوتني لاجلها ؟

ـ هي هذا البيت هنا وهذه الجنينة حوله وذلك الحقل المفروس بالزيتون هناك .

ـ بكم تقدر ثمنها ؟

ـ ليس اقل من مئة عثمانية ذهبا .

ـ ثروة طائلة ؟

ـ طبعا ثروة طائلة ، تستحق ان تحشد كل قواك في سبيلها . اليس كذلك ؟

ـ طبعا طبعا ..

ـ اين مساعدك روجر ؟

ـ دهسه القطار .

ـ ومساعدتك نانسي ، نانسي كولن ؟

ـ تزوجت .

ـ وارسين لوبين ؟

ـ امامك ما تحتاج اليه منه !.

قالها بسرعة ادهشتني وتركتني مصعوقا . فقالت زوجتي :

ـ لكننا نحتاج الى اكثر من هذا يا هذا . نحن لا ننكر انك شديد الذكاء ، وقد رأينا وسمعنا فصدقنا . لكن ليس هذا ما ينقصنا. نحن ايضا نستطيع ان نفكر ، ونتكلم ، بل ونملأ المجلدات الضخام افكارا ضخمة لم تخطر ببال فيلسوف بعد . لكننا عاجزان ، ولا نستطيع ان نفعل شيئا . ما ينقصنا هو العمل ، العمل ، وليس القول . ما ينقصنا هو رجل يعمل ، رجل قوي العضلات ، يضرب ويقتل دون شفقة او رحمة . قرية كاملة تناصبنا العداء ، وما نحتاجه هو رجل يساوي قرية . انت احييت الامل بقلوبنا عندما قلت لنا انك ارسين لوبين ، ثم امته شر ميتة عندما جعلتنا نصدق انك ارسين لوبين . لان ارسين لوبين رجل ضخم الجثة كما نتصوره ، يابس الراس ، مملوء الوجه بالحفر والاخاديد لكثرة الضربات التي تلقاها. بينما انت .. انت .. انت ..

لم اسمع سعدى ابدا تتكلم كما تكلمت الان ، ولم اعتقد ابدا ان راسها الصغير يمكن ان يحوي مثل هذه الافكار والكلمات . وارسين لوبين كان معجبا بها ايضا ، قال :

ـ مهلا يا سيدتي مهلا . ارك انك تحسنين الكلام فعلا . انت تحتاجين الى شيء ، ولو كنت تعلمين الى م تحتاجين ، لما احتجت الى شيء .

ـ ماذا ؟ لم افهم .

فالتفت الي وقال :

ـ حدثني عن قصتك بالتفصيل .

ـ تتلخص قصتي في ان خالتي ماتت وحرمتني من ميراثها . كانت قد اوصت لي، اعني باعت مني لاننا هنا في لبنان لا نوصي بل نبيع بيعا ولا نقبض الثمن ! اقول انها باعت مني هذا البيت وهذه الجنينة حوله وذلك الحقل المفروس بالزيتون هناك . وعندما ماتت رأيت انها كانت قد باعت منهم كل ما تملك قبل ان تبيع حصتي منه .

ـ تعني انها خدعتك ؟

ـ خدعتني ؟ هذا ما يريدونني هم ان اقوله .

ـ من هم ؟

ـ اخوتها واخواتها وابناؤها وبناتهم بمن فيهم المختار والناطور واستاذ الضيعة ..

ـ حجتك معك ؟

ـ ها هي .

ـ واخذها مني وقرأ :

« انه في تاريخه ادناه حضر بمجلس عقدته حنة ارملة نجيب مخلوف من قرية كسور الرمان وباعت من توما الطحان من محله والمبيع هو قطعتين ارض واقعتين في خراج القرية المذكورة القطعة الاولى المسماة المنقع المشتملة على بيت مؤلف من خمسة غرف ودار وتوت وفاكهة متنوعة يحدها قبلة ملك البائعة وشمالا طريق وغربا طريق وتمامه ورثة اسعد اللقيس وشرقا مشاع والقطعة الثانية بستان زيتون وتوت ومختلف يحده شمالا وشرقا وغربا ملك سالم الدقاق وقبلة طريق عام بيعا باتا بجميع حقوقه واستحقاقه وطرقه وطرايقه وهو له وفيه ومن سائر الجهات بايجاب وقبول وتسليم غب التخلية الشرعية بثمن قدره مئتي ليرة عثمانية ذهبا اقرت البائعة بقبضها منه عدا ونقدا كاملا وغير منقوص ولم يبق لها بالمبيع المحرر ولا بالثمن المسطر ملك ولا شبهة ملك ولا حق ولا دعوى وللبيان حرر في « »

(مكان الامضاء وهو بصمة ابهام اليد اليمنى للبائعة وشهادة المختار على ذلك يلي هذا طوابع اميرية ومكان ختم المختار) .

شهد بذلك : مسعود الشاطر

شهد بذلك : حبيب زكور

وعندما انتهى من قراءتها قال :

ـ هل كانت خالتك امية ؟

ـ نعم كما ترى . لكنها لم تكن جاهلة .

ـ اذن الا يمكن ان يكونوا قد خدعوها وجعلوها تمضيها لهم دون ان تدري ما تفعل ، طالما انها لم تكن تعرف القراءة ؟

ـ لا لا ابدا . هذا لم يحدث ابدا . انها لم تكن جاهلة كما قلت لك ، ورب امي كان اكثر ثقافة من متعلم .

ـ هل كانت على خلاف مع احد ؟

ـ لا ، كما اعلم .

ـ متى ماتت ؟

ـ من اسبوع تماما .

ـ اهكذا انتم لا تفكرون بكتابة وصاياكم الا عندما يدنو الموت منكم بهذا المقدار .

ـ فأل سيء ان نفكر بالموت وهو بعيد عنا .

فتفحص الحجة جيدا وقال :

ـ الا يمكن ان تكون هذه البصمة غير بصمتها ؟

ـ لا يمكن ان تكون بصمتها .

ـ لماذا ؟

ـ لانها ليست بصمتها .

ـ ما برهانك ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ لا برهان عندي سوى ثقتي العميـــاء بالمرحومة .

ـ اين هي المشكلة اذن ؟ ابق في بيتك ، واذا طردوك منه بالقوة ، عند ذاك يبقى لكـل حادث حديث .

ـ ماذا تقول ؟ انت لا تعرف هذه القريـة يا سيدي ، وقد برهنت انـــك لا تعرفني كذلك . انا اصبحت مجرما بنظر كل فـرد من افراد هذه القرية . اصبحت سارقـا ، مغتصبا ، استحق الضرب والطرد . والمشكلة انني اصبحت بنظر نفسي كذلك ، لانهـــم يرونني كذلك ولا استطيع ان ابين لهم براءتي

قـال وهو لا يزال يفحص الحجة :

ـ قلت لي قبلا ان هذه الاملاك يقدر ثمنها بنحو مئة عثمانية ذهبا ، بينما ارى هنـــا مئتين ؟

ـ نعم ، نحن ندعو هذه « حجة بسيطة » . وفيها نضاعف الثمن الوهمي عادة ، لانه اذا ظهر وريث شرعي وطالب بحقه بالامـــلاك ، فالبيع يفسد . لكن هذه الورقة تبقى مثـل كمبيالة على البائع .

ـ هل رايت حجتهم انت ؟

ـ نعم ، مثل حجتنا تماما ، والثمن فيهـا مضاعف ايضا .

ـ هل لك ان تحدثني عن خالتك قليلا ؟

ـ احدثك ، ماذا تريد ان تعلم ؟

ـ حدثني عن حالتها الصحية والعقليـة مثلا .

ـ كانت حالتها الصحية حسنة دائمـا ، انما كانت تصيبها من وقت لاخر نوبات تقول لها « هزة الحيط » تبقى بعدها بضعة ايام في الفراش منحرفة المزاج . وفيما عدا هـذا كانت صحتها حسنة تماما حتى اصابها ذلك المرض الخبيث الذي قضى عليها . اما حالتها العقلية فقد كانت دائما حسنة ايضـــا ، خاصة عندما كتبت لي حجتي ، وهذه شهادة الطبيب على ذلك . اتريد ان تراها ؟

ـ طبعا اريد .

وعندما انتهى من قراءتها قال :

ـ تاريخ هذه الورقة يسبق تاريخ حجتـك بيوم ؟

ـ صحيح ، ذلك ان الطبيب حضر متاخـرا تلك الليلة . فكتب هذه الشهادة بينما ارسلنا ولدا يدعو المختار لاتمام المعاملات . لكـــن المختار اعتذر قائلا انه لا يستطيع الخـــروج ليلا ، فقال الطبيب لا بأس بذلك لانه لا خطر على صحة المريضة . وهكذا كان ، فذهـب وبات ليلته عند المختار ، وفي اليوم التالي كتبنا حجتنا .

ـ ما نوع المرض الذي قضى على خالتك ؟

ـ يقولون انه حمى المصارين ..

ـ قلت لي انها ماتت من اسبوع ، في اية ساعة ؟

ـ في السابعة مساء ، ووارياها الثرى في مساء اليوم التالي .

ـ هل رقدت بالفراش طويلا قبل ان تموت؟

ـ لم ترقد بالفراش بالمعنى الصحيح اكثر من يوم او يومين ..

ـ هل عملتم لها مناحة كبيرة ؟

ـ طبعا ، تليق بشهرتها ومكانتها فـــي الجوار .

ـ ومن اشرف على ترتيب الامور ، مثـــل استدعاء الكاهن وكتابة اوراق النعوة واسماء المنعيين الخ ... ؟

ـ كلنا اشرفنا على ذلك ، ليس هناك من له وظيفة معينة . ما لم اقله لك بعد هو انهم ابدوا لي كل عطف ومحبة في ذلك الوقـت على غير عادة . لكنني قلت في نفسي انهم يفعلون هذا معي امام الغرباء فقط وليـس اكراما لشخصي ..

ـ هل يمكنني ان اقابلها ؟

ـ تقابل مـن ؟

ـ خالتك .

ـ خالتي ؟ ماذا كنا نتكلم حتى الان ؟

ـ ماذا ؟

ـ قلت لك ان خالتي ماتت ، الم تفهم ؟

ـ فهمت . الا يمكنني ان اقابلها وان ماتت؟

ـ تقابلها !

كان امامه حقيبة سوداء اللون لم الاحظ وجودها حتى الان . فانحنى واخذ منها بعض اغراض لم ار اهميـة جدية ، وتنـــاول منظارا علقه بعنقه ، وقبعة وضعها علـــى رأســه ، ثم نظارتين علقهما على ارنبة انفـه ووقف وقال :

ـ هيا بنا .

ـ الى اين ؟

ـ الى المقبرة .

ومشى امامي فقمت وتبعته . قلت لاتكـلم فقط :

ـ لماذا هذا المنظار الذي يهتز على خصرك يمينا وشمالا ؟

ـ لعلي احتجته هناك .

ـ لماذا مثلا ؟

ـ لافحص محتويات معدتها ؟ هـل تشـك في انها ماتت مسمومة ؟

فوقف ونظر الي وقال :

ـ لماذا ؟ هل تشك انت ؟

ـ ابدا .

ـ لماذا تسأل اذن ؟

ـ لانك تريد ان تفحص محتويات معدتها .

ـ هـا ..

قلت بعد قليل : عندي سـؤال .

ـ هات .

ـ هل انت مجنون ؟

ـ كلا .

ـ اواثق انت من ذلك ؟

ـ واثـق .

ـ ما برهانك ؟

ـ لا برهان عندي ، وهذا هو برهاني .

ـ ماذا ؟ وكيف يكون عدم وجود البرهـان برهانـا ؟

ـ يا صديقي ، وجود البرهان يعني وجـود الشك اولا . ولما كان الشك غير موجود ، فكيف يوجد البرهان ؟

ـ ماذا تقول ؟ لم افهم .

وكنا قد وصلنا . فوجدتني اندفع نحـو باب القبر اقرعه قائلا :

ـ هذا هو قبرها ، هل اقرع بابه ؟

ـ لا ، لان الاموات لا يفتحون ابوابهـــم الا للاموات فقط . اما نحن فاحياء نستطيع ان ندخل بانفسنا . هيا احفر هنا .

فحفرنا حتى وصلنا الى الحجر الذي يسد باب المدخل ودحرجناه . وعندمـا سـقط شعرت بنسمة من الهواء البارد المثقل بالارواح العفنة تهب وتملأ المكان حولنـا . وانتشرت رائحة كريهة لم اشم مثلهـا في حيـــاتي. فاخذت محرمتي ووضعتها على انفي ، بينمـا انحنى هو ودخل ، رافعا المنظار وراء ظهره لكي لا يرتطم بالارض وهو نازل . وبعد هنيهة خلتها دهرا خرج ، حيا كما دخل وبيده آلاته جميعها وبينها شيء مستطيل يشبه الاصبع قد يكون قطعه من الشمع استعان بضوئهـا في الداخل . قلت :

ـ هل وجدت خالتي ؟

ـ وجدتها .

ـ وهل استقبلتك بحفاوة ؟

ـ بكل حفاوة .

★

دخل ارسين لوبين كالعاصفة وتوجه رأسا نحو المقعد الكبير في صدر البيـت وجلس عليه . وعندما استقر به المقام وضع رجلافوق الاخرى ، واثبت نظارتيه على ارنبة انفه ونظر الي من فوقها وقال :

ـ ربحنا الدعوى .

ـ ربحناها ؟ نحن ربحناها ؟

ـ طبعا . ارسين لوبين لا يخسر دعاويـــه قط ، الا اذا شاء .

ـ كيف ربحناها ؟

ـ ان لذلك قصة طويلة طويلة . لكن المهم خطبتي . فقد القيت فيهم خطبة انتزعـــت التصفيق من اكفهم انتزاعـا .

ـ ماذا قلت لهم فيها ؟

ـ اشياء كثيرة يعرفونها .

ـ يعرفونها ؟ تقول يعرفونها ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ طبعا . والا كيف صفقوا لي ؟
ـ حسنا ، وبعد ؟
ـ وبعدئذ كشفت لهم اوراقي . بينت لهم ان حجتهم مزيفة .
ـ كيف ؟
ـ جعلتهم يشاهدون اختلاف البصمات على الحجتين .
ـ وهل هنالك اختلاف ؟
ـ طبعا . البصمة التي تحملها حجتهم هي بصمة ميت ، وليست بصمة حي .
ـ ماذا ؟ تعني انهم اخذوا بصمتها وهي ميتة ؟
ـ تماما .
ـ ايها اللعين ! قد يكون الامر كذلك .
ـ قد يكون ؟ انه لكذلك .
ـ وكيف عرفت ؟
ـ هل هذا يحتاج الى ذكاء خارق ؟ لكن دعني اسالك اولا ، من هو ذلك الشخص القصير بينهم ، الاصلع الرأس ، الذي يمشي سلابي الخطى كأنه يمشي في منام ؟
ـ اسمه توما .
ـ توما ؟ لا اعني سائق سيارتك .
ـ سائق سيارتي ؟ ومن اين لي السيارة يا سيدي ؟
ـ ليس عندك سيارة ؟ لمن هذه السيارة التي شاهدتها واقفة بجانب الباب اذن ؟
ـ بابي انا ؟
وتحركت لاقوم وارى ، لكنني تذكرت ان السيارة لا تصل الى باب بيتي لان الطريق غير معبدة . فقلت :
ـ ما قصتك يا هذا ، امجنون انت ؟ ام انك عدت تهذي ؟
لكنه لم يجب لان امرأتي دخلت حاملة القهوة . فتناول فنجانه ووضعه جانبا ، وتناولت انا فنجاني كذلك وشربت منه شيئا وقلت :
ـ قل لي ، ما هو الفرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي ؟
ـ لا يوجد فرق .
ـ لا يوجد فرق ؟ لكنك الساعة قلت ان هنالك فرقا .
ـ انا قلت هذا ؟
ـ طبعا . عندما قلت انك جعلتهم يشاهدون اختلاف البصمات على الحجتين .
ـ نعم قلت ذلك . لكن الواقع هو اني لا اعرف اذا كان يوجد فرق ام لا يوجد . قد يوجد وقد لا يوجد ، لكن هذا لا يهمني . ما يهمني هو اعترافهم ، لا الفرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي . واعترافهم حصلت عليه .
ـ وكيف حصلت عليه ؟
ـ بالخداع .
ـ لكن كيف ؟ هل اعترفوا لك انهم اخذوا بصماتها وهي ميتة ؟
ـ طبعا . وقد اعطوني حجتهم ايضا ، اتريد ان تراها ؟
ـ وكيف لا اريد ان اراها ؟
وتناول من جيب سترته الداخلي ورقة ملفوفة على شكل اسطوانة ، اعطانيها قائلا :
ـ خذ ، مزقها اذا شئت .
ـ اهي حجتهم الاصلية ، ام نسخة عنها ؟
ـ انظر بنفسك .
كانت الحجة الاصلية ، فصرخت :
ـ حقا انها حجتهم . كيف حصلت عليها يا هذا ؟
ـ هم اعطوني اياها . قالوا انها مزيفة ، فلماذا يريدونها ؟
ـ هم قالوا انها مزيفة ؟
ـ نعم ، وقالوا انهم كانوا يمزحون ..
ـ مدهش ! مدهش يا ارسين لوبين ! اسمح لي ان اصافحك بجد وباحترام هذه المرة . لم اكن اصدق انك تستطيع ان تفعل امرا كهذا .
ـ هذا هو السر .
ـ اي سر ؟
ـ انك لم تكن تصدق اني استطيع ان افعل امرا كهذا . هذا كان رأيهم ايضا ، ولو كان عندهم مقدار ذرة من الشك اني استطيع ان افعله ، لما استطعت ان افعل شيئا .
ـ كيف ؟ كيف ؟
ـ حاربونا بالخداع فحاربناهم بالخداع ، وانتصرنا مثلما انتصروا . الا يمكن ان يحدث هذا ؟
ـ يمكن . وبعد ؟
ـ ليست المشكلة في ان تكتشف انهم اخذوا بصماتها وهي ميتة ، هذا يستطيع ان يكتشفه كل انسان اذا كان على مقدار قليل من الذكاء . لكن المشكلة هي في ان تبين لهم ولسواهم ذلك ، وتقنعهم .
ـ وكيف فعلت ذلك انت ؟
ـ بالخداع كما قلت لك . وقد لعب عنصر المفاجأة دوره ايضا .
ـ عنصر المفاجأة ؟ كيف ؟ حدثني عن ذلك.
فتنحنح وسعل ، وركز نفسه في مكانه جيدا . وقبل ان يبدأ بالحديث تناول فنجان القهوة من جانبه وافرغه في جوفه دفعة واحدة كأنه يستعد لحديث طويل . لكنه ما كاد ينتهي منه حتى قلب شفتيه اشمئزازا وقال :
ـ قهوتك مالحة .
ـ مالحة ؟
ونظرت بطرف عيني الى زوجتي ، قائلا بنفسي انها قد تكون اخطأت فاستعملت الملح بدلا من السكر كما حدث ذات مرة . وقبل ان اتكلم اسرع ارسين لوبين يقول كأنه يعتذر لابداء هذه الملاحظة :
ـ اسمعني جيدا : هم مثلنا ، لا يعرفون الفرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي ، ولا يعرفون اذا كان هنالك فرق ام لا ، مثلنا تماما . اليس كذلك ؟
ـ طبعا .
ـ ويعرفون اننا لسنا اشد ذكاء منهم ، ولا اكثر خبرة من هذه الجهة ؟
ـ وبعد ؟
ـ قالوا بانفسهم : اذا خطر له اننا اخذنا بصمتها وهي ميتة ، فهو لا يستطيع ان يثبت ذلك . لانه اذا كان هنالك فرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي ، فهو لا يستطيع ان يظهر هذا الفرق بسبب ضعفه وفقره . اما اذا لم يكن هناك فرق ، وهو الارجح ، فيستحيل عليه اذ ذاك اظهار الحقيقة الا بشهادة شاهد او اكثر . ومن يشهد معه ضدنا حتى وان كان قد رآنا بالفعل نفعل ذلك ؟
ـ صحيح ، لا احد .
ـ ماذا يبقى لك اذن سوى ان تحمل فرشتك وتمشي ، نادبا سوء حظك مذيعا على الناس خبر غدر خالتك بك وخداعها ؟
ـ صحيح هذا ما كنت سافعله .
ـ ها قد عرفنا هذا نحن، فماذا باستطاعتنا ان نفعل ؟ اذا تركناهم يرفعون علينا دعوى ، فقد تطول المسألة . وقد يربحونها هم ، هذا اذا لم نتخل عنها نحن !
ـ صحيح . ماذا نفعل اذن ؟
ـ قلت بنفسي : هم اقوياء واغنياء ، ونحن فقراء وضعفاء . هل لهذا السبب نجحوا في خداعنا واستولوا على املاكنا ؟ كلا ، ليس لهذا السبب .
ـ لماذا اذن ؟
ـ لانهم عرفوا اننا ضعفاء ، وليس لاننا ضعفاء بالفعل . عرفوا حدود قوتنا تماما . لكن نحن لم نصارعهم قوة بقوة بعد ، وهذا ما حاولت ان اتجنبه دائما وقد نجحت . بل صارعناهم خداعا بخداع . قلت بنفسي : لقد عرفنا كل هذا عنهم ، وعرفنا من عرفوه عنا . افلا نستطيع ان نهاجمهم نحن ايضا من الجهة التي هاجمونا منها هم قبلا ؟ وبكلمة اخرى : كانوا هم المهاجمون اولا ، وقد هاجمونا بناء على معرفتهم لنا وانتصروا . والان نحن المهاجمون . فاذا عرفنا حقيقة ما عرفوه عنا ، افلا يمكن ان ننتصر عليهم مثلما انتصروا علينا هم ؟
ـ يمكن . كلامك منطقي لا غبار عليه . لكنه يحتاج الى شرح اكثر .
ـ كانت النقطة الهامة هي نجاحي في عدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... المدرسة الى القوة . بقيت معركة ذكاء وحيلة ، على الصعيد الذي بدأت فيه اولا .

ـ حسنا . لم تقل لي بعد كيف تغلبت عليهم وكيف جعلتهم يعترفون .

ـ لا استطيع ان اقول لك ذلك .

ـ لا تستطيع ؟ لماذا ؟

ـ لانه يصبح علي اذ ذاك ان اعيد على مسمعك ذلك الخطاب الطويل الذي القيته على مسامعهم . وذلك الخطاب لم يؤلف لك انت ، فاذا اعدته على مسمعك فقد تحسبني مجنونا . ثم ان هذه الساعة غير تلك ..

ـ وما علاقة الساعة بالامر ؟ ولماذا انا احسبك مجنونا وهم لا يحسبونك ؟

ـ يا صاحبي ، قلت لك قبلا انني لم اقل لهم الا كل ما يعرفونه فدهشت . انا بالواقع لم اقل لهم الا كل ما يعرفونه ، وهم يعرفون اني لا اعرف اكثر مما يعرفون هم . لكنني عندما قلت لهم ما يعرفونه ، ولا يعرفون اني اعرفه ، « ومع ذلك فقد اكون اعرفه ولكنني اوهمتهم ذلك » فوجئوا كما فوجئت انت ، ففربت ضربتي القاضية .

فصمتت قليلا وقلت :

ـ لم افهم شيئا بعد . ماذا قلت لهم ؟ هل هناك شيء لا تعرفه ولكنك اوهمتهم انك تعرفه ؟

ـ تماما .

ـ ما هو ذلك الشيء ؟ قبل ان تتكلم دعني اخمن : ذلك الشيء هو معرفة ما اذا كان هنالك فرق بين بصمة الانسان وهو ميت وبينها وهو حي ام لا ؟

ـ تماما . ابتدأت تفهمني .

ـ ليس جيدا . فسر لي كيف فعلت هذا ؟ كيف اوهمتهم انك تعرف هذا الامر بينما انت لا تعرفه ؟

فتحرك في مكانه وقال :

ـ قد يصعب هذا قليلا ، لانه يتعلق بالظروف ، وبالشخصية ، وبالاحوال التي تكون فيها تلك الشخصية . احيانا كثيرة نستطيع ان نعلم ماذا يقول شخص ما وكيف سيتصرف ازاء امر معين بناء للظروف التي تحيط به والحالة التي هو فيها . اليس كذلك ؟

ـ صحيح .

ـ فاذا كنت انت ذا حيلة مثلا وعرفت الشخص جيدا وعرفت كيف تخلق له ظرفا معينا ، افلا تستطيع ان تعلم ، او ترجح على الاقل ، كيف سيتصرف في ذلك الموقف فتبني دفاعك او هجومك بناء على هذا ؟

ـ ممكن . ممكن .

ـ فلنأخذ مثلا : انت . الا تحسب نفسك اشد ذكاء من اعدائك كلهم ؟

ـ لا .. ليس تماما . لكن فلنقل هذا اذا شئت .

ـ يعجبني تواضعك ! انت فعلا اشد ذكاء منهم . ومع ذلك خدعتك الان اكثر من مرة .

ـ انت خدعتني ؟ كيف ؟

فقال وهو يشير بيده نحو فنجان القهوة الفارغ :

ـ عندما قلت لك قهوتك مالحة ودهشت . هل تذكر ؟ ولكي تفسر هذا الامر نظرت بطرف عينك الى زوجتك ، قائلا بنفسك ولا شك انها قد تكون اخطأت فاستعملت الملح بدلا من السكر .

ـ صحيح . هذا صحيح .

ـ لكنك لم تنظر الى نفسك ، ولم تقل اني قد اكون اخدعك . ونسيت ايضا انك كنت قد شربت شيئا من قهوتك عندما تناولت الفنجان .

فقلت وانا اضحك :

ـ صحيح ، صحيح . انت على حق ، اخطأت .

ـ اخطأت ، نعم . انت وثقت بي الى هذا الحد . وقد علمت انك بالامكان ان تثق بي الى هذا الحد عندما دخلت وقلت لك سيارتك بالباب ، فتحركت من مكانك لترى !

ـ صحيح . اخطأت هنا ايضا . انت رائع يا ارسين لوبين .

ـ كان خطأ بسيطا . ومع ذلك كان بالامكان ان تترتب عليه امور كثيرة خطيرة اذا وجد من يعرف كيف يستغله ويضرب الضربة القاضية في وقتها .

ـ اهذا ما فعلته معهم انت ؟ ما هو الخطأ الذي ارتكبوه هم ؟

ـ بل قل الذي دفعتهم الى ارتكابه انا .

ـ الذي دفعتهم الى ارتكابه انت ، ثم ضربت ضربتك القاضية ؟

ـ اذا كنت انت مثلا لا تعرف الفرق بين بصمة الانسان وهو حي وبينها وهو ميت ، وجاء شخص وقال لك انه يعرف ، ماذا تفعل ؟

ـ ماذا فعلوا هم ؟

ـ طلبوا مني ان اظهر لهم هذا الفرق . اليس هذا هو التصرف الصحيح ؟

ـ طبعا . وكيف اظهرته ؟ بحيلة من هذه الحيل ؟

ـ تماما !

ووقف واخذ من جيبه صرة صغيرة اخذ يفك الاربطة عنها . وبينما هو يفعل ذلك سألني :

ـ هل تعتقد ان هناك فرقا بين بصمة الابهام الايمن وبصمة الايسر لشخص واحد ؟

ـ ماذا ؟

ولم اجرؤ ان اقول له رأيي صراحة لئلا اقع في مقلب اخر من مقالبه غير المتوقعة . وكأنه فهم هذا ، فنظر الي بطرف عينه وابتسم ولم يعد سؤاله .

وعندما انتهى من عمله قال :

ـ تعال وانظر كيف اظهرته لهم . تعال وانظر البرهان الذي لا يمكن ان يدحض .

فقمت ونظرت ، فاشمأزت نفسي مما رأيت

ـ ما هذا ؟ اصبع آدمي ؟

ـ نعم ، اصبع خالتك . انظر الحبر عليه. وليس وجود الحبر عليه فقط هو البرهان على انهم اخذوا بصماتها وهي ميتة ، بل ان شكل البصمة التي تحملها حجتهم . انظر جيدا وقابل .

فنظرت وقابلت ، وكان الامر كما قال تماما. صرخت اعجابا :

ـ ايها اللعين ! كيف خطر لك ان تذهب وتأتي باصبعها ؟

ـ اليس هذا وحده كافيا لان يجعلهم يعترفون ؟

ـ طبعا .

ـ ليس طبعا ! ان الذي جعلهم يعترفون هو معرفتهم ويقينهم انه ابهامها ، وانه ابهامها الايمن . وليس شكل الحبر عليه .

ـ ماذا تقول ؟ قد يكون غير ابهامها الايمن ايضا ؟

ـ قد يكون الايسر . وقد لا يكون ابهامها على الاطلاق ! لاني عندما اتيت به كان نظيفا مثل ابهامك تماما ، اذا كان ابهامك نظيفا .

ـ ومن لوثه بالحبر على هذا الشكل ؟

ـ انا طبعا . وهذه كانت اصعب مهمة عندي .

ـ الم تكن تخشى ان يكتشفوا خداعك ؟

ـ ولماذا اخشى ؟ ما الذي يجعلهم يشكون؟ اذا كان هنالك سبب لتوجيه مثل هذا الاتهام الي ، فما الذي يمنعهم من توجيه نفس الاتهام حتى ولو كنت احمل الابهام الحقيقي ؟ لكن المسألة ليست مسألة ابهام وحبر على ابهام كما قلت لك ، بل مسألة معرفتهم ويقينهم انه ابهامها ، واني اتيت به من هناك ، وانهم تركوه ملوثا بالحبر كما رأوه الان .

ـ ايها اللعين ! انت فعلا ارسين لوبين العصر الحديث .

ـ كان عندي شك فقط في ان يكونوا قد غسلوا اصبعها بعد ان فعلوا فعلتهم الشنعاء هذه . ولهذا قمت بزيارة الى قبرها . ولكم كان سروري عظيما عندما رأيت انكم تلبسون القفازات لامواتكم ! لان هذا وفر على المجرم غسل يدها ، فوفر علينا كثيرا من المتاعب .

ـ توما ! توما اللعين هو الرأس المدبر لهذه المؤامرة الدنيئة كلها على ما يظهر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجرح في الصخور

صديقتي ..
أهل ترى ستعلم السحابة
بأن غيضها سيستحيل تحت سقف بيتنا .. كآبة
أتعلم المتعبة الحزينة
بأنها لن تغسل الشرور والضغينة
من أسطح المدينة
أتعلم المرعدة المسكينة
بأنها تعود مرة أخرى الى رماد البحر
مدفونة تحت ظلال القهر
لا تعصر النهار .. لا تستنشق السماء
ولا تذوب تحت الشمس والضياء
حالمة بالموسم الجديد

صديقتي ..
لو انني كسوت نسغ حبنا
ببرعم الخلود
لالتفت السنون حوله
وفتحت له مغالق الرواء
لكنني صديقتي كسوته بالصيف والصخور
فالتفت التعاسة السوداء حوله
وابتعد النهار ، ماتت الزهور
صديقتي
أحسب ان وقتنا
يسحقنا ويسحق الخلود عندما يدور

شعاعك خيط فجر جاء عبر الدار ،
عبـر الحزن ،
عبـر أنين آهاتي ..
وعبر خوافق الذكرى
ونهر الليل يهمي من جراحاتي ..
يجن دمي الى الاشواق ،
أنوي وأد لحظاتي ..
أنادي عبر سور الشارع المسدود
أبحث عن بقايا الزهر والطل
وحين أسير في الظلمة
تغمغم أحرف الاشراق في وجهي
فأنسى الجوع والدمعة
وأبحث عنك يا حبي ..
أمني النفس بالرجعة ..
وخلف تشوقي للفجر يا حبي ..
أناديك ...
أناديك ...

نبوءة الصيف تقول ان هذه السحابة
لن تزرع الكآبة ..
وسوف تغسل الاضغان ،
سوف تزرع الزهور تحت الغابة
وتعزف ((الشبابة)) ...
صديقتي ..
وعندما أبحرت عبر الساحل المضاء
كسوت نسغ حبنا ببرعم الخلود ..
فالتفت السنون حوله ..
وفتحت له مغالق الرواء ..

دمشق

صبحي حديدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تذكرت الان ، هو الذي اشترى القفاز قائلا ان الباس القفازين للميت دليل اهميتـــه واحترام اهله له . عرفت الان ما معنى كرمه الحاتمي ، هذا الرجل البخيل .

ـ نعم ، توما الرأس المدبر لهذه المؤامرة. انه ذكي ، يحسب لكل امـر حسابـــه . فستريدها بالقفاز اهون من غسلها بالمـــاء والصابون في بيت ليس بيته . لكنه لـــم يحسب اننا قد نعلم هذه الاشياء كلها ونفاجاه بهـا دفعة واحدة .

ـ بل لم يحسب ان خصمه هو ارســين لوبين لا سواه .

وضحكنا طويلا ، ثم وقف وقال :

ـ اتريد مني شيئا بعد ؟ هل تسمح لـــي بالانصراف ؟

ـ طبعا ، اريد منك اشياء كثيرة ، اولها أن تبقى عندي الليلة .

ـ شكرا لك .

ـ بل الشكر كل الشكر لك انت . لا اعرف بالحقيقة كيف اكافئك .

ـ كافأتني بمحبتك واخلاصك . الـــى اللقاء .

واختفى حالا قبل ان اقول له كلمة واحدة من الكلمات الكثيرة التي ما زلت حتى الان تجول على شفتي ولا اجد من اقولها له ..

جرجي نقولا

مكتبة الاديب



درتان فريدتان في العلوم اللغوية والعلوم الخلقية

تأليف حبيب الخوري ـ ٢٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة العصرية بالقدس

هذا كتاب نفيس ، اصدره مؤلفه الاستاذ حبيب الخوري تتويجا لحياة تخطت التسعين ، ولعمل في حقل التعليم والتربية تجاوز السبعين ، وهو حتى بعد ان تخطى التسعين يشعر بانه لا يزال معلما ، يعيش مع الطلاب في مراحل الدراسة .

في عهد الشباب والقوة كان يناقش قضايا اللغة والادب مع الطلاب مشافهة ، وهو اليوم يناقشها في كتاب يقدمه اليهم لكي يقرأوه ويستفيدوا من علم صاحبه ، واختباراته ، ودراساته التي استغرقت سبعين عاما متواصلة .

الصفة الكبرى لكتاب الاستاذ حبيب الخوري هو انه كتاب تعليمي ، وان صاحبه معلم فحسب : القسم الاول من الكتاب يعلم اللغة والادب ، وما يتفرع عنهما من قضايا ، بما في ذلك التدرج مع تاريخ الادب العربي ، والقسم الثاني يعلم الخلق والفضيلة ، دون ان يتخلى عن اسلوب المعلم وطريقته في « البحث » وفي « الدعوة الى الممارسة » .

ولم يقدم حبيب الخوري على تاليف هذا الكتاب ـ وقد اتمه ، كما قال لي اخيرا ، في الثمانينات من عمره ـ الا بعد ان حالت شيخوخته المباركة دون تمكنه من الاتصال الشخصي المباشر بالطلاب في مدارسهم ، فاراد ان يستمر اتصاله بهم عن طريق الكلام المكتوب .

لقد تتلمذ على الاستاذ حبيب الخوري في فلسطين ، في عهد الانتداب البريطاني ، الوف الطلبة في الكلية العربية وغيرها من مدارس فلسطين ، واستفاد منه الوف آخرون وهو يعمل مفتشا في ادارة المعارف الفلسطينية ، ثم في العديد من المدارس في ضفتي الاردن بعد عهد الانتداب .

وحبيب الخوري عاشق متيم بثلاثة أشياء : التعليم ، واللغة العربية ، ونبل الخلق ، وهذه المعشوقات الثلاث هن خلاصة كتابه ، وهن مدار أبحاثه .

اما التعليم فقد رأينا مدى تعلقه به في حياته كلها ، واما اللغة العربية فان اعتزازه بها قد دفعه الى ان يكرر اكثر من مرة في ثنايا كتابه « ان هناك اليوم لغتين تغمران العالم بأسره ، هما : الانجليزية والعربية » ، وان العربية « قد صرعت بقوة حيويتها كل لغة احتكت بها ، ولم تزل ثابتة منذ أربعة الاف سنة ، تقابل غير الدهر بما أوتيت من محاسنة ، ورحابة صدر ، وذلك بفضل اشتقاقها الفذ ، وتنوع مجازها العجيب ، وهيمنة كتابها الكريم » ، وانها « اغنى لغات العالم في التعبير عن النواحي العاطفية » . وهو لذلك حريص كل الحرص على ان يحافظ عليها أبناؤها ، ويحرصوا على تطويرها تطورا نحو مزيد من القوة والغنى والجمال .

واما نبل الخلق فالدليل عليه ان المؤلف قد خصص نصف كتابه للحديث على الفضائل والاخلاق السامية ، وافاض في ذلك كله ، ضاربا الامثال من التاريخ ومن حياة الشعوب واساطير القدماء، ومن كل ما استطاع ان يستعين به للحث على ممارسة الفضائل والاخلاق القويمة .

في القسم الاول من الكتاب كرس المؤلف قسطا كبيرا للحديث على اللغة العربية وعلومها ، وقواعدها ومعاجمها ، ثم تطرق الى الادب العربي والآداب العالمية ، ولكنه افاض في حديث الادب العربي وتاريخه ، ومزاياه ، والمعلقات ، وعن الانشاء وخصائصه وتطوراته في مختلف عصور التاريخ العربي ، واساليبه من عهد ابن المقفع حتى اسلوب طه حسين وتوفيق الحكيم ، وعن شوائب الانشاء ووجوب اصلاحها ، وتحدث على فن التلخيص وطرائقه ، ثم عاد الى اللغة فراح يصوب العديد من الاخطاء الشائعة على الاقلام .

في هذا الجزء بأسره كان حبيب الخوري معلما للعربية : موضوعه مدرسي ، واسلوب معالجته مدرسي ، وهدفه مدرسي كذلك، حتى لقد كان الشعور الذي رافقني في قراءة الصفحات الـ (١٦١) الاولى ، انني طالب يصغي الى استاذه يشرح له دروس اللغة والادب باسلوب المعلم العريق في مهنته . ولم استطع ان اتخلص من هذا الشعور .

وفي نهاية هذا القسم يأتي مقال عن « الكوميديا الالهية » . المقال ليس لحبيب الخوري بل لابنه المرحوم فؤاد الذي قضى في ريعان الشباب . والمقال يدل على دراسة وفهم للكوميديا الالهية ، وعلى مقدرة عقلية في البحث والنقاش والاستنتاج .

ثم يأتي القسم الثاني الخاص « بالعلوم الخلقية » والذي يهدف المؤلف من ورائه الى ان يعمل الناس في الدنيا لما فيه سعادتهم وسعادة الآخرين ، لان السعادة مشاركة وليست امرا يستطيع ان ينفرد به الانسان عن الآخرين . والسعادة لا تكون الا بتبادل المحبة ، لان المحبة هي اساس كل فضيلة ، وكل خلق انساني .

وكما ختم المؤلف القسم اللغوي من كتابه بمقال لابنه فؤاد ، كذلك ختم القسم الاخلاقي منه بفصل لابنه الآخر المرحوم شكري عنوانه « بين الدين والعلم » . وخلاصة هذا الفصل ان « العلم الصحيح لا يناقض الدين ، وهل يمكن ان يتناقض امران مصدرهما واحد ؟ »

هذا هو كتاب الاستاذ حبيب الخوري « درتان فريدتان في العلوم اللغوية والعلوم الخلقية » بكلمة موجزة ، ولم اشأ الافاضة في الحديث ، لان الافاضة قد تؤدي الى تشويه بعض ما فيه مما يحرص الاستاذ على تأديته من رسالة للطالب في مدرسته وللانسان في حياته.

عمان ـ الاردن — **عيسى الناعوري**

•

فالت له ..

تأليف محمد زكي عبد القادر ـ ١٤٤ صفحة ـ سلسلة « اقرأ » ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر القاهرة

يتمتع الاستاذ محمد زكي عبد القادر باحترام كبير بين الصحفيين والادباء والقراء العرب ، وذلك لانه رجل جهاد وواقعي ، ويتكلم عن

عقيدة ، ويصدر عن ايمان ، ويبعد كل البعد عن التهريج والتبرير الذي يتميز بهما عدد غير قليل من كتابنا الصحفيين ، ونحن نطالع له كل يوم رأيا وكلمة يتميزان بالصدق والواقعية ويبعدان عن المبالغة والتهويل . انه يقول رأيه وكلمته كما يعتقد دون ان يساير الآخرين او يمشي في تيارهم ولو كانوا الاغلبية الساحقة . الا انه يعرض رأيه في رفق ، ويقول كلمته دون ان يثير المعارضين له ، انه يغزو عقل الصديق وغير الصديق ، والمشايع والمخالف في رشاقة اسلوب ، وتناسب الفاظ ، وقوة تعبير .

وكتابه « قالت له .. » مجموعة من الآراء صيغت في قالب حوار بين رجل ـ أي رجل ـ وبين امرأة ـ أي امرأة ـ وهو يريد بهذا الحوار ان يقول لنا رأيه في العلاقة بين المرأة والرجل ، ويناقش المشكلات التي طرأت على هذه العلاقة وفرضتها ظروف الواقع الذي يتغير بسرعة ، ويتأثر بالتطور في المجتمعات الاخرى . ان العلاقة بين الرجل والمرأة لم تعد كما كانت في القرن الماضي او حتى المنتصف الاول لقرننا العشرين .. لا .. فقد تغيرت هذه العلاقة تغيرا كبيرا خاصة في مجتمعنا المصري الذي خرجت فيه المرأة الى العمل ، وكثرت بعد ذلك تطلعاتها الى الآخرين . انها تخوض حياة جديدة لم تخضها أمها وجدتها .. وعلى هذا فانها تشعر امام الرجل المعاصر بمشاعر مختلفة ، وعلى ضوء هذه المشاعر تتصرف ، وتصوغ قواعد السلوك . وليست المرأة هي التي تغيرت ، فالرجل ايضا اصابه شيء غير بسيط من التغير والتطور ، لقد رأى الرجل امامه امرأة تعمل معه في المصنع او المكتب ، وتقابله في الطريق ، وتمشي امامه على شواطيء المصايف وتتنقل بين مكان ومكان في حرية وانطلاق .. انها علاقة جديدة من غير شك وفي حاجة الى تنظيم وتقنين يحيث ينسجم البناء الاجتماعي ويتآلف الكيان الانساني للمجتمع .

ومحمد زكي عبد القادر لا يتناول مشكلات المجتمع الجديدة بين المرأة والرجل ، بل ينظر الى اعماق الرجل واعماق المرأة التي كانت منذ الازل ، والتي ستظل الى الابد . انه يرنو الى العقل والعاطفة والغريزة والايمان والعقيدة .. ويناقش كل ذلك في حوار طريف بين رجل مجهول وامرأة مجهولة .

واحيانا يقف محمد زكي عبد القادر عند شيء ما دون ان يبدي رأيا او يقول كلمة قاطعة ولكنه يكتفي بالتساؤل ووضع علامة الاستفهام ثم يمضي دون ان يعطينا رأيا محددا نحسبه عليه ونحاسبه به .

وقد يستغرقنا الحوار فلا نعرف ماذا يريد ، ما يقوله على لسان المرأة او على لسان الرجل ، ولكن القارىء الواعي والمتأمل المخلص يستشف ما يبتغيه المؤلف ، ويفهمه بسهولة ، اللهم الا اذا لجأ الى الفلسفة او الآراء الفلسفية التي تدير الرأس كما يقول .

ونلمح من خلال الحوار كثيرا من التعريفات الجديدة للحياة والحب والحنان ... الخ .. يقول في حوار :

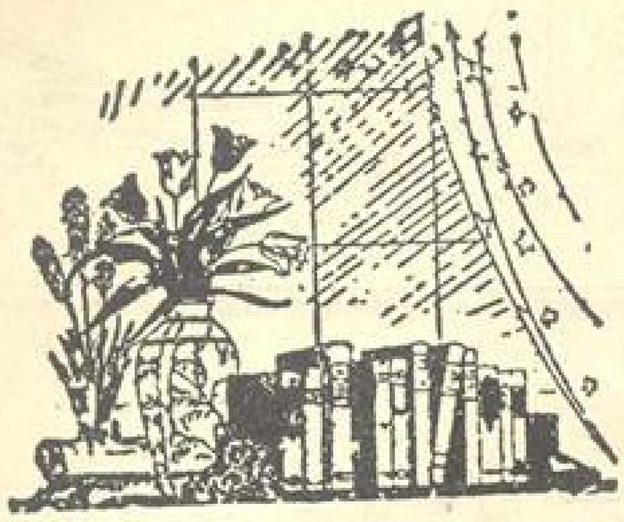
« قالت وهي تمضع احزانها : اعطني الحنان .. لست في حاجة الى الحب .

أجاب : كل امرأة تقول هذا ، ولكن ما هو الحنان ؟

ـ صدر يعرف ويغفر ويصبر ويرضى .. يشارك في الحزن والمسرة »

ومن بين تعجب محمد زكي عبد القادر تلك الصورة : « من يدري .. ما أعجب العواطف وما أعجب المرأة.. يختلط عندها الحب بالعبادة، ويختلط الايمان بالحب » ! ولعل المرأة ترى في الحب شيئا من الحماية ، او قل هو الحماية كلها ، فان الضعف في النفس الانسانية ـ والذي نصيب المرأة منه كبير ـ يجعلها تلجأ الى من يحميها ، ومن يجبر هذا الضعف ، او على الاقل يعوضه . والملاحظ ان من يملك القوة هو الله في السماء والارض بيد ان الانسان حين ينظر الى من حوله يجد القوة لدى ابيه وامه واهله وذلك بدافع الحب الذي

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل*ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يربطهم به او يربطه بهم ، والحبيب اول من يتوجه اليه القلب ، فيحتمي به من خوف ، ويطمأن اليه بعد خوف . ومن ثم فلتكن صلاة المرأة للحبيب وفي محراب الحب ، فان ذلك لا ينفي طبيعتها او طبيعة الضعفاء بالمعنى الكامل الشامل .

واسلوب محمد زكي عبد القادر معروف بالسلاسة والسهولة ، ورقة الالفاظ في تكامل تعبيري شفاف ، لا تكلف فيه ولا افتعال ، والاحرى ان يوصف هذا الرجل بأنه اديب ، وليس صحافيا ، فسمة الادب هي الميزة وهي الغالبة رغم اشتهاره في عالم الصحافة والصحافيين .

الاسكندرية **حلمي محمد القاعود**

●

١ ـ الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ

تأليف يعقوب عبد العزيز الرشيد ـ ١٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار الحياة ببيروت

صرفت ساعات حلوة في مطالعة كتاب « الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ » لمؤلفه الدبلوماسي الاديب الاستاذ يعقوب الرشيد نجل مؤرخ الكويت الاول المرحوم عبد العزيز الرشيد . ولقد خرجت من هذه المتعة الفكرية بمجموعة من الانطباعات عن هذا الاثر القيم دونك تفصيلها :

١ ـ سعة اطلاع الاستاذ الرشيد على احداث التاريخ وحوادث الماضي ونصيب الكويت منها في مختلف الادوار والعصور .

٢ ـ غيرة ابداها الاستاذ يعقوب على الكويت مسقط رأسه فانتضى قلما مرهفا خصبا في الدفاع عنه بالارقام والوثائق التي تثبت استقلاله وبعده عن أية حماية او وصاية .

٣ ـ جاء الاسلوب الذي عالج به أخونا الاستاذ يعقوب فصول كتابه القيم اسلوبا رفيعا اتسم بالدقة ورهافة الذوق وتفادي الحوشي من الالفاظ ، واسمعه يقول بلهجة الصدق والصراحة :

« الكويت وطني ووطن الاحرار الشرفاء ، وكل حفنة من رماله ، وكل شبر من شطآنه مخضب بانهار من الدماء والدموع. وهو بحدوده المعترف بها كيان ضروري لاستمرار حياة كل كويتي ، فهو لا يراه ويحبه ويفتديه فحسب ، بل يعيشه ايضا .

ان الكويت لنا نحن الكويتيين واقع تاريخ وحياة مصير ، فليس لحياتنا معنى دونها ، وليس لوجودنا اثر اذا خدش استقلالها او نيل من شخصيتها ! »

بمثل هذا الاسلوب الرفيع دافع اخونا الاستاذ الرشيد عن حياض موطنه ودلل للعالم اجمع على ان الكويت كانت وما برحت قطرا عربيا مستقلا استقلالا ناجزا .

فليتقبل الاستاذ يعقوب التهنئة على هذا السرد الموفق ونرجو ان نقرأه في مؤلفاته القادمة اديبا رقيقا وعربيا مؤمنا آمن بعروبته فانبرى للدفاع عن كل شبر من دنيا العرب وكان له من غيرته في الدفاع عن القضية الفلسطينية ، قضية العرب الكبرى ، جولات دبلوماسية مشكورة خلال عمله السياسي في الباكستان والهند .

٢ ـ خبأنا الصواريخ في الهياكل

تأليف ثريا ملحس ـ ٥٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الغريب ببيروت

لا اذكر اديبا معاصرا سخا على ادبنا العربي سخاء متواصلا بالقدر الذي سنحت به الشاعرة الاديبة الاستاذ ثريا ملحس ، ففي كل عام تضفي على الخزانة العربية كتابا او اكثر .

فبعد ديوانها الشعري « محاجر في الكهوف » الذي صور في اعقاب عام ١٩٦٧ نشرت في ربيع هذا العام ديوانا جديدا اسمته « خبأنا الصواريخ في الهياكل » وفيه عالجت بريشتها الساحرة موضوعات شعرية جريئة اتسمت ، اطارا ومضمونا ، بالطرافة والمتعة.

٣ ـ صور من البطولة

تأليف سليمان موسى ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة الهاشمية بعمان

عشق الاستاذ سليمان موسى كتابة السير واوغل في البحث عن شخصيات لعبت دورا هاما في الثورة العربية الكبرى التي حمل لواءها شريف مكة المرحوم الحسين بن علي . وكتاب « صور من البطولة » تناول فيه الاديب المحقق صورا مشرقة لشخصيات مرت حديثا بهذا الجزء الاردني من العالم العربي امثال : ناصر بن علي ، عودة ابو تايه ، علي الحارثي ، فؤاد سليم ، احمد مريود ، مولود مخلص ، سعيد العاص ، محمد علي العجلوني ، صبحي العمري ، لكن الناشز في هذا السرد حشره صورة الشيخ ظاهر العمر الزيداني (١٦٩٠ ـ ١٧٧٥) ولو اقتصر على من أرخ لهم او لو انه جلا لنا صورة البطل المجاهد سعيد عمون لجاء العرض منسجما والصور متساوقة .

وبالرغم من هذا المأخذ فلقد اجاد الاستاذ سليمان بهذا الاثر الماتع الذي يستحق عليه الكثير من الشكر .

٤ ـ أهل العلم والحكم في ريف فلسطين

تأليف المرحوم احمد سامح الخالدي ـ ٢٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ من منشورات دائرة الثقافة والفنون الاردنية ـ طبع جمعية عمال المطابع التعاونية بعمان

اضطلعت دائرة الثقافة والفنون الاردنية بنشر طائفة من الكتب القيمة كالثورة العربية الكبرى ـ وثائق واسانيد ومخطوطات البحر الميت وخمسون عاما في فلسطين وبين امريكا وفلسطين .

وآخر هذا العقد الفريد « اهل العلم والحكم في ريف فلسطين » وهو من الآثار المخطوطة التي خلفها المربي المرحوم احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية في بيت المقدس وكان همة المؤرخ الامين الاستاذ محمود العابدي مدير دائرة الثقافة والفنون ان قام باستنساخ هذه المخطوطة والتدقيق فيها ومطابقتها على الاصول واضافة بعض التعليقات في أسفل الصفحات ، وهو جهد مشكور للاستاذ العابدي الذي بادر الى انقاذ هذا الاثر من القرضة واخرجه في ثوب قشيب الى عالم النور.

والكتاب الذي نحن بصدده يتناول جغرافية فلسطين وحاصلاتها ومناخها وقراها ومشاهير أهل العلم والحكم في ريفها العربي ، وقد رتبه الاستاذ محمود ترتيبا ابجديا والحق به ثبتا باسماء الاعلام الذين ورد ذكرهم في هذه الموسوعة .

وكان من غيرة الاقتصادي الكبير السيد عبد الحميد شومان مؤسس البنك العربي ومديره العام ان نشر على نفقته هذا الكتاب الذي تعتز به المكتبة العربية ويرحب به كل مثقف عربي واع .

٥ ـ درتان فريدتان في العلوم اللغوية والعلوم الخلقية

تأليف حبيب الخوري ـ ٢٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة العصرية بالقدس

غرست يمين المربي الكبير الاستاذ حبيب الخوري رجالا في فلسطين ،

وانشأت جيلا من المتعلمين الواعين ، واختطت لهم نهجا قويما في اللغة والعلوم والاخلاق وحضهم استاذ الجيل على التمسك باهداب لغتهم ، وظل يغذي عقولهم بنفثات قلمه على صفحات مجلـــة « دار المعلمين » وشقيقتها « الكلية العربية » وظل هذا ديدنه الى ان وقعت الكارثـة الكبرى في فلسطين العربية عـــام ١٩٤٨ ، فتشتت السمار وانفض سامرهم !

وبالرغم من السنوات التسعين التي اجتازها هذا المربي الفاضل، وبالرغم من الهموم التي عصفت به وهو كهل وشيخ ، وبالرغم مـــن المصائب التي اختطفت وحيديه فؤادا وشكري ، ظـــل هـذا الشيخ الصبور حفيا بالحرف ، وفيا للكلمة ، وواصل جهده في حقلي التعليم والكتابة ، متحديا صروف الايام وعواديها ، منشدا نفسه قول فقيـد ادبنا المعاصر المرحوم جميل دياب :

خلق جموح ونفس ملؤها صلف لاتعرف الهون.. يا دنيا .. حدياك!

وبعد التسعين أبت النفس الكبيرة علـــى شيخنا الجليل حبيب الخوري الا ان يزود خزانة ادبنا المعاصر بحصيلة خبراته وثمار معارفه وتجاربه فاقدم ، وهو الواثق من علمه وفنه ، على تصنيف كتاب قيم اسماه : « درتان فريدتان ـ في العلوم اللغوية والعلـــوم الخلقية » فجاء بحق وحقيق درتين فريدتين ، وجوهرتين نفيستين فـــي اللغـة والعلوم واخرجه للايدي قبل ايام وقدمه لطلابه المنتشرين تحت كـــل نجم (وليمة) دسمة لها نكهتها ، وقال لهم غيـــر مفاخر او مزهو : « هذه وليمتي لكم وانا امسك في تلابيب التسعين ، فكلوا مـــن ثمار تعبي وكد يميني ! »

واذ نشد على يد اديبنا الكبيـــر الاستاذ حبيب الخوري مهنئين معانقين ، ندعو وزارة التربية والتعليم في الاردن الى تقدير هذا الاثر النفيس والافادة منه بعد ان تضعه في ايدي طلابنا ، ونهيب باخوان « الحبيب » وتلامذته ان يهبوا الى تكريمه الذي يفرضه عليهم واجب الوفاء نحو استاذ جليل عمل كثيرا من اجل لغة الضاد وضحى كثيـرا في سبيل تنشئة الرجال ، ونشرهم فـــي بقاع الارض سفراء علـم ، ورسل عمل واخلاق !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

●

الامـام علـي

تاليف روكس بن زائد العزيزي ـ ٢٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة النعمان بالنجف الاشرف بالعراق

ابو الحسن الامام علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، شخصية فـذة خالدة ، لها في تاريخ الاسلام قدم صدق ، وفي حياة المسلمين أعظـم الاثر ، واكبر المنزلة ، وهو صفي رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وخليله واخوه ، وابن عمه السابق الى الاسلام من شباب الهاشميين، وشباب قريش ، والمجاهد بسيفه ولسانه عن الاسلام ورسوله وعـــن المسلمين ، والناصح الامين لخلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورابع الخلفاء واجلهم حماسا في سبيل الله ، وفي الدفاع عن دينه ، وعن انسانية الانسان وكرامته ، وحرصا على التزام العـدل والمساواة بين المسلمين ، ثم هو زوج فاطمة الزهراء بنت رسول اللـــه ، وابـو الحسن والحسين عليهما السلام .. والمثل الاعلى لكل مسلم على مـــر العصور والاجيال .

والامام ـ كرم الله وجهه ـ من اعمق خلفاء المسلمين فهما لـروح الاسلام ، وجوهر الشريعة . ومن اعظمهم دفاعا عن الروح الانساني ، وعن حقوق الانسان ، وايمانا بقدسية هذه الحقوق .

ولقد كتب عن الامام طول عصور التاريخ مـــا لا حصر له مـن المؤلفات والدراسات والآراء ، وخلد الزمن ذكره على مر الاجيال .

وفي عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م اعلن في النجف الاشرف عن مسابقة في الكتابة حول شخصية امير المؤمنين علي عليه السلام . وكان هـذا الكتاب هو الذي وقع اختيار اللجنة على طبعه ..

ومنذ شهور تلقيت الكتاب ، وفرحت به ، فرحي بعزيز كريم على نفسي ، لموضوعه الجليل الخطير ، ولشخصية مؤلفه التي تحتل مـن نفوس القراء العرب مكان التقدير والاعجاب . وتأخرت فـــي قراءة الكتاب ، وانا اشد شوقا الى مطالعته ، واكثـر نهما فـي الرغبة في التعرف عليه ، والوقوف لديه ، وبدأت اقرؤه فاذا انا مشدود المشاعر والعواطف اليه ، معجب كل الاعجاب بما جمع الكتاب بين دفتيه ، من تحليل عميق ، ودراسة ذكية ، ومحاولة جادة رائعـة لتحليل شخصية الامام ، والوقوف على اسرار عظمته ، وانتهيت من قراءة الكتاب وانـا لا ادري أي المشاعر اشد التصاقا بوجداني وقلبي ، وبنفسي ولبي ، فكلها نابعة من منبع واحد ، هو الرضا بما كتب المؤلف ، والاعجـاب بما سجل ، والحب العميق لهذه المحاولة الجادة المخلصة ، في الكتابة عن الامام العظيم ، الامام الذي تأتم بـه اجيال المسلمين ، وتجعلـــه قدوتها في كل جانب ديني او انساني .

سلك العزيزي في الكتابة عن شخصية الامام منهجا متميزا خاصا به ، فالكتاب مقسم الى اربعة ابواب :

الاول : في تحليل اسباب عظمة الامام النفسية ، حيث تحـدث المؤلف فيه عن شجاعة امير المؤمنين عليـــه السلام وحلمه ، وزهده وتواضعه ، وسخائه وعدله ، وحكمته وفراسته ، وانسانيته ، وسداد رأيه . وقدم لهذا الباب بكلمة بليغة جعل عنوانها « بين يدي الامام » ثم يرسم صورة للامام ، وبالحديث عن ميلاده . وختمه بالحديث عن عصره ، وجمعه وترتيبه للقرآن الكريم .

والثاني : في تحليل جوانب عظمته السياسية ، حيث تحـدث فيه عن مبايعته للخلفاء ، وعن أخذ البيعة لـــه ، وعـــن حكومته وسياسته ، وعن موقفه من مشكلة الفقر ، وموقفه مـــن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وعن اضطهاد الامام وكيف حورب حيا وميتا، وعن علمه . وفي بحث اضطهاد الامام يقول المؤلف (ص ٧٤) : « لقد كان الامام علي نسرا محلقا فـــي السحاب ، فتكالب عليـــه الخصوم المقصرون عن شاوه » . وفـي بحث كيف حورب الامـام (ص ١١٠) يقول : « اعجب لرجل يخافه الخصوم بعد موته كما كانـــوا يخافونه وهو حي » .

والثالث : في تحليل اسباب عظمته الروحية والفكرية ، حيـث جال المؤلف جولات دقيقة في الحديث عن الرسول والامام ، وعن يـوم الغدير ، وعن فلسفة الدين في رأيه ، وعن همته التي كانت اكبر مـن الدنيا ، وفي الحديث عنه قائدا ملهما ، ومعلما مؤدبـــا ، ومبتكرا عظيما ، ومفكرا سبق عصره ، وعدوا للسفاهة . كما تكلم عن الشيعة ومتى ظهرت كمذهب ديني وسياسي ، وعن موقف الامام من الخوارج، وانتقل الى الكلام على اسرته ، وعلى بعض المثل له في الزهد ، اخذه من حياة الامام الخشنة يوم مني ببنت رسول الله صلوات الله عليه ، وعلى خدمته للاقتصاد العربي يوم أمـــر بسك الدراهم والدنانيـــر الاسلامية ، وعلى رأيه في اصناف المتعبدين .

والرابع : في تحليل جوانب عظمة الامـــام الانسانية حيث رسم فيه صورا صادقة للامام كرم الله وجهه ، مجددا عبقريا ، وانسانا فذا، وعدوا للجمود وللتعصب ، وسوابق له لحقوق الانسان . وتحدث عـن فهم امير المؤمنين عليه السلام لواجبات الامام والرعية ، وعمـــا طبع عليه من دعابة تدل على سماحة نفسه وكرم صدره . وما اروع مـــا يقول المؤلف في هذا الباب (ص ١٩٤ ـ ١٩٧) : « ابو الحسن اول من قال ان اعظم الخيانة خيانة الامة ، وابو الحسن اول مـن قال ان الولاة هم خدام للرعية وليست الرعية اقطاعا لهم ... لقد عاش حياته

من أجل الشعب، واغتاله البائسون وهو يفكر فيما يسعد الشعب..»

والخامس : في تسجيل جوانب من فكر الامام الحكيم ، وآرائه التي لا تموت ، وعلومه التي استنبطها ، ومن شعره ، والحديث عن شاعريته ، ومن أثره في مثقفي العرب . وبذلك ينتهي الكتاب .

وما اروع ما يقول المؤلف بين يدي الكتاب (ص ١٩) : «احببت الامام – كرم الله وجهه – من اليوم الذي قرأت فيه سيرته الخصبة، وحياته النبيلة ، وقد كنت أحس بأن انقسام الناس فيه دليل على العظمة . »

ويقول في كلمته « بين يدي الامام » ص ٢٠ :

تحية خالدة ابا الحسن ، تحية ايها الرجل العظيم ، تحية لبطولتك ، تحية لانسانيتك ، تحية لبلاغتك ، تحية لتسامحك ، تحية لصبرك ، تحية لحكمتك ، تحية لصراحتك ، تحية لعدلك . تحية خالدة لهذه المزايا التي اجتمعت في شخصيتك الفذة .. » .. « فانت انسان تعذب في سبيل مثله الاعلى ، ومن حقه على كل مفكر ان يسجل ما في حياتك الخصبة من اسرار العظمة » .

ويقول في كلمته في ختام الكتاب ص ٢٢٧ :

« ابا الحسن ، ايها الامام العظيم ، هذه انطباعات كانت تجول في خاطري نحوك من زمن بعيد ، حاولت ان اصور فيها نفسك الكبيرة ، شجاعتك وعلمك ، سخاءك وجودك » .. « كتبت ما اشعر انه حق ، واعتمدت على المراجع التي وثقت بها ، ولا اقول اني اطلعت على ما كتب عنك لانه شيء كثير وكثير .. سيقول بعض الذين ما تعودوا الصدق والاخلاص المجردين : ان العزيزي متحمس للامام كانه من الشيعة ، والحق اني لست شيعيا ، ولست مسلما ، بل انا عربي نصراني كاثوليكي ، والعظيم كل عظيم ليس ملكا لفرقة ولا لدين او مذهب ، وانا كما قال البحتري :

وارانـي مـن بعـد أكلف بالاشراف طرا من كل سنح وأس

لقد رسم العزيزي في هذا الكتاب اروع واصدق واوضح صورة للامام ، ولشخصيته الفذة المؤثرة في تاريخ الاسلام وحياة المسلمين ، ورجع الى نفسه والى مصادر التاريخ ، والى كل مثل حي ، وفكر نبيل يساعده على الدراسة والتحليل ، في اسلوب يتسم بالقوة ومسايرة احداث التاريخ ، واستنباط غوامضه ، وتوضيح دقائقه ، وحاول محاولة ناجحة ان يستقصي مفاتيح عظمة الامام من كل جانب من جوانب حياته الروحية والفكرية والسياسية .

واعتقد ان ما كتبه العزيزي في هذا الكتاب سيظل خالدا ابدا ، يقرأ ويتلى في كل جيل باعجاب وتقدير .

والكتاب مصدر بكلمة للسيد جواد شبر امين سر لجنة المسابقة، وفي هذه الكلمة يقول فيما يقول (ص ٥) : « هذا الكتاب من انفس الكتب وامتعها ، جمع فاوعى ، وحلل نفسية الامام فاجاد التحليل ، ووقف على فرائد درر الامام وكلماته القصار ، فاختار اضواها وانورها » . ويقول : « العزيزي له شهرته الواسعة الاطراف ، المعمورة النواحي بالاجلال والاكبار في العالم العربي ، وهذه بحوثه ومؤلفاته تزدان بها الصحف والمجلات ، وهي – ولم تزل تصابحنا وتماسينا – يرشفها الرأي العام والفكر العالمي ، وتتذوقها الطبقات المتأدبة » .

واذا كان الكتاب لم يسلم في هذه الطبعة من الاخطاء المطبعية الفادحة ، فانه لا بد ان تتوالى طبعاته ليكون في كل يد ، وفي متناول القارئين وشباب المثقفين في كل مكان ، واعتقد انه يجب ان يحاط بالعناية والاهتمام من كل المفكرين ، فموضوعه اولا ، وشخصية مؤلفه ثانيا ، وما اودع فيه المؤلف من خلاصة افكاره الانسانية ثالثا ، واسلوبه الذي يتسم بالجمال والجلال اخيرا ، كل ذلك قد اضفى على الكتاب متعة وروعة وتأثيرا ، مما افتقدناه في الكثير من المؤلفات، ولا املك الا ان اهنيء المؤلف واللجنة التي احسنت الاختيار، والفكر العربي الذي كسب بهذا الكتاب خيرا كثيرا .

القاهرة **محمد عبد المنعم خفاجي**



ظهر حديثاً

● نساء وافاعي – مسرحية شعرية في ثلاثة فصول – تأليف وديع ديب – ١٤٤ صفحة – منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● العلقة الحمراء – قصة – تأليف البارونة اودكزي – ترجمة ميشال أبي صعب – ٢٧٦ صفحة – منشورات دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) ببيروت – المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● صوت من الحياة – مجموعة شعرية – حازم سعيد – تصديق الدكتور بدوي طبانة – ١٨٢ صفحة – حجم كبير – الكتاب ٣ في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث – منشورات مديرية الثقافة العامة في وزارة الثقافة والاعلام – مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ببغداد .

● في الادب العربي الحديث : بحوث ومقالات – تأليف يوسف عز الدين – ٣٦٠ صفحة – حجم كبير – ساعدت جامعة بغداد على نشره – مطبعة البصري ببغداد .

● نجمان يهويان – مجموعة قصص – تأليف مصطفى الخش – ١٤٤ صفحة – منشورات دار الثقافة بدمشق – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ذكرياتي عن وادي الفرات عام ١٩١٦ – تأليف المهندس الزراعي احمد وصفي زكريا – تحقيق وتقديم المحامي عبد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات – ٥٦ صفحة – حجم كبير – الكتاب رقم ١ في سلسلة وثائق تاريخية عن وادي الفرات – طبع في دير الزور بسورية (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ١٩٢٨ / ١٩٦٨ – تأليف محمد حسين الصغير – تقديم الدكتور عناد غزوان اسماعيل – ٣٨٤ صفحة – حجم كبير – الكتاب رقم ١ في سلسلة القضايا العربية في الشعر النجفي المعاصر – ساعدت كلية اصول الدين ببغداد على نشره – مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● من سعير الهجر –مجموعة شعرية– شفيق القيماقجي – الغلاف من تصميم غازي – ١٤٤ صفحة – مطبعة شفيق ببغداد .

● امين الريحاني – تأليف عيسى ميخائيل سابا – ١٢٤ صفحة – الكتاب رقم ٣٩ في سلسلة نوابغ الفكر العربي – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بالقاهرة .

● الريحانيات – تأليف امين الريحاني – طبعة جديدة – الجزء الاول ٣٥٢ صفحة – الجزء الثاني ٢٩٦ صفحة – منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت – مطابع دار الريحاني ببيروت .

● مكتبة المثنى – لصاحبها قاسم محمد رجب – الفهرست التاسع ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م – ٦٦٦ صفحة – مطبعة الارشاد ببغداد .

● القرن الثامن عشر – تأليف رولان موسنييه وارنست لابروس بالاشتراك مع مارك بولوازو – باشراف موريس كروزيه مفتش المعارف العام بفرنسا – ترجة يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر – المجلد الخامس من موسوعة « تاريخ الحضارات العام » – ٦٧٨ صفحة مع صور وخرائط ووثائق – حجم موسوعي – منشورات عويدات ببيروت – مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الفصول – مجموعة شعرية – سالم الخباز – ١١٢ صفحة – ساعدت نقابة المعلمين على نشره – مطابع الجمهورية بالموصل العراق.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو السعادة

•



من أجمل المفاهيم في القوانين الدولية مفهوم حق الفرد في السعي لتحقيق سعادته . والافتراض الاول هنا هو ان الامور التي من شأنها ان تكون سعادة انسان ما تختلف عن الامور التي من شأنها ان تكون سعادة انسان آخر . والافتراض الثاني هو ان المجتمع يجب ان يخلق الظروف الصحيحة التي يستطيع فيها كل مواطن ان يسعى لتحقيق ذلك النوع الخاص الذي يلائمه هو دون سواه من السعادة . واذا تأملنا مليا في هذا المفهوم وجدنا آفاقا واسعة ومضاعفات مهمة ، منها ان المجتمع يجب ان يحترم حق المواطن في ان يكون مختلفا عن غيره . ومنها ايضا ان المقياس الذي به نقيس فائدة عمل ما او صلاحيته هي مقدار ما يضفيه من رضى وسعادة على صاحبه . واذكر مرة اني سألت اما كانت تدلل طفلها امامي ماذا تريده ان يصير عندما يكبر فقالت اريده ان يكون سعيدا فقلت ولكن هذه ليست مهنة يرتزق منها الانسان فقالت سأرى ماذا يسعده ان يقوم به فأشجعه على فعله .

وسعادة الفرد في المجتمع ليست مجرد غاية انسانية مثالية بل هي ايضا ضرورة اجتماعية واقتصادية . فالرجل السعيد يستطيع ان ينتج اضعاف ما ينتجه الآخرون وهو قادر اكثر من غيره على استغلال مواهبه استغلالا وافيا لخيره وخير الجماعة التي يعيش فيها . ويتكون في المجتمع الذي ينهج هذا النهج نوع من التعامل بين افراده له خصائصه ومميزاته ويمكن ان نسميه بفن التعايش فهناك حد يصله الانسان ولا يتعداه في معاملته مع الآخرين كما ان هناك حدودا لحريته الخاصة لا يقوم الآخرون باجتيازها الا باذن خاص منه . وكثيرا ما يسيء الخارجون عن ذلك المجتمع فهمُ هذا التصرف والاسلوب في الحياة ويعزونه خطأ الى التجافي بين الناس او البرود في العاطفة او قلة الاهتمام بشؤون الغير .

كثيرا ما يسود العلاقات بين المعارف والاصدقاء والاقارب في مجتمعنا جو من التوتر لان العتب والزعل والمشاحنات والاحقاد تنشأ لاتفه الاسباب وكم تمنيت وانا أمر في مرحلة من هذه المراحل المضنية لو ان كل واحد منا قد احاط نفسه بسياج يحدد له منطقة من التصرف لا يجد الآخرون من حقهم ان يجتازوها الا باذن خاص فيتسنى للمرء ان ينشد سعادته بالطريقة التي يراها تناسبه ويحترم له الآخرون حقه في ذلك .

لندن

فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى »

ابعاد التجربة في شعر المدني

بقلم محمد خير الحلواني

* * *

كلما انتهيت من قراءة قصيدة لشاعر المهجر قيصر سليم الخوري ـ الملقب بالشاعر المدني ـ لاحت لي صورته الوادعة الهادئة ، وتخيلته امامي بقسمات تنبىء عن طوية فذة تحببه الى النفس ، وتقربه من الروح ، ولست ادري لم احتفظ لهذا الرجل بتلك الميزة التي تميزه عندي من سائر شعراء الهجرة ؟ اكبر الظن ان ذلك يرجع الى سر يكمن في نفسه الشاعرة ، ونتاجه الذي ينقلها الينا نقلا أمينا لا اثر فيه لتناقض او زيف او محاكاة .

وما من شك في ان شعر المهاجرين كافة يمثل اضخم التجارب التي صادفت شعرنا المعاصر ، ولكنهم ليسوا سواء في نقل تجاربهم ، وتصوير نفوسهم ، فبعضهم ـ وهم كثر ـ كانوا يخضعون الى لون من التجربة يتصف بالآنية ، ولا يعبر عن فلسفة حياتية خاصة ، خذ مثلا ابا ماضي ، تجده مرة بجلباب شاعر بدوي قديم ، وتجده اخرى يلبس حلة رومانسية حالمة ، وهو ثالثة في زي شاعر انساني يحمل على الاثرة ، ويدعو الى المحبة ، على حين تراه في موضع آخر يكشف لك عن « نفعية » تناقض الاتجاه السابق وتغايره .

وقل مثل ذلك في كثير من شعراء الهجرة ـ ودع منهم ميخائيل نعيمة ـ لتجد هذه الملامح التي تكشف لك عن تجربة آنية ضيقة ، لا تشايعها فلسفة حياة ، ولا يمدها تفكير شامل يضم شتات المتناقضات والمفارقات ليربطها بخيط فكري ، ويقيم منها بناء فلسفيا ـ مهما يكن لونه ـ يصبغ التجارب القريبة والبعيدة بصبغة خاصة ، تعرف سماتها في تجربة امام الطبيعة ، وتجربة مع المرأة ، وثالثة مع الشقاء ، و... وتتحدد لك الالوان كلها ، على ما في نوعية هذه التجارب من اختلاف .

ولا اغلو في قيمة التعبير عن التجربة عند المدني ، فانا أعرف ان بينه وبين أبي ماضي وجبران ونعيمة ، ما بين المدرسة المهجرية الجنوبية ونظيرتها الشمالية ، ولكنه يتمتع بصفة ترفعه في نظر النقد ، وهي ما في شعره من بروز شخصيته على تعدد الموضوعات ، واختلاف التجارب . الظاهرة الواضحة في تجربة هذا الشاعر هي الالم المزوج بالاعتداد والسعي...

لقد شاءت له الاقدار ان يجد ويداب ساعيا وراء الرزق والحياة ، دون ان يظفر بما يكافىء سعيه من اسباب الراحة واليسار ، وهو بعد لا يقل ذكاء وسدادا عن اولئك الذين عنت لهم رقاب المال ، وذلت تحت اقدامهم صخور البؤس والفاقة .

من هذا المنطلق تمضي تجربة المدني ، ثم تتركز حولها عناصر كثيرة دون ان تخرج عنها او تند عن خطها المرسوم ، فهناك اولاده ، وهم يكونون ركيزة صلبة في بناء تجربته ، فمن اجلهم يتحمل وعثاء السفر ، ومشقة الارتحال ، ثم لا يبالي بعقبة تعترضه :

وما همني ليل وفي الدار صبية يرافقني منهم على البعد اقمار

وحين يؤوب من سفر يهرعون اليه ، فيضمهم الى صدره فينسى اتعابه ، ويسلو المكابدة والمعاناة في طلب الرزق :

قد فرجوا عني الهموم وزحزحوا عن منكبي صخرا أصم ثقيلا
لولاهم كان ضعفي قوة والعسر يسرا ، والمشيب جميلا

وكما اندرجت تجربته مع اولاده في تجربته الكبرى ، كذلك يندرج شعوره الحاد بالغربة ، وبسعي اخوانه المهاجرين الذي لا يثمر حياة وان اثمر مالا عند بعضهم ، وما قيمة المال اذا ضاعت الانسانية من نفس حامله ، وتشوهت فطرته الطبيعية فيه ، يقول للمهاجر :

بخالك المفوار يوزع الاسلاب
فان راك احتار فيما يرى وارتاب
في وجهك اصفرار وظهرك احديداب
فيلعن الدينار

ومن هنا كانت الوداعة الحلوة في جبال لبنان اشهى اليه من دينار البرازيل ، هناك تتحقق الانسانية في الطبيعة المعطاء ، وهنا تتشوه الفطرة في الطبيعة النهمة :

بعض الغنى خسران وحلوه كالصاب
كل الغنى أوطان وخيره الايباب
اليك يا لبنان

ولنترك هذه التجارب الجزئية التي تحوم في فلك هجرته وسعيه الى الرزق ، ولنقصد الى تجربته مع المرأة ، فهي اشد لصوقا بانسانيته ، واكثر تعبيرا عن خط فلسفته الحياتية ..

ولكننا لا نستطيع هنا ان نفصل عن المرأة تجربة اخرى وثيقة العرى بها ، وهي شعوره بوطأة السن ، ولعلها في هذا تأخذ بعدا نفسيا لم يكد يفلت منه انسان غزل او غير غزل . وقديما ساء زهير بن ابي سلمى ان يقول له العذارى : انما انت عمنا ..

وانك لتجد هذا الشعور بالكهولة وتقدم العمر عند المدني يطغى على تجربة الحب ، فنحن لا نجد عنده قطعة غزلية في ديوانه الجديد ، او فيما اختاره هو واخوه القروي لينشره ويذيعه في الناس ، ومع معرفتنا بأن ما حواه الديوان الاخير ، « مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق ١٩٦٦ » ، ليس كل ما قاله من شعر ، نجد من اللزوم ان نقصر دراستنا على ما جاء فيه ، لاننا لا نعرف سواه من نتاجه الرقيق .

المراة عنده كثيرة الوعود ، قليلة الوفاء . ولكن مـــا شأنها معه وقد غدا عليلا نحيلا :

لم يبق منه لوعد تصدقين بـــه غير السراب لعين الظامىء الرمـد
وليس للنفس فيه ما تـــلوذ به كانهـــا طائر في الهمـــة الحرد

اهي فكاهة ؟ نعم ، ولكنها لم تخل من روح تســري تحت حجابها الشفاف ، روح متشائمة يشعر بها الدارس لديوان هذا الشاعر ، ولا يفوته ان يجد في تلك الفكاهـة ما كنا نجده في فكاهة الجاحظ والمازني من ضروب المرارة والوان الالم ، ومن هنا لم يكن غريبا ان نجد خاتمة هـــذه المقطوعة عن المراة ، تأتي على هذا الشكل الذي يعج بالمرارة والالم :

ضيعت رشدي لما كان لي جســد ومذ وجدت رشادي لم اجدجسدي

واذا لا مجال للظن بأن شعر المدني لا يمثل نفسيته وحياته ، فأخوه القروي ينسب اليه الظرف والتـــفاؤل ، ويجد هو والقريبون منه ذلك التشاؤم الـذي يظهـر في شعره عجيبا ، وهم يعرفون عنه خلاف ما يقراون لـــه ، والحق لا مجال للاستغراب والتعجب ، فكثيرا ما يكـــون الاستخفاف بالحياة نتيجة للاهتمام بها ، والسخرية مـــن المناصب تابعة من الرغبة فيها ، وربما كان لنا من المازني ، وهو قريب عهد بنا ، والجاحظ ، شيخ الكتاب العـــرب ، اعظم مثال لذ سوقه للظرف الذي يمثل قشرة تخفي تحتهـا اعمق الالام ، وابعد انواع التشاؤم جذورا واصولا .

ما اظن اني بعدت في التعليل ، ولا تقمصـــــت شخصيات اصحاب نظريات التحليل من تلامذة فرويـد ، فشعر المدني يدل في غير موضع منه على هذا ، فالشاعر عنيف الغضب ، مهتاج الثورة ، على ما فيه من هدوء عام ، ووداعة تحس بها في معظم قصائده ، الا انه يثور ويهتاج حين يمسه شيء ، او يطعن شخصيته امر ، يكفيه مثـــلا ان يتهم بشاعريته حتى يعاني الوانا شتى من تضخـــم الذات ، والانتفاخ والتعالي ، يقول عن شعره :

هتفـت به ومـا القيت بـالا لدعـوى كاذب وسفاه غـــر
يريدون العلو بـــذم شعـــري كمـا ركب البعـوض جناح نسر
رويـدا ان ذمكـــم حصـــاة رماها مـــن رمى فـي قـاع بحر

الى جانب كثير من امثال هذا في الديوان .

واعتقد ان تجربة الالم والاخفاق في حياة الشاعـر المدني ، هي التي ولدت عنده كثيرا من المواقف التـــي يطالعنا بها شعـره ، فحملته على الاغنياء ، وشموخـــه عليهم ، واتهامهم ــ او بعضهم ــ بالغباء ، ذلك كله ثمـرة تلك الحياة المخفقة التي مني بها ، وفرضت عليه .

وهناك امور كثيرة ، اراني امر بها عجلان ذا زاد غير مزود ــ كما يقول النابغة ــ لاني احس بضيق المكـــان الذي سينشر فيه هذا البحث ، بيد انني لا استطيع الا ان اقف قليلا عند بعض الجوانب التي تلوح في ديوان هـــذا الشاعر الوديع الثائر .

انه متشائم يؤثر الوحدة ، ولكنه ليس اول شاعر في حياتنا الادبية ينحو هذا النحو في نتاجه ، هنـــاك مثلا فوزي المعلوف ، الذي فر « على بساط الريح » الى عالم ينشد فيه الراحة والدعة ، وجبران الذي لاذ بالغاب الذي تتحطم فيه الثنائيات والمفارقات ، وابو ماضي الذي هرب الى « القفر » ليتخذ فيه الليل راهبا ، وندى الفجر رحيقا ، والفضاء انجيلا ، والارض محرابا ، ولينقـــذ نفسه من الاوصاب التي تلحقه في المجتمعات البشرية ، وهناك كثير من شعرائنـــا الذين جعلـــوا فلسفـــة جان جاك روسو الطبيعية ، وقصائد ووردث وورث، منارا يهتدون به ، ومنوالا ينسجون عليه .

فما موقع وحدة المدني من هذا كله ؟

الحق ان عزلته تخلو من البعد الفلسفي الثقافـــي الذي نجده في عزلة الشعراء الشماليين ، والشعـــراء الرومانسيين ، انه اقرب الى ابي العلاء المعري ، النـاس عنده منافقون ، كاذبون ، لا يستحقون المعاشرة ، ويصعب على الانسان الحر ان يقترب منهم ، او يعيش معهم .

قربي من النـاس يولي شرهم أربا وفي ابتعـادي عنهم منتـهى أربي
مالي سـوى وحدتي خدن يرافقني في همسه لي غنى عن أبلغ الخطب

ولهذا آثر الغاب ليعتزل الناس :

افردت نفسي في مكـان ما حـل بالناس أخصب في ذراه خيـالي
في غابـة قد وفرت خـيراتهـا لذوي الخيـــال مخازن الاطـلال

ويظل محتوى الغاب عنده فقيرا ، يفقد بعـــده الثقافي الذي نجده في غاب جبران ونعيمة ، وقفر ابي ماضي ، ورحلة فوزي المعلوف ، فهو مشغول بتتبـــع جزئيات الطبيعة المادية ، يصف حركة الطيور او حركـة أولاده ، او شجرة وارفة جلس تحت ظلالها ، او سـوى ذلك مما تراه العين الباصرة في عالم المادة .. فليس هناك ظلال للمدينة الفاضلة التي تصورها الفلاسفة لتحقيـــق المثالية الضائعة في واقع المجتمع البشري ، وليس هناك ايضا ظل لمفهوم الطبيعة عند روسو ، وهو العودة الى حياة الفطرة والبساطة ، لانتشال الانسان من زحمة المدنيـة ، وضياع المقومات الانسانية فيه، وغاية ما نجده في غابه انما هو اوصاف لطبيعة صامتة ، فيها الشجر الذي نعرف ، والطيور التي نألف ، والمياه التي نحب ، ثم لا فلسفـــة ولا ثقافة .. فعزلته عزلة شاعر « شعبي » لم ينسجم مع الناس ، فهجر الحياة معهم ، ولاذ بالبعد عنهم .

وكما نلمس عنده روح المعري المتشائمة ، نلمـس كذلك عنده بعضا من خصائص المتنبي ، مـع الفارق بين الرجلين ، فالمدني يهاجم الزمان كما هاجم المتنبي الدهر ، وكلاهما يقف له اول الامر ، ثم لا يلبث ان ينحني لصروفه واحداثه،ومع هذا اللقاء نجد الفارق،لقد كان المتنبي اسدا في غضبته على الدهر ، تمرد ما شاءت له قوته ان يتمرد، وثبت ما حملته عزيمته على الثبات ، ولما انحنى له لم يفقد صفة الاسدية ، بل ظل يهمهم همهمة الليث ، ويصـــر صريره ، اما المدني فاذا شكا جاءت شكواه هادئـــة مستسلمة ، واذا غضب اتسم غضبه بالحلم والبعـد عن

الوشاح المتمرد

★

سرح خيالك في الحنين وغرد ... قلبي على شفتيك رفة موعد
تاهت جفوني في مداك ومرغت ... نفسي على قدميك جبهة سؤددي

متكبر في الضوء الا انه في ... الليل من ضلعيك سندة مسند
ان شئت لف جناحه بجناحه ... او شئت غرب في البعيد الابعد
مر النسيم به ففتق نسجه ... ورواسبا من أمسه المتجمد
مترنح في دفء صدرك ، علقت ... أهدابه بوشاحك المتمرد
خيط على كم القميص منسل ... رحماك لا تشدد عليه وتعقد

★ ★ ★

سأل السحاب الريح عن درب السرى ... فتلفتت في رقة المتودد
ومشت الى الرمضاء لا تلوي على ... زرد السحاب ولا اطار المشهد
غضبى تصارع في التململ ظلها ... وتعب من لألائه المتوقد
ثم ارتمت في رهوها وحنوها ... ما بين نافذة الهوى والمقعد

★ ★ ★

يا ريح كم خبأت فيك حكاية ... من عمري المتحير المتشرد
شجر الخريف تناثرت اوراقه ... ويقص عن املوده المتورد
آنا يبوح .. ولا يبوح .. وينثني ... وكأنه حين اهتدى.. لم يهتد..

تلك.. الحياة ، فهات، هات شرابها ... وأسكب لنا في دننا المتوحد
الليل عند سريرنا متمدد ... ظمآن يلهث في الشجا المتلبد
ابسط يديك على الظلام لعله ... ينسى من الالوان لون الاسود

الياس خليل زخريا

الصخب ، ولكنه مع ذلك لا يذل ، فهو لا يزال يتمتع بأصالة الشخصية ، ووفرة الكرامة :

ماذا أرجي ان الاقي في غد ... غير الذي لاقيته فيما مضى
تبا لعيش لا ترى نفسي به ... لولا خطوط الشيب شيئا ابيضا

وليس لنا ان ندع الشاعر المدني قبل ان نجمل خصائصه الفنية ، فهو اقرب الى القدماء ، في طريقة تعبيره عن تجاربه ، ولكن هذا ليس شيئا بجانب ميزة رائعة له ، هي ظهور شخصيته وتجاربه مرتبطة بخيط نفسي واحد ، يصبغه الالم ، ويغشيه التشاؤم ، ولكنه لا يفقد الاصالة ، ولا يفتقر الى مقومات الاديب .

حلب — محمد خير الحلواني

أصـــداء

بقلم اديـــل الخشـــن

الشويفات ـ لبنان

ماذا في نفسي !!
انشودة حزينة غاض لحنها
ضاع بين اكوام النشيج ...
وتهمس رفيقتي :
هم كالسنونو ،
يطلون مع الربيع
ويذهبون معـــه ...
وتتكىء السنابل ،
تنثر الحبـات الذهبية ،
حبة حبة .
انطلق مدافعة ،
يرمقني الغير ،
فاسبل اهدابي
اذرذر الغفران .
« يا حبيبي ...
ويحترق الليل الغافي
اغرق في النار
وتضيء اصابعي
كالشموع في ليلة العيد ،
أقرأ في افق وهاج .
ادير الشريط
واغترف من شلال منساب .
شجرة يانعة اظلتنا ،
الحانها مهدهدة
واحلامنا مواسم واعدة
هـلا ذكرت
بريق ثمارهـا
كلما لعبت الريح في الغصون !!

مر الربيـــع ،
ومر الصيف ،
اطلت اطيار السنونو وهاجرت ،
والثمار نضجت ، وطاب قطافها ،
وفي الليالي الحالكة
صحوت على ذوبان شموعي .
على احتراق صلواتي
على ضياع الشذى
المتطاير من سلال الربيع .
احلامي صمتت ،
ماتت كصدى الاجراس
والرياح جرفت خطاك ،
حملتها بعيدا
وبقيت وحدي ،
في حديقتنا الباكية ،
الخريف سطا على الاشجار
كانت شجرتنا عارية
يكبل ظلها حزن متغلغل
ويثقل اغصانها صمت موحش .
نظرت ابحث :
اوراقها متناثرة شاحبة
عروقها ناشفة ،
لا تحمل كلمة
لا ترعشها همسة .
الاغصان العارية تلاحقني ،
سياطا هاوية لاهرب ،
لاترك المكان ،
الاوراق اليابسة تخش ،
اجراسا تنذر ،
والارض تنزلق تحت قدمي
تميد كالخشبة
على صدر محيط .
وركضت بعناد
ادوس الثمار المنسية .
اسند بيدي
قلبي المتصدع تحت ضربات المطارق
امسح الدموع
واعانق الشوق الهارب
ووقفت لاهثـة
على احد البيادر
اودع اشيائي الحبيبة .
كان الضباب يغزوها بكثافة
ويلفها حزن هادىء .
وهمست باسمك
ايها الحبيب الهاجر ...
والتاعت الاغصان
تنثر اوراقها الذهبية .
ورقة ورقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور احمد الشرباصي

الشاعر محمد مصطفى حمام

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

« انما المرء حديث بعده » ..

هكا قال الشاعر القديم ، ولقد كان المرحوم الشاعر « محمد مصطفى حمام » يملأ علينا دنيانا شدوا وغناء ، وطربا وبهجة ، فأصبحنا الان بعد فقدانه نحاول ان نملأ الفراغ الكبير الذي خلفه بكلمة ذكرى او نفثة وفاء .

ولد الشاعر محمد مصطفى حمام في اليوم الثامن عشر من اغسطس سنة ١٩٠٤ ببلدة فارسكور من اعمال مديرية الدقهلية حينئذ بمصر . وكانت اسرته اسرة متوسطة الحال ، تتسم بالتدين ، وتنتسب الى آل الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان والده موظفا في مصلحة السكك الحديدية ، ولكنه مات وابنه فتى صغير ، ثم لحقت الام بزوجها بعد قليل ، فواجه فتانا الحياة محروما من عناية الاب وحنان الام .

وتعلم « حمام » اول ما تعلم في « المكتب » ، فعرف فيه مبادىء القراءة والكتابة وقواعد الحساب ، وحفظ القرآن الكريم ، وكان صاحب صوت رخيم ، يجيد به ترتيل الآيات البينات ، ثم دخل مدرسة فارسكور الابتدائية ، وحدث ان زار المدرسة حينئذ السلطان حسين كامل ، واختارت المدرسة فتانا ليلقي امام الحاكم خطبة اعدوها له ، ولكن التلميذ الجريء الطموح اغفلها ، والقى خطبة غيرها ، وكان موفقا فيها اسلوبا والقاء . فاستدعاه السلطان وحادثه معجبا به ، ولمح فيه بوادر ذكاء باهر ، فأهدى اليه ساعة قيمة ، وقرر ان يكون تعليم التلميذ على نفقة السلطان في جميع مراحل التعليم .

وانتقل «حمام» الى المدرسة الخديوية بالقاهرة، وكان يومئذ اصغر تلميذ يدخل المدرسة الثانوية ، ونال منها شهادة « الكفاءة » وهنا مات السلطان حسين ، وتولى الحكم الملك فؤاد ، فانقطعت نفقة التعليم عن « حمام » واستمر في المدرسة حتى نال الشهادة الثانوية « البكالوريا » ...

وكانت عند « حمام » ملكة حفظ قوية مدهشة ، فهو يحفظ الصفحات الكثيرة عقب قراءتها مرة او مرتين ، وهو يحفظ القصيدة الطويلة بسرعة ، وقد طوعت له هذه الملكة ان يحفظ الكثير الضخم من الاشعار والاخبار والازجال .

وقد اشترك « حمام » في ثورة سنة ١٩١٩ حيث كان لبلده : « فارسكور » شأن مذكور في احداث هذه الثورة ، وعرف الاعتقال والسجن وهو فتى يافع دون الخامسة عشرة من عمره ، وبعد نيله شهادة «البكالوريا» انقطع عن الدراسة ، واشتغل في وظيفة بادارة التعاون في وزارة الزراعة ، حيث كتب كثيرا في مجلة « التعاون » ، ثم انتقل الى وظيفة في وزارة الشئون الاجتماعية ، ثم الى مراقبة الصحافة ، ثم الى مصلحة البريد ، ثم استقال سنة ١٩٥٢ لينتفع بقانون « تسوية المعاشات » وليشتغل صحفيا متحررا من قيود الوظيفة ، مع انه كان موظفا بلا وظيفة ، فهو في اثناء عمله في الوظائف السابقة الذكر لم يكن يرتبط بمكتب او عمل او مواعيد .

وكان يعتقد ــ وله بعض الحق في اعتقاده ــ ان مواهبه الادبية يجب ان تكون خير شفيع له بأن يضمن قوته وقوت اولاده دون خضوع لقيود الوظائف ، وكان يأسى اعمق الاسى حين لا يجد الحياة تعطيه مصداقا لهذا الاعتقاد .

ولقد عرفت الشاعر الموهوب ، وصادقته سنوات طويلة ، وكنت ادعوه كثيرا الى القاء قصائده في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين في احاديث الاثنين ، ومحاضرات التفسير ، وندوات شعراء الاسلام ، والاحفال الاخرى التي كنت انظمها في هذه الدار ، وكنت استكتبه عقب كل اجتماع ما انشده من شعر لاحتفظ به ، وما زلت اذكر ندوة من ندوات الاثنين جعلت موضوعها « علمتني الحياة » ، وطلبت الى الشاعر ان يختم هذه الندوة بقصيدة في موضوعها ، وجعلت استحثه لنظم هذه القصيدة حتى فعل ، وجاء فألقى قصيدته الرائعة التي يقول في اولها :

علمتني الحياة ان حياتي ... انما كانت امتحانا ثقيلا
قد ارى بعده نعيما مقيما ... او ارى بعده عذابا وبيلا
عل خوفي من العذاب كفيل ... لي بالصفح يوم ارجو الكفيلا
عل خوفي يردني عن امور ... خبثت غاية وساءت سبيلا

والتي ختمها بقوله :

علمتني الحياة اني ان عشت ... ست لنفسي اعش حقيرا هزيلا
علمتني الحياة انني مهما ... اتعلم فلا ازال جهولا

واذكر ان الشاعر كان يلقي هذه القصيدة ليلة القاها بكل جوارحه ومشاعره وانفعالاته ، وما كاد ينتهي من القائها حتى انفجر باكيا ، وجلس يجفف دموعه ، ووقفت اعلق على هذا الموقف بما اسعفه به اللسان ، وكان اخي الاستاذ الشيخ محمد الغزالي مشتركا في هذه الندوة فتأثر بالموقف كثيرا ،وحرص على ان يأخذ القصيدة وينشرها في بعض كتبه ، وكان « حمام » يتلطف حينما يلقاني ويقول: لولاك ما تمت هذه القصيدة.

وكان « حمام » يعجب بالشاعر الفذ احمد شوقي ، ويشيد به وينشد له ، وكان من العادة ان انظم كل عام مهرجانا باسم « شوقي شاعر الاسلام » ، فحرص « حمام » على ان يشاركنا هذه المهرجانات شاعرا تارة ، وناثرا تارة اخرى ، ولحمام قدرة في الخطابة لا تبعد عن مقدرته في الشعر .

وفي احيان كثيرة كان يحضر الى الندوات التي انظمها بعد ان اكون قد اتفقت معه على الاستعداد بقصيدته قبل الندوة بوقت كاف ، ولكنه يحضر دون ان يعد شيئا ، ثم يطلب مني ان يجلس خلف الخطباء ، ويطلب اللفائف واقداح القهوة ، ويأخذ في النظم ، فما يأتي موعده مع الجمهور حتى تكون قد استوت له قصيدة من رائع شعره . ومن الظواهر البادية فيه انه لا يبالي بقيود المواعيد ، واذكر اني اعطيته يوما نسخة من مسرحيتي « الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز » ورجوته ان ينشيء مسرحية شعرية عن خامس الراشدين ، فوعد فأكدت الرجاء فأكد الوعد ، حتى حملته على ان يكتب « اقرارا » بتنفيذ ذلك ، واشهدت عليه بعض الادباء الحاضرين بتوقيعهم على « الاقرار » ، ومضت الايام ومات « حمام » ، وبقيت مسرحية عمر بن عبد العزيز الشعرية امرا مطويا في ضمير الغيب ..

واضطر حمام ـ وقد ضاقت عليه مسالك الحياة واتسعت مطالبها وتبعاتها ـ الى الرحيل عن وطنه الى ارض الحجاز ، واقيم حفل لوداعه في نقابة الصحفيين كنت احد خطبائه ، وتجلت فيه ايات التقدير من الادباء والشعراء لحمام ، وكأنه كان يقول في نفسه : ليت هذا التقدير الفياض استطاع ان يغنيني عن الرحيل .

سافر الشاعر الى السعودية وكانت العلاقات بينها وبين القاهرة حينئذ طيبة مستقرة ، وهناك عمل مراقبا لغويا للاذاعة السعودية ، وبذل نشاطا واسعا فيها ، واخذ يمد اولاده بما يقيمهم على طريق الحياة ، ثم ساءت العلاقات بين البلدين يوما بعد يوم ، وحمام هناك يكتب ويخطب ويذيع ، ثم اشتدت العلاقات بين البلدين سوءا بسرعة عاجلة ، وحاول الشاعر قدر طاقته ان يتخلص مما ارتبط به بعد ان تأزمت الامور ، وما كاد الباب يفتح امامه حتى سارع بالسفر الى الكويت ، حيث عمل خبيرا باذاعتها ، وواصل نشاطه فيها ، ثم رحل الى بعض امارات الخليج العربي ، ثم عاد الى الكويت، واستمر يخطب ويكتب ويذيع حتى مات ..

ان هذه الفترة من حياته سببت له ولاولاده من ورائه بعض المتاعب ، ونشرت في افقه بعض الغيوم ، مع انه كان يجاهد بقلمه ولسانه ليكفل ابناءه ، وكان يبدي وفاءه لبلاده في كل مناسبة ، ويطوي على هذا الوفاء صدرا مثخنا بالجراح ، ولقد رايت الشاعر في السفارة المصرية بجدة وانا في رحلة الحج سنة ١٩٦١ ، وقد اقبل علينا في الثياب العربية ، فما كاد يرانا حتى فاضت دموعه ، واخذ يترجم عن حنينه لبلاده واولاده .

وكان حمام يكتب الي احيانا وهو يطوف بهذه البلاد العربية ، وكانت رسائله تترجم بوضوح عن حبه لبلاده ، وحرصه على العودة اليها ، ولكن الظروف لا تعاونه على ذلك . وكان يرسل الي مع هذه الرسائل قصائد له يريد نشرها ، ومن بين هذه القصائد قصيدته « دموع في المدينة » التي نشرتها له في رسالة « دعوة الاسلام » الصادرة في اول ديسمبر سنة ١٩٦٢ .

لقد كان الشاعر الموهوب محمد مصطفى حمام اديبا شاعرا ، وخطيبا كاتبا ، وراوية حافظا ، وظريفا مداعبا ، كان يكتب الجزل القوي ، وينظم المتين الرائع ، ويخطب مرتجلا فيأتي بالجيد من العبارة والمعنى ، ويروي من افانين المأثور ما يدل على ذوق وحسن اختيار ، وينشدك من منقوله ، فتشعر بسعة اطلاعه على تراث الاولين ، ويحادثك فاذا هو يطرفك بما يمتعك او ينفعك .

وكان حمام يكتب الخطب السياسية الطنانة لبعض كبار الزعماء ، دون ان يأخذ مقابل ذلك سوى التافه القليل من المال ، وكان هؤلاء الزعماء يلقون تلك الخطب على الالوف ، وتتردد بأصواتهم اصداء الاذاعة ، وتسجل لهم الصحف ما رددوا ، ويعجب الناس بما سمعوا او طالعوا، والقليل من الادباء او الاصدقاء هم الذين يعلمون ان هذا صنع « حمام » . وكم كسب هؤلاء الزعماء بتلك الخطب في مجال الزعامة والسياسة .

وكان شاعرنا صاحب قدرة عجيبة على تنويع الاساليب ، فمن سهل ممتنع ، الى سجع ملتزم ، ومن اسلوب ميسور قريب ، الى اسلوب يعلو ويسمو ، وكانت له قدرة في الاغراب اللغوي وحشد المفردات المعجمية القليلة الاستعمال حينما يريد ، وكان يصنع احيانا شعرا يحشوه بذلك الغريب الذي يستمده من المعجم تارة ، ويصنعه بنفسه تارة اخرى، وقد نشر كثيرا من المقطوعات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعرية الغريبة ، وكان ينسبها الى صديقه الاديب اللغوي الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولي عليه رحمة الله .

وكان شاعرنا بارعا في تقليد الفحول من الشعراء المتقدمين والمتأخرين ، وقد قلد امير الشعراء احمد شوقي في مقطوعات شعرية ونسبها اليه على انها من الشوقيات المجهولة ، وما زلت اذكر مجلسا نسب فيه « حمام » قصيدة الى « شوقي » ، وكاد الجالسون يقتنعون بأنها شوقية مجهولة ، ودخلت حينئذ ، فاستشهد بي ، واعاد انشاد القصيدة ، فقلت : انها ليست شوقية مجهولة ، ولكنها « حمامية جديدة » ، ولولا اني اعرف عنه من قبل تقليده شوقي ونسبته الاشعار اليه لما استطعت ان اكشف حيلته ، فقد كان التقليد بارعا .

ولقد كتب المرحوم « حمام » في مجلات كثيرة منها التعاون ، والشباب ، والصرخة ، والرياض ، وصوت الشرق ، والدنيا الجديدة ، والشرق العربي ، والبعكوكة وصوت العروبة ، والاستقلال ، ودنيا الفن ، ومسامرات الجيب ، والمصور وآخر ساعة وغيرها .

وكتب في صحف يومية كثيرة منها : الاهرام ، والبلاغ ، والسياسة ، والقاهرة ، والزمان . ولو جمعنا كل ما كتبه حمام لتكون من ذلك مجلدات ومجلدات . وخاصة اذا رددنا اليه ما نسبه الى غيره .

ولقد حرر مجلة « الرياض » حينا من الزمن ، وكان يحررها من الفها الى يائها تقريبا ، ويحشد فيها الكثير من اشعاره ، وكأنه كان يحاول بذلك تقييد هذه الاشعار حتى لا تضيع ، واصدر اخر عدد من هذه المجلة في شهر يناير سنة ١٩٥٩ .

ولم يكن للشاعر الراحل مصدر معين ثابت للكسب ، بل هو يكسب بقمله ولسانه ، وبالكتب يؤلفها لغيره ، وبالخطب يدبجها لسواه ، كما يكسب معونة الاصدقاء والمحبين من الوجهاء ، وكان رحمه الله غير موفق في سياسة المال ، فهو قد يأتيه جزافا ، ثم يذهب من يده كما جاء جزافا ، وكان يقترض ويعجز عن الوفاء ، وكان يستدين ثم يتابعه الدائنون ، ويوضع المال في يد فلا يبخل به على نفسه او اولاده او من يراه محتاجا من الناس ، والكثيرون الذين كانوا يتابعون تنقلات حمام بين الفيشاوي ونقابة الصحفيين والاندية الاخرى بالقاهرة يعرفون الكثير من اخباره في هذا الباب .

وكان حمام يضمد للناس جراحهم على حين تنزف جراحه الدماء غزيرة ، وكان يضحك ويطرب ، وفي اعماقه احزان والام ، وكأنه صاحب البيت المشهور الذي يقول :

لا تحسبوا ان رقصي بينكم طرب فالطير يرقص مذبوحا من الالم

لقد كان حمام يلقاك شاكيا حاله ، ثم يطرفك بدعابة او نكتة ، ثم يسمعك شيئا من محفوظه ، ثم ينشدك جانبا من شعره ، ثم يقلد لك الشعراء والزعماء ، ثم يسمعك غرائب المفردات اللغوية منثورة او منظومة ، ثم يرتل لك آيات من القرآن الكريم بصوت رخيم ، ثم يغني لك اغنية عاطفية ، ثم يبكي ، ثم يهدأ ، ويعود الى استئناف ما كان من امره .. لقد كان عجبا من العجب ، وبذلك اضاع نفسه ، ويمكن ان تقول ايضا : وبذلك صنع شخصيته المتميزة في جيله .

ولقد تجلس الى حمام وانت مكروب او حزين ، فاذا هو ينتزعك انتزاعا مما انت فيه الى الضحك والبهجة ، وهو يستطيع ذلك بدعابته ، وانشاده ، وانشائه وغنائه ، وترتيله ، وتقليده ، وانتحاله ، وفنون اخرى له.

وفي يوم الاربعاء ٢٥ مارس سنة ١٩٦٥ لفظ الشاعر حمام اخر انفاسه في الكويت بعد مرض بالذبحة الصدرية كان الشاعر فريسة له خلال ثلاثة ايام ، ثم نقل جثمانه الى القاهرة ودفن بها في اليوم التالي ، وترك من خلفه اكثر من زوجة وعشرة اولاد من البشر ، ولكنه ترك بجوارهم ثلاثة اولاد آخرين هم « دواوينه الثلاثة » : (ديوان حمام) و (من المحيط الى الخليج) و (الكويت) . وهذه الدواوين الثلاثة من حقها ان ترى النور ، وان تعرف طريقها الى النشر اللائق بنبوغ صاحبها ومكانته الادبية ، ومن واجب المسؤولين عن الثقافة والادب في هذا المجتمع الحاضر ان يعنوا بنشر هذه الدواوين .

هذه لمحة خاطفة اقدم بها موكب الذكرى للشاعر الصديق الراحل الاستاذ محمد مصطفى حمام ، وان بين يدي من معلومات عن الشاعر ، واثار له ، وفي ذهني من حديث عن حياته وشاعريته وشخصيته ، ما يكفي لوضع كتاب عنه اؤدي به واجب الوفاء والانصاف للشاعر الذي قال لنا قبل ان يرحل :

ما كان من سيرتي مرا سألتكم نسيانه ، واذكروا بالله ما عذبا

رحم الله الشاعر الموهوب ، والهم امته التوفيق لاداء واجبها نحو شخصيته الادبية ، ونحو اسرته واولاده ، ونحو شعره الكثير الرائع . والى لقاء ارجو ان يكون غير بعيد .. .

القاهرة **احمد الشرباصي**

بلا حدود

تأتي على الانسان ساعات
يرى فيها الحياة .. بلا حدود !
فعقاله الارضي يصبح، في الهناءة ،
فوق مهزلة القيود
لكنها اللحظات .. وا أسفي !
اذا صدقت .. تروح ولا تعود

حلب **علي الناصر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت الصدمة التي واجهها أبوه في تجارته أقوى من ان يتحملها .. فمرض واشتد عليه المرض .. وطال .. وكانت هذه الصدمة بداية للون جديد من الحياة ابتدأت أسرته الصغيرة تعانيه ...

وما هي الا ايام قلائل .. حتى انفق جميع ما لديه من المال .. فكان عليه ان يستدين .. فاستدان .. وأثقله الدين فباع أثاث البيت..

ولاحظ ابنه .. ذلك الصبي ابن الثالثة عشر ربيعا امه وهي تعود به كل يوم بعد زيارة والده في المستشفى .. تبحث عن أي شيء تبيعه لتشتري بالثمن دواء لوالده ..

كان يحس ذلك .. فانه لم يكن شأنه كشأن الصغار في مثل سنه فقد كان شديد التأثر فيما كان يحيط به من مجريات وحوادث ..

وكان يسأل أمه عن تلك الاشياء التي تباع في تلك الحوانيت .. حوانيت المرابين (الرهونات) والتي امتلأت بالكثير من اثاث البيت والملابس ...

وكانت تجيب عليه بنبرات حزن عميقة :

ـ عندما يشفى والدك سيعوضنا الكثير عنها .

ولكنه كان يحس بشيء آخر .. اجابة اخرى .. تخفيها عنه أمه فليست هذه الاجابة السريعة بالتي يقتنع بها ..

انه يعلم ان أباه يحتاج لمال كثير لعلاجه ..

كما انه يتذكر في يوم ما .. أرسله والده قبل وطأة المرض عليه لاحد اصدقائه بوريقة صغيرة .. وعندما اعطاها لهذا الصديق سلمه بالتالي مبلغا واوصاه بان يسرع لتوصيله خشية ان يقع منه ..

انه فعلا يتذكر ذلك .. يتذكر انه تردد اكثر من مرة على اكثر من صديق لوالده .. الى ان وقف ذات يوم بين يدي احد الاصدقاء وهو يقدم اليه الوريقة الصغيرة ..

وفوجيء ذلك الصبي بأن الرجل ردها اليه متجهما .. وارتفع صوته قائلا :

ـ قل لوالدك عندما يسدد ما عليه سأعطيه ما يطلبه ..

ولم ينطق الصبي .. بل وقف حائرا .. واحس حينئذ بأن هذه الكلمات صفعات انهالت على وجهه ..

وعندما عاد الى البيت وسأله والده عما فعل ..

صمت .. ثم اعطى له الوريقة قائلا :

ـ لقد ذهبت لعمي صالح فلم اجده .. وعلمت انه سافر الى الصعيد .

وجرى .. ولم يقل الحقيقة .. لانه يعرف ان المبلغ كان املا بالنسبة لوالده ...

ودخل غرفته .. وانكب على الوسادة يبللها بدموعه ..

ولقد حزن ذلك الصبي لمرض والده ..

والده الذي كان يقضي معه .. هو .. وأمه .. يوم عطلة متجره في النزهة .. في الحدائق العامة، وكان يسرف في مداعبته ..

« يا رب اشفي بابا » ..

هكذا كان دعاؤه كلما تذكر محنة والده ..

وفي غروب ذلك اليوم ..

خرج من البيت حاملا بيده الصغيرة القفص المعدني الذي يستكن بداخله عصفوره الذي اهداه له والده بمناسبة نجاحه في العام الماضي ..

وسار يضرب الارض بقدميه الصغيرتين .. هنا .. وهناك .. باحثا عمن سيشتريه .. وكيف يبيع ذلك العصفور .. العصفور الجميل الذي اصبح صديقه الحبيب .. جزء لا يتجزأ منه ..

ولكن من أجل شفاء والده يهون كل شيء .. يبيع عصفوره .. يبيع عمره .. يبيع كل شيء .. كل شيء .. وهو لا يملك سوى ذلك العصفور ..

ورن في اذنيه حديث صديق يأتي من بعيد كالاطياف ..

ـ الهدية لا تباع .. ولا تهدى..

ولكن من أجل شفاء والده .. يبيع كل شيء .. وكان يسرع في خطواته كأنما يهرب من صوت ذلك الصديق ..

ومر بتلك الحوانيت التي اعتادت امه ان تبيع لهم اشياءها ، ولكنهم رفضوا شراء ذلك العصفور .. حتى اهتدى اخيرا .. الى محل اشتهر صاحبه ببيع كل شيء .. حتى سمي باسم محل (كل صنف) ..

وذهب اليه في تردد .. وفي خطوات ثقيلة ..

فرنا الى صاحب المحل الذي كان جالسا امام محله بضخامة جسمه يدخن النرجيلة ..

وعندما وقف امامه سأله على الفور :

ـ نعم .. اتريد شيئا ..

ولم يجب الصغير الا بعد فترة صمت قصيرة :

ـ نعم اريد .. اريد ان ابيع هذا العصفور ..

فاستطرد الرجل ضاحكا :

العصفور

بقلم رستم كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ حتى العصافير سأتاجر فيها .. ارني ذلك العصفور ..

وقدم الصبي عصفوره في تردد عنيف .. واخيرا اعطاه لـه وكأنه قد اعطاه جزءا من جسده ..

وعندما امسك الرجل بالقفص ظل يتفحصه في تؤدة ..

ثم استطرد قائلا :

ـ ماذا تطلب فيه من ثمن ؟

ـ لا ادري .. فلم اتعود الشراء .. او البيع من قبل ..

ـ ثلاثون قرشا .. لا غير ..

وصمت الصبي .. وكأنه يحدث نفسه دون ان ينطق بحرف واحد..

« يا لجشاعة هـذا الرجل .. ثلاثون قرشا للعصفور وللقفص..»

وقطع صمته الرجل قائلا :

ـ خمسون قرشا .. لا غير .. ولا ازيد ..

ولم ينطق الصبي ..

فعاود التاجر حديثه :

ـ اذن خذ هـذا العصفور .. ودعني . .

فأسرع الصبي قائلا :

ـ ابدا .. ابدا انني موافق .. موافق على بيعه بهذا الثمن ..

ودس الرجل يده في جيبه .. واخرج ورقة مالية بخمسين قرشا واعطاها لـه ..

فشكره الصبي وانصرف ..

ولو خير .. وطاوع فؤاده لما ترك المكان .. فقد كان يسمع صوت عصفوره المتلاحق .. وكأنه يناديه .. ويرجوه ان يأخذه معه ولا يتركه ..

وشيعه الصبي بنظرات حزينة..

وكانت الدموع تلمع في عينيه الصغيرتين ..

وعندما عاد الى البيت ..

وجد أمه تجلس القرفصاء على الاريكة التي توجد عند مدخل الدار ..

فحياها بتحية المساء ..

وجرى نحوها .. وقبل يدها ..

ثم اخرج من جيبه الورقة المالية ..

ودسها في يدها دون ان ينطق بكلمة واحدة .. فأمسكتها بيدها المرتجفة ولم تسأله عن مصدرها ..

ولكن .. قامت من جلستها .. واتجهت الى غرفته باحثة عن شيء طرق بذهنها .. وعندما عادت اليه تسأله بنبرات حزينة :

ـ حتى ذلك العصفور !!

فصمت .. ورانت بينهما لحظات صمت مطبق تعبر عما تخالجه نفس كل منهما من تضحية في سبيل الرجل المريض ..

ثم جذبته الى صدرها .. واحتضنته في حنان .. وقد احس بدمعة ساخنة سقطت على خده ..

وفي غروب كل يوم ..

كان الصبي يسير على الرصيف المقابل لمحل (كل صنف) الذي باع عصفوره لصاحبه ..

فيراه من بعيد معلقا عند مدخل المحل .. ورغم ضجيج الشارع كان يود ان يسمع غناء عصفوره ..

ولكن بلا فائدة ..

ومرت ايام ..

انشغل فيها عن الذهاب الى رؤية عصفوره وذلك بسبب شدة مرض والده وملازمته لـه خلال الازمة الحادة التي انتابته ..

حتى ذلك اليوم الذي عثرت فيه يداه على بقايا طعام عصفوره المباع .. فتذكره وحمل ذلك الطعام .. وهرع الى هناك ..

وفوجيء بأن محل (كل صنف) مغلق ..

وعندما سأل احد جيرانه .. علم ان صاحبه ملازم الفراش منذ يومين ..

وانشغل ذهنه ..

وسأل نفسه مرارا ..

كيف ذلك .. والعصفور .. العصفور .. يموت بهذا الشكل .. كيف كيف ..

وحاول ان يطمئن على حياة عصفوره ..

ولكن كيف ؟؟

وارتسمت امام عينيه آلاف من علامات الاستفهام ؟؟؟

وظل حائرا ..

ثم اهتدى اخيرا لمحاولة رمي منديله امام المحل ..

ولما رماه .. انحنى كمن يلتقطه .. وقارب اذنه الى باب المحل المغلق عسى ان يسمع صوت العصفور .. كان يود ان يطمئن على حياته ..

وبينما هو كذلك ..

شعر بيد قوية هبطت على كتفه كاد بسببها ان يقع على وجهه ..

كانت يد الشرطي ..

وصرخ في وجهه ..

ـ قم يا لص ..

فالتفت اليه الصبي في ذعر ورعب قائلا :

ـ لست لصا ..

وجذبه من قميصه .. وتكاثر الناس حولهما ..

وصرخ الصبي ودموعه تنهمر على خده وهو بين قبضة ذلك الشرطي.

ـ انني اعرف صاحب هذا المحل ..

وقال الشرطي .. في سخرية..

ـ تعرفه .. صديقك .. تعال معي ..

وبينما هو يجذبه خرج من بين الواقفين صوت رجل اسمر اللون..

ـ طالما هو يعرف الحاج صاحب المحل .. فخذه (يا شاويش) الى بيت الحاج لانه مريض .. فاذا صح حديثه فاتركه .. واذا لم يكن صادقا .. فلك الحق ان تتخذ معه ما تشاء ..

ووافق الشرطي على مضض .. وأخذه معه وارشدهما طفل الى بيت صاحب المحل . .

وعندما دخلا غرفة الرجل المريض ..

تذكر الصبي رقدة ابيه ..

وعندما سأل الرجل الشرطي عما يريد ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطائر الغريب

★

ايها الطـــائر الغريب سـلاما ... ما حكاياك عـن زهور الخزامى
اتراها بعطرها الحلـو باحت ... ام تراها تضم سـر الندامى
يا جناح الهوى، اعرني انطلاقا ... نحو من اشعل الضلوع ونامـا
هزني الشوق للاحبـة فاحمل ... للذي غاب من حنيني جامـا
تعب الفكر مـن حديث ظنوني ... وسؤالي الى متـى ؟ وعلام ؟
خبـر الهاجريـن ان فؤادي ... لم يزل يرشف الكؤوس القدامى
مترعات بذكريـات غـوال ... مـا عرفنا بروضها الالامـا

اللاذقية — مها غريب

ـ آسف يا سيدي لازعاجك .. ولكن هذا الصبي وجدته يقترب من باب المحل ليعالج فتح احد اقفاله فعندما قبضت عليه ادعى معرفتك فسارع الطفل قائلا :

ـ يا سيدي لقد سقط منديلي على الارض بجوار المحل عفوا فهبطت لانتشاله .. الا تعرفني ..

وصمت الرجل ثم قال :

ـ والله يا بني .. لـ ..

فقاطعه الصبي قائلا :

ـ انا الذي بعت لك العصفور ..

ـ آه .. نعم .. نعم .. لقد تذكرتك ..

فأسرع الشرطي .. مخاطبا الرجل :

ـ اذن ما رايك .. في هذا الامر ..

ـ طالما عرفته .. اظن لا داعي للقبض عليه .. وشكرا لك .. وليقظتك ..

وعندما انصرف الشرطي ..

عاد الرجل يسأل الصبي عن السبب الذي دعاه للذهاب الى المحل ..

فصمت .. وكاد ان يبكي ..

وبدأ يقص عليه طرفا من قصته .. وقصة والده الملازم للفراش .. وسر حبه لعصفوره ..

وعندما انتهى الصبي من قص روايته .. قام مستأذنا .. وقبل ان ينصرف قال :

ـ شفاك الله يا سيدي .. وقبل ان انسى هذه بقايا طعام للعصفور خذها فهي هدية بسيطة اقدمها له.

وبينما كان الصبي يمد يده لاعطاء الرجل طعام العصفور ..

استطرد الرجل قائلا وهو يعتدل في رقدته :

ـ دع طعام العصفور معك فلست في حاجة اليه ..

وبينما كانت الشغالة تضع كوبا من الماء بجوار السرير .. همس الرجل في اذنيها ..

فخرجت من الغرفة ..

وبعد لحظات ..

عادت تحمل القفص المعدني الذي يستكن بداخله العصفور (الكنارية) الصغير ..

كان العصفور يغني كأنه عرف صاحبه ..

ثم قال الرجل :

ـ خذ هذا العصفور ..

فأسرع الصبي قائلا :

ـ آسف يا سيدي .. كيف آخذه وليس معي ما استرد به ..

فابتسم الرجل قائلا :

ـ انه هدية مني اليك ..

ووقف الصبي مشدوها لا يكاد يصدق ما حدث .. وكاد وبدون وعي ينصرف ومعه عصفوره فنادى عليه صاحب البيت قائلا :

ـ تريث قليلا .. هذه هديتك انت .. اما هديتي لوالدك .. فخذ هذه ..

ودس في يده الصغيرة ورقة مالية قدرها عشرة جنيهات ..

وعجز لسان الصغير عن الشكر ..

خرج الصبي .. الى الشارع تسابقه احاسيس شتى وانفعالات متباينة وكأنه يقول في نفسه :

ـ انني اسعد انسان في العالم..

لقد كانت هناك سعادة شاملة تحتويه حقا ..

كان يطوي في احدى يديه الورقة المالية .. كأن أصابعه خزانة حديدية محكمة تحتويها ..

وتعلق في يده الاخرى القفص وبداخله عصفوره الحبيب ..

وقد ارتسمت على شفتيه بسمة فرحة .. وثمة خطان من الماء الساخن ينسابان من عينيه حتى اسفل ذقنه ..

كان فمه يضحك ..

وعيناه تبكيان ..

القاهرة — رستم كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

حي بن يقظان قصة رائدة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

لم تأخذ قصة حي بن يقظان نصيبها التام من التحليل والتوضيح ، فهي اثر فذ خالد يشير الى عبقرية نادرة ونبوغ ناضج ، ولها صلات متشعبة باكثر من ناحية من نواحي البحث العلمي ، فرجال التربية يرون فيها مثالا لما تحدثه التربية الفطرية السليمة من آثار، ويستدلون بها على اثر الطبيعة في تنمية الحواس وشحذ الادراك ، والذين يتحدثون عن نشاة الحياة على الارض يرجعون اليها في ملء الفجوات التي تتسع امامهم حين يفترضون اشياء معقولة يظنونها قد استقامت على نحو من الانحاء، ثم يضطربون في ايصال الحلقات لتسير السلسلة الكونية منتظمة كما يعقل ان تسير ، وعلماء الفلسفة يرونها الدليل على قدرة العقل وقوته ، واستطاعة الانسان المتامل إن يرتقي عن عالمه المحسوس الضيق الى العالم الاوسع الفسيح ! فيصل الى الخالق بتفكيره ، ويرى آثار الله دالة على وجوده كاشفة عن حقيقته ، اما رجال الادب فلهم ان يقولوا كلمتهم في هذا الابداع المطرد في تدفق وحيوية ، وهذا النظر المصوب الى الاعماق الدفينة تارة والصاعد الى الآفاق الرحيبة تارة أخرى نافذا ناقدا ومحللا معللا ! كل ذلك مما تتسع له هذه القصة العجيبة ، اذ تجرد للحديث عنها افذاذ جهابذة ! وهي الآن مظلومة مهضومة ، مع اثرها البعيد واتجاهها الفريد !

كنت اقرأ كتاب لحظات الالهام في تاريخ العلوم للكاتب الكبير « مريون فلورنس لانسنغ » فوجدته يتحدث في الفصول الاولى عن الانسان الاول وكيف اهتدى الى ما يصلح حياته بالتجربة والملاحظة. فاحسست اني أقرأ لابن طفيل لا لمريون فلورنس مع قرب عهده بالنسبة للفكر الاندلسي البديع ! أحسست ذلك في اكثر من صحيفة وفي اكثر من فصل بل ان عبارات ابن طفيل كانت تتراقص امام عيني، وكأنها المصدر الاول لمريون ! فهو مثلا يتحدث عن الاهتداء الى النار فيرى ان البرق كان يصيب الغابات الجافة فيضرم بها اللهيب ، وربما كان فيمن رأوا هذا المشهد رجل جريء فاخذ يحتفظ بجزء من النار ويتعهدها بالوقود كيلا تنطفىء، وكانت كل قبيلة تقيم حراسا من اشدائها يتناوبون الحراسة فيمدونها بالحطب والالياف كيلا تخمد ثم مضت مئات من السنين حتى اهتدى الانسان الى معرفة الحصول عليها دون ان يسهر على حياتها اما بسنه قطعة خشب محددة على لوحة صلبة من البلاط واما بدق حجرين من الصوان ، هذا بعض ما قاله مريون فلورنس وهو مقتبس لا محالة من هذه الفروض المحتملة التي افترضها المفكرون في حياة الانسان الاول ، فاخذوا يتخيلون ثم يكتبون ، لان حياة الانسان الاول لم تصل الينا بوجه من الوجوه في اثر من الاثار ، ويوم ان استطاع هذا الادمي العجيب ان يكتب ويترك من الاثار والعاديات ما يدل عليه لم يكن هو الانسان الاول عن يقين بل كان الانسان المتطور السائر في ركب الوجود على هدى من التجربة والملاحظة ومعاناة من التعثر والتخبط فاذا لجأ مؤرخو الانسان الاول الى الافتراض فان في طليعتهم صاحب حي بن يقظان ، وهو في ذلك بالنسبة الى مراجعه العربية مبتدىء مجدد لم يرجع الى سابق متداول كان بين قرنائه ومعاصريه .

لقد وقفت على خلاصة حديث مريون فلورنس عن اكتشاف النار ، ولك ان تسمع ما قاله ابن طفيل العالم المفكر المتخيل حين تحدث عن حي الوحيد المنفرد في الجزيرة فقال :

« واتفق في بعض الاحيان ان انقدحت نار في أجمة فلخ على سبيل المحاكاة فلما بصر بها حي رأى منظرا هاله وخلقا لم يعتده من قبل ، فوقف يتعجب منها مليا ومايزال يدنو منها شيئا فشيئا فرأى ما للنار من الضوء الثاقب والفعل الغالب حتى لا تعلق بشيء الا اتت عليه واحالته الى نفسها فحمله العجب بها وبما ركب الله في طباعه من الجراة والقوة على أن يمد يده فلم يستطع القبض عليها ، فاهتدى الى ان يأخذ قبسا لم تستول النار على جميعه فاخذ بطرفه السليم ، والنار في طرفه الاخر فتاتى له بذلك وحمله الى موضعه الذي كان يأوي اليه ، وكان قد خلا في جحر استحسنه للسكنى قبل ذلك ، ثم ما زال يمد تلك النار بالحشيش والحطب الجزل ، ويتعهدها ليلا ونهارا استحسانا لها وتعجبا منها وكان يزيد انسه بها ليلا لانها كانت تقوم له مقام الشمس في الضياء والدفء فعظم بها ولوعه واعتقد انها افضل الاشياء التي لديه ، وكان يراها دائما تتحرك الى جهة فوق وتطلب العلو فغلب على ظنه انها من جملة الجواهر السماوية التي يشاهدها ، وكان يختبر قوتها في جميع الاشياء بان يلقيها فيها فيراها مستولية عليها ، امابسرعة او ببطء بحسب قوة استعداد الجسم الذي كن يلقيه للاحتراق او ضعفه ، وكان من جملة ما القى فيها على سبيل الاختبار لقوتها شيء من أصناف الحيوانات البحرية ـ كان قد القاه البحر الى ساحله ـ فلما انضجت ذلك الحيوان وسطع قتاره تحركت شهوته اليه فأكل منه شيئا فاستطابه فاعتاد بذلك اكل اللحم فصرف الحيلة في صيد البر والبحر حتى مهر في ذلك ».

هذا التخيل المعقول لحياة الانسان في بدء الخليقة ! قد ساعد ابن طفيل على ايجاده ، بل انه رسم الطريق لكل تخيل يجري مجراه ويسير نحوه ! حتى اكتملت قصة الحياة كما تصورها الفنانون من مبدعي التاريخ البشري ، واصبح الحديث في ذلك قريبا من قول ابن طفيل او على نحو يتجه اليه سريعا ان حاد عنه قليلا ، ولصاحب حي بصر متامل حين يسير بالاشياء في طريقها المعقول فيتصور ما كان كأنه يراه حين يكون ، والقارىء لا يملك الا تصديقه بل انه يحس في اطواء نفسه حين يستمع اليه انه يصغي الى قصة يعرفها ويتخيلها ولكنه لظروف ما لم ينطق بها اذ هيأت الاقدار لها كاتبا بصيرا يتولى صياغتها الدقيقة فيحيط باقطارها الفساح ، وفي الناس من تهجس اعماقه بمثل ما هجست به اعماق ابن طفيل حين تخيل الحياة الاولى للانسان الاول فقال :

« وفي خلال هذه المدة المذكورة تفنن في وجود حيله واكتسى

بجلود الحيوانات التي كان يشرحها واغتذى بها ، واتخذ الخيوط من الاشعار ولحاء قصب الخشبة والخبازي والقنب وكل نبات ذي خيط واستأنف جوارح الطير ليستعين بها في الصيد ، واتخذ الدواجن ليستعين ببيضها وفراخها واتخذ من صياصي البقر الوحشية شبه الاسنة وركبها في القصب القوي وفي عصى الزان وغيرها ، واستعان في ذلك بالزان وحروف الحجارة حتى صارت شبه الرماح ، واتخذ ترسه من جلود مضاعفة كل ذلك لما رأى من عدمه السلاح الطبيعي ولما رأى ان يده تفي له بكل ما فاته من ذلك ، وكان لا يقاومه شيء من الحيوانات على اختلافانواعها الا انها كانت تفرعنه فتعجزه هربا ففكر في وجه الحيلة في ذلك فلم يجد شيئا انجع له من ان يتالف بعض الحيوانات الشديدة العدو ويحسن اليها باعداد الغذاء الذي يصلح لها حتى يتأتى له الركوب عليها ، ومطاردة سائر الاصناف بها، وكان بتلك الجزيرة خيل برية ، وحمر وحشية فاتخذ منها ما يصلح له وراضها . حتى كمل له بها غرضه وعمل عليها من الشرك والجلود أمثال الشكائم والسروج ، فتأتى له بذلك ما أمله من طرد الحيوانات التي صعبت عليه الحيلة في اخذها ، وانما تفنن في هذه الامور كلها في وقت اشتغاله بالتشريح وشهوته في وقوفه على خصائص الحيوان، وبماذا تختلف ».

هذا نحو من انحاء ابن طفيل في القصة ! ملأ به ثغرات كثيرة كانت فجواتها البارزة تعترض مؤرخي الحياة البشرية ، واثره فيمن تلاه من رجال هذه المباحث اوضح من ان يشار اليه ، وما بسبيلنا ان نفصل ذلك ، ولكننا نرصد مجالات الاعجاز في قصة حي بن يقظان، وتصوير التاريخ الاول للبشرية احد هذه المجالات !!

اما المجال الثاني فدورها الهام في التربية اذ كانت الطريقة السائدة اذ ذاك في حقل التربية والتعليم شرقا وغربا ترجع الى التلقين والاستظهار ، فالطالب يملأ ذهنه بالمعارف ووظيفة الاستاذ ان يقف على مدى التحصيل لديه ، واذا شاء ان يجعل تلميذه في رأيه مثقفا مستنيرا ارهقه بحفظ القواعد العلمية والنظريات العقلية ثم أخذ ينصت اليه وهو يتلوها عن ظهر قلب ، ولكن ابن طفيل قد حارب هذه الطريقة حين يجعل حي بن يقظان يتخذ من الطبيعة استاذا يلهمه ادق الاسرار ، وحين أرهف حواسه وملكاته وشحذها شحذا قويا لتتفهم ما يحيط بها من الغاز الكائنات ! فجعل يوقظ فيه روح الملاحظة الدقيقة والادراك الفطري ، ويكثر تجاربه الشخصية ليخطىء اولا ويصيب ثانيا فيتجنب اسباب الخطأ عن يقين واستبصار، ثم يفسح له مجال التأمل البصير ليوازن بينه وبين نفسه فلا يختط طريقا لا يوصله الى نفع قريب ، وابن طفيل يعرف لا محالة ما يعرفه علماء التربية من ان الطفل يولد مزودا بقوى فطرية وغرائز لا بد من توجيهها اتجاها صالحا ولا بد من استغلالها فيُ تنمية العقل وتكوين الخلق ، وهو متعطش دائما الىمعرفة الحياة الجديدة التي تحيط به وادراك ما استتر وراء ظواهرها البارزة من خواف مدهشة، ولا بد من ارواء عطشه ونقع غليله كي يطمئن به مقامه في الحياة فيسير على أرض صلبة لا تزعزعها عواصف الشكوك ! وسبيله الى ذلك قوة الملاحظة ودوام التأمل ، وتعهد التجربة ، ترى ذلك كله في تصرف حي بن يقظان حين يبصر الاشياء لاول مرة ، ويقارن ما يراه من المخلوقات بنفسه فيرى وجوه اتفاق واختلاف فيتساءل عما يرى ويصور ابن طفيل شجونه وخواطره حين يقول عنه ص ٧٣ دار المعارف:

« وكان في ذلك كله ينظر الى جميع الحيوانات فيراها كاسية بالاوبار والاشعار وانواع الريش وكانيرى ما لها من سرعة العدو وقوة البطش وما لها من الاسلحة المعدة لمدافعة من ينازعها مثل القرون والانياب والحوافر ثم يرجع الى نفسه فيرى ما به من العري وعدم السلاح وضعف العدو ، وقلة البطش عندما كانت تتنازعه الوحوش أكل الثمرات وتستبد بها دونه وتغلبه عليها فلايستطيع المدافعة عن نفسه ، ولا الفرار عن شيء منها وكانيرى اترابه من اولاد الظباء قد نبتت لها قرون بعد أن لم تكن ، وصارت قوية بعد ضعفها في العدو، ولم ير لنفسه شيئا من ذلك كله ، فكان يفكر في ذلك ولا يدري ما سببه ، وكان ينظر الى ذوي العاهات والخلق الناقص فلا يجد لنفسه شبيها فيهم ، وكان ايضا ينظر الى مخارج الفضول من سائرالحيوانات فيراها مستورة دونه ، فلما طال همه في ذلك كله وهوقد قاربسبعة اعوام ويئس من أن يكمل له ذلك ، وما قد اضر به نقصه اتخذ من أوراق الشجر العريضة شيئا جعل بعضه خلفه ، وبعضه قدامه وعمل من الخوص والحلفاء شبه حزام على وسطه وعلق به تلك الاوراق ، فلم يلبث الايسيرا حتى ذوى الورق وجف وتساقط عنه فما زال يتخذ غيره ، ويخصف بعضه ببعض طاقات متضاعفة وربما كان ذلك اطول لبقائه الا انه كان على كل حال قصير المدة ، واتخذ من اغصان الشجر عصيا سوى أطرافها وعدل متنها ، وكان يهش بها على الوحوش المنازعة له فيحمل على الضعيف منها ، ويقاوم القوي منها ، فتبل بذلك قدره عند نفسه بعض نباله ورأى ان لديه فضلا كثيرا على ايديها اذ امكن له بها ستر عورته ، واتخاذ العصي التي يدافع بها عن حوزته ما استغنى به عما أراده من الذنب والسلاح الطبيعي ».

كلام نفيس جيد نخشى ان نطيل اقتباسه فننقل اكثر ما قال ابن طفيل ، وهو يطرد في هذا المنحى اطرادا موفقا اذ يجعل الملاحظة والتجربة ديدنه ، فيصيب بهما قدراكبيرا من النجاح ! كما انه قبل كل شيء يميل بالتربية الى الطبيعة فهو استاذ روسو في ذلك! وليس معنى هذا ان الكاتب الفرنسي قد اخذ عنه رأيه التربوي! ولكنه قد سبقه بعدة قرون في تلقي اسرار التربية عن فم الطبيعة نفسها ، وقد نشأ جان جاك روسو مفتونا بمباهج الكون ومجاليه ثم بحث في اعماقه مدققا في استكناه الطبائع والغرائز والميول فرأى ان الطريقة المثلى للتربية هي مسايرة هذه الطبائع السليمة اذ تتجه دائما الى استكناه الكون ومعرفة البواعث وتعدي الظواهر الى الخفايا وان غلا في ذلك مغالاة دفعته الى المناداة بالتربية السلبية على اساس أن يترك الاشياء للطفل يعالجها وتعالجه دون ارشاد معلم ، وهو تصور بعيد عن الحقيقة لان الطفل مهما كان قوي الملاحظة في حاجة الى من ينظم له طريق البحث ويمهد اليه اسباب النظر ويهيج فيه شعور الاستنتاج ! ولن نتخذ حي بن يقظان دليلا على صحة اتجاه روسو ، لان بطل الفيلسوف الاندلسي قد عانى من المصاعب والشدائد ما كان يهون لديه لو وجد المعلم الناصح والمربي البصير ! واذا كان قد عرف الطريق بعد مجهود شاق تصرمت به السنون والاعوام ، فما اجدرنا ان نجنب أطفالنا هذا التعثر وظروفهم غير ظروف حي دون نزاع ! ثم ان ابن يقظان من وراء ذلك كله حاد البصيرة خارق الذكاء ولن يكون جميع الاطفال من هذا الطراز ! على ان القول بالجزاء الطبيعي الذي نادى به روسو واعتنقه هربرت سبنسر ودافع عنه مدافعةصارمة ايدها بتفكيره الدقيق وميزانه المنطقي قد وجد بصورة واضحة عند ابن طفيل ، فحي كان يخطىء فيلقى جزاء الخطأ من جنسه ، يمد مثلا يده الى النار حين يراها اول مرة ليختبر جوهرها فيدركه الجزاء الصارم باللذع والاحراق ! وفي ذلك ما يؤكد ان القصة في حاجة الى دراسة تربوية تبين منهج مفكر كبير من مفكري الاسلام في التربية والتعليم ، وتوضح مدى استفادة معاصريه وتأثر من تلاهم بآرائه ثم نقارن ما تمخضت عنه الابحاث الجديدة في التربية ببعض ما اهتدى اليه ! وهو مبحث بكر يتطلب من يهتم به من الباحثين...

وقبل ان نتحدث عن مغزى القصة الفلسفي كما عناه ابن طفيل وعن اثرها القوي فيما تلاها من المؤلفات وهو ما اردناه بكتابة هذا البحث ، نوجز المقال عن اسلوبها الادبي فنرى انها من حيث كونها

قصة يصدق عليها قول الاستاذ غرسيه غومس :

« ان الخيط الذي ينتظم حلقات القصة يبدو واضحا غليظا في أولها وآخرها ويدق في الوسط حتى يكاد يخفى ، وان بداية القصة ونهايتها اشبه بقوسين ضخمين يضمان بينهما حشدا رائعا من الاراء الفلسفية » وهو حكم نميل اليه ، لان الطابع القصصي كان واضحا في البدء حين تحدث الكاتب عن الجزيرة ومجيء التابوت اليها ، ورسم المسرح بمياهه واشجاره وحيواناته ، ثم انساق بعد ذلك في ابحاثه الفلسفية عن الروح والكون وواجب الوجود والوصول الى الخالق عن طريق الاستشفاف والتأمل وافاض في ذلك افاضة العالم الاديب ، لا القصاص الفنان حتى اذا انتهى حي من مأربه العقلي اتصل بابسال وهنا نرى خيوط قصة تأخذ مجراها الوصفي وتنتهي بأدوارها واشخاصها ومسرحها انتهاء القصص الفنية ! فكان الخيط الفني قد انقطع في الوسط وظهرواضحا في الطرفين كما يقول الاستاذ غرسيه غومس ، وان كان الاستاذ ليون جوتييه مترجم القصة الى الفرنسية لا يرى ذلك ويخالف الاستاذغومس حيث يقول في نقده « ان ذلك يوحي بضعف القصة بينما العنصر القصصي في الواقع متعادل متناسق في اجزاء القصة كلها ، وهو يختلط بالعنصر الفلسفي من اول الكتاب الى آخره وقد عرف ابن طفيل ان يستبقي من الاسطورة ما يصلح وما يسوغ ، ويطرح منها ما لا ينفع فاضفى عليها روحا جديدة ومكنها من حشد جميع آرائه وافكاره ص ١١٤١،٠٩ من مقدمة الترجمة الفرنسية !

وقد عرضنا رأي الاستاذ ليون جوتييه دون ان نراه ، اذ ان مما يسرنا ان نسجل هذه الشهادات السارة لفيلسوفنا الكبير ، ولئن كان السياق القصصي غير مطرد فان الاسلوب الادبي ـ بعيدا عن موازين القصة ـ قد جاء آية في البراعة والابداع اذ احكم المؤلف تصوير المواقف احكاما رائعا ! وفي بعض عباراته نبض مؤثر حي تهتز له المشاعر كما تهتز لقصاص فنان ، فهو مثلا يتحدث عن حي حين تموت مرضعته الظبية ، وينظر فيجدها لاول عهده بالموت جثة هامدة دون ان يعرف حقيقة ما طرأ عليها ! فياتي من الاعمال ما يدل على حيرته وارتباكه ، وهو موقف عاصف مؤثر اجاد تصويره ابن طفيل حين قال ص ٧٤ ط ـ المعارف :

« وما زال الهزال والضعف يستولي عليها ويتوالى ـ على الظبية المرضعة ـ الى ان ادركها الموت فسكنت حركاتها بالجملة وتعطلت جميع افعالها ، فلما رآها الصبي على تلك الحالة جزع جزعا شديدا ، وكادت نفسه تفيض اسفا عليها فكان يناديها بالصوت الذي كانت عادتها أن تجيبه عند سماعه ويصيح بأشد ما يقدر عليه فلا يرى لها عند ذلك حركة ولا تغيرا ، فكان ينظر الى أذنيها والى عينيها فلا يرى بهما آفة ظاهرة ، وكذلك كان ينظر الى جميع اعضائها فلا يرى بشيء منها آفة ، فكان يطمع ان يعثر على موضع الآفة فيزيلها عنها فترجع الى ما كانت عليه ، فلم يتات له شيء من ذلك ولا استطاعه وكان الذي أرشده الى ذلك الرأي ما كان قد اعتبره في نفسه قبل ذلك ، لانه كان يرى انه اذا أغمض عينيه أو حجبهما بشيء لا يبصر شيئا حتى يزول ذلك العائق ، وكان كذلك يرى انه اذا ادخل اصبعيه في اذنيه وسدهما لا يسمع شيئا ، حتى يزول ذلك العارض واذا أمسك انفه بيده لا يشم من الروائح شيئا حتى يفتح أنفه ، فاعتقد من اجل ذلك ان جميع ما لها من الادراكات والافعال قد تكون لها عوائق تعوقها فاذا ازيلت تلك العوائق عادت الافعال ».

لهذا الموقف في قوته وتصويره امثال في القصة ! وحين قرأته تذكرت مشهد طفل كان ينادي أباه الميت دون ان يعلم شيئا عن حقيقته! وكنت أشاهده وقلبي يتقطع من الالم ولا أستطيع ان أفعل شيئا ؟ وجاء من ابعدوه عن الجثة وهو لا يفهم سر الابعاد ! لقد اعاد ابن طفيل لاحساسي هذا المشهد بما كتب فطفرت من عيني الدموع !

ولعلنا بعد ما تقدم عن القصة وافانينها التاريخية والتربوية والادبية نستطيع ان نستمع الى ما قيل عنها في مجال التأثر والتأثير لنصل الى رأي توضحه البراهين وتدعمه الاسانيد .

لقد ظهر ابن طفيل في القرن الثاني عشر للميلاد ، وهو من جبابرة المفكرين في العصور الوسطى كما وصفه بذلك اكثر الباحثين وقد وصل الى الحجابة فالوزارة في بلاط صاحب المغرب الامير يوسف ابن عبد المؤمن ، وكان بين الامير والوزير من الصداقة ما مهد له الطريق للراحة والاطمئنان فاستطاع ان يؤدي دوره الثقافي عالما وفلكيا وطبيبا ورياضيا وفيلسوفا واديبا ، وكان من الثقة بنفسه بحيث واجه افكار الافذاذ من سابقيه ومعاصريه فناقش آراء بطليموس والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن باجه والغزالي ، مناقشة ذات حجج واقناع ، وكانت قصة حي بن يقظان بعض آثاره الباقية التي قال عنها الدكتور « سارطون » بحق انها من اجمل الكتب المبتكرة في موضوعها التي ظهرت في العصورالوسطى جميعها!

وكان طبيعيا ان يتجادل الكاتبون حولها ، فظهرت مجموعة من البحوث تزن افكارها وتحدد مدى ابتكارها وتجديدها كما تدل على تأثيرها فيما تبعها من القصص المماثلة ! وقد تكاثر البحث في ذلك حتى كاد ان يبعد عن موضوعه ، اذ كان مجال الافتراض لدى بعض الباحثين طلقا فسيحا تعذرت معه الضوابط الفاصلة وسنناقش من هذه البحوث ما نراه جديراً بالنقاش لنصل الى الحقيقة التي نريد.

لقد كان ابن طفيل معجبا بابن سينا وقد قرأ قصته عن حي بن يقظان فاوحت اليه ان يكتب قصة حي كما يتخيلها هو لا كما ارادها الشيخ الرئيس ، فابن سينا قد جاء في قصته برفقة يتحدثون ويتناقشون، ليسوا أشخاصا من لحم ودم ولكنهم يرمزون الى اشياء معنوية تجريدية فحي بن يقظان رمز الى العقل المجرب الذي حنكته السنون وعركته الاحداث ورفقته رموز الى الشهوات والغرائز والغضب وسائر الملكات الانسانية وميدان الجدال بينهما ما يحدث عادة بين غرائز الانسان وشهواته وعقله ، والقصد منها كما يقول الاستاذ احمدامين في كتابه حي بن يقظان ص ٢١ :

« تبين قوة العقل وتمييزها على ما لدى الانسان من غرائزوماكات وهدايتها ونجاتها اذا استمعت قوله ثم بيان علاقة هذا العقل الارضي بالعقول السماوية العليا ثم علاقتها جميعا بالعقل وهوالعلة الفاعلة أو بعبارة اخرى هو الله واجب الوجود » . قرأ ابن طفيل رسالة ابن سينا عن حي بن يقظان فاوحت اليه فكرة أخرى لا تستهدف ما عناه الشيخ الرئيس ولكنه شاء ان يبين كيف يستطيع الانسان ان يرتقي بنفسه وبتفكيره من عالم الحس الى عالم العقل بحيث يستطيع ان يصل الى معرفة الله ، وهو بذلك متاثر بفكرة المعتزلة عن العقل فهو دليل الجزاء من ثواب وعقاب ! واذا استطاع الانسان ان يصل الى الله بنفسه كما وصل حي بتاملاته فقد بلغ مشارف الكمال !

رأى ابن طفيل ان حيا تولد من غير أب وأم في احدى جزر الهند تحت خط الاستواء وتلك الجزيرة اعدل بقاع الارض واصلحها للتولد والاختصار والامتزاج وقد خاف الا يصادف هذا التوالد الطبيعي مقنعا عند بعض الناس فاجاز رأيا آخر هو ان حيا ولد لاب وأم من البشر اذ كانت امه أخت ملك جبار وقد عقلها ومنعها من الزواج اذ لا يوجد كفوا لها من بني الانسان ، ولكنها تزوجت سرا ببيقظان أحد وزرائه وحين جاءها الوضع حذرت من أخيها ، فأخذت حيا وليدها ووضعته في صندوق والقته في اليم دامعة باكية ، راجية ان تلحظه السماء بعنايتها فسار الصندوق حتى وصل الى الجزيرة ونشأ حي هناك يقول ابن طفيل في رواية ذلك ص ٦٨ ط المعارف :

« ثم قذفت به في اليم فصادف ذلك جري الماء بقوة المد ، فاحتمله من ليلته الى ساحل الجزيرة ، وكان المد يصل في ذلك الوقت الى موضع لا يصل اليه الا بعد عام فادخله الماء بقوته الى أجمة ملتفة

الشجر عذبة المربة مستورة عن الرياح والمطر محجوبة عن الشمس تروز عنها اذا طلعت وتميل اذا غربت ، ثم اخذ الماء في النقص ، والجزر عن التابوت الذي فيه الطفل ، وبقى التابوت في ذلك الموضع وعلت الرمال بهبوب الرياح ، وتراكمت بعد ذلك حتى سدت باب الاجمة على التابوت ، وردمت مدخل الماء الى تلك الاجمة فكان المد لا ينتهي اليها ، وكانت مسامير التابوت قد قلقت والواحه قد اضطربت عند رمي الماء اياه في تلك الاجمة ، فلما اشتد الجوع بذلك الطفل بكى واستغاث ، وعالج الحركة فوقع صوته في اذن ظبية فقدت طلاها ، خرج من كناسه فحمله العقاب فلما سمعت الصوت ظنته ولدها فتتبعت الصوت وهي تتخيل طلاها حتى وصلت الى التابوت ففحصت عنه بأظلافها وهو ينوء ويئن من داخله حتى طار عن التابوت لوح من اعلاه ، فخفت الظبية وحنت عليه واروته لبنا سائغا وما زالت تتعهده وتربيه وتدفع عنه الاذى » .

هذه السطور المحدودة التي جاءت بين صفحات القصة الطويلة كانت مدعاة لتقول كثير ، فقد قرأ الاستاذ غرسيه غومس بضعة اسطر في خرافة تروى عن الاسكندر ذي القرنين ، فرأى بين الخرافة ، وهذه الاسطر من قصة حي ما يدل على ان ابن طفيل قد استغل اسطورة ذي القرنين وبنى عليها قصته ، ثم جاء بلتاز جراسان بعد ابن طفيل بعدة قرون فنقل عنه فكرته التي رسمها بوضوح وكان الاحتذاء سافرا واضحا ينادي على نفسه ! ولكن الاستاذ غرسيه وبعض من شايعه من المستشرقين لا يميلون الى الجزم بذلك بل يرون اسطورة الاسكندر اساس القصتين وانها كانت مصدر ابن طفيل وجراسان معا ! والامر اوضح من ان يختلف عليه اختلاف الشكل الفامض من الاراء ! وسنبسطه بسطا سافرا يلمسه القارىء بالنظر السريع بعد ان تبدد ما حاكوه حول قصة حي من شبهات واهية لا ترتكز على اساس متين.

لقد جعل ابن طفيل بطل قصته ـ اولا ـ طفلا يرمى في تابوت ينقله البحر الى جزيرة نائية ثم جعل مرضعته ـ ثانيا ـ ظبية رفيقة تعطف عليه وتختاره بديلا من طلاها الفقيد ، ثم مضى به ـ ثالثا ـ حتى بلغ أتم مرحلة من النضوج الفكري تولى فيها تعليم نفسه بنفسه عن طريق التأمل والاستبصار حتى وصل الى فكرة الانسان المتوحد ـ بوحي من تفكيره الدقيق ، فما في هذه الثلاثة من الغريب على ابن طفيل حتى يستند الى اسطورة وثنية لا تصلح لالهام عبقري بديع .

اما انه قد رمى بالطفل الى البحر مع التابوت خوفا من ملك جبار ! فجائز جدا ان تكون قصة موسى عليه السلام كما حكاها القرآن الكريم قد هدته الى ذلك الانقاذ الغريب ، وابن طفيل الفيلسوف المسلم قد قرأ القرآن وادرك اسراره ولان يتأثر به اقرب الى العقل من ان يتأثر بخرافة وثنية لم يثبت وجودها ليهديه على وجه قاطع صريح ! فلو تأثر خيال ابن طفيل في هذا الموضع بشيء لتأثر بقول الله ، ولا يقدح في ابتكاره ان يهتدي بنص كريم .

هذا عن الشبهة الاولى .. اما الشبهة الثانية التي لمحها الاستاذ غومس في ارضاع الظبية لحي حتى استوى ومرن ! فليست اسطورة الاسكندر صاحبة التفكير في ذلك ، اذ ان اساطير العرب القديمة تذكر نحوا قريبا منه حين تجعل بعض الحيوانات تعطف على الصغار فترضعها الاثداء .. وكتاب الحيوان للجاحظ ذائع مشتهر ، ولا بد ان عالما طبيبا يهتم بالتشريح كابن طفيل قد قرأه ودرس طبائع الحيوان وخصائصه كما صورها الجاحظ .. وفي بعض قصص الجاحظ وطرائفه ما يدل على رضاعة الاطفال من الحيوان ! فقد قال ما نصه :

« وزعم علماء البصريين ان طاعونا جارفا جاء على اهل دار فلم يشك اهل تلك المحلة انه لم يبق فيها صغير ولا كبير ، وقد كان فيها صبي يرتضع ويحبو ولا يقوم على رجليه فعمد من بقي من المطعونين من اهل تلك المحلة الى باب تلك الدار فسده ، فلما كان بعد ذلك باشهر تحول فيها ورثة القوم ففتح الباب ، فلما افضى الى عرصة الدار اذا هو بصبي يلعب مع اجراء كلبته ، وقد كانت لاهل الدار ، فراعه ذلك فلم يلبث ان اقبلت كلبة كانت لاهل الدار فلما رآها الصبي حبا اليها فامكنته من اطبائها فمصها ، فظنوا ان الصبي لما بقي في الدار وصار منسيا واشتد جوعه ورأى اجراءها تستقي من اطبائها حبا اليها فعطفت عليه فلما سقته مرة ادامت ذلك له وادام هو الطلب . فسبحان من دبر هذا والهمه وسواه ودل عليه » .

وبديهي اني لا اذكر هذه القصة لاجزم بوقوعها فقول الجاحظ وزعم علماء البصريين مما يضعف تحققها ، ولكني اقول انها كانت معروفة لابن طفيل فيما قرأ من كتب الجاحظ فاذا جعل حيا في قصته يغيء الى ظبية ترضعه وترئمه فذلك مما اوحته اليه امثال هذه الاقاصيص ! وخياله الرائع جدير ان يتفتق تلقائيا عن اتجاه معقول يرتضيه ! على ان اختيار الظبية بالذات ذو مدلول ذوقي وعلمي لايبعد عن ذهن راق كذهن ابن طفيل .. وما تعمدنا الاستشهاد بقصة الجاحظ الا لنبطل رأي من يقول باستلهام خرافة غريبة لم تكن ذائعة في عصر الموحدين !! اما وصول حي بنفسه الى ما هدت اليه التعاليم السماوية من قدرة الخالق الاعظم وابداعه فهو الهدف الاساسي الذي قام في نفس الفيلسوف قبل ان ينشىء القصة وعلى اساسه اختار البطل وهيأ المسرح وكتب تاريخ الحياة أفيكون قد استوحاه ايضا من اسطورة الاسكندر وهي لا تشير الى مغزى فلسفي على الاطلاق !! ربما كان القول بتأثير ابن باجه في نفس ابن طفيل بفكرة الانسان المتوحد مما يلتفت اليه في تكوين بنائه الفلسفي ! ولكن القول بتأثير اسطورة الاسكندر وهم متآكل لا يثبت الى تحقيق !!

لقد طال الحديث عن هذه الاسطورة وكأني بالقارىء قد اشتاق الى الوقوف على مضمونها ليلمس بيديه مكان الشطط في الاستنتاج والغلو في التقدير ! وهي تقص علينا ان الاسكندر وصل في فتوحاته المظفرة الى جزيرة تسمى ارين فرأى بها تمثالا ضخما كتب عليه سطور كثيرة فسأل عن ترجمتها فعرف ان صاحب هذا التمثال كان ابنا لبنت ملك فالقت به في البحر لسبب ما فرحل به التيار الى جزيرة بعيدة لا يسكنها انسان فربته ظبية عطفت عليه فنما بالجزيرة وترعرع واخذ يتفكر ويتأمل دون ان يصل الى شيء !! حتى وصل الى الجزيرة ابوه باحثا عنه ، فتعارفا واصطحبا دون ان يعرف احدهما الآخر ثم تركا مكانهما الى الجزيرة المعمورة . وهذا بعينه قريب مما حكاه ابن طفيل ولكن مكان الشطط في الاستنتاج والغلو في التقدير يكمن في ناحية هامة لا يجوز اغفالها هي هذه الاسطورة لم تعرف الا في مخطوط كتب بحروف لاتينية ارغونية يرجع الى القرن السادس عشر (حي بن يقظان ط ـ دار المعارف ص ١٢) ومعروف ان ابن طفيل قد كتب قصته في القرن الثاني عشر الميلادي فكل ما يجيء بعد ذلك من الاساطير المشابهة لا بد ان يكون مستلهما من قصة حي بن يقظان ! ولا يمكن ان يكون العكس صحيحا ! لا بدليل يقيني تطمئن اليه النفس ! وهذا ما لم يأت به القائلون بتأثير هذه الاسطورة الى الآن ! وادعاء قدم الاساطير الشعبية مما يستأنس به عند قيام ادلة متضافرة ولكنه لا ينهض وحده دليلا يجابه ادلة منطقية ذات زمان وتاريخ . على ان هذه الاسطورة جعلت في رأي بعض النقاد اصلا لقصة ألفها الكاتب الاسباني بلناسار جراتيان ١٦٠١ ـ ١٦٥٨ .

وهي في ثلاثة اجزاء يتشابه الجزء الاول منها تشابها قريبا بقصة حي اذ ان بطل القصة ينجو من الغرق فتدفعه الامواج الى جزيرة نائية فيصادف فتى مثل حي بن يقظان كان يحيا في الجزيرة على نحو مماثل لحياته لا يعرف خالقه ولا يفهم عن الحياة شيئا فيصادقه ويفهمه طريقة الكلام كما فعل أبسال بحي تماما !! ثم يتوجهان معا الى اسبانيا ويبدأ صاحبه بتحذيره من الناس ويدعوه الى التعقل والتصون فيستجيب الى غرائزه مخالفا اياه ثم ينزلق في علاقة اثيمة مع بعض الساقطات ، فيحاول ان ينقذه ثانية بارشاده

قبل يومين

قبل يومين انتهينا
ونفضنا
من جنى الرغبة والحب يدينا
قدر كان علينا
أن نعانيه ونشقى
يرحل الصيف ونبقى
والشتـــاء
ثلجه في رئتينا
طرق الباب ولم يبق لدينا
لياليه الطويلات متاع
غير سهد وبكاء
وضياع

قبل يومين انتهينا
مثلما كنا صباحا ومساء
ومضينا
نتلهى بالحصى نقذف منه ما نشاء
فوق مجرى النهر ، في بركة ماء
وانتزعنا من فمينـا
كلمـات
كن كذبا وهراء
وحملنا ذلك الكذب على
عاتقينـــا
ووضعنا بيننا سيف جفاء
ثم قاتلنا طواحين هـواء
بيـــدينا

قبل يومين انتهينـــا
التقينـــا
وافترقنـا
ضيـنـا
قدر كـــان علينـــا
ان نعانيه ســـواء
ان نعانيه معا دون بكاء

بغداد — صفاء الحيدري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتوجيهه ولكنه يخفق ... وتمضي القصة على هـــذا النحو متأثرة بقصة حي تأثرا لاشية فيه ولكن الاستاذ غرسيه غومس لا يقطع بـــه ويظن اسطورة الاسكندر مصدر ابن طفيل وجرائيان معا ، وقد وافقه على ذلك بعض الكاتبين من المستشرقين ولكن الدكتور البحاثة محمـــد غنيمي هلال يبسط جوهر الخلاف في كتاب « الادب المقارن » ثم يرى ان تأثر جرائيان بابن طفيل لا بالاسطورة واضح ويعلـل ذلـك ص ٢٤١ ط ثالثة ، « بان شبه قصة جرائيان بلنارسار بقصة حي لا ينحصـــر في القالب القصصي العام ولكن يبدو كذلك واضحا في الطابع الرمزي فهذه الميزة هي جوهر قصة ابن طفيل وليس في قصة الصنم المعبـود شيء منها على انه ليس لدينا دليل قاطع على سبق اسطورة الاسكندر لقصة ابن طفيل تاريخيا » .

ثم تحدث الدكتور محمد غنيمي هلال عن تأثير قصة حـي فـــي اوروبا واثرها البارز في الاتجاه الى قيم جديدة ، وافكار هامة فيقول ص ٢٤١ ايضا .

« وحين عرفت قصة حين بن يقظان في أوروبا لقيت حظا رائعـا لدى فلاسفتها وخصوصا في القرن الثامن عشر ثـم التاسع عشر ، ذلك ان القرن الثامن عشر الاوروبي كان يعتقد مقدرة الانسان الفطري على الاهتداء للفضائل ، والى الاسس السامية التي تفضل الشرائـع الانسانية ، وقد راجت هذه الدعوة نفسها لدى الرومانتيكيين فـــي القرن التاسع عشر ، ورأى هؤلاء وأولئك في قصة حي بن يقظان مـــا يشد أزر دعوتهم ، اذ اهتدى حي فيها الى مـــا يتجاوز الشريعة ، ومن الواضح ان رأي هؤلاء في تأويلهم لقصة ابن طفيل لا سند لـــه من حقيقة القصة نفسها ، ولكنه كان جوهر دعوتهم واذن فقد كـــان تأثير قصة ابن طفيل في الآداب الاوربية تأثيرا كبيرا متنوع الدلالة».

هذا كلام الدكتور محمد غنيمي هلال وقد وقفت كثيرا عند قوله ومن الواضح ان رأي هؤلاء في تاويلهم لقصة ابن طفيل لا سند له من حقيقة القصة نفسها ، ولو كان الامر كما يقول لما تمسك بهـــا هؤلاء دليلا على ما يهدفون اليه ! واذا كانت دعوتهم ـ باعتراف الدكتـــور الفاضل ـ تذهب الى الاعتقاد في مقدرة الانسان الفطري على الاهتداء الى الفضائل والى الاسس السامية التي تفضل الشرائع الانسانية !! اذا كانت دعوتهم كذلك فان حي بن يقظان كما عرضه ابن طفيل تطبيق صريح لهذه الدعوة ومثال قوي الدلالة على امكانها حيث اهتدى الـى الفضائل الانسانية بتفكيره التاملي واحساسه الفطري ثم ارتقى الى ما فوقها في عالم الغيب ؟ واهتداؤه الى هذه الفضائل وحدها هـــو المقصود عند هؤلاء وهو واضح لا شبهة فيه !!

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

الى طفل الامس

فـــؤاد الخشـــن

الشويفـات ـ لبنان



عائما كنت هنيء النفس في تلك الجزيره
في قصور الوهم ، في حلم الفراديس الصغيره
تنشد الاشعار تهدي القلب قربانا الى احلى اميره
لا ترى اكداس اكواخ الملايين الحقيره
ونزيف القش والغزار سلا واختناقا
فمالت الصحو ، طلقت طريقه
خلف قطعان انسياق وقبول
ورفضت العمر موتا وانسحاقا
تحت دورات الدواليب العتيقه
حينما نادتك اضواء المنارات البعيده
في شطوط ابرزتها من بحار الليل رؤياك الجديده
ورأت عيناك عبر الشفق
الف أفق خلف هذا الافق
تفتح الاضلاع ابوابا لارض المستحيل
وذرى تهفو الى صخرة سيزيف العنيده !

لـم تعـد انت لنفسك
لانفعالاتك في الحب ، وفي نزوات حسك
صرت ملك الآخرين
يا فؤادا همه النامي من الاعماق هم المرسلين
عد الى ارض الغداة الكادحين
وتناس المثل العليا وغيمات عيون
عشش التمويه في انسانها ، غام الرياء
وامتشق للحق سيف الكلمه
نارها المشبوبة المضطرمه
واغترف شعرك من صحو نفوس البسطاء
من غد العائد للكوخ ، على لحن الرجاء !

دعك من سفحك ، من ترنيم هذي الساقيه
ومن الطحلب من طيب الورود الزاهيه
عفن الظل على جبهتك ابيض ، وانفاس الرطوبه
جعدتها وذرا اليأس شحوبه

ماردا صرت ، مللت القمقما
والظلام المستثير المبهما
صرت نسرا يجرح الغيم ويدمي القمما
كل ما بالامس اغواك ، تصبى ناظريك
صار طينا ، وغبارا عالقا في قدميك !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التضمين وانواعه في الشعر الحديث

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

التضمين مصطلح بلاغي ، نقدي ، قديم ، ومتوارث ، يشيع اليوم في لغة النقد الادبي ، لحد صورة من صور البلاغة ، والاسلوب ، هي : ذكر شيء من كلام الغير او الاشارة الى حادثة (١) .. وقد كان البلاغيون العرب القدامى يسمون هذه الاشارة الى حادثة ، او ايضا قصة ، تلميحا ، وهو نوع من التضمين (٢) . .

واليوم يعود التضمين بأنواعه الى الظهور ، وتعود له ، ولانواعه القيمة الفنية الادبية ، مع شيوع الاتجاه التلقيني ، الايحائي ، للوقائع الحياتية ، او الاسطورية ، في الشعر الحديث ، وخاصة الشعر الحر فيه ، فيصطنع الشعراء المحدثون التضمين بأنواعه ، الاستعانة ، والابداع ، والحل ، والعقدة والتلميح .. ولكن في سياق من السرد او الاستطراد ، او التلقين ، يتساوق مع تجربة الشعر الحديث بمجموعها ..

الا ان الشائع اليوم ، في الاستعمال الادبي ، والنقدي ، اطلاق التضمين في عمومية المصطلح على انواعه المختلفة ، من استعانة ، او ايداع ، او حل ، او عقد ، او تلميح ، اذ يطلق كثير من النقاد على هذه الانواع المختلفة تضمينا .. وذلك جائز في المصطلح ، وقلة من النقاد ، والدارسين اليوم تدقق في المصطلح ، او تميز بينها (٣) ، والتمييز بينها احسن ، واقوم ..

ولذلك كله ، رغم ان الحد البلاغي للتضمين اليوم وقديما مكتف ، كمصطلح ، الا ان الدقة في اظهار فنية التعبير الادبي ، والشعري الحديث تتطلب منا اليوم التدقيق في جزئيات الصور البلاغية ، والاسلوبية ، واصطناع المصطلح الدقيق لها ، اعتمادا على المصطلح القديم نفسه ، وهو ما نفعله في هذه الدراسات البلاغية ، النقدية التوضيحية ، والتحليلية ، على الشعر الحديث .

١ ــ من ابرز الامثلة الحديثة على التضمين الذي يسمى استعانة ، اي ذكر كلام الغير بنصه ، او ببعض نصه ، قول الشاعرة فدوى طوقان في قصيدة : «الفدائي والارض » ..

اجلس كي اكتب ، ماذا اكتب ، ما جدوى القول ،
يا بلدي .. يا اهلي .. يا شعبي ..
ما احقر ان يجلس انسان كي يكتب في هذا اليوم ،
هل احمي اهلي بالكلمة ؟!
هل انقذ بلدي بالكلمة ؟!
هل الكلمات اليوم ،
ملح لا يورق ، او يزهر ،
في هذا الليل ..

الاستعانة هنا بكلام الغير ، صارت الى عقد النثر ، اي نظم كلام منطوق مأثور ، بنصه ، أو ببعض نصه ، ولذلك تسمى العقد ، اي النظم لهذا النثر (٤) ، وبالفعل التضمين هنا يتعلق بالكلمات المتوترة التي وجدت في مفكرة الفدائي الفلسطيني : مازن جودت ابو غزالة ، وكان كتبها في ١٥ حزيران ١٩٦٧ ، ومنها : «.. اجلس لكي اكتب .. ماذا اكتب ؟ ولمن ؟ يا بلدي .. يا اهلي .. يا شعبي .. يا حياة .. يا انسان .. يا رب .. ماذا اكتب . ما احقر ان اجلس واكتب .. ما احقر ان يجلس اي انسان في هذا اليوم ليكتب ... » الى ان يقول : « زغرد يا رصاص ، واخرس يا قلم .. » وكتب الجملة الاخيرة بخط عريض .

وقد اصطنعت الشاعرة فدوى طوقان ذلك في قصيدتها ، فضمنت كلام الفدائي ، ثم استنطقت حاله الثورية ، والوجدانية ، وعلى الخصوص في حوار متخيل بينه وبين امه ، الى ان تضمن انخراطه في صفوف الفدائيين ثم موته في « طوباس » بين الثوار :

ــ « طوباس » وراء الربوات ،
آذان تتوتر في الظلمات ،
وعيون هاجر منها النوم ،
الريح وراء حدود الصمت ،
تتدلع ، تدمدم في الربوات ،
تلهث خلف النفس الضائع ،
تركض في دائرة الموت ..
يا الف اهلا بالموت ...
واخترق النجم الهادي ومرق
عبر الربوات
برقا مشتعل الصوت
زارعا الاشعاع الحي على الربوات ..
في ارض لن يقهرها الموت
ابدا لن يقهرها الموت ..

الاشارة الى موت الفدائي هذا مجرد تنويه ، مجرد وصف .

٢ ــ من الامثلة الحديثة البارزة على الاستعانة في التضمين بشعر الغير ، أو على الحل لشعر الغير ، قول الشاعر خليل خوري في قصيدته : الرسالة الخامسة الى ابي الطيب ..

ابا الطيب ..
دع العتبى ، فيوم صرخت من يأس ومن تعب :
وانى شئت يا طرقي فكوني اذاة او نجاة او هلاكا
حملتك في دمي غصه
رأيت ملامح الانسان تكبر سقطة البطل الذي غنى :
سوادالليل، ظهر الخيل، رمل البيد، والصمصام والاقلام تعرفني
رأيتك عائدا للارض من دوامة الشهب ،
وما صدقت .. اشهد شدني عجب على عجب
وقلت اعاده للارض من اغراه بالسحب . .

البيت الاول : وانى شئت .. ــ هو مجرد تنويه

بالشيء ، او ذكر له .. في حين البيت الاخر ، الذي حله الشاعر من نظمه الاول ، الى نظم جديد (٥) ، هو عقد النظم ..

ثم يتحدث الشاعر خليل خوري عن موت ابيه ، والضياع الذي عاناه اثر ذلك حتى يقول :

وضيعتي ، وصمت ، وغارب الاحزان يجرفني :
واني شئت يا طرقي فكونـي اذاة او نجاة او هلاكا

التضمين هذا استعانة كاملة لكامل البيت ، لانها قامت مقام بوح الشاعر نفسه بما في نفسه ، ووصفه حاله (٦) . .ثم يقول :

وتسالني عن الدنيا ؟ عن الامجاد ؟ ! يؤسفني
ويجرحني السؤال ، اغص ، ما زالت يد النوب
تمزق اوجه العرب :
طوائف يا ابا الطيب ،
ونرطن ، اعجميات لغانا ، بابليات ، وتنكر لوننا السمر ..
وتندب مجدها يثرب ..
وانطاكية سبيت ، وليس هناك معتصم ، كان يدي ابي لهب
وشيطان على يافا ، وغاشية على النقب
وطوفان صليبي ، فقدس الله مسبي ،
وجنكيز يسوس الناس بالتقتيل والغضب ،
وضائعة اماني الناس بين اللهو ، واللعب ..

ونرطن بابليات كناية عن عدم فهم بعضنا لبعضنا الاخر ، ذكر سبي انطاكية ، والاشارة الى عدم وجود معتصم تلميح الى حادثة اغاثة المعتصم لفتاة عمورية ، يدا ابي لهب ، وشيطان على يافا ، وغاشية على النقب ، كنايات عن الظلم والاذى (٧) . .

٣ ــ من الامثلة البارزة على تضمين الايات القرآنية والانجيلية قول بدر شاكر السياب ، في قصيدته : شناشيل بنت الجلبي ..

وتحت النخيل حيث تظل تمطر كل ما سعفه ،
تراقصت الفضائح وهي تفجر ــ انه الرطب
تساقط في يد العذراء وهي تهز في لهفه
بجذع النخلة الفرعاء .. تاج وليدك الانوار لا الذهب ،
سيصلب من حب الاخرين ، سيبرىء الاعمى
ويبعث من قرار القبر ميتا هده التعب
من السفر الطويل الى ظلام الموت ، يكسو عظمه اللحما
ويوقد قلبه الثلجي ، فهو بحبه يشب ...

وقديما كان تضمين الايات القرآنية يسمى اقتباسا .. وقد ضمن الشاعر السياب هنا الآية القرآنية، ثم لمح الى قصص من سيرة المسيح ، وبرء الاعمى ، واحياء الميت في كنايا ترمزية متلاحقة (٨) ..

وقد ضمن الشاعر ادونيس الاية القرآنية ... في قوله في فصل المواقف :

من يعطيني ورقة احملها اكداسا من البخور والصندل ،
انقطها كالعروس واجلوها
اقرأ عليها سورة مريم
اهز فوقها جذوعي من الشوق والحلم
وارسلها الى احبابي ،
مليئة كالتفاحة
خفيفة وخضراء كمهرة الخضر ..

مدلول التكنية هنا متساوق مع التجربة ويوحي بالطمأنينة ، في حين التشبيه بمهرة الخضر مجرد تشبيه ، ميزته زخمه التلقيني ...

٤ ــ ومن الامثلة الحديثة البارزة على تضمين المأثور الديني الحكمي ، قول الشاعر الياس الفاضل في قصيدة: تمرد ...

واس في بلد المبصرين
شاهدت مناحة ،
بلا دموع ، وبلا اكاليل .
قيل ان صاحبها ،
حين يبست عيناه ،
وضع في تابوت من الورق الاصفر
ودفن في قبر من الطين الحقير
صلاة المبصرين كانت هكذا :
« لقد وضعت الفأس على اصل الشجر
وكل شجرة لا تثمر ،
تقلع وتلقى في النار ،
اننا نريد شجرة ،
تظل خضراء . .تحلف باسمها ،
فتعطينا الاريج والثمار الناضجة ..

ضمنها القول المأثور عن اقتلاع الشجرة العقيم اليبوس .. وسياق تجربة القصيدة يجعل الصور البلاغية في التشبيه ، والاستعارة ، كنايات رمزية (٩) ، في مثل يبوس العينين ، او الوضع في تابوت من ورق اصفر.. يقول الشاعر الياس الفاضل اثرها :

ــ اذن هبي ايتها العاصفة
وطوحي الهشيم ، ومحابر العدم
قبل ان يتوالد الدود في الهياكل
ويتكاثر الجراد على رخام المعابد ..

توالد الدود في الهياكل ، وتكاثر الجراد على رخام المعابد ايضا كنايتان رمزيتان (١٠) ، والى عدد مقبل نتابع هذا الجرد ..

دمشق **عدنان بن ذريل**

(١) و (٢) راجع في عدد حزيران « يونيو » ١٩٦٨ ، وعدد ايلول « سبتمبر » ١٩٦٨ من الاديب الغراء مقالتي ، التجربة في صور البيان، والتضمين في الشعر الحديث لعدنان بن ذريل . (٣) ــ راجع مثلا في عدد اذار « مارس » ١٩٦٦ من الاداب الغراء مقالة : من اوجه الحداثة في الشعر المعاصر لجبرا ابراهيم جبرا .. وكثير من تصريحات الشعراء ، ادونيس ، عبد الوهاب البياتي ، صلاح عبد الصبور وغيرهم توحي بالتوق الى التمييز بين انواع التضمين . (٤) ــ راجع مثلا « التلخيص » للخطيب القزويني . (٥) ــ ليس لهذه الصورة البلاغية اسم مصطلح ، ولذلك اطلقنا عليها « عقد النظم » بعد حله طبعا . (٦) ــ هذا المثال الحديث نموذج حديث للاستعانة في التضمين . (٧) و (٨) ــ يشيع اليوم هذا النوع من التلميح ، والذي يصحبه احيانا سرد ، واحيانا اخرى استطراد ، او نجده مجرد تلميح ، او نجده ممزوجا بالتكنية في التشبيه او الاستعارة او الكناية، وسندرسه في عدد قادم . (٩) و (١٠) ــ كنا اوضحنا في اعداد سابقة فنية الصور البلاغية الرمزية ، وميزناها عن الصور البلاغية العادية ، وسنعود الى بحثها مع امثلة في عدد قادم ان شاء الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسن العطار والشاعر بطرس كرامة

بقلم محمد عبدالغني حسن

* * *

تصادفنا في الجزء الرابع من « الخطط التوفيقية » عبارة نقلها المؤرخ علي باشا مبارك عن الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر واستاذ الرائد المصلح رفاعة الطهطاوي يقول فيها المترجم له – اعني العطار نفسه – بنص عبارته: « قدم علينا بمصر عام سبعة وثلاثين بعد المائتين والالف، كبير رجال الدروز لقيام اهل الجبال عليه ، ملتجئا بوزيرها محمد علي . وقدم بصحبته بطرس النصراني ، فاجتمع بالفقير – يعني العطار نفسه – مرارا ، ورأيت منه ادبا جما ومحاضرة ومعرفة بالتواريخ والايام والانساب والنحو وغير ذلك . وكان يكتب الخط الحسن . وامتدحني بقصيدة منها :

« اما الذكاء فانه اذكى وابرع من اياسه
اضحى البديع رفيقه لما تفرد في جناسه
في أي فن شئته فكانه باني اساسه »

والحق ان هذا الكلام الذي يقوله الامام المجدد الشيخ حسن العطار ، وينقله عنه الرائد المؤرخ علي مبارك باشا يحتاج الى تأمل كبير ، ولا يصح قبوله على علاته مهما كان مصدره . فان آفة المؤرخين حين ينقلون ان تختلط عليهم الامور ، وتتشابه عليهم الاسماء والصفات، وخاصة اذا كانوا ممن يجمعون ويصنفون ، لا ممن يحققون ويحللون . وما نريد بهذا الكلام ان نوجه طعنا الى علي باشا مبارك ، فان فضل الرجل في جمع المادة التاريخية لخططه فضل كبير لا يجحده الا مكابر . ولكن مثل هذا الجمع قد يكون في بعض الحالات مزلقة الى الوهم ووقوع الخطأ .

فمن هو كبير الدروز هذا الذي ثار عليه اهل الجبال والتجأ الى مصر محتميا بمحمد علي باشا ، ومن هو بطرس النصراني هذا الذي جاء بصحبته ، والذي كان جم الادب، حسن المحاضرة ، عارفا بالتاريخ والايام والانساب والنحو، والذي كان حسن الخط ، حاضر الشعر الى حد انه مدح الشيخ حسن العطار بقصيدة روى لنا المترجم ثلاثة من ابياتها ؟

الحق ان هذا الخبر قد يقبله القارىء العادي بدون أن يلفت نظره فيه شيء . ولكن القارىء المتعمق المتفطن للاحداث وتواريخ الرجال يقف عنده وقفات طويلات . فكبير الدروز هذا لم يكن – كما روى واهما علي مبارك باشا عن حسن العطار – رجلا من الدروز بله ان يكون كبيرهم ، وانما هو الامير بشير الشهابي الذي لم يكن درزيا . اما كبير الدروز في لبنان يومذاك فكان الشيخ بشير جنبلاط ، وليس هو من بيت الامراء الشهابيين ، ولكن اسم (بشير) اختلط على الراوي والناقل . فبشير الشهابي الذي جاء الى مصر وفي صحبته «بطرس النصراني» هو غير الشيخ بشير جنبلاط كبير الدروز الذي لم يجيء الى مصر ، ولا عرف التاريخ انه احتمى بمحمد علي باشا او وفد اليه ...

والحق ان أهل الجبال – يعني جبال لبنان – قد ثاروا على الامير بشير الشهابي لاسباب سياسية ليس هنا مجال ذكرها . وكانت اسرة جنبلاط الدرزية تؤيد الامير بشير الشهابي وتناصره (١)، ليحفظوا بهذا نفوذهم وسطوتهم امام الاسر الدرزية الاخرى . ومن هنا جاءت العداوة بين الامير بشير الشهابي وبين الدروز . ولم يخضع بعض اهل لبنان لسلطان الامير بشير الشهابي ، وابوا ان يؤدوا الى خزانته المال المفروض عليهم، فقامت بينه وبينهم حروب ودسائس ، واستحدثت امور انتهت بمجيئه الى مصر سنة ١٨٢١ ملتجئا الى محمد علي ، ومتفاهما معه على بعض الاوضاع والمخططات في الشام، وفي صحبته شاعره الاديب اللبناني الكبير ، الشاعر بطرس كرامة صاحب ديوان « سجع الحمامة » ، واقرب المقربين الى الامير بشير الشهابي.

هذا هو (كبير الدروز) الذي اشار اليه الشيخ حسن العطار في كلامه عن نفسه الذي نقله عنه علي مبارك باشا في الخطط التوفيقية ، وهذا هو (بطرس النصراني)الذي كان في صحبته ...

وقد روى الكونت فيليب دي طرازي صاحب تاريخ الصحافة العربية ، والاب لويس شيخو اليسوعي صاحب « الاداب العربية في القرن التاسع عشر » البيتين اللذين قالهما الشاعر اللبناني بطرس كرامة في مدح الامام الشيخ حسن العطار حين قابله بمصر لاول مرة في ابان صحبته للامير بشير الشهابي ، وهما:

قد كنت اسمع عنكم كل نادرة حتى رأيتك يا سؤلي ويا ادبي(٢)
والله ما سمعت اذني بما نظرت لديك عيناي من فضل ومن أدب!

على ان الابيات السينية التي رواها حسن العطار نفسه هي من قصيدة طويلة للشاعر اللبناني بطرس كرامة في مدحه يقول (٣) فيها :

وافى يطوف بشمس كاسه قمر تلثم في نواسه
طاب الصبوح ، فخذ على ورد بوجنته وآسه
تكسو الحميا خده قبسا هدينا باقتباسه
حلو اللمى ... لكنه ولى الجفون على احتراسه
ابدا يجور بلحظه من جفنه سيف افتراسه

(١) تراجم مشاهير الشرق : لجرجي زيدان ج١ ص٦٤ – ٦٨ الطبعة القديمة (٢) تاريخ الصحافة العربية ج١ ص ١٣٠ و « تاريخ الاداب العربية » لشيخو ص ٥٢. وديوان بطرس كرامة ص ٢٩١ (٣) ديوان سجع الحمامة ص ٣٠٠

لقاء الغرباء

★

أتذكر أنا التقينا معا — هناك على قمة المنحدر
غريبين في عالم زاخر — وحيدين رغم ضجيج البشر
تمر الجماعات في دربنا — نراها ولكن كلمح البصر
تمر وتمضي وما من دليل — يشير اليها وما من أثر
ترانا نراها بعين الخيال — فتوهمنا بوجود عبر
فاني غريب وانت غريب — كلانا يطل على المنحدر

دمشق — سلافة العامري

ظبي تملك حبه — قلب المتيم مع حواسه
فتن الخواطر جفنه — لما تنبه من نعاسه
وغدا الفؤاد كناسه — فعلام يفتك في كناسه
افدي بروحي اهيفا — ما دمت حيا لم اناسه
من قاس بالاغصان قامته — توهم من قياسه ...
جاذبته بيد الهوى — حتى غدوت اعز ناسه
اتراه قاسى ما لقيت من — النوى او لم يقاسه !
مذ غاب عني لم يرق — لي مؤنس بعد ائتناسه ؟
قد كان لي كبد بها — القى النوى وشديد باسه
لكنني قد بعتها — بالوصل ايام اختلاسه
لم انس يوم لقائه — لم انسه وحياة راسه !
يادر مبسم ثغره — لازلت ترشف من لعاسه !
اصبحت تحكى نظم منشى النظم — من بعد اتدراسه
حسن الثنا العطار صدر — الفضل بل مولى اناسه
حبر سحاب علومه — لم يرم يوما باحتباسه
ومهذب ينحط كل مهذب دون اقتماسه
اما الذكاء فاته — اذكى وابرع من اياسه
اضحى البديع رقيقه — لما تفرد في جناسه
لم يلتبس من مشكل — الا جلا وجه التباسه
في اي فن شئته — فكانه باني اساسه
يا من بلاغته حكت — سيل الحيا عند انبجاسه
خذ بنت فكر اقبلت — تهدي القريض لبان آسه
ترجو نوال تسامح — لم تات الا بالتماسه ..
واسلم ودم ما اهيف — وافى يطوف بشمس كاسه ..

وتبلغ ابيات هذه المدحة البطرسية للشيخ حسن العطار تسعة وعشرين بيتا . ويلاحظ ان بناءها والفاظها ومضمونها لم تخرج عن مسنون الشعر في ذلك العصر الذي كان التقليد فيه غالبا الى حد كبير. وعلى الرغم من سخافة النسج، وتفاهة المعنى ، ومحاكاة القدماء في عصور الانحطاط الادبي، فقد عد الشاعر بطرس كرامة من كبار شعراء ذلك العهد ، واستأثر برضى الامير بشير الشهابي استئثارا زحزح الشاعر نقولا الترك عن مكانته عنده .

ولم يمدح الشاعر اللبناني بطرس كرامه الشيخ حسن العطار وحده في مصر ، بل مدح العالم الكبير الشيخ المهدي ، ولكنه خلط في مدائحه بين العلماء والقيان... فمدح بمصر مغنية في عصر محمد علي كانت تدعى « أم رضوان » ، فقال فيها واحسن :

رعى الله مصرا ! ان مصرا لجنة — يزول بها من صاحب الهم همه
ففي جنة الفردوس رضوان وحده — وفي مصر رضوان كذاك وامه !

والحق ان بطرس كرامة اعجب بمصر كلها ، ما بين علمائها وقيانها ، ورجالها ونسائها ، فقال يمدحها بقصيدة مطلعها :

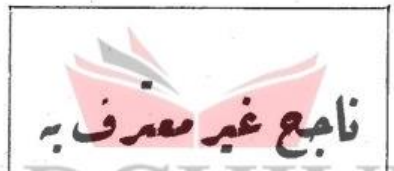
تجلت لدينا في محاسنها مصر — فراق لنا وجه المسرة والبشر

ولقد وهم صديقنا المؤرخ الجليل الاستاذ محمود الشرقاوي صاحب كتاب « مصر في القرن الثامن عشر » فذكر في صفحة ٥٠ من الجزء الاول من كتابه ان الذي قدم الى مصر في أيام محمد علي وتعرف اليه الشيخ حسن العطار « هو رجل من الدروز اسمه بطرس ». ولن نضيف هنا تصحيحا جديدا . فبطرس كرامة لبناني مسيحي ، كان شاعر الامير بشير الشهابي ، وما كان درزيا في يوم من ايام حياته ..

القاهرة — محمد عبدالغني حسن

ناجح غير معترف به

بقلم عبد الحميد الانشاصي



كان يرى متجولا في الاسواق حاملا على صرره بسطة معلقة بعنقه بقشاط سميك من الجلد . ومن يلق نظرة على بسطته يرى بزورا مختلفة محمصة وضعت في خانات بفواصل خشبية . بزور يتحلب لها الفم لما ادخر فيها من لذة لا وجود لها في غيرها من البذور التي يعرضها غيره من الباعة . لقد حار الناس في تلك اللذة الغريبة التي لا يولدها في البذور احد سواه في المدينة كلها . ما السر في ذلك ؟ السر في قلب الرجل الذي يبيعها ـ معروف . هناك نكهة عجيبة شبيهة بنكهة اللحم المشوي . من اين اتت؟ ان معروفا رجل فنان يعرف كيف يحمص البذور وكيف يجذب اليه الناس ويجعلهم يقصقصون بذوره ويمضغونها وهم يشعرون بمتعة لا مثيل لها وبرغبة شديدة في تذوق تلك المتعة مدى الحياة .

معروف رجل فقير ضخم الجسم اسمر اللون ولكن سمرة لونه فيها شيء من الحمرة الشبيهة بالحمرة الخفيفة التي تعلو البذور المحمصة. وشعره الغزير المشوب ببضع شعرات بيض تستره طاقية من الصوف الابيض المخطط بخيوط بنية اللون . جفنا عينيه السفليان منقلبان قليلا ، وباطنهما احمر لا يرتاح النظر اليه . وعيناه واسعتان جدا يخيل الى من ينظر اليهما ان معروفا يحدق اليه بهما مع انه يرنو الى شيء اخر . وفمه واسع ممتلىء الشفتين متباعدهما. وشفته السفلى تتدلى في كسل واهمال . وبطنه مندلق في قوة يحول بين معروف والانحناء لربط حذائه او رؤية قرش يقع منه على الارض على مقربة من قدميه . ومن ير ظهره المقعر وبطنه المحدودب يشعر ان ذلك الرجل يحمل ثقلا يحتاج معه الى راحة طويلة بالاستلقاء على كنبة تتسع لجلوس ثلاثة اشخاص .

(معروف طيب القلب . قلبه يفيض عطفا ورحمة وانسانية وان كان اميا بسيط المنبت غليظ الشكل دميم المنظر) .

« اعطني قليلا من البذور يا معروف . ان بذورك شهية لذيذة ـ هات حفنة من بذورك يا معروف . ـ وفقك الله يا ابا نظمي ! »

انه يقدم شيئا من بذوره بلا ثمن . يقدمها هدايا للمعجبين به كلما سار في الاسواق مناديا على بضاعته . يقدم بذوره عن طيبة قلب وهو يبتسم الى الناس حاسرا شفتيه عن اسنانه الكبيرة اللامعة.

كل يعرف معروفا ـ ابا نظمي . كثيرون من الناس يثنون عليه ويصفونه بطيبة القلب والكرم والانسانية .

انه يهدي من بذوره الشيء الكثير ، ولكنه يبيع منها ايضا الشيء الكثير . لقد كسدت بذور غيره من الباعة لان بذوره هو شهية ولانه يمتاز بالكرم والانسانية .

الآن يرفع معروف امامه عربة عليها بسطة واسعة تحتوي على بذور متنوعة نهضت في اشكال كالتلال والاهرام ـ بذور كثيرة ولكنها تباع بسرعة . معروف بائع موفق تدر عليه بضاعته ربحا غزيرا وان كان التجار يستهينون بها ولا يأبهون لها .

لقد ارتقى معروف سلم النجاح والشهرة بسرعة . انه الآن صاحب حانوت فيه بذور وفستق وبندق ولوز وقضامة . يشتري منه الساهرون الذين يقضون ساعتين في دور السينما ما يحتاجون اليه من تلك البضاعة اللذيذة التي يعرضها . يقصدون اليه وان كان بعيدا عنهم . ليس من الضروري ان يحملها في بسطة او يدفعها على عربة متجولا في الاسواق . لقد اصبح الان شهيرا ، وبضاعته دائما طازجة ساخنة . .

ولم يكتف معروف بذلك بل جعل يبيع في قسم من حانوته الوانا من الساندويش للساهرين الذين يخرجون من منازلهم دون ان يتناولوا عشاء . وبذلك اتسعت اعمال معروف ، وانهالت عليه الاموال من كل صوب . انه الآن مسؤول عن ثلاثة عمال يعملون في حانوته . ولا عمل له الا الاشراف على تحميص البذور وصنع مواد الساندويش ، والجلوس وراء طاولة واسعة انيقة في مكان من الحانوت حيث يستقبل اصدقاءه ومعارفه .

شيدت له دار فخمة واشترى سيارة خاصة ، ثم اقيمت له ثلاثة حوانيت ، فنقل اليها بضاعته ، واصبح الآن احد التجار البارزين في المدينة .

وابنه نظمي يتلقى العلوم في جامعة القاهرة . انه يدرس الطب. وهو تلميذ ناجح يأخذ علامات جيدة في الامتحانات . والناس يقولون : ان معروفا رزق ولدا نجيبا لانه طيب القلب ويستحق هذه النعمة التي اسبغها الله عليه ـ الولد الذكي والاموال الوافرة .

ومع ذلك فان معروفا لا يزال متواضعا يلاطف الناس جميعا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتحبب اليهم ويرحب بهم في حوانيته في حرارة وابتسام . يساير الفقراء والبسطاء كما يساير الاثرياء والوجهاء . وهو كثير النكات حلو الحديث يمازحه المعارف من تجار وصناع وعمال كما يمازحه الاصدقاء .

لقد تراكمت امواله . يريد ان يقوم بأعمال اخر غير تلك التي يقوم بها . انه يأبى ان يتركها في المصارف دون ان يستثمرها ويعود بالفائدة على عدد من العمال من ابناء مدينته .

سمع منذ بضعة ايام ان فئة من الاغنياء اجمعوا على ان يؤلفوا شركة لانشاء مصنع لليف المعدني. انه المصنع الوحيد في نوعه الذي فكر اولئك الاغنياء في انشائه في المدينة . اجتمع معروف بتلك الفئة من التجار وعرض عليهم ان يشترك معهم في انشاء المصنع . ولكنهم ابوا عليه ذلك متظاهرين بأنهم ليسوا في حاجة الى شريك بالاضافة الى الشركاء الذين تم الاتفاق على ان تؤلف الشركة منهم. ولكن تبين لمعروف بعد ذلك انهم رفضوا ادخاله في الشركة لانه نبت من اصل وضيع لا ينسجم مع اصولهم « العريقة » المعروفة في المدينة . من هو ابوه ؟ الم يكن عتالا ؟ ومن هي امه ؟ الم تكن غسالة ملابس ؟

حز في نفس معروف ان يرفضه اولئك التجار المتعجرفون لهذا السبب ـ ضعة الاصل . كتم في نفسه ثورة صاخبة :

(اصوات من الداخل : مغظم الناس نبتوا من اصول وضيعة . لقد نسي سليمان الفرهودي ان جده كان مزارعا بسيطا يزرع الفجل والبندورة في قطعة ارض لا تزيد مساحتها على دونمين . ويوسف حمدان نسي ان جده الاول كان فلاحا يعيش في بيت من الطين بقرية لا يعرف الكثيرون الطريق التي تؤدي اليها . ليس في تلك الشركة رجل عريق الاصل سوى عبد المجيد راشد . انه من آل راشد الاثرياء المعروفين . ولكنني لست ادري لم رضي ان يدخل سليمان الفرهودي ويوسف حمدان في الشركة وردني خائبا . ان ذينك الرجلين ليسا افضل مني . انني وان كنت بسيط الاصل غير انني الآن من الموسرين البارزين ومن التجار الموفقين المرموقين . كل يعرفني ويحترمني ويلاطفني . وفي امكاني ان انشىء مصنع الليف المعدني وحدي دون الاستعانة بأحد



عبد الحميد الانشاصي

●

من الشركاء . انني قادر على ذلك لدي من الاموال ما يكفي لتنفيذ ذلك المشروع الحيوي الهام) .

(منظر في الداخل : يدخل معروف على الشركة وهي مجتمعة في غرفتها ويصيح بأعضائها قائلا وهو مربد الوجه : انكم لستم بكوات ، ولست انا عاملا عندكم . ان كنتم قادرين على ان تنشئوا مصنعا لصنع الليف المعدني فان في امكاني انا ايضا ان انشىء مصنعا آخر مثله . وسنرى اينا يتفوق على منافسه : انا ام انتم) .

« اصوات من الخارج : هذا تاجر لا شأن له وان كان غنيا . كل يستخف به ويمازحه . فكيف نشركه في انشاء المصنع ؟ منذ بضع سنوات كان يرتدي قنبازا ويبيع البذور في بسطة معلقة برقبته . ايجلس رجل كهذا بجانبنا ؟ وهل في امكانه ان يدلي براي ذي قيمة ؟ ان الظروف هي التي اوصلته الى هذه الدرجة من الغنى . انه رجل امي سخيف لا يستحق تلك الثروة التي احرزها . ـ ان ابا نظمي يستحق كل خير . انه افضل بكثير من تلك الفئة المتعجرفة المتعالية التي استأثرت بمصنع الليف المعدني . ابو نظمي رجل طيب القلب دمث الخلق وهو في الوقت نفسه ثري . انه خير من مئات الرجال . ـ دعوهم ينشئون ذلك المصنع . انني اعرف كيف اغيظهم واتفوق عليهم . انا ابو نظمي » .

انشأت الشركة مصنعها، وباشرت العمل . وسرعان ما رأى اعضاؤها بناء ضخما يشيد لمعروف بائع البذور والساندويش .

ـ لمن هذا البناء ؟

ـ لمعروف السروجي .

ـ لاي شيء شيد ؟

ـ لانشاء مصنع لليف المعدني.

ـ لقد انشىء ذلك المصنع . نحن الذين انشأناه .

(يا له من رجل صغير العقل . أيريد ان ينافسنا ؟ لا بد من ان نجره الى الافلاس ونعيده بائع بذور في بسطة كما كان) .

كثيرون من الناس اخذوا يشجعون معروفا على انجاز عمله . كل يريده ان يتغلب على تلك الشركة المتعجرفة .

ـ لقد احسنت صنعا يا ابا نظمي . ان مصنعك اوسع من مصنع منافسيك ، وآلاته احدث واسرع واتقن انتاجا من آلات ذلك المصنع . وفقك الله يا ابا نظمي ! لا ريب انك تستحق كل خير لانك رجل طيب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ كل ذلك لمصلحة أهل بلدي . لقد قنعت بالربح الضئيل في سبيل مصلحة أهل بلدي .

(انني لست طماعا اتهافت على المال كما تفعل تلك الشركة) .

ـ اجل ان ما ينتجه مصنعك ارخص ثمنا مما ينتجه مصنع تلك الشركة . انك قنوع. ولهذا السبب أسبغ الله عليك نعمه .

(اؤكد لك ان الشركة لا بد ان تفلس ويبقى مصنعك وحده في المدينة) .

ـ لقد استحضرت لمصنعي خبراء معروفين برواتب ضخمة وعمالا نشيطين .

(انني مخلص في كل شيء : في تحميص البذور والحبوب وصنع الساندويش وفي انتاج الليف المعدني ايضا) .

ـ ان هذا ما يجعلك تتفوق على منافسيك . انت لست بخيلا كأصحاب ذلك المصنع . ان ما يهم الناس هو الانتاج المتقن الرخيص الثمن . ومعارفك واصدقاؤك كثيرون . انك محبوب . اهل المدينة جميعا يذكرونك بالخير . فلا شك ان الناس لا يعاملون احدا سواك . ستروج بضاعتك وتكسد بضاعتهم .

(لعنة الله عليهم ! ما امكرهم وما اخبثهم ! انهم لئام لا يحبون الا نفوسهم . ولكن الله بالمرصاد) .

وقد راجت بضاعته فعلا . ان عملاءه كثيرون، ومعارفه واصدقاءه عديدون . صار الشخص الذي يشتري منه بذورا محمصة او ساندويشا يشتري منه ليفا معدنيا ايضا . واصبح عدد كبير من التجار عملاء له يبتاعون منه كميات كبيرة من الليف المعدني . وبذلك ازداد شهرة فوق شهرته الاولى .

وهذا ما كان سببا في افلاس مصنع الليف المعدني الذي تديره الشركة . لم تستطع الشركة ان تثبت امام معروف فأفلست . ولم تجد بدا من ان تبيعه آلات المصنع بثمن بخس . وكان تفوق معروف على منافسيه حديث التجار والجلساء في المقاهي والمارة في الشوارع والاسواق . رجل واحد يصارع رجالا وينتصر عليهم . امي من أصل وضيع يتغلب على وجهاء اثرياء ذوي نفوذ وثقافة . « لقد سحق منافسيه بما يمتاز به من دماثة الخلق وحلاوة النطق وحسن المعشر » : هذا ما يقوله العوام . « لقد جر معروف الافلاس على الشركة بذكائه وملاحظته الثاقبة في فهم حاجة الناس وكيفية ارضائهم»: هذا ما يقوله التجار . « ان الليف المعدني الذي ينتجه مصنع معروف السروجي متين الصنع يدوم مدة طويلة » : هذا ما تقوله النساء في المنازل .

★

لقد تخرج نظمي في جامعة القاهرة . تفوق بدرجة امتياز . انه طبيب الان . طبيب متخصص بالقلب . انه الطبيب الوحيد المتخصص بالقلب في المدينة . لذلك غصت قاعة عيادته بالمرضى . ومما زادهم عددا شهرته التي انبثت في المدينة ، فقد صار الناس يعرفونه طبيبا بارعا لا شبيه له . وكما انهال المال على ابيه من قبل انهال عليه ايضا فأصبح ثريا . وهو الآن يريد ان يتزوج . مضى شهر وهو يبحث عن فتاة يعجب بها ويؤثرها على غيرها من الفتيات . انه طبيب مشهور . ولا شك ان الحسان يتنافسن في كسب قلبه وحبه . هو شاب جذاب ملامح الوجه وان لم يكن جميلا ، ومتناسب اعضاء الجسم وان لم يكن نحيف القامة . فيه ذكاء وثقافة وموهبة وخلق حميد ورقة في المعاملة . فكيف لا تتنافس الفتيات في كسب قلبه وحبه ؟

ـ ان سميرة السعيد فتاة رائعة الجمال . شقراء وشعرها الطويل شبيه بسبائك من الذهب . هل تود ان أخطبها لك ؟

(قالت لي جارتي : لو ان ولدها عزب لخطبتها له . اياك ان تتركها لغيرك) .

ـ لقد رايتها مرارا يا امي . ولكنها ليست مثقفة . فكيف استطيع ان اعيش معها ان تزوجتها؟

(انك لا تعرفين ذوقي . انت تختارين الفتيات اللواتي يرقن في نظرك لا اللواتي يرقن في نظري) .

ـ وابتهاج نور الدين ؟ انها من أصل عريق وثرية وذات وجه صبيح وقوام نحيف . هل تميل اليها يا ولدي ؟

(انها زهرة بنات المدينة فلا تهملها . ليس في المدينة فتاة افضل منها) .

ـ اعرفها . انها مجردة من الانوثة المعنوية . جامدة . قطعة واحدة كتمثال لا حياة فيه .

(دعيني اختار فتاة تروقني ولا تحملي نفسك مشقة الاختيار ، فأنا ادرى منك بالجمال الحقيقي) .

عبوس وانقباض ونفور . واصطدام وخيبة وحيرة . هذا ما بدا على وجهي نظمي وأمه .

ـ يخيل الي انك تحب . هل وقع اختيارك على فتاة يا بني ؟

(صارحني . كن صريحا معي).

فكر نظمي هنيهة وهو يبتسم ونظره منكسر الى الارض خجلا . ولم يجب امه بكلمة .

ـ قل يا بني . اجب . ما لك ساكتا ؟ لا شك انك تحب فتاة لا تريد ان تذكر لي اسمها .

فضحك نظمي مقهقها ، وبدا في مظهر ولد صغير استولى عليه الفرح . ثم رفع نظره الى امه وقال:

ـ اشعر برغبة شديدة في الزواج بأمل .

(انها فتاة فاتنة استولت على عقلي من اول نظرة القيتها عليها . فكيف لم تخطر في بالك يا امي ؟)

ـ امل من ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى ولدي

ولدي وما أحلاه من ولـد هـذا ولي العهـد بـل سـندي
ماذا سأورثـه سـوى أدبي والشعر غـير الشعر لم أجـد
يـا ليت لي الدنيـا لاعطيـه الدنيـا لكي يحيى على رغد
سميته ـ عيسى ـ على اسم ابي أيكون هـذا الشبل كالاسـد
أيكـون مثل أبـي بطلعتـه وبحوثـه والعلم والجـلد ؟
هذي أجـل ، أمنيتي كمـنت في أن أراه قبـلة البـلد
يـا ليتني أحيـا لانظـره رجلا عظيم الشأن بعـد غـد
قبـلته وحملتـه بيـدي فكـأنمـا حملت يـدي كبدي !
وتكـاد عينـي لا تصدقنـي واخـال هذا الكـون ملك يدي
فـأراه مثل وريـدة فتحـت وأراه مثل الطـائر الغـرد
هـذا عمـاد البيـت وافرحي والبيـت أصبح ثـابت العمد
فاذا يئسـت فانـه أمـلي واذا وهنـت فـانه عضدي !
ولـه أخيـات سعـدن به وأحطنـه بمحبـة ودد
والام يرقـص قلبها فرحـا وتزقه قبـلا بلا عـدد
حمـدا لربي هـاك أفعمنـي فضلا وهل أنسـاه للابـد
والـذ موسيقى يرددهـا صـوتي اذا ما صحت : يا ولدي!

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ أمل المهتدي .

فقطبت أمه مفكرة ، ثم بسطت أسارير جبهتها وقالت :

ـ آ ! مديرة المدرسة الثانوية ؟

ـ اجل . هي نفسها .

(انك لا تستطيعين ان تقولي انها ليست جميلة ـ بل اجمل فتاة في المدينة) .

فزاغ بصرها الى ناحية ، وغاضت حيوية وجهها ثم قالت :

ـ ان هـذه الفتاة طلب يدها كثيرون من الشبان الاثرياء وابنـاء الوجهاء ، فرفضتهم جميعا .

(انها فتاة متكبرة وليست جميلة كما تتوهم . ولسـت ادري كيف وقع عليها اختيارك) .

فشعر نظمي بفتور في قلبه ، ثم قال بنغمة رخوة :

ـ لماذا ؟

(لعك في اولئك الشبان عيوبا لا تعرفينها) .

ثم شعر بفيض من الثقة وقال :

ـ ولكنها من المحال ان ترد طلبي . لا بد ان ترضى بي زوجا .

(انني طبيب موفق . وكل الفتيات يتهافتن على الاطباء) .

ولكن أمل المهتدي رفضت طلبه وقالت لامها : « أاتزوج شابا كان ابوه بائع بذور متجولا وجده عتالا وجدته غسالة ؟ انني مديرة مدرسة ومثقفة وجميلة وذات حسب . هذا محال » .

وهكذا كسف الشاب الطبيب البارع المشهور الثري ابن التاجر معروف الذي يملك مصنعا لصنع الليف المعدني وحوانيت لبيع البذور والحبوب المحمصة والساندويش والذي يملك دارا فخمة وسيارة خاصة انيقة ، لا لشيء سوى انه وضيع الاصل وتلك الفتاة التي طلب يدها عريقة الاصل .

« انبذ تلك الفتاة المتكبرة . ارمها ولا تفكر فيها . سأطلب لك يد أجمل فتاة في المدينة . دعك من الحسب والاصل . المهم الخلق المتين والجمال الرائع . والتي سأخطبها لك تجمع بين الجمال ومتانة الخلق . انها افضل فتاة في المدينة . وستستصوب رأيي بعد ان ترى تلك الفتاة الخلابة . استمع الي واعمل بنصيحتي، فانني خبير بالحياة واعرف كيف اجعلك تتغلب على اولئك الذين تكبروا عليك كما تغلبت على شركة مصنع الليف المعدني » : هذا ما قاله معروف لولده في سخط وثقة .

وقد خطب معروف لولده فتاة منقطعة النظير في المدينة . اعجب بها ولده نظمي اعجابه هو وزوجته بها . وحينما سمعت أمل المهتدي بخطبة نظمي عضت شفتها السفلى ندما وقالت في نفسها : « يا لي من فتاة غبية ! »

عمان — عبد الحميد الانشاصي

يوسف البعيني

بقلم شكرالله الجر

* * *

يوسف البعيني قضيب من الورد لفه الموت بمنديله ، وكتلة من لوزعية ما ان اطلت على قمة الاربعين حتى هوت على رغمها تناشد ظلا من ظلال الابدية لتستريح . .

اتراه اجم الحياة فعافها ؟ لا لا بل احبها على شتى حالاتها وصورها . انما الموت وهو عدو الحياة ما برح يقتلع من احضانها كل محب لها وحبيب الى قلبها ليوقفها على ضريحه منبوشة الشعر مقرحة الاجفان .

وهذا تمثالها المنتصب على مدخل مدينة الاموات في جبانة « سان باولو » ما مر تحته نعش من نعوش الشباب الا القت عليه زهرة ورصعته بدمعة.(١)

اما أن ينهال التراب على ذلك الجسد الغض والجبين المتهلل المشرق ، ثم يسدل ستار النسيان على عبقرية البعيني فهذا الم مزدوج . ولعل اقرب المقربين اليه في الامس اذا ذكروه اليوم، فكما يخفق برق او يرف جناح !

فلا رسم يذكرنا به ولا مجموعة من اثاره نرجع اليها. وهو الذي سكب قلبه في ادبه رحيقا يسكر الشاربين . . انه واحدة من تلك الشموع الذائبة في هياكل الفن. انه شراع تائه في بحر الظلمات ، وعلم من اعلامنا المنطوية في عتمة المجهول !

نظم البعيني في حياته قصيدة واحدة كانت يتيمة العمر عنده . . ولماذا ينظم اكثر من قصيدة ؟ وكل ما قرأناه من نثره ينزل منازل الشعر من النفوس اذا انقصته القافية والوزن فما نقصته الومضة والنبرة والنغم .

والشاعرية العارمة الاصيلة لا ترضى الاوزان قيودا وحدودا ، بل هي كالانهر الصاخبة تكتسح السدود والجسور لتغمر التلال والسهول .

اما يتيمته الخالدة فاليكها باوزانها وقوافيها :

وتعالي في الصباح نرتد الشمس وشاح
فوق اكتاف التلال وامسحي دمع الليالي
عن عناقيد الدوالي وازاهير الاقاح

واذا هل القمر خلف عرزال الشجر
يتهادى في فتون فاضحا ما في العيون
من شكوك وظنون وشؤون وشجون
تختبي بين الزهر
فتعالي نحتس كاس الوصال بعد هجر وانفصال بين هاتيك الظلال

أترى تحمل هبات الرياح عن ليالينا
خشة الفلك وتهليل الصباح عن شواطينا
وعن الاطيار في الروض صداح موقظا فينا
ذكر أوقات عذاب في حمى فجر الشباب
قبل ايام اغترابي بين زهو وتصابي وقبل
كل شيء غاب في دنيا الغير من امانينا
ورضينا بالذي خط القدر فوق ايدينا
من تباريح اغتراب وكدر راح يفنينا
ليس للايام عهد لا ولا للشوق حد
فالصبا لا يسترد والهوى جزر ومد كالامل

عرفت البعيني للمرة الاولى التي عرفت فيها « سان باولو » مدينة الصناعات الجبارة وهي المعروفة بـ (منشستر – البرازيل) تجمع فيها مئات الالوف من السوريين واللبنانيين ، ومنهم اصحاب المعامل الضخمة والمتاجر الكبرى . وفيها الصحافة العربية الراقية ، من مجلات ادبية شهرية ، وصحف اخبارية يومية واسبوعية حتى بلغ عددها في وقت من الاوقات الثلاثين صحيفة . وفيها العشرات من ادباء العرب، من شعراء وكتاب واساتذة جامعات . وقد شاء ادباؤنا ان يسجلوا قدومي الى تلك المدينة بحفلة اكرامية كان من خطبائها البعيني . وهكذا تعارفنا وجها لوجه وعينا لعين . ومنذ تلك الليلة انبثق في نفسي فجر جديد لصداقة جديدة ونبيلة . وعندما انشأت في عاصمة الاتحاد « مجلة الاندلس الجديدة » كان اول من طرز صفحاتها بفرر بيانه . وكنا كلما زرت سان باولو لاغراض صحفية يكاد لا يفارقني الا ساعات العمل . وتأتي بعدها مواعيدنا مع العشيات الندية نطل منها على مباهج الحياة، في سمرشيق وشباب اخضر ريق.

كان البعيني رحمه الله جميل الرجولية ، انيق المظهر ذا سمرة خمرية تجتذب اليه العشرات من حاملات الغزل في عيونهن ، ورسائل الحب على شفاههن . حتى كانت حنجرة الهاتف في بيته تغص بزقزقاتهن ، بين حرارة البث ، وحلاوة النجوى ، تتجاوب كلها مع نكهة في صوته وعذوبة في حديثه .

وكنا في ليالي الاحاد والاعياد ، نهبط مدينة السانطوس وهي المرفأ الطبيعي لولاية سان باولو ، والمنتزه البحري المفضل لدى سراة القوم وارباب المال . وهي الخليج العريض المنفتح على الاتلانتيك تضيق فنادقه بمئات الضيوف من اغنياء السوريين واللبنانيين ، مما يذكرنا بخليج قرطاجة واجدادنا الفينيقيين وليأليهم المعربدة على بحيرة المتوسط اذ كان لهم على كل بحر مرفأ ، وعلى كل خليج مرقص شأن احفادهم المنتشرين اليوم على شواطىء المعمور .

ومن مباهج النظر الى تلك الضفاف « كازينو

(١) على بوابة جبانة سان باولو تمثال للحياة فريدها باقة من الزهر

حديث الربيع

يا غيمـــة .. بعثرت جرحي عـلى عمري ... وايقظـــت غفوات الريح .. في وتـري
اشعـــلت في افقي المهدوم .. زوبعـــة ... من الشموس.. عرايا .. في مدى حجري
رجلاي .. ما زال في الطرقات .. نوحهما ... ينمو .. جريحا .. كذكرى عاشق غجري
مهدما .. يطعم الاوتار .. من غـــده ... نارا .. ومن يومه الدامي .. رؤى السفر
عامان .. والعطش الرمـلي .. ينهشني ... وعند بـــابي .. تبكي خيمـــة الضجر
عامـــان .. والجرح يهذي عبر حنجرتي ... والحزن غيمة رعب .. والحنـين طري ..

يقـــال .. ان غبار الامـــس .. رأيتـه ... غطت مشـــاجبك الخرســاء .. بالصور
يقـــال .. ان على شفتيك .. منتحب ... كـــل اشتهاء البراري الصفر .. للمطر
يشاع انك .. لكن كيف .. كيف صحـا ؟ ... من بعد عامين .. جوع الساحل العـطر ؟

الريـــح .. ما عبرت ، ليـلا ، شواطئنا ... الا وحدثت الغافين ... عـــن ســـهري
اني .. على سوري المنخور .. مـــنزرع ... رمحـا .. يسائل ليل الشوك .. عن قمر
اني .. على الدرب .. مهجور .. صنوبرة ... عجفاء .. تحلم بالافيـــاء .. والمطـــر

بغداد — علي جعفر العـلاق

اتلانتيك اوتيل » وقد حشد في قاعاته الفسيحة كل انواع الملاهي . فمنها ما خصص للموائد الخضراء حيث تطلع نجوم الحظ وتغيب ، ومنها ما هو للتريض بالرقص على نغمات الموسيقى الهادرة كعصف الريح والناعمة كنسيم البحر .

وفي احدى ليالي الكازينو العامرة وبعد ان تعبنا من مخاصرة القدود الرشيقة تحولنا الى موائد « الروليتا » في الجناح الآخر لنكشف عن دورة الحظ عندنا ، في صحنها الاحمر المستدير وان هي الا دقائق حتى عدنا عنها نردد قول الشاعر المرحوم عقل الجر وله مع هذه اللعبة الجهنمية شؤون وشجون قال :

ودائرة كالدهر تلعب بالمنـــى ... وتزجي بروج الحظ في فلك النحس
دعوها (روليتا) وهي في حكم طبعها ... تدور ولكن بالدواهي على الرأس
لها كرة بيضاء حين تخـالهـا ... تهاوت على العشرين تهوي على الخمس
يطوف فيها القانطون على رجـا ... ويصدر عنها الامـلون على يأس
دلفت اليها عامر الجيب في المسا ... ووليت عنها في الصباح بلا فلس

وبينما نحن في حيرة مع الحظ يغازلنا قليلا ويتجهم كثيرا اذا بسيدة حسناء تقبل علينا بلهفة وتخاطب العزيز يوسف واظن انه يعرفها ..

أرجوك يا سيدي ان تتلطف وتصحبني الى منزلي مع صديقك اذا شئت .. لكوني ربحت مبلغا لفت الي الانظار واخشى من شرك في الطريق !؟

واندفعنا مع السيدة المجهولة الى منزلها ، فاذا نحن أمام قصر تخاله من قصور الف ليلة وليلة ، غريب الرياش نادر التحف .

لم يكن في القصر سوى بعض الوصيفات ، رحن يهيئن لنا ما لذ من طعام ، وما زلنا حتى اوشكت عيون الفجر ان تتفتح ، فقمت الملم اذيالي وعدت ادراجي تاركا صديقي . وعندما رجع الي في عشية اليوم التالي ، راح يسألني والبسمة على ثغره !؟

الم توحي لك ليلتنا الخالدة شيئا من الشعر ؟ فقلت ما شاء الله .. اتراني أتيت معك لاكون مؤرخا لمغامرتك.. ثم دفعت اليه بورقة خضراء فراح يقراها بلهفة :

يا حسنهـــا من ليـــلة ... ملأت حواشي العمر عطفا
كتب الزمـــان سطورهـــا ... بيـــد المنى حرفا فحرفا
يا للقوام الحلو منداحـــا ... على مهـــد وثـــير
يـــا للجمـال مجـــردا ... للعـــين في حلل الحرير
يـــا للانوثـــة في مفانج ... ظرفهـــا المتـــالق
تهتـــز بـــين يـــدي في ... لهـف التشهي الشيق
تلك الوســـائد ما تـــزال ... عـــلى سرير حـــالم
أترى ستذكر انهـــا ... نعمت بخـــد نـــاعم

والان يا يوسف يا رفيق شبابي وغربتي ، كم تمنيت وانا اتنقل هذا الصيف في لبنان وعلى مشارف نهر «افقا» الذي طالما سكرت بانغام خريره ، وفي غابة الوزال التي اظلتك ظلالها وناجتك اطيارها . وبين منعرجات «الهدينة» قريتك الكئيبة . أجل كم تمنيت لو انقل اليك منها يـــا دفين الغربة ، باقة من ذكريات طفولتك وصباك فيها واغطي ضريحك بوشاح من ثلوج ذروتها وازهار واديها ..

جبيل ـ لبنـــان — شكرالله الجر

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

الشيخ عبدالله القلقيلي - نجيب ساعاتي

فؤاد ترزي - راضي صدوق

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ عبد الله القلقيلي

ظلت الحكمة التي تعشقها الشيخ القلقيلي وترنم بها قول الحسن البصري : « رحم الله رجلا نظر فتفكر ، وتفكر فاعتبر ، واعتبر فابصر ، وأبصر فصبر ! » .

ولد الشيخ « عبد الله » في بلدة قلقيلية بفلسطين عام ١٨٩٩ وانهى دراسته الابتدائية في مدرسة بلدته الحكومية وكان يديرها العالم الشيخ محمد العورتاني المعروف بعلمه وزهده وتقواه !

وفي عام ١٩١٢ قصد الشيخ القلقيلي مصر طلبا للعلم والتحق بالازهر الشريف وامضى فيه حوالي ست سنوات ونال الشهادة الاهلية ، لكنه تطلعا الى المزيد من العلم التحق بكلية الآداب بالجامعة المصرية وسلخ فيها سنتين ونشر بعض المقالات في جريدة « الكوكب » التي كان يصدرها في القاهرة الشيخ محمد القلقيلي .

وبتكليف من الدكتور احمد ضيف ، وكان استاذا للادب العربي في كلية الآداب بالجامعة المصرية ، القى الشيخ « عبد الله » محاضرتين قيمتين بعنوان « اللفظ والمعنى في كتاب الصناعتين » لابي هلال العسكري ، نشرهما الشيخ محمد القلقيلي في « الكوكب » ولاقتا من الدكتور احمد ضيف وزملائه العاملين في الحقل الادبي اطراء وتقديرا .

وخلال وجود الشيخ « عبد الله» في القاهرة انتسب الى الحركة الوطنية بزعامة المرحوم سعد زغلول وعمل سرا في منظمات وطنية لكن رجال المباحث تعقبوا اثره ، واكتشفوا خبره ، وسجلوا اسمه في القائمة السوداء !

وفي عام ١٩١٩ والثورة الوطنية مشبوبة اللظى في مصر عاد الشيخ « عبد الله » الى فلسطين ، وبعد ان درس الحالة عن كثب .. عول على العودة الى مصر لان مجال العمل فيها واسع ، لكن بعض اخوانه العاملين في حقل التربية والتعليم توسموا فيه الخير لفلسطين فشجعوه على البقاء في الارض الملتهبة ، لتوعية الجيل الصاعد وتثقيفه ، لكنه صمم على مغادرة فلسطين الى وادي النيل مهما كانت البواعث والاسباب !

وقبل ان يبارح بلده الغالي زار بيت المقدس للقاء زميل الدراسة الحاج محمد امين الحسيني فلقي شقيقه المرحوم الشيخ كامل الحسيني الذي شجعه على البقاء في البلاد والتضحية في سبيل المصلحة العامة .

وخلال هذه الفترة عين المربي المرحوم احمد سامح الخالدي مفتشا للتعليم في يافا وبالحاح منه قبل الشيخ القلقيلي التدريس في « العامرية » الثانوية وشرع في تعليم الدين واللغة العربية وآدابها . لكن طرأ خلاف بينه وبين المسؤولين في ادارة المعارف العامة بالقدس كان سببا في نقله الى ثانوية غزة ، واستنكارا منه لهذا النقل قدم استقالته وعاد الى يافا وعين استاذا للعربية وآدابها في مدرسة الفرير وهنا نزعت نفسه الى الصحافة فنال امتيازا بجريدة يومية اسماها « الصراط المستقيم » وصدر العدد الاول منها في يافا صباح ٢ ايلول ١٩٢٥ ، وكانت هذه الصحيفة الوطنية مسرحا لاقلام الكتاب والساسة الفلسطينيين واسهم الشيخ صاحبها بقلمه في محاربة الاستعمار والصهيونية وشجب تهويد فلسطين .

وظلت « الصراط المستقيم » تصدر في يافا الى ان حلت الكارثة الفلسطينية عام ١٩٤٨ فنزح الشيخ عبد الله الى دمشق وزاول التعليم في ثانوية درعا ومنها عاد الى دمشق وعلم في مدارس حكومية ثانوية ونشر مقالات قيمة في جريدة « الف باء » لصاحبها المرحوم يوسف العيسى وفي غيرها وفي مجلة « التمدن الاسلامي » لصاحبها الاستاذ احمد مظهر العظمة .

وفي عام ١٩٥٥ نزح فضيلته الى عمان عاصمة الاردن وعين مفتيا عاما للمملكة تقديرا لكفاءاته العلمية واصدر مجلة دينية اجتماعية باسم « هدي الاسلام » وصدر العدد الاول منها في آب ١٩٥٦ .

وفي منصب الافتاء الذي أسند لفضيلته كان الشيخ عبد الله موضع ثقة علماء الدين في العالم الاسلامي ، وتلقى منهم عشرات من الاسئلة الدينية فكان يجيب عنها بفتاوى معللة تعليلا عصريا مقبولا . وكانت هذه الفتاوى تنشر تباعا في مجلة « هدي الاسلام » التي كانت مجلة الافتاء وظل في هذا المنصب الرفيع الى ان احيل على التقاعد في نهاية عام ١٩٦٧ .

من آثاره القلمية : عالج الاستاذ القلقيلي موضوعات دينية هامة بقلم التجرد والنزاهة وحارب البدع والخرافات التي الصقت بالدين الطهور عمدا ، وكشف عن جوهر هذا الدين المثالي . ودونك أسماء ما وقفنا عليه من آثاره القلمية :

١ ـ المجموع الاول : ابحاث علمية اسلامية وفتاوى في مسائل حديثة شرعية طبع في عام ١٩٥٤ .

٢ ـ فتاوي علماء الدين في موضوع قانون الوعاظ والمرشدين طبع في عام ١٩٥٥

٣ ـ من وحي رمضان : مجموعة احاديث كتبها فضيلته خلال شهر رمضان طبع في عام ١٩٥٦ .

٤ ـ الفتاوى الاردنية : يتضمن هذا الكتاب الفتاوى التي اصدرها فضيلته ابان عمله مفتيا عاما في الاردن .

٢ ـ الدكتور نجيب مخائيل ساعاتي

في « بيت المقدس » رأى نور الحياة عام ١٨٨٥ وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة بطريركية الروم الارثوذكس في مسقط رأسه ، وتابع علومه العالية في « معهد المصلبة » اللاهوتي واحرز عام ١٩٠٦ بين عشرات اليونانيين الاجانب شهادة في آداب اللغة اليونانية والفلسفة والرياضيات واللاهوت ، وانتسب للكلية الشرقية في زحلة بلبنان ونال شهادتها عام ١٩١١ وفي طليعة اساتذته فيها المؤرخ الموسوعي الاديب المرحوم عيسى اسكندر المعلوف .

وفي عام ١٩١٣ عاد المترجم له الى بيت المقدس وما لبث ان بارحها الى الاسكندرية ليعمل استاذا ممتازا لليونانية والعربية واللاتينية ، وظل يؤدي عمله هذا لغاية عام ١٩٦٦ .

وفي عام ١٩٦٠ عين الدكتور ساعاتي مديرا لمعهد الدراسات اليونانية في الاسكندرية التابع للحكومة اليونانية . وخلال سني عمله ١٩١٣ ـ ١٩٦٦ نشر مقالات قيمة في مجلات وصحف يونانية وعربية صدرت في مصر وفلسطين وسورية ولبنان واليونان واشهرها « النفائس العصرية » و « الانصاف » ـ القدس ـ و « المقطم »

و « الصخرة » ـ القاهرة ـ و « الزهرة » ـ حيفا ـ و « الآثار » ـ زحلة ـ و « لسان الحال » ـ بيروت ـ و « مجلة طب الاسنان » و « اليوناني المتمصر » ـ الاسكندرية ـ .

وراس الدكتور ساعاتي تحرير مجلتي « المنارة الكنسية » (وقد صدرت باليونانية من سنة ١٩٢٧ ـ ١٩٥٢) و « الراعي الصالح » (وقد صدرت بالعربية من سنة ١٩٤١ ـ ١٩٥٢) ، واشرف على تحرير نشرة صدرت عن « معهد الدراسات اليونانية » بالاسكندرية ونشرت مقالات علمية وتاريخية وادبية باللغتين العربية واليونانية وبعض ابحاثه نقلت الى اللغة الالمانية .

وعندما استانفت مجلة « النعمة » الدمشقية صدورها عن دار البطريركية الانطاكية الارثوذكسية اسهم الدكتور ساعاتي في تحريرها ونشر فيها مقالات دفاعا عن فلسطين من الناحيتين الدينية والسياسية .

وفي عام ١٩٦٠ قام الدكتور ساعاتي ، بوصفه مديرا لمعهد الدراسات اليونانية ، برحلة علمية الى اليونان على رأس نخبة من ادباء وعلماء واطباء مصريين من الاسكندرية والقى محاضرات قيمة هدفها توطيد الصلات العربية ـ اليونانية .

وأسهم الدكتور ساعاتي في تحرير موسوعة « بيرسوس » ـ وموسوعة « بابيروس ـ لاروس » اليونانيتين رغبة منه في تصوير مكانة العرب في شتى العلوم والمعارف على مر العصور .

ونظرا لتضلعه من اليونانية وآدابها ولتبحره في علم اللاهوت رشح مرتين ليكون مطرانا عربيا في الكرسي البطريركي الارثوذكسي بالاسكندرية لكنه اعتذر عن قبول هذا المركز الديني الرفيع ، مستمتعا بمكتبة حافلة بشتى المطبوعات النفيسة .

نموذج من نثره : « من الظواهر العجيبة التي تسترعي نظر الباحث المدقق في شخصية طه حسين الغريبة ان البيئة التي ولد وترعرع فيها لم تكن كافية لاطفاء ظمأه وتغذية عقله بالعلوم والمعارف التي تيسر له اقتباسها في كتاب الريف وجامعة الازهر والجامعة المصرية القديمة في القاهرة ، انما كان يطمح الى الزيادة المقرونة بالشيء الجديد ، وكان يسعى لهذا الغرض السامي في غير شفقة ولا رحمة ، عاملا على هدم جسمه النحيل في أمر المطالعة والتحصيل . وفي الوقت نفسه كان يسعى لمحو آثار الضعف الذي يلازم جسمه منذ السنة الثانية من حياته تحت سماء مصر .

وقد وفق طه حسين في الوصول الى امنيته هذه معتمدا على العقل في النظر الى درس الاشياء والناس والكائنات . ولا أدل على ذلك من أن الفلسفة التي آمن بها ادباء الشرق والغرب ومفكروها على ممر الاحقاب قد اتخذها مادة حيوية لغذاء عقله وتغذية طموحه . والشباب في عرفه ثروة عظيمة ورمز الكفاح والقوة .

ولذا فاننا نرى طه حسين بعد ان فاز بلقب دكتور قد حول انظاره الى أفق جديد ليرى هناك الشيء الجديد ، ويسمع الشيء الجديد ويقتبس الشيء الجديد ، ولم تخب احلامه وآماله في كل ذلك .

كانت سياسة الجامعة المصرية القديمة منذ تكوينها عام ١٩٠٨ تهدف الى اعداد مجموعة طيبة من الاساتذة المصريين يقومون بالتدريس فيها بدلا من اساتذتها الاجانب والمستشرقين وغيرهم ممن كانت تنتدبهم من المصالح الحكومية . فأوفدت عدة بعثات علمية وفنية الى اوروبا ، وكان بين شبان بعثة سنة ١٩١٤ الدكتور طه حسين وقد قررت هيئة الجامعة ايفاده لمدينة باريس ليتخصص في التاريخ ، وكان موعد سفره في الاسبوع الاول من شهر اغسطس ١٩١٤ .

ولنشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) تأخر موعد السفر فأرسل الدكتور طه حسين الى الجامعة يعرض عليها رغبته في تدريس آداب اللغة العربية بالجامعة حتى يحين موعد السفر ، فوافقت الجامعة على طلبه هذا وقررت له مكافاة قدرها اربعة جنيهات .

وفي شهر ديسمبر ١٩١٤ ابحر الدكتور من الاسكندرية الى مرسيليا على الباخرة « اصفهان » وفيها تخلص من الزي الازهري وكان يصحبه في سفره شقيقه حامد حسين وقررت الجامعة له مرتبا شهريا خاصا قدره (١٥) جنيها كما تكفل ابوه بارسال خمسة جنيهات اخرى عونا لولديه .

لم تطل اقامة الطالب في مونبلييه اكثر من ثمانية شهور عكف فيها على دراسة اللغة الفرنسية واللاتينية ثم عاد الى مصر في يوليو ١٩١٥ وذلك لان الحرب أثرت تاثيرا بالغا على ميزانية الجامعة الفتية فلم تقو على دفع نفقات بعثتها الخارجية .

وفي اوائل عام ١٩١٦ عاد الدكتور طه حسين الى باريس والتحق بجامعة السوربون بدلا من جامعة مونبلييه وتابع دروسه بهمة لا تعرف الملل ، وما لبث ان اعد رسالة للحصول على دكتوراه الدولة في الاداب تحت عنوان : « ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية » فنال ما تمناه بعد مناقشة علنية بدرجة « ممتاز » في شهر مايو ١٩١٧ . وفي شهر اكتوبر من السنة نفسها عاد الدكتور طه حسين الى مصر بعد ان سمحت له الجامعة بزيارة قصيرة لبعض العواصم الاوربية ، وفي ٩ نوفمبر ١٩١٧ عين استاذا للتاريخ القديم بالجامعة » .

من آثاره القلمية : سخا قلم الدكتور نجيب مخائيل ساعاتي على الخزانتين العربية واليونانية بعشرات من المقالات والكتب، واكثرها يدور حول العرب وحضارتهم والشؤون الشرقية ، وغرضه من ذلك اطلاع اليونانيين على ما يحفل به الادب العربي من كنوز واعلاق ، ودونك ابرز تلك الآثار :

١ ـ مختصر تاريخ دبرطور سيناء . سنة ١٩٢١

٢ ـ بيضة الفرخة في اللغة والتاريخ والآثار والاقتصاد . سنة ١٩٢٢

٣ ـ كنيسة اورشليم في مرويات سعيد بن البطريق ويحيى الانطاكي . سنة ١٩٢٦

٤ ـ المجدد علي عبد الرازق وكتابه في الخدمة . سنة ١٩٢٦

٥ ـ شخصية سيدنا عيسى في القرآن الكريم . سنة ١٩٣٠

٦ ـ سعيد بن البطريق : بطريرك الاسكندرية (٨٧٧ ـ ٩٤٠). سنة ١٩٣٤

٧ ـ دير مار جرجس في مصر القديمة (٧ اجزاء) . سنة ١٩٣٦ و ١٩٥٩

٨ ـ القبط والكنيسة القبطية الارثوذكسية . سنة ١٩٣٧ و١٩٥٢

٩ ـ آداب الكنيسة اليونانية على مر الاجيال في مطبوعات ومخطوطات عربية . سنة ١٩٣٨

١٠ ـ الكتاب المقدس في اللغة العربية . سنة ١٩٤١

١١ ـ مزارات الحبش (دير السلطان) في الاماكن المقدسة . سنة ١٩٤٣

١٢ ـ التطور الحديث للشعوب العربية . سنة ١٩٤٣

١٣ ـ كنيسة الاسكندرية في ثورة عرابي باشا . سنة ١٩٤٧

١٤ ـ دير مار سابا في الاسكندرية (من سنة ٣٢٠ ـ ١٩٤٩). سنة ١٩٤٩

١٥ ـ اركان الاسلام . سنة ١٩٥٤

١٦ ـ أصل الابجدية العربية . سنة ١٩٥٤ و ١٩٦٢

١٧ ـ أدباء يونانيون عالجوا دراسات مصرية . سنة ١٩٥٥

١٨ ـ انجيل برنابا في آداب اللغة العربية . سنة ١٩٥٧

١٩ ـ شخصية مريم ام المسيح في القرآن الكريم . سنة ١٩٥٨

٢٠ ـ من حياة الدكتور طه حسين . سنة ١٩٥٩

٢١ ـ كتب عربية مبسطة لتعليم اليونانية (جزءآن في ٣٦٦

صفحة) .

٢٢ ـ المسيحية في آداب اللغة العربية (من القرن السابع الى الخامس عشر) . سنة ١٩٦٢

٢٣ ـ نظرة خاطفة حول الثقافة اليونانية في الديار المصرية (من سنة ١٨٥٠ ـ ١٩٦٤) . سنة ١٩٦٤

٢٤ ـ سجل الصحافة اليونانية في مصر (من سنة ١٨٦٢ ـ ١٩٦٣) . سنة ١٩٦٤

٢٥ ـ سجل الكتب اليونانية في مصر (من سنة ١٨٥٣ ـ ١٩٦٦). سنة ١٩٦٦

٢٦ ـ الصحافة الدولية في اولى خطوات حياتها في مصر (من سنة ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢) .

٢٧ ـ تاريخ كنيسة اورشليم الوطنية (مخطوط) .

٣ ـ الدكتور فؤاد حنا ترزي

القاعدة الذهبية التي سار عليها الدكتور ترزي قول الدكتور زكي مبارك : « ان اللغة العربية هي التي ستجعل لنا قدم صدق في الآخرين ، وهي التي ستسطر محامدنا على جبين الزمان » .

ولد في غزة عام ١٩١٤ ، من اسرة معروفة . واثر انتهاء الحرب العظمى الاولى انتقلت اسرته الى بئر السبع حيث انهى دراسته الابتدائية ، ثم انتقلت الى الخليل حيث اتم قسطا من دراسته الثانوية . وفي عام ١٩٢٨ التحق بالكلية العربية في القدس فاتم دراسته الثانوية وحصل على شهادة الاجتياز الى التعليم العالي ، وشهادة في التربية والتعليم . وعلى الاثر عين معلما في الكلية الرشيدية بالقدس عام ١٩٣١ . وخلال ذلك داب على الدراسة الخاصة فنال عن طريقها شهادة المعلمين العليا عام ١٩٣٦ . وفي عام ١٩٤٥ عين مديرا للمدرسة العمرية بالقدس ، وكانت معهدا لتدريب المعلمين آنذاك . ولاول مرة في تاريخ التعليم في فلسطين طبق « اسلوب المشروع » Project Method في هذا المعهد . ثم انتدبته حكومة فلسطين عام ١٩٤٧ لحضور دورة تعليمية في انكلترا لدراسة نظم التعليم فيها . وما ان عاد الى البلاد حتى كانت تتمخض عن حرب اهلية . وحدثت النكبة عام ١٩٤٨ فانتقل من القدس الى بيت لحم حيث عمل في الحقلين الاجتماعي والعلمي . فمن حيث الحقل الاول عمل على تشكيل لجنة لاستقبال اللاجئين الوافدين من القدس وتقديم المساعدات الاولية لهم ، كما عمل سكرتيرا للجنة الموظفين التي كان من شانها الاتصال بسفارات الدول العربية لحثها على الاستفادة من خبرة من تعطل منهم عن العمل بسبب الظروف السائدة آنذاك . ومن حيث الحقل الثاني اسس مع بعض الزملاء ندوة ادبية لالقاء المحاضرات ، والمناقشة في شتى المواضيع الثقافية .

وفي نفس السنة انتدب للتعليم في العراق فعمل مدرسا في مدرسة العمارة الاعدادية وصف المعلمين الملحق بها .

وفي عام ١٩٥٣ عين مدرسا في الكلية الثانوية العامة في بيروت. وبعد عامين نقل استاذا الى الجامعة الاميركية فيها . وخلال هذه الحقبة نال شهادة بكالوريوس في الآداب (بامتياز) ، وماجستير في الآداب العربية من نفس الجامعة .

وفي عام ١٩٦٦ نال درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى من جامعة القاهرة في اللغة العربية .

وللاستاذ ترزي جولات واسعة في حقل الاذاعة ، فكثيرا ما كان يطلب اليه الاشتراك في برامج خاصة ، أدبية واجتماعية ، لمحطة الاذاعة الفلسطينية ، ومحطة اذاعة الشرق الادنى ، ومحطة اذاعة لندن .

من آثاره القلمية : وله كذلك جولات عريضة في حقلي الترجمة والتاليف . فقد اشترك في ترجمة « ذهب مع الريح » لمرغريت ميتشل ، و « تاريخ العلم » لسارتون ، و « العالم» لستامب. والف: « مسلم بن الوليد ـ صريع الغواني » ، و « الوسائل السمعية والبصرية المساعدة في تعليم اللغة العربية » ، و « دراسات لغوية »، و « الاشتقاق » . كما حقق ديوان كشاجم ، وحقق ونشر ثلاث رسائل لابن سينا ، والخفاجي ، والسكاكي ، في الاصوات ومخارج الحروف العربية . ونشر كثيرا من البحوث والمقالات في مختلف المجلات العربية .

نموذج من نثره : ويتسم اسلوب الاستاذ ترزي في بحوثه بالرصانة والدقة العلمية . ولعل افضل ما يمثل منها منهجه العلمي المقطوعة التالية المنتزعة من مقدمة كتابه « الاشتقاق » :

« وقد انتهجت في هذه الدراسة منهجا علميا يقوم على ربط النتائج باسبابها ، واستخلاص الحقائق من قرائنها ، دونما تاثر بقول او تحيز لرأي . فلم آخذ برأي قديم لمجرد قدامته ، ولم أتمسك بنظرية حديثة لمجرد حداثتها ، وانما أخذت من القديم والحديث ما يتفق وطبيعة العربية ، وينساق وسنن المنطق ، ويجري والمبادىء الاساسية لعلم اللغة الحديث .

ولم أكن في كل ما ذهبت اليه لاخلص الى استنتاج دونما سند، او اقرر حقيقة دونما تثبت ، او اقطع برأي دون ان اعتمد على ما يدعو اليه من شواهد ، خشية اعتساف الاحكام وارتجال الامور . واذا ما تعددت الآراء في امر كنت اتولى مناقشتها ووضعها على محك المنطق ، لاخلص منها الى حكم حاسم ، أو رأي مرجح ، ما امكن .

ولم يكن الاجماع في مسالة ليردني عن التشكيك فيها ، او يرهبني من نقضها ـ اذا اقتضى الامر ـ الا اذا كانت تتصل بقاعدة ثابتة أو حكم راسخ ، وقديما قال ابن جني ان اجماع النحويين في المسائل الصرفية ليس حجة فيها .

وقد اقتضى المنهج الذي اعتمدته ان امهد لدراستي بتحديد الاشتقاق ومفهومه ، وان اتخذ من هذا التحديد سبيلا الى حصر الموضوع ، فادخل فيه ما ينتمي اليه ، وابعد عنه ما لا يمت اليه بصلة . ولئن تجاوزت نطاق هذا الحصر احيانا فان هذا التجاوز لم يكن ، في الواقع ، غير ضرورة اقتضاها الحصر نفسه . وقد استهدفت في هذا البحث امرين رئيسيين .

الاول : الخروج بنظرية اشتقاقية متكاملة تتفق وواقع لغتنا ، وتتواءم وعلم اللغة الحديث .

والثاني : درس طرق الاشتقاق واحكامه بشكل يتفق وهذه النظرية ، ولا يتجافى والقواعد اللغوية التي وردت في كتب اللغة والنحو الاصيلة .

وكان لا بد لي ، في سبيل الهدف الاول ، من مراجعة النظريات المختلفة التي قيلت في الاشتقاق قديما وحديثا ، ثم نخلها ونقدها ، وسبر مدى صحة انطباقها على واقع اللغة .

كما كان لا بد لي ، في سبيل الهدف الثاني ، من ان اجمع كل ما استطعت الوصول اليه من احكام تتصل بالموضوع ، ثم تبويب هذه الاحكام وتصنيفها بشكل يدعم ما ذهبت اليه في النظرية الاشتقاقية.

ولم يقتصر اهتمامي على ضروب الاشتقاق المطردة المعروفة بل تعدى ذلك الى نوع من الاشتقاق اسميته « الاشتقاق غير المطرد » فافردت له فصلا ، وجعلت منه موضوعا لدراسة خاصة خرجت منها ببعض النتائج .

اما المصادر والمراجع التي اعتمدتها في هذه الدراسة فكثيرة ومنوعة . ولم اوثر أيا منها على الآخر الا بالقدر الذي يتميز به عن غيره في اصالة المادة ودقتها ، وبالقدر الذي يتصل فيه بمادة المبحث الجزئي الذي ينتمي اليه .

ولقد حاولت الافادة من قديم هذه المصادر والمراجع وحديثها ، وكنت شديد الحرص على ان استمد من الاصول منها العناصر الاولية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لهذه الدراسة ، وان اجمل من الاخرى وسائل لاستبطان تلك العناصر والافادة منها .

واعتمدت من المصادر القديمة امهات كتب النحو واللغة ، لا أكاد استثني منها شيئا ذا شان . وكان محجتي بينها كتاب سيبويه ، وخصائص ابن جني ، ومخصص ابن سيده ، ومزهر السيوطي . ولئن كانت هذه الكتب تفتقر الى المنهجية الحديثة في البحث ، فانها تشكل ـ من حيث المادة ـ ينابيع ثرة لا يكاد يغور ماؤها او ينضب معينها .

٤ ـ راضي صدوق

ظل « راضي » ينادي مع السر « هول كين » (١) في رسالته الانسانية :

« كن نقيا !

كن نقيا في سريرتك قبل علانيتك ، ليس من أجل المجتمع او لتتفادى ذمه ، بل لانك انسان ، ولانك يجب ان تكون نقيا نبيلا ! » .

ولد « راضي » في مدينة طولكرم الوادعة في السهل الاخضر عام ١٩٣٨ وتحدر من اسرة تعود بنسبها الى عشائر « الحويطات » ، وكانت تستوطن قرية « سفارين » بقضاء طولكرم لكنها نزحت الى « طولكرم » منذ مئتي سنة وعمادها الزراعة لكن النكبة الفلسطينية الاولى طوحت بها الى فجاج من البسيط العربي ففقدت بذلك الارض والثروة الزراعية .

وتنتمي والدة « راضي » الى اسرة « الدسوقي » المصرية الاصل وقد رحل بعض افرادها الى فلسطين واستقروا في بعض القرى الشمالية من فلسطين ، وخاصة قرية « دالية الروحه ». ولقد ورث « راضي » كثيرا من الصفات الشخصية عن والدته وقد اشتهرت بصوفيتها ونقاوتها وايمانها وصراحتها .

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بما تملك اسرته في « طولكرم » من حطام الدنيا خرج « راضي » الى ميدان العمل ليعيل اسرة ضخمة فضحى بآماله وطموحه وعكف على تثقيف نفسه بنفسه ، فدرس تاريخ الشعوب وآدابها وفلسفاتها في مختلف العصور ، كما عكف على دراسة الكتب السماوية وقرأ « التوراة » بتعمق بطبعتيها الكاثوليكية والبروتستانتية ، كما قرأ « العهد الجديد » و « القرآن الكريم » وغاص في دراسة اليهود تاريخا وحضارة وسياسة وانكفأ على الدراسة الخاصة يعارك الدهر ويحلب شطريه ، حتى اتيح له نوال شهادة المعلمين والتربية وعلم النفس ، وعين معلما وشرع في نشر نفثاته الشعرية في الصحف والمجلات وبثه من دور الاذاعة .

ولج « راضي » المجال الصحفي فعمل محررا في جريدة « الجهاد » اليومية المقدسية ثم سكرتيرا لتحريرها وانتقل منها للعمل في جريدة « الدفاع » اليومية المقدسية ، وساهم في تاسيس جريدة « المنار » اليومية المقدسية وانفصل عنها قاصدا الكويت ليكون رئيسا لتحرير مجلة « حماة الوطن » وللفرع الثقافي العسكري في الجيش الكويتي ومديرا للثقافة العسكرية بوزارة الدفاع . وانتخب معلقا سياسيا للاذاعة الكويتية ، كما كان مديرا لتحرير جريدة « الوطن » الاسبوعية ومعلقا سياسيا لجريدة « الهدف » الكويتية .

وفي ربيع عام ١٩٦٦ ودع الكويت الى الاردن وعمل في اجهزة الاذاعة والنشر والاعلام ، وتولى رئاسة تحرير مجلة « رسالة الاردن » ومستشارا ثقافيا لدار الاذاعة الاردنية ورئيسا لتحرير مجلة « هنا عمان » .

ورغم الالتزامات العملية المترتبة عليه ظل شارعا قلمه ، وناشرا نتاجه الادبي في كبريات المجلات العربية مثل « الاديب » و «الآداب» و « الانطلاق » ببيروت و « المعرفة » بدمشق و « الاقلام » العراقية و « الشعر » و « الثقافة » و « الرسالة » بالقاهرة و « الافق الجديد » ببيت المقدس ، وكان نتاجه الشهري مزيجا من الشعر والقصة والمقالة والنقد ، حتى تعذر على الكثيرين التمييز بين ميوله الادبية واتجاهاته الثقافية . وعند عمله في الكويت اسهم في احياء الحركة الادبية والثقافية والصحفية كما اسهم في تاسيس « رابطة الادباء الكويتية » وفي مجلتها « البيان » ومثل الاردن في المؤتمر الثالث للكتاب الآسيويين الافريقيين المنعقد في بيروت عام ١٩٦٧ .

من آثاره القلمية : لو قيس نتاج « راضي » وهو في ربيع الحياة ، بنتاج الآخرين ممن هم في خريف العمر لرجحت كفته على كفات الكثيرين من حملة الاقلام الشابة في دنيا العرب . ودونك اسماء آثاره المطبوعة والمخطوطة :

١ ـ « كان لي قلب » ديوان شعر طبع عام ١٩٦٣
٢ ـ « النار والطين » ديوان شعر طبع عام ١٩٦٦
٣ ـ « ثائر بلا هوية » ديوان شعر طبع عام ١٩٦٦
٤ ـ الكلمات الاولى ديوان شعر .
٥ ـ النفاق في الشعر العربي (دراسة مطولة) .
٦ ـ كلمات ليس لها تاريخ (قطع وجدانية من النثر الفني) جزءان .
٧ ـ فلسطين هزيمة ... تجربة ... مصير
٨ ـ الرغيف المحروق وقصص اخرى .

(نالت احدى قصص هذه المجموعة وهي بعنوان « البرشامة » جائزة القصة القصيرة في المسابقة التي اعدتها جريدة « الحوادث » البيروتية للكتاب العرب) .

وفي عام ١٩٥٨ دعا المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون في الجمهورية العربية المتحدة نفرا من الشعراء المعاصرين في العالم العربي لالقاء الوان من منظومهم ، وكان « راضي » في عدادهم ، وقد اصدر المجلس الاعلى كتابا بعنوان « مختارات من الشعر العربي الحديث » ضم نماذج من شعره .

نماذج من نثره : « ازمات العروبة الناشبة التي تطل برأسها بين الحين والحين ، يمكن ان اعزوها الى سبب رئيسي ، ذلكم هو ان الفكر العربي في معزل عن قضايا المصير العربي . المفكرون العرب سادرون في متاهات الضياع ، منفيون بالقسر والجبر ، عن هيئات التخطيط التي ترسم ملامح المستقبل للامة جمعاء .

الفكر العربي الحر ، غير الملتزم ، الفكر العربي اللامنتمي لاية سلطة ذات هوية خاصة . الفكر العربي الذي يقول ما يعتقد ، بنظافة ليس يخلط بين قداسة الفكر المطلق ، وبين دنس المنافع الذاتية الآنية . هذا الفكر عاطل عن العمل . عجلاته مفروسة في طين الاهمال، دماغه يعشش فيه الصدأ ، عيونه مطفأة ليس فيها بريق . هذا الفكر سجين اخلاصه لافكاره النبيلة الواعية ، لا يترخص ولا يتبذل . لا يبيع كلماته ولا عواطفه ، فهو يؤمن ان كل ما يملك من فكر ووجدان ، لامته جميعا ، ليس من حقه ان يفرط به .

النخبة الخيرة الكبيرة من المفكرين العرب ، لا تملك ان تقول كلمتها : الكلمة التي يتحتم ان تقال ، من اجل المصير الواحد . هذه النخبة ضعيفة منسية ، يعشش في جيوبها الفقر ، وليس في قناديلها قطرة من زيت .

تلك هي أزمة حقيقية تعاني منها الامة العربية ، وهي في الحق أم الازمات ، ان تلفتت امتنا الى علاجها بعمق ، فانها ستعالج بها ، ازمات اخرى كثيرة ، فالفكر الثاقب الواعي ، العامل باخلاص وايمان، كفيل بان يبدد السحب الكثيفة الراكدة في سمائنا الصافية ، كما آسن . فهل ترانا نقف قليلا عند هذه المشكلة ، وقفة تأمل ... وقفة استعبار ؟ » .

نماذج من شعره : وفي ليلة تفيض بالسماحة والطهر ... ليلة ذكرى مولد السيد المسيح ... سمع « راضي » وهو على مقربة من

مدينة « المهد » قرع النواقيس تهليلا لهذه المناسبة ، وايذانا باطلالة ذكرى سيد السلام فانشد متسائلا :

نواقيس « عيسى » لمن تقرع ؟ لشعبي؟.. وهل فيه من يسمع ؟
وهل فيه عرق أبي الدماء ؟ وقد نات الدار والاربع ؟
هنالك في الغور اشلاؤهم حفاة على ارضه جوع
لقد لعق الدهر اكبادهم وما نزفت منهمو ادمع
يشردهم ادعياء « المسيح » وتجار انجيله اللكع !
أيا غرب ... يا موئل الطامعين أفي مهد «عيسى» الهدى تطمع ؟
وتعزف انشودة للسلام وفي كفك السيف والمدفع ؟!
بلاد « المسيح » لابنائه لمن نصروه وما روعوا

ويتمنى « راضي » على الشعر ... ان يظل لغة السماء ... ولسان القلب ... وترجمان الفؤاد .. وان لا يسف بهبوطه الى الارض ... دنيا الغدر وقاعدة الفسق والرياء ... ويمضي في مخاطبة اغاني الشموخ بصراحة الشاعر الدامي الحشا ... الجريح القلب ... ويرجو ان تظل تلك الاغاني ... محلقة في عليائها .. وان لا تهبط الى الارض ... لتظل موفورة العزة والانفة والكبرياء :

يا أغاني الشموخ ، لا تهبطي الارض ، وظلي موفورة الكبرياء
ودعي العازفين في حماة الزيف يغنون للخنا ... للرياء
وارفعي صرخة الوقار نشيدا عبقري اللهاة والاصداء
اهتفي ... اهتفي ... أغاني اني اغرف الحرف من معين الدماء
أجدل اللحن من ضميري وروحي ثائر النبض ... غامرا بالعطاء
كلمات من الخلود ... وكونا من ربيع ... وجدولا من ضياء
أنا سر من الغيوب تجلى في نشيد منزل من علاء
شاعر يغسل الحروف ... تغذيها الجراحات بالرؤى والرواء
ينسج الحلم اغنيات عذارى تسكر الروح بالرحيق النقاء
يخصب الارض خضرة وكروما واغاريد ساحرات الفناء

ليثر عالم الرياء ويصخب
والنيوب الزرقاء ، فلتتوثب
والجحيم المسعور ، فليلتهب
لست اخشى جنونها ... لست أرهب
انا اقوى من اللظى ... حين أغضب

انا من يحفر الطريق بعينيه ، ويمضي على متون الرياح
أذرع الغيب جيئة وذهوبا مركبي الليل ... والنجوم جناحي
لا اغني لعالم من رياء ... زائف اللون ... والرؤى والجراح
قدست صرخة الخلود نشيدا ازلي الحروف والافصاح
تغسل الارض بالضياء وتطوي سوأة الليل في ضمير الصباح
ان من يغزل الدموع لحونا لا يماري للعالم السفاح
أنا للارض .. للتراب .. وللجوع .. وللحق .. للعلا .. للكفاح
أنا من عالم الخلود اغني لخلود الانسان .. للارواح
للضمير الجريح ، يشرق بالدمع شقيا .. مستسلما للنواح
اهتفي .. اهتفي .. اغاني اني رافع جبهتي وملق سلاحي

أنا ملق سلاحي الدرب أرضا
ان صوت الخلود اقوى وامضى !
فاصرخي في الفضاء طولا وعرضا
ليثور الوجود ... خفقا ونبضا
ويهل الصباح ... اكرم ومضا

يسكر الدهر من لحونك ... غني انبل الشعر ، اهتفي يا أغاني
تلتقي عندك الليالي حبالى بالعظيمات ... في جنين الزمان
انت بين الزحام ، انشودة الخير ونجوى الضمير والوجدان
زيفوا العالم البريء وغاضت نهلة الطهر في الرؤى والمعاني
أطفأوا الله في الصدور وغنوا لاله الاهواء ... للشيطان
سفحوا النور في الدروب قتيلا وأراقوه في محاجر الغيلان ؟

فارفعي صرخة الشموخ وغني للربيع الكريم ... للانسان
يا اغاني ... يا ضميري مذابا في نشيد ... مقطرا في اغان

اعصفي ... اعصفي ... وثوري وثوري
وانفخي الصور بين صمت القبور
نفخة البعث واللظى والنشور
لتفيق الاجداث عبر الدهور
صافيات الاحلام طاهرات الصدور

وفي ساعة من اليأس والفزع ... راح « راضي » يتساءل عن هذا « الطين » عن هذا « الانسان » الذي صيغ من تراب .. وروته الحياة بدفقات مائها :

سألتك : من نحن بين البشر ؟
ومن نحن في عالم يحتضر ؟
وقلت : انا من تراب الحياة
وانت الي مياه العمر

تذكرت ، والقلب لما يزل قويا على الخفق والذكريات
تذكرت ، والامس ما زال غضا تزغرد في جانحيه الحياة
تذكرت ، يا بؤس تلك الاماني ويا ويلها ... يا لتلك الذكر
وهبت ضميري اليك فداء لعينيك ، للحب ، للعنفوان
وكنت غرير الخيال طري المواهب ... طفل الجنان !
وكنت اغني لكل الحيارى أبلسم احزانهم بالاغاني
وامنحهم من عيوني الضياء ومن روحي السمح فيض الحنان
وهبتك بالامس مستقبلا ونبعا من الحلم ثر الاماني

تراه يظل التراب ترابا بلا دفء .. لا واحة .. لا بريق
تظل المياه تروي ثراه تبل ظماه ... ولا يستفيق
سدى ... ايها الماء تسقي التراب
لقد مات منذ زمان سحيق !
فلن ينهض العشب فوق التلال ولن يتبسم ثغر الشقيق
ولن تتهادى رفوف الفراش تحط على قطرات الرحيق

هراء تجود عليه السماء وتسقيه من دفقات المطر
أتنهض جمجمة من تراب وينبض بالخصب قلب الحجر !

هراء يظل التراب ترابا تعشش فيه زحوف الافاعي
تفح سموم الجفاف وتلتهم العشب ، تحرق خضر المراعي
تذكرت يا لعنة من جهنم يا حية في اهاب البشر
أقول انا من تراب الحياة وانت الي مياه العمر
تذكرت قصة حبي الغرير وقد لونته الرؤى بالصور
وثغرك يطعمني زيفه وثغري يعاطيك اشهى الثمر
حكايا .. من الامس يا بؤسه ويا ويله .. يا لتلك الذكر !

ويلتفت « راضي » الى المأساة التي يعيشها شعبه المشرد ، فيخاطب صغيرته « رلى » الطفلة البريئة ... ويدعوها ان تروي ثرى الارض الملتهبة ، المخضبة بالدم ، المجبولة بالدمع ، بمزن مآقيها :

صغيرتي يا موعدا في غد من الشروق.. والرؤى..والظلال
ألقاك ينبوعا يبل الصدى في رحلة خلف سراب المحال

١ ـ (١٨٥٣ ـ ١٩٣١) روائي انجليزي ، نشأ في جزيرة مان ودرس العمارة ، ثم زاول الصحافة ، تصور رواياته الحياة في جزيرة مان ، ويدور بعضها حول موضوعات من الانجيل ، ومنها « ظل جريمة » ١٨٨٥ و « الرجل من مان » ١٨٩٤ و « المسيحي » ١٨٩٧ و « سيد الانسان » ١٩٢١ ، وبعد وفاته ظهرت له « حياة السيد المسيح » .

نار الربيع

حبيبتي بعد غياب قد عدت لاغني
اغنية اغنية تفيض بالملوحة والشرر
احمل في حنجرتي نار الربيع .
وطني يا مجروح الجبين ...
اني اخجل ان اعانق
في زحمة الدماء
مباسم النساء
بينما الاطفال نـــواح
والرمال في سيناء جراح ...
وثلوج القنيطرة المكلومة بكاء
حبيبتي اياك ان تعتبي
فلقد ودعت ساعات الضجر
لاعيش ساعات
قدت من جفن الالام
وسمني مـــا شئت :
ضائعا... لاجئا .. نازحا
لكن وجدت طريقي
بأن أحمل في حنجرتي
نار الربيع !

حلب — مصطفى احمد النجار

أطل فـي عينيـك مستلهما ... اشلاء ماض ممعن فـي الزوال
رفعته فـوق جبـين الرؤى ... كما يشاد الصرح فـوق الرمال
مضى مـع الريح الـى عالـم ... خلف صحارى الغيب.. خلف الخيال

وكنت يا صغيرتـي شاعـرا ... يلـون الـدنيـا باحلامـه
ويوقد الشمع لهـا ... عابدا ... يطعمهـا اعـذب ايامـه
يمنحهـا الحـب ولا تاتلـي ... ناكـرة تفلـو بايلامـه
تطفـىء عينيـه باعصارهـا ... يعبـق برداهـا بانسامـه
وتقلـع البسمة عـن ثغـره ... وتسكـب المـوت بانغامـه

ولى زمان الخصب ... يا ويلنا ... ما عاد غير الموت ... من حولنا
نحن تياهى فـي ضمير الدني ... تاهت خطانا فـي دجى دربنـا
ترابنـا المـؤود فـي غربـة ... يحـن كالشـوق لايـامنـا
وموسم الخصب غـدا شاحبـا ... يتوق ان يونـع فـي ارضنا
جفت ينابيع المنى ... وانطوت ... لا ومض فـي الاعين غيـر الضنـا

صغيرتي ... انت هنـا عالـم ... من غيـر لـون مستباح شريـد
الشمس لا تشرق فـي ارضه ... ولا يغنـي بلبـل او يعيـد
وكل معنـى خيـر ... خالـد ... تموت سيمـاه ويفنى الخلـود
انت هنا غريبة يـا « رلـى » ... بنـت غريـب مستذل شريـد

يعيش للموت ... وما من منـى ... يحيا لها العمر سوى ان يعـود
فخبىء الجرح ... ولا تحفلـي ... فالصدر اولى ان يواري الالـم
وابتسمي ... فالحزن يا طفلتي ... يطفىء فـي جنبيك نـار الجحم
واوقدي الشمعـة ان الدجـى ... يضيع الدرب .. وراء الظلـم
تربتنا السمراء ... ظمأى لنـا ... وليس تسقيها دمـوع الالـم
هاتي دماء الجرح ... يا طفلتي ... نسق ثراهـا عنفوانا ... ودم

وبعد حلول النكبة الاولى شرق « راضي » وغرب ، وغذ المسير في متاهات ودروب .. عله يتناسى جراحات قلبه ، او يسلو وطنـه المغصوب ، لكنه حاول عبثا ... بل ظل وفيا لاول ارض مس جلـده ترابها ... حنانا للشعب الذي اصطلحت عليه قوى الشر والطغيان، ذلك الشعب الذي جرعته الايام زقوما وغسلينا ، وصب عليه المستعمر الوانا من البلايا والرزايا .

وظل « راضي » ، وهو شاعر الامـة المشردة ، علـى ولائـه لفلسطين ، وعلى تذكره لها فانشأ يقول بعنوان « فلسطين ... ويهوذا الثاني » :

انام علـى شفير الجرح مجـدولا بلا كفن
وفي عيني تخفـق اغنيات الشوق والشجـن
اسائل في متاه الارض : أين غدوت يا وطني ؟
وتصفعني الليالي السود.. حتى الليل انكرني!
أفيء اليك يا وطني فهل مـا زلت تذكرنـي ؟

أعيش مضيـع العينين ، مصلوبـا بـلا غـار
واحمل غربتـي الرقطاء مـن دار الـى دار
اغمس لحني المشبوب من جرحي ومـن عاري
وفي جنبـي تعصف اغنيات الـدم والثـار
تضيء الفجـر للدنيـا وتتركني على النـار

حملتك فـي دمي لهبـا وفـي عيني احزانـا
الـون منـك ايامـي احيـل الصخر بستانـا
واطفىء لهفة الاشواق ، ثـم تزيـد نيرانـا
فانت لظى عَـلى كبدي تصب النـار الـوانـا
تظل بخاطري جرحـا سنحـي النزف ريانـا

يقال غـدا تطـل الشمس فـي آفاقنا العمياء
وتشرق في مرابعنا وتغسل عتمـة الظلماء
وتفرش فـي مجالي الارض درب العودة الشماء
يقال غدا .. وأين غدا ؟ واين الشمس والاضواء
لقـد عشيت محاجرنا واعمت نورهـا الانواء

تكلم يـا ضمير الارض ، هل مـن عالم حان ؟
أتذبح شعبنـا حملا فـداء المجرم العانـي ؟
وتنفض كفك الرقطاء مـن آثام أوطانـي ؟
وتحمل غصن زيتون ، وانت القاتـل الجاني !
أتنكر ؟ كيف تنكر يـا يهوذا العالـم الثاني ؟

غـدا يـا روعة البركان ، سوف نطـل بركانا
نخض العالـم الملعون ، تحرقـه شظايانـا
ونوقظ ، يـا ضمير الارض ، شعبا كان جوعانا
وسوف يطـل تاريخا واقدارا ... ونيرانـا
ويبدع للورى فجرا نقي الوهج ... انسانا !

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مشهد من مسرحية زنوبيا

* * *

كليكرتاس :

رأيت شيئـــا عجيبـا ... يضيق عنـــه بيانـــي
مـــا للمليكـــة أمست ... فريســـة الاشجـــان
تبدي وقـــارا وتخفي ... مـــرارة الاحـــزان
فـي صمتها راح شجو ... يحكـي بغيـــر لسان
يـــا رب صمت تجلى ... بـــه طريف البيـــان

لونجين :

اشقى البرية في الورى ... مـــن راح يبني للفناء
ما كان في سفك الدماء ... ولا الضراوة مـــن غناء
فالفتح يطـــوي كالهباء ... وكـل فتـــح للهبـاء
والفاتحون دمى تحركها ... المطـــامع بـــازدراء
يتنازعون علـــى الفناء ... بكـــل اسباب الفنـاء
يشقـــون عمرهـــم ولا ... يجنون غير مريـــر داء
بنيانهـــم زيف تلطـخ ... بالدمـــوع وبالدمـــاء
لكن مـــا تبني القرائح ... مشمخـــر للسمـــاء

كليكرتاس :

لا تقل فـي ذم الحروب ... ولا تضيق ذرعـا بحرب
بالصعب تمتحن الكرام ... ولا ينـوء فتـى بصعب
لولا الشدائد لـــم يكن ... للنصـر اكبـار بقلـب
لا ترث للـدم ان هريق ... بسفح أوديـة وهضب
فالمجد يشرق بالـــدم ... المسفوح في زهو وعجب
والعمـر حـرب دائـم ... فـي كل منعطف ودرب
الموت اخـلاد النفـوس ... الى السكون لدفع حرب
ما مات من عرف الطريق ... ولم يضق ذرعا بصعب
ان الحضـارة ثـــورة ... خلاقة جـادت بسكب
أوليس تاريخ الشعوب ... ملاحما شطرت بعضب

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انت جبان ! حدقت في عينيه العسليتين، ثم تناولت عود الكبريت وراحت تنظف به اسنانها . انها فقط تتسلى بنكشها عندما تفكر بعمق ولذة. لقد تعودت على التفكير العالي وهو امامها تراقبه وهو يغتسل ويلبس ، تناقشه وهو يأكل ويتهيأ للخروج . دائما وراءه وراءه عندما يكون في رأسها شيء . انها تحبه هذا صحيح ، وهي تخاف عليه لا مجال للنقاش ولكن لا من النساء بل من ذاتها ... هل يدرك ذلك يا ترى .؟

كان هذا الصباح يمشط شعره وهو محني الظهر ، يلتفت اليها ليسكتها فتشتبك عيناه بعينيها في نظرة تحد . انه يشعر بملاحقتها له فيعذبها ببروده وتجاهله .

« انا جبان فليكن » هز كتفيه واتجه نحو الباب .

اسرعت خلفه كالقطة الشرسة « وتتهرب لانك خائف » .

« خائف ؟ فكر قليلا » مما اخاف ما دام لي بيت » .

غيرت وجهة الحديث ...

كم بيتنا جميل.. لقد ذكرتني اريد مكنسة كهربائية »

« وهل بدأت الطلبات ، ان من يسمعك يعتقد بانك زوجة مدللة ».

« انها السجادة » .

« اعرف السجادة كبيرة وتنهك قواك وينحشر الغبار في عينيك وفتحتي انفك العصبي الدقيق ... دائما هكذا اريد واريد ، كيف عاشت امك ايام زمان وكان لها تسعة اطفال وتتأوهين من عذاب طفلين وبيت صغير فيه كل راحتك ... عندك بوتوغاز ، غسالة ، عصارة ، طحانة ، سخانة ، ولماذا تظنين انني اعيش ؟ اليس من اجلك ، ومن اجل راحتك ؟ »

« اعرف انك مثالي واني سخيفة، ان غيري يتزوج من اصلع سمين ذي كرش مستدير مقابل كل هذه الراحة » . طبعت على فمه قبلة حارة وهي تودعه . « ثم لا تعتقد انني غبية فلا اقدر كل ذلك، الى اللقاء » .

دخلت البيت بهدوء واقفلت الباب .

في المساء حضنها لانه يحبها ايضا ولانها متماوجة كصحون اللبن في حقول فلسطين ينعكس الفضاء في عينيها فتتضاحك وتنطلق خلفها فتنزلق البسمات في وجوده وحنجرته البائسة . انه لاجيء ، يهرب في حركة دائرية ، لا وطن له او بيت ، يبحث عن لقمة العيش في ركن هادىء يضمد فيه جراحه .

انه يتسلق الاربعين الان ويشعر بان مهمته انتهت ، ومتى كان له

حرب الاوهام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم الانسة رجاء ابو غزالة

مهمة الا الهروب ، وكيف بامكانه التحرك ما دامت البطولات فردية يائسة لا تنبت اعشابا .

لقد حارب وهو صغير ، اجل فهو يذكر كيف تراس لجنة مكافحة الامية في يافا فكان يعلم البقال واللحام والفران . وكانوا بدورهم يكرمونه فينادونه يا بيك او يا استاذ . وكان يضحك بخبث وهو يضع يده في جيبه هاما بالدفع ، فيصرخ احدهم « فضلك علينا كثير يا استاذ » ويعود الى البيت محملا بالوان الخضار واللحم والخبز

قصة

الطازجة وقد شد قامته الصغيرة وتحسس شاربه الهزيل وهو ما زال في طور النمو ... لقد كان آنذاك في الرابعة عشرة .. لقد حارب ايضا في ميادين اخرى ، حارب في الشوارع ، فجر قنابل مولوتوف ، وزع المناشير والكتب وهرب السلاح . وقبل الكارثة بشهور كان يقطع شوارع المستعمرات اليهودية بدراجته يشم رائحة فلسطين ويودعها ... كان يدرك ببصيرة الواعي ان هناك مؤامرة لقتل فلسطين . وقد اكتشف ذات يوم بعيون ملؤها الدهشة ان هناك بقة كبيرة تمتص دماء الابرياء وتعطي طريقا للقمل كي يتسرب وينشىء مستعمرات في ارضه الحبيبة . كان يهرش رأسه بشراسة عندما يتذكر ذلك فتدمي اصابعه ويصاب بالجنون .

انه لا يملك ثمن الصابون والمطهرات كي يبيد تلك الحشرات اللعينة ، انه في جحيم ..

وكانت الكارثة ، فهاجروا بالالوف كقطيع الماعز فوق الجرود القاحلة وتشتت القطيع هنا وهناك بحثا عن المرعى ... تنفس بصعوبة وهو يتأوه . مدت يدها الى شعره تؤاسيه .

« انك تتألم كلما تذكرت »

« لانني اشعر بالقذارة في دمي »

« يجب ان تنسى لتعيش »..

« انني كمن يدفن القيح والورم في رأسه » .

« ولكننا نعيش ولنا اطفال » ..

« وبلا كرامة ، يطردونني متى شاءوا » .

« انك تدفع الضريبة » .

« ضريبة غالية . خمسة اضعاف ما يدفعه المواطن لانني غريب ولاجيء وليس لي وطن او حق الكلمة » .

هذا ما يشعر به في المساء ، لكن سرعان ما يتبدل في كل صباح . عندما يستيقظ ويتحسس الاشياء

ينقلب غضبه الى هدوء بارد وصراع مر من اجل اللقمة والحياة . ينسى تلك الآلام ويغلفها بالسولفان فتبقى جروحه في قوقعتها متخدرة ، يبطىء النور فاعليتها ، فتنكمش وتذوب .

كانت عكسه تماما فمع اشراقة الصباح تتفتح آلامها وتثور ، ومع المساء تذوي وتفضل النوم في حضن الطمأنينة والهدوء . تفكر وهي تطبخ وتكنس وتنشر الغسيل.

تفكر كي تنسى فيعوم تفكيرها ويفيض ... ، لهذا تناقشه وهو يتهيأ للخروج . انه لا يريد مناقشتها لديه ما يشغله . اتهمته بالتشاؤم والهروب ، فهو لا يندب الا في الليل بينما لم يخلق الليل الا للحب . ثم انها واقعية تطرح مشاكلها على ضوء النهار لا في عتمة الظلمات .

لكن الحرب التي انتظرتها الالوف قامت ولم تقعد فحضنها وحضنته وتطلعا معا في اعماقهما بتشاؤم .. انه يعرف وهي تعرف بان الخوف مشترك والفشل ممكن ولم يبك الزوجان لانه لم يكن في الجو ما يثير ...

طرحت عليه فكرة هائلة ...

لماذا لا يقومان بحركة فدائية تحقق ما لم تحققه الحروب ... فعرض عليها بان تكون له كسكرتيرة . حك رأسه بحثا عن الافكار ، عن المال ، عن السلاح ، عن وسيلة للدعاية وانتهيا اخيرا في دوامة لا حدود لها . لكنه لم ييأس وقال لها مداعبا :

« لن اضحي لانه لا يوجد هناك مبرر للتضحية » .

« لقد عدت الى جنبك... »

« انني واقعي لقد ضحى غيري بلا فائدة . ثم انه ليس هناك حركة يعتمد الفرد عليها ليطمئن بان ابناءه لن يموتوا من الجوع » .

« وهل تعتقد بانك الوحيد الذي يفكر ويتألم ، ولا يجد الحل ؟ »

ها هو العيد يطل فتذكرت طفولتها ، حذاءها البني تحت الوسادة وفستانها الاوركندي يسبح فوق الكرسي كالفراشة ... فلسطين هي حلم طفولتها الهنية ، ولكن فلسطين ذهبت كلها ولم يبق العطر الا للمقابر المطلية بالبياض .

« هل ستأتي بخاروف العيد ؟ »

« ولم لا »

« لكن اهلك وعائلتي لا يأكلون »

« الم نذهب الى البحر يوم ٥ حزيران ؟ »

« اجل ولكننا كنا نمضغ الاحلام، لربما اصابنا الجنون من يدري »

« وسنحلم ايضا ونحن نلتهم الخاروف »

« انك سادي »

« بل انا انسان عادي يستمتع بوقته ، ليذهب الكل الى الجحيم . »

« لقد افقدك الالم انسانيتك . »

« وما هي الانسانية في عالم تحكمه اللقمة والقوة . اريد ان اعيش فقط ... »

وتتحرك عنه في حركة شبه جنائزية « لدي فكرة » تنتفض كالشبح « سنؤجل سفرنا ربما ربحنا فيما بعد » .

« لقد اصبح النصر لدي سيان . سننتصر في الجحيم . ثم ماذا بقي لي من سنين اعيشها ، عشرون ساتمتع بها » .

« وان اجبروك على الانضمام الى جيش ما » ..

« لن اذهب » .

« من اجل فلسطين » .

« اصبحت لا اؤمن باحد ، لقد سئمت التهريج ، اننا جهلة » .

« وان وجدت المنظمة التي تحقق التحرير » .

« سأكون اول من ينضم لها »..

ها ها « ستهرب » .

« كلا سالتحق بها »

« وتترك بيتك واطفالك الى المعركة ؟ »

« سافعل » .

« انت مجنون ، وانا ؟ »

« احبك ولا استطيع فراقك » .

« وكيف ستذهب اذن » .

« سنذهب معا » .

« وسنموت » .

« الم نكتف من كل شي ء» .

« ولكن البيت ، السجادة والمكنسة الكهربائية وسفرنا الى لندن » .

« سنذهب الى لندن » .

« وكيف » .

« لنلقي الاهانات ونعود اكثر وعيا وقوة » .

« وهل سيهجمون عليك في الشوارع والطرقات ليقولوا لك بانك عربي قذر » .

« كلا بل سنتحاشى الاماكن الغاصة بالعيون الكبيرة المتسائلة والتعليقات اللاذعة » .

« ولكنهم لن يتبينوا شكلنا لانه لا يدل على انه عربي » .

« سنتكلم العربية » .

« بل نتكلم الانجليزية وكفى » .

« ما فائدة ذهابنا ما دمنا سنختفي كاللصوص كي لا يعرفوا هويتنا ، كيف سنتمتع بالمغامرة ونحن بلا كرامة ، كيف سأزدرد اللقمة الساخنة والعيون تبحلق بي : انك عربي تنتمي الى امة مهزومة » .

« لن نذهب اذن » .

« بل سنذهب » حملقت به بشرود ... انه رائع وليس جبانا كم تحبه ، قبلته وهي صامتة .

وبعد ايام قذفت باحدى المجلات فوق الطاولة « ها هي اخبارهم » .

« اخبار من ، دعيني آكل اولا »

« بل ستقرأ عن المنظمة التي كنا نحلم بها » .

« ومن هي يا ترى » .

« لقد بدأنا بالجد » .

« ولكنها كباقي الحركات ، جعجعة ، كلام ، فقاقيع » .

« ان الصحف العالمية الكبرى كالتايمز تورد اخبارها » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ها ، هل يعني هذا انها بدأت بغسل القاذورات » .

« كل يوم » ضحكت بعصبية « في كل يوم لها عمليات فدائية بطولية في الارض المحتلة » .

« ومن هم الفدائيون فيهم ، السمكري والحداد والنجار والفلاح ؟ »

عقدت بين حاجبيها وتطلعت اليه بغضب .

« هل تعلم ، من الغباء ان تدع هؤلاء الطيبين لوحدهم يضحون في سبيلنا » . .

« اووه ... مثل هذه الحركة يلزمها مستوى عال » .

« انت دائما تبحث عن المبررات لتدعم بها هروبك الطويل » .

« انا مسرور هكذا ليضحي هؤلاء بارواحهم » .

« وما بال هؤلاء ... انهم المجتمع والمجتمع يضم كل الطبقات والواجب محتم على كل الطبقات ان تساهم في حربها التحررية » .

لكنه مشغول .. رأسه يدور والميزانيات تدور .. عليه ان يسرع بالعمل قبل سفره والا سيغوص الى عنقه في حسابات لا اول لها ولا آخر .

كلما حدثته عن تطورات الاحداث قلب شفتيه وحضنها بذراعيه انه لا يحبها عندما تجادل وتناقش ، تتشبه بالرجال وتقضم الكتب كالفئران، تحرق الملفات كالساحرة، تمضغها وتبتلعها يا الهي ... انها تحدق به من خلف النظارات لتوصمه بالاتكالية ، انها لا تكتفي بشيء .

وتظل تطالب وتطالبه وكأنه لم يخلق الا لها .. ولكنه لها يعيش ويموت من اجلها هذا ما يغيظه خصوصا وانها ليست كباقي النساء .. وهن ليس كباقي الرجال ..

ويحني رأسه يائسا ويتمناها لو تكون غبية ليتناقشا في الغباء وحسناته .. لكنها صنف آخر من المطاط تتثاءب همومه تمتد كلما احتك بها . فهو ان اراد الهروب فسيهرب منها لينجو بجلده لانها كالسوط بلسانها الثرثار وكالزهرة الندية بنظراتها البريئة الحالمة . المصيبة انها تذكره بارضه ، باحلامه . انها قطعة منه ولا يستطيع الهروب منها .

في اليوم المحدد للسفر انطلقا من الصحراء التي يعمرونها الى بيروت .

وفي بيروت ترددت « سنقضي الاجازة هنا » .

« ولماذا هنا بالذات ».

« سنشعر بالغربة هناك » .

« ما بالك تجبنين وهل اصبحت تخافين من الاحتكاك بالاشياء » .

« ومتى هجمت عليك الشجاعة »

« لقد سئمت الخيال والحزازير»

« وتريد الان ان تتحقق منها ، ان تحتك بالضبع ليقشعر بدنك وتصاب بالغيبوبة » .

لم تكن الاجازة سيئة كما كانت تتوقع ، ففي دائرة الجوازات في لندن تفحصها الموظف ثم هز رأسه وقال وهو يناولها الجوازين « اننا اصحاب للعرب ... ! »

ظلت طوال الطريق من المطار الى المدينة وهي تقلب الكلمات وتنكش في زواياها . ماذا كان يقصد ... ان هؤلاء الانجليز لا تعبير على وجوههم ، انهم اشبه بغطاء طنجرة يغلي السم في قاعها .

لكن ما بالها تنتفض من نسمة الهواء، وزوجها آه من زوجها انه يجري كالكلب المسعور يشم الطرقات ، المنحنيات بحثا عن الالغاز والاوهام . اذا ما لمست كتفه اهتز كورقة التين ثم هدأ فاقد الحس بكل جميل حوله .

انه مجنون يبحث عن لص يتوهم بانه يراه تحت ضوء القمر ، اذا ما لحق به وكاد يمسك به كبرهان أفلت منه واختبأ في المزراب .

وفي اليوم الاخير هزته من كتفيه « انها الفكرة » .

« الفكرة » قلب شفتيه « اقذفي بافكارك من الشباك » .

« اوه انك لا تكبر ابدا » .

حدق في عينيها ...

« انك تعيش في معركة الاوهام » .

« وهل عذابي اوهام ايتها الفيلسوفة » .

« زوغان عينيك يدل على ذلك . ثم انك الان وسط المعمعة . اننا في حلم فظيع يحاربنا العالم لاننا ضعفاء . انظر كيف تتسلل الجراثيم الى مشاعرك وعقلك وافكارك لتشل حركتك ، انك لا تعرف من اين تبدأ . ان اعداءنا ينظرون الينا بدهشة لاننا نتألم ولا نتحرك فيمسخون المنا لانه ليس جديرا بالاحترام . التحرك هو الحياة اذن فنحن اموات في نظرهم ويجب ان نظل امواتا .

الفكرة ليست في نظرتهم الجائرة لنا بل في مدى قوتنا نحن لمجابهتهم . اننا الان كالفئران في المصيدة نتخبط في الاوهام ، نلهث ونفور ثم نهدأ » .

« معنى ذلك اننا لا نعرف سبيلا للخلاص » .

« بل السبيل موجود، سنحاربهم على طريقتنا الخاصة » .

« وهل لديك سلاح ذري » .

« اجل ، الحرب الشعبية . لقد برهنت على انها الاقوى والافضل في كل مكان في العالم . سنلتحق بالمنظمات الفدائية » .

« وراحة بيتك واحلامك » .

« انها راحة كاذبة ثم ان الروتين مشكلة والعادة موت بطيء » .

« معنى ذلك ؟ »

« ان نغامر ماذا تقول » .

« هيا الى العمل الجدي فلي مكاني .. ولك مكانك .. فقد شبعنا احلاما وثرثرة وفقدت الكلمات معانيها » ...

جدة **رجاء أبو غزالة**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاعشاش الهانئة في ظلال الحب

بقلم الفقيد مصطفى درويش الدباغ

* * *

اطهر الحب وانقاه هو الحب الزوجي ، ففي ظلاله ونعومة دفئه ينقلب البيت روضة فينانة ، تشرق نضارته ويبدو على محياه ، وفي كل ركن من اركانه ظلال السعادة والهناء ، ما دام الزوجان ينعمان بالحب ويضحي كل منهما في سبيل سعادة الاخر . والبيت الهانيء السعيد من ابتكار وابتداع الحب ، تلك القوة السحرية تلمس بريشتها الارض اليباب فتتحول فردوسا ريانا ينضر بالخصوبة والنماء ، وتمس القلوب الظماء فما يلبث الظمأ ان ينقلب ريا ، وتمسح على قلوب اليائسين فينقلب اليأس املا ..

واذا اردت ، ان تتعرف الى جهنم وتبلو مقاماتها ودرجاتها ، وتخبر مقدار ما يناله من العذاب والالام ساكنوها ، كما جاء تفصيله في الكتب السماوية ، وكما دونته عبقرية « دانتي » في جحيمه ، فما عليك الا ان تقرأ القصص ، الذي يصور العذاب والالام ، يلذع بحرارته قلوب وعقول اولئك الذين اقفرت مساكنهم من الحب والطهارة والتسامح ، وعاشوا في جو فسيح من الالام المحرقة تطوف عليهم نهارا ، ويطفى لهيبها عليهم ليلا ، كما تطغى السنة النار المشبوبة على ما تلمسه في طريقها متدرجة ظامئة تلتهم ما اخضر وما يبس ، تلتهمه بنهم وضراوة وتمضغه في ظمأ وحرقة اشباعا لطبيعة الهدم والتخريب .. او عليك ان تصيخ بأذنيك وبكل مشاعرك الى ما يقصه عليك الاصدقاء ، عن حالات البيوت التعيسة ، وما يتذوقه اصحابها من الوان التعاسة والشقاء ، بسبب فقدان الحب وسيطرة الكره والانانية على نفس الزوجين ، واثر ذلك العذاب اللافح على نفسية الاطفال ، وما يجره عليهم الكره من مرارة تتسرب الى حنايا نفوسهم البريئة ، فينشأون على الكره والعناد والتمرد واليأس ، لان طبيعة الاطفال كالعجين اللين المرن اللدن يتشكل حسب ارادة من يعركه ويطويه ويلينه على اشكال ونسب مختلفة . وان للكره والمقت والتمرد والانانية طبائع وصفات آسرة ، تصقل النفوس اللينة الغريرة اشكالا والوانا تنبض بالكره والانانية وتطبعها على غرارها .

يدفعنا البيت الذي يسيطر الحب على كل ذرة من ذراته ، الى تقديسه ، واحترامه ، والنفس شغوفة بالحب والحرية والعالم محبة ، وطبيعة الحياة في الحيوان والنبات والجماد تنعم بالحب ، لانه سر الحياة ، ولو اقفرت الحياة من الحب لاصبحت تافهة لا معنى لها . نقدس هذا المسكن لانه يعيش في ظلال تلك الروح الاسرة الخصيبة المليئة بالحيوية والازدهار ، ولانه يقدس معنى الحياة الاصيل ، ولم يشذ عن دستورها ، ونكره المسكن الذي يسيطر عليه الكره ، بجميع انواعه ، لان أصحابه تمردوا على معنى الحياة ، وابوا على الروح التي تخلق فتنة الحياة ولذتها ان تخفق في ارضهم والتمسوا روح الخراب ، ليعيث في ارضهم ومسكنهم فساده ، يستمطرون الكره على حياة الصفاء ، الكره العابث الهدام ، الكره الذي يحيل الروضة الغناء احطابا وجزوعا لا حياة فيها ولا نماء ، ويحيل الربيع خريفا يتسم بالكآبة والوجوم .

لقد احب بول جيرالدي الشاعر الفرنسي زوجته ، وصور هذا الحب في ديوانه « انت وانا » ، احب نفسها ، واحبها فتنة جسد وخفقة روح ، احبها في حديثها ومنطقها وفكرها ، وفي رثيث ثيابها وجديدها ، في وحدتها وسكونها ، احبها في المجتمعات رقيقة جذابة محدثة ، تنفح المجالس بعطر حديثها ، احبها تتألق في البيت روحا قويا جذابا ، تضفي من روحها وجاذبيتها القا فاتنا رائعا ، نظيفة طرية ناعمة ، تجمعهما فكرة واحدة وهدف واحد ، يتأملها في مجالي الطبيعة فيزداد بها فتنة ، احبها في بؤسه وفي نعيمه ، فلم يقلل البؤس من حبه ، بل زاده البؤس حبا وما اروع ما جادت به شاعريته ، في تلك الرائعة :

في كل يوم منك شكل	تبعثين به حنيني
اتقنت فن السحر ، حتى	صار كحلا في جفوني
فاذا رايتك كل يوم	لم اجد غير الفتون

وما اجمل قوله حين استعرض صوره مع زوجته يقول :

لا تظني ان في هذي الصور	ما يواسي النفس ، أو يغري النظر
هي تاريخ لماضينا ، كما	قلت ، الا انه عافي الاثر
والذي احمل ، في ذاكرتي	هو ابقى منه معنى ، وخبر(1)

والرائعة كلها تحمل مثل هذه الالوان الشعرية ، انها قلم حي يمثل حبه في شبابه وكهولته ، واذا كان « جيرالدي » احب زوجته ، فان الشاعر العربي عبد الرحمن صدقي احب قرينته كسابقه ، وعاش حياة هانئة يظللها الحب ، ولكنها انقلبت جحيما حين سطا الموت على عشهما الهانيء القرير ، واختطف قرينته وهي في طراوة الصبا ، وسالت نفسه شعرا سجله في ديوانه « وحي المراة » صور اثر الفجيعة ، وحسرته على حياة قضاها مع قرينته هانئا ، صور كل هذا بدقة وحسن عرض ، تحس نفسه الملتهبة في كل قصيدة من قصائد الديوان ، تلمس الانات المشجية ولوعة الهجران الابدي .

وما اصدقه في وفائه ، حين يتذكرها وهو بين

(1) ديوان « انت وانا » لبول جيرالدي نقله الى العربية شعرا الفقيد الشاعر الخطيب الدكتور نقولا فياض وصدر في منشورات عويدات ببيروت .

البطل الثائر

دعـــاه الموطن الغالي فلبـاه وحيـــاه
وقال فديت يا وطني انا من انت ترضـاه
سأجعل منك للطغيـان قبرا فيـه مـأواه
وارضـا تنفث النـــيران لا تنفك تغشاه
ويومـــا اسود الانحاء مرا ليس ينسـاه
فأحرمـــه هناء العيش في أمن تمنـــاه
الى ان ينجـــلي عنا ويأتي الحق مأتـــاه

وسار يحقق الآمال ذاك الثـــائر البطـل
ولا يرضيه الا الجـــد والاخلاص والعمل
وعين اللـــه ترقبـــه وشعب كله أمـــل
لقد قاسى من الاحداث جرحا ليس يندمل
فصاح فأسمع الدنياواصغىالسهل والجبل
بلادي حرة عاشت ولا عاش الفتى الوكـل
وباء الغاصب الغدار يعصر قلبـــه الفشل

وأقـدم غير هياب به الارزاء تنقشـــــع
ألم تـــره وفي يده شهاب المـــوت يرتفع
ومدفعه يعانقه كمـــا الاقدار يندفـع
وقنبـــلة يفجـرهـا والغـــام لها تبع

فيـــأتي الغدر يمطره جحيما ليس ينقطع
يـــدك له معاقلـــه فلا يبقي ولا يـــدع
ويسحقـه بمعترك به الآجال تصطـــرع

فبات عدوه يقـضي سواد الليـل في أرق
كمن في مركب فيالبحر لم يأمن من الغرق
وفي الاصباح لا ينجو منالاخطار في الطرق
ومن ليث فـــدائي يبـــاغته بمفـترق
فيسقيـه الردى مرا مزيج الحقد والحنق
فدب الرعب في دمهم دبيبالسم في المرق
وصار شعار صهيون شعار الخوف والقلق

ألا حييت يا من قد ركبت الصعب جذلانا
ورحت تقارع العـدوان كالآساد حردانـا
رعـاك الله أمطرهـــم من النيران بركانـا
واكثر فيـــهم قتـلا وتنكيـلا واثخـــانا
ولا تترك لهـــم اثرا بارضك اينما كـانـا
فهم رجس يدنسهـــا وهم شر تحـدانـا
وما للشر الا الشـــر يمحـو منه اركـانـا

حلب — محي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرياض والغياض ، ويلتفت ولا يراها معه ، تتملى من مشاهد الطبيعة كما يتملى ، وما اروع شعوره حين تدلف به خطاه الى النيل ، باكيا يذرف دموعه فوق امواجه ، فهو مبكاه ، التقى نظيم اشجانه بنظيم اشجـــان « ايزيس » ملكة مصر تذرف الدمع سخينا حارا حزنا على وفاة زوجها يقول في قصيدة حيرة :

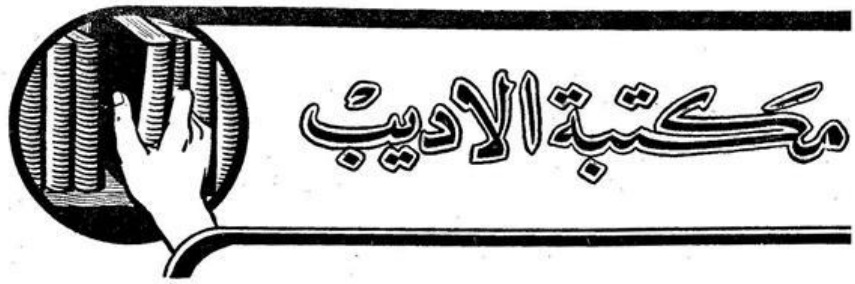
أاهرب من ذكراك،امالست اهرب ... وهل من وفاء ، ان يجن المعذب
أاترك هذا البيت ، قد كانعشنا ... وكنا به الالفين، والارض معشب

الى ان يقول :

خيالك يا زوجي، كظلي، انأسر ... وان أبق ، تمثال امامي منصب
خيالك : لا اقوى عليه، فانـه ... وقد صار جزءا ، من حياتيمغلب
الى اينأمضي، عنك،لااينزوجتي ... فمالي غير الموت، بعدك مذهـب

هذا هو الحب الطاهر النقي تفرضه طبيعة الحياة والدين على الزوجين ، فتتألق به الحياة وتنضر فـــي عينيهما ، وليس هو بالحب الفاسد ، يفسد الحيـاة على العاشقين لتملصهما من قيود الدين والاجتماع ، وحبذا لو يقرأ المثقفون المتزوجون ديوان هذين الشاعرين ، ليلتمسوا حياة الطهر والنقاء تتخايـل في كـل قصيدة وفي كـل مقطوعة .

عمان ـ الاردن — مصطفى درويش الدباغ



أنفـــاس الربيـــع

مجموعة شعرية ـ راشد الزبير السنوسي ـ (؟) صفحة ـ طبع في ليبيا

نفحة من شاعر تثيره اللفتة والبسمة واللحظة ، فلا يكاد يخلو الى نفسه حتى تستحيل اللفتات والبسمات واللحظات قصائـــد ومقطوعات تصور الوجد والحب والجمال ..

ولا يكاد القارىء يقرأ هذه المقطوعات حتى ينتقل مع الشاعر الـى عوالم من الرؤى الحالمة لشد ما تحسه النفوس الظامئة الى كـــل مـــا تفيض به مواكب الوجد والحب والجمال .

وصاحب « انفاس الربيع » قد نفح العربية بثلاثة دواوين هي صور من احاسيسه الوجدية وهواجسه القومية .. وهو فـــي كلتا الظاهرتين صادق التعبير عن نبضات حسه وهواجس قومه . لقد عشت معه لحظات حلوة ناعمة في فترة كنت فيها شبه قلق .

وما من انسان في هذه الايام الا ويعيش في جحيم من القلق ، ولا يجد مجالا من تبديده الا بالانصراف الى جو موسيقي حالم او الى واحة مخضوضرة من الشعر العاطفي .

وقد انقذت نفسي من سجوف الشكوك بقضاء فترات حلوة مـــع الشاعر في ديوانه ، وهو ديوان صغير الحجم ، انيق الطبع ، يستطيع القارىء ان يلتهمه في اقل من ساعة .. ولكن لا .. انك تظلم الشاعـر اذا مررت بروضته هذا المرور السريع دون ان تقف متأملا ما في روضته من مفاتن الطبيعة وعبق الازهار ..

واخذت اقرأ واقرأ .. واذا بي مع شاعر وافر الاحساس ، يثيرك شعره فتشعر شعوره وتحس بنشوة حلوة حين يصف ذاته ومعاباثاتـه.. شانك مع شعره شان انسان مغرم بالجمال لا يكاد يتامل جمال الزهرة او جمال دمية فنية او صبية حسناء حتى يقف مذهولا .. وقـــد يطيل الوقوف !

وقد عاودت قراءة اكثر من قطعة من هذا الديوان الذي تترقرق على صفحاته نسمات حلوة من ازهار الربيع .. من ورده وزنبقه ونرجسه متمثلا في جمال المراة التي هي الورد والزنبق والنرجس في امتع ايام الربيع الضاحك .

وكاني بالقارىء الكريم يقول لم لا تشركنا بما استمتعت به .. ولا احب ان أضن عليه بهذا الذي استمتعت به ، وقد سجل شاعرنا الليبي الاستاذ راشد الزبير السنوسي الكثير من عواطفه الذاتية فكان اقـرب في هذا التصوير الى الشعراء المذريين الذين اضناهم الحب واثارهـم الوجد وامضهم الفراق ..

وللقارىء ان يتلمس جمال هذه المقطوعة حين يودع الشاعر مـــن استبدت بقلبه :

اراحلة ؟ يـــا لهـــذا العـــذاب ... يطول بليلـــي ومـــا تعلمـــين
أسائـــرة دون همـــس الوداع ... ودون انطلاقـــة حـــب دفـــين
الى أين ؟ والحزن يضوي النفوس ... اما تسمعين ؟ امـــا ترحمين ؟
سيفتقد الـــدرب مـــا عودتـــه ... عليه الخطى مـــن لذيذ اللحون
وتســـال منعطفـــات الطريـــق
ومـــن لاذ فـــي صمتـــه لا يبـــين
بمـــاذا أجيـــب ولا مـــن يجيب
فقد هـــام فكـــري مـــع الراحلـــين
ثـــلاث مضـــين أخـــوض الضيـــاع
وحيـــدا بـــلا سنـــد او معـــين

لقد طال ليله ، واضوى الحزن جسمه ، ولعبت فـي نفسه الظنون .. وسرعان مـــا يبدد هذه الظنون بالتطلع الى الافق عله يرى ملاكه على غيمة مـــن فنون تحوطها وتسقيها قطرات من غمام يضوع منها عبق الفل والياسمين ، هذا العبق مـــن ذكرى اثيرته هو الذي يعيد له الحياة ..

وحين يعبر الشاعر عن مواجيده واشواقه يعبر عن الكثير مـــن القلوب الهائمة بحب الجمال والمحترقة بنيران الوجد ووهج الحب ..

الشاعر الذي عاش فترات طويلة في جحيم النضال مع الكثيرين من شباب ليبيا ـ كان يجد في لحظات الاستجمام ، هـــذه السوانح التي يرسم فيها شعوره المتقد :

لعينيـــك اغـــزل ضوء القمـــر ... واهدي الندامى رفيف الزهـــر
واصنع مـــن نجمه كاس عطـــر ... بحافاتـــه يستحـــم السحـــر
وارشـــف مـــن وردة ريقهـــا ... لانعش فـــي الصدر حلما خطـــر
وأرحل فـــي نسمـــة عطرتهـا ... طيـــوف المســـاء لاروي النظـــر
الون مـــن شفتيـــك الحيـــاة ... ويرسم شعري بديـــع الصـــور

من حديث الى « سمراء » عذبة الصوت ـ وللسمراوات نصيبهن الوافر من شعره ـ :

سمراء وصوتك ما اجمل
كخرير مياه فـــي جدول
كهتاف الطيـــر اذا اقبل
يشدو برقيـــق الالحان

الى التي غنت شعره فاطربته :

مـــن انت باللـــه مـــن انـــت ... صيرتنـــي نغمـــا وابدعـــت
حلقت بـــي فـــي نشوة سكرى ... للـــه مـــا احـــلاك اذ لحـــت

الى كلمات عابثة لحسناء سئلت من يكون هذا الذي يرسل هذه النفحات :

سالوها عن ناسج الحرف من شوق محب ، ومـــن تاوه ساهر
فاجابت ولحظها يرسم الافـــق فتونا تسبي العيـــون النواظـــر
آه من نسجه .. وما وبح قلب شب فيه الهوى وهـــام الشاعر

الى حديثه مع « رجاء » وهي قطعة غنائية من اروع ما فاض بـــه قلب الشاعر :

كل يوم مـــر بـــي دون لقـــاء ... او حديث هـــو للـــروح عـــزاء
ضائع ليس مـــن العمر ومـــا ... قيمة العمر اذا غابت « رجاء »
هي نجوى القلب فـــي خلوتـــه ... جنـــة تمـــرح انسام المســـاء
هـــي انشودة طيـــر سابـــح ... يحمل النشوة فـــي كل سماء .

ان انجذاب الشاعر الى واحات الوجد والحب والجمال لم يبعده عن تصوير شعوره القومي المتقد ..، من العوالم السحرية الى عالـم النضال والكفاح ، ومن تصوير احاسيسه الذاتية الـــى تصوير اروع لاحاسيس قومه الذين عاشوا ادق مرحلة مـــن تاريخهم النضالي . ويخص فلسطين ، ويخص الفدائيين ، ويخص المناضلين في كل قطـر عربي وقف ابناؤه يناضلون الغزو والعدوان ، والصهيونية والاستعمار .. يخصهم باجمل تحية واعظم تقديس ..

وهنا يرتفع صوته ليعبر عن كل هذه الخلجات القومية والنزعات الثورية .. ففي تحيته لفدائيي « العاصفة » يقول :

كـــان الجميع ينكـــرون ثورتـــك ... ويهـــزأون ان رويـــت قصتـــك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاعذرهم فانهم تعودوا على الذين شوهوا بطولتك
تحية .. وقد حفظت قصتك مجدولة الاحرف بالضياء
زكية من ارج السماء
تسابق الشعاع للسماء

فانت فجر جيلنا ورائد لامتك
حررتها من ربقة الضياع
انقذتها بعزمك الشجاع

وفي تحيته لمصر أشار الى ما يحيكه الاستعمار من دسائس للفت بين العرب وتفريق شملهم :

يا مصر : مر على الاخوة عارض فاذا الشقيق من الشقيق ينفر
خدع اراد بها الوشاة مطالبا حتى يفرق شملنا المستعمر
ولنا على الايام اكبر حجة صلة العروبة والوداد الاكبر
ووشائج شد الجوار وثاقها وعقيدة رسخت فما تتكسر

والشاعر لا يكاد يذكر محنة ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ حتى تثور ثائرته فيرسم صورا للوحدة الحقيقية التي تجمع شمل العرب :

كنا نردد « وحدة عربية » بعواطف تلهو ولا تتدبر
والشعب منخدع يظل حياته فيما يقال وما يذاع وينشر
الوحدة : الاحساس في اعماقنا الوحدة : العمل الدؤوب المثمر
الوحدة : الاخلاص ليس يشوبه غل يكدر صفوه ويغير
اني لالمحها على درب « الفدى » في فتية « الفتح » الاباة تنور
الواهبين حياتهم بشجاعة للفجر يجتاح الظلام ويقهر

وروح الشاعر الثائر ترتسم كلمات من الوهج حروفها الصدق والايمان .. فهو يخاطب الانسان العربي الذي عاش فترات ذهول بعد النكسة ـ يخاطبه بلسان الثائر الذي يهز بسلاح الخطب والكلام .. فالامر من الهول لا يحتاج الى الخطب الحماسية .. بل الى ثورات دامية تطهر ارض فلسطين من رجس الصهاينة :

ماذا يفيد
ومرارة الخذلان تعتصر الوريد
وحرارة الكلمات اخمدها الجليد
والنائمون صراخهم ملأ الصعيد والامر ليس به جديد
ماذا يفيد
وكانما المأساة لم تضع الديار
وتلطخ الشرف المؤثل بالصغار
وتشتت الفلذات في وضح النهار وليس نبدا او نعيد
والثار لا ينقاد الا للكفاح
فاذا صدقنا العزم والتمع السلاح سقط الشهيد على الشهيد
يتدافعون على الخلود ..

انني اقف هنا ، وقد مررت مرورا سريعا ببعض القصائد والمقطوعات التي احتواها ديوان الاستاذ السنوسي الذي يتميز شعره بالطلاوة والسهولة وصدق التعبير ..

نفحات وجد ونضال ـ وما اكثر النفحات التي تعبق بها ارض ليبيا ـ القطر العزيز الذي حجب الحكم الايطالي الغاشي كل صلة بيننا وبين اخواننا الادباء والشعراء الذين كانوا على اتصال وثيق بالحركات الفكرية في العالم العربي بينما كنا نجهل الكثير من انتاج اخواننا في المغرب العربي ، وفي ليبيا بصورة خاصة ، والحق ان انتاجهم قيم ، وقد اخذت مطابعهم تقذف الكثير من الكتب في جميع فنون الادب والمعرفة ، وهي تتجاوب مع ما يصدر عن الاقطار العربية، يجدر ان لا تكون بمعزل عنها، وقد حملت معي ، في رحلتي الى ليبيا، الكثير من انتاج الادباء والشعراء والكثيرين من المفكرين وكتاب القصة ، واكثر هذا الانتاج له طابع ادبي متميز ، ارجو ان اتناوله بالدرس في الكتاب الذي ازمع ان اكتبه عن ليبيا التي تعيش اليوم حياة جديدة بعد ان عاشت سنوات مريرة تكافح وتناضل في سبيل



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل٠ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حريتها وسيادتها ـ حياة تتسم بالبناء على ركائز متينة واسس وطيدة في شتى الميادين .

حلب **سامي الكيالي**

●

ديوان طهمان بن عمرو الكلابي

شرح ابي سعيد السكري ـ تحقيق محمد جبار المعيبد ، ٩٦ صفحة ـ مطبعة الارشاد ببغداد (ساعدت وزارة التربية على نشره) ١٩٦٨

المعيبد ، من هذا النفر من الشباب العراقي العامل في حقل التحقيق في صمت ونكران ذات ، قدم لنا « ديوان عدي بن زيد » ثم غاب قليلا مشغولا بأمور علمية منها جمع شعر اللصوص ، ومن هؤلاء شاعر لم يتردد اسمه على دارسي الادب العربي المختصين فضلا عن العامة ـ هو طهمان ـ من الشعراء النجديين في العصر الاموي.

وقد بذل المعيبد جهدا واضحا في اخراج ديوان طهمان اخراجا علميا نافعا رجع فيه الى كل ما يجب الرجوع اليه من المصادر .

اذا قرأنا الديوان رأينا فيه فوائد لغوية واجتماعية وتاريخية ، وقد عكس جوانب من اخلاق اللصوص وصورا مما كان يشغل بالهم ويعتري نفوسهم ، لا يخلو بعضها من طرافة .

تقول ابنة الطائي ما لي لا ارى بكفيك من مال يكاد يليق ..

وكان مما أصاب طهمان ان قطعت يده اليمنى ، فقال في ذلك شعرا :

يدي يا امير المؤمنين أعيذها بحقويك ان تلقى بملقى يهينها

وضرب رجلا اهانه حتى قطعه وقطع يده فقال :

لقد سرني ماجرف السيف«هانئا» وما لقيت من حد سيفي انامله

ومتركه بالبرتين مجدلا تنوح عليه أمه وحلائله

وفر الى اليمن ، فقال شعرا في « الحارثيات » :

.. بنات الملوك لا ينال مهورها دنيء وان اغلا بهن واكثرا

و « قتل رجلا من غني » في غيرة عند نساء ، ثم رمى فلحق ب « العارض » ، « فكان فيه سنتين » (١) مضطرا على الاقامة متخفيا، فآله ذلك :

مللت ثواء باليمامة لا أرى من الناس الا العبد يحدو السوانيا

واشرب ليلا ثم أصبح طاويا تظل عتاق الطير حولي حوانيا

وليس لشعر طهمان فيما عدا ذلك اهمية تذكر ، لانك لا تجد في شعره ما يعلو المتوسط (٢) ، وطهمان في ذلك مثل اكثر الشعراء الذين لم يفرغوا لقول الشعر وممن يقولونه عابرا للاعراب عن امر يلم بهم .

ولا يحول هذا ـ بالطبع ـ دون الاهتمام بهم والعناية بشعرهم والافادة منه . وقد أحسن المعيبد اذ بذل الجهد واحسن اذ نشر ديوان طهمان .

اما اهم الملاحظات التي يمكن ان تذكر هنا ، فهي :

١ ـ طبع ديوان طهمان في اوروبة اكثر من مرة ، وقد اعتمد المحقق طبعة وليم رايت ، وكنا نود لو اعتمد المخطوطة الاصل الموجودة في ليدن . وقد ود الناشر نفسه لو تهيا له ذلك ، وسعى ، الا انه لم يستطع ـ في حدود طاقته ـ ان يحصل على صورة لها ـ نرجو ان تتهيا له في فرصة اخرى .

٢ ـ شكل اسم الشاعر : ان الاسم غريب علينا ، ومن المحتمل جدا ان نسيء لفظ الطاء ، ولذا حسن ان تشكل او ان يشار الى شكلها . جاء في القاموس المحيط : « وطهمان كسلمان ويضم ... »

اما الضمة الواقعة فوق الميم من ابيه عمرو فلا يمكن ان تعزى الى المحقق بأي حال من الاحوال .

٣ ـ ان عددا لا بأس به من كلمات نص الديوان يقتضي ان يشكل من حروفه ما يحتمل وقوع الخطأ فيه .

٤ ـ وضع المحقق « تخريج القصائد » في آخر الكتاب ، ولو وضع تخريج كل قصيدة على رأسها ـ كما فعل في ديوان عدي ـ كان عمله انفع لنا .

٥ ـ ورد على ص (٧٧) ان التبريزي توفي سنة ٥١٢هـ ، ولا بد من ان يكون هذا من خطأ مطبعي ، لان الصحيح هو سنة ٥٠٢ والمحقق يعرف ذلك جيدا وقد ذكره كما يجب على ص ٧٦ .

الملاحظات ليست بذات بال الى جوار ما بذل المحقق من جهد وقرب من بعيد .

لقد يسر الديوان الى القارىء والباحث على شكل علمي ـ وليس هذا بالقليل .

اننا بانتظار الاثر الثالث من تحقيق المعيبد .

(١) لا يستحيل ان تكون سنين . (٢) وقد تلمح في شعره معنى قريبا من معنى ورد لدى معاصريه مثل توبة (ص ٢٢) ، وقيس لبنى (ص ٤٧) .

بغداد **علي جواد الطاهر**

●

جفون تسحق الصور

رواية ـ تأليف الدكتور بديع حقي ـ ١٧٤ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

عندما يتحول الكاتب من شاعر الى قصاص فهو يمثل في الواقع ظاهرة « جديرة » بالدراسة ، ولكنني الآن لست في سبيلي الى هذا النوع من الدراسات ، الا انني مع ذلك لا استطيع ان انتزع من ذاكرتي صورة الشاعر بديع حقي وانا أهم بالحديث عن بديع حقي القصاص.

كان « سحر » ديوانه الاول ، والاخير ، ومع ذلك فان هذا الكتاب الوحيد كان نموذجا متفردا في الشعر العربي الحديث والسوري بشكل خاص بما اشاع فيه من روح شابة جديدة تحاول ان تتمثل تيارات التعبير العصرية في اختيار اللغة الانيقة والتصوير الطريف.

وقد اكون الان من الذين لا يحبون هذا النوع من الشعر المترف ، الا انه لا يسعني نسيان ذلك الاثر القديم الذي تركته في نفسي وانا بعد ما أزال قارئا ناشئا متلهفا ان في سوريا شعرا آخر غير شعر الجزالة والفحولة والمناسبات الكبرى . لقد كان الكتاب اسهاما لا نكران لاثرة في اغناء الحركة الشعرية العربية المعاصرة .

ولكن الشاعر سكت فجاة ، فرمى قيثارة المغني كي يحمل قلم المترجم والقصاص ، منصرفا الى هوايته الجديدة انصرافا تاما ما يزال يحافظ عليه حتى الآن . فايهما كان افضل ، الشاعر أم القصاص ؟.

انه سؤال لا يمكن الاجابة عليه اجابة نهائية ، فلقد قام الشاعر في زمنه بدور معين لا غنى عنه ، ويقوم الآن القصاص بدور جديد ، وهو في كلتا الحالتين يستسلم لطواعية مطلقة نابعة من هذا التحول الطبيعي الذي طرأ ويطرأ على كثير من الكتاب فلا يتشبثون بمهمة لم يعودوا قادرين عليها ، مؤمنين بمهمتهم الجديدة ايمانا خالصا ، معبرين في كل ذلك عن اخلاص لا هدف له الا الامانة مع النفس ، ومع الآخرين . ولقد قال لي بديع حقي ذات يوم في احدى محاوراتنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القطيعة :

ـ لا أعرف كيف حدث ذلك . ولكنني اؤكد لك انه منذ سنوات لم تخامرني اية رغبة في نظم الشعر ، وان كتابة القصة ، اصبحت متعتي الجديدة التي لا اجدها في أي نوع آخر من الكتابات ..

انه تحول طبيعي اذن ، وادراك ذاتي لهذا التحول وتلك مزية حقا ، يحتاج لها الفنان : ان يعرف نفسه .

بدأ بديع حقي الشاعر ، والموظف الدبلوماسي العريق ، في كتابة القصة القصيرة اول الامر ، وقد جمع انتاجه الاول في مجموعته : « التراب الحزين » التي يعرفها الكثيرون وعلى الاخص الطلاب السوريون طوال سنوات ، اذ كان الكتاب من مقررات برامجهم المدرسية طوال الفترة القائمة بين عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٨ . ان بديع حقي قصاص معروف الآن اذن ، وقد كان التعرف اليه كما نرى طوال اربع سنوات عملا ارغاميا لا مفر منه ، الا ان « جفونه ... » الاخيرة تعطينا صورة جديدة كل الجدة عن الكاتب ، ومعرفة حميمة ابلغ من تلك التي يكتسبها الانسان في قاعات المدارس حيث تبدو الكتب المقررة كلها واجبا رسميا اكثر منها ارتباطا اختياريا ملذا .

انه لامر واقع ـ في رأيي على الاقل ـ ان بديع حقي بعد اصدار روايته تلك قد تجاوز نفسه ، واندفع في المضمار مسافة ليست بالقصيرة سواء أكان بالقياس لنفسه ام للانتاج العربي عامة في حقل الرواية . ولكن النقد ليس بالطبع اصدارا لاحكام عامة ، فهو تحليل وتفسير ونبش لدقائق الاشياء الحسن منها والرديء وهذا ما سوف احاول صنعه الآن .

تعتبر الرواية من الحجم الصغير اذ لا يتجاوز عدد صفحاتها المئة والاربع والسبعين صفحة على وجه الدقة . وتكمن نواتها في ذكرى قديمة اختزنتها ذاكرة الكاتب سنوات طويلة لرجل مريض مشلول كان جارا له يعرفه بائعا متجولا ثم انسانا مريضا مربوطا الى فراشه ، تطل يده النحيلة من النافذة ، ثم رجلا محطما محمولا على ظهر حمال تقوده زوجته الشرسة الى المحكمة الشرعية كي تتخلص منه بالتفريق . وقد كتبها في قصة قصيرة نشرها قبل عشرين عاما في مجلة « الاديب » تحت عنوان « في الوحل » ولكن يبدو ان هذه الذكرى كانت اعمق وابلغ اثرا من الشكل الذي ظهرت فيه ، فظلت تلح عليه حتى عاد اليها من جديد كي يصنع منها قصة طويلة . فهي اذن كما يقول الكاتب في تصديره ، منسولة من الواقع ، ولكنها محورة ، موشاة ، مستوعبة آثار كتاب آخرين قبل ان تستوي على عودها قصة كاملة . وجدير بالذكر ان انبه الى المدة الطويلة تلك التي استغرقتها القصة في ذاكرة الكاتب ، والى المدة التي استهلكتها في التنفيذ من بلودان الى الجزائر . ولقد شاءت الصدف ان تجمعني بالكاتب مرة اخرى في غير بلدنا دمشق فاجد نفسي مدرسا في الجزائر ، واجد بديع حقي من جديد معي غارقا في انجاز روايته بالرغم من متاعب عمله الدبلوماسي ، وهكذا أتيح لي ان اتعرف الى الرواية قبل نشرها في كتاب من خلال احاديث صاحبها عنها ، فاتمثل مصطفى في فراشه قعيدا يتمزق من العجز والقهر ، وصبرية صخابة كالوحش المفترس تمارس سيطرتها الكلية في قسوة بهيمية ، واتبين منذ اللحظات الاولى هذه الزاوية الطريفة الموحية التي انطلق منها الكاتب والتي تنبىء عن عمل ادبي ذي شأن . ولم يخب املي بعد صدور الرواية وقراءتها ناجزة كاملة . لقد استطاع بديع حقي ان يفي بوعده .

يمكن تلخيص الموضوع في سطور قلائل ، ولكن ليس هذا هو المهم . ان طريقة العرض التي اختارها الكاتب هي التي تضفي على الموضوع طرافته الحقيقية . ثمة رجل مشلول في فراشه لا يستطيع النطق ، وليس غير جفونه المرتعشة ما يدل على نسمة الحياة في جسده الهامد ، وثمة زوجة قاسية تتبرم به وتسومه اصناف العذاب، وصبية حلوة هي ابنة المريض من زوجته الاولى التي تعرف اليها على طريق الزبداني عندما كان سائقا مفعما بالحيوية والامل ، ولكن هذه الزوجة سرعان ما تموت بعد الولادة وتتركه مفجوعا وحيدا ، فلا يلبث بعد سنوات ان يخضع للاغراء وحاجته لام جديدة لطفلته فيتزوج ، ومنذ تلك اللحظة تبدأ متاعبه الحقيقية اذ يكتشف روح الشر في زوجته الجديدة فيضربها ، ويصاب في حادثة اصطدام سيارته يفقد على اثرها قوى الحركة والنطق ويعيش تحت رحمة زوجته الطاغية حتى النهاية ، لولا ان الظروف تساعده آخر الامر على انقاذ ابنته من مؤامرة زوجته لتسليم الفتاة الصغيرة الى احد الطامعين ، وفي افساد احلامها ومشروعاتها الخاصة في زواج جديد مربح بعد طلاقها منه على اثر انتحار ابنه عبده الابله الذي ولدته منه تلك المرأة الشريرة .

ان الموضوع كما نرى غني ، ثر ، صالح ان يكون نواة قصة طويلة . فاذا تجاوزنا هذه المزية ماذا نجد ؟. وما هي المشكلة الحقيقية المطروحة ؟.

لقد بدأت متاعب الرجل بعد موت زوجته الاولى فمن كان المسؤول عن موتها ؟. لقد كان الموت بسبب النزف المتصل الذي ألم بالنفساء بعد الوضع ، ومن هنا تبدو احزان الرجل نابعة من حادثة طارئة ، ويمكن القول بهذا المعنى ان الزوجة لو لم تمت لما كانت هناك اذن مشكلة ، وبالتالي لما حدث ما حدث ولم يكن ثمة اذن قصة . ان المشكلة المطروحة كما يبدو لا تمتد جذورها في اعماق المجتمع كي تعكس تناقضا اجتماعيا تقع مسؤوليته على المجتمع نفسه ، فالرواية اذن تعالج مشكلة فردية وماساة خاصة ، وهذا هو السبب الذي يدفع القارىء في النهاية الى التساؤل : حسنا .. ماذا يريد الكاتب بعد كل هذا ؟. أهي مجرد محاولة لتقديم شريحة حية من جسد المجتمع الذي نعيش فيه دون ان يهدف الكاتب الى تحميلها اية فكرة اخرى معينة اعمق وابعد مدى ؟. اذا كان هذا هو هدفه فلقد استطاع الوصول اليه وهو في حد ذاته هدف جليل ليس بلوغه بالامر الهين ، الا انني مع ذلك لا ابرىء الرواية تماما من هذا النقص الذي لم يعد واردا في الادب الحديث ذلك ان الآثار الفنية الكبرى المعاصرة لا بد ان تطرح من قريب او من بعيد قضية ما اجتماعية ، او فلسفية انسانية الا ما تقدمه مدارس اللامعقول والتجريد والرواية الجديدة التي لا اعتقد ان بديع حقي ينتسب الى واحدة منها . انه اديب واقعي اولا وآخرا ، ولهذا السبب كنت أريد من روايته ان تقدم لنا الواقع بشكل يوحي بغاية اكثر عمقا من محاولة التصوير المجرد لمشكلة فردية خالصة : مشكلة رجل أرمل مشلول !.

ولكن كيف كانت طريقة العرض ؟. لعل اجمل ما قدمه بديع حقي في كتابه هو هذه التقنية المحكمة التي عرض من خلالها روايته ، فالقصة كلها معروضة عبر مخيلة الرجل المريض وفي المرئيات البسيطة التي يستطيع التقاطها من خلل جفونه المرتعشة . كانت اذن عملية استبطان تبدأ بمشهد صباح أليم جديد في حياة الرجل المقعد ، ولكنه صباح حاسم لانه اليوم الذي حمل فيه كمتاع مهمل على ظهر ولده الفتى الى المحكمة وتم فيه الطلاق .

نحن اذن في صميم الحاضر المفجع ، فالبيت سجن رهيب والصباح ايذان بمولد عذابات جديدة ، وطوال المقطع الاول ليس الا هذا العالم الداخلي للرجل المريض الذي يستقبل الفجر ، ويراقب النافذة والذباب ، واشعة الشمس ، والحبل الذي يشد الجرس، في اداء مفصل دقيق يضعنا وجها لوجه امام المأساة ، ثم تدخل الزوجة المسرح ، فيستيقظ القط متربصا ، وتكف الفارة عن حركتها الخفية ، وتستمر المرئيات الظاهر منها والدفين ، يحركها الكاتب من الداخل مازجا بين الوصف والسرد والمونولوج الداخلي ، حتى يكف الحاضر عن الحركة في الصفحة الثانية والثلاثين حيث يبدأ الماضي الجميل يعود في عملية تذكر محبوكة ترسم اللون الزاهي

المقابل للون الفاجع في اللوحة الاصلية حتى الصفحة التاسعة والخمسين اذ تتوقف الذكريات قليلا او تتكشف على الاصح فيصفحة نرى فيها ابنته زينب وقد أضحت صبية حلوة ، وابنه عبده فتى أبله في الرابعةعشرة من عمره هو عمر زواجه الثاني . ولكن الذكريات ما تلبث أن تكر من جديد تحمل تفاصيل مثيرة جديدة تعمق اللون الفاجع الذي يزداد سوادا حتى هروب زينب من البيت في الصفحة التاسعة بعد المئة . وهكذا يعود الحاضر الذي بدأت من عنده القصة اذ يحمل مصطفى المريض الى المحكمة ثم تبدأ الاستعدادات للفرح الجديد ، فنجد القصة هنا تتلاحق فيها الاحداث والمرئيات في خط متوتر حتى الصفحة الاخيرة حيث يختم الكاتب الرواية وقد فسد الحفل ، وانهارت الزوجة العاتية وبدأ الرجل المريض يتمتع لاول مرة في حياته المهزومة بلذة الانتصار بالرغممن جثة ابنه المدلاة الىجانبه .

لقد حدثنا الكاتب نفسه ـ في المقدمة ـ عن المؤثرات التي لعبت دورها في تكوينه كقصاص ، فهل ثمة حاجة للبحث عنها وقد كفانا هو نفسه مؤونة الكشف عنها كنقاد محللين . ان الكاتب يساعدنا ولكن الى حد . حدثنا عن تاثره بدوستويفسكي وغوغول وجيمس جويس وفولكنر ورواد الرواية الجديدة في فرنسا والحق انك لا تلمس في كل ما تقرأ تاثرا معينا منقطعا عن غيره ، فلقد استطاع الكاتب ان يتاثر وان يصهر كل هذه المؤثرات في بوتقته الخاصة حتى النهاية فظل عمله حتى النهاية يتمتع بتفرده واستقلاله .

ان اثر دوستويفسكي يظهر من خلال تصوير الشخصيات في اندفاعها الاهوج حتى الموت ، واثر غوغول في طابع الاضحاك الخفيف رسم بعض الشخصيات في قلب هذاالاتونالمستعر . اما تاثير الباقين فليس ضروريا فيه ان نعزو الحوار الداخلي الى جيمس جويس بعد أن صارت هذه الطريقة شائعة منذ سنوات طويلة وقبل ان يبدأ بديع حقي نفسه في كتابة القصة ، كما ان الصور الشعرية ليست بالضرورة اثرا من اثار فولكنر ، فهي في اعتقادي اثر من آثار الشاعر بديع حقي نفسه في بديع حقي القصاص . كما ان الالحاح على التفاصيل الدقيقة للاشياء ليس هو ما يميز الرواية التي تعتبر قصيرة بالنسبة للروايات العادية في الموجة الجديدة . ولكن هذا لا يمنع ان الكاتب قارىء نهم ، واسع الثقافة ، قادر ان يجمع في دخيلته رواسب كثيرة يحسن استخدامها في الوقت المناسب وهذا هو المطلوب .

ان الشيء الخاص الذي يميز طريقة العرض في هذه الرواية من غيرها من الروايات العربية هي عملية الاستبطان المستمرة في الالحاح على تقديم الاحداث والافكار والانطباعات كلها من خلال نفس الرجل القعيد ، وانها لعملية شاقة اذ يبدو في بعض الاحيان ان القصة تصبح غامضة او ناقصة حين يحتاج الامر الى الانطلاق خارج هذه النفس ، وحين نشعر ان الاشياء الاخرى لم تنل نصيبها الكافي من الوصف والتحليل . ولكن الكاتب حافظ على جوه ، ومن خلال هذا الجو المكبوت المحدود استطاع ان يرسم كل الاجواء الاخرى عبر حركة او نظرة او كلمة فالناس يتحركون حول المريض ، والاصوات تتصاعد ، والجلبة تزداد ، واذنه تلتقط كل هذه الاشياء وتنقلها بعد عملية اختيار دقيقة محسوبة ، وتبدو هذه المهارة اكثر ما تبدو في المشاهد الاخيرة اذ يزدحم البيت بالناس ، وتكثر الاصوات ، وتتلاحق الاحداث ، ولكننا مع ذلك ومن دون ان نخرج من غرفة المريض او بالاحرى من داخل المريض نفسه ، نفهم كل ما يجري ، ويزداد تمتعنا بما يجري لانه مشفوع بطابع الفضول، والتشوف، والاحساس بالخطر، مقترنا بهذا الاحساس الثابت بالعجز عن التدخل لتغيير مجرى الامور الكريهة . ان التقنية التي مارسها الكاتب ، وطبقها بصرامة ومهارة على اسلوبه في العرض يمنح الرواية درجة عالية من النضجفيما يسمى بالاصول او « التكنيك » ، ولن تذهب من ذهني ابدا هذه الصور المتلاحقة التي كانت تعبر في مرئيات مصطفى المريض وهو يلاحق العرس كشريط مثير يقدم لنا الصور من خلال نافذة ثابتة ، فحمدي التاجر الملقب « بالزلقطة » مثلا نراه يحمل السجادة التي اهداها اول الامر ويهبط بها الدرج في استعجال بعد ان تاكد من فساد خطته . أنه يمثل اذن التاجر الذي لا تفارقه روحه الانتهازية في اشد اللحظات حرجا . ونرى صبرية في وصيد الباب تكاد تسد بجسمها المترهل منافذه وقد تصدى لنا المثلث المنفرج بين خصرها وذراعها المتكئة على ردفها فنفهم ان ممكنات جديدة من الشر موشكة على الاندلاع . هذا ما يحصل في الخارج ، اما في داخل الغرفة فان الامر يختلف ، فالصور لا تمر سريعة مختطفة ذلك ان الغرفة هي عالم الرجل المريض الوحيد الذي يمارس استجلاءه كل يوم ، ولهذا السبب تبدو صورة الذبابة وهي تحك قدميها صورة طويلة مفصلة جديرة بالانتباه تعكس روح السأم القاتل الذي يعذب الرجل وهو يرى ان لا سلوى له الا في مراقبة الذباب الوقع الملح .

الا ان الكاتب خرج مع ذلك على هذه التقنية المقصودة في الصفحة السادسة والتسعين من الكتاب حين لجأت زينب اليه هاربة من الطابق العلوي حيث كان حمدي « الزلقطة » يطاردها بشهواته فيدخل حمدي الغرفة وراءها وهو ما يزال يتاكل غلمة واشتهاء . عند هذا المقطع يحاول الكاتب ان يقص علينا ماذا جرى فوق بعد ان اكتفى قبل قليل بذكر ما اوحي للرجل المريض من خلال مسموعاته وتخيلاته، وكان هذا كافيا اذ ليس من المهم ان نعرف تفاصيل ما حدث ولكن الكاتب يضع هذه العبارة فجأة :

« كانت نظرته المخذولة تقص ما جرى له مع النعجة النافرة الهاربة » :

ثم يضع نقطتين ، الواحدة فوق الاخرى كما نصنع حين نريد المزيد من التوضيح فيقص كيف مزق الرجل ثوب الفتاة ، وكيف نفر نهدها وكيف ثنى بقبضتيه يديها و.. و.. كيف استطاعت في النهاية ان تتلخص بعد صرخة مدوية ، فيخاف الوحش ، وينحنى، فتنتهز هي الفرصة كي تعضه في ساعده وبين هو مشغول بجس مكان الالم تخف هاربة هابطة الدرج الى غرفة ابيها المريض ...

لقد ناقشت الكاتب شخصيا حول هذا المقطع ، وقد دافع عن نفسه وقتها انه لقي صعوبة حقيقية في طريقة عرضه هنا ، وانه احتال على ذلك اخيرا في قوله ان نظرة الرجل المعتدي المخذولة هي التي روت تفاصيل ما حدث . ولكني مع ذلك لا اجد هذه الصفحة منسجمة مع باقي اجزاء الرواية حيث لا يوجد تفصيل واحد خارج على الامكانات التي يقدر عليها الرجل العاجز . ان النظرة المخذولة قد توحي بتفاصيل كثيرة ، هذا صحيح . ولكنها لا يمكن ان تقدم تفاصيل الواقع ذاته ، بل تفاصيل واقع محتمل ، ولقد كان ممكنا عرض المقطع عن طريق التخيل مستخدمين عبارات معينة مثل : « لا بد انه مزق ثوبها .. » او « ربما انها عضته .. » ويمكن بكل سهولة حذف المقطع كله فلا يختل السياق ، ولا ينقص الرواية حدث اساسي ما دام المهد الرئيسي الذي تستند عليه هو شخصيا الرجل المريض وما يدور في اعماقه وما يعلق من المرئيات في بصره . ومهما يكن من امر فان البناء القصصي يظل متماسكا متينا لا تنقص من قيمته هذه الصفحة لانها كانت وحيدة منقطعة .

وخلال البناء كله ينساب الحوار الداخلي انسيابا ماهرا كي يشكل مع السرد العادي مزيجا متوازنا متساندا يضفي على الحدث القا خاصا يزيده وضوحا وعمقا ، ويمنحه طاقة اكبر على ترسيخ جذور التعاطف الضروري بين القارىء وبين البطل المغلوب على امره . الا ان الشيء الذي لم اهضمه هو طبع الحوار الداخلي بالحرف الاسود مما جعله اشبه ما يكون بمقاطع تعليمية ينبه بها الكاتب قارئه الى نوع الكتابة تنبيها مكشوفا يقطع الجريان الطبيعي لمتعة القراءة كي نتذكر اننا امام درس مقصود . لقد قال لي بديع حقي في هذا الصدد انه وجد هذه الطريقة افضل في تنبيه القارىء العادي ، وان بعض الكتاب الغربيين الكبار يلجؤون اليها مثل فولكنر الذي يطبع حواره الداخلي بحروف « ايتاليك » متميزة . الا انني اعتقد ان تعلم

القارىء العادي يكون في دفعه الى الاكتشاف بنفسه ، ولا اعتقد ان القراء العاديين عجزوا عن فهم الروايات الكثيرة الموضوعة والمترجمة التي كان يقدمها اصحابها بحروف واحدة متشابهة في طوفان الروايات الصادرة .

ولعل ابرز ما يميز تقنية الرواية هي قدرة الكاتب على رسم شخصياته . وبما ان القصة تعرض كلها من خلال انسان واحد فهناك اذن شخصية رئيسية واحدة هي شخصية الرجل المريض ، ويبقى الآخرون كلهم يدورون في فلكه كشخصيات مساعدة ثانوية تتدرج في اهميتها حسب قربها او بعدها عن الرجل المريض ، فاذا اخذنا بهذا السلم فان زوجته الثانية الطاغية صبرية تأتي في الدرجة الثانية من الاهمية ، يليها الابن الابله عبده ، والابنة الحلوة زينب ، ثم تتلاحق الشخصيات الاخرى على درجة واحدة مثل الخاطبة ام شحادة ، وحمدي « الزلقطة » التاجر المتصابي وابو حسني خطيب صبرية ثم بقية المدعوين الى الحفل والمحامي في المحكمة الشرعية وطيف الزوجة الراحلة الخ .. ان الرواية كما نرى حافلة بالبشر كما هي حافلة بالاحداث ، وكلهم يتكافلون في لوحة واحدة تمثل العالم السفلي من حياة دمشق . وقد استعان الكاتب في رسم الشخصية الرئيسية بكل الوسائل الممكنة من تحليل وتمثيل وحوار داخلي ولكن المادة الرئيسية التي نحت منها شخصيته كانت هذا الرسم الدقيق لحركات الشخص العاجز وتصوره للاشياء التي تحيط به ، وقلما ترك الكاتب لنفسه الحرية في ان ينبه على عاطفة معينة باسمها ، وانما هو الذباب يطن حينا ، والفارة تقرض حينا اخر ، والقطة تثب في وقت والاطياف تتوضح وتغيم في وقت ، والذكريات تمثل وتغيب والدمعة العصية تنحدر بملحها الرطب حتى زاوية الفم وحبل الجرس يطوح كحبل المشنقة . وفي كل رسم من هذه الرسوم تتألق عاطفة خاصة كالسأم، والقهر ، والغضب ، والحنين ، والالم الجسدي ، والحقد ... وكلها مشاعر لا يسميها الكاتب باسمها ولا يتدخل في ابرازها الا بقدر ما تسمح له الصورة الخارجية التي يراها ، ويريد للقارىء ان يراها معه . ومن هنا يأتي الحوار الداخلي رديفا اساسيا لتوضيح معالم الشخصية الرئيسية عندما يعجز التصوير وحده عن منح الصورة حقها من النبض العميق الذي لا يسمع بالاذن المجردة .

ولكن الشخصيات الاخرى ليس لها حوارها الداخلي ، وهذا امر طبيعي لانها شخصيات مساعدة كما قلنا ، ولهذا السبب اقتصر الكاتب في عرضها على ما تسمح به جفون المريض المرتعشة ان ترى من خلال رفيفها الدائب القلق . ولو فعل غير ذلك لخرج على الامانة الفنية التي تقتضيها الخطة الموضوعة للكتاب ، فاذا لمسنا شراسة صبرية وطمعها ، ومكر أم شحادة ، ونهم حمدي « الزلقطة » وغباوة ابي حسني وبلاهة عبده ، وطهارة زينب ، فاننا لم نتوصل الى ذلك الا من خلال ما رآه المريض او سمعه ، وهذه قيود ضيقة التزمها الكاتب حتى النهاية ونجح بها مرتين : المرة الاولى انسجاما مع طبيعة التقنية المختارة لطريقة العرض الاساسية ، والمرة الثانية انسجاما مع الواقع في عرضه صورا حية لشخصيات تعيش على الورق كما تعيش على الحياة بالرغم من الحدود الضيقة والكوات الصغيرة التي سمح لنفسه ولنا ان نطل من خلالها على هذا العالم السفلي الصغير الصاخب .

واذا كان ثمة كلمة لي حول اسلوب بديع حقي فانا من المعجبين بتمكنه من اللغة وقدرته على الاداء السليم في رشاقة تنساب مطواعة كالساقية الرقراقة . انها لغة نقية مصفاة يندر ان نجد لها مثيلا في اساليب القصاصين العرب المعاصرين ولكي اضرب مثلا على ذلك فان في امكاني ان اختار لا على التعيين مقطعا ما من اية صفحة كي يكون المثل شاهدا صحيحا وها أنذا اصنع فلنقرأ :

« وكان يمثل في وهمه الحين بعد الحين ان الصمت استحال الى كسرة خبز يابسة لا تني تقرضها هذه الفارة الدائبة المتوارية » ولكن براعة الكاتب اكثر ما تبدو حين يصف هذه الحركات الدقيقة التي تميز شعورا دفينا خاصا فاذا هو شاعر يستعين بالصورة الى جانب الكلمة الصافية فيصبح المقطع اشبه مايكون بصورةشعريةشفافة.

« وافترقت الاهداب قليلا قليلا ، متثائبة ، مبتعدة ، وانسربت من ثناياها نظرته كأنها خفاش نزق يشق بجسمه اللدن اهاب الظلمة ، وهفت الى نافذة جاثمة في اعلى الجدار القائم امامه وحطت على فجوة في زجاج النافذة الاغبر الوسخ المكسور ، وبدت له رقعة مستطيلة من السماء وجنة سوداء تناهبتها شامات بيض متلالئة » .

ثمة تشبيهان يعبران مخيلتنا في هذا المقطع هما : « الخفاش النزق الذي يشق اهاب الظلمة » و « الوجنة السوداء التي تناهبتها شامات بيض متلالئة » والتشبيهان على طرافتهما غريبان اشبه بصور الرمزيين منه بالصور التي تمر حقا في مخيلة رجل مريض كان يعمل سائقا على طريق الزبداني ، ان بديع حقي الشاعر هو الذي يتحدث هنا اكثر من بديع حقي القصاص ولعل هذا هو السبب مضافة اليه الكلمات الانيقة الكثيرة الاخرى التي يستخدمها الكاتب ما يجعل لغة بديع حقي اسلوبا شاعريا اكثر منه اسلوبا قصصيا ، ذلك ان لغة القصة في اعتقادي تختلف عن لغة الشعر ولا تحتاج الى هذه الاناقة البالغة لانها تصرف ذهن القارىء عن الحادثة الجارية ، أو الشعور الطارىء الى مراقبة اللغة والالفاظ ، كما يصنع الزجاج المحجر او المزخرف حين نراقب من خلاله الاشياء . ان القصة تحتاج الى لغة سليمة وبسيطة في آن واحد ، والالحاح مثلا على هذه الصيغة للمبالغة التي تتكرر كثيرا يضفي على الاسلوب طابع تكلف لا ضرورة له . ان مثل : « لصيق » او وفعل «زمق» وغيرهما من الصفات والافعال بديع حقي بما أوتيه من مقدرة وثروة لغوية قادر على ادراك هذه البساطة بكل يسر ما دام مفتاح البيان في يده . ان المعيار الصحيح للاسلوب القصصي يكمن في هذا الاسلوب قادرا على ان يذهلنا عن نفسه فيشف عما يريده الكاتب دون ان يلفت النظر اليه . يجب ان ننسى الاسلوب ونحن نمارس القراءة ولا نتذكر الا ما يحدث امامنا . ومن المؤكد ان القارىء لا ينقطع عن القصة نفسها كي يتذكر الاسلوب ويراقبه الا في حالتين ، اما لان لغة الاسلوب كانت مبتذلة ركيكة ، واما لانها كانت انيقة الى حد المبالغة ، فالركاكة تخطف الانتباه مثل التانق المبالغ فيه . ولقد قيل مرة في تعريف الرجل الانيق في ملبسه : انه الرجل الذي لا يلفت الانظار الى ثيابه بشدة . وهذا تعريف موفق حقا لا ينطبق على الاناقة الصحيحة في اللباس فحسب بل على الاسلوب القصصي ذاته ، وان نظرة سريعة الى كتابات اشهر القصاصين في العالم تعكس لنا بجلاء هذه المزية في التعبير السليم البسيط المباشر دونما تنميق ولا تكلف . على انني بعد كل ما قلته أظل مؤثرا لهذا الاسلوب اذا كان في الامر مفاضلة بين الاساليب التي تقرؤها لكثيرين من كتاب اليوم الذين غلبت عليهم الركاكة والابتذال . ان في اسلوب بديع حقي مزية اساسية هي انه يحمل نفسا اصيلا من انفاس البيان العربي السليم الذي كاد يضيع في ركام لغة الربيورتاجات الخفيفة الركيكة التي غلبت حتى على لغة الادباء في ايامنا الاخيرة .

وبعد فثمة سؤال اساسي طرحته على نفسي بعد ان فرغت من قراءة الرواية : لماذا كان يهيمن على القصة هذا الجو القدري المطلق ؟ لقد بدا الرجل مهزوما منذ البداية ، فهو مفلوج عاجز ، والمرأة قوية قهارة ، فاذا لم تستطع هذه المرأة في النهاية ان تحقق جميع مآربها فان دور الرجل المشلول في كل ذلك كان شبه معدوم ، ومن هنا كان يبدو ان كل شيء متوقع منذ البداية حتى النهاية الا ما تجود به الصدفة الحسنة . ثمة في كل عمل قصصي اومسرحي قوتان متناقضتان تجر كل منهما اقدار الناس في اتجاه مضاد ، ومن خلال هذا التناض يبرز عادة ما يسمى بالعقدة او الصراع ، وهكذا يشحن

الكاتب روايته او مسرحيته بالتوتر المنشود الذي يجعل عمله الفني معركة حافلة بامكانات متنوعة متباينة من حيث التوقع والتنبؤ . وبقدر ما تكون هاتان القوتان متماثلتين في القدرة يكون الصراع بينهما اشد واعمق ، ولكن المعركة هنا تدور بين رجل عاجز كل العجز ، وبين امرأة قادرة كل القدرة فما هي امكانات التوقع التي تركها المؤلف للقارىء ؟. هل يمكن لهذا الرجل أن يتغلب وهو في فراشه على هذه المرأة الطاغية ؟. لقد كان واضحا طوال الرواية انه انتصار غير ممكن ، ولهذا السبب هيمن جو الاستسلام القدري ، واذا كان ثمة تحول ما قد طرأ لصالح الرجل ضد امرأته فقد تم بمعونة قوة خارجة على ارادته لا دخل له فيها . لقد كان القدر هو الذي تدخل منذ البداية، والقدر نفسه هو الذي تدخل في النهاية وانتصر ، اما الناس فقد كانوا أشبه بالدمى العاجزة طوال المعركة الفامضة سواء أكانوا مرضى أم أصحاء .

ويبدو ان الكاتب احس بصعوبة الامر ، وان خلق هذا الصراع المنشود في العمل الروائي لم يغرب عن باله ولكن طبيعة الموقف الصعب الذي القي فيه بطله كرجل مريض عاجز دفعته الى الاستنجاد في النهاية بالقدر . ومع ذلك فقد استطاع الكاتب ان يدفع بطله الى التدخل في الاحداث كي يعبر بشكل ما عن روح المقاومة بشكل عملي لدى الرجل المريض بدلا من الاكتفاء بلغة الشكوى ، والنقمة الداخلية، وذلك حين دس يده اليمنى في وسادته واخرج عشر ليرات وضعها في يد ابنته المهددة بعرضها موحيا لها ولو بالاشارة ان تنجو بنفسها هاربة بعيدا عن الفخ المنصوب لها في بيته . لقد استطاع الكاتب اذن ان يحتال بمهارة على الموقف الصعب في اشراك الرجل في المعركة الناشبة حتى يكون له دوره في القضاء على بعض مآرب زوجته القذرة . الا ان الخيط يخرج من يده بعد ذلك حتى ختام الرواية محتفظا بدور المتفرج على معركة لا يستطيع ان يسهم فيها بحركة واحدة . وهذا ما دفعني في النهاية الى ان أطرح على نفسي هذا السؤال : ألم يكن ممكنا بالنسبة للكاتب أن يشرك الرجل مرة اخرى في المعركة ولو بالاشارة الموحية ؟. ألم يكن هذا العمل ابعث على شد خيط الصراع المنشود في توتر حاشد بالتوقع واللهفة . لقد كاد الكاتب يصنع هذا حين اجرى في سريرة الرجل امنية عجيبة ولكنها معقولة ، وهي ان يموت كي يقضي بموته على احلام امرأته ويحول عرسها الى مأتم . لقد خيل لي في تلك اللحظة ان الرجل سيمضي بفكرته هذه الى النهاية وان يفكر بالموت او بالتظاهر بالموت على الاقل، وبدلا من أن ينتحر الابن يوجه الاب الانظار اليه في محاولة مماثلة . الا ان الكاتب دفع عنه فكرة الانتحار بعيدا حين قال على لسان بطله : « لا ، لا يا ربي ، لا اريد ان اموت منتحرا مثله فاذهب الى النار.. رباه ارحمه انه مسكين ، انه غبي لا يدرك ان عمله الاحمق محرم ...» فتغلبت بهذه الجملة روح التقوى والورع والاعتدال على روح المقاومة والعناد والغضب الضرورية لخلق جو التوتر والتوقع المضاد ، فابتعد بطل القصة بهذا الشكل من جديد عن محاولة التدخل المباشر في الصراع الدائر امامه. ولكن الرواية لا تخلو مع ذلك من الاثارة وبخاصة في فصولها الاخيرة حين تتعاقب الاحداث وتحتدم المعركة ، ويتدخل القدر محطما كل شيء ، وتنتهي القصة عند الحد الذي يقف عنده القارىء كي يتساءل : أليست الحياة حقا عبثا في عبث ؟. ترى .. أهذا ما كان يريد ان يصل اليه الكاتب ؟!.

ان رواية « جفون تسحق الصور » من الروايات التي تدفع الى التأمل ، والتفكير ، والمناقشة لانها عمل فني يأخذ مكانه البارز في تاريخ الادب المعاصر . ومهما كان باب النقاش مفتوحا ، فان انفتاحه لاكبر دليل على حيوية العمل المكتوب والمذاع بين الناس ، والذي صار اولا وآخرا ملك التاريخ الذي سيحكم له او عليه ، ولكنه في اعتقادي سيظل حكما فيه كثير من التقدير والاعجاب .

الجزائر — **شوقي بغدادي**

● الدكتور محمد بدر الدين ، لوث ، السويد :

وفضلا عما لاحظت في « رياح كانون» من ثقافة المؤلف وتمكنه من فن الرواية ، فقد أسرني اسلوبه الادبي وفهمه العميق لاسرار اللغة العربية التي طاوعته واسلست له قيادها . وهكذا نقلني بروايته الى وطني فعشت طوال ثلاثة ايام في ظل المجتمع الشامي وفي جو سوري اصيل .

● حبيب الزحلاوي ، القاهرة :

ان بطل « رياح كانون » أناني ، وطابع « نرجسيته » تجسيم كمال الروح ، وتضخيم كمال الفكر ، وتنظيم كمال التقاسيم . ولكن سير البطل في الرواية لا يدل على « الكمال » الذي يدعيه ، بل هو يدل دلالة واضحة على كمال « يتمناه » ، يتلمسه في خلائقه فلا يجده فيصطنعه فينفضح لضعة قصده ، ويكشف عن نفس تنطوي على القسوة بظلم ، وعلى الشراهة بشبق ، وعلى الانتقام بكراهية .

● ماري كلود شاهين ، باريس :

ان في « رياح كانون » ما يمكن ان اسميه « دروسا» في فن الادب الروائي حرية بأن تفرز فتؤلف « اطروحة » كاملة في هذا الفن ، الى جانب ما في الرواية من آيات أدب ناطقة بحقيقة ما يقدم السباعي الى الشباب العربي من دروس في الخلق الاصيل ، وفي التسامي المبدع ، وفي سلوك دروب العزة والتطور والفلاح .

● الدكتور عبد السلام العجيلي ، الرقة ، سورية :

وأرى أن مؤلف « رياح كانون » قد أعطى طائفة الكتاب في سورية ، التي ما تزال قليلة العدد ، قدرا من الاهمية اكثر مما تستحق .. وذلك عندما رصد جوانب من حياتهم الخاصة والعامة في رواية تتجاوز صفحاتها الاربعمئة من القطع الكبير !

ويسر دار القصة العربية للطباعة والنشر بحلب ان تقدم رواية الروائي السوري فاضل السباعي الجديدة التي طال انتظار القراء لها :

رياح كانون

وتعلن استعدادها لتلبية الطلبات التي تردها من مختلف الاقطار ، سواء طلب المكتبات لكميات معينة ويتفق بشانها مع الادارة ، او الطلبات الفردية ويرسل ثمن النسخة الواحدة ، وقدره سبعمئة وخمسون قرشا سوريا او ما يعادل دولارين (الكتاب من ٤٤٨ صفحة من القطع الكبير ، طباعة انيقة وورق فاخر) بحوالة بريدية او مصرفية او شيك الى الدار التي تتولى ارسال الكتاب بالبريد المسجل على نفقتها . وثمن النسخة لخارج الاقطار العربية ثلاثة دولارات. المراسلة مع :

دار القصة العربية

حلب ، سورية ، شارع اسكندرون

الـوردة الـدم

بقلم الياس خليل زخريا

★

نبتت في حافة دارتنا عند فسحة البئر وردة .
لم يزرعها الزارع ولا سقاها الساقي ولا لمست ساقها يد العناية
برية ، وحشية ، تكاثرت فسائلها ، وتشابكت اغصانها ، وعلت بقساوة عودها كما يعلو غصن اللوز .
مفتحة ، زهرية ، يغمرها الورق الاخضر ، ويتمسحها الغبار النقي المتناثر ، ويأنس بها التراب المرتص
سمعت امس « حصاة » دقيقة تهمس في اذن حصاة :
« ويا جارتاه »
ان هذا التراب الاحمر اللين المتجرح على السواد يختمر من حولنا في سره العميق ، ويختلج في ذراته على حباته كما يختلج الهدب على الهدب والشهوة العائدة على الشهوة الهاربة ..
تنديه شفة الليل ، وتلفحه عين الشمس ، ويحترق ، ويترمد ، ويتنفس ، وتنساب فيه عصارات الزمن ، وتنتشي الخلايا ، وتنمو الجذور ، وتتيقظ الخواطر ، ويسيل العبق ، وتتحرك الخبيئات ، وتنتفض الارض في روعة الصمت بحكايات التنفس ، والولادة .
ويا جارتاه
ما انقطع لهذه الوردة موسم ، ولا تغير مُناخ
لم يزرها الزائر الا ووجد فيها وردة .
تدور الفصول وهي ابدا في فصلها على النفح والارتواء .
ويتلاشى في القناعة همس التراب .
ويتجمع حولها اهل البيت .
اعطني يا اختاه هذا المقص !!
وقطعت وردة واحدة من وردها الزاهية
وجلست على حافة البئر قرب اللوزة العالية ، في شرقي الهيكل ، اشتم من بين يدي العبير البري المتنفس .
ثمل في اواخر المطاف الطويل يشتم من شفتي كأسه حرارة العمر .
ويا لطيبها النقي !!
ليس في كأسه برودة الوقار ، ولا كثافة الخصب ، ولا ملل الانطواء .
رائحة تراب ، ورائحة حصى ، ورائحة ندى ، ورائحة ليل بارد يمرغ صدره على سياج البيت ، من وراء الفجر ، فتتمزق اضلاعه اللينة ، ويسيل منه على الشوك مثل الدم الاحمر .
وتشرب وردتنا في الجبل من الطراوة في عروق النمو
وتكبر في النقاوة المنصهرة في خميرة العزم
وتمتد كما يمتد الغمام
وتورق كما يورق الرجاء
ويبدو فيها الشوك كما يبدو الشك
وتزهر في حينا كما يزهر الايمان
وسارعت بعض صبايا القرية يقطفن منها على الحذر قطفا .
كأن موسم الجبل ، موسم التراب البري لم يعد بموسم
... نزل الورد من الجبل الى المدينة ...
هنا حانوت الزنبق
هنا حانوت القرنفل
ومن كل صوب ، حوانيت الورد تزدحم على الارصفة بالبنفسج وبالريحان والبخور ،
وشحوب تلاشت فيه النضارة
ووجوم يمحى فيه الزهو
ولون باهت ذابل تكسر على الضوء ،
وحوض الماء ، والموايا المصقولة ، والجدار الملمع ، والسلال المكدسة
يشتري اهل المدينة الورد كما يشترون الخضار
وتتهادى به ، نحن ، في الجبل كما نتهادى بالمودة ونفائس العيد
بري ولكنه طيب سخي
فيه من عرف الديكة لونه
ومن جناح اليمام الفته
ومن حبل البئر رقته
ومن جبة الليل الصفاء
ومن عباءة الصبح الرواء
وفيه ، انه لا يعرف التصنع ، ولا التصنيف ، ولا الزخرفة ، ولا الشحوب ، ولا هذه الاكاليل الجاهزة المعلقة على مسامير الحائط التي دقتها يد المدينة في وجه الاناقة ، ولا هذه الباقات ، المحزومات حزما ، في انتظار المواعيد العابرة .
سألتها امس ، عن هذه الباقة من الزهر المصنوع ، والاوراق المطلية في الاناء الفخار ، من غير شمس ، ولا ماء ، ولا هواء ، ولا نفس
سألتها عن هذه المدينة الصاخبة التي تعرض ازهارها وورودها في الابواب المفتحة ، صباح مساء ، فلا يشتريها المشترون الا في زحمة الاعراس والمآتم ، كأنها اصبحت طقسا قائما من الطقوس ، وتقليدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصفصافة

خضراء رف الطير في أفنانها ... وتمايلت تيها على قضبانها
وتطاولت نحو العلا بمهابة ... وغضارة الاوراق نطق لسانها
كم ظللت بالصيف حرانا وكم ... غنت طيور الايك في اغصانها
هي دوحة نبتت على نبط الميا ... ه يموج ريا الخصب في بستانها
كم من عيون قد رأت اوراقها ... تتجاوب النغمات في ميلانها
تتساقط الاغصان مثل ضفيرة ... مست ندي العشب في ارجحنانها
من حولها الماء النمير مسقسقا ... الحانه وتر على عيدانها
هي نبتة قامت على هضبات وادي العين من غدرانها
في فيئها الحسناء راحت تنثني ... دلا وكان الغنج من عنوانها
وتأودت اعطافها وتراوحت ... في خطوها والحب في انسانها
وتبسمت عن لؤلؤ مفترة ... ورد على الشفتين ختم بيانها
ورنت الي بعينها وكأنها ... زهر يفوح الطيب من اردانها
سيري وغني واطربي وتطربي ... «روض الهنا» وقف على شبانها

عيسى ميخائيل سابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موقتا من توافه الدنيا
ويا عجبا !!
ايشغلنا حديث الورد وعبير الورد ونحن في ملحمة الدم
انتباهى بواحدة برية ، عندنا ، في الجبل !! والتراب
يكاد ينجرف من تحت خطواتنا ، وتكاد الارض نفسها،
ببرها وبحرها ، تنزاح من بين اضلاعنا ومدى البصر
انلهو بالطيب ، واللون ، والشعاع ، واغاني الرقة ، وذؤابات
المناجاة ، واطياف الشوق ، ونحن عطاش ، جاعون،
ينهش صدورنا الخجل
اونقص قصة التراب ، وحكاية الحصى ، واخبار البئر
وصبايا القرية ،
ونحن قد اغتربت بنا البيوت ، واختنقت بنا الاجراس ،
واوحشت بنا المآذن ، وانهارت علينا القباب ،
وتحطمت الاعمدة ، واضعنا حتى حدود النظر في
البيادر الجنوبية ، ما بين المروج اليابسة ، وبطولات
صور وسيناء ، ولوحة الوصايا ، وصخرة الاسراء ،
ونهر المعمودية !!
ثم انترك الورد البري وحده على وحشة في الارض البرية
ويا لعمق الدم !!

كيف يتحول الدم في القوة والعزم الى ورد وطيب
الى هذا القرنفل الاحمر
الى هذا البنفسج الوديع
الى هذا الريحان الحي
الى هذا البخور المنتعش
الى هذا الزنبق الابيض الاحمر كغمائم تموز
الى هذا العشب الاخضر النابت في السفوح ، المتبعثر
على القمم .
والفارس الذي يعرف كيف يكون انفه معبرا الى نفسه
يعرف كيف يكون سيفه معبرا الى حقه ،
بين الورد والسيف نسب قديم
والذين يحبون الورد يحبون التراب، والذين يحبون التراب
يبنون عتبات البيت بألواح الصدور والواح
الجماجم وعزائم البطولات .
ويوم بنى جدودنا الجبل، حفروا في كل دارة بئرا، وزرعوا
حول كل بيت دالية ، وحبقة ، ووردة ، وتوتة ،
ومربط حصان ، وقنطرة تتكىء عليها من التعب
سواعد السماء .

الياس خليل زخريا

قصة

خريف العمر

بقلم السيد ابراهيم

الجو متقلب ، والهواء بارد مشبع بالتراب ، والشمس مستكينة للسحاب تقع في اسره وتظل بين ذراعيه مدة ثم يطلقها وما تكاد تحس بحريتها حتى تجد نفسها وقد عادت الى اسره من جديد . .

جو غريب رغم اننا في الربيع .. والعجوز يسير على قدميه واهنا ضعيفا يسحقه الجو المتقلب ويعذبه الهواء البارد وهو في سيره نحو محل ساعاتي عماد الدين يسير في اصرار ، مكشرا عن انيابه التي اقتلعها الزمن وترك مكانها فجوات وفجوات .. يسير بوجهه المجعد وشعره الابيض وعيونه التي ذهب بريقها والتي تبدو رغم ذلك متشبعة بالاصرار مليئة بالتحدي ، ويدخل العجوز المحل الصغير ويجد نفسه في ممره الضيق محشورا بين الزبائن ويحس بالملل والضجر ، يحس بالعذاب ، ويسمعه الجميع ـ الزبائن والاسطى صاحب المحل ـ يصرخ بصوت متحشرج يخرج من جوفه رفيعا غاضبا :

ـ الساعة يا أسطى ، الساعة فالصو .. انت غشتني ... انت غشاش .

وشمل الذهول الاسطى ، وتطلعت عيون الزبائن نحوه في تساؤل ودهشة ، وصنع صاحب المحل ابتسامة زوقها بكل ما تعمله من السوق وقال :

ـ بس اقعد شويه .. علشان نتفاهم ، طلباتك ستجاب .

ورد العجوز وقد تصاعد الدم الى راسه واهتز عوده الجاف ولمعت عيونه بالغضب ، واهتز وهو يقول :

ـ بلاش كلام فارغ .. انت فاكر انني عيل صغير تضحك عليه ، الساعة بتاعتك مبتمشيش ، الساعة واقفة مبتتحركش ، حتموتني خدها!

ومد يده المرتعشة نحو صاحب المحل وقال بصوته الغاضب :

ـ اخلعها .. شيلها .. ارميها .. حرام عليك ..

وفقد صاحب المحل شعوره فامسك يده وضغط عليها بأصابعه القوية ، وصرخ العجوز واسرع احد الزبائن وخلصه من يد الاسطى ، واهتز العجوز في عنف ثم ارتد على عقبيه في محاولة سريعة للخروج من المحل .. وادهش الزبائن توقفه الفجائي وتراجعه وهو يلوك الكلمات في فمه الخرب :

ـ مش معقول .. بنتي حياة .. بنتي الوحيدة ، اهلا بنتي ... اهلا حبيبتي ، ومين الامور دا .. لازم ابنك ، حفيدي ..

وانحنى على الطفل وقبله ، وفزع الطفل وصرخ بصوته البريء :

ـ ماما .. ماما .. العجوز ؟

وفقدت السيدة اعصابها ، شملها خوف وذهول ، وانتهرت العجوز قائلة :

ـ انت مجنون .. اكيد مجنون .. محل مجانين ..

وهرولت خارجة وهي تسحب طفلها الصغير .. وانهار العجوز على اقرب كرسي وظل يبكي بصوت عال ، وبين الحين والحين يضرب كفا بكف ويقول :

ـ ربنا يسامحك يا حياة .. ربنا يسامحك يا بنتي ، ربنا يسامحك ، وكمان نسياني ، سيباني زي كل الناس ، يا خسارة العيش والملح .. دانا ابوكي .

وظل يبكي ..

واثرت دموع العجوز في زبائن المحل .. وتحرك الاسطى نحوه في اشفاق ، وربت على كتفه في حنان وتطلع اليه الرجل بدهشة من خلال دموعه وقال :

ـ وانت كمان ربنا يسامحك .. انت غلبان مين عرفك حكايتي .. دي حكاية كبيرة ..

وفي صوت واحد قال الجميع :

ـ اتكلم يا عم .. قول لنا حكايتك؟

واخرج العجوز منديلا متسخا مر به على وجهه ثم مسح انفه وابتسم ابتسامة صغيرة ثم قال :

ـ منها لله بنتي .. الله يسامحها .. مين يصدق اللي عملته .. تصوروا البنت حبت واحد ضابط وتجوزته .. هربت معاه ، وانا كنت طول عمري بحبها ، امها ماتت وسابتها وانا كنت بالنسبة ليها ام واب طول اليوم معاها .. الاعبها واضاحكها .. ونسيت امها .. وبعدين كبرت وحبت واتجوزت من ورايا .. خافت مني آل ايه ؟.. انا حرفض جوازها .. حرفض سعادتها .. هو دا معقول ، هو فيه انسان يكره سعادة بنته .. ابدا والله عمري ما اكرهتها على شيء طول عمري بحبها .. المهم خانتني سرقت فلوسي وهربت .. وجعت وحفيت رجليه لحد الناس مسلفوني قرشين ، ورغم كدا والله مكرهتهاش كان نفسي اشوفها .. كنت اقعد طول اليوم افكر فيها .. في خيانتها لي ، ورغم كدا كان نفسي اشوفها ، والنهارده اتقابلنا .. الخاينة هربت انكرتني انا مجنون ؟.. ربنا يسامحها!

وهب واقفا ثم هرول خارجا لا يلوي على شيء .. وحار الجميع في امره .. لقد ترك الساعة وجرى خارجا ولم تطل حيرتهم فقد سمع الاسطى والزبائن ضحكة عالية لعلعت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خارج المحل ودخل صاحب الضحكة وهو يقول :

ـ وكمان فيه دموع .. انا شفت الباشمهندس خارج من هنا قلت لازم عملها .. حكى حكايته وخلى دموعكم تجري ، متخافوش .. ما تصدقوش كلامه ..

وسأله الاسطى : ازاي ..

ـ الباشمهندس بيخرف رجل له ماضي .. راجل بيحب ..

وتعالت ضحكاته ثانية .. وسأله الاسطى في غضب :

ـ يا اخي بيحب ايه .. مش تفسر ..؟

وقال الرجل ضاحكا :

ـ انتظر حتى التقط انفاسي وسأتكلم .

خيم الصمت على المحل ، وفجأة تكلم الرجل :

ـ انه جارنا ، يظل باستمرار جالسا في القهوة المجاورة .. زارني يوما وقص علي حكايته وتأثرت جدا ، واقسم انني بكيت وقدمت له كل ما طلبه من مساعدات بسيطة وتعلقت به واحببته .. ذكرني بوالدي الذي توفي منذ زمن بعيد ولم اتمتع بحنانه .. وذات يوم .. سألت عنه فقيل لي انه مريض واردت معرفة عنوانه وسألت عنه زبائن القهوة ، وقوبل سؤالي بالدهشة والتساؤل ، وكنت المح ابتسامة خفيفة يحاول محدثي ان يخفيها وهو يقول :

ـ الباشمهندس منعرفش له عنوان ..

واغادره واسأل غيره وهكذا دون ان اعثر على من يدلني على عنوانه ، واصابني يأس هائل، ولكن في اللحظة التي بلغ فيها يأسي مداه وجدت الجرسون يأتي الى المحل ويقول لي وهو يناولني ورقة :

ـ عنوان الباشمهندس اهو ..

وامسكت الورقة وقرأت العنوان ثم اغلقت المحل واوقفت سيارة اجرة واعطيت السائق العنوان وشقت العربة طريقها وسط زحام الشوارع الكبيرة وشيئا فشيئا غادرت الاحياء المزدحمة الى الشوارع الهادئة ، وفي الزمالك ، وفي احد الشوارع الهادئة تركت العربة وسرت بضع خطوات وعلى باب احد المنازل القديمة توقفت ثم ضغطت جرس الباب ورن رنينا متواصلا ، وفجأة رأيت كلبا هائل الحجم ينظر الي شذرا من خلال شراعة الباب ، وتراجعت ولكن الصوت الذي اعرفه نهر الكلب بشدة فتراجع وتقدم العجوز ثم فتح الباب واستقبلني بابتسامة واسعة وترحيب حار ، لم يكن يبدو عليه المرض وسررت لذلك وصافحته بسعادة ثم قادني الى حجرة الصالون وجلست وجلس قبالتي واقعى كلبه الهائل بجواره .

وبعد التحيات سألته :

ـ لماذا لم نعد نراك في القهوة ؟

وابتسم العجوز ثم قال :

ـ هذه الايام .. لا استطيع .. انها فترة حداد بالنسبة لي ... لا استطيع ان اخرج .. انني اظل اهيم على وجهي واعيش في الشوارع وفي المقاهي طوال العام ، اما هذه الايام فاني انقطع للذكرى فقط .

وسألته : الذكرى ؟

فابتسم ابتسامة شاحبة وقال :

ـ نعم الذكرى .. ذكرى الخائنة .. ذكرى معبودتي. ذكرى حبي.. ذكرى فؤادي .. ذكرى الخائنة .

ولا ادري لماذا احسست بالخوف، وتطلعت اليه والى الكلب وازعجتني نظرات الكلب .. كان ينظر نحوي وكأنما يحاول ان ينفذ الى اعماقي ويستجوبني .. بل وشك في عندما ظهر الخوف في عيوني وكأنه يقول لي محذرا :

لست صادقا في حبك لصاحبي .. انك بدأت تشك فيه .. انت مثلهم .

واحسست بقشعريرة تعتريني ، ولكني تمالكت نفسي واستمر محدثي يقول بأسلوب غريب وصوت شاب حتى خلته وقد عادت به الايام الى ايام الشباب .. كان يستعيد الماضي ، وتقمص شبابه وهو يحكي بأسلوب جديد تماما :

ـ زمن بعيد مضى وكنت شابا .. وكانت فتاة في ربيع العمر .. التقينا على الود وربط بين قلبينا الحب ، وانتظرت حتى تخرجنا من الجامعة واردت اتمام الزواج ولكن الفتاة كانت قد خانت ودي .. احبت غلاما وتزوجته ، وسافرت معه الى الخارج .. وضاقت الدنيا في وجهي ولم استطع العيش في القاهرة ، فطلبت نقلي الى الاسكندرية واردت ان اغسل جراحي بين امواج الثغر الجميل ، ومضت بي الايام وانقضت السنون ثم سلبتني الحياة شبابي .. سرقته دون ان ادري .. اصبحت عجوزا ولكنني لم انساها .. ولم انس حبي لها .. وفي اليوم الذي حددته لزواجنا استعيد الذكرى واحتفل بها .. احتفل بالخيانة وابصق على الخونة ..

وهب واقفا وتبعه الكلب مزمجرا .. واحسست بالعرق البارد وهو يبلل جسدي كله ، شملني خوف لا استطيع وصفه . ووجدتني اسأل نفسي :

ـ هل الرجل مجنون ؟.. ام يقول الحقيقة واهاجته الذكرى ؟..

ولم استطع الاجابة على سؤالي بل لم ارد ان اتعرف على الحقيقة ... وعندما جلس الباشمهندس ثانية تركته يحكي كل ما اراد دون ان اقاطعه ودون ان احاول ان يسلبني الخوف قدرتي على ان اتحمل قصصا كثيرة عن الاسكندرية والقاهرة التي استقر بها اخيرا بعد احالته على المعاش .. ومر الوقت بطيئا ثقيلا واردت الاستئذان ولكنه طلب مني ان امكث معه قليلا .. ومر الوقت ابطأ من ذي قبل واخيرا افرج عني بعد ان هده التعب والحديث ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حلم شاعر

تخذ الشعر في الحيـــاة شعارا ... واسال الفـؤاد نـــورا ونـــارا
شاعر يمـــلأ الريـــاض غنـاء ... ويصيـــد الفرائـــد الابكـــارا
يسكب العطر في الشفاه رحيقـا ... فتجـن الشفاه جذلـى سكارى
قلد الطير فـــي الغنـــاء غناه ... وافاض اللحون حتـــى أثـــارا
كـل مأتاه فـــي الوجود شعورا ... وبنـــان يدغـــدغ القيثـــارا
يزرع الحب فـي الطريق ويمشي ... رافع الرأس لا يهـــاب عثـــارا
ويـزق الجمـال اعـذب لحـن ... ويناغيـــه جهـــرة وســـرارا
ينهل الوحي مـن عيون الدراري ... ويوالي مـــع النجـوم الحـوارا
وبنات القريض يرقصن حواليـه ... وينشـــدن شعـــره المختـــارا
وهو الشاعر المطل علـــى الدنيـا ... بشعـــر مخلـــد لا يجـــارى
قطـع مـن فـــؤاد نضو كئيب ... نشرت روحـــه الخطوب نثـارا
زعجته حوادث الدهـــر حتـى ... خلتها فـــي كيانـــه منشـــارا
ابعدته عمـــن يحـب فاضحـى ... يتلوى مـــن الاسـى منهـــارا
وبـــراه الحنـــين للارز حتـى ... هـــاج آلامـــه الحنين فثـارا
وطوى سقطه على امـل الرجعى ... وغنى المنـى وناجـى الديـــارا
انمـــا كـل مـا تمنـاه حلـــم ... وعلى الحلم كـــم افاق الحيارى

لاباز ـ بوليفيا — جورج الكعدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخرجت وانا لا اكاد اصدق انني استطعت الخروج ، ووجدتني انظر نحو باب الشقة الذي اغلق خلفـــي ثم اقول :

ـ الحمـــد لله .. نفدنا مـــن الباشمهندس .. توبة .

وسمعت البواب يضحك .. كـان خلفي تماما ، ووجدت الرجل الاسمر يقول :

ـ متخفش يا بيه . الباشمهندس ميخوفش .. راسه كلها حب .

ـ حب ..

نطقت بالكلمة غير مصدق فقال البواب :

ـ ايـــوه حب .. الباشمهندس بيحب .. انه دائما هكذا طول عمره يخترع قصصا وحواديث وحوادث يعتقد ان حبيبته خائنته وابنته خائنته .. انه يشعر بالملل .. كان اللـــه في عونه طول عمره وحيد ، حياته لا تطاق .. لم يغادر القاهرة ابدا ... اعرفه منذ اكثر من ربع قرن .. لم يتزوج ابدا ، كان لا يحبه العجب وفاته القطار وغرق في وحدتـــه ، وعندما احيل الى المـــعاش ازدادت حالته سوءا .. انه يختفي بالاسابيع وابحث عنه واعيده الى البيت ... واعتني به حتى يستقر حاله شيـئا ما ثم يخرج ولا يعود الا حطاما ... انه مسكين ..

وتركنـي البنـــواب وانصرف .. وتسمرت مكاني .. كـــم عذبنـي العجوز بقصصه .. لم يستطـع اي انسان ان ينتزع الدموع من عينـي وانتزعها الباشمهندس .. بأكاذيبه ، يا له من ممثل قدير ووجدتني اضحك وتحركت قدماي وسرت في طريقي لا ألوي على شيء .. ولم يعد العجوز لمقابلتي بعد ذلك ابدا .. اعتقد انه كان يراقبني والبواب يحدثني فلـم يعد لزيارتي ولم اعد انا للتفكير فـي اموره الى ان رايته اليوم خارجا من المحل ودون ان ادري وجدتني اضحك و ... وقطع حديثه دخول العجوز وصوته الكسير وهو يقول مخاطبا الاسطى :

ـ معلهش يا ابني .. انا زي ابوك برضه .. لو كان ابني عاش كان بقى زيك .. هات فلـوس الساعـــة . الحقيقة انا مش طايق الساعة فـــي البيت ، دي بتفكرني بالزمن ، بتسرق الوقت ، بتسرق عمري .. حـرام مش عايز ساعات ..

ودون ان يدري صاحب المحل وجد يده تمتد بالنقود نحو العجوز الذي اختطفها وخرج مهرولا وهو يتحدث بكلام لم يفهمه احد ، وخيم الصمت من جديد على المحل .

واراد الرجل الضاحك ان يكمل حديثه ، ولكنه لم يجـد ما يقوله ، فنظر نحو صاحب المحل ووجـــده يجفف دموعه بمنديله .. فسأله :

ـ اوتبكي ؟

فرد عليه بحزن قائلا :

ـ يجب ان نبكي جميعا ..

القاهرة — السيد ابراهيم

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

نبيه امين فارس - فؤاد جبور حماد

غسان كنفاني

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ــ الدكتور نبيه امين فارس

الشعار الذي تغنى به الدكتور فارس خلال السنوات التي عاشها الحكمة القائلة : « الرجل الصالح لا يحسب حسابا الا لامر واحد هو : هل يقوم بدور انسان طيب ام شرير ؟! »

ولد « نبيه » في مدينة الناصرة بفلسطين عام ١٩٠٦ ، ووالده المعلم المرحوم امين فارس الذي قضى نصف قرن استاذا للغة العربية وادابها في امهات مدارس فلسطين ، وتلقى « نبيه » دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة صهيون الانكليزية بالقدس (وكانت في طليعة المدارس الخاصة بفلسطين) وبعد ان نال شهادتها الثانوية انتسب الى الكلية الانكليزية بالقدس (كلية الشباب سابقا) ثم التحق بالجامعة الاميركية في بيروت وحصل على البكالوريوس في الاداب والتاريخ عام ١٩٢٨ بتفوق وتتلمذ على الدكتور اسد رستم (استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية عهدذاك) وعاد الى مدرسة صهيون بالقدس معلما فيها (١٩٢٨ ــ ١٩٣١) ثم قصد الولايات المتحدة عام ١٩٣١ والتحق بمدرسة اللاهوت في جامعة برنستون ثم حصل على الدكتوراه في اللغات الشرقية وادابها عام ١٩٣٥ واتيح له ان يتلقى العلم على ايدي فئة من كبار الباحثين وفي طليعتهم الدكتور فيليب حتي ، ودامت صحبته لجامعة برنستون ، طالبا ومدرسا واستاذا وقيما على المخطوطات العربية الموجودة في مكتبتها الى عام ١٩٤٢ وانتقل بعدها الى نيويورك فشغل منصب رئيس الشؤون العربية في مكتب اخبار الحرب الاميركي (قسم الاذاعة والمنشورات) واستمر في ادارته الى سنة ١٩٤٥ ، وفي هذه السنة جاء الى بيروت استاذا زائرا في الجامعة الاميركية وشغل كرسي التاريخ العربي فيها ورئيس دائرة التاريخ ومجلس الدراسات العالية وهيئة الدراسات العربية ، كما شارك في انشاء « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » وخلال اجازاته الجامعية كان استاذا زائرا ، فحاضر ودرس في جامعات اميركية.

جاء نبيه (١) فارس الى الجامعة الاميركية في بيروت وقد اعد نفسه اعدادا صحيحا للمهمة التي نذر نفسه من اجلها ــ درس تاريخ العرب وتدريسه ــ وكان قد ثقف تقنية التنقيب ، وحذق اساليب البحث ، وتفقه في اصول الدراسة ، وتعرف الى مصادرها ، فأخذ نفسه بالتدريس والتعليم مفسرا موضحا معللا محللا ، وتاريخ العرب، قديمه وحديثه ، لا تزال تغلب عليه الرواية ، ولا يزال بحاجة الى التفسير والتوضيح والتعليل والتحليل .

وفي سبيل الغوص في نواحي التاريخ العربي والحضارة العربية نظم نبيه فارس خمسة عشر مؤتمرا للدراسات العربية عقدت في الجامعة الاميركية وأشرف عليها وحرر المجلدات الخمسة عشر التي نتجت عن الدراسات والابحاث المقدمة اليها . على ان نبيه فارس لم يكتب بالعربية فحسب ، ولم ينقل الى العربية فقط ، بل انه كتب بالانكليزية وترجم الى الانكليزية . فثمة عدد كبير من المقالات حول نواح من تاريخ العرب وحضارتهم يمكن الرجوع اليها في كثير من المجلات .

ثلاث وعشرون سنة قضاها نبيه فارس في الجامعة الاميركية. في هذه السنوات الطوال كان استاذا وباحثا وعضوا في مختلف لجانها ، والى هذا كان يحاضر هنا وهناك ويعنى بالنواحي التربوية من اعمال جمعية الشبان المسيحية وخاصة ما يتعلق منها باللاجئين من اهل فلسطين.

كان نبيه فارس مثال العالم الصحيح ، اتيح له ان يتدرب على ايدي جماعة من كبار الاساتذة في الجامعة الاميركية في بيروت وجامعة برنستون وجمع في الفترة الطويلة التي قضاها في الغرب « تقنية» مهنية كانت درعه الواقي من الشطط اذ انصرف الى كتابة بحث او القيام بدراسة واضاف الى ذلك من عنده صبرا جميلا ، فكنت تراه يلحق « الحقيقة » على صغرها كما تفتش النحلة عن الزهرة . فاذا تجمعت له الحقائق اقام منها البناء الذي يريد . وكان بناؤه متزنا متسقا لانه بالاضافة الى اتقان الصنعة كان يجيد التعبير ، بالعربية والانكليزية ، على السواء.

كان نبيه فارس مؤمنا ، لعل الذين كانوا يترددون على دور العبادة لم يشاهدوه هناك كثيرا ، لكن الرجل كان يرى صنع الله في الحياة بكاملها ، وكان كثير الشكر لله على ما وهبه .

كان نبيه فارس خصما عنيدا لمن يحيد عن الحق ، عندها كان يجرد منطقه وقلمه للدفاع عن حق هضم او شخص اسيء اليه ،وكان في مثل هذه الخصومة صريحا ، لا يداور ولا يماري ولا يضرب من الخلف ، وزملاؤه في الجامعة يعرفون ذلك عنه ، كما يعرفه الذين تصدى لنقدهم لانهم تنكبوا عن جادة الصواب في احكامهم .

كان نبيه فارس حاد المزاج عصبيه ، لكنها حدة لا تحمل الحقد قط ، فاذا هدات ثورته وادرك خطاه اسرع الى الاعتذار ، وحتى الذين اساءوا اليه لم يحمل لهم حقدا .

كان نبيه فارس عربيا يؤمن بالعروبة الصافية ، بايمان قلب وعقل ، ولكنه لم يكن عروبة تقوم على فرض سلطان او نفوذ . والذين قرأوا له ما كتب حول هذا الموضوع او سمعوه يتكلم عنه يعرفون موقفه الصادق الصريح الواضح.

كان نبيه فارس يعيش محنة فلسطين عاطفة وعقلا ، وكانت القضية تأكل اعصابه ، ولعله واحد من القلة الذين اصابت « نكسة » حزيران ١٩٦٧ شغاف قلوبهم ، فاثرت في نفسه ، واستأثرت بتفكيره .

في كل هذا كله كان نبيه فارس معطاء كريما في الكبير والصغير من الامور ، وهذه الصفات هي التي جعلت منه وجها نبيلا !

وفجر الاربعاء الواقع في ١٤ شباط ١٩٦٨ توفى الله (نبيها) فجاة في بيروت وفي اليوم التالي دفن في مدينة بحمدون .

وبعد ان لحق الدكتور نبيه فارس بربه وقفت عائلته مكتبته الخاصة على طلاب واساتذة قسم اللغة العربية وادابها في الجامعة الاميركية ، ولقد قررت هذه الجامعة تنمية هذه المكتبة وجعلها مرجعا خاصا للدراسات الاسلامية والعربية لما تحتويه من مراجع قيمة في هذا الباب . وكذلك تعتزم الجامعة الاميركية صرف منحة سنوية باسم الدكتور نبيه فارس لطالب متفوق من الطلاب الفلسطينيين تخليدا لذكراه .

من آثاره القلمية : اثرى الدكتور نبيه فارس المكتبة العربية بطائفة من المؤلفات القيمة بالعربية والانكليزية وفي مقدمتها :

١ ــ فهرست وصف المخطوطات العربية في جامعة برنستون طبع عام ١٩٣٨

٢ ـ العاديات في جنوب الجزيرة العربية طبع عام ١٩٣٨
٣ ـ قصة الالفباء . طبع عام ١٩٤٠
٤ ـ الاكليل (الجزء الثامن) . طبع عام ١٩٤٠
٥ ـ الميراث العربي . طبع عام ١٩٤٤
٦ ـ النبالة عند العرب . طبع عام ١٩٤٥
٧ ـ العرب الاحياء . طبع عام ١٩٤٧
٨ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية (خمسة اجزاء) بالاشتراك مع منير بعلبكي (طبعت وصدرت خلال اعوام ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠)
٩ ـ غيوم عربية . طبع عام ١٩٥٠
١٠ ـ كتاب الاصنام لابن الكلبي . طبع عام ١٩٥٢
١١ ـ من الزاوية العربية . طبع عام ١٩٥٣
١٢ ـ هذا العالم العربي . (بالاشتراك مع محمد توفيق) طبع عام ١٩٥٣
١٣ ـ العرب في التاريخ . طبع عام ١٩٥٤
١٤ ـ الهلال في ازمة . طبع عام ١٩٥٥
١٥ ـ دراسات عربية . طبع عام ١٩٥٧
١٦ ـ احياء علوم الدين للامام الغزالي (عدة اجزاء) طبع عام ١٩٦٢

وهكذا فقد كان الدكتور نبيه فارس طريقا مفتوحا ذا خطين : من الغرب الى الشرق ومن الشرق الى الغرب .

وله بالاضافة الى ما ذكرنا من مؤلفاته عشرات المقالات الدراسية المنشورة في المجلات العلمية العربية والانكليزية المختلفة وفي الموسوعة البريطانية ، وجميع الذين زاملوا « نبيها » او درسوا عليه يشهدون له بسعة العلم ودقة البحث وصدق الوطنية .

٢ ـ الدكتور فؤاد جبور حداد

الحكمة التي آمن بها « فؤاد » واتخذها نبراسا له قول الامام الشيخ محمد عبده : « الارادة متى تمكنت في النفوس واصبحت ميراثا يتوارثه الابناء عن الاباء ذللت كل صعب ، وقهرت كل معتد اثيم مهما كان قويا !» .

تحدر «فؤاد » من اسرة الحداد التي هبطت يافا قادمةمن شفاعمرو (احدى قرى الجليل) ونشا في يافا وتلقى دراسته الابتدائية في المدرسة الاميرية بحي النزهة ومنها انتقل الى « العامرية » الثانوية واحرز فيها صيتا ذائعا لمهارته بالقفز العالي والعدو السريع وحاز على كاس المدارس الاميرية في القفز العالي.

ومن « العامرية » انتقل الى مدرسة صهيون الانكليزية في بيت المقدس وهام باللغة العربية وادابها وحصل على الشهادة الثانوية بامتياز واجتاز امتحان المترك الفلسطيني . واول عمل زاوله الترجمة والاذاعة من « محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية » بيافا وعمل فيها ثلاث سنوات وكان يجد لذة في كتابة البرامج الادبية معولا فيما يكتب على امهات التاريخ والادب العربي وعلى مصادر الادب الغربي . ومن البرامج التي لاقت استحسان المستمعين « ابو دلامة » و « جابي الضرائب » و « البؤساء » و « القلادة » و « شوكت افندي » .

وفي عام ١٩٤٧ قصد « فؤاد » لندن للعمل في القسم العربي بالاذاعة البريطانية وحاول الافادة من وجوده بالعاصمة البريطانية فطفق يدرس نفسية الشعب البريطاني ويسبر غور عقليته ، واعجب بالمسرح البريطاني فكان يحضر معظم المسرحيات والتمثيليات الاذاعية . وطمعا بالمزيد من الثقافة في بريطانيا درج على حضور المحاضرات المسائية في جامعة لندن ونال شهادة « الانترميديات » في الادبين الانكليزي والعربي والمنطق .

وبعد خمس سنوات من العمل الشاق المتواصل في الاذاعة البريطانية التحق « فؤاد » بجامعة ادنبره باسكتلندا لدراسة طب الاسنان اذ اراد مهنة حرة توفر له سعة العيش وتحرره من عبودية « الوظيفة »ولسان حاله يقول :

يا لهف نفسي على شيئين لو جمعا عندي لكنت اذن من اسعد البشر
كفاف عيش يقيني ذل مسغبة وخدمة العلم حتى ينقضي عمري !

ونتيجة لجده وسهره استطاع ان يحقق هذه الامنية ، وفي ذلك العهد كانت جامعة ادنبره في حاجة الى استاذ يعلم اللغة العربية في كلية الاداب فوقع الاختيار على « فؤاد » وكان يعلم ويتعلم في آن واحد ويكتب الاحاديث للاذاعة البريطانية .

وبعد ان نال شهادة في طب الاسنان عاد الى لندن وافتتح عيادة خاصة به .

العروة الوثقى : وفي لندن جمع العرق والدم والدمع بينه وبين الاستاذين حسن الكرمي الاديب اللغوي وسعيد العيسى الشاعر المعروف واسس ثلاثتهم جمعية ادبية اسموها « العروة الوثقى » هادفين الى ان تكون هذه الجمعية نواة لحركة ادبية عربية في بريطانيا على غرار « الرابطة القلمية » في نيويورك و « العصبة الاندلسية » في سان باولو ، واختاروا لها هذا الاسم تيمنا باسم اول جمعية عربية اسسها في باريس المصلح جمال الدين الافغاني والامام الشيخ محمد عبده ، وقال فيها الجواهري :

وكانت عروة وثقى تزجي لمنقسمين حبا واتحادا
ونـاس لا الحضارة دنستهم ولا طالوا مع الطمع امتدادا

ووضع لها الشاعر « سعيد العيسى » شعارا في البيتين التاليين:

اكبرت (عروتكم) يضم نطاقها في دار غربتكم غريب الدار
هي معقل للضاد وهي منارة اكرم بها من معقل ومنار !

والدكتور حداد مولع بالادب الاندلسي وله في هذا المجال ابحاث طريفة تتسم بالعمق ، تنشرها مجلة « الاديب » ويعتبر من ثقات تاريخ العرب في الاندلس .

من آثاره القلمية : وظهر اسم هذا الطبيب العربي على كتاب « تعليم الانكليزية بالراديو » وقد وضعه للاذاعة البريطانية في لندن .

نماذج من شعره : انشد المعتضد (والد المعتمد بن عباد) بعدما فزا رندة الاندلس واستولى عليها :

لقد حصلت يا رنده فصرت لملكنا عقده

وعندما زار الدكتور فؤاد «رندة » هذه نسج على منوال ابيات المعتضد وامّ الى الكرب الذي تبلوه فلسطين :

لقد جئناك يا رنده فما احلاك من بلده
جنان الارض انـدلس وفيها انت كالورده
تذكرنا ابن عباد وابطالا اتوا بعده
تذكرنا ابن حفصون وقوما ناصروا عهده
ففي واديك من قومي رجالات ذوو نجده
لقد عاشوا لقد رقدوا كرام العيش والرقده
لقد جئنا نحييهم فقد طالت بنا المده
حماة الثغر تحنانا فنحن اليوم في شده
اعادينا بارضينا اعدوا اوفر العده
لهم في البغي انصار ذوو ازناد مشتده
لهم ظفر واتياب على الاهلين ممتده
فحتى صخرة الاقصى بها اعلامهم عده
ونحن اليوم في بلوى وفي اجواء مربده
فيا اجدادنا عفوا لساني كاره سرده
عسى الرحمن يكفينا بلاء نرتجي صده
اتاني بعد ذا صوت يزيل الحزن والوحده

١ ـ مجلة « الاسبوع العربي » العدد ٤٥٥ ـ السنة التاسعة ـ بقلم الدكتور نقولا زياده .

به عطف وتحنان به النبرات معتده
لقد دالت ممالكنا وكانت حلوة رغده
فقل للعرب يا ولدي بان النصر في الوحده
فما في الامر من لبس وما في الامر من جده
وسرنا بعد ذا نطوي شعاب الارض من (رنده)
وصوت الريح في اذني يقول: « النصر في الوحده !»

وبعد نكسة العرب في الخامس من حزيران ١٩٦٧ قام الاستاذ موسى مزاوي (نزيل لندن) يدافع دفاعا مشكورا عن وجهة النظر العربية في الصحف البريطانية وفي الاذاعة والتلفزيون بلندن ، وقد ترك دفاعه المجيد هذا في نفوس العرب المقيمين في لندن صدى مستحبا، أراد ان يعبر عنه الدكتور حداد بالمقطوعة التالية :

سلم اللسان وبوركت شفتاكا بالحق تنطق آه ما أسماكا
اطربتنا والحق يطرب سمعه فاكثر وردد يا اخي مفناكا
ما كنت احسب ان صوتك مطربي هل (معبد) في صوته حاكاكا ؟
بالامس قبلنا الحدود محبة واليوم نرجو لو نقبل فاكا
فطلعت شمسا في سماء دجنة كنت المزيل لا فكهم هتاكا
لا تنطلي اقوالهم وفعالهم لو حاك دساس لهم ما حاكا
موسى تقبل من اخيك تحية ملء الفؤاد المنتشي بثناكا
واضرب بسيف الحق كذب مقالهم ابقاك ربي سالما ورعاكا !

وبينما كان المجاهد العربي المرحوم ادوارد عطيه يخطب على منبر جامعة اكسفورد مدافعا عن قضية فلسطين خر صريعا على ذلك المنبر فرثاه « فؤاد » بقوله :

بالشعر ارثيك ام بالدمع ابكيكا الشعر عي ودمعي ليس يكفيكا
نايت تنشد حق العرب مغتربا ما كان عن حقهم شيء ليثنيكا
لبيت لما دعا الداعي لنصرتهم بالامس ، واليوم قد لبيت داعيكا
قد خضت حربا لها الميدان متسع من ارض لندن حتى ارض امريكا
سلاحك الحق فيها ليس يثلمه غدر الحليف ولا بهتان شانيكا
كنت المجاهد في الميدان مندفعا في قلبك الحق والايمان في فيكا
كنت السفير أيا (ادوار) في بلد عز النصير به والله حاميكا
أعليت للعرب عند الغرب غايتهم واليوم نحن على الهامات نعليكا
تبكي اليراعة قلبا مؤمنا فطنا نعاه للضاد والتاريخ ناعيكا
تبكي المنابر من كان الحبيب لها وان تسل فدموع الصحب تنبيكا
كانت حياتك مثل العطر عابقة وذي وفاتك من اسمى معانيكا!

ومن طرائف اخوانيات « العروة الوثقى » ان شاعرنا الحدادورفيقه الاستاذ حسن الكرمي ذهبا في احدى الامسيات لزيارة الشاعر سعيد العيسى للتهنئة بعيد ميلاده فقدم له « فؤاد » ديوان شعر كتب على صفحته :

انا لا اعرف كم جاوزت في العمر السنينا
انما اعرف ان قد كنت لي خدنا اميناً
وكذاك الدهر يبني بيننا ودا مكينا

فرد عليه « سعيد » بنفس الروي والقافية :

دعك من تخمين عمري يا اخا ودي الامينا
انت ان تنظر الى وجهي تجد فيه غضونا
أسطراً قد زين الدهر بها مني الجبينا
دعك لا تقرأ بها الماضي ولا تحص السنينا
والى قلبي تعال انظر تجد حبا دفينا
فانا في السن ما جاوزت حد الاربعينا
غير اني جزت في حبك اعواما مئينا

وفي ذات يوم كان « سعيد » مريضا فعاده « فؤاد » و «الكرمي» وعقد ثلاثتهم جلستهم الادبية حول سريره ، وحمل اليه الدكتور حداد ديوانا اخر من الشعر ليقرأه في سريره ووشحه بهذين البيتين :

وهل أهديك شعرا يا « سعيد » وانت اليوم للشعر عميد
ولكن هذه خلجات ود ومن جدواك ان جدنا نجود

فأجابه « سعيد » على البديهة :

قواف تلك أم در نضيد وسجعة بلبل ذي أم قصيد ؟!
وهذا الشعر اين السحر منه اذا التبست على المرء الحدود
قلائد طوقت عنقي وأني وان ثقلت علي ، بها « سعيد»
عهدتك يا « فؤاد » طبيب جسم بكفك يكمن البرء الاكيد
ومبضعك الحياة بشفرتيه يسير على الصراط فلا يحيد
اذا غمزته كفك في حنان فاقصى سيره الخطو الوئيد
تعود به الحياة لذي موات وعهدي ان مضت ليست تعود
وما أنت المريد له حياة ولكن الاله هو المريد !
خشيت الله فيما ترتجيه فزادك نعمة فيمن يزيد
سبيلك في الحياة سبيل صدق ورأيك في الامور هو السديد
جمعت رئاستين على صعيد وفضلك ليس يجمعه صعيد
جمعت الى التقى ادبا وعلما وها انذا ابايع يا عميد !

وفي احد الاسابيع شغل «فؤادا » شاغل عن حضور الجلسة الادبية فبعث اليه « سعيد » بالابيات التالية :

يا سامح الله خلا زان نادينا بالانس ثم نأى عنا وخلانا
فاين انت اخا الود الصحيح ؟ الا والله نايك عنا امس اشجانا
شغلت عنا بظبي كنت سلوته وانت ذكرك ، طول اليوم، سلوانا

فارسل اليه « فؤاد » معارضا :

يا عاتبا وله في القلب منزلة باتت لنا في سواد العين انسانا
عاتبتني لفراق عنك اكرهه وهل اطيق عن الاخوان سلوانا؟
لو كنت تنصف لم تعتب على دنف قد ذاق بالامس مر العيش الوانا
نأي الاحبة مر في مذاقته فاصفح عن الخل واغفر منه ماكانا!

وفي زورة قام بها « فؤاد » الى بيروت سأله « سعيد » ان يأتيه بنسخة من ديوان « الاعاصير » لشاعر القومية العربية « الشاعر القروي » فعاد الطبيب الشاعر بنسخة الديوان موشحة بالبيتين التاليين:

هذي «الاعاصير» اهديها لذي أدب حلو الشمائل ملء السمع والبصر
ان قال شعرا فذي الاوزان طائعة او رام نثرا فكالياقوت والدرر

فرد عليه « سعيد» بقوله :

يا «للاعاصير» قد باتت تسامرني وهل سمعت باعصار اخي سمر ؟
فيها من الفكر أثمار مطيبة يا حبذا نفحات الفكر من ثمر!
اهديتنيها بلا من يكدرها واحسن الجود ما يأتي بلا كدر!

زار لندن مرة يعقوب حداد شقيق الدكتور فؤاد وعرف خلال زيارته القصيرة ان « سعيدا » يحب فاكهة (المانكا) النادرة الوجود في لندن ، وبعد عودته الى الكويت ارسل سلا بالطائرة من هذه الفاكهة اللذيذة هدية لـ « سعيد » فبعث اليه بالشكر التالي :

« يعقوب » من لي بالقريض اصوغ منه حلى الثناء
تلك الهدية جل مهديها ويكفيك الدعاء
من اخوة لك في ديار الغرب محرومي الرجاء
فكهتهم بالطيب المسئول مجلو الرواء
سال اللعاب له اشتهاء عندما رفع الغطاء
لولاه ما احلولى لنا في لندن يوما بقاء !
زدنا نزدك من الثناء اخا المروءة والوفاء !

واملى الوفاء على « فؤاد » ابياتا بعث بها الى شقيقه « يعقوب » في الكويت :

اخجلتنا والله يا يعقو ب في ذاك العطاء
انت الحبيب الى القلوب وانت للعين الضياء
ان الهدايا رمز مهديها ورمزكم الوفاء
منك الحلاوة والطلاوة واللطافة والصفاء

وسمعت السيدة « ام يعقوب » بقصة المانكا فسارعت الى ارسال سل اخر من هذه الفاكهة النادرة في لندن ، فابتهجت قلوب الاخوان

بهذه الهدية وبادر « سعيد » الى شكر السيدة « ام يعقوب » بهذه الابيات :

قل للعريقة في المعالي « ام اليعاقيب » الفوالي
من كل لؤلؤة عدمت لها نظيرا في اللآلي
انا من حلاوة حبة المانكا نكا لساني اليوم حالي !
ويظل طول العام ... حتى موسم للمانكا تالي

وبادر « فؤاد » الى تشطير ابيات « سعيد » فقال :

« قل للعريقة في المعالي » ان الرفاق بخير حال
قد كلفوني شكرها « ام اليعاقيب » الفوالي
« من كل لؤلؤة عدمت » نظيرها فاسمع مقالي
انالرجال لآلىء « ما مثلها بين اللآلي »
« انا من حلاوة حبة » للمانكا لا ادري بحالي
علي ازاد اذا شكرت « فها لساني اليوم حالي !»
« ويظل طول العام » يذكر فضل توزيع النوال
ويظل يرجو آملا « في موسم للمانكا تالي »!

٣ ـ غسان كنفاني

جارح فلسطين مكرها وفي قلبه جمرات حامية من الظلم والطغيان ، وظل يردد مع « طاغور » شاعر المحبة والانسانية : « ان بلادي عندما تثور على الظلم ، وتثور في وجه كل ظالم فهي تثور للحق ! » .

ولد « غسان » في (عكا) قاهرة الغزاة والفاتحين عام ١٩٣٦ ودرس في كلية الفرير بيافا وحملته النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) على اللجوء الى لبنان ولما يكمل دراسته الابتدائية ثم لحق بافراد اسرته في دمشق وعاش عيشة قاسية لكنه اقبل على الدراسة ليلا وبعد ان نال شهادة الدراسة الثانوية بارح دمشق الى الكويت عام ١٩٥٥ وعمل معلما هناك مدة ست سنوات وواظب خلالها على الدراسة الجامعية بالانتساب الى كلية الآداب بجامعة دمشق واعد دراسة لنيل الشهادة الجامعية : « العرق والدين في الادب الصهيوني » ثم عاد الى بيروت ليعمل محررا في صحيفة « الحرية » الاسبوعية وما لبث ان انضم الى صحيفة « المحرر » اليومية البيروتية رئيسا لتحريرها .

من آثاره القلمية : بدأ « غسان » كتابة القصة القصيرة في سن مبكرة وصور في قصصه فلسطين موطنه الاول ومأساة شعبها . واول قصة نشرها عام ١٩٥٦ في مجلة « الآداب » البيروتية ، ومن آثاره القلمية :

١ ـ موت السرير رقم ١٢ (مجموعة قصص قصيرة) طبع عام ١٩٦٢
٢ ـ رجال في الشمس (رواية) طبع عام ١٩٦٣
٣ ـ ارض البرتقال الحزين (مجموعة قصص قصيرة) طبع عام ١٩٦٣
٤ ـ الباب (مسرحية) طبع عام ١٩٦٤
٥ ـ عالم ليس لنا (مسرحية) طبع عام ١٩٦٥
٦ ـ ادب المقاومة في فلسطين المحتلة . (دراسة عن ادب الشعراء العرب في الارض المحتلة من فلسطين بعد نكبة عام ١٩٤٨) طبع عام ١٩٦٦
٧ ـ ما تبقى لكم (قصة) طبع عام ١٩٦٦
٨ ـ العرق والدين في الادب الصهيوني (دراسة في الصهيونية الادبية من العهد القديم الى عصرنا الحاضر)
٩ ـ سقوط الجليل (رواية مطولة) .

وفي خريف عام ١٩٦٦ منحت « جمعية اصدقاء الكتاب » في بيروت « غسانا » جائزتها المالية تقديرا لقصته « ما تبقى لكم » .

وفي ربيع ١٩٦٧ ظهرت في منشورات جامعة اوكسفورد بلندن مجموعة قصص عربية ترجمها الى الانكليزية المستشرق البريطاني دنيس جونسون ديفيز وفي عدادها قصة بقلم « غسان » .

لقد تميز « غسان » بتفكيره الثوري ونضاله في سبيل وطنه المغصوب وتجسيد مأساته بقصص صور فيها محنه وتشرده وصموده . وهو مفكر مناضل وفنان على درجة عالية من الوعي بوسائله الفنية .

نموذج من نثره : « لا شك انك تقول يا « رياض » انك تقول الآن انني قد جننت ، فهذه ثاني رسالة اكتبها اليك في يوم واحد ، ولكنني في الواقع اكتب اليك هذه الرسالة لاوضح لك امرا ، لقد اكتشفت انه محض جنون ان اكتب اليك واقول : « ابحث معي حيث انت ، عن رجل طويل جدا ، صلب جدا ، لا اعرف اسمه ، ولكنه يرتدي بدلة كاكية عتيقة ، ويلوح لاول وهلة كانه مجنون !

ماذا يمكن ان تفهم من هذا كله ؟ لا شيء طبعا ، فالمرء يصادف في اليوم الواحد ، اذا ما سار في الطريق ، مئة رجل يحملون هذه الصفات ، فاي واحد منهم تراني اقصد ؟

انني على يقين من انك ستكتشفه بنفسك ، فهو شيء آخر ، متميز ... كيف ؟ لا استطيع ان اقول لك فانا نفسي لا اعرف ولكن يخيل الي الآن انني حين شهدته لاول مرة كان محاطا بما يشبه الضوء ، نعم ... كان محاطا بشيء يشبه الغبار المضيء ، واعترف لك انني لم اتاكد من ذلك تماما حين استوقفني لحظة واحدة في الطريق ، الا انني أكاد اكون متيقنا الآن ، ان ذلك الغبار المضيء الذي كان يحوط جسده الضخم هو الذي رسخ صورته في ذهني ، والا كيف تفسر انني ما زلت اذكره ، وما زال يلح علي ، من بين مئات الرجال الذين يقابلهم الانسان في الطريق كل يوم ثم يذوبون من رأسه وينعدمون ؟

ورغم ذلك فانا اعرف ، هذه اللحظة ، انك ما زلت تعتقد انني شبه مجنون ، فحتى الآن لم يتضح أي شيء ، وما زلنا حيث كنا في الرسالة الاولى : ابحث معي حيث انت ، عن رجل طويل جدا ، صلب جدا ، لا اعرف اسمه ، ولكنه يرتدي بدلة كاكية عتيقة ويبدو لاول وهلة كانه مجنون !

كل الذي اضفته لهذه الصفات تلك الصفة المعقدة الجديدة : انه محاط بشيء يشبه الغبار المضيء !

الحق معك ولكنني اكتب اليك هذه الرسالة الثانية في يوم واحد لتعرف القصة بكاملها ، ذلك انني رأيت انه صار من حقك ، وقد طلبت منك مشاركتي في البحث عنه ، ومعرفة ما اعرفه !

لست اذكر بالضبط متى رأيته لاول مرة ، ولكني اذكر تماما كيف رأيته : مثل انسان فقد شيئا وسار محنيا بعض الشيء ، بكفين مفتوحين ، وعينين تنقبان في وجوه الناس كانهما محراثان عتيقان . لقد بدا لاول وهلة وكانه مجنون ، وحين مر بي نسيته ولم اذكره الا حين رأيته مرة ثانية : اقتلعتني عيناه فجاة واحسست نفسي اطوف فوق موجة تستعصي على الرؤية ، ولست ادري الآن ما اذا كنت انا الذي ذهبت اليه مسوقا بذلك النداء العميق المنبعث من عينيه كتيار لا يقاوم او انه هو الذي جاء الي ! وعلى اي حال فقد وضع كفه الندي على كتفي وقال :

ـ هل رأيتها ؟
ـ رأيت ماذا ؟
ـ العروس !

وطبعا تيقنت في هذه اللحظة انه مجنون ، وان ما انتابني امام عينيه القاسيتين هو ما ينتاب اي انسان يجد نفسه هدفا لعيني رجل مخلوع عن العالم والمعقول ، لذلك اثرت الهرب فقلت له :

ـ كلا ... لم ار العروس !

وعندما سقطت كفه تلقائيا الى جنبه واستدار سمعته يقول :

ـ كلكم تقولون هذا ، منذ عشر سنوات !

وحين ابتلعه الزحام شعرت بان جسده الضخم كان محاطا بذلك

الشيء الذي يشبه الغبار المضيء ، كما رسمه فنانو عصر النهضة ، على بطاقات الاعياد التي كنا نتلقاها معا .

وعبثا حاولت اللحاق به : ان مثل هذه الامور لا تحدث الا كلمح البصر ، لقد نقبت الشارع صعودا ونزولا ، قابلت مئات من الرجال يشبهونه ، ولكنه هو نفسه كان قد اختفى !

ابحث عنه ، وشاركني في البحث ... اعرف انك تبعد عنا اكثر من الف ميل ، ولكن ما الذي يمنع ذلك الرجل من ان يسير محاطا بذلك الضوء المجهول ، اكثر من الف ميل وهو يبحث عن العروس ؟

قبل ان اسألك سألت غيرك ، ولم الجأ اليك الا لانني ، منذ رأيته ، لجأت الى كل من أعرفه ، استوقفت كل من تربطني به اية آصرة ، متسائلا عنه ، وافضى بي الامر الى ابعد من ذلك !

ذات ليلة قلت لنفسي : اذا كان الرجل قد دأب على سؤال الناس عن العروس منذ عشر سنوات ، كما قال ، فان الشيء المؤكد تماما ان كثيرا من اولئك الناس الذين سألهم ، ينتابهم الآن ما ينتابني ! وذات يوم كنت اسير في الطريق حين التقت عيناي بعيني عابر لا اعرفه ، ودون ان اعرف ما الذي انوي عمله مضيت الى الرجل فاستوقفته ووضعت يدي على كتفه وسألته : « هل رأيت العروس ؟ » .

سمني مجنونا ... ولكن هذا ما حصل ، وقد استطعت عن هذا الطريق ان اعرف الكثير عن الرجل وعن « العروس » الضائعة ، الا انني ما زلت غير قادر على التخلص من تلك القوة المجهولة التي تدفعني نحو عيون العابرين لاسألهم عن « العروس » الضائعة !

الآن دارت الدورة ، او أنني ادرتها ، لست ادري ، ولا بد من العودة الى نقطة البدء ، الى ذلك الرجل المحاط بما يشبه النور ، والذي من شفتيه وعينيه وتحت كفه الثقيل ، سمعت ذلك السؤال لاول مرة في حياتي ، نعم ، يا « رياض » ، لا بد لي من رؤيته ... فلدي اخبار جديدة عن العروس !

كان من قرية « شعب » شاب لم يكن قد ضيع شيئا بعد ، ولكنه لم يكن عند ذاك قد وجد أي شيء ايضا .

لا بد ان قصته قد بدأت في يوم من ايام حزيران ١٩٤٨ ، كان القتال الدموي مستمرا بدون انقطاع طوال اكثر من ستة شهور ، وكان هو ـ وانا ما زلت اجهل اسمه ـ سيد الذين يندفعون الى القتال ، هجوما كان او نجدة او دفاعا ، الا انه كان يشترط ان يعرف موعد العمل قبل أن يعيره سلاحا ، بندقية خديوية ، او انكليزية ، او حتى قنبلة يدوية !

وكانت الامور ، على هذه الوتيرة ، مقبولة لدى كافة الاطراف ، فغالبا ما كان يصطحب ، الى الرجل الذي ينوي ان يستعير منه سلاحا ، يتعهد امامه بان يعيد السلاح الى صاحبه اذا ما استشهد صاحبنا اثناء المعركة . كان حريصا على ان يتعامل معاملة مصرفية محترمة ، رغم انه لم يشهد في حياته مصرفا ، وهكذا فانه لم يواجه، طول تلك الشهور الستة مشكلة حقيقية في هذا المجال ، ولذلك لم يفكر بالحصول على سلاح خاص ، وربما امتنع عن التفكير بالحصول على ذلك السلاح الخاص بسبب عجزه عن شراء سلاح !

لم اعرف بعد من الذي زرع في رأسه ، في احد تلك الايام الاولى من حزيران ، أن عليه الحصول على سلاح ، وكان هذا الرأي سليما تماما ، فقد تركز القتال بصورة جدية في الجليل ، والقى العدو بثقله هناك ، وبدأت زحوف اللاجئين تتدفق الى التلال شمالا ، وبدا كل شيء وكأنه يقف على الحافة .

لا شك في انه كان أصلب من ان يتردد كثيرا ، فقبل ان ينتهي الاسبوع الاول من ذلك الشهر كان قد عقد عزمه بصورة ليس بالوسع زحزحتها ، لقد سلم سلاحه في معركة لم اهتد الى اسمها بعد ، لاحد رفاقه ومضى يزحف تحت غيوم راعدة من النار ، كان على يقين من ان بعض جنود العدو في خطوطهم الامامية قد قتلوا ، ولو انه تريث الى نهاية المعركة لفقد الفرصة ، اذ كان يعرف انهم يسحبون جنودهم بالحبال بعد انتهاء القتال .

واستطاع الوصول الى الخنادق المحروقة ، كانت العتمة ثقيلة ، ولكنه نزل في حفرة وباسنانه فك يد القتيل عن بندقيته وعاد بها الى رفاقه !

وسرى النبأ في سائر القرى سريان النار ، ليس لانها كانت الحادثة الاولى من نوعها ولكن لان البندقية التي غنمها كانت بندقية نادرة !

لن اطيل عليك كثيرا ، لقد استدعي في اليوم التالي الى مركز القيادة ، ضاربا في الوعر ، انتظر الآن ، تعال غدا ، ولكن الاحداث في ذلك الشهر ، كما تذكر ، لم تكن لتنتظر !

وفي يوم واحد انتابه حدثان : في الصباح قيل له ان الضابط قد نقل قيادته الى الشمال حيث لا يعرف احد ، وفي المساء تلقت « شعب » الضربة الاولى ، اذ حرقت قنابل المورتر بيوتها الطينية ، وحرقت اغراس الزيتون في لحظة كلمح البصر !

من الذي سيعيره بندقية في ذلك الطوفان الذي لا تنفع فيه الا البندقية ؟ هي وحدها التي كانت تستطيع أن تحمل الانسان عبر ذلك الموج الى شاطىء السلامة او الى شاطىء موت شريف ، ولذلك لم يكن امامه في ذلك الطوفان العارم الا الجنون !

ولكنه لم يختر الجنون ولم يختر الفرار ... وكان الموت هو الذي تبقى له ، ولكن حتى الموت خسره ، هو الذي صرف ايام الحرب مناضلا في اول صف ، بسلاح معار ، بين اسنان موت حقيقي ، جلس على حجر في وسط الساحة ب « شعب » ينظر الى البيوت تحترق ، والى الرجال يدوتون والى أهله ينسربون مع من انسرب تحت ظلمة ذلك الليل ، الى حيث لم يعرف ، ولا يعرف حتى الآن . وحين احتلوا « شعب » شاهدوه ، وقد حسبوه كما حسبت انا ، مجنونا فضربوه باعقاب البنادق كي يغذ المسير في الوعر ، الى الشمال .

ومضى يبحث عن بندقيته التي كانت محشوة بالرصاص ، لكنه لم يطلق منها رصاصة واحدة ! قليلون هم الذين يعرفون ما حدث في « شعب » ومن الضروري ان تعرف ما وقع هناك لتدرك حقيقة القصة. لقد مضى هو صعودا في قيظ لا مثيل له ، الى « البروة » ومنها الى « مجد الكروم » ف « البعنة » ف « دير الاسد » ف « كسرة » ف « كفر سميع » متعقبا اخبار بندقيته ، وحين بلغ « ترشيحا » تناهت اليه اخبار جديدة من « شعب » هي ان الاربعين مناضلا الذين بقوا من رجال « شعب » عرضوا انفسهم على قيادة جيش الانقاذ في الشمال ، وحين علموا بان الزحف لن يمر في « شعب » عادوا من حيث أتوا ، وفي ليلة واحدة انقضوا على قريتهم من جديد واستردوها، وتعقبوا العدو الى قرب مفرق « الدامون » ودفعوا الثمن عشرة رجال!

لقد حدث هذا يا « رياض » في بقعة محفوفة بالعدو من كل جانب ، واستطاع الثلاثون رجلا ان يبقوا وراء جدران قريتهم المهدمة يردون الهجمات المتكررة ليلا نهارا ، ولكنه وهو في « ترشيحا » كان يشم بندقيته قريبة منه كأنها في متناول يده ، واعتقد لو انه تريث قليلا لاستطاع استردادها وعاد بها الى « شعب » .

وفي اليوم التالي قيل له ان بندقية تشيكية جديدة شوهدت مع رجل عجوز في قرية تقع على بعد ساعتين من « ترشيحا » فذهب اليها ليلا وهناك قيل له ، وهو يكاد يفقد وعيه ، ان مقاتلي « شعب » الخمسة والعشرين قد انحدروا اليها تلك الليلة بالذات وقاتلوا ببنادقهم وسكاكينهم حتى الصباح حتى استردوا ، مرة اخرى ، قريتهم المزعة وتمركزوا وراء الركام على مداخلها وفقدوا ثلاثة رجال .

وقيل له ان العجوز الذي شوهد يحمل البندقية مضى ليلا الى الجنوب ليلتحق بالمقاتلين الذين بدأوا يتجمعون الى الجنوب من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسطورة الذهب

القاها الشاعر في مهرجان الشعر بزحلة ، لبنان

زكي قنصل

* * *

هذي سماء الحمى، فاسبح مع الشهب ... وهذه ارضه فاسرح ولا تهب
لا لست في حلم تخشى عواقبه ... بل انت في مهرجان الشعر والادب
في عصبة نجب يرقى بهم نسب ... لعصبة ملء تاريخ العلى نجب
يا قلب كم هزنا وجد وارقنا ... هم وقلبنا شوق على لهب
كم اصطنعنا من الاحلام اجنحة ... ثم افترشنا بساط الرمل والعشب
ما في رجوعك للفردوس من عجب ... ان اغترابك عنه منتهى العجب
فراق اهلك جرح ليس يلأمه ... ما في البرية من جاه ومن نشب

هل ضمك الليل الا شاكيا وصبا ... ترويه بالدمع او تطويه بالدأب
ويح المهاجر يسعى في مناكبها ... يقظان من وجل ، سهران من نصب
اذا انتمى القوم الوى وجهه خجلا ... انى يعز شريد ضائع النسب ؟
لا رجله في بلاد الناس راسية ... ولا بموطنه موصولة السبب

ترشيحا بانتظار هجوم حاسم .

وبدون أي تردد كر عائدا الى ترشيحا ، ولكن اخبار « شعب » سبقته الى « ترشيحا » حيث لم يستطع ان يعرف اخبار البندقية : لقد فوجيء المقاتلون المنهوكون بهجوم ثقيل ماحق ، وفقدوا ، وهم يتراجعون ، سبعة رجال وحملوا اربعة جرحى واختفوا في التلال .

وفيما كان يتسقط اخبار البندقية من جهة واخبار شعب من جهة اخرى ، انحدر ما تبقى من مقاتلي تلك القرية الصغيرة ، بعد ساعتين من تراجعهم ، واكتسحوا القرية مرة ثالثة كلمح البصر ، وتمركزوا فيها بعد ان الحقوا بالعدو خسائر فادحة وغنموا سلاحا وزادا .

وقال له شخص في « ترشيحا » لو استطاع العودة الى «شعب» لشاهد بندقيته على كتف رجل في الساحة . وكما تمسك بها يوم انتزعها باسنانه من قبضة القتيل شدها اليه وهي لما تزل معلقة على كتف الرجل ، وحين استدار هذا الاخير ، مذهولا وشهد امامه ذلك الرجل الطويل الصلب ذا النظرات القاسية والوجه المنهك ، اكتشف انه على ابواب عراك ، فثنى كوعه حول حزام البندقية ، ومد ذراعه الاخرى لتحول دونه ودون العملاق .

لم يكن قادرا على الكلام ، قيل انه كان يبكي ويرتجف كالمحموم، لقد مضت شفتاه الجافتان تتمتمان كلاما ليس بالوسع فهمه ، وامامه كان الرجل الآخر بلحيته الدقيقة وعينيه الغائرتين قد عقد العزم على المضي بالعراك الى احدى نهايتيه .

ـ هذه مرتينتي !

قالها بعد جهد لا يصدق بصوت مبحوح وطفقت عيناه تحدقان الى الرجل العجوز ، كانهما تنتظران الاعتراف ، الا ان العجوز صرخ بوجهه:

ـ مرتينتك ايها النصاب ؟ لقد دفعت ثمنها من حلالي قبل يومين فقط !

وتساءلت العينان في وجهه ، فقد كان مستحيلا بعد ، ان يتكلم ، وجاءه بالجواب :

ـ من حلالي ، اشتريتها امام خمسة شهود من ضابط باعنيها ، وهو يتجه الى الشمال بمئة جنيه .

وارتخت قبضتاه عن البندقية ، وبدا انه ، في لحظة واحدة ، سيتهاوى ولكنه بذل مزيدا من الجهد وهمس : « اريدها لاعود الى شعب ! » .

ـ شعب ؟ لقد احتلها اليهود مرة اخرى قبل لحظات !

ترك البندقية ، فضمها العجوز الى صدره بقوة وتراجع خطوتين، وحين اطمأن تماما الى انه لن يفقد سلاحه ساله :

ـ هل كانت هذه المرتينة لك ؟

ـ دفعت ثمنها مئة جنيه مهر ابنتي التي رفضت كل عمري ان ازوجها لذلك العجوز الشحيح ، ولكن ماذا تريدني ان افعل الآن ؟ لقد دفع المهر مئة جنيه وبدوري دفعتها ثمنا لهذه التشيكية .

وبهدوء استدار ومضى ... ولم تشاهده « ترشيحا » ولا يدري احد اين ولى !

لم اهتد بعد الى اسم العروس التي بيعت ثمنا للبندقية ، ولم اعرف بعد ماذا فعل العجوز بتلك البندقية الجديدة ، ولا ادري كيف انتهت قصة شعب ، وكيف انتهت اخبار اولئك الرجال الاربعين الذين ذابوا كما يذوب الدخان امام وجه النار !

فتش يا « رياض » معي عن ذلك الرجل ... انه رجل طويل جدا ، صلب جدا ، لا اعرف اسمه ، ولكنه يرتدي بدلة كاكية قديمة، ويبدو وكانه محاط بغبار مضيء ، ويلوح لاول وهلة ، حين يستوقفك ليسالك : هل رأيت العروس ؟ يلوح كانه مجنون !

ابحث معي عنه ، حيث انت ، فلدي اخبار جديدة عن العروس!»

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

توزعت نفسه ما بين ذاك وذا ... فضاع معناه بين البعد والقرب
كأنه كرة يلهو الصغار بها ... او آية الحمد في سفر من الريب

تلك الاساطير من شهد ومن لبن ... تحولت علقما في عيشه الخشب
يشارك القوم في اعيادهم فرحا ... والله ادرى بما يخفيه من كرب
لا تنخدع ببريق في محاجره ... ما في السراب غنى للظامىء السغب
هذا الهزيج الذي ينساب في فمه ... نار موججة في صدره التعب
دنياه قاتمة الافاق عابسة ... وفجره مائج الافاق بالكذب
لا يذكر الدار الا غاب في حلم ... زاهي الحواشي والا اهتز من طرب
ايام يرتع في امن وعافية ... خالي السريرة من هم ومن رعب
خلق اللباس عزيزا في خصاصته ... من قال ان العلى في الملبس القشب ؟
يغفو قريرا على الاشواك تلذعه ... كانهن رموش الزنبق الرطب
ويشرب الماء رنقا لا يغص به ... كانه يستقي من سلسل عذب
لا يشرئب الى ما عز من طلب ... ولا يزاحم مفرورا على لقب
اذا تعصى عليه حل مشكلة ... جدية حلها بالهزل واللعب
وان تصارعت الاهواء واضطربت ... انا اليها بطرف غير مضطرب
ما دام يملك ما يكفي للقمته ... فاي داع لهذا الشر والشغب
تهيج زقزقة الحسون نشوته ... وتستثير هواه انة القصب
دين الحضارة في عينيه شعوذة ... ومجدها حبب طاف على حبب

يا ذكريات الصبا رفقا بمنهدم ... ويا خيال الحمى لطفا بمغترب
ما كان اخسر في الدارين صفقته ... لما لوى وجهه كن كوخه الخرب
اغرته خلف مرامي الافق جلجلة ... وزلزلت عقله اسطورة الذهب
قالت له الكتب ان لا خير في بلد ... محل ، فهام وراء المرتع الخصب
وما تعلم الا بعد هجرته ... ان السعادة شيء ليس في الكتب
جنى عليه واشقى اهله طمع ... يا ليت يا ليت لم يذهب ولم يؤب
لم تبق منه بلاد المعجزات سوى ... ما تترك النار في كوخ من الخشب
اعطته حفنة صلصال فجاد لها ... بالفالبين شباب الروح والعصب
وزانها بالنجوم الزهر ينجبهم ... للسيف والضيف ، او للعلم والادب

يا مسقط الرأس اضناني هواك فهل ... يشفي هواؤك ما في الصدر من وصب
صخب المدينة كابوس اضيق به ... من ينقذ البلبل الشادي من الصخب؟
حملت رسمك في عيني وفي خلدي ... ولذت باسمك في صفوي وفي غضبي
اهوى ترابك ، لكن ليس لي امل ... ان استريح غدا في صدرك الرحب
اثنان في اخر الدنيا تركتهما ... يحببان الى عيني مغتربي
طفل ينضر دربي بابتسامته ... وحلوة ينتهي في ظلها تعبي
لولاهما ما بكى قلبي ولا التفتت ... عيني الى البحر او طافت على السحب
اغفو فيملأ احلامي خيالهما ... واستفيق فيستلقي على هدبي

عاد الغريب ولكن بعد ان خبطت ... سفينة العمر في داج من النوب
تلك الفصون الزواهي في خمائله ... لم يبق منها سوى شيء من الحطب
يا رب شدد خطاه في رسالته ... من دق بابك لم يحزن ولم يخب
اعطى العروبة قلبا صادقا ويدا ... فاجعل نهايته في خدمة العرب !

بوانس ايريس ـ الارجنتين ... زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاعر الشام المجيد الخليل بن مردم

بقلم نافذ دانشمن
المدرس في معهد ازمير الاسلامي العالي

* * *

اهدى الي الشاعر الفاضل عدنان مردم بك ديوان شعر والده الفقيد خليل مردم بك ، وقد قدم له رجلان من اعلام الفكر والادب السوري ، اعني بهما الاستاذ جميل صليبا والاستاذ سامي الدهان هدية سنية لا تقوم بقيمة ولا يفي بحقها ثناء . فلو لم آنس بها في وحدتي لظلت اكثر اشعار الخليل خافية علي ولاقصيت عن التمتع بآثار نبوغه حقبة من الدهر .

تصفحت ديوان هذا البحر الذاخر وغصت في اعماق لجته فوجدتني قبالة شاعر مجيد قلما يسمح بمثله الزمان ، وبانسان كامل صيغ من الرقة والعطف والحنان، والانفة والصدق والاخلاق : بعيد عن التكلف ، لا تشوب اشعاره شائبة المدح الكاذب ولا لوثة الهجاء المقذع . يشرق اشراق الشمس على سواد المآت من الشعراء الذين يعج بهم تاريخ الادب العربي ممن كانوا يبيعون الغالي الثمين من نتاج قرائحهم بالرخيص الارخص من المال ، ويبذلون ماء وجوههم لينالوا عطف من لا ترجى مودته ولا يقوم سخطه او رضاه بمثقال .

والى جنب هؤلاء نفر من رجال الشعر والادب الذين ينتمي اليهم الخليل بن مردم . جادوا علينا بنماذج الفصاحة والبلاغة والبيان ، وحملوا راية الفضيلة والمروءة والشرف ، نأخذ عنهم كما اخذ الاباء والاجداد ، وسيأخذ عنهم من بعدنا الابناء والاحفاد ، اعيد على ذاكرة القراء اسماء بعض هؤلاء الرجال .

فما اعظم الشنفرى في لاميته اذ يقول :

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى ... وفيها لمن رام العلى متحول
وأستف ترب الارض كيلا يرى له ... علي من الطول امرؤ متطول

وما اشرف الشريف الرضي حيث يقول :

مهلا اميـر المؤمنين فاننـا ... في دوحة العلياء لا نتفرق
الا الخلافة ميزتك فانني ... انا عاطل منها وانت مطوق

وما اعز المتنبي حين تثور به ثائرة العزة فيقول :

اذا غامرت في امر مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير ... كطعم الموت في امر عظيم

وهل بين شعراء العالم من يداني حاتم طيء بسموه ونبله وتضحيته حين يخاطب زوجه قائلا :

دعيني اطوف في البلاد لعلني ... افيد غنى فيه لذى الحق محمل
أليس عظيما ان تلم ملمة ... وليس علينا في الحقوق معول
فان نحن لم نملك دفاعا بحادث ... تلم به الايام فالموت اجمل

وهل رأت الدنيا مثالا في التضحية كعلي بن ابي طالب بعد ان آلت اليه امارة الناس . يجيب من يلومه على تقشفه واقتناعه بالنزر القليل من القوت : « ايشبع ابن ابي طالب وفي اليمامة من يحن الى القد ويهش الى القرص » . ويمضي في قوله متمثلا بهذا البيت من الشعر:

وحسبك داء ان تبين ببطنة ... وحولك اكباد تحن الى القد

والخليل بن مردم – اذ يعتبر احد رجال هذا الرهط الذين رقت بهم اريحيتهم الى مراقي المجد ، يشعر شعورهم بواجب المحبة والمعونة والاخلاص نحو المجتمع الذي انجبه . لذلك تراه آية في الاخلاص لاهله واصحابه وعشيرته وبلده الذي هو يشدو بجمال معالمه ومغانيه . وهل هو الا جزء حي من اجزاء هذه الطبيعة ، ولسانها الناطق الذي يترجم لها بصدق الطائر المفرد على فتنه .

من ادل الابيات على رقة احساسه ورافته بالفقراء والمساكين ما قاله في قصيدته « اليتيم الجائع » :

طفل يجوف الليل يبكي عاريا ... نال الضنى من جسمه ما نالا
سالته مـا خطبـه فتدفقت ... منه الدموع فما استطاع مقالا

ولكن الشاعر ما زال يطيب نفس الطفل ويواسيه حتى هدأ جأشه . فأخذ يقص قصته قائلا :

ذهب الزمان بوالدي ولـم يدع ... حتى طوى عمـا وأودى خـالا
وشقيقة كالغصن فـي غلوائه ... عصفت بـه ريـح المنون فمـالا
واعض ناب الجوع طاوي مهجتي ... وانابنـي داء عليـه عضـالا
فسعيت نحو الموت اعلم انـه ... من ضنك هذا العيش احسن حالا

وهنا اطفأ الجوع والضنى والمرض نبراس حياة الطفل اليتيم فألقى بنفسه بين يدي الشاعر . ووقع هامد الجثة بدون حراك . فيصور لنا الشاعر هذه المأساة:

لفظ الحياة على يـدي فشمتها ... نورا الـى الملأ العلي تعالى
وسمعت هينمة الملائـك حولـه ... ورأيت رحمـة ربنـا تتوالـى
فهناك اسقط فـي يدي وعقني ... جلـد تملـك مدمعـا هطـالا

مثل هذه الاحداث تحدث كل يوم ، وتنقل الينا الصحف ما هو ادهى منها وامر . ولكننا لا نألم لها المنا لشقاء هذا الطفل اليتيم الذي صوره لنا الشاعر تصويرا ينفذ الى شغاف القلوب . انه يرى حقا عليه عون الضعيف وانقاذ العاثرين . فيقول بهذا المعنى في قصيدة « اغاثة البؤساء » :

بل لست افهم معنى للحياة سوى ... عون الضعيف وانقاذ الذي عثرا
والناس ما لم يواسوا بعضهم فهم ... كالسائمات وان سميتهم بشـرا
ان كان قلبك لـم تعطفه عاطفـة ... على المساكين فاستبدل بـه حجرا
هـي الاغاثة عنوان الحياة فـان ... فقدتها كنت ميتا بعد مـا قبرا

لا شك ان شعور الشاعر العميق بآلام البشر كان من اهم الاسباب التي اذوت مهجته واذابت حشاشته . فقد عاش خليل مردم بك في النصف الاول من هذا العصر ، حيث اخذ كل شيء يتغير ويحور بسرعة لم نكن نعهدها من قبل : تغيرا في القيم العقلية والنفسية والاخلاقية والسياسية والاقتصادية مما ادى الى انحلال الامبراطوريات البالية التي قامت على اشلائها ، بعد الحرب العالمية الاولى دويلات لا حول لها ولا قوة ،

ابتلعتها اطماع الدول القوية كما يبتلع كبار الاسماك صغارها ، فاختل التوازن العالمي وما زالت البشرية تتسكع في مشيها حتى انفجرت الحرب العالمية الثانية ، فقصفت ظهر القوي والضعيف معا وشطرت العالم شطرين متناقضين، يهدد خصامهما كيان البشرية جمعاء.

اترى ان اشباح هذه المصائب والخطوب التي دهت بني ادم خلال الحربين العالميتين ومن بعدهما ، ضمينة باطالة عمر الشاعر الذي قر وتأصل في قلبه الحزن ، فهو يقول في وصف هذا الحزن الذي علق بنفسه حتى احبه :

اعن اللهم من صورته من حزن
الف الحزن فلو فارقه الحزن بكاه
وجفا اللهو فلو واصله اللهو شكاه
نفسه ليس لها غير الاسى من سكن

لا يصعب على كل من عاشر خليل مردم بك ولا على كل من اجتمع به ولو مرة واحدة ان يلمس جانب هذا الحزن في اعماق الشاعر ، وان يرى اثار تخريبه في جسمه النحيل . فكأنما احس الشاعر بدنو اجله قبل اوانه ، فيندب على نفسه فراق الاصحاب والاحباب ويأسى انطفاء جذوة الحب التي اذكتها يد الرحمن في قلبه الخفاق ، فيقول الشاعر في نفس القصيدة ، قصيدة « المحزون » متحدثا باسم ذلك الحزين الذي هو خليل مردم بك :

قال لا آسي اذا لاقيت يوما مصرعي
انما اخشى على حبي ان يودي معي
فاحفظ اللهم هذا الحب واحسن وصن

ثم يعود الشاعر ويبدي اسفه وهلعه لفراق هؤلاء الاحبة والاصحاب اذا اختطفته يد المنون فيقول :

ولست بهياب من الموت والردى ولا فرق عندي: طال او قصر العمر
ولكنني اخشى فراق احبة كرام واسفار اذا ضمني القبر

ومن ادل اشعار الخليل على شغفه بمذاكرة الاحباب والاصحاب ، قصائده الطويلة التي بعث بها الى الامير شكيب ارسلان ، يطلب اليه ان يجيزه في نظم الشعر ، فيجيبه الامير على هذه القصائد بنظائر لها تشهد له بقوة العارضة في نظم الشعر لا تقل عن براعته بمعالجة افانين النثر .

والحقيقة ان الشاعر خليل مردم بك ، اخذ ينشد في شبابه صنوا له يخاطبه فلم يجد اديبا ذا اريحية تعدل اريحيته سوى الامير شكيب ارسلان على ما بينهما من تفاوت في السن ، ومما تجدر الاشارة اليه ان بين الرجلين تشابها عظيما في النشأة والعقيدة ، والنزعة الادبية والتفكير . فكلاهما تأدب وتثقف على ايدي اساتذة معتصمين بتقاليد الادب العربي الصحيح . وكلاهما منكب على حفظ اثار السلف من الشعراء المبرزين، وكلاهما مسلم فخور باسلامه وكلاهما ابي النفس ، شريف ، لا يغمز جانبه ولا تلين قناته عند الشدائد ولا يسام .

اجتمعت بالاستاذ خليل مردم في دمشق ، فلم يحجب فرط تواضعه عن حدسي ما يختلج في صدره من امان ومما يؤرثه من وجد وهموم واشجان .

تبسم كرها فاستنبت الذي بـه من الحزن البادي ومن كثرة الوجد

واجتمعت اكثر من مرة بالامير شكيب ارسلان في باريس ، عقب جولة قام بها في سواحل البحر الابيض ـ وقد زار خلالها كثيرا من البلاد الاسلامية التي كانت ترازح تحت اعباء الاستعمار ـ فكان يذرف الدمع مدرارا على مصابهم ويبشرهم بقرب الخلاص ويجرعهم اقداح الامل فيبعث فيهم روح الجد والعمل والنشاط .

ومن ادل اشعار الرجلين على دراية بعضهما ببعض ما قاله الاستاذ خليل مردم بك في صنوه الامير شكيب ارسلان :

اليك امير السيف والقلم انتهت كرام خصال قد تجاوزت الحصرا
عفاف واقدام وحزم ومنعة ومجد تسامى رد عين العلى حسرى

فيجيبه الامير شكيب ارسلان بشعر من نفس القافية والروية قائلا :

كما هام قلبي بالخليل بن مردم هناك الهوى العذري قد اصبح العذرا
اجل سراة الشام بيتا وانه لاحدثهم سنا واكبرهم قدرا
وارجحهم ذرعا واطولهم يدا واكرمهم بحرا واصدقهم نجرا

ولا شك ان ابين مزايا الشاعر خليل مردم بك هي فرط حبه لكل ما يتصل به . فهو يعشق الجمال في شمائل النساء وفي بهجة الطبيعة وعظمتها ، وفي نوح الحمائم وتغريد الطيور ، وهدير المياه واريج الزهور ، وصولة الرياح وهياج البحور ، بلغ الهوى العذري منه مبلغا لا نعهده الا في اشعار الجاهلية .

انظر اليه كيف يصور لوعة الحب التي تعذب قلبه المعنى :

مقلة عبرى ودمع يكف وهوى تام وقلب يجف
لست بالصابر عنها ساعة وهي في حكم الهوى تعتسف
كيف ذرت في فؤادي حبها ثم ضنت فهي بي لا ترأف
يا هواها فاقض بي ما تشتهي علها ان مت يوما تأسف

وانظر اليه كيف يصف البحر في هياجه وهدوئه وصفا يهتز له نابغة الشعر الالماني « غوته » ويغبطه عليه الشاعر الافرنسي « لا مارتين » واديبها الكبير « شاتوبريان » يقول خليل مردم بك في وصف البحر :

عجبت للبحر يطفى ثم ينقبض وصدره ابدا يعلو وينخفض
وموجة تلو اخرى ظل يرسلها تحبو وتنزو وتكبو ثم تنتهض
تلوث اذيالها طورا وتسحبها طورا على الرمل اذ تهوى وترتكض
احذر من البحر لا تغررك هدأته ولو تماوت حتى ما به نبض
تقنع الافق لما ثار من فرق وظل يرعد من ذعر ويرتمض
والشمس خلف اهاضيب السماء لها عين على وجل ترنو وتنخفض

ويقول في وصف الطفل :

صورة من صور الله التي خلصت من كل تحريف ومين
فطرة الله التي ما شابها في كريم الخلق والاخلاق شين
زينة العيش وسلواه فما ابغض العيش بلا سلوى وزين

فهل قال الشاعر الافرنسي العظيم « فكتور هوغو» ما هو اجمل من هذا واصدق في وصف الطفل .

ويقول الخليل في وصف جمال الله الذي يتجلى في مخلوقاته :

تعالى المبدع القدس مثال عنه مقتبس
ومرآة عليها نور وجه الله ينعكس
والمحه بومض البرق اما عسعس الغلس
واسمعه من الاطيار و الانهار ترتجس

ويصف الشاعر المجيد خليل مردم البرق وصفا لم يسبق اليه كبار الشعراء حيث يقول :

وسرت في السحب منه شعل سريان النار في ثوب خلق
فكان البرق في تلماحه تارة يخبو واخرى يأتلق
رد طرف حائر او نفس متعب او نبض عرق من فرق
هلته من بين اسداف الدجى املا من بعد يأس قد برق

هذا واما حب الشاعر لوطنه ومسقط راسه الذي ترعرع في احضانه ، ورتع في مروجه ، وطاف في انحائه ، وعرف منعطفاته ومنعرجاته ، وهام بوديانه وروابيه ، واستظل افياء ارواحه ، فحب اشبه ما يكون بالهيام ، فهو لا يرى في امدن بلاد العالم ما يغنيه عن رقة اهل الشام ، ولا يرى في اجمل بقاع العالم ما يعوض عن ربوع بلده واريج ازهاره وطيب نسيمه وسجع اطياره وصفوة سمائه ، فتعلق الشاعر خليل مردم بك بوطنه اشبه ما يكون بعلاقة النحلة بالخلية ، فلا عجب ان ترى اطول قصائد ديوانه موقوفة على وصف الغوطة وبردى وقاسيون وروائح هذه الارض الطيبة ، فهو يقول في وصف الربوة التي تحرس ابواب دمشق والمزة الحافلة بآرامها الحسان :

حي الشآم وربعها ذات الينابع والنهور
فالربوة الفناء ما احلى بها سجع الطيور
ذات الوهاد مع النجاد مع المياه مع الزهور
اشجارها كعرائس متضمخات بالعبير
وبدوحها تشدو الحمائم بالعشي وبالبكور

وقبل ان نختم كلامنا عن هذه الناحية من نواحي الشاعر لا بد لنا من الاشارة الى ايمانه بتألق عبقريته ، فهو يقول في آخر قصيدة « الربوة والمزة » :

والشعر من فرط الجوى قد جاش منا في الصدور
فنظمتها عصماء مثل الدر ينظم في النحور
زفت اليك كفادة هيفاء آنسة فتور
من شاعر انا هو عزير النفس مطبع قدير

يمتاز الشاعر خليل مردم بك بهذا التفاني في حب بلده ، والتمدح بجمال ربوعه ومغانيه، وباخلاصه وصدق شعوره وبعده عن التكلف ، يمتاز بكل هذا عن اكثر شعراء الشام وعن كثير من شعراء العصر ، فلا نرى من يضاهيه بين شعراء الشام بجزالة المادة وقوة السبك ، واتصالهم بعهد الادب العربي الزاهر — قبل ان تطغى عليه عناصر الضعف والركاكة والفقر — الا شاعرين جديدين بكل تجلة وتقدير . وهما الشاعر خير الدين زركلي الذي ام اتصل به ولم اعرفه من قرب ، وصديقي وزميلي في تجهيز دمشق (تجهيز عنبر من ١٩٣٠ حتى اواسط ١٩٣٢) الشاعر الجواد الاشم محمد البزم .

فالشاعر خير الدين الزركلي هو عشيق الحرية لا يبغي بها بديلا ولا يريد بها لبلده الا الخير والنجاح ، تمتزج الفصاحة والنغم في شعره امتزاج الشعاع بالهواء وينبثق الاخلاص من لهجته انبثاق الماء الزلال من الينابيع . وبهذا فاننا لا نراه يتفرغ لوصف الطبيعة او بالاحرى لا يندمج فيها اندماج زميله الشاعر خليل مردم بك .

واما ثالوث هؤلاء الشعراء الذين يمتازون بين ادباء الشام المعاصرين بحسن الديباجة ورقة التصوير ، وغزارة المادة وجزالة التعبير — ارید به الشاعر محمد البزم — كان يرحمه الله منصرفا الى الضرب على اوتار الالم والتشاؤم والسخط . ولم يكن يلجأ الى الطبيعة الا ليستعيد منها ادوات الوصف الضرورية للتعبير عن دائه الدفين . فمحمد البزم شاعر متشائم ، وخير الدين الزركلي شاعر مفرم بالحرية ، واما خليل مردم بك فانه من شغفه بجمال بلده فانه يحرص حرص الزركلي على حريته ويألم الم البزم على مصائب الناس .

ويمتاز هؤلاء الشعراء الدمشقيون الثلاثة عن سائر شعراء الاقطار العربية بانهم من اكثر رجال الادب العربي افتخارا بماضيهم وتقاليدهم ، واشدهم احترافا لقواعد الذوق العربي واللغة العربية وعلومها بخلاف ما نراه من استهانة بعض شعراء العربية بالماضي وبقواعد الشعر الدراسي العربي واذواقه ، فبعضهم ما يزال مقلدا لشعراء الدور الذي كسدت فيه اسواق الادب العربي . لا تزال لهجة هذا الادب البالي بادية في اوزانهم وعبارتهم وتصاويرهم وعقليتهم . مما يزري بقدر شعرهم ويكله الى النسيان ، واكثر من هذا وذاك فان بعضهم لا يعبأ بمقاييس الادب الثابتة التي لا تقوم بدونها قائمة الادب والشعر : فيقفشون ويخلطون ويعبثون فسادا ويعبثون باسم الادب العربي .

وبعد هذا فان السبب الرئيسي الذي يجعل شعراءنا الثلاثة اي الخليل والزركلي والبزم في نجوة من العثار ، هو انهم يرجعون في ماضيهم الى عهد امية بل الى ابعد من ذلك اي الى عهد يعرب وقحطان ، لا غرو ان دمشق كانت ردحة من الدهر عاصمة دولة مترامية الاطراف ، تمتد ساحة نفوذها من حدود الهند والصين الى اواسط اراضي الغول في فرنسا الحالية . اضيف الى ذلك ان زعماء كافة الطوائف والعناصر الشامية — ولا سيما زعماء هذه الطوائف المثقفون — اكانوا من أدباء اهل السنة والرافضة او الشيعة او من ادباء المسيحيين ارثوذكسا كانوا او مارونيين ، فكلهم يشعرون اعمق الشعور بعروبتهم ويحرصون كل الحرص على لغتهم . ولكل من هؤلاء شعراء وادباء يعتبرون من اعلام النهضة العربية الحديثة في سورية ومصر ولبنان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سندباد

ما هم ، فلترحل الـــى الجزر البعيدة سندبـاد
لم يبق من الاعماق من لهف الحنين سوى الرماد
ارحل الى الوهم البعيد ، كطائر عبـــر الوهـاد
فالليل يرحل في دمائك، في العيون، وفي الفؤاد

قدر على عينيك محفور الحكاية ، كالخطيئة ..
وعلى جبينـك قصة المأساة ناطقـــة مضيئـة
تتهدل الاحلام في عينيك طاهـــرة بريئـة ..
والدهر كالتنين ، يلتهـــم البـراءة والمشيئـة

خلف الغيوم تطـل مـن عينيك أغنية انتصار ؟
يا أيها المهزوم .. حسبك ان تعيش على انتظار
ضاع اليقين مع الظنون ، وليس يجديك الفـرار
أنى ارتحلت .. الى البعيد ، يظل يلطمك الجدار

من عالم الاقزام ترحل عبـــر أوديـة الافاعـى
ومع البحار ، مع الرياح ، تظـل ملتهب الشراع
وتثقل الخطو الكئيب من السراب الـى الضياع
كالوهم ترحل في الغيوب بـــلا عناق او وداع

ماذا لقيت مـن الرحيل سوى عذابات الرحيل ؟
عيناك متعبتان .. لا ترحل مـع الدرب الطويل
فالشاطىء الموعود والكوخ المهوم فـي الاصيل ،
اسطورة الوهم الجريح وكذبـة الروح العليل .

الرياض — **راضي صدوق**

ومما نرجوه ويرجوه كل حريص على دوام هـــذه النعمة الادبية هو ما نراه مـن تسرب الضعف الـى لسان الصحافة عامة ولا سيما الى لسان الجرائد اليومية التي نعول عليها في تثقيف العامة .

سألت بعض معارفي مـــن رجال الفكر والعمـــل السوري عن سبب ذلك ابان زيارتي لسوريا عامي ١٩٥١ و ١٩٥٢ فقالوا لي : ان حاجة الصحافة الـــى مخاطبة الجماهير هو الذي يحملها على الاسفاف الـى مستواهم اللغوي . تلك ظاهرة اجتماعية تسيطر علـــى اساليب الدعاية والنشر مع ان كافة رجالَ النهضة الادبية فـــي اواخر القرن التاسع عشر وفي مستهل القـرن العشرين ـ واكثرهم من اصل سوري او لبناني ـ كانوا يحرصون على التأنق باللفظ والعبارة والاسلوب . فهـذا الحرص وهذا الطموح المحمود هما اللذان انجبا كثيرا مـن فحول الشعراء في الاقطار العربية . ولولا هذه النزعة الادبيـة لما نبغ الخليل بن مردم ولا خير الدين الزركلي ولا محمد البـزم .

ومهما يكن فان انصار الادب العربـــي الدراســي يبشرون ـ علـى ندرتهم فـي هـذه الايام ـ بالنجاح لان موارد نزعتهم سليمة صالحـــة ، ومقاييس أدبهم قويـة راسخة ، ولنا في اشعار ومسرحيات عدنان مردم بـــك نجل الشاعر الفقيد خليل مردم بك ، وفي اشعار زملائه واقرانه اسوة حسنة تطيب لهـا النفوس وسوف اتناول ان شاء الله في مقال آخر شعر هـذا الجيل البار مـن الشعراء .

استنبول — **نافذ دانشمن**

الاذن تعشـق

« الاذن تعشق قبل العين احيانا » بشـار بن برد

★

سمعتها في رخيم اللحن ترويـه ... وتسكب السحر يغريها وتغريـه
خمصانة تترك الالبـاب شـاردة ... في جوف ليـل تناجينا غوانيـه
السمع هـب كمجنون يلاحقهـا ... يهيم في الافق لا الانظـار تأتيـه
ولا الخواطر في جنح الخيال لهـا ... وسيلة للهـوى تحنـو فتؤويـه
على الاثـير تلاويـن تلاعبـه ... فتبصر الاذن ما الافكار تخفيـه
فهل علي لدى المحبوب من حرج ... ان بت اهوى كلامـا فاح من فيه
صوفية الفـن لا حـد يقيدهـا ... في شطحها غرق لا السبح ينجيه
وما المراكب فوق البحـر تنجـده ... وربما جنت الاسـماك تفنيـه
(سيرين) نحوكاذني شوق مسمعها ... (كعولس) انا والاقدار تعنيـه
في غنة اللفظ ترحال النشيد الى ... دنيا التهاويل حين الصوت يحييه
لو قلت آه لماج النجـم من طـرب ... بغمز الحاظـه حلوا تناغيـه
تفنى البشاشة اما جئت تظلمهـا ... بالكبت والحـر لا يعنـو لعاديـه
يا من شغفنا به والليـل معتكـر ... لا يدرك الحـب الا فـي معانيه
يكرس الرقص تفنينا ويمزجـه ... بالوصف حتى يكاد الحس يبديـه
على اصابع رجل خفق هفهفـة ... ترف كالطير في احلى مجاليـه
بيض التجرد مكحولات اجفنهـا ... يميد شيطانها حتـى تلاقيـه
فترفع الساق نحو الرأس لاعبـة ... وتسفح الشعر في سكب ترويـه
حي الخيال الذي ينساب جامحه ... في ليلة الشـوق فالدنيا تحييـه
نخاف يفلت من بـين الجفون ولا ... نشاء حبسا له فالحبس يؤذيـه
حطي علىالقلب ما قد شئتمنوله ... فقـد تمرس بـالالام ماضيـه
انا الذي زحزح الاحزان مبسـمه ... وراح يضحك في اقسـى مباكيه
هذي الحياة لها وجهان فالتمسي ... عذرا لمحياي فالامـال تبقيـه
ما جف قلبي من حـب ولا ولع ... رغم السنين التي بالبعـد تطويه
يخضر عودي على نفح الغرام وما ... وجدي يذوب ولا تفنى غواديـه
والعيش بسمة محبوب تواصلـه ... ولو باحلامنا والوهـم يكفيـه
عصفورتي غردي فالعمـر منصرم ... والصـوت يخلد في اسمى اعاليه
سكنت سمعي فلا والله ما عرفت ... جوارحي منـك الا مـا أناجيه

هـاروتتـان ، وماروت انا ، ولنا ... ليل علـى السـحر بالانغام نحييه

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

اثر حديث المعراج في الرحلات الغيبية

يقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

يتابع علماء الادب المقارن الصلات القريبة والبعيدة بين الآثار الادبية في لغات العالم ، فيعقدون موازنات دقيقة بين ما يلمسون تشابهه من هذه الآداب ، فهم يتتبعون الافكار والاخيلة ناقدين محللين وكثيرا ما ينتهون الى الحكم بالتأثير القريب او البعيد في اثر من الآثار الذائعة حين يحللون عناصره الادبية فيجدون بينها اصولا تمت الى اثر اجنبي آخر !

وهذا شيء طبيعي في دنيا القول لان الافكار الادبية والعلمية تتناقل وترحل في كل مكان والاديب او العالم قارىء مثقف يلتقط ما يعثر عليه ان قريبا وان بعيدا ، وهو لا محالة متأثر بروائع ما يقرأ ولا يستطيع ان يمنع عن تفكيره وخياله ما يرفدهما بالقوة والنماء !

وقد كان حديث المعراج الذي حكاه نبي الاسلام احد هذه الآثار الادبية الخالدة التي امتد تأثيرها الى آداب أمم مختلفة ! والتي احدثت دويا عاصفا بين علماء النقد المقارن حين لمسوا خيوطها البارزة في اكثر من نسيج فني ! ولعلنا نومىء الى ذلك ببعض التفصيل !

ان كتب الاحاديث النبوية تروى عدة آثار خاصة بليلة المعراج فهناك روايات سنية عن انس بن مالك تلقى بعضها عن ابي ذر وبعضها الآخر عن أبي هريرة وعن مالك بن صعصعة الانصاري !

وهناك آثار شيعية عن الامام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب تلقاها عن ابيه عن جده عن علي عن رسول الله ! وهناك روايات لا تصل الى درجة ما روى عن أنس وزيد رضي الله عنهما ! بل تظهر عليها آيات الوضع وعلائم الاضطراب ومن كل ذلك امتد حديث المعراج امتدادا كبيرا واحيط بأقوال ضخمة للمفسرين والمحدثين والمؤرخين ! بحيث لو جمع ما قيل بصدد ذلك لشغل كتابا ضخما برأسه ! ثم جاء بعض العلماء فوصلوا الاحاديث المختلفة في رواية واحدة وجلعوا منها نسقا متصلا متلاحقا ، بل انهم تعدوا احاديث المعراج الى احاديث أخرى عن شق الصدر والرؤيا الصادقة وضموا ذلك كله الى حديث المعراج ، ثم انتقل هذا الحشد الى الاجيال المتلاحقة فقراه العلماء والادباء وترجم الى اللغات الاجنبية فاحدث دويه الرنان !

ونحن الآن في مجال ابراز التأثير القوي لحديث المعراج في الادب العربي والآداب المختلفة نضع فاصلا بين ما صحت روايته عن الرسول او رجحت ، وبين ما ضعفت نسبته اليه لاسباب ذكرها المحدثون ! نضع هذا الفاصل لنحكم بأن ما صحت نسبته الى الرسول كان الاساس الاول لهذه الصورة الجميلة عن السماء والارض والجنة والنار اذ ان محمدا صلى الله عليه وسلم حكى ما شاهده من العجائب حكاية رائعة فتحت امام الادباء مجال التصور الفسيح ! ومن هنا كان تأثيره المباشر في كل رحلة خيالية الى السماء والى الجنة والنار !

اما ما ضعفت نسبته اليه فقد ساقه الوضاعون متأثرين بحديث المعراج وناسجين على منواله ، فلولا انهم رأوا الكوى المضيئة بأشعة من حديث محمد ما استطاعوا ان يقولوا شيئا ! وهنا يكون الحديث الموضوع وليد تأثير من الحديث الصحيح فاذا استلهمه بعضهم فانما يردون موردا اشتق ابداعه والهامه من حديث صحيح ! ويمكننا اذ ذاك ان نعتد ما ساق الوضاعون من حديث المعراج ادبا مصنوعا استلهم البيان النبوي ثم نقل تأثيره الى ادباء العالم ، وهم بانتاجهم المتشابه يعلنون بلسان النقد ان صاحب الابداع الاول هو نبي الاسلام لا محالة! وغيره قد احتذاه ...

واذا كانت رواية أنس بن مالك عن المعراج تلخص حادث المعراج بما هو معروف من مجيء جبريل الى النبي وتقديمه البراق وارتقائه الى السموات السبع فرؤية آدم ويحيى وعيسى ويوسف وادريس وهرون وموسى وابراهيم بعد سؤال وجواب عن القادم والاذن له بالزيارة ثم مشاهدة انوار رب العزة وفرض الصلاة خمسا بعد خمسين عقب مراجعة تنشد التخفيف .. اذا كانت رواية أنس بن مالك تقف عند ذلك فان رواية الامام زيد بن علي وهو الفقيه المجتهد تفصل الامر بوضوح مستوعب ! وهذا نصها :

قال علي بن ابي طالب صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر يوما بغلس ، فلما قضى الصلاة التفت الينا وقال : أفيكم من رأى الليلة شيئا ؟ قلنا لا يا رسول الله قال ولكني رأيت كأن ملكين أتياني فأخذا بضبعي فانطلقا بي الى السماء فانطلقت فمررت على ملك وامامه آدمي وبيد الملك صخرة يضرب بها هامة الآدمي ، فيقع دماغه جانبا وتقع الصخرة جانبا ، قلت ما هذا قالا امضه ، فمضيت فاذا انا بملك وبين يديه آدمي وبيد الملك كلوب من حديد فيضعه في شدقه الايمن فيشقه حتى ينتهي الى اذنه ثم يأخذ في الايسر فيلتئم الايمن قلت ما هذا قالا لي امضه ، فمضيت فاذا أنا بنهر من دم يفور كفوران المراجل وعلى حافتي النهر ملائكة بأيديهم نار ، كلما طلع طالع قذفوه بها ، فيقع فيه فيشتعل الى اسفل ذلك النهر ، قال قلت ما هذا قالا امضه ، فمضيت فاذا بيت اسفله اضيق من اعلاه ، وفيه قوم عراة تفور من تحتهم النار فامسكت على انفي من نتن ما اجد من ريحهم ، قلت ما هذا قالا امضه ، فمضيت فاذا انا بتل اسود عليه قوم محنيون تنفخ النار في ادبارهم فتخرج من افواههم ومناخرهم وآذانهم وعيونهم ، قلت ما هذا قالا امضه ، فمضيت فاذا انا بنار مطبقة موكل بها ملك لا يخرج منها شيء الا اتبعه حتى يعيده فيها ، قلت ما هذا قالا لي امضه ، فمضيت فاذا انا بروضة خضراء واذا فيها رجل شيخ جميل لا اجد اجمل منه ، وحوله الولدان ، واذا أنا بشجرة ورقها كآذان الفيلة ، قلت ما هذا قالا امضه ، فصعدت الى ما شاء الله من تلك الشجرة فاذا انا بمنازل لا منازل احسن منها درة جوفاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء قلت ما هذا قالا لي امضه ،

فمضيت فاذا انا بنهر عليه جسر من ذهب وفضة وعلى حافة النهر منازل لا أحسن منها من درة وزبرجدة وياقوتة وفيه اقداح وأباريق ، قلت ما هذا قالا لي انزل فنزلت فضربت بيدي الى اناء منها ثم فرغت فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وألين من الزبد ، فقالا لي : اما صاحب الصخرة التي رأيت الملك يضرب هامته فيقع دماغه جانبا وتقع الصخرة جانبا فاولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ويصلون الصلوات لغير وقتها . فهم يعذبون بها حتى يصيروا الى النار ، واما صاحب الكلوب الذي رأيت به ملكا موكلا بيده كلوب من حديد يشق به شدقه الايمن حتى ينتهي الى اذنه ثم ياخذ في الايسر فيلتئم الايمن ، فاولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالنميمة ليفرقوا فهم يعذبون بها حتى يصيروا الى النار ، واما البيت الذي رأيت أسفله أضيق من اعلاه وفيه قوم عراة توقد من تحتهم النار فامسكت على انفك من نتن ما تجد من ريحهم ، فاولئك الزناة وذلك نتن فروجهم فهم يعذبون بها حتى يصيروا الى النار ، واما التل الاسود الذي رأيت عليه قوما محنيين تنفخ النار في ادبارهم فتخرج من افواههم ومناخرهم وآذانهم وعيونهم فاولئك الذين كانوا يعملون عمل لوط الفاعل والمفعول به فهم يعذبون بهذا حتى يصيروا الى النار ، واما النار المطبقة التي رأيت ملكا موكلا بها كلما خرج منها شيء اتبعه حتى يعيده فيها فتلك جهنم حتى يفرق بين أهل الجنة والنار ، واما الروضة الخضراء التي رأيت فتلك جنة العامة . واما الشيخ الذي رأيت لا اجمل منه حول الولدان فذاك ابوك ابراهيم ، واما الشجرة التي رأيت وطلعت اليها فيها منازل لا منازل احسن منها درة جوفاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء فتلك منازل أهل عليين من الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، واما هذا النهر الذي رأيت فنهرك الذي اعطاكه الله وهذه منازلك ومنازل امتك ثم نوديت من فوقي يا محمد سل تعط ، فارتعدت فرائصي ورجف فؤادي واضطرب كل عضو مني ولم استطع ان اجيب شيئا فاخذ احد الملكين يده اليمنى فوضعها بين ثديي واخذ الآخر فوضع يده بين كتفي فسكن ذلك مني ، ثم نوديت من فوقي ، يا محمد سل تعط، سل تعط، قال قلت اللهم أسالك ان تثبت شفاعتي وان تلحق بي أهل بيتي وان القاك لا ذنب لي » (1)

هذه بعض المشاهد من عالم الغيب كما رواها حديث المعراج ، وكان من المنتظر ان ننقل حديث ابن عباس بدل حديث زيد بن علي ، حيث يتضمن كثيرا من مشاهده ولكن المحدثين قد ردوه مع ما ردوا من روايات ضعيفة ذكرها الدكتور علي حسن عبد القادر ص ١٢٨ من كتاب المعراج ، كما ذكر الدكتور بعض مصادر الروايات الصحيحة ص ١٢٧ ، فحديث المعراج اذن كما روته الروايات الراجحة ، ولخصه حديثا انس وزيد ، يعتبر فتحا مبتكرا في عالم البيان التصويري ، تمخض عن الجديد الطريف وقد روى البخاري عن سمرة بن جندب حديثا آخر ينحو نحو حديث زيد في لبابه فيتحدث عن رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه ، وعن رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر او صخرة فيشدخ به رأسه فاذا ضربه تدهده الحجر ، وعن رجال ونساء عراة في تنور اعلاه ضيق واسفله واسع يتوقد نارا عليهم ، وعن نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل يحمل احجارا فكلما اقترب سابح النهر رجمه فيرجع وعن روضة خضراء ذات شجر مزهر وبها دار وشباب وشيوخ .. ثم فسر جبريل في حديث البخاري جميع ما يرمز الى ذلك بما لا يخرج عن الاجابة في حديث زيد .

لا جرم ان مشاهد القيامة في القرآن قد صورت اليوم الآخر تصويرا لا ينفد سحره ، ولكن القيام برحلة في عالم الغيب مما ابرزه حديث المعراج لاول مرة في الادب العربي قد افاد منه الخطباء والواعظون في مواقف الترغيب ، والترهيب ، وليس هنا مجال القول في ذلك ولكننا نبحث عن التأثير الفني الخالص في الادب العربي اولا ثم في غيره من الآداب !

اما الادب العربي فقد كان ابو العلاء ابا عذرة الرحلة الخيالية به الى الجنة والنار في رسالة الغفران حيث استهلها بزيارة للفردوس تصف شجره وانهاره ولبنه وخمره واوانيه التي شكلت على هيئة الطير السابحة من كراكي ومكاكي وطواويس ، فبعض في الجارية وبعض على الشط ينبع من افواهها شراب كانه من الرقة سراب . فاذا قذفوا الاواني في الانهار سمع لها اصوات بمثلها تبعث الاموات ، ثم اخذ يتحدث عمن تخيلهم بالفردوس من الشعراء كزهير بن ابي سلمى وعبيد بن الابرص والهذلي والنابغتين مناقشا اياهم فيما ينقده من ادبهم المأثور ويمر به رف من اوز الجنة فلا يلبث ان ينزل على تلك الروضة ومن شأن طير الجنة ان يتكلم ويناقش ويغني ليسمعه لبيد والجعدي والاعشى ، ثم يقابل حسانا فينقد بعض ما قاله ويتطرق فجاة بصاحبه الى يوم الموقف في يوم مقداره خمسون الف سنة وبه يطول الامد ويشتد الظمأ فيستشفع برجل عليه نور يتلالأ هو حمزة بن عبد المطلب فيرسل معه رسولا الى علي بن ابي طالب ليخاطب النبي في شانه ، فيمر بأبي علي الفارسي في حلقة من الادباء يناقشونه تخريجاته النحوية والصوفية الى ان يصل الى علي فيساله عن التوبة ثم يرد الحوض ويستشفع بفاطمة بنت محمد لتسترحم اباها، فيشفع له ، ويعبر الصراط الى الجنة فيحاور رضوان قبل دخوله ثم يلج الى نعيم الفردوس ليقابل حميد بن ثور ولبيد ويقيم لهما ولزملائهما من الشعراء مأدبة حافلة بما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فيجتمع خلق كثير فتوضع الخون من الذهب والفواتير من اللجين فاذا قضوا الارب من الطعام دار الشراب والغناء وتحدث الادباء مساجلين ! ويعبر طاووس من طواويس الجنة يرونه حسنا فيشتهيه ابو عبيدة مطهوا فيكون كذلك في صفحة من الذهب فاذا قضى منه الوطر انضمت عظامه الى بعض ثم يعود طاووسا كما بدا ، ويمر ملك كريم فيعطيه ثمرة من شجر الحور رمانة او تفاحة او ما شاء الله من الثمار فيكسرها فتخرج منها حورية عيناء تبرق لحسنها حوريات الجنان وتقول له اني اتمنى بلقائك قبل ان يخلق الله الدنيا باربعة الاف سنة ، ويبدو له ان يطلع الى اهل النار فيركب بعض دواب الجنة فيرى في الطريق جنة العفاريت المؤمنين بمحمد والمذكورين في سورة الاحقاف فيسمع اشعار الجن ويشهد صرع فتاة تصور لها الجن في صورة فار ثم في صورة صل ثم في صورة ريح ويتساءل عن لغة الجن وحديث الرجم، ويرى بعض آساد الجنة ويحادث الخطيئة وقد جلس في اهون منازل الجنة . فاذا وصل الى اقصى مكان بها وجد الخنساء تجلس هكذا لترى اخاها صخرا يعذب في جهنم ، فاذا طاف بالنار رأى ابليس يضطرب في الاغلال والسلاسل ومقاطع الحديد تأخذه من ايدي الزبانية ثم يصطنع على لسانه فكاهة سمجة ما كان احرى ابا العلاء باجتنابها في مثل هذا الموقف ، ويرى بشار بن برد في اصناف العذاب يغمض عينيه حتى لا ينظر الى ما نزل به من النقم فتفتحها الزبانية بكلاليب من نار فيحادثه مع زملائه المعذبين من امثال امرىء القيس وعنترة وعلقمة وعمرو بن كلثوم وطرفة وابي كبير والاخطل وابليس يسمع ذلك الخطاب كله فيقول للزبانية « ما رأيت اعجز منكم اخوان مالك الا تسمعون هذا المتكلم بما لا يعنيه فلو ان فيكم صاحب نحيزة قوية لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه الى سقر ، فيقولون ليس لنا على اهل الجنة من سبيل ، ثم يقابل المهلهل والشنفرى وتابط شرا وبعد الرحلة الجهنمية يقفل الى الفردوس يحاور آدم وذات الصفا ثم يضرب في غيطان الجنة ليقابل حوريته التي انشقت عنها الثمرة ويتكيء على مفرش من السندس ويأمر الحور العين ان يحملنه فيضعنه على سرير ذهبي في الجنة فيحمل الى محله وكلما مر بشجرة نضحته اغصانها بماء الورد قد خلط بماء الكافور !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلة رائعة التصوير محلقة في القمة من عالم الفن ولو رسمنا مشاهدها في لوحات فنية كما رسمت مشاهد الكوميديا الالهية لامكن ان تقارن بها . واذكر ان فريقا من اساتذة الادب المقارن قد تلاحقوا بصدد تأثير ابي العلاء في دانتي، فمن مثبت هذا التأثير متعلل بما عرف من اتصال الشرق والغرب اثناء الحروب الصليبية وبعدها عن طريق مصر والشام وصقلية والاندلس ! فلا بد ان تكون رائعة ابي العلاء مما ترجم وقدم الى دانتي فهضمه ، وتلك قضية يتعذر فيها وجه الحق ، وبخاصة اذا علم ان دانتي لا يمكن ان يصبر على قراءة قصة عسيرة الهضم لدى غير متخصص في علوم العربية اذ ان رسالة الغفران تضم من النقاش النحوي والصرفي واللغوي ما يخفف كثيرا من رونقها . بل ما يجعل تقديمه في ترجمة اجنبية نوعا من الالغاز الغامضة . والذين قدتلاحوا بصدد تأثير دانتي بابي العلاء كان عليهم ان يتجهوا الى حديث المعراج مباشرة ، وهو المصدر الاول لابي العلاء باتفاق اما كونه المصدر الاول او احد المصادر الهامة لدانتي فهذا ما سيتضح لنا عن قريب .

لقد بدا دانتي جحيمه ذاكرا انه كان يضرب على غير هدى في تيه لا اول له ولا آخر اذ يضل في غابة مظلمة تعج بالافاعي والوحوش وقد انقذه فرجيل من احد الكواسر بعد ان كاد يمزقه، وقد دلفا معا الى الجحيم فسمع دانتي انين المعذبين فسأل عنهم فرجيل فاجابه انهم الذين قضوا حياتهم في لهو يعيشون باوامر الله ! ثم رأى الجبار (خارون) منتصبا كالوحش في زورق ينقل ارواح الاشقياء من عدوة الى عدوة فدارت الارض برأس الشاعر من هول مشهده ، ثم دوى رعد قاصف انقذه من غيبوبته ، فانطلق مع صاحبه الى دركات الجحيم ، وركا وراء درك ليرى بعض الفسقة تعصف به الريح السموم وتنثره كما ينثر الريش في يوم عاصف ، ويرى اصحاب المطامع المنكرة تنصب فوقهم شآبيب من برد وثلج ويمزق اجسادهم الكلب سيرسيروس بانيابه الحداد ثم يعبر دركا اخر ليرى نهرا من الدم تسبح فيه ارواح الذين آذوا جيرانهم بالافتراءات ثم يرى في درك آخر عصبة من المزورين المختلسين يسبحون في حديد يغلي بالقار وحراسهم زبانية قبساح الوجوه ، اما المنافقون فيرتدون عباءات من نار وطراطير من جمر . وقد فجر دانتي فجورا خسيسا سافلا حين اعماه التعصب فجعل نبي الاسلام ـ اكرم خلق الله واشرفهم على الاطلاق ـ بين اهل النفاق من المعذبين ! وذلك ما ينتظر من متعصب ظل يأسف على انقضاء الحروب الصليبية دون ان تستأصل المسلمين !

ثم يشهد زمهريرا من ثلج وبرد وماء يلف الآثمين في قرار الدرك التاسع ، وحينئذ ينتهي الجحيم ويصل الى المطهر فيهب عليه اول انفاس الفجر المرطب بالندى ويرى النجوم تتالق في بنفسج السماء ولجة ترغي وتزبد حول جزيرة نائية ينهض فوقها جبل شامخ رفيع الذرى (٢) ، ثم ينظر دانتي فلا يرى الا خياله حين تشرق الشمس منبطحا على السفح من ورائه فينزعج ويحسب ان فرجيل غادره ورحل ولكن فرجيل يطمئنه ويخبره ان ارواح الموتى اضواء شفافة لا ظلال لها كما يكون لاهل الدار الفانية ثم ينطلقان ليقابلا عشرات الناس من اعلام الادب والسياسة والحب والدين في اوروبا وحولهما ضجيج الارواح الهائمة تلغط جميعها بهراء من الحسد والاحقاد القديمة ، الى ان يصلا الى شجرة باسقة ذات طلع نضيد وفاكهة حلوة يفوح عبيرها ، وفي اوراقها ارواح تذكر الله وتسبح بحمده وتشكر له ما رزقها من عفة . والناقدون يرون سدرة المنتهى في المعراج هي التي الهمت دانتي صورة هذه الشجرة ، وترى الارواح الهائمة في النار ظل دانتي على اللهب فتدهش لوجود حي من الدار الفانية في هذا المكان . ثم يلتقي الشاعر بحبيبته بياتريس فتكشف له عن شؤون غيبية كثيرة ويظلان يتحدثان عند نهر يونو ، فاذا انتهى من المطهر سما الى الفردوس فاحتسى جرعة نزعت ما في نفسه من ادران الدنيا وجعلت جسمه خلاما شفافا وهيولي نقية كي يرقى في السماء دون عائق ، ومضى في رحلة سماوية الى كوكب عطارد والزهرة والمريخ والمشترى ليحدث من ادخلهم الجنة من ذوي محبته مثل جوستنليان امبراطور روما وشارل مارتل قائد النصرانية في معركة بلاط الشهداء وطائفة من ارواح شهداء النصرانية في الحروب الصليبية يمرحون في اضياء الجنات الوارفة التي يهتز عنها المريخ ومثل بندكت وداميانو وبطرس ويوحنا من كبار القديسين . ثم يرى السيد المسيح وفي اثره مريم البتول ثم يدخلان سماء المنتهى ـ بهذا التعبير القرآني ـ ذات الضوء الوهاج فيقف قليلا ثم يفيق من رؤياه وتنتهي الرواية .

تلك هي الخطوط الواضحة في كوميديا الشاعر ، واثر حديث المعراج بها اوضح من ان يدل عليه فهو يتجلى في تكوين الهيكل العام للكوميديا من رؤية المعذبين والسؤال عن جرائمهم ، ومن ادوات التعذيب وزبانيته ، ومن بحار الدم والصديد ، ومن سرد طائفة من المقابح وما أعد لها من العقاب ، ومن غير ذلك مما يستشفه القارىء من خلاصتنا المركزة التي اوجزنا بها خطوط الكوميديا الالهية وقد قامت معركة حامية بين المستشرقين ما بين منكرين لتأثير حديث المعراج ومثبتين له حتى عثر على مخطوطات قديمة لحديث المعراج ترجمت قديما الى اللاتينية قبل زمان الشاعر مما يثبت المامه بها في لغته ووطنه، ولهذا الكشف الادبي الجليل قصة طريفة لا مناص من الاشارة اليها بايجاز .

لقد عاش دانتي فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، ورحل عن الحياة متمتعا بصيت ادبي رنان اذا اعتبرت ملحمته الالهية انضج ثمار الادب الايطالي في جميع عصوره وظلت موضع المباهاة لدى قومه ، فكانوا يقابلون بالاستنكار والتهكم احيانا ـ من يسعى لايجاد مقارنة بينها وبين النصوص العربية او اليونانية ، ويرون ذلك محاولة للنيل من شاعر مبتدع جل ان يقرن الى نظير ، ولكن عشاق المعرفة في كل مكان لا يبالون باشباع الغرور القومي لدى بعض الطليان فيهون له في القرن الماضي يعقدون الدراسات المختلفة بين المتشابهات من امثال ملحمة فرجيل وحديث المعراج ورسالة ابي العلاء . وتتوالى الردود عليهم من المعارضين دون ان يتقدم البحث خطوة الى الامام ، حتى جاء المستشرق الاسباني العظيم الاستاذ آسين بلاسيوس ، سليل ابناء الاندلس الذين اشرقت بحضارتهم الاسلامية أوروبا في عصور الظلمات ، فاخذ على عاتقه ان يترهب رهبنة متصوفة في البحث عن تأثير اجداده العرب من الاندلسيين في آداب العالم وثقافاته ، ووصل في بحثه الى نتائج مدهشة تثبت تأثير بثيولوجية ابن رشد في سان اكوينتس وابن عربي في ريموندلال واخوان الصفا في فرانس انسلمو، وجاءت خاتمة ابحاثه تعلن تأثير القصيدة الاسلامية في كوميديا دانتي اذ ساعدته دراساته العربية العميقة ان يتتبع اكثر خواطر الشاعر معقبا عليها بنظائرها في القرآن والحديث وقصة المعراج . وبعض اثار ابن عربي المتصوف الاندلسي وكان ما قدمه بلاثيوس من النصوص الاسلامية مذهلا للكثيرين ممن كانوا يؤمنون بافكار دانتي وطرافة خلقه الفني.

ولكن مجال الافكار بعد ذلك لا يزال متسعا اذ ان هناك سؤالا لا يجد الجواب الشافي وهو كيف تطرقت المعارف الاسلامية الى الشاعر الايطالي الكبير . ولو كان الجدول المقارن وحده مجال الترجيح لا نحسم النزاع لان تحليلات آسين بلاثيوس كانت من القوة بحيث لا يتطرق اليها اللبس ، ولكن المتمسكين بالعثور على وثيقة تثبت المام دانتي بالثقافة الاسلامية يرفضون كل جدل منطقي مقنع ويودون ما يلمس باليد لا ما يدرك بالعقل ولم يستطع البحاثة الكبير بلاثيوس ان يجد هذه الوثيقة فمات بحاجة لم يقضها كما مات الفراء وفي نفسه شيء من حتى...

ولكن الحق لم يعدم انصاره اذ اجتهد بعده المستشرق الايطالي

الاستاذ مونيري دي‌فيبار في تتبع هذه المسألة حتى عثر على ترجمتين غربيتين مخطوطتين لقصة المعراج كما رواها اهل الحديث النبـــوي كتبت اولاهما بالفرنسية وحفظت بمكتبة اكسفورد وكتبت الاخـــرى باللغة اللاتينية وحفظت بالمكتبة الاهلية بباريس وجاء بعده الاستـــاذ الايطالي تشيرولي ودرس المخطوطتين فاكد وجهة نظر الاستاذ مونيري ومن قبله بلاثيوس وسارع بنشرهما مضيفا اليهما ما تتطلبان مـــن الحواشي والتفسيرات لتوضيح مسالـــة التاثيـــر ، وبتوالى البحث ظهر أن كلتا المخطوطتين ترجمت عن القشتالية من العربية اذ قـــام بترجمة القصة الى القشتالية طبيب يهودي كان ببلاط الملك الفونسو باشبيلية سنة ١٢٦٤م يدعى ابراهيم الفقيم ثم نقلها في اثره الـــى اللاتينية والفرنسية معا الكاتب الايطالي بونافنتورا الذي كان سكرتير الفونسو (١٢٢١ ــ ١٢٧٤ م) . لقد وقعت في ايدينا الوثيقة المطلوبة اذن ، ولو عثر عليها بلاثيوس لعد نفسه اسعد باحث خدم قضيـــة غامضة ، فسلط عليها من الاشعة ما يجلو الغموض ، ولكن الذين تم على يدهم اقتطاف الثمرة يعترفون بالجميل لمن غرس البذرة وعمـــل على اروائها وتنميتها بعد ان مهد الارض وقواها بالحراثة والتسميد.. وبهذا اصبح مؤكدا لدى العلماء ان دانتي وقد انتشرت هذه النصوص قبل ميلاده قد اقتبس فكرة كوميدياه من المعراج وتاثر به في نظمـــه وتفكيره وخياله اوضح تاثير .

يقول المستشرق الايطالي الكبير الاستاذ امبرتو ريزيتانو الاستاذ بجامعة القاهرة من بحث نشرته مجلة الرسالة بافتتاحية العدد (٩٤٠) مـــا نصه :

« هذا وقد يتساءل الباحث عما اذاكانت ترجمة من هذهالترجمات الثلاث كانت معروفة في ايطاليا اثناء القرون الوسطى ، والاجابـــة في هذه المرة لا بد ان تكون بالايجاب اذ ورد ذكر هذا الكتاب الخاص بقصة المعراج في كتابين منمؤلفات كاتبين ايطاليين عاش احدهما في منتصف القرن الرابع عشر وعاش الاخر في اواخر القرن الخامسعشر، وليس هذا دليلا على انتشار المعلومات عن العقائد الاسلامية وفلسفة العرب في بلاد اوروبا ولا سيما ايطاليا في القرون الوسطى ، هـــذا ولم يقتصر المستشرق تشيرولى على نشر الترجمتين الفرنسيةواللاتينية وعلى ملخص الترجمة القشتالية فحسب ، بل اضاف قسما ثالثا جمع فيه كل الشواهد التي تثبت هذا الانتشار وعلى راسها حوار جـــرى بين محمد صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن سلام ، ترجمه الـــى اللاتينية ارمانوالد عاطي سنة ١١٤١ نقلا عن الكتاب المعروف « رد الكلام في مسائل عبد الله بن سلام » وقد يتساءل الانسان كذلك عـــن قيمة البحث الذي قام به تشيرولي والاجابة عن ذلك انه نجح كـــل النجاح في ايضاح المسالة التي اثارها بلاثيوس كما نجح في وضـــع هذه المسالة على اساس امتن من الاساس الذي وضعها عليه المستشرق الاسباني».

واظن المتتبع لادوار هذه القضية بانصاف وحيدة لا يسعه الا القول بتاثير حديث المعراج في اروع تحفة يفتخر بها الايطاليون ، ويقيمون لدانتي كل عام مهرجانا تذكاريا لابداعها ، ويرصدون الجوائز الادبية باسمه من اجلها وكانه بها في رأيهم أعظم أديب عرفه التاريخ.

اما اثر المعراج في الادب الفارسي فما أوضحه وأقواه فيما نعرفه من أشعار المتصوفة بفارس ، وهم مسلمون قد درسوا عقائد شريعتـــهم وألموا بحياة نبيهم ، ثم جذبتهم قصة المعراج الى رحلات خياليةبديعة قاموا بها على جناح الشوق الى آفاقهم الروحية ، ومن اشهرهم فـــي ذلك شيخهم الشاعر الاكبر سنائي صاحب كتاب الحديقة ، ومثنويات كنوز الرموز وحديقة الحدائق وسير العباد الى المعاد وغيرها وقـــد اتصل في صدر حياته بملوك غزنة الا انه تزهد وتصوف على قـــدم التجريد. وهنا تدفق الطوفان الابداعي على لسانه شعرا تردد علىالسنة معاصريهوتتلمذ عليهمنسلك سبيله منبعده، اما معراجسنائيفقدنشرهفي كتابه (سير العباد الى المعاد) ليشرح رجوع النفس من عالمها المظلم الذي سقطت فيه الى اصلها الالهي ومقرها الاخير ، في رحلة تصور مقامات المتصوفة واحوالهم تصويرا ،يدركه المتخصصون ممن تشربوا مصطلحات القوم وعرفوا خفايا رموزهم ، واذا كان سنائي قد سبـــق دانتي في الزمن فانالمستشرق الاستاذ نيكلسون قد عقد بينهمامقارنات تدل على استقاء الشاعر ايطالي (٣) من معين الفكر الاسلامي ، واذا كان اطلاع دانتي على روائع سنائي لا يزال مجرد افتراض فان اطلاعه على حديث المعراج النبوي قد انتقل من ضباب الافتراض المحتمل الى ضياء اليقين الجازم ، وقد تاتي الايام المقبلة بالجديد من تاثـــير سنائي اذا اطرد البحث على وجهه النزيه ..

اما متصوفة الادب العربي فقد جذبتهم قصة المعـــراج بصورها العلوية ، وانوارها السماوية دون شك ، واوضح من تاثر بها عالمـــان كبيران هما محي الدين بن عربي الاندلسي وابو يزيد البسطامي ، فالاول في الفتوحات المكية قد ذكر عن العرش والسدرة وانوار ذي الجلالة ما نجد اصله في الصحيح من حديث المعراج والموضوع معا، والطريف ان الاستاذ نيكلسون يجعل دانتي متاثرا ايضا بابن عربي في ذلك ويفيض في مقارنات طريفة ليس هنا مجال تفصيلها وقد اشـــار اليها الدكتور مبارك في الجزء الاول من التصوف الاسلامي ص ٢٠٧ نقلا عن غيره ، اما ابو يزيد البسطامي فقد نشر الدكتور علي حسن عبد القادر نص معراجه ملحقا بكتاب القشيري ص ١٢٩ ، وهي رحلة روحية بديعة تجسم المعنويات في صور حية تنطق بالبراعة والابداع. ويقول في مطلعه :

« اني رايت في المنام كاني عرجت الى السماوات قاصدا الـــى الله ، على ان اقيم معه الى الابد فامتحنت بامتحانلا تقوم له السموات والارض ومن فيهما اذبسط لي بساط العطايا نوعا بعد نوع وعرض علي ملك كل سماء، ففي ذلك كنت اغض بصري عنها ، لما علمت انـــه بها يجربني فكنت لا التفت اليها اجلالا لحرمة ربي ، وكنت اقـــول في كل ذلك ، يا عزيزي ، مرادي غير ما تعرض علي ».

ثم مضى ابو يزيد يذكر ما رآه في السماء الدنيا من طير اخضر نشر جناحا من اجنحته فحملته الى صفوف ملائكة يضعون اقدامهـــم بالنجوم فتساءلوا عن بشر يصعد الى مقر الاملاك فالهم كلمات قالها ثم صعد الى السماء الثانية فرأى فوجا من الملائكة يستقبلونه استقبال مدينة لاميرها وتقدم الى روضة خضرة تحوي نهرا وحوله ملائكـــة يطيرون الى الارض كل يوم مائة الف مرة ، وعلى حافتيه اشجـــار من نور ولها اغصان كثيرة متدلية في الهواء وفي كل غصن وكر طـــير وفي كل وكر ملك ساجد ، فترك ذلك الى سماوات اخرى فاذا جميع الملائكة يسلمون عليه واذا ملك منهم له اربعة اوجه وجه يلي السماء ووجه يلي الارض ووجه يلي الملائكة ووجه يبعث بجنوده يسبحونالله في كل مكان ثم نشر جناحا من اجنحته فاذا على كل ريشة من ريشه قنديل يظلم ضياء الشمس في ضوئه وقد اغواه الملك باشياء ترفـــع عنها اذ ان مراده الاسمى يجل عن الاغراء ثم ارتقى يجلس على كرسي فوق شاطىء بحر عجاج لا أول له ولا نهاية فالهم التسبيح مشغـــولا بذكر الله عن كل شيء . فاذا ملائكة قيام في السماء رؤوسهم فـــي أجوازها العالية يقطر منهم نور تبرق له السموات ويسبحون الله بكل لغة فرد عليهم بلغاتهم جميعا ، وما زال يرتقي ويطير ويجول مملكـــة بعد مملكة وبحرا بعد بحر حتى انتهى الى الكرسي فاستقبلته ملائكة لهم عيون عدد نجوم السموات ببرق من كل عين نور تلمع منه فتصير تلك الانوار قناديل حيث يسمع من جوف كل قنديل تسبيحا وتهليـــلا ثم لم يزل يطير حتى انتهى الى بحر من نور يظلم ضياء الشمس في

(١) المعراج للقشيري تحقيق الدكتور علي حسن عبد القادر مـــن ص ٣٩ ــ ٤٢ . (٢) من ترجمة الاستاذ د. خ من مجلة الرسالة اعداد يوليو واغسطس سنة ١٩٣٦ . (٣) كتاب المعراج ص ١٣ .

نواح المزرعة.. انا والحمامة

تنوح معي عند المسآء حمامة ... تشاطرني دمعا تدفق كالسحب
تسيل به عيناي عفوا كانه ... ميازيب من مزن تفتقن من هدبي
تخالط سيال المآقي ملوحة ... اذا مس خدي صاح من جمرها قلبي
من القرمزي اللون يهمر قانيا ... فتشتاره شهد الطلى شفة الصب
لساقية تروي اخاديد وجنتي ... اقول لها صبي ومن مقلتي عبي
مضى ركب فضلى الراحلات بمهجتي ... فيا ليتني بت المسافر في الركب
انا شاعر فل المصاب روية ... فلم يبق غير النوح في الشعر والندب

ترآءت مسآء فجاة لي حمامة ... من الافق المهجور في فحمة الدرب
فطارت وراء الايك لمحة بارق ... وعادت بمعسول النصيحة واللب
وفي فمها آي المصلى وسلوة ... تحن على اهل الفقيدة بالحدب
تقول وقد غصت برقراق ادمع ... تصبر اخا البلوى على شدة الخطب
ولي قبل ان وافى اسآك حكاية ... تمثل مالا قيت بالفتكة الضرب
هبطت ولا ادري افي الحقل ملجأ ... قديما وهل في الايك من فنن رطب
فباغت عشي ليلة هاج ريحها ... عواصف من فتك زوابع من رعب
وجندل عاتي الموت افراخ منزلي ... فلم يبق من عش ولم يبق من سرب
فيممت اوفى الخلق اهلا ومرحبا ... وقمت بروض ((للثريا)) على الرحب
كستني عطفا في ظلال حنانها ... وامنا وخير القوت من دسم الحب
ارتل من مزمور داود وابنه ... نشيد سليمان الصبابة والحب
عزاء فهذي الدار تفني قطينها ... وما دام غير الطيب الروح والصلب
عزاء وسلونا فما الفضل زائل ... يخلده التاريخ في منزل الكتب

تسآلني الورقاء عن حي عربنا ... اجبت بوادي التيم من ربعه الخصب (١)
ومن شط صور جاء ربع اميمها ... طموحا كاسلاف الى الشاطىء الغربي (٢)
تعالي نزر عند الصبيحة هيكلا ... يضم شذي ((الاقحوانة)) والحب (٣)
تعالي معي نرقى على سابح السهى ... فاني ارى وجه الحبيبة في الشهب
واسمع ما بين الملائك صوتها ... رخيما يناديني الى المنهل العذب
اقبلها لو يعلم الشوق لوعتي !! ... واودعها والقلب بين يدي ربي
روائع تذكار الحبيبة جمة ... اذا شمتها عادت مآقي للسكب
تخيلتها في حضن مريم امها ... تحادث احبابا ورهطا من الصحب
فماسحت الخنساء دمعا كادمعي ... ولا ناح مثلي شاعر العجم والعرب

(١) والد الفقيدة اسكندر داود ـ رحمه الله ـ من راشيا الوادي . (٢) والدتها المرحومة مريم حاطوم من مدينة صور اصلا (٣) ((الاقحوانة)) لقب قريتي الشعري .

هوستن ـ امريكا — سليمان داود

اشعته وعلى البحر سفن نورانية اخذ يعبر عليها سفينة سفينة حتى راى حملة العرش من الكروبين قال ابو يزيد ((فلما علم سبحانه وتعالى مني صدق الارادة في القصد ناداني اليه ثم سقاني شربة من عين اللطف بكأس الانس .. ثم قابل روح محمد فسلم عليه واوصاه ...)) تلك خيوط من معراج البسطامي وقد قيل عنه ان ابا يزيد يذكر ما يذكر على لسان الحال لا الواقع ليقرب الى الوجدان بعض احاسيسه ولا نملك الحكم هنا على احوال القوم انما نثبت قضية التاثير كما اتضحت معالمها لدى الرجل .

ان حديثا نبويا ـ كحديث المعراج ـ يترك دويه في الاداب العربية والفارسية والاوربية وغيرها لجدير ان نفسح له اطيب مكان ، في رسالة تتناول الناحية الادبية في احاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

الى طفل الامس

•

فـــؤاد الخشـــن

•

الشويفات ـ لبنـــان



يا ابا الهول تكلم
ليقـــال
ان ما يعلمه الاخوان تعلم !
شارك الجلاس بالصخب والوان الجدال ! ..
لا تقض الليل في صمت ضبابي وفي تقطير آل
شاردا في غيهب الوهم على غيم الخيال
انت يا من يبتني من ظلمة اليأس لعينيه جدارا
رغم ما اعطيت مما يسعد الناس الصغارا
رجفة المـأســاة في صوتك ، في البحة
هــم يتــوارى
وخطوط الحزن في جبهتك السمراء اثلام
وتحفـير ظـــلال
تترك الناس لما يشجيك يمضون على الفسؤال !

ان اردت العيش صحوا
وربيعا مسكر الطيب فصدق
كل ما تسمع عن فيض المحبه
من قلوب الناس ، عن طهر الزهر !
خلف اسوار النعيم المنتظر
عطل الحدس وضوء العقل واترك
لغوى القلب العنان
لتعيش العمر في وهم الجنان
قبل ان تفجع بالناس وتقضي
فجرك الغضي في الشك الممض
ناسجا من دمك الثلجي ليلا
كالح الوجـه وغربه
تربة تخنق فيها
كل يوم الف ايمان ورغبه !

ايها الراقد في كهف كثيف الظل قطبي الرقاد
افتح الاجفان وامسح
عن سنا عينيك غيمات السواد
وتحد اليأس وانشر
للفتوحات شراع السندباد
ربما عدت الى ايمانك الحلو ، وعاد
لك صحو الامل
بعد ما ذقت لظى الشك وسهد المقل
تقطع الايام ترحـالا ..
بمصباح « ديوجين » تجول
باحثا عن واحد في الناس
يعني ما يقـول !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بارحوا الخندق صامتين .. وتحركت اقدامهم في خطى مرهقة .. وبعد خطوات قليلة انطرحوا على ظهورهم فوق الرمال .. شبكوا راحاتهم تحت رؤوسهم .. وشخصوا بأبصارهم في الفضاء المشف رغم عتمة المساء ..

كانوا ستة .. انتهت نوبة حراستهم .. فزايلوا الخندق يلتمسون نسمة رطبة .. بعد نهار خانق راكد لم يتنسموا فيه نسمة واحدة منعشة .

احسوا بعد فترة بسخونة الرمال واختناق الجو .. لكن واحدا منهم لم يتقلقل .. فأجسادهم مكدودة من طول الوقوف خلف مدافعهم .. واعماقهم تموج بالحيرة .. وليس ثمة مكان اخر يجدون فيه ما يشتهون ..

تقاربت رؤوس بعضهم وشاعت بينهم همسات خافتة ، ما لبثت ان تلاشت في جوف الصمت من جديد ..

بدأ الليل مسيرته في موكب من محاق ونجوم قليلة .. فتضاعفت كآبة الصمت بانضمام الوحشة اليه .. غير ان نسمات رطبة اخذت تهب من بعيد .. فانتعش المستلقون على الرمال .. وسرت حركة هادئة بينهم .. احنى واحد ساقيه ... واوسع اخر بينهما .. بينما رفع ثالث راحتيه من تحت رأسه ليشبكهما فوق صدره .. في حين اكتفى الباقون بانسياب الهواء البارد الى صدورهم .. واختلاس نظرات خاطفة .. افصحت عن الحيرة والقلق اللذين تنضغط تحتهما اعصابهم .

زادت حدة السكون اثر انعدام الحركة التي شملتهم .. ولولا عيونهم التي استمرت تحتوي الفراغ المظلم، لبدا انهم انقلبوا يغطون في نوم عميق ..

مرت سحابة قاتمة حجبت نجمة كانت تتعلق بها عينا امين .. فتحول عنها الى رفاقه .. ورماهم بنظرة عاجلة .. واذ رآهم غارقين في صمتهم وحملقتهم .. رجع يبحث عن نجمته المفقودة خلف السحابة القاتمة التي زحفت عليها .

بعد لحظات انقلب امين على جنبه .. رفع رأسه وشمل الاخرين بنظرة متأنية .. ابصارهم تسبح في الفضاء كما لو كانوا يحلمون بشيء .. فهل اختنق في داخلهم ما كان يمتص فكرهم ؟..

وداخل امين الاشفاق على رفاقه ، وعيناه ما برحتا جاثيتين فوقهم .. لم لا يبوح لهم بالسر الذي يشغلهم البحث عنه فينتشلهم مما يعانون ؟.

وهمت شفتاه ان تتحركا ، لولا ان اسرع فأطبقهما بقوة .. ماذا يقول

الاطياف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

لهم ؟.. قد يستطيع ان يروي ما وقع كله .. ويخبرهم عمن دبره ونفذه .. ويشرح لم اختير لتنفيذه هذا المكان دون غيره .. لكن بم يفسر سبب وقوعه ؟.. حقيقة هو يعرف السبب ... لكن هل سيقنع به رفاقه وهو نفسه وبعد كل ما حدث يكاد لا يقتنع به ..؟

رجع امين يطرح رأسه على الرمال .. ويرسل بصره الى الفضاء ... معاودا البحث عن نجمته المفقودة وراء السحابة التي امتدت فوقها ..



بعد قليل .. ارتفع صوت حلمي سائلا :

ـ هل يمكن ان يتكرر الحادث الليلة للمرة الرابعة ؟..

انتفض الرفاق قاعدين، وحاصروا حلمي بنظراتهم . .وكان امين اخر من نهض فيهم .. وحين واجه حلمي بنظراته .. لم يكن في عينيه فزع رفاقه ولا تساؤلهم ..

مرت فترة وجيزة ، تمتم امين بعدها بخفوت :

ـ ما المانع ؟..

اتجه الرفاق اليه .. واخذوا يحدجونه باستنكار .. في حين بقي هو متشاغلا عنهم بالنظر الى السحابة القاتمة التي وارت عنه نجمته ..

ورجع حلمي يسأل :

ـ وما الذي سنفعله لو تكرر الحادث الليلة ؟..

وبهدوء غريب اجاب امين :

ـ وماذا فعلنا حين تكرر للمرة الثانية والثالثة ؟

وجم المتحلقون حوله .. وانتظر امين ان يخرج احدهم عن جموده ، ويعلق بكلمة فيتصل الحديث بينهم .. الا ان احدا لم يتكلم ...

وضاق امين بصمت رفاقه .. ومضى يحدق فيهم بنظرة حادة فاحصة .. ماذا اصابكم ..؟ عمدت الى اثارتكم حتى يستمر نقاشكم .. فأغافل في غمرته خوفي وترددي .. واطلق ما احتبسه في صدري ... فلم خرستم ..؟

وارتطمت عينا امين بوجه حلمي ، فتشبثتا به .. لم سكت انت الاخر ؟ سألتني واجبتك .. فاسأل ثانية وثالثة .. لا تتوقف عن الكلام حتى اظل احتويك بناظري .. فأنت وحدك الذي تعيد الي صورة صفوت ... برغم الفارق بينكما .. اراه دائما فيك .. ارى وجهه الاسمر المندى دوما بحبات العرق .. ومقلتيه السوداوين القلقتين .. وبسمته

الهادئة المتارجحة .. لا تسكت .. حتى في سكوتك مثله .. كان هو الاخر يكثر الصمت .. وفجأة يباغتنا بسؤال يفجر دهشتنا ويحرك سكوننا ..

واغمض امين عينيه والالم يعتصر قلبه .. وقفزت الى مخيلته صورة الليلة الكئيبة .. ليلتها كان الظلام يحتوي الفراغ .. والصمت يتراكم في كل الارجاء .. وكان فوق المرتفع الرملي الذي يتقدم الخندق .. يقبع خلف مدفعه .. ويحاول اختراق سياج الصمت والظلام بسمعه وبصره .. وكان صفوت على مقربة منه .. صامتا كعادته .. تفتر شفتاه بين الحين والحين عن بسمة او همسة ثم تزل صفوت ليقضي حاجته .. ولم يصعد الى مكانه ثانية .. فقد هوت على الموقع قذيفة مباغتة من جانب العدو .. ابقته في السفح اشلاء ممزقة ..

امتد صوت ابراهيم يقطع الصمت :

ـ الغريب ان العدو ساكت ..

فغمغم عراقي :

ـ لا بد انه يبيت لعدوان جديد .

وهتف سليم بغيظ :

ـ وهل نحن الذين خطفناهم ؟

اجاب بدوي في شبه حسرة :

ـ ليتنا نعرف من خطفهم .. ولماذا اختار هذا المكان بالذات ليقتلهم فيه؟

ـ الغريب انه نفس المكان الذي استشهد فيه صفوت ..

ـ هذا ما يزيد الامر غموضا .. فكيف تفادى الذي خطفهم حقل الالغام ؟..

ويسيطر الصمت برهة .. ثم يحني عراقي جذعه الى الامام ... كأنما يريد ان ينفذ الى اذان رفاقه، ويهمس :

ـ لماذا لا يكونون قد جاءوا بأنفسهم لينتحروا حيث مات صفوت؟

ويضجون بالضحك .. ويصيح سليم بحنق بعدما يغالب ضحكه :

ـ يبدو اننا سنقلب الموضوع الى مزاح ..

ويقول بدوي :

خير من الحيرة التي لن تجدي .

ويسارع امين قائلا :

ـ لست اوافقك .. فما حدث لا يمكن السكوت عليه ..

ويدمدم بدوي :

ـ صحيح .. لكننا لم نصل بعد الى تفسير .. وانت نفسك رغم ان الحوادث كلها وقعت اثناء نوبات حراستك لم تستطع التعليق بشيء !

وتتوه افكار امين .. وتظل عيناه ترمقان رفاقه الذين راحوا يتطلعون اليه من وراء صمتهم وترقبهم ... هل ينتهز هذه الفرصة ويكشف لهم ما يخبئه عنهم ؟.. ماذا لو فعل ..؟ قد لا يصدقونه لكنهم لن يسخروا منه .. فماذا يخيفه من مكاشفتهم؟

وينتبه امين على صوت بدوي :

ـ ها انت ساكت ولم تجد ما ترد به ..

وتنفرج شفتا امين .. وينساب صوته خافتا لا يكاد يسمع :

ـ الحقيقة انني اعرف كل شيء عما وقع ..

وتنطلق الاصوات تردد في استغراب :

ـ ماذا ؟!..

ـ ولم تكتمه ؟

ـ القائد سألك .. ونحن ..

ـ واكدت انك لا تعرف شيئا ..

وتهدأ الاصوات ... فيردف امين وهو يتحاشى النظر الى رفاقه :

ـ خشيت الا تصدقوني .. وتقفوا في طريقي ..

وتتملكهم الدهشة فلا يستطيعون النطق بكلمة .. ويلزمون الصمت .. وبعد هنيهة يستأنف امين كلامه :

ـ كنت ليلتها فوق المرتفع الرملي .. واذ بي المح قريبا مني .. ثلة من الاطياف وسط دائرة من الضوء .

وقاطعته اصوات :

ـ كنت نائما اذن ..

واحتد امين :

ـ هذا ما كنت اخشى سماعه .. ولهذا لم اصارحكم بشيء .. انا لم اكن نائما ..

ويسكت امين وانفاسه تتلاحق .. ويشرد فكره .. هل حقيقة لم يكن وقتها نائما .. لو انه كان نائما لكان ما رآه حلما .. فهل يمكن للحلم ان يخلف في نفسه كل ذلك الاثر ؟. وقتها لم يهتم بالتيقن من كنه ما رأى .. لكنه الان مطوق بأسئلة رفاقه .. فماذا يقول لهم ؟..

وجاءه صوت بدوي هادئا :

ـ اكمل يا امين ..

وعاد امين يقول وفي صوته نبرة توسل :

ـ صدقوني .. انا لم اكن نائما .. خيل لي بادىء الامر ان الضوء لفانوس كاشف .. ففزعت .. وهممت بتنبيه بقية الرفاق لكنني عجزت عن الحركة والنطق .. وبقيت عيناي لا تتحولان عن ثلة الاطياف . وفيما انا اتفرس فيهم .. لمحت بينهم طيف صفوت ..

وبصوت واحد ردد المتحلقون حوله :

ـ صفوت ؟!..

واستطرد امين وقد ارتفع صوته قليلا :

ـ نعم ... صفوت بعينه ... والاخرون لم اتعرف عليهم من ملامحهم .. المهم .. فهمت من اشارات طيف صفوت انه يصف لهم كيف باغتته القذيفة ومزقته .. وانه يوعز اليهم بالانقضاض على العدو واختطاف بعض جنوده لقتلهم حيث مات ..

وهتوا بدهشة :

ـ الطيف ؟!

واسترسل امين :

ـ نعم .. وفهمت ايضا من ايماءات الاخرين انهم يوافقونه ..

وسأل بدوي في حيرة :

ـ وبعد ؟!..

واتسعت عينا امين .. بماذا يجيب ؟.. وصف لهم ما رآه ... وما اعقبه ، كيف يحكيه ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وينتشله من حيرته صـــوت الجالس قبالته وهو يتساءل :

ـ هل معنى ذلك ان الارواح ؟.. لكن .. اعني كيف ؟

وقبل ان يفصح عما يريد قوله ، يجنح للسكوت ..

وتمر دقائق من الصمت .. ثم يخرج صوت بدوي :

ـ انا سمعت ان الروح تظـــل تحوم حول المكان الذي اغتيلت فيـه حتى يؤخذ بالثأر لها.. في الصعيد يقولون ذلك .. لكن هل يمكن للروح ان تثأر لنفسها بنفسها ؟

ولا يعقب واحد بكلمة .. فقط ، تبقى عيونهم تتلاقى وتتباعد والصمت جاثم فوقهم .. وفجأة يهتف حلمي :

ـ اذا كان الامر كذلك فلمـاذا لا نقوم نحن بهذه المهمة ؟

وتدهم امين نشوة مباغتة نفس ما ردده ليلتها بعد ان توارت عنه ثلة الاطياف واختفت دائـرة الضوء .. لم يكـن اذن متهورا ولا مجنونا ..

وهمهمت اصوات :

ـ تقصد ..

ويسرع حلمي قائلا :

ـ نتسلل الى مواقع العدو ونخطف من جنوده من نقدر عليه ..

ويستفسر بدوي :

ـ وكيف نفعل ذلك ؟ ومتى ؟

ويوضح أمين والاشراق يغمـــر وجهه :

ـ في الهزيع الاخير من الليل .. اثناء نوبـة حراستي .. المهـم الا يعرف الاخرون ذلك .. فقد يعوقنا بعضهم عن اتمامه ..

ويطويهم الصمت فترة غير قصيرة يسأل بعدها عراقي :

ـ لكننا لم نعرف بعد .. هل مـا رآه امين حلما كان ام حقيقة ؟ وهل الاطياف هي التي فعلت كل ذلـك ام غيرها ؟..

ويرد امين ومسحة الاشراق مـا تزال تعلو وجهه :

ـ الاطياف او غيرها .. مـاذا يهم ؟ المهم اننا نواصل المهمة ... ويكفي اننا سنمارس مهمتنا كجنود ... السنا هنـا اصلا كي نقاتـل ؟ اذن فلنمارس مهمتنا ولو كانـت ممارستنا لها بهذا الشكل تخـالف اللوائح التي تحكمنا ..

وعلق بدوي :

ـ اننا بهذا نحقق الاستقرار لروح صفوت ..

وعقب امين وقد عاد الخفوت الى صوته :

ـ ليس هذا فقط .. صحيح ان موت صفوت ترك جرحا في قلوبنـا .. لكن اقدامنا على تنفيذ ما اتفقنا عليه سيحقق الكثير .. صدقوني .. لقد ميع طـول الانتظار والترقب رغبتنا في ان نحلم ونفكر .. ومـا سوف نفعله سيفتح شهيتنا .. فنفكر .. ونحلم .. فحين نكون ماضين اليهم سنتجاوز الخوف ونفكر فيمـا ينبغي علينا عمله .. ونحلم بالتوفيق .. وفي طريق عودتنا .. سـوف يتحول زحفنا الى قفزات نشوة ... ونحلم اننا نطير عائدين الى بلادنا .

ويسكت امين .. فيسأل عراقي متعجلا :

ـ من منا سيبدأ الليلة ؟

وتعلو بسمة عريضة شفتي امين وهو يرد على رفيقه :

ـ جميعنا .. ثلاثة للمقدمة ... واثنان لتغطية التقدم والانسحاب . والسادس يبقـى هنا للحراسة .. وقبل بدء العملية سوف اشرح لكم كيف تتقدمون مـن موقعهـم .. فحتما ضاعفوا الحراسة بعد توالي الاختطاف ..

وتمتد ايدي الرفاق لتتعانق ... وترتجف شفاههـم بالبسمات ويتفجر في عيونهم بريق يشع فـي ظلمة الليل .. وهم يخطون في نشوة عائدين الى الخندق .

القاهرة **اسماعيل علي اسماعيل**

شراع ولا مرسى

أخمس وعشرون يـا قلب مرت ... ومـا كان مرساي شطا أمين
أمرساي .. وقـع حروفك واه ... أمـا آن للزيف ان يستكـين
فاني مللت حيـاة الرحيل ... وفوضى الضياع وسحر الحنين
أنا مـا رسوت على شاطىء ... شراعا يهيـم وقلبـا طعـين
أمـا آن للـدرب أن ينتهي ... وآن لاشرعتـي أن تلـين

أخمس وعشرون صـوت يـدوي ... فيسحقني فـي سكون مهين
وما كنت أخشى ازدحام السنين ... ولا رجـع ذاك النداء الحزين
ولست أبالـي بثقـل الضباب ... سواء بـدا راحـلا او رهين
لـو انـك كنـت علـى زورقـي ... وزاحمت عبـرك مـوج السنين
فمـا زلت تسكن فـي خافقي ... ومـا زلت أنت هـواي الدفين

دمشق **سلافة العامري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ابراهيم ناجي

بين ناجي ولامرتين ودي موسيه

بقلم مصطفى عبد الرحمن

* * *

يمتاز الشعر الغنائي بسلامة الاسلوب وروعة الخيال والموسيقيةوالرقة ولا يلزم ان يكون الشعر الغنائي شعرا يغنى بل انه سمي كذلك لعذوبته ورقة صياغته .

ومن بين شعراء هذا المذهب الشاعر المرحوم الدكتور ابراهيم ناجي والشاعران الفرنسيان الكبيران الفونس دي لامرتين والفريد دي موسيه بل لعلهما اكبر شعرائه اذا استثنينا فيكتور هيجو .

ان شاعرنا ناجي يشبه كثيرا هذين الشاعرين الفرنسيين كل في ناحية من نواحيه وان كان يلتقيان في بعض اغراض شعرهما فدي موسيه ولامرتين كلاهما شاعر غنائي عذب الاحساس .. رقيق الشعور مرهف الوجدان .. وكلاهما احب ففشل ولكن لامرتين آمل في وجه الله اما دي موسيه فقد يئس من كل شيء كل اليأس ..

اما عن لامرتين فناجي يشبهه في جمال وصفه للطبيعة ورقة تعبيره عنها وعذوبة تصويره لجاليها ومرائيها .. تلك الطبيعة التي كثيرا ما يلجأ اليها كي يجد عند حنوها السلوى كما كان يفعل زميله لامرتين وهذا الشاعر الاخير كان يجد السلوى عند الطبيعة تارة .. وتارة يفتقدها : انظر الى قولهما حينما لجأ الى الطبيعة فلم تتح لهما السلوى ..

.. قال ناجي :

بربك ايها الانوار ماذا صنعت بساهر الف الظلاما
بربك ايها الامواج ظلت على الشطآن ترتطم ارتطاما

.. وقال لامرتين :

ارنو الى الارض روحا هائما قلما لا يستقر من البلوى على حال
وليس في صور الاكوان قاطبة ما ينقد القلب من هم وبلبال

الا ترى معي ان الشاعرين الكبيرين في تلك الابيات كادا يلتقيان في كل شيء حتى في صميم المعنى الخاص .. انك حينما تقرأ لناجي او لامرتين بعض ابيات في الوصف تلمس ما بلغه هذان الشاعران من دقة في التصوير حينما يتجسم امامك المنظر الموصوف صورة حية نابضة فتظن انك انما تراها رأى العين .. اسمعهما يقولان في الوصف :

.. قال ناجي :

الا ان ضوء البدر احسان محسن له اينما يسرى تفضل منعم
يطوف به الناظر المتبسم وينشره في الدارس المتهدم
ويا ربما يخشى الخميلة ضاحكا فتحلم في جو من السحر مبهم

.. وقال لامرتين :

كم يهدر النهر في واديه منطلقا وفوق امواجه وشي من الزبد
لقد تلوى على الوادي وسار الى حيث اختفى مخدرا فيظلمة الابد
وفي البحيرة ماء راح في سنة قد لفه عبقري الصمت في برد

ان كل حكمة في هذه الابيات تكاد تنطق بوجه الشبه . ان ناجي شاعر مرهف الشعور رقيق الاحساس .. ذي موسيقية خلابة يهتم بالناحية الوجدانية في شعره ويكثر القول فيها ويلون انغامه بالالوان العاطفية الثائرة ويكسوها بطابع من الشجى والاسى ويملأ قصائده بأنات حزن ونبرات من الالم الدفين .. انه دائما في قصائده حبه حزين يائس في حبه لا أمل له في هناءة او سعادة مثل دي موسيه :

اسمعه يقول :

لا امامي غد ولا عن يميني امل ضاحك ولا عن شمالي
يا هواها بالله بعد انحدار الشمس ماذا تعلقي بالظلال

ويقول دي موسيه :

انا لا اهتف يوما بالسعادة انا لا انشد للمجد لحونا
وتراني ما بالامي هواده لا اغنيها من الشعر فنونا

ويقول ناجي :

ايها الوكر اذا طار الاليف لا يرى الاخر معنى للسماء
ويرى الايام صفوا كالخريف نائحات كرياح الصحراء

ويقول دي موسيه :

انت يا من حول قلبي عاكفة ايها الطيف الملح النهم
عندما تقصف رياح عاصفة لا ترى في الرمل كف ترقم

وكلاهما هنا يائس غاية اليأس لا يجد فائدة ولا امل من الحياة او الكلام ..

صاغ اشعار لامرتين ودي موسيه شعرا عربيا الشاعر المعروف العوضي الوكيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدة حب الى بلادي

يا حبيبي ...
دع هـواك اليـوم عنـي لست أهفـو لعنـاق
دع غنـاك الآن انـي لست أصبـو لاحتـراق
غير ماء من فراتي العـذب والحلـو المـذاق
دجلة السمراء توحي ألـف حـب واشتيـاق

لست أحيـا لغرام .. أنـا أحيـا لبلادي
حبها خمري المصفى .. وشرابي .. وهو زادي
وهيامي ... ومنـى نفسي ، وسؤلـي ومرادي
واغاريدي .. وشعري .. واختلاجات فؤادي !

شمسها مـا أبـدع الخلاق ربـي أي شمس
ارضهـا تبـر موشـى باللآلىء والـدمقس
ماؤها الرقراق شهـد سلسل عـذب لنفسي
سحرها سحر حـلال مبـرأ مـن كـل رجس
يا حبيبي ...
لا تلمني لو رهنت القلب يومـا فـي هواهـا
أو حملت السيف حبـا ودفاعا عـن حماها
غايتي ارجو لهـا مجـدا ومرفوعا لسواهـا
لا تلمني .. أنـا أحيـا لرباها وسماهـا

هي عندي خير حب .. خيـر شوق ونشيـد
صفت فيها من دمائي كـل شعري وقصيدي
يا حبيبي .. انـا أصبو لغـد حلـو جديد
عربي .. سرمدي .. مشرق . زاه سعيـد !

والمنـى ان استعيد (القـدس) أرض الطيبين
وأميت الغاصب الغـدار والمسـخ اللعـين
وأعيـد الحـق للايتـام والشعـب الحزيـن
عندها نبنـي لنا بيتا سعيـدا فـي الظـلال

عندها نبني لنـا بيتـا سعيدا فـي الظـلال
مـن كـروم العنب الحلـو شهيـا وزلال
نصنع العمـر ابتهاجـا وانطلاقا واحتفـال
عندمـا يخضر عشب ونخيـل .. وتـلال !

ووفاء الحب أن تسمـو نفـوس العاشقـين
دعك مني .. أنـا لا اعرف غيـر النازحـين
يمضغون الحجـر الـذاوي بأرضي جائعـين
ذاك همي .. ان يعود الشعب رغـم الغاصبين
يا حبيبي ...
اللئيـم النـذل يغتـال شبابـي وصبايـا
يلعق الجـرح ويمشي فـوق اشـلاء الضحايـا
يـا لعهر المسخ يا وغـدا دنيئـا يـا خطايـا
نبذتـه الامـم الحـرة نبـذا والبرايـا

أترى أسكت عـن هضم حقـوق الضعفـاء !
أتـرى أخشى عـدوي ورصاص الغربـاء !
ينبض الثـأر لهيبا فـي عروقـي ودمائـي
في غد ، والنصر آت.. والغد (القدس) رجائي !

بغداد — خالد الخزرجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبالرغم من كون ناجي شاعرا ذا خيال بارع جميل الا انه كزميله واقعي يرى الحياة على حقيقتها لا ينخدع بزخرفها .. ولا يلهيه ظاهرها عن غدرها ولا ننسى ما لناجي ولامرتين من نزوع الى استعمال المجازات والاستعارات ..

.. يقول ناجي :

يا شاطىء الاحزان كم من موجـة هبها ارتطامه موجـة وصداهـا

.. ويقول لامرتين :

يا موكب الفجر هل لي فيك منفسح يا موكب الفجر هل لي موضع فيكا

فكلاهما قد استعمل الكنايات فالاول ذكر شاطىء الاحزان وذكر الآخر موكب الفجر ..

ان ناجي شاعر غنائي بمعنى الكلمة بل انه يشبه كثيرا كما اسلفنا ابرز اثنين من شعراء الغناء ونعني بهما لامرتين ودي موسيه ..

واخيرا اننا نعلم سبب الحزن واليأس من الحب عند لامرتين ودي موسيه لقد احب الاول ففشل اما الثاني فقد خانته زوجته والذي لا جدل فيه ان حياة ناجي تنطوي على مأساة كبيرة لا يعلمها احد ..

لقد كان ناجي يعيش في المرحلة التي كانت تمر بها الحياة الادبية في مصر في الفترة ما بين ١٩٢٥ ـ ١٩٤٥ ومن طبيعة المرحلة الرومانسية انها تدفع الشعراء الى التعبير عن مشاعر الحزن والالم بعيدا عن الواقع الملموس فرارا من الاحساس بوطأته .. ترى اخذ ناجي بفلسفة دي موسيه التي تؤكد ان لا شيء في العالم يجعل من الشاعر فنانا عظيما مثل الالم العظيم فعاش في اشعاره التي رددها يائسا محزون الفؤاد مستطار القلب ..

القاهرة — مصطفى عبد الرحمن



يوسف عبد المسيح ثـروة

مسرح اوغست ستر ندبرغ

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

اوغست سترندبرغ (١٨٤٩ ـ ١٩١٢) اشتهر في كل فن من فنون الادب وفروع العلم ، وعمل في كل مسلك من مسالك الحياة ، ولكن شهرته التي تجاوزت حدود بلده ، السويد ، وضمنته في صدارة كتاب المسرح ، في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، لا في اوروبا فحسب بل في العالم ايضا . فكيف تيسر له ذلك وقد كانت الاقدار له بالمرصاد ، اذ عرف الفاقة والحرمان منذ حداثة سنه ، واذ افلس والده ثم ماتت والدته وهو في الثالثة عشرة من عمره ؟...

ان الحديث عن طفولته مضن مربك محزن ، وقد كتب العديد من الكتاب في هذا الصدد ، فقوموا خلفية هذا الكاتب العاثر الحظ تقويما موضوعيا ، فيه الكثير من الافاضة والتفصيل ، ولما كنا لا نريد ان نخوض المخاضة نفسها ، لان ذلك يستغرق منا وقتا نحن في مسيس الحاجة اليه نرانا مضطرين الى تجاوز هذا العهد من حياة سترندبرغ للدخول في صميم موضوعنا ... الا وهو دراسة فنه المسرحي من خلال مسرحيته غير المعروفة للقارىء العربي ، اعني مسرحيته «عيد الفصح».

وقبل ان نفعل ذلك لا بد من المامة بفن سترندبرغ ـ على ضوء اراء نقاد المسرح المعروفين ورأي سترندبرغ نفسه في مسرحه والتقلبات الفكرية التي تعاقبت على ذهنية الكاتب وعقليته ...

يعرف سترندبرغ قبل كل شيء بانه من الرواد الاوائل للمذهب الطبيعي والى هذا المنصب تعود مسرحيتاه «الاب» و « الآنسة جوليا »، اما مسرحية « عيد الفصح » فهي اكثر مسرحياته واقعية (١) . والاختلاف بين وطس وغيره من النقاد واضح اذ انه يعد « الاب » و « الآنسة جوليا » من المذهب الواقعي ، بينما يعدها النقاد الآخرون من المذهب الطبيعي ، ومقدمة سترندبرغ نفسه « للانسة جوليا » يدحض هذا الادعاء . فهل من تشابه بين المذهبين حتى يلتبس الامر على وطس فيما التبس عليه ؟ يرى جون رسل تايلران الواقعية هي اقل تطرفا من الطبيعية ولكنها شكل من اشكال الطبيعية (٢) . وهو في الوقت نفسه يعد المدرسة الطبيعية مختلفة كل الاختلاف عن الواقعية لانها تصوير دقيق للواقع يضم بين ثناياه دقائقه وتفصيلاته مهما تكن هذه الدقائق والتفصيلات وحشية مرعبة مفزعة مقذعة ... بينما الواقعية لا تهتم بهذه التفاصيل كل هذا الاهتمام ، فهي على اهتمامها بالشجرة تهتم بالغابة ايضا لان عزل الشجرة عن الغابة يضيع علينا صلتها بالغابة وبالتالي نكون قد ابتعدنا عن الشجرة والغابة معا . على ان ذلك لا يعني ان التفصيلات هي كل شيء في الطبيعة وقد رأى مدى خطر هذه التفاصيل على مستقبل المذهب « زولا » ابو الطبيعة ولذلك قال في « اني اتهم » : ان التدقيق في واقعنا اليوم ينبغي ان يتبع بنظرة على تطورات الغد (٣) . ومع ذلك فان الطبيعية في رأي « فشر » مذهب يحتمل الانتكاس كما حدث بالقياس الى هوبتمان وسترندبرغ (٤)

الا ان سترندبرغ يرى في مذهبه رأيا اخر غير آراء هؤلاء فهو يقول في مقدمة مسرحية « الآنسة جوليا » : « الطبيعي الفى الخطيئة ... لكن عواقب العمل (الفعل) ـ العقاب ، السجن او الخوف من ذلك هذه الاشياء لا يستطيع الطبيعي ازالتها » (٥) . ومن ثم ـ فان الغاء الاثم لا ينفي عواقبه التي تنبثق تلقائيا منه ، ومع ذلك فان السعادة على حد قول سترندبرغ ـ هي الغرض الوحيد من الطبيعية. ومن هنا كان التناقض حتميا بين التراث الروماني المفعم بالاسى والضعف والانحلال ، وبين الطبيعية التي تنشد اناسا اصحاء اقوياء. كنماذج صالحة ، جديرة بالعمل الفني في عصر انحلال الرومانسية ان الميزة الرئيسية في مسرح سترندبرغ هي تكثيف الصراع بين الارادات المتباينة ، وحصرها بين (شخص واحد يصطرع ـ في عقله ـ مع شخص آخر) (٦) . وهذا يعني في المدى المسرحي ـ فصم العرى مع العلاقات التلقيدية وخلق اوضاع جديدة تتسم بعلاقات غير العلاقات التقليدية التي تدفعها القيم الفردية المتبلورة في المشاكل الاخلاقية الكبرى ... وذوبان كل هذه القضايا في الجو المحموم من الانحطاط العام المسيطر على الطبقات التي لم يعد لها مكان تحت الشمس ، كالارستقراطية التي فقدت مقومات وجودها ، والبرجوازية الكبيرة التي حلت محلها والطبقة المارجحة ، التي هي لا الى هؤلاء ولا الى اولئك ... هذا الذوبان يوحي لنا بان (سترندبرغ ينتمي الى القرن العشرين بقدر ما ينتمي الى القرن التاسع عشر ، فهو مسجل حي للزلازل ، يستطيع ان يشعر بمقدم القرن العشرين ، بما اخذ يتجمع في جوه من بغضاء ووحشية وعودة الى همجية الجاهلية وشريعة الغاب) . (٧)

ففي مسرحية « الآنسة جوليا » نجد انهيار الارستقراطية تاما ، بانهيار جوليا نفسها وتسليمها لاعز ما تملك الى خادمها ... الذي يجفل لا من صوت سيده بل من رؤية حذائه .. ان جوليا ارستقراطية ضعيفة لانها امرأة عاطفية سقطت عنها الاقنعة حين وجدت نفسها امام رجل كله فحولة ، وهكذا اصبح جان هو الارستقراطي ، واصبحت جوليا هي الخادم المطيعة ، بل العشيقة المتهالكة على جان تهالك الفراشة على السراج الوهاج فالارستقراطية حين تحاصر في شخص المرأة من قبل قوى متفوقة لا تلبث ان تنهار سريعا ... لسبب واحد معقول وهو ان الارستقراطية قناع غير انساني ، وان الوجه الحقيقي للانسانية قوة جبارة تستطيع متى اهتدت بهدى فطرتها ، تمزيق هذا القناع شر ممزق . وهكذا كان سقوط جوليا امرا محتوما لانه امر طبيعي متى ما ادركنا الجانب الانساني من المسألة .

ومع ذلك فان هذا السقوط ليس سوى صحوة ما ان تلاشت حتى عادت غفوتها اليها . واذا بها لا ترى طريقا غير الانتحار تخلصا من العار الذي ارتكبته على حين غفلة من الزمن . وانتحار جوليا هو انتقام للارستقراطية من نفسها .. ومعنى ذلك ان الارستقراطية .. في المفهوم (النبيل) من الكلمة في الطريق الى الانحلال في ضباب الجحيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفاغر فمه في فساد العلاقات ، في اضمحلال ما يمكن ان يسمى تراثا ، في تصدع الكيان الاجتماعي في تمزق الصلات في مختلف مناحيها واصنافها . في الانحدار السريع المفجع الى آلية القرن العشرين هذا الانحدار الذي كتب عنه يوجين اونييل مسرحياته .

ومن الصلات الارستقراطية المنهارة يمكننا ان ننتقل الى الصلات المتوترة الفظيعة في الاسرة البرجوازية الصغيرة في مسرحية «الاب» ومع ان الاب صورة طبق الاصل عن سترندبرغ نفسه ، فان المشاكل العائلية التي لا يمكن ان تجد لها حلا ، لوجود الصراع الابدي بين الذكر والانثى وارتفاع شان المراة في المجتمع الجديد ، وبسبب من تخلخل العائلة البرجوازية بسبب سوء تنظيمها الاجتماعي ، كل هذه الامور مجتمعة تجعل الاب من الناحية المسرحية تعبيرا صادقا امينا عن وحدة المجتمع الاوروبي الجديد التكوين ، او بالحري خليتها التي تسمى (عائلة) وهي في حقيقة الامر ، كما بين ذلك بصفاء عجيب ، سترندبرغ ، الكاتب الملهم ـ ليست الا جمعا اعتباطيا لا شتات لا يمكن لاي نظام يستند الى التفاوت الطبقي ـ ان يلم شملها ويبعث فيها الحياة ، ويخلق منها وحدة عضوية ، منسجمة ، متجانسة ، تكون في حقيقة الواقع خلية حية في جسم المجتمع الحي ..

ومع ان وحشية المراة في « الاب » مبالغ فيها ، الا ان عوامل الصدق والامانة والاخلاص للواقع ، بارزة تسحر كل من يشهدها او يقرؤها ـ باصالتها وحيوية موضوعيتها وقدرتها الاقناعية .. اما في « عيد الفصح » وهي مسرحية كتبها بعد « الاب » و « الآنسة جوليا » بمدى طويل من الزمن ... فان عوامل الانفعال العاطفي والاضطراب النفسي تكون قد تلاشت ، بعد تلك الحماسة التي كان يلجا اليها سترندبرغ في مسرحياته المبكرة نوعا ما ليأخذ مكانها هدوء ساكن ساج يميل الى شيء من البرود احيانا ، والى شيء من اللامبالاة احيانا اخرى ..

واذا عرفنا ان كاتبنا اصيب عدة مرات بنوبات من الجنون ـ فليست « عيد الفصح » اذن سوى تعبير وقتي عن فترة هدوء نسبية واذا عرفنا ان الشكوك والهواجس ظلت تساور سترندبرغ طيلة حياته .. صح لنا ان نتخذ من هواجس « عيد الفصح الكئيب » مقاييس تكاد تكون دقيقة لقياس نفسية سترندبرغ ـ في تقلباتها المختلفة ـ واصداء هذه التقلبات العنيفة . وعلى هذه الشاكلة يمكننا ان نكتشف عوالم جديدة ، في حياة سترندبرغ ـ التي كانت حياة خصبة عجيبة مدهشة ومؤسفة في الوقت نفسه وفي « السن » بطل مسرحية « عيد الفصح » يمكننا ان نتلمس شخصية سترندبرغ في تبجحه المغرق الانانية وغيرته التي لا تحدها حدود المعلم السن هو نفسه سترندبرغ ، حين كان يدرس في « كلارا » وهذا واضح في حديث السن مع خطيبته كريستينا بعد ان يكون قد نزع معطفه الثقيل يوم الخميس قبل عيد الفصح بيومين : « تعرفين انه ثقيل كانه امتص كل مضايقات الشقاء وكل العرق والغبار » ومن ثم فحق له ان يرغب في حمام الشمس بعد كل ذلك الظلام القذر . « ها ان الربيع مقبل بكل روائه وجماله وعافيته ، ها ان الرياح تحي الطيور واحراج والحقول واشجار الزيتون » تحي التلال والجبال والانهار والبحيرات . الحياة تنتعش في كل الاشجار الا اشجار الزيزفون التي يعنى بها السن فانها على ما يرى ستظل تنوء بشتائها القاسي ردحا اطول من الزمن لان الغيمة السوداء التي تخيم على كل شيء في هذه البلدة النائية ، على الطبيعة وعلى الحياة ، لن تفارق اشجاره ... وسيتكرر ما تكرر في السنة الماضية .

وعلى حين فجاة ـ فرت خطيبته منه ـ وهي لا تدري لماذا ؟ والى اين ؟ ثم عادت وهي لا تدري لماذا انها فعلت ذلك انها تعتقد ان شيئا ما في داخلها قال لها : افعلي هذا ، ففعلت . لقد كانت في حلم او شبه حلم ، ولكن مرآه غير الوضع ، فاذا هي تستيقظ من هذا الحلم سعيدة الا ان هذه السعادة لا تدوم طويلا لان « لند كنست » الدائن ظهر فجاة على مقربة من الشباك الذي كانت تتخلله كريستينا بناظريها فتنهار على ركبتيها مرددة : كلا ! هذا شيء كثير فيرد عليها السن : « دائنا ـ الذي يستطيع ان يستولي على كل ما تملك حينما يشاء . لند كنست الذي جاء الى هنا حتى يستطيع ان يقبع في بيته كما يفعل العنكبوت وهو يرقب الذباب » وحين يشتد ضعف كريستينا ويستولي عليها الفزع من مغبة الامر ، تناشد خطيبها ان يفرا معا من هذا الاخطبوط ، لا العنكبوت كما تصوره ايس ، غير ان ساعة الضعف هذه تملأ قلب السن بالشجاعة والجراة والتحدي ، فهو لا يطمئن خطيبته حسب ، بل يمعن في التحدي الى حد قوله : « استطيع ان اضحك عليه . يبدو وكانه ينظر الى نفسه بخبث وارتياح لانه يستطيع ان يرى فريسته في الشرك » .

انه لا يشك في وجودهم في البيت ، والباب مفتوح . وهو يخطو بهدوء وتثاقل في الممر المؤدي الى حيث يجلسون . ان كريستينا تتوسل بالسر ان يحول بين امه وبين الطارىء الثقيل ، لان كلمة منها قد تثيره ، ويكون ما قد يكون من سوء العاقبة . اما ايس ، فهو ـ على خلاف هذه الهواجس السود ـ يطير بخياله الى تصرفات لندكنست ، وكلماته وخاصة مثله الذي طالما اعتاد على استعماله : « .. هذه القضية قضية عدل اكثر مما هي قضية رحمة » . وحين تكون المسالة قد وصلت الى هذا الحد الحاسم لا يجد السن بدا من ان يعترف بهذه الحقيقة بقوله « .. انت على حق تماما ، يا سيدي . خذ ما تملك فهو يعود لك » .

غير ان طيرانه ذاك لا يستطيع ان يبعده عن الحقيقة الشنيعة ، حقيقة الرجل الدائن ذي المكاز و (الكالوش) الغليظ . الرجل موجود ـ في الواقع ـ الدائن قادر على هدم بيته بتعريته مما فيه ، بكلمة واحدة منه .. ولذلك سرعان ما يعود السن الى وعيه ويقول : لا ان الذين يملكون المال يحتفظون دائما بالمكازات والكالوشات التي تحدث وقعا في الارض كالمكازات : « ثم يمد يده الى كريستينا لتتلمس قلبه ويقول معقبا : « المسي كيف يدق قلبي . اني استطيع ان اسمعه كانه ضجيج باخرة في اذني » .

اذن اين هو الضحك الذي تبجح به ؟ اين شجاعته التي تباهي بها ؟ اين صموده الذي طالما ادعى بالتزامه ؟ كل ذلك تلاشى ، كما يتلاشى كل شيء مفتعل ، متكلف ، مصطنع ، حين يجد الجد ويصطدم الواقع بالحقيقة ! وفي الوقت الذي تخف فيه الازمة ، برجوع لندكنست عن مقصده الذي لوح به وعودته الى داره .. في هذا الوقت تهبط ايليونورا في البيت ، بعد سنة مرة قضتها في احدى المصحات ، مصحة الموتى .. ولهذا السبب بالذات ، يغفلها اهلها ـ على ما يذهب اليه بنيامين بينما هي لا ترى باسا في ذلك وتقول : « الناس لا يتحدثون ابدا عن الموتى » . انها ميتة بالنظر للناس وكيف لا تكون كذلك وقد اختلست شيئا من المال الذي اؤتمن عليه ابوها فكان جزاء ذلك ان خربت ذمته وسيق بسببها الى السجن ، وهذا امر لا يمكن اغتفاره .

ولكن ، لماذا يجب ان يضع الانسان ، كائنا من يكون ، القيود في يدي اخيه الانسان ؟ الا يجب ان يحرره من هذه القيود اذا وجدها في يدي اخيه ؟.. ان ايليو نورا لا تفكر في هذا التحرير الانساني الشامل حسب ، بل هي ـ وقد تطورت نفسها من ادران المواضعات الاجتماعية كلها ـ بعد العذاب الذي قاسته في (المصحة) تستطيع ان تقول متحدية كل شيء في هذا الوجود : « انا لا احسب حسابا للزمان او المكان . انا خالدة وفي كل مكان . انا في السجن مع الوالد ، وفي الصف مع اخي ، وفي المطبخ مع الوالدة ، وفي حانوت اختي بعيدا عن امريكا » . وفي هذا الذي تقوله ايليو نورا نجد الرقة متجسدة في معان صوفية صرف ، تعطينا مدلولات مسرحية مكثفة ، في الوقت

الذي يجعل سترندبرغ من هذا الصفاء الذهني طريقا لـه نحو مسرح صوفي وهو ما لم ينل منه ما كان يرجوه . ومن معالم هـذا المسرح الاستسلام والخنوع « فما لا بد منه ينبغي ان يكون ، اذ لا مفر مـن ذلك » وهذا ما تبديه ايليو نورا ، لكـن بنيامين التلميذ النجيب يتساءل : « الا يمكن ان تتبدل الحال ، فتكون خيرا مما هي عليه ؟»

بيد ان ايليونورا لا تجد معنى لهذا السؤال ، ولهذا تنتقل الـى موضوعات أخرى ، الى الموسيقى مثلا متمثلة في مقطوعتي « سبـع كلمات » و « يا اماه » احتضني ابنك » لهايدن اللتين ستعزفان فـي حفلة الغد .. وبينما هي في تهويماتها هاتيك ، تغطـي وجهها بيديها وتبكي . تبكي لانها بحثت عن الخير فجاءها الشر ، بحثت عن الضياء فاذا بها قدام الظلام . وهذا كله يحملها على ان تسأل بنيامين عـن طفولته ، وحين يجيبها بان طفولته كانت صعبة او هـو لا يعرفهـا ويقابلها بالسؤال : « وانت ؟ » ترد عليه بهـذه الكلمات المعبرات : « لم تكن لي طفولة ، ولدت طاعنة في السن ، ولدت وانا اعرف كـل شيء وحين علموني اي شيء ، فكأن ذلك الشيء لم يكن غير تذكر مـا سبق ان عرفته » . وهكذا يضيع الزمن في ذات ايليونورا ، واذا هي شابة عجـوز !

وفي اخر لحظة يغير السر رأيه في الذهاب الـى حفلة صديقه « بيتر » هذا تغيير غير متوقع ، ولكنه مسلك السر الـذي لا يعرف الاستقرار او الاتجاه ، لان صاحبه على حد قوله قشة تتقلب علـى نفسها في عاصفة هوجاء ، لانه وقد اطبق السجن على الوالد لـم يعد له في يوم الجمعة العظيمة نفسها ما يغير طبيعة وجوده القلقة . نعم ان الاوراق احيلت الى محكمة التمييز ، ولكن مـا الفائدة والاعتراف بحد ذاته كان فضلا عن الشواهد وادلة المادية ؟ ماذا ينفعه ان يقـرأ ملفات القضية مجددا ، ان الكلمات غدت كالاشواك كلما اقترب بناظريه اليها . والسر لا يجد في الكلمات اشواكا بل في الناس ايضا ، ولهذا فهو يريد الظلام مخيما عليه وعلى خطيبته ، لان ذلك يحجبها عـن انظار الناس ، وبشيء من هذه المعاني تحدثـه خطيبته ، ولكنه لا يعترف بمملكة الظلام ، ويقول : « .. ان الامور تعسة كيفما نظرت اليها » ويجري الكلام عن الوالدة ، فاذا بالخطيبة تعرف انهـا تقاسي اكثر مما يقاسيه الجميع ، ولكنها لا تعرف السبب في ذلك ، وهـذا ما يدعو السر الى توضيح الامر لها بقوله : « انها تفعـل كـل مـا تستطيع فعله لكي تخفي الاهانة التي اصابتها . وهذا ما يجعلها غيـر قابلـة للناس » .

الوالدة هذه ذات الاعصاب المعطوبة ، تاملها وهـي تحدث ابنها السر وعن من ؟ عن لندكنست الذي يريد ان يزورهم وفي تلـك الليلة بالذات ، تاملها وهي تقـول : « سألني كيف الاحـوال . وتصور مشاعري عندما سألني فيما اذا كان من الممكن ان يزورنا هذه الليلة». مسكينة ماذا كانت تستطيع ان تفعل ؟ انها ان لجأت الـى السكوت فيكون ذلك ذريعة بيده ، والسكوت من علامات الرضا ؟ وعلـى الضد من ذلك ايمكن ان ترفض زيارته والقانون بجانبه ، القانون الذي لا بد لنا اجمعين ان ننحني لـه بكل احتـرام وخضوع واحتراس . ان لندكنست يستطيع ان يفعل كل شيء ان يأخذ الاثاث مثلا ويعري البيت من كل شيء : هاجس يخطر على بال السر فينطق به كلمات . الا ان هذه الكلمات لا يمكن ان تكون مقبولة باي حال من الاحوال عند الوالدة، فاذا بها تثور وتزار وتقول : « لا يجب ان يأخذ الاثاث . كيف يمكـن ان نعيش اذا اخذا اشياءنا منا ؟ انستطيع ان نعيش في غرف فارغة ـ لا ببساطة لا نستطيع ؟ » وهنا لا يفعل السر شيئا غيـر ان يتمثل بآيات من الانجيل ، كالآية « للطيور اعشاش وللثعالب اوجار .. » ولا يختتمها متقصدا بل يضيف من عنده « ثمـة اناس لا مأوى لهـم يعيشون في الغابة » .

ويمضي السر في حديثه فيلتفت الى صديقه « بيتر » وهو بعيد عنه في حضرة الحاكم ومعيته ، والحاكم فـي حفلته الضيف الاول ويقول : « ليس عبثا ان اسمه (بيتر) هذا ما يبدو لي . « والاشارة هنا تلميح واضح عن تنكر بطرس لسيده يوم محاكمته المشهورة هـذا التنكر الذي كان الشاهد عليه الديك بصيحاته الثلاث . غير ان هذه المرارة التي ابداها السر لم تمض من غير ملاحظة امه الحكيمـة حين قالت : « لا تدع نفسك ضحية لكل هذه المرارة . ان الناس هم الناس ويجب ان تأخذهم على ما هم عليه » . وفيما هما في هم من امرهما ، يسمع صوت طرقات المكازة ووقع الكالوش ، فيناشد السر والدته ان تترك المكان ، غير انها تصر على البقاء ، وتتمثل بآية اخرى من الكتاب المقدس « ملعون اليوم الذي ولدت فيه » وتردفهما باخرى امعن فـي التشكي وابعث على الاسى وامضى في التأثير . ثـم ان الاثاث هـي الضمان الوحيد لديون صاحب المنزل ، فماذا سيفعل بهم وقـد مضى الاثاث الى غير رجعة ؟ ومع ذلـك فان السر لا يمكن ان يرى فـي لندكنست غير عملاق طيب القلب لا يريد الا ان يكون فزاعة للاطفال . اما ايليونورا المتصوفة فهي لا ترى معنى لوجود الاثاث فـي بيتهم ، لانها تعتقد انهم لا يجب ان يملكوا شيئا يربطهم بهذه الارض » ذلـك « اننا ينبغي ان نهيم على وجوهنا فـي الطرق الصخرية باقدامنـا المتألمة ، لان (الطريق) تقودنا الى الاعالي ، ومـن اجل ذلك فهي طريق شاقة ومتعبة » .

غير ان الشيء الذي يعز على ايليونورا مفارقته هـي الساعة ، تلك الساعة العجيبة التي تسرع في وقت المصائب والمحن ، وتبطيء في اوان السعادة والهناءة .. لانها تريد ان تدفع الاوقات الصعبة باسرع ما تكون السرعة الى الخلف ، كما تتشبث باوقات المسرة لانها تريد ان تطيل من حياتها حتى يتمتع اصحابها بشيء مـن السرور . ويلحظ بنيامين فيما يلحظه ان ايليونورا متشائمة اقصى ما يكون التشاؤم ، لا ترى في البكاء غير الحل الوحيد لمشكلات الساعة فيسألها : « لماذا يجب ان نبكي دائما ؟ » فتجيبه ايليونورا : « اذا نحن لا نبكي فـي وادي الدموع هذا ، فاين نقدر ان نبكي ؟ »

ويأتي سبت الفصح والجماعة هم هم ، لا تغيير يحصل ، قطعة هايدن « الكلمات السبع » تتلاشى في الجو بتمهل وهدوء .. اخبـار سجن الوالد تأخذ مكانها المرموق في الصحافة واسلاك التلفون ترن ، وتتساءل ايليونورا : « أليس هذا مرعبا ؟ » فيسأل بنيامين : « ما هو المرعب ؟ » فترد عليه ايليونورا بقناعة ما بعد قناعة : « كـل شيء . الحياة نفسها مرعبة .. انظر الـى السر وكريستينا انهما شغوفان ببعضهما ، وهما ـ في الوقت نفسه ـ يكرهان بعضهما بعضا » . وهذا امر ثابت فما ان قرأ السر ملفة المحاكمة حتى اخذ كل الشر الذي فيها ينحدر الى روحه ، فظهر ذلك جليا في وجهه وفي عينيه .. ولكـي تحول كريستينا بين هذا الشر وبينها ، كي لا تتدنس روحها ، نراهـا تتسربل بدرع من جليد . غير ان ايليونورا هذه التي تسببت فـي سجن والدها ، سهت حين اشترت باقة النرجس عن تسليم ثمنها الى الباعة يدا بيد ، وقد يكون لهذا السهو عواقب ، واذا حدث ذلـك ، فماذا ؟ هل انها ستقاد الى ذلك المكان الذي لا تشرق فيـه الشمس ابدا ، حيث الجدران بيض عارية ، كأنها جدران الحمام ، حيـث لا يسمع غير العويل والنحيب ، حيث اضاعت سنة من حياتها سدى هنـاك .

وتأتي رسالة من المصحة تتضمن طلبـا بارجاع ايليونورا ..

(١) مقدمة مسرحيات « الاب » و « الآنسة جوليا » و « عيـد الفصح » : بيتر وطس . (٢) المعجم المسرحي . ج. تايلري . (٣) ضرورة الفـن : ارنست فشر . (٤) المصدر السابق . (٥) مقدمـة « الآنسة جوليا » سترندبرغ . (٦ و ٧) المسرح الحديث : اريـك بنتلي . (٨) منطقة في السويد مشهورة بحكايا الاشباح والمردة والجن .

وتفضها الام وتنقل الخبر الى ابنها . فاذا هما يصعقان، من هول النبأ. صحيح ان ايليونورا ـ على حسب رأي الوالدة ـ كانت ابنة الاحزان ... غير انها جلبت معها سعادة ليست من هـذه الارض ، وتحول قلقها الى راحة وسلام .. سلام نثرته على الجميع . قد تكون الفتـاة مجنونة او غير مجنونة ، المهم انها حكيمة ـ بنظر الوالدة لانها تعرف كيف تحتمل عبء الحياة بطريقة افضل منها او مـن اي مـن افراد العائلة . والجنون ! ما معنى الجنون ؟ أكانت الوالدة عاقلة حين اصرت على الاعتقاد بان زوجها كان بريئا ؟ بينما استند الحكم عليه الى ادلة مادية ملموسة ، فضلا عن الاعتراف الشخصي ؟ ثم اليس آلس نفسه مجنونا عندما يعتقد ان كريستينا الذي يمحضها كل ذلك الحب تقابله بكل ذلك البغض ؟ المسألة اذن مسألة نسبية محض فما قـد يسمى جنونا عند بعضهم يصح ان يسمى تعقلا ورزانة عند الغير ..

ثم تلتفت الوالدة الى الجريدة التي بين يدي ابنها فتطالبه بهـا ولكنه يمتنع لحظة فتقول له : « مـم انت خائف ؟ ماذا تنتظر ؟ » فيجيبها : « انتظر اسوأ ما يكون السوء » فتضيف الوالدة على قوله ذاك : « حدث هذا عدة مرات من قبل . اواه ! السن لو كنت تدري ما كانت حياتي تشبه .. لو كنت معي ترقب والدك ينحدر الى الخراب خطوة خطوة » . اذن لقد ساعدت السيدة هيست زوجها في كل مـا اقترف من آثام ، انها كانت شريكته في فعلته تلك ، ولو لـم يكـن القاضي رجلا ذكيا منصفا ، يعرف اوصاب المرأة الزوجة ، ومـا يؤول اليه البيت ، اذا افتقد الى حاميته ، لكان الحقها بزوجها ، ولرماها في الزنزانة كما فعل بزوجها . هذا الانحدار امر مسلم به ، لانه واقع لا يدفع ، ولكن ـ يبقى السؤال ـ وهو ما فطن اليه السن ـ يبقـى السؤال متعلقا في الجو المشحون بكل الانفعالات المكهربة : لماذا كان هذا هكذا ؟ لماذا انحدر الرجل النزيه ؟ انه انحدر ، لان عاطفـة الكبرياء ملأت جوانب نفسه ، واستولت علـى مقومات شخصيته ، وملكت قياده ، فلم يستطع لها دفعا ، ولذلك لم يجـد غـير الطريـق التي استطرقها .. طريق الناس المذنبين !

وبينما السيدة هيست وابنها يتحاوران ، اذا بالاخير يسمع وقع خطوات لندكنست ، انه آت حتما لزيارتهم .. لماذا لا وكل شيء هـو ملكه الخاص ؟ انه يستطيع ان يفعل بهم ما يريد كيف ومتى ما يريد، وما عليهم الا الطاعة والخضوع للقانون الـذي يعدل بين القـوي والضعيف ، بين الظالم والمظلـوم ، لان النـاس سواسية كأسنان المشط . ويأتي لندكنست الى البيت على الرحب والسعة لانه صاحبه، ويكون التلاقي بينه وبين السن وهو ما هو عليه من نيران تتأجج واعصاب تتحطم وانفاس تفور ، وعيون تتسع وتتقلص ، ولا يكتفي لندكنست بان يأتي الى البيت وحده ، بل هو يجلب معه ورقة زرقاء ليست بحاجة الى غير التوقيع ، ليتم كل شيء على وفق ما يقتضيه العدل والانصاف في المزاد العلني . ها هو لندكنست يريـه الورقة الزرقاء فيغتاظ السن اشد ما يكون الغيظ ويطلب منه ان يعرض المسألة عـلى الجهة المسؤولة حتى يتدارك هذا العذاب الطويل المؤلم .. انه قـد يكون صغير السن ، غير انه لا يطلب الرحمة ، انما كل ما يطلب هو العدل وهذا حسبه . غير ان لندكنست لا يرى هذا الرأي طبعا بل هو يجـد نفسه هو المظلوم لا الظالم المعتدي ولهذا فهو يقول بتأثر ظاهر «.. لقد سلبوني ـ سلبوني مالي بطريقة اشد ما تكون بشاعة . ولما كتبت اليك سائلا اياك المدة التي انت بحاجة اليها اجبتني بخشونة » .

وعندما يصر السن على انه لا يطالب بشيء غير العدل ، ينبري له لندكنست ويقول : « الا تدرك ان العدل اذ جرى مجراه لربما حكم على والدتك بصفتها مشاركة في الجريمة ، وللدلالة على صدق دعواه يقدم ورقة زرقاء اخرى ، وهنا يسقط في يدي السن من رهبة الموقف. ويقف لندكنست خطيبا مبررا موقفه ويقول : « والآن اندرس يوهان لقد كنت المولود في الفقر والناشيء في الحرمان والكدح ، أمن الحق، وانت في الشيخوخة ان تحرم نفسك واطفالك من المال الذي حصلته بكدك وبعد نظرك ونكرانك لذاتك وادخرته فلسا فلسا ؟ » ويستمـر لندكنست في هذا التشكي حتى يستدر عطف السن الى حد القول : « لن اتشكى ، سافكر في اطفالك » .

أرأيت كيف يكون الجواب المفحم والـرد المسكت ؟ أرأيت كيف يمكن لكلمات قليلات ان تعبر عن ادق المكنونات وبسخرية بارعة لاذعة ؟ ويحرج الرجل فينتقل الى موضوع آخر فيقول متسائلا : « اذن انت لا تعرف المحافظ ؟ » فيجيبه السن : « كلا ، وانا لا اريد ان اعرفه » . ترى كيف تكون انفة اذا لم تكن هذه ؟ كيف يكون الاباء اذا لم يكـن هذا ؟ ثم يغير السن الموضوع مرة اخرى وقبل ان يتم ذلك الغير يفطن لندكنست لتبجح السن وشدة شيمته واعتزاله الناس حتـى اقـرب اصدقائه ـ فيقول له محذرا : « عليك ان تكون مؤدبا معي ، لاننـي ضعيف لا حامي لي ـ انت ترى ان الرأي العام بجانبك ـ بينمـا ليس بجانبي غير العدل » . ويبدو هذا الضعف في اوضح معانيه في اصرار لندكنست على السن بمواجهة المحافظ ولكـن الاخير يظـل متشبثا بعناده ، غير أن هذا العناد سرعان ما يذوب عندما يلوح له لندكنست بمواجهة والدته .

وهنا يتبدى ضعف السن الذي يتأتى من مأساة والدته العميقة.. ثم يتطرق لندكنست الى خيانة بيتر ولكنه يبررها بما أوتي من حكمة عملية بقوله : « .. حسنا ، كان خائنا ، لقـد صاح الديك مرتين اليس كذلك ؟.. ان الطبيعة البشرية ليست موضع اعتماد : كان بيتر خائنا ، انا لا ادافع عنه . لكن القلب البشري لا يسبر غوره فهو مزيج من الذهب والنفايات » . ويتقرب لندكنست الى السن اكثر فاكثـر ويعود الى مثله المعاد ، لا بد لكل شيء ان يتم حواره المحدد له ، السن يؤكد هذا ولكن لا بد ان يكون هذا الشيء شرا ، ولهـذا فالخيـر لا يجازي الا بالشر ويرجع لندكنست الـى القضية ، موضوعة البحث ويتساءل عما يملكه السن من رصيد في المصرف .

ولما يعترض الاخير عليه ، بان هذا امر ليس مـن شـانه يثور لندكنست ويقول : « السن ! السن ؟ ألم تكن هناك ، تأكل وتشرب في حين كانت ثروة ابنائي تبذر هنا في هذا البيت ؟ » وعنـد هـذا الحد ينفجر آلس ويقتطف من دفتر الصكات ورقة ويسجل فيها كـل ما يملكه من رصيد لتغطية الدين الذي يتبقى في ذمة العائلة بعد بيع الاثاث ، ويقدم الصك الى لند كنست قائلا : « .. هاك كل ما املك . ليس لي شيء اكثر استطيع ان اقدمه » . ويتبين لندكنست الصك ، فاذا بالمبلغ الذي يتضمنه لا يسدد الدين بالتمام والكمال . وعند هذا العجز الذي بدا واضحا ينهض لندكنست منتصرا متعاليا ، مؤمنـا بقوته التي لا تقهر وبأسه الذي لا يخيب . انـه متمكن من فريسته فليرم بشباكه وليقل : « ها هو انداري ، لك الخيار . اما ان تشكر بيتر او تدفع المبلغ كاملا » ويرى السن نفسه في حيص بيص ، فـي المصيدة الملعونة ، في شباك السفالة والغـدر ، ويركض كأي ابي . ويمتنع عن ان يتنازل عن كبريائه قيد شعرة . لانه ان تنازل عنها انحدر وانزلق وتدهور ، واسرع بكل ثقله الى الهاوية . حيث الخواء حيث لا شرف ولا كرامة ، ولا اباء ، ولا انسانية ولا روح ولا وجود . الخواء الاسود ، العدم المطلق ، ضياع كل شيء .

وتثمر هذه الصلابة ثمرتها فاذا بالعملاق من (سيكنار فسبرغ) (٨) يتحول انسانا اعتياديا له قلب يذكر الفضل والمعروف والجميل ، واذا بهذه القوة القهارة ، بالمال الذي يهز الجبال ، ويلوي الرقاب ، ويبكي الرجال ، ويقلب الخير شرا والشر خيرا ، هذه القوة الخفية الظاهرة تنهار قدام صمود آلس . واذا بالرجل يعترف بما كان عليه ايام زمان فيقول : « .. كانت ليلة مظلمة ولم املك غير كرونر واحد . ولما كنت لا اعرف اي فندق رخيص ، سألت المارة ولكن احدا منهم لي يجبني . وبينما انا في اعماق اليأس . جاءني رجل وسألني لماذا ابكي .. كانت

في ذكرى شوقي

القيت في المهرجان الذي اقيم في سان باولو بمناسبة مرور مئة سنة على مولده

مارد الشعر في رحاب بيانه ... ذكرك اليوم ذمة من زمانه
حب جيل نكنه في الحنايا ... خمرة الحب عتقت في دنانه
كنت انقى من الدموع شعورا ... في براح الهوى وخفق جنانه
كنت أقوى من الخطوب رياحا ... ان طغى الخطب في مدى هيجانه
كنت دنيا من الروائع أعلت ... مسرح الشعر في ذرى انسانه
لم يعبك ارتداد كبرى تحدى ... سالف الشعر في أعز افتنانه
اذ وصلت القريض عصرا بعصر ... وأتيت الجديد قبل اوانه

يا رسول الوئام في شرقنا العاني ، ويا خطيبا معبرا بلسانه
قم اليه فقد دهته رزايا ... عاصفات تدك من بنيانه
مزقت شمله وهزت قواه ... فتداعى بالضعف من أركانه
أفسدت قولك المخلد فيه ... اذ قسمت الشعور في ميزانه :
« كان شعري الغناء في فرح الشرق وكان البكاء في أحزانه »
أين ؟ أين الغناء في فرح الشرق ، وسيل الخطوب أودى بشانه ؟!

شعر شوقي رسالة من سماح ... سار فيها على هدى قرآنه
فتجلت سماوة الوحي تطري ... شرع عيسى وتنبري لصيانه
فترى الرفق توأما ليسوع (١) ... والمؤاساة فضلة من بنانه (٢)

نحن في غربة المهاجر نسعى ... بطموح نجد في ميدانه
نوثق العهد بالوفا لبلاد ... غمرت سعينا بوفر امانه
وأتاحت لجهدنا كل عون ... فاستحقت ثناءنا بامتنانه
فالبرازيل موطن الرفد فيه ... أفسح الله جنة من جنانه
فسلام على مضاف اغتراب ... عهد شوقي يمور في أمازونه
غير ان الغريب باق يعاني ... من حنين يعب من حرمانه
زائرا بالخيال أرض رؤاه ... مدرج الطفل جوهر في كيانه

(١) اشارة الى قول شوقي في ميلاد يسوع : « ولد الرفق يوم مولد عيسى ... »
(٢) اشارة الى قول شوقي مخاطبا الصليب الاحمر :
« والمس جراحات البرية شافيا ... ما كنت الا للمسيح بنانا »

نسيم نصر

الدموع تترقرق في عيني . وحين ابلغته بمتاعبي ، اخذني الى فندق، وحينما كنت داخلا الى قاعة الفندق حدث ان انطبق علي الباب الزجاجي ، ففرب منكبي وانكسر الزجاج . وجاءني صاحب الفندق مهددا اما ان ادفع الغرامة او يسلمني الى الشرطة .. وتدخل الصديق المجهول الذي رأى كل شيء فانقذني » .

ويستطرد لندكنست بانسانية جارفة فيقول : « .. الرجل .. كان الرجل اياك .. واذن لا بد لكل شيء ان يتم مداره . الاشياء الخيرة ايضا » . ثم يتطرق لندكنست الى اليونورا ويقول مقارنا بين عينيها وعيني والدها : « لك عينا والدك الرحيمتان . كان الرجل انسانا طيبا ، لكنه كان ضعيفا ايضا » . وهذا القول امر مدهش بالقياس الى ايليونورا ، انه يتكلم كلاما طيبا عن ابيها ، كيف تتصور ان احدا ما يمكن ان يظن خيرا فيه ؟ وينتصر الخير في الانسان على الشر الذي فيه ويصعق المال من هذا الانتصار فيولي هاربا مرتجفا خائبا .

بغداد

يوسف عبد المسيح ثروة

جميـل منصور حـداد

بقلم شكر الله الجر

* * *

هو واحد من عشرات الشعـراء المتحدرين مـن اصلاب لبنانية وسورية تجري في عروقهم قطرات الندى المتجمدة على جبين الشرق دما ذكيا حارا يشع بالنبوغ والحيوية..

فهناك سلمون جورج شاعر تقهقـه العاطفة فـي الفاظه وتزدهي المنابر بطلعته .

وهناك الشاعرة ديفا جبور ينتحب النسيـم فـي غدائر قوافيها وترقص اشباح المساء في ظلال معانيها .

وهناك فرنسيسكو كرم يحوم النحـل علـى ازاهر بيانه شعرا ونثرا وقد اشتهر بتصوير مشاهد (السرتون) يعني (مجاهل البرازيل) . وسواهم كثيرون منهم مـن احترفوا الادب وشاطوا اشواطهم فيه ومنهم من تنكبوا عنه واكتفوا منه بحلية جميلة يتقلدونها في المناسبات .

اما شاعرنا جميل منصور وقـد اخترناه لنتحدث عنه شاعرا رومنسيا مشى في موكب البيان كوكبا لامعـا ولا يزال يتحف الادب بخرائده الرائعة .

اشراب به الخيال الى مسارح الابداع فـي الشعر فتفتحت له ابواب (المجمع الادبي) في مدينة سان باولو ليتبوأ مكانة اللامعين بين اعضائه .

استهوته الطرائف الجبرانية فمال الى ظلها وقـد بهرته رقارق سحرية فيها . فما عتم ان طلع على محافل الادب « بالاجنحة المتكسرة » تتهادى بترجمة انيقة ولغـة شعرية رشيقة تدغدغ المشاعر فانسربت الى الاعماق من قلوب العذارى .. فكان من حظها الرواج المطلق فـي حقولهن المخصبة بالاحلام .. واذا باسم الشاعر يتـردد قبلا معطرة على الشفاه الموردة . ولا غرو بذلك فالمـراة البرازيلية اكثـر النساء تحسسا بالادب العاطفـي .. شفافة الرؤى رومنسية الخيـال .. تنتشي باللهـاث المتصاعد من القلب وتحترق على جناح الحب .

واي فتاة من فتيات هذا العصر في ذلك المقلب من الدنيا لم ترتشف من ثدي امها خمرة الحب .. ولـم تنطبع على شفتيها ثغثغاته وهي بعد رضيعة في المهد !

لقد ضرب الدهر شاعرنا باليتم من ناحية ابيه وهو في مطلع الصبا ، فاذا بالحياة مـن حوله مساء أرعـن خضيب ونغم مشوش غريب ..

وما ان مرت به فترة حتى أطل على دنيا الادب في البرازيل برائعة عنوانها « صلوات سوداء » ويا لها مـن صلوات تنبع مـن غابة الاحزان فـي نفسه ، انتشرت صفصافة كئيبة في ساحة الشعر مـن افانينها الفاقة واليتم . فجاءت طرفة من طرائف الادب الحزين . ومن يدري ان لا تكون البرود السود التـي تجلل أم الشاعر حدادا على ابيه هي ما أوحى اليه « بصلواته السوداء ».

كانت المسكينة في الربيـع الثلاثين .. (بلزاكية) النضج ، عطرية الفوح عندما اغتالت يد أثيمة زوجها وهو في الاربعين ، ففرشت دروب حياتها بالدم فاذا هي فـي عين الشاعر نصب قائم للحزن في أروقة بيته !

ومن مآسي الاقدار ان تتراكم غيـوم وغيوم علـى شمس الصبا في حياة الشاعر تنعكس ظلالها على عرائس افكاره فتبدو شاحبة ولكنها خلابة جميلة ترقص فـي شفوف من خيوط المساء ساعة الغروب .

واذا شئت ايها القارىء الكريم ان تربط بين شرقي الارض وجنوبها بين شاطئين، شاطىء الاتلانتيك وشاطىء بحيرة المتوسط ، فتعـال معـي لنمشي مـن غابـات (الامازون) في البرازيل الى غابات الصنوبر فـي بلـدة بعبدات من لبنان ، لاريك وجها من وجوه الشبه الغريبة بين شاعرين ؟ كلاهما عاش يتيما من ابيه وكلاهما وقـع على اوتار واحدة انغامـه الشجية فاسترق القلـوب واسترهف الاسماع .

ومن منا لم يقرأ « ارجوحة القمر » لصلاح لبكـي ورتل معه ترتيلة الشتاء في هياكل وحدته وغنى معـه اغنية الغياب :

يـا حسـن ذاك المـوعـد يمحو مـن العمـر غـدي ..

وله :

أخذت نفسي من حزن الشتاء وانزوت بـين ضلوعي وبكائـي
زفـرات النفس في وحدتها أنـا استغفر عنهـا كبريائـي
فالكآبـات علـى انواعهـا خطبتني واقامت فـي سمائـي

ولننتقل من حزن الشتاء فـي ارجوحة اللبكـي لنشاهد اعمدة الدخان تتصاعـد مـن صلوات منصور « كما تداعب الرياح أعمدة النار المتصاعدة مـن الاغصان اليابسة ، هكذا تلاعب الايام السنة الدخان المتصاعد من مجامر قلبي » . « كل شيء يصلي في هذا الكون حتـى البومة .. ان في نحيبها مـا يشبه الصلاة » .. « ان لزهور الربيع آلامها ودموعها فمن وخزات الشوك فـي اضلاعها الى قطرات الندى في اهدابها » .

ولنترك الآن حديقة الشاعرين لبكي ومنصور لنحل ضيوفا على الشاعرة الشقراء « ألزيرا فريتس » المتحدرة من والد الماني وام لبنانية تخاطب (كوبيد) وتنتظر بعد ان زارها مرة ان يعود اليها مرة ثانية فهي ما برحت تعلل نفسها بقدومه . قالت تحت عنوان : « لم تأت ... » :

« لقد أضأت المصابيح في بيتي الصغير ، وبسطت المائدة ، وجلوت آنيتي الفضية . وزينت جدران غرفتـي

بعد عام

ويمر عام
ولنهلة من نبعها تشتاق أسراب الحمام
فتطير ممسكة حبال النور نحو ربوعها
حيث الغصون تحن في شوق ليوم رجوعها

عبر البحار
نحو الرياض الخضر خلف افق تحجبها القفار
تمضي معطرة القوادم تمتطي متن الرياح
والنار تسري في الجوانح كلما خفق الجناح

قيد حديد
ناءت به مذعورة اشراقة الفجر الوليد
تلك الغيوم تراكمت دكناء في لون الشقاء
والبرق يطعنها فتجري من مقاتلها الدماء

مات الدليل
غاب الضياء فليس من هاد الى تلك السبيل
ويضل سرب حمائمي ما بين أطباق الظلام
وتلفه سحب الشكوك فلا وراء ولا أمام

هطل المطر
فخيوطه لحمائمي شرك .. وقد خسف القمر
الرعد يزعجها فتختلج الخوافق راعشات
والريش مبتلا كأطراف بقيد مثقلات

هل من رجاء ؟
هل دفقة من دفء تلك الشمس تسطع في السماء؟
فيجف تحت شعاعها مطر وينقشع السحاب
ويلوح ذاك النبع من بعد ويرتفع الحجاب

أين الفرار ؟
واذا بصاعقة تصيب شجيرة فتشب نار
واذا سناها يغمر الدنيا بأنوار عجيبه
رفعت عن السر الكبير ستار أوهام مريبه

سقط القناع
واستانست تلك الرؤى العذراء من بعد امتناع
وتراجع الاعصار فارتاحت من الشك القلوب
وبدا فراغ اليأس ممتلئا من الامل الطروب

الحق بان
وتلملمت طيات ذاك الستر وانحسر الزمان
وطوى المكان برفة من خافق سرب الحمام
ليحط عند النبع نبع وجوده من بعد عام

الجزائر — جمال مرسي بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالزهور ولكنك لم تأت .. »

« لقد رفعت على بوابة حديقتي اقواسا من الورد والياسمين ، وفرشت ممراتها بالسجاجيد الاصفهانية ، ثم تحليت باقراطي الماسية واساوري الذهبية وحنيت اظافري ، وحشوت بورق الغار وسائدي ، وعطرت بالطيوب ارداني وانفاسي ثم جلست في ضوء القمر انتظر قدومك ولكنك لم تأت .. »

« وغدا وما اقسى كلمة غد على قلبي .. وقد انحدرت عن قمة الصبا الى شاطىء الكهولة ، وبيضت الليالي غدائري السوداء وانطفأ بريق الرغبات في عيني.. من يدري انني يومذاك لا التقي بك مقبلا علي تعرك قدماك الورديتان رمال الشاطىء .. ولكن ولكن هيهات .. »

اجل ايها الناس ـ ان بمثل هذا اللهب المتصاعد يخلد الشعراء . ولم ار في الدنيا بلدا كالبرازيل تعددت الوان الشعر فيه وذلك ان لكل جالية من الجوالي الاجنبية التي نزلت تلك البلاد خصائصها النفسية ولمحاتها الوراثية تلمسها موزعة في نفثات شعرائها وقد تباينت طعما ونكهة وتنوعت مزاجا وخيالا فكان لشعرهم اصباغه الشيقة والوانه الآخاذة بلغة موسيقية واحدة يلفهم رداؤها وتشتعل بانغامهم ارضها وسماؤها .

جبيل ـ لبنان — شكر الله الجر

كان منبوذا ..

عاش طفولته وهو لا يستطيع ان يرفع رأسه الى السماء ليرى ما فيها من الاشياء ..

الاطفال كلهم كانوا لا يطيقون ان يتطلعوا في وجهه ، فان اقبل منهم نفروا عنه ، وان اراد ان يتحدث الى احدهم ابتعد عنه وتجاهله .

كانوا ، كل اطفال المحلة ينظرون اليه كشيء مجرد من الحياة ... مجرد عن الاحساس .. كأنهم كانوا ينظرون الى قطعة من جماد لا حس فيها ولا شعور ..

وكان يتألم ..

تؤلمه حتى الموت تلك النظرات الجارحة ، المتلئة بالتقزز والنفور ، التي كانت توجه اليه من كل اطفال المحلة .. وكانت تئن في قلبه كلما انفرد عنهم بنفسه ليستعرض في المخيلة نظراتهم الناقمة ، المحملة بالحقد ، والمشبعة بالاشمئزاز منه .

كان ضحية ..

ضحية الاقدار ..

ضحية ، كان من الممكن ان تضعها الاقدار في غيره لو انها ارادت ان تترفق به قليلا .. وكان من الممكن ان يكون احد هؤلاء الذين ينفرون منه ويحقدون عليه الضحية لها ..

ان قصته معنا تبدأ منذ صبيحة ذلك اليوم الرهيب .. يوما ، كانت الكآبة تغمره ، والمطر يتساقط بعنف وقسوة من جوف السماء لتجرح قطراته وجه الارض في كل مكان منها .. كأن السماء كانت في اوج غضبها وحقدها فراحت تصب لعناتها على كل هؤلاء الناس الذين تنالهم بأمطارها ..

واحدى النساء ، قامت مبكرة لتفتح باب بيتها حين وجدت على عتبته لفافة صغيرة من القماش في داخلها طفل صغير لا يتجاوز عمره البضعة أيام يبكي ويئن من البرد ..

اشفقت عليه ، واحسست له بالرثاء منذ اللحظة الاولى التي طالعها فيها وجهه .. وكان ينظر اليها من خلال دموعه الحارة ، النازفة من بين عينيه المورمتين من البكاء ..

وحملته بين يديها لتدخله الى بيتها ..

كانت هذه هي قصته ..

واستقبلها زوجها ، رأى الطفل بين يديها ، فاستغرب .. ثم ، فهم كل شيء منها ، ولان قلبه عليه كما لان قلبها هي من قبله ..

قال لها وهو يرفعه اليه قليلا ويتأمل الدنيا في سماء عينيه :

ـ ماذا سنعمل به ..

اخذته منه ، وضمته الى صدرها ، ثم راحت تتأمله للحظات ، وتساءلت :

ضحية الاقدار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حازم مراد

ـ الا تؤمن بان الله لا ينسى عبده؟

ـ اؤمن .. بالطبع اؤمن ..

اندفعت قائلة وهي تحتضن الطفل اليها كأنها تريد ان تدخله الى قلبها وتضعه فيه :

ـ الله قد حرمنا من الاطفال كل هذا العمر الطويل الذي قضيناه معا ، ثم اعطانا ما كنا نتمنى ان يكون لنا هذا الطفل ليكافيء به صبرنا ..

قال بعد تردد قصير وهو يدنو قليلا من الطفل ليتأمله :

ـ لكن ، ماذا سنقول للناس يا عزيزتي .. سيسألونك من اين جئت به .. بماذا ستجيبيهم لتسدي افواههم الجائعة الى الكلام ..

ردت بأصرار وهي تمسح عن الطفل ما تبقى من الدموع ما بين عينيه :

ـ لن يهمني ما يقوله الناس عنا .. لن يهمني كلامهم ، ويهمني اكثر ان يكون هذا الطفل لنا ..

ـ فلنكن واقعيين قليلا يا عزيزتي! قاطعته :

ـ ما الفائدة .. اننا متفقان معا على ان نبقيه لنا .. الا تريده انت ؟

ـ انى اتمنى ان نبقيه لنا ..

ـ اذن ، انس كل الناس . ولنقل لهم جميعا انه طفلنا ، اعطانا اياه الله ليجازينا على صبرنا الطويل ..

و.. مضت الايام ..

والطفل ينمو ويكبر ..

وحكايته تثير التساؤل في كل يوم مقبل ..

واستطاع الناس ان يتوصلوا الى الحقيقة ..

ابن حرام .. اسموه بابن الحرام ، وعرفته المحلة بهذا الاسم منذ ان عرف ناسها بقصته .. واخذت الحكايات الكثيرة تروى عنه .. كل واحد في المحلة كان يحوك عنه حكاية ..

وكل الحكايات كانت تقف لتجرح في قلب المراة والرجل اللذين كانا يحاولان ان يبعدا تلك الحكايات عن الطفل لئلا تثير في نفسه ما اثارته فيهما من الحزن والتعاسة ..

واستطاعا الى حد ما ان يبعدا الحكاية عنه ..

لكنه ، حين كبر .. واصبح عمره بضعة سنين ، استطاع ان يعرف اشياء كثيرة كانت تدور في جو من الغموض من حوله ، واستطاع ان يقدر ان هناك اشياء يخفيها عنه والده وتشاركه فيها أمه .

وان ابتعاد الاطفال المحلة عنه كلما اراد ان يلعب معهم له سبب .. وان

زجر الامهات لاطفالهن كلما يرونهم يقفون معه في الشارع له سبب .. وان بغض الاطفال ومقتهم لـــه لا يمكن ان يكون من غير سبب .

حاول ان يعرف .. ان يفهم كـل هذه الاشياء الغريبة التي كانـــت تدور من حوله دون غيره من اطفال المحلة ..

ولم يستطع .. ثم ..

ذات يوم ، كان عائدا من مدرسته الى البيت حين تصدى له احد صبية المحلة ليوقفه ، فوقف في مكانه ينظر الى الصبي بنظرات وجلة يمزقهـــا الخوف ..

وقال له الصبي وهو ينهره :

ـ اسمع .. منذ اليوم لا نريـد ان نراك في محلتنا . .

استغرب وطافت فوق وجهـــه علائم الحيرة من موقف الصبي منه ، ورد عليه بتخاذل :

ـ لماذا .. انى لم افعل لكم اي شيء ..

ـ بالطبع لم تفعل لانك لن تستطيع ان تفعل اي شيء لنا .. نحن اشرف منك ، وانت ينقصك ان تكـــون شريفا مثلنا لتقف معنا ..

ـ سامحك الله ..

صاح به الصبي وهو يسحبه من ثوبه اليه ويستعد لصفعه :

ـ حسنا ، قل لي .. من هي امك؟

ابتسم ، كأنه يشفق على الصبـي الذي يجهل من تكون امه ، ورد :

ـ امي .. امي تلك المراة التـي تراها في بيتنا .. هل حقا لا تعرفها؟

ضحـــك الصبي بكل شهيتـــه للضحك ، وقال :

ـ ليست امك تلك المراة .. وامك امراة اخرى .. امك لا احد يعرفها، واما هذه المراة فقد عطفت عليك يوم ان راتك تنام في الشارع واخذتـك لها ..

ـ وانت لا اب لك .. لعل اكثـر من رجل قد تعاونوا على تكوينك ..

ـ كلا ..

ـ انت ابن خطيئة .. ابن حرام .. ابن ..

ـ كـلا ..

ـ انها الحقيقة ، ومن اجل هـذه الحقيقة فاننا لا نريد ان نراك بيننا بعد اليوم في المحلة ..

انفلت من قبضة الصبي ليعدو الى بيته والدموع تغرق عينيه ..

وابتدأ يتعذب ..

عذبته افكاره القلقة المعلقة ما بين ضآلة تقديره للكلمات التي سمعهـا من صبي المحلة وما بين خوفه مما قد ينجم عن تلك الكلمات ..

واخذ القلق يذوب له انفعالاته في بركة من الخوف ..

ولم يأكل شيئا في ذلك اليوم ، وصعد الى غرفته ليدفن اوجاعـه كلها في فراشه .. وبكى ..

لم يكن عنده غير الدموع ليغسـل بها كل تلك الاوجاع التي تتزاحم في كيانه لتحيله الى الدمار ..

من هي امه تلك التي ولدته ثـم القته في عرض الشارع لتنهشـــه الاقدار التي لا ترحم .. من تكـون تلك المراة الظالمة القلب .. المراة التي بلا ضمير .. من هي ؟

ووالده .. من هو .. وكم مـن الرجال اشتركوا فـــي انجابه .. المجرمين .. السفلة ، الكلاب .. ال .. ال ..

وداخ راسه بأفكاره ..

واحتار كيف يجد لافكاره القلقة ما يريحها ويهداها في راسه ..

ثم .. لم يستطع ان يهدىء اي شيء فيه يثور عليه ويتمرد في داخله ليحرضه على التحدي لكل الناس .. لكل من يقف في وجهه ليكشف لـه عن حقيقته التي ابتدأ يشعر بوجودها فيه ويلامسها في الايام الاخيرة من كل الذين يحيطون به ..

وقرر أن يتحـــدى الكل .. ان يتحدى كل من في المحلة ..

وخرج اليهم في اليوم التالي .. ووقف امام بيته يتطلع في الاولاد المنتشرين في كل مكان من المحلـة وهم يلعبون ..

وراوه .. واخذوا يتهامسون فيما بينهم عنه ويتطلعون اليه باحتقـار كبير ..

وأخفض عينيه عنهم ، ثم رفعها اليهم جميعا .. كأنه كان يريد ان يثبت لهم انه لا يختلف عنهم فـــي شيء ، وان كل مصيبته في الدنيا انه ضائع بينهم ولا يدري متى ستستقر به الدنيا ..

وطالت وقفته ..

ثم اقترب منه احد صبية المحلة .

سار من امامه بترفع كبير كأنـه كان يريد ان يشعره بأنه ارفع مكانة منه ..

.. بصق الصبي امامه ..

ولم يقل هو اي شيء ، وبقي فـي مكانه يتطلع الى الصبي برهبة وهو يتوجس خيفة منه ..

لم يحتمل الصبي سكوته وعـدم مبالاته له ، فاقترب منه اكثر ، وقال له وهو يلتفت الى بقية الصبيان في المحلة ويغمز لهم بعينيه :

ـ لماذا تقف هنا ..

نظر اليه بحزن ، وتمتم بصوت واطيء يذبحه الالم :

ـ انى كما ترى اقف بجانب بيتنا .

ـ ونحن لا نريدك ان تقف فـــي محلتنا ..

ـ لماذا .. لماذا لا اقف ..

ـ لانك لست منا .. انت عـــار علينا كلنا ..

قال وهو يلتفت الى كل صوب من المحلة ويرى الاطفال والصبيـــان يتجمعون من حوله :

ـ هل لست من هذه الحارة ؟..

صاح به الصبي بكل صوته ليسمع البقية من الصبيان التي اخـــذت تزحف نحوهما :

ـ كلا .. ان حارتنا لا تقبل ان يكون فيها ابناء حرام مثلك ..

ـ لا .. لا تقل هذا ..

ـ انت ابن حرام .. وانت تعرف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متى وكيف اعود ؟

•

لست أدري متى وكيف أعود ... لون العمر بالدماء الوريد
لست أدري أيبرأ الجرح يوما ... وضحاياه كل يوم تزيد
لست أدري أيقدح الزند نارا ... وعروقي ينام فيها الجليد
لست أدري وقريتي يا رفيقي ... غيبتها عني وعنك الحدود

هاجم الليل في الشتاء عيوني ... أي شيء يا ليل مني تريد
أنا أعمى وخطوتي تتهجا ... أحرف المشي لا تعي فاحيد
أفترجو من الجمود حياة ... كيف يحيا مع الضياء الجمود ؟

صاحب الحق في الوجود ينادي ... وحناياه بالتياع تعيد
أين مني بيادري وحقولي ... ضاع في زحمة الوجود وجود
عزف القهر يا أخي في جحيمي ... كل لحن ليرقص التشريد
ضمني انت مزق البعد روحي ... وتلاشى مع المدى التغريد

لست أدري متى وكيف أعود ... وديار يعيث فيها اليهود

حلب — محمود علي السعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا ، وتعرف ان امك كانت قد باعت نفسها ذات يوم لرجل غريب فجئت انت ..

ـ سامحك الله ، ودعني اذهب ..

اراد ان يعود الى بيته غير ان الصبي امسك بتلابيبه ليوقفه في مكانه ، وصرخ في وجهه والغيظ يلتهمه :

ـ هذه المرة لن نتركك تذهب قبل ان تعدنا بان لا تطأ اقدامك ارض هذه المحلة بعد اليوم ..

نظر اليه .. ثم قال بتحد ضعيف وكل أوصاله ترتعد من الخوف :

ـ اننا جميعا اخوة في هذه المحلة، وسأخرج في اي وقت اريد دون ان يعترضني احد ...

و .. على حين غرة ، ارتفعت يد الصبي لتلكمه على فكه بكل قوة صاحبها ، فتراجع الى الخلف قليلا، وقبل ان يستقر على قدميه عاجله الصبي بلكمة اخرى على صدغه فسقط على الارض يتلوى من الالم .

وحاول ان يقوم من مكانه ليقف على قدميه .. لكنه لم يستطع .

وجد نفسه يتمرغ في الوحل ، واربعة أو خمسة من صبيان المحلة الاشداء يهجمون عليه دفعة واحدة يكيلون له اللكمات بوحشية ويركلونه بالاقدام ..

وبكى .. لم يبك من الوجع ، وانما من الحزن ..

وحين نفض الصبيان ايديهم عنه كان قد غدا كتلة من اللحم غارقة في بركة من الدماء الحارة ..

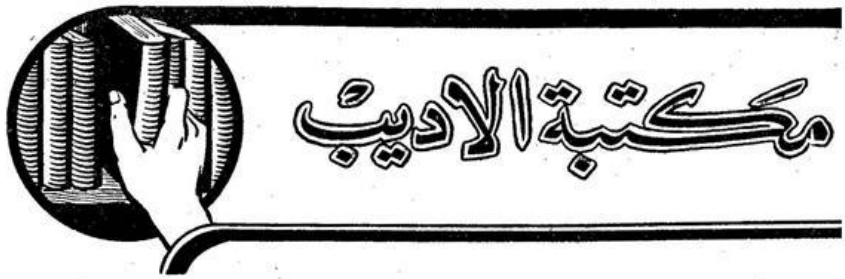
ورفع رأسه الى الاعلى قليلا ليلتقط انفاسه ، وتطلع فيهم واحدا واحدا ، وتمتم لهم جميعا :

ـ اني اغفر لكم جميعا ما فعلتموه بي .. واننا اخوة ..

ثم ابتسم لهم ابتسامة شاحبة .. ضئيلة .. كانت تمثل بضآلتها ما تبقى له من لحظات قليلة على هذه الارض ..

واسلم الروح .

بغداد — حازم مراد



المصيـــر

قصة خيالية ـ تأليف يوسف جاد الحق ـ ١٧٣ صفحة ـ الناشر مكتبة اطلس بدمشق ١٩٦٨

لقد كثر ترداد كلمة « المصير » في هذه الاوان ولم تكن من قبل سنين داخلة في التداول اللفظي والكتابي ، لكن ما دهم الامة العربية المعاصرة من حوادث وكوارث خط في معجمها الحديث هذه الكلمة وهي «المصير» و « المصيرية » ولقد حسبت ان اجد لها ذكرا في القرآن الكريم ، فاذا بي لا اجد لها اثرا فيه .

يقول المؤلف الفاضل في مقدمته ما معناه ، ان قصته رحلة فضائية يبتكر وقوعها عام ١٩٨٠ وفي ذلك العام يصبح التقدم العلمي قد خطا اشواطا بعادا ، فاستطاع الانسان العالم ان يهبط على سطح القمر ثم ان يصل الى المريخ .

وما غاية القاص الاستاذ « يوسف جاد الحق » في هذه القصة امتاع القارىء او حمل السرور الى قلبه ، وانما يجد غايته في حوار يتداوله شخوص الرواية فيصفون الحوادث الانسانية في هذا العصر وما يصارع المرء من اجله من الفكر والكوارث وما يمارس من الحروب .

وقد اعترضت سبيل القصة قضية علمية نامية وهي :

ـ هل من حياة على سطح المريخ ؟ او ان المريخ جرم سماوي هامد لا حياة للمخلوقات فيه .

وراح المؤلف النابغ يمارس ما قيل في هذا الافتراض من نفي واثبات ثم يميل الى رجحان لوجود الحياة في كوكب المريخ .

ثم اخذ بمتابعة الاحداث الغريبة كسقوط اجرام سماوية على وجه الارض او التقاط هتافات اثيرية آتية من كوكب اخر .

ويرتفع المؤلف وكأنه راكب مصعدا يمعن في الجو ليجتاز افاق الفضاء ومعارج السماوات لكي يجد حياة على المريخ هي الحياة المثالية التي يحلم بها الانسان الفاني ، تكون فيها النفوس مجردة من احقادها، والابدان بريئة من امراضها فتصلح بالاقتداء حياة الانسان على الارض وتبرأ من ادرانها التي ما زالت ترين عليها منذ خلق الانسان حتى اليوم.

ولم اجد كل ذلك غريبا على الفكر البشري الذي يمثل جانبا منه هذا المؤلف القاص الذي مارس القصة الواقعية حتى الان فاحب ان يدخل بفنه زاوية جديدة وهي ممارسة القصة الخيالية ، فحمل خاطري على رجعة الى قيمة الادب ومقدار تأثيره في العلوم ، فان القاص الفرنسي جورج كورتيلين الذي توفي سنة ١٩٢٩ قد تخيل في رواية من رواياته وهو من اهل القرن الماضي واوائل القرن الحاضر ان جماعة ركبوا صاروخا ونزلوا به على سطح القمر ، لكن الحياة القاحلة هناك لم تطب لها نفوسهم فعادوا ادراجهم الى الارض ، ليعلموا حق العلم ويقرروا جدير التقرير بان الارض هي اجمل دار للانسان في الوجود .

فكان هذا الاديب فاتحا باب التأمل في الكشف عن حقائق الوجود والمساوىء وسباقا لما يطلع به المعاصرون اليوم من محاولات للهبوط على سطح القمر بآلاتهم الطائرة الجبارة التي يدورون بها حول الارض وحول القمر معا وهم حتى اليوم في محاولات دائبة لانزال انسان على وجه القمر .

ويعود بي الخاطر ايضا الى اكتشاف الحاسة السادسة التي زاد بها العلم المعاصر على الحواس الخمس وهي ان الكاتب العالمي المشهور رومان رولان كان يوما في مقهى وهو شارد الفكر يكرع كأس شراب امامه على الخوان فاحس كأن شيئا يدق على نقرته وقذاله فالتفت فاذا احد حساده جالس ورائه وعيناه محدقتان في نقرته ، فقال ان في ذلك لشعورا غريبا وهو غير ما تعطينا اياه الحواس الخمس . فجاء العلماء بعده واكتشفوا الحاسة السادسة التي تدلف الى مثل هذا الشعور .

وكنت اوثر وانا اجيل الفكر في الاسطقصات الاربعة وهي التراب والنار والماء والهواء ، فاسأل نفسي هل من اسطقص خامس استطيع ان اضيفه اليها حتى وجدته وهو « الانسان » ، فالانسان عندي هو الاسطقص الخامس ولست ادري ان كان علماء الفلسفة العلمية وعلماء الطبيعة يقرونني على ما ارى من زيادة العناصر الاسية الاربعة التي كانت منذ ارسطو وفيثاغورس حتى اليوم ، وقد استعصى على العقل البشري ان يضيف اليها الخامس .

هكذا اجتذبني مؤلف قصة « المصير » الاستاذ يوسف جاد الحق الى خيالات مسرعة كخياله السالب المفتان .

اما فن الحوار الذي اتقنه المؤلف النابغ واراده بين شخوص الرواية فانه منحة فنية آتاه اللسان العربي قدرة عليها ، والشخوص المحاورون هم من أشتات الامم الغربية المعاصرة .

ولا يحسب احد من قارئاتي الفضليات وقرائي الاعزة في (الاديب) الاغر ان الغربي ليس بين هؤلاء المحاورين فانه مناط الحوار ومداره في كل صفحة من صفحات الكتاب .

وقد اتقن الحوار الى حد عجاب صديقنا القاص العظيم توفيق الحكيم واقره على ابتكاره في الادب العربي الحديث عميد الادب المعاصر استاذنا الدكتور طه حسين مد الله بعمره ، لكني رحت اخالف استاذنا في اضافة الابتكار الى الاستاذ الحكيم في فن الحوار ، فان الشاعر المشهور ولي الدين يكن سبق الى هذا الفن واريك المثال من كتابه الصحائف السود في المشهد الذي عنوانه (فصل من فصول الرواية : « هو وهي ») فانه قطعة من قصة بين عبد الحميد السلطان الاحمر ـ كما يسميه ولي الدين ـ وبين زوجة من زوجاته كان قد جعل قصره على البوسفور سجنا لها حتى حاولت احراق القصر عليه فسقاها السم بالطريقة التي شرب بها السم سقراط .

وكان الجاحظ صاحب حوار دائم ، والقرآن الكريم مليء بالحوار وتجاذب الاحاديث ، لكن قصة طويلة بكاملها تقوم على التحاور لامر جميل عرف عند الحكيم وعبد الحميد السحار وسواهما من قصاصي العصر واخذ هذا الاثر الجديد لدى الاستاذ « جاد الحق » يقوم ببراعة عليه ، وكيف تم الامر بين الحقيقة والخيال في قصة المصير ، فان الاستاذ يوسف يكمل اسمه بلقب « جاد الحق » وها هو يجود بالحق والصدق بروايته هذه الجديدة فيفتح فيها فتحا فنيا يجيزه اليوم المثال وتدلف اليه الحقيقة المعاصرة ، ومن يدري فربما حق في المستقبل فيقول رجل مترف لامرأة مترفة :

ـ اتسهرين الليلة في القمر ام على سطح المريخ .

ـ انني اوثر المريخ الذي يلمع باشعته الحمراء فربما كانت الليلة رواية هنالك في الطاحونة الحمراء تشبه ما كنا نشاهده على الارض بمونمارتر بباريس بمرقص الطاحونة الحمراء .

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الوهاب عزام في حياته ، وآثاره الادبية

محاضرات الدكتور زكي المحاسني ـ ١٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، التابع لجامعة الدول العربية ـ مطبعة النهضة الجديدة ، بالقاهرة ١٩٦٨

عبد الوهاب عزام (١٨٨٤ ـ ١٩٥٩) رائد طليعي من رواد العروبة ، والثقافة العربية ، والادب العربي ، اخلص لها الاخلاص الامين ، وخدمها الخدمات الكبرى طيلة سني حياته ، فملأ بذلك فراغا في النفوس ، او في الفترة الزمنية التي تسلسلت فيها حياته وانجازاته .. وهي فترة شاقة على العرب ، عانوا فيها صلف المستعمرين المحتلين من اتراك ، وانكليز ، وفرنسيين ، ثم غزاة صهاينة ، وادرك في اواخرها فترة التحرر العربي الحديث ، والوحدة العربية الحديثة ، ورأى بعينه جلاء الجيوش المستعمرة عن الوطن العربي ، وثورات التحرر ، والوحدة وخاصة ثورة تموز المصرية ، عام ١٩٥٢ ، فهلل لها ، وعمل جهده في صفها ..

لقد كان عبد الوهاب عزام طيلة هذه التجارب التي مرت بها البلاد العربية مثال المخلص لعروبته ، وبني قومه العرب ، تراثهم ، وثقافتهم ، خاصة ان دراسته ، وعلومه الجامعية اسعفته بالتعمق في اللغات الشرقية ، الفارسية ، والتركية ، والاوردية ، فانصرف للترجمة عنها ، والتحقيق فيها لاغناء تراثه العربي ، ومده بقبسات من شرقيته ، واسلاميته .. وقد تميز في ذلك بروحانية عملية أثرت الدين ، والاخلاق ، فكان مثال العربي الداعي الى الكفاح ، والتقوى ، والفضيلة والمنعة ، تشع روحانيته الشرقية ، العربية هديا ، ونضالا ، وعزيمة ، وشكيمة ، وكم كنا نجد في كتاباته الركيزة الهادية لتطلعنا العربي وسط تيارات الشعوبية ، والاستعمار في الوطن العربي ، كما نجد فيه الرائد المخلص الصادق الى حيث كرامتنا ، ووحدتنا ، واصالتنا ...

وقد احسن الاديب العربي الكبير ، والكاتب المحقق الضليع ، الدكتور زكي المحاسني في تخصيص موضوع محاضراته هذا العام في « معهد البحوث والدراسات العربية » ، التابع لجامعة الدول العربية ، بهذا الرائد الطليعي العربي ، الفذ والخالد : عبد الوهاب عزام ... وقد سبق للدكتور زكي المحاسني ان حاضر في المعهد المذكور عن الكاتب ، والمحقق احمد امين ، ونشر محاضراته ايضا في كتاب قيم ، ولكن القول في عبد الوهاب عزام مختلف عنه في احمد امين ..

وذلك ان احمد امين كاتب اجتماعي ، ومؤرخ للفكر ، والثقافة ، في حين عبد الوهاب عزام شخصية علمية ، وادبية ، وادارية ، ودبلوماسية ، نظم الاشعار ، ونثر المقالات والخواطر ، وترجم شعرا لاثار شعرية فارسية واوردية مجيدة ، وحقق كتبا ، ودواوين ، وتراجم ، وتسنم مناصب في التعليم الجامعي في مصر ، والعراق والسعودية ، او مناصب دبلوماسية في السعودية ، والباكستان .. يراجع في ذلك على الخصوص في المؤلف ص ١٣٥ ـ ١٤٤ ، حيث تسلسل الوقائع عن حياته ، ومؤلفاته ، وتراجمه ، ووظائفه ..

وفي الحقيقة لقد توفق الدكتور زكي المحاسني في محاضراته ، والتي ضمنها مؤلفه الجديد ، والشيق ، والممتاز عن عبد الوهاب عزام ، اذ وفاه حقه في تلك النواحي ، فعرف به في شتى مجالات نشاطاته ، ولم يمنعه المامه البسيط ببعض اللغات الشرقية كالفارسية مثلا من ان يعرف بشتى ترجمات عزام عن الفارسية ، والتركية والاوردية ، او يعلق عليها بذوق ، وصدق .. ذلك ان الدكتور زكي المحاسني يعتبر نفسه بالفعل مريدا ، وتلميذا لعزام ، اذ كان اختاره ليشرف على رسالتيه الجاميتين للدكتوراه من الجامعة المصرية : « المعري ناقد المجتمع » و « شعر الحرب عند العرب » ، وكلا الكتابين للمحاسني مطبوع .. وعندما يكتب مريد امين مخلص عن استاذه ، لا



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

غرو ان يصدق القول ، ويصيب الحقائق ، ويمس القلوب والافئدة .

استمع الى زكي المحاسني الكاتب المحقق ، يقول بدقته العلمية في عبد الوهاب عزام الدارس ، والموجه : « .. على ان عزاما في تدريسه وتوجيهه لم يكن ذا خطة محددة ، او مذهب معين في البحث والتاليف الا ما كان يقتضي المنطق ويلائم الموضوع .. بل كان يطبق على نفسه وغيره ما يراه البحث العلمي صوابا ، دون الحاح على حرفية الدراسة المنهجية حتى يضيع الباحث في خطوطها دون ان يهتدي الى مراده في نصوصها » ص ١٦ .

واستمع اليه يقول في عبد الوهاب عزام الصوفي : « . .انه لم يكن صوفيا ، بالمعنى الشيخي والعبادي الذائب ، والمذهبية في التصوف ، بل كان متصوفا في تقواه ، غير زاهد في الحياة ، ولا متخفف من تكاليفها » .. ص ٣٧ ، ثم يحلل ادبه الصوفي ، واثر صوفيته في دراساته الجامعية الادبية ، والفكرية ..

وفي حديث المحاسني عن نثر عزام ، وشعره ، يقول : « والنثر العزامي يتسم بالبلاغة والحفاظ على الجزالة في التعبير ، مما كان يتطلب ذوق المثقفين في عصره ، واما شعره فكان تقليديا ، غلب عليه النظم المحكم في اوزانه الخليلية وقوافيه .. واذا عدنا الى منظومه في ترجماته عن الفارسية وفي تاملاته الصوفية وجدنا عزاما فياض القريحة فيما استلهم من الحياة الواقعية .. »

وفي حديثه عن كتاب : محمد اقبال ، لعزام ، يقول : « وخلاصة الخلاصة في فلسفة اقبال انها (تربية الشخصية) وتوجيهها الى النفع الانساني والاسلامي » .. الخ ، ص ١٢٣ . وفي مؤلف المحاسني فصل عن بيام مشرق لاقبال ، وهو ديوان شعر عارض به اقبال ديوان الديوان لغوته ، وترجمه عبد الوهاب عزام شعرا ايضا ، وهو شعر حضاري ، وغزلي رمزي ، ووصفي .. ص ١٢٨ وما بعدها .

وفي الختام تحيتنا للكاتب الاديب الدكتور زكي المحاسني على هذا المؤلف القيم الممتاز عن عبد الوهاب عزام ، وشكرا له على الخدمات التي يسديها ، المرة تلو المرة ، للثقافة العربية ، والتراث العربي .

دمشق — عدنان بن ذريل

•

حســـن العطـــار

تاليف محمـــد عبد الغني حســن ـ (؟) صفحـــة ـ طبـــع ونشر دار الكاتب العربـــي بالقاهرة

قليلون هم الذين يتبوأون مركز الصدارة في العالم العربي ، ويتصدون لكتابة السير ، وقليلون هم كذلك الذين يمزجون السير بالتاريخ ، ويخرجون من هذا المزج بهذه الدراسات القيمة ، وبخاصة حيال اولئك الذين تناثرت اخبارهم ، وذهبت معالم آثارهم ، بفعل الزمن تارة ، او التجاهل والنسيان تارات اخرى .

والشيخ العطار ، يعد من اولئك الذين تناساهم التاريخ ، واهملهم البحاث ، وان اثبتت عنه خلاصات غير وافية في بعض الكتب او الدوريات :

لذلك كان البحث عنه شاقا ، والتعرض له شائكا ، والتناول لسيرته ، لما يصعب ، اذا قدر الباحث ، انه امام شخصية لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية والاجتماعية ، والعقلية ، بل واثرت كذلك في العصر الذي عاشت فيه ، والعصور التي تلته .

فحسن العطار الذي ولد في اول الثلث الاخير من القرن الثامن عشر ، يعطينا بمولده ، صورة لمصر السياسية في القرن الذي كان نهاية لحكم الولاة العثمانيين في مصر ، بما فيه من تيارات مضادة ، وثقافات ضحلة .

ويصور لنا الجبرتي كما يقول المؤلف ، الحالة الاجتماعية التي كانت قبل مولد العطار ، ويضع اسرة الشيخ حسن في موضع البعد عن التيار الذي كان يلاحق الفلاحين واصحاب الحرف في ذلك الزمان ، وان كان العطار نفسه قد شاهد بوعيه ـ نظام ملكية الارض التي كان قدر قليل منها في يد الفلاحين .

« اما ارباب الصناعات في المجتمع المصري ، فكانوا ـ على مهارتهم في بعض الصناعات ـ على حال من الضنك بما يفرضه الحكام عليهم دائما من الاتاوات والغرامات التي كان يجمعها « شيخ الطائفة » ويوردها الى الحكومة » .

وليس اصدق من هذه الصورة التي اعطانا اياها الاستاذ محمد عبد الغني حسن واصفا بها مصر في القرن الثامن عشر ، وهو القرن الذي ولد فيه حسن العطار من : « حيث التخلف العقلي ، والتاخر الفكري الذي ظهر في البلاد بصورة واضحة » .

والمساق الذي ساقه المؤلف دالا به على هذا التخلف ، لمايدخل في باب الحقيقة ، ولا يعدو ان يكون في باب المكرور المعاد :

فالذي يقرا :

يا دهر مـــا لـــك بالمكاره تجتري ... ولفقد أربـــاب المكارم تحتـــري

لا يستغرب ان يقرا كذلك :

الله يعلم مـــا يكون ، ومـــا بـــه ... تسري الرياح ، وماله يجري الفلك

فـــدع المنجم فـــي ضلالته ومـــا ... ينبيك عنـــه ففي مقالته افـــك

ولكن هل كان العطار كذلك ...؟

يقول المؤلف : « امتاز العطار بقراءته الواسعة العميقة للكتب العربية والمعربة في زمانه . ولم يختص بعلم معين ، او بفن بذاته من الفنون ، ولكنه كان حريصا على الافادة من كل علم ، وكان يطرز الكتب التي يقرؤها بهوامشه وتعليقاته » .

ويرجع الاستاذ عبد الغني حسن هذه الطفرة التي طفرها حسن العطار في حياته العلمية والادبية ، والتي بعد بهـــا عـــن مواضعات العصر ، ونأى بنفسه عن ان يكون طبعة ثانية لزملائـــه الذين سبقوه في ميادين العلم والادب ، بتلك الحصيلة الواسعة من المعارف البشرية في عصره . « فان شيوخه واساتذته في الازهر ، لم يعطوه من المعارف وثراء الفكر ، قدر ما اعطته الكتب الكثيرة التي قرأها وعلق عليهـــا ، واعاد قراءتها » .

على ان العطار : « لم يكتف بالكتب العربية ، بل اتجه الـــى الكتب التي ترجمت في اوائل عصر النهضة فـــي القرن التاسع عشر ، فقرأها ، وافاد منها ، وجمع بها بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب » ..

ويزيح المؤلف الستار عن تلك الصداقة التـــي ربطت بين عبـــد الرحمن الجبرتي ، واسماعيل الخشاب ، وحسن العطار ، ويذكر مـــا كان فيها من نوادر ، وما وقع بين الثلاثة من مطارحات هـــي الثروة ان عز الثراء ..

ولم يفت الاستاذ عبد الغني ان يعقد فصولا فـــي هذا الكتاب ، يعرض فيها للعطار بين مادحيه وهم قلة اذا عرفنا ان عصر العطـــار ، كاد يكون فقيرا في هذا الباب ، خلا النظامين الذين لـــم تصل الينا أشعارهم ، او ما صنعوه من نظم ، او سبكوه من الفاظ ..

غير ان الاثبات هنا من باب الوفاء لشاعر ظـــل حياته مخلصا لاستاذه العطار يغنينا عن سياق ادلة لما كان عليه العطار من احترام بين تلاميذه ومحبيه . فالشاعر : محمد شهاب الدين الذي حاول ان يكون الشاعر الرسمي للدولة في عهده ، يقول على طريقته التقليدية :

« حسن » الذات والصفات جميعا ... مغضب المبغضين ، مرضي الخصوم

هو « عطارنا » الذي مـــن شذاه ... كان عطر الهدى ذكـــي الشميم !

ولا يجمل بنا ان نمر بالعطار في تقدير الرجال ، دون ان يكـــون

مؤلف هذا الكتاب في مقدمة من كان لهم فضل في التأريخ لـه بهذه الفصول الممتعة ، فما نعرف ان احـدا كتب عـن العطار دراسة مستفيضة ، او تناوله في كتـاب ، اللهم الا بعض فصول جـاءت للتعريف به ، او دراسة عرضا في كتاب ، او اشارة في مقام استشهاد لعصره ، في اي ناحية من نواحيه ، او حادثة من حوادثه ..

ومن باب اسناد الفضل لذويه ، يذكر الاستاذ عبـد الغني رأي الجبرتي ، ومصطفى بكري الساعاتي ، ورفاعة الطهطاوي ، وعبد الرزاق البيطار ، وفيليب طرازي ، وطه حسين ، ومحب الديـن الخطيب ، وعبد الرحمن الرافعي ، وغير هؤلاء من الذين عرفوا فضل الرجـل ، وسعدوا بلقائه في كتبه ، او شافهوه ، او قعدوا تلاميذ يأخذون عنه، ويفيدون منه .

ولكن هل كان العطار شاعرا له مكانته في عصره ، حتى يعقد لـه المؤلف فصلا من فصول هذا الكتاب ؟

يدافع الاستاذ عبد الغني عن شاعرية العطار فيقول :

« اجمع الذين ترجموا للعطار ، او تناولوه بشيء مـن الدراسة والتعريف ، على انه كان شاعرا . ولا بد ان نضع الرجل فـي مكانه الصحيح من شعر ذلك العصر الذي عاش فيـه . فلو اننـا قسناه بمعايير زماننا وما طرأ عليها من تجديد في النظر الـى الشعر لظلمنا الرجل ظلما بينا » .

ولقد اثبت المؤلف عدة أبيات في أغراض مختلفة ، تدليلا علـى قوله ، وحجة في الوقت نفسه على الذين جردوا العطار من هذا الفن.

قال العطار في رثاء شيخه : محمد عرفة الدسوقي :

أحاديث دهر قـد ألـم فأوجعـا ... وحـل بنادي جمعنـا فتصدعا
لقد صال فينا البين أعظم صولة ... فلم يخل من وقع المصيبة موضعا

وقال يصف بركة الازبكية :

بالازبكية طابـت لـي مسرات ... ولذ لي مـن بديع العيش أوقات
حيث المياه بها والفلك سابحـة ... كأنها الزهـر تحويها السموات

وكما كان للعطار شعر ، كان له نثر ، لا على طريقة عصره باستعمال السجع ، ومحسنات البديع ، والحلى اللفظية ، وانما كان : « بحكم تنوره ، وصفاء ذهنه ، وكثرة رحلاته وجولاته ، واتصاله بالفرنسيين ، واطلاعه على كتب الغربيين المترجمة ، استطاع ان يتحرر من كثير من الاصفاد التي كانت تكبل الاقلام في ذلك الزمان ، واستطاع ان يوازن باعتدال بين طرائق التعبير التي كانت سائدة فـي ذلـك الزمان ، واستطاع ان ينزل الكلام منازله ، رعاية لمقتضيات الاحوال » .

والعطار الذي طبقت شهرته عصره في العلوم الشرعية والشعـر والكتابة ، استطاع ان يضيف الى هذه الحصيلة حصيلة اخـرى ، ليست بالغريبة على مشايخ ذلك العصر ، هي اشتغاله بعلوم الفلـك التي تمكن منها وتعمق فيها ، وعجم آلاتها ، حتى كان التطبيق الذي عم انحاء الارض بحل الازياج وتحويل السنين ، ومظنـات الكسوف والخسوف ، واستخراج اوقاتها وساعاتها ودقائقها ، مـع الضبط والتحوير ، وصحة الحدس .

وفي الفصلين اللذين عقدهما المؤلف عن العطار الاديب ، والعطار المنبه لحركة الاصلاح ، لما يشهدان لـه بحسن الترتيب والتبويب . فالعطار الذي رأى ان الادب ليس من علوم البطالة وموضوعات الفراغ، ولكنه ضرورة لترقيق النفس ، وارهاف الحس ، وسلامـة الذوق ، وصحة الحكم ، كان من الضروري له ان يجرؤ على تعديل برامـج التعليم في الازهر ، ويدخل بعض المواد الحديثة فيه ، ويفتح بيتـه لرفاعة الطهطاوي ليتلقى عنه دروسا في الادب والتاريخ والجغرافية .

يقول الاستاذ عبد الغني : « الحق ان العطار كان موجها الـى الدراسات الادبية بايحاءاته الى تلميذه محمد عياد الطنطاوي المدرس بالازهر اولا ، وبدروسه في الانشاء والكتابة الادبية ثانيا ، وبالـروح العامة التي خلعها على مجالس الادب في اوائل القرن الماضي ثالثا ».

ولقد حلل المؤلف دوافع العطار الى الاصلاح ، والتقدم العلمـي الذي كان يقصده بعد ان ذكر تلاميذه ، وأثبت اشياخـه واساتذته ، وجمعه بين التدريس في الجامع الازهر ، وتولى مشيخته ، فضلا عـن تلك المراسلات والتحرير في : « الوقائع المصرية » وغير هـذا مـن الجلوس في حلقات العلم ، والمكاتبات الادبية الجديدة . ثم وقف طويلا امام منهجه في التأليف ، وشرح ميله الـى النظرة الموسوعية فـي مصنفاته ، ودقته التي جاءته من عقليته المنطقية المنظمة التي ظهـرت في اهتماماته بشروحه على كتب المنطق وحواشيه عليها .

أما الاجازات العلمية ، وتقاريظ الكتب ، فقد كان لهما في هـذه السيرة ، وقفة شرح وتوضيح من المؤلف ، وبقدر مـا كان لهـذه الاجازات من مراسم وقواعد واصول بقدر ما كان لهـا من اثر فـي تشجيع الطلاب على طلب العلم والاقبال عليه ، وكذلك كانت التقاريظ التي انتهى عهدها ، وبطلت بدعتها في عصرنا الحديث .

على اننا لا نجد اوثق من المؤلف نفسه ، وهـو يعدد اثاره ، ويحصي كتبه ، كما قال الاستاذ عبد الغني ، فان العطار نفسه ، قـد أحصى اثاره ، وعد مؤلفاته ، وان عاب عليه المؤلف طريقته ، فـي الحصر ومسلكه في هذا التعداد اذ : « عيب هذه الطريقة ان المترجم له قد يكون سجل مؤلفاته قبل نهاية اجله بزمن طويل ، او قصيـر ، وهنا يكون سجل مؤلفاته ناقصا بقدر ما كتبه بعـد ذلك مـن كتب ومصنفات » .

وقد دل مؤلف الكتاب على مختارات للعطار ، ليست هي كل ما له من منتخبات ، وان كان له الفضل في اختيار أحسنها ، واثبـات أجودها : فالغزل ، والوصف والمدح والرثاء ، والتهنئة ، والهجاء ، والموشحات ، والشعر التعليمي ، هي الحصيلة المتعارفة للعطار فـي اكثر الكتب ، وهي المبثوثة هنا وهناك في اكثر من تاريخ ، وان كـان تعب الاستاذ عبد الغني حسن في جمع هذا التراث ، كـان يمكن ان يكون في سعة من الصفحات ، وفي عديد من الورقات ، لولا التقيد بهذا العدد المحدود ، او خوف الاطالة في هذه السيرة العطرة .

والذي يزيد من قيمة هذا الكتاب ، ان المؤلف الفاضل ، اثبـت بجوار شعر العطار ، ولاحقا له ، مـا قاله نثرا فـي : الوصف ، والرسائل الاخوانية ، وتقريظ الكتب ، والاجازات العلميـة ، ونماذج لكتابة الشروط والصكوك ، ومقدمات لحواشيه ..

ومن نافلة الكلام ان أدل على هذه الابواب التي تناولها المؤلف في هذا الكتاب ، وعانى فيها من الجهد ما لا يقوى عليه غيره بما توافـر لديه من المراجع والصبر والتزود بمختلف العلوم والفنون ..

القاهرة — ابو طالب زيان

فاضل الساعي

رياح كانون

دار القصـة العربيـة

حلب ـ سوريـة



● ديوان كمال نصرت ـ كمال نصرت ـ تقديم ابراهيم الوائلي الاستاذ بكلية الاداب ببغداد ـ ٣٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار البصري ببغداد .

● الموت واللغة ـ مجموعة شعرية ـ الاب يوسف سعيد ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة الامان بدرعون حريصا في لبنان .

● اشعار في المنفى ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ الغلاف والرسوم لسليمان شلبي ـ ٧٢ صفحة ـ الطبعة الرابعة ـ منشورات دار الكاتب العربي بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تاريخ السينما في العالم ـ تأليف جورج سادول ـ مع مقدمة من المؤلف خاصة بالطبعة العربية ـ ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني وفايز كم نقش ـ ٥٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● جبيل وبلادها في التاريخ ـ تأليف فوزي سابا ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات صدى الارز ـ المطبعة التعاونية اللبنانية في درعون بلبنان .

● عبد الوهاب عزام في حياته واثاره الادبية ـ محاضرات القاها الدكتور زكي المحاسني على طلبة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية ـ ١٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ـ مطبعة النهضة الجديدة بالقاهرة .

● ابطال وامجاد : سجل في تاريخ حمص الثوري عام ١٩٢٥ ـ تأليف عدنان الداعوق ـ صمم الغلاف شريح طياره ـ ١٧٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الاندلس بحمص .

● مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام ـ تأليف يُوسف القرضاوي ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الاقصى في عمان ودار العربية في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الحضارة الاسلامية اسسها ومبادؤها ـ تأليف ابو الاعلى المودودي ـ ترجمة محمد عاصم الحداد ـ ٣٠٤ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احكام المرتد في الشريعة الاسلامية ـ تأليف نعمان عبد الرزاق السامرائي معيد في كلية الشريعة ومحاضر في كلية الدراسات الاسلامية ببغداد ـ رسالة ماجستير ـ ٣٩٢ صفحة ـ ساعدت جامعة بغداد على طبعه ـ خصص المؤلف ريع الكتاب للنازحين الفلسطينيين ـ منشورات دار العربية بيروت والمكتب الاسلامي للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع دار الهاشم ببيروت .

● الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية ـ تقديم سوهام توفيق المصري ـ ١٥٦ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ مطابع شعاركو (؟) .

● قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد الهمذاني ـ تالفيف الدكتور عبد الكريم عثمان ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابن حزم الاندلسي حياته وادبه ـ تأليف الدكتور عبد الكريم خليفة ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الاقصى بعمان والمكتب الاسلامي ببيروت ودار العربية ببيروت ـ مطابع معتوق اخوان ببيروت .

● مبادىء البحث التربوي ـ تأليف فرح موسى الربضي وعلي مصطفى الشيخ ـ ٢٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الاقصى في عمان ودار العربية في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● التدخين وسرطان الرئة والامراض الاخرى ـ تأليف الدكتور نبيل صبحي الطويل اخصائي بحفظ الصحة ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ مطابع معتوق اخوان ببيروت .

● اصفار على اليسار ـ رباعيات ـ عبد اللطيف الخشن ـ ٩٦ صفحة ـ طبع في بونس ايريس بالارجنتين .

● مع المسيح ـ تأليف بولس سلامة ـ ٢٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الرسل ـ مطابع الكريم الحديثة في جونيه لبنان .

● غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ـ تأليف الشيخ ياسين خير الله العمري الخطيب الموصلي ـ لم يذكر اسم المحقق ـ ٤٠٨ صفحات ـ حجم كبير ـ دار منشورات البصري ـ مطبعة دار البصري ببغداد .

● الرقة كبرى المدن الفراتية القديمة ـ القسم الاول ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في سورية ـ ٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢ في سلسلة تاريخ المدن الفراتية القديمة في سورية ـ طبع في دير الزور سورية (ولم يذكر اسم المطبعة)

● موال في الغربة ـ مجموعة شعرية ـ عادل قره‌شولي ـ الغلاف والخطوط والرسوم للفنان ابراهيم هزيمة ـ ٧٦ صفحة ـ طبع في لايبزغ بالمانيا .

● قصر الفيوم واساطير اخرى ـ تأليف لورين الريحاني ـ ١٥٢ صفحة ـ مزين باللوحات الفنية ـ حجم كبير ـ منشورات دار الريحاني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نوافذ ادبية : مجموعة من نظرات في الادب العربي وبعض ادبائه ـ تأليف نسيم نصر ـ ١٥٢ صفحة ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .

● نظير زيتون .. الانسان ـ جمعه وقدم له عدنان الداعوق ـ اشرف على طبعه عبد المعين الملوحي ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بدمشق ـ مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بدمشق .

● الالتزام بالحرية والتقدم ـ الذكرى السنوية الخامسة لتاسيس ندوة الدراسات الانمائية ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات ندوة الدراسات الانمائية ببيروت ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● Israël et le Refus Arabe : 75 ans d'Histoire — par Maxime Rodinson - 254 pages - Editions du Seuil, Paris Imprimerie Bussière à Saint - Armand, France.

● Poème de la Grande Invention — par Georges Linze — 80 pages — Editions Anthologie, Liège, Belgique.

● Ottoman Reform in Syria and Palestine 1840 - 1861 — by M. Ma'oz — 268 pages — Oxford University Press — Printed at the University Press, Oxford, Great Britain.

● Grammaire de l'Arabe — par Gérard Lecomte — 128 pages — Collection «Que Sais-Je?» — Presses Universitaires de France, Paris — Imprimerie des Presses Universitaires de France.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمين تقي الدين
شاعر وانسان

بقلم الياس خليل زخريا

★

ما عرفته ولا قرأته
ولا احببت ان اقف اليوم متحدثاعنه
في مهرجان ذكراه
لقد ورد اسمي في بطاقة الدعوة
خطأ اسود على الخطأ الابيض
وانها لجراة مستجرئة
يدعون للخطابة ،
للعلعة الحناجر ،
لهلهلة القوافي .
لتصايح الحروف والكلمات
يدعــون
للتكريم المنبرى
اناسا مثلي لا يعرفون الغائب الغائب
ولا تراث الغائب الغائب
اناسا مثلي لم يربطهم به
نفس الدم
ولا نكهة الحرف
ولا لقمة عابرة من زاد الجبل
اناسا ، اناسا مثلي ، لم يشدهم اليه،
الى ولده
الى اهل بيته
اهل عشيرته
ود الجيرة ،
فيء الرفقة ،
رواق الحي ،
درب البيت ،
شأو من شأو الكلمة في مدات النغم
ارنان متقطع في دهشة الوتر على
تمزق الاصابع
وتمزق الاضالع

ثـم
انى ، أنى لي ، ان اعرفه
وقد قيل :
انه كان في أوائل العتمة
منذ فواتح جيلنا
منذ بصيص طفولتنا
..... ودراستنا
كان في جيلنا مطلع الجيل
تأهبت فيه العزيمة ، وتكونت الذات
وانصهر الخلق ، وتصدر الوفاء

* القيت في حفلة ذكرى الشاعر امين تقي الدين التي اقيمت في قاعة اليونسكو ببيروت في ١٠ ـ ١٢ ـ ١٩٦٧

ونهضت الفصحى ، ام اللغـــات ،
نهضتها المتمردة العجيبة
من كثافة العياء ، وكثافـة الغبار ،
وطبقات ، طبقات
من زخرفة الركاكة وخمول الرواسب
وقيل :
انه كان واحدا كولي الدين
.... واحدا كحافظ
.... واحدا كالشميل
.... واحدا كانطون الجميل
واحدا واحدا كالف واحد
وتحتشد الصور على الصور
وتتجاول الاشباح في الاشباح
ويتوارى كنتف الضباب من يتوارى
ويثبت في قلاع الجيل من طلائـــع
الجبل من يثبت
ويستقر في قرار الزمن من يستقر
... بعض العبارات
... بعض الحكايات
... بعض القوافي
وكآبة متأصلة في كآبة
وحنين متحفز في حنين
كأن الكآبة مرض الجيل
... ودواء الجيل
متغلغلة في حبات ذاته
منسلة انسلالها في مطاف أحلامه
ومقاصد أمانيه
وواعجباه !!
ما جرحت الكآبة فـي ثغره الباسم
بشاشة ثغره
لم يعكر الحنين فـــي وجهه المتعب
طلاقة وجهه
وقيل :
انه كان في نفسه خدنا من اخدان
الليالي السود
يخبيء في مخابيء الليل همه .
ويضن بهمه عن مسامع الصباح
ضنانة الرضى
وضنانة الحرمان
يواريه في خليات نفسه
يواريه كما يواري الزمن الفصول في
طيات مفاصله
ويقف دونه :
بالخلق الشديد
بثبات اليقين
بترابط الصبر
بكتم المتجاهل
بتمرس الالفة
بالجبهة اللبنانية من على
الطربوش الاحمر

اذا وطنيـــة باهـت بقـــوم
ارى لبنـــان ارفعهـم جبينـــا
اشد الحب مـــا يدعى هياما
فما يدعى اذا بلـغ الجنونـــا ؟؟

وتتناثـر اخباره
وتتناثر اوراقه
وتتناثر « زهوره »
هنا ... وهناك ...
في وادي النيل
في سلطنة الظلمة
في راس بيروت
في وادي الدير
في ساحات بعقلين
في مجاهل الشوف
في اقاصي المتن
في درجعاتم من ادراج الجبل الجاحد
وقد تكون ... وقد لا تكون ...

لهفـي علـــى العمـر والاماني
ولـت كمـــا اقبلـت ملاحـا
خبـات باليـل فيـك همـي
يـا ليـل مـن خبـر الصباحا
كفـى المنـى انهـا خيـال
اسعدنـــا ساعـــة وراحـــا

قال لي صاحبي وقـد لمح الفجر
مطلا يرنـو لنـا مـن بعيـد
وارني في النهـار عن اعين الناس
فانـي خـدن الليالـي الســود

كان يود في حرمانه ان يتوارى عن
مكامن الضوء
وكنا نحن في تلفتنا شيئا من اصداء
الضوضاء
على عقد النهار وقساوة الاعين
نخلع بغرورنا ، أيام ذاك ، ثياب
الليل
على جسد الصبح ومشاجب الامل
نطوي بها على عرى الجوانب
نلقي بها في الفور الشفاف البعيد
اعباء اعباء على عواتق الآخرين
جراحا جراحا على آهاتهم الثقيلة
وهمومهم الصاخبة
قسما بضاحكة المنى وعهودها
لم الف الا ما ادعوه خيالا
اني لفي زمن كان اديبه
حسب البيان مجانة ودلالا
ويروى صاحبنا
انه استمع اليه اول ما استمع
في حزيران
في التاسع والعشرين من حزيران
عام الف وتسعماية وتسع وعشرين
ذكريات تشد بأعناق ذكريات
ومصادفة تزدحم بمصادفة
وتدافع المتكلمون في توديع شاعر
النيل
وتحدث التويني «الكبير» عن حافظ
وتكلم مطران نثرا كالسيل الجارف
والقى صلاح اللبابيدي شعرا
والقى نجيب ليان شعرا
ثم
أمين تقي الدين
يا لروعة التاسع والعشرين من
حزيران
يا لعمق ذلك المساء
كيف تحول نادي (الرستوران
الفرنسي)
في هذه المدينة الى مأدبة من مآدب
العطاء
الى لقاء من لقاءات الود
الى تحية وفية من تحيات الوداع
الى شمل عربي اصيل أصفى من
الرصانة
..... وأمتن من القلوب
بروحي الشعر روحا حل في كلم
ورق فانخد الارواح آذانا
وشاعر « الكآبة » يباهج شاعر
« البؤساء »

يا شاعر « البؤساء » اني مائل
بالياسين فصاحتي وثيابي
خرق كان خيوطها منسولة
لسن تذيع على المكارم ما بي
لما وصفت البؤس بت يشوقني
طربا لذاك الوصف كل عذاب

وتفتحت اواصر التعارف
وتقدم هذا الفتى الطامح يشد بقلبه
يده
يردد بكبرياء، باصالة، أبيات القصيدة
وأعجب الفتى اعجابه ،
بصفاء الكلمة
... بنقاوة الديباجة
برقة الجرس
بسهولة المنال
بالسجية المرسلة
بهذا الطابع اللبناني المتفتح المنطلق
حيث لا تعنت
ولا تكلف
ولا تجهم
بهاتيك الكآبة الصوفية التي لا تشبه
الالم الصارخ بقدر ما تشبه الشوق
ولا تغرق في الآهات والانين بقدر ما
تغرق
في الارنان
والتأمل
وعذوبة الايقاع
وشجى الحنين

ولعل اعمق ما أخذ به ..
هو هذه الصور السهلة القوية المتخلقة
بسجية الجبل
... بطبيعته
ووداعته
ويحيي الشاعر اللبناني الشاعر
المصري

اما حنى لبنان شامخ ارزه
للنيل اجلالا فما من عاب
السدوح فينان ولكن روحه
ماء ترقرق في ظلال الغاب

ويا لقوة هذا الماء
ـ هذا الماء الصخري
ـ هذا المترقرق على العذوبة ،
والخصب ،
والوقار ، في الاغياء والظلال
والارض الموات
ـ هذا المتفجر من ينابيع التسامي
وقباب التسامح ، وأغوار القدم ،
ومصادر الوعي ومصادر القوة .
يمد السهل وجهه فيشرب
تميل الهضبة براسها فترتوي
تشتاق الصحراء فينبت في قلبها
في رملها النخيل
ثم تتقلب بهم وجوه الايام
وينبسط بساط الالفة
ويلتئم شمل الود
ويسلم سلامته نسب الادب
وتطمئن شمالية طريئة طامحة
الى ظل شوفية مختمرة مكتملة
ذات صدارة
وذات بيان
وذات نضال
ولبنانية ...
هي الجوهرة الحريزة في عقد اللؤلؤ

ويعطف الشيخ امين عطف المشجع على
نشوء صديقه
وتنشئة صديقه
ولا غرو
فقد أوى صديقه الى بيته ليلة
حزيران ليجد
على مد اليد من زاوية بيته بيته
.... جدارا الى حافة الجدار
.... نافذة الى مفتح النافذة
.... بابا شوفيا في جيرة الباب
الشمالي
ويساله وليه ...
يساله عمه عن ليله المتأخر
فيحكي حكايته
وكأن الاقدار تعانق مخاصر الاقدار
... كان عمه ...
كان يوسف زخريا وامين تقي الدين
خدني صبا ، ورفيقي كهولة ،
وجارى رضا، وجليسي أنس وادب.
كانا صفوين في الفقر ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في البشاشة ،
في الالم ،
في التعهد ،
في التفقد ،
في التفاوت ،
في يقظة الضمير .

« نحن خدنا صبا طوته الليالي
واكتهلنا على صرير اليراع »
« كنت تشكو وعودهم لك لا توفى
واشكو سماعهم كل ساعي »
« علة الحكم في بلادي ان الحق
امسى وساطة ومساعي »
« يوسف زخريا »

ويجلس صاحبنا في حدود هذه المأدبة
نديما ثالثا من الندماء
يلتحق الفكرة ويواكب الخاطرة
... يبحر ابحارهم ويرسو ...
يسرى اسراءهم في القافية
في الكلمة
في حرف عربي ينزل نزوله هنا
... وحرف ينزاح انزياحه هناك
ونوادر ولطائف
وقصص مترامية بين وادي الدير
... ووادي النيل
... وجبل الشقعة
... وقلعة المسيلحة
... وارز شمالي اقدم قدما ، في ضمير الزمن ،
من ارز الباروك والمعاصر
واعمدة الخشب في اخشاب سليمان

وكان امين تقي الدين اذا ما شط بنا المجلس
... تمهل في الصمت
وقوة الاكتفاء
وروعة الانكفاء
ثم ادار المجلس الى حيث يقف
في دقة الضبط
وسرعة الانتقاء
وقديم جديد
وجديد لا يعرف القلق ، ولا الضيق،
ولا الحقد ، ولا حزازات النفوس المتغلغلة في اقليميات الجبل .
كان بين بيتنا وبيته

ممر رجل
... ونخلة ...
نخلة عالية باسقة تخاصر الجو ،
... تتهادى على مدى الشرفات والسطوح
تثبت برأسها في الريح
في الريح الشرقية
... والبحرية
تنتفض اغصانها في الهبوب انتفاضا
دون ان تختل لها جذع
او تنحل لها عقدة
وكم حدث امين تقي الدين عن هذه النخلة
ـ عن هذه الجذع الثابتة المتحدية .
ـ عن العقد الملساء المتماسكة المتمردة.
ـ عن الراس الشامخ العاصف .
ـ عن هذا الدوري اللبناني العنيد المستخف
الذي يبني عشه في راس النخلة
مع الريح والشمس والمدينة
ومحطات الهبوب
كم حدثنا ...
عن خيال ينطلق من شرفة البيت ،
الى غصن النخيل
الى فتحات التنفس
.. الى مضارب الجبل ..
الى القرية الشوفية المتعالية
الى تلك المنبسطة على السنديان
والشوح والزيتون ،
والهضبات البحرية
والمطل الدائم .
وليل لا تتعب فيه رئته
وفجر لا تتلفح فيه عيناه
كان امين تقي الدين :
ـ قويا في ايمانه كنفس الامل
طبيعيا في وضوحه كبناء الحجر
نقيا في مودته كتراب القمة
انوفا في دنياه كمراقي الدوح
عميقا في وفائه كضمير الفصول
منعطف يعتصم بمنعطف
حكاية سائرة من حكايات الارض اللبنانية

لو صانني قومي وصانوا مجدهم
حب العلى مشت العلى بركابي

يكتب فلا يبرد في يده القلم
يتكلم فلا يعيا في سياقه الكلام
... ينقح يشذب ...
... يدقق يبدل ..
يتأمل ، ويحلل ويتبصر
ويصب نثره ...
ويصب شعره ...
صعوبة سهلة
وسهولة صعبة

حارت الدنيا كما حرنا بها
عمرك الله اتاريخا وفقرا
ان ملكت الناس فاملك قلبهم
عبثا تملك حب الناس قسرا

ثم ...
ثم انى لي
انى لي ولكم ان نقراه
وتراثه ورق مشتت ومتناثر على ورق
لا ديوان شعر تقرأ فيه شعره
لا كتاب نثر تطالع فيه نثره
لا مخطوطة ترتشف منها سجيته
لا صورة ، لا رسالة ، تستقي منها شكايته
حتى ولا البيت الذي عاش فيه
ولا الغرفة ،
ولا السرير الذي عاشت فيه كآبته
ولا يراعه
ولا دواته
ولا شيء من اشيائه
من تلك الاشياء المجبولة بدمه
الرائفة بلياليه
الحاملة من ايامه مفاتيح
الذكرى ومعالم التذكر
أجف حبره ، يوم جف قبره
عفوك اللهم
اللهم عفوك
متى ينهج هذا الوطن في تكريم ادبائه
وشعرائه ، الى مظاهر الحضارة ؟
ومواقع الانصاف
متى يصبح للشاعر
لكل شاعر
مزار يقصد
مكتبة تحرس
بيت يصان
درب تؤدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطائر المهاجر

في نهاية عام ١٩٦٧ صرح للمهندس نبيل نجل الشاعر محمد عبد الغني حسن بالهجرة الى البرازيل فزوده والده بهذه الابيات لصديقيه الاستاذ موسى كريم صاحب مجلة « الشرق » بسان باولو والشاعر الياس فرحات :

ألقيت بين يديكم فلذة الكبد ... وقلت : سر في أمان الله يا ولدي
قضى الطموح عليه ان يغر به ... عن ربعه الخصب او عن عيشه الرغد
الحب في عشه ، والماء في فمه ... لكنه هائم كالطائر الفرد
ظمآن والماء يجري في جداولنا ... والنيل يروى على الشطين كل صدي
دعاه للمجد داع واستبد به ... من البواعث ما لم يجر في خلدي
آماله ضاق عنها الشرق فاغتربت ... ترى البعيد عليها غير مبتعد
الكون خطوة رجل عند همته ... والارض دانية الابعاد والامد
تركته لطموح النفس ينقله ... من مهده لفراش غير ممتهد
ولم اشأ ـ مرغما ـ تثبيط همته ... ولا أردت له اشياء لم يرد
أحببت من أجله ما فيه راحته ... وان يكن فوق طوق الصبر والجلد
برغم انفي اني لا تريد يدي ... تقييد منطلق أو صد مجتهد
ودعته بيد مني محطمة ... مرعوشة وفؤاد في مرتعد

استودع الله فيما بينكم أملا ... يومي لغربته مستشرف لغدي
أعد من أجله الايام سائرة ... فلا أوفق في الحسبان والعدد
اليوم يمضي بنا كالدهر متئدا ... لكن شوقي اليه غير متئد
أغضي على نأيه عيني وافتحها ... فلا أرى مثله في الناس من أحد
استغفر الله ! لم اعدده مغتربا ... ما بينكم فهو بين الاهل والولد
لولا وجودكمو في دار هجرته ... ما كنت اسلمتكم يوم النوى كبدي

القاهرة

محمد عبد الغني حسن

مجتمع يبحث
ومجتمع يحلل
ومشاعل ترفع مشاعل
متى ننطلق من دنيا الحنجرة الى
دنيا التأمل
من الارتجال الى التبصر ؟!
الى صيانة نظامية امينة شعبية
لتراثنا الغائب
متى نبني لوطننا المحاريب المقدسة؟
حيث يتكلم الحجر
ويروى الديوان

وتقص اليراعة
وتحكي الدواة
ويخبر الخط اخباره الخفية
وتوحي التوافه بما توحي الغاليات
متى يطلق الصديقان العزيزان
وسيم وحافظ تقي الدين
ديوان ابيهما
« وزهور » ابيهما
من معتقل الديوان
وقمقم الطيب
واديك والسهل كسر المنى
يدرك بالروح ولا يمتلك

سبحان من خبا فيك الصفا
وسل من قلب الصفا جدولك
ايها الناس
ايها اللبنانيون
كان في طربوش امين تقي الدين
من النخوة اللبنانية
من الوفاء اللبناني
من الشعر اللبناني
قدر ما في غصون الصنوبر من
حكايات الاخضرار

الياس خليل زخريا

قصة

ذات الثوب الاسود

بقلم حسني سيد لبيب

يحصل لنا الشرف ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يشغل بالي شيء الان سوى امي المريضة . لا يشغلني سواها . تركت عملي في العاشرة صباحا لالحق قطار الظهيرة ، واذهب اليها . وصلني اليوم خطاب من اخي .. خطاب مقتضب .. حياني فيه بطريقة عفوية واوجز في سلاماته التي كان يسهب فيها اسهابا مضجرا. الخطاب أشبه بمذكرة احتجاج على موقفي السلبي من اهلي بالزقازيق ، وعتاب من اخي على اهمالي شؤونهم وخشيته من ضجيج القاهرة التي يعزوانها سبب هذا التغيير الطارىء في حياتي . وفي نهاية خطابه ذكر لي ان امي مريضة ، لكنه لم يطلب مني ان احضر . تضايقت من اسلوب الخطاب ، لكني عذرت اخي واقمت علاقة بين عتابه وجمودي ، فعرفت انه على حق . ويجدر بي ان اقيم توازنا في حياتي ، بحيث اؤدي واجباتي كلها دون تقصير .

طالما تقت الى المال ، وطالما بررت تصرفاتي على اساس انها سليمة . لكن خطاب اخي جعلني اقلب الموازين التي اعتقدت فيها . وفي الحقيقة ، ليس خطاب اخي هو السبب الرئيسي ، وانما ضيقي وتبرمي من كل ما حولي .. علاوة على السأم والملل اللذين يدبان في كياني ويصيبان راسي بالدوار .. احسست في الاونة الاخيرة بالضيق من تلك الطريقة التي اجابه بها الاحداث .. والتي اوزن بها تصرفاتي بميزان دقيق . دائما انتهي بقرار يرضى عنه منطقي .. دائما اجدني اطرح تساؤلا واحدا : هل ما افعله او اقرره يتماشى مع الصواب ؟ . لكني احاول دائما ان اطمئن نفسي بان كل شيء يسير في مداره الطبيعي .

قفزت في عربة مزدحمة ... الزحام خانق ، والناس تلغو بكلمات احيانا تكون طيبة واحيانا تكون رغاء .. او لا بد من ان يتكلم الناس ؟!.. بجانبي فتاة نحيفة القوام ، ذات هيئة رثة ، ترتدي ثوبا اسود كالحا .. وفوقه «بلوفر» اسود .. مترب .. شعرها منهوش على الجبين .. مسكينة هذه الفتاة ، يخيل الي ان اطرافها تتثلج ، فالبرد قارس هذه الايام ، ويبدو ان ما ترتديه من ملابس رثة كالحة لا يفي بحاجة الجسم الى الدفء والغطاء .

تذكرت حكاية زواجي من فتاة في مثل سنها وقوامها ، سمراء مثلها .. انها عايدة ابنة صاحبة المنزل الذي اقطن فيه .. وحين اعلنت رغبتي لامها ، قالت بفيور اكتراث :

ـ يسعدنا ان تتزوج بنتنا ..

اغدقت علي بهذه الكلمات الحلوة ، ثم سكتت ، ومن يومها لازمت الصمت ولم تشر الى الموضوع من قريب او بعيد .. وظللت اجتر كلماتها الحلوة طيلة الشهرين الماضيين ، وانتظرت ما يعقبها من عمل ايجابي . فكرت كثيرا في موقفي السلبي ، وهل من الواجب ان احادثها في الزواج مرة ثانية ؟. لكني وجدت صوت العقل يصخب في اعماقي بان الزم الصمت ، فان لي كبرياء لا يجدر بها ان تسفح ... لقد بحت برغبتي وعليهم ان يبوحوا برغبتهم ، وظللت ملتزما الصمت ، فهذا هو الشيء المنطقي المقبول .. لكني في قرارة نفسي ضجرت وسئمت ، واحسست بالحياة قاسية غير معطاء ، وان اعطت فلتاخذمنا اكثر مما اعطتنا . ثم جاءني خطاب اخي ، المقتضب ، فاحسست بصدى كلماته ترن في اعماق نفسي .

العربة مزدحمة ، وكتل الناس المتراصة بجانبي تتقاذفني يمنة ويسرة ، فاضطر الى لمس الفتاة الحزينة الكاسفة البال ... ثم اعتذرت لها حين رمتني بنظرة قاسية .

لكم ضايقني الزحام والصخب والكلام المجوج .. خلا مقعدان فدفعت الفتاة كي تجلس ، ثم جلست بجوارها .. فهذه فرصة للتخلص من الزحام الخانق .

استعرضت حياتي في صور متلاحقة متتابعة ، فوجدت اني اعيش على هامش الحياة .. ودائما اخشى ان اغوص في اعماقها ، بدافع من المنطق ... شردت طويلا ، افقت .. فلمحت الفتاة ترمقني وترقب ما انا فيه من شرود . حقا ، لايجدر بك ان تفصل نفسك عن الحياة وتشرد . لكن .. ماذا تفعل ؟! اتتحدث مع الفتاة ؟ اذن .. ماذا تقول لها ! انت لا تعرفها ، وهي لا تعرفك .. انتما رفيقا طريق ، وسرعان ما تفترقان . لن يستمر الحديث بينكما سوى دقائق ... اشبه بتلك الاحاديث المجوجة التي يصخب بها الركاب .. ليس من اللائق ان تتكلم لمجرد الكلام . الزم الصمت ، وفكر في امك المريضة . لا بد ان تفكر في كيفية ارضائها بعد هذه الغيبة الطويلة . كم شهرا انقضى عليك في القاهرة ؟ خمسة .. لا ، انها ستة اشهر تماما ، على غير عادتك .. ويبدو ان تفكيرك في الزواج هو الذي الهاك عن الاهتمام بأمك والسؤال عنها .

افقت من شرودي على صوت الفتاة :

ـ كم الساعة ؟

ـ العاشرة والنصف .

وعدت الى شرودي . رمقتني الفتاة مرة ثانية بنظرتها القاسية ، لكنها لم تقل شيئا . ما بالي اشغل نفسي بالفتاة ؟ . صحيح انها فقيرة، ويبدو ان تأثري بحالها هو الذي شغلني بها ، او كونها في مثل قوام عايدة .. اوه .. توافه وفوارغ يصخب بها عقلي . يلزمني القليل من الراحة والهدوء . خبطات متتالية على زجاج الحاجز الذي يفصلني عن ركاب الدرجة الثانية .. لا بد انه المحصل .. ابرزت له الاشتراك ، ثم عدت مرة اخرى الى ما كنت عليه ، لكني افقت سريعا على صوت المحصل ينهر الفتاة قائلا :

ـ التذكرة بقرشين .

ـ ليس معي سوى هذا القرش .

ـ لماذا تجلسين في الدرجة الاولى ؟ .. الا تعرفين انها بقرشين ! آه من مكرك وخبثك !

تململت الفتاة وهمت بالنهوض ، لكني دفعت لها القرش الباقي ، وعاتبت المحصل بنظرة قاسية صامتة .

ـ متشكرة جدا ..

ـ عمل بسيط لا يستحق الشكر .

نظرت الى الساعة ، فقالت الفتاة:

ـ ألست مستعجل ؟ لا بد انك على موعد ..

ـ اجل ..

ولم ازد .

نظرت من النافذة فالفيت محطة مصر تقترب . نهضت عن الكرسي، والفتاة تنهض في اثري . لا بد انها ستنزل في نفس المحطة . مسكينة هذه الفتاة .. قرشها الاخير دفعته للمحصل ، لا بد ان فقرها مدقع .

لم يزل امامي ساعة ونصف على موعد قيام القطار ، من الممكن ان اتناول غدائي واشرب الشاي . مشيت قليلا ، ثم وقفت امام مطعم .. وحين هممت بدخوله ، الفيت الفتاة المسكينة تومىء الي بأن اقف . ابتلعت ريقها ، وقالت بصوت واهن :

ـ انا جائعة .

فرحت لصراحتها . وانها لفرصة طيبة لفعل الخير . سأحكي لامي قصة لقائي بالفتاة ، ستغمرني بدعواتها الطيبة ، وتحسدني على تلك الخطوة الجديدة .. فهي دائما تتهمني بالبخل وعدم مساعدة المحتاجين . لا شك انها ستفرح .

نظرت الى الفتاة لا ادري ماذا اقول لها على وجه التحديد ، أأدعوها للدخول معي ؟ .. ام اسألها عن طعامها المفضل ؟ صمت فترة غير قصيرة ، ويبدو انها فهمت من صمتي اني وافقت ، فقد دخلت المطعم بخطوات جريئة فانقدت في اثرها دون ان اتكلم .

تناولنا الغداء ، وظللت اثرثر بكلمات كثيرة . احسست بحاجتي الى الكلام ، والفتاة تنصت وتنصت، ولا يبدو عليها الملل .. وانما ارتياح تام يبدو على سيماء وجهها، واصغاء تام لما اقول . نظرات عمال المطعم تتجه ناحيتي ، بعض الزبائن يتغامزون حولي .. لا ادري لماذا ؟ يبدو ان الفتاة بثيابها الرثة قد اثارت اهتمام الناس .. يبدو انه منظر شاذ ، منظري بذلك الهندام الانيق مع تلك الفتاة ذات الملابس الرثة الكالحة . وبدات اخاف . صوت المنطق يصخب في اعماقي ، محتجا على سلوكي . لكني صممت على موقفي ، لن اسمح للندم ان يتسرب الى كياني . احسست بحاجتي الى المزيد من الكلام ، اي كلام .. وليكن كلاما ممجوجا مثلما يتكلم الناس في لقاءاتهم العابرة . حدثتها عن حكاية زواجي الذي لم يتم ، فضحكت .. ضحكت من اعماقها .. ونصحتني ان اطلب يدها مرة ثانية . وحدثتها عن امي المريضة ، وعن زيارتي لها بعد غيبة دامت ستة اشهر . كما حدثتها عن سأمي وضجري ، وعن منطقي الاجوف . قلت كلاما كثيرا . الاطباق فرغت ، فطلبت المزيد من الطعام ، والنظرات لما تزل تحوم ناحيتي ، والغمز واللمز اصبح فاضحا مكشوفا ... ما سر ذلك يا ربي ؟ . أليس هذا عملا طيبا ؟ لماذا اذن يقيد الناس تصرفاتي ؟ هل في الامر جريمة ؟ تساؤلات عديدة فرضت نفسها : لكني اهرب منها الى الثرثرة مع الفتاة . دفعني الضيق الى ان استولد من الكلمات كلمات اخرى ، وظللت على هذه الحال الى ان انتهينا من الطعام تماما .. خرجت في خطوات متعثرة مضطربة ، والفتاة تتبعني . لمحت صديقي احمد فأعرضت عنه ، ودعوت الله الا يراني . مشيت مع الفتاة وانا ما زلت اثرثر . وبدأت اعاني ضيقا شديدا عجزت عن التغلب عليه ، لاسيما وان نفس النظرات التي لاحقتني في المطعم ما تزال تلاحقني في الشارع .. الفتاة ترمقني في شبه رثاء لحالي .. قالت :

ـ أتذهب الى السينما ؟!

ابتسمت ، لا بد انها تحاول ان تعالج ضيقي ، قلت لها :

ـ انسيت ما قلته لك من اني سأسافر بعد قليل لرؤية امي المريضة ؟ . لا بد انك نسيت .. عندك حق .. فقد تكلمت كثيرا .. ولا بد انك مللت ..

ضحكت الفتاة وقالت :

ـ كنت اظن ان لك رغبة .

وتصنعت الدلال ..

ـ عندك حق ، فانا متضايق بعض الشيء . مشاكلي الخاصة تزحم تفكيري .. أوه ! دعك من هذا .. اظن ان البرد شديد ، سأشتري لك اثنين كيلو برتقال .. كي تتغلبي على البرد ، لا بد ان تأكلي وتأكلي ..

عرجت على فاكهي ، واشتريت لها البرتقال .. حتى الفاكهي ،

في حمى القبر

اذا مت فارموا جانب الحقل جيفتي ... قرى للضواري والطيور الكواسر !
وللطير ما يبقى من الجسم ماكلا ... وللدود ما تحوي حشاشة شاعر
فلست أرجي في حمى القبر راحة ... وما أنا مفراح لزورة زائر
دعوني .. فقد كفنت في ميعة الصبا ... غرامي ، وآمالي ، وغر خواطري !

حلب — **علي الناصر**

اخذ يرمقني بنظرات قاسية ، ويبتسم دون ان افهم معنى ابتسامته .

ـ خذ يا بيه .. وهنيئا لك البرتقال .

اعطيتها كيس البرتقال ، فتمنعت قليلا لكنها اضطرت الى اخذه في النهاية ارضاء لي ، وقالت :

ـ الا ترغب ؟ ..

وابتسمت ابتسامة باهتة . قلت لها :

ـ كنت اتمنى ان امكث معك قليلا ، لكن الوقت ليس بيدي .عفوا يا فتاة ... اوه لا اعرف حتى اسمك ! .. لا يهم .. تصحبك السلامة ، وادعي لامي بالشفاء .. مددت يدي مصافحا ، احسست بيدها تضغط على يدي بقوة وتتشبث بها .. قالت :

ـ هل ترغب في شيء اؤديه لك ؟!

ـ لا .. شكرا .

ـ هل تأخذ عنوان عملي ؟

ـ هل تعملين ؟ .. لا داعي للعنوان .. شكرا ، الى اللقاء يا ..

وظل اسمها مجهولا ، ولم اشأ ان اسألها عنه . مشيت في طريقي قاصدا مقهى المحطة .. كعادتي في كل مرة اودع فيها القاهرة .

امامي نصف ساعة استطيع خلالها أن اشرب الشاي . اشتريت مجلة من بائع متجول ، واخذت اعبث بصفحاتها بغير اكتراث . شعور بالارتياح يغمر كياني لاطعامي فتاة فقيرة . شيء جديد تتمنى امي دائما ان افعله . سأكسب دعواتها الطيبة . فجأة الفيت صديقي احمد يقف قبالتي . صافحته ، ثم دعوته للجلوس معي . قال مبتسما وهو يهم بالجلوس :

ـ هنيئا لك الصيد الثمين .

ولكن ! .. الا بد من أن تعلن عن نفسك وتفاخر بصيدك امام الناس ؟

ارتج علي قوله ، قلت :

ـ صيد ! .. لست افهم .. ماذا تعني ؟ .

ـ الا تفهم ؟ .. او لا بد من التخابث ؟ .. الم ترني في المطعم ؟

ـ كلا .. لم آخذ بالي .

ـ انا رأيتك ، ولم اشأ ان احرجك ..

ـ تحرجني .. ابدا كل ما في الامر ، فتاة فقيرة اطعمتها لله تعالى ..

قال وهو يموسق كلماته :

ـ لله تعالى .. اتظنني ساذجا ، كل الناس فهمت .. تأكل في مطعم عام مع بهية فهمي ، ثم تدعي ادعاءك الاجوف !

ـ اسمها بهية فهمي ؟

ـ الم تك تعرف اسمها ؟ يا لك من ساذج ! او ربما تتلاءم .

محاورتي معه تدور في حلقة مفرغة ، فهو يتكلم بايماءات لا افهمها .. كما ان كلماتي لا يستسيغها ، فحاولت ان اشرح له حكايتي مع تلك الفتاة التي تدعى بهية فهمي . كان ينصت لحديثي وهو غير مرتاح لتصرفاتي .. وفي نهاية كلامي قال :

ـ على اية حال ، فان طيبتك دفعتك الى اطعام ساقطة !

ـ ساقطة ! .. لقد بدت لي فتاة مسكينة تعاني من الجوع والبرد القارس .

ـ خدعتك .. كانت تنظر اليك كصيد ثمين .

كانت كلماته ثقيلة .. لم اتحمل كلماته ، وثرت عليه ..

ـ صيد ثمين ، اوه يا احمد ... دعني من تعبيراتك القاسية .. انا اليوم اطعمت فتاة مسكينة تعاني من الجوع والبرد القارس . عملت عملا طيبا . لم التق ببهية الساقطة .. لم اسألها عن اسمها . عملت عملا طيبا ، عملا طيبا .. عن اذنك ، حان موعد القطار .. لم يبق سوى عشر دقائق . ان امي مريضة ، وسأقول لها اني اطعمت فتاة مسكينة .. فتاة لا اعرف اسمها ، ستغمرني بدعواتها الطيبة . وبالمناسبة لقد نصحتني الفتاة بأن أعاود طلبي للزواج من عايدة .. بنت صاحبة البيت ... وسأعمل بالنصيحة عن اذنك .. لا وقت عندي ، ما هي الا دقائق ويتحرك القطار .

مشيت ركضا حتى اضمن وصولي الى داخل المحطة .. ومن لحظة لاخرى ، انظر الى ساعتي لاطمئن على الدقائق القليلة ، لا وقت عندي لقطع تذكرة .. سأدفع ثمنها في القطار . المهم كسب الوقت ... ساعتي الان الثانية عشرة الا احدى عشرة دقيقة .. لا وقت عندي للتفكير في شيء آخر .. المهم اللحاق بالقطار .. لم تبق سوى دقيقة .. اتجهت الى الرصيف فالفيت القطار قد رحل ! ..

.. جمد الدم في عروقي ، ودق قلبي بعنف . نظرت الى ساعة المحطة فادركت ان ساعتي غير مضبوطة ، ساعتي كانت تؤخر خمس دقائق .. خمس دقائق فقط كانت كفيلة بعرقلة سفري الى الزقازيق ، لارى امي المريضة .

القاهرة — **حسني سيد لبيب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابطـال خـارج المسـرح

الى أخي الشاعر صلاح نيازي

عقيمة احلامك الصفراء
يـا حاصد الصحراء
يا مبدع الاسفار في مسامعي
أغنيـة بكـاء ،
كانمـا أبحرت في
... لا شيء في البحار
وجئت بالمحار ...
تلظمه قلائـدا
تنظمه قصائدا
فتشت عنـي
في وجوه الناس والاشياء
نسيتهن كلهن ؟
يا لدعوى شاعر لا يذكر الاسماء !
وهكذا صرت انا القصيدة المنتظره
تكتبهـا ،
لانني الجسر الذي لن تعبره
عقيمة احلامك المحتضره ! ...
((لو كنت في العشرين ،
لكنت قـد صدقت
هذا الحزن يا حزين
أطفلـة كنت ؟
كاني قد نسيت مـا عبر
هل كنت يوما
أعشـق القمـر ؟
هل نام في الشجر ؟
أصيده في الماء ، او أله ،
ألم مـا انكسر ...
أكنـت يومـا
هـذه الصور ؟
أكنت ؟ ما أقساك يا تشرين !
تغضن السنين
في نفسي الاسيره
تطفىء حلم الطفلة الكبيره !...

وأنت يا متيمي الصغير
تلـف او تـدور ...
تفلسف الاشياء
تعوم كـم تعوم
فوق شبر مـاء ؟
فراشة طعينه
تلهث كالنهار في المدينه
يا راسما بكفك السراب
خـذ ظمأي ،
خـذ عطش التراب
فجره ، فجر ـ ان تشأ ـ
لـو انـه العباب
يغمرني ، يكسر كل باب
يا مسرحي الوجه واليدين والعباره
فلترفع الستاره
عن وجهك الباكي وما استعاره ...
عينـاك تفضحان
مـا خبـات مغاره
وصوتك الـ
وشيت هـذا الصوت بالحنان
عيناك تفضحان ،
تفضحـان ...
كـأن فيهمـا
يزدحم السعار
حمرة جلنـار
وحشـا اذا يثـار
دع عنك هـذا الحب
والسهـاد والحنين
ولتغـرق السفين ...
أخاف ان أصدق الحكايه
أصدق الصدق بها ،
فتنتهي الفصول والروايه .

لندن

سامي حداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

منيف الحسيني

بقلم البدوي الملثم

* * *

رأى نور الحياة في بيت المقدس عام ١٨٩٩ وحمل الى يافا رضيعا اذ عين والده المرحوم محمد عارف بن يوسف الراغب الحسيني مديرا لدائرة التسجيل وامضى فيها اربع سنوات ثم انتقل الى نابلس بانتقال والده وصرف فيها نحو ست سنوات وانهى تعليمه الابتدائي وقسما من الاعدادي فيها ، وفتح عينيه في نابلس على والد اديب وشاعر كانت داره نديا لعلماء المدينة وافاضلها ، فمال « منيف » الى الادب وهام به وغرق في امهات مصادره .

وبعد ان احيل والده على التقاعد في العهد العثماني عاد بالاسرة الى بيت المقدس فأكمل منيف دراسته الثانوية في المدرسة المأمونية ثم المكتب السلطاني وظل على صلة بدواوين الشعر وكتب الادب . وظلت دار أبيه في القدس كما كانت في نابلس ندوة لاهل العلم والادب امثال : محمد كامل الحسيني مفتي القدس الاسبق والشيخ علي الريماوي وعبد السلام باشا الحسيني وعلي جار الله والمعلم نخلة زريق وغيرهم ، فكان « منيف » يسمع منهم ويتأدب عليهم وكان « زريق » ذلك اللغوي الفحل يخصه برعايته ويحضه على استظهار بعض القصائد والمقطوعات الشعرية .

وفي الحرب العالمية الاولى عين « منيف » وكيلا لمدير القسم الابتدائي في المكتب السلطاني ببيت المقدس ، ثم دخل المدرسة الزراعية في الاطرون (من ضواحي القدس) ولم يمكث فيها الا قليلا اذ اقتحمت القوات البريطانية ، بقيادة الجنرال اللنبي ، جبهة غزة وبئر السبع ، بعد فشل الحملات البريطانية السابقة ، فاعفي « منيف » من الدراسة الزراعية مع زملائه وعاد الى القدس ، ولم تلبث القوات البريطانية ان احتلت القدس في ١٧ كانون لاول ١٩١٧ ، وكان اكثر الناس يظنون خيرا في الانكليز الا كبار السن الذين صقلتهم التجارب ولهم اطلاع على مجرى السياسة العالمية ، فانهم لم يخدعوا بالسياسة البريطانية في فلسطين بعد ان سمع الشعب العربي بوعد بلفور ورأى عرب فلسطين زعماء الصهيونية والمهاجرين يهرعون بالآلاف الى فلسطين ، فاعترى العرب القلق وساد الخوف من جراء هذه الظاهرة الخطرة وتنادى اهل الرأي في فلسطين لدرس الاوضاع وتدبر الامور .

ولما احتل الانكليز فلسطين كان عرب فلسطين يئنون تحت كوارث وويلات الحرب العالمية الاولى ، ولم يكن لهم تنظيم سياسي او تشكيلات شعبية اذ كانت فلسطين جزءا من السلطنة العثمانية . ورغم كل هذا النقص شعر عرب فلسطين بالحاجة الى التنظيم ، وسرعان ما شكلت الاندية والهيئات الوطنية والجمعية الاسلامية المسيحية التي تزعمت الحركة الوطنية .

وفي ٥ آذار ١٩١٩ عقد في القدس المؤتمر العربي الفلسطيني الاول الذي قرر التمسك بالوحدة السورية والاستقلال التام ومقاومة تصريح « وعد بلفور » وانتخب لجنة تنفيذية للاشراف على الحركة الوطنية وتوجيهها فكان « منيف » في طليعة المنضمين الى هذه اللجنة والى مؤسسي « النادي العربي » الذي أسس في القدس عام ١٩١٩ وسعى مع اخوانه الى فتح مدرسة « روضة المعارف » التي اغلقت ابوابها خلال سني الحرب الكبرى فكان لهذا المعهد الوطني اثر ملموس في دعم الحركة الوطنية وتوجيهها توجيها قويما .

وفي اوائل الاحتلال البريطاني علم « منيف » في « المدرسة الرشيدية » و « المدرسة المأمونية » بالقدس واخيرا أثر اكمال دراسته الزراعية فالتحق بمدرسة الغوطة الزراعية بدمشق التي انشأتها الحكومة العربية السورية في العهد الفيصلي ، ثم انتسب لمدرسة سلمية الزراعية بمحافظة حماه فأمضى فيها سنة دراسية وحصل على شهادتها ثم عاد الى فلسطين وعين مديرا لمدرسة طولكرم الزراعية وقضى فيها ١٤ شهرا . ومشاركة منه في الحركة الوطنية آثر العمل الحر على الوظيفة فانصرف للعمل في الحقل الوطني والتدريس في كلية روضة المعارف .

ورأى « منيف » ان الوضع السياسي في البلاد يتطلب جريدة حرة يصور فيها امانيه القومية وتحمل الى الشعب العربي آراءه السياسية ولتكون منبرا عاما لتنبيه الافكار ومناجزة الاستعمار وللكشف عن الخبائث التي حملها في ركابه وبالتالي لمحاربة سياسة تهويد فلسطين فنال امتياز بجريدة يومية باسم « الجامعة العربية » وصدر العدد الاول منها في ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٧ فكانت لسان حال الحركة الوطنية في فلسطين واستمرت في الصدور مدة تسع سنوات لقي « منيف » خلالها من ظلم الانكليز وجورهم والتضييق على حريته وعلى صحيفته الجريئة الوانا من العذاب .

ولما نشبت الثورة في فلسطين عام ١٩٣٦ اعتقلته السلطات البريطانية مع العشرات من احرار فلسطين واودعتهم معتقل عوجا الحفير ثم معتقل صرفند الذي اقامه البريطانيون على اثر استفحال تلك الثورة واعلان الاضراب الشامل العام الذي استمر ١٨٠ يوما وانتهى مع توقف الثورة بطلب من ملوك العرب وامرائهم .

الى القاهرة : ولما استؤنفت الثورة عام ١٩٣٧ قصد « منيف » القاهرة في مهمة وطنية فبقي فيها نحو سنة يعمل مع بعض زملائه واخوانه في الدعاية للقضية الفلسطينية وفي استثارة العالمين العربي والاسلامي ، يشاركهم في هذا الجهد الوطني كثيرون من فضلاء مصر وكبارها . ولقي « منيف » والعاملون معه رعاية من ساسة مصر حكاما ومعارضين عهد ذاك ومن كتابها ونوابها ورجال صحافتها . واعدت « جمعية الشبان المسلمين » في القاهرة مكتبا خاصا في القضية الفلسطينية وفي النشرات التي كانت تطبع وتوزع في المهجر وفي الاقطار العربية والاسلامية .

الى لبنان والعراق : ولما انتقل مركز النشاط الثوري من فلسطين الى لبنان (بعد انتقال سماحة السيد محمد امين الحسيني واللجنة التنفيذية العليا) استدعي « منيف » الى بيروت واتخذها مقرا لاقامته حتى شهر تشرين الاول ١٩٣٩ اذ قضت الضرورة بانتقال سماحته واخوانه المجاهدين من لبنان الى العراق نتيجة للضغط البريطاني على سلطات الانتداب الفرنسي التي شرعت في اعتقال من تسنى لها اعتقالهم وسجنهم من مجاهدي فلسطين . فبادر « منيف » لبنان الى العراق وقضى مع اخوانه العاملين في الحقل الوطني مدة ١٧ شهرا يعملون من اجل فلسطين ولقوا كل عطف ورعاية من العراق حكومة وشعبا .

وبعد ان انتهك الانكليز حرمة استقلال العراق ونقضوا المعاهدة العراقية ـ البريطانية وحاولوا احتلال العراق بجنودهم وارسال الجيش العراقي الى روسيا بطريق ايران لكن حكومة المرحوم رشيد عالي الكيلاني أبت الانصياع لهم فنشبت الحرب بينها وبين البريطانيين واستمرت شهر أيار ١٩٤١ بكامله وانتهت بخروج رشيد عالي وعقداء الجيش العراقي الاربعة ورئيس أركان حرب الجيش وسماحة الحاج محمد امين الحسيني وعدد كبير من احرار سورية

وفلسطين الى ايران .

الى الموصل : وفي الحرب التي وقعت بين حكومة رشيد عالي الكيلاني والانكليز اشترك عدد كبير من المجاهدين الفلسطينيين مع اخوانهم العراقيين في قتال الانكليز بقيادة الشهيد المرحوم عبد القادر الحسيني في منطقة ابو غريب وتمكنوا من صد الزحف البريطاني بضعة ايام الى ان انهارت المقاومة العراقية المسلحة وفعلت الدسائس الانكليزية فعلها ، فانسحبوا من الجبهة ودخلوا الحدود الايرانية .

أما « منيف » وعشرات من المناضلين الفلسطينيين فقد انسحبوا الى الموصل بناء على تعليمات تلقوها مفادها ان الجيش العراقي سينسحب الى كركوك فالموصل ليتخذ فيهما خطا دفاعيا ، غير أن المقاومة انهارت بعد وصولهم الى الموصل اثر انسحاب رشيد عالي والضباط العراقيين ، فتألفت في بغداد حكومة برئاسة أرشد العمري أخذت على عاتقها تصفية الموقف .

الى سورية : وبعد ثلاثة ايام من تشكيل الحكومة الجديدة اضطر « منيف » ورفاقه لمغادرة الموصل الى سورية بالسيارات عن طريق تلعفر وسنجار فالجزيرة ومن هذه الى دير الزور فحلب وفي هذه اعتقلتهم السلطات العسكرية الفرنسية وارسلتهم الى بعلبك حيث اعتقلوا في معسكر للفرقة المختلطة هناك .

وفي ذلك الحين كانت سورية ولبنان تحت الحكم الفيشي ، وكان الديغوليون يزحفون على سورية ولبنان بالاشتراك مع القوات البريطانية ، فتم احتلالهما بعد مقاومة ضئيلة . وهنا وقف « منيف » ورفاقه الفلسطينيون موقف الحذر وعملوا على اخفاء اخوانهم المجاهدين في اماكن امينة في سورية ولبنان وتمكن بعضهم من دخول تركيا كلاجئين سياسيين وبعد حين قبلت حكومة انقرة عددا من اعضاء اللجنة العربية العليا كالمرحوم معين الماضي ومحمد عزة دروزة والمرحوم الشيخ حسن أبي السعود واسحق درويش وعددا من المجاهدين الفلسطينيين كعارف عبد الرزاق وحسن سلامة وبعضا من الساسة الفلسطينيين امثال : اكرم زعيتر ، واصف كمال ، ممدوح السخن ، راسم الخالدي وغيرهم . وعددا من الساسة السوريين والاردنيين امثال : الامير عادل ارسلان ، نبيه العظمة ، الدكتور محمد صبحي ابي غنيمة ، الدكتور محمد حجازي ، بينما توجه بعض الفلسطينيين والسوريين والعراقيين جوا الى ايطاليا والمانيا كعادل العضمة ومنير الريس ومحمد العفيفي وسعد الدين عبد اللطيف واكرم الجاعوني وسليم الحسيني واستقروا فيها حتى انتهت الحرب العالمية الثانية بانهيار دولتي المحور .

أما « منيف » فلم تسمح السلطات التركية بدخوله الى اراضيها لنشره مقالات سياسية عنيفة في جريدته « الجامعة العربية » بقلم أمير البيان الامير شكيب ارسلان في نقد تركيا الكمالية لجنوحها الى السياسة العلمانية وانصرافها عن النزعة الاسلامية والشرقية الى النزعة الغربية ولالغائها الخلافة الاسلامية ولاستبدالها الحرف العربي بالحرف اللاتيني والغاء الاحكام الشرعية والاستعاضة عنها بالقانون المدني السويسري وغير ذلك من التجديدات والبدع . فاضطر « منيف » للبقاء في حلب مختفيا في بعض احيائها بضعة شهور ، وبعدها جد رجال المخابرات البريطانية في طلب المجاهدين والساسة الفلسطينيين والسوريين والاردنيين والعراقيين وغيرهم من المناضلين المعروفين بمقاومة السياسة البريطانية الاستعمارية ـ الصهيونية والقوا القبض على عدد منهم فساموهم سوء العذاب واعدموا بعضهم .

واخيرا يسر الله لـ « منيف » سبيل السفر متخفيا الى الحجاز ، سالكا طريق البر الى دمشق ومنها الى بغداد فالنجف الاشرف حيث تجمعت قوافل الحجاج العراقيين والايرانيين والسوريين . وفي مستهل عام ١٩٤٢ بارحت قوافل الحجيج النجف وامضت بضعة عشر يوما في قطع الفيافي والقفار وبحار من الرمال في صحراء النفود



البدوي الملثم .

•

الى ان نفد الماء والغذاء وتعطلت السيارات واصبح الحجاج على شفا الهلاك الى ان قيض الله لهم سيارات بعث بها أمير الحدود السعودي فاسرعت في نقل الحجيج الى « حائل » ومن هذه الى المدينة المنورة فجدة فمكة المكرمة .

وأمضى « منيف » بقية سني الحرب العالمية الثانية متنقلا بين مكة والمدينة وجدة والطائف ولقي خلالها رعاية من الملك عبد العزيز آل سعود وامراء البيت المالك وتوثقت عرى الصداقة والمودة بينه وبين رهط من افاضل السعوديين .

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية وافاه الى السعودية الشهيد المرحوم عبد القادر الحسيني قادما من العراق ، بعد ان سجنته السلطات العراقية مع رفاق له اثر انهيار حكومة رشيد عالي الكيلاني، في طريقه الى مصر للمعالجة ، فلما بلغ الرياض استبقاه الملك عبد العزيز آل سعود في ضيافته . واخيرا جاء الطائف ، حيث يقيم « منيف » وقضيا معا نحو سنة ثم ودعه الى القاهرة وفي ربيع عام ١٩٤٦ وافاه « منيف » اليها .

وخلال اقامة « منيف » في مصر علم من الرسائل التي كان يتلقاها من اوروبا ، حيث كان سماحة الحاج محمد اميين الحسيني معتقلا وموضوعا تحت الحراسة قرب باريس اثر انهيار المقاومة النازية، ان سماحة المفتي عازم على الخلاص من اسر الفرنسيين الذين اخذ الانكليز واليهود واعوانهم يضغطون عليهم بشدة لتسليم سماحته واحالته على محكمة نورمبرغ ليحاكم كمجرم حرب بداعي تعاونه مع النازيين على ابادة اليهود .

ومثل هذا طلبت يوغوسلافيا محاكمة سماحته بتهمة التعاون مع المحور وتشكيل فرقتين من مسلمي البوسنه لقتال القوات اليوغوسلافية ، لكن الله سهل لسماحته سبيل النجاة فهبط مصر سرا في شهر حزيران ١٩٤٦ ولازمه « منيف » دون افتراق وتالفت برئاسة سماحته « الهيئة العربية العليا » خلف « اللجنة » العربية العليا » وتلت ذلك أيام من الكفاح والعمل المضني ، فجاءت لجنة تحقيق انسكوب(١) وصدر قرار الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني١٩٤٧ بتقسيم فلسطين وتدويلها ثم اشتعلت نار الثورة في فلسطين لمقاومة سياسة البطش والعدوان ، وبعدها وقفت السياسة العربية الرسمية موقفا انتهى بوقوع الكارثة الكبرى ودخول الحكومات العربية في مفاوضة الصهيونية المعتدية في رودس وفرضها الهدنة .

ثم توالت الاعتداءات الصهيونية لاحراز مكاسب في الجبهات العربية ، وخلال هذا كله كان « منيف » يعمل مديرا لديوان الهيئة

العربية العليا وعضوا فيها .

وقضت الظروف بان تكون بيروت مقرا للهيئة العربية العليا فانتقلت اجهزتها الى بيروت ، واتيح لـ « منيف » ان يواكب القضية الفلسطينية في سائر مراحلها وادوارها .

نماذج من شعره : يتميز شعر « منيف » باللون القومي وتسوده النزعة الوطنية . فما نزلت بقطر عربي مصيبة الا وسجلها شعرا يفيض بالتفجع والتذكير بلفسطين الفجيع :

كنا وكان العيش رغدا ... والعرب يستبقون مجدا
كنا أشد لدى النوائب ... قوة وأعز جندا
ذهب الذين بنوا لنا ... مجدا فليت لهم مردا
تبا لدهر قلب ... يمشي بنا عكسا وطردا
يبدع الذليل مسودا ... ويصير فيه الحر عبدا

من مبلغ عني الكرام ... مقالة تسدى فتهدى
اني أرى الحلفاء لا ... يرعون للضعفاء عهدا
وارى الليالي دون ادراك ... المنى أحكمن سدا
نبئت أن سراتنا ... لا يشترون اليوم حمدا
لبسوا الحرير على السرير ... وهادنوا الخصم الالدا
لانت جنوبهم على الديبا ... ج يمتهدون مهدا
في خفض عيش ناعم ... وهناءة ممسى ومغدى
ناموا عن الوطن الذبيح ... ووسدوا الآمال لحدا
لا بأسهم يخشى ولا ... أيديهم في الخير تندى
وقست قلوبهم فباتت كالحجارة أو أشد
بخل الغني فان سخا ... أعطى على كره وأكدى
خان الامانة معشر ... قطعوا لاسرائيل عهدا
ومن الدنية ان نقا ... د الى الذي ناباه قودا
يا « قدس » تفديك الكرام ... وحق بيتك ان يفدى
أعلاج اسرائيل تجمع ... أمرها وتروم كيدا
والمسجد الاقصى العظيم على ... شفا هول تبدى
هل ماجد يحمي الذمار ... ويكشف الكرب الاشدا
أين الفطارف يهرعون ... وينهدون اليك نهدا
بالبيض أحسن صقلها ... ضرب يقد الهام قدا
قد طلقت أغمادها ... لتصير الاعناق غمدا
وبصافنات ضمر ... لا تشتكي نصبا وكدا
وعلى « المكبر » فتية ... يستعذبون الموت وردا
« عمر » أمير المؤمنين ... يخط للبطريق عهدا
و « أبو عبيدة » عامر ... ليث العرين يقود أسدا
و « ابن الوليد » تخاله ... هولا تمرد واستبدا
قطع المفازة « خالد » ... وأنت نواصي الخيل تردى
واذكر « شرحبيل » وعمرا ... وادع « عكرمة » المفدى
ضربوا بزنطة ضربة ... هدت صروح البغي هدا
واذا ذكرت القادسية فاذكر ... الهول الاشدا
واذكر « حذيفة » و « المثنى » ... و « ابن مسعود » و « سعدا »
وجحا جحا خفوا الى ... غاياتهم عنقا وشدا
اما نسبت قبيلهم ... قطحان تلقى او معدا
ساروا الى ورد الردى ... ولقا العدى جمعا وفردا
واسال غداة الروع عنهم ... « ابرويز » و « يزدجردا »
واستنبىء التاريخ ما ... فعلوا بـ « رستم » اذ تصدى
فتحوا العراق وفارسا ... وغزت كتائبهم « خقندا »
وأتوا « نهاوند » و « بلخا » ... و « خراسان » و « سندا »
واذكر « صلاح الدين » اذ ... لقي الفرنجة واستعدا
هزم الفيالق « يوسف » ... تتحرى كرمل الارض عدا
« ريكارد » ينكص مدبرا ... والفرا رنباط يردى
وبطاح حطين غدت ... لكامتهم جدثا ولحدا
هذي فلسطين التي ... الفت حياض الموت وردا
هلا ندبت قرومها ... فاتتك اشياخا ومردا
انا مساعير الحروب نزيدها ... ضرما ووقدا
من رام عيشا طيبا ... فليمض نحو الموت عمدا
والحق حق ما جعلت لحفظه سيفا ونهدا

وفي حفلة اقيمت في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة احياء لذكرى الشهيد عبد القادر الحسيني القى « منيف » قصيدة صور فيها مأساة فلسطين وما انتابها من عوادي الايام وصروف الليالي :

لمن الدار اقفرت والمعالم ... غاب عن غيلها الليوث الضياغم
كيف حالت جنانها الزهر صحارى ، وجاورتها الاراقم
وصروف الزمان البست روضها الضاحك ثوب الحداد أسود قاتم
أجحيم تلذ بعد نعيم ... وسموم من بعد تلك النسائم
ويح نفسي ، أواقع ما تراه عيناي أم تلك اطياف حالم ؟!

يا فلسطين قد رمتك الليالي ... بسهام من الرزايا قواصم
طمعت فيك اشقياء يهوذا ... فرمونا بكل أجلف غاشم
ضرجوا بالدما رباك فباتت ... كل دار مكتظة بالمآتم
ذبحوا في ثراك كل رضيع ... لم تفتق اكمامه كالبراعم
قذفوا بالحديد والنار قبلتك الاولى واسرفوا في المآثم
وبنو قومنا الاعارب يلهون ... يعوذون بالرقى والتمائم
في رغيد من الحياة وصفو ... وجنان خضر وعيش ناعم
بخلوا بالسلاح اذ ملكوه ... وتساموا في عزة وتعاظم
يملأون الدنيا وعيدا ووعدا ... ونقيقا كما تنق العلاجم (٢)
هادنوا الخصم ضلة ثم راحوا ... يقرعون الغداة أسنان نادم
ان يثوبوا فذاك خير وابقى ... او يناموا فالخصم ليس بنائم
أين بغداد جمرة تتلظى ... أين نجد عقبانها والقشاعم
أين أرض الشآم تفزع بالخيل ... وصنعاء بالقنا والصوارم ؟
أين أيام كندة ونزار ... وقريش وحمير والبراجم (٣)
وأياد ووائل وتميم ... وحماة الحمى واهل المكارم
كان للعرب دولة وجنود ... وحشود من كل أروع صارم
غالها الدهر في بطون الليالي ... وطواها في عهده المتقادم
فاستحالت نهبا لكل طموع ... وطعاما لكل غرثان طاعم

فتية من بقية السيف قامت ... في فلسطين بالامور العظائم
ركبوا الهول يطلبون المنايا ... في شواظ النيران والجو قاتم
فاسال القسطل (٤) الذي ضرسته ... بضعة من نيوب تلك الضراغم
و « الحسيني (٥) مقبل وقد بسط الموت جناحيه والخطب داهم
يا « أبا فيصل (٦) » و «موسى» و «غازي» وسليل الكماة من فرع هاشم
قد لقيت الردى ببأس شديد ... وبثغر يوم الكريهة باسم
ومشت حولك الميامين تترى ... في حنين الى الشهادة دائم
وبريق الحديد يلمع حينا ... ثم يخفى في عثير متراكم
نعمت عين من رأى الاروع القسام فخر بيض العمائم
« حسن » الخير ، ذلك الاسد الورد ... قضى صريع تلك الملاحم

(١) في ٢٨ شباط ١٩٤٧ انتدبت هيئة الامم المتحدة لجنة خاصة للتحقيق في القضية الفلسطينية عرفت باسم لجنة U.N.S.C.O.P

(٢) مفردها « علجوم » ومعناه ذكر الضفدع . (٣) بطن من مذحج وهي قبيلة يمنية . (٤) و (٥) معركة القسطل التي استشهد فيها المرحوم عبد القادر الحسيني يوم ٨ نيسان ١٩٤٨ . (٦) كنية المرحوم الشهيد عبدالقادر الحسيني (٧) اشارة الى قول (شوقي) في قصيدته المشهورة عن دمشق وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق

ابن « عبد الرحيم » يلقى الاعادي والمنايا في لجها المتلاطم
وشهيد المزار « فرحان » ظلما صلبوه في سجنه وهو صائم
و « أبو درة » الذي اسلمته يد الغدر طعمة للاراقم
و « السعيدان » والشهيد «سرور» و «الحنيطي» و « الخليل» الاكارم
ومئين من مثلهم والوف قارعوا البغي بالظبى واللهاذم
ادرجوا في الثرى وماتوا كراما وبكتهم عواتك وفواطم
نضر الله في التراب عظاما وسقاها صوب من المزن ساجم
أيها الطامعون فينا رويدا ان صرح الباغي ضعيف القوائم
قل لمن رام في الحياة خلودا ليس حي من المنون بسالم
انما الخلد جنة لشهيد في نعيم عند المهيمن دائم

وفي عام ١٩٢٥ كانت انباء جهاد بطل الريف الامير عبد الكريم الخطابي وانتصاراته تدوي في العالم فنظم « منيف » قصيدة في مدح هذا المجاهد العربي العظيم وتحيته ومنها :

لك الفخر فاصعد ذروة المجد وارتق الى حيث يعيي كل نسر محلق
لك الشرف العالي تليدا وطارفا بعزمك من حد السنان المذلق
تناهى اليك المجد فالجد صاعد وذكرك يسري بين غرب ومشرق
تركت بني الدنيا نشاوى كانما سقيتهم من كاس خمر معتق
وقدت الى الهيجاء فرسان امة على كل نهد من كميت وابلق
وغادرت في اسبانيا كل غادة تنوح على اوصال شلو ممزق
ألم تر كيف الله بدد جمعهم وشردهم في كل بيداء سملق
فلا رأبوا أو أنهم شارفوا حمى ولا جمعوا أشتات شمل مفرق
سقيتهم كاسا دهاقا كانما مذاقتها من حنظل متفلق
لقوا غير ما خالوا فطاشت عقولهم وقطع منهم كل زند ومرفق
فولوا يرومون النجاة من الردى وحكم سيف الحق في كل مفرق
وقد حشدوا عد الحصى وتكالبوا يظنون ادراك المنى بالتفوق
فيالق تزجى للهلاك فترتمي ممزقة الاجساد أي ممزق
فباتوا يعضون الاكف ندامة وبات « ديرفيرا » بهم مؤرق
وصار عزيز القوم ان يلق طيفك المروع في أحلامه منه يفرق

وقفت وقد أوردتهم مورد الردى تلفت فيها لفتة المتشوق
ربوع بها الاسبان حطوا رحالهم فكبكبتهم ما بين ربو وخندق
فنلت الذي قد كنت ترجو مناله وحققت أمرا لم يكن بالمحقق
تتوق اليه في فلسطين امة ويطمع في أمثاله شعب جلق
لئن أطردوا فالحزم ليس بمطرد وان خرقوا فالرأي ليس باخرق
هم قسطوا والقسط هلك لاهله ومن ينحرف عن منهج الحق يصعق

فمن مبلغ عني كرام عشيرتي وأهل النهى من مغربي ومعرق
بان الفتى (عبد الكريم) تضوعت خلائقه من فار مسك مفتق
جلا كل مكروه احاط بقومه بسيفين من عزم ورأي موفق
فبوركت من ذي نجدة عربية يرد صداها كل غرب ومشرق
اذا جن ليل الخطب واحلولك الدجى فانت سناء الكوكب المتالق

وفي شهر ايار من عام ١٩٢٧ تنادى ادباء وشعراء العالم العربي لمبايعة احمد شوقي على امارة الشعر واقاموا لهذه المناسبة اسبوعا اطلقوا عليه « اسبوع شوقي » واشترك فيه رجالات العرب واشهر ادبائهم من المحيط الى الخليج ومثل فلسطين سماحة الحاج محمد أمين الحسيني ومحمد اسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني ومحمد علي الطاهر صاحب « الشورى » ومنيف الحسيني وقد القى قصيدة في تحية اسبوع امير الشعراء ومنها قوله :

سقى الله في أرض الكنانة أربعا مفتحة الانوار ، مخضلة الربا
ذكرت بها ربعا كان نسيمه ذكي الغوالي ينفح العرف طيبا
واعين آرام كان حداقها تحلين من صافي الدجنة غيهبا
وجنات انوار تضاحك في الضحى أقاحين ، نصاعا ، ووردا ، ومذهبا
منازل اخواني ، ودور عشيرتي تركت بها خلفي لذي اللهو ملعبا

هبطنا الى الوادي الاغن وارضه فكانت لنا أما ، وكانت لنا أبا

نداء الطلول

الى امريء القيس

سألتك ان تعيديني وليدا
له عيناك والوجه الجميل
فقد أبلى الجديد جديد ثوبي
ومال بظل راحلتي الاصيل
وما قولي قفا : الا لاني
شجتني الارض تهتف والطلول
فمن يرجو الخلود بغير حب
تغور قبل يدركه الافول
وما طلل تعفى غير قلب
تهاوى حين لج به الذبول
سألتك أن تعيديني فنحيا
معا والعمر بستان ظليل
سأولد في غدي غردا يغني
اذا ما القلب أشجاه الرحيل

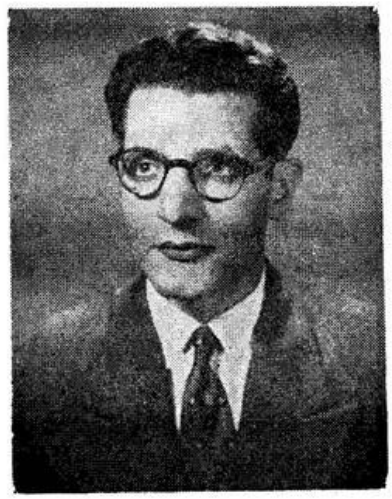
وديع ديب

وما هي الا نهلة منه فارتوت نفوس لنا قد كن من قبل لغبا
ولولا التقى والبر بالاهل والحمى وحسبان هذا القلب في الحب قلبا
لقلت ذراني بارك الله فيكما خليلي ، في أرض الكنانة واذهبا
اليك أمير الشعر تقدفنا النوى وان أنت أغلبت المهور لنخطبا
وهذي وفود شفها دلج السرى اليك تناهت موكبا ثم موكبا
تخير من بحر المعاني لآلئا حسانا الى «شوقي» ودرا مثقبا
اذا لحنت كانت غناء مطربا وان نظمت كانت قريضا مهذبا
اذا احتملوها من بعيد غرائبا فاهداؤها اللجي قد كان أغربا
أأحمد قد جئنا ظماء وانما أتينا الى مصر ظماء لنشربا
سحابك هذا لن يرى اليوم ممسكا وهل كان قبل اليوم برقك خلبا؟!
عهدنا معين الشعر قبلك ناضبا كما كان روض الشعر قبلك مجدبا
ملكت زماما منه صعبا قياده فذلل أعطافا ووطأ منكبا
أقمت لهذا الشرق في الشعر دولة وكنت له فيه الامير المحببا
غذوت بنيه منك ففضلا وحكمة ورويتهم من سحر معناك صيبا
وقد كنت في سر الليالي خبيئة فاشرقت في افق الفصاحة كوكبا
وذكرت أضحى في فم الدهر قاتما يجوب بلاد الله شرقا ومغربا
وما أنت الا منهل ان تدفقت مناهل شتى كان اعذب مشربا
سللت حساما من لسانك ماضيا حفظت به للنيل حقا مغيبا
بني مصر لا حق هناك ومنطق اذا لم تحالفه الاسنة والظبى
وهذي ديار الشام (والقول قوله) تمد لدق (٧) الباب زندا مخضبا
نمتنا وإياكم عروق الى العلى عتاق فما يزددن الا تشعبا
سنحفظ عهد الود والله شاهد ونذكر هذا القطر ريان مخصبا
ومجلسنا في الرحب ما ان تريبه من الناس الا الاريحي المؤدبا
وايام انس وضحا غير نكر زواهر ان قلت المنى كن أعذبا
لكم في اكتساب المكرمات مذاهب وان لنا في الحمد والشكر مذهبا
فلا أقفرت منكم ربوع أو اهل ومصباح هذا النور في الشرق لاخبا

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

تأثير ابن شهيد في ابي العلاء

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

وجدت في دوائر الاستشراق بحوث كثيرة حول صلة رسالة الغفران بالكوميديا الالهية لدانتي وأسرف الكاتبون في هذه الناحية اسرافا لا يزال يتجدد ومع هذا السرف المسرف في تأكيد العلاقة بين الاثرين الادبين الكبيرين او نفيها فاننا لم نر فيما قرأناه لهؤلاء بحثا يحلل صلة الغفران بالتوابع والزوابع تحليلا جديا مدعما ، وعلى افتراض ان تكون الصلة مقطوعة مجذومة افلا يكون هذا القطع المجذوم موضع بحث يقضي على الشبهات ! مهما كان الاثران النفيسان في أدب واحد ، وفي حقبة واحدة مما يدعو الباحث الى نظر بصير !

ولكن كتاب العرب لم يغفلوا ذلك ، فمنذ عرفت رسالة التوابع والزوابع سنة ١٩١٥ في مصر حين اهتم بها الاستاذ محمد المهدي لاول مرة في عصرنا الحديث ، فتحدث عنها لطلابه بالجامعة المصرية القديمة ـ وهم فيما بعد ـ ذوو نباهة وتمحيص ، منذ ذلك ، والآراء تختلف حول صلة التوابع والزوابع برسالة أبي العلاء فتارة تؤكد هذه الصلة ، وتارة تجزم بامتناعها ، ونحن ابناء العرب قد ورثنا ابن شهيد وأبا العلاء معا ، فلن نتحيز لاديب منهما على الاخر ، ولكننا حين نبحث هذا الموضوع نكشف عن وجه الحق كما يتراءى لناظره ، ونقدم من الادلة ما نراه يميل براي على رأي ، ويهمنا ان تنفرج دائرة هذه الآراء عن صواب سديد .

واذا كانت رسالة ابي العلاء من الشهرة والذيوع بحيث لا تحتاج هنا الى تلخيص او تحليل ، فان رسالة ابن شهيد تحرز كثيرا من طرافتها الخالبة ، فقد تحدث صاحبها عن رئي أديب من الجن كان يصاحبه في رحلته الى ديار عبقر ، يسير به كالطائر يجتاب الجو فالجو ويقطع الدو فالدو حتى يشارف أرضا لا كأرضنا وجوا لا كجونا متفرع الشجر عطر الزهر فيصل به الى دارات ملهمي الشعر ويناقش معه صاحب امرىء القيس يستمع منه ويسمعه ثم يغادره الى اصحاب طرفة وقيس بن الحطيم ، وابي تمام والبحتري وابي نواس وكلهم يسمعه ويجيزه ثم ينتهي به الى شياطين الكتاب ويسميهم ابن شهيد خطباء فيلقاهم في محفل واحد ، ويسامر أصحاب الجاحظ وعبد الحميد وبديع الزمان على نحو يضمن الفلح والانتصار لابن شهيد ، وأنا لم أعرف ان للكتاب شياطين كما للشعراء الا حين قرأت رسالة التوابع والزوابع فلعل ابن شهيد يشير الى ان الالهام ذو أصل واحد عند أولئك وهؤلاء وقد مضت الرسالة تفتن في عرض هذه الرحلة الادبية عرضا يستريح له القارىء وان ثار على بعض ما يتردد بها من الاحكام القاطعة كما يعتنقها ابن شهيد ويحاول ان يقنع بها الناس !

واعجب ما يروقني في التوابع والزوابع قدرة صاحبها على الوصف المناسب ، وتدسسه الى مواطن الغمز في حيوات الادباء واشعارهم فصاحب أبي تمام مثلا يأوى الى شجرة غيناء يتفجر من أصلها عين كمقلة حوراء فاذا ناداه أشتق الهواء صاعدا من الماء (وكان ابو تمام سقاء يبيع الماء أول أمره) فيسأله وما الذي أسكنك قعر هذه العين فيقول حيائي من التحسن باسم الشعر وأنا لا احسنه ، وصاحب أبي الطيب المتنبي صلف فخور يسمع غيره ولا ينشد لنفسه وهو فارس على فرس بيضاء وبيده قناة قد أسندها الى عنقه وعلى رأسه عمامة حمراء قد أرخى لها عذبة صفراء وقد حياه فأحسن الرد ناظرا من مقلة شوساء قد ملئت تيها وعجبا . وصاحب بديع الزمان الهمذاني يسمع ابا عامر بن شهيد حاسدا مغيظا ثم يضرب الارض برجله فتنفرج له عن مثل برهوت يتدهدى اليها فتجنح اليه ويغيب بها . اما صاحبا الجاحظ وعبد الحميد فيقولان له : لنخبط منك في بيداء حيرة وتفتق اسماعنا منك بعبرة ، ولا ندري انقول أشاعر أم خطيب فيقول ابن شهيد الانصاف أولى والصدع بالحق احجى ولا بد من قضاء فيردان عليه انصرف فانت شاعر وخطيب معا .. ويمضي والابصار اليه ناظرة ، والاعناق نحوه مائلة .

اما صاحب أبي نواس فما أحسن ما تحدث عنه

(*) نشرت احدى المجلات العلمية اقل من نصف هذا البحث مبتورا فرأيت ان انشره مبسوطا وافيا بمجلة الاديب . ١ هـ

ابن عامر ، رآه في دير حنة وهو دير عظيم تعبق روائحه وتصول نوافحه ، واقبلت نحوه الرهابين مشددة بالزنانير ، وقد قبضت على العكاكيز ، بيض الحواجب واللحى ، اذا نظروا للمرء استحيا مكثرين للتسبيح ، وعليهم هدى المسيح ، فقالوا أهلا بك من زائر ؟ ما بغيتك؟ فقال صاحب ابي نواس . فقالوا انه في شرب الخمرة منذ أيام عشرة وما ستنتفع به ، قال ابو عامر : ونزلنا وجاؤا بنا الى بيت قد اصطفت دنانه وعكفت غزلانه وفي فرجته شيخ طويل الوجه والسبلة قد افترش أضفات زهر ، واتكأ على زق خمر ، وحواليه صبية كأظب تعطو الى عرارة ، فحييناه ، فجاوب بجواب لا يعقل لغلبة الخمر عليه ، فانشدناه بعض خمرياته (وذكر ابن شهيد) فصاح من حبائل نشوته ، واستدعى ماء قراحا فشرب منه وغسل وجهه فافاق واعتذر الي من حاله فأدركتني مهابته واخذت في اجلاله ، واخذت أنشده قصائدي فقام يرقص ويردد ، ويقول : هذا والله شيء لم نلهمه نحن ، ثم استدناني فدنوت منه فقبل بين عيني وقال اذهب فانك مجاز .

على هذا النمط البديع سارت رسالة التوابع والزوابع ، فأعجبت القراء وتصارع حولها الباحثون من الادباء . ونحن هنا نوجز ما عثرنا عليه مما قيل معقبين بما يتضح لنا بعد الامعان .

أشار الاستاذ الدكتور احمد ضيف في كتابه «بلاغة العرب في الاندلس » الى ان ابن شهيد قد تأثر بأبي العلاء . وهو أول باحث عربي أصدر حكمه في هذه المسألة ، وكان دليله الاول ان شهرة أبي العلاء قد طبقت المشرق والمغرب فلا بد ان يكون ابو عامر قد قرأ رسالته واحتذاه .

يقول الدكتور ضيف ص ٤٨ « وقد كتب رسالة هي أشبه برسالة الغفران من حيث أسلوبها الادبي وسماها التوابع والزوابع وكان يقلد ابا العلاء في ذلك لانه أدرك عصره ولان شهرة ابي العلاء كانت ذائعة في المشرق والمغرب ، وكان أهل الاندلس يقلدون المشرق في كل شيء » .

واستاذنا الكبير الدكتور ضيف كان يكتب دراسة موجزة منهجية في أدب الاندلس لاول مرة في العصر الحديث ، فلم يكن من همه أن يقف وقفات طويلة عند كل رأي . ولو فعل لامتد به التأليف الى اجزاء طوال ، وهذا لم يكن ، لانه كان يلقي الاضواء الاولى على تراث ثمانمائة عام ، ويجتهد قدر الطاقة ان يحشد من المؤلفات والمؤلفين ما يسمح به مجال مذكرة جامعية تلقى على الطلاب . ولسنا شهد الله نضائل من كتابه الرائد فحسبه ان كان الخطوة الاولى في طريق المكتبة الاندلسية المعاصرة ولكننا نقول أن اثر العجلة السريعة قد ظهر في حكمه على ابن شهيد بتقليد ابي العلاء اذ ان اقوى حجة لديه ان عصر ابن شهيد يتدرج في عصر ابي العلاء فقد عاش من سنة ٣٨٢ الى ٤٢٦ وعاش المعري من سنة ٣٦٣ الى سنة ٤٤٩ ، وكانت شهرته اذيع واشهر ، ولو سلمنا ان شهرة ابي العلاء كانت مستفيضة في الاندلس ما منعه ذلك ان يقرأ أدب الاندلس ويرجع اليه ، واذا كان المعري المتمكن المتمرس يجلس مجلس الاستاذ من ابن شهيد الشاب اللاهي في تقدير مؤرخي الادب ، فكم من استاذ تأثر ببعض افكار تلاميذه ، فليست استفاضة الشهرة وحدها دليلا يعتمد عليه في ذلك حتى يتقدم به الدكتور ضيف في تأييد حكمه دون ان يشفع به بعض المبررات المحتملة . وما كان اكثرها لو اتسع امامه المجال على اطمئنان وئيد .

ولكن الدكتور زكي مبارك في الجزء الاول من النثر الفني ، قد وقف تجاه المسألة وقفة طويلة ، فتأمل كلام الدكتور ضيف ثم اتضح له ما يخالفه ، واستند الى مؤكدات ملموسة من المنطق والتاريخ فصلها حين قال ص ٢٥٩ :

« وقد رأينا ان نحقق هذه المسألة فبحثنا طويلا عن التاريخ الذي وضعت فيه رسالة التوابع والزوابع فلم نهتد ، ولكننا رأينا في الرسالة نفسها ما يدل على انه وضعها وهو كهل ، فقد جاء على لسانه ما يشير الى ان من اخوانه من بلغ الامارة وانتهى الى الوزارة .. ولكن لا ينبغي ان تخدعنا هذه التعابير ، فهناك نص يدل على انه وضعها وهو شاب ، فقد حدثنا في التوابع والزوابع ان الجن قالوا له : بلغنا انك لا تجارى في ابناء جنسك ولا يمل من الطعن عليك والاعتراض لك فمن أشدهم عليك .. وقد اجاب : جاران دارهما صقب وثالث نابته نوب فامتطى ظهر النوى وانتضى على لسانه عند المستعين » وهذا يشعر بانه كتب هذه الرسالة في عهد المستعين وقد بويع بقرطبة سنة ٤٠٠ ثم جددت بيعته سنة ٤٠٣ ومات مقتولا سنة ٤٠٧ ومن هنا نرجح ان رسالة التوابع والزوابع كتبت بين سنة ٤٠٣ ، سنة ٤٠٧ .

هذا جانب من المسألة اما الجانب الاخر فهو التاريخ الذي وضعت فيه رسالة الغفران واذا كانت الرسالة جوابا على رسالة ابن القارح فقد عدنا الى رسالة ابن القارح فانتهنا الى قوله : « وكيف أشكو من قاتني وعالني سبعين سنة ، فعرفنا انه وضعها بعد ان جاوز السبعين ثم نظرنا فوجدناه ولد سنة ٣٥١ فاذا اضفنا الى هذا الرقم ٧٠ وجدناه كتب رسالته حوالي سنة ٤٢١ وتكون النتيجة ان رسالة الغفران كتبت حوالي سنة ٤٢٢ ، واذا قدرنا ان ابن القارح قال نيفا وسبعين وللنيف دلالاته وقدرنا ان ابا العلاء اعتذر عن تأخير الرسالة بانه يستطيع بغيره كان من الممكن ان تكون رسالة الغفران كتبت بين سنة ٤٢٢ ، سنة ٤٢٤ » .

ثم قال الدكتور مبارك : « ونتيجة هذا التحقيق ان رسالة الغفران كتبت بعد رسالة التوابع والزوابع بنحو

عشرين سنة ، وصار من المرجح ان يكون ابو العلاء هو الذي قلد ابن شهيد ، وكما كان الاندلسيون يقلدون اهل المشرق في كل شيء كان اهل المشرق يحرصون اشد الحرص على متابعة الحركة الادبية في الاندلس بدليل ان رسائل ابن شهيد ذاعت في الشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل ان يموت وقبل ان توضع رسالة الغفران»

نتيجة مضادة قد انتهى اليها الدكتور مبارك وهي ذات دليلين ، دليل قطعي ودليل راجح . فالدليل القطعي ان ابن شهيد مات سنة ٤٢٦ بعد مرض اقعده مدة طويلة، وقد كتبت رسالته قبل ذلك باعوام كثيرة قدرها الدكتور مبارك بنحو عشرين .. والمؤكد انها اقل من ذلك كما قرر الدكتور احمد هيكل ، وسيأتي توضيح رأيه عن قريب .. هذا هو الدليل القطعي ، اما الدليل الراجح فهو ان ابا العلاء تأثر بابن شهيد لان رسائل ابن شهيد ذاعت في المشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل ان يموت ابن شهيد وقبل ان توضع رسالة الغفران .. فلا بد ان تكون قد انتهت الى ابي العلاء وقد بحثت في كتب المشرق التي عناها الدكتور مبارك فرأيت ان يتيمة الدهر للثعالبي هي التي تحدثت عن ابن شهيد في حياة ابي العلاء فذكرت بعض شعره وبعض نثره دون ان تشير الى رسالة التوابع ، وكان علي بعد ان اثبت شيئين هامين في هذا الصدد ، الشيء الاول ان الثعالبي كان يعرف رسالة التوابع والشيء الثاني ان ابا العلاء قد قرأ اليتيمة .

اما ان الثعالبي كان يعرف رسالة التوابع ، فواضح من مختاراته الشعرية والنثرية لابن شهيد ، اذ ان من يقرأ الجزء الثاني من يتيمة الدهر مطبعة حجازي يجد المختارات قد جاءت ابتداء من ص ٣٥ كما يلي :

المقطوعة الاولى مختارات من قصيدة « شجته طلول من سليمى وادور » ص ٣٥ ج ٢

المقطوعة الثانية مختارات من قصيدة « أمن رسم دار بالعقيق محيل » ص ٣٦ ج ٢

المقطوعة الثالثة مختارات من قصيدة « منازلهم تبكي اليك عفاءها » ص ٣٧ ج ٢

المقطوعة الرابعة مختارات من قصيدة « أبكيت اذ ظعن الفريق فراقها » ص ٣٧ ج ٢

المقطوعة الخامسة مختارات من قصيدة « أفي كل عام مصرع لعظيم » ص ٣٩ ج ٢

المقطوعة السادسة مختارات من قصيدة « هذه دار زينب والرباب » ص ٣٩ ج ٢

المقطوعة السابعة مختارات من قصيدة « أصفيح شيم أم برق بدا » ص ٤٠ ج ٢

المقطوعة الثامنة مختارات من قصيدة « أبرق بدا أم لمع ابيض فاصل » ص ٤١

المقطوعة التاسعة مختارات من قصيدة « هاتيك دارهم فقف بمغانيها » ص ٤٢

المقطوعة العاشرة مختارات من قصيدة « ومرتجز القى بذى الاثل كلكلا » ص ٤٣

المقطوعة الحادية عشرة مختارات من قصيدة ص ٤٣

هذه القصائد نقلت هكذا وفق ترتيبها في رسالة التوابع والزوابع كما ذكرها ابن بسام بالذخيرة ١ ــ ١ ابتداء من ص ٢١٣ حيث المقطوعة الاولى وص ٢١٤ حيث المقطوعة الثانية وص ٢١٦ حيث المقطوعة الثالثة و ص ٢١٧ حيث المقطوعة الرابعة و ص٢١٨ حيث المقطوعة الخامسة وص ٢٢٠ حيث المقطوعة السادسة و ص ٢٢٣ حيث المقطوعة السابعة و ص ٢٢٦ حيث المقطوعة الثامنة و ص ٢٢٨ حيث المقطوعة التاسعة ولم يذكرها ابن بسام بطولها كما جاءت في اصل الرسالة لانه سبق ان ذكرها ص ١٧٣ فلم يشأ التكرار ، و ص ٢٣٦ حيث المقطوعة العاشرة ، وص ٢٣٧ حيث المقطوعة الحادية عشرة .

فتوالي المختارات وفق ترتيب رسالة التوابع والزوابع ، ينطق بأن الثعالبي قد نقل عنها وانها كانت تحت يديه حين حدثه ابو سعيد بن دوست (ص ٢٥ ج٢) عن ابن شهيد ولئن جاءت المختارات ناقصة الابيات عن قصائد الرسالة فان الثعالبي قد اختار منها ما راقه وليس له ان يتقيد بجميع ما قال ابن شهيد ، شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء ، أما مختارات الثعالبي النثرية فهي ايضا من الرسالة مثل وصف البرغوث والبرد والبعوض والماء والنار ، واذا كانت بعض هذه الاوصاف لا توجد الان فيما رواه ابن بسام ، فالسبب واضح وهو ان ابن بسام يعترف انه لم يرو جميع الرسالة ، وانما ينقل بعض المختارات فما جاء به الثعالبي مما ليس في الرسالة ــ على ندرته ــ قد اغفله ابن بسام مع ذيوعه لدى غيره . ولو ذكرت رسالة التوابع بنصها في الذخيرة لرأينا كل ما جاء .

اما ان ابا العلاء قد قرأ اليتيمة فذلك ما توحي به البداية لان كتاب الثعالبي قد صدر في حياة ابي العلاء وكان له ضجيج ورنة . اذ شرقت اليتيمة وغربت ، وتحدثت عن شعراء يعاصرون شاعر المعرة ومن الطبيعي ان يسأل عنهم في مجالسه من تلاميذه وان يصدر فيهم رأيه بل ان الثعالبي تعرض لابي العلاء اذ نقل احاديث الادباء عنه وروى بعض اخباره واشعاره وليس من المعقول ان يخفى ذلك عن طلعة بصير كأبي العلاء قال ياقوت الحموي في الجزء الثالث من معجم الادباء ص ١٢٠ دار المأمون .

وقال أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر « وكان حدثني ابو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر وهو من لقيته قديما وحديثا في مدة ثلاثين سنة قال : لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب رأيت شاعرا ظريفا يلعب الشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل يكني أبا العلاء وسمعته يقول ان احمد الله على العمى

كما يحمده غيري على البصر قال : وحضرته يوما وهو يملي جوابا بكتاب ورد عليه من بعض الرؤساء (وذكر الابيات ثم قال) وانشد في نفسه :

لست ادري ولا المنجم يدري ما يريد القضاء بالانسان
غير اني اقول قول محق قد يرى الغيب فيه مثل العيان
ان من كان محسنا فابكنيه لجميل عواقب الاحسان ! »

فرسالة التوابع ذاعت في المشرق ، وصاحبها مشهور تحدثت عنه يتيمة الدهر وهي بعد اوسع ذخائر الادب اشتهارا ، وقراها ابو العلاء فعرف ابن شهيد دون جدال ..

لقد بان اذن بعض الحق في رأي الدكتور مبارك ، ولكن الدكتور احمد امين في الجزء الثالث من ظهر الاسلام ص ٢١٠ ينسب هذا الرأي لبعض المستشرقين دون ان يسميه فيقول ما نصه ص ٢١٠ ج٣ الظهر :

« وقد ظن قوم ان التوابع والزوابع وضعت تقليدا لرسالة الغفران ، ورأى بعض المستشرقين ان العكس هو الصحيح وان ابا العلاء هو الذي قلد ابن شهيد ورجح ان التوابع والزوابع ألفت قبل رسالة الغفران بنحو عشرين سنة ، وذلك لان ابن شهيد ذكر في رسالته ما يدل على انه الفها في عهد المستعين وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الناصر وكانت مدة حكم المستعين هذا من سنة ٤٠٠ الى سنة ٤٠٧ (الصحيح انه خلع من ٤٠٠ ــ ٤٠٣ وولى بعد ذلك) .

كما نعلم ان أبا العلاء الف رسالة الغفران ردا على ابن القارح ، وكان أبو العلاء قد بلغ نحو السبعين كما تدل عليه فقرة في الرسالة نفسها ، فيكون قد كتب رسالته حوالي سنة ٤٢٢ وعلى هذا تكون رسالة التوابع والزوابع كتبت قبلها بنحو ٢٠ سنة وقد اخذ ابو العلاء الفكرة وطبقها تطبيقا لطيفا ، ونحا بها نحوا يخالف بعض الشيء رسالة ابن شهيد وان كان أساس الفكرة عند ابن شهيد ودانتي وابي العلاء واحد » .

وارجح ان صاحب هذا البحث هو الدكتور زكي مبارك اذ لو سبق به بعض المستشرقين لذاع واشتهر ، واظن ان الدكتور احمد امين قد سها حين عزاه الى غيره لانه قرأ النثر الفني وعده بين مراجعه اخر الكتاب . ولو تأكد من سبق غيره في ذلك لذكر اسمه على الاقل .

ثم جاءت السيدة الدكتورة بنت الشاطىء تعلن رأيها في هذه المسألة ببحثها القيم عن « الغفران » وقد نالت به درجة الدكتوراه ، بتقدير ممتاز سنة ١٩٥٠ فذكرت رأيي الدكتورين احمد ضيف وزكي مبارك مؤكدة ان دعوى التشابه والتقليد بين الرسالتين قولة جديدة في عصرنا لم يقل بها سوى قلة لم تتخصص في هذا الموضوع ولا هي تفرغت لتحقيقه ، وانما تناولته جملة فيما تناولت من مواضيع عامة في النثر العربي اما الاقدمون فلم يذكروا من ذلك شيئا على كثرة ما ذكروا من تأثير الادب المغربي بأدب المشرق ، وعلى ما أحصوه من معارضات كتابهم وشعرائهم لابي العلاء ، ص ٣٠٩ من كتاب الغفران .

وانا لا ادري كيف تجزم الدكتورة الفاضلة ان امثال احمد ضيف وزكي مبارك واحمد امين ــ فهو بين ذوي الراي في المشكلة وان لم تنص عليه ــ قلة لم تتخصص في الموضوع . وما معنى التخصص لديها ؟ أيكون مفهومه ان يصدر الكاتب مؤلفا خاصا في هذه الناحية دون ان يتعرض له في مؤلف عام . والا كان غير متخصص ..

واذا كان ذلك هو ما تعنيه أفيجوز لنا ان نقول انها اذا تكلمت عن المتنبي او شوقي او ابي نواس او اي اديب عربي لم تكتب عنه مؤلفا خاصا تعد غير متخصصة فلا يجوز لها ان تصدر الراي الادبي الا في كتاب كبير خاص ذي صفحات ، لا شك اننا نظلم الدكتورة الباحثة لو قلنا لها ذلك . كما ظلمت زكي مبارك واحمد ضيف حين سلبت عنهما الاختصاص دون مبرر معقول . ثم اني لم ار من الباحثين الاقدمين من عنى باحصاء معارضات كتاب الاندلس لابي العلاء ؟ من هؤلاء ؟ وفي اي الكتب ؟ حتى تقول الدكتورة ، وعلى ما أحصوا من معارضات كتابهم وشعرائهم بالاندلس لابي العلاء .

ثم تقول الدكتورة الفاضلة ص ٣٠٩ « وكان على القائلين بمحاكاة أحدى الرسالتين للاخرى ان يقفوا عند هذا الصمت من الاقدمين ، وان يفسروا لنا كيف غاب هذا عن مثل مروان بن حيان المؤرخ الاندلسي المعروف بالصدق والدقة وقد كان قريبا من عصر ابن شهيد وعن مثل ابي النصر الفتح بن خاقان وعن مثل ابي الحسن علي بن بسام وهو حجة ثقة انهم اذ يتحدثون عن التوابع والزوابع يصفونها بما يصفون ، أثرا مبتدعا لا رسالة مقلدة » .

أما الصمت التي سألت عنه السيدة الفاضلة فله ما يبرره دون نزاع ، لان الدكتورة نفسها تعلم ان الرسالة لم تكن مشهورة بين اثار أبي العلاء قبل القرن الثالث عشر ، وقد قالت الدكتورة بنت الشاطىء بالذات في مقالها عن رسالة الغفران بالعدد السادس من المجلد الثاني من سلسلة تراث الانسانية ٥ يونيه سنة ١٩٦٤ ص ٤٢٢ ما نصه .

« وحتى القرن الثالث عشر الهجري لم يكن المعروف عنها يتجاوز كلمات قصاراً ذكرها مؤرخوه في ترجمته وقد اكتفى القفطي في انباه الرواة باثباتها في فهرس مصنفاته بين رسائله الطوال التي تجري مجرى الكتب المصنفة وكذلك فعل سبط أبن الجوزي في مرآة الزمان فذكرها بين المصنفات الحسان لابي العلاء ، وابو القاسم الكلاعي المغربي الذي اشار اليها في أحكام صنعة الكلام بين رسائله التي لها بال ، واخرون تحدثوا عنها في بضع جمل مثل ياقوت الحموي والذهبي والصفدي وابن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العديم ثم قالت الدكتورة ومن مجموع هذا نخرج بـأن المعروف عنها الى القرن الثالث عشر هو انها من رسائل ابي العلاء الحسان الطوال التي تجري مجرى الكتب المصنفة في مجلد واحد وقد احتوت على مزدكة واستخفاف ، وفيها ما هو من امارات سوء عقيدته وقبح مذهبه ما يدل على تمكنه من الادب واطلاعه على اللغة ص ٤٢٣ » .

فاذا كان هذا هو المعروف عنها في الشرق باعتراف الباحثة الجليلة فكيف تريد ان يعرف عنها ابن حيان والفتح وابن بسام اكثر مما يعرف المشرقيون ؟ أعرفت اذن سر الصمت من هؤلاء .. انه واضح صريح فالرسالة لم تشتهر بالاندلس شهرة غيرها من اثار ابي العلاء .

على ان الباحث المتأمل يقرأ قول الدكتورة عن ابن حيان والفتح وابن بسام « انهم اذ يتحدثون عن التوابع والزوابع يصفونها بما يصفون اثرا مبتدعا لا رسالة مقلدة » .

فيرى ان هذا القول يخدم الحق من طرف واحد فقط لانه يثبت الابتكار لابن شهيد . وهو ما نذهب اليه ولكنه لا يفيد من ينكرون تأثر الغفران بالتوابع اطلاقا . ومن بينهم الدكتورة الفاضلة . فالتوابع مبتكرة مبتدعة وهذا حق . ولكن اين مثل هذا القول من هؤلاء عن رسالة الغفران .

وتمضي الدكتورة الباحثة في الاستدلال فتقول ببعض التصرف ٣١٢ ـ ٣١٤ :

لقد كان هذا يغنينا عن الرد على دعوى التشابه لكننا مع ذلك نمضي في النظر في الرسالتين فنرى ما بينهما بعيدا . من المسلم به ان بينهما اوجه تشابه . لكنها ليست خاصة بهما وانما هي من الظواهر الادبية التي يمكن أن تلتمس عند غيرهما من ادباء العصر او في الآداب على وجه العموم . صاغ كلاهما احكامه الادبية في اسلوب شائق على طريقة الحوار ، ولكن ليس هذا مما اختص به أحدهما حتى يؤثر بادعاء السبق اليه ، وقام كلاهما برحلة في عالم الخيال انطق فيها الجن والحيوان لكنا نلقي مثل هذا في القصص والاساطير واخيلة الشعراء ، واراد كلاهما عرض براعته في الصنعة وتفوقه في الحفظ والانشاء ، ولكن ذلك مما يمكن أن يقال في كل ما كتب الرجلان وغيرهما من صناع الكلام ، واحب كلاهما ان يبهر صاحبه (الذي بعث برسالته اليه) ولكن أي اديب لا يتجه الى مثل ذلك .

وهب شيئا من هذا التشابه في الاسلوب والهدف قد كان فكيف يقوم وحده دليلا على التشابه اذا اختلف جوهر الموضوع وتباينت روح الكاتب ، وتغيرت شخصية البطل ان رسالة الغفران بطلها ابن القارح اما ابو العلاء فيتوارى كما يتوارى الملقن وراء الستار لا يظهر على المسرح ولا يذكر اسمه على لسان . والتوابع بطلها ابن شهيد نفسه كاتب الرسالة ومؤلف الرحلة لا يتواري في مشهد من مشاهدها ولا يقوم ثم حوار او عرض ادبي الا كان هو الشخصية الاولى .

الغفران تصور اشواق ابي العلاء وترسم احلامه وتسجل رؤاه وتعرض آراءه ومذهبه في النقد والتوابع والزوابع ديوان من شعر ابن شهيد ومجال لانشاء قصائده ابو العلاء متفنن حافظ راوية وابن شهيد شاعر فخور » .

هذه هي حيثيات الدكتورة بنت الشاطىء ومن يعيد النظر فيها يرى أنها كانت تحتم ان يكون النصان متقاربين تمام التقارب حتى نقول بالمحاكاة . وهذا بعيد ، لاننا في قضية الموازنة بين النصوص الادبية نفرق بين التأثر والاحتذاء فالتأثر ان يستلهم اللاحق سابقا يلهمه ومهما ابتعد عن جوه ونأى عن مسرحه ، فحسبه ان وجه عينه الى افق جديد لم يكن يخطر على باله من قبل . فلو سار في طريق غير طريق صاحبه ما قدم ذلك شيئا ولا اخر في جوهر القضية ، وحسبه ان اراه السبيل ، فابن شهيد قد أبتكر الكتابة عن بعض عوالم الغيب فتأثر به ابو العلاء واحب ان يكتب عن بعض هذه العوالم ايضا وان سار الاول في طريق الجن والثاني في طريق الجنة والنار. هنا نحكم للسابق بالتأثير وللاحق بالتأثر .. ولن نتطلب منه ان يحذو حذو سابقه والا فقد شخصيته الادبية واصبح تابعا هزيلا لا يضيف الى الادب شيئا ذا بال ، ومعاذ ابي العلاء أن يكون كذلك .

نعم ان كليهما صاغ احكامه في اسلوب شائق على طريقة الحوار كما تقول الباحثة وكليهما عرض صناعته وفنه واحب ان يبهر صاحبه ، وان البطل عند ابي العلاء هو ابن القارح وهو ابن شهيد نفسه في رسالة التوابع ، والغفران تصور اشواق ابي العلاء والتوابع ديوان ابن شهيد . هذا كله صحيح ولكنه لا يغير من جوهر القضية شروي نقير . فالرحلة الخيالية هي سر الابداع ولو كانت المسألة مسألة حوار لقرنت بالمقامات او حديثا عن النفس لقرنت بقصائد الفخر وسيان ان تكلم ابو العلاء عن غيره او نطق ابن شهيد عن نفسه فتلك جزئيات تتداخل في أطار عام هو الرحلة المبتكرة التي اخترعها ابن شهيد . ولا أدري لماذا لا يكون ابن شهيد قد تحدث عن اشواقه واحلامه كما تحدث ابو العلاء . الا تصور التوابع والزوابع احلامه في الادب والشعر ورغبته في التفوق والاعجاز وليت شعري اي الاديبين اقرب الى الحديث عن نفسه اديب يتحدث عن لسانه هو أم أديب يتحدث عن لسان ابن القارح حتى نجعل الثاني يصور هواتف نفسه ـ ولا معارضة في ذلك ـ ونصر على ان يكون الاول بعيدا عن اشواقه مع انه باقرار الدكتورة بطل الميدان .

واذا كانت التوابع ديوان شعر ابن شهيد . أوليس

الديوان في مجموعه خلجات نفس وهمسات وجدان . ان علماء الادب المقارن يجعلون من اختصاصه ان يدرس مواطن التلاقي في الآثار الادبية ، ومظاهر التأثير والتأثر سواء تعلقت بالاصول الفنية للمذاهب الادبية او اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والاشخاص التي تعالج او تحاكى في الادب . وكانت خاصة بصور البلاء المختلفة كما تنعكس في الآثار الادبية (الادب المقارن ص ٩ ط ثالثة) .

فكل موطن للقاء بين الاثار الفنية مجال للدراسة والتحليل فالحكم بالتأثر والتأثير ، ولن نجد موطنا افسح ولا اوسع من رحلتين خياليتين قامت أولاهما في الارض السابعة وارتفعت اخراهما الى السماء العالية . ثم الا يكون هذا التناقض المعارض دليل التأثر الواضح حين يذكر الشيء بنقيضه كما يذكر بمثيله على السواء . اذا كانت الدكتورة الفاضلة في شك من ذلك فلتسأل نفسها الا يذكرها هدوء الليل بضجيج النهار ؟ تلك مسألة واضحة . ولعل ابا العلاء لو سئل عنها ما رأى حرجا في الاعتراف . واذا كان قد اغفل الحديث عن ابن شهيد حتى يحسم الخلاف فعذره انه لم يتحدث في رسالة الغفران عن اندلسي قط . وقل حديثه في غيرها عن هؤلاء .

وقد اتى الاستاذ الدكتور احمد هيكل ببعض الجديد فيما كتبه عن ترجيح صلة الغفران بالتوابع . هذا الجديد يتعلق بتحديد الزمن فقد جعله الدكتور زكي مبارك في حكم سليمان المستعين ، وقد ولى ما بين سنة ٤٠٣ الى سنة ٤٠٧ فتكون التوابع قد سبقت الغفران بعشرين عاما ، اما الدكتور هيكل فيرى ان التوابع قد سبقت الغفران بما لا يقل عن تسع سنوات فقط ، ودليله واضح شرحه حين قال ص ٤٢٢ من كتابه في الادب الاندلسي ردا على زكي مبارك :

« على ان ذلك الرأي ليس دقيقا فقد اشتملت التوابع والزوابع على نصوص اخرى يرجع تاريخها الى ما بعد هذا التاريخ . ومن ذلك قصيدة ابن شهيد التي قالها وهو في سجن الحموديين ، فالمرجح أن يكون قد قال هذه القصيدة ايام القاسم بن حمود الذي نغلب ان يكون قد سجن ابن شهيد لصلته بمنافسه الثائر عليه وهو يحيى بن حمود وقد كانت خلافة القاسم سنة ٤١٣ ، وفي الرسالة كذلك ما يؤخر زمن تأليفها عن هذا التاريخ فقد اشتملت على بعض رثاء ابن شهيد لابي عبيدة حسان بن مالك وكان هذا المرثي ضمن وزراء المستظهر سنة ٤١٤ ، وفي الرسالة أبيات تشير الى شافعية ابن حزم وقد كان شافعيا في هذه الفترة ثم تحول الى المذهب الظاهري بعد ذلك وعلى هذا يمكن ان نقول ان ابن شهيد قد اتم رسالته سنة ٤١٥ هـ » .

هذا هو الجديد الاول ، اما الجديد الثاني في كلام الدكتور هيكل ، فهو تقريره ان الرسالة لم توجه الى ابي بكر بن حزم ، كما ذكر ابن بسام ، وانما وجهت لشخص اخر يدعى ابا بكر ، فظنه صاحب الزخيرة ابا بكر بن حزم ، ودليل الدكتور ان ابا حزم مات في طاعون قرطبة سنة ٤٠١ كما ذكر اخوه في طوق الحمامة، والى هذه السنة لم يكن ابن شهيد قد كتب الرسالة ثم يرجح الدكتور هيكل انها موجهة لابي بكر الكاتب المعروف باشكمياط لانه كان ينتقد ابن شهيد ويعيبه بأخذ كلام غيره وقد رد عليه ابن شهيد معاتبا لائما وهدده وتوعده في فصل ذكره ابن بسام ص ١٩٦ ج١ — ١ وانا اوافق الدكتور هيكل على استنتاجه انها ليست لابي بكر بن حزم ولا اوافقه على استنتاجه انها لابي بكر اشكمياط لان ابن شهيد يقول في مطلعها عن رأي صاحبه فيه «حين لمحت صاحبك الذي تكسبته ورأيته قد أخذ بأطراف السماء فألف بين قمريها ، ونظم فرقديها ، فكلما رأى ثغرة سدها بسهاها الى غير ذلك فقلت كيف اوتي الحكم صبيا ، وهز بجزع نخلة الكلام فاساقط عليه رطبا جنيا، اما ان به شيطانا يأتيه وليس هذا في قدرة الانس » وابو بكر المعروف باشكمياط يرى ابن شهيد لصا سارقا ولم يره قد اوتي الحكم صبيا واخذ بأطراف السماء فألف بين قمريها ونظم فرقديها ، فليبحث لنا الدكتور اذن عن ابي بكر سواه .

هذا بعض ما قاله المعاصرون ممن عثرنا على اقوالهم في صلة الغفران بالتوابع وهي صلة تقوم الدلائل على وجودها ، وتعوز البراهين القاطعة على نفيها ، ونحن مع هؤلاء المثبتين نعترف بتأثير ابن شهيد في ابي العلاء حتى يقدم الينا من الادلة الثابتة ما يقع موقع اليقين .

الفيوم — دار المعلمات — محمد رجب البيومي

قولوا له

قولوا لذاك المدعي خفف من الغلواء
قولوا له ما أنت ؟ ما دنياك ؟ فيض هباء
ما الهمس؟ ما الآهات؟ ما بالزيف سرهنائي
الحب كون وحده ، فيه معين غنائي
دعني سئمت سماع صوتك عابثا برجائي
وسئمت ظلك طاويا في مده أفيائي
والنظرة العجلى سئمت دبيبها بدمائي
ما هذه دربي ولا أصداؤها أصدائي
قولوا له قولوا لمن يرضيه عذب ندائي
ويثير من اغواره أملا بطيب لقائي
ان كان يحسب منعتي ضربا من الابطاء
فانا أحب وانما اسمو عن الدهماء

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لهـاث النجوم يقرع ابواب الاكـواخ
اي ضياء مبحوح
يختـرق الارض
ويستوي في كوى عاريـة
الفـزار يتعـانـق
يتماوج مع حفيف اكفانـه
والبجـع السـاهم
ينفض مناديله البيضاء
حيث الامواج تتداخل
لتؤلف خوار احدى البقرات
وفـي مغارة الاقمطة
يسجـن طفـل ،
انـه وعد الارض الطيبة
كرجة نهـر منسـاب
يداه خفقة جناح
فـي السهـول
تمخر السنابل بذوب الجباه
وتغفو الاطواد على ذراع منقبة
وعند المغيب
تنصهر النجوم في سمرة ضارية
ويـرقـد الافـق
على حواشـي قبعـة .
الليل يزحف في مهرجان
وتفتح الاعين الزجاجية اجفانها
فتصـوب بنهـم
اشعاعاتها المسمومة .
جدران القصور تتداعى
تسجـد
في شفافية البخور العابق
وتختنق الاضواء
فـي جـدول من دمـاء

الفجـر يتعـرى ،
وتهـرب النجـوم ..
تنـام الخفافيش
تندس في اوكارها العفنة
تغفو على طنين الذباب الجائع
الحالم بالجيف المختمرة .
الخفافيش تغفو
يدوسها النهـار
يركلها بنعاله العريضـة
ويهرول مسرعـا
حيث الكـوى العارية

اصـداء

اديـل الخشن

•

الشويفات ـ لبنان

•

يرمي فيها حزمة من احلامه الفضية
ويستيقظ لهاث الاكواخ من جديد .

☆

هذا الفراغ ما لونـه ؟
كيف تتمدد جذوره في نفسها
تشلهـا ، تكومها ،
نمثالا فـي بئـر ...
حصاة في نهـر
تنزلق فوقها مياهـه
تهرب عنها موسيقاه
تجوس الرمال خطى خرساء
تكنسها الريح بتشف
يفرقها الشتاء بحقد .
من البرج السابح في الفضاء
شباكا مطروحة مترامية
ترى العالم قفصا مكورا
عيـونـه الليـل
قفصـا مكورا
اسـواره ريـاح
تحمل رماد الشمس .
في الربيع غمـام خانق
وفي الصيف ضباب كثيف .
حزمة من هشيم
فـي غـاب مهجـور
بئـر تبتلع الاضواء
تلفظها اشباحا وليالي
لهثـات ودموعـا
في حزنها الصامت
تتردد صرخات
وفـي الجبـاه
اجراس ورجع اصداء .

☆

الخيبة تغلق نفسي
فلا اصبو او اتلهـف !
برودة في جوانحي ،
فلا حـب ولا دفء ،
كنت ربيعا مداي الارض
وآمالـي الفضـاء
بكلمة ، بهمسة ، بفكرة
ذبلـت ورودي
ونثرتها الريـح
جـدار بيني وبينـك
فلا عطر يفـوح ...
أقربك واغرب بناظري عنك
تلمسنـي يـدك
فـلا ابالي او ارتعش
كدميـة متحركـة
امشي الى جانبك
والمح في عينيـك
الـف سؤال ؟؟
وعيناي باهتتان
جامدتان لا تجيبان .
انقـلاب ، ثورة صامتة ، بوار ..
عللك يا حبيبي تستفيق
عللـك تتذكر
كلمة رميتها في قلبـي
غرسـة شـوك
استعيدها في وحدتي الباردة
خنقت مواسمي وازهاري
اردها بصمت
فلا تتحرك شفتـاي
امشـي واهتـف
بكلمات خرساء
ويئـن قلبـي
فاتجاوزه بكبرياء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كثيرا ما كان احساسه يرتجف حين تشد اذن طفل ، او يمس خده بلطمة ولو كانت سهلة او يعلو صوت لينهره بعيدا طلبا للهدوء .. وكثيرا ما كان يردد « اتركه يا ابا سمير .. اتركهم ، لا يملكون سوى اللعب » وكان يحس بالعجب وهو يرى صديقه ينهر اطفاله بعيدا في الوقت الذي لم يكن يهرع اليه الا ليرشف من عيون الصغار احلى الامنيات ، ويستشعر من مداعبتهم له آفاقا رحبة من الدعة والامل ، كان يلذ له ان يغدق عليهم الهدايا في كل المناسبات ، وكم تمنى ان يعلم صديقه ابو سمير ان هروعه اليه كثيرا كان بمثابة هروب من اشباح رهيبة تتصارع في دماغه وقلبه يحاول أن يتغلب عليها مرة بكتابة المزيد من الرسائل لزوجته التي تركها خلفه أملا الى جمع الثروة يدفعها ثمنا لطفل وطورا في مداعبة اطفال صديقه ...

كان (حامد) يعيش بعيدا في بلد تبعد آلاف الاميال عن اهله وزوجته ، عرف بالصمت بين زملائه ، كثيرا ما اركن اليه مسؤوله اكثر من غيره ، وقربه منه للخروج من بعض ازمات الشركة التي يعمل فيها وذلك بما عهد عنه من الهدوء ولانه كان يبتسم في اتزان غير ان واحدا من زملائه لم يكن يعرف عنه شيئا حتى مسؤوله كان يحثه على التنفس قليلا لحبه الكبير له .. لم يكن أحد منهم يعلم ان (حامد) قد قرر الخروج من قريته ذات يوم ، بعد ان شعر ان مالا كثيرا يجب ان يحصل عليه ليتمكن من الاستمرار في البحث عن علاج يمزق حرمانه من طفل .. وكانت زوجته هي الاخرى غير ضاجرة بقرار زوجها لان شيئا ما كان يداعب احلامها ، هو عطاء زوجها ، ورحلة منتظرة الى البعيد يدفعان لها ثمنا كافيا للبحث عن امل .

ترك حامد زوجته وهو يذكر طيلة اللحظات بعيدا عنها ، ذلك الحلم الكبير الذي يموج في مآقيها تغسل الدموع عمقه دون ان تنزل ،وكلماتها التي ما برحت تتناوح في اعماقه « اذكرني يا حامد ما أجمل ان املك طفلا له سمرة عينيك وكثافة شعر حاجبيك ... » اما زوجته فقد كانت تشده اليها دائما فتمطره بشعورها عبر الاثير تحكي له عن الياسمينة التي زرعها بيده في فناء البيت وكيف انها ترويها كثيرا وتمدد الاسلاك امام اغصانها وتنصب اعمدة الخشب في كل اتجاه تميل اليه ، علها تنمو فلا تتفتح عيون طفلها الا على زهرات بيضاء عطرة ... اما قال لها حين غرسها « هذه لطفلنا » .

العاقر وثمن الرحلة

بقلم حكم بلعاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان يحس انه في دوامة من العاطفة ، تشده الى الارض فيزداد رقة في حركاته وعمله ، ويحن الى الشوارع والازقة التي تضج بالاطفال .

غير انه شعر فجأة ان خنجرا حادا مسموما قد طعن عاطفته في كثير من العنف ، كان يستمع الى الاقوال المختلطة من حوله فتزداد حدقة عينه اتساعا ، وتتلون شفتاه بالوان متعددة في لحظة واحدة حتى الكلمات التي لم تكن لتستطيع ان تجد لها طريقا تنفذ منه الى الافق ، لقد عز عليه ان يعلق بشيء على المفاجأة التي قررت انفصاله عن زوجته في مثل لمح البصر .. انه بعيد عنها وعن بلده الذي تطرح اسلاك شائكة على ذرات ترابه لتنغرس فيه تعلن وقف الاقدام ... ومضى كهول المفاجأة وبيده المرتجفة فتح باب غرفته الوحيدة التي يعيش فيها وحيدا منذ ان فارق تراب بلده يزرع في جنباتها احلام لقائه المنتظر مع زوجته في رحلة اراد ان يجمع لها الكثير من المال ليملك طفلا يستطيع ان يداعب اغصان الياسمينة في فناء بيته .

وعلى السرير المرتب كما هي عادته ، ارخى جسده واخذ يطفيء جمرات قلبه بلفائفه .. كان الدخان يتصاعد من فمه وانفه يبدو وكأنه اسود .. ومع ان الظلمة كانت تتسرب الى الامكنة الا أن يده لم توقظ سوى تلك الشمعة ذات النور الازرق ، فلم تتمكن من تمزيق العتمة ، ولكنها فعلت ما اراد لقد هيأت له غلالات زرقاء ساح معها كثيرا وحبات العرق تلمع على انفه وجبهته ، لقد كان صامتا كالجبل حتى انه لم ينتبه الى قطه الابيض الذي كان يموء وكأنه يستفسر عن تمزق حركته واخذت عيناه تسبحان في افقه الضيق وكان كل ما يفعله انه ينفث الدخان سريعا دون لذة ... ويحك رقبته وانفه ، ويفرك حاجبيه ومن ثم يضغط براحة يده على خده الناعم الاملس .

كانت شفتاه تأكلان بعضهما ، وكأنه يعبر عما تقع عليه عينه في داخل الغرفة رغم الضوء الخافت ، لقد تضاءلت الاشياء كلها امام ناظره فلم يعد ذلك المنظر باشجاره الوارفة وخضرته ولون مياهه الزرقاء ،وتلك السماء الصافية التي تزين اعلى المشهد يثير فيه احلاما كما كان بالامس القريب ، غير ان صورة واحدة كانت تسمر عينيه طويلا

وتبعث فيه الحركة فيفرض شفتيه باسنانه ويمسح شفتيه بلسانه مرات كثيرة ، ويمط ذراعه في حركة رياضية ، ولا تتحرك عينه عنها الا لينفخ رماد سيجارته حتى يتناثر على يده وملابسه دونما شعور ، لقد كانت صورة زوجته تمسك بيدها غصنا من اغصان شجرة الخروع النامية في فناء بيته .

وبات ليلته تلك دون ان يحس انه قد تذوق طعما للراحة وتمنى كثيرا لو ان احدا يقرع بابه ليلوك معه طعم المفاجأة . وعندما تلفت حوله احس ان فراشه قد بلله العرق وكان الصباح يلقى غديرا من الضياء في كل مكان حتى قطه الابيض غرقت عيناه بأشعة الشمس المتسربة من زجاج النافذة فتمطى قليلا قبل ان يقترب من حامدواخذ يموء .

وايقن حامد انه لا يتمكن من ضبط ادراكه وقتا اخر وسرعان ما كانت يده تحزم متاعه ولم ينس قبل ان يغادر المكان ان حمل قطه معه وانطلق صوب صديقه (ابو سمير) حيث كان اطفاله يحومون حوله في انشداه لم يعهده على سحناتهم من قبل ،ومد يده مصافحا اياه ومن ثم همس في اذن احد الاطفال «هذا القط لك .. اما انا .. فمسافر ». ومع انه انطوى عبر الطريق الا ان صديقه ابو سمير بقي صامتا في مكانه ينظر الى البعيد وادار راسه هامسا « لقد سافر صديقكم .اعتن بالقط يا سمير »

كانت السيارة تفذ السير وتقطع الاتجاهات العديدة لتصل الى مكان يستطيع الركاب ان يسافروا منه فقط الى جهة واحدة نحو الغرب .

أما حامد فكان يسند راسه بيده الملتصقة الى باب السيارة المغلق شاعرا ان ذلك الطفل المتشبث الى كتف امه وعيناه تبتلعان كل شيء سوف ينسيه عناء الرحلة .. ولم يكن ليشعر باي اسف ان نأى ادراكه عن الراكبين الاخرين اللذين كانا يحرقان سجائرهما باستمرار وصمت طويل .

وامتدت بهم الطريق الطويلة ولكن شيئا واحدا كان يهز مشاعره فقد كانت آلام تحاول ان تلوم طفلها لتحد من حركته .. حتى انه قد حاول اكثر من مرة ان يقول لها « ما اقسى رحلة بدون طفل ».

وعندما غرق الطفل في نوم عميق ، هدأ روعه وجال ببصره عبر المسافات ، كان بدون شك يرى الاشياء كلها لا تختلف عما يعرفه . في ارضه القابعة نحو الغرب ، هذه حقول المشمش واشجار اللوز وذلك زهر الرمان الذي اعتاد ان يراه كثيرا ، انه يذكر الان شجرات الرمان الثلاث النامية في فناء بيته واحدة قرب السلم الحجري ، والاخرى عند الباب الخارجي ، والثالثة في الجهة الشمالية من الفناء . اما ذلك الراعي الذي يلف حول قطيعه ويرجمه بالحجارة فهو لا يختلف في شيء ابدا عن راعي قريتهم المسمى (ابو اللبن) ..

حتى تلك العصافير المتنقلة فوق الصخور احيانا وبين النباتات الصغيرة تبدو له وكأنها هاربة من وهاد قريته وجبالها .. والنسوة تلك ... كن شبيهات بنساء قريته تماما وهن يحملن على رؤوسهن حزما من نبات القمح يلتقطنه من خلف الحصادين .

كانت الاشياء كلها تشده الى الصمت والتأمل ولم يستطع ان يرفع راسه بعد طول المسير الا بعد ان استيقظ شعوره في دروب معبدة تنتصب على جوانبها الابنية المتعددة وضجيج الناس والحركة ، وزوامير السيارات تملأ المكان .. لقد تنفس كثيرا وهو واثق ان الارض تماما واحدة وان الناس والاشياء كلها ، حتى المقابر بطولها وعرضها لم تختلف عما الفه في بلده .

ومرة واحدة افلت يده . ومد راسه ليبصر المياه الجارية تحت الجسر حيث تشق السيارة طريقها فوقه ، واهتزت مشاعره فها هو جسر ينتصب فوق الماء ـ تماما كالجسر الذي يربط بين ضفتي بلده والذي طالما قطعه سعيدا برحلاته المتعددة مع زوجته ، في ايام الصيف الجميلة .. لم يختلف عنه في شيء الا في طوله ووفرة الماء .

وكاد يغفو في احلام بعيدة انه شوق كبير يشده الى رؤية كل الاشياء هناك ، والى وقفة صغيرة فوق ذلك الجسر الصغير .

وبدا ان رعشة تأكل جسمه وهو يتصور تلك الحراب التي نصبت على الطرف الغربي من الجسر تتحدى الوافدين . فكيف ان حجارة الجسر وحديده تطايرت لتغرق في الماء ، تاركة خلفها مزيجا من الصمت جمدته الوحشة وبللته الدموع .

وانتبه من غفلته على صوت السائق وقد نبههم الى متابعة الرحلة بعد حصولهم على شيء من الراحة في نهاية الجسر وكاد يضيق بالقرار ، لكنه ارخى يديه وجسمه ولوى راسه في ذهول .

ولم يمض اكثر من يوم ونصف اليوم حتى كانت المسافات الطويلة قد داستها عجلات السيارة الصغيرة ... وانطلق حامد يحشر جسده المنهك بين الجموع الكبيرة من الناس ، لقد كانت امارات الاكتئاب التي تعلو الجباه ، والضياع الذي يمزق جمال العيون ، هو وحده ما اعاد اليه ذكرى صديقه ابو سمير ... واطفاله الصغار حين كان الانشداد يمزق مرحهم عندما همس في آذانهم نبأ سفره ..

ولم يمض وقت كبير حتى احس برغبة جارفة الى متابعة الرحلة . فلم تشمل لعنة الرحيل زوجته غير ان شيئا واحدا استطاع ان يفهمه ، انه اصرار زوجته على عدم مغادرة القرية . لانها ارادت ان يعرف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر عقل الجر

بمناسبة نقل رفاته من البرازيل الى لبنان

بكيت عليك لا فالدمع ذل ... وذكرك مالىء الدنيا يظل
وهل أنسى حديثك وهو سحر ... حلال من حديثك لا يمل
حديث كالنسائم في العشايا ... لطيف بابتسامك يستهل
نكاتك كلها ظرف ولطف ... وأنت بها الوحيد المستقل
فراح الليل والساعات مرت ... ولاح الفجر مبتسما يطل
جلست اليك والشطآن بثت (١) ... وشع الحسن وازدهر المحل
وبين الموج والشطآن شوق ... ووجد ثم تقبيل ووصل
وفيها من نجوم الارض أفق ... بديع دونه الافق المطل
كأن الله يمطرها نجوما ... فنجم اثره نجم يهل
وابرز صخرها في البحر نهدا ... كنهد البكر لم يلثمه خل
معالم للجمال البكر تغري ... ومنظرها ـ لكل الناس يحلو
أناسف كيف مت بدون نجل ... وكل قصيدة عصماء نجل
تفوق بها الورى نبلا وأصلا ... وشعرك كله نبل وأصل
وجسمك ما استطاع قياد نفس ... بعزتها الى العلياء تعلو ..
تركت الجسم فضلتها لتترب ... فنفسك كوكب والجسم رمل
ولم تأبه لمال الناس طرا ... صدقت لانه زور وبطل
وهذا المال يغني المرء ان لم ... يكن في نفسه كبر ونبل
فمت وأنت أغنى من غني ... فقير النفس فقر النفس ذل
ألم تك يا أخي خلا وفيا ... لفوزي بالصداقة لا تخل
خسرتك يا أود الناس عندي ... وأهل الود بين الناس قلوا ..
فنثرك كالعقود من اللآلي ... اذا انفرطت وخان العقد حبل
وشعرك كالازاهر فيه نفح ... بعيد .. وهو ممتنع وسهل
فعقلك مبدع في كل فن ... ولا عجب اذا اسمك أنت عقل

(١) شطآن الريو دي جانيرو عاصمة البرازيل

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

زوجها ان ذكريات كثيرة في زوايا البيت وفنائه ، وفي ازقة القرية وبين اشجارها وجبالها لا تستطيع ان تتركها .

لقد عرف من الكثيرين ان كلمة (قف) تنطلق لئيمة عبر الافق حين يستشعر الاخرون وقع اقدام تحاول الاتجاه نحو الغرب .. لكن رياح ذلك الغرب ما زالت تملأ رئته وان صفيرا متتابعا من بين اغصان شجرة الخروع النامية في فناء بيته ...

هناك تماما حيث تستيقظ زوجته مبكرة فتروى شجرة الياسمين بالماء ينطلق ليملأ قلبه ، ويقرع طبله اذنه ، وعندها لا يملك اكثر من ان يسير في اتجاه واحد .. الى الغرب تماما .

كان حامد يستشعر بالروعة وهو يشق الطريق ، تؤنس وحشته نار لفافته وامتداد احلامه وفي داخل جيبه اوراق النقود الكثيرة ، عله يتمكن من ان يدفعها ثمنا لابتسامة طفل حين يتخلصان من عقم طال مكثه .

ورغم ان العتمة كانت شديدة وقاسية الا ان وقع اقدام ما زالت مستمرة ولو ان بريقا من النور يمزق ثوب الظلمة تلك لكشفت عن رجل اسمر الجبهة ، كث الحاجب ... يده تقبض على خنجر حاد واسنانه تصطك حرقة وغضبا ...

الرياض — حكم بلعاوي



عيسى الناعوري

جولة في ربوع الاندلس

بقلم عيسى الناعوري

* * *

في الرابع عشر من شهر اكتوبر ١٩٦٧ هبطت بي الطائرة في مطار مديد في أول زيارة لي لاسبانيا ، بعد جولة قصيرة زرت فيها فيينا وزوريخ. وكانت هذه الزيارة بدعوة كنت قد تلقيتها ـ بواسطة صديقي الكريم سعادة السفير الاسباني في عمان ـ من المعهد الثقافي الاسباني العربي في مديد ، ووزارة السياحة والاعلام الاسبانية . وكانت دعوة المعهد لكي اشترك في مؤتمر الدراسات الاسبانية العربية في قرطبة ، من ١٦ الى ٢٣ اكتوبر ، ودعوة وزارة السياحة لكي أقوم بجولة في ربوع الاندلس .

أما مؤتمر قرطبة فلا يسمح المجال الان بتفصيل الحديث عنه ، ولكنني أوجز فاذكر ان هذا المؤتمر هو الحلقة السادسة من سلسلة مؤتمرات تعقد مرة في كل عام للدراسات الاسبانية العربية . وقد اشتركت هذه المرة في الدعوة اليه مدرستا الابحاث العربية في مديد وغرناطة ، والمعهد الثقافي الاسباني العربي ، ومعهد الدراسات الاسلامية المصري في مديد الذي يديره الان الدكتور حسين مؤنس . وقد عهد بادارة المؤتمر هذه المرة الى المستشرق الاسباني لويس سيكو دي لوثينا ، وبسكرتيريته الى زميله منويل أوكانيا خيمينث . وكان من أهم أسباب عقده في قرطبة اقامة تمثال للفيلسوف العربي الاندلسي ابن رشد هناك . ولهذا جمع المؤتمر بين هدفين : فكان حلقة في سلسلة المؤتمرات الاسبانية العربية ، وكان كذلك تكريما لابن رشد . وقد أقيمت حفلة ازاحة الستار عن التمثال في آخر يوم من المؤتمر برئاسة رئيس بلدية قرطبة . واشترك في هذا المؤتمر عدد كبير من المستشرقين : القسم الاكبر منهم من الاسبان ، وبينهم انكليز ، والمان ، وفرنسيون ، وايطاليون . وكذلك اشترك فيه عدد من الباحثين العرب ، هم : الدكتور حسين مؤنس (مصر) سليمان مصطفى زبيس (تونس) عبدالله كنون (المغرب) خالد الصوفي (سوريا) محمد بالروين (ليبيا) أبه ولد أن (موريتانيا) وصاحب هذه الكلمة ، عن الاردن . وكانت المحاضرات تلقى يوميا بمعدل أربع محاضرات أو خمس . واغلب المحاضرات كانت بالاسبانية ، واربع منها بالعربية ، وواحدة بالايطالية ، وثلاث بالفرنسية . واستغرق المؤتمر ثمانية أيام .

بسبب هذا المؤتمر اضطررت الى قضاء ثمانية أيام كاملة في قرطبة . وقد أتيح لي ولسائر الوفود ان نتجول في كل مكان من المدينة، وان نزور الآثار العربية في داخلها ، وكذلك أطلال مدينة الزهراء التي بناها المنصور على بضعة كيلو مترات منها في سفح جبل العروس .

مدينة قرطبة اليوم تضم مئتي الف نسمة ، وقسم كبير من المدينة عصري العمران وقسم آخر احياء قديمة أشبه بالاحياء القديمة في بلدان المغرب العربي . الشوارع في الاول عريضة ، وفيه ساحات متعددة واسعة ، ومتاجر عصرية تغص بمختلف انواع البضائع ، ومقاه ومطاعم حديثة . اما القسم الثاني فيتألف من بيوت صغيرة متراصة ، تتسرب بينها أزقة ضيقة متعرجة قد يبلغ من ضيق بعضها ان لا يتسع لسير اكثر من شخص واحد . غير ان الجمال في هذه البيوت الصغيرة الشرقية الطراز يزري بالقصور والعمارات الضخمة الحديثة . وهذه البيوت الصغيرة في الاحياء القديمة مطروشة كلها من الخارج بالشيد ، فهي بيضاء ناصعة من الخارج ، ولكل منها باب يفضي الى ردهة صغيرة مزينة جدرانها ، الى ارتفاع متر او أكثر عن الارض ، بالخزف الجميل ذي النقوش العربية الطراز . ثم يلي الردهة الصغيرة باب آخر في حاجز من الخشب يفضي بدوره الى صحن الدار الذي يزدهي دائما بحديقة جميلة يانعة . وكثيرا ما يكون في وسطها نافورة وبركة صغيرة . وتقوم غرف الدار كلها حول الحديقة . وقد تتألف الدار من طابقين ، تطل نوافذ غرف الطابق الثاني منهما كلها على الحديقة ، بينما تتعرش النباتات المتسلقة الخضراء على سائر الجدران الى أعلى المنزل .

وحيثما التفت المرء في قرطبة وجد الآثار العربية أمامه تشير الى المدينة التي كانت يوما عاصمة الخلافة الاندلسية والعلم والحضارة ، حتى كانت ثورة البربر في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي ـ الخامس الهجري ـ حين قضوا على الخلافة فيها ، ودمروا قصورها ، واشاعوا فيها الخراب ، وبعثروا كنوزها العلمية في كل مكان ، وبذلك دقوا أول اسفين في عروبة الاندلس مما آذن بقرب زوال المعهد العربي هناك بعد مدة غير طويلة ، فقد سقطت قرطبة قبل منتصف القرن الثالث عشر عام ١٢٣٦ ليتوالى بعدها سقوط المدن والممالك العربية في الاندلس واحدة تلو الاخرى ، وآخرها مملكة غرناطة التي سقطت في أواخر القرن الخامس عشر عام ١٤٩٢ وخرج منها آخر ملوك العرب الاندلسيين، أبو عبد الله الصغير ، باكيا ، وصوت أمه يتردد في أعماق نفسه قائلا :

ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال

ولست أريد في هذا المجال الضيق ان أنبش التاريخ ـ ولست من أهله على كل حال ـ ولكنني أروي انطباعاتي الخاصة عما رأيته في جولتي القصيرة في قرطبة أولا ، ثم في بعض مدن الاندلس الاخرى . وأترك لمن شاء منكم ان يدرس التاريخ في مظانه ، وان كنت أعلم أن قراءة الكتب وحدها لا تغني شيئا عن رؤية الآثار المجيدة الباقية الى اليوم كأنها من صنع الجن لا من صنع البشر .

أهم الآثار الباقية الى اليوم في قرطبة هو المسجد الجامع .

قد يقرأ المرء عن مسجد قرطبة هذا ، وقد يسمع حديث من زاروه ورأوا جلاله وروعته بأعينهم ، ثم يزوق له الخيال صورة لا يحلم بها الخيال نفسه ، حتى اذا ذهب بنفسه الى قرطبة ، ووصل الى باب

(*) محاضرة القيت في المعهد الفرنسي في عمان بتاريخ ٢٨ ـ ١١ ـ ١٩٦٧ بدعوة من نادي هواة الفنون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجامع ، أخذت صورة الخيال تتضاءل شيئا فشيئا ليحل محلها واقع لم يصل الخيال الى ما يقاربه .

يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه النفيس (رحلة الاندلس) : « مسجد قرطبة الجامع هو ، دون شك ، أضخم عمل معماري قام به العرب في الشرق او الغرب على السواء ، فان مساحة الصحن المسقوف ٤٨٦٨ مترا مربعا ... فاذا أضفنا الى ذلك الفناء غير المسقوف ـ وهو بقية صحن الجامع يحيط بها السور ـ كانت مساحته ١٢١٨٩ مترا مربعا ... وعدد الاعمدة الباقية الى اليوم يزيد على ١٢٠٠ سارية . ومحراب هذا المسجد اروع محاريب الجوامع الاثرية الباقية الى اليوم. والحلول الهندسية التي وفق اليها المعماري الاول الذي وضع تصميم هذا الجامع ، والابتكارات المعمارية والزخرفية التي وصل اليها هو ومن جاؤوا بعده ، تقرر ، دون أدنى شك ، ان العرب كانوا أعظم مهندسي الدنيا حتى مطالع العصر الحديث . وهذه العبقرية الهندسية تتجلى اذا تأملت كيف حمل المهندس سقفا ارتفاعه تسعة أمتار على عمد رفيعة لا يزيد قطر الواحد منها على خمسة وعشرين سنتيمترا » (١)

ويضيف الدكتور مؤنس قائلا : « وانصع دليل على عبقرية هذا الابتكار أنه لم يتكرر . فمن المعروف ان المعماريين ينقل بعضهم عن بعض : اذا ابتكر واحد منهم شيئا في الشرق نقله الاخرون عنه في سلسلة طويلة حتى يصل الى أقصى الغرب ... الا هذا الابتكار ، فهو فريد في نوعه على طول التاريخ ، فريد وحيد كالجامع نفسه » (٢)

أما كم استغرق بناء هذا المسجد ؟

الواقع أنه لم يكن مسجدا واحدا ، بل ثلاثة مساجد ، تعاقب على توسيعها خلفاء بني امية واحدا بعد الاخر ، وهم : عبد الرحمن الداخل ، وعبد الرحمن بن الحكم المعروف بعبد الرحمن الاوسط ، والحكم المستنصر ، ثامن الامراء الامويين في الاندلس . يقول الدكتور حسين مؤنس : « ان أول حجر وضع في المسجد كان سنة ٧٨٠ ميلادية ، وآخر حجر وضع فيه كان سنة ١٠٠٠ ميلادية » (٣) أي أن بناء هذا المسجد استغرق مئتين وعشرين سنة .

فهذا المسجد اذن هو أكبر مسجد اسلامي في الدنيا كلها . واذا كان الدكتور مؤنس يقول ان الاعمدة فيه اليوم الف ومئتان ، فالواقع ان العدد كان أكبر من ذلك ، الا ان نحو مئة عمود قد أخذت منه واستعملت في أماكن اخرى بعد زوال الحكم العربي . كما ان الجامع نفسه قد اصبح الان يدعى (المسجد الكاتدرائية ـ لا ميثكيتا كاتدرال) وأضيف الى مئذنته التي تنتصب جبارة شامخة عند البوابة الخارجية ، ملاصقة للسور ، برج آخر للاجراس . وكذلك وضعت بين أعمدة المسجد هياكل وصور دينية مسيحية عديدة ، وكذلك وضعت بعض الصور فوق بعض الاقواس . ولكن هذه كلها تكاد لا تظهر بين تلك الغابة الهائلة من الاعمدة والاقواس التي يذهل العقل عن احصائها .

ويحتار الداخل الى المسجد الى أين يلقي ببصره : أالى الاعمدة الرخامية الرفيعة التي تنتصب في كل جهة في داخل المسجد صفوفا طويلة متتابعة في هندسة عجيبة ، وهي تحمل فوقها التيجان المركوبة باعمدة أخرى لكي تحمل القوسين ، بين كل عمودين ، أحدهما فوق الآخر ، ام ينظر الى السقوف والقباب الخشبية ذات النقوش والزخارف التي تخلب اللب ، ام يقف مبهوتا امام المحراب الذي صب فيه المزخرف والمعماري والخطاط عبقرية معجزة لا مثيل لها ؟ ومما يزيد في روعة الاقواس المزدوجة العديدة تعاقب اللونين الابيض والاحمر فيها ، وليسا من الدهان العادي ، بل من الحجارة والطوب الاحمر تتعاقب في تناسق مدهش ، مما جعل الاقواس تحتفظ بلونيها الى اليوم ، لم تبهت ولم تتأثر بتعاقب القرون .

وأمام المسجد ساحة واسعة تدعى « بهو النارنج » او البرتقال ، وهي ملأى بأشجار البرتقال الى اليوم . وتدعى البوابة التي الى جانب المئذنة في سور الجامع « بوابة الغفران » .

عدا هذا الجامع العربي العظيم هناك السور الذي ما يزال قائما الى اليوم ، وكان في الاصل يحيط بالمدينة لحمايتها من الاعداء ، ولكنه الان اصبح داخل الاحياء القديمة من المدينة . وعلى مقربة منه يقوم قصر الملكين المسيحيين (بالاثيو دي‌لوس رييس كريستيانوس) وهو يقوم‌في مكان قصر عربي يطل على نهر الوادي الكبير وقنطرته الطويلة الجميلة التي كانت في العهد العربي تدعى « قنطرة الوادي » ، وكانت متنزها كبيرا . ومن خلف القنطرة تقوم قلعة الحرة ، ويدعونها بالاسبانية (كالاهورة) .

وعلى مسافة خمسة كيلو مترات من قرطبة تقوم مدينة الزهراء ، ويدعوها الاسبان اليوم « مدينا ثارا » . وهي اليوم اطلال دارسة تعكف وزارة الآثار على نبشها وترميمها . وقد أعيد بناء قسم صغير منها هو قاعة الاستقبال والعرش ، وأعيدت الى هذا القسم أعمدته الشبيهة بأعمدة المسجد الجامع ، كما أعيد الصاق الكثير من زخارفه ونقوشه الرائعة المحفورة بالجبس . وما يزال العمل جاريا بهمة ونشاط لترميم بقية اجزاء القصر وما حوله من البيوت والثكنات . وقد صفت على الارض الفسيحة قطع الجبس التي كانت تزين الجدران والسقوف في تلك المدينة ابان عزها ، لكي تعاد الى أماكنها بعد الترميم . وليس المهم اعادة البناء ، ولكن المهم جدا اعادة النقوش والزخارف الى أماكنها ، وبالشكل الذي كانت عليه في الاصل .

اما نهر الوادي الكبير فانه عند قرطبة عريض ، ولكنه ضحل المياه جدا . وكانت تقوم فيه النواعير ، بين القصر وقلعة الحرة ، وما يزال القليل جدا منها قائما الى اليوم أثرا من الآثار . أما في اشبيلية فانه نهر ملاحي كبير حقا ، تسير فيه السفن التي تحمل ألفي طن وما دون ذلك .

تعتز مدينة قرطبة ـ ومن حقها ان تعتز ـ بانها أطلعت أكبر عدد من شعراء العرب في الاندلس ، وعلمائهم ، وفلاسفتهم : فهي وطن زرياب ، وابن حزم ، وابن مسرة ، والغزال ، وابن شهيد ، وابن زيدون ، وابن عبد ربه ، وغيرهم من أهل العلم والادب والفلسفة . وقد أقيم في المدينة في الاعوام الاخيرة ثلاثة تماثيل : لابن حزم ، وابن ميمون ، واخيرا لابن رشد . أما تمثال ابن ميمون فقد أقيم في وسط ما كان يدعى بالحي اليهودي في المدينة القديمة على مقربة من الكنيس اليهودي القديم ، ذي النقوش والزخارف العربية الجميلة الباقية الى اليوم . وليس في ذلك الحي اليوم ، ولا في قرطبة كلها ، يهود ، ولكن الحي ما يزال يدعى باسم الحي اليهودي (لا خودريا).

يقول كبير المستشرقين الاسبان الاحياء ، اميليو غارثيا غوميث ، في عهد ازدهار قرطبة : « كانت قرطبة بلدا نصف عربي : يتحدث اهله العربية وعجمية اهل الاندلس ، ويختلط فيه رنين الاجراس بأذان المؤذن ... وتجلى اختلاط الناس بعضها ببعض ، وتجاور الديانات بعضها لبعض ، عن جو سمح ، جميل ، انساني ، شفاف » (٤) .

* * *

انتهى مؤتمر قرطبة بعد ظهر الثالث والعشرين من أكتوبر . ومنذ صباح الرابع والعشرين منه أصبحت في ضيافة وزارة السياحة والاعلام . فوضعت الوزارة تحت تصرفي سيارة خاصة لكي أقوم بزيارة بعض مدن الاندلس الاخرى . فانتقلت من قرطبة الى غرناطة في طريق استغرقت اكثر من ثلاث ساعات .

وقبل ان أتحدث عن غرناطة وآثارها العربية أذكر انني قبل مغادرتي عمان كنت قد علمت‌من صديقي سكرتير السفارة الاسبانية‌ان في مدينة الحمراء نفسها استراحة سياحية جميلة اسمها (باراذور دي سان فرانسيسكو) تجعل المرء فيها يشعر بجو الحمراء . وحين وصلت الى مدريد بعدئذ ، واتفقت مع وزارة السياحة والاعلام على برنامج جولتي في الاندلس ، طلبت ان تحجز لي غرفة في تلك الاستراحة لكي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعيش يومين في قلب التاريخ العربي . وفعلا نزلت في تلك الاستراحة الجميلة التي كانت من قبل جزءا من قصور الحمراء . ثم تحولت الى فندق سياحي من أجمل الفنادق ، ولا سيما بالحدائق الجميلة التي تتربع على كتف قصر الحمراء مباشرة ، وتقابل جنة العريف على الجهة الاخرى .

اخترقت بي السيارة شوارع غرناطة الجميلة ، ومرت من ساحة الملكين فرناندو وايزابيلا الواسعة الجميلة ، التي ينتصب فيها تمثالا الملكين على قاعدة عالية ، وامامهما كريستوفر كولومبوس يستاذنهما في السفر لاكتشاف العالم الجديد . وبهذه المناسبة اذكر ان فرناندو وايزابيلا مدفونان ، ومعهما ابنتهما خوانا وزوجها فيليب الجميل ، في كاتدرائية المدينة التي أقيمت على انقاض الجامع القديم هناك بعد هدمه .

ثم أخذت السيارة تصعد في طريق ضيق حتى وصلت الى بوابة عربية في سور سميك مرتفع ، ودخلت تحت قوس شاهق العلو من الاشجار المتعانقة يحجب ضوء الشمس ، وراحت تدور في المنعطفات المتعرجة وسط الاشجار الكثيفة ، وأنا مأخوذ بهذا الجمال الاخضر الساحر ، حتى وقفت بي عند مدخل باراذور سان فرانسيسكو على قمة التل ، ومن خلف المدخل تتناثر احواض الزهر الجميلة ، ونوافير المياه المتدفقة .

وأحسست انني قد دخلت في دنيا هي اقرب الى الاسطورة منها الى الواقع ، فكان التاريخ الذي سأراه حيا امامي بعد لحظات لم يكن تاريخا حقيقيا من صنع البشر ، بل كونته الخرافة والمعجزة والسحر .

عند نزولي من السيارة في مدخل الباراذور تقدم شاب كان يقف هناك ينتظر ، وسأل السائق من خلفي بصوت خافت قائلا : « هل تعرف سيدة عربية من الاردن اسمها عيسى الناعوري ؟ » فضحكت واستدرت نحوه ، وقلت له بالانكليزية : « انا عيسى الناعوري ، ولكني آسف لانني خيبت ظنك ، فلعلك كنت تنتظر ان تكون دليلا لسيدة جميلة ، ولكنك ترى الان امامك « خنشورا » مثلك بدلا من السيدة الحسناء ! » فاعتذر الرجل خجلا ، ومد الي كتابا في يده من دائرة السياحة في المدينة تكلفه فيه بمرافقة « السيدة عيسى الناعوري » خلال اقامتها في غرناطة . فقلت له : انا اعرف ان الاسماء التي تنتهي بحرف A هي في الغالب مؤنثة بالاسبانية والايطالية ، ولذلك التبس الامر على المسؤولين هنا بين « سنيور » و « سنيورا » .

ولم اتأخر في الفندق الا ريثما وضعت حقيبتي في الغرفة المخصصة لي ، ثم خرجت حالا مع الدليل لأرى قصر الحمراء الذي كنت في شوق شديد الى رؤيته . ولا يبعد مدخل القصر عن مدخل الفندق اكثر من ثلاثين او اربعين مترا .

كان المطر ينزل خفيفا حينئذ ، والسماء متلبدة بالغيوم . وكان هذا مزعجا لانه لا يسمح لي بالتقاط الصور .

وقادني الدليل في متاهات قصر الحمراء الساحرة مبتدئا بقاعة المشور ذات السقف الخشبي المنخفض ، والنقوش والزخارف البديعة، وقد دعيت هذه القاعة بقاعة المشور لانها كانت مكان اجتماع السلطان بوزرائه للمشورة والنظر في شؤون الدولة .

ثم اخذ الدليل يعبر بي الغرف والقاعات والاروقة والابهاء ، وأنا لا اصدق عيني ، وكلما شاهدت سقفا ، او قبة ، او مجموعة اعمدة ، ورأيت ما فيها من رهافة الفن ، ودقة الصناعة ، وروعة الهندسة ، وجمال النقوش والخطوط ، والآيات ، والابيات الشعرية التي ترصع الجدران والسقوف والاعمدة من الداخل والخارج استبدت بي الدهشة، ولم املك ان اهتف قائلا : « مستحيل ! لا يمكن تصديق هذا كله » !

قاعة السفراء ، غرف النوم ، قاعات الجلوس ، بهو الاسود ، قاعة الاختين ، قاعة بني السراج ، الحمامات ، الممرات ، كل هذه وسواها مرصعة بنقوش عجيبة لا مكان لها حتى في اخيلة اعظم الشعراء.

عبارة « ولا غالب الا الله » تملأ سائر الجدران في أكثر من زنار واحد على كل جدار ، وتقوم اطارا ثلاثي الزوايا لكل باب ، ولكل نافذة ، ولكل قوس ، وعلى تاج كل عمود ، بخطوط متشابهة كل التشابه ، واحيانا بخطوط مختلفة بين الكوفي ، والديواني ، والثلث وغيرها ، والآيات الكريمة المتعددة ، وابيات الشعر العديدة على كل جدار ، وعلى الابواب الخشبية ، وعبارات « القدرة لله » و « العزة لله » التي تملأ الجدران في شبه اطارات رباعية الزوايا ، وكذلك عبارات « عز لمولانا السلطان ابي عبدالله أمير المسلمين » ، « والعز لمولانا ابي الحجاج » ، هذه وسواها من الزخارف المنقوشة في الجبس الملصق على الجدران ، تجعل من الفن العربي شيئا فريدا في الدنيا .

وتبلغ الدهشة مداها حين ينظر المرء الى القباب التي تتدلى منها الزخارف الجبسية البديعة الالوان كانها ثريات رائعة الجمال . وعلى ارض الغرفة تحت ثريات القباب المدهشة تقوم برك الماء الصغيرة المستديرة ، في وسط كل منها نافورة ، والماء ينساب من البرك في قنوات رفيعة ليصب في بركة اكبر منها في وسط البهو الخارجي ، ثم تنساب في قنوات اخرى الى كل الجهات .

وتقف في القاعتين الكبيرتين على جانبي بهو الاسود ، وتنظر لتتأمل انعكاس ثريات السقوف في الماء ، فاذا امامك نوع من الجواهر النادرة العجيبة .

سحر ، بل أكثر من السحر !

وعلى الرغم من أنني لم أكتف بالزيارة الاولى التي لم اصدق فيها عيني ، بل عدت في اليوم التالي الى القصر من جديد ، وتجولت في سائر غرفه وأبهائه وممراته وحدائقه ، فقد ظل السحر مستوليا علي وعلى احساسي كله .

أين القصور العظيمة التي شاهدتها في كل رحلاتي السابقة في الغرب والشرق ، من الفاتيكان الى القصر الشتوي في لينغراد ، وفي سمرقند ؟ كلها تضاءلت امام قصر الحمراء ، واصبحت في نظري الاعيب أقزام يحاولون ان يكونوا عمالقة !

البساطة ... البساطة العجيبة في دقة النقش ، ورهافة الصناعة ... تلك هي الروعة ، وتلك هي الاعجوبة ... كل شيء بعيد جدا عن الضخامة وكثرة الترصيع بالذهب كما في قصور الشرق والغرب العظمى . « بساطة ورهافة ودقة » ، هذا كل شيء ، ولكن هذا هو الجمال الذي لا مثيل له .

حين عدت في اليوم الثاني لزيارة القصر كانت معي الاديبة السورية السيدة سلمى حفار الكزبري ، وكانت ضيفة مثلي على وزارة السياحة ، ونازلة في الباراذور عينه . وكانت من قبل قد زارت غرناطة مرتين حين كان زوجها سفيرا لسوريا في اسبانيا . ومع ذلك لم تكن دهشتها أقل من دهشتي ونحن نتأمل زخارف القصر ، ونقوشه ، وهندسته ، وتنسيق اعمدته ، وترتيب أبهائه وقاعاته .

هذا القصر العجيب الساحر كان يوما مصدر فتنة للكاتب الاميركي واشنطن ايرفنغ . كان ايرفنغ سفيرا لبلاده في فرنسا قبل عام ١٨٥٠، وزار غرناطة مرة مع صديق له من السفارة الروسية في فرنسا . وحين وصل الى قصر الحمراء هجر السفارة والحياة الدبلوماسية ، وقام هناك بقية عمره ليعيش في جو التاريخ الاسطوري ، ويكتب الاقاصيص والحكايات عن الحمراء بروح الف ليلة وليلة . وفي قصر الحمراء كتب مجموعة حكاياته المعروفة باسم Tales Of The Alhambra أي « حكايات الحمراء » . وكان هذا الكتاب وسواه مما كتبه ايرفنغ في غرناطة من اهم الوسائل التي جعلت السياح الاميركيين يتقاطرون على غرناطة ، واسبانية كلها ، منذ منتصف القرن الماضي الى اليوم . جو الاسطورة وألف ليلة وليلة في قصور الحمراء كان منطلقا لخيالات الغربيين ، انساهم التاريخ واصحابه ، لان الغرب لا يستطيع ان ينظر الى العرب الا من خلال منظار شهرزاد وجو

الحريم . وهكذا اصبح واشنطن ايرفنغ مقترنا اسمه بغرناطة والحمراء، واصبح يحتل مكانة بارزة من متاحف غرناطة الى اليوم .

من قصر الحمراء مضينا الى حدائق القصر الترامية ، وخمائله الجميلة . ووقفنا طويلا عند خميلة البرطل والبركة الجميلة التي أمامها تعكس جمالها في قلب الماء ، ثم في داخل المسجد الصغير القائم بين ابراج السور ، والذي لا يقل جمالا في زخرفته ونقوشه عن بقية القصر .

وغادرنا قصر الحمراء وحدائقه لنصعد الى التل المقابل ، حيث تترامى جنة العريف متصاعدة من الوادي الى ما قبل قمة التل بقليل.

الطريق كلها ، من قاع التل الى القمة ، تمضي في وسط غابات رائعة من الاشجار ، مثل مدخل الحمراء من اول الطريق . ويدهش المرء لروعة التنسيق في احواض الزهر ، وترتيب الاشجار ، والتفنن المبدع في تزويق الجنة بفنون من الهندسة الزراعية ، وصنع الاقواس، والابواب والممرات الطويلة من شجر السرو الملزوز ، وتنوع البرك الجميلة ، بين مستطيلة ، ومربعة ، ومستديرة . وترتاح النفس بشكل عجيب حين يقف المرء عند البركة المستطيلة في « بهو الساقية » بين بناءين رائعي النقوش والزخارف على طرفيها ، واشجار السرو تنتصب على جانبيها في صفين طويلين ، وتحت اقدام الاشجار اصناف من الزهر على طول جانبي البركة ، والنوافير تقذف الماء الى فوق فينحني فوق البركة اقواسا من الفضة الناصعة على الجانبين . وفي كل مكان من مدرجات الجنة الساحرة تتدفق المياه قنوات رفيعة او عريضة منحدرة من اعلى التل ، ومنسابة في تعاريج هندسية وسط احواض الزهر . وهنا وهناك تتناثر المقاعد الطويلة تحت اقواس السرو ، او في ظلال الخمائل الخضراء ليستريح عليها المتفرجون ، او العشاق الذين ينزوون هنا وهناك لخلوات الهوى .

جنة العريف هذه لم أر في حياتي حديقة مثلها ، او قريبة الشبه بها . انها استراحة لمن يريد ان يعيش للشعر او للحب او للجمال ، وهي توحي بذلك كله .

لقد كانت المدة التي قضيتها في غرناطة اقل من القليل ، كانت يومين فقط ، فلم استطع ان اشبع من رؤية قصر الحمراء ولا من الاستمتاع بجنة العريف . لكي يشبع المرء من الحمراء وجنة العريف يجب ان يقضي فيهما اسابيع ، لكي يعرف كيف يحس بروعة الفن ولذة الجمال .

الى جانب جنة العريف يقوم تل اخر يدعونه (الجبل المقدس ـ مونتي ساكرو) Monte Sacro يقيم عليه النور يبيعون الاواني النحاسية الحمراء والفقاشات Castanietas التي تستخدم في رقص الفلامنجو ، وفي غرف مستطيلة معقودة السقوف يجلس السياح على كراسي صغيرة على جانبي الغرفة ليتفرجوا على رقص الفلامنجو.

وعلى مقربة من غرناطة ترتفع جبال الثلج (سيرا نيفادا) التي تنحدر منها المياه غزيرة الى غرناطة ، وهاماتها معممة طوال العام بالثلوج الناصعة . ولقد حاولت مع السيدة سلمى ان نصل الى القمة الثلجية ، ولكن البرد الشديد ارغمنا على العودة من منتصف الطريق.

* * *

في اليوم الثالث ودعنا غرناطة ، سلمى وانا ، وفي نفس كل منا أسف شديد لقصر المدة التي قضيناها هناك . ومضينا الى مالقة ، حيث نزلنا في استراحة سياحية على مقربة من المدينة .

الاستراحة تدعى (الاستراحة الوطنية للعبة الجولف) وهي في الواقع فندق فخم جميل يتألف من جناحين متقابلين ، بينهما ساحة خضراء فسيحة جدا في وسطها بركة كبيرة للسباحة ، وتترامى خلف الاستراحة ارض واسعة مفروشة بالعشب ليمارس عليها نزلاء الفندق لعبة الجولف . وفي هذا الفندق السياحي الجميل الفخم قضينا يومين اخرين ننطلق منه في الصباح الى الجهات القريبة ونعود اليه في المساء . وعلى مقربة من الفندق مدينتان سياحيتان هما : مالقة ، وتوري مولينوس . واذا كانت مالقة في الماضي من اهم الموانيء العربية في الاندلس ، وما تزال قلعتها العربية قائمة تتحدى الزمان ، بابراجها واسوارها العالية المطلة على المدينة من اعلى التل الذي يقوم خلفها ، فان توري مولينوس من اهم المدن السياحية في الوقت الحاضر . وحين يتجول فيها المرء لا يرى من اهلها نصف العدد الذي يراه من السياح الذين تعج بهم في النهار والليل . وهي في النهار اكثر هدوءا منها في الليل ، فالحياة الصاخبة اللاهية ، العنيفة في لهوها وصخبها ، تبدأ بعد الساعة العاشرة ليلا وتستمر حتى الصباح .

وكنت قد زرت توري مولينوس هذه مع جماعة من الاصدقاء في ايام مؤتمر قرطبة : وصلنا اليها بالسيارة الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وغادرناها من جديد الى قرطبة الساعة الثالثة صباحا وهي ما تزال في عنفوان صخبها ولهوها ، بين الجاز ، وهستيريا الرقص : حاناتها وملاهيها وشوارعها غاصة بالسياح ، وكثيرون منهم من « الخنافس » وذوات الميني جوب الذي يكاد لا ينزل عن اعلى الفخذين، وكلهم من السياح والغرباء من سائر الشعوب والاجناس .

الساحل هناك يدعونه « ساحل الشمس ـ كوستا دل صول » ، والمدن على طول الساحل تعج دائما بالسياح القادمين للاستمتاع بالشمس والدفء والجمال .

من فندق الجولف انطلقنا لزيارة مغارة « نيرخا » ، الشبيهة بمغارة جعيتا ومغارة قاديشا في لبنان من حيث المناظر الداخلية الرائعة المتدلية في اشكال عجيبة . هذه المغارة اقل جمالا من مغارتي جعيتا وقاديشا لان لا ماء فيها ، ولكنها اكثر منهما رهبة بكثرة ما فيها من المغاوز والكهوف ، والاشكال الحجرية العجيبة . ولا يطيق المرء البقاء فيها طويلا لشدة الرطوبة الباردة في داخلها . وهي تمتاز عن المغارتين اللبنانيتين بان جفافها من الداخل يسمح باقامة الحفلات الموسيقية والراقصة في داخلها . وكانوا فعلا يعدونها لذلك عند زيارتنا لها .

وزرنا كذلك قرية ميخاس . وتشتهر هذه القرية الممتدة في سفح الجبل في وسط غابة رائعة من شجر الصنوبر ، بنوع من وسائل السياحة فريد ، هو « الحمار التكسي » Taxi- Burro . فهناك موقف خاص للعربات السياحية الصغيرة التي تجرها الحمير المزينة للسياحة .

ثم زرنا كذلك مدينة « ماربيا » او البحر الجميل ، وهي ايضا من المدن السياحية الكبيرة الجميلة ، وتعج بالسياح مثل توري مولينوس . والاستعدادات السياحية في ساحل الشمس متوافرة جدا : من الفنادق الضخمة ، الى برك السباحة ، الى البلاجات العامرة ، والملاهي والمنتزهات التي يقضي فيها السائح اوقاتا ممتعة تحت اشعة الشمس الساطعة الدافئة .

في منطقة ساحل الشمس هذه وددت لو امكن ان ازور جبل طارق وهو لا يبعد كثيرا . غير ان الوقت المحدد لدي لم يسمح لي بذلك .

تلك القلعة الجبارة المسيطرة على المعبر المائي الكبير الاهمية ، والتي ما تزال تحمل اسم القائد العربي الجبار « طارق بن زياد » ، رغم تحريف الاسم في اللغات الغربية الى Gibraltar جديرة بان يقف العربي عندها ليستعيد في ذهنه صورة العزيمة المعجزة التي استطاعت ان تتخطى القلعة قبل اكثر من اثني عشر قرنا من الزمان . ففي هذه الذكرى ما يبعث على الامل في غد لا يقل زهوا عن الامس البعيد ، وفي « طارق » عربي جديد لا يكون اقل عزيمة من ابن زياد.

وعلى ذكر جبل طارق ، اذكر ههنا ما حدثني به بعض الاخوان العرب في مدريد عن مهزلة الاستفتاء البريطاني الاخير هناك . لقد ذكروا لي ان الذين اشتركوا في ذلك الاستفتاء لم يكونوا من الاسبان،

بل كانوا من الهنود والمالطيين وابناء الكومونولث الذين يعملون في خدمة البريطانيين في المستعمرة . وهؤلاء من مصلحتهم ان يبقى البريطانيون هناك لتظل لهم اعمالهم . وهكذا جاءت النتيجة التي اعلنتها بريطانيا زاعمة ان الاجماع كان تاما على بقاء جبل طارق في ايدي البريطانيين .

ألعوبة اخرى ... واحدة من الاف الاعيب التي خبرها الناس عن سياسة الانكليز !

* * *

في اليوم الثالث غادرت ملقة الى اشبيلية .

المدينة كبيرة واسعة ، يشطرها النهر الكبير ، او الوادي الكبير، من وسطها . وهو نهر ـ كما يذكر الشقندي ـ كان منتجع العشاق واهل الطرب : اللهو والشراب على ضفتيه مباحان ، « لا ناه عن ذلك ولا رقيب » ، ولكنه اليوم نهر ملاحي تمخر فيه السفن التجارية ذاهبة آئبة ، ومن حوله العمارات الحديثة والقديمة ، والمقاهي . ولكن الاشجار قليلة جدا على جانبيه ، ولم يعد شاطئاه ملتقى العشاق واهل الطرب كما كانا في القديم . والعشاق اليوم لم يعودوا في حاجة ـ في الغرب كله ـ الى شاطىء نهر او الى خميلة ليلتقوا فيهما ، فكل مكان ، حتى الشوارع ، والمتنزهات العامة ، وحتى الحافلات وسيارات التكسي ، هي اماكن للهوى وأهله ، « لا ناه عن ذلك ولا رقيب » !

الاثار العربية في اشبيلية عديدة : المآذن والابراج وحدها اكثر من نصف دزينة : مئذنة الخيرالدا ـ أو الدوارة ـ ومئذنة عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ومئذنة كنيسة القديسة كاتالينا ، وبرج الذهب ، وغيرها . وقد ذكرت مئذنة كاتالينا لان الكنيسة كانت في الاصل جامعا ، ثم تحول الجامع الى كنيسة ، مع تغيير بسيط في هندستها ، وبقيت ملامح الجامع على حالها ، كما بقيت المئذنة الى جانب الكنيسة ، كما كانت من قبل ، لتؤكد ان اصل الكنيسة جامع.

وكاتدرائية اشبيلية الكبرى : ثالثة اكبر كنائس العالم ، تقوم على مكان مسجد كان مثيلا لجامع قرطبة ، ثم تهدم الجامع وقامت الكاتدرائية مكانه ، وبقي منه ساحة النارنج الفسيحة وفي وسطها حوض الوضوء ، وفي احد جوانبها ، لصق جدار الكنيسة ، جزء من جدار الجامع القديم . ولكن اهم اثر باق من الجامع هو مئذنته المربعة الهائلة ، على طريقة المذهب المالكي . خمسة وسبعون مترا ترتفع شامخة في الفضاء لصق الكنيسة ، ثم اضيف اليها برج للاجراس فبلغ ارتفاعها تسعين مترا . ويصعد اليها في طريق عريضة من الداخل تتسع لاربعة اشخاص او خمسة ، تدور متصاعدة الى قمتها . والطريق مرصوفة بالطوب الاحمر الرفيع . وفي نهاية كل دورة شرفات تطل على مختلف جوانب المدينة ، حتى اذا وصل المرء الى اعلى المئذنة انبسطت المدينة تحته بسقوفها الحمراء الجميلة ، وانبسطت كذلك الافاق من حولها .

المئذنة والكنيسة تقومان مقابل القصر العربي القديم الذي اصبح بعد خروج العرب من اشبيلية مقرا لملوك اسبانيا . وهو شبيه بقصر الحمراء في نقوشه وزخارفه ، وفي قاعاته وابهائه ، ولا سيما في الطابق الاول منه . الا ان الالوان فيه ما تزال على حالها بسبب استمرار العناية بالقصر . ومع الاضافات العديدة التي اضافها اليه ملوك اسبانيا اصبح يجمع بين الطراز العربي ، والطراز القوطي ، وطراز عصر النهضة ، والطراز الباروكي . ولكن النقوش والزخارف والكتابات كلها عربية ، ومن صنع فنانين عرب جيء بهم من غرناطة . حتى الابواب القديمة الضخمة ما تزال هي هي بكتاباتها ونقوشها . وقد استطعت ان اقرأ بعض ما هو واضح من الكتابات التي تزين الجدران والابواب ، فكان منها : (في طالع السعد والسعادة الدائمة ـ العزة لله ـ ولا غالب الا الله ـ القدرة لله ـ حمدا لله على نعمه ـ عز لمولانا السلطان) وهناك كتابات اخرى كثيرة بالحروف الكوفية وغيرها ، ولكنني لم استطع قراءتها .

ونلاحظ ان هذه الكتابات مماثلة لبعض ما في قصر الحمراء . وعبارة (عز لمولانا السلطان) هنا هي في قصر الحمراء (عز لمولانا السلطان ابي عبد الله امير المسلمين) واحد ابواب القصر الخشبية القديمة الضخمة على وجهه كتابات عربية كثيرة ، وعلى قفاه كتابات اخرى باللاتينية لم استطع قراءتها لتداخل حروفها باشكال زخرفية غير مقروءة ، وقد قيل لي انها من انجيل يوحنا .

قاعة السفراء في الحمراء هي قاعة السفراء في اشبيلية ، وغرف النوم هنا هي غرف النوم هناك ، والابهاء كذلك ، الا انه ليس بينها ، في اشبيلية ، بهو الاسود . كما ان التقليد في قصر اشبيلية ـ رغم الجمال الساحر في الالوان بشكل خاص ـ يظل دون قصر الحمراء في مجموعه ، وفي قبابه خاصة . القباب في قصر الحمراء عجيبة ساحرة بثريات الجبس المحفورة باشكال هندسية دقيقة رهيفة جدا ، اما هنا فالقباب من الخشب ، مع محاولة تقليد الحفر هناك .

لو كانت الوان قصر الحمراء الاصلية ما تزال باقية لكان اشد سحرا واسرا ـ رغم كل ما فيه من سحر واسر ـ ولكن الاهمال الذي اصابه بعد خروج العرب منه اتى على الكثير من الوانه . اما قصر اشبيلية فقد ظل عامرا باهله العرب اولا ، وبملوك الاسبان من بعدهم. وفي جناح حديث منه ينزل الجنرال فرانكو كلما ذهب الى اشبيلية .

وحدائق قصر اشبيلية في وسط الساحات الداخلية هي تقليد لحدائق قصر الحمراء وجنة العريف ، ولكنها لا تصل الى مثل جمال جنة العريف ، وان كانت لا تقل جمالا وتنسيقا عن حدائق قصر الحمراء الداخلية .

وبرج الذهب هو احد الحصون العربية القديمة ، يقف على شاطىء النهر الكبير شامخا كما كان من قبل حين اقيم لحراسة المدينة من هجمات الاعداء . واستدارته تتالف من اثنتي عشرة زاوية .

اما الكاتدرائية فهي قوطية الطراز ، يرتفع سقفها عاليا على اعمدة جبارة هائلة الضخامة ، وجدرانها عارية كلها من النقوش والزخارف ، ولكنها ملأى باللوحات الفنية الاصلية من صنع الرسامين الاشبيليين بيلاسكيث وموريو . وفيها من كنوز الذهب والجواهر والفضة ما لا يقدر بثمن . وفي وسط الكنيسة قبر كريستوفر كولومبوس يقوم على ظهره اربعة تماثيل من الحجر اكبر من حجم الانسان العادي ، يمثلون ملوك الممالك الاسبانية الاربع حينئذ ، يحملون تابوت كولومبوس ، وفي يد كل منهم حربة طويلة رأسها الى الارض ، وحربة احد الشخصين الاماميين مفروزة في قلب رمانة كبيرة ، وقد فلقتها ، اشارة الى سقوط غرناطة (اسمها بالاسبانية : غرانادا ـ أي الرمانة) في اليوم نفسه الذي ذهب فيه كولومبوس لمقابلة الملكين فرديناندو وايزابيلا ليطلب منهما السماح له بالقيام برحلته التي اكتشف فيها اميركا .

وفي اشبيلية ايضا قصر اخر عربي النقوش والزخارف ، يدعى (بيت بيلاطس) . وكان يملك هذا القصر دوق مدينائيلي (او مدينة سالم ، كما كان اسمها العربي) وكان الدوق قد زار القدس في القرن السابع عشر ، فلما عاد منها اراد ان يقيم في اشبيلية مراحل درب الصليب كما هي في القدس ، فكان قصره هو المرحلة الاولى ، كما كان قصر بيلاطس البنطي في القدس هو المرحلة الاولى من درب الآلام الحقيقية ، ولهذا دعاه (بيت بيلاطس) . ثم تمضي بقية المراحل في شوارع المدينة واحيائها حتى تنتهي عند مكان سماه (الجلجلة) واقام فيه بناء صغيرا ذا اربعة ابواب ، في وسطه صليب كبير . وما يزال أهل اشبيلية الى اليوم يطوفون كل يوم جمعة من صوم الفصح في هذه المراحل ابتداء من بيت بيلاطس حتى ينتهوا عند الجلجلة ، كما يفعل المسيحيون في القدس .

وهناك ايضا قصور اخرى عديدة ، قديمة وحديثة ، تزهو بنقوشها وزخارفها العربية (المودخار ، كما يدعونها) . وفيها كذلك حدائق ومتنزهات فسيحة هائلة المساحات . وتشتهر المدينة بصناعة الخزف الجميل جدا بالوانه ونقوشه ، ويصنعون منه لوحات رائعة الجمال يزينون بها الفنادق الفخمة والقصور والابنية الكبيرة .

* * *

قضيت في اشبيلية ثلاثة ايام . وفي مساء اليوم الثالث عدت الى مدريد في قطار التالغو السريع جدا ، والذي لم ار له مثيلا في أي بلد في اوروبا . فلم تستغرق الرحلة سوى ست ساعات ، مع انها في القطر العادية الاخرى تستغرق اكثر من عشر ساعات .

وفي اليوم التالي لوصولي الى مدريد ذهبت بعد الظهر الى وادي الشهداء (فايه دي لوس كائيدوس) والى الاسكوريال . ووادي الشهداء مكان يقع بين جبال خضراء تطوقه من كل جانب ، وفي وسطه جبل صخري من الغرانيت يعلو مئة وخمسين مترا ، وقد نصب فوقه صليب من الاسمنت وحجر الغرانيت علوه مئة وخمسون مترا اخرى ، وفي داخل الصليب مصعد يصعد الى اعلاه ، كما يقولون ـ ولم ار ذلك بنفسي ـ وتحت جبل الغرانيت حفرت كاتدرائية هائلة الى عمق ثلاثمئة متر في قلب الحجر الصلد ، ذات سقف مرتفع مقوس . وامام الكنيسة ساحة فسيحة جدا مرصوفة كلها ببلاطات من حجر الغرانيت.

حفر الكنيسة بكل هذا العمق الهائل في قلب جبل الغرانيت ، بسقفها العالي ، هو اشبه بالمعجزة حقا . وقد قامت الحكومة الاسبانية بهذا العمل الجبار تكريما للابطال الذين سقطوا في الحرب الاهلية الاخيرة . وفي قلب الكنيسة قبر القائد خوسيه انطونيو ، رفيق الجنرال فرانكو ، ومؤسس حركة الفلانج .

اما الاسكوريال فاهم ما فيها البناء الهائل الذي يضم القصر والكاتدرائية والمكتبة ومدفن الملوك . واروقته تحمل لوحات جدارية من اكبر ما عرفه العالم من لوحات الجدران . ومدفن الملوك قاعة مستديرة ، عالية السقف ، جميلة النقوش ، ينزل اليها المرء عدة درجات من الرخام الجميل . وفيها توابيت رخامية بنية اللون لملوك اسبانيا . واما المكتبة فانها تضم عدة الاف من المخطوطات النفيسة الفريدة ، بينها الفا مخطوطة عربية نادرة مزينة بالرسوم الجميلة جدا ، وبينها كذلك مصاحف واناجيل وكتب توراة ثمينة جدا لا مثيل لها . والمكتبة ومدفن الملوك هما اهم ما استاثر باهتمامي في المدة القصيرة جدا التي قضيتها في الاسكوريال .

وفي اليوم التالي ذهبت الى طليطلة (توليدو) التي تبعد عن مدريد نحو خمسة وسبعين كيلو مترا . وفي الطريق عرج بي السائق على قرية صغيرة قال لي ان في كنيستها ثلاث لوحات اصلية للرسام الشهير « الفريكو » اكتشفت هناك حديثا . فدخلت الكنيسة والناس فيها يقيمون صلاة الاحد . كانت واحدة من اللوحات رائعة حقا ، وهي لوحة شخصية ، ولكن لم يكن ينقصها غير ان يتكلم الشخص المرسوم فيها ، وغير ان تتحرك النار في الموقدة الى جانبه . والصورتان الاخريان كانتا اقل روعة منها .

وها انا اخيرا في طليطلة : المدينة التي حكمها العرب حتى عام ١٠٨٥ ، ثم كانت عاصمة اسبانيا حتى عام ١٥٦١ حين نقل الملك فيليب الثاني العاصمة الى مدريد لان طقس طليطلة البارد لم يكن يناسب صحته . وهكذا اصبحت المدينة منذ ذلك الحين تعيش على امجاد تاريخ قديم .

مدينة صغيرة تحتل تلا كبيرا من سائر سفوحه الى قمته ، يطوقها نهر تاخو من ثلاث جهات ، والسور العربي الذي لا يزال قائما الى الان من الجهة الرابعة . وعلى النهر جسران عربيان فيهما اثار رومانية قديمة على جانبي المدينة من اليمين والشمال . المساجد العربية والمآذن ما يزال بعضها قائما الى اليوم في انحاء مختلفة من المدينة ، ولكن المسجد الجامع الكبير في وسطها زال من الوجود ، وتقوم مكانه الكاتدرائية الكبرى . وهي اليوم اهم ما في طليطلة من اثار تستاثر باهتمام السياح . انها كنيسة تجمع بين الهندسة القوطية والزخارف العربية ، وفنون الرسم والنحت البالغة الروعة . وهي من اغنى الكنائس بما تحويه من الكنوز والنفائس من الجواهر والذهب والفضة. وكلها محفوظة في غرفة تسمى (ال تيزورو) او (الكنز) ، ولا نفع منها غير انها تعرض على السياح : لا يستفيد منها الله ولا البشر . اما التماثيل واللوحات العديدة المدهشة التي تملأ جوانب الكنيسة والقاعات المحيطة بها فانها اعمال فنية لا تقدر بثمن . واللوحات من صنع اشهر الرسامين ، من امثال : الفريكو ، وتيتسيان ، وفان دايك ، ودافنشي ، وغيرهم .

وهناك قصر ضخم يقوم على اعلى التل يدعونه (الكاثار) . وكان قصرا عربيا في الاصل ، حتى عام ١٩٣٣ ، ولكن صمود المدينة في وجه الشيوعيين في الحرب الاهلية اثنين وسبعين يوما كانت نتيجته تدمير هذا القصر تدميرا كاملا بمدافع الشيوعيين . وبعد الحرب اعيد بناؤه بشكل حديث ، فلم يبق للقصر العربي من اثر .

وفي طليطلة شيء اخر يهم الرسامين كثيرا ، وهو بيت الرسام الفريكو ومتحفه . وقد زرت البيت والمتحف ، غير ان ما فيهما من لوحات الفريكو الاصلية قليل جدا ، واهم اثاره الفنية في الكاتدرائية، وفي اماكن اخرى من كنائس اسبانيا ومتاحفها . وغرف البيت صغيرة كلها في الطابقين اللذين يتالف منهما ، ولكن البيت رغم ذلك جميل على بساطته وعلى قدمه .

ان اثار الحرب الاهلية ما تزال بادية في طليطلة ، وما يزال الخراب فيها غير قليل ، حتى في بعض الكنائس التي كان يحتمي فيها المدافعون عن المدينة .

* * *

بزيارة طليطلة تاتي رحلتي الى نهايتها تقريبا . حتى مدريد التي اقمت فيها خمسة ايام ، لم استطع ان اراها كما يجب : لم ار اثارها ولا متاحفها ، ولا اتيح لي ان اتصل بادبائها وفنانيها . لقد تجولت في شوارعها مرات بحكم تنقلاتي الاضطرارية فقط . ومن اهم ما استرعى انتباهي فيها الحدائق الجميلة المتعرشة على شرفات بيوتها الضخمة . هناك قصور عديدة تغص كل شرفاتها بالحدائق الجميلة المتدلية ، فكانها حدائق بابل المعلقة . وهو منظر لم ار مثله في غير اسبانيا . اما الساحات الواسعة التي تتوسطها الينابيع المتفجرة بالماء ، والتماثيل العديدة في الشوارع والساحات ، وفي قلب الينابيع ، والحدائق ، والمتنزهات الجميلة ، فانها كثيرة جدا ، وتضفي على المدينة جمالا كثيرا .

لقد غادرت مدريد دون ان اعرفها جيدا ، ولكنني عدت من اسبانيا بانطباعات لم اعرف مثلها في اية رحلة سابقة . فاسبانيا هي البلد الوحيد الذي يجمع بين أروع ما في حضارة العرب الشرقية ، واجمل ما في اوروبا الحديثة في تنسيق رائع مدهش . الشرقي يجد فيها جو الشرق بكل جماله وقوته ، والغربي يجد فيها جو الغرب باحدث ما فيه واجمله . والشعب الاسباني في مجموعه شعب صديق لنا . وهو يعتز بماضيه العربي في الاندلس ، ويعتبر تلك الفترة من ازهى عصور تاريخه . والسلطات الاسبانية تؤيدنا في كل قضايانا ومواقفنا السياسية . لم تعترف اسبانيا باسرائيل ، ولم تخذل العرب في اي موقف . وحين وقعت مأساتنا الاخيرة في حزيران الماضي كان مندوب

(١ و٢ و٣) رحلة الاندلس ، للدكتور حسين مؤنس ـ ص ٧٢ و٧٣ و٧٥ . (٤) تاريخ الفكر الاندلسي ، للدكتور حسين مؤنس ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ . (٥) نظمت هذا البيت وتركته وحيدا فريدا ، وكنت اقصد عندما نظمته ان اجعله مطلع قصيدة كاملة . (٦) هو الاخ مهدي بغدادي.

الى شاعر

●

كتبت تقول الي الفداة ... أحبك رمزا لدنيا الجمال
أحبك ... لا تسألي كم أحب ... فليس يحيط بحبي سؤال
وأهفو اليك كأني شريد ... يفتش عن واحة في الرمال
ومن يومها ... وأنا لا أنام ... وقلبي في نشوة وانفعال
وأشعر اني قطفت النجوم ... ملأت يدي بدنيا المحال
واني تهدهدني راحة ... تلون عمري بشتى الظلال
وان لاح في الافق طيف المساء ... وآذنت الشمس بالارتحال
يطير فؤادي بغير جناح ... وفوق ذراك يحط الرحال
ويركع كالطفل بين يديك ... ويشرح داء الغرام العضال !
حبيبي !.. تعال لتصغي الغداة ... لخفقة قلبي !.. تعال ! تعال
تعال لكيما اقول اليك ... كلاما رقيق الشذى لا يقال
تعال أبثك ما يعتريني ... وما أنا فيه من الانشغال
فاني اخاف اذا لم تجئني ... رعودا تقهقه خلف الجبال
أخاف بأن يمطر الليل حزنا ... فتخطفني منك كف الزوال
تمر بيابي صباح مساء ... فارنو اليك وكلي انذهال
واعول في الصمت حزنا عليك ... كما تعول الريح .. ريح الشمال
لانك وحدك عبر الطريق ... حزين .. تصارع سود الليال
أحبك ! فارفق بحبي الكبير ... يسهر عيني الليالي الطوال
فحبي أنا خالد .. لا يموت ... كما النجم لا يعتريه الكلال
وما أجمل الحب يهدي خطانا ... ويعصم أرواحنا من ضلال

عمان ـ الاردن

عبد الرحمن عاليه

اسبانيا في هيئة الامم ، السنيور منويل اثنار ، من اقوى المدافعين عن العرب في وجه اسرائيل واعوانها . وقد استقال السنيور اثنار اخيرا بسبب كبر سنه ، ولكن هل نال شيئا من التقدير من اية دولة عربية ؟ لكم وددت ، وود معي الكثيرون من الاخوان العرب في مدريد، لو قامت دولة عربية واحدة بمنح هذا الرجل وساما على موقفه النبيل منا في وقت محنتنا . فليت الاردن يكون صاحب المبادرة النبيلة في تكريم الرجل .

* * *

لقد عدت من رحلتي الاندلسية ممتلىء النفس بروعة تاريخنا الاندلسي المشترك ، وزهوة حضارتنا التي خلفناها هناك . وكلما رأيت اثرا من اثار الماضي العظيم كنت احس بالدمع يكاد يطفر من عيني ، فاردد بمرارة :

عيني ترى الماضي فتبكي له ... يا ليت ماضينا هو الحاضر ! (٥)

وحين كنت اتجول في قصر الحمراء في غرناطة التقيت في بهو الاسود بصديق من السفارة العراقية في مدريد (٦) ، فلما تقدمت للسلام عليه كان ذاهلا مبهوتا ، وقال لي حين رآني : « أتصدق يا عيسى اننا صنعنا هذا قبل اكثر من ستة قرون ؟! » فاجبته بحسرة مثل حسرته : « الذي يعرف حاضرنا لا يمكن ان يصدق ماضينا ! »

قبل سبعة قرون كنا افضل الف مرة مما نحن الان . كانت لنا حضارة تفيض النور على الدنيا بأسرها ، وكنا سادة الدنيا : علما ، ومدنية ، وفنا ، وقوة . فاين نحن اليوم من ذلك كله ؟؟

ولكن الدنيا دول . والذين استطاعوا ان يصنعوا معجزات الماضي لا يعجزون عن ان يصنعوا مثلها متى عرفوا طريق الوحدة والقوة ، ومتى آمنوا بأنفسهم ، وعاشوا بعقلية زمانهم .

عمان ـ الاردن

عيسى الناعوري



مصطفى عبد الواحد

موقف الشعر الاسلامي من العاطفة

بقلم مصطفى عبد الواحد
ماجستير في الادب والنقد

* * *

لم تتغير نظرة الشعر العربي الى العاطفة نحو المرأة بمجرد ظهور الاسلام واذعان العرب له ودخولهم فيه افواجا . فقد كان لا بد ان يمضي زمان تعمل فيه القيم الخلقية والفكرية التي جاء بها الاسلام ، عملها في تبديل المثل الجاهلية وصنع الوجدان الاسلامي الذي يصدر عن مبادىء الاسلام ويتسق مع نظرته للكون والحياة .

ولهذا جرى الغزل في الشعر العربي في صدر الاسلام على العهود في الشعر الجاهلي ، وكل ما طرأ عليه في صدر الاسلام ان زايله الفحش وتحرج الشعراء من التصريح بالفجور او الاشادة باللهو ، على نحو ما كان يصنع شعراء الجاهلية . فظلت نظرة الشعر في صدر الاسلام الى المرأة هي ذاتها النظرة الحسية التي تحفل بالمفاتن وتصف ما يملح للعين . ولم يكن هناك حرج في ترديد هذا الشعر وروايته ، فقد كان شعراء صدر الاسلام يفتتحون قصائدهم على نمط الشعراء الجاهليين بالغزل ووصف المرأة ، حتى في مواقف الدفاع عن

(*) راجع (فكرة الشعر الجاهلي عن العاطفة) « الاديب » عدد نوفمبر ١٩٦٧ صفحة ١٩

الاسلام والاشادة بأيامه ومشاهده .

فهذا حسان بن ثابت يفتتح قصيدته في يوم بدر بقوله :

تبلت فؤادك في المنام خريدة ... تشفي الضجيع ببارد بسام
كالمسك تخلطه بماء سحابة ... او عاتق كدم الذبيح مدام
نفح الحقيبة بوصها متنضد ... بلهاء غير وشيكة الاقسام
بنيت على قطن اجم كانه ... فضلا اذا قعدت مداك رخام
وتكاد تكسل ان تجيء فراشها ... في جسم خرعبة وحسن قوام
اقسمت انساها واترك ذكرها ... حتى تغيب في الضريح عظامي (١)

فهذه التي اسقمت فؤاده وامتلكت لبه ، فلا يفتر عن ذكرها بالنهار ولا يغفل عنها في احلامه ، والتي يعاهد نفسه على الوفاء لها والابقاء على ذكراها حتى تغيب في الضريح عظامه ، ليست الا امرأة توفرت لها مقاييس الجمال الحسية حسب الذوق المألوف في عصره ، من البدانة والليونة وحسن القوام ، وهي مدللة ناعمة حتى لتكاد ان تكسل عن اتيان فراشها .

فأي اختلاف بين هذه الصورة التي يرسمها حسان بن ثابت لفتاة احلامه وبين ما رسمه شعراء الجاهلية ؟ واي ادراك جديد او احساس بالعاطفة السامية اهتدى اليه حسان في هذا الغزل ؟! ـ

حقا انه غزل مصنوع ـ ربما لا يعد تعبيرا عن وجدان قائله ـ لكنه يصور المقاييس الفنية التي كانت تستقر في اخيلة الشعراء في ذلك الحين ، ويدل على النظرة السائدة الى المرأة ، فاذا أضفنا الى ذلك ان القصيدة التي بدأها حسان بهذه الابيات تصور مشهدا من مشاهد الاسلام وتتحدث عن هزيمة الكفار يوم بدر ، ادركنا انه لم تكن ثمة صورة ارفع من هذه في وجدان حسان بن ثابت والا لما بخل بها في هذا الموقف الكريم ..

فلم يكن الشعر العربي قد اهتدى بعد الى نظرة ارفع الى الصلة النفسية بين الرجل والمرأة ، ومن هنا لم تختلف المعايير الفنية في التصوير عن معايير الجاهلية . وحسب الاسلام في هذه الفترة الاولى من تاريخه انه افلح في تحويل انظار الشعراء عن الاسفاف وزجرهم عن تصوير الخطايا ، استجابة لداعي الايمان وحفاظا على القيم الاخلاقية التي استمسك بها المجتمع الاسلامي ، وقد كان لتلك القيم اثرها في تطهير المجتمع العربي ، وساعد على ذلك ما اشتغل به المسلمون من الدفاع عن عقيدتهم والجهاد في سبيل الله ، في مواقع متصلة لم تدع للدعة والاطمئنان الى الشهوات سبيلا ..

لكن التعبير الفني عن النظرة الى المرأة لم يطرأ عليه تغيير ، ولم يهتد الشعراء الى ادراك جديد للعاطفة في تلك الفترة من صدر الاسلام .

وفي العصر الاموي كان الوجدان العربي قد تأثر بمبادىء الاسلام واضحت القيم الاسلامية قادرة على خلق الصور الفنية لدى الشعراء ، فشهد الادب العربي لونا جديدا يصور عاطفة سامية ويعبر عن ادراك جديد للصلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين الرجل والمرأة لم يألفه الشعر العربي من قبل .. ذلك هو شعر الحب العذري او العفيف . وقد نشأ هذا الشعر تعبيرا عن تلك العاطفة الجديدة التي عرفها العرب بعد الاسلام في البوادي والامصار ، وهو ما عرف باسم « العشق العذري »وقد ولد هذا اللون من العاطفة ومن التعبير عنها ونما في الحجاز وفي نجد خاصة ، ومهد له امور من اهمها :

١ ــ التأثر بالاسلام في جانبه الروحي والخلقي ، والاستجابة لتوجيهه في اجتناب الفاحشة والزهد في المتاع الحرام . وقد كان هذا التأثر طبيعيا في البيئة العربية بعد ان مضت فترة طويلة على اعتناق العرب للاسلام كانت كافية للاستجابة الوجدانية والتأثر بالمبادىء والافكار .

وقد تجلى الكثير من مبادىء الاسلام في الوان الشعر العذري كعقيدة القضاء والقدر والايمان بالآخرة وتأميل اللقاء فيها ، وكف نوازع الهوى وملكة النفس الامارة بالسوء وغير ذلك .

٢ ــ توفر الاسباب التي هيأت للعرب رخاء العيش ودعة الحياة بعد ان فتحوا عواصم العالم الكبرى في ذلك الوقت ، وصارت لهم الغلبة السياسية والاقتصادية نتيجة لغلبة عقيدتهم وزعامتهم في الناحية الروحية ، ففتحت لهم ابواب العيش الكريم واطمأنت بهم الحياة ، وزايلهم طابع البداوة والارتحال ، وعرفوا نعمة الامن والاستقرار .. ومن ثم فقد انفسح امامهم المجال للتأمل والاصغاء الى المشاعر والخواطر ، واتسعت حياتهم للاحاسيس المرهفة والخيال المحلق .

٣ ــ كما تهيأ للحجاز عامل آخر ساعد على نشأة ذلك اللون من العاطفة والادب المعبر عنها ، وهو انتقال الزعامة السياسية من الحجاز الى الشام ، بعد ان صارت دمشق عاصمة الخلافة الاموية ، فتفرغ الحجازيون للعلم والادب ، واكتسبوا رقة في التصوير وصفاء في التفكير ، وكان شعر العاطفة من اهم ما جددوا فيه وابدعوا .

وقد اشتهرت نسبة ذلك الحب العفيف بخصائصه جميعا الى « عذرة » وهي قبيلة من اليمن تناقل الرواة اخبار العشاق منها ، واصبحت رمزا لاتجاه جديد في الوجدان العربي له مبادئه وخصائصه . وقد كان بنو عذرة يفخرون بشيوع هذه العاطفة فيهم وتضحيتهم في سبيلها ، كما يدل على ذلك هذا الخبر الذي رواه السراج في كتابه « مصارع العشاق » ان رجلا من بني فزارة قال لرجل من بني عذرة : تعدون موتكم من الحب مزية ؟! وانما ذلك من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الروية .

فقال العذري : اما انكم لو رأيتم المحاجر البلج ترشق الاعين الدعج (٢) من فوقها الحواجب الزج ، والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغر كأنها سرد الدر ، لجعلتموها اللات والعزى ورفعتم الاسلام وراء ظهوركم !

والحق ان ذلك الحب العذري ، كما تصوره اشعار العذريين واخبارهم ذو خصائص جديدة ما كانت العرب تلقى لها بالا من قبل .. فأول ما يبدو فيه الايمان بالعفاف ايمانا يجعل منه روح ذلك الحب ، فاذا زايل الحب العفاف فهو فجور ، وليس من العاطفة في شيء.

ومن هنا فلم يكن لذلك الحب من غرض حسي ، بل كانت غايته الرؤية أو القناعة بالذكرى والتصور في الخاطر ، او رؤية الطيف في الاحلام ، او تمنى اللقاء ولو بعد قيام الساعة !

وكان من ابرز خصائصه أن المحبوب ارفع درجة من المحب فلا يؤاخذ على ذنب ولا يقابل باساءة ، بل ولا عتاب ، كما تفيض بذلك اشعار العذريين على عكس ما كان في الشعر الجاهلي من مقابلة الصرم بمثله ومن التشنيع على الغدر والهجر .

ويتبع ذلك ان يقف المحب دائما موقف الذلة وان يرضى بالحرمان حظا له في الحياة ، فهو يقضي عمره يتغنى بآلامه ويصور اشجانه ، وحسبه ذلك من عاطفته الملقة .

وقد كان لهذا اللون الجديد من الشعر العفيف المعبر عن العاطفة المصور للخلجات والمشاعر شعراء كثيرون اشتهر منهم في العصر الاموي : ١ ــ جميل بن معمر ، ٢ ــ كثير عزة ، ٣ ــ ذو الرمة .

وفي العصر العباسي كان هناك شاعر فذ لم يرتق احد من معاصريه الى رتبته في مجال العاطفة هو العباس بن الاحنف . وليس هدفنا الان دراسة الوان التعبير لدى هؤلاء الشعراء ، ولكننا نلفت النظر الى ان هؤلاء قد حملوا لواء لون جديد في الشعر العربي ، هو تصوير العواطف الرقيقة في نقائها وطهارتها وفي وفائها وثباتها، حتى لقد وقف بعضهم شعره كله على هذه العاطفة ، مثل جميل بن معمر والعباس بن الاحنف .

وقد كان لهؤلاء الشعراء تجارب في عالم العاطفة ، او بمعنى آخر كانت اشعارهم صدى لآمالهم وآلامهم وتعبيرا عن وجدهم واحساسهم ، وقد اشتهر جميل بحبه لبثينة وكثير لعزة وذو الرمة لمي ، والعباس بن الاحنف لفوز .

وهؤلاء الشعراء يتفاوتون في الاجادة في التعبير عن معاني الحب وفي الرقة في الصور والجمال في الاساليب ، واعلاهم في ذلك شأنا العباس بن الاحنف الذي اخلص شعره لعاطفته وبرع في تحليل المعاني وتصوير الخلجات .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ ــ ١٦ . (٢) في مصارع العشاق : الدلج . ولعلها تحريف . (٣) الزهرة ٥٣ . (٤) ص ٦٠ من الزهرة . (٥) الزهرة ص ٤٠

وقد أصبحت اشعار هؤلاء العذريين وسيلة لتقرير معاني العاطفة واساسا تقوم عليه قواعدها ومقاييسها . فأولئك اصحاب اتجاه متميز في الشعر الاموي والعباسي ، والى جوارهم عاش شعراء آخرون لايحفلون بصدق العاطفة ولا يجيدون التعبير عنها ، كما عاش معهم آخرون أو جاءوا بعدهم لم يشتهروا بالحب ولم يعانوا تجربته ، ورغم ذلك فقد استطاعوا التعبير عن معانيه تأثرا بهؤلاء العذريين او محاكاة لما شاع في البيئة الاسلامية من معان وعواطف ، مثل جرير الخطفي والمؤمل وخالد الكاتب ، ويزيد بن الطثرية وابي تمام والبحتري وغيرهم .

ومن كل ذلك وجد الدارسون الاسلاميون لموضوع العشق مادة خصبة ووسيلة مهيأة ، ليستشهدوا على المعاني او يحللوا المشاعر او يضعوا لها المبادىء والحدود.

وحين ننظر الى جانب الشعر في كتاب « الزهرة » لابن داود الظاهري مثلا ، نجده قد حوى خمسة آلاف بيت من الشعر ، منها قدر ضئيل من الشعر الجاهلي ، وباقيها من شعر العذريين وغيرهم من الشعراء الامويين والعباسيين ، وذلك يؤكد لنا هذه الروح الجديدة التي سرت في الشعر الاسلامي والتي تغيرت فيها النظرة الى المرأة والعاطفة نحوها ، فأصبحت تحفل بالعاطفة وتقف منها موقف **الخشوع والإجلال** .

ولم يكن باستطاعة الشعر العربي ان يغير موقفه من العاطفة أو يحسن التعبير عنها ويهتدي الى رقيق المعاني ودقيق الافكار لو لم يتغير موقف المجتمع العربي بفضل الاسلام ، من المرأة هذا التغير العظيم ، فارتفعت مكانتها وعلا شأنها ، ولو لم يتطهر ذلك المجتمع من الآثام والفواحش ويعرف المبادىء الكريمة والمثل العالية . ولا يغض من جلال هذه الحقيقة انه في كل العصور الاسلامية وجد شعراء لهو ومجون ، فتلك ظاهرة لا بد منها ولا محيد عنها في كل مجتمع ، غير ان شعراء اللهو والمجون لم تنتشر اخبارهم ولم يشع ذكرهم الا لارتباطهم بطائفة الحكام ، الذين شجعوا على تدوين هذا المجون واشاعته.

وهناك شعر شعبي للآحاد غير المشتهرين من الشعراء الاسلاميين ولافراد مجهولين حفظ المجتمع الاسلامي اشعارهم واعتنى برواية بعضها الرواة ، ولكن هذا الشعر الشعبي لم ينل من العناية ما ناله الشعر الرسمي المرتبط بالامراء والوزراء . ويدلنا على ذلك ان كتاب « الزهرة » لابن داود قد حوى جانبا كبيرا من هذا الشعر الشعبي أو غير الرسمي ، رواه عن الاعراب والآحاد والنساء والمجهولين ، ولكن احدا لم يهتم بهذا الجانب بعد ابن داود .

فلا يعنينا في شيء أن يكون هناك شعر مجون ولهو واستخفاف بالعاطفة ، لان هؤلاء الماجنين واللاهين انما عبروا عن سلوكهم وتصورهم وبيئتهم ، ولم يعبروا عن موقف المجتمع كله من العاطفة ، وكثيرا ما كانت اشعارهم تقابل بالاستخفاف والاستنكار ، وقد كان هؤلاء الماجنون على وعي بما جد في البيئة العربية من تغيير ، وعلى ادراك للمقاييس العاطفية والاخلاقية التي شاعت في المجتمع الاسلامي .. بدليل ان أبا نواس شاعر المجون واللهو ، قد صدر عنه من الشعر ما يصلح للاستشهاد على العاطفة السامية او يرتقى الى افقها الكريم . وقد استشهد ابن داود في كتاب الزهرة ببعض اشعار ابي نواس في احد عشر موضعا يتسق بعضها مع مبادىء العذرية كقوله :

يا كثير النوح فوق الدمن ... لا عليها بل على الساكن
سنة العشاق واحدة ... فاذا احببت فاستكن (٣)

وقوله :

لا والذي لا اله الا هو ... ما خان احبابنا وما تاهوا
ما علموا بالذي يجن لهم ... من طول شوق ولا دروا ما هو (٤)

وقوله :

قالت ظلوم سمية الظلم ... مالي رأيتك ناحل الجسم
يا من رمى قلبي فاقصده ... انت الخبير بموقع السهم (٥)

وكذلك الفرزدق وهو الفليظ الحس الجافي الخلق نجد له في كتاب الزهرة شواهد ارتقى في بعضها الى مبادىء العذرية ، كقوله :

لئن كان في الهجران اجر لقدمضى ... لي الاجر في الهجران مذ سنتان
فوالله ما ادري أكل ذوي الهوى ... على ما بنا أم نحن مبتليان

وهذا يؤكد انه كانت هناك قاعدة عامة تلتزم بمبادىء وقيم خلقية ونفسية ، وان مفهوم العاطفة في الشعر الاسلامي قد تغير عن مفهومها في الشعر الجاهلي كل التغير ، وان الاتجاهات الفنية في التعبير عن العاطفة وفي النظر الى المرأة قد تغيرت تبعا لتغير القيم والمبادىء والاخلاق بفعل الثورة الفكرية والاجتماعية التي شملت المجتمع العربي بعد الاسلام .

القاهرة — مصطفى عبد الواحد

قطرات دم

الليل يترعرع في حياتي
زهرة برية سوداء
النجوم قطرات دم
من بلبل عاشق جريح
وانا ، كنت فيما مضى
ليلا .. زهرة برية .. نجوما
وقطرات دم من بلبل عاشق جريح

دمشق — سليمان عواد

جنة الصعاليك

بقلم مصطفى ابو النصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ان أحدا لا يريد ان يقتنع ، وعلى كل حال ، فان هذا لا يعنيني كثيرا ، فالمسألة مسألة مبدأ . واذا كنت ـ ايها السادة ـ لم استطع حتى الان ان اتخذ لي موقفا محددا ، فان هذا في حد ذاته مبدأ .

نظر الي الجميع في دهشة ، وكأنهم يتأملون مخبولا . والحق انني كنت اقرب ما اكون الى شخص معتوه . لم اكن قد غسلت وجهي، او حلقت ذقني ، ومنذ ثلاثة اواربعة اشهر ، لم اذهب الى الحلاق . وكان حذائي متهرئا اجرب ، حال لونه البني ، فصار مخلوطا بسواد قذر . واقترب مني احدهم ، وربت على كتفي غير انني ازحت يده في جفاء، جعله ينظر الي نظرة راثية ، ولمحته يتأمل الخروق والبقع التي في بدلتي. وكانت جيوبي منتفخة باشياء كثيرة ومتنوعة لا اعرفها على وجه التحقيق . وكنت اذا احتجت الى شيء ما ـ اي شيء ـ جعلت ابحث فيها كلها ، وقد اعثر او لا اعثر على ما اريد . وبدات في البحث عن سيجارة : دفست يدي في جيب الجاكتة الايمن ، فلم اجد ، فوضعتها في الجيب الايسر ، فلم اجد ايضا، فوضعتها في الجيب العلوي ـ والاصل فيه انه مخصص للمنديل ـ ولكني لم اجد . وحين وضعتها في جيب البنطلون ، سألني احدهم عما ابحث عنه ، فرفعت بصري اليه ، وترددت قليلا ، ولكنني اجبته :

ـ كانت معي سيجارة

اخترقت اذني ضحكة سخيفة من احدهم ، واتبعها آخر بضحكة مماثلة ، وقال ثالث : يظهر عليك خرمان . ما الذي كان يمكن ان اجيبهم به ؟ كانت الكلمات ـ بالنسبة الي ـ قد فقدت معناها ، ولم اعد في حاجة لتفسير اي شيء ، الا ان عقلي كان يشرد دائما ، وكانت الصور تتراقص امامي بشكل غير عادي ، وكنت قد قدرت ان سيجارة ، ربما ثبتت كل هذه الاشكال المتحركة .

ان المسألة في رايي مهزلة منذ البداية ، ومع ذلك فهي مستمرة . لا اريد ايها السادة ـ ان اسرد لكم تاريخ حياتي ، ان حياتي ذاتها لا قيمة لها ، فما بالكم بتاريخها . . .

اخرج احدهم سيجارة ، وقدمها لي ، فخطفتها بسرعة ، ووضعتها بين شفتي . وعادت يدي تبحث عن كبريت . وجدته . مشط كبريت . . لم يكن به عود واحد ، قلبت الورقة في يدي والقيتها بعيدا . ما كدت ارفع بصري اليهم ، حتى كانت يد احدهم قد امتدت الي بولاعة فاخرة . وتسلل الدخان الى رأسي ، فشعرت بعروقي تتمدد ، وانتابني شبه خدر لذيذ . وكان احدهم ، يريد ان يعرف كل شيء ، ان يعي الحقيقة والدافع ، غير انني لم اهتم بسؤاله، كان طفيليا سخيفا ، ولم يكن احد الاثنين : صاحب السيجارة او مشعلها . رمقته بنظرة ذات معنى ، ولكن الغباء كان واضحا على ملامحه، فاسترحت الى انه لم يفهم المعنى المقصود .

استمعوا الي جيدا ، لقد قررت ان اكون صريحا وواضحا معا ، ولكن هذا يحتاج الى شجاعة خرافية، واستهتار لا حدود له . اتفقنا منذ لحظات على ان حياتي لا قيمة لها ، واضيف ، ان اية اشارة الى تفاصيلها لا يعني شيئا سواء بالنسبة لي او لكم . ولكن ما دمتم تريدون معرفة حقيقة هذه المسألة بالذات فان هذا يحتاج الى صبركم وشجاعتكم .. ما رايكم ؟

قال احدهم باستخفاف :

ـ يعني

ـ فسألته :

ـ يعني ماذا ؟

اشاح بوجهه عني ، ولم يجبني بشيء . ولما كنت معتادا على اعراض الوجوه ، فقد اعتبرت حركته هذه تصرفا طبيعيا ومقبولا ، فلم اغضب ، وانما ابتسمت لقفاه ابتسامة حقيقية .

في هذه اللحظة ، مر «الجرسون» امامنا . وكان طبيعيا ان استوقفه. لا بد ان اضع حدا لكبريائه . كان قد نظر الي شذرا ، وانا ادخل المقهى ، وهم ان يطردني ، ولكنني الآن كالآخرين تماما . تراجع ثم نظر الي من فوق كتفه ، وكأنه يتأمل حشرة مقرفة ، غير ان مثل هذه النظرا ت، لا تؤثر في اطلاقا ، ما هي الا قرائن على عقليات تافهة.

ـ من فضلك فنجان قهوة سكر زيادة .

لم يهمني انه لم يعجبني ،مضى وكأنه لم يسمع شيئا . كنت استطيع ـ مثلا ـ ان اهب من جلستي واتبعه ، ثم ارفع صوتي في وجهه لالقنه درسا في معاملة الزبائن ، ان افكارا كهذه تراودني دائما،ولكنني لا انفذها غالبا . ان هذه الجماعة التي اجلس معها الآن ، هي في حقيقتها مجموعة من الانذال . تبادلوا نظرات استطعت ان ادرك معناها الحقيقي ، كما ان احدهم لوى شفته السفلى في اشمئزاز ، تمنيت لو شددتها فمزقتها . ومضت فترة صمت ، ثم وضعت يدي في

جيب الجاكتة الداخلي ، واخرجت ثلاثة قروش ووضعتها على المائدة، كل قرش بجانب الآخر .

ـ سألني احدهم :

ـ ما هذا ؟

ـ فاجبته وعلى شفتي ابتسامة:

ـ ثلاثة قروش . .الا تراها ؟.

ولم ينطق واحد منهم بحرف .

لا بد انكم الآن على استعداد كامل . انني ـ في واقع الامر ـ لا اهتم بكل ما يهتم به الآخرون . ان لي وجهة نظر في الاشياءوالاقوال والافعال ،وحتى الحروف انشئتم. والغريب ، ان وجهة نظري هذه ، لا تفهمونها،والتي تعجبكم اوبالاحرى لا تفهمونها ، لم تخطىء ابدا . لا يعني هذا ـ طبعا ـ انني معصوم من الخطأ ، او انني اتلقى وحيا يهديني . المسألة في منتهىالبساطة، بل انها ابسط من البساطة ذاتها ، ومع ذلك ، فانتم في حاجة الى تفسير مدعم بالادلة والبراهين .. ليكن ، طالما انكم لا تفهمون فمن حقكم علي ان اشرح لكم ما غاب عنكم . كان يمكن ـ مثلا ـ ان ادعي الفقر والعوز ، او الكذب فاقول : انني كنت املك اموالا طائلة ،خسرتها في البورصة ، او انني اقطاعي ،قتل من الفلاحين عدد شعر رأسه ، فاستحق الطرد من الجنة . غير انني لست من هؤلاء جميعا . اذن من انا ؟ وما دمت قد عاهدت نفسي على ان اكون صادقا معكم ، فمن البديهي ان اكون صادقا في الاجابة على هذا السؤال : من انا ؟

لم يحضر « الجرسون » القهوة. انها وقاحة ، انه استهتار . لا بد .. لا بد .. امسكني احدهم من ذراعي واجلسني . لا تعني القهوة بالنسبة لي شيئا مهما ، كل ما في الامر ، انني رغبت في شرب فنجان قهوة، وهي شراب مباح بالتأكيد . ان لم يحضر الفنجان ، سأضطر مرغما الى الخروج عن طبيعتي . لقد تحولت القهوة الآن ، الى شيء آخر، شيء ضروري ، وما دمت سأدفع ثمنها ، فلا بد ان يحضرها ، اما اذا رفض او تجاهل، فمعنى ذلك انني.. كلا .. لا داعي .

الفلسفة أيها السادة ـ ليست من طبيعتي ، كما ان الفلاسفة ، لا يزيدون في نظري عن كونهم مجموعة من الاطفال ، لا يحبون سوى لعبة واحدة : بيت جحا كل فيلسوف ، اقصد كل طفل ، يدخل البيت من بابه ، متصورا انه يستطيع انيهتدي الى الباب الآخر .. باب الخروج ، غير ان ما يحدث هو عكس ذلك تماما اما ان يتوه في الداخل ، فيصرخ ويستنجد ، واما يظل يتلوى فرحا في المنحنيات معتقدا انه سيصل ، ثم يلمح بابا ، فاذا ما اندفع تجاهه وخرج منه ، اكتشف انه امام نفس الباب الذي دخل منه .

لست واحدا من اولئك او هؤلاء، فلا انا فيلسوف ولا انا طفل . انا مجرد شاب ، كنت ذات يوم ، ممتلئا شبابا وحيوية ، متصورا انني سأتمكن من غزو العالم بافكاري ومشاريعي ، غير ان مثل هذه الآمال ، لا تتحقق غالبا ، والسبب في ذلك معروف ، فصاحب الخيال، يكون عادة اقل قدرة من غيره على تحقيق ما يحلم به. وهذه هي نقطة الضعف الحقيقية بالنسبة لي. لقد عشت احلم سنوات طوالا ، ونسيت في اضغاث هذه الاحلام ، ان اعمل شيئا ، او احقق شيئا وفوجئت بانني ما زلت اقف في مكاني ، الذي كنت فيه منذ عشر سنوات . وهنا ، كان يمكن لاي انسان آخر ، يتمتع بشيء من قوة الارادة او التصميم ، ان يبدأ من جديد ، ملقيا بكل هذه الاحلام، خلف ظهره ، متمسكا بالواقع وما هو عليه . الا انني كنت قد فقدتالقدرة على العمل ، ثم تضخم في رأسي سؤال رهيب : ما فائدة ان يعمل الانسان . وما قيمة العمل في حد ذاته ؟ ومن هنا نبعت كراهيتي للفلاسفة فقد تصورت ـ في لحظة خيل الي انها مشرقة منيرة ـ انني حتما سأعثر على اجابة مقنعة على هذا السؤال ،خلال افكارهم وكتبهم، ولكني صدمت بافكارمجردة ، تبحث في اشياء لا يمكن الوصول اليها ، فضلا عن الاقتناع بها . وفاجأني احدهم بسؤال جنوني : هل انا موجود ؟ وكان يمكن لسؤال كهذا ـ ايها السادة ـ ان يحدد موقفي من كل شيء . فاذا كنت موجودا ، فلا بد ان اعمل ، واذا كنت غير موجود، فكيف يعمل انسان غير موجود ؟اما كوني موجودا لانني افكر ، فتلك مشكلة لم تخطر على بالي من قبل . وصرت بعد هذا السؤال اقول : انه لا شيء موجود في هذا العالم على الاطلاق . لانني لم استطع ان اتصور عدم وجود الترام والسيارة والازهار والشجر والحديد والشمس والقمر والبيوت والجبال والنجوم والانهار والبحار ، لمجرد انها جوامد لا تفكر. ولو ان كلام هذا الفيلسوف صحيح، وكلام غيره صحيح ايضا بالنسبة للانسان الاول ،لوقعنا في تناقض عجيب ، نتيجة قول العلماء بان الارض والسماء والكواكب والنجوم موجودة قبل وجود الانسان . وهنا ابثق هذا السؤال في رأسي : هل الانسان المعتوه المخبول المجنون ، غائب العقل ، والذي ليس له اية قدرة على التفكير ، هل مثل هذا الانسان موجود او غير موجود ؟

لم يحضر المجرم القهوة ، من يحسبني ؟.. انني ارثي له ، لما سيلقاه على يدي .. ولكن لنؤجل ذلك الآن .

وفي خضم هذه المعمياب الفكرية الهاذية ، سألت نفسي بدوري : من انا ؟ . ولم استطع بطبيعة الحال ان اصل الى اجابة حقيقية . ترى هل انا انسان او غير انسان ؟ هل انا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مهداة الى بخت

●

نخـر انـت والشراع جريـح ... فدع البحر ساعـة يستريح
ظلمـة لفـت الوجود واعمت ... مقلة النجـم فالمسير جنـوح
كنت تغري الابعاد غيـر مبال ... ان تراءى او ان توارى ضريح
كنت تطفو ومـلء صدرك ري ... يستفز الملاح حيـن يفـوح
كنت كالنجم تائها فـي فضاء ... لا تداني اقصاه مهمـا تسيح
عندما كنت مثقـلا بالاماني ... واندفاع المجذاف فيـك طموح
انت والبحر في الجنون سواء ... هو يرغي وانت تفدو ـ تروح
كـم تدرعت بالرغـاء وغابت ... نجمة القطب لا هدى لا وضوح
أي درب عبرت في وسط اليم ... وقامت عن جانبيها الصروح ؟
قد برى الموج جانبيك وأوهت ... قاسيات الضلوع هوجاء ريـح
ذكريات مـرت فامست خيالا ... من بعيد لنضو عيش يلـوح
سلس البحر بعد مـد وجزر ... واستكانت قيعانـه والسفوح
وطوى الزورق الشراع والوى ... بالمجاذيف واحتوتـه السفـوح
ليس ذا البحر غير بحر حياتي ... وانا الزورق الدعي الجريح !

الكسليك ـ لبنان — لويس ابي عتمة

موجود او غير موجود ؟ اذا كنت افكر فانا موجود واذا كنت لا افكر فانـا غير موجود . وبدأت اراقب نفسي مراقبة شديدة . في لحظة اناموجود وفي اخرى أنا غير موجود .. مـا معنى هذا ؟.

ومن هنا ـ أيها السادة ـ قررت ان اعتبر نفسي موجودا وجوداماديا فقط ، بمعنى انجسمي هو الموجود، هذه حقيقة لا يمكـن الشك فيها ، ولنفرض مثلا انني اصطدمت فـي جدار ، ترى اي منا هو الموجود ؟ أنا ام الجدار ، ام كلانا موجـود؟. على ان هذه مسألة بديهية ، لا تحتاج لتفسير اكثر . وعلى هذا فقد رأيت ان الغي التفكير من رأسي ، ان اعيش بلا تفكير ، وما دمت سألغي التفكير ، فانا بالضرورة الغي وجودي ، وعلى هذا فمن الطبيعي ، الا يعمل انسان غير موجود .

وبدأت اتأمل الناس والاشياء من حولي ، واسأل نفسي : هل هـذا الانسان موجود او غير موجود ؟متى يكون موجودا ومتى يكون غيرموجود؟

وتمنيت ان ارى انسانا في حالـة عدم وجوده ، الا انني لم استطـع، واستحال علي اقناع احد من الناس بكلمة واحدة مما أقول ، وأقسمـت لهم ان هذا ليس كلامي ، وانما هـو كلام فيلسوف كبير .. كبيرجـدا ، ولم يصدقني احد .

وذات يوم، نظرت في المرآة ،فلم استطـع التعرف علـى نفسي او ملامحي ، وتلك كانت بداية المأساة، او المهزلة ، او المسألة .

القاهرة — مصطفى ابو النصر

خلاف.. في اربع عشرة رسالة ادبية

بقلم نادر ابو السعود السباعي

* * *

ادیبان قصصیان، تجمعهما الصداقة منذ سنوات بعیدات، یقیم احدهما في بلدته في سورية ، ویقیم الاخر ـ وهو الاصغر سنا ـ في مدینة سورية كبيرة .. يشخص اكبرهما ، في فصل ربيع ، الى المدينة الكبيرة ، ويزور صديقه .. وكان لا بد ان يدور الحديث بينهما حول الادب ، شئونه وشجونه (نشر الصديق الاكبر خلال حياته الادبية كتابين قصصين ، ونشر الاصغر نحوا من عشرة) .

كان مع الصديق الاكبر ـ ولنسمه « عبد الـ » ـ في زيارته ، مجموعة مخطوطة من قصصه ومسرحياته القصيرة التي لم تنشر او تمثل او تذع ، أودع بعضها عند صديقه الحميم ـ ولنسمه « فاء » ـ املا في تقديمها للنشر في الدوريات الادبية وبخاصة تلك التي تجزي كتابها .

ويبادر « فاء » الى تحرير رسائل يرفقها ببعض القصص : الى المجلة « ألف » التي تصدر في عاصمة عربية مجاورة ، ثم الى المجلة « باء » التي تصدر في دمشق ، والى

وما تكاد تصدر المجلة « باء » بادىء ذي بدء ، متضمنة قصة من هذه القصص ، فيطلع عليها « عبد الـ » ، مؤلفها ، حتى يثور محتجا على صنيع أتاه فيها صديقه « فاء » .. ويطير له احتجاجا في رسالة على جناح السرعة .. ويدافع « فاء » من هناك على صنيعه ويبرر دون جدوى .. وتتوالى بينهما الرسائل ، التي ما كان لها الا ان تجعل من الخلاف (أزمة) وتزيد نارها لهبا !

على ان اطرف ما في الرسائل التي تبودلت ، ذلك النقاش الادبي الحار ، وما استشهد به كل منهما من شواهد الادب انتصارا لوجهة نظره ! وشيء آخر يمكن ان تحمله هذه الرسائل : انها تظهر (مزاج) كل من المتراسلين في العمل والكتابة والخطاب ، ومقدار ما يتمتع به من (الحساسية) اذا ما دفع الى موقف من المواقف وازاء بعض العبارات والالفاظ خاصة .. كما توضح اسلوبه في معالجة المشاكل العارضة وفي اي ميزان يزن اموره .. وهذه الرسائل ـ اخيرا ـ مثال « نموذجي » لما يمكن ان يؤول اليه (سوء التفاهم) بين اثنين من الاصدقاء ، حتى ولو كانوا من حملة القلم المؤمنين بالكلمة !

واحب ان ابين للقارىء ، قبل ان اقدم له مجموعة الرسائل هذه ، اني توخيت (الحياد) في الخلاف الذي دار ، بقدر ما كنت (امينا) في نقل الرسائل من مصدرها عندما زرت احد الاديبين الصديقين في بلدته او في مدينته .. ولكني أجزت لنفسي ان احذف فقرات من آخر الرسائل (الرقم ١٤) لان ما فيها يكشف عن شخصية احدهما .. وقد حرصت على ان اخفي اسماء الاعلام كلها ، اشخاصا ومجلات وكتبا وقصصا ، فانما ابتغي من مقالي هذا ان اقدم الى القارىء « النموذج » مجردا من اصحابه .. ثم انني عمدت الى « التعليق » على الرسائل الاربع عشرة ، بحواش صغيرة ، كلما وجدت الامر يقتضيني توضيحا او تصحيحا او استدراكا .

١ ـ ٤/١٥

عزيزي رئيس تحرير المجلة « ألف » (١)

بعد التحية الخالصة ، هذه القصة « رقم ١ » لصديقي الاديب الاستاذ « عبد الـ » ، القاص الذي لا يرحب كثيرا بنشر نتاجه الادبي ، وقد طبعت له رواية قبل عشر سنوات ، وأخرى قبل عشرين .

والقصة كما ارى جيدة ، وهي لم تنشر . أرجو ان نقراهافي عدد قريب . وعنوان الصديق هو : مع الشكر والاحترام . « فاء »

٢ ـ ٤/١٨

عزيزي رئيس تحرير المجلة « ألف »

بعد التحية الطيبة ، طيا قصيدة لصديقي الاستاذ « عبد الـ » ، الذي حدثتك عنه في رسالتي السابقة ، عنوانها « صاد » (٢) . واسلم لاخيك : « فاء » .

٣ ـ ٤/١٨

عزيزي رئيس تحرير المجلة « باء » (٣)

بعد التحية ، مرفق لك القصة « رقم ٢ » لصديقنا الاستاذ « عبد الـ » . أرجو نشرها في أقرب عدد . وشكرا . « فاء »

٤ ـ ٤/٢٠

اخي العزيز الاستاذ « فاء »

سلام وتحية وشكر جزيل . كنت أودعت لديكم نسخة من المسرحية « رقم ٦ » . ولما تفقدت المجموعة التي لدي وجدت انه ينقصها هذه المسرحية بالذات ، فاستبدلتها بهذه المسرحية « رقم ٧ » . فأرجو اعادة الاولى الي مشكورا ، ودمتم لعمكم « عبد الـ » .

٥ ـ ٤/٢٥

عزيزي الاستاذ « عبد الـ »

بعد التحية الخالصة، طيا المسرحية « رقم ٦ » ، حسب طلبك . بعثت بالقصة « رقم ١ » ، ثم بالقصيدة « صاد » ، الى المجلة « ألف » ، واني أنتظر الجواب ، وسوف أعلمك . كما بعثت بالقصة « رقم ٢ » الى المجلة « باء » ، وسوف تنشر في القريب ، كما فهمت من صديقنا رئيسها هاتفيا . أرجو أن تعلمني عن وصول المسرحية « رقم ٦ » اليك ، للاطمئنان . وطيا صور من الرسائل التي بعثت بها الى المجلات بشأنك . واسلم لاخيك : « فاء » .

٦ ـ ٤/٢٥

الاخ الاستاذ « فاء »

تحية طيبة واما قصيدة صديقك « عبد الـ » ، فقد وصلتني أخيرا ، وسوف اخبرك عنها في رسالة مقبلة . ولك خالص المودة والتقدير . رئيس تحرير المجلة « ألف » .

٧ ـ ٤/٢٩

عزيزي رئيس تحرير المجلة « ألف »

بعد التحية الخالصة ، ... واني بانتظار رأيك في قصيدة صديقي الاستاذ « عبد الـ » . ولكني أرسلت اليك ، في رسالة مؤرخة في ٤/١٥ ، قصة له عنوانها « رقم ١ » لم تحدثني عنها . أترى الرسالة لم تصلك ؟ واسلم لاخيك : « فاء » .

٨ ـ ٥/٢

عزيزي الاستاذ « عبد الـ »

بعد التحية الخالصة ، لقد صدر العدد الجديد من المجلة « باء » ، وفيها قصتك « رقم ٢ » أرجو ان تطلع على العدد ، وهو في الاسواق . واسلم لاخيك : « فاء » .

٩ ـ ٥/٥

عزيزي الاستاذ « فاء » حفظه الله .

تحية سريعة وبعد . قرأت الساعة قصتي « رقم ٢ » منشورة في المجلة « باء » ، وقد فشت فيها الاخطاء المطبعية . حتى كاد الامر يحتاج الى جدول خطأ وصواب . والاغرب من ذلك ان جملا برمتها طارت او عدلت . وذكرت ما قلته لي مقترحا يومذاك ، من انك (ستأخذ بعض الحرية في تعديلها) .. لكنها بهذا التعديل فقدت رونقها ، واصبحت موقعة بألوان ناشزة .

اخي : لقد كتبت الى المجلة أنبهها الى الاخطاء في قصتي وقصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غيري ، مما يشوه سمعة الكاتب والمجلة . كما ارسلت صورة ثانية من قصتي « رقم ٢ » الى المجلة « الف » ، رجاء استبدالها بالنسخة التي ارسلتها انت معدلة .. مع كتاب اعتذر فيه ، راغبا ان أبدو كما انا للناقد في المستقبل ، دون مكياج ولا رتوش .

فاذا كنت قد فعلت في بقية قصصي فعلتك (التي آلام انا عليها) بتعديل ولو طفيف ، فأرجو ان تتفضل بابلاغي عناوين المجلات التي ارسلتها اليها ، عدا المجلتين « الف » و « باء » ، لابادر الى تزويدهم بنسخ جديدة اصيلة ، لا يد لانسان فيها غير يدي ، ولو كانت يد (ميكل آنج) .

والتعديل الذي اتفقنا عليه ، او المفروض اننا اتفقنا عليه ، هو تصحيح خطأ لم الاحظه ، او توضيح فكرة سها بالي عنها . اما شطب جمل برمتها واستبدالها بغيرها ، فقد اوافقك عليه ، اذا وافقتك على ابدال انفي بانف آخر ولو اقنى ، او عين بعين ولو دعجاء . والقصة صفحة صادقة من النفس الانسانية بخيرها وشرها ، يحرص الانسان عليها حرصه على ذاتيته . وللناقد بعد ذلك ان يحكم . ولطالما نقد شعراء ، فلم يلتفتوا الى قول انسان ، واثبتوا في دواوينهم وجهة نظرهم بخطئها وصوابها ، لانها هي وحدها ، لا وجهة نظر النقاد ، المعبرة عن شخصهم وفكرهم ووجودهم ، مع الاعتراف بحسن نية النقاد .. وكم قال ناقد : لو قيل كذا لكان احسن ، ولو زيد او شطب كذا لكان يستحسن .

وبالمناسبة ، فقد قرات روايتك « ظ ... » ، ولي عليها مآخذ ، وقد اكتب عنها ناقدا او مهاجما . وقد تعطيني بعض الحق .. لكنك لن تبيح ان تثبت تعديلي في الطبعات الجديدة .. وستقول : لكل وجهة نظره ، واسلوبه ، وطريقته في الحياة والادب والتعبير ..

سوف اعتب عليك كثيرا اذا لم تبلغني ما ارسلته من قصصي المعدلة الى المجلات .. ودمت لاخيك الذي يحبك على علاتك واخطائك .. وتعديلاتك ..

ملاحظة : وصلتني المسرحية « رقم ٦ » وشكرا . ملاحظة هامة : ارسل اذا شئت الطبعة الاولى من روايتك « ظ ... » لعلاقتها بالنقد الذي اكتبه . « عبد ال » .

١٠ ـ ٥/١٠

اخي الاستاذ « عبد ال »

تخية المودة والاعجاب ، لم اقع ، في رسالتك المؤرخة في ٥/٥ ، على روحك المرحة التي أعرف . ولكني وجدتك تخاطبني على نحو ما يفعل المعلم بتلميذه مقرعا . وقد تقبلت ذلك منك برحابة صدر . بقي ان تسمح للتلميذ ـ القابع في اهابي ـ ان يخاطبك بجراة على نحو ما تلقى منك من التقريع .

تقول ان « جملا برمتها طارت او عدلت » في القصة ! أهي خمسون جملة ؟ انهما اثنتان ! وهل يدخل ذلك في باب « التعديل » الذي تحسب اني « أخذت بعض الحرية فيه » ؟ والطريف سماعي منك ان قصتك « رقم ٢ » قد « فقدت بهذا التعديل رونقها وأصبحت موقعة بالوان ناشزة » ! !

يا أخي ، انهما جملتان ـ ان لم تخني الذاكرة ـ عدلتهما قصد توضيح ما تحسب انه واضح للقاريء وما هو بواضح . استشرتك وانا أمامك أقرأ القصة ، فوافقت . فما هذا الرونق الذي يذهب به تعديل جملتين او ثلاث ؟ وليست القضية ، من بعد ، بحاجة الى ان نوزع على المجلات « تعميما » لوقف نشر ما بعثت به اليها من نتاجك القصصي والمسرحي ريثما تصلها منك نسخ « جديدة اصيلة » غير مزيفة !

أتعتقد ، يا صاحبي ، انك تكتب الدرر الغوالي في هذه الاقاصيص ؟ ان شكسبير الخالد ، كانت مسرحياته تحذف له منها المشاهد والمواقف ، ولم نسمع انه ثار ثورتك . وتشيخوف العظيم كان يكتب الاقصوصة ، ثم يظل يحذف منها حتى تغدو بين يديه في حدود النصف او اقل ، لولا ان يسارع اليه صديق فينتشلها منه قبل ان يأتي عليها التعديل . ان المسالة أبسط مما تتصور ، يا « أديب ... » (٤) . ولكن هذا التشدد ، تشددك ، نلقاه عادة عند من لم يخرج ببنات الهامه الى الجمهور ، فهو يعيش معها في وحدة ، عاما بعد عام ، ويظل يقرؤها ويقرؤها حتى يحفظها عن ظهر قلب ، ثم يحسب ان حذف اشارة تعجب منها عمل فيه اخلال وتشويه وتزييف ، كقطع رأس تمثال من ابداع رودان !

لقد حذفت لي مجلة « .. » مقطعا كاملا من مقال نشرته لي في عدد اول ايار الحالي ، هاك نصه : « » (٥) ، وما تاثرت ، علم الله ، من هذا الحذف الا قليلا جدا . الا ان الاصالة تعوزني وتفيض عندك ؟ قد . ولكننا ، يا اخي ، نكتب كثيرا ، وكثيرا جدا ، فأي ضير عظيم في أن يحذف سطر مما كتبنا ، او جملة ، او مقطع ، لاعتبارات وجيهة تملى ؟ لن تقوم قيامتي وتقعد . ولن أظن ان الرونق قد فقد ، وان النص قد أصبح موقعا بالالوان الناشزة ! روحي ليست مشدودة الى المعنى الذي تضمنته هذه الجملة الصغيرة ، بل الى ما هو اسمى واشمل واعم . انفتح على العالم ، يا أديب « أشجار الدلب » (٦) .

اطمئن ، يا صاحبي ، قصصك التي عندي لم ارسلها الى مجلة . والقصة «رقم ١» ربما فقدت في البريد . انا في سبيلي الى ان ارد ما عندي اليك ، لولا خشيتي ان تضيع في البريد . فهي الان وديعة عندي ، الى يوم يحملها اليك مسافر .

لا تكتب عن كتابي « ظ .. » . ان ممن ودوا الكتابة عنه ، يوما، صديق اديب ينادي دائما باخذه بالصراحة المطلقة في نقده . قرأ الكتاب في القاهرة ، وطلب مني ـ مثلك ـ نسخة من طبعته الاولى ليقارن ، ثم نشر مقاله الصريح في مجلة بيروتية ، فرددت عليه في العدد التالي بمثل صراحته ، فلم يحتمل حريتي في الرد ، على احتمالي منه حريته في النقد ، وقاطعني الى الابد . الكاتب هو « » ، والنقد وردي عليه في مجلة « » : عدد اذار وعدد نيسان ١٩٦٥ . انك ان احتملت رسالتي هذه ، فانت محتمل ردي على نقدك الصريح القادم ، لا ضير .

ليس في قلبي ، بعد الان ، شيء . فقد أفاض قلمي ، فتخلص قلبي .

أتشكرني لانني عنيت بقصتين من قصصك وبقصيدة ، وكتبت بشانها رسائل الى المجلات واليك ، بلغ عددها حتى الان خمسا او ستا ، وهي ذي السابعة ، ما أطولها ؟ لا شكر على واجب .

واسلم لاخيك : المخلص « فاء » .

١١ ـ ٥/١١

اخي الفاضل « فاء »

سلام وبعد . فهذا ما عن لي ان اكتبه مدحا وقدحا . وقد رايت

(١) سبق ان بينت ان المجلة « الف » تصدر في عاصمة عربية مجاورة . (٢) ان « عبد ال » الاديب القاص ، ينظم الشعر ايضا . (٣) والمجلة « باء » تصدر في العاصمة السورية . (٤) المضاف اليه الذي حرصت على حذفه ، هو اسم البلدة التي ينتسب اليها « عبد ال » . (٥) يتألف المقطع من ثلاث وثلاثين كلمة . (٦) بهذه الاشجار ـ يقال ان بلدة «عبد ال » ـ كانت تعرف ، في الماضي . (٧) واضح ان هذه الرسالة صدرت عن « عبد ال » قبل ان تصل اليه رسالة « فاء » المحررة في اليوم السابق . وأما ما أشار اليه « عبد ال » في هذه الرسالة فهو المقال النقدي الذي كتبه عن رواية صديقه المسماة « ظ ... » . (٨) الدكتور « م... » هو قريب « فاء » وصديق « عبد ال » في بلدته ، وستعود الاشارة اليه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان اعرضه عليكم . فان شئتم نشرتموه او كتمتموه . ولكم الرأي اولا وآخرا (٧) .

الدكتور « م ... » يسلم عليكم (٨) . مع الاحترام الجزيل من اخيكم : « عبد الـ » .

١٢ ـ ٥/١٤

عزيزي الاستاذ « عبد الـ »

بعد التحية الخالصة ، فقد تلقيت رسالتك الاخيرة المؤرخة في ١١ ـ ٥ وما ضمت من مقالك النقدي الطويل عن قصتي المتواضعة « ظ » . وقد قرأته مرة ومرة .. ولكن ، هل تحسب ، يا صديقي ، ان ما جاء فيه يذهب في النقد ؟ افلا يعني النقد ، في مفهومك ، دراسة الاثر المنقود من وجوهه : الايجابية والسلبية ؟ ثم التعبير عن ذلك كله بالاسلوب الذي لا يؤذي المشاعر ؟

فما رأيك ، بالله، بامثال هذه العبارات التي وردت في «نقدك» : القصة « قد خلت من اية لمحة فنية ، او تحليل نفسي . فليست تحمل الى نفس الرجل غير القرف ... » ؟ « وهكذا يشيع السخف والتناقض في شخصية البطل » ؟ بل انك لتسمي البطل « رعديد القصة » ، وتلخص بعض مواقفه وتقول : «ويتوالى السخف» .. اليس في « قاموسك النقدي » ، يا اخي ، غير هذه العبارات ؟؟

وانت لا ترى في اسلوبي غير « اخطاء لغوية شائعة في لبنان »، وتورد الامثلة .. وترى « اخطاء كثيرة في التعبير » ، وتسوق الشواهد، وتقول : « ولو شئت التتبع لوقعت على كثير ، فالاخطاء أكثر من ان يضمها كتاب » ... كتاب فيه « عبارات اراد المؤلف ان يتفاصح بها ، فاصابت اسلوبه الركة » ..

وانك لترى في العاطفة التي تمثلها الكتاب من « التكرار » و « الابتذال » ما جعل القصة « ادبا مكشوفا هو الى الاسفاف أقرب » . وتسل جملا من هنا وهناك ، وتدس بعضها في بعض ، مقدما اياها بقولك : ولا بأس ان نستعرض هنا « لمحات مخجلة » مما كان بين البطل والبطلة .. ان صنيعك هذا ، يا صاحبي ، « لو صنع بالقرآن الكريم لعاد باطلا كله » كما قال الزيات ، من واحد وعشرين عاما ، في رده على من نقد كتابه « دفاع عن البلاغة » في مجلة « الكتاب » . وانت حتى في استشهادك بالنصوص التي سللت ، قد حرفتها تحريفا ابعدها عن بعض مرادها . فهل تجوز هذه « الامانة » ، في مفهومك للنقد ، يا عزيزي ؟

اني لن أقف عند رأي من رأى من النقاد ان في هذه القصة ما فيها من معاني الوفاء الذي هو « من مكارم اخلاق العرب في جاهليتهم واسلامهم » ، او عند من زعم منهم انها قصة « موضوعية وهادفة » الى الحد الذي تمنى معه « لشبابنا العربي ان يقبل على قراءتها ويتفهم جيدا المغزى الذي رمت اليه ، ومن ثم يقتدي ببطلها » ، او عند رأي ذلك الشاعر الذي قال في لغتها : « وان اللغة العربية السليمة ، التي يعد المؤلف من خيرة المحافظين عليها ، تعطي القصة جوا عاليا من جمال التعبير ، وتضعها في مصاف الاعمال ذات الوزن البلاغي » ... لن اقف عند هذه الاراء وامثالها طويلا ، لاقارن بينها وبين رأيك القاسي ، فانا أعلم ان الاذواق والاراء تختلف فيما بينها ـ أحيانا ـ اختلاف من يؤمن بالله مع من يؤمن بالمادة . ولكني وددت، يا صديقي، جدا لو انك اتسمت في مقالك بالانصاف ـ ولو بقدر منه يسير ـ يحبب اليك ان تذكر المحاسن الى ذكرك ما اعتقدت انه معايب ، وان تكون على درجة ـ ولو صغيرة ـ من لطف التعبير فتنزه قلمك الجميل عن الفاظ لا تحمل روح النقد بقدر حملانها روح الرغبة في الاذية .. ولا عجب ، فقد نوهت في رسالتك الماضية بانك ستكتب عن الكتاب « ناقدا او مهاجما » ! فأية عاطفة « خيرة » تنطوي عليها روحك الطيبة ، يا صاحبي ؟

تقول في رسالتك الاخيرة : « فهذا ما عن لي ان اكتبه مدحا وقدحا » (ولكني لم اعثر فيه على المدح !) « وقد رأيت ان اعرضه عليكم . فان شئتم نشرتموه او كتمتموه » .. يا اخي ، اني والله لفي حيرة : ان طويته في درجي ، ما أمنت ان يذهب لسانك فيعلن بين اخوانك : حقا انه لمؤلف مغرور ، ننقده « بتجرد » ، فيحسب نفدنا هجاء !... ولكن فكر معي : اذا انا وجهت مقالك للنشر ، فأية مجلة ترضى ان تقدم لقرائها كلاما يتزيا بزي النقد ، وما هو في حقيقته الواضحة الا ... ماذا اقول ؟ أخجل من ذكرها ! لادعها في خاطري ، حتى لا أوذي مشاعرك .

على انني سأحاول نشره ، ليرى الناس ويحكموا . واسلم لاخيك الذي يحبك : « فاء »

١٣ ـ ٥/١٤

اخي « فاء »

سلام عليك وبعد . فقد أفقت اليوم متغير المزاج ، بحاجة الى ما يسليني .. حتى وردني كتابك (٩) الذي اضحكني بنكاته الظريفة، وكان في ذلك شفائي .

وكنت ارجو ان يروح عن افكارك ما كتبته لك . لكنه اثارك لسبب لا اعرفه . أانا الذي قمت منك مقام المعلم حين رجوتك ان تدعني اظهر للناقد كما انا .؟ ام انت المعلم الذي صحح لي (مواضيعي الانشائية) شطبا وتعديلا ؟

اما باقي ما ورد في رسالتك العزيزة ، فأرى ان تحيله الى صديقك « ح ... » (١٠) ، فهو به احق . اذ اني لم اخاطبك في يوم بمثل لهجتك . ولو كنت اعرفك غضوبا متسرعا الى هذا الحد ، لسلكت معك مسلك الحيطة والملاطفة . وقد حمدت الله على اني بعيد عنك .. والا كنت أكلتني (بلا ملح) .. يا مليح .؟ على ان لي

(٩) رسالة « عبد الـ » هذه هي ، بالاحرى ، رد على رسالة « فاء » التي أخذت في تسلسل الرسائل هنا الرقم (١٠) . (١٠) بين « ح..» هذا وبين « فاء » ، خصومة ادبية حادة ذات طابع شخصي . (١١) يقصد « عبد الـ » بهذه العبارة ، التي وضعها بين قوسين ، رواية « فاء » التي سميناها « ظ ... » . (١٢) أحد الخلفاء الامويين . (١٣) كاتب قصصي وتمثيلي سوري معروف . (١٤) المضاف اليه هو اسم بلدة « عبد الـ » . (١٥) ليس من بد ، وقد تكررت الاشارة الى « التعديل » مثار هذا الخلاف ، من ان أورد النص في اصله ، ثم في حالته بعد التعديل :

يقول راوي القصة ، معلم مدرسة القرية ، بعدما أصغى هو وتلامذته الى موضوع الانشاء يتلوه التلميذ ابن الراعي في قاعة الدرس:

« ... فنزلت على رأي المجموع ، وتنكرت لعلم النحو ! رحم الله واضعه ! وضللت مع الاكثرية ! أليس دستورنا ديمقراطيا يأخذ برأي الاكثرية ؟ والى اليوم لم أندم على التصفيق لذلك الراعي الذي كان بسبب درجته العلمية المتأخرة ، آخر من يحق له نوال الجائزة . ولكن ألم أترك للطلاب حق التصويت وحرية الاختيار ؟ لقد جاءت هذه الحرية في محلها . فلننتظر نهاية موضوعه .

وفي هذه الاثناء كانت كفاي لا تزالان تشاركان على غير انتباه تلك الاكف الصغيرة التي حملت بتصفيقها الجائزة الى الراعي الصغير .. » ا هـ .

النص المعدل :

« ... فنزلت على رأي المجموع ، وتنكرت لعلم النحو ! رحم الله واضعه ! وصفقت لذلك الراعي الذي كان بسبب درجته العلمية المتأخرة ، آخر من يحق له نوال الجائزة .

وفي هذه الاثناء ، كانت الاكف الصغيرة تصفق ، وقد حملت بتصفيقها الجائزة الى الراعي الصغير ... » ا هـ .

ملاحظتين : الاولى جادة ، والثانية هازلة .

اما الاولى ، فقد نقد توفيق الحكيم في روايته « عودة الروح » ، ولفت نظره احيانا الى اخطاء نحوية او انشائية ، ثم طبعت الرواية مرات ، فلم يشأ ان يصحح اخطاءه ، مع ان بعض الناس يعيدون طبع آثارهم (طبعة جديدة منقحة) (١١) ، او يستدركون على الاقل اخطاء عفوية . ذلك ان الحكيم رغب في ان يظهر للاجيال بخطئه وصوابه . وكذلك لفت شكيب ارسلان نظر احمد شوقي الى قوله :

فلا الاذان اذان في منارته اذا تعالى ، ولا الآذان آذان

واقترح ان يكون الشطر الثاني هكذا :

. وقد تعالى ، والآذان آذان

جاعلا (الحالية) مكان (الشرطية) .. وطبعت « الشوقيات » دون تعديل الصديق .

اما المتنبي ، فقد قابل في مصر (سيبويه المصري) فانتقد قوله:

ومن نكد الدنيا على الحران يرى عدوا له ما من صداقته بد

وقال : لا تأتلف (الصداقة) و (العداوة) بحال ، واقترح ان يكون الشطر الثاني هكذا :

. عدوا له ما من (مداراته) بد

فابتسم المتنبي وانصرف .. ولم يشأ ان يعدل في ديوانه على ضوء ملاحظة قد يكون لها وزنها ، وفضل ان تقرأه الاجيال كما هو .

ومثلها كثير .. وهذا طه حسين ، حين عرضت عليه اصول « شهرزاد » لتوفيق الحكيم ، تطوع لكتابة مقدمة لها . لكنه بعد ايام فوجيء « بشهرزاد » مطبوعة ، موزعة على المكتبات .. الامر الذي اثار طه حسين ، وعده استهانة بما ندب له نفسه متبرعا ، وجرى بينهما عتاب يومذاك . وكان مما اعتذر به الحكيم ، انه لا يرغب في اية اضافة على مسرحيته ، ولو كانت مقدمة ، مفضلا الا يحول بينه وبين القارىء احد ، فيفهمه الجيل من كتابه لا من المقدمة .

اما استشهادك بشكسبير ، فان ما يكتبه مرتبط بالمسرح . وللاخراج شروط ، وللديكور ظروف . وقد اضطررت يوما ان اكتب سيرة « ع ... » (١٢) مرتين ، وان اختصرها من ثلاثين حلقة الى عشرين ، نزولا عند ملاحظات المخرج وامكانية العمل . والمسرحية مفروض فيها انها عرضة للتعديل والحذف والاضافة . وطالما اعيدت لصديقنا « هـ ... » (١٣) مسرحياته بقصد تنسيقها او اختصار بعض شخصياتها او تطويلها او تقصيرها ، تمشيا مع الوقت المحدد ، وترك ذلك للمؤلف لا للمخرج او غيره من كتاب المسرحيات ولو كان عبقري زمانه .

وحين يكتب الكاتب يغوص على معانيه في اللاشعور ، ولكل كاتب مغاصه . ولهذا ندر ان يتفق كاتبان . فالمشاركة اذا جازت في اية مهنة فانها في الكتابة لا تجوز . واذا امكنت في التآليف الادبية والنقدية ، فانها مستحيلة في الشعر والقصة مثلا .. مما يلامس ناحية فنية هي الصق بنفس صاحبها وادل عليه .

ومما يعاب على الكاتب ان يستعين بغيره .. والاعتداد بالرأي محمود ولو صدر (عمن لم يخرج ببنات افكاره الى الجمهور ...) ، اليس ذلك نزعة استقلالية وأنفة من الاستعارة .! حتى التلميذ ، يثور احيانا على معلمه ، زاعما ان تصحيحه في غير موضعه ، او ان معلمه لم يدرك ما رمى اليه .. فهل كثير اذا رجوتك الا تصحح لي ؟

اما حكمك بان في عبارتي غموضا او اضطرابا ، او اي عيب آخر ، فهو حكم محترم في عرف النقد . ولك ان تنقد الاثر لاحقا .. دون ان تصحح مسبقا ، مع اعترافي بغيرتك واخلاصك ، وحسن نيتك في تصحيح عبارة من منحته لقب « اديب ... » (١٤) ، فبدلت يأسه املا ، وعبوسه ابتساما .. ولهذا ولكوني اعدك صديقي ، كنت اكلمك وانقدك دوما بصراحة ودون مواربة .. والا كان علي ان اتخذ شعاري منك حكمة المتنبي المعدلة ... (عدوا له ما من مداراته بد) .. فللعدو المداراة ، ولكن للصديق الصراحة ، وفتح القلب دون حذر من اساءة الظن او الهجوم المباغت ..

هذه هي الملاحظة الجادة . اما الهازلة ، فهي حول قولك : (أتعتقد يا صاحبي انك تكتب الدرر الغوالي ..) ، ورغم اني لم أدع هذا ولا اليه قصدت في رفض التعديل ، ولم اشر الى ذلك في يوم امام اي انسان .. وكنت لزهدي فيها مدى سنين ، وهوانها علي، مهملا نشرها .. لو لم تستنهضني انت الى ذلك مشكورا ... رغم هذا كله فاني ارد عليك مازحا لا جادا : (لكني يا صاحبي لا احب ان ارصع اقاصيصي بدرر غوال ليست لي .. ولو كانت تكرما من صديق عزيز تطوع بتعديلها وتزيينها لانظار الجمهور) . (١٥)

والان دعنا من هذا العتاب .. (بلاش زعل) .. ولنأخذ طريق المناصحة كما هو الواجب علينا . وردني من (السعودية) عرض لطبع بعض اقاصيصي على حسابهم . فما رأيك ، وما هي احسن الشروط ملاءمة وانصافا ؟ فانا اعرفك من جهابذة هذا الموضوع . وسوف اطلعك على العقد في حينه !

وأودعك اخيرا بهذه النكتة : سألني الدكتور « م ... » : ماذا احضرت لنا من السعودية ؟ فأجبته : هذا المسواك .. وانا لا أبخل به على كل من يود ان تطيب نكهة فمه ! واسلم لمن يحبك رغم تعديلاتك وغضباتك ، وهجماتك .. اخوك « عبد الـ »

١٤ ـ ٥/٢٤

اخي « فاء »

سلام وبعد : تلقيت رسالتك الاخيرة ، وفيها ترد على نقدي (١٦) وقد كنت ارسلت اليك بعد كلمة النقد رسالة اخرى ، لكنك لم تشر اليها ، فهل وصلت اليك ، واهملت الجواب عليها .؟ ام انها راسبة في قاع صندوق البريد المثبت على جدار حارتنا .؟!

وقد اعدت تلاوة رسالتك ، واستعدت ما كان بيني وبينك من عتاب ، وحاولت ان افهم سببه ، فلم اجد له سببا غير اختلاف نظرتينا الى فن القصة . فهذا الاختلاف هو الذي حملني على الاعتذار من تعديلاتك لقصصي ، وهو الذي حملك على معاتبتي مرة ومرة .. وربما اوغلت في الظن وفسرت موقفي بالتحامل ، او جهل الفن او غير ذلك .

ان الكاتب يا « فاء » كالوالد ، يزعم غريزيا انه خلف فنا جميلا ، او ابنا صالحا ، وله العذر . فالاثر كالولد ، عزيز معزة الروح لانه جزء من النفس . لكن الاثر او الولد متى صدرا للمجتمع، اصبحا ملك المجتمع . فهو الذي يحكم لهما او عليهما لا الوالد ولا صاحب الاثر .. يحكم عليهما بحرية حكما قاسيا او هينا ، حكما اديبا او قضائيا دون ان يحسب حسابا لتأثر الوالد او لمزاجه او لعطفه على ما كتب او خلف . وللوالد ان (يستانف) و (يميز) ، ويقدم شتى (الدفوع) .. لكن هذا لا يمنع من ان يشدد الحكم احيانا .

وانت يا عزيزي تطلب الي (ان اكون اقل قسوة ، في اسلوب لا يؤذي المشاعر ، وان اتسم بالانصاف ، واكون على درجة من لطف

(١٦) رسالة « عبد الـ » هذه ، هي رد على الرسالة الرقم (١٣). (١٧) ما حذفته هنا نص من نحو مائة كلمة ، هو تلخيص لرأي «عبد الـ» في رواية « ظ ... » مما يعرف بالرواية ومؤلفها ». (١٨) « م. ن..» كاتب عربي شهير . (١٩) بعد التحقيق تبين ان الكاتب العربي الشهير قد قال في نقده لرواية « ظ ... » اشياء اخرى غير هذا الذي نقل الى « عبد الـ » في غير دقة . والنقد وتعليق « فاء » عليه ، منشوران في مجلة « الاديب » في عدد من اعداد ١٩٦٥ . (٢٠) يقصد الرسالة الرقم (١٠) . (٢١) و (٢٢) المحذوف جملتان من ٣٥ كلمة تعرفان بالرواية .

عـودة

ودعت بـرليـن اعراسا واحبابـا ... واجتزت عند ضواحي الشام ابوابـا
خلفت دنيا مـن الافراح ، عامـرة ... منها شربت مـن الاشواق اكوابـا
طلق عنان الهوى ، يـا ليت اجنحتي ... عادت تزور مـع الانسام اصحابـا
سبعا مشيت بروض طـاب موسمه ... كانت سنينا كساها الـود اثوابـا
يا لائمي لا تكن فـي الحكم منتقما ... هـلا سمعت مـن العشاق اسبابـا
تاهت قوافلهم فـي قفر باديـة ... يا سائق الظعن هل ابصرت اعرابـا
تسعى الى نارهم فـي الليل قافلة ... القت على الدرب آمـالا واسلابا !

برلين

ابراهيم شعيب

التعبير ، فانزه قلمي عن الفاظ تحمل روح الرغبة في الاذية .) .

لقد اتهمت اثرك الفني بالاخطاء ، والتفاصح ، وانه قد خلا من لمحة فنية ، وان البطل لم يكن بطلا فـي الـ (١٧) ، اذا كنت يا عزيزي قد رسمت شخصية بطلك هكذا كما يرسم تيمور شخصيات مريضة في كثير من قصصه ، فقد نحتمل ذلك ونقول انك نجحت الى حد ما في تصوير (مريض) تصيبه الوهلة امام مفريات .. على ان يرافق ذلك تحليل لنفسية ذلك الخائف الوجل طـول الوقت ..

ولقد احكى لي احد الاصدقاء ، وكنا نتذاكر ادبك ، ان الاستاذ « م. ن ... » (١٨) نقد قصتك ، مشيرا الى ان العربي لا يجبن ولا ينهزم امام الجمال ، .. هذا مجمل ما نقله الي الصديق ، والمهدة عليه .. فهل لك ان تدركني مشكورا بصورة عن نقده ؟ (١٩) .

وحين وردني كتابك وددت لو انك لم تقف عند تأثـر المشاعر ، فترد علي منكرا اسس نقدي ، مستشهدا ، كما فعلت انا ، باقـوال تدحض مآخذي وتخطئني ، وتثبت لي ان ما زعمته خطا ، كان صوابا .. او تتحداني ان اورد غير ما اوردته ، حين زعمت لك ان الاخطاء اكثر من ان يضمها كتاب .. (وأسرع هنا فأعترف بخطا وقعت فيه ، حين اوردت كلمة « ينكرها » ، فقد كانت في قائمة « التفاصح » ، فند القلم ونقلها الى قائمة « الاخطاء » .. فهي صحيحة ، لكنها افصح من ان يحتملها اسلوب قصة تهدف الى التحليل النفسي لا الـى الاسلوب الانشائي المغلوطي الذي يروج ببهرجه في اوساط المبتدئين.) .. ثم انك تتهمني بالتحريف ، فهلا استشهدت على ذلك بمثل .!

لكن من يعاتب من اجل عبارة يعدها جارحة ، عليه ان ينزه قلمه عن امثالها .. ألم تكتب لي في رسالة سابقة (٢٠) : « أعتقـد يا صاحبي انك تأتي في اقاصيصك بالدرر الغوالي .. » ، ورغم ان هذه مسبة صريحة واتهام لي بالجهل والغرور .. فاني ضحكت لهـا وعددتها نكتة ، وعلقت عليها تعليقا هازلا في رسالتي التي لم تجبني عليها .. وقدرت تأثرك الذي عرفت اخيرا سببه .

ثم انك لم تنزه قلمك ايضا في رسالتك الاخيرة ، فاتهمتنـي بالتحريف وبسوء الامانة فـي مفهومي النقـدي ، وبقلـة الانصاف ، والرغبة في الاذية ..

وكذلك تنكر اني عرضت لنواحي ايجابية ، ناسيا اني امتدحت القصة .. فقد ذكرت « ان احداثها اقرب ما تكون الـى الموضوع الشعري ، والمؤلف يشعر بهذا فيحاول ان يصوغها في تعابير جميلة رقيقة ، تفوح عطرا وتشف عن مجازات لطيفة ندية تنضح بالعاطفة والوجدان الشاعر . والمونولوج الداخلي فيها قوي مؤثـر صادق بأحاسيسه » (وأوردت امثلة على ذلك) .

واعود فاذكرك بأن اسلوب القصة غير هذا . والحكيم وتيمـور وغيرهما لو شاءوا لكتبوا اسلوبا فخما كأسلوب الرافعي والسكندري والمويلحي .. لكن آثارهم لا تكون حينذاك قصصا تحليلية ، ولكـن شيئا اخر لا علاقة له بالقصة . اما اذا كنت تتأثر يا « فاء » اسلوب الزيات في قصصه التي أحكم اخراجها في تعابير جميلة رفافـة ، فذلك له ، وسيحكم الزمن له او عليه .. ومع هذا ، فالعبقريـة لا تقلد ..

واظن ان السبب بتقصيرك في هذه الرواية عن الشأو الـذي تقدره لها ، هو ان التجربة ليست لك ولكن لغيـرك . فانت تمط القصة دون فكرة جديدة ، او موقف مؤثر ، او مفاجأة رائعة .. (٢١)، وتمتلىء الصفحات الطويلة باسلوب الوصافين الذي يدور حول العيون والاذرع والشفاه .! يا اخي حلل لنا النفسية العفيفة او المذعورة ، عرفنا من هو البطل . ولكن كيف تعرفنا البطل ، وهـو لا يعرف نفسه ، فيودع القارىء في نهاية القصة بقوله : « أكان عفة مني ام وفاء ، او خشية ، ام تهيبا .. لا ادري .. لا ادري .. » ، فمـن يدري اذن ؟ أليس هذا ما اوردته انت في قصتك .. ام تقولته انـا عليك .. ام نقلته بتشويه ؟.... (٢٢)

واخيرا فاني فهمت موقفك وقدرت مشاعرك ، ولست بالـذي يتهجم على صديقه ، لكن الاثر غير الصديق . وقد حاولت مـرة ان اكون صريحا فرميتني بقلة الانصاف .. ولن اعود الى مثلها . لكـن ذلك لا يمنعك ولا يمنع غيرك من ان ينقدني ويهاجمني اذا شاء ذلـك . وثق اني لن اقابله بغير ابتسامة شكر وتقدير لموقفه وثقافته ، دون ان اتأثر ، فأحاول الدفاع متحمسا عن عمل جهدت فـي اخراجه ، واودعته نفسي ، فجاء على غير ما اراد له النقاد .. ولكل درجة مـن الفهم قد تلعو فتتهم بالسخف او بالغموض .. بـل اني سأحاول حينذاك الاستفادة من مفاهيم النقاد ، مفترضا ولو مرة واحدة فـي حياتي بانهم على صواب ... وعساي ان اكون حينذاك منصفا فـي نظرك على الاقل ..

هات الان بوسه من دقنك الظريفة .. وحلاوة الصلح علي .. اذ لا يسعني غير هذا وأمري لله .. واسلم للذي يحبك رغـم تعديلاتك واتهاماتك ومعاتبتك . اخوك « عبد الـ » .

حلب

نادر ابو السعود السباعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



١ ـ بيـــن الاعـاصيـر

ديوان شعر ـ محمد الاسمر ـ ٢٣٢ صفحة ـ منشورات دار الفكـر العربي بالقاهرة ـ مطابع فن الطباعة بالقاهرة

عرفت الادب عن طريق اربعة : العقاد ، والاسمر ، والزين ، والقاياتي والتقيت بهم جميعا في عصر واحد ، وفي سنين متقاربة ، تداخـل بعضها بحكم الاتصالات الادبية ، وتفرق بعضها الاخر باحكام قد يكون أيسرها ، بعد الامكنة ، والعيش داخل اطار محدود ، وفي نزل متواضع، يشافه سور القاهرة القديم ، كما رسم الشيخ القاياتي لحياته ، او رسمت الاقدار ... !!

اما العقاد ، فقد كانت اتصالاته ومجالسه في الصحف التي عمل بها ، او النوادي التي اتخذها ملتقى لاصدقائه وتلاميذه ، اعرف مـن ان يجهلها أديب ، او يسال عنها زائر ، يروم الادب ، ويبغي اللقيـا بالعلماء ...

اما الاسمر ، فقد كان يعمل الى ان انتقل الى جوار الله ، منـذ اثنتي عشرة سنة بمكتبة الازهر : يذهب اليها ، وان كان لا يعنيه مـن أمرها ، الا العكوف على مطالعاته او استيحاء ربة الشعر في ركـن منعزل ، اتخذه لنفسه داخل « المكتبة » ، حتى كان يغيب وهو حاضر عن المريدين والمحبين ، برجاءاته التي يبديها لمن يعمل معه .. فـاذا جاء المساء ، سعى الى نادي « الحلمية » وهو يوم ذلك ، يعمر بالزين والهراوي والقاياتي ، وزكي مبارك ، وصفوة مختارة مـن الشعراء والادباء ، الذين آثروا هذا المنتدى باللقاء ، ووسموه دون غيره بهذا الطابع الذي ظل يلازمه ، حتى بعد ان تهدمت بناياته ، واستعمـل استعمالا على غير ما عرف به ، او اتخذ من اجله ...

كان ايثاري .. « الاسمر » رحمه الله بالملازمة والصحبة ، دون سائر الرواد ، لاصلاحه ما اكتب ، ومعالجته السليمـة وتوجيهـه السديد ، واصطحابه لي في كل زياراته لندوة الراحـل الفيلسوف الشيخ مصطفى عبد الرازق ، واجلاسه لي حيث يطيب له ان يجلس، واخذ رأيي ، وانا خجل ، في كثير من البحوث التـي يتناولها رواد هذا البيت الكبير ، حتى ان الشيخ الفيلسوف ، قـد كان يدفع الي، وانا اهم بمغادرة المكان ، بكتاب للنظر فيه، وتسجيل رأيي، للاسترشاد، كما كان يزعم ، رحمه الله ... !!

على ان اللمسة الاخيرة التي كنت اخرج منها بعـد كل بحث ، تلك المناقشة التوجيهية وسط هذا العباب من الاساتذة الذين كانـوا يصتون لتوجيه الاسئلة ويرضون بالحكم الذي كان يصدره الراحـل الفيلسوف .

ويعلم الله ، انه كانت تنتابني اعراض « الزوغان » بعد تلـك الجلسات التي كانت اشبه باختبار قاس ، يفرض علي ، ولا استطيع ازاءه التعلة ، او الاعتذار ، وبخاصة اذا كنت قد اخذت نفسي بـان اكون في ركاب هؤلاء الاساتذة ، وعلى ملتقى انظارهم في كل ما أقرا او اكتب ، او اشارك ، وما كان « الاسمر » الشيخ ، يضن علـي بالرأي او بالكتاب ، حتى كانت المكتبة « الرازقية » تحت يدي في كل وقت ، حضر صاحب الدار ، او ذهب الى درسه بالجامعة ...

غير ان الايام قد مضت على غير ما اود ، ويحب هؤلاء الشيوخ .. فقد تفرق الجمع ، وتشتت الشمل ، ولم يعد احدهم يبحث عن مجمع يضع شتيتهم ، ويجمع متفرقهم ، وان كنت قد آثرت الا انفك عن الملازمة الحبيبـة للشيخ الاسمر ، وسماع ما ينظمه او يرسله من اراء ، ناقدا حينا ، ومثنيا حينا اخر ، وهو حفي بهذه المشاركة ، فخـور بهـذا التوجيه الذي اثمر ، تياه بنقدي ، غضوب ان انا انصرفت عنه ، او تغاضيت وتغافلت قصيده الذي كان يحلو له ترداده قبل دفعه الى المطبعة ، ومطالعات الادباء لـه !!!

ولقد علمني رحمه الله ، المشاركة على اشدها ، ورسم لي طريقها، وبين لي فائدتها الى اخر يوم في حياته وهو يعـد ديوانه : « بـين الاعاصير » الذي تركه من بعده ، دون ان يراه منشورا ، او يمتـع ناظريه به وهو يأخذ مكانه في قلوب الصحاب ...

كانت المشاركة الادبية في راي الاسمر ، طرح الموضوع ، او تناول الفكرة ، والالمام بكل ما يدور ، او يقال حولها ، حتـى اذا اجتمعت الآراء على شيء ، كان له ان يتناوله ، دون نكوص او اهمال ، لعلمـه بالاجماع ، واقناعه بصواب الرأي ، وان كانت المشاركة مما يعاب ، او تكون موضع مؤاخذة في كثير من الاحيان ..

لذلك كان ديوان : « بين الاعاصير » مشاركات وجدانية واخوانية بحتة ، شارك فيها الشاعر بقلبه ولسانه ، جل اصدقائه الذيـن شاطروه الحياة ، وان اغفل منها كثيرا ، مما شكل اثارا جليلة فـي حياته ، وطبعه بطابع جميل ، كان يسعى اليه الشاعر دائما ، وهـو الحب الذي برزت نبضاته من خلال قصائده في هذه المجموعة الضخمة، وان كنت انا شخصيا ، ارى ان حذف جل هذه المشاركات قد جـاء نتيجة لطبع الديوان بعد وفاة صاحبه ، او عدم استحسان المشرفين على طباعته باحتفال الشاعر بهذه الاخوانيات التي قعد لها اكثر وقته ، ولهث وراءها ، حتى كان يدفعه حبه الى ان يسهر الليل بطوله ، لاكمال قصيدة ، قال مطلعها الشيخ الصبان في ندوته الادبية بمصر الجديدة ، ويثلج صدره ان يلحق به في ارض المطار ليدفع اليه القصيدة كاملة، قبل ان يطير في بواكير الصباح ...

والامر الذي لا يختلف عليه ، او يتطرق اليـه الشك ، هـذه الانطباعات التي درج عليها الشيخ الاسمر في كل هذه الاغاريد العذبة التي امتلأ قلبه بها ، قبل ان يرسلها على القرطاس : فياضة ، حيية، زاكية ...

وفي قصائد « الاخوانيات » ما يغني عن ضرب المثل ، او اقامة الدليل ... فالشاعر حين يحيي الاستاذ محمد علي الطاهر ، او الاستاذ الماحي ، او يكتب الى الاديب العراقي ابراهيم الواعظ ، او مهـدي رفيع مشكي ، او الدكتور عبد المنعم صبحي ، او اللواء صالح حرب ، او علي علوبة ، يجعل الحب هو العماد الذي تـدور عليه المشاركة ، ويسير على طريق مرسومة ، عبدها بقلبه ، وخططها بوداده .

اهدى الشاعر : « ديوان الاسمر » الى صديقه الكبيـر ، فحيـاه بقصيدة ضمنها بحور الشعر : فقال الاسمر :

يا « محيطا » اهدي الي «بحورا»	هي مـن حسنها تموج رحيقـا
أ « بحـور » دبجتها أم بحـار	يحتسيها الانـام خمرا عتيقـا
انـا فـي لجها اغوص واطفـو	غمرتني ولست فيهـا مفيقـا
يا أخي بالعراق أدرك علـى مصـ	ـر أخـا كـاد ان يكون غريقا

كما يقول الشاعر لرفيـع مشكي :

« رفيـع » كـرم اللـه	بـه « مصـر » و « ايرانـا »
عظيـم مـن بنـي الفـرس	عظيـم بيننـا شـانـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمن يسعد بلقياه يقل لاقيت سلطانا

والاسمر الذي جنح بكله الى « الاخوانيات » ، حتى حسبه القارىء له ، يغوص في المناسبة ، ويمشي مع تيارها ، يبدأ في : « الشمس » و « قصة الانسان » و « راسبوتين » و « العفريت الشاعر » و « العصفور الصغير و « دنياي » و « ايمن الهدوء » و « المأوى » و « بين العقل والباطن » و « صوت من القبور » و «بعد الخامسة والخمسين » و « حول المقادير » و « الله اكبر » و «العيد» و « تغريدة الصباح » ، بدءا يلفت النظر ، ويشد الانتباه .. فالشاعر ينظر الى « الشمس » نظرة تختلف كل الاختلاف عن نظرات الشعراء ، فهي في رأيه ، قد غزلت من لجة البحر هذا البخار الذي يتصاعد في هدوء ، ثم تذهب تنسج هذا الغزل سحابا ، حتى يبدو عجيبا وان كان هذا النسج يتكرر كل يوم :

غزلت من لجة البحر بخارا صاعدا كان على الارض عبابا
غزلته في هدوء ثم راحت في هدوء تنسج الغزل سحابا
غزلته ، نسجته ، لونته فبدا في أفقه شيئا عجابا
كل يوم تصنع الشمس لها من عباب البحر غزلا وثيابا

ولا يقل الشاعر في نظرته الى الحياة الهادئة عن نظرته الى دنياه ، حين يعاتبها ، وينشد منها الهدوء ، وبخاصة انه اثر ان تكون دنياه بيته ، وصديقه كتابه :

عاتبتها حتى مللت عتابي دنيا برمت بها وبالاصحاب
حتى هوى الاحباب أصبح زاويا عندي عشيته غاض ماء شبابي
فالآن بعد انتهى عهد مضى دنياي بيتي ، والصديق كتابي

على ان المتتبع للمسات الشاعر ، يرى الوانا جديدة من الشعر، ارتضاها الاسمر ، فكان منها هذا اللون الوعظي الذي رسم به ما تجري به الحياة ، وما يدور في فلكها ، فيفيض شعاعا على العقول ، ويعرف به الطريق الى الاصلاح او الانحراف :

فوق العقول امور في الحياة جرت ففرقت بين شيطان وقديس
جلت مقادير ربي عن مداركنا سبحانه من عظيم الشان قدوس

وللاسمر ، وقفات في : « الشرقيات » و « السياسيات » و « المصريات » و « السعوديات » ما أحسبها بمختلفة عن شعره الذي قال له فيه الفيلسوف الراحل مصطفى عبد الرازق : « لشعرك تأثير في نفسي ، احسبه يفوق ما يفعل الشعر ، ذلك انه فيض نفس أحبها ، وقد يكون سحرا ذلك الذي ترسله نغما موسيقيا في اسلوب سهل ، فيسري في الارواح ، ويفجر العواطف خلالها تفجيرا » .

والواقع ، ان التعرض لشعر الشاعر ، وتحليله ، لا يمكن نصفته الا بمطالعته ، وان كانت دلالات الرقة ، وملكات السهولة اكثر من ان تحصى في شعره ... ويكفي ان تكون واحدة ، تنبىء عن هذه الاصالة، وتدل على هذه الملكة ...

زار الشاعر ، جلالة الملك فيصل ، وهو يوم ذلك امير ، فكانت هذه الرقة ، وكانت هذه العاطفة النبيلة :

حديثه السحر الحلا ل هكذا سمعته
والله لا انساه في مصر غداة زرته
ولست انسى ما سمعـ ـت منه او شهدته
فعدت مفتونا به اقول فيما قلته
نعم الامير « فيصل » احببته ، احببته

رحم الله صديقي الاسمر ، بقدر ما احسن الى العربية ، ومشى بي على طريق الرشاد ..

٢ ـ سجع الحمام في حكم الامام

امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

جمع وضبط وشرح : علي الجندي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ،



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد يوسف المحجوب ـ ٥٠٨ صفحة ـ طبـــع ونشر مكتبة الانجلـو المصرية بالقاهـرة

اجتمع الثلاثة الاعلام : علي الجندي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، ومحمد يوسف المحجوب ، على ضبط وشرح ، كلام امير المؤمنين وابـن عم النبي الكريم ، عليهما السلام ، لما يمتاز به « من تنوع المقاصد ، وسمو الالهام في مختلف الاغراض ، مع صدق الحق والتجربة ، حتى كان كل عبارة له عليها طابعه ، وكـــل حكمة صدرت عنه موسومـــة بتوقيعه » .

والواقع ان ما استوقف نظر الشراح الثلاثة ، قمين ، بان يقف عنده الباحث ، وجدير بالالتفات اليه .. فقد كثر الجامعون لكلام الخليفة ، والراغبون في بعث تراث علي ، لما له من المكانة العظيمة فـــي نفوس المؤمنين ، ولما يتسم به هو شخصيا ، عليه رضوان الله ، من التجلة والاعظام .. فذهب كثير من العلماء الى افراد كتب خاصة ، ودواوين مستقلة ، تجمع بين دفتيها ما قاله علي ، وما افاض به على المسلمين في كافة ديار الارض ، وان اصيب بعضها بالذهاب ، واكلته الايـــام اكثرها بانقضاء السنين والاعوام ، وبقي اكثر هـــذه الكتب واحفلها ، يحتل مكتبات العالم ويأخذ وضعه اللائق به .. فما اختاره الشريف الرضي ، والقضاعي ، والهادي كاشف ، لا تخلو منه مكتبة اديب ، غير الحكم القصيرة التي ظهرت في عدة كتب ، واخـــذت اسماء : الف كلمة ، ونثر اللآلي ، وغرر الحكم ودرر الكلـــم ، وبعض الامثال ، وطفافة بعضها ، فضلا عما نشره الاب لويس شيخو ، والسيد احمـد رضا من خطب ومواعظ واقوال ، لم يسبق نشرها في كتب ، او اخذت وضعها في مجلد ...

ولكن هل انتهت حكم واقوال الامام عند هذه الكتب ، وغيرها من المتعارف عليها ... اعتقد ان هذا هو ما حدا بالراجعين الثلاثة الـى تيسير بعض الحكم التي جاء ذكرها في هذه الكتب وغيرها مما لم يطلع عليه المعنيون بالجمع والشرح والتبويب ، غير ما تعارف عند المسلمين، وتدارسوه بينهم ، واجمعوا رأيهم عليه ..

يقول الجامعون لهذا التراث : « ولكن بقي كثير من كلامه عليـه السلام ، متفرقا في كثير من كتب الادب والتاريخ ، لا يقـــل روعـة ونفاسة ، وصدقا وبلاغة ، عما ورد في هذه الكتب . على ان كثيرا مما جاء فيها يعوزه الضبط والشرح ، ويشيع فيه التحريف والابهـام ، فرأينا ان نجمع شتات هذه الحكم في عقد يضم منها ما تفرق ، ونختار ما رجح عندنا انه من كلام الامام ، ومن نبع الهامه ، وشرعة بيانه » .

على اني وان كنت قد احسست هذا الاحساس البعيد من زمن ، فأردت ان استخلص ما اتفقت الاراء وجمع العلماء عليه ، من انه مـن لدن علي ، ومن نسج بيانه وتحريك لسانه ، الا انني قد راجعت نفسي مرارا قبل اقدامي على هذا العمل ، الذي يصاب غالبـــا ، بالنقد ، ويعتوره من الشك ما ليس يستطيع الانسان دفعه ، ولو كانت المصادر مجتمعة ، والاراء متفقة ، وذلك لاكثر من سبب ، قـــد يكون فـــي مقدمتها : انه قيل على لسان علي الشيء الكثير ، سواء مـــا دفعت اليه السياسة العربية ، او دفـع اليـــه حرص الشائنين والعائبين ، والمتربصين ، للنيل من امير المؤمنين ، وتلمس الوقيعة ان لم يصاحبها الدس ، ويعلو وجهها النفاق ، حتى انني وانا اطالع هذا الكتاب ، قد حمدت للشارحين ، انهم وقفوا عند الترجيح لكلام الامام ، والتوخي المستطاب في الجمع عند السياق ، او الشرح او التفسير ..

وليس أدخل في الظن ، او ارفع لهذا الاتهام من ايراد الشراح للمراجع التي اخذوا منهـا هذه الكلام ، خوف التاويل ، او حسبان الظن المعاب .. فالرجوع الى الالف المختارة ، والحكـــم القصيرة الواردة في كتاب نهج البلاغة ، وكذلك الحكم القصيرة الواردة فـــي كتاب دستور معالم الحكم ، والحكم الواردة في كتاب البيان والتبيين، وكذلك الواردة في كتاب عيون الاخبار ، والواردة في كتاب الكامل ، والاعجاز والايجاز ، والتمثيل والمحاضرة ، واسرار البلاغة ، كل اولئك يضع حدا للتشكيك ، ويقطع خيط الاتهام الذي قد يربط بين هـــذه الاقوال ، وما يعقد حولها من غبار او يلابسها من اكفهرار ، او يدخل عليها من اهواء ، قد لا تحمد في كثير من الاحيان ، او يرغب فيها فـي كثير من المواقف ...

ولست بمستريب في هذا الذي اخذ به الشراح انفسهم من المضي في الطريق حسبما اتفق لهم من الرأي ، او حسبما جرى عليـــه عرف الشرح والجمع عندهم .. وبظني انهـــم خافوا اللـوم او الجتريـــح او الشك في النسبة او النسب ، فوقف ثلاثتهم الى جانب الحكـم التي لم يثبت عليها الرأي ، او تكون موضع قال وقيل فقالوا : « ان شيوع هذه الحكم ودورانها في الكتب منسوبة اليه ، لما يبعد الشك في نسبتها اليه ، ويدنيها من كلامه ـ وان كان قد ورد بعضها منسوبا الى غيره ، او معزوا الى سواه ـ لانها اقرب الى اسلوبه ، وأدنـــى الـى طبعـه » .

غير انه « لا أستطيع ان امضي مع ما مضى فيه الشراح ، وأسيغ هذه الحجية التي وقف عندها الجامعون .. الا أن يكون السلام قـــد حتم عليهم ان يقفوا هذا الموقف ، خوف النقد او الانقضاض .. وان كنت لا أود لهؤلاء العلماء ان يتركوا هذه الحكم المشهورة ، دون رجوع بنا الى مصادرها ، او وضع أيدينا علـــى المنسوب ، والاصيـل والدخيل ، ولا يكون الاعتذار بالتتمة والتكملة والاشباه والنظائـــر ، وما يناسب كلامه عليه السلام ، وينصب في قالبه ، ويحتذى حذوه ، ويتقبل منهاجه ... !

على ان الفقر الذي نصاب فيه في جملة المحققين ، يدعونا الـــى المطالبة بالمعاودة ، والقربلة والدقة .. والا سيذهب هذا التراث دون ان يقيض الله له هذه الجملة من العلماء للنظر فيه ، والرجوع اليه ، ويكفي ان يكون « ابو الفضل » في مقدمة هؤلاء الشيوخ الخلصاء ...

القاهرة

ابو طالب زيان

•

ذكريات مـــن عالم المحاماة والقضاء

تأليف المستشار تادرس ميخائيل تادرس

المحامي او القاضي او المستشار ، كلهم يندمج في الحيـاة العامة ، ويعرف الناس في بؤسهم ونعيمهم ، في كذبهم وصدقهم ، في خبثهم وبراءتهم ، في شتى المآسي التي يصبها القدر عليهم ، او التي تثيرها غرائزهم وشهواتهم فتوقعهم تحت طائلة القانون وتجعلهم هدفا للعقاب ، ولكن ليس في وسع كل محام او قاض او مستشار ان يلتقط من تلـك الحوادث والمآسي ما يعبر عن شخصيات اصحابها ، ويكشف عن مكنون نفوسهم ، ويميط اللثام من خلال عواطفهم واهوائهم وتصرفاتهم عـــن جوهر الطبيعة البشرية ، وان يدون هذا كله في كتاب ... يجب ان يكون المحامي او القاضي او المستشار على ثقافة واسعة ، ونظرة ثاقبة ، وموهبة في الملاحظة اصيلة ، وان تكون له قدرة على تخيل الواقـع وتصويره وتسجيله تشبه تلك القدرة التي يمتاز بها الاديب الروائي الفنان .

وقد عرفنا في تاريخ الادب رجالا تفوقوا في ميادين السياسـة والقانون ، وكانوا في الوقت نفسه ادباء وفنانين . امثـال رئيس وزراء انجلترا « تشرشل » الذي اقدم على وضع قصة ، والوزيـــر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانجليزي « دف كوبر » الذي ترجم لبعض العظماء ، ورئيس وزراء فرنسا « ادوار هريو » الذي اولع بالموسيقى بتهوفن فوضع عنه اروع كتاب ، والمحامي الفرنسي « موريس جارسون » الذي استخلص من محاضر البوليس ومن مختلف القضايا التي صادفته قصصا زاخرة بالحياة ، وزميله المحامي « هنري روبير » الذي سجل اشهر قضايا التاريخ في مؤلفات احرزت شهرة عالمية وجرى ذكرها على كل لسان .

هذه النزعة الادبية عند رجال السياسة والقانون في اوروبا ، لم الحظها في زملائهم عندنا الا نادرا . وهذا ما اجتذبني وراعني في كتاب « ذكريات من عالم المحاماة والقضاء » للاستاذ تادرس ميخائيل تادرس المستشار السابق بمحاكم الاستئناف والمحامي السابق بالمحاكم المختلطة .

في هذا الكتاب الفريد في نوعه ، المستقطر من خلاصة تجارب صاحبه ، الشبيه في بساطة اسلوبه وبعد مرماه بأجمل واكمل نظائره من اعمال كبار رجال القانون والادب الغربيين ، في هذا الكتاب يعرض المؤلف طائفة من ذكرياته في نشأته وصباه ، وكيف كان مولعا بالقانون منذ نعومة أظفاره ، وكيف اقتحم في ثقة عالم المحاماة ، واصطدم بالموكلين وعرفهم واستطاع في ضوء ما لاحظه عليهم واستخلصه من اخلاقهم وطباعهم ، ان يقف على اسرار النفس البشرية وينفذ الى ابعد اغوارها ... ويتطرق المؤلف بعد ذلك الى البحث في علاقة علم النفس بالقضاء ، فيبدع في هذا الفصل ابداعا ينم عن دراسة سيكولوجية وافرة ، تدعمها الحوادث والمشاهدات المنتزعة من صميم الواقع .. ثم يتحول الى النظر في المحاكم المختلطة ، فيشرح لنا كيف كانت انظمتها وتقاليدها ، ويؤكد ان التخلص من سيطرتها ونفوذها كان هو السبيل الاول نحو الحرية والاستقلال . ثم يحدثنا عن الصحافة وعلاقتها بعالم المحاماة والقضاء ، ويقول ان محرري الصحف لو تعمقوا دراسة القوانين وحيثيات الاحكام وأسباب الجرائم ودوافعها بدل الاكتفاء بمجرد ذكر تلك الجرائم وتسجيل وقائعها ، فالصحافة ترتفع وترتقي ويصبح في مقدورها ان تسهم اسهاما ناجحا وفعالا في ردع الشرير عن شره ، وتهذيب الميول الجامحة ، والنوازع الشاذة ، والسمو بالفرد والمجتمع .

فانت ترى مما تقدم ان المستشار تادرس ميخائيل تادرس قد استحدث جديدا في الفكر العربي ، وان كتابه من الطرافة والعمق بحيث يجب ان يقرؤه وينعم النظر فيه كل قانوني وكل اديب بل كل مثقف يهوى المعرفة وينشد الحقيقة في مجالها اليومي الحي .

وقد اتصف هذا الكتاب وتناوله بالبحث والتحليل في الصحف والمجلات العربية اديبان نابغان هما الاديب السكندري والقصصي الكبير الاستاذ نقولا يوسف ، والاديب والقصصي الالمعي الاستاذ حسن فتحي خليل . وانا أضم صوتي الى صوتيهما واسجل هنا قيمة الكتاب وقيمة صاحبه الذي هو قانوني ضليع ، وهو في الوقت نفسه اديب نافذ البصر والبصيرة ، بل اديب وروائي وفنان .

القاهرة — ابراهيم المصري

•

١ ـ مخطوطات البحر الميت

في عام ١٩٤٧ اكتشف رعاة جوابون من البدو جلودا عريقة في القدم بكهوف قمران الواقعة في منطقة البحر الميت ، تشتمل على أسفار من التوراة وعلى كتب خاصة بالطائفة التي استقرت في تلك المغاور : فاحدث هذا الاكتشاف دويا هائلا في الاوساط العلمية وهبت لجنة من العلماء الاوروبيين الى دراسة هذه الجلود ، ووضع كل عالم منهم بلغته كتابا ، وتقدر الكتب التي صدرت بهذا الموضوع بنحو اربعة آلاف كتاب باستثناء اللغة العربية .

شاهد مؤرخ الاردن الكبير الاستاذ محمود العابدي مدير دائرة الثقافة والفنون في وزارة الاعلام الاردنية هذا الفيض الزخم من الكتب الاجنبية فشق عليه ، وهو الغيور على أمته ، المتحمس لقضاياها ، ان تظل المكتبة العربية خلوا من هذا الكنز الثمين فاختار من هذا الفيض المتدفق كتابا وضعه العالم الرائد الاستاذ ميللر بروز عام ١٩٥٦ بعنوان « مخطوطات البحر الميت » ووطد العزم على نقله للعربية ، فشمر عن ساعد الجد وانجز المشروع بغيرة المؤرخ المحقق ووضع كتابا بعنوان « مخطوطات البحر الميت » وقد جاء في ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير.

وفي يقيني ، لولا اقدام الاستاذ العابدي على سد هذه الثغرة وتزويد الخزانة العربية بهذا السفر الجليل لظلت هذه الخزانة عطلا من هذه الطرفة الماتعة ولاصابنا عار شنيع من جراء هذا الاهمال .

واذا كان لي من رجاء فهو ان يتقبل مؤرخنا المحقق الاستاذ العابدي تهنئتي من الاعماق ، وهي تهنئة كل عربي واع ، وشكري هو شكر كل مثقف عربي على ما بذل من جهد مشكور في سبيل اثراء الخزانة العربية بهذه المعلمة ، ورجاؤنا ان يزود هذه الخزانة بمثل هذه الالوان التي تباهي بها لغتنا وتعتز بمثل هذه الشوامخ .

٢ ـ دراسات في الادب العربي والتاريخ

تميز الباحث العالم الاستاذ محمد عبد الغني حسن بعمق البحث واختيار موضوعات فريدة لم يطرقها باحث في المجالين الادبي والتاريخي . واختيار الموضوعية ان دل على شيء فانما يدل على سعة اطلاع الكاتب ورهافة ذوقه واختياره الموضوعات التي تفيد القارىء وتطلعه على طرف في أدبنا وعلى مطويات في تاريخنا تالدا وطريفا .

و « دراسات في الادب العربي والتاريخ » ، هذا الاثر الذي سخا به قلم الناقد الذواقة الاستاذ محمد عبد الغني حسن بستان يفيض بالفواكه الشهية ، والعناقيد اليانعة واني لانصح القارىء ، ايا كانت ثقافته ، ان يقرأ هذا الكتاب ، لتزداد معرفته ، وبعد ان يستمتع بفصوله سيشاركني ولا ريب في ازجاء استاذنا الجليل واديبنا الكبير محمد عبد الغني حسن عطر التحية ويقول معي للاستاذ « أبي نبيل » : « اكثر من هذه الروائع .. اكثر ياطويل العمر ! » .

٣ ـ احمد فارس الشدياق

لو اتيح لي ان اعاصر أحمد فارس الشدياق ، وسئلت عن رجل القرن التاسع عشر لاجبت بديهة وارتجالا انه أحمد فارس الشدياق ، هذا الرجل العجيب في ذكائه واطواره الغريب في رحلاته واسفاره ، وقصصه وأسماره !

صدر حديثا

محاجر في الكهوف

مجموعة شعرية — المرحلة الثالثة

ثريا ملحس

٤١٦ صفحة — حجم كبير

توزيع دار الكتاب اللبناني في بيروت

ومهما كتب الكاتبون وألف المؤلفون عن شخصية الشدياق هذه الشخصية الظريفة المحببة فستظل غامضة على الباحثين ، ولغزا يحير الباب المؤلفين .

وكان من اعجاب أديبنا الكبير الاستاذ محمد عبد الغني حسن بشخصية الشدياق ان صحبها طويلا وسلط عليها اضواءه وتعمق في دراستها ، فخرج بكتاب طريف اسماه « أحمد فارس الشدياق » . وفي يقيني ان هذا الكتاب أوفى دراسة جامعة عن هذه الشخصية المحيرة .

فليبارك الله جهد أديبنا النابغ الاستاذ محمد عبد الغني حسن وليطل في عمره ليظل منصفا لاقدار الرجال ، ومنوها بالاعمال التي اجترحها اولئك الاعلام الذين تزهو بادبهم لغة الضاد وتباهي وتفاخر بعلمهم ام اللغات .

٤ ـ القصة القصيرة في فلسطين والاردن

هذا الكتاب يشتمل على مجموعة من المحاضرات التي القاها الدكتور هاشم ياغي احد اساتذة الادب العربي في الجامعة الاردنية ، على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية التي يشارف عليها معهد البحوث والدراسات العربية في الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

وفي هذه المحاضرات تناول الدكتور ياغي الملامح البارزة للقصة القصيرة في فلسطين والاردن من عام ١٨٥٠ ـ ١٩٦٥ ، وقد مهد لهذا البحث بفصول تناول فيها الاستعمار والابعاد الاجتماعية في فلسطين والاردن والوسائل الثقافية من مدارس وصحف ومطابع واندية وجمعيات والمذاهب والمدارس الادبية .

وفي الواقع ان الدكتور هاشم ياغي يستحق التهنئة على هذا الجهد وليس هنالك من مأخذ عليه سوى اغفاله بعض مجموعات من القصص القصيرة التي صدرت بعد الكارثة الاولى في الاردن وتناسيه فهرست يتضمن اسماء الاعلام الذين ورد ذكرهم في كتابه الطريف ، ولعله يستكمل هذين المأخذين في الطبعة الثانية .

٥ ـ أغاني الليل

أغلب اغاني هذا الديوان نظمها الشاعر المعروف الاستاذ شكر الله الجر وأنا رفيق جنبه في ريو دجنيرو مدينة الربيع الدائم . ولقد ذكرتني كلمة الاهداء التي وشح بها اخونا شكر الله النسخة التي اهدانيها وهي : « هذه الاغاني التي ما انفكت تحملها نسائم الاسحار الى أعشاش الحب والجمال في المدينة الوردية .. وتغمغم قوافيها الامواج على شواطيء الجزر التي تزفرها .. هدية مني اليك وذكرى لايام سعيدة معك قطعناك على تلك الضفاف ... انها أحلام ! » .

أقول : ذكرتني كلمة الاهداء هذه بتلك الايام الدافئة .. والليالي الحالمة التي عشناها في هضاب سلفستري وجبل السكر ، مخمورين بالطبيعة الساحرة ، ومسحورين بالمناظر الخلابة التي تسبي العقول !

تضم دفتا هذا الديوان لوحات موشاة بالتلاوين الرائعة ، ومتميزة باغان خاطب بها شكر الله الليل ولبنان وعشيرات الصبا ، ولم ينس الطبيعة والقمر ، وكل هذه اللوحات تغري الناظر بالوقوف امامها والتملي من مفاتنها .

ولو قدر لك يا قارئي الكريم ان تقف على لوحات هذا الديوان وتقرأ المقدمة النفيسة التي خلعها الخطيب الساحر الاستاذ الياس رباني عليه لقلت مع « جان كوبو » : « ثمة كتب يجب تذوقها فحسب ، واخرى يجب ازدرادها دفعة واحدة ، وبعضها (وهي قليلة العدد) يجب مضغها ! » .

ومن هذه الفئة القليلة « أغاني الليل » انها حقا لشعر !

٦ مع طه حسين

قامت العلاقة الروحية بين الدكتور طه حسين والكاتب المعروف الاستاذ سامي الكيالي عندما كان الاستاذ سامي يصدر مجلة شهرية راقية باسم « الحديث » في حلب الشهباء ، وكانت مسرحا لاقلام فئة من كبار أدبنا المعاصر في عدادهم عميد الادب العربي .

وظلت تلك الاصرة الروحية تقوى وتشتد حتى أسفرت عن كتاب قيم طريف صنفه أديب الشهباء الاستاذ الكيالي عن صديقه عميد الادب العربي اسماه « مع طه حسين » وأهداه الى قرينة الدكتور طه السيدة النبيلة ، والزوجة البارة المثالية التي أحاطت قرينها بعطف نادر المثال، وكانت له نورا بعد ظلمة وانسا بعد وحشة ونعمة بعد بؤس !

ولم نستغرب هذه المأثرة التي اجترحها اخونا الاستاذ سامي الكيالي بما له ما مرؤة وشهامة وعزة ووفاء !

٧ ـ النار والطين

هذا ديوان طريف أضفاه الاديب الشاعر الاستاذ راضي صدوق على أدبنا المعاصر ، وقبله أضفى ديوان « كان لي قلب » وديوان « ثائر بلا هوية » .

وحسبي في تقديم ديوان « النار والطين » ان اشرك القارىء في اول لوحة شعرية صدر بها راضي ديوانه هذا بعنوان « على أسوار بابل العصر » ليقرأ شعرا يفيض بالغيرة على بلد طهور استباح العلج مقدساته ، وداس على حرماته :

نحن منفيون ، يا أرض ، أتينا من قباب الله من القدس القديمة
ليس في أعيننا رجس ، وما في أرضنا روح زنيمه
مثلما كان بنو يعقوب
غرقى في وحول العار ، في ليل الخطيئه .
ما أقمنا هيكلا للفسق ، لم نرجم بريئه
ما قتلنا الله ، لم نعبد عجولا ذهبيه
لم نصعد للشياطين ضحيه .

نحن منفيون يا بابل ، جئناك جياعا
سرقت موسمنا جرذان يعقوب .. بغاياه اللعينه
خرجت من قمقم التاريخ ، تجتر بقاياه ، تصب
الزيت والنار على الموتى الرماد
تزرع الارض أفاعي وجراد
ألف « راحاب » بغيه
أسلمت « يوشع » نهديها ، وباعته المدينه !

افتحي الابواب يا بابل ، ان الليل طال
رضعت أكبادنا الشمس ، وعافتنا الدروب
نحن طوقنا متاه الارض ، ردنا الريح جوابين في عرض البحار
أرخت الريح مراسينا والقينا الشراع
عبثا رحلتنا عبر المحال
أبدا يجترنا الوهم ، ويطوينا شروق وغروب
ما لنا الا القرار !

افتحي الابواب ، يا بابل ، جئناك أسارى طائعين
اطفيء أعيننا بالليل ، شدينا الى القيد اللعين
نحن جئناك أسارى طائعين !
والقصيدة كلها على هذا النمط العالي من الشعر الموار بالتحدي والاعتزاز والفخر !

٨ ـ جراح جديدة

في هذه الجراح يصور لنا الاستاذ عيسى الناعوري العدوان الاسرائيلي الغاشم على الاشلاء الباقية من الوطن المغصوب ، وقبل هذه المرة

انتضى الاستاذ الناعوري قلمه وصور النضال العربي في الوطن السليب بمجموعة من القصص بعنوان « خلي السيف يقول » و « بطولات عربية من فلسطين » و « بيت وراء الحدود » ، وفي هذه الرواية صـــور الكاتب البارع المأساة العربية الاولى واحداثها في فلسطين عام ١٩٤٨ .

والجراح الجديدة هي صنو الجراح الاولى التي أثخنت قلب فلسطين واجهزت عليه في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ .

واذ نهنيء أخانا الاستاذ عيسى على هذا الاثر القومي النفيس نرجو ان يوحد روايته الاولى « بيت وراء الحدود » وروايته الثانيـة « جراح جديدة » في رواية موحدة تروي فصولها تفاصيل الكارثة من الفها الى يائها وتعالج أسبابها وما سبقها من مؤامرات رخيصة علـى الوطن المغصوب ، والشرف المعطوب .

٩ ـ النواعير ـ الجزء الاول

حملت النخوة الاديب الشاعر الاستاذ توفيق اليازجـي صاحب « دار الرائد » الحلبية على طبع الجزء الاول من كتاب « النواعير » وهـو مجموعة مقالات بقلم الاستاذ جبران مسوح صاحب مجلة « الاخاء » السورية ونزيل الارجنتين .

ولقد أبى الوفاء الا ان يستهل الاستاذ مسوح هذه المجموعة بكلمة رقيقة تذكر فيها (نواعير) حماة مسقط راسه وقال فيها :

« اذا كانت (النواعير) لا تفخر بي ، فانا افخر بها !

ان صوتها لا يزال في أذني ، وها انا انقله ـ بوداعته وشعبيته وعروبته ـ الى اذن الزمن ! » .

وليتاكد اخونا النازح الغريب الاستاذ جبران ان نواعير مدينتـه الاولى ما زالت تحن الى فتاها العبقري ، وتفخر بنفثات قلمه ، وترقب ايابها اليها في القريب العاجل !

١٠ ـ مصـــرع العظيـــم

هذا عنوان المرثاة التي نظم عقدهـــا الاديب المعروف الاستاذ توفيق اليازجي في رثاء النسر المحلق الصديق المرحوم يوسف اليازجي احد دعامات العروبة في المهجر . وابيات هذه المرثاة تموج بالعاطفة المشبوبة، وتفيض بالحزن على رجل عظيم خسر فيه الوطن العربي الكبير فارسا مجليا في الدفاع عن قضاياه ، وسياسيا واعيا عرف كيف يخدم وطنه ويدافع عن الظلامات التي أصابته من العلج بمشاركة اخوان غيارى أمثال فارس الدبغي وغطاس خوري وشفيق عماد والشاعر القـــروي وفرحات والدكتور خليل سعاده وحسني غراب ونصر سمعان ونظـير زيتون وميشيل مغربي وموسى حداد وغيرهم من دعامات العروبة فـي المهجـر .

١١ ـ محاجـر فـــي الكهـوف

أبى قلم الاديبة الكبيرة الاستاذة ثريا ملحس الا ان يسخو علينا بطرفة جديدة في شهر رمضان المبارك تكون وسيلة للترفيه عـــن النفوس المكدودة واداة للتسرية عن القلوب المحروبة بعـد عدوان الخامس مـن حزيران ١٩٦٧ .

و « محاجر في الكهوف » اسم اختارته أديبتنا الاريحية اسمـــا لشعر (المرحلة الثالثة) وقـد أهدته الى المشردين المعذبين من عـرب فلسطين والى امها التي تركتها وحدها فـي المحاجر تصوغ صخـور امها ، وتفك اغلال سجونها .

واللوحات التي حزمتها اديبتنا الفيلسوفة المتأملة في طرفتهـا الجديدة (صور) رائعة جديرة بالقراءة والتأمل والتملي من قسماتها ، اذ ان لكل لوحة حكاية .. ولكل صورة قصة ..

و « ثريا » ان نظمت شعرا فانما تنظمه بدافع مـن التأثـر والالم ورهافة الحس ، وهذه (اللوحات) التي حزمتها « ثريا » في ديوانها الجديد تحتاج الى قاريء يدرك أهدافها وأبعادها ، ويكشف عـــن جراحات قلب ظلمه المجتمع .. وذوو القربى .. ومهما حاولت « ثريا » أن تغير من ماهيتها وطبيعتها وجبلتها فستظل تلك الانسانة الشاعرة التي يرعبها الظلم ، ويفزعها العدوان ، ويؤذيها هضم الحق ! وستظل « ثريا » تنشد نفسها قول شاعرنا « أبو القاسم الشابي » عليـــه رحمـات اللـه :

والشقي الشقي من كان مثلي في حساسيتي ورقـة نفســي !

وأخيرا .. لنتقبل الاستاذة ثريا ملحس تهانينا من الاعماق علـى هذه المعلمة الشعرية الوانا جذابة شبيهة بالوان قوس قزح !

١٢ ـ الوان فولكلورية من وادي الفرات

من أبرز صفات الاديب الباحث الاستاذ عبد القادر عياش ، المحامـي المعروف في دير الزور وصاحب مجلة « صوت الفرات » وعضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب في الجمهورية العربية السورية ، الوفاء لكل ربع من ربوع العروبة ، والتغني بموطنه الفرات وتخليده بالوان فولكلورية صور فيها موضوعات محلية طريفـة قد لا تخطر ببال باحث او حامل قلم . فارخ الاستاذ عياش للمصيبة في حياة العرب وللطير في حياتنا وتراثنا وللتبغ في حيـــاة الناس وللغزل في الفرات ، وللالعاب الاهلية في دير الزور وللمآكل والمشارب .. حتى الملح والخبز والآنية ومؤونة البيت جاء الاستاذ عبد القادر في حديثه عنها !

والواقع ان الاستاذ عياشا خلع على خزانة ادبنا المعاصر موسوعة ذات الوان فولكلورية طريفة خليقة بتقدير الدارسين واطراء الباحثين.

عمان ـ الاردن البدوي الملثم

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

في كل مناسبة سعيدة خير هدية تقدمها :

الحرب العالمية الثانية

موضوعات يعالجهـا الكتاب بجزئيه

● «هتلر» من النشأة الوضيعة الى الذروة

● دور الصفحات في الحرب الحديثة

● الحرب في الجبهات الاوربية كافة

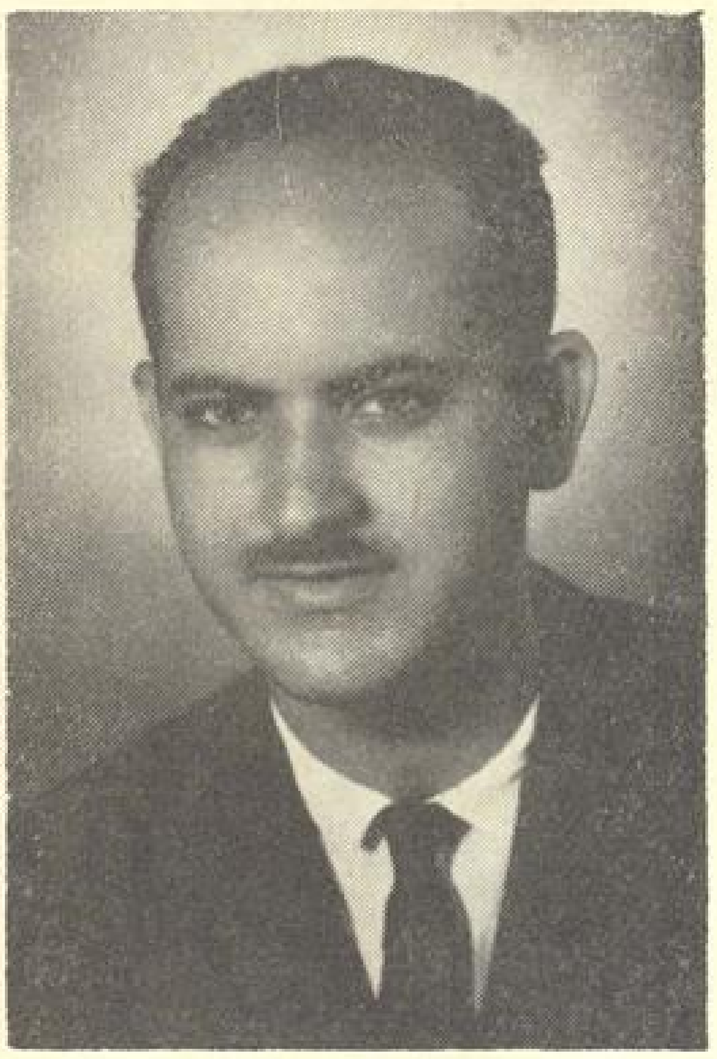
● الحرب في الشرق الاقصى

● الحرب في شمالي افريقيا والبلاد العربية

● الحرب البحرية

الجزءان بسعر ١٠٠ ليرة لبنانية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



مصطفى عبد الواحد

طلائع الدراسات العربية للعاطفة

بقلم مصطفى عبد الواحد
ماجستير في الادب والنقد

* * *

متى كتبت اول دراسة عربية في موضوع العاطفة ؟ وعن اي اتجاه صدرت ؟ أهو الاتجاه الادبي أم الفلسفي أم الصوفي ؟ اسئلة تطيف بذهن الباحث حين يستطلع هذا الجانب في تراثنا الادبي ولا يجد في ذلك اجابات قاطعة بالتحديد ، وعليه ان يجتهد ما وسعه الاجتهاد ، ليصل الى ظن يقترب من الحقيقة ويمت الى الصواب .

واول ما يمكن الباحث ان يسجله في هذا الصدد ان اخبار العشق واشعاره قد عرفت طريقها الى اذهان الرواة وصدورهم وبلغت مكانة سامية في المجالس والاندية منذ عصر بعيد يسبق عصر التدوين والدراسة الذي بدأ في العصر العباسي الاول ، اذ كانت قصص العشاق واشعارهم تحتل المكانة الاولى في مجالس السمر وفي اندية الادب ومجامعه ، سواء في ذلك القصص الواقعي والقصص الاسطوري والمصنوع .

فأخبار مجنون ليلى وقيس بن ذريح وعروة بن حزام قد تنوقلت في الامصار والبوادي واشتهرت بين الناس ، واضيف اليها على مدى السنين ما صنع منها قصصا مفجعة ذات وقائع واحداث وروي معها من الشعر ما يجعل لها طابع التأثير مما يسجل ما تحويه من مشاعر وما تصنعه من آلام .

هذا الى اخبار الشعراء المشهورين بالعشق ممن كان لهم وجود واقعي واخبار ثابتة ، مثل جميل بن معمر وكثير وذي الرمة وتوبة بن الحمير والعباس بن الاحنف ، وتلك ايضا نالت من عناية الرواة واهتمامهم ما جعلها تشيع في الانحاء وتعرف طريقها الى مجالس الخلفاء والوزراء ومجامع السمر واندية الادب . لكن رواية هذه الاخبار والاشعار والسمر حولها لا يعتبر من قبيل الدراسة ، بل هو نوع من الاحتفال بها يدل على منزلتها في المجتمع وسدها لحاجة ادبية فيه .

ويمكن القول ان كلمة الدراسة والبحث او السعي وراء التعريف واكتناه الحقيقة والوصول الى الاقسام والانواع وما الى ذلك ، لم يعرف طريقه الى المجتمع العربي الا مع حركة التدوين وبعد ان انتهت مرحلة الترجمة ، وبعد ان عرف العرب قواعد المنطق واصول البحث العلمي ومبادىء الفلسفة اليونانية ، وذلك في العصر العباسي الاول ، وبالتحديد في عصر المأمون وما تلاه ، وقد بدأت مرحلة الترجمة الحقيقية في صدر الدولة العباسية على يدي الخليفة الثاني ابي جعفر المنصور « فكان رحمه الله مع براعته في الفقه مقدما في علم الفلسفة ، وخاصة في علم صناعة النجوم ، كلفا بها وبأهلها (١) » .

وقد اكمل الخليفة العباسي السابع عبد الله بن المأمون بن الرشيد ، ما بدأه جده المنصور ، « فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ، فداخل ملوك الروم واتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب افلاطون وارسطاليس وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة ، فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم باحكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما امكن ، ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم في تعلمها فنفقت سوق العلم في زمانه وقامت دولة الحكم في عصره (٢) » .

ويمكننا بعد ذلك ان نتصور ان العاطفة قد اصبحت موضع دراسة من ذلك الحين على طريقة الادباء والحكماء ، أي من خلال منظار الادب والفلسفة ، فكانت المادة التي يدرس فيها مادة ادبية هي الاشعار والاخبار الادبية ، وكان المنهج الذي يعالج به منهجا علميا منطقيا يبحث عن الحقيقة وينزع الى التقسيم والتحليل . ولا شك ان البحث بدأ أول ما بدأ في المجالس والمناظرات في محاولة للوصول الى حقيقة العاطفة واستكناه أسرارها ، وتلك هي المرحلة الطبيعية لبداية البحث في اي علم او فن ، ان يولد في صورة مناقشات وخواطر وبأسلوب المناظرة والجدل . ولدينا على ذلك دليلان يصوران كيف بدأ البحث في مجالس الخلفاء واندية الادباء في فهم حقيقة العشق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومحاولة تعريفه على طريقة المنطق ليتميز ويتضح :

اولهما : ما رواه السراج في كتابه « مصارع العشاق » ان المأمون سأل يحيى بن اكثم في مجلسه عن العشق فقال يحيى : « هو سوانح تسنح للمرء فيهتم بها قلبه وتؤثرها نفسه » . وكان في المجلس ثمامة بن اشرس فقال ليحيى : اسكت يا يحيى انما عليك ان تجيب في مسألة طلاق او في محرم صاد ظبيا او قتل نملة ! فأما هذه فمسائلنا نحن .

فقال له المأمون : قل يا ثمامة ما العشق ؟ فقال : « العشق جليس ممتع واليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جائزة ، ملك الابدان وارواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآرائها ، واعطى عنان طاعتها وقود تصرفها ، توارى عن الابصار مدخله وعمى في القلوب مسلكه » .

فقال له المأمون : احسنت والله يا ثمامة ، وامر له بألف دينار (٣) .

وهذا الشاهد ذو دلالة على نشأة البحث في موضوع العشق وتناوله في الفكر الاسلامي ، حيث يصور لنا انه الى عهد المأمون لم يكن هناك تعريف قاطع ولا اتفاق على تحديد معنى هذه العاطفة . فيحيى ابن اكثم الفقيه يحكم على تلك العاطفة حكما موجزا لا يلتفت فيه الى قيم جمالية ، بل يلحق العشق بالوساوس والاوهام ويبتعد عن تعريف الحقيقة ، فلا يرتضى ثمامة بن اشرس هذا التعريف ، وقد كان ثمامة من متكلمي المعتزلة وقد درس الفلسفة وجرى على طريقة الحكماء ، ويرى أن هذا الموضوع ليس من مسائل الفقهاء بل من مسائل الادباء والحكماء ، فيعرف العشق عن طريق وصف مظاهره واستعراض احواله وتحليل اسبابه ، ويرجع به الى اسرار النفوس وتشاكلها وما يصدر عنها من شعور وانبعاث ، وقد رضي المأمون عن هذا التعريف واجازه عليه .

والشاهد الثاني يرويه لنا المسعودي في مروج الذهب (٤) ، عن مجلس يحيى بن خالد البرمكي ، وهو من وزراء الرشيد ، وفي هذا المجلس اجتمع ثلاثة عشر رجلا يمثلون جوانب الفكر الاسلامي في ذلك الحين ، ففيهم المتكلم والفيلسوف والاديب والفقيه والموبذ ـ الذي يصور الفكر الفارسي ـ وهؤلاء الثلاثة عشر رجلا كما سماهم المسعودي في روايته هم :

١ ـ علي بن الهيثم ـ وكان من متكلمي الشيعة الامامية .

٢ ـ ابو مالك الحضرمي ، وهو من الخوارج الشراة .

٣ ـ محمد بن الهذيل العلاف ، وكان شيخ معتزلة البصرة .

٤ ـ هشام بن الحكم الكوفي ، شيخ الامامية في وقته .

٥ ـ ابراهيم بن سيار النظام ، وهو من كبار المعتزلة .

٦ ـ علي بن منصور ، من الشيعة الامامية ، وهو صاحب هشام بن الحكم .

٧ ـ معتمر بن سليمان ، من المعتزلة .

٨ ـ بشر بن المعتمر ، وهو شيخ المعتزلة البغداديين .

٩ ـ تمامة بن اشرس ، من المعتزلة .

١٠ ـ السكالي ، من الامامية .

١١ ـ الصباح بن الوليد ، من المرجئة .

١٢ ـ ابراهيم بن مالك ، متفقه البصريين ، وكان جدلا لا يعرف له مذهب .

١٣ ـ الموبذ ، قاضي المجوس .

ويرى المستشرق جوستاف فون جرنباوم ان اجتماع هؤلاء معا كاد ان يكون ضربا من الاساطير . ولكني لا أرى في اجتماعهم في مجلس يحيى البرمكي غرابة ، فالعصر العباسي الاول كان عصر احتكاك الآراء وتجاذب الثقافات ، وكان يموج بالاتجاهات الدينية والادبية والفلسفية ، وكان أصحاب كل اتجاه حريصين على تحديد مواقفهم تجاه الحقائق واظهار براعتهم في معالجة القضايا التي يشتغل بها الادباء والمفكرون . وفي هذا المجلس قدم هؤلاء الفقهاء والعلماء تعريفات للعشق وملاحظات تدور حول ما اهتدى اليه الفكر العربي بعد التأمل في حقيقة هذه العاطفة وما يحكمها من قوانين .

فعن حقيقة العشق يقول ثمامة بن الاشرس : « وينبعث من تجانس الارواح نور ساطع تهتز لاشراقه طبائع الحياة ، فيصير من ذلك اللمح نور خاص لاصق بالنفس متصل بجوهريتها يسمى عشقا » .

ويقول الموبذ : « العشق نار تتارجج في تامور القلوب » .

ويقول معتمر بن سليمان : « العشق نتيجة المشاكلة وغرس المشابة » .

ويقول ابو مالك الحضرمي : « الحب اخفى واحر من الجمر » .

وفي بيان سببه يقول علي بن الهيثم : « ولا يكون الا بازدواج النفسين وامتزاج الشكلين ، وهو دليل على تمازج الروحين » .

ويقول هشام بن الحكم : « ولا يكون الا من اعتدال في الصورة وتكافؤ في الطريقة وملاءمة في الهمة » .

ويقول السكال : « وليد المسامحة وعقيب المناسبة وشاهد على رحم التجانس » .

اما ابراهيم بن سيار النظام فيقول بأن الحب سحر ، بينما يرى علي بن الهيثم انه غير محدود .

وفي احكام العشق وخصائصه يرى هشام بن الحكم ان الحب يعقد اللسان الفصيح ، وان المحب يصبح عبدا

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٥٤ . (٢) طبقات الحكماء لابن أبي أصيبعة . (٣) مصارع العشاق ص ٣ . (٤) مروج الذهب طبعة باريس ٣٦٨/٦ . (٥) نشرت في مجموعة رسائل الجاحظ في القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ مطبعة التقدم ص ١٦٠ ـ ١٧٠ ، وعلى هامش الكامل سنة ١٣٢٣ وفي رسائل السندوبي . (٦) رسائل الجاحظ ١٦١ . (٧) ص ١٦٢ . (٨) ص ١٦٣ . (٩) رسائل الجاحظ ص ١٦٦ (١٠) انظر تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٧٢ . (١١) الزهرة ص ٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مملوكا ويخضع لمحبوبه .

ويرى ابراهيم بن سيار النظام ان المحب يعاني اللوعة والارق ، صومه البلوى وافطاره الشكوى ، بينما يرى معتمر بن سليمان ان المحب يعاني الفراق او خوف الوشاة، وبشر بن المعتمر يرى انه يعاني من الاماني والاطماع.

وقد رأى النظام وعلي بن منصور ان الحب لا ينفع فيه علاج . ويرى محمد بن الهذيل العلاف وهشام بن الحكم ان الحب يرتبط بالموت .

وايا كانت قيمة هذه الآراء والمناقشات التي دارت في مجلس يحيى البرمكي بين هؤلاء الرجال الذين يمثلون جوانب الثقافة الاسلامية فان لها دلالتها على اهتمام الفكر الاسلامي بتحديد موقفه من العاطفة ومحاولته استكناه حقيقتها وضبطها بقواعد ومبادىء .

فاذا طوينا صفحة الجدل والنقاش الذي دار حول هذا الموضوع في صدر الدولة العباسية ، فان بحثنا يتجه الى اول كتابة خصصت لموضوع العشق تدرسه وتعالج اسبابه . وهنا لا نجد فيما وصل الينا من تراث غير رسالة الجاحظ في العشق وقد ولد الجاحظ بالبصرة اوائل سنة ١٥٠ هـ وتوفى في شهر المحرم سنة ٢٥٥ هـ. وقد جعل الجاحظ عنوان رسالته هذه : « في العشق والنساء (٥) » .

وهي رسالة موجزة لا تتجاوز عدة صفحات ، يغلب عليها الطابع الانشائي ، ولم يتجاوز فيها الجاحظ ظاهر الملاحظات والوصف التقليدي لاحوال المحبين .

ويمكننا ان نعتبرها اول رسالة عربية افردت موضوع العشق بالحديث ولكننا لا نعتبرها دراسة للعشق العذري بخصائصه وقواعده وآدابه فهي الى وصف الظواهر الواقعة اقرب من استكناه الحقيقة وتحليل الخواطر . فهو يعرف العشق بانه « اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه حب ، وليس كل حب يسمى عشقا ، وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار ، كما ان السرف اسم لما زاد على المقدار الذي يسمى جورا (٦) ».

ومن ملاحظات الجاحظ الظاهرة : « فتأملنا شأن الدنيا فوجدنا اكبر نعيمها واكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطلبيه (٧) » . ومن ذلك انه لم يجد احدا ممن عشق والديه ولا ولده ولا من عشق مراكبه ونزله يموت كما رأيناهم يموتون من عشق النساء الحرام (٨) .

ويرى الجاحظ ان هناك رجلين من الناس لا يعشقان عشق الاعراب ، احدهما الفقير المدقع ، فان قلبه يشغل عن التوغل فيه وبلوغ اقصاه ، والملك الضخم الشأن ، لان في الرياسة الكبرى وفي جواز الامر ونفاذ النهي وفي ملك رقاب الامم ما يشغل شطر قوى العقل عن التوغل في الحب والاحتراق في العشق (٩) ثم يختم رسالته بالحديث عن الوصف الحسي للنساء .

وقد كان الجاحظ يتناول في رسائله كل ما يشغل الاذهان ويثير الجدل ، حتى اتهم بانه يمالىء كل اتجاه طلبا للتأثير وذيوع الصيت ، (١٠) وقد كان لديه القدرة على مدح الشيء وذمه ، كما فعل في كتابه المحاسن والاضداد ، ومن هنا فلا نظن انه صدر في رسالته في العشق عن ايمان بحقيقته او انفعال بعاطفة نحوه ، ولكنها معالجة ظاهرية لفظية ليس فيها تحليل ولا تعليل ، وليس فيها استشهاد ادبي يسجل موقف الشعر الاسلامي من هذه العاطفة .

والرسالة الثانية التي يمكن اعتبارها تالية لرسالة الجاحظ في التأليف او مصاحبته لها ، هي رسالة الكندي الفيلسوف الذي توفي اواخر سنة ٢٥٢هـ ، ومن المؤسف ان هذه الرسالة مفقودة لم يصل الينا الا اسمها في عداد كتب الكندي .. ولا شك انها كانت رسالة فلسفية لا أدبية ، تجمع اقاويل الحكماء ونظرات الفلاسفة . ولا نجد بين هاتين الرسالتين وبين كتاب « الزهرة » لمحمد بن داود الظاهري ، كتابا او رسالة اخرى تعالج موضوع العشق حسب ما بلغنا من تراث ، ولكن ابن داود الظاهري يشير في مقدمة كتابه « الزهرة » الى ان هناك من سبقه في التأليف في هذا الموضوع حيث يقول : « وقد رأيت كثيرا ممن ينسب نفسه الى الادب ، ويتحقق بتأليف الكتب قصد في مثل هذا الكتاب الى قصد يبعد به عندي من الصواب ، ابتدأ بذكر من عشق من المتقدمين حتى ارتقى الى ذكر بعض الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين . وذكر انهم كانوا من اتباع الهوى على حال لا يجوز ان يضاف مثلها اليهم » (١١) .

ومعنى ذلك ان هناك دراسات سبقت كتاب ابن داود ولم تصل الينا ، لعدم العناية بها لانصراف الناس عنها ، فلم تنل حظا من الانتشار في المجتمع او الذيوع بين الادباء .. ولهذا يمكننا القول ان كتاب « الزهرة » لمحمد بن داود الظاهري يعتبر اول دراسة عربية لموضوع العاطفة بقيت لنا ، وكل ما سبقه لا يرقى الى درجة الدراسة والبحث ، انما هو بالتمهيد والجمع اشبه . وبعد كتاب « الزهرة » نجد كتابا للخرائطي المتوفي سنة ٤٥٦ يجمع احاديث المحبة ، ولكنه يسير على طريقة الاخباريين وليس فيه تحليل ولا تعليل .

ثم يأتي كتاب ابن حزم « طوق الحمامة » وهو متأثر بكتاب « الزهرة » في كثير من الحقائق والمعاني وفي الترتيب الذي يساير الوقوع حالا فحالا . وبعد طوق الحمامة يأتي كتاب « مصارع العشاق » لجعفر بن احمد السراج ، وتلك هي طلائع الدراسات العربية في موضوع العاطفة ، تمثل اتجاهاتها وتصور منازعها ومنابعها ، وهي التي حددت الشكل الادبي الذي التزمه الفكر العربي في معالجته لتلك العاطفة .

القاهرة **مصطفى عبد الواحد**

الظل

مهداة الى م٠ أ

« كان صديقنا القديم ، الطائر الرفراف ، اذا ما وقع
ظله في الماء . حوم في ظله ليختطفه » .

★

على جفنيك من خبء الليالي ... منى عطشى وأطياف حيارى
وشيء كاد يرشفني أرتشافا ... وشيء كاد ينهرني انتهارا
تملاني فمتع بي شبابي ... وشتتني فسرحني شرارا
حكاية شعلة جذلى تلاشت ... على نار وأحيت منك نارا
ترنح بي الزمان فلست أدري ... ألحنا كنت ام كنت القرارا

علقت بجفنك العالي خيالا ... ، مجرحة جوارحه ، حرارى
يرى الدنيا عطاء ليس تعيا ... أناملـه ولا يفنى اخضرارا
يرنق في هبوب الشوق آنا ... وآنا رف رفته وطارا
سرى مسرى الرواء ، يذوب فيه ... حنين النفس ، ينصهر انصهارا

سكبتك سكب نشوان سخي ... يظن الناس كلهم سكارى
وأركن ، ان ركنت ، الى التمني ... وأشرب ان شربت ولا أجارى
تعتقت القوافي في الدوالي ... وشقت صورة الرؤيا الاطارا

على مهل ... تماسكت الدرارى ... بخصرك ، جل خصرك ان يدارى
جناح سحابة طويت وحلت ... ، وفصلت الرياح لها سوارا
وأنت الضوء كل الضوء حتى ... كأن الليل ما لمس النهارا

ازارك ان تحرك أو تلالى ... شددت بملء جفني الازارا
عقدت العروة الوثقى واني ... عقدت اللمح باللمح اختصارا
ونسج نسيجة حبكتها حبكا ... يد الاشراق والذمم العذارى
وهذا الشيب من وعث الليالي ... رماد الشمس يعتكر اعتكارا

سألت الورد : أين يقيم طيبا ... وكيف يفتق اللون افترارا
فقال الورد : عفوك ، أنت لوني ... وأنت الطيب ينتشر انتشارا
صفاء في صفاء ، كل ظل ... اذا اكتملت أشعته توارى

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شفيق المعلوف في شعره المترجم

بقلم وديع ديب

* * *



كنت يا أخي كلما اطل اديب مغترب أسارع الى لقياه وكأني بعض اهله . فقد بعث الادب المهجري في نفسي ، شوقا يغالبني ويدفع بي الى احترام ادبائه وموآخاة شعرائه .

فما ان سمعت بوصول الشاعر المبدع شفيق المعلوف (١) حتى اسرعت الى بيت والده الجليل الصديق الكريم الاديب عيسى المعلوف للسلام عليه وللتعرف به عيانا بعد ان عرفته من خلال رسائله الادبية الرائعة وقصائده المبدعة . وقد كان لقائي به مفصحا عما يجول في خاطرينا من وفاء متبادل . ولقد بادرني بهذا القول « اشكر لك هديتك اللطيفة « كتاب الشعر العربي في المهجر الاميركي » الذي سأقراه قراءة دقيقة ان شاء الله . ولسوف افيد من ملاحظاتك كما ارجو ان اوفق الى ابداء ملاحظات يمكنك ان تفيد بدورك منها » . فما زادني قوله هذا الا اعجابا واكبارا . ولعل المطلع على كتابي المشار اليه لا يزال يذكرانني تنبأت خلال تحدثي عن الشاعر الخالد المرحوم فوزي المعلوف بمستقبل باهر ينتظر اخاه شفيقا ، الذي قلت فيه بانه مرشح لدرجة الابداع بين شعراء المهجر الجنوبي . وانا انما قلت هذا استنادا لامرين، اولا فقد لاحظت وانا اتابع دراسة الشعر المهجري ، ان الكثير مما ينظمه شفيق يجيء شعرا مجنحا بالخيال اثيرا في النفس بما ينصهر في بوتقة حرفه من عواطف مشبوبة تدفعه دفع البخار شراعا خفيف الظل في رياح موآتية . والامر الثاني الذي حملني على التفاؤل بمستقبل هذا الشاعر هو انه متواضع والتواضع صفة ملازمة للعبقرية، وطبيعي ان الذكاء والكبرياء لا يجتمعان. ليس شيء ادل على ما اقول ، من قيامه بين الفينة والفينة ، بترجمات ادبية عن الآداب البرازيلية كما تشهد بذلك مجلة العصبة الاندلسية التي تصدر في سان باولو من اعمال البرازيل .

واذا فحديثي في هذه العجالة مقتصر على بعض هذه الترجمات وكم اتمنى لو كنت عالما باللغة البرتغالية التي ينقل عنها المترجم ليصح لي ان اقابل وان احكم .

بيد أن ذلك لا يمنعني من التنويه بهذا الفضل الذي يقوم به شفيق وامثاله من شعراء المهجر ، ففي عمل الترجمة هذه ، فائدة مزدوجة ، الاولى هي أنها تتيح لادبائنا الناشئين ان يطلعوا على معطيات الآداب الغربية . والثانية هي انها تكسب المترجم نفسه بيانا جديدا وتوسع من آفاق خياله .

مع العلم ان الكثير من شعر المعلوف وغيره من كبار شعرائنا في المهجر ، قد ترجم الى معظم اللغات العالمية الحية من امثال ابي ماضي والقروي وفرحات وفوزي المعلوف .

هذا وانك لتحس وانت تقرأ هذه المقاطع المترجمة أن ما تقراه عربي اللسان والبيان ولولا تنبيه سابق لما شعرت بأن ما تقراه منقول عن لسان اخر .

لست هنا في موقف يسمح لي بالنقد ، ولست هنا في موقف يسمح لي بالمقابلة بين ترجمة واصل وبين ترجمة وترجمة . الا انني ساعرض لك بعض هذه المقاطع متناسيا ان لها اصلا اجنبيا في حين انك لا تلاحظ فيما سوف تقرأ ان هناك همسا غير عربي . ومرد ذلك عائد في الارجح الى الاجادة في النقل . اقول هذا وانا اعلم ما تعني الترجمة عن الشعر الاجنبي فقد حاولت ان اترجم في يوم من الايام بعض الروائع الشعرية عن اللغة الانكليزية فما افلحت بسوى واحدة هي مقطوعة « بن جونسن » التي يستهلها بقوله :

Drink to me only with thine eyes

هذا اذا صدق ظني وصح قول الناقدين . واذا فالترجمة ليست امرا يسيرا واقل ما تتطلبه منك هو ان تجيد لغتين بالاضافة الى وجود طاقة شعرية تمهد لك سبيل الابداع .

وامتع ما قرأت من هذه الترجمات تلك التي نقلها الشاعر شفيق عن نجله اسكندر الذي ولد شاعرا كابيه واعمامه فوزي ورياض وهل رأيت تواضعا يداني هذا التواضع في ان يترجم شاعر كبير لشاعر صغير ناشيء ، قد يكون هذا من قبيل التشجيع الذي يريده الوالد لولده ولكن هذا لا يمنع من ان نعد العمل بحد ذاته فضلا ورحابة صدر ، فقد جاء في بعض المراجع التاريخية ان العرب امتنعوا عن الترجمة من الشعر اليوناني لاعتقادهم انهم اهل الفصاحة والبيان وان الشعر لا ينبع في غير ارضهم .

اليك الان على سبيل المثال بعض هذه النماذج ، ومنها هذا المقطع للشاعر اولاغو بيلاك بموضوع « لعنة »

أساي لعمر يمر جزافا	وحب يموت ولم يولد
فحبك خادعت نفسي به	فطال الزمان ولم اسعد
فلما ضللت طريق طموحي	وضيعت بين يديك غدي
لعنتك لعنة من نال منه	أذاك وان كنت لم تقصدي
وقد كنت أنحت تمثال مجدي	فحطمته وقطعت يدي

واليك بيتين بموضوع « الذكريات » نقلا عن الشاعر الفريدو دي اسيس :

(١) القي هذا الحديث في كلية بيروت للبنات على اثر صدور الكتاب سنة ١٩٥٥ ، ولم ينشر .

تجربة الناس

من بعد ما جربت بعض الناس ... أيقنت ان الصدق في افلاس
من بعد ما عاشرتهم وعرفتهم ... لم ألق غير مخادع دساس
وخبرتهم كم واحد في واحد ... والكل مثل البعض واتعاسي
أعرضت عنهم خائبا متألما ... من زمرة خلقت بلا احساس
وضحكت لا من فرحتي لكنما ... من لوعتي وهزئت بالانجاس
أين الصديق وأين فارج كربتي ... وملازمي في الهم وهو مؤاسي
لا لم أجده دائما في جانبي ... وانكبتي في الصب والجلاس
أين الذين أحبهم وأودهم ... هل أصبحوا رمسا من الارماس
أم انهم قد غيروا أطباعهم ... وغدوا ككل الناس .. بين الناس
أنا شاعر تصف الجمال يراعتي ... وأذبت نور العين في القرطاس
فالشعر عندي متعة علوية ... بل انه عرس من الاعراس
من كل قافية أنا أطلقتها ... في الشعر نبراسا على نبراس
وأحس بالشيء البديع يهزني ... ويثير في كوامن الاحساس
يا ليتني ما كنت يوما شاعرا ... يا ليتني ما كنت بالحساس
عندي الصراحة خلقة وطبيعة ... والخبث كم منه الصريح يقاسي
ما همني قول الورى وخداعهم ... نزهت نفسي عن ذوي الارجاس
وأغض طرفي لا أصانع مثلهم ... لا ليس تلك طبائعي ومراسي
حاولت أن انسى مرارة خيبتي ... لكنني ما كنت ذاك الناسي
وغدوت أرغب أن أعيش وانطوي ... وحدي على نفسي.. ليسلم رأيي

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت بالذكريات ازدحمن ... على الصدر مختلجات الجناح
حمامات برج توارت وعادت ... الى البوح مثخنة بالجراح

وهنا انشودة صغيرة بموضوع « منزل الاباء » للشاعر البرازيلي كاسترو الفيس :

أيا منزل الآباء أصبحت خاليا ... وقد كنت في ثوب من الزهو فضفاض
خلوت لكل الناس الا لناظري ... وآنست عودي رغم هجري واعراضي
فاطلع لي خاليك اطياف من مضوا ... باسرع من فتحي لجفني واغماضي
وحدث فيك الصمت قلبي مرددا ... علي اماني الخوالي واعراضي
تفر لخطوي الذكريات كزمرة ... من الطير قد اجفلن من بين انقاض
فتعبر بي لمسا باطراف ريشها ... وترتد عني عائدات الى الماضي

ولعل أروع ما تقرأ من هذه الترجمات المقطوعة التالية للشاعر لويس دي فونسكا . ذلك لما في هذه الابيات من تسام روحي :

الا دع يد الآمال تلقي ذرورها ... على قلبك المجروح مسكا مطيبا
وكن مثل قلب الارض لو لم يفتحوا ... به الجرح فوق الجرح ماكان اخصبا
وكن كقضاء الله ان يرشق الورى ... حجارتهم لم يبلغوا منه مأربا

لقد كنت ارغب بأن ازيدك من هذه الروائع لولا انني انتظر لك صدور كتاب من هذه الترجمات المختارة بعنوان « على سندان الخليل » بمعنى ان المترجم افرغ تلك المعاني الشعرية المنقولة في قوالب من صنع الخليل بن احمد واضع اوزان الشعر العربي ذلك ما حدثني به صديقي المغترب الشاعر شفيق المعلوف .

لن اطيل الحديث عليك ، وما عساك ان تسمع مني في وقت لا يتجاوز الدقائق القليلة الا انني اود ان الفت نظرك الى خاصية بارزة في شعر صاحب عبقر . هذا الشاعر الذي احيا تراثنا الاسطوري في « عبقره » وعبقريته . وهي خاصية التحليق المصعد بحيث يرتفع الشاعر ويرتفع ليحط اخيرا على قمة عالية ثم لا يلبث ان يشارف منها ذروة ثانية فيطير اليها في عزم امض واندفاع أشد . اليك على سبيل المثال هذه القطعة التالية وهي من وضعه الخاص انقلها اليك عن ديوانه الجديد « لكل زهرة عبير » على ان تكون مسك الختام وهي في موضوع « حاطمة الكأس » حيث يقول :

غفت ورقات الحور والنهر انتشى ... وكنا عليه عصبة حول منشد
تخالسني احدى الملاح لحاظها ... ويشغلني عنها هتاف المجود
وتشغلني كاس اذا ما رشفتها ... تبش فتلهيني عن الامس والغد
فعضت لماها كبرياء وحطمت ... بقبضتها كاسي بسخط المعربد
ومدت الي الكف ينزف جرحها ... على ما تشظى من حطام مبدد
وقالت تجاهل يا شقي صبابتي ... وما شئت امعن في الجهالة وازدد
فمن لا يرى في مقلتي ما بمهجتي ... حملت اليه جرح قلبي على يدي

وديع ديب

كل يتحدث عن فاتنة . فاتنة التي تنتقل من زوج الى زوج ومن حب الى حب دون ان تكترث لاحد او لكلام الناس او لما ينجم عن عملها من النتائج . الرجال يتحدثون عن جمالها وعما له من تأثير بالغ في القلوب . والنساء يثرثرن بحكايات مختلفة عن افعالها الغريبة الشاذة.

وجارتاها فدوى وسعاد من هؤلاءالمتحدثات . تركتا الاعمال المنزلية ، واهملتا اولادهما الصغار، وتجاهلتا ما القي على عاتقهما من واجب العناية بهم ، واخذتا تحللان شخصية **تلك المرأة الطائشة** فاتنة.

قالت سعاد لفدوى في عبوس وسخط :

ـ لست ادري متى تستقر فاتنة وتقنع بزوج واحد تخلص له ولاولادها التي رزقتهم معه . انها كطائر الربيع تنتقل من غصن مورق مزهر الى غصن يماثله ومن حديقة الى اخرى .

(ما ابدع حظها ! ان الشبان متدلهون في حبها . لقد فتنت عقولهم برشاقة قوامها وجمال وجهها وحيوية حركاتها . وهي متكبرة عليهم تدوس بقدمها الصغيرة كرامتهم ، وتتصام عن تأوهاتهم ، وتتعامى عن تضرعات نظراتهم . هنيئا لها حظها !)

وقالت فدوى بلسان طلق :

ـ انها امرأة لعوب كأنها لا تزال فتاة صغيرة السن وكأنها لم تتزوج وترزق اولادا لست ادري لم لم يقفها والداها عند حدها . الا يستطيعان أن ينصحاها ويرشداها؟ أليس هناك وازع لها من دين او خلق ؟ انها على كل حال دمثة حلوة المعشر تنكت في قولها وتستولي على من يستمع اليها ببراعتها في الحديث وبما يمتاز به صوتها من رنة عذبة اخاذة .

(لن أنسى انها اقرضتني مرارا مبالغ ضخمة من مالها وصبرت علي سنين طوالا حتى قضيت لها ما علي من دين . لا شك انها امرأة كريمة وصديقة وفية . ان مجلسها لا يمل ، وحديثها يلهي الذهن ويرفه عن النفس) .

فزوت سعاد ما بين عينيها ، وقالت بنغمة ثائرة :

ـ لعنها الله ، ولعن حديثها ونكتها ! لست ادري كيف يطيب للنساء الاستماع الى حديثها ولا كيف يستسفن نكتها . انها ثرثارة تنطق بما يعن في ذهنها وبما يخطر في بالها . ما أغبى الرجال الذين يحومون حولها ويثنون على جمالها الموهوم ! الحق انها مجردة من المفاتن التي يدعون انها تمتاز بها على غيرها من النساء .

(ان عينيها الواسعتين لا مثيل لهما ، فان فيهما من التعابير الفاتنة الصامتة ما يذهل عقول الرجال ويثير الحس في قلوب النساء . وعنقها الطويلة الناصعة البياض الملساء البشرة تجمع بين درجة رفيعة من الحسن ودرجة سامية من الوجاهة) .

فابتسمت فدوى ابتسامة مخطئة ، وقالت بنغمة مؤكدة :

ـ فاتنة ! لا ، لا . انها تملك من آيات الجمال ما يكفي لتوزيعه على اربع نساء دميمات حتى يصرن جميلات . نعم ، انها طائشة وغير مخلصة في الحب ولكنها فاتنة كاسمها . ولو لم تكن كذلك لما وقع في هواها ثلاثة رجال فتزوجوها واحدا بعد الاخر ، فضلا عن اولئك الرجال الذين اعجبوا بها وعشقوها ولكنهم فشلوا في اجتذاب قلبها اليهم والتزوج بها .

(ان من جملتهم اخي . لقد تدله في هواها وتمنى لو انه اتخذها زوجة له . وقد فاتحت فاتنة بذلك ، وحاولت ان اقنعها بأنها ان تزوجت اخي عاشت معه في سعادة وهناء ، ولكنها اعتذرت عن عدم رغبتها في التزوج به لانها لم تشعر بحب نحوه) .

فامسكت سعاد خصريها بيديها ، وقالت بنغمة مغتاظة مهاجمة :

ـ الا تدرين ان البقال سليما ندم على تزوجه بها ؟ لقد اعترف لصديق له انه لم يرتكب في حياته خطأ كذلك الخطأ الذي ارتكبه حينما تزوج فاتنة .

ثم واصلت كلامها هامسة :

ـ انها خائنة . لقد خانته مع الاستاذ مدحت الذي كان يقيم في دار مجاورة للدار التي كان يقيم فيها البقال سليم مع فاتنة . وهذا هو الذي حفزه على تطليقها والاستراحة من همها . ومن شدة نفوره منها ومن النساء الجميلات تزوج بفتاة دميمة لكيلا تخونه كما خانته فاتنة .

(لقد قالت لي احدى صديقاتي انه ندم على اسراعه بتطليق زوجته اذ كان يحبها على الرغم من خيانتها له ، وانه لم ينفصل عنها الا ليضع حدا لعلاقتها الآثمة ، وليتخلص من تلميح الرجال الى تلك العلاقة بحضوره ، ومما جلبته اليه من عار) .

فقهقهت فدوى حتى اهتزت كتفاها ثم قالت :

ـ ليس ذلك من المعقول . انها اشاعة . لا تصدقي كل ما يقال عن فاتنة . انني اعرفها كل المعرفة .

الحقيقة والمجتمع

بقلم عبد الحميد الانشاصي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاتنة امرأة طموح . ان سليما البقال لم يكن منسجما معها في الحياة الزوجية ، ولم يفهمها على حقيقتها ويقدر ما تمتاز به من جاذبية وجمال . فتركته وعلقت بشاب مثقف وهو الاستاذ مدحت . اما انها خانت زوجها مع الاستاذ مدحت فذلك ما لا يصدق .

(لقد سمعت من نساء كثيرات ان فاتنة اعجبت بالاستاذ مدحت وبادلته حبا بحب وهي لا تزال زوجة البقال سليم . وان يكن ؟ كثيرا ما تتزوج الفتاة رجلا تظن انها تحبه ، وبعد عدة سنوات يتبين لها انها لا تميل اليه . والحب شيء ليس في استطاعة المرأة الحساسة ان تتجاهله في سبيل الاحتفاظ بالامانة الزوجية والاخلاص لرجل لا تميل اليه . ان كثيرات من النساء ينفصلن عن ازواجهن ويتزوجن رجالا اخرين) .

مالت سعاد برأسها الى ناحية ، وقالت وهي تنظر بعينين سبلاوين :

ـ والدكتور بسام زوجها الثالث؟ ما قولك فيه ؟ هل التقته مصادفة ؟ كيف ضحت بالاستاذ مدحت وباودلاها منه وتزوجت الدكتور بساما كما ضحت من قبل بالبقال سليم وباولادها منه وتزوجت بالاستاذ مدحت ؟ أليست فاتنة شبيهة بامرأة ساقطة ؟ انها تنتقل من شاب الى أخر . تحب رجلا بضع سنين ، ثم تنبذه وتعلق برجل اخر . تحب ثم تبغض ، وتحب ثم تبغض . هل هذا كله حب ؟انه خداع وغش . وهكذا تفعل النساء الساقطات . طباعها كطباعهن نماما . ولست ادري كيف يقع الرجال في هواها ويؤثرونها على غيرها من النساء وان كن اروع منها جمالا وامتن خلقا .

(ما ابدع حظها ! وما احسن طالعها ! انها سيئة السلوك تغش وتخدع ومع ذلك يستقبلها الرجال بالحب والتضحية . ان كثيرات من النساء يتمنين ان تكون حظوظهن كحظها . هذه اعظم نعمة تنعم بها امرأة . لقد كنت وانا صغيرة اكثر منها فتنة وحسنا ومع ذلك فان الرجال لم يقبلوا علي ولم اتزوج الا في سنة متأخرة) ..

فابتسمت فدوى في رقة ، ووضعت يدها على فخذ صديقتها ، والقت عليها نظرة تستمهلها في الحكم على فاتنة ، وقالت في هدوء :

ـ مسكينة فاتنة ! كل الناس ينتقدون افعالها وسلوكها . انها بريئة مما توصم به من الخيانة والغش والخداع . قلبها طيب وطويتها سليمة ، ولكنها غير مفهومة . ان قلبها الرقيق شديد الحساسية فهي دائما في قلق وعدم رضى عن نفسها . انها دائما تبحث عن الرجل الذي يلائمها لتتخذه زوجا . هذا هدفها . انها امرأة طموح كما قلت لك وهي لا تطمح الى ان تتزوج رجلا ذا جاه ومال ونفوذ. كلا . ان رجلا من هذا القبيل لا يرضيها ولا يشبع رغائب نفسها ، بل الرجل الذي يرضيها هو الذي يفهمها على حقيقتها ويعرف كيف يداعبها ويتحبب اليها ويجتذبها اليه بكلامه وسلوكه .

(لعل الكشف عن محاسن جسمها ، وبث الحركات الراقصة في مشيتها ، واشباع حديثها بالصراحة ، والنغمات الموسيقيات هي التي توهم بعض الرجال والنساء أنها شبيهة بامرأة ساقطة . لا شك ان هذا ظلم يوقعونه بها . انها تحاول بذلك ان تدخل السرور على قلوب الرجال ، وتلقي دروسا من الفتنة والجاذبية على غيرها من النساء) .

فأطلقت سعاد ضحكة جافة ساخرة وقالت :

ـ ومن هي حتى تختار شابا راقيا زوجا لها بعد ان تنبذ زوجا سابقا ؟ هل هي واسعة الاطلاع غزيرة الثقافة ذكية نابغة ؟ من هي ؟ هل هي ملكة الجمال في العالم ؟ انها امرأة على حظ ضئيل من الثقافة والاطلاع. لا مذهب لها ولا مميزات. متصنعة في حديثها وحركاتها ومشيتها ولباسها وجلوسها وفي كل شيء . كل ما فيها صناعي ، وكل ما تأتيه صناعي . فما قيمة تلك المرأة السخيفة ؟ انها لا تساوي في نظري فلسا واحدا . ليس من حقها ان تنبذ استاذ مدرسة او حتى بقالا . ليس من المستبعد ان تنبذ غدا الطبيب زوجها الحالي ، فقد تؤثر عليه رجلا اكثر منه ثروة. ان طموحها هذا لا بد ان يوردها مورد الهلاك .

(لا شك ان المرأة بجاذبيتها ، فقد يفضل الرجل امرأة متوسطة الجمال ذات جاذبية لا تملك من المواهب شيئا على امرأة رائعة الجمال تتمتع ببعض المواهب ولا جاذبية لها . قد يحدث عضو واحد يمتاز بجاذبية غريبة في وجه امرأة او جسمها ـ من التأثير في قلوب الرجال ما لا تحدثه اعضاء كثيرة ذات جمال اخاذ في وجه المرأة او جسمها . ولا ريب ان فاتنة من اولئك النساء اللواتي يمتزن باعضاء قليلة تخلب عقول الرجال بجاذبيتها لا بجمالها . ليس في العالم رجل يستطيع ان يطيل النظر الى عينيها دون ان يقع في هواها في الحال).

« اصوات من الخارج : هه ! ها قد اقبلت فاتنة . فاتنة الرجال وقاهرة النساء . انظر الى قوامها كيف يتلوى كأنها ترقص على الحان خفية . انظر الى قدميها كيف تنقران الارض بكعبي حذائها نقرا موسيقيا كأنها تعزف باناملها على ضلوع البيانو . ـ ما لنا ولها يا اخي ؟ دعك منها . انها فاجرة . انها تبحث عن زوج جديد كعادتها . ـ انظر يا اسماعيل . الا ترى ؟ آه! تلك العينان العميقتان الساحرتان . لونهما غريب لا عهد للناس بمثله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومع ذلك فهو اجمل من جميع الالوان . ان كان للسحر لون فهو لون عينيها . الا تريدين ان تتخذيني زوجا لك ؟ ـ اسكت يا احمد لئلا تسمعك . انك متزوج ولك اولاد . حرام عليك ! ـ لقد انستني زوجتي تلك الفاتنة الساحرة . لا رغبة لي في النظر الى شيء سوى عينيها . آه ! لقد مرت بي وحرمتني التحديق اليهما. ـ ما هذا الجمال ؟ الا ترى يا سميح ؟ هنيئا لزوجها تلك المرأة ! انها اهل لان يتزوجها طبيب . هما متلائمان . ذاك يعالج الاجسام ، وتلك تعالج النفوس . ـ كل ينظر اليها ـ في اعجاب وذهول . وهي لا تنظر الى احد كأن الناس لا قيمة لهم في نظرها . ـ هذه هي التي عبثت بعقول الرجال . خدعت بقالا واستاذ مدرسة ، واستولت على عقل طبيب واخضعته لارادتها. انك لن تخدعيني كما خدعت اولئك الرجال ، فقد رأيت كثيرات من امثالك فلم يسحرني جمالهن . لا بد ان ينتبه الطبيب لنفسه فيما بعد وينبذك كما نبذت زوجين من قبله . ـ ما اجمل هذا القوام ! ان الرجال الذين وقعوا في حبك معذورون . اي رجل يراك ولا يخضع لجمالك ؟ ـ هذه المرأة مجرمة . انها لا ترحم زوجها ولا اولادها . لا تكترث الا لنفسها . انها انانية فاجرة . لو كنت زوجك لقتلتك وارحت الناس من شرك » .

« اعترافات فاتنة لصديقة لها : انني لا اطيق ان ارى صديقتي سهير ـ زميلتي في الدراسة وتربي في ملاعب الحي في صغري ـ تصبح زوجة رجل ثري يملك عمارات عديدة واراضي واسعة ، وتروح وتغدو في سيارة خاصة انيقة وتسكن منزلا عصريا رحبا فخما . بينما أظل انا امرأة عادية قانعة بزوجي البقال . لقد فخرت سهير مرة امامي بمنزلها واملاكها وسيارتها وخدمها . حتى ثيابها عدتها من نوع غير ذاك الذي ترتديه النساء الاخريات . ثمنها اغلى ، والخياطة التي فصلتها ارقى ، وطرازها احدث . وكانت نغمة حديثها مشبعة بالترفع والامتياز والوجاهة ، واشاراتها يمازجها أنف وكبرياء . كدت انفجر غيظا من سلوك تلك المراة وتصرفها . وعجبت كيف ان الزمان رفعها الى درجة من الرفاهة والعز والنعيم ليست لها اهلا . فهي لا تمتاز علي بجمال ولا ذكاء ولا محتد . اثار في الغيرة ان ارى صديقتي وزميلتي توفق في زواجها واظل انا راضية بحظي من هذه الحياة . كانت تنظر الي من برج كبريائها وترفعها كأنني احدى خادماتها او كأنها تعاشرني من حين الى اخر عطفا علي وتنازلا منها . لذلك صممت ان ابلغ ما بلغته صديقتي من عز وثراء . اعتزمت ان ابذل اقصى ما اقدر عليه من جهد في سبيل ذلك حتى احقق آمالي وافوز ببغيتي . نبذت زوجي البقال . تخلصت من رجل جرتني حرفته العامية الى درجة لا ارضاها من البساطة والقذارة والجهل . طمحت الى زوج يرفعني لايخفضني. وبعد سعي متواصل وجهد شديد تمكنت من العثور على زوجي الاستاذ . انه ارقى من البقال عقلا ويمتاز عليه بما حصله من الوان الثقافة . وهو فضلا عن ذلك يرتدي ثيابا انيقة ونظيفة ويضع على انفه نظارة اطارها من ذهب ويحدثني عن السياسة والادب من شعر وقصص ويصف لي البلاد العربية والاجنبية التي زارها والناس الذين عاشرهم في حياته . وليس كالبقال الذي لم يحدثني عن شيء سوى الارز واسعاره والعملاء الذين لم يفوا بديونهم له والخسائر التي لحقت به في اول عهده بمهنته . وصرت اخرج مع زوجي الاستاذ الى دور السينما بعد ان كنت الزم بيتي ، بينما يقضي البقال اوقات راحته في القهوات ولا يعود الي الا في ساعة متأخرة من الليل . ومع ذلك فان زوجي الاستاذ لم يحقق مطامحي فقد كان على سعة عقله وغزارة ثقافته لا يملك سيارة خاصة ولا يملك منزلا فخما . كنت اقطن معه في منزل مستأجر ، ونستعمل في تنقلاتنا سيارات تاكسي . غير ان توفيقي في التخلص من زوجي البقال والتزوج بالاستاذ شجعني على البحث عن رجل يجمع بين الرقي الذهني وكثرة الاموال . وبعد محاولات فاشلة استطعت اخيرا ان أحقق امنيتي بتزوجي بالدكتور بسام . انه طبيب بارع في الجراحة ووصف الادوية . بلغت شهرته آذان المرضى وغير المرضى ، وقد جمع ثروة طائلة من مزاولة الطب . وله الان منزل فخم مع حديقة غناء واسعة وسيارة خاصة انيقة اركبها انا وهو في تنزهاتنا عند العصر وحينما نذهب الى دور السينما لمشاهدة الافلام الرائعة . وزوجي الطبيب مهذب الذوق يصور حديثه عن عقل واسع وتجربة صادقة في الحياة . وهو يعرف كيف يدخل السرور والمرح على قلبي ويشغلني عما يعكر صفو ذهني من هموم . يقولون ان الطبيب مشغول دائما بالمرضى ليلا ونهارا . ولا يتفرغ للجلوس مع زوجته ومحادثتها وقضاء ساعة هناء معها . ولكن زوجي الطبيب يخلق فرصا كثيرة لقضاء ساعات حلوة معي ، فلا أشعر بملل ولا سأم . وكلما اشتقت اليه اثناء غيابه عني توجهت الى مستوصفه حيث ارى المرضى الذين يحتاجون الى وصفاته الطبية فيسرني ان اراه منهمكا في فحصهم ووصف الادوية لهم . وهكذا حققت طموحي وبلغت درجة من السعادة لا تقل عن الدرجة التي بلغتها صديقتي سهير » .

(اصوات من الداخل : اختي !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أختي ! لا تتكبري علي . ان الحظ هو الذي ساعدك وجعلك تتزوجين ذلك المحامي الشهير كمالا . لقد اصبحت الان امراة ثرية تدلين بثروة زوجك وجاه زوجك وشهرة زوجك . هل نسيت اننا ابنتا ام واحدة ، واننا نشأنا معا واشتركنا في تناول طعام واحد وفي العمل والمبيت في منزل واحد ؟ عجب ! ما الذي جعلك تلقين علي تلك النظرة التي لا تلقيها الا امراة وجيهة على امراة وضيعة لا شأن لها ؟ انك لم تتزوجي ذلك الرجل الشهير ببراعتك ومميزاتك . ان ابتهاج صديقة امنا هي التي اختارتك زوجة لابن عمها المحامي الشهير . فعلت ذلك ارضاء لامنا . وأنا كما تعلمين اجمل منك واكثر جاذبية ولكنني اصغر منك سنا . فلم تجد امنا بدا من ان تزوجك انت بالمحامي الشهير لانك اكبر مني سنا وهي لا ترضى لك البوار . هذه هي الحقيقة التي لا شك فيها . اؤكد لك ان زوجك كمالا يؤثرني عليك . انه يحبني ويتمنى ان يتخذني زوجة بدلا منك. من نظراته النارية الخبيرة فهمت كل شيء . انه يكاد يلتهمني بعينيه اللامعتين الحركتين . لقد لاحظت ذلك في الليالي التي سهرت بعض ساعاتها في منزلك . انه خبير يستطيع ان يميز في سهولة المراة الفاتنة من المراة العادية . لا شك انه ندم على تزوجه بك . كان ينبغي له ان يتزوجني انا بدلا منك . ولكن الظروف هي التي ساقته الى هذا المصير المؤلم . لقد اعتمد على ذوق ابنة عمه في اختيار فتاة لاتخاذها زوجة له ولم يدر ان ابنة عمه اختارتك ارضاء لامنا صديقتها العزيزة . قد تسألين : لم لا يطلقك ويتزوجني ، وانا اجيبك انه يتردد الان بين تطليقك والتزوج بي وبين الرضى بالحال التي هو عليها . لقد رزق منك اولادا واصبحت معروفة زوجة له ، وتعود مشاركتك في الحياة فهو لا يريد ان يزعج نفسه ويثير من حوله الاشاعات والاقوال ان هو طلقك . وفضلا عن ذلك فقد كنت زوجة بقال . وهو يخشى ان هو تزوجني في ذلك الوقت ان يسخر الناس منه ويقولوا متهامسين فيما بينهم : « انظروا الى ذلك المحامي الشهير كيف سفت نفسه الى اتخاذ امراة بقال زوجة له » . لقد فهمت كل ما كان يدور في خلده . درسته وخبرته . لذلك بذلت اقصى ما اقدر عليه من جهد لكي اقيم له برهانا على انني اسمى من ان اكون زوجة لبقال مجهول . نبذت ذلك البقال وتزوجت استاذا في مدرسة. لا شك ان هذه الخطوة الجريئة الموفقة التي خطوتها لفتت نظر زوجك ، واسترعت انتباهه الي ، وجعلته يقدرني في نفسه وينظر الي نظرة غير تلك التي كان يلقيها علي من قبل . غير انه ما زال مترددا في امر تطليقك. ولكنني لم أيأس اذ سعيت وسعيت حتى وفقت في الزوج بطبيب بارع مشهور . وقد لاحظت اخيرا ان زوجك رفعني في نفسه الى منزلة اسمى من منزلتك ، وازداد غراما بي ، وتشجع بما فعلت على تطليقك واتخاذي زوجة له مهما اعترض سبيله من عقبات . لقد بان لي ذلك في عينيه القلقتين وحركاته العصبية . ايقن ان زوجي الطبيب لم يقع في غرامي الا لان في جاذبية لا تقاوم وهي التي اجتذبته كما اجتذبته هو الي ، وانه كان صادق الشعور حينما وقع في هواي . كلاهما شهيران : زوجي وزوجك . كلاهما ثريان موفقان في عملهما . ولكنني اوثر كمالا المحامي على الدكتور بسام وان كان الناس يحترمون الطبيب اكثر مما يحترمون المحامي . اني أوثر المحامي على الطبيب لانني احبه . نعم احب زوجك كمالا ، انني افكر فيه منذ وقع عليه نظري لاول مرة حينما زرتك في منزلك لاقضي معكما اولى ليالي الساهرة . لا تعاندي ولا تقاومي بل استسلمي . ان قوة الحب تفوق كل القوى . لا شيء يثبت في سبيلها ويتغلب عليها . انني متدلهة في حبه وهو متدله في حبي . من المحال ان تقضي على حب قديم عاش بغذاء من التضحية والاخلاص والجهد والسهر والتفكير. ان حبنا البريء ثمرة قلبينا ، وهو كائن حي يعيش في قلبينا كما يعيش الجنين ثمرة الزوجين في رحم امه . ولكنني لن اتزوج كمالا . سأكتفي بحبه من بعيد لانه زوجك ، وانت اختي ، وانا اخشى كلام الناس . انني اتركه لك ، وبذلك اكون مخلصة لك وله . غير انني اشعر بأني أشقى امراة في العالم بسبب هذه الغيرة الحمقاء التي تشتعل في صدري) .

عمان **عبد الحميد الانشاصي**

بطاقة الى لاجئة

وفي زحمة العيد
أهدي اليك ..
سلاما كصبح طواه الحنين
على جانبيه دموع وطين ...
وفي رهبة العيد
أزجي
بطاقات حب كبير ..
ونايا تكسر
وحقدا تفجر ..
على سارق البرتقال
شعاع العيون المضيئه
على ما جنته الخطيئة
لعل الحروف الصغيره
ندى للجراح
سنى للعيون الكبيره

حلب **مصطفى أحمد النجار**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى صديـــق

الى الفنان زكريا كايـا الذي
دخل اخيرا القفص الذهبي

●

فـــؤاد الخـشن

●

الشويفات ـ لبنـــان



لانك عشت شريدا
اليف الصحارى
وحـــر الرمال
تنـــام
بظل الخيام ..
تجول بكل فلاة
تهدم فيها قلاع الطغاة !

لانك جربت هذي الحياة الشقيه
سبرت شعاب النفوس الخفيه
وعدت بضوء ((ديوجين)) تحيا
تطوف بشك يريع المزيف
يهوي عليه
بنور يعري خداعا
تلفع في مقلتيه

لانك عشت وحيدا
وكنت عن الاهل
عن دغدغات الحنان بعيدا
لانك يوما فجعت بحب
تغنيت فيه باحلى الاغاني
ولونت منه ضباب الاماني
نراك تهش لبسمه
لطيف يلوح ، لنسمه
وتحسب عند انشراحك ان الوجود
نعيم وفوح ورود
وغيث من الغيب
يهمي عليك
حنانـــا
يحبب هذا الوجود اليك
فيطفو الهناء
بريقا يهلل في ناظريك
وتضفر وهج السراب
حبال نجاة تشد عليها يديك !

صديقي
اراك ضحية هذي النفوس الصغيره
بارض تعذب فيها وتشقى النفوس الكبيره
فحطم مثالك واهمس لعقلك
رفقا بقلبك هذا الشقي ،
ليحجب نوره !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

تحليل نفسي لشخصية الحطيئة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

قارىء تاريخ الحطيئة ـ غالبا ـ لا يشعر ازاءه بعطف قليل أو كثير ، فالشاعر فيما يقال هجاء خبيث اللسان كثير الشر ثلب امه واباه ، وذم من أعانوه وناصروه بالعطاء ، واخذ يتربص الدوائر بمن لا تصله هداياه، وكأنها ضريبة مفروضة يجب ان يمنحها الشاعر ليكف شره عن الفادين والرائحين ، وانسان تطرد شمائله على هذا النحو الثالب الناقم ، لا يقابل بارتياح !

ونحن حين نرجع الى بواعث هذه النقمة الشريرة في نفسه ، نجد لها من الدافع المؤلم ما يبررها في اكثر الاحيان او على الاقل ما يجعلها امرا متوقعا لا حدثا شاذا ينظر اليه بعين الدهشة والاستغراب ! فالرجل اولا وقبل كل شيء شاعر متميز بين اقرانه ، يعرف لنفسه قيمتها العالية في دنيا الشعر ، ويقيس نفسه بزملائه فيرى انه يعلوهم مكانة في مضمار الشاعرية وقد ثقف نفسه ثقافة جاهدة فروى اشعار سابقيه ، واخذ يوازن بين كل شاعر وشاعر معددا عوامل التفوق واسباب الضعف ، وكان شديد الاعتداد برايه ، حتى انه في احتضاره الاخير وهو وقت ينصرف فيه الراحل عن كل امر من امور الحياة كان يوازن بين الشعراء ، ويفضل زهيرا على غيره من الشعراء كما انه اثنى على النابغة وجعله دون زهير لضراعته ومذلته وطمعه ، ثم قال عن نفسه فيما نقل الاغاني والله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين !!

هذا الشعور الحاد بمكانته الشعرية ونفاذه الادبي ، قد أحاطت به عوامل سيئة من شأنها ان تضائل صيته ، وتهوى به في ملأ يعتمد على الفخر بالاحساب ، ويرى شرف الاصل شارة الوجاهة وآية الخطوة بين العالمين ! فالحطيئة قد فتح عينه على الحياة ليرى نفسه مغموز النسب لا يعرف أباه ، فهو ينسب تارة الى أوس وتارة الى الافقم ، فاذا كان من أوس فقد جاء عن طريق الزنى لأن والده قد تبرأ منه والحقه بسواه ، وأمه امة ذليلة لا تجد من نفسها الجرأة على الاعتراف بأب صريح للابن مخافة أن يؤذي ذلك شعور ساداتها الذين جروها الى النكبة ومنعوها ان تعترف بما كان !! ثم هي لا تزال في حياة ابنها التعس ، ضارعة تائهة تتزوج بعبد متهم أيضا في سمعته !! لقد نشأ الحطيئة في هذا المحيط ، وآنس من نفسه قدرة على معارضة الفحول في مضمار الشعر ، ولكن الناس لا يتركون بيئته وأهله ونسبه في ميزان تقديره ! فهم يغمزونه اذا وفد عليهم بقصيدة ، وهم يذكرونه بما يزعجه من حقائق حياته وعوامل تكوينه !! وهو حينئذ بين وضعين متضاربين اما انه يتضرع ويستكين كما يتضرع العبيد الاذلاء ، فيقنع بما يقال عنه دون تطلع وطموح ، واما ان يجابه العاصفة فيكيل بالصاع صاعين ويصبح شعره الهاجي نذير خطر ومصدر ارهاب وتخويف.

لقد جعل يسأل نفسه من أي ناحية ينالني الناس ، ويرونني دونهم وضعا ومكانة ؟ اذا كانوا يعيرونني بأمي وأبي ! ويظنون ذلك مدعاة غيظ وباعث كمد والتياع فساهجو أنا شخصيا أبي وأمي ! وسأسقطهما من حسابي! فكل هجاء يوجه الي من ناحيتهما فلن يكون بعد ذلك مصدر ايلام ! لاني اتبرأ منهما ، واذمهما بأشنع مما يذمون ! وعليهم ان يلتمسوا بابا آخر لمكيدتي ، فلم تعد أمي وأبي مبعث احترام في نفسي أغار عليهما اذا انتقصني بسببهما منتقص ، يعمد الى مفايظتي بما لم تقترف يداي !!

على انه في هجائه أمة ، لم يكن يصدر عن نفس تريد لها المهانة بذكر المثالب الفاضحة وتعداد المساوىء الجارحة، ولو أراد ذلك لوجد من تاريخ حياتها ومرارة تجربته معها ما ييسر له طريق الاقذاع ! وهجاء « قدير مثله لا يعوزه ان يسقط على العنيف المؤلم مما يقال في أمة متهمة ذات وضع منكود ! ولكنه من وراء ذلك كله يعرف انه يركب الصعب مضطرا ، وانه يثور على أم تجري دماؤها في عروقه ، وينازعه قلبه الحنين اليها ، والعطف على محنتها التي التبست بمحنته في مجتمع طبقي يعترف بالرؤساء دون الاذناب ! فكان قصارى أمره أن يقول :

تنحي فاجلسي مني بعيدا ... اراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا ... وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء ... وموتك قد يسر الصالحينا

هذا موقفه من اسرته ! وذلك تعليل أهاجيه فيها !

فما موقفه من الناس ولماذا اندفع الى مهاجاتهم الحاقدة حتى تعرض للحبس في امرة عمر بن الخطاب ، وحتى كاد الفاروق رضي الله عنه ان يقطع لسانه لولا أنه أعلن التوبة ، فأخذ عليه أوثق العهود وآكد المواثيق ! .

ان خبرة الشاعر الصادقة بنفوس معاشريه أجبرته أن يقف امامهم موقف المجابه العنيد ، فالرجل شائه الخلقة دميم الصورة قصير القامة حتى ليكاد يقرب من الارض ، وهو يلمح اشارات التفامز ولفتات الغمز في وجه من يراه من المتشدقين بجهارة الحسب ووجاهة المظهر ، وهؤلاء هم سادة القوم ، واصحاب العطاء والبذل ، وقد اطلقوا عليه كلمة الحطيئة فكانت نبزا عرف به حتى كاد يضيع معه اسمه الحقيقي جرول وكنيته ابو مليكة ، ثم ان دراسته لهؤلاء الاجواد المساميح لا تجعله يصفهم بالكرم الطبع في سهولته ، فهم يزدرون المفمورين من الشعراء ، وكم طرق ابوابهم خاملو الذكر من مجيدي القول فأطالوا امداحهم ثم ما رجعوا بغير التافه الضئيل عن تجهم وانقباض اذ هم في أكثر امورهم يبتغون مدائح ذوي الجهارة في القريض لتسير قصائدهم في كل حي وماذا عسى يبلغ الحطيئة في بادىء امره ، وهو ذلك الشائه الدميم القصير القميء ذو النسب المدخول والمنبت الحقير !! لقد جرب الحطيئة ان يحس القول في امداحهم فكان لا يبلغ حاجته الا بذليل الالحاف ، ومقيت التضرع ! فليشنها حربا طاحنة في غير هوادة على هؤلاء الادعياء الذين ينفقون بعض ما يجدون لا عن طبع عريق في حب المآثر والمحامد بل عن هوى مغرض في الدعاية والاعلام ولا شيء أسير من الهجاء في البادية والحاضرة اذا رنت قصائده وطالت قوافيه ، وعند الشاعر البصير علم بنقائص كل حي ومثالب كل سيد ، فلن يعجزه ان يقول قولا يرى الناس في بعضه لوامع الصدق فيجرون اكثره على بابه ويعدون الهجاء سجلا لنقائص مستورة كانت شارات السيادة والوجاهة تخفيها عن الناس حتى لمحها الحطيئة فعرضها على الانظار .

ولقد صدقت فراسة الحطيئة فما كاد يبدأ أهاجيه، حتى انذر السادة بشر مستطير لم يلبث شواظه ان أحرق مآثرهم بلهيبه المتطاير في كل مكان !! ورأوا انفسهم امام داهية دهياء ترمي بالقول فتنداح دائرته حتى تشمع الجزيرة العربية ، ويصبح سمر الناس ! واذ ذاك فقط عرفوا للرجل قدره ، فسارعوا الى استرضائه ، واخذت كل قبيلة تجمع له كرائم المال ليتحول بأهاجيه الى غيرها وتستريح من القيل والقال ، بل العجيب ان الحطيئة كان يقصد السيد الكريم بشعره ـ متنكرا ـ فيزدريه ويجتويه ثم لا يسعفه ببعض ما يريد ، فاذا أعلن عن اسمه ادركه مض الفزع واقبل عليه يسترضيه ويعتذر بجهل شخصيته! فما معنى هذا لدى الشاعر ؟ الا يرى ان سلاحه البتار قد واتاه بما يريد !

روى أبو الفرج عنه انه قصد ذات مرة عتيبه بن النهاس العجلي فسأله ، فقال له ، ما أنا على عمل فأعطيك من عدده ولا في في مالي فضل عن قومي فأجاب الحطيئة لا عليك وانصرف ! فقال بعض قومه : لقد عرضتنا ونفسك للشر ! فرد عتيبه وكيف ؟ قالوا هذا الحطيئة ، وهو لا محالة سيهجونا اخبث هجاء فتعجل الرجل يصيح ردوه ردوه فلما عاد اليه هش له وسأله : لم كتمتنا نفسك كأنك تطلب العلل علينا ! اجلس فلك عندنا ما يسرك ! ثم قال عتيبه لوكيله اذهب معه الى السوق فلا يطلب شيئا الا اشتريته له ، فجعل يعرض عليه الخز ورقيق الثياب فلا يريدها ويومىء الى النادر الثمين فيحرزه وحين رجع الى صاحبه قال له في تذلل : هذا مقام العائذ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك وقد وهبتك ما تريد !

وقد تكرر هذا الموقف من غيره !! فجزم الحطيئة بصحة رأيه ، ومضى يهجو الناس ليعيش !! لا احب ان يفهم أحد اني ادافع عن سلامة منحى الشاعر فالهجاء المفرض دون شك أمر مقيت لا ينحدر اليه فنان كريم ! ولكننا هنا نفحص وضع الحطيئة في بيئة تحرشت به حين ازدرت هيئته ، وغمزت نسبه ، وحرمته بعض العطاء !! فهو اذن امام موقفين لا ثالث لهما فاما ان ينزوي على أحزانه يجرع همومه ، ويودع دنيا الشعر ، ويرضى بالمنزل الحقير مما قنع به أمثاله من أبناء العبيد ، حيث قضوا اعمارهم خدما يخفضون الرؤوس ويحنون الرقاب ! وهذا ما تأباه طبيعة رجل شرس فطره الله على الصيال والمقاومة وتحدى العقاب ، واما ان يعلنها ثورة على هؤلاء المترفعين فيخشوا بأسه ، ويقبلوا عليه مرغمين ! وقد اختار لنفسه الموقف الاخير ، فحفظ مكانه في الحياة والتاريخ وهو مكان ان وجد من يزدريه ، فقد وجد أيضا من يحلل اسبابه ويفحص دواعيه ثم لا يرجع باللائمة على الشاعر وحده بل على مجتمعه الذي جرفه الى مأزقه الكريه ! !

على أن نفس الحطيئة لم تكن مطبقة على الشر لا تتجه الى غيره ، بل كان لها هواتفها أيضا ، الى الخير وهو ما نجده وراء أخباره وفي طيات أحاديثه ! وموقفه من الزبرقان بن بدر يشير الى ذلك بوضوح ، فقد كان الشاعر يسير بأسرته الكثيرة العدد في سنة مجدبة الى العراق فلقيه الزبرقان في الطريق فسأله عن مقصده فقال الحطيئة وددت ان اصادف بالعراق رجلا يكفيني مؤنة عيالي وأصفيه مدحي ابدا فقد حطمتني هذه السنة، فقال الزبرقان قد أصبته فهل لك فيمن يوسعك لبنا وتمرا ويجاورك أحسن جوار وأكرمه ، فصاح الشاعر هذا وأبيك العيش وما كنت ارجو هذا كله فأين محلك ؟ قال اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس وسل عن الزبرقان حتى تأتي منزلي ، وكتب الى زوجته ان تحسن الى الشاعر حتى يؤوب ! ولكن الزوجة ازدرته حين لمحت شخصه

قبيل الرحيل

الى طفلتي زينب

★

وتكركريـن ، كنبـع ساقيـة ... أغفى علـى سبحاتها القمـر
يـا أنـت ، يـا قيثارة بدمـي ... تعيا اللحون ، ويصدح الوتـر
وربيـع ضحكـات ملونـة ... هيمانـة بالسحـر تئتـزر
مـن أي نبـع كنت أشربـه ... طـل الحنان ، فينتشي المطـر
الفجـر آب . وانـت غنوتـه ... وعبيـره . والموعـد النظـر
جنت مـن الرنمـات صحوتـه ... وتلاحمـت أشواقـه الاخـر
والليل فر ... وعنـد قريتنا ... يغفو النخيل . ويسعل الزهـر
ومساقـط للنجـم جائعـة ... وطعامهـا الالـواح والشجـر
ضجت مـن الانـواء هالتهـا ... وازور عنهـا المعبـر العطـر
وتشابكت فـي عرسهـا شعل ... وتمزقت عبـر المـدى صـور
يـا جنـة الصاديـن ، وأسفـي ... شـع الحنين . وأشرق السـفر
وتماوجت فـي الشرق اشرعتي ... ويلزهـا مـن زاده القـدر !

القاهرة — علي الحلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القميء ومنظره الشائه واجتوت مقامه! فجاء اعداء الزبرقان الى الحطيئة يرجونه ان يفارق جوار الزبرقان اليهم بعدما أهين في حماه! ولو كان الشاعر خالص النفس الى الشر لاهتبل الفرصة وسار معهم ثم بعث بأهاجيه الى الرجل وزوجته ! ولكن هواتف الخير قد لاحقته فقال للقول ان من شأن النساء التقصير والغفلة ولن أحمل على الرجل ذنب صاحبته! ثم جاهرته الزوجة بالعداء فارتحل، ولم يهج الزبرقان حتى جاءته أهاجي شاعر مفرض اصطنعه ابن بدر بعد عودته فعرض بالحطيئة وفتح أمامه الباب ! فالرجل الذي يتحرج من هجاء انسان لم يسلف له ذنبا ، وقد وجد المكافأة المغرية على ذلك ، فآثر الرفض لا شك انه يحن الى نوازع الخير ، ولكنه يعتسف الشر في طريق يضطر اليه حين يبحث عن مأكله ومأواه .

لقد ذكروا من مثالب الحطيئة ـ انه مع سؤاله والحافه ـ شحيح نجيل ! وليس بغريب على الشاعر الملحاح أن يبخل ويشح ، بل ان كرمه هو الغريب حقا فيبحث عن دواعيه أذا كان، ويخيل الي أن تجربته المريرة هي التي فرضت عليه هذا البخل ، فقد رأى بعينه انه قاسى المذلة والهوان لفقره وضيق يده !! وهو بعد ذو اسرة كبيرة بها الزوجة والبنات والاولاد ! ولو انه فقد الخير نهائيا في نفسه لتنكر لاسرته وترك اولاده نهب الضياع كما تركه ابوه حين تخلى عنه وجحد بنوته ! وكما اتجهت امه الى زوج آخر تقوم على حاجته تاركة اياه بمدرجة الضياع ! ولكن شعوره بالابوة والزوجية كان أصيلا في نفسه ، وهو بعد من أسباب شحه وبخله ان لم يكن السبب الاول والاخير ! بل أنه حين اقام في محبس عمر بن الخطاب لم يتعاظمه الحبس الا لبعده عن اولاده الصغار ! وكأنهم كانوا شغله الشاغل ، في مصبحه وممساه لذلك بكى الفاروق رضي الله عنه حين سمعه يقول :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

ورجل هذا شعوره الحساس لن نخليه من نوازع الخير ! ولن يقول احد ان حب الولد غريزة فطرية لانه بالنسبة لتجربة الحطيئة بالذات كان امرا مشكوكا في اطراده ، ومن يدري لعل من أسباب حبه الزائد لاسرته ضياعه المرير في طفولته فقد دفعه الى ان يكون على النقيض من ذويه فيرتفع امام نفسه على الاقل وهذا وحده كثير !!

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

علي نصوح الطاهر - يوسف هيكل

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ علـي نصوح الطاهـر

ظل الشعار الذي نادى به الاستاذ الطاهر منذ صدر شبابه قول خليل مطران : « حسب المسلمين فخرا ان يكون لهم كتاب هو معجم البلاغة العربية العالمية على مر العصور ! » .

ولد « علي نصوح » في يافا بفلسطين عام ١٩٠٦ ونزح مع والديه الى بور سعيد عام ١٩١٢ ومنها الى المنصورة فالقاهرة عام ١٩١٥ وتلقى دروسه الابتدائية في المدارس الاميرية ببور سعيد فالقاهرة والتحق بمدارس التبانة والالهامية والجامعة الاميركية بالقاهرة .

وفي عام ١٩٢٤ عاد الى فلسطين وعين استاذا للغة الانكليزية في المدرسة الصلاحية بنابلس . وعند وصول « بلفور » صاحب الوعد المشؤوم الى فلسطين عام ١٩٢٥ شجع الطاهر طلابه على القيام بتظاهرة صاخبة قادها الى سراي الحكومة بنابلس فبادرت السلطات المسؤولة الى كف يده عن العمل فاضطر الى مبارحة فلسطين الى القاهرة ، وبعد صدور العفو عنه عاد الى الارض الملتهبة واستانف عمله في المدرسة الصلاحية بنابلس واسس مع نفر من اخوانه اول ناد باسم « نهضة الشبان » ونظم المرحوم ابراهيم طوقان نشيدا لهذا النادي كان مطلعه :

« نهضة الشبان » كـل الامـل فاقتدوا قومي بخيلـر الناشئين
« نهضة الشبان » رمز العمـل فهنيئـا للشبـاب العاملـين

وفي اعقاب عام ١٩٢٥ الدراسي أحس بان في نية مستر بومن مدير عام معارف فلسطين نقله الى بير السبع فاستقال من عمله وسافر الى مدينة مونبلييه بفرنسا حيث قضى بضعة شهور في تعلم اللغة الفرنسية وتنقل بين تولوز وفرساي ورين طلبا للغة ثم التحق بالمعهد الزراعي في جامعة العلوم بنانسي وتخرج عام ١٩٣٠ ثم انتسب الى جامعة العلوم في باريس « السوربون » للحصول على لقب « مهندس دكتور » والتحق بنفس الوقت بمدرسة الاقتصاد السياسي بباريس واقبل عام ١٩٣٣ على دراسة شجرة الزيتون في فلسطين بشغف ورغبة ملحة .

وفي اول عمله الحكومي بفلسطين عين عام ١٩٣٢ مساعدا لكبير مفتشي البستنة فكبيرا للمفتشين العرب عام ١٩٤٣ ، وفي عام ١٩٤٦ استقال من عمله هذا وتسلم عمله في امارة شرقي الاردن مديرا عاما للزراعة والبيطرة والمعادن فوكيلا لوزارة الزراعة (١٩٥١ ـ ١٩٦٠) فوزيرا للزراعة والانشاء والتعمير (١٩٦٠) فوزيرا للزراعة (١٩٦٢) فرئيسا لسلطة قناة الغور الشرقية (برتبة وزير) وعضوا في مجلس الاعيان فوزيرا للزراعة فنائبا لرئيس مجلس الاعمار (١٩٦٣) فسفيرا للاردن في طهران (١٩٦٦) وفي صيف عام ١٩٦٧ أحيل على التقاعد . وخلال وجوده سفيرا في طهران توثقت عرى الصداقة بينه وبين اعلام الادب والدين والفكر الايرانيين ، ولسعة اطلاعه وعكوفه على البحث والتنقيب كانوا يعولون على آرائه بوصفه ثقة من ثقات العلم والفكر والفقه .

من آثاره القلمية : زود الاستاذ الطاهر الخزانة العربية بكتب علمية قيمة عرفنا منها :

(١) انواع العنب الفلسطيني (مترجم عن الانكليزية) طبع عام ١٩٣٣ .
(٢) زراعة المشمش في فلسطين (مترجم عن الانكليزية) طبع عام ١٩٣٤ .
(٣) شجرة الخروب (مترجم عن الانكليزية) طبع عام ١٩٣٤ .
(٤) شجرة الزيتون (استغرق تأليفه ١٤ عاما وجاء في ٦٤٦ صفحة من القطع الكبير ، وتم طبعه في عام ١٩٤٧) .
(٥) مؤتمر الزيتون يشمل حياة شجرة الزيتون باسلوب قصصي.
(٦) حشرة الفوليكسرا طبع عام ١٩٥٨ .
(٧) اصناف المشمش الاردنية طبع عام ١٩٥٨ .

هذا من الناحية العلمية الزراعية ، اما من الناحية الدينية والتاريخية والادبية فقد صنف الاستاذ الطاهر الكتب التالية :

(١) اوائل السور في القرآن الكريم طبع عام ١٩٥٤ و ١٩٦٤ .
(٢) القصص في القرآن الكريم (مخطوط) .
(٣) تاريخ القبائل العربية في الاردن (مخطوط في ٧٠٠ صفحة)
(٤) اصول القبائل العربية (مخطوط تناول فيه ٢٠ الف قبيلة في العالم العربي) .
(٥) الليالي الاربع (مترجم عن الفرنسية لالفريد دي موسيه وقد نشرت ثلاث منها في مجلة الاخاء الايرانية) .
(٦) مآتم واعراس (مخطوط) .
(٧) الشطرنج (١) (مترجم عن الفرنسية) .
(٨) الروح الخالدة : بحث فلسفي . نظرات في عينية الحكيم ابن سيناء ، تم طبعه عام ١٩٦٠ .
(٩) تفسير سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وفاتحة الكتاب .

ومن اقواله التي ذهبت مذهب الحكمة والقول المأثور :

(١) من قدس شوكة الجبل عبد وردة الروض (٢) كم اسبغ الاتباع على انبيائهم حتى جعلوهم خرافيين (٣) اذا وثقتم بعضكم ببعض فلا تشيدوا مصانع للاسلحة الذرية (٤) عابد الكرسي مقعد (٥) الشرف عادة وكذلك الرشوة (٦) لا خير في محبة دون عقل (٧) شجرة الزيتون راهبة الاشجار ـ قداسة ـ محبة ـ اصطبارا (٨) رجال الحكم كالجبال يرهبك بعضها ولا يؤنسك ، ويهزك بعضها ولا يرهبك ، ويؤنسك بعضها ويرهبك (٩) الانسان اجمل ما في الوجود اذا تهذب كانسان (١٠) يحمي اللصوص اللصوص في جهاز الحكم الفاسد (١١) المخلص كالاجرب في جهاز الحكم الفاسد (١٢) رأيت شجرة زيتون نامية وحدها في أرض صخرية ، في رأس جبل مطل ، وقد اسبغت على الجبل من بعيد قداسة ، واذكرتني براهب يتعبد على رأس جبل يشرف على ما تحته بعظمة تتجلى فيها بساطة الوجود ، فرأينا فيها مواطنا صالحا يضفي على القفر المحبة والسلام فيجعله يفيض بالخير والنور ، فقلت في نفسي من حقر زيتونة فقد حقر مواطنا صالحا ، ومن حقر مواطنا صالحا حقر الوطن باسره (١٣) احبوا بلادكم يرهبكم عدوكم (١٤) من اهمل اشجاره او ارضه او حيواناته فقد تآمر على سلامة الوطن .

نموذج من نثره : « الى (٢) الطيف الذي ارقني سره ، وبهرني جهره ، ولم يعرف امره ، وفي مبتدؤه وخبره ـ الى الروح المجهولة الخالدة التي تحدرت منها روحي الانسانية الآبدة ، فتكرم بي الوجود، وازدهى الكون بنعم الموجود ، فسبح بحمد واجب الوجود ، وتطلعت بعد ذلك للخلود ـ فبحثت عمن اشعر بوجوده ولا اراه ، واحست كل ذرة في بما قدره وبراه ، ناشدا قربه رغم علاه ، ممنيا النفس الاقتباس من سناه ، عساها تتبع مثله الاعلى ، وتحلق في السناء الاجلى ، والسير في طريقه لها اولى ، لتحيا بذلك حياتها المثلى ـ

ويستحقق ذلك في يوم معلوم ، يوم يرقى الانسان بعقلـــه للنجوم ، وينعم بالعيش الرغيد في ظل العلوم ، ويحيى انسانا في خلق كريم ـ يوم يشيد ارسخ البروج يطاول الجوزاء ، برج يقرع الفكر الحـر من السماء ، يحمل الخير والسلام الى الكون بهجة ورخاء ، وعلـــى راسه علم يهتز بشرا ورجاء ـ فتزدهي الحضارة في ثوب بهيج ، وتعم الاكوان نضرة المروج ، ويتيه الانسان بما حققه من عروج ، وما اقامه للحضارة من بروج ـ ويتربع على عرش العلم افتخارا ، والعلم اعلى العروش منارا ، عندئذ تتكشف اسرار الحياة جهارا ، ويحق الخلود للنفس المتشوقة استقرارا ـ وتعود النفس المطمئنة الى ربها راضية مرضية ، فيدخلها جنة الخلود وحاجاتها مقضية ، فتنعم فـي ملـــك جديد في جوار ربها رضية ، ونعم دار الخلود دار العلـم الوضية ـ الى هذه الروح المجهولة الخالدة اقدم هذا الاهداء ، ومن خالقهـــا استقي خير أسس الاهتداء ، والسلام على نفس يخرجها العلم من دار الفناء ، ويقودها الى دار الخلود في اسمى درجات البهاء » .

نماذج من شعره : قرض الطاهر الشعر في سن مبكرة وله ومضات لامعة وجولات موفقة في دنيا القريض . ومن فرط اعجابه بالشاعـــر التونسي المرحوم ابو القاسم الشابي (١٩٠٩ ـ ١٩٣٤) شطر قصيدته الشهيرة « ارادة الحياة » تشطيرا موفقا ومنها :

ولا بـــد لليـــل ان ينجلـــي « ولا بـد للعيش ان يزدهـــر »
فحطـــم بنفســـك ذل الحيـــاة « ولا بـد للقيـــد ان ينكسر »
ومن لـــم يعانقه شوق الحيـــاة « تحول ميتـــا غـــدا محتقر »
وصار شبيهـــا بمـــاء السمـــاء « تبخـــر فـــي جوفهـــا واندثـــر »
كذلـــك قالت لـــي الكائنـــات « حديث الحياة ، حديث العبر »
تحـــدث ان لا حيـــاة لميـــت « وحدثني روحهـــا المستتـــر »
ودمدمة الريـــح بين الفجـــاج « تثير العواطف ، تذكي العبر »
فقاتـــل وصـــارع عـــدوا تـــراه « وفوق الجبال، وتحت الشجر »
فمجت بقلبي دمـــاء الشبـــاب « وشبت بنفسي حريق الغير »
ورمت العـــداة كسبع الفـــلاة « وضجت بنفسي رياح اخـــر »
واطرقت اصغـي لعـزف الريـــاح « ففيه استمعت لصوت الشرر »

ومن شعره القومي :

« ولي وطن آليت ان لا اخونه » وان افتديه العمر بالنفس طائعا
نذرت حياتي في سبيل حياتـه وكم اتمنى ان ارى الصرح رائعـا
فمالي اراه كـــل يـــوم بذلـــة وقد بيع في سوق المعرة هاجعـا
ويا اسفي ان كان قومي عظيمهم يسوق كريم العرب للذل خانعـا
فيما وطني ماذا دهاك ومـا دهى منازل امجاد غـــدون مفاجعـــا
لنا وطن رحب غني فمـــا لنـــا تضيق بنا الدنيا فيغدو بلاقعـــا
وما العيب في اوطاننا غير اننـا فقدنا سجايانا فصارت مراتعـــا
اقمنا بنـــاء المجد وضاء في الدنى وكانت سجايا العرب للكون طابعا
افقنا زمانا ثـــم لذنا بهجمـــة ولـــم نتخـذ للعاديات دوافعـا
تكنفنا ذل ... وحـــل بارضنـــا شقاء ... وروينا الربوع مدامعا
وما يبتني مجـــد بدمع وانمـــا ارى العلم والاخلاق تبني المرابعا

وعند صدور كتابه « الروح الخالدة » اهدى العاهل الاردنـــي الملك حسين بن طلال نسخة وشحها بهذين البيتين :

العلم تزهو بـــه الدنيا فناصره يحيا على الدهر في حمد وتسبيح
هذي رسالتنا فـــي الروح نرفعها الى«الحسين» الذي نفديه بالروح

وربطت بين المغفور له الملك عبد الله بن الحسين وبين حفنة مـن شعراء عمان مجالس الادب التي كانت تعقد فـي قصر رغدان بعمان او في قصر المشتى بالشونة وجرت بين الملك الشاعر وبين اولئك الشعراء مطارحات شعرية عذبة لو قدر لها الجمع في حينها لجاءت مجموعات من الشعر القيم العذب ، ومن تلك المطارحات ما قدر لي تدوينه فـــي مذكراتي اليومية ..

كان المغفور له الملك عبد الله ينزل في فندق المحطة في بلدة معان عام ١٩٤٦ وكان الشيخ عثمان الشنقيطي قاضي البلدة يلعب الشطرنج مع موظف كبير وكان الاستاذ علي نصوح الطاهر يراقب صراعهما ، واذا بخادم الملك يحمل رقعة من المليك للشيخ عثمان ويقول فضيلته «سيدنا يطلب من فضيلتكم تشطير هذه الابيات » :

تـــرك السواد للابسيه وبيضـــا ونضا من الستين عنه مـــا نضـــا
وسباه اغيد فـــي تصرف لحظـــة مرضي اعل بـــه القلوب وامرضـــا
فكانه وجـــد الصبا وجديـــده دينا دنـــا ميقاتـــه ان يقتضى
اسيان أثرى مـــن جوى وصبابة واساف من وصل الحسان وانقضا

فاخذ الشيخ عثمان في تشطير الابيات وسرعان ما كان الاستـاذ الطاهر قد فرغ من تشطيرها ورفعها الى مقام الملك الهاشمي الـــذي استدعاه وطلب اليه قراءتها فتلا عليه التشطير التالي :

تـــرك الســـواد للابسيه وبيضـــا « مفوار في الهيجاء سيف ينتضى
« عزم الشباب يلوح في قسماته» ونضا من الستين عنه مـــا نضا
وسباه اغيد في تصرف لحظـــه «وهو الوشيك من الهوى ان يمرضا»
« وجد الصبابة والهوى يا ويله» مرض اعل بـــه القلوب وامرضا
فكانه وجـــد الصبا وجديـــده وكان طيب العيش حلم ما انقضى
« هذا على الستين يحسب عمره» دينا دنـــا ميقاتـــه ان يقتضى
اسيان اثرى مـــن جوى وصبابـــة «وتراه من فعل الهوى شبحا مضى»
« يأس الم به فطـــار فؤاده » واساف من وصل الحسان وانقضى

فتحمس الملك الشاعر وقال لخادمه « هات القلم والمحبرة يـــا غلام ... » وشطر الابيات في الحال فقال :

تـــرك السواد للابسيه وبيضـــا « وتذوق الحب القديم واحمضا »
« ابغى الندامة بعد طول غواية » ونضا مـــن الستين عنه مـــا نضـــا
وسباه اغيد دي تصرف لحظـــة « سهم تعلق بالفؤاد وما قضى »
« حكم الهوى في النفس حكم جائر» مرض اعل بـــه القلوب وامرضا
فكانه وجـــد الصبـــا وجديـــده « داء يعـــز دواؤه ان يرتضى »
« وكانه حسب الهوى وفعالـــه » دينـــا دنـــا ميقاتـــه ان يقتضى
اسيان اثرى مـــن جوى وصبابـــة «او سار في حر الهجير وارمضا»
«او نال من وصل الحسان مراده» واصاف من وصل الحسان وانقضا

وبعد هنيهة صعد الشيخ عثمان الشنقيطي الـى مقصورة الملـك عبد الله وتلا على مسامعه التشطير التالي :

تـــرك السواد للابسيه وبيضـــا «فعل المليك فلا مناص من الرضا»
« وبدا بحلـــة اميس متبذل » ونضا من الستين عنه مـــا نضـــا
وسباه اغيد في تصرف لحظـــة « اسر القلوب وحتفها ان اعرضا»
« وسلاحه فـــي روحه وغداته » مرض اعل بـــه القلوب وامرضـــا
فكانه وجـــد الصبـــا وجديـــده « ولذيذه» في حقه امرا مضى.
« ورأى الرجوع لحزمـــه واناته » دينـــا دنـــا ميقاتـــه ان يقتضى
اسيان اثرى مـــن جوى وصبابـــة « دهر الشباب وذاك دهر قدمضى»
« فانساب في احلامه متخشعا » واساف من وصل الحسان وانقضا

عارض نفر من شعراء العروبة عينية الشيخ الرئيس ابن سينـــا في النفس ومطلعها :

هبطت اليك مـــن المحل الارفع ورقـــاء ذات تعـــزز وتمنـــع

ومن اولئك الشعراء احمد شوقي امير الشعراء وعادل الغضبان شاعر الشباب والمترجم له علي نصوح الطاهر ومن ذلك قوله :

ورقاء يا طيف الفلاسف رجعـــي نغما يردد لحنـــه فـــي مسمعـــى
وتسربلي بالخير لا ثوب الهـــوى بالخير قد وسم الوجود فابدعـــى
فلكم اثرت بنـــا تباريح الجـــوى وغويت عقـــلا للبيـــب الابـــرع
انت التي سفرت فحيـــرت الورى ثـــم انثنت وتخمرت بالبرقـــع

(١) اخترع الاستاذ الطاهر الشطرنج الذري واضاف الـى القطع المعروفة دبابتين وقاذفتين وقنبلة ذرية وبذلك اتسعت الرقعة العادية فأصبحت ١٤٤ مربعا بدلا من ٦٤ مربعا . (٢) كلمة (الاهداء) التـــي استهل بها المترجم له كتابه « الروح الخالدة » .

حيرت افكار الرئيس فاصبحت نار العلوم تحيطه بتشعشع
لا تسفري يوما بربك بل ارى كل الجمال بكنهك المتبرقع
كم يزدهي الكون المبرقع في الدجى والفجر يزهو بالسحاب الموشع
والليل اجلى للتأمل في السهى والفكر يخمل في الضياء الاسطع
واذا العلوم تقدمت ابحاثها واذا تفتح زال سحر المطلع
واذا جلت الفازها حل الحجى تنضو البراقع في الزمان المسرع
واذا الحياة تكشفت اسرارها بالعلم كنه السابحات اللمع
فيفيض نور الله بشرا في الدنى حل الخلود وحق قول الاشفع
والورد تعشقه العيون ملثما ويضيء نور النفس زاهي المسطع
ويطل وجه الله ما ابهى اللقا ويطيب قلب المؤمن المتطلع
والعلم نور الكون في اشراقه والعلم يرفع كل من لم يرفع

٢ ـ الدكتور يوسف هيكل

كان الشعار الذي حمله الدكتور هيكل في النكسة الاولى التي طوحت بعرب فلسطين الى المتاهات ، وفي النكسة الثانية التي عصفت بالجيوش العربية قوله : « ليس عارا ان ننكب ، ولكن العار ان تحولنا النكبات من قوم اعزاء الى قوم اذلاء ، وان نخضع لمشيئة الاعداء ! » .

ولد « يوسف » في يافا بفلسطين ، ووالده هو المرحوم مصطفى هيكل ، وتحدر من اسرة عريقة من اقدم الاسر اليافية ، يرجع تاريخها الى حوالي القرن السابع عشر ، وقد ينزح افرادها من مصر الى فلسطين ويعود نسبهم الى قبيلة يمنية جاءت مصر مع عمرو بن العاص، واستوطنوا في الجهة الشرقية ، وعهد اليهم بالحفاظ على امن الطريق البري الذي كان يسلكه الحجيج .

ونشأ « يوسف » في بيت علم ، ودرج في اسرة ذات مكانة اجتماعية شاء عميدها والده تعليم نجليه وكريماته تعليما عصريا ، فارسل البنات الى المدرسة الانكليزية بيافا ، في عهد كان فيه تعليم بنات العائلات الاسلامية امرا غير مرغوب فيه .. ناهيك عن تعليمهن في مدرسة انكليزية ... وارسل نجله « محمدا » الى مدرسة الفرير بيافا فالجامعة الاميركية ببيروت .

اما « يوسف » فبعد ان اكمل دراستيه الابتدائية والثانوية في يافا التحق بالكلية العربية بالقدس وحاز على شهادتها وشهادة المترك لحكومة فلسطين في تسع مواد بينما المطلوب ست مواد ، واشتهر بين لداته بتفوقه بالرياضيات ، واعد نفسه ليكون مهندسا ، لكن مطالعاته لكبار الكتاب العرب امثال الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور طه حسين والدكتور احمد امين وعبد القادر المازني وعباس محمود العقاد وغيرهم جذبته الى العلوم الاجتماعية والسياسية والانسانية .

وابان كان طالبا ثانويا برزت فيه ملكة الكتابة فنشر في جريدة « فلسطين » ابحاثا تناولت تحرير المرأة بتوقيع «ابن يافا » كما نشر سلسلة مقالات في جريدة « الصراط المستقيم » وصف فيها رحلة تاريخية قام بها عام ١٩٢٩ مع لفيف من زملائه الى « البتراء » كما حاضر في المكتبة الاسلامية التابعة للاوقاف بيافا فاستمع اليه رجال الفكر وقدمه المرحوم راغب الامام المحامي والخطيب المشهور ونشر مقالا مسهبا في « السياسة الاسبوعية » بعنوان « معركة تور » التي دارت في فرنسا بين الجيش العربي وجيش الفرنجة ، وجرت مراسلات بينه وبين المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل اثرت في حياته الثقافية واتجاهه الدراسي وكان بمثابة اب روحي له .

دراسته الجامعية : لم تثن « يوسف » وفاة والده عن طلب العلم الجامعي ، فبعد تخرجه من الكلية العربية بالقدس التحق بكلية الحقوق في جامعة مونبليه بفرنسا وحاز على بكلوريوس الحقوق ومن ثم الليسانس وعلى دبلوم تخصص في العلوم الجنائية ، والتحق بعدها بكلية الحقوق في جامعة باريس ونال دبلوما عاليا في العلوم الاقتصادية ودبلوما عاليا اخر في العلوم السياسية والحقوق الدولية. وفي عام ١٩٣٥ حاز على شهادة دكتوراه الدولة في الحقوق ، وهي اعلى شهادة يستطيع الطالب الحصول عليها من فرنسا ، وكان موضوع رسالته « حل مجلس النواب » وهو بحث دستوري هام كان موضع جدل في الاوساط السياسية الفرنسية .

وحملته نفسه التواقة للمزيد من العلم على متابعة الدراسة الجامعية فقصد لندن والتحق بجامعتها ودرس في « معهد لندن للدراسات الاقتصادية والسياسية » وكان استاذه الخاص البروفسور هارولد لاسكي . وبعد عامين امضاهما في جامعة لندن مستزيدا من العلوم السياسية والاقتصادية كانت الاطروحة التي قدمها لنيل (الدكتوراه) باشراف لاسكي بعنوان « رئيس الوزراء وتطور النظام النيابي في فرنسا » فقوبل هذا المجهود العلمي بتقدير اساتذته الذين منحوه الشهادة بتقدير (جيد جدا) ، يضاف الى هذا ان جامعة لندن منحته عام ١٩٣٧ مدالية التفوق بوصفه الاول في الدراسات العليا الجامعية ، وكان الشرفي الوحيد الذي نال مدالية التفوق هذه حتى ذلك التاريخ ، ولا يزال العربي الوحيد الذي نال « مدالية هتشنسن الفضية للتفوق» وهي اعلى مدالية علمية تمنحها جامعةلندن.

ويعتبر الدكتور هيكل الحائز الوحيد في العالم العربي على اعلى شهادة علمية فرنسية واعلى شهادة علمية بريطانية في آن واحد ، ولقد نشرت هذه الاطروحة في باريس عام ١٩٣٧ وجاءت في ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير ، ومهد لها البروفسور لاسكي بمقدمة ضافية ، وتعتمدها الجامعات الفرنسية والبريطانية كمرجع للدراسات العليا ، وافادت هذه الاطروحة الدكتور هيكل ، ابان عمله في السلك السياسي الاردني، اذ سبقه اعجاب رجال وزارات الخارجية وتقدير رجال السلك السياسي في الاقطار التي عمل فيها سفيرا فكانت باعثا على توثيق عرى المودة والتعاون بينه وبينهم .

وخلال دراسة الدكتور هيكل في جامعة لندن كتب المقالات الضافية عن القضية الفلسطينية في الصحف البريطانية والفرنسية ونقل للقارىء العربي انعكاسات هذه القضية في نظر الرجل الاوروبي، وعمل مع رهط من الطلاب العرب الفلسطينيين في الجامعات البريطانية للدفاع عن قضية العرب الكبرى وابراز اخطار الصهيونية على البلاد العربية والاوروبية ، واسس الطلاب العرب الفلسطينيون عهد ذاك جمعية لهذه الاهداف القومية وانتخبوا الدكتور هيكل رئيسا لها .

ويوم كان الدكتور يوسف طالبا في جامعة مونبلييه ، كان يجلس في قاعة المحاضرات ازاء طالبة فرنسية ذكية اسمها « دي نيس دل رنك » فتوثقت الصداقة بينهما واقترنا اثر نيلهما شهادة الليسانس في الحقوق ، ومن مونبلييه ذهبا معا الى باريس فلندن وفي عام ١٩٣٧ عادا الى يافا المدينة المحبوبة وطبع الدكتور هيكل كتابه النفيس « القضية الفلسطينية » ولهذا الكتاب قصة طريفة اسوقها للقارىء النابه :

لما كان الدكتور هيكل طالبا في جامعة لندن نشبت ثورة عام ١٩٣٦ في فلسطين وشرعت الصحف البريطانية والفرنسية في نشر المقالات والفصول عنها ، بصورة تؤيد باطل الصهيونية ومزاعمها ، فعاد الدكتور هيكل صيف ذاك العام الى فلسطين وراح يدرس عن كثب الوضع السياسي والثوري ، وجاب القرى والجبال ، واجتمع بعدد من الثوار ، وعاد الى لندن وعكف على وضع كتابه « القضية الفلسطينية » باللغة الفرنسية وقدمه الى احدى دور النشر في باريس لكنها طلبت مبلغا كبيرا لقاء طبعه ، ولما لم يقو على دفعه ، وهو طالب جامعي ، صرف النظر عن نشره بالفرنسية . ولما عاد الى يافا عام ١٩٣٧ وضعه بالعربية ودفعه الى المطبعة ، وحدث أن زار فلسطين الدكتور محمد حسين هيكل باشا صاحب كتاب « حياة محمد » وعلم بالشروع في طبع الكتاب فوضع له مقدمة تقديرا منه لكتاب نفيس ضم بحثا علميا رصينا عن الحركات القومية وما جرى في فلسطين ، وقد جاء في هذه المقدمة قوله :

« ولقد جعل الدكتور يوسف هيكل التقارير الرسمية البريطانية وتصريحات الساسة البريطانيين واقوال زعماء الصهيونية انفسهم عمدته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في هذا الكتاب . ويكفي ان تلقي نظرة على ذيل صفحة قبل ان تقرأها لترى ان تقارير اللجان الانكليزية التي جاءت الى فلسطين في سنوات مختلفة لتحقيق ما جرى فيها ، وان تفسيرات الساسة البريطانيين لتصريح بلفور ، وان الكتب الانكليزية البيضاء ، وان محاضر البرلمان البريطاني ، كانت المراجع التي يعتمد عليها ، فضلا عن اعتماده على الكتب الانكليزية وعلى آراء زعماء الصهيونية . لهذا ولسوق الوقائع والحوادث في سياق منطقي دقيق يشعر الانسان اذ يقرأ الكتاب بشوق ولهفة متزايدين لمتابعة قراءته واستيعابه كله . ويشعر اثناء ذلك بانه ينتقل من حقيقة الى حقيقة ، ومن مسألة مقررة لا سبيل الى النزاع فيها الى مسألة مقررة ثابتة مثلها . ويزيد الانسان طمانينة الى الدقة فيما يقرأ من ذلك كله ظهور القصد فيه الى الحقيقة ، والبعد فيه عن التجريح والطعن ، والتنزه عن كل قول تبدو فيه نزوات الغضب . واذا لم يكن هذا كله عجيبا من رجل تثقف ثقافة الدكتور يوسف هيكل وبلغ من العلم مبلغه ، فهو لا ريب عجيب من شاب في مثل سنه لم يبلغ الثلاثين . وصدوره من هذا الشاب ادعى الى العجب والامر يتعلق بوطنه ومصير هذا الوطن . هذا المصير المعلق اليوم في كفة القدر والذي يهدد عرب فلسطين باجلائهم عنها او بالقضاء عليهم فيها اذا هم لم يتدبروا الامر بالروية والحزم لانفسهم ولابنائهم من بعدهم.

وأشهد لو اني كنت مؤلف هذا الكتاب وكان وطني قد أصيب بما أصيبت به فلسطين في الزمن الاخير لتعذر علي أن أجد قدرا من ضبط النفس كالقدر الذي وجده الدكتور يوسف هيكل على تفاوت ما بيننا في السن تفاوتا يجعلني منه في مقام الابوة أو العمومة . ذلك بانني اعمل في شؤون مصر العامة مناضلا لا اعرف الهوادة، أما الدكتور يوسف هيكل فعهده بالدراسة العليا وبالبحث العلمي في الشؤون السياسية والاقتصادية قريب . وهو بعد لم يندمج في السياسة العملية هذا الاندماج الذي يجعلنا مرهفي الحس الى حد ننسى معه في كثير من الاحيان هدوء العلم والطمانينة الى نتائج البحث العلمي ولم ترض عواطفنا ونزعاتنا الذاتية .

وهو من هذه الناحية جدير بأن يهنىء مرتين : مرة لانه عصم شبابه من التحكم في بحثه والتسلط على نتائج هذا البحث ، والثانية لانه خاض غمار هذا الميدان السياسي بنزاهة علمية في الوقت الذي يتعذر على غيره فيه ان يضبط نفسه وأن يرعى ما تقضي به النزاهة العلمية».

وفي عام ١٩٣٧ عقد مؤتمر بلودان وكان الدكتور هيكل أحد اعضائه فنشر مقالات اضافيه في جريدة « النهار » البيروتية عن « مشروع تقسيم فلسطين وأخطاره » ومقالات اخرى في « بيروت المساء » عن « لبنان في خطر » ومثلها بالافرنسية نشرتها « لوجور » البيروتية ، ثم طبع كراسين لهاتين المجموعتين ووزع منهما ٣ آلاف نسخة على المؤتمرين وعلى رجالات البلاد في سورية ولبنان وفلسطين ، وكانت هذه الابحاث مساهمة علمية وعملية منه في مؤتمر بلودان .

وفي اوائل ١٩٣٨ عين الدكتور هيكل مديرا لاوقاف لواء اللد الذي يشمل يافا واللد والرملة وقراها ثم رقي عام ١٩٣٩ الى مفتش عام الاوقاف والمدارس الاسلامية بفلسطين ومركز عمله بيت المقدس فنظم شؤونها ووضع لها منهجا دراسيا حديثا فتقدمت تلك المدارس تقدما ملحوظا ، وظل في عمله هذا حتى عام ١٩٤٣ وكان في اثنائه في نضال مستمر مع العناصر المحافظة التي تعمل معه في هذا الميدان ، على ان الرجعية تالبت عليه فاستقال من عمله في المجلس الاسلامي الاعلى .

وخلال عمله هذا عين عضوا في « مجلس التعليم العالي بفلسطين » وأذاع أحاديث عن السياسة الدولية ونشر مقالات في مجلة «الرسالة» عالج فيها الاوضاع الدولية في تلك الايام ، على ان انتاجه الفكري الهام في تلك المدة كان كتابه « نحو الوحدة العربية » .

يؤمن الدكتور هيكل ، منذ تخرجه من الجامعات ، بان مستقبل العرب كأمة قوية ذات مكانة دولية يتوقف على ايجاد « اتحاد فيدرالي » بين الاقطار العربية . وفي عام ١٩٤٢ وضع كتابه « نحو الوحدة العربية » ونشرها الدكتور أحمد أمين افتتاحيات في « الثقافة » وفي عام ١٩٤٣ نشرتها « دار المعارف » بمصر في كتاب صغير الحجم كبير الفائدة واعادت نشره عام ١٩٤٥ فكان أول كتاب عالج الوحدة العربية بطريقة علمية دقيقة وقال فيه البروفسور فيليب حتى برسالة بعث بها الى « جمعية العلماء الاميركية » بواشنطون : « ان كتاب «الوحدة العربية » الصغير الحجم له أثر كبير في تطور الفكر السياسي العربي عند الشباب العربي في مختلف الاقطار العربية » .

وقال الدكتور عبد الوهاب عزام في مقدمته لهذا الكتاب :

« الدكتور يوسف هيكل من علماء العرب المهتمين بامورهم ، الساعين للتاليف بينهم ، الداعين الى اعادة مجدهم ... ولقد استجاب الدكتور يوسف هيكل لدعوة الواجب ، فبادر الى نشر كتابه « نحو الوحدة العربية » ليستيقظ الفكر وينشط البحث في هذا الموضوع الجليل الى ان تنجلي مقاصده وتتضح وسائله ، وقد نهج المؤلف نهجا مستقيما قاصدا لا غلو فيه ولا تحكم . فهو يعرض آراء متصلة بالحقائق ومؤيدة بالوقائع ، ويقترح نظما للاتحاد لا يفرضها على الباحثين ولكن يجعلها مثلا لما يمكن ان يوضع من نظم ! » .

وعندما تكلم الدكتور يوسف عن مصر في هذا الكتاب قال : « ان الحقائق تثبت لنا ان أهل وادي النيل شعب عربي والقول بخلاف ذلك فرار من الحقيقة الواقعة التي لا يمكن تغييرها كما لا يمكن تغيير مجرى وادي النيل بجعله يجري من الشمال الى الجنوب بدلا من جريه من الجنوب الى الشمال . والمظاهر تضلل بعض الناس ، كما ان نهر النيل يضلل الناظر اليه ، الجاهل بحقيقته فيظنه يجري من الشمال الى الجنوب لهبوب الريح من الشمال واحداثها تموجات في سطحه متجهة نحو الجنوب ، فهذه التموجات لا تغير حقيقة اتجاه مجرى النيل . والحقيقة كالظل لا يهرب منه الا بطريق واحد هو العيش في الظلام ! » .

وبالرغم من ان كتاب « نحو الوحدة العربية » وضع عام ١٩٤٢ وطبع عام ١٩٤٣ ففصوله لا تزال معالجة صائبة للوضع العربي الراهن وبيان واضح لضرورة ايجاد اتحاد بين البلاد العربية .

وعلى اثر استقالة الدكتور يوسف هيكل من عمله في المجلس الاسلامي الاعلى عين مسجلا وحاكم صلح في محكمة مركزية نابلس وظل يشغل هذا المركز الى نيسان ١٩٤٥ اذ اصبح رئيسا لبلدية يافا .

واثناء عمله في القضاء نشر في مجلة « الثقافة » القاهرية ثلاث افتتاحيات عالج فيها « التمثيل الدبلوماسي » كما وضع كتيبا للمدارس الابتدائية بعنوان « أجداد النبي » وقد جاء فيه تحت عنوان « الوطن العربي » ما نصه :

« وطن كل انسان البلاد التي ولد فيها وعاش ، والبلاد التي يسكنها اناس من جنسه . وكل انسان يحب وطنه حبا جما . وواجب كل عربي ان يحب وطنه ويعرفه . والوطن العربي بلاد جميلة واسعة . وهو مؤلف من جزيرة العرب وشمال افريقية وهي بلاد واسعة جدا فيها الصحاري ، والسهول ، والجبال ، وفيها الانهر والبحيرات ، وهي مقسمة الى اقسام ، لكل قسم منها اسم خاص . واقسام جزيرة العرب هي : العراق والكويت ومسقط وحضرموت واليمن ونجد والحجاز وبر الشام .

وبر الشام مجزء الى اربعة اجزاء هي : سورية ولبنان وشرقي الاردن وفلسطين . أما الحجاز فبلاد مقدسة عند المسلمين يقع في الجهة الشرقية من جزيرة العرب وشواطئه على البحر الاحمر . واشهر مدن الحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة .

والوطن العربي في شمال افريقية واسع وجميل وهو يحتوي على مصر والسودان وبرقة وطرابلس الغرب وعلى تونس والجزائر ومراكش . هذه البلاد كلها تؤلف الوطن العربي . وهي بلاد غنية جميلة وعلى

كل تلميذ ان يزورها متى كبر ويعرف تاريخها الجميل ويحبها كثيرا ، فحب الوطن من الايمان ! » .

وعزم الدكتور هيكل على وضع سلسلة بعنوان « قصص أبطال العرب » ليحبب الطالب العربي بتاريخ امته ويشوقه الى مطالعة الكتب ايمانا منه بأن المطالعة هي مفتاح المعرفة والثقافة . غير ان اختياره لرئاسة بلدية يافا وانهماكه في الحياة الادارية والسياسية حال بينه وبين تحقيق هذه الامنية الثقافية .

وفي عام ١٩٤٥ وقع اختيار المسؤولين في حكومة الانتداب على الدكتور هيكل ليكون رئيسا لمجلس بلدية يافا فقبل المنصب مشترطا انتخابات حرة لمجلس جديد فتم ذلك وفازت القائمة التي تزعمها برمتها ونال أعلى نسبة من الاصوات وقام باصلاحات عظيمة في يافا كانت مضرب المثل بين المدن الفلسطينية . وكان أول عمل قام به بجرأة هو تحرير البلدية من السيطرة الانكليزية الممثلة في شخص « كاتب المدينة » الانكليزية . و « كاتب المدينة » في نظام البلديات بفلسطين هو « السكرتير العام » للبلدية أو « المدير العام » فقرر احالته على التقاعد وتعيين رجل عربي قدير في مكانه فوقع الاختيار على الاستاذ عبد الحميد ياسين وهو من اكفأ رجالات فلسطين واقدرهم .

وفي عام ١٩٤٧ عاد السيد جمال الحسيني الى فلسطين وألف « الهيئة العربية العليا » وكان الدكتور هيكل من اعضائها . ولما قررت الامم المتحدة تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ اخذت بوادر الاضطرابات تلوح في افق فلسطين ، وأخذ القتال بين العرب واليهود يشتد فزار الدكتور هيكل العواصم العربية مرات ، شارحا للمسؤولين حراجة الموقف في فلسطين ، ومطالبا باتخاذ اجراءات عسكرية حفاظا على فلسطين من الاطماع الصهيونية ، فاسفرت جهوده عن ارسال كميات من الاسلحة واعداد من المتطوعين العرب ، على ان الخلافات الناشبة بين الدول العربية آنذاك أدت الى اندحار المقاومة العربية في المدن والقرى الفلسطينية ونزوح الاهلين الى الاقطار المجاورة فقصد الدكتور هيكل عمان وأسس فيها « مكتب فلسطين » بالاشتراك مع عدد من الشبان الفلسطينيين لمساعدة النازحين في الامور الادارية لا سيما في امور جوازات السفر والهويات .

وخلال اقامته بعمان كان على اتصال وثيق بالمغفور له الملك عبدالله ووضع كتابا طريفا بعنوان « جلسات في رغدان » ضمنه وصفا لتلك المجالس والاحاديث التي دارت فيها ، وهو مصدر تاريخي هام لحياة الملك الهاشمي خلال عام عصيب امضاه الدكتور هيكل في عمان قبيل انتسابه للسلك السياسي الاردني .

لم يفكر الدكتور هيكل بان يعمل موظفا في الحكومة الاردنية لكن اصرار الملك عبد الله حمله على الذهاب الى واشنطون رئيسا لاول بعثة اردنية وتأسيس أول مفوضية هناك وعمل سفيرا للاردن في كل من واشنطون ولندن وباريس وتايبيه مدة ١٦عاما أي من (١٩٤٩ ـ ١٩٦٥) وشغل خلالها مركز رئيس لجنة الهدنة الاردنية ووكيلا لوزارة الخارجية كما شغل منصب المندوب الاردني الدائم في هيئة الامم (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨) اثناء وجوده سفيرا في واشنطون .

ونظرا للخدمات التي أداها الدكتور هيكل للقضية الفلسطينية في الاندية الدولية كلف اشغال مركز وزير الخارجية الاردنية ثلاث مرات لكنه آثر العمل في السلك الخارجي نظرا للخدمات التي يؤديها للاردن والقضايا العربية في الاوساط الدولية .

وبعد ان تحرر الدكتور هيكل من العمل الرسمي قام برحلة استطلاعية الى اسبانية ليشاهد آثار العرب وامجادهم في الاندلس ونشر بحثا قيما في مجلة « العربي » الكويتية بعنوان « عاش العرب في الاندلس ثمانية قرون » ونشر مقالات في جريدة « فلسطين » الصادرة بالقدس عالج فيها حق المواطن في وطنه والوضع القانوني للنازحين الفلسطينيين في البلاد العربية .

وفي عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ قام برحلة علمية حول العالم دارسا أوضاع البلاد الاسيوية وعاد الى الاردن اثر النكسة الفلسطينية الثانية وشرع يعالج ما يتوجب على العرب عمله وذلك بابحاث نشرتها «الدفاع» الاردنية و « الرأي العام » الكويتية .

نموذج من نثره : « كانت العواصم العربية في الاندلس خلال القرون الوسطى ، كقرطبة ، وغرناطة واشبيليا وسرقوزا أرقى مراكز العلم في اوقاتها . وكانت فيها الجامعات الراقية عديدة ، وقد بلغ عددها في قرطبة وحدها خمسين جامعة ومدرسة ، وتفوقت هذه الجامعات بالطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء والفلك وعلم تفسير الاحداث حسب مواقع وحركات النجوم وعلم الارواح ، ووضع العلماء في هذه العلوم وغيرها المؤلفات المتعددة التي كانت مرجعا لطلاب العلم في الشرق والغرب عدة قرون ، وظلت تؤثر في الفكر الاوروبي حتى القرون الحديثة. ومن أهم من اثر على الفكر الاوروبي بكتاباته الفيلسوف العربي العالم ابن رشد المولود عام ١١٢٦ في مدينة قرطبة والمتوفي عام ١١٩٨ . وقد عرف الغرب عن طريقه فلسفة ارسطو التي نقلها ابن رشد الى العربية وعلق وزاد عليها . ولقد كان لآرائه اثر كبير في الاوساط العلمية الغربية ، حتى ان جامعة باريس خشيت من تلك الافكار المتحررة فادانتها . وأمر البابا بحرق كتبه وحرم قراءتها . وتعرف بعض المعاجم الاوروبية « ابن رشد » بانه صاحب أعظم عقل نير واسع العلم والاطلاع في القرون الوسطى . وكان كثيرون من محبي المعرفة في الغرب يؤمون هذه الجامعات للدراسة فيها والتزود من العلم والمعرفة التي لم يجدوها في جامعاتهم . كما ان الجامعات العربية في الاندلس كانت تزود بعض الجامعات الاوروبية بكبار اساتذتها للتدريس فيها مدة من الزمن مساعدة لها في ميدان العلم والمعرفة . ولأذكر هنا قصة لها علاقة بهذا الموضوع :

عينت عام ١٩٤٩ سفيرا للاردن في الولايات المتحدة الاميركية ، واثناء وجودي هناك دعيت وقرينتي مرات لتناول العشاء في بيوت عدد من رجالات الحكم . وذات مرة ، وكنا حوالي ثلاثين مدعوا ، في بيت وزير من الوزراء ، وبعد العشاء دار الحديث حول « النقطة الرابعة » (المساعدات الفنية الاميركية) وما تحرزه من نتائج طيبة في اوربا . وكان المجتمعون يتحدثون بهذا الفتح الجديد في التعاون بين الدول ، الهادف الى تقديم الدول المتقدمة المساعدات العلمية والفنية الى من هم في حاجة اليها من الدول الاخرى . وبينما هم في نشوة هذا الحديث شاركتهم فيها قائلا :

« ان فكرة « النقطة الرابعة » فكرة انسانية جليلة ، ولكنها ليست بجديدة » وهنا صمت الحاضرون وقال أحدهم : « وكيف ذلك ؟ » قلت : « عندما كنت طالبا في جامعة مونبلييه القى البروفسور دالماس عميد كلية الطب محاضرة في قاعة محاضرات البلدية عن انشاء جامعة مونبلييه عامة وكلية الطب فيها خاصة . واثناء محاضرته قال انه عندما اراد اهل مونبلييه في اوائل القرن الثاني عشر انشاء جامعتهم وجدوا ان ليس في مدينتهم الاساتذة والعلماء ذوو الكفاءة اللازمة لانشاء الجامعة والقاء المحاضرات العالية ، ففكروا بالاستعانة بجامعات اخرى لهذه الغاية . نظروا اولا الى باريس فرأوا انها ليست احسن حالا منهم . ثم فكروا في روما فوجدوا انهم احسن حالا منها . اما انكلترا والمانيا فكانتا لا تزالان في الاشواط الاولى من العلم والثقافة . وبعد بحث قرروا ان لا مناص لهم من طلب تلك المساعدة الفنية من البلد الوحيد الذي يستطيع ان يمدهم بالاساتذة والخبراء الاكفاء ، وهو الدولة العربية في الاندلس . اتصلوا بها ، وعرضوا عليها وضعهم ، فلبت الحكومة العربية طلبهم ، وارسلت الى مونبلييه ثلاثة من كبار الاساتذة المشهورين بالطب والعلوم والفلسفة . عكف هؤلاء على مهمتهم ، وأخذوا ينظمون الجامعة ، سيما كلية الطب ، مع الاساتذة الفرنسيين ، كما القوا المحاضرات العلمية فيها ، خلال ثلاث سنوات . وبعد ذلك وجدوا ان في وسع الاساتذة الفرنسيين الاستمرار في عملهم دون الحاجة اليهم . فاستأذنوا بالعودة الى اعمالهم في جامعتهم في اسبانيا العربية » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصـــداء

اديـــل الخشن

الشويفات ـ لبنان

ضمني اليك
أيها الحاقد
سمرتك قنديل ملتهب
وانا يبهجني انصهار الحطب
في مواقد الشتاء

افتح لي ذراعيك
فأغرق رأسي
في حلقة من عبير .
خداي تتلهفان الى صدرك
الى حفيف الخفقات
يدغدغ اذني
يملؤهما بالضجيج
الهارب من اعماق البحر

على صدرك اضيع
اغفو
كفرخ دجاج
أتغلغل في دفء الجناح .

ماذا عليك لو سألت
لو مررت بيدك
على عينين
يومض فيهما
حب غريق
يعيش خلفهما التاريخ

تعـــال
انزع قفازيك
اطلق النار المغلولة تحتهما
لماذا تفتعل اللامبالاة ،
اما من همسة ! !
فتتبخر اكوام الجليد .

بداك تعبتان
من عناق الفراغ
اعراقك تناديني
صمتك يكلمني
يزرع حقلا من السنابل
في اعماقي
يحكي لـي
الف حكاية .

عاصفة هوجاء
كنست غلالات الدفء
رشت الزعفران
على وجه الشمس
تركتني في غابة من صقيع

عيناك ترشقان الثلج
شفتاك
ترشقان الثلج
يـداك
ترشقان الثلج
والتاع
كما النخلة
في صحراء من الصمت
والغربة .

وقلبـي ! !
كيف اسكته ،
كيف اخفي هذا التناغم
المتماوج في آفاقه
انه ينوح ،
يترجرج
يريد التهام الزمن
الاحتراق في رقصة النار .

في شراع تائه
غرزت يدي
الشاطيء يومىء ...
واقف حائرة
امام امواجه الهاتفة .

انتشلني من هوة الاصداف الكاذبة.
لنبعث الربيع
نعطيه الوانه
نفجر فيه شذاه

ضمني اليك
فالخريف يخيفني
اوراقه المتناثرة
كوقع اجراس الحزن في اذني
صفـراء
كنبأ الموت في قلبي
باردة كفرفتي
التي لا يدفئها
قنديل ملتهب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المسمار والكفن

بقلم سارة ناعورة



هذا الجمع الغريب المتناقض يذكرني بما حدث في منزلنا ذات يوم رهيب كان يبدو عاديا وكنت افكر كما يفكر كلا منا افكارا شتى حينما يكون في السيارة اثناء عودته الى منزله . لكن افكاري بدات تدور حول المقبرة حينما اراد احدهم النزول قربها فاثار في نفسي مشاعر مختلفة ، فتلك المقبرة كانت رفيقة طفولتي ومختلفة تماما عما هي عليه اليوم .

اذكرها بقعة تكثف فيها اشجار الصنوبر ، وابدا تغطي ترابها اللين الاعشاب الطويلة الريانة ، لم ارها منذ امد طويل ، بل كنت اراها الا اني اعتدتها بصورتها الجديدة فانفصلت عنها ونسيتها والواقع ان السبب هو التغيير الذي طرأ عليها كما اني كبرت ، ومضت لحظات اطلت بعدها غابتي الصغيرة فشعرت بالوحشة تدب في ترابها لعله يحن الى قدمي العاريتين الصغيرتين ، اسمع انين اشجارها الخائفة يؤنبني لاني كففت اساطيري عنها ويذكرني بجناح الفراشة والضباب الازرق ، بالصرصار المبقع ومعارك النمل الطويلة .

ـ يا صديقتي الصغيرة الخائفة لا استطيع ان امنع الناس من الموت ولا استطيع ان ابعدهم عنك .. لا ادري لما اختاروك مقبرة .

وبكت غابتي الصغيرة وبكت .

ـ اعرف ان الاشباح تعذب اغصانك ، صخورك ، اشواكك وورودك ، اتعتقدين ان الاموات حملوا معهم جهلهم وحقدهم وغرورهم واتوا اليك يعترفون بكل هذا ويحاولون التكفير بالاعتراف ؟ اعتقد انهم يحاولون التكفير حقا ، لعلهم اكتشفوا حقيقة الانسان بموتهم فكيف انقذك يا صغيرتي الخائفة من ضمير الاحياء اذا كنت انا اصنف من الاحياء ولا استطيع انقاذ نفسي .

واردت يومها ان اتفلسف وافلسف الواقع كي ابعد عني بعض الكآبة التي انتابتني ففكرت ان لكل عدة ميدانها ، فالقلم للورق والطنجرة للطبيخ والكفن للاموات وبلدتنا لهذه المقبرة الجديدة التي يتزايد عدد سكانها يوما بعد يوم نظرا لتزايد عدد سكان البلدة .

وشعرت بالغثيان .. بالغثيان لفلسفة الطبيخ هذه وفجأة توقفت السيارة لتنزل الراكب ثم شعرت بها تنطلق بقوة كدب مبتعدة عن المقبرة ولاول مرة شعرت باشمئزاز من سكان البلدة ، فقد احسست مدى تطفلهم ، اذكر اني نظرت في الصباح من النافذة فلم ار نخلة واحدة ، اين نخيلاتي الحبيبات اللواتي كنت ازورها كل رابعة صباحا كي اجمع الثمر المتساقط اثناء الليل ؟ اين زواريبها الملتوية ؟ اين ازهار الصبير الصفراء التي كنت اعلقها اقراطا في اذني ؟ شجر الليمون وزهر المشمش ، اين زهر الجمال وزهر الدراق ونظرت للسائق فكان جامدا متحجر الوجه والاحساس وتابعت السيارة انطلاقتها ليس حبا بالسرعة ولا خوفا من افكاري بل من المقبرة وبابها المفتوح لذا فكادت تصطدم بسيارة اخرى فتشاجرتا وبعد دقائق تابعتا السير بجنون الا اني ابتسمت اذا استطعت ان اميز حصانا يجتر العشب على رصيف الطريق .

والحقيقة ان افكاري تتوقف عند هذا الحد بعد نزولي من السيارة لابدأ التفكير والتخيل باشياء جديدة تتوافق والجو الجديد الذي اصادفه اثناء قطعي الامتار العدة المؤدية الى العمارة التي نسكن فيها. واعتقد ان هذه المرة كانت مختلفة فقد ابت الصدف الا ان اتم التفكير بما بدات به حين كنت في السيارة ولكن من الضروري ان تتم او ان تكون النهاية نظرية ذلك اني لم اكد اخطو بضع خطوات حتى فوجئت بجمع غفير كهذا الجمع ، بعضهم يدخل وبعضهم يخرج ، وتسمرت قدماي للحظات في ارض الطريق ، لكني تابعت السير وانا الاحظ ان بعضهم صامت يهز راسه ، بعضهم آسف ، بعضهم يبتسم كالبرق وبعضهم صامت لكنه غير مهتم وانا كنت من الجمع الاخير فهذي عادتي ولكني ارضاء لمجرى تفكيري اردت ان اعرف ما حدث وان يكن بغير اصرار فقد اثار خيالي وجود هذا الجمع الحزين المخادع ، واذا بالقلق يتملكني فجأة بعد ان رايت اخر الخط ينتهي عند باب شقتنا وكان البكاء يتعالى فيتعالى معه اضطراب دمي وركضت ثم حشرت راسي بين الوجوه وجسدي بين الحائط والباب والاثواب وكتل اللحم . كلهم متشابهون كلهم يلبسون الاثواب ولهم سيقان وارجل كي يلبسوا بها الاحذية ، كلهم يملكون رؤوسا ليصففوا عليها الشعر فلما اخاف منهم ؟ مما اخاف اذا كانوا عددا كبيرا ؟

ـ امي .. ابي

وتعالت الاصوات .. والبكاء ، اتعالت ام اقتربت انا ؟ اني لا استطيع ان ادرك وفجأة احسست بل وجدت نفسي وحيدة . انفجر السكون في اذني وران وبدأت

تحدق بي الاعين بالعشرات ، اننا ابدا نرسم ونصور الكائنات التي ستغزو كوكبنا او سكان المريخ بصور مخيفة ولكن لو اتى هذا المريخي الن يخافنا ايضا ويرانا كالوحوش وخاصة بهذه الحدق التي تقطر دموع التماسيح ؟

وادركت على مهل ما حدث . ادركت اني افتقدت بين هذه الاعين حدقتين لم تنظرا الي انهما حدقة ابي الذي خجل ان يخدعني كما يفعلون وافتقدت حدقة امي المسمرة على جسد ابي المسجى على السرير الابيض .. وقفت بصمت امامه وانا اضم يدي المسدلتين امامي .. انني احبه كثيرا ، بالطبع لن يموت .. ما لهؤلاء ، كانت المفاجأة قد اخرستني والجمتني فاحسست بجسدي يثقل ، بلساني ينشف ، وبراسي يدور .

ـ يا حبيبتي

واشرقت الحقول امام عيني وتماوجت زهرات بخور مريم وطار الياسمين ابيض ابيض غطى المكان والافق وتكاثف وتكاثف وغطى الكون ولا زال يتطاير وعبق الاريج وانهمرت دمعتان بصمت .

ـ امي

ـ يا حبيبتي

ـ ابي سيعود

تدحرجت الدموع على وجنتيها الشاحبتين فاشرقت بها وتعالى البكاء والصراخ .. كم ذكرى تعيش في قلبك الطيب اماه ، سينسلخ عنك اماه ، لكنك لن تكوني وحيدة اماه ، اذا كنت انا لا اصرخ فما بالكم تصرخون ؟ **اشعر بالاختناق..** الصراخ .. السكاكين .. الصراخ .. موسيقى ناشزة اغبياء كسلاء . انكم تعذبوني .. تعذبوني كما تعذبون غابتي الصغيرة .

ـ يا ابي لا تعذبها انك لم تقترف ذنبا ، اننا نحبك نحبك .

ومع الدمع كنت ارى وجها وجهين .. ثلاثة .. لم اعد ارى سوى شفاه . الشفاه تتحرك بصمت وخبث بحركات غريبة لم اعد اسمع سوى صوت الصمت يلف المكان ، وبدأت ارى الياسمين تبعثره اذرعا تلوح ، مناديل سوداء تتطاير من خلاله رقيقة شفافة ، بدأت تتطاير بلطف وعلى مهل كالنسيم والضباب ، وتهادى جسد ابي فوق الياسمين وغاب . حملوه ليغسلوه في المطبخ . وحاولت ان الحق به، فذبل الياسمين. ووجدت نفسي مجددا امام الشفاه والوجوه والاحذية ، واصطدمت بباب المطبخ وبالصراخ . بالرؤوس تهتز والقبضات .. اوصدوا الباب دوني بعنف وقسوة .. سيضعونه في الكفن الابيض ويقفلون عليه بالمسمار. ايها الحمقى انا لا اخشاه ، لا اريد ان ادفنه في زنزانة لكني من اكلم ؟ كانوا كلهم غرباء يحيطون بي ، واذرعهم تشد بي ، كلهم يقيدوني بايديهم وتعبت .. تعبت .. **احنيت** راسي وابتعدت عن باب المطبخ وانا اجرجر سلاسلي وقيودي .

ـ لقد ترك ابوك فتاة قوية يعتمد عليها كلنا سنموت .

كنت اود ان اصرخ بها :

ـ انت ميتة قبل ان تولدي انك الان لا شيء .

ولكني لفظت كلمة واحدة .

ـ اشكرك

واتاني صوت اخر بعيد كنت اعرفه .

ـ اعتبرك كابنتي الثانية .

وكنت اود ان اصرخ بها ايتها الفاجرة .

ـ شكرا

كنت انظر اليهم بصمت بقسوة بتحد احيانا او بشفقة . وكنت اشعر بحرارة دمعي فوق خدي وبالمخاط يملأ انفي ، الدجالون ، لقد مات بكفن او لا بدمع او لا باحترام مزيف ام لا ، بكذب او صدق ما يهم ، وانفلت بهدوء الى سطح البناية . كان القمر خبيثا اكثر مما كنت اظن **ولكني همست** بتحد وسخرية وانا اشرق بدمعي .

ـ يا قمر يا درجي نادي بابا تييجي .. اتستطيع اعادته كما كان يعود في طفولتي اذا سافر ؟

تنشقت بعمق هواء المساء الرطب وعدت لا اكاد اعي ما يقال .. ما يهمس . المطارق تدق الاف الصنوج في رأسي وبقيت تدق وتدق حتى انتصف الليل وبقيت وحيدة منهكة مع امي وصندوق خشبي يحوي جثة كانت لابي في الامس وهي للدود منذ اليوم وسيبقى الكفن الحريري .. سيبقى لينهض كل ليل ويقتلع مسمار تابوته ينقش به قصصا ويحفر على الصخر صورا تنهش تراب المقبرة وتمزقه.

يا غابتي الصغيرة سيبقى الكفن لاني لا استطيع ان امنع الناس من الموت ، يا غابتي الصغيرة سيبقى الكفن ما بقي الخوف ، يا غابتي الصغيرة سأعود في الغد لتحتضن قدماي التراب الذي يحن اليهما وستكونان قدمين عاريتين لاني سأحمل حذائي في جيبي وستروي لي اشجار الصنوبر المرتعشة ما خطه مسمار ابي .

سارة ناعورة

صدر حديثا

العباسة

مسرحية شعرية

من اربعة فصول

لعدنان مردم بك

١٢٨ صفحة الثمن ٢٠٠ غ.ل.

منشورات عويدات ببيروت

غجرية

يستثير الحنين بالذكريات ... ما تجن الاضلاع من حسرات
غصص كالضرام تنهش بالصدر ... وتفري بمخلب وشباة
أيقظتها يد المغيب وأذكت ... زفرات تشب ملء اللهاة
فتهب الاشواق تضرب حيرى ... بجناح الحنين والزفرات
كلما ألحف الجوى بسؤال ... رفدته العينان بالعبرات
وجرى القلب ضاربا كضرير ... في محيط للشك والشبهات
تسأل الريح عن مضارب قوم ... مزقتهم سنابك لجناة
فيرد الصدى وليس لديه ... من بيان يفني ، برجع شكاة

أين في السفح غادة هي كانت ... ملء عين الزمان كالنيرات
طلعت كالصباح في موكب الحسن ... تثير الفتون باللفتات
ولها كالضياء ألف رداء ... من شباب حلو الجنى والصفات
تمل السفح دونها بأريج ... عبقري يموج بالنفحات
وعرا الدوح ما عرا حين جاءت ... بعجيب من محكم النغمات
يسأل الغصن طيره ويثني ... ملحفا بالحفيف والرعشات
أملاك في السفح حط ليجلو ... شبهات بمعجز الآيات
انه الفن لو يلامس صخرا ... لاثنى الصخر مترفا بالحياة

ما لتلك الفتاة تضرب طيشا ... في فجاج الشعاب والاكمات
رضيت باليسير من متع العيش ... وأغضت على الاذى بأناة
خطها العمر رحلة واغتراب ... كرياح جرت بكل فلاة
موطن الناس ما علمت غرور ... رسمته أنامل الشهوات
ولها الكون موطن بلياليه ... وشدو الاسحار بالهمسات
أخلد الناس للثرى وتراها ... نشرت في الفضاء جنح قطاة
أنفت عيشة السجين بدار ... ضرب الحرص دونه بكماة
واستطابت على الخصاصة عيشا ... لم تشنه جوائح لجناة

ليت شعري علام تضرب سعيا ... في فجاج القفار والفلوات
لا تحط الرحال الا لتسعى ... من جديد على المدى بثبات
ألحرص جرت تجد وتسعى ... أم لحلم يشب ملء اللهاة
أبدا ركبها يدور ويجرى ... في غمار المجهول والذكريات
لست تدري أعن قلى شدت الرحل ... وسارت تخوض في غمرات
أم حنين يحهثا لرحيل ... كلما ألقت العصا لسباة
ولها للبعيد من كل أرض ... ظمأ القفر لارتشاف فرات

وتدور الايام في حلك الغيب ... وتمضي بحكمة وأناة
فيطل الركب المجد عن السير ... ويصحو الشباب بعد فواة
فاذا العمر ومضة من سراج ... يتلاشى وقصة لرواة
تسأل الريح عن مضارب قوم ... مزقتهم سنابك الحادثات
فيرد الصدى وليس لديه ... من بيان يغني ، برجع شكاة

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبدالعزيز البشري بعد ربع قرن

بقلم محمد مصطفى البسيوني

* * *

اخترت يـوم الهول يـــوم وداع ونعاك في عصف الرياح الناعـي
من مات في فزع القيامة لم يجد قدما تشيع ، او حفـــاوة ساع

اجل ، من مات في فزع القيامة لم يجد قدما تشيع ، كما قال شوقي في رثاء المنفلوطي ، اذ ان فقيد البيـــان العربي الاستاذ عبد العزيز البشري قد رحل عـن الدنيا منذ ربع قرن (١) في هول القيامة ، والصحف والمجلات مشغولة بأنباء الحرب العالمية الثانية ، فلم تفسح صدرها حينئذ لتحليل ادبه ، ولم تسل انهارها بعبرات الحزن على فقده ، وكنا نظن ان الرجل العظيم سيجـد انصاف معشره فيما يتلو الحرب من سلام هادىء مريح ، ولكـن ربع قرن قد مضى دون ان يأخذ الكاتب الكبير بعض حقه من الدراسة ، اذ اننا لم نطالع في ترجمته وتحليله غيـر ما كتب عنه في سلسلة اعلام العرب بمصر ، وهي كتابة الى السرد الاخباري اقرب منها الى التشريح الفني (٢) ! فلا اقل من ان ننتهز موسم الذكرى لنسكب عليه عبـرة تريح الصدور ، وتذكر القارىء بكاتبه الالمعي الذي احدث في الادب العربي اسلوبا طريفا يهز قارئه امتاعا ، ويرتفع به ابداعا ، ويهب على روحه كمـــا يهب نسيم الروض مؤرجا بالعبير ...

ولعل قارىء مجلة « الاديب » على ذكر مـن مقالي السالف عن فقيد البيان السيد حسن القاياتي ، وقـــد ألمعت فيه الى كلمات قالها البشري فيه ، وكانت على قلة عددها تفصح عن روعة الوصف ، ودقة التعبير ، واحاطة التحليل ، وهي خصائص ميزت اسلوب البشري دائما في كل مقال ، وجعلته مثالا فذا للكتابة النابضة الحية ، واي مـثال ؟!

ولئن كانت المعاني يدعو بعضها بعضا ، فقد وجدت نفسي مدفوعا الى الكتابة عن « البشري » بعد «القاياتي» لا لتشابه بين القمتين في الاسلوب ، ولكن لتشابه بينهما في تفرد كل منهما في بابه ، واصالته في فنه ، وعراقته في منحاه مع اتحاد مصدرهما الاول فـــي التربيـــة والتثقيف .

انني لا أقرأ البشري مرة الا ويتجلى امامـي طيف ابن الرومي ، وصورة الجاحظ . فلقد كان ابـن الرومي يرسم الصورة بشعره فتحس انك امام مصور بارع قدير، ينقل اليك اللوحة الفنية فتكاد ترى المعانـي شاخصات تتجسد ، ونماذج تتعدد .. وكأنك ازاء اطـار والوان ، لا امام روي ، واوزان ...

هذا ابن الرومي ، اما الجاحظ فـرب الاقصوصة والفكاهة ، والبسط والتفريع دون منازع ، وحسبك مـا تعرفه عن كتاب « البخلاء » فقد جاءت اقاصيصه فيـه أدبا استحال الى طرب !! ولذلك كـــان البشري الـى الجاحظ اقرب وادنى ... ولا غرو فقد تأثر الرجـــل بسلفه اشد التأثر ، وكأن روح الجاحظ قد هامت طيلة هذه القرون حتى اطمأنت اخيرا فـي البشري ، جسدا يتحرك ، وعقلا يفكر ، وقلما يعبر ، فيا لتناسخ الارواح !.

ولسنا بهذا ندعي للرجل جديدا ، ولسنا نحكي عنه ما لم يعرفه هو عن نفسه ، فقد كان البشري قديرا فـي تحليل نفسه ، كما كان قديرا في تحليل الناس ، وقـد سبقنا الى ايضاح وجوه المشابهة بينه وبين الجاحظ في حديث له مع صاحب « المعرفة » عن الادباء الذين تأثـر بهم فذكر على رأس هؤلاء الادباء الجاحظ ، وعنه يقول :

« اقدر الجاحظ ، واستطيع أن اؤكد لـك بأنـي اتأثره ، وارتضي صحبته ، وافاخر بها ، واحرص عليها. لقد عرفته منذ امد بعيد ، عرفته من الساعة التي ادركت فيها اثرا للقراءة القائمة على الدرس والتحقيق » .

ثم يركز البشري على الجانب الفكاهي عند الجاحظ، وهو ما يفسر لنا غلبة التبكيت الواضح ، والتهكم اللاذع على كتابة البشري ـ فيقول :

« ان الجانب الفكاهي ليصور لنا مبلغ قدرة الرجل ـ الجاحظ ـ الفائقة على التهكم كلما اراد ان يسخـر ، وكلما شاء ان تخز نقداته في القلوب » .

وقد كان كاتبنا الكبير يسمى الجاحظ احيانا بالامام في بعض حديثه عنه بمقدمة « المرآة » وفي المرآة طابع الجاحظ ومنحاه لا يكاد يختلف فيهما اثنان .

وليس من شك في ان هذا كلـــه يشير الـى ان مؤلفات الجاحظ كانت ذات مكان بارز في ثقافة البشري، فلا جرم انه قرأ كتاب « الحيوان » واعجب بـه اعجابا شديدا . كما ذكر عن نفسه كما انه اعجب ايضا بكتـاب « البخلاء » وان لاحظ عليه احيانا انه قد اسرف فـي وصف بخلائه اسرافا شديدا .

وقارىء البشري والجاحظ معا يحس جانب التأثـر والتأثير احساسا متجسدا يرى بالعين ، ويلمس باليـد كما سبق ان ألمعت الى ذلك فانت اذا قرأت كلام الجاحظ عن الكندي أو احمد بن عبد الوهاب ثم قرأت بعد ذلـك حديث البشري عن احمد زيور ، ومحجوب ثابت تأكدت ان روحا واحدة كانت على ضفاف دجلة فـي العصر العباسي اخذت تراوح ضفاف النيل في العصر الحديث ! واذا كان الجاحظ قد اضحك الثكلى بمـا حكـاه عـن الكندي ، فمن الذي لا يطرب لما حكاه عبد العزيز عـن محجوب اذ يقول عنه « في المرآة » :

« لا شك في ان الدكتور محجوب ثابت يعد بحـق

في ميراثنا القومي ، ولو ـ لا اذن الله ـ جرى عليه القدر ، لكان لا بد للامة من (دكتور محجوب ثابت) بأي طريقة من الطرق . نعم هو في ميراثنا القومي ، لا يقل عن آثار سقارة ، وجامع السلطان حسن . ومقابر الخلفاء ، أصبح على الزمان جزءا من تقاليدنا الاهلية ، كحفلة المحمل ، ووفاء النيل ، وركبة الرؤية ، وشم النسيم . ولما فكر المرحوم محمود بك رشاد ، في جعل العلم المصري محلى بصور بعض الاثار القديمة ، فرعونية واسلامية ، لم ير المصور بدا من أن يرسم بجانب الهرم ، وابي الهول ، وجامع برقوق ، وحضرة سيدي ابي السعود ، صورة الدكتور محجوب ثابت !!! والدكتور محجوب ثابت في المصريين ، كانجلترا في الامم ، كل منهما يرى عليه للاخرين تبعات لا تنقضي على وجه الايام ! » . هذا بعض ما قال عن محجوب .

اما حافظ ابراهيم فمع تمكنه من نفس صديقه البشري بحيث كانا كنديمي جذيمة حقبة من الدهر لا يكادان يفترقان في صباح ومساء (٣)، ومع هذه المودة العريقة فقد احس شاعر النيل من نار عبد العزيز ما احس احمد بن عبد الوهاب من نار الجاحظ حين تعرض الى تصوير هيكله الجسمي فقال البشري في سخرية وامتاع :

« حافظ ابراهيم شاعر .. فهو يحب الجمال ، ويجتمع له ، ويكره القبح ، وينعي على اهله . يجابه بذلك مجابهة ، لا يتقي في القول ولا يتحرف . وما طلع عليه فتى دميم الخلق غير مستوى معارف الوجه ، الا قال له : يا فتى ! ليس الوزر عليك بل على ابيك لانه لم يؤد مهرا ... واذا اطردت نظرية حافظ ، فلا شك ان المرحوم والده تزوج على الطريقة الافرنجية فلم يدفع مهرا . بل هو الذي اخذ « الدوطة » !! هو جهم الصوت، جهم الخلق ، جهم الجسم ، كأنما قد من صخرة في فلاة موحشة ، ثم فكر في اخر ساعة في ان يكون انسانا، فكان ... والسلام . اما ما يدعي فمه ، فكأنما شق بعد الخلق شقا ! واما عيناه .. فكأنما دقتا بمسمارين دقا ، واما لون بشرته ـ والعياذ بالله ! ـ فكأنما عهد به الى « نقاش » مبتدىء ... قد تشابهت عليه الاصباغ والالوان .. فذاب اصفرها في اخضرها في ابيضها في بنفسجيها .. فخرج مزجا من هذا كله ، لا يرتبط من واحد بسبب ، ولا يتصل بنسب ... وانك لو نضوت عنه ثيابه ، وألبسته دراعة من دونها سراويل ، وافرغت عليه من فوقها جبة صافية ، وتوجته بعمامة عظيمة متخالفة الطيات ، لخلته من فورك دهقانا من دهاقين الفرس الاقدمين ، فاذا جردته كله ، واطلقته في البر .. حسبته فيلا ، او ارسلته في البحر ... ظننته درفيلا .. !! »

واذا قال هذا عن حافظ فما ظنك بما حكاه عن حسن غندر ، وفكري اباظة ، ونافع باشا ، والشيخ ابي الفضل ؟ لك ان تقرأ البشري في ذلك كله لترى انك تنادي الجاحظ من مكان قريب .

ومن الواضح ان كتب الجاحظ لم تكن هي كل ثقافة البشري ، غير انها أنست لديه طابع الدعابة والسخرية، وموهبة المرح والفكاهة ، فصادفت فيه مكمن الخصوبة الحية فأينعت ... كما صادف منها المنهل العذب فتمثل بعد ارتواء .. !!

واذا كان الجاحظ شيخ البشري في القديم ، فان محمد المويلحي رحمه الله هو شيخ البشري في الحديث .. اذ كانت صحيفته الذائعة « مصباح الشرق » اثيرة لدى البشري الناشىء يجري في انهارها فيض من كلمات المويلحي التهكمية الساخرة حين يصبها في قالب من البلاغة والجزالة ، ويضعها في اطار من الاشراق والاناقة .

ولقد قال البشري عن « مصباح الشرق » انها امست مصباحا يهتدي المتأدبون بسناه اذا ارسلوا القول، او الموا بنظم الكلام ..

وللبشري ترجمة مستفيضة للمويلحي بالجزء الاول من « المختار » ألمع فيها الى بعض ما نقول ، فذكر فضل استاذيته عليه بما لا يحتاج الى تعليق .. ولو لم يشر عبد العزيز الى تأثره بالمويلحي فيما ساقه من ترجمته بالمختار لما سكت ناقدو الادب المعاصر عن تسجيل ذلك . فان الصور الاجتماعية البارعة في حديث عيسى بن هشام قد انتقل صداها القوي الى صور « المختار » و« المرآة » . ولسنا نقول ان الاسلوبين يتقاربان تقاربا دانيا . فهذا ما لا يوحي به سجع المويلحي وترسل البشري ، ولكننا نقول ان الصور الاجتماعية لدى المويلحي قد ظهرت في ثوب اخر لدى عبد العزيز مع اتحاد المصدر المؤثر ، ولك ان تقرأ في حديث عيسى بن هشام غرائب المحكمة الشرعية ، وافانين رجال الادارة ، وغرائب اولاد الذوات ، ثم اقرأ ما خاض فيه قلم البشري عن ذلك ، لتعلم ان الاستاذ قد وجه التلميذ الى طريق تتعدد صوره ، وتنفرج زواياه عن كل نادر غريب !! .

ولئن غلبت الثقافة الادبية على كاتبنا الكبير فقد تأثر ايضا بالثقافة الدينية ، وذلك طبيعي لمن نشأ في بيت عريق عرف بالعلم والدين ، اذ كان ابوه الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر الاسبق ، واستاذ المالكية في عصره ، وله في حوادث جيله سوابق ذائعة دونها التاريخ !!

وقد كان من اتساق الامور ان يلم البشري في صباه بمبادىء القراءة والكتابة في « الكتاب » على نحو

(١) انتقل الى رحمة الله في مارس سنة ١٩٤٣ . (٢) لاستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد رحمه الله ترجمة تحليلية موجزة للبشري ، تضم نثارا من شعره معللة شارحة . (٣) اشارة الى قول الشاعر

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

غمغمة

قد تفترس الغيلان أحبائي
أو يغرقهم اعصار الليل
قد أنسى بعض الاسماء
وأحن الى وجه ناء
ويطوف الـذل
في ساحة داري ، أو أسمع
شيطانا في غسق الظلمه
يستنزف أعراق النغمه
أو ألمح بوما في الجدران
فأذوب حيـاء
وأغمغم في ألم : « اسراب جراد »
وأظل أرى الانسان
انسان الثأر
انسان العصر
يا أبطالا في درب الفجر
الشمس تناهبها الحيتان
والزرع تعيث به الغئران
ودموع الحزن تقرح جفن النسر
والبرد تغلغل في عظم الاطفال
عبر الاسمال .
يا آمال الاجيال
قد طال مسيركم بين الكثبان
والاودية السوداء
والانفاق المتعرجة الصماء
فالجرح عميق
الجرح عميق

قنيطرة ـ سورية — رضوان عقل

ما كان يفعل لداته حينذاك ، ثم يحفظ القرآن الكريم ، ولقد اوشك ان ينتظم في مدرسة ابتدائية مدنية بعد ذلك ، ولكن اباه ـ شيخ الاسلام ـ ابى الا ان يدخل الازهر وان يدرس علوم الدين ، فكان ما اراد . . .

ولا نريد ان نقيس الثقافة بالتحصيل المدرسي فحسب ، فان للثقافة منابع اخرى تتمثل فيما يحيط بالمرء من ظروف ، وما يتفاعل به من احداث . . اذ لا شك ان ثقافة البشري التي عبرت عن نفسها في مقالات تكتب، واحاديث تذاع ، لها اصول اجتماعية ، وسياسية من طبيعة جيله المعاصر ، فقد ادرك الرجل منذ حداثته احداثا سياسية ، وتقاليد اجتماعية ، ونهضة ادبية ، ولعل من اهمها انشاء الحزب الوطني سنة ١٩٠٦ بزعامة خطيبه المفوه المجلجل مصطفى كامل ، ثم اشتعال الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ وما وليها من قيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول ، مما اعقب ضجة ادبية حافلة رنت بها المنابر خطابة ، وسالت بها الصحف كتابة ، وغردت بها الاقدام شعرا رنان القوافي صادح الابيات ، وذلك كله بعض ما شارك فيه البشري بدءا وختاما . . .

ولا ننكر مع هذا كله طبيعة المجتمع المصري ، وعاداته ، وتقاليده المختلفة ، مما ساعد البشري على اتقان الصور ، وابتكار الموضوعات ، فكان قلمه البارع كالعدسة الدقيقة التي لا تسجل ما يرى وحده بل تضيف اليه من التحليل والتعليل ما يجعل الصورة فوارة الدم ، قوية الحركة ، تجيش بالحياة .

والى جانب هذه الثقافة العربية ذات الروافد الاسلامية ، والادبية والاجتماعية ، كان البشري على بعض الحظ من الثقافة الغربية ، وهي وان كانت قليلة الكم ، الا انها عميقة الكيف ، وهذا ما عبر عنه الدكتور طه حسين في مقدمته للجزء الثاني من « المختار » حيث قال عن البشري « انه قد ألم بحظ المترفين الذين عرفوا الحضارة الغربية ، وذاقوها وتمثلوها ، واستمع لاحاديثهم ، وشاركهم في هذه الاحاديث ، فأخذ من هذه الحضارة الاوروبية شيئا يسيرا خفيف الظل ، قوي التأثير في الوقت نفسه » .

هذه خواطر تتدافع في ذكرى الكاتب الكبير بعد ربع قرن من رحيله الفاجع ، وقد أردت بها ان اذكر القراء بأديب حي المشاعر ، بارع الصور ، فكه الروح ، في عصر لا يتسع لنظيره على كثرة من به من ادعياء البيان !! ولست انا الذي اقول ذلك ، بل انه شاعر الاقطار العربية خليل مطران الذي افزعه الخواء الادبي بعد رحيل عبد العزيز فقال في رثائه :

أخلا من البشري عصر لم يكن — فيه على ذاك المثال اثنان ؟

الفيوم : التوفيق الثانوية — **محمد مصطفى البسيوني**

ايـامنـا

صفـــاء الحيـدري

بغـداد ـ العـراق

في الليل
في الدرب الطويل الى القطار ، الى المحطه
كنا نسير تدق ساعه
وتموء قطـه
ويمر مخمور يسامر وحشة الدرب الطويل
سئـم الجماعـه
ويلوح فانوس يضوضيء ثم يكبو في الوحول

كنا نسير بـلا نجوم
أو سمـاء
أو قمـر
كنا نسير بلا تخوم
أو ضيـاء
أو بصـر
وبغير دار او وطن
وبلا مدار او زمن
لم يبق في اعماقنا شيء .. تنفس او نظر
الا الصبا .. في الليل والصمت انتحر
كنا نسير بـلا مدى
لم تترك الدنيا لنا دربا ولا أبقت هدى
لا أمسنا عشناه او نرجو غدا
لم نحي ... لم نترك صدى

ونروح نفترش الحدائق والسواقي
نحيا على ما مر من ايامنا ..
وعلى الذي في الغيب باقي
وبكـل يـأس
كنا ندق كؤوسنا كأسا بكأس

ويمر حول مكاننا عسس المدينه
حزمـا بطينـه
خطواتهم تبدو رزينه
فنعدهـا
اثنـان
ثـم
ثمانـي
حتى تلاشى في السكينه
اصداؤها الخرس اللعينه

عشنا كدود ترابنا
أغلى سني شبابنا



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد الغني العطري

خطرات وآراء

بقلم عبد الغني العطري

* * *

« للاديب » الاغر حقوق وله علينا واجبات كثيرة . وصاحب « الاديب » ، الصديق العزيز والزميل القديم . وقف حياته من اجل خدمة الفكر ، منذ اكثر من ربع قرن ، ورضي بالزهد وعيش الكفاف في سبيل الادب والجيل العربي الصاعد . وعلينا نحن ـ رفاقه في درب الكفاح الطويل ـ الا نتخلى عنه ، وان نشد ازره ونسهم في اداء الواجب معه . واذا ما شغلتنا عوادي الحياة ، فلكي نستأنف معه النضال بعد حين .

وها نحن معك ايها الاخ الحبيب ، على الدرب من جديد نحمل الرسالة ونؤدي بعض الواجب . (ع.)

مثلنا الاعلى في الادب

من اخطائنا في الادب وعيوبنا البارزة فيه ، ان معظم كتابنا ومتأدبينا لا يتخذون لهم مثلا اعلى ، يحاولون ـ مجرد محاولة ـ محاكاته أو التفوق عليه . وقد لا يكون في استطاعتهم محاكاة هذا المثل او التفوق عليه ، ولكن مجرد اتخاذ هذا المثل ، بل مجرد النظر الى كاتب او قاص او شاعر عالمي ، يرفع تفكير هذا الكاتب او القاص او الشاعر عن المستوى العادي ، واحيانا عن المستوى المبتذل الى المستوى الرفيع ، الذي يحلم به ، ويصبو اليه كل اديب ومتذوق للادب في بلادنا .

كثير من ادبائنا وارباب القلم عندنا لا يقرأون . واذا ما قرأوا فلكتاب عاديين ولمجرد الاطلاع والتسلية وقتل الوقت ، في حين ان مطالعة الاديب ـ الذي يحاول ان يرقى بأدبه الى الاوج ـ والى آفاق علوية من الفن والابداع ، تختلف كل الاختلاف عن هذا اللون من المطالعة ، ان مطالعة الاديب يجب ان تنحصر في مستوى معين من الكتاب . وحين يفعل الاديب ذلك ، فعليه ان يقرأ ، لا قراءة فهم وتذوق فحسب ، بل قراءة ناقد وخبير . يجب ان يغوص في الاعماق ويسبر الاغوار ، ويبحث عما وراء السطور . يجب ان يبحث عن الفن في الصورة ، عن الروعة في التحليل ، عن جمال التشبيه ، واخيرا لا آخرا عن كل ما في القطعة او الكتاب من معان بليغة وصور بارعة .

هكذا يجب ان يطالع الاديب ، وعلى هذا الاساس يجب ان ينتقي ما يطالع ويقرأ . اما القراءة العادية ، ولكتاب عاديين ، فلا ريب انها غير مجدية ، بل ربما كانت في بعض الاحيان سببا للتخلف الفني ، ووسيلة من وسائل الضعف الادبي .

اذكر ان الكاتب الفرنسي الكبير « فلوبير » كان ينصح تلميذه الروائي « موبسان » ويوجهه فيقول :

عليك حين تريد ان تكتب ان تبحث عن الجديد . عليك ان تطيل النظر ، وتمعن التدقيق في كل شيء ، كي تأتي بالجديد في صورك وتشابيهك .

وكان يقول له :

ـ كل شيء يمكن ان نجد فيه جديدا ، حين نبحث عن زاوية لم يرها غيرنا من الكتاب . والمهم فقط ان نهتدي الى هذه الزاوية ، وان نحسن ابرازها وتصويرها.

عندما نقرأ لامثال هؤلاء الكتاب والادباء ، نكون قد حاولنا ان نرقى بأدبنا ونسمو به ، لا ان نقف في آخر الصف ، ونقنع بالقليل من الاطلاع الادبي والمعرفة الفكرية . والاديب الفاشل هو ذاك الذي لا يقرأ بعمق وتذوق وفهم ، وهو ايضا ذاك الذي لا يحسن انتقاء مطالعاته ، ولا يدقق في اختيارها .

علينا ان نبحث عن مثل اعلى لنا في الشعر والنثر والقصة ... ولا مانع ، بل من الخير كل الخير ان يكون لنا اكثر من مثل اعلى نعجب به كل الاعجاب ، ونتذوقه كل التذوق، ونحاول ما استطعنا ان نسمو بنتاجنا الفكري الى الحد ، او بعض الحد الذي بلغه مثلنا الاعلى . واذا ما فعلنا ذلك ، اذا ما آمنا بهذه الفكرة كل الايمان ، واعتنقناها حق الاعتناق ، فقد يأتي يوم يظهر فيه من صفوف المؤمنين بها ، من يصح ان يكون مثلا اعلى للاخرين ، وقدوة للكتاب والشعراء والقاصين .

لنبحث عن مثل عليا في الادب ، ولنرتفع ، او لنحاول الارتفاع بأدبنا الى المستوى العالمي ... ولنؤمن بان الطموح اول الطريق الى النجاح .

دواوين شعر ..

عدد وافر من دواوين الشعر وصلتني في الآونة الاخيرة من شعراء شبان في سورية ولبنان والعراق .

يسعدني كثيرا ان اتوجه بالشكر الخالص الى اصحاب هذه الدواوين ، على هداياهم الكريمة ، وثقتهم الغالية ، وحبهم الاكيد . واني لاعتبر هدية الفكر اثمن واغلى هدية يمكن ان تقدم الى من نثق بهم ونحبهم ونحترمهم . على ان هذا الشكر لا يمنعني بالطبع من ابداء رأي صريح في الموضوع . ولست اعني بهذا الرأي شاعرا بذاته ، ولا ديوانا بعينه ، بل هي كلمة عامة ، احب ان يقرأها كل شاعر يعنيه الامر :

من المعروف ان التنافس بين الشعراء الشبان بات على اشده . كل واحد يحاول ان يثبت وجوده بجمع عدد من القصائد يطبعها في كتاب صغير الحجم ، ناعم الورق ، انيق الغلاف ، يسميه ديوانا ، يحمل اسما معينا ، وصورة ترمز الى شيء من مضمونه . ويكون صاحبنا قد سجل بذلك عملا ادبيا جديدا ، مقلدا انداده وزملاءه من الشعراء الشبان !.

هذا هو ميدان التنافس الذي قام ولا يزال ، بين شعرائنا الشبان العرب ، وهذه هي « موضة » المواسم الاخيرة بين هؤلاء الاعزاء .

احب ان اصارح الجميع بان هذا التنافس في غير موضعه ، وان هذه « الموضة » ليست موفقة ولا مناسبة « لاجسامهم » الغضة وعقولهم الطرية ، بل ليست مناسبة لمستقبلهم ومستقبل الشعر عامة . وخير لهم والف خير ، ان يبتعدوا عن هذا الميدان ، ميدان التنافس في النشر المبكر ، وان يكتفوا بالانتاج وامعان النظر فيما نظموا وانتجوا ، وتنقيحه ، والاكتفاء بالقاء الممتاز جدا منه في ندوات عامة ، او نشره في بعض الصحف والمجلات . وبذلك يفسحون المجال لانفسهم ، لنقد انفسهم ، وعدم تسجيل النتاج الشعري العادي او الرديء في دواوين تحفظ في المكتبات ، وتبقى على الزمن شاهداً على اسفافهم وسطحيتهم احيانا !

الشاعر الكبير المرحوم خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق رفض ان يطبع ديوان شعره طوال حياته ، رغم العروض السخية التي قدمت اليه . ولم يطبع ديوانه الا بعد وفاته بشهور طويلة ، حين اصر المجمع على ضرورة طبع هذا الاثر لركن بارز من اركان الشعر في سورية والعالم العربي .

وفقيد الشعر المرحوم محمد البزم لا يجهل اثره شاعر او اديب او قاريء ذواقة في العالم العربي ، رفض هو الاخر ان يطبع ديوانه وهو حي ، بل طبع بعد وفاته .

والاخطل الصغير الاستاذ بشارة الخوري ، ظل ينظم الشعر اكثر من اربعين عاما ، ورغم هذا لم يحاول طبع شعره في ديوان الا منذ بضعة عشر عاما .

وما نقوله عن هؤلاء الفحول نقوله أيضا عن الشاعرين الكبيرين بدوي الجبل وشفيق جبري اللذين يرفضان باصرار طبع ديوانيهما . ان الشاعر الحق يأبى ان يسجل على نفسه اثرا لا يثق بجودته وروعته ، بل يحتفظ به ليمعن النظر فيه ، على ضوء تقدمه في الشعر وتمكنه من الادب .

انه ولا ريب اندفاع خاطيء ، هذا الذي نراه بين شعرائنا الشبان ، وتنافس غير محمود ، سيدفعون ثمنه في المستقبل من مكانتهم . ولو اعادوا النظر بعد سنة او سنوات فيما طبعوا اليوم ، لندموا اشد الندم .

اني لاكره الحصرم المتزبب ، وبعض هؤلاء الشعراء ما يزالون حصرما ، ولكنهم يحسبون انهم نضجوا وصاروا عنبا ثم زبيبا !.. والمستقبل وحده ، والنقاد المنصفون وجدهم كفيلون باحقاق الحق ووضع الامور في موازينها .

الادب اللااخلاقي

الادب الاخلاقي في خطر .

الادب الرفيع الفاضل يهدده الابتذال والاباحية واللااخلاقية .

ان دعاة هذا اللون الجديد من الادب ، لم يعد يرضيهم الغزل العاطفي ، ولا تصوير الحب وخلجاته ، ولا تغليف الرغبات والتعبير عنها بكلمات ناعمة والفاظ رقيقة .. انهم يحرصون على التعبير عن رغبات الجنس بكلمات مكشوفة ، ويصرون على سرد الحوادث اللااخلاقية واصطناعها .

لم اللف والدوران ، ولم يحاول الكتاب والادباء البعد عن الواقع ؟. ان الواقع جنس ، فلماذا لا نجابه الحقيقة بصراحة . ولماذا لا نصورها بجراة وواقعية ؟

بمثل هذا المنطق يحاول دعاة اللااخلاقية في الادب ان يبرروا دعوتهم . وبمثل هذه الحجج يحاولون الدفاع عن رأيهم ودعوتهم . لنتصور ان احد الكتاب السوريين اصدر قبل حين رواية من الادب اللااخلاقي ، وفيه يصف امراة مبتذلة فيقول : (لقد سمحت « الاديب » لنفسها بحذف العبارة لفضاحة التعبير فيها) . بمثل هذه الصراحة يحاول اللااخلاقيون ان يصفوا هذه المراة .. ان الكاتب لم يلجأ الى الالفاظ المنمقة ، ولا الى الكلمات الرقيقة المزخرفة .. لقد افقد الصورة كل جمالها ، وكل روعتها حين ابى ان يضفي عليها شيئا من الظلال ... شيئا من زخرف الكلام ، وشيئا من الوصف الرقيق البارع .

ان القاريء ليصدم بمثل هذه الالفاظ والتعابير ـ وما ذكرت اهونها وايسرها ـ وتعود به الذاكرة الى

تونس الخضراء

تلقى الشاعر رسالة من احد اصدقائه الادباء يقول فيها « الى الذي انسته تونس الخضراء اخوانه في الكويت » . فكانت هذه القصيدة :

لم تنسني تونس الخضراء اخواني ... ولم تزدني سوى شوق لخلاني
ولم تزدني سوى حب الى وطن ... أصفيته الود ـ ألوانا ـ واصفاني
وللكويت حنين بات ملء دمي ... لولا وجودي في الخضرا لاضناني
فتونس المجد مضياف ومؤنسه ... تحيي الاديب وتجزيه باحسان
فيها الطبيعة قد غنت مزاهرها ... فأطربت بغناها كل فنان
فيها من الخلق المحمود امثلة ... يرنو لامثالها ـ حقا ـ ذوو الشأن
والروح تسبح في أجوائها طربا ... كأنها بعثت في عالم ثان
وتونس بهجة الدنيا وزينتها ... آمنت بالحسن فيها خير ايمان
فيها الحضارة قد شعت مآثرها ... سما بها الفكر من عرب ورومان
وتلك آثارهم في الرحب قد شمخت ... يسبح الفن فيها منذ أزمان
وشعب قرطاج فالايام قد شهدت ... له بعز وأمجاد وسلطان
وللعروبة فيها كل مفخرة ... من العلوم وآداب وعمران
فلابن سرح دوي في مدائنها ... وقد غدا ذكره في كل ميدان
وعقبة الفتح خفاق اللواء بها ... اذ كان فيها مثال المصلح الباني
وأغلب في جبين الدهر لؤلؤة ... بالقيروان لهم رايات عرفان
وتلك مهدية الامجاد شاهدة ... للفاطميين من أبناء عدنان
قد شيدوا دولة شماء سامقة ... بها تغنت دمشق بعد بغدان
وأهل تونس أهلي سوف اذكرهم ... مدى الحياة بأشواق وتحنان
هم الكرام اذا ما الحر جاءهم و ... بر الاطايب من روح وريحان
هم الرجال اذا ناداهم وطن ... عند المصاعب او في رد عدوان
سلوا فرنسا فقد ردت ودائعهم ... لا بالكلام ولكن بالدم القان
دماء حشاد والاحرار اخوته ... قد خضبت ترب بنزرت وزغوان
ولست فيهم غريبا بل هنا وطني ... وفي رحابهم الريان سلواني
فان يكن في الكويت الحر لي سكن ... فلي بتونس احبابي واخواني

تونس — فاضل خلف

ادب القرون الخالية ، سواء منه الادب العربي في عصر العباسيين والمماليك ، او الادب الاجنبي في بعض مراحل حياته . واذا كنا قد حمدنا الله على خلاص الادب في القرن العشرين من الاباحية واللااخلاقية فانه ليعز على كل قاريء ومفكر ، ان يحاول اللااخلاقيون في اوروبا واتباع مدرستهم العودة بنا الى الوراء ... الى اللااخلاقية التي طوينا صفحتها ، وبقيت في بطون الكتب ذكرى اليمة ، وتاريخا من الادب لا يشرف الخلق ، ولا ينسجم مع حاضرنا ، ولا يتلاءم مع مستقبلنا الثقافي والفكري الذي نرنو اليه .

يخطيء كثير من شبابنا ومتأدبينا وادبائنا ، حين يحاولون احياء الادب اللااخلاقي ، تحت اسم الوجودية ، متأثرين بمدرسة سارتر او ساغان ... ويخطيء اكثر واكثر اولئك الذين يتأثرون بهذه « الموضة » لا عن فهم ووعي ، ولا عن ادراك ، بل تمشيا مع الجديد دون مناقشة البيئة التي نعيشها ، او مراعاة المجتمع الذي نحيا فيه .

ان تيار الادب اللااخلاقي سينهزم ويزول ، كما انهزم ايام العباسيين وبعد عصر الانحطاط ، وكما انهزم في فرنسا بعد القرن التاسع عشر ، ليحل محله الادب الواقعي الفاضل ، الذي يصور خلجات النفس ، وخفقات الفؤاد ، بأسلوب رفيع ، وكلمات منتقاة ، والفاظ ناعمة مسكرة .

دمشق — عبد الغني العطري

الرحمة ودموع السماء

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

رايتي وانا راقد على سريري انعم بالدفء والحرارة في ليلة ماطرة ، هربت انجمها في مدار السماء ، وتتعارك فيها الحياة على الارض والسماء . رعد يصك بصريره وضراوته الاسماع ، وبرق يخلب بنوره الابصار ، ورياح عاتية عاصفة ، تدمدم مزمجرة تلتطم بالاشجار ، فتثير الرعب والفزع في القلوب الآمنة المطمئنة ، وينبث من كل هذا صوت ماء ميزاب السطح ، ينساب هادرا على سطح مفرش البلاط ، يدب التريث فيه ، يخفف اثر صوته الناعم من حدة الاصوات المرعبة المنطلقة ، من اثر عراك الطبيعة الغاضبة القلقة ، ويخالط النفس من اثر وقعه امن وعافية ، ويتدفق من حلاوة وقعه وموسيقى انسجامه ورتيب ايقاعه ، صفاء ونقاء ، فكأنه كمان ينفخ الانغام المطربة ، ينفحها بعفوية وتلقائية كلما شاءت السماء ان تتصل بالارض ، مرسلة خيوط غيمها ماء رذاذا صافيا ، يعلم الانسان حلاوة الصفاء والتآخي والفيرية ، والتبشير بالخير . فكأن عراك الطبيعة واصداءها المتهجمة الغاضبة ، لم يكن الا عراكا ظاهريا ظاهره العذاب، وباطنه الرحمة، يحمل في ثناياه اوتاره واضطكاك مظاهره ، نذر الخير يصبها بسخاء واريحية منبجسة من عين السماء ، كما ينبجس الينبوع بالماء الزلال الصافي من خلال الصخرة الشماء الدكناء ، يتدفق بالبشر والطراوة وتطرد فيه الحياة متوثبة متحركة مستديمة ، تتألق في امتداد لسانه ، فيشيع الجمال فتستريح النفس وتهدأ ومن ثم تتحرك لهفتها تبغي الاندماج في ثناياه ، لتصبح قطرة وذرة من ذريراته .

أقول رأيت نفسي في ظل هذا العراك المبشر بالخير ، انساق وراء صور جميلة من صور الحياة ، وتتعاقب امثال هذه الصور على الانسان وهو هادىء يتملى الجمال والصفاء ، ولكن فيلم الحياة يمده وهو في حالات الغضب والسأم بالصورة العابسة ، اذ لا يثير الغضب الا الغضب ، ولا يثير الصفاء الا الصفاء ، وكثير من الناس يروحون عن انفسهم ويرفهونها باستجلاب مظاهر البهجة ، اذا ما ارهقها الكدر ونفذ السأم الى كل خلية من خلاياها خشية ان يجلب الغضب والكدر صورا منفصة اخرى، تزيد من حدة اعصابهم وكدرهم وغضبهم، فتدب الحياة في انفسهم وتشرق بالبهجة والصفاء .

ولا شك ان هذه الصور المبهجة تأتلف مع حالة نفسي وانا غارق في فراشي يعب جسمي الدفء والحرارة ، وتفرق حواسي اصداء الطبيعة ترسل شآبيب الخير والرحمة فتعبه الارض بحنان وعطف موصولا بالشكر . وما أجمل العراك نلتمس من نبضه املا وبشرا وخيرا ، وما أبدع الجمال نستمده من باطن النفس كما نستمده من مظاهر الطبيعة .

رايتني وانا منطلق في رحاب هذه الاجواء انطلق بدون وعي مني على صهوة احلامي ، فاذا بصورة الشاعر ـ ابو تمام ـ يتلفع عباءته ويعتمر بعمامته يمشي وئيدا، تنبعث رائحة الشراب من فيه ، وتتوقد عيناه ، وتنثران نورا ولهبا .. ثم يقف لحظة يتأمل ويلمس لحيته ، ينشد الدفء في تمليسها ، ولطالما كانت اللحى ، مبعث حرارة يستمده أصحابها من شريان شعراتها ومن ثم اخذ ينشد :

يا سهم .. للبرق الذي استطارا ... بات على رغم الدجى نهارا
حتى اذا ما انجد الابصارا ... وبلا جهارا ، او ندى سرارا
آض لنا ماء ... وكان نارا ... ارضى الثرى .. واسخط الفبارا

وكأنه لم يكتف بهذه الابيات الثلاثة اذ شاهدته وهو يضع أصابع راحته اليمنى على مقدمة جبهته . ويهزها هزا ، كما يفعل جاني البلح حين يهز نخلته لتساقط عليه بلحها ، لعل جبهته تساقط عليه ، شعرا رائعا وما لبث حتى سمعته يهمس بهذين البيتين ، فكانهما نفحة من نفحات الغمام قال :

سارية ، لم تكتحل بغمض ... كدراء ، ذات هطلان محض
تمضي ، وتبقى نعما لا تمضي ... قضت بها السماء ، حق الارض!

ومن ثم انبرح خياله ، واختفى بعيدا في طيات احلامي .. واطل علي خيال شاعر حبيب الى نفسي . لاقى اذى وعنتا في حياته من معاصريه الادباء ، فلقد كان بعضهم يلاحقه بزراية شعره والاستخفاف به بلا سبب ، سوى ما ينبض في قلوبهم من الحسد والفيرة ، وقد لاحقه حسدهم بعد مماته ، بيد ان روحه المتدفقة في شعره .. روحه المتحررة الانسانية ، ما زالت تنساب في ارواح المتأدبين بأدبه ، والمتتلمذين على دواوينه . ويا طالما وجدت كثيرا من الغبطة والسرور والمتعة واللذة والثقافة والروح الانسانية ، التي تتدفق في صدق لهجته ، ونحن جلوس في حضرته اثناء زيارتي له في ادارة مجلة « ابولو » ينتظم حوله اصدقاؤنا من الشعراء والادباء ، مثل الدكتور مختار الوكيل ، والاساتذة صالح جودة ، وحسن كامل الصيرفي وغيرهم من الشعراء الذين لا اتذكرهم الان لقد كان رحمه الله ، يسح بالادب والثقافة والشعر والتاريخ والفن ، كما تسح الغيمة الماطرة يجلو لك كل هذا ، بأسلوب جميل محبب تسيطر عليه روحه المتصوفة المتأملة العميقة ، الا وهو استاذنا الدكتور احمد زكي ابو شادي . بدت لي صورة وجهه كما عهدتها تشرق بالابتسامة المشوبة بالالم ، تغطيها تلك

عرفتـك

برغم الجفـا .. بيننـا والصدود
بلا موعد .. هـا هنـا نلتقي !!
عرفتك مـن همسـات الطيـور
ومـن نغمـة الحور والزنبق !!
عرفتـك مـن قبلـة أومـأت
لتغري .. على الخـد والمفرق !!
عرفتـك مـن لفتـة حلـوة
الـي .. ومـن خطـوك المرهق !!
فـلا تسرعـي الخطـو عنـي ولا
تشيحي بوجهـك .. او تحنقـي !!
جرحت بتلـك الخطـى كبريائـي
واخجلتنـي .. دون ان تنطقـي !!
فيا لـك مـن طفلـة .. قلبها
بنـار الهوى بعـد لـم يحرق !!
تصدين عني .. ؟؟ لا .. لـن اكون
ثقيلا .. علـى قلبـك .. المغلق !!
تخافين مني .. ؟؟ وأنـا زهـرة
بغيـر الشذا هـي لـم تعبق !!
حنانيك .. ان كنت ممـن يغـار
ويخشى علـى الشرف الاحمق !!
فانـي انـا نجمـة مـن شموخ
لغيـر المروّات .. لـم تشرق !!
وأن كنـت حانقـة .. أننـي
ابـاء لغيـري .. لـم يخلـق !!

جدة ـ السعودية — مقبل العيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السمرة المحببة التي تلون اديم وجهه ، بدت وهو ذاهـل حالم فيما تغدقه الطبيعة من غيث مدرار ، يتأمل مـاءه المتساقط فتزدهيه لآلئه المتناثرة ، تسكبه على الارض مملوءا باللهفة والحنين ، يصوب عقلا نافذا فيما احاط به من مظاهر الطبيعة ، فيتفاعل مع نفسه الشاعرة فنجتلي الحكمة الفنية من وصفه ، تطفر بالإحساس والفن صدر عن تجربته الخاصة ، وما لبث حتى أنشد واصفا السماء الشاعـرة :

كـان دموعها ، وصدى جواهـا — صدى الفانين ـ من بين الانـام
وكم غول .. ينوح بهـا طريـدا — مـن الارض الفنيـة باللثـام
وقـد هجـر الملائكـة الحيـارى — منازلهـا ـ وغابوا فـي الظـلام
فباتت : مثل هـذي الارض يأسا — وأعلن يأسها ـ فـزع الغمـام
وسحت السـن بالشعر فيهـا — فصاحـا بالدمـوع وبالفـرام

ثم توقف قليلا عن الكلام ، وما لبث حتى غرق فـي حلم لمسته من انطباق جفنيه . فكأنه كان يخشى علـى احلامه ومشاعره من الهروب ، فاوصد عليها الباب واحكم رتاجه . وما عتم حتى رفع ستار عينيه ، بعد ان استحال حلمه شعرا وأنشد متأملا :

فيا غمام اطل .. سحا على زمن — الحسن والنور، بعض من خواطره
انت الحري.. بسكب الدمع في شجن — فقد صحبت قديما غرس ساحره

وقد ايقظني من حلمي ، واستئناسي بهذه المتـع الفنية صوت نقرات على زجاج النافذة وقعتها حبـات البرد ، عابثة ضاحكة ، صحوت انكر عبثها متأملا فـي حكمة الحياة ، اذ تبعث بالشيء البسيط الصغيـر ، ليلاشي احلامنا وامانينا ويفقدنا متعة لذيذة ، نراها فـي تدفق احساسنا شيئا كبيرا ..

عمان ـ الاردن — مصطفى درويش الدباغ

رباعيات خلفية

احمد تسوكي

الرباط ـ المغرب

لا أملك الرؤية في العينين
لا أملك الكلمة في الشفتين
فكيف أفهم المراد من كيونتي
في عالم أبيعه لقاء درهمين ؟

الساعة الليلية الصموت
تنبئنا بأننا نموت
حين نقول اننا نحيا
نقضم هذا الورق الاصفر كالعنكبوت .

في هذه الدنيا نموت لا أحد
يدركنا الى متاهة الغد
يغيثنا حين يحفر الحفار
فراشنا السفلي في قعر الابد .

استيقظي أيتها الرؤى التي تموت
في داخل التابوت
فالناس موتى في الحياه
ينتظرون الله أن يمطر الياقوت .

تركني والدي وراء الجدار
أعيش او انهار
أدركني الوهن في أول الطريق
لانني حي وميت وعار بلا ازار .

قتلت كل الاصدقاء
في ليلة ظلماء
لانهم كانوا ينافقون ، يكذبون
ويتكلمون وحدهم كالصحف الصفراء .

سيرجع المسيح من أول الزمان
ويضرم النيران مرة أخرى بلا دخان
يلومنا لاننا بلا رساله
نحملها ونحن أموات على الصلبان .

من يرجع الذي مضى وكان
في آخر الزمان
يقول : هذي الارض لن تقوم
الا اذا تعبنا وخسرنا الرهان .

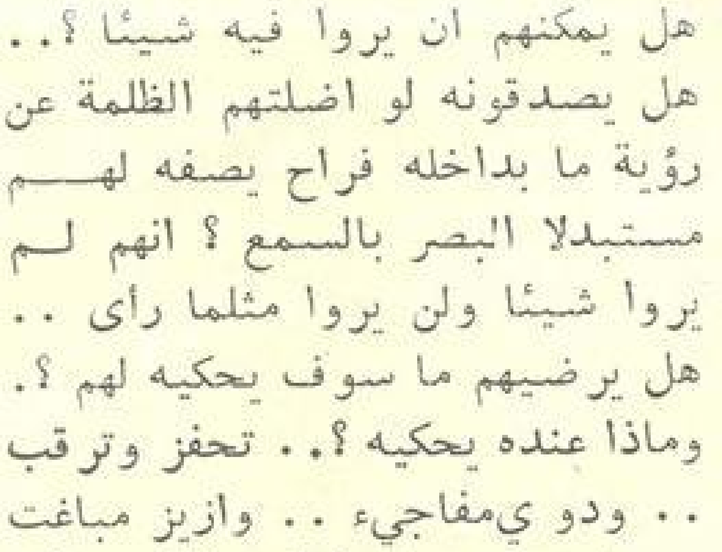
من يطرق الابواب ، من
يتبعنا اذا ولجنا في الكفن
قل لي اذن ، من يهز القبور
يناديا ، ويتعلق بالجلود كالزمن ؟

سنتشبث بالحياة والافكار
وسنعيش في عالم الصور نختار
أشكالنا ، ظلالنا التي
يسود في بياضها الشعراء ـ الاصفار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قرية وأم

بقلم اسماعيل علي اسماعيل



دوي وأزيز يلهبان التحفز في العيون .. ويستفزان الفوهات الفولاذية .. واصرار وعناد تتمزق معهما اجساد . .وتتطاير صرخات واشلاء .. ثم عودة من جديد الى الصمت والترقب .. واخيرا عربة صفراء كبيرة .. تحمل في جوفها اجسادا تتلاصق .. وسكوتا يطوي حزنا عميقا .. وطريق طويلة .. تستنزف من الزحام بعضه كل حين وحين .. وتمتص السكوت والحزن على مهل .. وها هي ابو حماد .. تزايلها العربةالكبيرة بعد ان اودعتها بعض حملها .. وبعد مسيرة قليلة، ينشق من طريق المعاهدة ، الطريق الزراعي الممتد الى قريته ..

طريق هي الاخرى طويلة .. على امتدادها يترامى الصمت والوحشة .. وكلمات حلوة قالوها يوم وداعه .. وانعقدت فوق رأسه مع سحب التراب الذي اهاجته اقدامهم .. ثم تساقطت على الارض لما خلفها .. تترقب رجوعه كي يوقظها بقدميه الضخمتين .. ويحملها اليهم بغير ترابها .. براقة لامعة .. ليته لا يمشي هذا الطريق ثانية .. كيف يمر بالكلمات ولا ينحني فوقها ويلتقطها .. ليصحبها معه في عودته وقد ألبسها القصد والمعنى..

ـ عطوة .. هذه سكة بلدكم .. قف يا دفعة ..

وتوقفت العربة بغتة ، فاهتزت الاجساد في جوفها ، وارتطمت ببعضها .. وامتدت اذرع كثيرة تساعد عطوة على الوثوب من مؤخرة العربة .. وتلوح له مودعة .. وارتفعت يد عطوة تلوح للاذرع الملوحة له .. والعربة الصفراء الكبيرة تخطفها بعيدا عنه .. ثم نزلت يده الملوحة تساعد اليد الاخرى في شد سترته الكاكي الى اسفل ..

وحين انحدر على الطريق الزراعي .. عاد السكون يطن في راسه ويئز .. واعماقه يغلي فيها الصمت ويفور .. وكانت الشمس من فوقه رغم تخطيها النصف الاول من النهار لاسعة .. تكوي الامل في نسمة منعشة ..

ـ سوف تعود والنصر ملك يمينك .. ويومها سنفرش طريقك فرحة وزينة .. ونقيم لك ليلة ولا الف ليلة ..

ـ ولا تنس ان تحضر لامك منديلين راس ومثلهما لكل بنت من بنات القرية .. حلاوة النصر والسلامة ..

ونظر الى يديه فاذا هما مدلتان الى جانبيه .. فارغتان .. لا شيء يحمله اليهم .. بل يحمل الكثير ..

في قلبه .. هل يفتح لهم قلبه ؟.. هل يمكنهم ان يروا فيه شيئا ؟.. هل يصدقونه لو اضلتهم الظلمة عن رؤية ما بداخله فراح يصفه لهم مستبدلا البصر بالسمع ؟ انهم لم يروا شيئا ولن يروا مثلما رأى .. هل يرضيهم ما سوف يحكيه لهم ؟. وماذا عنده يحكيه ؟.. تحفز وترقب .. ودوي مفاجيء .. وازيز مباغت .. واصرار وعناد ازاء تحالف عدائي مسعور .. ثم عربة صفراء كبيرة تلفظه على مشارف الطريق المفضي الى قريته .. فماذا صنع في جوف هذه الدوامة العاتية ؟.. هل تصدقه امه لو قال لها انه لم يترك مدفعه الا بعد ان افرغ كل طلقاته في قلب تجمع اعدائه ؟.. صحيح هو لم ير احدا يسقط صريع طلقاته .. لكن ما ذنبه والموجة كانت اعتى من عاصفة مجنونة مدمرة .. حجبت عنه الرؤية .. وخنقت بالنار والدخان انطلاقه وتقدمه ..

الذين ذهبوا الى بور سعيد ايام العدوان الثلاثي من القرى المجاورة .. عادوا بحكاية وحكاية .. وانا أرجع اليك اليوم يا امي باكثر من حكاياتهم .. بصور بطولية وان طمسها ضباب الوحشية .. ودخان الغدر .. والتحالف المسعور .. عساها تخفف من مآقيك الدمعة التي ودعتني بها .. فان لم تكفك يا امي .. فاذكري انك منعتني من السفر الى بور سعيد يوم البطولات التي لم يقو على طمسها .. هدير القنابل .. ودمدمة المدافع .. وسيل النار الحارقة .. قلت لك يومها .. اتطوع في الحرس الوطني واذهب مع الذاهبين من القرى المجاورة .. فتشبثت بي دموعك تمنعني .. وصرخت نهنهتك في وجهي .. اني ما زلت دون الثانية عشرة .. واني الباقي لك بعد ان مات ابي ..

كيف مات ابي يا امي ؟.. اعرف انه كان يعمل في معسكرات الجيش الانجليزي في التل الكبير .. فهل قتلوه ؟.. انت قلت انه لم يتعد الخامسة والثلاثين من عمره لحظة موته ففي اي صورة مات ؟..

ـ مات ابوك مثلما يموت كل الناس .. هنا على فراشه .. فلا تسمع ما يقال عن موته .. كلام الناس كثير .. اذهب يا ولدي ولا تشغل بالك بهذا الموضوع وانت ذاهب الى الميدان ولتعد بالنصر ان شاء الله ..

أنا عائد اليك يا امي .. وان كنت لم آتيك بالنصر فلسوف آتيك به المرة القادمة .. المعركة لم تنته بعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. قال الضابط الشاب لنا ذلك ونحن نصدقه .. هل تصدقين اني رفضت الاجازة التي منحها الضابط لي خجلا من ان القاك بغير نصر .. وخوفا من الا تكوني واهل القرية على علم بانها نكسة .. ستنقلب الى نصر يدحر العدو ويرده الى وكره .. ثم قبلتها لما اقنعني بانها فترة صمت سيعود بعدها الدوي الهائل .. هل تعرفين ما معنى توقف اطلاق النار .. والمراقبين الدوليين.. والجمعية العمومية .. هل تكفل الشيخ بيومي بافهامكم هذا.. ام تراكم تنتظرونني حتى آتيكم باليقين ..

وحين لاحت قريته راقدة وسط الحقول على مدى البصر .. كان لا يزال يمشي في خطوه الوئيد على الطريق الزراعي .. لا يثير غبارا ولا صوتا .. وعيناه تائهتان في افق لا تحده سوى صور غير مرئية .. تطفو من اعماق بعيدة وقريبة .. والطنين في اذنيه يواكب الصور التي تتدافع امام عينيه .

*

كانت الشمس ما تزال تقف على البعد من المغيب ، وان بدات تفتت في الافق القريب منها صفرة رائقة، عندما بلغ عطوة مدخل القرية .. وفوجىء عطوة بالشيخ بيومي يعبر مسقى قريبا من الطريق الزراعي ، ويهرول نحوه وهو يناديه ، ويغمغم بصوت غير مسموع .. وتوقف يستقبله وبسمة تتعثر فوق شفتيه .. ولم يكد الشيخ بيومي يصله حتى احتواه بين احضانه في نهم غريب .. وقطرات من الدمع تفرق تجاعيد وجهه .. وتبلل شعيرات بيضاء نبتت حول ذقنه .

ولم يدر عطوة كيف ومتى جاءته كل هذه الاذرع .. تلفه بالحنان والشوق .. وكيف انهمرت كل هذه الكلمات .. تغسل الهم والقلق من اعماقه .. ولم يتبين ان ذراعي امه لم تظهرا بعد وسط هذه الاذرع الكثيرة .. وعيناها الحانيتان لم تحتوياه ، الا بعد ان بدأ الموكب يخطو داخل القرية ..

وسأل عطوة الشيخ بيومي :

ـ اين امي .. هل هي في الغيط ؟..

توقف الموكب ، وتصلبت نظرات السائرين فيه صوب لا شيء ، مثلما تسمرت اقدامهم في الارض .. ونزل صمت اخذ بخناقهم جميعا .. واحس عطوة باصابع ثقيلة تقبض على صدره ، فالتفت برأسه الى الشيخ بيومي ، يسأله بنظراته القلقة سر هذا الصمت المفاجىء ورفع الشيخ بيومي ذراعه ولوح بها في الفضاء كأنه يذب الصمت عن الرؤوس .. وقال في تلعثم لم يستطع التحكم فيه :

ـ نعم .. نعم انها هناك .. لكن سلنا اولا عما فعلناه في غيابك .. تصور انك لم تكن وحدك الذي يحارب .. واننا كنا نحارب مثلك .. وحياة سيدي الغمري هذا صحيح ..

لان الجمود في العيون ، فاسترخت الاهداب ، واستراحت الاقدام من تصلبها ، فمضت تعاود المسير .. وفي بطء تحرك الموكب يتصاعد من وسطه صوت الشيخ بيومي .. يتماوج بين هدوء وانفعال .. وعلو وخفوت .. كأنغام لحن جنائزي .. وعطوة يمشي وسط الموكب مشدودا الى حكاية الشيخ بيومي ، وقد نسي امه ، واستدار الى داخله يطارد اسئلة انبعثت تبحث وسط الدهشة عن اليقين .. ان تأتي طائرة اسرائيلية تطاردها مقاتلة مصرية .. صحيح .. وان تسقط المقاتلة المصرية الطائرة الاسرائيلية .. صحيح ايضا .. لكن هل حقا سقطت فوق هذه القرية ؟.. ولماذا هذه القرية بالذات ؟.. وهل صحيح ان الطيار الاسرائيلي قفز بمظلته وسط الجرن .. وحين التف به اهل القرية فتح عليهم نيران مدفعه ؟.. الغادر المتوحش .. حتى الآمنون العزل.. لكنه جبان .. ارعبه التصميم البادي في عيونهم على الفتك به لاقتحامه حرمة ارضهم بغير حق.. هل تراه اصاب احدا منهم ؟..

ونظر عطوة الى الشيخ بيومي مقاطعا :

ـ لكن هل اصاب الغادر احدا بمدفعه ؟..

قفز التلعثم يمسك بشفتي الشيخ بيومي ويوقف انسياب الكلمات من بينهما .. ووثب التعثر يعترض طريق الموكب ، وينثر امام الاقدام مزيدا من البطء .. وعاود الصمت على الفور انزال غلالاته فوق الرؤوس .. وصرخ الخوف من بين شفتي عطوة .. وذراعه تمتد لتهز كتف الشيخ بيومي :

ـ ما لك .. هل اصاب الغادر احدا ؟..

اجاب الشيخ بصوت فيه بقية من تلعثم :

ـ اصابات خفيفة .. انما المهم ما عملناه معه .. ساعتها ارتمينا خلف كوم التبن لنحتمي من طلقات مدفعه التي راح ينثرها في جنون حوله .. ولما كف عن اطلاق النار انقض عليه الولد يوسف .. واذ بالغادر يفاجئه بضربة فوق رأسه بمؤخرة مدفعه فطار صوابنا وجرينا اليه .. ومع انه باغتنا بطلقات جديدة كان يبقيها في المدفع الا اننا انتصرنا عليه في النهاية ومزقنا جسده .. الحقيقة اننا لم نكن نريد قتله .. كنا نريد ان نحتفظ به اسيرا او رهينة لكن غدره ووحشيته دفعانا لما فعلناه به .. اتعرف ماذا فعلت امك ؟..

وتردد الشيخ ثوان ، ثم استطرد في حكايته وهو يتحاشى النظر الى عطوة ، وقد كان منذ بدأ الحكاية مديرا له رأسه لا يكاد ينظر الا اليه:

ـ هجمت عليه تريد انتزاع كبده وهي تقول لا بد ان افتتت كبده مثلما فتت كبدي .. كانت تظن انك مت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في المعركة وارادت ان تثأر لـك .. المهم اننا لما منعناها مـن ذلك قالت لي انت يا شيخ بيومي الذي تعرف الكتابة .. سآتيك بقطعة حديد من طائرة اليهودي التي سقطت هناك.. وتكتب عليها بدمه .. قتلناه يـا ولدي .. وتجعلها شاهـدا لقبري اذا مت ..

اطبق الشيخ فمه لحظة اطبـق عطوة اصابعه فـي تشنج حـول ساعده .. وتفرس عطوة في ذعر ، وجه الشيخ الـذي كسته مسحة حزن .. ثم دار بعينيه فيمن حوله، واذا به يرى مـن فـوق الرؤوس المحيطة به انه تجاوز القرية .. وان الموكب صار غير بعيد من المقابر ..

وصرخ في رعب وجزع :

ـ كيف دخلنا القرية وخرجنا منها .. لماذا جئتم بي الـى هنا .. اين امي ؟..

وجاءه صوت الشيخ بيومي غائما بالاسى :

ـ البقية في حياتك يا ابني ..

*

مضى الموكب تجاه المقابر فـي خشوع وصمت .. والشمس قرب المغيب تطل على السائرين فيه وقد ازدادت اصفـرارا وشحوبـا .. والوانا عديدة تتقاطر منها كدمـوع ثكلى تسح بغيـر حساب . ووسط المقابر توقف الموكب امام قبر حديث البناء .. يعلوه شاهد مـن حديد محترق كتب على واجهته بدم اميل الى السواد .. قتلناه يا ولدي ..

ولبث عطوة واقفا امام قبر امه.. يحدق في الشاهد فـي جمـود وسكون .. ومن حوله اهل قريتـه .. يحتوون القبـر بعيونهم فـي خشوع كأنهم في مسجد يصلون .

وفجأة انتفض عطوة ، وقبض في عنف على كتف الشيخ بيومي ، وصاح في صوت ينذر بالبكاء :

ـ كيف ماتت امي ؟..

وسارع الشيـخ يجيب فـي اضطراب :

ـ مثلما يموت كل الناس يـا ولدي ..

ولانت قبضة عطـوة عندمـا انهمرت دموعه تغرق وجهه.. واخذ يردد من خلال نشيجه :

ـ حتى انت يا عم الشيخ بيومي ..

قال الشيخ وهو يربت فوق ظهر عطوة ؛ وقد بدا هو الآخر انه يحاول جاهدا ان يكبت دموعا تتوثب فـي عينيه :

ـ يا عطوة يا ابني .. امك ماتت بيننا جميعا .. واذا كنت سترجع الى الميدان ثانية فهي لم تكن تنتظرك وحدها .. كلنا كنا فـي انتظارك ندعي لك ولرفاقك بالنصر .. ونحن مازلنا نعيش وسوف ننتظر رجوعك المرة القادمة منصورا ان شاء اللـه .. هيا يا ولدي نرجع الـى القرية لتستريح من المشوار ..

وهم الشيخ بيومي يسحب عطوة من ذراعه ليبـدأ الموكب مسيـرة العودة .. واذ بـه يتملص منـه ، ويندفع في خطـو متعجل ، يتجاوز الجمع المتلاصق قربه ، وفي عينيه يتفجر بريق غامض يكاد يمسح منهما آثار الدموع .. وهال اهـل القرية اندفاع عطـوة المفاجيء ، فانطلقت اصواتهم وراءه .. مـن دهشـة واستفراب تسأل وتنادي :

ـ الى اين يا عطوة ؟.. انتظـر فنحن راجعون معك ..

وخفت اقدامهم في اثره .. واذ راوه يزايل المقابر .. ويتجه مسرعا ناحية الطريق الزراعي الصاعد الى طريق المعاهدة .. اوسعوا الخطـى يرومون اللحاق به ، واصواتهم مـا تزال تسبقهم اليه صائحة :

ـ قف يا عطوة .. الن تعود معنا الى القرية ؟..

واستمر عطوة مندفعا في خطوه المحموم .. لا يأبه للاصوات التـي تهيب به ان يتوقف ويعـود .. ولا الاقدام التي تلهث خلفه .. وبعـد مسافة غير قصيرة كف اهل القرية عن ملاحقته كارهين .. بعـد ان وضح لهم ان خطاهم لا تسعفهم في ادراكه .. ولبثوا واقفين في مكانهم الذي بلغوه من الطريق .. يتابعونه بأبصار يغشاها حزن وأسى .. حتى غاب في البعد .

القاهرة **اسماعيل علي اسماعيل**

صـلاة

كانت السماء تمطـر بغزارة والاخبار مـن بلادنا
حزينـة تبعـث علـى البكـاء ..

تبكي السماء عليك يا اوطاني **تبكـي بمـزن هاطـل هتان**
فاضت عيون في السماء كأنها **تبكي معي فالدمع قد اعماني**
يبكي كلانا فـي دموع حـرة **ظلـم الحياة وقسوة الانسان**
ضاقت بلاد الله وهي فسيحة **بالقوم من اهلي ومـن خلاني**
يرمونهم بالمحرقـات وليتهـم **لاذوا بصدري من لظى النيران**
اطيافهم طـول النهار تحفني **والليل يسدل فوقهـا اجفاني**
يا ليت قلبـي واسع يؤويهم **ويقيهم من صولة الطغيـان**
أعطيهم مـن نور عيني زادهم **واروح امسح جرحهم بحنان**
يا ويح نفسي والتمني زادها **يـا ويح قلب اللاجيء الولهان**
يا نسمة للعدل هبي نحونـا **وتنزلي يـا رحمـة الرحمن**

لندن **فؤاد جبور حداد**

من « العروة الوثقى »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يوسف عبد المسيح ثروة

مسرح ثورنتن ولدر

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

ثورنتن ولدر (١٨٩٧ ـ) كاتب مسرحي امريكي ، ولد في ماديسن بولاية وسكنسن ، عرف اول ما عرف ـ في عالم القصة ـ برائعته « سان لويس ري » وبعد ان ابلى بلاء حسنا ـ في هذا العالم ـ انتقل الى رحاب المسرح ، فلم يقل بلاؤه في هذا الرحاب الفسيح ، عما فعله واجاد في عالم القصة . فدبجت لنا يراعته « بلدتنا » و « نجونا بجلدنا » و « الخاطبة » و « صوت النفير » من طرائف المسرح الحديث ، فكان لكل من هذه المسرحيات دويها في الاوساط الادبية والفنية على ساحلي الاطلسي ، بما عرفت به من أصالة عميقة، وروح انسانية غامرة ، وحيوية فكرية ثرة ، وجلال اسلوب متين .. وكل ذلك ببساطة محببة وسخرية مهضومة ، ورقة شفافة ..

كان ولدر عظيم الشغف بالمسرح وبكل نتاج مسرحي ، وقد انهمك في هذا الفن انهماكا شديدا ، ولا سيما في فن المسرح الاوروبي ـ بمختلف مذاهبه ـ من واقعية وطبيعية وتعبيرية ـ غير ان اصالته الشخصية ، دفعت به بعيدا عن تلمس وجوده المستقل في هذا الفن ـ بشكله الكلاسيكي التقليدي المعروف ـ ومصداق ذلك قوله « في نهاية العشرينات بدات افقد السرور الذي كان يغمرني في ارتيادي للمسرح . ولم اعد اثق بالقصص التي كانت تعرض هناك » (١) هذا الوقت الذي ازدادت فيه قناعته باهمية المسرح باعتباره اعظم الفنون جميعا ـ على ما ذهب اليه ..

وفي هذين القولين تناقض واضح ، فكيف يمكن ان نوفق بينهما ؟ ان ذلك ممكن فقط اذا نحن واصلنا كلامنا ، وفهمنا مدلول التناقض هذا من سياق قولنا ، فالرجل احب المسرح حبا جما ، ولكن التعقيد في التاليف المسرحي ، والتكلف المتقصد في هذا التعقيد ، جعلاه ينفر من المسرح المصطنع ويفر بجلده الى مسرحه الخاص البعيد عن كل الشوائب المتكلفة .. البسيط بساطة الحياة التي ارادها ان تكون كذلك على المسرح نفسه .. ولهذا نراه مثلا يستخدم المخرج بدلا عن المشاهد والستارة والديكور والكيان المسرحي باكمله في مسرحيته « بلدتنا » .. وهو لم يكتف بذلك ، بل ذهب ابعد من ذلك في مناجزته للوحدات الارسطية (وحدات المكان والزمان والفعل) فاذا بحياة الفرد البطل انتروبوس في « نجونا بجلدنا » تتجاوز الخمسة الاف من سني الكرة الارضية ، واذا بالزمان ينطوي بسرعة عجيبة بين الابجديه الاولى وجدول الضرب وبين اوائل القرن العشرين ، واذا بمدن الفينيقيين تتحول الى ولاية نيوجرسي ، بلمح البصر ، هذا فضلا عن وحدة الفعل الغريبة المتناثرة في اجزاء المسرحية .

ان ولدر ، باسلوبه الجديد كل الجدة ، اعترض على ادق المقاييس المسرحية ، فتمكن من ايجاد بديل عنها ، على طريقته الخاصة. هذه الطريقة التي اذهلت النقاد والنظارة على حد سواء ، بطرافتها وفجاءتها وقوتها العارمة ونكهتها الجديدة .. ولا شك في ان لكل جدة طرافة وطراوة ، والحكم الفصل ـ على نتاج ولدر ـ هو الزمن ، فاذا استطاع مقارعة الزمن كما استطاع مقارعة اذهان النقاد والنظارة والقراء ، حين بهرهم بما بهرهم به ، فسيكون الحكم في صالحه .. والا فسينهار مسرحه كما انهار المسرح الرمزي الاسطوري ، الذي فاجأ به موريس مترلنك المسرح الاوروبي في اوائل العشرين .

ومهما يكن من امر ، فضرورة عملنا ـ في متابعتنا للمسرح الحديث ـ تقتضينا ان ندرس ولدر دراسة هي اقرب شيء الى الالمام اليسير ، لا الدراسة المعمقة ، لاننا ـ لم نتجاوز ـ في كل ما المنا به الا عتبة المسرح . والاخذ باليسير هو اكثر ما نستطيع فعله ، فيما نحن فيه من حيز صغير ...

وولدر يهتم بالطبقات الاجتماعية اهتماما خاصا ، ولهذا السبب بالذات يحمل المسرح معاني طبقية ، ويعده تعبيرا اجتماعيا يتطور على وفق التطور الاجتماعي ، فهو في العهود الارستقراطية يرسم ملامح تلك العهود ويصور شكلها والمضمون التقليدي لها ، في ابهتها وبهرجتها واعتقادها المبني على اساس قيادة طبقة نبيلة لسائر ابناء الشعب ، من طريق نخبة من هذه الطبقة تتوارث السؤدد من جيل الى جيل ، ومن طريق الامتيازات والجدة والفراغ التي ترعى (ازاهير الروح) ومن ثم كان الادب والفن والمسرح جميعا ادوات تابعة امينة لمصالح الارستقراطية ، تحققها وتنفذها وتوسعها ، فكان جزاء هذه التبعية ان اصبحت الفنون الادبية كلها ضعيفة النسغ والحرافة ، ذات نكهة ولطافة ليس غير وهذا امر يصح كل الصحة في حقل المسرح خاصة . ولنا في مسرحيات كورناي وراسين كفاية من الادلة على ما نقول ..

وعلى ذلك فان الابهة والاسطورة والشعور بثبات الاشياء وتمايز البشر ، الذي وجد منذ الازل ، ويصر على الوجود الى الابد ، قسمات بارزة في وجه المسرح الكلاسي ، الذي عرف بالتزمت والتجمد ، والتمسك بالمأثورات تمسكا اقل ما يقال فيه : انه تعنت .

اما الطبقة المتوسطة التي جاءت الى السلطة في بواكير القرن التاسع عشر ، فلم تجد بدا بعد استيلائها على السلطة من ان تخضع لها المسرح ايضا .. ان افراد هذه الطبقة لم يركنوا الى مقاليد سلطانهم على هذه الارض التي ثبتها لهم التملك والامتيازات التي واكبت التملك ، بل هم طمعوا في عالم اخر ، خارج الكرة الارضية وراحوا يبنون احلامهم على ذلك العالم ، بعد ان تركز نفوذهم في عالمنا هذا .. ومن ثم فذهنيتهم القاصرة جعلت عناصر المسرح (ضحلة ومضحكة ومؤذية) وجعلت العواطف الانسانية احساسات غير ذات موضوع . ولهذا فالمهم في معرفة الحياة وطبيعتها ليس البحث عن اجوبة لاسئلة غير مطروقة ، ما دام المركز المالي ثابتا قويا ، والاتفاق مع تقاليد اللياقة والاصول باديا يشير الى نفسه باصابعه العشرة .. لان الاسئلة متى ما طرحت لا بد لها ان تثير الكثير من المشاكل التي تهز الاذهان وتقلق النفوس ، وتحدث البلبلة في الارواح .. ونظارة الطبقة الوسطى لا تريد الاثارة الذهنية وقد تعودت اذهانها على الركود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والهجود .. ان هؤلاء يريدون مسرحا طبعا يعمل على ترويح نفوسهم من مشاغلهم التافهة ، وعملية الترويح المبرد الوحيد لوجود المسرح في مجتمع تتحكم فيه مخالب الطبقة المتوسطة ...

ولما كانت الميلودراما تجسيدا لقدرات مأساوية تنتهي نهايات مرة .. فمن الحتم ان تكون (موضة) العصر في عالم المسرح في عز ازدهار البرجوازية ، ذلك الازدهار الذي تحكم في كل شأن من شؤون الحياة ، بحيث بدت الحياة ولا سيما على المسرح وكأنها امشاج متقطعة لكائنات منتزعة من الحياة انتزاعا ، فالتشويه والتزويق والتهويش سمات تتمركز في الشخوص ، وخاصة في الكوميديات ، بحيث يستطيع كل فرد من النظارة ان يقول بملء فيه : ان هذا هو ذاك ولست انا .. وان يضحك تبعا لذلك ضحكا مجلجا اجوف ، لانه استطاع ، بضمير مطمئن ان يرمي ثقل المهزلة من على كاهليه على كاهلي غيره .. وفي هذا ما فيه من ترويح لذات ضيقة الافق ، خابية البصر ، كأنها الخلد في جحوره المتلاصقة بعضها ببعض في صحراء لا اول لها ولا اخر .

مسرحية نجونا بجلدنا

ومع سيطرة القوى الاقتصادية على الانسانية ، فان هذه الاخيرة قوة جبارة ، ومارد شامخ لا يجيز لنفسه الخضوع لاي قوة اخرى مهما كانت من العنف والجبروت والاذى .. ومن هنا فان انسان ولدر ، مطلق الانسان ، سابق للعصر الجليدي والطوفان ولاحق لهما وهو لم يزل اعجوبة الارض الكبرى .. ومن ثم فايمان ولدر بقدرة الانسان على التحدي ، تحدي الصراع الرهيب ، ايمان عميق ، متأصل الجذور ، فيه حرارة تلتمع شررا حينا ، وتهمد حينا اخر ، لتستعد على الانطلاق من جذوتها في الوقت المناسب ، لتلهب الاحراش والغابات.. وهكذا فالتقطع والتركيب بين الزمن الغابر والعهد الراهن ، وتسجيل قدرة الانسان على تحدي عوادي الطبيعة ، واوضار المجتمع ومآسي الحروب وآفات الجوع ، وكوامن البراكين والزلازل ، والقلق النفسي الطويل الذي واكب الانسان منذ شعوره بوجوده على هذا الكوكب .. كل هذه الامور تتحسسها وتتلمسها في « نجونا بجلدنا » ومع ان هذه المسرحية دراسة غريبة لتطور الانسان ، بما فيها من طفرات وقفزات ، والتفاتات عجيبة ، ومع انها متأخرة عن مسرحيته « بلدتنا » فمسئوليها حقها من الدراسة لاهميتها والى هذا اشار الناقد المسرحي جاسنر في كتابه « المسرح في مفترق الطرق » بقوله : « كانت مسرحية برودواي اللافتة للانظار في هذه الفترة هي بلا شك « نجونا باعجوبة » ولكن السجل الذي وضعه ثورنتون وايلدر عن بقاء الانسان القلق وغير المستقر منذ العصر الجليدي والطوفان ، بما يشتمل عليه من ذلك النوع من التركيب بين الزمن القديم والزمن الحاضر الذي يشبه تركيبات (استيقاظ فينيجان) هذا السجل لم يحرز الا تأييدا ضئيلا في نيويورك بعد ان نجح في ارباك نظارته المجربين » (٢) والفصل الاول ينكشف عن بيت السيد انتروبوس في اكسلسيور في نيوجرسي ، والثاني في اطلانتيك ستي ـ برودوك ، والثالث في بيت السيد انتروبوس ، بنيوجرسي ايضا ...

فمن هو السيد انتروبوس هذا ؟ وما هي قصته التي تستاثر منا بكل هذا الاهتمام ؟ ان المنادي يعلن على رؤوس الاشهاد : ان هذا الرجل هو مخترع العجلة . وهو الاختراع الذي تبع بسرعة اكتشاف القتلة. انه اذن ابو الحضارة ـ على مدى تاريخ الحضارة ـ وهو قد ظهر في هذه المدينة لكي يحملها على الانتفاض على نفسها ، لتعرف ان بين ظهرانيها من يستطيع ان يجرح المعجزات ، وان يصفع الزمن ، فاذا به ، لاول مرة قوة مترأجحة ، بعد ان كان قوة مندفعة الى امام لا تصدها كل قوى الاقدار مجتمعة .. على الرغم من قول سابينا (٣) : « اننا في وسط الحياة ، بل في وسط الموت » . قد يتهم سيد انتروبدس ببعض التهم ولكن لا ينبغي ان يساق الانسان الى مثل تلك الاتهامات ، فكلنا بشر . اما السيدة انتروبوس ، فهي انسانة بالتسمية، لان شعرة واحدة من جلدها الخنزيري لن يتحرك اذا ما رأت عبيدها ، الخدم جميعهم موتى واذا ما امعن الانسان نظره فيها مليا فسيجد نمرة في جلد خنزير .. اما اطفال آل انتروبوس ، فيعود الى فضل وجودهم حركة الكون كله ...

وبغتة ينخلع قسم من الجدار ، فوق الباب من الجانب الايمن ، ويستمر المنادي في اسداء نصائحه الى سابينا بقوله : « ـ نصيحتي اليك الا تبحثي عن (كيف) و (الى اين) بل تمتعي بما في انائك من مبردة (وندرجه) ـ فهذه هي فلسفتي » . ذلك انها لا ينبغي ان تنسى ما كانوا فيه من كساد وازمة كبرى (٣) ، وكيف انهم نجوا بجلدهم ، وماذا كان سينتهي بهم مصيرهم لو تلت ذلك الكساد خضة عاصرة اخرى؟

ثم ان المؤلف لم يتفتق ذهنه عن شيء بخصوص الحياة في نيو جرسي ، فلا يعلم ـ على التحقيق ، فيما اذا كان الناس ، يعيشون حقيقة في مدينة بهذا الاسم ، ام انهم عادوا الى الكهوف ، في العهود الغابرة .. غير ان ذهن السيدة انتربوس ، لم يتورع عن الادلاء برأيها فاذا بها يقول : « بلغت الارض من السخف حدا ، فلا عجب ان ينال الشمس شيء من البرد . » واذا ما عرفنا الصفات المجيدة التي تتسم بها السيدة انتربوس ، تيسر لنا ان نتعمق مغزى كلماتها ، وحرافة اسلوب ولدر .. الذي يلتمع التماعة ذكية على وجه انتروبوس حين يتحدث عن ثرثرة النساء بقوله : « ان احسن شيء في الحيوانات هو انها لا تتكلم كثيرا » ...

ها ان الماموت والدنسور (٥) تخرج من كهوفها ، ويشتد البرد اشتدادا فظيعا فلا يكاد الناس يستطيعون رفع اقدامهم من الارض ، جدران من الجليد الحديدي تزحف ، انفاس الناس تتجمد ، والعيون تنعدم الحيوية فيها لانجماد دموعها ، الرياح لا تستطيع ان تتحرك ، السكون نفسه يتجمد ، الحياة تنكمش بسرعة وتتجمد .. الانهار والبحار والمحيطات وكل قطرة من المياه تتجمد . لم يعد على الارض غير الجليد .

ومع ذلك البرد الزمهرير فان بعض السابلة يقبلون الى دار انتروبوس ، وكلهم ثقة واصرار ، ذلك أن هذه الارواح الباسلة لا تعترف بالهزيمة مهما تكن قريبة على الابواب ، لانها ـ وقد اوجعها السغب ـ تؤمل خيرا في الحياة ، وتحسب انها ستعيش الى الابد . فماذا يقول هؤلاء الضيوف الثقال : انهم يوجهون كلامهم الى انتربوس قائلين : « انك لا تستطيع ان تتقدم خطوة واحدة الى امام .. فالناس في ازدحامهم ـ يطأون بعضهم بعضا » ..

ويبلغ الشك في انتروبوس مبلغا مروعا بحيث يقول متوجها الى زوجته : « بفقدان الثقة التامة اقول : ان يوم الخلاص الجديد يوشك على البزوغ . واذ كانت كلمة السر في السنة الماضية هي العمل . فكلمة السر في المستقبل هي : متعوا انفسكم » . وهذا الشك يتركز نكرانا وتنصلا عن الوجود نفسه ، ففي حفلة مرور خمسة الاف سنة على اقتران السيدة انتروبوس ، لا تجد هذه الزوجة الطويلة العمر مفرا من ان تدلي بدلوها : « سنحتفل في هذا الربيع بمرور خمسة الاف سنة على عقد قراننا .. ولكنني لا اعرف فيما اذا كنت انوب عن زوجي فيما اقوله ، غير انني اتحدث عن نفسي فلا اجد غير الاسف على كل لحظة مرت » ..

وبعد ان يأخذ التجمد مأخذه ، تنفجر الينابيع التي لا حصر لها، وتهطل الامطار الهائلة ، وتنفتح ابواب السماء عن مياه لم يحلم بمثل غزارتها حتى نوح فاذا بالفيضانات تتحول بسرعة مذهلة الى محيطات تتمدد فتبتلع اليابسة قارة قارة.. ها هو الطوفان الاكبر يزحف زحف الجبابرة ليربط بين البحار والمحيطات فتتلاشى حتى الجبال الراسيات صاغرة بين فكي هذا الطوفان الوحشي المذهل .

الا ان هذه الكارثة على عظم بلواها ، لا تحول بين المتنبئة العجوز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبين قولها وهي تحدث المندوبين الذيـــن يرفعون رؤوسهم هازئـــين ساخرين: «.. ومرة اخرى سيكون فجوة ضيقة للخلاص. وستنجوحفنة من الناس . ستنجو من الدمار . الدمار التام » . واذا علمنا ان هذه المسرحية كتبت سنة ١٩٤٢ ، قبل تفجير القنبلة الذرية الاولى بثلاث سنين عرفنا معنى كلمات المتنبئة ومدى انطباقها على المأساة الانسانية التي تنتظر كلا منا ، فيما لو خرج مجانين الذرة من اقفاصهم مـــرة اخرى ليجربوا مرة ثانية ما جربوه في هيروشيما وناغازاكي ، وعرفنـا ايضا مدى أصالة فكر ولدر ، وصحة توقعاته وتنبؤاته وقدرته علـــى استشفاف المصير المرعب الذي يلوح به مجانين الذرة من وراء اقفاصهم من حين الى حين .. والعالم بين كفتي عفريت ؟

أفلا يصح بعد كل هذا الظلام الدامس ان يتحدث هنري بـــن انتروبوس عن المكان الذي وجد فيه بقوله : « انا آسف لانني اتيت الى هنا . الى هذا المكان . كنت آمل الا اكون هنا . كنت آمـــل الا اكون في اي مكان . » واذا كان الحال بالقياس الى الرجال هكـــذا فما هو بالقياس الى الفتيات ؟ ها ان سابينا الخادمة تقول : « حقا، ان الفتاة الشريفة لا تجد لها موضعا في هذا العالم » . وهي تتحدث عن نفسها الى السيد انتروبوس الذي يرد عليها قائلا : « في العالم مجال لاصناف الناس كافة » .

وتحدث المفاجأة ، وندرك الذروة من المسرحية ، فاذا بالسيـــد انتروبوس ، يتنصل عن زوجته ويتقرب الى خادمته ، ويحاول اقناعهـا بالاقتران به ، وحين يجد الجد ، وتبلغ القضية مبلغا معقولا مـــن الواقعية الساخرة ، تتقدم سابينا الى الجمهور قائلة وانتروبوس يصك اسنانه : « .. في هذا المشهد اتحدث انا الى السيد انتروبوس ، وفي نهايته يقرر هو هجر زوجته ، والحصول على الطلاق منها في رينو ليتزوجني . وهذا هو كل شيء » .

لكن المسألة وقد تطورت هذا التطور المفاجيء تفـــزع انتروبوس وتحمله على القول : « .. زوجتي عنود جدا . ولذا فليس من السهل ان اضعكل هذه المسألة امامها فان ذلكسيؤذي مشاعرها قليلا» . ولكن اي معنى لهذه المشاعر وقد اتفق الطرفان على ازالة ما بينهما مـــن عراقيل ؟ ان الناس الاخرين ليس لهم مشاعر ، فهـــم يتصورون ، يتخيلون ، يظنون ان لهم مشاعر ...

وعلى هذا الوتر تضرب سابينا بحكمتها البليغة وهي تحدث السيد انتروبوس : « كل الناس في العالم سوى القليل من مثلي ومثلك اناس من قش . اصغ ، يا حبيبي ، الي ، ان في قمة العالم جمعية سرية ـ مثلك ومثلي ـ تعرف هذا . فلقد صنع العالم من اجلنا . ومهمـــا يكن من امر ، فما الحياة ؟ اذا لم تكن سلطة ولذة . ما الحياة غيـــر حماقة وسأم » ..

وهكذا تعطي سابينا رأيها في الحياة من غير رتوش ، انها تمثل المجتمع الامريكي ، بالمعنى الدقيق من المفهوم الفردي ، تمثيلا فيـــه الصدق كله والامانة كلها والاخلاص للواقع الاناني من غير مواربة ولا مخاتلة ، ولا تنصل ... الواقع القبيح ، يتبدى عاريا بكـل وجـوده الجثماني والى هذه التعرية قصد ولدر ، وفي سبيل هذا القصد ، طور علاقة انتروبوس بسابينا بادخاله النمرة السيدة انتروبوس الـى الحلبة . لتتحول الى انسانة بمعجزة ولكي تقول : « حسنا ، بعد ان عشت معك خمسة الاف سنة ، احسب ان لي الحق ان اقول كلمة او كلمتين ، اليس كذلك ؟ » وبدلا من ان يجيبها انتروبوس يلتفت الـى سابينا ويقول مستخذيا : « ماذا استطيع ان اجيب عن ذلك السؤال؟» فتجيبه سابينا : « قل لي ان الحديث سيؤذي مشاعرها .. »

اما السيد بيلي فلا يجد في كل مشاغل الحياة ما يثيره ، لان التجربة علمته ان كل ماجريات الحياة اليومية ليست الا شيئا باطـلا لا جدوى فيه ، بينما الحرب نفسها لم تعلم سابينا شيئا ، بل انهـا انستها حتى كيف تتصرف تصرفا مهذبا ، ومن اجل هذا السبب نراها تتخلى عن كل حشمة حين توجه كلامها الى السيدة انتروبوس فتقول : « اذهبي واغسلي وجهك ، فانا اخجل منك . والان علينا ان نفكـــر بالرجال العائدين (من الحرب) » وتتسع صفاقة سابينا حتى تشمل هذا الجندي العائد من الجبهة ولذلك فهي تستقبله بهذه الكلمات : « لست خائفة منك . فالحرب قد انتهت . وهنري انتروبوس لم يعد مهما ، كأي عامل عاطل » . ويشعر هنري بتفاهته وبالمأزق الذي وقع فيه هو والعالم معا ، فيعزو كل تلك الكوارث الى كتب والده ومـــا احتوته من افكار « ان هذه الافكار التي استنبطها مـــن تلـك الكتب القديمة هي التي جعلت العالم بأسره موضعا لا يستطاع العيش فيه»..

لقد ذهب العالم القديم ، تلاشى وتبخر ، فماذا عـــن العالم الجديد ، وكيف لنا ان نعرف انه خير من سالفه ؟ ولماذا نستمر في التظاهر بما لسنا منه وليس منا . لا شك في ان العالم ، الكـــرة الارضية بأسرها سيصيبها البرد الموعود به من قبل الحكماء والانبياء، البرد الفظيع الذي سيوقف دورة الحياة ، والـــى ان تأزف الساعة الرهيبة تلك ، لا بد من تكرار ماجريات الايام . ولا بـد « من حروب وجدران جليد وزلازل » وهكـذا تستمر حياتنا بليدة كابيـة تافهـة رتيبة ، وكل شيء كما هو لا تبديل ولا تغيير ولا تجديد ، وهذا المنطق السكوني هو الذي يدفع مسرحية ولدر بميسمها الخاص ويحمل القارىء على الخيبة من كل تمرد او ثورة .. وعندما يشعر ولدر ان هذا المنطق هو الذي سيحول بين الجمهود والقراء وبين الامـل ، مجرد الامل بسبيل ولو ضيقة للنجاة بجلودنا .. يستنجد بهنري الذي ينهض خطيبا في زملائه الذين قاسوا ما قاسوا مـــن ويلات الحرب فيقول : «ايها الزملاء .. ماذا فعلوا من اجلنا » انهم وضعوا العراقيل امام كل خطوة من خطانا .. واحتفظوا بكل شيء في ايديهم . ومـــع ذلك فقد تحملتم ذلك . فمتى تستيقظون ؟.. ويستطرد : « مـــاذا ستخسرون . ماذا فعلوا من اجلنا . هذا حق . لا شيء . اذن مزقوا كل شيء . حطموه » ...

وينقل هنري هذه الثورة الى دار والده بعد ان لوح له بنصائحه الفريدة ويقول والنار لما تزل تتأجج في دخيلة نفسه : « اجرب ماذا ؟ انا اعيش هنا . ان اقف كالفنم في ركن الشارع بانتظار ان يتحـــول الضوء الاحمر الى اخضر » . ان هذا لامر لا يمكن ان يخطر على بالـه وقد رأى الاهوال ، وعرف ما معنى ان يكون الانسان ضحية باردة لنظام اجوف من كل شيء الا الفظاظة والاستغلال والتحكم والظلم . ها هـو هنري قد تيقظ بعد طول هجود . فلا بد اذن من عالم يصنعه وسيري اباه ذلك . انه لم يعد ينتمي الى بيته ولم يعد له ما يفعله هناك ، انه فقد كل شيء : البيت والوطن ، وكل ما له صلة بالانتماء بمختلف صنوفه . ومن ثم كان يحق له ان يشعر بالفراغ وان يقول في هـــذا الشأن : « انني اشعر بفراغ هائل في داخلي . فراغ مـن يـــرى نفسه مكروها محصورا في كل منعطف » . وعلى ذلك فلا بد لكي يحيا مثل هذا الانسان ان يقضي على غيره ، في فوضى هذا العالم ، الفوضى التي تخلق كل مسببات الجريمة والرذيلة والانحطاط ، لا بد للانسان ان يضرب ، يقاتل ، يقتل ، حتى يستطيع ان يبقـــى متعلقا بخيط الحياة الواهي .

ان هذا الفراغ الذي يشعر به هنري فـراغ حقيقي ، حسي ، قبل ان يكون فراغا ذهنيا ، لان المجتمع الذي يرسمه ولدر ، مجتمـع

(١) مقدمة ثورنتن ولدر لمسرحياته (بلدتنا ، نجونا بجلدنـــا ، الخاطبة) . (٢) المسرح في مفترق الطرق . جون جاسنر : ترجمـــة سامي خشبة ، (٣) ـ احدى بطلات (نجونا بجلدنا) ، (٤) الاشارة هنا الى كارثة الكساد الكبرى التي حلت في الولايات المتحدة في اواخـــر الثلاثينات مـن هـذا القرن . (٥) مـــن الحيوانات المنقرضة الهائلـة المعروفة .

عيد المعلم

حرم المعلم قبلـــة ومـــزار ... من فيض بارئه عليه وقـــار
حـــرم يـــؤم رحابـــه الابـــرار ... المجـــد كلـــل هامـــه والغار
هو للعلوم اقام فـــي محرابه ... شيخ أجـــل تصونـــه الاقدار
حرم الخلود لانت دوما شاهد ... أن المعلـــم ركنك الجبـــار
تفنى الدهور وليس يبرح باقيا ... بيـــن الجوانح ذكره أكبـــار
أي ادكارات الشعوب تهزنـــا ... لـــو لـــم يجلجل للهدى اعصار
أي الهدى يحيا الانـــام بنوره ... لو لم يقم ولـــه العلوم منار

يـــا حامي الحرم المقدس رونا ... أنـــت المـــراد ، وغيثك المدرار
فلقد زرعت الحب بين ضلوعنا ... علمتنا كيف الامـــور تـــدار
علمتنـــا أن الحيـــاة رسالـــة ... العلم فيهـــا كعبـــة ومزار

حييت يـــا يـــوم المعلم حجة ... ما أنت الا للوفـــاء شعـــار
شهر يتيه على الزمان بقولـــه ... عيـــد المعلـــم شهـــره آذار

دمشق ... سلافة العامري

فارغ هو نفسه ، لانه فقد مبررات وجود الحي ، من يوم ان اصبح فيه الانسان الاعتيادي ، العالم والجاهل على حد سواء ، طوع امـــر آلات عمياء تعمل لاغراض غبية لا يمكن تبريرها ، مهما حاول علمـــاء الاجتماع وعلماء النفس بجهودهم المضنية من خلق المبررات العقلانية ، التي تفتقر بدورها الى مبررات . فالمشروع الحر الذي يتشبث بـــه هؤلاء العلماء ، هو نفسه ـ في اخر المطاف ، مشروع عبد لمشروع اكبر منه ، واذا حاول ان يكون (حرا) بمعنى من المعاني ، اصطدم حتما بارادة المشروع الاكبر ، من طريق المنافسة ، وبالتالي ، انخرط فـــي الفوضى ، التي هي محصل المشاريع الحرة المتضاربة وهذا يعنـــي فقدان كل السمات الانسانية وضياع العلاقات السليمة ، في علاقات سديمية ، تشوه القيم بل تمحوها ، وتركز (الانا) في الانسان المطارد تركيزا مرضيا ، حتى اذا كان ذلك الانسان هو العالم انتروبوس نفسه .. ولهذا نراه يعلل غضب ابنه تعليلا منطقيا علميا بقوله : « .. انه لم يكن ليشعر بذلك الشعور لو لم يكن في شيء يذكره بذلـــك . » واذا كان الابن يتكلم على الفراغ فلا بد من وجود فراغ فـــي نفس انتروبوس، لان العمل اذا ما استطال واكتنف الحياة بأسرها فذلك يعني ان الانسان نفسه يصبح عبدا له ،ولا تعود الحياة حياة بالمعنى المألوف من الكلمة . وهكذا يفقد انتروبوس اثمن شيء فـــي العالم ، الا وهـــو الرغبة في الشروع من جديد في عمل ما غير العمل الروتيني الـــذي يقتل كل بادرة حية وموهبة خلاقة وقدرة فعالة .. وهـــذا الشعور بالسأم هو الذي يحمل انتروبوس على القول : « لقد فقدتها (يعني الحيوية) فانا اشعر بالتعب واحس بالمرض » ذلك انه كان والحرب في ابانها ـ وسط الدم والقذارة والحر والبرد ، في الليل والنهار ـ كان يرى الاشياء التي يقوم معوجها تكرارا ومرارا » اما الان فهـــو لا يرى شيئا ، فقد غشيته الفاشية واصيبت بصيرته بالعمى !

ها هوذا وقد علت مفرقيه وفرة مـــن الشعر الاشيب ، وخلفـــه الالوف من السنين ، يريد ان يتكأ على عصا كريه تحمله وتحمل وجوده البشري ، فاين تلك العصا ؟ أيمكن ان يجد لهـــا اثرا فـــي هذه الدنيا العريضة وقد واكب سيرتها المديدة ، بمثل تلـــك الارادة الفولاذية والعزيمة الصلبة ؟ ان انتروبوس لا يزال يفتش اركان الدنيا وزواياهـــا عن تلك العصا ، ولكن تفتيشه الدائب الذي لا يعرف الونى يحملـــه حملا على الاصطدام بهذه الصخرة وهذا النتوء . لقد ادميت قدمـــاه وكل كاهله وناءت نفسه بما يحمل واستبقته الشرور تعبث بقطعـــان البشر نهشا وتقطيعا والتهاما ، والمقادير تضحك من انتروبوس ، لانـــه لا يزال يسير ويسير ولا تزال الطريق تطول وتطول . واذن فانتروبوس انسان عنود عناد المؤمن الواثق بما يؤمن به ، صامد صمود الشهيد ، وهو في ساعة محنته الاخيرة . انتروبوس يرى ببصيرته الشر الـــذي اعمى بصيرته ، ولكنه رغم تلك الرؤية القاصرة ، يصر على السير قدما الى امام ، لانه الانسانية متمثلة في جبروت نفسه ، ولانه المثل الذي ينبغي ان يحتذى ، ولان قدرته على الصراع لا تهمد حينا الا لكي تثور حينا اخر . وكيف لا يكون الامر كذلك و « الحياة نفسها صراع » وهو يقول تفسيرا لهذا الصراع : « انا اعرف ان كل مـــا هو خير وثمين في العالم على شفا الخطر ، ولا بد لكي نصل اليـــه ، ان نكافح ، ونناضل ونصارع ـ سواء أكان ذلك في الحقل او في البيت او فـــي البلد » او في العالم . فالصراع اذن امر لا بد منه ، اذا اريد لهذه الحياة ان تكون لها نكهة او طعم .. وماذا يعني الصراع غيـــر صراع التناقضات التي تنهش المجتمع وتحطم انسجامه ، وهذا واضح فـــي المصالح المتضاربة بين الذين يملكون والذين لا يملكون ، بين الشر الذي يتحكم في عالم الشر وبين الخير الذي لا يجد له منفذا ينفذ منه الـــى الضياء ليثبت وجوده والى هذا تشير سابينا بقولها : « العالم كلـــه في هرج ومرح ، وانا لا ادري لم لم يسقط البيت علينا من مدة طويلة .. لا بد من وجود معجزة في الامر كله » .

وهكذا نرى ان هذا الذي تبديه سابينا هو ضمنا تعليل ولـــدر ذاته .. وعلى هذه الشاكلة يعزو ولدر بقاء العالم على حالته هـــذه الى قوة عجائبية ، لانه ـ على الرغم من ايمانه العميق بالانسان وقدرته على التحدي ، لم ير مفرا وقد اخذ على يديه ان يلف هـــذا التحدي برداء فضفاض هو رداء المصادفة المحض ، احتراسا منه وتجنبا من اي تلميح او تلويح بحلول قد تجر عليه ـ وهو الكاتب الناعم البال ـ ماهو في غنى عنه من متاعب . والحرب العالمية الثانية لا تزال تطحن ابنـــاء البشر طحنا ، ولا تزال امال البشرية الخضر في يوم افضل متارجحة بين امكانية التحقيق والانجاز وبين الخيبة المرة .

بغداد ... يوسف عبد المسيح ثروة

مكتبة الاديب



العبـــاســـة

مسرحية شعرية من اربعة فصول ـ تاليف عدنان مردم بك ـ ١٢٨صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت

(نكبة البرامكة) في اوائل العصر العباسي في بغداد موضوع تاريخي، وحضاري كبير أهم ، ولا يزال يهم دارسي التاريخ العربي الاسلامي ، والحضارة العربية الاسلامية ، كما شغل، ولا يزال يشغل بال المتصدين لهذا التاريخ ، وتلك الحضارة بالسرد ، والتصوير ، والتحليـــل ، والتفسير ..

لقد كانت نكبة مأساة انزلها الخليفة العباسي العربـــي هارون الرشيد بوزيره جعفر البرمكي الفارسي الاصل والارومة ، وآلـــه ، وعشيرته ، وبني قومه ، بعد ان استفحل نفوذهم الفارسي ، واصبح يتهدد الكيان العربي ، والحكم العربي عامة ..

ومن هنا القيمة التاريخية ، والحضارية ، للنكبة ، ومن هنـــا أيضا القيمة الشعرية ، والقصصية لها أيضا .. من حيث أنها تنطوي بالفعل على مأساة سياسية ، اجتماعية بين خليفة عربي ، ووزيـــر فارسي في الاساس ، وتعكس بالدرجة الاولى تنافسا في النفوذ ، بل تآمرا فارسيا على دولة عربية ..

ولا عجب ان ينشط الشعر والقصص الادبي ، الروائـــي ، او المسرحي ، منذ وقوع النكبة الى اليوم ، لتصويرها ، او تفسيرها ، ما دام الشعر ديوان العرب ، والقصص سبيلهم الـى التفسير ، ان لم يكن في غاية سياسية ، ففي غاية فنية أدبية ..

والطريف ان الوقائع التاريخية العربية ، والاسلامية القديمة ، وافصد الاخبار المروية التي تناقلها التاريخ العربي الاسلامي القديم عن هذه النكبة المأساة بين الخليفة الرشيد ، ووزيره جعفر ، تحمل من ذاتها حس الاسطورة ، والشعر ، والخيال ، وهـــي اليوم موضع الدراسة التحليلية ، والنقدية ، بقدر ما هي موضع الهـام الادباء ، والشعراء ..

فمثلا ، العلاقة الغرامية بين جعفر البرمكي ، والعباسة اخـت الرشيد مروية من مرويات التاريخ العربي الاسلامي ، رواها العديـد من المؤرخين القدامى ، وهي نفسها لم تسلم من الطعن ، فقد طعـــن في صحتها ابن خلدون في مقدمته ، واهملها آخرون ..

فالمؤرخ محمد بن جرير الطبري ، في « تاريخ الامم والملوك » ، المطبعة الحسينية ، مصر ج١٠ ، ص ٨٣ ـ ٨٤ ، وابن خلكان ، فـــي « وفيات الاعيان » ، ج١ ، ص ١٨٤ وما بعدها يثبتان كلاهما هـــذه العلاقة ، كما يذكران حرص الرشيد على مكانة العباسة في مجلسه ، ويرويان قصة نكاحها الذي عقده الرشيد من جعفر ، وجعله عاقـــرا دون خلوة ..

اما زواج العباسة السري من جعفر ، فيجعله بن جرير الطبري اثر معاقرة الخمر ، في حين يروي ابن خلكان انه من تدبير العباسة، وتحيلها على الماشطة .. وكلا المؤرخين يثبتان لهـا ولدا مـن جعفـر ، وان الرشيد اجتمع به مرة في الحج ، فاضمر له الشر ، ثـم يغفلان امر مقتلها ، ومقتل ولدها ..

في حين المؤرخ محمد دياب الاتليدي ، في « اعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بنـي العباس » ، مصر ، ص ٩٠ ، ومـا بعدها ، يجعل اسم العباسة « ميمونـــة » ويصف مكانتها من الرشيد ومجلسه ، وحبها لجعفر ، ونكاحها العاقر منه ، ثم تحيلها حتى واقعته ، وحملهـا منه اربعة اولاد ، مات احدهـــم ، وربـي اثنـان منهـــم فـــي الحجاز سرا ، ثم افتضح امرها ، بينما كانت حاملا بالرابع، فقتلت ، وقتل معها ، ودفنت في مقصورتها في قصرها ..

والمؤرخ محمد دياب الاتليدي ، في : اعلام الناس .. يضيف انها قتلت بأمر الرشيد ، وحضوره ، وانها وضعت وثيابها ، وحليها فـي صندوق كبير في حضوره ايضا ، ودفنت في حفرة حفرت في مقصورتها في قصرها ، ثم ان الرشيد جلب جعفر الى نفس المحل حيث نصب قبة تركية ، وامر بقتله هناك ، فقتل ، ثم صلب الى الجسر ببغداد ..

هذه المرويات التاريخية ، كما نرى ، هي مع العلاقة الغراميـة بين جعفر البرمكي ، والعباسة ، تسرد خبرها ، او تصورها بأشكـال مختلفة .. ولكننا نجد في المقابل، ابن خلدون يطعن في هذه المرويات، ويجعلها من اوهام المؤرخين .. فقد استنكر ابن خلدون حب العباسة لجعفر ، أو تحيلها لمواقعته ، وذلك لمنصبها ، وشرفها ، في حين رد نكبة البرامكة الى استبدادهم بأمور الدولة ، قال في مقدمته :

« .. ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة ، من قصة العباسة أخته ، مع جعفر بن يحي بن خالد مولاه ، وانه لكلفه بمكانهما من معاقرة الخمر اذن لهما فـــي عقد نكاح دون الخلوة ، حرصا على اجتماعهما فـــي مجلسه ، وان العباسة تحيلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه ، حتى واقعها يقال في حالة سكر ، فحملت ، ووشي بذلـــك للرشيـــد ، فاستفضب . وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها ، وأبويها ، وجلالها ، وانها بنت عبد الله بن عباس ، ليس بينها ، وبينـــه الا اربعة رجال ، هم اشراف الدين وعظماء الملة من بعده .. وانما نكـب البرامكة ما كان من استبدادهم علـــى الدولة ، واحتجابهم امـــوال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال ، فلا يصل اليه ، ففلبوه على امره ، وشاركوه في سلطانه ..» المطبعة الخيرية ، ص٩ .

وقد اصطنع الادب العربي الحديث ، خاصة المسرحي الشعـــري موضوع هذه النكبة ، وموضوع المأساة الانسانية التي تنطوي عليها ، والفت الروايات ، والمسرحيات المختلفة في ذلك ، علاوة علـــى ان السينما المصرية قدمت الموضوع على شاشة الخيالـة (١) .. وفـــي طليعة الادباء ، والشعراء الذين اصطنعوا الموضوع جرجي زيـــدان ، وعزيز أباظة ، وعدنان مردم بك ، وهذه الصفحات نخصها بمسرحية « العباسة » ، للشاعر الكبير عدنان مردم بك التي صدرت مؤخرا ، وسنحاول فيدراستنا لها الافادة قدر المستطاع من الرواياتوالمسرحيات الاخرى ، او من مرويات التاريخالعربي الاسلامي القديم ، وغير ذلك .

لقد اثر عن شاعرنا الكبير عدنان مردم بـك في أدبـــه المسرحي الشعري ، حرصه الفني ، والادبي ، في تآليفه المسرحية (٢) علـــى العمد الواحد ، حرصه على التفنيد الفكري لموضوعه ، والتحليـــل الخلقي لابطاله .. وهذه خصائص فنية ادبية مسرحية ينفرد بهـــا شاعرنا الكبير عدنان مردم بك ، حتى انه لا يجاريه فيها احد مـــن مؤلفينا المسرحيين على العموم .. وقد استطاع بالفعل ، بهذا الحرص القيم الثمين ، ان يغني المكتبة الادبية المسرحية ، والتاليف المسرحـي الشعري الحديثين بطرفة جديدة من طرفه المسرحية الشعرية ، هـــي العباسة ، موضوع دراستنا ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حقا لقد اصطنع الاستاذ عدنان مردم بك الاسطورة ، والخيال في سرده ، وتحليله ، وتفسيره ايضا فيها ، ولكنه اصطنع ذلك كله الاصطناع الحكيم .. انه لم ينف العلاقة الغرامية بين جعفر البرمكي، والعباسة ، ولم يعرض عنها ، او يهملها ، كما يفعل بعض المؤرخين ، ولكنه قبلها في هيكلها العام لاذكاء العمل المسرحي واكساب الموضوع ، وفكرته قوة اكثر ، ورونقا اكثر !. ومن يدري قد تكون تلك العلاقة حقيقية . وقد تكون سببا مباشرا ، او غير مباشر في النكبة ؟!. هذه (العلاقة الغرامية) بين جعفر البرمكي ، والعباسة في المسرحية ثانوية ، ورديفة بالنسبة للموضوع الكبير ، والهام الذي يستنفد العمل المسرحي ، والتحليلات ، وهو : التآمر البرمكي الفارسي على الدولة العباسية العربية ..

وبالفعل ، ان مسرحية « العباسة » ، للشاعر الكبير عدنان مردم بك ، هي أدب سياسي مئة بالمئة .. وانها حقا أدب سياسي (٣) دقيق السرد ، عميق التحليل ، صادق التفنيد ، عف الطوية ، نظيف، ورهيف .. ان السياسة في مسرحية « العباسة » ، عمودها الفقري، ولولب الاحداث فيها ، ومحور التحليلات ، وهي في الاساس تكشف أطماع البرامكة الفرس التكشف السافر ، وتآمرهم التآمر السافر ايضا ، وفي ظليعتهم جعفر وزير الرشيد على الدولة العربية ..

هذه السياسة في المسرحية هي التي تدفع الى مبايعة المأمون الفارسي الام ، والى مساندة جعفر له لذلك ، وهي التي تقود الى أطلاق سراح يحي العلوي الطالبي خصم الرشيد ، وتهريبه .. وهي التي تؤلب النفوس العربية ، مثل الفضل بن ربيع وزير الرشيد ، وعينه الساهرة ، وزبيدة أم الامين ، وحفيدة ابي جعفر المنصور ، ثم البلاط ، والبطانة ، من ادباء ، وشعراء ، وعسس ، وحراس ، تؤلبها على البرامكة ، وهي التي تدفع جعفر البرمكي ان يطالب بولاية خراسان ، او على الاقل التنحي والسفر الى هناك ..

ثم أليست السياسة هي التي تدفع الاحداث الى الحل في المسرحية ، عندما يضبط رئيس الشرطة رسالة سرية من يحيى العلوي الى جعفر يحرضه فيها على الثورة ؟! ثم أليست السياسة هي التي يؤول اليها العمل المسرحي ، اذ يتأكد الرشيد من المكايد التي تحاك حوله ، فيصمم على الفتك بخصومه البرامكة خدام الاطماع الفارسية ، وينفذ تصميمه بينما يكون جعفر يستعد للهرب سرا الى خراسان !!. يضاف الى ذلك كله في المسرحية ، تصويرها للنزعة الفارسية الصريحة ، والاطماع الفارسية الصريحة آنئذ .. والتي ترصدها المسرحية بدقة ، وبراعة ، وأناة فتميز بين ضمائر وسرائر ، وبين ارادات وطموحات ، وتشعرنا اننا بالفعل امام شخصيات عربية ، واخرى فارسية ، تتطاحن ، وتتعارك ، ويتربص بعضها لبعض ، ويتآمر بعضها على بعض ، حتى تقع الفتكة بأعداء العروبة ..

لنستمع الى هذا الحوار الصريح الجرىء بين زبيدة ، والعباسة في الفصل الاول ، المشهد الثالث :

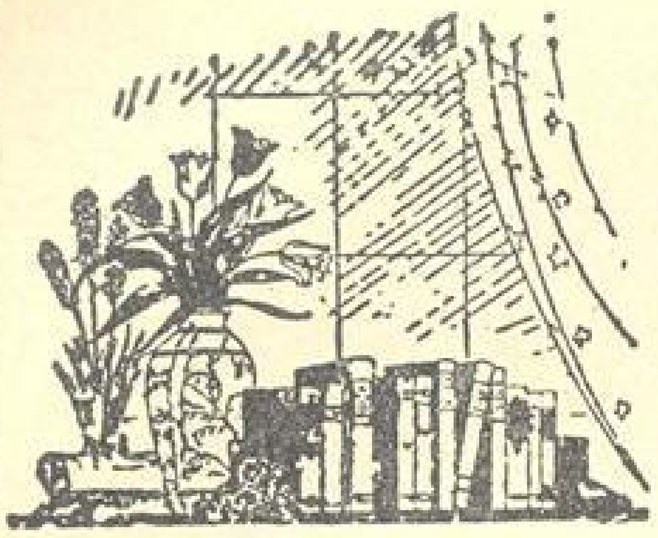
زبيدة :

اطماع فارس لم تكن ... تخفى ولا تتغير
تقويض مجد العرب ما ... تسعى اليه وتنظر
قد رابني ما رحت اشهد ... من مطامع تزخر
وأقض نومي ما رأيت ... وما سمعت وأبصر

العباسة :

اني لاسمع في لغاك ... الليث حين يزمجر
واكاد ابصر ما انطوى ... من جمرة تشعر
كره بمعتلج الاذى ... يعمى العيون ويحسر
هلا تدبرت الامور ؟. ... وفي الاناة تبصر !.
ما شان جعفر والخليفة ... في الرقاب مؤمر
من ذا اذا نطق الامام ... عليه قولا ينكر ؟.

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

على الرقاب مقدر .. أمر الامام هو القضاء

(أصوات تهزج وتهتف بحياة هاشم (تحيا هاشم) .. واخرى بحياة برمك (تحيا برمك ..) ..) زبيدة :

هل بعد هذا من دليل تبتغين لجعفر
ورأيت شيئا ليس يخفى أمره عن مبصر
وسمعت نأمة كل عات طامح مستنسر
انا أن غضبت فقد غضبت لما بدا من منكر
ما حقد (فارس) بالخفي لهيبه عن مبصر
أطماعهم يسم يمور بجامح متسعر
عجبا أبتغين الدليل على أذى المستأثر
ومن الفواجع شاهد يدلي بلحن مؤثر
لم يبق من رسم الخلافة غير رسم أعفر
أثوابنا ليست أذا نسبت ترد لبحتر
وطقوسنا من (أزد شير) ويزدجرد الاعور
ودعاة فارس يمرحون بمخصب مخضوضر
والناس ساهمة النواظر من أسى وتحير
وأراك تائهة الخطى في جنح ليل مقفر ..

ولنستمع الى هذه المقاطع من الفصل الثاني ، المشهد الاول ، والثاني للرشيد ، والفضل بن الربيع :

الرشيد :

أطماع (فارس) مارج في كل جارحة يثور
ينداح عن لهب تضيق بعبء جامحه الصدور
هيهات تنعم (فارس) بكرى وجانحها كسير
لو أمكنتها فرصة لعتت كما صال الهصور
العجز عاق عن الاذى لا الحلم حال ولا الضمير ..

(يدخل الفضل بن الربيع محييا الخليفة ..) الرشيد :

ماذا وراءك من خبر وبكل زاوية خبر

الفضل :

مولاي قد كشف اللثام وجانب القوم الحذر
ما كيد (برمك) سر بمحجب عن ذي بصر
في كل ناحية لهم زمر تعاضدها زمر
ودعاتهم عدد الرمال فكيف يحصرهم نظر

(يقف قليلا ويتابع) :

مولاي ، (جعفر) أخلى السبيل سرا (ليحيى)
سجينك اليوم حر ، يطوي البلاد ويسعى
يؤرث الارض نارا كما يشاء ، ويهوى
ودونه الفرس سيل بالشر يجري ويطغى
سياسة الفرس بغي في كل واد ومرعى
وهدم ما ليس يوما يد عليه لتقوى ...

(الرشيد يهتز حنقا ويتماسك مفكرا :) الرشيد :

ما كان اطلاق (يحيى) عفوا ولكن لمغزى ...
ترقب القوم واحذر فالليل للويل أخفى
ولا يفوتنك مسعى يحاك سرا ويحكى
البرمكيون كثر في كل واد ومرعى
بالحزم يدرك امر ما كان يوما ليجنى ...

ومن المقاطع التي عكست لونيات عربية صميمة هذا الحوار بين زبيدة والرشيد ، في الفصل الثالث : (٤) زبيدة :

يا ابن عمي جرحك الدامي جروحي وكلومي
كل ما يشجيك بشجيني ويذكي من همومي
بيننا من سبب القربى ولاء من قديم
نحن من (عباس) يا مولاي في الفرع الصميم
وهوانا واحد في كل تدبير حكيم
لم يكن ملك بني العباس اضغاث نؤوم ..

ملك آباء كرام درجوا منذ القديم
وتراث عبقري لعشيري وحميمي

الرشيد :

عرش الجدود أمانة من دونها عذب الحمام
تقضي المروءة صون ما شاد الجدود وما أقاموا ..
ما صان ملكا عن أذى في غابر الا الحسام ،
نضع الامور كما المروءة تقتضيها والذمام
نجزي العفاة بصيب أن ضن عن سكب غمام ،
ولنا أذا ما جدت اللأواء للشر اصطلام ..

زبيدة :

أجد الممالك بالدسائس جمرة تتوقد ،
وبكل ربع للنميمة عازف ومزغرد
هذا طليقك ، يا ابن عمي لايني يتوعد
أذكى السخائم مارجا ملء الجوانح يرعد
ومضى يحبر بهرجا من فتنة ويردد
تلقاه يتهم بالوقيعة في البلاد وينجد
ووراءه للسوء ألسنة تسل ، وتغمد
ترمي فيصمي سهمها بجوائح لا تنفد
ان الخيانة ما أخاف من الذي يتودد
حاذر خيانة معشر أطماعهم تتوقد
أطماع (فارس) كالزمان على المدى تتجدد
ولنا بسيرة من مضى عظة تقص وتنشد

الرشيد :

لا يفزعنك ما يقوم اليوم (يحيى) من فساد
اشياعنا زحفت تكر وراءه زحف الجراد
هيهات يحميه الفرار ودون ذا خرط القتاد
سيف الخلافة كالقضاء مهيمن دون العباد
كيف النجاة من القضاء لهارب عند الطراد

زبيدة :

ما كان يحيى من تصارع يا ابن عمي ، أو تعادي
من خلفه شيع تنادوا للوقيعة والفساد
فجنوبهم من لاعج لا تستقر على وساد
وجفونهم كحلت من الاحقاد في نار السهاد
وبصدرهم حمم تزمجر بالتهاب ، واتقاد

ولعل الحوار بين جعفر ، ومعينه ، وخدمه عند عزمه على الفرار سرا الى خراسان ، في الفصل الرابع ، المشهد الاول من اجود المقاطع التي تعكس النزعة الفارسية الصريحة ، ثم الخوف من جرائر العمل لفارس : فيروز :

مولاي ليس الفرس بالشعب المهان او الحقير
او مكرهم عند النضال بهين ، او باليسير
تاريخنا شرف الرجولة ليس يخفى عن بصير
ملأت روائعه الدهور ولم يزل شغل الدهور

جعفر :

ان الحمية في الفتى تعزى الى نبل الشعور
لكنما الاغراق في فرط الحمية من غرور
فشل الفتى من عثرة الاهواء ، والرأي الغطير

جمشيد :

الركب ينتظر الاشارة يا ابن يحيى المسير
هلا اجبت نداءهم ومضيت للامر الكبير
من كان غيرك قائدا في الكر ، واليوم العسير
عجل فان الركب ينتظر الاشارة للمسير

جعفر :

ما كان طول تريثي يا قوم عن خوف وذعر
اخشى على قومي الوبار اذا فشلت وخاب امري
لو ان (فارس) تفتدى بدمي ، بذلت دمي ببشر
لكن اخاف اذا فشلت على العشيرة عبء وزري
واخاف سيفا للخليفة مصلتا كالموت يفري

(يدخل سيراس مذعورا ويخاطب جعفر :) سيراس :

(فضل) يجد وراءنا متطلعا مستنجدا
ما انفك يستقصي الدقائق دوننا مستفسرا

جعفر :

يا قوم ليس الامر بالشيء الصغير ولا اليسير
الامر يخفى ما يشيب لهوله راس الصغير
فيروز عجل بالفرار لدفع خطب مستطير
ما الملك الا غرسة تروى بغمر من دماء
يحلو لنفسي أن أكون لفارس كبش الفداء
اوليس في صون العشيرة ما يحبب بالعطاء
ما مات من بذل الحياة وجاد طوعا عن سخاء ..

وبالفعل ان هذه اللونيات الصميمة شيء من التاريخ ، كما انها في الوقت نفسه شيء من فن عدنان مردم بك ، وابداعه .. انها صورة لسير الموضوع ، وتعمقه في اتجاه تاريخي دقيق .. ونحن اذا قارنا مسرحية « العباسة » لعدنان مردم بك ، مع مسرحية « العباسة اخت الرشيد » لعزيز اباظة ، وجدنا مسرحية شاعرنا الكبير عدنان مردم بك الصق بالتاريخ ، وواقع نكبة البرامكة من المسرحية الاخرى، كما انها تعكس بشكل اوضح وادق ، تجارب النفوس المتناحنة آنئذ بين عمل لفارس ، وتآمر على الدولة العربية ، وبين الخوف على الكيان العربي ، والحكم العربي .. ومن الخير ان نسجل ، على سبيل المقارنة بين المسرحيتين ، هذه النقاط البارزة التي تتعلق بالموضوع ، والبناء المسرحي ، والشخصيات فيهما ..

(الموضوع) في مسرحية عدنان مردم بك مركز في صراع سياسي ينكشف شيئا فشيئا ، منذ مبايعة المأمون ، حتى ضبط رسالة الطليق يحيى العلوي يحض فيها جعفر على الثورة ، وبالتالي محاولة جعفر الهرب حيث الثوار .. في حين هو في مسرحية عزيز اباظة موزع على تصوير نفوذ جعفر ، وحياته ، وعلى الخصوص علاقته مع العباسة ، ونكد العباسة بزواجها ، ثم بولدها الذي يظهر على المسرح ، يجاء به من الحجاز ، ثم يهرب خشية الفتنة .. حتى يفاتح الرشيد جعفر بتآمره وجرائمه ، ويأمر بقتله ..

بعبارة اخرى ، الموضوع في المسرحية الاولى سياسي صرف ، يتعلق بصراع سافر ، وتنافس مفضوح على النفوذ ، والحكم ايضا ، في حين العلاقة الغرامية بين جعفر والعباسة ، وجرائرها ، رديفة .. بينما الموضوع في المسرحيةالثانية عاطفي ، ثم اجتماعي ، ثم سياسي ، آثر الجانب الاسطوري، والمرويات الاسطورية فينكبة البرامكة، ويدورحول العلاقة الغرامية التعيسة بين جعفر والعباسة ، وما نتج عنها من اطفال، ومكايد بسببهم ، ثم نفوذ ، وتسلط ، وتآمر ، حتى وقوع النكبة .. نعم في المسرحيتين بعض الحشو ، مثلا شفاعة العباسة ليحيى بن عبد الله العلوي الطليق في المسرحية الاولى ، تعتبر حشوا .. الا انه يغفر له شيئا ما انه سبيل الى مفاتحة الرشيد باقتطاع خراسان لجعفر ، في حين مشاهد الانس والطرب في المسرحية الثانية ، او قدوم خالد بن يحيى لتهريب ولد العباسة الذي جيء به من الحجاز ، او الاستماع الى شكوى الصناع ، يمكن الاستغناء عنها ..

لنقل اذن ، الفكرة في « العباسة » ، لعدنان مردم بك ، موحدة ، وهي تآمر البرامكة على الدولة العربية ، جعلها المؤلف في موضوع واحد ، وعمل مسرحي واحد ، هو صراع سياسي صريح ، في حين الفكرة في « العباسة اخت الرشيد » لعزيز اباظة ، تظهر موزعة ، بل عائمة بين علاقة غرامية ، وبؤس بالزواج السري ، وتآمر ، وكيد بسبب ثمرة الزواج ، ثم النفوذ ، والتسلط ، والتآمر على الحكم العربي .. وقد تأثر البناء المسرحي ، بالفعل ، بذلك كله ، فرأينا البناء المسرحي في « العباسة » لعدنان مردم بك ، سرديا سياسيا في الاساس ، بمعنى انه عرض قصصي لعمل مسرحي يتطور الى حل ، وخاتمة .. في حين البناء المسرحي في « العباسة اخت الرشيد » لعزيز اباظة ، قطاعي عاطفي ، واجتماعي ، وسياسي ، بمعنى انه مشاهد متنوعة رصف الواحد منها الى جانب الاخر ، وبعضها حشو صريح .. ولنعرض العملين المسرحيين ، كما وردا في المسرحيتين ، في خطوطهما العامة :

العمل المسرحي في مسرحية « العباسة » لعدنان مردم بك يتسلسل في الفصول الثلاثة الاولى ، الاول ، والثاني ، والثالث في قصر الرشيد ، فنسمع في الفصل الاول المشهد الاول حديثا من على الشرفة المطلة على الشارع العام ببغداد ، حيث الهرج والمرج والفرح والسرور بمبايعة المأمون بولاية العهد ، ويتكشف الحديث عن نفوذ جعفر والبرامكة ، ثم ننتقل الى الردهة حيث نقف على الهمس ضد هذا النفوذ البرمكي ، خاصة وجعفر هو الذي ايد هذه التولية ، وساندها .. وتتكشف الضغائن في الفصل الثاني اكثر فاكثر وبشكل اوضح واكثر عنفا ، والمتحاورون العباسة ، وزبيدة ، والفضل بن الربيع في الاساس ايضا ، كما نلاحظ دس الرقع والاشعار من قبل البلاط للرشيد ، يوشون بواسطتها لديه بتسلط البرامكة على الحكم، وكيدهم .. وبينما يطلب جعفر في الفصل الثالث في حوار له مع الرشيد ، توليته خراسان ، بحجة انه سئم السياسة ، وعمل الحكومة ، يتشكك الرشيد في طويته .. ثم يقطع الرشيد في امر تآمره عندما يطلعه الفضل على رسالة بعثها الطليق يحيى العلوي يحضه بها على الثورة ، فيقرر الانتقام ، ولا تجدي شفاعة العباسة بيحيى ، ولا التماسها تلبية طلب زوجها جعفر توليته خراسان .. وهنا نصل الى الفصل الرابع والاخير ، فينتقل العمل المسرحي الى قصر جعفر، حيث نرى جعفر ومعيته يحاولون الهرب الى خراسان ، ثم تزوره العباسة حائرة ، ولهى ، حزينة ، فتنسى حبها ، وتروح تشجعه على الهرب كي ينجو بنفسه .. الا ان الجيش يكون داهم المنزل ، كما يكون سرور طلب الى جعفر التوجه معه حيث موته ، فيلبي جعفر الطلب بشجاعة ، ورجولة ، بينما تبكيه أمه ، والعباسة ..

اما العمل المسرحي في مسرحية « العباسة أخت الرشيد » لعزيز اباظة فيتسلسل تارة في قصر العباسة ، وتارة في قصر الرشيد .. في الفصل الاول نسمع في قصر العباسة حوارا بين العباسة واختها علية بنت المهدي عن حالها التعيسة في زواجها من جعفر ، ونكاحها العاقر الذي اراده الرشيد دون خلوة ، ثم نشاهد مجلس انس وطرب يحضره الرشيد وزبيدة ، ثم يحضر جعفر ويخبر بأن في مصر ثورة لا بد من الخروج لها .. ثم نعلم بقيام ثورة في الشام يتوجه لها جعفر .. وننتقل في الفصل الثاني الى قصر الخلد حيث نسمع زبيدة والوصيفات يتحدثن عن رجوع جعفر من الشام مظفرا ، فلا تصغي زبيدة له ، بل تحمل على جعفر وسرفه ، ونفوذه ، وتدخل العباسة ولا تنسى احدى الوصيفات ان تخبرها حطا من كرامته بأنه عاد بمئات الجواري من الشام .. ثم نشاهد مجلسا للرشيد يحضره جعفر يحدث مولاه فيه عن ثورة الشام فيكرمه ويوليه المشرق .. ونعود في الفصل الثالث الى قصر العباسة حيث نشاهد العباسة محتفية بولدها الذي جيء به من الحجاز سرا ، ونسمع عن موقف زبيدة من جعفر وكرهها له ، وتربصها للفتك به ، ثم يدخل يحيى بن خالد والد جعفر يطلب الولد لتسفيره خشية الفتنة ، فيهدد جعفر بالهرب الى خراسان .. وننتقل في الفصل الرابع الى قصر الرشيد من جديد ، ونسمع عن تطاول البرامكة ، وتآمرهم ، ونرى الى مجلس للرشيد يستمع فيه

الى شكاوي الصناع ، ثم نعود الى حديث الثورات ، وان يحيى العلوي فقد ، فيستدعي الرشيد جعفر ، ويفاتحه في جرائمه واخطائه، ويرد عليه بأدب وكياسة ، وتحاول العباسة ان تشفع لزوجها فلا نجدي شفاعتها شيئا ، ويقاد جعفر بأمر الرشيد خارج المسرح حيث يقتل ، ويبرر الرشيد عمله ، بأنه للحفاظ على الخلافة ، والملك ..

الشخصيات في المسرحيتين يتباينون تباينا ظاهرا ، ومختلف بعضهم عن بعض الى حد ما ، خاصة الشخصيات الرئيسية : العباسة ، الرشيد ، جعفر ، زبيدة ، وغيرهم .. العباسة في مسرحية عدنان مردم بك زوجة عاشقة فقط ، تدافع عن سياسة زوجها ، وتحاول التوفيق بينها وبين وجهة النظر العربية التي لآلها، وذويها ، وذلك على الخصوص من زاوية الانثى الحائرة بقدرها ، وقدر زوجها .. في حين هي في مسرحية عزيز اباظة ، أم ولد من جعفر ، وشريكة لجعفر في الحياة والهم ، تتحمل من هذه الناحية فقط مقدور حظها الشقي العاثر ، والذي يصدمها بتألب القوم على زوجها، وولدها ، أو كيدهم بهما ، ومنهم زبيدة ، والرشيد ، فتحاول الدفاع عن مواقف زوجها ، او ايضا الشفاعة له ، فلا يجديها ذلك شيئا .. لنقل بعبارة اخرى ، العباسة في مسرحية عدنان مردم بك انثى عاشقة ، وحبها ظاهر في حوارها ، وافعالها ، لدرجة انه يتغلب على العصبية العربية عندها ، ولكنه حب مقرون بالهم السياسي الصريح ، في صراع سياسي صريح .. ولذلك نجدها طيلة فصول المسرحية الى جانب سياسة زوجها ، وهواه ، كما نراها عند وقوع النكبة في الخاتمة ، توافق على هرب زوجها لينجو بنفسه من غضب الخليفة ، والجيش ، والشعب ، بل وتشجعه عليه ..

في حين هي في مسرحية عزيز اباظة انثى مرزوءة بزواجها السري ، والذي تنجب منه ولدا يربى في الحجاز سرا ، وحبها حب شاق ، وشاذ ، ومهموم اجتماعيا .. فلا هي تنعم بالزوجية ، ولا بالولد ، ولا يفيدها حبها في الشفاعة لزوجها عند المحنة ، وبالفعل ولدها الذي يجلب من الحجاز ، ويظهر على المسرح ، يسفر لتوه خشية الفتنة ، وشفاعتها الفعلية ، والمباشرة لزوجها جعفر ، عند اخيها الرشيد تبوء بالفشل ..

لنلاحظ اذن ان رسم الشخصيات ، وتحليل الخلق خضعا كلاهما للموضوع ، والعمل المسرحي ، اذ ان عزيز اباظة وحده هو الذي يستغل العلاقة الغرامية بين جعفر والعباسة ، وما نجب عنها من ولد ، ليحرك بها شخوص مسرحيته ، حتى آخر مشاهدها ، في حين عدنان مردم بك يحرك شخوصه في اتجاه تاريخي ، سياسي موحد ، بعيد عن الاسطورة ، والتهويل .. وبالفعل الرشيد في مسرحية عدنان مردم بك يرسل مسرور ، والجيش ، لجلب جعفر اليه ، وقتله ، فيلبي جعفر الطلب بشجاعة ورجولة بين بكاء أمه ، وزوجته ، بينما هو في مسرحية عزيز اباظة يفاتح جعفر بجرائمه واخطائه ، منها زواجه السري من العباسة ، فيرد جعفر على الاتهامات كلها ، وان العباسة حلاله وحقه ، ثم تتشفع العباسة لزوجها بحضوره ، فلا ينفع ذلك في شيء ، ويساق الغريم الى الموت ..

وفي الحقيقة ، ان الرشيد في المسرحيتين عربي حازم ، يخشى على الخلافة ، والحكم العربي ، من كيد الاعداء المتآمرين في الخفاء ، وزبيدة في المسرحيتين عربية تكيد لجعفر ، وتعمل ضده ، وتشنع عليه ، وجعفر فيهما أيضا متباه ، ولنقل الى حد كبير متآمر .. ولكن الذي يميز مسرحية عدنان مردم بك عن مسرحية عزيز اباظة ، ان مؤلفها يحرك عملها المسرحي ، وشخوصها ضمن امكانات موضوع واحد ، هو صراع سياسي صريح ، بينما عزيز اباظة يحرك عمله المسرحي ، وشخوصه في اكثر من موضوع ، وعلى الخصوص في اتجاه الاستعراض القطاعي الاجتماعي ..

الفنية المسرحية في مسرحية عدنان مردم بك تمتاز ، اذن ، بوحدة العمل المسرحي ، ووحدة الموضوع ، وبالتالي وضوح الشخصيات في الصراع السياسي الذي يعيشونه ، في حين هي عند عزيز اباظة فنية السرد القطاعي ، المزدوج ، المتناوب .. لنقل ، بعبارة اخرى ، ان المسرحية الاولى تقرب فنيتها من فنية الادب الكلاسي الفرنسي (٥) الذي يمثله كورنيل ، وراسين ، في ايثارهما العمل الواحد ، وتحليل الخلق ، الواجب مثلا ، الحب .. في حين المسرحية الثانية تقرب فنيتها من الفنية المسرحية الشكسبيرية ، نسبة لشكسبير ، او الشوقية ، نسبة لاحمد شوقي ، وتقوم على السرد الواسع ، والعرض القطاعي المتناوب ..

ولذلك نحن نحيي صديقنا الشاعر الكبير عدنان مردم بك على ابداعه ، وفنه في هذه المسرحية القوية ، والآسرة حقا ، والذي استطاع فعلا ان يحرك فيها شخصيات عربية وفارسية ، واضحة الملامح ، بارزة التقاسيم ، ظاهرة الاهواء في عمل مسرحي واحد ، وموضوع مسرحي واحد .. لنرى الى صراع سياسي صريح ، ونطلع على مأساة لكيد فارسي ، وتربص عربي ، ونلمس بأيدينا قيمة الواجب والشرف ، والشهامة في الحياة ، والمجتمع ، والتاريخ ..

وما اجمل خاتمة العباسة لعدنان مردم بك ، حيث نجد الاميرة الانثى ، العاشقة ، تتهاوى امام محاذير الخطر ، فتشجع زوجها على الهرب ، بل على تهريبها معه ، فلا يجدى تشجيعها شيئا ، ويقع جعفر في قبض الجيش ، ويظل يحافظ على رباطة جأشه ، وشهامته ، ليتقدم ، اخيرا ، برجولة الى مصيره ، الى موته ..

وما اجمل ان نسمع اليوم ، في جزالة ، وقوة سبك (٦) ، التحليلات الفائقة ، البديعة ، لخلق امثال هذه الشخصيات التاريخية ، في تاريخنا العربي القديم : جعفر للعباسة :

أني رسمت نهايتي ... بيدي ، وكنت بها البصيرا
أنا من تكشف لي المصير ... وما تهيبت المصيرا
حاولت ادراك العسير ... وما تخوفت العسيرا
أيقظت قومي للكبير ... وكنت في سعيي كبيرا
حاولت بعث حضارة ... للفرس طاولت العصورا
لاعيد سيرة من مضى ... كسرى العظيم وازدشيرا
ونفحت في قومي الشعور ... ولم أزل أذكي الشعورا
وقبضت ناصية الامور ... وما تهيبت الامورا
حتى أكون ، اميرتي ، ... في حبك الكفء الجديرا

ان « العباسة » للشاعر الكبير عدنان مردم بك ربح ثمين ، وقيم ، للتأليف المسرحي الشعري ، العربي الحديث ، الناهض اليوم،

(١) ـ وذلك في فيلم « دنانير » ، وقام بالدورين الرئيسيين فيه أم كلثوم ، وعباس فارس ، والغناء فيه من الحان زكريا أحمد .. (٢) ـ أصدر عدنان مردم بك في اواخر عام ١٩٦٦ مسرحية : غادة أفاميا ، راجع دراستنا لها في « الاديب » عدد يناير ١٩٦٧ ، وله مسرحيات عدة نشر اجزاء متفرقة منها ، هي في سبيلها الان الى الطبع ، يراجع « الادب المسرحي في سورية » ، لعدنان بن ذريل ، دمشق ، ١٩٦٥ ، ص ٨٢ وما بعدها .. (٣) ـ سنرى ان المسرحية تركز الاهتمام على الاحداث التاريخية ، والتحليلات السياسية ، من مثل اطماع فارسية، مبايعة المأمون ، اطلاق العلوي ، كما تقيم الحل في العمل المسرحي على ضبط رسالة تحرض جعفر على الثورة على الرشيد .. (٤) ـ يلاحظ ان الفصل الثالث في المسرحية طويل ، وكثير المشاهد ، (٥) ـ يراجع في هذا الخصوص مقدمة عدنان مردم بك لمسرحيته « غادة أفاميا » السابقة الذكر (٦) ـ فيما يتعلق بخصائص الاسلوب والديباجة الشعرية في المسرحية ، يراجع نقدنا لمسرحية « غادة افاميا» السابق الذكر ، فأن ما ذكر فيه عنها ينطبق على الخصائص في هذه المسرحية ..

والآخذ بالازدهار ، ونرجو ان تأخذ طريقها قريبا الى المسارح الفنية، والى الجمهور الفني في سورية ، والبلاد العربية والى اللقاء في نتاج جديد ..

دمشق — عدنان بن ذريل

●

قاموس التربية وعلم النفس التربوي

وضع الدكتور فريد جبرائيل نجار عميد كلية التربيةبالجامعة اللبنانية ـ ٢٨٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الجامعة الاميركية ببيروت

القاموس هو البحر وهذه التسمية اول من اجراها في معجمات لغتنا الضادية مجد الدين الفيروز آبادي في قاموسه المحيط ثم جاء ابو الفيض الزبيدي فتداولها في شرحه للقاموس بكتابه الضخم الذي سماه « تاج العروس » ومضى المعاصرون على ان يخلعوا اسم القاموس على المعجمات الحديثة ، وبهذا سمى علامة التربية الاستاذ الكبير الدكتور فريد جبرائيل نجار معجمه في التربية وعلم نفسها . (١) .

وليس يضر كتابا نفيسا كهذا الكتاب ان يتقادم طبعه ويحدث الكلام عليه ، فان القدم لا يجري على الفكر والعلم ، وبخاصة المعاجم، فان كلماتها ومدلولها دائمة ومتداولة ، وعملة الفكر والشعور لا تبطل في سوق العقول والنفوس .

واذ كان علم التربية والنفس وعلم الاجتماع من الامور التي ذرت اشعتها في عصرنا فهو من العلوم المحدثة ، فقد وجب ان تقترن بمعاجم تبين معاني الفاظها والوان مصطلحاتها ، وقد لبثت حياتنا العلمية والفكرية منذ استهلالة العصر العشرين في مهب ريح خاصة لا يشتمل عليها توجيه عميم ، اذ كان كل قطر من اقطار العروبة معنيا بمصطلحات يدلي بها علماؤه ، قد لا تتفق وما عند العلماء الآخرين والباحثين في امور العلوم الحديثة كالتربية وعلم النفس والاجتماع ، حتى ابهت لذلك المجامع العلمية وبخاصة المجمع العلمي العربي بدمشق الذي ظل فيه الاستاذ الرئيس الامير مصطفى الشهابي يدأب في ترويق المصطلحات العلمية والفكرية حتى اخرج بها قاموسا جليلا يشتمل على كثير من مصطلحات العلوم والفلسفة ونواحي الفكر .

فلا جرم بأن وضع معجم للتربية وعلم نفسها كان من حاجات الفكر المعاصر ، والبحث الراهن في كليات التربية والمجامع العلمية والادبية ، وكان التطور الذي تمضي به امتنا العربية يعوزه رفد من المعجمات الخاصة والعامة لتيسير البحث والدرس وللوصول الى غاية حميدة في التأليف والمحاضرة والتدريس .

وقد رتب المؤلف مفردات هذا القاموس التربوي على الطريقة الابجدية الانكليزية بدءا من حرف الالف وانتهاء بحرف الياء .

وهو يثبت الكلمة بالانكليزية وبجانبها مرادفها بالفرنسية في اكثر كلماته ، ولا يطيل الشرح والتاويل ، وهذه مزية رائعة تحبب المعاجم الى روادها ، اذ ان الاطناب في شرح معاني الكلمة والتوسع في مدلولاتها يدخل الضيم على المادة نفسها ، وعلى القاريء ، اذ يعتريه الملال ، ويضيع في مجاهل مطلوبة ، على حين يجد بمنالته ما يشاء من معاني الكلمة باختصار مفيد دون ايجاز مخل .

وبضربنا بعض الامثال مما جاء بهذا القاموس نستبين اوجه الجدوى فيه ، كقوله في مادة الايكولوجيا : علم التوزيع البشري : Ecology human « درس انتشار الشعوب وانتظامها في جماعات على أساس ارتباطها ببيئة فيزيائية معينة واكتسابها حضارة خاصة » وبمادة Learing. Whole التعليم بالوحدات الكلية .

« طريقة تعلم وحدة كاملة بمراجعتها تكرارا من اولها الى اخرها يقابل ذلك طريقة التعلم بالجزء او التجزئة » .

وهذه الطريقة بعثت في ذاكرتي خاطرات جميلة تعليمية كنت أشاهدها حين كنت ملحقا ثقافيا للسفارة السورية بالقاهرة ، فدعاني مدير المركز التربوي لزورته بسرس الليان الذي يبعد سبعين كيلو مترا شمالي القاهرة حين اقامت مؤسسة الاونيسكو مركز التربية الاساسية هنالك ، فذهبت ازور هذا المركز في قلب الريف المصري ، وقد اقيم بين الرياض بطراز حديث ، وشد ما فرحت اذ وجدت هنالك الصديق المستشرق الكبير الاستاذ « جاك بيرغ » الذي دهشت لانطلاق كلامه بالعربية حتى حسبته مفربيا واذا هو فرنسي من ابرع المستشرقين وظلت الصداقة بيننا منذ ذلك اللقاء . وفي هذا المركز شهدت درسا « كليا » كان يلقيه أحد اساتيذ التربية المنتمي الى معهد التربية بالقاهرة والمقصود بكلمة « الكلية » القاء جملة كاملة كقولنا (قدم الطالب الى المدرسة) فبدلا من ان يأخذ المعلم بفك هذه الحروف والبدء بتلقينها الطالب مفردة فهو يدلي اليه بالجملة بكاملها ، وبتوالي الجمل يعرف الطالب مواقع الحروف وحركات تركيبها . وعندي ان هذه الطريقة لا تصلح الا للكبار ، وقد اخذت بها مدارس السودان . ورحت وانا اشاهد درسها في قرية سرس الليان أردد قولة في هذا الصدد قالها الفيلسوف بيرغسون وهي : « ابدأ بالكليات » .

والذي كنت اتمنى ان اجده في هذا القاموس تناول الامثلة من الادب الغربي والعربي ولو على شكل اضافة هامشية ، فهذا القاموس حين تكلم في الصفحة ٢٣٦ على الرمزية Symbolisme شرح معناها العلمي والوصفي دون ان يقول انها من ابتكار شارل بودلير في الشعر الحديث . ولم يتطرق الى اثرها في الشعر والفكر واقتصر على تعريفها بانها كالشعار الذي يرمز الى شكل من الاشكال .

ويبدو ان هذا القاموس اتبع مؤلفه النابغ تصنيف حروفه بالانجليزية وحبذا لو اعيد تصنيفه بالنسق العربي لمواده ، كأن يبدأ بحرف الالف وينتهي بالياء ايضا حسب المسميات العربية وتوضع بجانب كل منها معانيها الانكليزية والعربية ، اذن لجاء هذا الترتيب نبذة مواتية للتأليف المعجمي العربي .

وهذا هو عين ما صنع المؤلف الفاضل في اثباته في اخر المعجم ثبتا بالكلمات الواردة في القاموس بنظام اجراه على الحروف الهجائية العربية بدءا بالالف من مادة (ائتلاف)وانتهاء بمادة (يوتوبيا) وهو يشير بجانب كل مادة الى صفحتها التي فيها المادة المعجمية في هذا القاموس الجليل .

ومن الجميل حقا ـ وهذا مذهبي فيما اتكلم به على الكتب ـ ان معرفتي بمؤلفيها تضفي على تمثلي تجسيدا يجعلني احس بوجود المشاهدة والفكر في حين واحد . وقد عرفت المؤلف الاستاذ الكبير عميد التربية الحديثة في لبنان وصلاته بالتصنيف التربوي جائمة في أفياء الفكر ، ولدى رواد العلم بالجامعة الاميركية ببيروت حتى هذا اليوم وفي الجامعة اللبنانية في عهد رئيسها الكبير الاستاذ الدكتور فؤاد افرام البستاني . والاستاذ نجار عميد كليتها التربوية التي لبست حلة هذا الاسم الجميل منذ حين بعد أن خلعت عن منكبها اسم (معهد المعلمين العالي) .

دمشق — زكي المحاسني

(١) شارك المؤلف في اخراج هذا الكتاب الجليل السيدة فائزة معلوف انتيبا والدكتوران نعيم نقولا عطية وماجد فخري من اساتيذ التربية بالجامعة الاميركية ببيروت باشراف الدكتور حبيب امين كوراني رئيس دائرة التربية في هذه الجامعة الذي كتب المقدمة .

تطور الصحافة العربية في مصر

تأليف انور الجندي ـ ٤٠٠ صفحة ـ منشورات الرسالة

قدم الاستاذ انور الجندي في هذا الكتاب عدة دراسات يتصل بعضها ببعض ، فلا تكاد قضية من قضاياه تنفصل عن قضية اخرى ، حتى يعد هذا الكتاب بحق ، تكملة لكتابه عن : « الشرق في فجر اليقظة ».

على ان هذه القضايا التي أثارها المؤلف في هذه الدراسة ، لما يتسع القول حولها وتتشعب الآراء ، فيما تتضمنه من وقائع وحوادث واحداث ، كانت مطمورة في الصحف والدوريات الى ان كشف عنها وناقشها وغربلها الاستاذ انور الجندي ...

ولقد يكون كلامي مكرورا اذا تعرضت لامتداد ثقافة المؤلف ، او محاولاته العديدة المرضية في هذا الكتاب ، فهو ولا شك ، يغني عنها ما قدمه ويقدمه كل يوم من زاد هو خير لابناء العربية في شتى بقاع الارض .. ويكفي دليلا على نفعيته وجديته ، انه لم يسبق في تاريخ هذه الدراسات في شرقنا العربي ، ولا في الكشف عن مطويات هذه الدوريات، ولا بعث هذا التراث الذي تعيش عليه جامعة ، ويفرض نفسه على اكثر من قسم في اكثر من أكاديمية ...

ولا يهمني في هذا المجال الا ثبت هذه الدراسة ، تاركا مناقشتها للذين يهمهم هذه المناقشة ، ويهولهم منحى هذه الدراسة .. فالابحاث الجديدة التي شدت اليها ، ودفعت الى افرادها بالارقام هي :

١ ـ نماذج متعددة لتطور الاسلوب الى نهاية الفترة التي ارخ لها المؤلف .

٢ ـ تراجم عديدة للصحفيين ، ودراسة لرؤساء التحرير .

٣ ـ معارك ومساجلات الصحف .

٤ ـ قضايا الصحف ، طرائف الصحافة ، الاخطاء المطبعية ، توقيعات الصحفيين .

٥ ـ خطوط عريضة للمجتمع في مرحلتيه : قبل الحرب الاولى وبين الحربين في مجال المسرح ، والمجتمع ، والازهر ، والرحلة ، والفكاهة ، والاغاني .

٦ ـ مذكرات الصحفيين ، والكتاب في مجال العمل الصحفي .

٧ ـ صحافة النقد السياسي الساخر، وصحافة الادب والثقافة.

٨ ـ الكاريكاتير والصحف الهزلية .

٩ ـ دراسة شاملة للمصاحفين (الكتاب الذين يكتبون في الصحف من غير محرريها) .

١٠ ـ دراسة دخائل الصحافة واسرارها من الداخل .

ومن الانصاف ان انضم الى الاستاذ المؤلف ، وافخر بانه « بهذا الكتاب تكون دراسات الصحافة العربية في مصر الى اوائل الحرب العالمية الثانية ، قد يسرت بجهد المقل ، وان صورة للمجتمع قد وجدت ، واصبحت قادرة على ان ترسم ملامح العصر » .

واعتقد انه يعد قراء العربية ، وبخاصة المعنيون منهم بهذه الدراسات التي سدت في حياتهم ، الف باب وباب ، كادت لا تنغلق في يوم من الايام ، لولا ان استعان المؤلف الفاضل ، على ايصادها ، بمختلف الادوات ، وشتى المعينات ، ولقد دفع هذا الجهد الاستاذ أنور الجندي للتحدث عن « موسوعته » ، وهذه اول مرة ، يعرض فيها تعبه ، وما يصيبه من جراء ذلك ، وان كان هذا لا دلا ، او عجبا، وانما هو التواضع بعينه الذي يسيطر على العلماء والباحثين ، بعدما لمس اعراض الادباء عن اظهار كنه ما يديره على هذا الصعيد العربي الكبير ، وتفاضيهم عن هذا العمل المشكور :

يرسم المؤلف الخطوط المستقيمة لعمله العظيم فيقول :

« كانت الفكرة اساسا هي « القضاء على النظرة الاقليمية الضيقة » التي كانت سائدة في دراساتنا عن الادب العربي ، لذلك كان من الضروري ان يكتب الادب العربي من جديد على نحو موحد ، تدرس فيه الظواهر النفسية المختلفة التي مرت على الوطن العربي في ضوء « وحدة الفكر والضمير والشعور والذوق » . وقد كشفت دراستنا في أدب المقاومة عن هذه الحقيقة في مواجهة « النفس العربية » للاستعمار والاحتلال ، ومعارك المقاومة ، والثورات المتعددة، وكان من الضروري ان يردد هذا العمل « كاتب » لا يتطلع الى الثمرة السريعة ، ولا الجزاء المادي ، فيكتب دراسة على مستوى الامة العربية في فترة تبلغ حوالي السبعين عاما ، وهي الفترة التي واجهت فيها الغزو الاستعماري والاحتلال .

ولست اذكر مدى الجهد الذي بذلته والذي اضطرني الى اتخاذ « نظارة » طبية ، وكيف امضيت اكثر من ثلاثة اعوام مقيما اقامة تامة في مكتبة القلعة بالقاهرة بين الاضابير القديمة من الصحف والدوريات ، ولكني اذكر انني لا اعد هذا العمل شيئا كبيرا او عظيما ، وانما ـ اعده مخلصا ـ عملا تمهيديا لعمل اكبر منه ، واكثر شمولا وتحقيقا ، ومع ذلك فان عملي بالنسبة لهذه الدراسة لما ينته بعد ، فقد تولدت عشرات الموضوعات والدراسات الفرعية التي تحتاج الى مزيد من العمل ، ومع هذا الجهد الذي بذلت ، وقد طبع اغلب هذه الاجزاء على حسابي الخاص ، ومن رزق اولادي ، فان قليلين جدا، هم أولئك الذين أولوا « الموسوعة » بالنظرة الفاحصة ، والنقد البناء ، او القوا الضوء على بعض اجزائها ، ولم يكن مطمعي في هذا تطلعا الى شيء ما ، سوى الرغبة في الانتفاع بآراء الباحثين ، ووجهات النظر الاخرى التي توسع امامي آفاق البحث ..

وقد اعطتني هذه دراسة ، ما زلت اعيش في دائرتها ، اعطتني فكرة ونظرية . اما الفكرة ، فهي ان فكرنا العربي الاسلامي فكر حي متحرك ايجابي مرن متطور ، قادر على الحياة والاستمرار والنمو، والتجاوب على المستويين : الزمني والبيئي ، فهو يمتد « زمنيا » دون ان يتحطم ، ويقاوم كل مؤامرات تمزيقه او تدميره . ويتمد « بيئيا » ، فيشمل العالمين العربي والاسلامي ، فضلا عن انه قدم الى اوروبا اعظم مقومات الفكر الاوروبي المعاصر ، وهو « المنهج التجريبي » فضلا عن عديدمن المقومات التي قامتعليها النهضة والحضارةالحديثة.

اما « النظرية » فهي اننا في حاجة الى تأكيد اساس فكري نقيم عليه نهضة فكرنا الحديث ، هذا الاساس الذي لا يمكن ان نستمده الا من جوهر فكرنا العربي الاسلامي ، وتتمثل فيه قيمه الاصيلة ومقوماته الاساسية . فقد كان فكرنا دائما مفتوحا وقادرا على الاخذ والعطاء ، وله من مقوماته ما يمكنه من الحفاظ على شخصيته وملامحه ، ولن يستطيع ابدا ان يتخلى عن هذه المقومات » .

غير اني لا استبعد مطلقا على الاستاذ انور الجندي ، ولا على قدرته في البحث والدرس والاستيعاب ، ان يكون له في يوم من الايام، مدرسة بعد ان كان له منهج ، يأخذ من على اوراقها ، التلاميذ الواعون في العالم العربي ما افاض به هذا الباحث الجليل على العربية من دراسات كانت احوج ما تكون اليها ، ولا سيما اذا انجز ما تعاهد عليه . وهو تكملة هذه الدراسة بكتابين : « تطور الصحافة العربية بين الحربين ١٩١٩ ـ ١٩٣٩ » ، « تطور الصحافة في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية الى اليوم » وان كنت في دخيلة نفسي ، اكاد احسده ، واتمنى ان اكونه ، وبخاصة في سنه التي تقارب سني ، ولا تزيد عليها الكثير ، وهو من هو : نشاطا وحيوية ، وذهابا الى مكتبة القلعة التي يذهب اليها المعافى ، فيرجع متعبا او مكدودا ، فضلا عن الجمع والبحث والمقارنة والاستخلاص .. وفقه الله ..

القاهرة

أبو طالب زيان



الدكتور محمد مهدي البصير

مؤلفات البصير

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

البصير ، محمد مهدي البصير ، علم من اعلام العراق الحديث ، لا يجهله احد في العراق لما له من مكانة في الوطنية والشعر والادب ... والتدريس الجامعي . هو شاعر ثورة العشرين (١٩٢٠) ، وقد اقترن اسمه بها ، اذ كان مؤجج نارها ومذكي حماسة ابنائها ، فاذا انشد قصيدة أو القى خطبة كان ثورة في الثورة ، ومن كانكذلك لقي مجدا وتمجيدا ، وعان عنتا وارهاقا .

تلك صفحة من تاريخه واضحة نيرة ، لا مجال الى نكرانها ، ويتعب نفسه من يتجاهلها ، وهي معروفة تمام المعرفة في العراق ، ومعروفة لدى الاوساط العربية التي اشتغلت مخلصة في القضايا الوطنية والقومية .

ولقد نشانا ونحن نسمع اسم البصير في كل مكان ، وبكل احترام واعجاب .. حتى لتروى عنه قصص يمكن ان تدخل في الاساطير ... لم نشهد الثورة ، ولكننا شهدنا جيلها وسمعنا عنه واصغينا اليه ، ورددنا ما بلغنا عن شاعرها من قصائد وانا شيد . وللبصير قبل الثورة تاريخفي الحلة وفي بغداد فيه النكتة اللاذعة والالتفاتة البارعة في حافظته وذاكرته ، وذكائه وجرأته وتصرفه .. وأدبه .

ولما انتهت الثورة وقامت أركان حكم جديد .. زاول ـ فيما زاول ـ التدريس في جامعة آل البيت ، وألف ونشر ثم ابتعث الى مصر في اوائل تموز سنة ١٩٣٠ ، فاقام قليلا ثم غادرها الى فرنسا فحصل على الدكتوراه في الاداب وعاد في ٩ ـ ٢ ـ ١٩٣٨ .

تولى تدريس الادب العربي بدار المعلمين العالية ، فتخرجت على يده أجيال من مدرسي الثانويات ، منهم اللامع في ميادين الادب والشعر والتربية ، ومنهم من واصل الدرس فعاد استاذا في جامعة او موظفا ذا مكان .

انصرف البصير الى الدرس والتدريس ، يعد المحاضرة تلو المحاضرة ، وقد يتحدث خلال ذلك في اذاعة او حفلة او ندوة ، وينشر مقالة او بحثا او خاطرة .. وأساس خلقه في كل ذلك الاخلاص ، وهذا يقتضيه اناة وصبرا ودقة وزهدا بالشهرة الرخيصة ، وترفعا عما يختلق عليه او يصطنع في معاداته تاركا التخرصات الى الحقائق تفضحها وتهلكها وتذروها ، فيتأملها ساخرا ، هازئا .. ضاحكا الى درجات القهقهة .

وقد اجتمع لديه من النتاج الشيء الكثير ، مما وجب اخراجه في الناس كتابا ينتفع به الطالب ويستفيد منه المتتبع ، ويعتمده الاستاذ . ولكن كتب البصير ظلت محدودة الانتشار ، بمعنى انها لم تعرف جيدا خارج دار المعلمين العالية او دائرة المعنيين بالادب من العراقيين ، ولم تصل الى سوريا ولبنان ومصر .. والمغرب على المدى الواسع ، وهذا شأن اكثر الكتب العراقية ـ ان لم يكن كلها ـ وقد يكون العراق نفسه مسؤولا عن هذا ، ولكن غير العراق مسؤول ايضا ،لانالمفروض بكليات الاداب واساتذة الادب العربي في الكليات أن يستقصوا وأن يعرفوا ما يجد في محيط عملهم من جيد ما ينتجه زملاؤهم ، زيادة في المعرفة وتجنبا للتكرار ، وكان الذي تهيأ للاساتذة المصريين من فرص الاطلاع على النتاج العراقي ما لم يتهيأ لغيرهم ، فلقد زاروا العراق وأقاموا فيه مدرسين واساتذة ، وزارهم في مصر من طلاب الاساتذة العراقيين من اكمل دراسته في ربوعهم وأعد أطروحته تحت اسمهم ، ومع هذا فقد بقيت الدنيا هي هي ، وكان المفروض بالعلم لم يكن مفروضا .

هذه ظاهرة مؤلمة يجب ان تزول لانها عار في كل دلالة من دلالاتها الكثر .. علما ان كتب البصير ليست عن طالبها بالمنأى الذي يدعيه المتذرعون بالاعذار غير المقبولة . وانها لو كانت اثارا ضئيلة القيمة ، وكانت جمعا كما يحطب الحاطبون او اعادة كما يكرر الملفقون او ادعاء كما يطبل المطبلون .. أو ارتجالا واعتباطا كما يفعل الصبية او المتعابون ... لهان الامر ، ولما كان لهذا التعليق مسوغ ، وانما هي كتب رأي ناضجوتأمل طويل وتجربة متصلة لمؤلف لا ينشر ما لم يطمئن الى سلامة عمله ، والى انه سيضيف جديدا ان في الرأي وان في المنهج .

اشهد اننا قوم متفرقون لما ندرك أقطار الوحدة ، ومبتدئون لما نتعلم أسس البحث الجامعي . والامثلة اكثر من ان تحصى .

في ايار ١٩٦٠ عقدت « هيئة الدراسات العربية بالجامعة الاميركية في بيروت » مؤتمرها العاشر بعد ان « عزفت عن المحاضرات الى الدراسات العميقة وقصرت العضوية على أهل الاختصاص فقط » ، ودارت ابحاث المؤتمر « على ما أسهم به المؤلفون العرب في المائة سنة الاخيرة في دراسة الادب العربي » ، ونشرت وقائعه في كتاب عنوانه : « الادب العربي في آثار الدارسين » ـ بيروت ، دار العلم للملايين سنة ١٩٦٠. وليس معقولا ـ فيما هو غير معقول ـ انيجهل « اهل الاختصاص فقط » مؤلفات الدكتور البصير . ولنر :

كان صدر الاسلام ـ في المؤتمر ـ من حصة الدكتور وليد عرفات، والعصر الاموي من حصة الدكتور جبرائيل جبور ، ومع ان الاثنين مختصان في موضوعهما دون شك ، الا انهما لم يعلما بكتاب للدكتور البصير ، طبع مرتين ، اسمه « عصر القرآن » ، فيه ـ فيمن يتضمن من الشعراء ـ حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة ، وللدكتور عرفات رسالة عن حسان وللدكتور جبور كتاب عن عمر . وان صعب العلم بـ « عصر القرآن » فلايصعب ان يسمع مختص بأن بابا من هذا الكتاب عنوانه « النثر في عصر القرآن » نشر قبل ان يكون الكتاب فصولا خلال عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ في مجلة عراقية معروفة اسمها « المعلم الجديد » .

وتولى الاستاذ موسى سليمان دراسة المؤلفين في « النثر في العصر العباسي » ولكنه لم يشر الى كتاب للدكتور البصير ، طبع مرتين ، اسمه « في الادب العباسي » .

وكنت اود ان يكون الدكتور احسان عباس ممن يعلم ان للدكتور

البصير كتابا في « الموشح .. » او ان يدري ـ في الاقل ـ ان له مقالتين عن « ابن خفاجة » و « ابن هاني » نشرتا عام ١٩٣٩ ـ ببغداد في مجلة « المعلم الجديد » .

لقد ذكر مؤلفو المؤتمر العاشر الفث والسمين ، وثبتوا أقدام ما هب ودب فكيف كان ما كان ! واشهد ان الدكتور عمر فروخ الذي تولى كتابة «الشعر العباسي من المتنبي حتى سقوط بغداد » لم ينس « في الادب العباسي » ـ فكيف كان ذلك له ولم يكن لغيره ؟!

اما الدكتور شكري فيصل الذي تولى البحث في « الادب العربي من سقوط بغداد حتى اوائل النهضة الحديثة » فانه تخلص عن المسؤولية بان جعل كلامه عاما جدا ولم يقيد نفسه فيما اشترطته « هيئة الدراسات » من بيان ما أسهم به المؤلفون العرب » .

وفي الجمهورية العربية المتحدة استاذ معروف كثير الكتب غزير التاليف متصل النشر هو الدكتور شوقي ضيف .. دعته دار الهلال ليقف على الطبعة الثانية من كتاب جرجي زيدان « تاريخ آداب اللغة العربية » فيحفظ له عنصر الجدة والديمومة بالتعليق والتذييل . وقد بذل الدكتور شوقي ضيف جهدا ملحوظا في الحواشي وبيان المصادر والمراجع الجديدة التي ورد فيها كلام على « الاديب » الذي تحدث عنه زيدان ، او جاء فيها حديث عن البحث الذي طرقه زيدان ، ودل على علمه بما صدر في الجمهورية العربية المتحدة من جديد وعلى غيرته على اثبات هذا الذي صدر ـ مهما كانت قيمته احيانا .

واذ اشهد أن له الحق ـ كل الحق ـ في اثبات ذلك ، أشهد ان ما اثبت لا يغني عن ذكر البصير ، وان كثيرا منه لا يقف واياه على قدم المساواة ـ كنت اتمنى على الدكتور شوقي ضيف ان لا يفوته ذلك لاني احسب ان صلته بطلاب البصير ادت الى سماعه به . كان ذلك في عام ١٩٥٧ .

ثم ان الدكتور شوقي ضيف اعتزم ان يكتب «تاريخ الادب العربي» ـ وربما كان من موحيات ذلك عمله في كتاب زيدان ـ جد وجمع وكنا ننتظر ان يكون هنا مجاله أوسع مما كان في غيره ، وان يكون للبصير مكان بين هؤلاء الذين ذكرهم او أشار اليهم . صدر الجزء الاول « العصر الجاهلي » سنة ١٩٦٠ ، ثم الثاني « العصر الاسلامي » سنة ١٩٦٣ ، ثم الثالث « العصر العباسي الاول » ١٩٦٧ ، فاذا الموقف لم يتغير ، وبقي علينا واجب انتظار الجزء الرابع والاجزاء التالية راجين الا تخلو من اشارة الى البصير في نثر العصور وشعرها .

وواضح اني لست في موقف العتاب على الماضي ، فلكل باحث ظروفه ، ولكني أود ان نتعاون في سبيل تحقيق ما هو اكمل واتم ، وليست المسالة مسالة البصير قدر ما هي مسالة الحقيقة ، والا فالرجل في غنى عن كل ما ادعو اليه ، ولم يمر بخاطره منه شيء ولم يجر له فيه حديث . واني لولا ثقتي بقيمة بحثه وخطورة رأيه لما دعوت الى ما دعوت ، ولم تات هذه الثقة عبثا ، فلقد نضجتها الايام وشدت من اواصرها التجارب ، منذ سماعي به ومنذ بدء دراستي عليه عام ١٩٤٢ وعلى غيره في العراق وخارجه .

كنا مرة في احدى حلقات الدرس على المسيو بلاشير ، فما كاد يطمئن بالاستاذ الصعب جدا المجلس حتى انبسطت اساريره وافترت شفتاه كمن قام بخاطره شيء عزيز او اراد ان يتحف تلاميذه ـ من شتى الاقطار العربية ـ بنتائج كشف خطير ، ثم تكلم ، فكان اطراء على احدث ما وصل اليه من المؤلفات العراقية ، وخص « في الادب العباسي » من مؤلفات البصير بالقسط الاوفر من الثناء .

وكان بين الحضور باحث سوري « صالح الاشتر » يحضر الدكتوراه عن « البحتري » وقد سار شوطا محمودا في عمله ، استعار كتاب البصير وقرأ الفصل المعقود على البحتري فازداد اعجابا . وكان من كلامه انه رأى البصير سبق الى اراء قيمة وانه حل مشكلات كانت تشغله ، وان انتباهه للنص كان نادرا وان تصحيحه بذوقه للنص المطبوع يؤيده ما وقف عليه من مخطوطات ديوان الشاعر .

ان الدكتور البصير كتب هادئا مطمئنا لطلابه ولمن يسعى الى العلم ، وكأني به كان ـ اذيكتب ـ مطمئناكذلك الى ان كتبه ستكتشف وان اراءه ستذيع ، وقد يكون من اوائل من ينتفع بها من اطلع عليها، فعمل ـ لسبب ولاخر ـ على الغض من شانها ، انه كثيرا ما يقابل العقوق بالسماحة ، وقد يضحك في سره ضحكته الساخرة المعهودة .

ولنذكر ان الطلبة هم الطلبة وفيهم غير قليل من كان يبرم بكتب البصير او يستثقلها ، ومنهم من يبالغ في ذلك لامر قد يكون صادق النية فيه ولامور قد يكون مأتاها العجز او دواع خارجة عن طبيعة العمل ، وقد يكون مردها الى الطريقة التي يتبعها الاستاذ او الدرجة التي يعطيها . ذلك ايام الطلب ، حتى اذا تخرجوا واصبحوا مدرسين في الثانويات او دور المعلمين وارادوا ان يتحفوا طلبتهم بما ليس في الكتب المقررة او رغبوا في ان يظهروا بمظهر من يعرف اكثر مما يطلب اليه او انهم كلفوا درسا لا كتاب مقررا له .. عادوا يسألون عن كتب البصير ، وكثيرا ما يزدادون اعجابا ان كانوا معجبين ، وان يغيروا من موقفهم ان كانوا غير معجبين .

وقل مثل ذلك عن طلبته الذين يصبحون اساتذة للادب في الجامعات . انهم لا يستغنون عن كتب البصير ، وفيهم من يفخر امام تلاميذه بأنه كان تلميذا للمؤلف ويزداد فخرا اذا لحظ اهتمام الطلبة الجدد بالبحث الذي قرءوه في كتاب للبصير . وقد يجره حديث ـ لدى مناسبة من المناسبات ـ الى بيان في جملة آرائه وخلاصة لصفات منهجه .

يؤمن الدكتور البصير بضرورة الكتابة في امر من امور تاريخ الادب العربي ، فيعد العدة ويدعو سكرتيره الى القراءة فيجمع في ذهنه الاشباه والنظائر ، ويناقش ويتأمل ويقلب ما يسمع على وجوهه متأنيا متريثا ، وهو في تأمله الطويل يسبر غور ما بين يديه من روايات ، فاذا بدا له في رواية سخف تركها ، واذا أحس بكذب فضحه ، واذا شام تناقضا دل عليه حتى ليبدو في مناقشته اخبار الماضيين منطقيا جدا . انه يشك في القدامى وفيما رووا ، وهو على حق في ذلك ، فلقد ثبت الاختلاق في غير قليل مما وصل الينا ، وثبت غير قليل من الغفلة في تناول معاصرينا لتلك الروايات وفي النظر الى ناقليها ، ولكنه لا يشك للشك ، ولم يتخذ هذا المذهب تكلفا او تقليدا او قصدا الى الهدم ، لانه يريد ان يبني ، وان في هذه المادة الخام ما يصلح للبناء ، ولكن فيها ما لا يصلح ، واذا فليكن هو وعماله وساكنو البناء في حذر وعلى بينة .

اذا اطمأن الى صحة شكه نقله الى قارئه مؤيدا بخلاصة برهاناته ، وما كان ليترك امرا مما ينفي ـ او يثبت ـ دون دليل ودون مثال . الشك عنده طريق الى البناء ، ومن هنا ، فانه حين قرر « الانتحال » في الشعر الجاهلي صحح عيون اخباره وغرر قصائده . ولعله امعن في الشك اكثر من سواه ، فلم يقف من العصر الجاهلي وحده هذا الموقف ، وانما مضى يشك فيما يقرأ من اخبار العصور التالية له من اسلامي واموي وعباسي ، وقد اداه الشك الى نتائج باهرة .

وكما يطيل الوقوف لدى الاخبار يطيله لدى نصوص الشعر والنثر ، فيطلب ان يقرأ له الديوان والاشعار الواردة في المصادر ، وتقرأ له الخطب والرسائل والمقامات .. ويسمع ويستعيد ويناقش فينتبه الى اختلاق هنا والى قلق هناك والى خطأ في هذا البيت وسخف في هذه السطور فيعمل على التصحيح مستعينا بالمقابلة والرجوع الى امات المعاجيم حينا ، ومعتمدا حسا خاصا احيانا عملت الايام في ارهافه واسهم كثرة المحفوظ على صقله ناهيك عن ذوق سليم يجعله يطرب الى النص الجميل ويدفعه الى ان ينقل الطرب الى الاخرين . حتى اذا استقامت شؤون النص واتسقت مجاريه درسه

في الغرض الذي هدف اليه مقتطفا منه النسب المعقولة ان لم يكن من ذلك مفر ، محيلا اليه في مصادره ان لم يكن أهلا للاستشهاد ، معقبا على ذلك ببيان في اللغة والاسلوب . وكثيرا ما يأخذ من هذه النصوص مادة يعتمدها في درس حياة الشاعر او أدلة يقدمها مصدرا لحضارة العصر .

اذا استقامت مادة البحث واتضح ما يأخذ منه وما يدع ، واتصلت الاجزاء واكتملت العناصر وتعين النهج الذي سيسير به فيه وقال في نفسه كل ما سيقول بانت جدوى الكتابة وآن اوانها فاستدعى سكرتيره وأملى عليه في تؤدة وتحسس دون ان يفقد شيئا من تماسكه او ان يضحى بأمر من حذره ، يملي ويستعيد .. متجنبا اللغو والاطالة مترفعا عن التكرار والاعادة وازنا كلامه وزنا ، ناقدا رأيه نقدا ، لا يهمه ان يحذف الصفحات ان اقتنع بقلة جدواها ، وان يطوى الفصول ان أحس بضآلة قيمتها ، المهم لديه : الاصالة مع الايجاز ، ومن هنا يأتي البحث الذي يمكن ان يملأ كتابا كاملا ، مكثفا في حدود العشرين من الصفحات ـ انه يحترم نفسه ويحترم قارئه . وهو يكتب في الوقت الذي يراه مناسبا ما يراه مناسبا ، ولا يهمه ما يمضي في ذلك من وقت . انه لا يتعجل امرا ، ولا يعمل للتحرير في صحيفة عابرة او من اجل خدمة جهة معينة، او ليرضي عامة متملقا رغبتهم او خاصة خاطبا ودهم .

واذا انتهى الاملاء لا ينتهي التفكير بالبحث وبما ضم من اخبار وافكار وشواهد فلا بد من عودة الى ذلك . ثم ان امامه طريقا طويلا قبل ان يخرج البحث في الناس كتابا او في كتاب . هذا الطريق هو قاعة الدرس . لان البصير سيملي بحثه على طلابه وسيستمع اليهم يجيبونه عن اسئلة يوجهها اليهم من مضمونه ، ثم يمضي هؤلاء الطلبة ، ويتبعهم طلبة جدد ، يتبعهم اخرون حتى تمر ما يقرب من عشرة اعوام.

أكثر عناية البصير تنصب على دراسة الاعلام وأعلام الاعلام في الشعر والنثر الفني ، وخطته السائدة انه يقسم البحث الى قسمين : حياته ، شعره . وقد يلحق بقسم الحياة ما يراه مناسبا من اخلاق الشاعر او مذهبه ، اما في الشعر فيدرس الاغراض ثم اللغة والاسلوب. ولا يخلو بحث له من خاتمة ذكية موجزة تلخص اخطر آرائه فيه او تعلق على قول مهم في الحكم عليه .

وأبرز ما يتضح منهجه في كتابيه : « عصر القرآن » و « في الادب العباسي » وله غير هذين الكتابين آثار اخرى لا يقل بعضها عنهما شأنا في بابه ، وان اختلف نوعا او غاية .

وفيما يأتي ثبت بالمطبوع من مؤلفات البصير :

١ ـ تاريخ القضية العراقية . جزءان ، ظهر في سنتي ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ـ بغداد .

٢ ـ الشذرات . بغداد ، ١٣٤٠ (١٩٢٢) .

٣ ـ المختصر . بغداد ، ١٣٤٠ (١٩٢٢) .

٤ ـ النفثات . بغداد ، ١٩٢٤ .

٥ ـ دولة الدخلاء . بغداد ١٩٢٥ .

٦ ـ شعر كورني الغنائي (بالفرنسية) مونبليه ١٩٣٧ .

٧ ـ بعث الشعر الجاهلي . بغداد ، مطبعة التفيض ١٩٣٩ .

٨ ـ نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر . بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٤٦ .

٩ ـ عصر القرآن . بغداد . ط ١ ، ١٩٤٧ ، ط ٢ ، ١٩٥٥ (مطبعة العاني) ـ يطلب من كلية التربية .

١٠ ـ الموشح في الاندلس وفي المشرق ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٤٨ ـ ١٣٦٧ ـ يطلب من كلية التربية .

١١ ـ في الادب العباسي ، بغداد ، ط١، ١٩٤٩ مطبعة النجاح ، ط ٢ ، ١٩٥٥ ، مطبعة السعدي ـ يطلب من كلية التربية .

١٢ ـ خطرات . بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٥٢ ـ يطلب من المكتبة الاهلية .

١٣ ـ البركان (ديوان شعر سياسي) ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٥٩ (نشر ملحقا مستقلا للمجلد الثاني والعشرين من مجلة المعلم الجديد التي تصدرها وزارة التربية ببغداد) .

١٤ ـ سوانح ، الجزء الاول . بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٦٧ ـ يطلب من المكتبة الاهلية .

اما مؤلفاته المخطوطة فأهمها :

١ ـ زبد الامواج ، ديوان شعر يحتوي على أغلب انواع الشعر المعروفة (يبدو ان المؤلف اراد مرة ان يغير اسمه الى همسات ، ولكنه عدل الى التسمية الاولى) .

٢ ـ سوانح ، الجزء الثاني . ٣ ـ خطرات ، الجزء الثاني .

ولا بد ان يكون الدكتور البصير قد عزم على ان ينقل الى العربية الجياد من روائع القصائد الفرنسية والخيار من مهماتها . وقد ترجم فعلا للامرتين ونشر ما ترجم في مجلة المعلم الجديد ، وأعلن على صفحات هذه المجلة نفسها تصميمه على ترجمة « أميل » ونشر شيئا ثم اعتذر . ثم شرع في ترجمة « جريمة سلفستر بونار » ونشر منها شيئا في مجلة « الخمائل » الا ان المجلة توقفت سريعا فتوقف . وكان القارىء يود لو ان الدكتور البصير استمر في مشروعه . فمن أجدر منه بترجمة « السيد » و « سنا » و « بوليكت » من خوالد كورني ـ مثلا .

وتقسم مؤلفات البصير زمنا الى قسمين : ما قبل الدراسة في فرنسا ، وما بعدها . وأهم مؤلفات المرحلة الاولى « تاريخ القضية العراقية » فهو مصدر اولي في موضوع ثورة العراق ١٩٢٠ ، لا يستغني عنه في بابه باحث ، ولا يمكن ان تكتمل دراسة عن تلك الثورة دون الرجوع اليه ، لان المؤلف ـ كما راينا ـ احد رجال الثورة ، وقد عاناها في خيرها وشرها ، وذاق حلوها ومرها ـ فما اشد الحاجة الى اعادة طبعه .

اما الكتب الاخرى من هذه المرحلة فهي ـ لدى الحقيقة ـ كراريس تكون « الشذرات » منها الديوان الاول للشاعر ـ وهو « يضم مقطعات شعرية يتراوح عدد كل منها بين السبعة ابيات والبيت الواحد » . ويحتوي « المختصر » على مجموعة من الشعر والحكم ، وتشتمل « النفثات » على مجموعة من المقالات والكلمات القصيرة ، وتتالف « دولة الدخلاء » من مسرحية قصيرة . وليس لهذه الكراريس الاربع قيمة اكثر من قيمتها التاريخية في سلسلة مؤلفات صاحبها ، والا ، فهو نفسه لا يعدها شيئا جديرا بالبقاء ، ولذلك لا تراه يذكرها بخير او شر ، ولا يشير اليها اذ يثبت قائمة آثاره .

نظم البصير في المرحلة الاولى غير قليل من الشعر استجابة للثورة وما تقتضي من مقدمات ومستنهضات ، وما يتبعها من امل وألم ، وكان يلقي اكثر ذلك في المحافل الشعبية فيؤجج به الحماسة ويثير الاريحية ويدفع الناس الى الثار للعزة والكرامة والحق ، والى الدفاع عن الوطن وحرب الاجنبي ، ثم ينشر منه ما ينشر في الجرائد . ثم جمعه الشاعر في ديوان سماه «البركان » . وبقي البركان مخطوطا ثم طبع وصدر في تموز عام ١٩٥٩ حاويا من الشعر السياسي اجدر مايراه صاحبه بالبقاء ، وعلى احسن وجه يريده له . موزعا على ستة اقسام هي : ١ ـ الحرب العامة الاولى ٢ ـ من عقد الهدنة الى اعلان الثورة العراقية ٣ ـ حمم البركان (ايام الثورة سنة ١٩٢٠) ٤ ـ بعد العاصفة ٥ ـ في اعماق السجون ٦ ـ بين السجن والمنفى . وجاء في مقدمته :

« اطلقت على هذا الديوان اسم « البركان » لانه يمثل جهادي المتواضع في سبيل العرب عامة والعراقيين خاصة ويرمز الى نشاطي الحزبي المحدود الذي كنت امارسه سرا وعلانية مدة تقرب من (١٥) عاما ... ختمت في صيف سنة ١٩٣٠ بانصرافي نهائيا عن السياسة والاحزاب وسفري الى مصر فاوربا طلبا للعلم .

وقد رتبته أي الديوان ترتيبا زمنيا الى حد ما فضممت قصائد كل دور من الادوار التي تحدثت عنها ومقطوعاته الى بعضها ... وعلى هذا ، يمكن اعتباره نوعا من المذكرات نظرا لاحتوائه على خواطر متسلسلة تتعلق بحوادث متعاقبة بعضها سياسي وبعضها حربي وبعضها أدبي أيضا . واعترف أن بعض قصائد هذا الديوان ومقطوعاته نظم على عجل ولا سيما ايام الثورة يوم كان لزاما علي ان انشد مساء كل خميس .. قصيدة سياسية جديدة .. »

كان للقصائد التي يلقيها البصير دوي عظيم وأثر كبير في الجماهير وهم يكبرونها ويهتزون لها ، ويطلبونها ويستزيدون منها لانها كانت تعبيرا عن امانيهم واعرابا عن آلامهم ، وكانوا يرون فيها مظهرا من مظاهر القوة والعزة ، فهي ـ لهذا ـ لا تنفصل عن تاريخ العراق ، بل انها صفحات نيرات منه .

وأشهر قصائد الديوان وأسيرها وأبقاها على الالسن وفي كتب المختارات ، الكافية التي أنشدها الشاعر « في حفلة وطنية كبرى أقيمت في جامع الحيدرخانة ببغداد قبيل اعلان الثورة ... في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ » :

ان ضاق يا وطني علي فضاءكا ... فلتتسع بي للامام خطاكا
أجرى ثراك دمي فان أنا خنته ... فلينبذني ان ثويت ثراكا
بك همت بل بالموت دونك في الوغى ... روحي فداك متى أكون فداكا

ماذا علي وما خسرت مكانة ... اني أموت لكي أصون حماكا
قد كان حجرك ما حييت يضمني ... فاذا قتلت فقد سكنت حشاكا

والديوان كله في حوادث البلاد واحداثها وهو دليل ناصع على وطنية صاحبه وصدق عاطفته وعلى حسن رأيه وحرصه على تثقيف الناس بما هم فيه ومقبلون عليه ، وعلى فضح الدسائس وكشف الخائنين . وفي الديوان شعر قد يبدو لاول وهلة شخصيا ، ولكنك اذا نظرت فيه جيدا ، علمت انه اذ يدخل في غرض الفخر فبمقدار ما لهذا الفخر من صلة بالوطنية ، وبمقدار ما وراء هذا الفخر من عوامل استدعته واستثارت صاحبه . ومن جيد شعر البركان بعامة وهذا الباب بخاصة قصيدة « مع البدر » :

أنا الرجل الرامي الى كل غاية ... يوائبني خصمي لها وأوائبه

تقول رجال انما هو شاعر ... فماذا الذي توحي اليه رغائبه
ولا وأبي لا يحفظ الشعب مجده ... وشاعره جهلا يضاع وكاتبه
وما أنا من يزجي القريض بضاعة ... فتلزمه مدح الكريم مواهبه
بلى كم نطقت الشعر فصلا أقوله ... فيكبره من حنكته تجاربه
وأطلعت في أفق النهى منه حكمة ... فلم يتقدم صادق الفجر كاذبه
وعندي أياد للزمان شكرتها ... وان عركت بالغمز عودي نوائبه
فأبلغ ما يروى الرواة لشاعر ... من الشعر ما أملت عليه مصائبه
لي الله كم قارعت دهري فانثنى ... وأنيابه مفلولة ومخالبه
كأني في احدائه طود لجة ... تبدد شمل الموج منه مناكبه

ان البركان يجب ان يكون معلوما لدى من يؤرخ للادب العربي الحديث ـ والعراقي منه بخاصة ـ وان يكون معروفا اكثر لدى من يؤرخ للاتجاه السياسي والوطني منه .

وللاستاذ انيس المقدسي كتاب قيم عن « الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث » ، ولكنه كان يأخذ أحيانا عن مراجع ثانوية فيقع في شيء من الخطأ وسوء التوزيع ، فمع ان البصير شاعر الثورة العراقية دون منازع ، فانه يصفه بشاعر الحلة ، ومع ان له ديوانا كاملا فيها فان نصيبه من الشواهد لا يزيد في كتابه عن نصيب خيري الهنداوي ولا يتعدى عددا محدودا من الكافية منقولا عن كتاب « الادب المصري في العراق .. » لروفائيل بطي . ويمكن ان يعذر الاستاذ المقدسي لدى اعداد البحث وطبعه ، اما الان ، ومنذ عام ١٩٥٩ فالمناسب ان يعود الى البركان ، ولئن فاته ذلك في طبعة عام ١٩٦٠ فنرجو ألا يفوته في الطبعة القابلة .

وبقدر ما كان الشعر يهيىء للبصير من مجد واكرام كان يسبب له من الاذى والمطاردة . ولكن ذلك لم يكن ليثنيه ، ففي أعماق السجون كان ينشد :

قالوا سجنت لرأي كنت تعلنه ... فاكتم وحسبك ما لاقيت من غصص
فقلت هيهات سجني لا يغيرني ... ان الهزار ليشدو وهو في القفص

وكانت النتيجة انه مكث في السجن نحوا من خمسة أشهر ، وأنه عندما خرج منه عاود نشاطه السياسي فنفي في ٢٦ أغسطس ١٩٢٢ الى جزيرة هنجام . ثم أعيد .. وأسند اليه تدريس الادب في جامعة آل البيت ولكنه لم يترك العمل السياسي .

وفي صيف ١٩٣٠ تغير مجرى حياته تغيرا كبيرا اذ قرر اعتزال السياسة والانصراف الى الدرس . والفرق شاسع بين الحياتين واذا كان هو قد اختار هذا التحول ، وعرف أسبابه واستوعب ابعاده فانه ليصعب ان ينسى الناس البصير الثائر ، ويصعب ان يقنعوا منه بدراسة الادب او تدريسه والتاليف فيه . انه بقي نظيفا دون شك ، مخلصا لوطنه دون ريب ولكن المسألة تبقى في ان تجعل الناس يرون في هذا الذي يؤلفه لهم القيمة الحقيقية التي هي له في بابه . اما هو فقد قرر وسار في طريقه .

نزل مصر قليلا ثم غادرها الى فرنسا ، وأقام في مونبليه يدرس في كلية الاداب من جامعتها ويعد رسالة الدكتوراه في « شعر كورني الغنائي » . وكورني من أفذاذ الادب الفرنسي ومن قمم الشعر المسرحي في القرن السابع عشر (وكل قرن) . ولهذا لم يكن البحث في « غنائيته » ميسورا او مما يتبادر الى الذهن . وهو اذ يدرس يتزود من روائع الادب الفرنسي وآراء نقاده ، وكان بين هذه الاراء ما يقوي رأيا أدبيا كان قد بدأ تكوينه لنفسه ، مثل نظرته الى « وحدة القافية في الشعر العربي ووجوب « اعلان حرب عوان عليها » . وقرن القول بالعمل اذ نظم قصيدة ، جاء فيها :

كل على (الليس) ضفاف ... وروضة وكتاب
وذو دلال مصطاف ... حديثه مستطاب

لقد أخذت نصيبي ... من الحياة فحسبي
ملكت قلب حبيبي ... كما تملك قلبي

لا تذكرن زمانا ... قاسيت أقسى خطوبه
فقد تولى مهانا ... مسامحا في ذنوبه

لا تحسبن لماض ... ولا لآت حسابا
بحاضري أنا راض ... فلننتهبه انتهابا

والابيات تصف ساعة جميلة قضاها على ضفاف نهر « الليس » قرب مونبليه في السنة الاولى لزواجه (١٩٣٤) ، ولا يمكن ان تفهم الا في ظرفها هذا ، ولا يصح ان تفسر غايتها الا بدواعيها هذه . قالها .. وعاد الى درسه وبحثه يواصل الجمع والمقابلة والاستنتاج .. والكتابة حتى انتهى منه وطبعه في كتاب عام ١٩٣٧ . وقد يتمنى القارىء العربي ان يرى هذا الكتاب مترجما الى العربية .

وعاد الى العراق وتولى تدريس الادب العربي بدار المعلمين العالية ونشر عدة كتب في أكثر من نوع ادبي يمكن ان نقسمها بين البحث والانشاء ، ويمكن ان ترى فيها القصيدة او الخاطرة او المقالة ... او الدراسة .

ومن أبرز شعره قصيدة نظمها في ٢٨ ـ ٨ ـ ١٩٤٣ بعنوان « أيها الدينار » :

أيها الدينار يا قبلة آمال الانام

هب لهـم ما يتمنـون شرابـا وطعـام

لا يغرنـك قيـل القـوم انا مسلمـون
فهم غـير هواهـم أبـدا لا يعبـدون
ولشيء غـير تحقيـق الفنـى لا يعملـون
عبـدوا المـال تعالـى الله عمـا يشركـون
أيهـا الدينـار يا قبلـة آمال الانـام
هب لهـم مـا يتمنـون شرابـا وطعـام

انت قطب الحرب ان شبت لظى الحرب ضرام
وعماد السلـم ان عـاد الـى الارض السـلام
انـت يـا دينـار حاخـام وقس وامـام
فاقض ما شئت لـك الحكم وفيـك الاختصـام
أيهـا الدينـار يا قبلـة آمال الانـام
هب لهـم مـا يتمنـون شرابـا وطعـام

ان يراءوا كـان من اجلـك ذيـاك الريـاء
أو يخونـوا كان مـن أجلـك غـدر الاصفيـاء
انـت للغادة ظرف وجمـال وذكـاء
ولشيـخ القـوم علـم ووقـار ودهـاء
أيهـا الدينـار يا قبلـة آمال الانـام
هب لهـم مـا يتمنـون شرابـا وطعـام

وكان من عادته ان يقرأ على تلامذته ـ لدى المناسبات وفي أوقات الاستراحة ـ مما يحفظ او ينظم ، وقد استأثرت « ايها الدينـار » باهتمامهم وكان وهو يقرأها ينفعل ويهتز كثيرا دليلا على عمق الفكرة من نفسه وبرهانا على قساوة التجربة التي دفعته الى النظم ـ ولـم يخفف تكرار القراءة من حدتها وجدتها .

اما الخاطرات فكان له منها ما كون كتاب « خطرات » . وقد قال في مقدمة هذا الكتاب : « هذه آراء وملاحظات خطرت لي في احوال ومناسبات مختلفة ، فاشتققت اسمها من مسماها ، وقد سجلت رأيي المتواضع في الحياة والناس والسياسة والاجتماع والادب والفـن ومـا الـى ذلـك

ولكن أسبق أن نشرت هذه الكلمات كلها او اكثرها ؟ نعم : لقد نشر بعضها في مجلة « دار السلام » وجريدة « الاستقلال » البغداديتين المحتجبتين ثم جمع ونشر في رسالتي « المختصر » و « النفثات » اللتين ظهرتا قبل سبعة وعشرين عاما ونشر جانب يسير منها سنة ١٩٤٤ في جريدة « الساعة » ... ولكن معظمها ينشر للمرة الاولى في هـذا الكتاب » ـ ٧ ـ ٤ ـ ١٩٥٢ .

والكتاب مقسم الى ثلاثة ابواب : السياسيات ، والاجتماعيات ، والادبيات . يحتل الباب الاول منها حوالي ٥٠ صفحة تدل على اهتمام الرجل بالسياسة ومتابعته لاحداثها الخارجية والداخلية ، وان هذه الاحداث تترك اثرا مهما في نفسه وتبعثه على التفكير المتصل ثـم لا يلبث ان يلخص مجمـوع المفعول في رأي له طابع العموم . ومـن الامثلـة عليـه :

١٠ ـ اذا لم نورث ابناءنا النجاح في قضيتنا فلنعلمهم الجهـاد دونها فـي الاقـل .

٦٤ ـ منشأ كثير من أغلاطنا السياسية عجلتنا في تحقيق منافعنا الخاصـة .

٧٠ ـ لا تستهن بارادة شعب تسوسه وان كان ضعيفا ، فـان ساعة ليست في حسبانك قد تمكنه من املاء ارادته عليك .

٩٣ ـ كانت خصوماتنا اقوى اسباب هزيمتنا في حرب فلسطين ، ولكن يظهر اننا لم نتعظ بما حدث . فهل نحن بحاجة الى هزيمـة اخرى منكرة لنتدبر ونتعظ .

١٧٢ ـ من استطاع الا يأكل خبزه على مائدة الحكومة فليفعـل لان خبز هذه المائدة مملوء بالحصى .

٢٠٤ ـ رأيت ألمانيا سيدة العالم مرتين ، ورأيتها تحت اقـدام الفالين مرتين ايضا ما زالت ثانيتهماقائمة ،أفاعجب بعد هذا الحادثمن حوادث الزمـن .

ويؤلف باب الاجتماعيات اكثر من نصف الكتاب (ص ٥٧ ـ ١٦٧) فيه حكم ونصائح وعظات وتجارب في موضوعات الحياة العامة ويمكن ان تدخل جملة خطراته في « الاخلاقيـات » ، من موضوع القـوة والتسامح والمرأة والحب والسعادة والمال والنقد والصداقة والشهـرة والدين والوظائف والتعليم والكلام والصمت .. الخ. ومن الامثلة عليه :

١٢١ ـ حذار ان تقول لزوجتك لا ، اذا كنت تقدر على ان تقول نعم ، ولكن اذا اضطررت الى ان تقول : لا . فتمسك بها قدر المستطاع.

١٥١ ـ لا تطمع بصداقة اديب لم تثن على أدبه ولا بمودة امرأة لم تسمعها ما تصبو اليه من اطراء جزيل .

٢٠٣ ـ اذا ظنك الناس سعيدا بغير حق فلذ بالصمت لان الكلام في هذا قد يضر ولا ينفع .

٣١٣ ـ من التقبيل ما ليس سوى تلمس لمكان العض .

٥٨٠ ـ استشاط بعض رفاقي غيظا ذات يوم لان رجلا وصفوه بسوء الاخلاق تطاول علي ، ولا أدري لماذا يريد هؤلاء الرفاق الا يتطاول علي رجل من أهل الصلاح والفضل .

لا بد ان تكون جملة خطرات الاجتماعيات تلخيصا لتجربة خاصة اثرت في نفس المؤلف ، فرصها في كلمات معدودات يخفف بهـا وطء الحادث ويحفظ ثمرته للاخرين .

اما باب الادبيات فهو أقل الابواب (١٧١ ـ ١٨٤) ويمكن ان يرد ذلك الى أن المؤلف قد أذاع أكثر أفكاره الادبية في كتبه لدى المناسبة التي يقتضيها البحث ، وهو هنا لا يحفظ الا ما لم يكن له مناسبة او ما جد له خارج ظروف البحث نفسه . ومن الامثلة عليـه :

١٦ ـ اذا كان ادبنا قد نهض في هذا العصر نهضة لا نظير لها في تاريخه فذلك لان قريبا من ادبائنا وقفوا على طائفة من اداب الغربيةوقوفا لا بأس به . على أننا ما زلنا في مفتتح الطرق .

٢٦ ـ أحب صنوف الادب الى الناس ما عالج شؤونهم وتحدث عن آمالهم وآلامهم كائنة قيمته الفنية ما كانت .

٤٣ ـ الفن للفن اولا وللحياة ثانيـا .

٤٥ ـ ليس بفنان حقا من يتعهد فنه قبل ذيوع شهرته حتى اذا ذاعت هذه استعاض بها عن الاتقان ..

٤٦ ـ من مضحكاتنا اننا نطلب الى الاديب ان يموت في سبيلنا جوعا مع اننا نحتفظ بحظنا من الحياة كامل غير منقوص .

ويختم الكتاب بملحق من صفحتين للسياسة والاجتماع . مـن خطراتـه :

« كانت تجربتي للناس علة سوء ظني بهم ، فمن كان في شك من اصابتها فليجربهم . على ان اطمئناني لهذه التجربة لم يمنعني ولـن يمنعني ان ادعو الى التسامح ».

وليلاحظ ان هذا التسامح ليس في الدكتور البصير دعوة فقط وانمـا هـو خلق واقـع .

ان الخطرات ذات صلة مباشرة بصاحبها وهي وقائع يومية يحيلها التركيب حكما وامثالا عامة ، وهي اذ تبدو في جملتها بناءة داعية الى الخير فانها يمكن ان تشف أحيانا عن تشاؤم صاحبها ، ولكنه التشاؤم الذي لا ينبذ الحياة ولا يحتم اطلاق سوء الظن .

والخطرات عزيزة جدا على صاحبها وهو يحفظها نصا ـ شانه في كثير من الامور ـ ويستشهد بها لدى المناسبات المناظرة كما تستشهد بأي مثل سائر . وقد يقرر الدكتور البصير اعتزال اعمال كثيرة ، الا

ان شيئا واحدا ـ لا ولن يستطيع اعتزاله ، هو عمل الخطرات ، ولا أدل على ذلك من اعلانه عن جزء ثان لا بد ان يكون تكون لديه بعد عام ١٩٥٢ لانه لم يشر اليه لدى صدور كتابه ولانه اصدر هـذا الكتاب مستقلا تمام الاستقلال ليس فيه ما يدل على الاستمرار غير روحه ودلالة اهتمام صاحبه بهذا الفن .

اما المقالات فقد اجتمع للدكتور البصير منها عدد كبير ، وهو يحرص على الاحتفاظ بها وجمعها واختيار ما يراه الاجدر بالنشر واعداده للطبع في الوقت المناسب ، ولقد مضى على هذا الاعداد عدة سنوات ولكنه لم يبدأ المشروع الا في ٢٨ ـ ١ ـ ١٩٦٧ فأصدر الجزء الاول منه في ١٠ ـ ٦ ـ ٦٧ باسم « سوانح » مقدما لها بأسطر محدودة جاء فيها « ... هذه مجموعة خطب ومقالات ومحاضرات اخترتها مما تحدثت به الى الناس في شؤون مختلفة وظروف مختلفة وبطرق مختلفة ايضا .. وليس هذا كل ما تحدثت به الى الناس في الدين والسياسة والاجتماع والادب ولا جله . ولكنه جزء غير يسير مما تحدثت به الى الناس بين سنتي ٣٠ و ١٩٦٢ ... واني استلهمت اسم المجموعة التي تحتوي عليها من طريقة ورودها على ذهني . الا وهو (سـوانـح) » .

ولم يختر المؤلف العنوان الا بعد تأمل وادامة فكر ـ شانه في كثير من أعماله ـ ، ولا بد من أنه اختاره بين عدة موضوعات « سنحت » . وهو اعرف بمولد « كلماته » وبالطابع المميز لها ، الا ان الذي يحسن ان نعرفه انها ليست « سوانح » بالمعنى الحرفي للتعريف القاموسي : « سنح لي رأي وشعر يسنح : عرض لي اوتيسر» لانها لم تات ـ في جملتها ـ عفوا ، ولم تلق ارتجالا ، لان من اسس خلق صاحبها التاني وطول البحث ، وانه لا يقول الاشياء على عواهنها كما يحلو للاشياء نفسها ان تأتي وان تطلق، انه اذ اراد ان يكتب فلا بد من التثبت والمراجعة ، ومن هذا المكتوب ما يمكن ان يدخل في عداد الدراسة .

واذا فالسوانح اكثر من سوانح ، ولكنها اسم جميل له دلالته، وهو اطرف دون شك من « مقالات » وما اليها ، وقد يدل على سنوح فكرة الكتابة في موضوع اكثر مما يدل على مادة الموضوع نفسه . وهاك نماذج من عنواناتها : الاستقلال او الموت . الوطنية في روايات كورني .. البعثات العلمية . ماذا ندرس في معاهد الغرب ، شعراء الخاصة في مصاف العامة .. ابن خفاجة الاندلسي ... القومية بين الغرور والعزة . عبد المحسن الكاظمي ... ما ضيعه التاريخ وحفظه الادب .. فرنسا في عهدين .. صوت محمد .. على قبر ابي العلاء ، في مهرجان ابي العلاء الالفي ... مأساة سوريا ولبنان .. مع توفيق الحكيم . صنيعة اللغة العربية .

صدر الجزء الاول وفيه اشارة الى الثاني ، وقد يكون ثالث ، ولعل المؤلف اذ جعل عام ١٩٦٢ حدا ختاميا للسوانح يشير الى العام الذي انتهى به عمله الرسمي في جامعة بغداد ، ولكن هذا الحد لا يمكن ان يكون طبيعيا في أديب امتزج الادب في حياته على شتى اطوارها ، وانه مهما يميل الى العزلة فان « السوانح » لا تتركه ، ولا ادل على ذلك من « السانحة » التي ألقاها عام ١٩٦٧ في الاحتفال الذي أقامته الرابطة الادبية بالنجف في ذكرى السيد محمد سعيد الحبوبي .

* * *

وجهد الدكتور البصير في تاريخ الادب العربي جدير بكل اعجاب واحترام لما له في دراسته من منهج ورأي . وحسبك انه من الجد طويل الصبر كثير التأمل لا يهادن في الحقيقة ولا يسخر من القارىء. لازم هذا الادب مبكرا جدا وزاوله مبكرا جدا ثم تهيأ له من الدراسة في فرنسا ما زاده علما وفكرا وتجارب ، ثم تهيأ له في التدريس ما زاده للمادة وفحصا لوجوه الرأي ، فكانت ثمرة كل اولئك كتب قيمة تتناول عدة عصور ، او المهم من هذه العصور والعلم من اعلامها . وهذي هي :

١ ـ بعث الشعر الجاهلي : وهو في الاصل ، سلسلة محاضرات ألقيت في « دار الاذاعة اللاسلكية » ما بين ٢ ـ ٨ ـ ١٩٣٨ و ٢٦ ـ ١ ـ ٣٩ . ولا يعني هذا انها دون مستوى المحاضرات الجامعية لانها منها واليها . وكان اهم ما يحرص عليه الدكتور البصير فيها العناية الخاصة بالمعلقات السبع تحليلا ودراسة وبيانا للمزايا ، ولهذا فان صلب محاضراته عن امرىء القيس وزهير وعنترة : « قفا نبك » ، و « آمن أم اوفى » و « هل غادر الشعراء من متردم » ، اما محاضرته التي بعنوان « معلقتان » فمدارها معلقتا عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة .

وهو لدى كل محاضرة ، يرى لزاما ان يثبت حقيقة وجود اصحابها او يشير ـ في الاقل ـ الى هذه الحقيقة ثم يثبت نسبة المعلقات وصحتها ويفند مزاعم الدكتور طه حسين والمستشرقين ، الذين يرون انها منتحلة وان شعراءها وهميون ، وهو اذ يقف هذا الموقف لا ينفي وقوع الاختلاق والاكاذيب وانما يقول : « ان هذا الافتعال يدعونا الى الاناة والتثبت فيما ننقض ونبرم من قضايا التاريخ ، لا الى الجمود المطلق ولا الى الانكار بحق وبغير الحق ـ ص ١٨ » ، حتى اذا كانت محاضرته : « أطروحتان » علمنا تاريخ هذه الافكار لديه وتاريخ هذا الاهتمام : « عندما اصدر الدكتور طه حسين كتابه « الشعر الجاهلي » قرأته .. فلاحظت ان الفكرة التي كتب من أجلها وهي « انكار الشعر الجاهلي والاعتقاد ان الادب العربي الحقيقي يبتدىء بالقرآن » غير صحيحة وان الصواب هو الاعتراف بكثير من الشعر الجاهلي ولا سيما المعلقات ـ او المطولات السبع ـ ولذلك عقدت النية على وضع كتاب لتأييد هذا الرأي ، وقد انجزت وضع الكتاب في سنة ١٩٢٩ ودرسته في جامعة آل البيت ، فلما أتيح لي السفر الى اوروبا وطدت العزم على .. نقل الكتاب الى الفرنسية وتقديمه بشكل اطروحة في السوربون .. ولكن المسألة تطورت .. حتى وصلت الى المستشرقين فقضي على المشروع قضاء مبرما ... فهم يرفضون الشعر الجاهلي كله رفضا باتا .. ومن ثمة صممت على وضع اطروحة في الادب الفرنسي » .

أجمل الدكتور البصير في هذه المحاضرة ادلته على اثبات الشعر الجاهلي ولا سيما المعلقات السبع ، ومن أخطر هذه الادلة قوله : « ان اكبر سلاح يستعمله منكرو الشعر الجاهلي للطعن في المعلقات : هو القول بأن حماد الراوية المعروف بـ « الكذاب » اول من جمعها ودونها في سفر . ولست أريد ان اناقش في فساد ذمة حماد ، ولكني اقول : انه اعجز بكثير من ان يقول المطولات السبع او واحدة منها او جزءا تاما من اجزاء احداهن . ان حماد يستطيع ان يقول البيت او الابيات القليلة من الشعر المبتذل وان يدسها في شعر احد الجاهليين ليدل بذلك على انه أغزر علما واصدق رواية من غيره من الرواة ، ولكنه لا يستطيع ان يقول قصيدة واحدة ذات شخصية ادبية وقيمة فنية » ثم أيد الدكتور البصير قوله بالبرهان المقنع .

ولقد ذهب بذلك ـ شأنه في كل ما ينقض او يبرم ـ الى صميم المشكلة مترفعا عن الدخول في المهاترات والمغالطات ، متجنبا ان يضيع جهدا في امور جانبية ثانوية او ان يخرج بالموضوع عن حدوده كما رأينا الحال في الكثير مما كتب في الرد على الدكتور طه حسين . أما الذين كتبوا هادئين ـ او على شيء من الهدوء ـ فقد ظلوا بعيدين عن ان يدركوا ما ادركه البصير .

وخصص المحاضرة السادسة والسابعة لـ « قيمة الشعر الجاهلي : الادبية والاجتماعية والفنية » وختم السلسلة بـ « الشعر الفني كما أتصوره » .

« بعث الشعر الجاهلي » كتاب قيم . لا شك في ذلك . ولكننا اذ نرجو اعادة طبعه نأمل اعادة النظر في بنائه ، كأن يخرج عن الطابع الذي اقتضته الاذاعة ، وان تلقى معلقتا لبيد وطرفة ما لقيت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعلقات الاخرى من عناية وان يضاف الى ذلك فصول اخرى نعلم ان منها ما هو جاهز معد كالنابغة والاعشى وان منها ما هو ناضج عتيد مثل طرفة ومدرسة اوس . أما فصل « الشعر الغنى كما اتصوره » فقد يكون مناسبا ان ينقل الى « سوانح » .

٢ ـ عصر القرآن : ويراد به « الفترة التي تبدأ بقيام الدعوة الاسلامية وتنتهي بزوال دولة بني امية في الشام » وقد اطلق المؤلف هذا الاسم « لغلبة روح القرآن ولغته على خطب خطبائها ورسائل كتابها ، ولاثره البين في السنة شعرائها : فقد رقق من لغتهم ولطف من اساليبهم ووسع دائرة مداركهم ومعارفهم ... »

وللبصير في ادب هذا العصر آراء اصيلة اقامها على طول تأمل المادة والاخلاص في البحث ، وأثاره اليها ما تحقق له من عبث بهذا التراث قديما وحديثا . فهو يقرر ان النثر الفني يبتدىء بالقرآن ويرفض خلو القرآن من النثر خلوه من الشعر . ويقرر « ان شهرة عبد الحميد الكاتب لم تقم على اساس صحيح .. وان الكتابة لم تبدأ به ، وان زعامة الانشاء في عصر القرآن ان كانت لاحد فانما هي لعلي بن ابي طالب ثم لعمر بن الخطاب من بعده » ـ ولا يلقي البصير القول على عواهنه ، ولا يسوقه دون برهان .

وينتقل الى الشعر والشعراء فيكون من آرائه في الحطيئة انه « شاعر المخضرمين على الاطلاق . وان اخلاقه لا تؤثر كثيرا ولا قليلا في مكانه من الشعر ، لان الشعر شيء والاخلاق شيء آخر .. » ، وفي الخنساء « ان ما يصح من شعرها .. يهمنا .. من حيث هو شعر امراة » ، وفي حسان « لسنا نقول انه غير مجيد ، ولكننا نقول انه يجيد في القليل ويسف في الكثير ، وقد يسف مع الاقلال »

و « عبث الرواة باخبار عبيد الله بن قيس الرقيات عبثا شديدا ، وعبثوا بشعره عبثا شديدا كذلك » . واذا درسنا هاشميات الكميت « راينا انها لسوء الحظ غير جيدة على الاكثر » . و « ان ابن ابي ربيعة صاحب دعابة لا صاحب دعارة ورجل قول لا رجل عمل : غزله اصيل وحوادثه فكهة طريفة » ، وجميل بثينة « في طليعة الشعراء الغزلين الذين جبلوا على الطهر وطبعوا على الصدق وعشقوا الجمال للجمال وكابدوا آلام الحب للحب وعالجوا قرض الشعر للشعر » . وكثيّر « دون استاذه جميل سمو عاطفة ورقة شعور وصدق احساس ، ولكنه قد يفوقه رصانة اسلوب وصفاء ديباجة » .

وفصل الدكتور البصير الكلام على « المثلث الاموي » وعمل لهم خاتمة مطولة جاء فيهاانه : « يخيل الي ان الفصل بين جريروالفرزدق والاخطل يقوم على امرين اثنين لا ثالث لهما ، احدهما عدد ابواب القريض التي برز فيها كل واحد من هؤلاء الشعراء ، وثانيهما ما ترك من غرر الشعر ونفائسه في هذا الباب . وعلى هذا يكون جرير اكبر الثلاثة واعلاهم كعبا في صناعة القريض لانه يبذ صاحبيه في خمسة من ابوابه هي : المديح والغزل والهجاء والعتاب والرثاء .. ويليه الفرزدق في المنزلة لانه يبذ صاحبيه في بابين فقط من ابواب القريض هما الفخر والوصف .. والاخطل ثالث الثلاثة ، لانه لا يتقدم صاحبيه الا في وصف الخمر .. »

وفي كتاب « عصر القرآن مادة ممحصة ونصوص مختارة زيادة على ما يزخر به من الرأي المخلص ، وهواحد كتابين يتضح فيهما منهج الدكتور البصير في البحث على اجلى ما يمكن ، اما الكتاب الثاني فهو :

٣ ـ في الادب العباسي : وهو في قسمين : الاول للكتاب والثاني للشعراء . نرى في القسم الاول ان ابن المقفع « يمتاز .. بالغموض والتكرار بلا مسوغ واستعمال الالفاظ في غير ما وضعت له وعجمة كثير من هذه الالفاظ والتعابير » ، وان الجاحظ « اول من صنع المقامة في الادب العربي » ، وان « مقامات الهمذاني » ... جناية لا تغتفر على الادب العربي ذلك انه خلق فيها ادب الشحاذة خلقا » ، اما الحريري ف « ليس من شك في ان نجمه قد أفل الان » .

ونرى في القسم الثاني ان ما يقال عن تجديد بشار القريض العربي « حديث خرافة » ، وان ابا نواس « لم يكن مجددا في يوم من الايام لاي نوع من انواع القريض » ، وانه « لا تزال بين دفتي ديوان ابي تمام ولا سيما في بابي الرثاء والوصف غرر ونفائس اشك جدا في انها تموت فيوم من الايام » ، وللبحتري « صفات اصيلة » و « ان مدائحه الكثيرة تحمل في ثناياها وصفا فائقا جدا لالوان مختلفة من الحضارة العباسية وتصويرا بالغا منتهى الاجادة لكثير من الوقائع السياسية والحربية المهمة » . وابن الرومي « من فحول شعراء اللغة العربية وما أظن انه من الصواب في شيء ان تفضله عليهم قاطبة كما يرى فريق من النقاد » .

« يختفي ـ ابو تمام تحت شعاع عبقرية ابي الطيب كما يختفي القمر تحت شعاع الشمس » . وابو فراس « شاعر يؤيد اقواله باعماله ... يفضل الشعراء الفرسان بدقة تفكيره ولطافة تعبيره وتطرقه الى كثير من الاغراض التي لم تخطر لهم على بال » . والشريف الرضى « في طليعة شعراء اللغة العربيةكافة صدق عاطفة ورقة شعور وخصب خيال وفصاحة لغة وصفاء اسلوب ، وانه فارس حلبتي الرثاء والفخر .. وامام الغزل العذري العفيف في كل زمان ومكان » .

« وقد لا نخطىء اذا لاحظنا ان مهيار لا يقل كثيرا عن استاذه (الشريف الرضى) اجادة للرثاء ومهارة فيه ، اما في الوصف فقد تكون كفة مهيار هي الراجحة » .

هذه امثلة من احكام الدكتور البصير على اعلام الادب العباسي رائده فيها ـ اولا وآخرا ـ **الاخلاص للرأي** ، واني اذ أكرر هذا اضع القارىء ازاء حقيقة مهمة يجب الا ينساها لدى اعجابه او تعجبه ، علما ان هذه الاراء لا تبدو على خير ما فيها واجل ما فيها ما لم تقرأ متكاملة في كتبه نفسها متصلة غير مقتطعة ـ كما تقتضي طبيعة الاشياء .

٤ ـ الموشح في الاندلس وفي المشرق : فرغ المؤلف منه في اوائل سنة ١٩٤١ ولم يتهيأ له طبعه الا بعد حوالي سبع سنوات * وهو مؤلف من دراسة ومختارات . ومن أغراض المؤلف لدى كتابته : « نشر الدعوة للموشح والعمل على ترقيته واصلاحه رغبة في ان يحل محل القصيدة القائمة على اساس القافية الموحدة .. » ولهذا ولاجل ربط الكتاب برابط سائد انطلق في تعريف الموشح من قول ابن سناء الملك : « كلام منظوم على وزن مخصوص » فقال انه « ضرب من الكلام المنظوم تتعدد أوزانه وتتنوع قوافيه تبعا لرغبة قائله وقدرته على التصرف في أفانين الكلام » .

عرض لما « احرزه الموشح ـ الاندلسي ـ من النجاح في عالم الموسيقى والغناء » وقال : « يخيل الي ان نجاحه في هذا الباب لم يكن مضمونا على الدوام .. » ويبدو هذا الرأي غريبا في فن لا يضبطه الا الغناء والموسيقى ، ولكن هذه الغرابة تخف اذا عرفنا قصد المؤلف وسمعناه يقول : « اننا ندرس الموشح على انه ضرب من الشعر له قيمة غنائية ، لا على انه مجموعة أغان شعبية نظمت في عصر من العصور وفي مصر من الامصار .. لاننا لا نشتغل هنا بدراسة الاداب العامية » .

وقد يستطيع قارىء ان يدرس الموشح الاندلسي لدى غير البصير وفي كتب صدرت بعد دراسته الا ان البصير يظل الاول ـ والمهم ابدا ـ في الفصول الاخرى من الكتاب ، وفي الجمع بين الاندلس والمشرق، اذ وقف عند ابن سناء الملك والعزازي وصفي الدين الحلي . اما الفصل الذي عقده على نهضة الموشح في العراق في اثناء القرن الثالث عشر للهجرة فليس مما يتهيأ سهلا لغيره . وقد وقف عند ثلاثة من كبار وشاحيه اكبرهم السيد محمد سعيد الحبوبي . ولم تذهب به الفته هذا العصر مذاهب المبالغة ، وانما وقف في حدود بعثه وانصافه

في مرحلته التاريخية ، ولذا فانه حين جاء العصر الحديث قال : « ... كانت الموشحات في القرن الماضي جزءا من شعر المناسبات تنظم لتنشد في حفلة قران او ختان او موسم فرح آخر من هذا القبيل ... اما موشحات هذا العصر فانها الهام العواطف ووحي العقول والاحاسيس والمشاعر .. وكانت موشحات القرن الماضي شخصية محضة .. اما موشحات هذا العصر فانها تعنى بالشؤون الوطنية سياسية كانت ام اجتماعية بل انها تعنى بالشؤون الانسانية .. وكانت أوزان الموشح وقوافيه في القرن المنصرم محدودة مقيدة .. اما اوزان الموشح وقوافيه في هذا العصر فانها حرة طليقة .. »

ولا تعجب اذ تراه يقف في هذه الدراسة عند : الياس فرحات وجبران وميخائيل نعيمة وعلي محمود طه وايليا ابو ماضي ، فقد قالوا شعرا جميلا يدخل في الموشح ، وكل ما في الامر اننا اعتدنا ان ندرس الموشح منفصلا مستقلا مختصا بالاندلس فقط ، وفي انماط معدودة . اما البصير فقد خرج به عن الدائرة الضيقة التي وضعناه داخلها ـ ولم يكن متعسفا .

بقي ان الدكتور البصير كان يريد الى أن يحل الموشح محل القصيدة القائمة على أساس القافية الموحدة وعد الدعوة الى ذلك ثورة وانتظر لها ان تتحقق . ولعل الذي دعاه الى ذلك ـ غير ايمانه بالفكرة ـ ما قرأ لكبار معاصريه من شعراء العربية . وكان المنتظر ان تنجح الدعوة او ان يستمر الشعراء في النظم على الموشح ولكن يبدو ان « شعور » الجيل التالي بضرورة الخروج على القافية الموحدة او على ما سماه « الشعر العمودي » جره ـ لاسباب مختلفة ـ الى ما سماه «الشعر الحر » او ما الى ذلك من اسماء ، ولعله كان يقصد الى حرية واسعة جدا .

٥ ـ نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر : رأى العراق في القرن التاسع عشر نهضة أدبية نادرة جديرة بالدراسة . ولقد زخر هذا القرن بالشعراء . وبين هؤلاء الشعراء من كان على حظ من الاصالة والاهمية . وقد بقي هذا العصر مجهولا لدى اخواننا في الاقطار العربية ومجهولا حتى لدى العراقيين من ابناء القرن العشرين ، وظل الامر كذلك لانه لم يكن من السهل النهوض بالعبء ولم يكن ميسورا التعريف به ودرسه والكشف عن محاسنه .. و « الدعاية » له ايضا . كأنه ينتظر رجلاله مؤهلات خاصة في الفة العصر السابق والاعجاب بشعرائه وحفظ آثارهم ثم الفة للعصر الحديث والعلم بمناهجه ـ وقد تهيأ له ذلك وأكثر منه في الدكتور محمد مهدي البصير . ولا شك في ان البصير قد اقتنع بجلال الواجب اذ جعل الحديث عن ادب القرن التاسع عشر جزءا من رسالته في الحياة .

انه يعرف عن العصر وأعلامه الكثير والكثير جدا ويحفظ لشعرائه ما لا يحفظه غيره . ومع هذا فلا بد من البدء المنهجي : جمع المصادر والدواوين وجمع الاخبار من مظانها في الكتب ولدى الاشخاص ثم دراسة المتكون من كل ذلك ومخضه واذاعة « الزبدة » منه في الناس عن طريق « الاذاعة اللاسلكية » ـ وكانت الحلقة الاولى منه في ٧ ـ ١٢ ـ ١٩٤٤ . وجمعت الاحاديث في كتاب طبع ـ بعد زيادة في الامثلة والشواهد .

في هذا الكتاب : تمهيد في نشأة النهضة . محمد سعيد الحبوبي. السيد حيدر الحلي . صالح التميمي . عبد الباقي افندي العمري . عبد الغفار الاخرس . حمادي نوح . ابراهيم الطباطبائي . جعفر الحلي . محسن الخضري . عباس النجفي . ابو الثناء الآلوسي . آل قزوين . جعفر الشرقي . محمد حسن كبة . الكوازان . القيّم والعطار . الطريحي وأطيمش والسيد مهدي السيد داود . صالح القزويني وابنه راضي. عبد المطلب . ابو المحاسن .

وقال المؤلف في ختام الخاتمة المكرسة لبيان قيمة هذا الادب : « وتسألونني عن مركز العراق الادبي في القرن التاسع عشر بالنسبة الى سائر الاقطار العربية ، فاقول لكم انه يبذها جميعا سوى مصر التي انجبت محمود سامي البارودي ، وان كانت مصر قد انجبت البارودي وحده بينما انجبت العراق ثلاثة من أمثاله . وشيء آخر لا بد من ان اقوله لكم ، وهو ان القرن التاسع عشر في العراق نتيجة رائعة للقرون المتوسطة في هذه البلاد ومقدمة أكثر روعة للقرن العشرين ، فليس من شك في أنه لو لم ينبغ عندنا التميمي والحبوبي وحيدر لما نبغ عندنا الزهاوي والرصافي والكاظمي » .

اذا قابلنا « نهضة العراق الادبية ..* » بالكتب الاخرى وجدنا ان المؤلف فيه يختلف شيئا عما الفناه ، والاسباب تنطوي في طبيعة الموضوع نفسه فهو يدرس للمرة الاولى ، وانه جزء من حياة الدارس ثم انه مظلوم يحس المخلص له بضرورة الدفاع عنه و « الدعاية » له وان لا بد من ان تصل حماسته الى السامعين والقارئين ـ هذا الى انه لم يكن كتابا مدرسيا .

لقد نجح الدكتور البصير في تحقيق هدفه ، فلقد أثار الآخرين الى الاهتمام والى الكتابة والنشر والتحقيق وتاليف الكتب واعداد « الرسائل » الجامعية .

ولقد مضى على نشر « نهضة العراق الادبية ... » اكثر من عشرين سنة . ويأمل الدارسون ان يروه في طبعة جديدة ، ومنهم من يرجو أن يرى في هذه الطبعة التعديل الذي يقتضيه الزمن ، والتبويب الذي يبتعد عن متطلبات الاذاعة، وقد يتمنى تخفيف اللهجة «الحماسية» التي استدعى قسطا منها « الدعاية » لحق مضاع ـ اما جملة الكتاب فتبقى هي هي .

لقد سد « نهضة العراق الادبية » ثغرة ما كانت لتسد لو لم يتحمل المسؤولية فيها الدكتور البصير . ولئن كان كتابه الاول في بابه ، لن تفقده الايام قيمته .

* * *

نظرة اخرى الى مؤلفات الدكتور البصير تدل على انه كتب في أكثر عصور الادب العربي ، وفي اهم موضوعاته وعن اخطر اعلامه ، وانه سار سير المؤرخ الناقد المتاني المتأمل تحدوه في كل ذلك نية مخلصة وغيرة كريمة . فنفع اجيالا ، وستنتفع به اجيال واجيال .

واذ عتبنا على اخواننا في الاقطار العربية أنهم لم يدلوا على علم بها وانهم لم يشيروا اليها ، فان علينا ان نضيق مجال العذر بتوسيع دائرة النشر والتوزيع ، راجين ان تشفع اعادة الطبع « بتعديلات » طفيفة مما يراه صاحبها اهلا للقبول وقمينا بالزيادة . ولا نشك في ان لدى الدكتور البصير ما يزيده لانه يعلم عن كل موضوع يكتبه اضعاف المادة التي يقدمها ، ولان همه ـ لدى التاليف ـ ان يقدم اللباب مصحوبا برأي مقرونا بدليل مؤيدا بمثل ، وليس من وكده ان يقدم « موسوعة » عن العصور . كأن القاعدة لديه : ما كل ما يعلم يكتب . والقاعدة صحيحة وفيها احترام كبير للقارىء، وانما نخشى المبالغة فيها.

اذا حضرت درس الدكتور البصير او مجلسه سمعت اشياء كثيرة لم تقرأها له في كتبه ، وربما افتقدت بعضها في حينه ، وتمنيت لو ان فرصة اخرى تسمح بالحاق المناسب منها في اماكنها من المؤلفات المنشورة

واذا تكررت الزيارة ، تأكد لك ان لدى الدكتور البصير اشياء يجب ان تخرج من المجلس الخاص الى الرأى العام لما لها من صلة مباشرة بالعصر الحديث تاريخا وادبا ، انه يعرف عن التاريخ العربي الحديث كثيرا ، وعن التاريخ العراقي اكثر معرفة المطلع على الدخائل القريب من الاحداث ، فلم لا يؤلف من ذلك كتابا ـ ولو على سبيل المذكرات . ويعرف عن الادباء امورا كثيرة جدا لا يعرف بعضها سواه ، وفي اعلان هذه الامور تقريب للناس نحو الصحيح من فهم آثار اولئك الادباء والحكم عليهم . فلم لا يجمع تلك الاخبار في كتاب ـ ولو على شكل ذكريات . واكبر ما نخشاه الا يقتنع الدكتور البصير بصحة هذا الرأي ، واذا لم يقتنع البصير بشيء لا يمكن ان يخطو اية خطوة فيه .

تدخل هذه « الطلبات » في باب الطمع بالمزيد ، والا فان استاذنا الجليل قدم للبلاد وللادب ما ادى خدمة واقام مجدا .

جامعة الرياض

علي جواد الطاهر



غـرنـاطـة

مهداة الى زعيم النهضة الفكرية الاستاذ الكبير محمد سرور الصبان

الدكتور زكـي المحاسـني

* * *

حييت (غرناطة) وازددت اكوابي ... شربا على نخبها واهتجت أحبابي
فقلت يا أخت أقوامي اما سنحت ... لنـا لقـاءة مشتاق وغيـاب
مررت فوقك فـي خفـاق طائرة ... وقد أطل فؤادي نحـو أتـراب
وددت لو ارتمي في غير متلفـة ... حتى ألم بساحـات وابـواب
يا دار اندلس ما رم فيك هـوى ... لكن ترمم قلبـي بعد أوشـاب
الا يـزال لعرب فيـك منسرح ... يروح بالروح في مسحور ألبـاب
وهل صهيل خيول من معاركهـم ... تموج فرسانها في طي احقـاب
أرى المصلى علـى التكبير مائلـة ... صلاته في تسابيـح بمحـراب
لا بد من روعة الذكرى لواصفهـا ... اذا تغنى بهـا في جمع شراب
خذني (لغرناطة) ألمـم بفتنتها ... في يوم بهجتها في عيد صخاب
أشم فيها رياحـين النساء اذا ... مرحن في زينة تحلو لخطـاب
ملم لي العمر من بعد السنين فما ... أحلى الحياة بزورات لاصحـاب
واقرأ (لرامون) أبياتي فان بهـا ... لهفات ذكرى بأشعار وآداب (١)
جددت فيها وداد الفكر وانبعثت ... خلالهـا شـعراء بعد كتـاب
وطافا كل خيـال في محاسنـه ... ياوي الى دارة تغلي باشبـاب
(اسبانيا)، يا مثار العرب في ثبج ... من الجمال علـى ميمون احساب
فديت أهليك لما طـاف موكبهـم ... يوم الشعانين في مجنـون جواب
على الخيول العذارى ركب جانبها ... في قبعـات وطيـات بأثـواب
وفي الايادي أسواط منمنمـة ... تفدى اصابعها في حمـر خضاب
والشعر أسود هفهـاف بعاطـره ... وللعيون مناجـاة بأهـداب
وللمغنين جوقات تـرن علـى ... اوتارهـا نغمـات وفق شـباب
قيثارة مـن صبايا لحـن أندلس ... يهفو لنغمتهـا الموتى بأسـباب
من معبد نبعها في الدهر مائجة ... بها التناغيم من ايحاء زريـاب
غنت بها (ماريا) والصفق في يدها ... والرجل يضرب ارضا رقصها السابي
مدت بصوت رخيم اللفظ ليلتهـا ... فاذكرتنـي بـأصوات لاعـراب
اني لاسمع أجدادي بآهتهـا ... فهل أعيدو بأرواح وأعصـاب
من خلفها ندل رنـت معازفهم ... على كراسيهمو مالوا باطـراب
واسرح بروحي علـى افياء معركة ... يجول (انطونيو) فيها بقرضـاب
عليه حلة حرب زان نسجتهـا ... مذهب الوشي في وهاج أقصاب
يتيه في مشية الجبار في مـلأ ... كانـه بينهـم رب لاربـاب
في حلبة لصراع الثور دائـرة ... بالناظرين بادهـاش واغـراب
يعلو مدرجها قوم لهـم شـغف ... بمشهد مزجوا فيـه بانسـاب
وزحزح الباب عـن ثور له خـور ... رج الفضاء به رعـدا باغضـاب
فجال (انطونيو) يلقاه مدرعـا ... سترا يجول بكـف ذات نشـاب
والناس في نشوة الافـزاع حائمة ... على مواجدهـم فينـات احراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وثور الثور حتى جن فائره ... فعج واهتاج في قرن وفي ناب
فهب انطونيو يوليه بارقة ... بطعنة نزلت منه بعطاب
وحط في ظهره الحربات واقفة ... رمز البطولة في روعات وثاب
وعيب في حيوان يرتمي رهقا ... امام قوة انسان بلا عاب !
ناديت (انطونيو) مفتان غانية ... كانت تشاهده في لحظ خلاب
ألقى الى صدرها مزدان قبعة ... اشارة لهواها يوم ترحاب
لولا الهوى وهو جبار الوجود لما ... ظفرت ، ان الهوى رهن بالهاب

خذني لتهدأ أعصابي الى نزه ... في صدر (غرناطة) تحلو لمجتاب
الى قصور بناها العرب وارفة ... ماست بها غانيات بين أسراب
واعطف على جنة (الحمراء) ملهمتي ... بالشعر تنفحني وحيا بتسكاب
صحن الاسود يصب الماء منهمرا ... اشداقها فيه من معسول وهاب
وشم أخدان في بيت مفاتنه ... في النقش تنسي خياما ذات أطناب
والخط في حائط آياته نطقت ... بقدرة الله في توحيد غلاب
أعود بالدهر ادراجا لمحتفل ... أشم في القصر محفوف بحجاب
هذا الخليفة قد هبت لمقدمه ... قواده ورجالات بأقطاب
في يوم امجاده والسعد يرفده ... والعز بين يديه وفد نواب
وبيت امواله تطفو دنانره ... وارضه في زراعات واخصاب
فهل حسبت الدنى تصفو لنعمته ... من بعد ما سمت فيه بأحزاب
عدا عليه من الجيران ذو صلف ... فهده بذوي بطش وسلاب
فزال عن ملكه وانجاب معهده ... فبات يبكي علاه بين نداب
وللسلاطين أيام ويردفها ... مهوى عن العز في تقليب دولاب
يا من عرفت (ابن عباد) ونكبته ... هذا جزاء الذي يمنى بكذاب

تلك القصور غدت افواف متحفة ... الى الحضارة قد مت بأصلاب
تريك اوجه تاريخ بكوكبه ... قد اشرق الغرب اذ عادت بأواب
لها حفاظ على العرب الاباة وفي ... العصر الحديث لها مجد بآراب
كم سائح جاء مغناها المشوق له ... وكان سحر المغاني خير جذاب
فلم اجد طائفا في أرض اندلس ... الا تولاه وجدان باعجاب
أهلوك أعراقهم تسري بمثل دمي ... فلست عندهمو من قوم اغراب
فاشرب لذكر بلاد كان ساكنها ... قومي ورفع يدا فيها بأنخاب
واصفح عن (السيد) قد كان الغرام له ... وقاء (شيمين) يفريه بأوصاب

(غرناطة) يا محيا السحر في بلد ... جنات عدن به حفت بأعناب
عليك مني سلام الشام طاب به ... نفح الرياحين من جنات طياب

دمشق

زكي المحاسني

(١) كان الدكتور زكي المحاسني يتوق الى زورة لاسبانيا ليلقى بها صديقه الكاتب الكبير (رامون ميناندیز بیدال) رئيس المجمع التاريخي الاسباني الساكن في حي (شامارتان) بمدريد ، تلبية لدعوته ، وكان قد حياه في مطلع من مطالع (الاديب) بقصيدة لذكرى بلوغ الرئيس الخامسة والتسعين ، اذ احتفت اسبانيا بأجمعها واميركا اللاتينية وسفارة الجمهورية العربية السورية بمدريد ومعهد الدراسات العربية المصري ، بهذه الذكرى النادرة ، وخلال المأدبة وقف الدكتور رامون المحتفى به فأخرج من جيبه قصيدة الدكتور المحاسني التي حياه بها وطلب الى السفير السوري الاديب تلاوة القصيدة التي أشاعت عزة وتكريما وطيب ذكرى وكانت تمتينا للصداقة العربية الاسبانية « الاديب » .

الدرج المقفل

بقلم الياس خليل زخريا

★

في كل قلب من القلوب مخبأ من
مخابىء السر .
تنام في المخبأ ، على ركود النسيان،
عناكب الذكريات .
... صورة ، كتاب ، ورقة ، وقطعة
ورق ...
حتى .. وظرف طاف الطواف البعيد
بين دروب الدنيا ،
ودروب النفس ، وطول الانتظار في
نافذة الشوق والحنين ،
في الدرج المقفل اشياء ثمينة واشياء
تافهة ...
قد تكون التافهة الثمينة .. .
.. قلم رصاص مخدش او محجر ،
.. ورقة ورد يابسة بين صفحتي
كتاب ،
قد تكون اشد عطاء من ثمينة والف
ثمين .

في الدرج المقفل كهوف عميقة مقفلة
ومدت يدها الى الدرج
واخرجت من بين غباره خيوط حياتها
الضائعة المشبكة .
ومضت تمزق ، وتلقي بها نتفا في
سلة المهملات .
.. فكرت قليلا ، ثم رآها تنهض على
مهل تأخذ بالسلة وتمضي تفرغها
في فتحة الموقد .
تشعل فيها بأطراف اصابعها القاسية
السنة النار .
وهبت السنة النار الجائعة تأكل
الورق ،
وقطع الورق ، اكلا أكولا .
وتطاير الرماد الاسود ،
وسقطت من الرماد الاسود قطعة على
ظاهر يده .
حاول في نهم التطفل ان يقرأ ما
تبقى عليها
من حدود الحبر وزوايا الكلام .
آثار بادية ملتهبة من آثار الحياة .
بقية باقية من تجمع الدم في شرايين
القلب
تحمل مطاوي الورق من الذكريات
فوق ما تحمل مطاوي الصدور
وتنام في ثنايا الورد وجوه الايام

كما تنام في مسارب الفكر خواطر
التأمل ...

.. ما بالها حذرة خائفة ؟!
هل وثبت على ذهنها من الدرج
المقفل اشباح
وحكايات ،
ورواسب حكايات ؟
او تستقر اشباحها على الواح ذهنها
استقرار الكتب على رفوف الدار !
... خائفة !!
من من ، هي ، خائفة !!
... مشتاقة !!
الى من ، هي ، متلهفة ، مشتاقة !!

كانت البئر القديمة التلمودية واسعة
قديمة ...
كانت بعيدة ، نائية ...
كانت في طرف اطراف البرية المترامية
البعيدة النائية .
لا عين ترى ولا اذن تسمع .
وقذف به ...
قذف بأخيه في فوهة البئر .
وادار ظهره ومشى ..
وسار ، وسار فيه ضميره .
وحفرت يد الله في رمال صدره بئرا،
كانت على الزمن بئر الضمير ،
وصورة الضمير .
وانتصب ضميره امامه ،
عمود ممدد من النار والدخان .
تلتف عليه اواصر النفس وتتمزق بين
اعاصير الارض ولفتات السماء
كلما حاول ان يهرب من نفسه لحقت
به اوزار نفسه .
لا الورد ليهرب ورقه من عبيره ولونه
ولا الشوك لينجو حده من قساوته
واذاه .
يتكىء الورد على الشوك فتفوح من
رؤوس الشوك نفحات الطيب .
ويدور الزمن ، ويتيبس الورد
والشوك ،
وينقطع في الوهم والتوهم سيل
الطيب .
ثم يدور الزمن، فاذا بالورد والشوك،
مقيمان معا في الخميلة ما اقامت
الخميلة ،
مقيمان في الجيرة المستحبة ، ما
طابت في الالفة الاليفة مودة
الجارين الخصمين ،
ورد يقسو على قساوة الشوك ،
وشوك يتطيب وحده بماء الورد .
والارض درج مقفل
والحياة درج مقفل
فاذا ما خبأت الارض في الارض ،
اذا ما كتمت اشياء الحياة في رواق
الحياة
اذا ما احرقت اوراق العمر في موقد
العمر
يتبقى لك في اوعية نفسك ما تبقى
يدوم في خليج ذاتك ما يدوم .
فلا العاصفة لتتلاشى في مرامي
الفضاء .
ولا المطر ليفنى في عباب البحر .
ولا عناوين الحياة لتنتهي في فصول
الحياة .
من غير معالم ولا خواتم .

تخفيه عن عينك ولا تخفيه عن قلبك
فاذا ما اشتقت اليه ،
مدت عينك شباك عينك
تحمله اليك ،
تنشره امامك على صواري بصرك
ومدت ، اختك ، يدها القاسية الى
الدرج .
ومد يده اليقظى على يدها الى الدرج.
..لا.. لن تمزقي منه ورقة واحدة.
كل ورقة تمزقينها قطعة من نفسه
في نفسك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجه بلا مرآة

سألت الريح عن صحبي وأحبابي
فأنت في شعاب الصخر ،
وانعطفت الى الوادي
لتلقي خيبتي المره ،
على رمل المسيل الناشف الصادي
وجاء الليل ،
ذرى رمله النجمي في صمتي ..
فأرقني ،
وأطلق من حرير الريح انساما ،
فأوجعني
وكان الليل بعض الصحب والاحباب ،
بعض العطر والايناس والمرح ،
ودفتر عالمي العائم
على موج من الاحزان والفرح

أيا صحبي .. وأحبابي
أنا وجه بلا مرآه
انا زهر بلا عطر
انا غيم بلا مطر
انا نهر بلا مجرى
انا فعل بلا جدوى
انا سفن بلا شطآن
انا لا شيء دونكمو
انا لا شيء !

سألت الريح عن وجهي صباح اليوم
فقالت عند احبابك
سألت الريح عن اسمي ،
فقالت بين اصحابك
وغلت في شعاب الصخر ،
وانعطفت الى القمه ..
وها انا في دروب الارض ،
من باب الى باب
الاقي وجه احبابي !!

حلب — صباح الدين كريدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تخفينها عن نفسك .
ابسطي على رفوف البيت اوراق حياتك
له من حياتك ، من خفايا حياتك ،
ما تعطين، انت، من معطيات حياتك.
افتحي امسك من غير خوف ولا وجل
اقرئي فيه .
تحدثي عنه .
الجرح الذي يختفي خنجره لا ينقطع في نزف الدم
نزف دمه .
هذه الايام المتجمدة منك على ادوات الدرج
هي الزمن الدائم
كتم عن العين ولم يكتم عن البصيرة

وترتعش الستارة فترتعش معها
اطياف الليل
وطياف النهار

كل كأس على شفتها حكاية والف حكاية

كل شفة على شوقها الف امل وامل
والوصل تراب وماء .
تصهر الشمس التراب والماء
فتصيرهما طينا نقيا ،
ثم تصهر الشمس الطين النقي
فتحوله آجرا
ثم تلفح الآجر فتحوله الى البرتقال الاحمر
كأنه اعراف الديكة على الندى
والفجر في مشارف الجبل .

لم يكن جبانا ،
لم يكن ليحب الجبناء .
هذه التوافه والنوافل من عمرك عزيزة
عزيزة ، في صلاة عمره
كانت له في مكتبة عمره سفره اليومي
في رحلات واحاته
في كل كتاب كلمة نابئة نبوءا .
في كل فصل عبارة نافرة نفورا .
واضعف الاشجار شجرة لا تنبت
في ملتف ساقها واغصانها

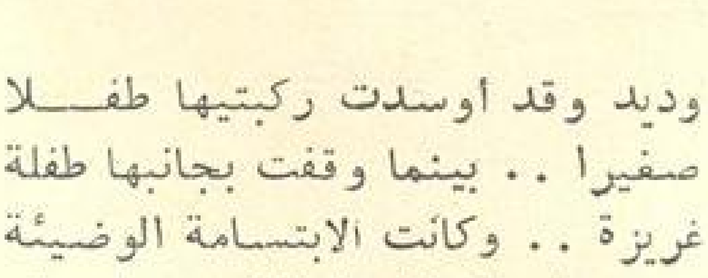
اغصان
وشباك اغصان
ولفت ساعدها على عنقه تهمس في اذنيه
من اخبار درجها ما تهمس .
ومد عينه في الدرج
ثم اغمض في الهتاف على الدرج عينه
ثم انتفض من التأمل كأنما احرقت النار منه ضلعيه .
وان الذين يخلعون ادراجهم الموصدة
.. الذين يحرقون اوراقهم الموصدة جبناء
يخافون ، كأنهم يخافون ، من التلفت في نهارات العمر ، وليالي التنفس .

لاخته الدائمة ، في بيتها الدائم ،
درج واسع تفتح به اوراق المحبة
على السمر السامر
في هتاف الريح

الياس خليل زخريا

وساوس صغيرة

بقلم كمال رستم



كان كل شيء قد اعد واحكم تدبيره .. ولن تمر ايام قلائل الا ويصبح الحلم حقيقة .. وتهالك « وديد » على المقعد في أعياء والقي نظرة خاطفة على زوجته التي كانت تجلس قبالته على الفوتيل تقوم ببعض اشغال الابرة للمولود المنتظر ... كان يبدو على وجهها الجميل الارهاق وكان شعرها الاسود الحالك يزيد من بياض بشرتها ونصاعتها ... اما بطنها فقد ارتفع وظهر نتوؤه من الثوب الفضفاض الذي ارتدته خصيصا لمناسبة الحمل ... وتهادى اليها صوته خافتا كأنه صادر من مكان بعيد يقول :

ـ ميرفت ... لقد عدت لتوي من ادارة الجوازات ...

وأشرعت اليه عينيها الدعجاوين وقالت مستفسرة :

ـ هل أعطوك جوازي السفر ...

ـ نعم .. هاهما ..

وغيب يده في جيب سترته واخرجها وبها الجوازان ثم ما لبث ان اعادهما الى مكانهما كأنما يخشى ان يثبتهما أحد وقال لها :

ـ ارجو ان تكوني سعيدة ...

وجرت على شفتيها بسمة واهنة ثم قالت :

ـ بكل تأكيد يا عزيزي ...

وكان يعلم انها تكذب ... ففي الايام الأخيرة حاولت ان تقنعه بان يعدل عن فكرته الا ان محاولاتها ذهبت بددا وقبض الريح .. كانت فكرة طرات على ذهنه المكدود .. ـ ... وخالها لن يستقر بها المقام طويلا ... شأنها شأن عشرات الافكار التي تتواكب في ذهنه والتي لا تظهر الا ريث ان تزول ... ولكن هذه الفكرة الفذة سكنت راسه على غير عادة فلا يستطيع منها فكاكا .. قال لزوجته :

ـ ثقي يا ميرفت ان الحياة في كندا ستستهوينك ... وكما تعلمين ان صاحب العمل افتتح فرعا كبيرا هناك وقد وقع اختياره علي لادارة هذا الفرع .. انه لا يثق بغيري .. فلم القلق ؟

قالت زوجته وهي تحاول ان تخفي حمرة خفيفة تضرج بها وجهها :

ـ أنا .. أنا لست قلقة .. اطلاقا يا عزيزي ..

وراحت عيناها ترودان في ارجاء الصالة الرحيبة التي كان مقدرا لها أن تبارحها بعد ايام .. وربما الى الابد ... وحطتا على صورة كبيرة معلقة في صدر صالة يقع عليها الضوء الخافت ... فيبدو للرائي بلونها الحائل .. كأنها تتحدى الزمن .. كانت الصورة تمثل والدة وديد وقد أوسدت ركبتيها طفلا صغيرا .. بينما وقفت بجانبها طفلة غريزة .. وكانت الابتسامة الوضيئة تبدو على الشفاه الثلاث .. تلك صورة زوجها وديد واخته سامية حينما كانا لا يزالان طفلين ـ عزيزين تفرد امهما عليهما جناح الرحمة والحب .. وهاقد شب الطفلان الآن .. وأصبح وديد وكيل ناشر عالمي كبير في القاهرة يتقاضى مرتبا محترما ... ويمتلك عربة « شيفروليه » يغبطه عليها اي زميل تخرج معه في الجامعة في سنة واحدة ... اما الأخت فقد تخرجت هي الاخرى في الجامعة وبنت بمهندس شاب يشغل مركزا ممتازا بشركة كيما بأسوان .. كبر الطفلان واصبحت لكل منهما حياة سعيدة موهوبة ... وها هو وديد لن تمر بضعة اسابيع الا وتضع له زوجته ابنه الاول .. يؤنس وحدته وتحلو به الحياة .. ويتجدد به الأمل ... فما بال وديد .. يريد أن يترك هذه الحياة العريضة كلها .. ويغامر بمستقبله ومستقبل الطفل في بلاد جديدة وبين أناس جدد ...

اية خاطرة مجنونة استبدت برأسه حتى يرتكب هذه الحماقة الكبرى ؟ ... وكيف وسعها ان تتابعه في فكرته هذه وهي تعيش هنا بين أهلها وذويها على ارض الوطن الحبيب ؟ حقا عارضت في أول الامر سفرها معه ورجته ان يسبقها الى هذه البلاد الجديدة حتى اذا استقر في عمله الجديد ورتب لها الحياة الرغدة التي تريدها .. لحقت به .. ولكنه ..رفض ان تبقى وحدها .. واصر على ان ترافقه .. حتى الايام القلائل الباقية على مولد الطفل لم يشأ ان يجعلها تنفقها في مصر ...

واخرجهما من تأملاتهما المطرقة .. وقع أقدام امه قادمة من المطبخ ... انها تحرص دائما على راحتهما وتشرف بنفسها على كل شيء في البيت .. حتى الطعام تأبى على الزوجة ان تطهوه فتباشر طهوه بنفسها وكانت قد اعدت طعام العشاء وجاءت لتسألهما ان ينتقلا الى المائدة ... ليتناولاه .

وكانت فارهة الطول مهيبة ... في الحلقة الخامسة .. تضع على راسها « ايشارب » وتمسك بيدها منديلا تضعه على فمها . وقال لها وديد وهم جلوس على المائدة :

ـ امي لقد ظهر علاج جديد ... علاج سيشفيك تماما باذن الله ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخرج صوتها مضطربا لا يكاد يبين .. فقد كانت تعاني من مرض عضال .. من سرطان في الفم وقالت

ـ أي علاج يا بني تتحدث عنه .. هذا المرض ليس له علاج ...

قالت ميرفت أن الطب تقدم يا ماما ... ولا بد ان يكون هناك علاج ...

ـ قال وديد : وقد اكد الدكتور وصفي ان العلاج الجديد يزيل كل الم ... وانه ينتظر ذهابنا اليه غدا ...

قالت الأم وقد بدا في وجهها الالم :

ـ امرك يا بني كل ما اجوه أن يمد الله في عمري الى ان أرى ابنكما ..

ومس كلامها شغاف قلبه ... منذ اسبوعين حدثها بعزمه على السفر الى كندا ... هو وزوجته فاسبد بها الغضب وثارت ثورة عارمة ... آذاها ان يفكر ابنها ـ مجرد تفكير ـ في أن يسافر ويتركها وحدها تنتظر الموت ... وبكت بكاءا مرا .. ولم يكفكف عبراتها الا وعده لها بأن يقنع صاحب العمل بان يبحث عن شخص آخر ليشغل المنصب الكبير الذي رشحه له ... ولكن نفسه بقيت مع ذلك تنازعه الى قبول المنصب ... فلم يرفضه ... وكان يخشى ان يواجهها بحقيقة ما استقر عليه رأيه ... واخفى عنها تدبيره حتى يفاجئها بالأمر الواقع ويرحل واقنع نفسه بان لم يعد يحتمل العذاب الكبير الذي تتعذبه . وان السفر .. جاء رحمة من السماء بعيونه التي أرقها السهد والأرق ..

ووضعت أمه في طبقه بعض قطع من « الروستو »وناولته بعض العيش المقدد الذي يحبه وقالت له :

ـ هل نزور سامية اختك في الاسبوع القادم .. انك لم ترد على رسالتها .. واسقط في يده .

فانه كان قد تعمد ان يتجاهل رسالة أخته التي طلبت فيها ان يقوموا ثلاثتهم بزيارتها ... وكيف يقوم بزيارتها وهو نفسه لا يدري ان كان سيكون موجودا في مصر كلها في الاسبوع القادم أم لا ... ووجد نفسه يقول لأمه :

ـ أنت ترين ميرفت يا ماما ... ان المخاض قد يجيئها بين يوم وليلة ...

قالت : ميرفت باق على ولادتها شهر يا وديد .. اليس كذلك يا ميرفت ..

وأمنت ميرفت على قولها ... وقالت أمه :

ـ نتوكل على الله ونسافر الاسبوع القادم .. ماذا قلت يا وديد ؟

ـ امرك يا أماه ...

وقام من على المائدة ... وغسل يديه .. ثم مضى الى غرفته ودلف منها الى الشرفة .. كان يريد ان يخلو الى نفسه قليلا .. حتى ميرفت زوجته .. كان يريد ان يتخفف منها فأسر اليها ان تبقى مع أمه ... واسترخى على المقعد الطويل ملقيا بظهره كله عليه .. وممددا ـ رجليه الى ابعد مدى ... وهو في هذا الوضع أشعل دخينة وراح يتأمل حلقات الدخان التي تتصاعد منها فوق رأسه .. ثم اخذ يرقب نجما شاردا في قبة السماء كان يومض عينيه .. وكان الهواء ساكنا هامدا فلم يحرك أوراق الاشجار القائمة على حفافي الطريق .. وحث أفكاره الا انها كانت هي الاخرى هامدة ساكنة لا تريد ان تتحرك .. وأفلت فمه صيحة مكبوتة وقال :

ـ ماذا افعل يا ربي ... ماذا أفعل ...

وتفززت أعصابه .. وضغط على شفته .. وبقى هناك يعتصره الألم .. كان لا يدري ما الذي يستطيع ان يفعله .. فمنذ سنوات اكتشف الاطباء مرض أمه بسرطان الفم .. ولم تجد الجراحات العديدة التى اجريت لها . وكل ما كان لها من أثر .. انها خلفت آثارا شائهة على فمها ووجهها .. وعطلت قدرتها على الكلام .. وعرضها على كبار الاطباء العالميين ولكنهم كلهم هزوا رؤوسهم مؤكدين انه لا يوجد علاج شاف لمرضها . وشاعت في قلبه كآبة كبيرة وهو يذكر الألم المبرح الذي ينتابها .. وترددت في أذنيه أصداء آهاتها وأناتها الرهيبة في هداة الليل وتمثل الليالي التي الف ان ينتفض فيها على صيحة ألم ... مذعورا وقيامه الليل كله الى جانبها وقد لفته حيرة معتمة لا يدري ما يجب ان يفعل ... سنوات طويلة مفعمة بالأسى والالم مرت به كحلم مزعج مروع ... فاين كان مخبئا له هذا كله ... وضاعف من ألمه ان مرض أمه صاحب زواجه .. فلم يذق ابدا في زواجه طعم الراحة .. وانعكست هذه الحالة على زوجته . فعاشت بدورها تجتر الشقاء والتعاسة .. واستحال البيت القديم السعيد الى جحيم لا يطاق .. وكأنما ارادت الاقدار ان تسخر منه وتمتحنه في بنوته وفي قوة آماله معا ، فساقت اليه صاحب العمل يلوح له بالمنصب الكبير الذي ينتظره في هذا البلد البعيد ... ولكنه ايضا كان هو واخته لا يزالان طفلين عزيزين ... وهي تبذل لهما من ذات نفسها ومن مالها الى ان تخرجا في الجامعة ... والتحقا بالوظيفة وتزوجا .. فهي قد أدت واجبها خير آداء ... وباتت تنتظر منهما ان يردا لها في شيخوختها وفي مرضها الصنيع الجميل الذي صنعته لهما ؟.. انه لا يحتمل أن يراها وهى تتعذب وتتألم .. وكم من مرة نازعته نفسه الى ان يهرب بنفسه وبزوجته بعيدا ... لانه عاجز تماما عن ان يفعل شيئا لينتشلها من براثن هذا المرض ... فهل يبقى الى جانبها الى ان يقضي الله أمرا.. ولكن ما لخير في ذلك ؟... وكان قد اقنع نفسه بأنه لا جدوى من بقائه ... فسار شوطا بعيدا في انجاز اجراءات سفره .. فاستخرج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليومه جوازي سفر له ولزوجته .. وسوف يذهب من غده الى شركة الطيران ليحجز له ولزوجته مكانين على أول طائرة تقلع بهما الى بلاد الآمال .. دارت هذه الخواطر كلها في ذهنه وهو مسترخ في كرسيه .. يرقب النجم البائق في القبة السوداء .. وتسفح وجهه نسمات البرد الباردة .. ودخلت ميرفت في هذه الآونة الى الشرفة وراته جالسا هناك وعيناه زائغتان .. وفكره شارد الى بعيد .. فتدانت منه واوسدت راحتها راسه وقالت له :

ـ أما آن لك ان تدخل ...

وانتبه الى نفسه وقام على الفور ودخل معها الى الحجرة واستلقى في تراخي بدن مجهد على الفراش وقام في الصباح مجهدا مكدودا .. بعد ليلة ليلاء قضاها فريسة لحلم مزعج تراءت له فيه أمه وهي على فراش المرض في عينيها الدموع ، وفي وجهها الالم .. وكانت تمسك بتلابيبه وتسترحمه بان يبقى الى جانبها ... وهو ينتشل نفسه من قبضتيها ويتناءى عنها وقد ندت عنه ضحكة ماردة فهو لا يبالي وأمه تحاول أن تصرخ ولكن الصوت لا يخرج من فمها المريض ...

كا ن حلما مروعا صاحبته تفاصيله الشائهة في الصباح على غير عادة . فقد طالما امسى حالما واصبح وقد أنسى كل شيء ... أما هذا الحلم المروع فقد استقر في واعيته وتشبث بها تشبثا عنيدا ... وصافحه وجه امه وهم على مائدة الافطار ... وتعانقت نظراتهما وخيل اليه ان نظراتها أغلال تكبل ارادته ... احس كما لو كانت تعلم بما يجول بخاطره .. فتراجعت نظراته عنها وأنهى افطاره على عجل .. وغادر البيت معجلا .. وفي الطريق صحبته افكاره وهو يقود العربة على غير هدى وبرق في ذهنه سؤال :

ـ ما الذي يجب ان اعمله ؟

وقال له عقله : ليس هناك طريق ثان يجب ان تعمله .. طبيعي انك ستذهب من فورك الى مكتب الطيران وتحجز مكانين على أول طائرة تقلع بكما الى كندا .. هذا هو عين العقل .. وتثاءب ضميره وقال : ما هذا الهراء الذي تقوله .. ايها العقل .. كيف يدع أمه في اللحظات الاخيرة وهي أحوج ما تكون الى عطفه وحنانه ويفر منها هاربا الى هذه البلاد البعيدة ... ان هذا هو عين العقوق .

ـ فيم العقوق يا صاحبي ؟ ... لم لا تقول ان الامومة الحقة تقوم على الايثار لا الأثرة .. انها لن تفيد من بقائه الى جانبها شيئا ... الا ان يتأوه لأناتها وآهاتها وهي ستموت حتما ... والموت حقا فما الخير في بقائه الى جانبها !

وصات ضيرة :

ـ بل وجوده الى جانبها مهم للغاية انه أقوى من كل علاج تستطب به ... فهذا المرض لا يهزمه الا الامل .. وابنها بالقياس اليها هو بارقة الامل التي تضيء حياتها ... فلم تطفيء شعلة الامل الوحيدة الباقية في حياتها .

ـ هراء ... ايها الضمير .. ان هذا المرض شديد كالموت .. محتوم كالقضاء .. فلنتركه يمضي .. ويبني مستقبله .. انها فرصة ... فرصة موهوبة والفرصة لا تواتى مرتين ..

ورأى نفسه يردد قائلا أجل انها فرصة ... فرصة موهوبة ولن تواتى مرتين ويجب ان انتهزها مهما كلفنى الامر .. ولا خوف على امي من سفري فسوف تذهب الى اسوان وتعيش مع ابنتها .. وسوف تكون طلباتها عندها مكفية وحاجاتها مقضية .. ورغم كل شيء فقد تحملت في شجاعة وصبر .. نصيبي من مسؤولية مرضها وعلى اختي ان تتحمل نصيبها هي الاخرى واذا كانت امي لا ترغب في مبارحة البيت فقدا تروض نفسها على الاقامة مع ابنتها وتطيب لها الحياة .. ووجد نفسه يتجه مسرعا نحو البنك الذي عهد اليه بتحويل نقده الى العملة الاجنبية ... وكانت الاجراءات سهلة للغاية فلم يبق بالبنك طويلا .. ومر على مكتبه وانجز بسرعة بعض الاعمال ثم اتجه بعربته من فوره الى مكتب شركة الطيران ... وصرف تذكرتين على الطائرة التي تقلع في الاسبوع القادم .. واحدة له والاخرى لزوجته ... وتنفس الصعداء واحس كان عبئا ثقيلا انزاح من فوق صدره لقد انتهى من عمل كل شيء ... ولم يبق عليه الآن الا ان ينتحي مكانا هادئا اي مكان ويكتب لأخته يحدثها بما استقر عليه رايه ... والاجراءات التي اتخذها ... ثم يطلب اليها في النهاية ان تحضر على أول طائرة من اسوان لتكون الى جانب أمها قبل سفره ...

كان هذا هو ما عول على فعله .. ولم يكذب خبرا .. ومضى الى شرفة سميراميس ... وجلس الى أول مائدة قابلته ... واخرج من حافظة اوراقه ورقة ... وراح يكتب ...

اختي العزيزة ..

ولكن القلم توقف عند هذين اللفظين ولم يزد حرفا واحدا ... وعبثا حاول ان يستجمع افكاره ويبرر العمل الذي أقدم عليه ... ما الذي ستقوله عنه أخته ؟ ... بل ما الذي سيقوله عنه الناس جميعا أجل ما الذي سيقوله عنه الناس ... وما الذي سيقوله هو لنفسه ليبرر هذا العمل الشائن الذي اقدم عليه ... انه لا يدري ... وتراءت له صورة امه ... وقد وثقت بكلمته ... ونحت عن ذهنها كل خاطرة لسفره ... وتمثل وقع الصدمة عليها حين تعلم انه كان يفر بها طوال الوقت ... من يدري فلعل وقع الصدمة عليها ان يكون شديدا فتقضي لساعتها ... وعندئذ يصبح قاتلا .. قاتلا لامه. واستبدت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حلم مجنح

أين رؤى الشباب والهوى
وعهدنا القديم
أين خمائل الصبا
ودربنا النشوان في حدائق
النجوم
أكل ذلك انقضى
مع السنين والرياح والتعب
أم أنه على مدارج السحب
صدى براءة يحن للمصير
في أفق مرتعد مهجور
عبر أصيل شاحب حزين

يا ليتني ألمح طيف امسنا القريب
وأستظل بالمساء
وأملأ الفؤاد من نسائم الجنوب
وأعبر الليل مع القمر
الى حقول القمح والزهر
حتى ألملم الشذى وأقطف الثمر
حتى أنـام ساعة ،
في أيكة الظنون
أحلم بالاشواق والحنين
أطوي على خيولها بقيا من اليقين
توشك أن تنحل ،
في بحيرة الردى

الحلم المجنح الكسير
في قبضة المستقبل الكبير
يبحث عن جذور .
فالتهبي يـا نار ...
وابتلعي الجدار .

دمشق

رضوان عقل

هذه الخاطرة براسه وكبرت فـي ذهنه حتى تمثلها حقيقة واقعة ... وأحس بالعبرات تخنقه فطوى الورقة ونهض واقفا وغادر الشرفة الـى عربته ... وتمتم : اذن لا فائدة ..

وقهقه عقله وقال : لا شك أنـك مجنون .. ان هذه الفكرة البسيطة فكرة رحيلك كبرت في عقلك المجنون لا اكثر ولا اقل ... انك ستنقصى على أعصابك ... لانك مجنون ...

واحس براسه يكاد يتحطـم وترددت أصداء الحيرة بين حناياه .. وعجب لنفسه كيف يعود فيفكـر مجرد تفكير في مرض أمه وقد قتل هذا الموضوع بحثا من قبل وانتهـى فيه الى قرار واعد العدة واحكـم التدبير ...

ولمـا آب الى بيته .. وقابلتـه ميرفت زوجته سألته في لهفة :

ـ ما الذي فعلته ؟ ..

قال لها في اعياء :

ـ أتممت كل شيء ... تحويـل النقد وتذاكر السفر !

قالت وهي تخفي دمعة انحـدرت على خدها :

ـ اذن فقد انتهى كل شيء ...

واضطرب صوته وهو يقول :

ـ نعم انتهى كل شيء هنا .

قالت له : وهل كتبت الى اختك؟

ورغما عنه جمحت بـه نوازي غضبه وانفجر قائلا :

ـ وماذا اقول لها .. ماذا اقول لها ...

وجاءت امه على صياحه وقالت من خلف المنديل الذي تضعه بيدها على فمها ...

ـ ماذا دهاك يا حبيبي .. ومن هي التي تريد أن تقول لها ...

وصعد نظره الى وجهها الحبيب الذي طالما صافحه بابتسامتـه العطوفة الحانة .. وتمثلت له فـي لحظة واحدة مراحل طفولته وشبابه وتتابعت أمام عينيه صور احتفـال امه بكل شأن من شؤونه وحدبهـا عليه وتعلقها به هذا التعلق الكبيـر ورآها وهي معافاة سليمة .. موردة الخدين طلقة المحيا ... تمتلىء قوة ونشاطا ... وتدب حركتها فـي ارجاء البيت ... ثم قابل صورتها هذه بصورتها الآن ... وقد حـال لونها وهد المرض كيانها ... وشوه وجهها .. وأحالها انسانة اخرى تمد يدهـا للناس بالسلام وتشيح عنهم بوجهها حتى لا يقعوا علـى موضع الجراحات من فمها .. فاذا ما تحدثت تعثر الكلام على شفتيها فهو لا يبين .. وظهر له هول وبشاعة ما كان بسبيل .. ان يقدم عليه .. ورأى نفسه رغما عنه يحتضن امـه ويقبلها وقال لها من خلال دموعه :

ـ أماه ، لمـاذا لا نسافر الـى سامية غدا .. اننا في حاجـة لان نقضي عندها اكبر مدة ممكنة للراحة والاستجمام .. وقبلته امه قبلـة أحس ان بها عصارة الامومة كلها .. وانها بددت من نفسه كل ما قام بها من وساوس صغيرة ...

القاهرة

كمال رستم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

محمود السمرة - بنملي الجوزي

زهدي جار الله

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الدكتور محمـود الســـمرة

ما جلست يوما الى الدكتور محمود السمره أو قرأته في رائعة من روائع قلمه السخي الا ومرت بخاطري حكمة المفكر المصلح الكبير سلامه موسى : « الكاتب العظيم يمكن ان يكون بعضه فيلسوفا أو بعضه عالما ، أو بعضه اديبا ، ولكن معظمه يجب أن يكون علـى الدوام انسانا ! » وهذه الخصائص تتمثل في الانسان الاديب الدكتور محمود السمره !

في قرية الطنطورة الغافية على الشاطىء الفلسطيني المغصوب ... والقائمة جنوب حيفا ولد « محمود » وأكمل في مدرستها الصف الرابع الابتدائي ، ومنها قصد ثانوية حيفا واتم دراسته الثانوية وانتسب الى الكلية العربية بالقدس ونال شهادة المترك الفلسطيني عام ١٩٤٣ وشهادة الانتر ميديت عام ١٩٤٥ ، وفي هذا العام عين مدرسا للغة الانكليزية في ثانوية طولكرم حيث كان يدرس طلاب المترك الفلسطيني وامضى في تدريسهم مدة سنتين . وفي عام ١٩٤٧ ارسل مبعوثا علـى نفقة حكومة فلسطين الى كلية الاداب في جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة اليوم) ونال شهادة ليسانس آداب عام ١٩٥٠ وعين مدرسا للانكليزية في المدرسة الثانوية بالكويت (١٩٥٠ ـ ١٩٥٥) وفي العام الاخير قصد لندن ودخل جامعتها ونال في آب ١٩٥٨ شهادة الدكتوراه في الاداب . وكانت الاطروحة التي قدمها لجامعة لندن بعنوان :

The impact of western civilization and christian missionaries on syrian writers 1860 - 1918

وترجمة هذا العنوان : « أثر الحضارة الاوربية والارساليات التبشيرية في الفكر السوري ١٨٦٠ ـ ١٩١٨ » . وفي أيلول من عـام ١٩٥٨ بارح لندن الى الكويت ليعمل في وزارة الارشاد والانباء والتقى بالعالم الاديب الدكتور احمد زكي في التخطيط لاصدار مجلة عربية تتفق عليها حكومة الكويت الشقيق ، واخيرا اسفر الجهد المشترك عن صدور اول عدد من مجلة « العربي » في كانون الاول ١٩٥٨ ، وعـين الدكتور احمد زكي رئيسا لتحريرها والدكتور محمود السمره نائبـا له ، وظل الدكتور السمره يشغل نيابة رئاسة التحرير منذ صدور العددالاول من «العربي» الى ان تركالعمل فيها عائدا الى الاردن. وخلال السنوات التي امضاها في الاشراف على هذه المجلة الكبرى تولى فيها تحرير باب « كتاب الشهر » بالاضافة الى مقالات منوعة كانـت تنشر بقلمه بدون توقيع .

وفي صيف عام ١٩٦٤ استقال الدكتور السمره من عمله فـي « العربي » وعين استاذا مساعدا للادب العربي في الجامعة الاردنية . وفي شهر تشرين الاول من عام ١٩٦٦ رقي الى درجة اسـتاذ النقـد والبلاغة في الجامعة الاردنية وفي العام نفسه انتخب عضوا في مجلس الجامعة ، وفي شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٧ عين وكيلا لكلية الاداب في الجامعة الاردنية وما زال فيها على رأس عمله .

من الكتاب العرب الذين تأثر بهم الدكتور السمرة ، عندما كـان يطلب العلم في الكلية العربية ببيت المقدس ، الكاتب العربي الساخر ابراهيم عبدالقادر المازني . ومن الكتاب البريطانيين الذين تأثر بهم :

١ ـ René Wellek ـ في النقد ،
٢ ـ Hemingway ـ في الروايـة ،
٣ ـ Chekhov ـ في القصة القصيرة ،
٤ ـ William Blake ـ في الشعر ،

ونشر الدكتور السمره عشرات المقالات في كبريات المجلات العربية، وأول مقال نشره في مجلة « القلم الجديد » بعنوان « المأساة في الادب الحديث » وأول مقال نشره في مجلـــة « الاديب » قصة فلسطينية بعنوان « اقوى من الحب » وهذه القصة اختارها نفر من الاساتـذة الاردنيين الذين تولوا تأليف كتب القراءة العربية للمعاهـد التابعـة لوزارة التربية والتعليم الاردنية ، كما نشر مقالات في مجلة «العربي» ومجلـة Middle east Forum

وبالاضافة الى المقالات والفصولالنثرية التي دبجتها يراعة الدكتور السمره فقد قرض الشعر منذ كان طالبا في ثانوية حيفا ، لكنه هجـر النظم بعد عودته من لندن الى أرض الوطن ، وامنية هذا المفكر الاديب ان يسعفه الوقت بفراغ ليعبر عما بنفسه في قصص تكون في مستوى فهمه لفن القصـة .

من آثاره القلمية : كتب الدكتور السمره عشرات المقالات فـي النقد والادب والقصة واسفر الجهد الذي بذله في دنيا القلم عـن تزويد الخزانة العربية بالمؤلفات المطبوعة التالية :

(١) مقالات في النقدالادبي ، طبععام١٩٥٩ ، (٢) القصة السيكولوجية طبع عام ١٩٦٠ ، ٣) هنري جيمس ، طبع عام ١٩٦٢ ، (٤) ارنست همنغواي ، طبع عام ١٩٦٢ ، (٥) روائع التراجيديا ، طبع عام ١٩٦٤ ، (٦) فن المسرحية ، طبع عام١٩٦٥ ، (٧) القاضي الجرجاني ، طبع عام١٩٦٦

ومن آثاره تحت الطباعة :

(١) غربيون في بلادنا ، (٢) ادباء الجيل الغاضب ، (٣) قضايـا نقديـة .

والشعارات التي يحملها الدكتور السمره في حياته تتلخص في هذه الكلمات :

ـ غناك في نفسك ، وقيمتك في عملك ،

ـ اعظم شيء في الدنيا هو الفكر ، فهو الذي يستطيع ان يبتكر وينتج ما تعجز عنه كل المعدات والالات الحاسبة مجتمعة ، وحتى هذه ليست سوى نتاج من انتجة الفكر الانساني !

نموذج من نثره : في الرابع من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠ ، توفي الكاتب الانساني البير كامو ، عندما اصطدمت سيارته بشجرة ، وهو في طريقه الى باريس ، وبهذا صمت ، الى الابد ، الصوت الذي عبر عن قلق عصره اصدق تعبير .

ويبدو لي ان كامو هو واحد من اولئك المفكرين من امثال « تين » و « هربرت سبنسر » ، الذين خلقوا لعصرهم ، ومثل هؤلاء المفكريـن عادة هم اكثر المفكرين تأثيرا في مجتمعاتهم . وهذا هو السبب فـي ان كتابات « كامو » تركت دويا ، واستحقت تقديرا ، لانها عكست روح العصر ، وعبرت عنه . حتى ليذهب النقاد الى انه اكثر كاتب ، بعد « مالرو » يقبل الفرنسيون على كتاباته . وهذا هو السبب ايضا في ان الجدل الذي دار حول انتاج كامو ، والنقد الذي كتب عنـه ، يفوق ما كتب عن أي كاتبمعاصر ، حتى ليفوق ما كتب عن «ت.س.اليوت» .

لقد كان كامو متدينا دون دين ، وسياسيا دون حزب (فقد ترك الشيوعية) ، وفيلسوفا دون فلسفة موضوعة) فقد انفصل عن الوجودية) ، وكان مؤمنا عميق الايمان بالانسان الفرد وبالانسانية ، وبضرورة الكفاح من اجل العدالة والحرية . وكان مؤمنا منذ كتابه الاول ، بأن مهمته فـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحياة هي ألا يعيش في الخداع ، وان يجعل من نفسه الصوت الناطق باسم الانسان المضطهد المظلوم . واول خطوة يجب ان يخطوها الانسان لتحقيق هذه المثل ، في رأيه ، هي ان يبدأ بنفسه ، فيقول : « ان اكبر معركة يجب ان يخوضها الانسان ، هي معركته مع نفسه .. معركة ينتصر فيها حب العدالة على شهوة الحقد ، وتستسلم فيها الكراهية والعنف والتعصب الاعمى ، لكل ما هو نبيل في الانسان » .

من اجل هذه الدعوة ، ومن اجل الانتاج الادبي الرائع الذي صاغ فيه هذه المعاني ودعا اليها بحرارة ، نال جائزة نوبل للاداب . ونجد هذه المعاني كلها في انتاجه كله .

وكامو الانسان ، جم التواضع ، قوي الحجه ، عذب الحديث ، خال من المرارة التي نجدها عند الوجوديين ، وهو الى هذا شديد التمسك بما يؤمن به من مبادىء ، وقد اثار حتى اعجاب من لايشاطرونه الرأي ، وذلك باخلاصه وتفانيه وصدقه وجرأته .

ولد كامو في الجزائر عام ١٩١٣ من ابوين من مزيج من الدم الفرنسي والاسباني ، وتوفي الاب والبير ما زال طفلا ، فنشأ في فقر مدقع ، والتحق بالمدرسة ، فعرف فيه مدرسوه النجابة والذكاء وحبه للعبة كرة القدم ، ونال منحة دراسية لدخول دار المعلمين ، وكان من الممكن ان يعمل في التعليم بعد تخرجه، لو لم يداهمه مرض السل ، وهو ما زال في سن السابعة عشرة .

وشفي كامو بعض الشفاء من مرضه ، وتنقل بين اعمال متعددة بسيطة قبل ان يتفرغ للكتابة ، وعشق المسرح ، فاسس في الجزائر فرقة من هواة المسرح اسماها « مسرح العمل » ، والتحق بـ « فرقة راديو الجزائر المسرحية » ، ثم اسس « الفرقة المسرحية » ليقدم التمثيليات لعامة الشعب . وقد مكنته خبرته هذه من اتقان الفن المسرحي . وساح في اوروبا كثيرا ، ولم يستقر في فرنسا الا عام ١٩٤٠ حيث عمل في جريدة « باري سوار » ، ولكن الجزائر بقيت هي وطنه الذي يحن اليه ، ويهفو اليها قلبه .

ونجد في كتابات « كامو » التي نشرها قبل اندلاع نار الحرب العالمية الثانية ، مثل مجموعة مقالاته الافراح (١٩٣٨) احساسا عميقا بجمال البيئة الجزائرية من جبال وشمس وبحر ، ممزوجا بالاحساس بقسوة الفقر ، وآلام البشر . ولم يكن كامو قادرا على ان يخمد صوت هذا الالم ، بل لم يكن حتى مستعدا لان يخدع نفسه عن واقع هذا الانسان ، وهو الذي جعل مهمته الا يعيش في الخداع .

واشتعلت الحرب الاهلية الاسبانية ، ثم تبعتها الحرب العالمية الثانية ، لتؤكد له شقاء هذا الانسان ، وقد اصبح هذا الانسان المعذب ، من كل جنس ولون ، هو المحور الذي تدور حوله كتاباته . وفي عام ١٩٣٨ ايضا ، كتب مسرحية « كليغولا » وهي عمل ادبي رائع من ابن خمس وعشرين سنة ، وفيها جعل كامو الامبراطور الروماني رمزا « للانسان الاحمق » ولكنه مع هذا جعله يدرك ، بما له من بقية عقل ، مدى حماقة هذا الوجود .

وقد زاد آراءه توضيحا اثناء الحرب باصداره كتابين جلبا له الشهرة ، هما : « الغريب » (١٩٤٢) و « اسطورة سيزيف » (١٩٤٢) . والكتاب الاول قصة مكتوبة بصيغة المفرد المتكلم ، بطلها قاتل سفاك محكوم عليه بالاعدام . والكتاب الثاني بحث في الانتحار : فالفكرة المسيطرة عليهما كليهما هي مشكلة الموت . ولعل انشغاله بهذا الموضوع ، يعود الى ما شاهد بعينيه من مآسي الحرب ، كما يعود ايضا الى ما كان يعاني في جسمه من مرض . لقد تلفت كامو حوله ليرى ان مشكلة الوجود هي الموت ، ولكن لم يبلغ به التشاؤم حد ان يرى رأي « ريلكه » الذي قال : « ان اهم شيء في الحياة يمكن ان يقوم به الانسان هو ان يسلب نفسه الحياة ، اي ينتحر . لقد رأى كامو غير هذا : رأى ان الانسان المعاصر شبيه بسيزيف في الاسطورة اليونانية ، الذي عاقبته الالهة بالشقاء الدائم بأن ينقل صخرة من قعر الجبل الى قمته ، فاذا وصل الى القمة بعد انهاك ، عادت فتدحرجت ، فعاد اليها يرفعها .. عملية من الشقاء لا تنتهي . هكذا بدت الحياة لعيني كامو : شقاء مستمر ، وعبث لا طائل تحته ، ولكن علينا مع هذا ان نتحملها بتجلد ، لا ان نفر منها . هذا الصراع بين الموت والحياة واليأس والامل ، هو ما نجده في كتابات كامو . وقد عبر عن هذا التناقض الازدواجي خير تعبير في كتابه « الانسان المتمرد »

ولما هزمت فرنسا امام قوات النازية ، عمل في الخفاء محررا في جريدة « كومبا » لسان حال حركة المقاومة السرية ضد القوات المحتلة ، وكتب في هذه الفترة الحرجة الكثير ، فما جلت قوات الاحتلال الالماني عن فرنسا ، وانتهت الحرب ، حتى كان اسمه يتقدم اسماء كثير من معاصريه من مشاهير الكتاب .

وبعد انتهاء الحرب ، وجلاء القوات النازية عن فرنسا ، اقترن اسمه باسم « جان بول سارتر » ، فقد تصادقا وكانا المفكرين اللذين حددا للفكر الفرنسي خط سيره ، بعد ارهاصات الاحتلال الالماني . وعمل كامو مع سارتر و « سيمون دي بوفوار » ، بعد تحرير فرنسا ، على الاستمرار في اصدار جريدة « كومبا » اليسارية . وبعد ثلاث سنوات ، هجر اليسار والسياسة ، ولم ينس له اليساريون هذا العمل ، واعتبروه خيانة منه . وقد برر كامو هجره للسياسة بقوله : « ان السياسة تقود الى العنف والثورة ، والثورة تؤدي دائما الى الطغيان » ، وما يريده هو ان يكون هناك تمرد على الظلم على الا يقود الى ظلم مثله .

لقد خيل لكامو حينا انه قد يكون في اليسار انقاذ لهذا الانسان ، ولهذا انضم لهذه الحركة ، ولكنه لم يلبث ان انفصل عنها فهاجمه « سارتر » ، ولم ينل من انضمامه لهذه الحركة غير اكتسابه لعداوة صديق . وهنا تبدت الحقيقة لعيني كامو ، فهو كاتب اولا واخرا ، وهو وان ساهم في الشؤون السياسية احيانا ، الا انه يصعب عليه ان يقولب نفسه ضمن اطار عقائدي .

لقد خلف كامو السياسة وراءه وتفرغ للادب ، وفي عام ١٩٤٧ صدرت له قصة « الطاعون » وهي اول قصة جلبت له شهرة عالمية . والقصة في معناها الظاهري قصة طبيب في مدينة وهران وقد اصابها الطاعون عام ١٩٤٠ ، ولكنها في معناها البعيد ترمز بالطاعون الى مأساة الانسان الحديث بتصويره ذلك العبء من الظلم والالم والموت الذي يثقل كاهله .

وعاد كامو يكتب للمسرح ، فمثلت له في باريس مسرحية « العادلون » في ١٥ ديسمبر ١٩٤٩ . والعادلون عند كامو هم اولئك الذين لا يرضون بعالم اصبحت فيه الحرية امتيازا لشعب دون آخر ، لان الحرية في رأيه من حق كل فرد في كل شعب ، « والحرية نفسها تصبح سجنا ما دام على وجه الارض انسان واحد مستعبد » . وقد نجحت هذه المسرحية نجاحا ملحوظا ، ولعل السبب في هذا النجاح يعود الى تمكن كامو من فن المسرح ، والى اسلوبه المتميز باللفظة الموحية ، والمعاني الواضحة ، هذا بالاضافة الى ان شخصياته التي تعاني من الصراع الداخلي والقلق ، هي شخصيات يمكن تجسيمها على المسرح .

وبعد « العادلون » صدر لكامو ما يمكن ان يعد اخلد انتاج له ، وهو « الانسان المتمرد » (١٩٥٢) وصدرت له قصة « السقوط » بعد ذلك (١٩٥٦) ، وهي قصة لم يستحسنها حتى المعجبون به ، ثم لتتلوها بعد ذلك مجموعة اقاصيص .

لقد رفع مجموع هذا الانتاج كامو الى مرتبة الادباء العالميين المرموقين ، فمنح من اجل هذا جائزة نوبل للاداب عام ١٩٥٧ ، وكان من قبل ١٩٤٧ قد منح جائزة النقاد الفرنسيين على كتابه « الطاعون »

وقد اختار كامو بنفسه ، قبل وفاته ، مجموعة مقالات ومحاضرات، كتبت والقيت بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٥٨ ، وقد نشرت هذه بعد وفاته،

ولم يضف اليها الناشر سوى الكلمة التي القاها كامو عند تسلمه جائزة نوبل للاداب . وقد صدرت هذه في ترجمتها الانجليزية في لندن في عام ١٩٦١ . وفي عام ١٩٦٢ ، اختيرت احسن عشرة كتب صدرت باللغة الانجليزية في عام ١٩٦١ ، فكانهذا احدها • وهي تبدأ بمقالاته الشهيرة « رسائل الى صديق الماني » ، ثم مقالات اهمها : تحرير باريس ، والطغيان ، ودفاع عن الحرية ، واسبانيا ، والجزائر ، وهنغاريا ، وعقوبة الاعدام ، واهم ما تتسم به هذه المقالات هو نفاذ البصيرة ، والصدق ، ومحاولة ايجاد حلول بناءة للمشاكل التي يتناولها .

وقد نشرت « رسائل الى صدق الماني » لاول مرة بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ، وذلك ردا على قول صديق الماني قبل الحرب الثانية : « ان عظمة بلادي يهون في سبيلها اي ثمن . وكل وسيلة تؤدي الى هذه العظمة محبوبة عندي مستساغة » . وخلاصة رد كامو عليه : ان كلمة « بلاد » و « وطن » في مثل هذه الحالة يصبح معناها العصبية العمياء المتعطشة للسفك والتدمير ، والانسان الشريف لا يمكن ان يرضى ان يكون مواطنا في مثل هذا الوطن ، ومن اجل هذا كان كامو يكره الفاشية .

وفي مقاله « الملحد والمسيحيون » يهاجم رجال الدين الذين يباركون حكم الاعدام فيقول : « عندما يبارك الاسقف حكم الاعدام ، يكون في رأيي قد خرج عن دينه ، وحتى عن انسانيته » . ومقاله « آراء فيعقوبة الاعدام » من خير ما كتب كامو من مقالات ، فهو يبدأ بوصف ما يعانيه المحكوم عليه قبل تنفيذ الحكم ، ثم يتهم المجتمع بانه هو المسؤول عن كون المجرم قد اجرم . وهذا المقال هو اطول مقال في الكتاب ، وهو مشحون بالعاطفة والفكر ، ولعله خير ما كتب حول هذا الموضوع ، فهو يتفوق فيه على ما كتبه « آرثر كويستلر » في هذا .

ومقال « آراء في حكم الاعدام » يذكرنا بقصة « الغريب » : ففي كليهما نجد شبح الانسان المحكوم عليه بالاعدام يحتل تفكيره . وكامو يجد فرقا كبيرا بين الانتحار والحكم بالاعدام ، فيقول في قصته « اسطورة سيزيف » ان الانتحار مناقض للاعدام ، ففي الانتحار يتخلى الانسان عن حريته ، وفي الاعدام يسلب هذا الانسان حريته ، وليس هناك اشد تعلقا بالحياة من الانسان المحكوم عليه بالاعدام . ونحن جميعا في الواقع محكوم علينا بالموت ، ونحن في صراع معه ، ولهذا فان علينا جميعا ان نتكاتف لنقف في وجهه ، وهذا هو اول واهم مجالات التكاتف الانساني ، ومن هنا وجب علينا مقاومة الانتحار والاعدام .

ومقالاته او محاضراته عن القضية الجزائرية ، تحتل ٣٢ صفحة من الكتاب ، وهو يتهم فرنسا فيقول : « ان نفوس الفرنسيين مليئة بالحقد ، وهو حقد اسود ارفض ان اشارك فيه .. لقد كلفتنا هذه القضية كثيرا ، وما زالت تكلفنا » ولكنه مع هذا تنكب عن ان يخطو خطوة ايجابية لحل هذه القضية ، فقد ترك شؤون السياسة للساسة .

لقد قضى كامو حياته جاهدا لتوضيح آرائه والدعوة اليها بحرارة : كاتبا قصصيا ، ومسرحيا ، وفيلسوفا ، حتى وافاه القدر المحتوم عند جذع شجرة حمقاء ، وهو في سن السادسة والاربعين ، ولم يكن قد عبر بعد عن مواهبه الفائقة تعبيرا كاملا ، تاركا وراءه زوجة محزونة ، وطفلين . وقد رثاه صديقه اللدود « سارتر » فكان مما قاله فيه : انه احد اخلاقيي العالم الكبار المؤمنين بالانسان . وهكذا كان .

٢ ـ الدكتور بندلي صليبا الجوزي

في النصف الاول من القرن العشرين لمع نجم الدكتور بندلي صليبا الجوزي كعلم من أعلام الاستشراق واللغات السامية في روسيا ، واشتهر كمؤرخ عربي كبير ، وباحث لغوي تولى كرسي العربية في جامعة قازان حتى نهاية الحرب العالمية الاولى . وانتقل بعدها الى جامعة باكو (في مدينة باكو الواقعة على بحر قزوين) وظل يدرس العربية فيها حتى وافته المنية هناك ، ويصفه المستشرقون بانه كان مرجعا خصبا من مراجعهم وعرف عندهم باسم Pandali

ولد الجوزي في مدينة « بيت المقدس » وتلقى علومه في كلية « دير المصلبة » الارثوذكسية بالقدس ، ومنها قصد مدرسة « كفتين » الارثوذكسية (من أعمال طرابلس الشام) وهي في أوج ازدهارها وشهرتها وتمكن من اللغة العربية وهو في السابعة عشرة من عمره ثم سافر الى روسيا عام ١٩٠٤ والتحق بجامعة « قازان » واحرز منها درجة ماجستير . وعلم في السمنار الروحي وفي الاكاديمية الروحية بمدينة قازان ، وتزوج آنسة روسية من أسرة فيستو غرادوف . وبعد زوال الحكم القيصري انتقل الى مدينة باكو وعين استاذا للادب العربي في جامعتها .

ولم ينس الدكتور الجوزي مسقط رأسه ، فقد زاره ثلاث مرات هي : الاولى : في عام ١٩٠٨ مع لفيف من طلابه الروس الذين حملهم ايمانهم على حج الاماكن المقدسة . الثانية : في عام ١٩٢٧ ، وخلال هذه الزيارة القى محاضرات قيمة في التاريخ والحركات الفكرية عند العرب والمسلمين ، وفي تاريخ التمدن عند العرب . الثالثة : في عام ١٩٣٠ وقد القى الدكتور الجوزي خلالها سلسلة من المحاضرات الاجتماعية والفلسفية في نوادي وجمعيات امهات المدن الفلسطينية ، كما زار القاهرة مع صديقيه المرحومين خليل السكاكيني وعادل جبر فاحتفى بهم اهل الفكر بوادي النيل .

وكتب الجوزي في كبريات المجلات العربية كالمقتطف والهلال والنفائس العصرية وكان يحسن ثماني لغات حية هي : العربية والسريانية والعبرية واليونانية والفرنسية والالمانية والانكليزية والروسية .

من آثاره القلمية : ترك الجوزي طائفة من المؤلفات العربية والروسية عرفنا منها : (١) تاج العروس في معرفة لغة الروس (جزاءن) (٢) الامومة عند العرب (مترجم عن ديكلن الهولندي) . (٣) مبادىء اللغة الروسية لاولاد العرب (جزءان) . (٤) الاسلام والتمدن . (٥) الطاعون واعراضه والوقاية منه . (٦) رحلة البطريرك مكاريوس ابن الزعيم الى بلاد الكرج . (٧) علم الاصول عند الاسلام . (٨) الحركات الفكرية في الاسلام (طبع عام ١٩٢٨ في بيت المقدس ونال بكتابه هذا الدكتوراه من جامعة موسكو) . (٩) اصل الكتابة عند العرب . (١٠) اصل سكان سورية وفلسطين المسيحيين . (١١) جبل لبنان : تاريخه وحالته الحاضرة . (١٢) امراء غسان (الفه المستشرق تيودور نولدكه وترجمه الجوزي الى العربية بالاشتراك مع الدكتور قسطنطين زريق ونشرته أكاديمية العلوم البروتستانتية في برلين وطبع في بيروت عام ١٩٣٧) . (١٣) تاريخ آذربيجان : لابن الاثير طبع عام ١٩٤٠ (١٤) العلاقات الانجلو مصرية طبع عام ١٩٣٠ . (١٥) المصطلحات العلمية عند العرب المعاصرين طبع عام ١٩٣٠ (١٦) القاموس الروسي العربي (جزءان) . (١٧) تاريخ كنيسة اورشليم .

ويقدر اصدقاء هذا العالم العربي مؤلفاته باللغة الروسية ، بين موضوع ومنقول ، بستة وعشرين مؤلفا ، وترك تسع مخطوطات بالروسية ومخطوطتين بالعربية .

٣ ـ زهدي جار الله

يشترك « زهدي » مع كونفوشيوس حكيم الصين ، وفيلسوفها القديم في قوله : « ان حب التاريخ ودراسته وفهمه من شروط الحاكم الصالح واستقرار حكمه ! » .

ولد في القدس عام ١٩١٤ وانهى دراسته الابتدائية في الكلية الرشيدية ودراسته الثانوية في الكلية العربية عام ١٩٢٩ . وانتسب الى الجامعة الاميركية في بيروت ونال عام ١٩٣٢ بكلوريوس في التاريخ ، وفي عام ١٩٤٤ حصل على بكلوريوس في تاريخ العرب من

الغـروب

أنا كم أرقت لوهـج الغـروب ... وسحر الضياء وجدب الدروبِ
أما فيه مـن شاحبات الاماني ... وذوب الحنايا وعتب القلوب
ظلال ترف ، وبـوح يشف ... وذكرى تولت لعهد غريب
فمنها حنيني يـدوي صداه ... فأمتد فيهـا عنيف الدبيب

فذوب الضيـاء وزحف المساء ... يشد الضلوع اليـك حبيبي
يذكرنـي بضيـاع العهـود ... وموت الشذى وخفوت الوجيب
يذكرنـي بـدوي الجفـاف ... وعصف الريـاح وصمت المجيب
وأنـي بدنياك بقعـة ظـل ... تمـر بهـا عنـد كـل غـروب
وتجتازهـا سـادراً لا تبالـي ... الى غيرها فـي مداك الرحيب

دمشق — سلافة العامري

الجامعة نفسهـا .

وعاد « زهدي » الى فلسطين وعين استاذا للتاريخ في ثانويات حيفا والناصرة والخليل والرملة والعامرية بيافا . وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) بارح فلسطين الى بغداد وعين استاذا للتاريخ في « كلية الملكة عاليه » وظل يعمل فيها مدة ست سنوات (١٩٤٨ ـ ١٩٥٣) . وانتقل الى السعودية وعمل مترجما ثم كبير التراجمة في شركة الارامكو بالظهران (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨) واختارته شركة الارامكو رئيسا لتحرير البرامج في محطة التلفزيون التي تملكها الارامكو فمستشارا لهذه المحطة من (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) . وفي عام ١٩٦١ قدم بيروت وعين مديرا لمؤسسة الشرق الاوسط للتحرير والترجمة والنشر .

من آثاره القلمية : صنف الاستاذ جارالله كتبا مفيدة توضح ميوله واتجاهاته الادبية ، ولو انه كرس قلمه للتاليف لكان للمكتبة العربية حصيلة غزيرة من هذا القلم السخي . ودونك اسماء ما وقفنا عليه من آثاره القلمية :

(١) المعتزلة طبع عام ١٩٤٨ . (٢) صرخة الروح طبع عام ١٩٥٨ (مجموعة مقالات ومحاضرات وقطع ادبية) . (٣) الشخصية الاميركية (مترجم من الانكليزية) . ومن كتبه المخطوطة : (١) الفيلسوف السهروردي . (٢) علم النفس في الادب العربي القديم . (٣) الاخطاء الكتابية . (٤) التصوف الاسلامي .

نموذج من نثره : « رحماك يا نفسي ! لقد علمتني الطموح ، وعودتني الا اقنع الا بكل عظيم ، وصورت لي هذا العالم جحيما ابديا وظلاما سرمديا ، وقلت : انظر الى الاعلى .. هناك .. حيث النور والحرية ! ..

وانطلقت كالسهم ، وانا اتبعك ، الى العالم الذي تهوين ... ذلك العالم الذي زينته بآمالك ، ووشيته باحلامك ، واعرته حلة زاهية من نسيج خيالك .. لكنك في منتصف الطريق خذلتني ، وخليتني بين السماء والارض معلقا تائها ، لا بالعالم الذي كنت فيه احتفظت ، ولا الى العالم الذي تنشدين وصلت . رحماك يا نفسي !

لقد سقيتني من آمالك كاسا سرت في جسمي حمياها ، فاختلطت بلحمي وامتزجت بدمي ، وعرتني نشوة عميقة اطربتني وطارت بي على اجنحة الخيال ، وانت الى جانبي ، فادخلتني الجنة .. فخيل لي انني اختال في يوم اغر ضاحك بين الآس والسوسن ، ورايتني تحت دوحة مزهرة عطرة ارقب الحور في الغدران يسرحن الضفائر المسترسلة ، وينشرن الغدائر السمراء في الماء اللجين ناعمات مغنيات ، وأرمق الظباء وهي تخطر على ضفاف الجداول بين الحدائق السندسية آمنة مطمئنة ، وأرنو الى البلابل وهي تطفر من غصن الى غصن ، الى آخر شادية مترنحة تصدح بانغام الحب ، وتسبح باسم الرب .. وبينا انا ماخوذ بتلك المناظر الخلابة اذا بك تهزينني وتقولين : هذا هو الفردوس الذي وعد به المتقون الابرار الذين قدموا في حياتهم صالح الاعمال .. فجعلت أجد وأكد واعد له العدة حتى حرمت في سبيل ذلك لذة الحياة ومتعتها ، وحتى صرت أقوم باعمال وحركات حسبتها لي وزعمت انها تطهر الجسد من الادران ، وتخلصه من سلطان المادة .

لقد صبرت صبر أيوب ، غير اني صدفت عن الطريق التي قدتني اليها ، وخلفتني وقد عقلت الحيرة يدي وعصر الاسى قلبي ، لاني في دنياي ما تممت ، ولا من جنتك طعمت !

رحماك يا نفسي !

أنت أرضعتني لبان العلم ، وغذيتني بالحكمة والمعرفة . انت نفضت عني غبار العصور الماضية ، ورفعت عن عيني غشاوة جهل القرون الخالية . لقد طالما سمعتك تهتفين في اعماقي : ادأب على الدرس والعمل .. سر نحو المجد بخطى ثابتة وثابة فانه لا يلقى العلاء الا من سما لها ، وانت تشجعينني وتمهدين السبيل امامي ، في الادغال بقلب غير هياب ، حتى اذا اتسق لي ما حاولت ، وتحقق ما املت ، وصرت قادرا على ادراك الاشياء والمفاضلة بين الامور ، ابتعدت عني قبل ان اصلح فسادها ، أو ابيض سوادها . لقد تركتني مضطرب الفكر ، معذب الضمير ، لاني في جهلي ما بقيت ولا بعلمي افدت !

رحماك يا نفسي !

أنت اخرجتني من بيتي الصغير المتواضع ، وأسكنتني قصرا منيفا صاخبا شيدته فوق طبقات الهواء على اساس من آمالك ، ودعائم من أحلامك ، ثم ما لبثت ان هبت العاصفة فقوضت اركانه ، وهدمت بنيانه ، فاصبحت شريدا على وجهي هائما ، لاني ببيتي العتيق ما قنعت ، ولا من قصرك الشاهق انتفعت !

رحماك يا نفسي !

فقد اخترتك للصحبة ، وادخرتك للنكبة ، وكنت أرى فيك اكبر عون وخير نصير ، فما بالك تتنكرين وتنفرين مني ؟ انا الذي لم احملك وزرا ، ولم اكلفك نكرا ، ان تريدي قهري وتتعمدي قسري !

رحماك يا نفسي ... رحماك ! » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر النسائي

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

قد يزعم غير واحد، ان للشعر النسائي طابعا خاصا يترجم عن انوثته ، فقد يكون الزعم صحيحا الى حد ما ، الا ان المطلع على شعرهن يعلم الا فرق بين ما نظمته الانثى وما ينظمه اخوها الرجل ، فكلاهما واحد من حيث الاسلوب والسرد وانتخاب الالفاظ الا ان هناك ميزة غير ظاهرة في الشعر النسائي . فاذا ما تفزلت المرأة ، رايت او احسست ان روحا مكبوتا في صدرها ، وان شئت فقل نفسا محصورا ، تقدر ان تصعده بحرية او تفصح به كالرجل ، فقد تأخذها روعة الحياء ، فتشير الى ما تريد اشارة حفية ، قد تتصيد المعنى كما في قول اسماء المربة ، وهي من شواعر الجاهلية تذكرت حبيبا لها في نجد ، فذكرته على التلميح ، ومن خبرها ، انها تزوجت رجلا من تهامة فقالت له : ما فعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا ، ما رأيتها هنا ، فقال : يحجزها عنا هذان الجبلان ، فقالت :

ايا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست على قلب محزون تجلت همومها

ولا احدثك عن ريح الصبا وما ارادت بها فالبيت الآتي وما بعده كفيل بالانباء عما يجول في جمع قلبها :

أجد بردها او تشف مني حرارة على كبد لم يبق الا صميمها (1)
ايا جبلي وادي عريعرة التي نات عن نوى قوم وحم قدومها
الا خليا مجرى الجنوب لعله يداوي فؤادي من جواه نسيمها

وهذه عشرمة المحاربية ، جلست تستعرض ماضيها وقد اصبحت عجوزا حيزبونا ، يوم كانت ترفل بحلة من الشباب خضراء ، قد ذاقت حلو الحياة على انواعها على حد قولها :

جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففقتهم سبقا وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي أبلي
ولا شربوا كاسا من الحب مرة ولا حلوة الا شرابهم فضلي

ويؤخذ من اقوالهن جميعا ، كما بينت في كتابي « غزل النساء (2) ان الغزل في الجاهلية عند المراة لم يكن صورة منتزعة مما تقع عليه العين في عالم الطبيعة ، وانما كان احساسا نفسيا يبعثه عن شهوة ملحة في القلب وعن رغبة في خلوة مع الحبيب ، فما هو الا شعر يظهر متطلبات النفس وما تتمنى المراة من الرجل وتشتهي، واليك قول سعدى الاسدية :

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي كفاني ما بي من بلاء ومن جهد
ومن عبرات تعتريني وزفرة تكاد لها نفسي تسيل من الوجد
غلبت على نفسي جهارا ولم أطق خلافا على اهلي بهزل ولا جد
ولن يمنعوني ان اموت بزعمهم غدا خوف هذا العارفي جدث وحدي
فلا تنس ان تأتي هناك فتلتمس مكاني فنشكو ما تحملت من جهد

فلندع شواعر الجاهلية وصدر الاسلام ، وما بعدهما ونات الى عصرنا الحاضر فنسمع احداهن تقول :

الزهر فتح مرة والغصن أزهر ، ما عقد
والقلب ريش بسهمه اواه منه ، قد جمد
كيف السلو وها أنا أبكي ، وما لي من أحد

ففي هذه الابيات اشارة خفية الى ما يجول في خاطر الشاعرة ، على ان ذلك لا يقدح بشاعريتها ، وهي التي اتت بالكناية تعلن ما استتر من شعورها نحو الحبيب واذا كان الشعر من الشعور ، فللانثى شعور يفوق شعور الرجل كما اثبت ذلك بعض علماء النفس ، فهي تحس وتشتهي ، وترغب ، ولا لوم عليها فيما تقول وهو امر طبعي معلوم ، لا يقدر ان ينكره منكر ، الا اذا وضع يده على عينيه نهارا وقال : الشمس غير طالعة .

ويتميز شعر الانثى بقوة الخيال وصدق العاطفة وحسن الاشارة وهذه شاعرة اللاذقية « فتاة غسان » تقول :

واذكروا من مضت شهيدة عشق ما حوت في برودها غير طهر
لم تكن بالهوى تريد نوالا هكذا الحب والغرام العذري

قد تحس وانت تقرأ هذين البيتين ، ان فيهما حرقة وفيهما لوعة ، وفيهما منى وما اكثرها عند المرأة ، كما هي عند الرجل .

وقد ترى في شعرهن حكمة قد استقينها من التجارب التي مررن بها ، وحفظن ذكرياتها ، فجرت على اسلات لسانهن سحرا حلالا وقولا مأثورا ، والحكمة بنت الاختبار اكثر منها بنت التفكير والتأمل .

والشعر على علو شرفه ، لا يستقيم الا للنفوس الحساسة والارواح المجنحة ، والقلوب العامرة بالحب والصدق والاخلاص ، فهو باعث الراحة والطمأنينة في الافئدة ومزيل البؤس والكرب، والمؤنس بالوحدة والمطرب في مجالس السمر ، ومحيي موات ما كتبته الايام في الصدور اجيالا ، والناهض بالهمم الى الحياة المثلى فلا عجب ان مالت اليه الانثى الموهوبة ، وبعثت نفثاتها المالوجوى ، او فرحا ومسرة ، او زهرات حب ندية تكني به عن مستور في الصدر ، فلا تعلنه ، وتتشوق اليه لا تظهره ، تقية وحياء ، وكل محجوب محبوب ، وكل معروض مبذول ، وما احسن الرمز والاشارة واختم بقول زينب فواز :

كانني ميت لا روح في بدني اذ لا صديق اليه مشتكى حزني
لا الراح يوما ولا الاوتار تنعشني أصخرة انا ما لي لا تحركني
مجالس الانس والاقداح والغيد

عيسى ميخائيل سابا

(1) أجد مجزومة لانها جواب اذا ، واذا لا تجزم الا بالشعر فقط كقول الشاعر وقد استشهد به النحاة :
واستغن ما اغناك ربك بالغنى واذا تصبك خصاصة فتحمل
(2) غزل النساء نشر دار العلم للملايين بيروت ص ٢١ طبع سنة ١٩٥٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأثير القصة العربية في القصص الاوربي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

يحلو لبعض الكاتبين أن يعتركوا في غير معترك اذ يلوكون الاحاديث المعادة حول مكانة القصة في الادب العربي القديم ما بين معترف ومنكر ، وكان الظن ان امتداد الزمن معهذه المناقشات يصل بها الى رأي حاسم، ولكن شهوة الجدل تجعل منها معركة دائمة ، والحق سافر وضيء ، فنحن نعرف بداهة ان حب القصة يكاد يكون غريزة في النفس البشرية . ففي كل مجتمع بدائي او متقدم يتقابل الناس فيحكون ويروون ، واخبار العرب القدامى تروي كثيراً مما كانوا يسمرون به من اقاصيص فيها المثل والخرافة والقصة، حتى عرف بينهم قصاصون تروى عنهم هذه الانواع ، وامتلأت بها الكتب القديمة ، فاذا كانت القصة في معناها الساذج امرا فطريا يختلط بالنفس ، وتهوي اليه الافئدة ، ففيم النقاش اذن في غير مجال .

وقد تعرضنا في موضوع « الملاحم » المنشور بالاديب منذ عامين الى ما يقال عن قصور الذهن السامي عن التفكير الكلي ، فما يقدر ان ينتج ملحمة او قصة ، وعفينا عليه بما نملك من براهين ، وسنتعرض الان الى ما يقال من ان السبب في ضعف القصة العربية الاولى عند قوم ، وفقدانها نهائيا عند قوم آخرين هو الصحراء المجدبة التي عاش فيها اجدادنا العرب ، حيث لا تنوع في المشاهد ولا افتتان في المناظر ، بل رمال ممتدة ، ورياح هائجة ، وشمس محرقة ، فلا غابات تشق الفضاء بأشجارها الفارعة ، ولا كهوف تتحدث عن شعوب كانت تأوي اليها ، ولا قمم يكسوها الثلج ، بل كثبان وتلال وجبال موحشة جرداء مما يقصر بالخيال عن التحليق ، وهذا اغراق واهم لان الصحراء لم تفقد سحرها وقد ملأت خيال العرب بما نجد آثاره في قصص الجاهلية واساطيرها ذات الابداع .

وسبيلنا الآن ان نتحدث عن دور القصة العربية في انماء هذا الفن بالادب الاوروبي ، حيث وفدت اليه من جهات مختلفة ، اكبر جهة منها الاندلس العربية ، وقد كان من تأثيرها الملموس انها في نطاق القصة غيرت كثيرا من طابع الملحمة في ذكر الخوارق والتحليق مع الخيال ، وجذبت الرواية الاوروبية الى نطاق واقعي يتحدث فيه القصاص عن المجتمع الراهن بشخصياته العادية ، فمضت تعالج المألوف المشهود ، وكانت روعتها ان تسرد على الناس ما يشاهدون ويلمسون في اطار فني محكم ، وصار البطل انسانا عاديا يتألم ويأس ويأمل ، ويفرح ويحزن ، وليس ربا من الارباب يحطم منطق الحياة ليأتي بالمعجزات !! لقد تم ذلك كله على يد لون من الوان القصة العربية وهو المقامة ، فاذا اضفنا اليه اثر الالوان الاخرى في نهضة هذا الفن حفظ الباحثون للعرب مكانهم الادبي في مضمار حي يخيل الى الناس انهم عالة على غيرهم فيه ، والحقيقة التي يشهد بها التاريخ انهم امدوا القصة الاوروبية بمقومات رائعة ، ثم اتيح لهم ان يقفوا اغفاءة طويلة تقدمت اثناءها الرواية الغربية تقدما واثبا ، حتى استيقظوا من سباتهم ففتحوا عيونهم على نمط جديد من الفن ، فانطلقوا في عصرنا الحديث يحاكونه ويستلهمونه ولا يدرون انهم شاركوا في بنائه حين كان لبنات متواضعة لا ترتفع قليلا عن مستوى الارض ، ونحن لا ننكر الحق على اصحابه حين نعترف الان لهذا الفن بالنضوج والاكتمال في اوروبا ، ولكننا نطالب مع ذلك ان ينظر الى اثرنا البارز في نشأته ، وهو اثر تنطق به الحقائق دون افتعال !!

يقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه اثر العرب في الحضارة الاوروبية ص ٦١ « والذي نعتقده على اية حال أن العقل يأبى كل الاباء ان قيام الادب العربي في الاندلس يذهب من صفحة التاريخ الاوروبي بغير اثر مباشر على الاذواق والافكار والموضوعات والدواعي النفسية والاساليب اللفوية التي تستمد منها الآداب . وقد اقترنت بموضوعات الادب العربي اسماء طائفة من عباقرة الشعر في اوروبا بأسرها خلال القرن الرابع عشر وما بعده ، وثبتت الصلة بينهم وبين الثقافة العربية على وجه لا يقبل التشكيك او لا يسمح بالانكار ونخص منهم بالذكر بوكاشيو ودانتي وبترارك الايطاليين وشوسر الانجليزي وسرفانتيز الاسباني واليهم يرجع الاثر البارز في تجديد الآداب القديمة بتلك البلاد » وسنتبع الان خطوات هذا الاثر المباشر في مضمار القصة لنرى كيف اشتد جسمها الواهن بدم فائر منحه حرارة الفتاء ونشاط الشباب .

كانت مجموعة « ادب العلماء » اول كتاب يضم بين دفتيه قصصا عربية ذات طابع اسلامي ، وقد الفه يهودي تنصر سنة ١١٠٦ وشهد تعميده الفونسو الاول ملك ارغوان وقد جمع ثلاثين اقصوصة عربية او شرقية جاءت عن طريق الترجمة العربية فترجمها الى اللاتينية، وقد اعترف صراحة بأصلها العربي ، لانه يعلم عن يقين انجذاب القراء في الامم اللاتينية الى نوع جديد من الفن يتشوقون اليه ، ويعرفون ما لاصحابه من التفوق الفكري ، والنضوج الحضاري ، والجو العربي الاسلامي — مع ان المؤلف راهب نصراني وكان يهوديا من قبل — يملأ مجموعة ادب العلماء ، وهي بعد تتجه وجهة المواعظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحكم ، ففيها ذكر للقمان الحكيم وقصص عن تاجرين احدهما مصري والاخر بغدادي يذهبان الى الحج في مكة ، وقصة عن الوفاء والشرف بطلها اسباني مسلم يتوجه الى بيت الله الحرام ! وما جاء في المجموعة عن سقراط وارسطو ليس مما عرفه الكاتب عن ادب اليونان ولكنه مما ترجمته العربية لفلاسفة الاغريق في كتبها الذائعة وقد ترجم الكتاب ـ كما يقول الدكتور لطفي عبد البديع في كتابه الاسلام في اسبانيا ص ١٢٨ ـ « الى اللغات الاوروبية ونظم شعرا بالفرنسية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مرتين « كما نظم كتاب كليلة ودمنة في العربية من قبل » والمؤلفون القصصيون في اوروبا عالة عليه فيما اوردوا من قصص حاكوه في بعضها واقتبسوا منه في البعض الاخر ، مثل دون خوان مانويل والاربثر ستادي هيتا وبوكاشيو وشوسر وغيرهم » .

والطريف ان هذا المؤلف الذي يجمع كتابه القصصي من ثقافة العرب يسمي نفسه خادم المسيح ويقول ان قصص الكتاب توقف على ما في العقيدة الكاثوليكية من كمال مع اعترافه بالاصول العربية في مقدمة الكتاب اعترافا لا تنقصه الادلة ومن يقرأ قصة فرسان مصر وبغداد يجد نفسه في كتاب الف ليلة وليلة مما يدل على وجود اجزاء منه بالاندلس اذ ذاك !!

وقد اشتهرت في الادب الغربي قصة ابي القاسم ونيكلوت وقد الفها الشاعر الفرنسي اولدا نينف في القرن الثاني عشر من الميلاد وهي تشبه الى حد كبير قصة روميو وجولييت لشكسبير حتى جزم كثير من النقاد برجوع الشاعر الانكليزي الكبير الى الرواية الفرنسية ، والقصة القرامية عربية منقولة عن الاندلس فأبو القاسم بطل القصة كان احد حكام قرطبة في القرن الحادي عشر ، وسياق القصة في تركيبها الادبي نثرا يروي الوقائع وشعرا ينفس عن عواطف البطل يذكر ايضا بألف ليلة وليلة ، وكان المظنون ان هذا الكتاب تسرب الى اوروبا من الشرق اثناء الحروب الصليبية بل جزم بعض الذين تحدثوا عن بوكاشيو بذلك جزما لم يترك معه احتمالا لغيره ، ولكن امتلاء الادب الاسباني بمتشابهات حوادثه يدل دلالة قاطعة ان اجزاء كبيرة منه رحلت الى الاندلس العربية قبل ان تفد مع العائدين من الغزوات الصليبية بأمد كبير ! والى هذه الاجزاء الاندلسية وحدها يرجع كل ما جاء في مدونة الفونسو الحكيم مقتبسا من الف ليلة وليلة مما كان ملهما للكاتب الاسباني لب دي فيجا المسرحي الشهير وقد عقب على ذلك الاستاذ الدكتور احمد لطفي عبد البديع بقوله ص ١٣٦ من كتابه السابق :

« ومما يدل على ان الكتاب كان شائعا بين الناس في آخرة العهود الاسلامية باسبانيا ان بعض قصصه قد رواها الموريسكيون باللغة الاعجمية التي كانوا يكتبون بها كقصة قصر الذهب وما اليها ، هذا الى ان الباحثين تعقبوا طائفة من موضوعات قصص شهرزاد فوجدوا لها صدى في قصص اسبانية ، ومن ذلك المعجزة الثالثة والعشرون لبريثو وفيها يقذف المدين في البحر اموالا تصل الى الدائن وقصة ملك اليمن وابنائه الثلاثة التي تنسب فيها البطولة الى من ليس بطلا تشبه قصة الوعل ذي القدم البيضاء وقصة الفيور العجوز عند سرفانتيز لها أصل في قصة القاضي وابنة التاجر » .

وقد افاض الدكتور في نحو ذلك من ص ١٣٥ ـ ١٣٨ من كتابه المشار اليه . هذا بعض اثر الف ليلة وليلة في الادب الاوروبي ، اما اثر المقامات فلا بد ان نقف عنده متمهلين !

كان اسلوب المقامة المسجوع ورسفه في اغلال الصنعة البديعية مما باعد بينها وبين كثير من الادباء حتى خفى عليهم مغزاها الاجتماعي ووصفها الابداعي لعصر مضطرب متناقض من عصور التاريخ ! فوجدنا من اعلام الكاتبين من يصمها بما لا تستحق ـ فهي في رأي الاستاذ سلامة موسى وفي رأي الدكتور احمد امين ، ادب مكر واحتيال يصطنع بطله جميع المهن والحرف ليسلب اموال الناس ، هو مرة قراد يسير بقرده ليجمع الناس في حلقات فيضحكهم ويأخذ من اكياسهم ، وهو مرة واعظ محترف يلج المساجد لتدمع عينه ويرتل ايات الذكر ورقائق الوعظ وسير الصحابة ويتحدث عن مشاهد القيامة واهوال الجحيم لتعطف عليه القلوب فيرجع ملىء الوطاب بالدوانق والدراهم ، وهو مرة ثالثة ينحط الى دركات وبيئة فيسرق اكفان الموت ويحمل خادمه ليوقع في حبه المتهورين ويتخذ الفصاحة وسيلة هذا الكسب الذميم !! والحكم على المقامات من همذانية وحريرية بالانحطاط الخلقي والاسفاف النفسي خروج بالحق عن طريقه القويم ، لان من البداءة ان مؤلف الرواية حين يجعل ابطاله من نمط شاذ لا يصور نفسه في شيء ولكنه يرسم احدى الصور لوقائع مجتمعه ، والوان مصره وهواجس معاصريه ، فالفرض الحقيقي من نظم المقامات هو تصوير جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في القرن الرابع وما يليه ولذلك تعرض البديع ومتبعوه لوصف ما يرون من مثالب تقع عليها العيون ورسم ما يتفنن فيه المشعوذون والدجالون من انواع المكيدة وضروب الاحتيال كما يكشف الاعيب الماكرين من ذوي الصلاح الكاذب والنفاق المسموم مما لا نزال نراه في عصرنا الراهن ، واذا كان تصوير المجتمع من اهم خصائص الادب الواقعي في عصور الحضارة والتقدم فان المقامات قد انتحت هذا المنحى فعرضت صورا صادقة لما كانت تموج به الدنيا من خديعة واحتيال .

صحيح ان البطل الواحد كأبي زيد السروجي عند الحريري مثلا لا يمكنه ان يتقمص جميع الشخصيات في كل المقامات ، فهو تارة واعظ وتارة مهرج وتارة استاذ

مدرسة وطورا طبيب مرضى مما يتعذر فنيا قبوله، وهو نقد وجه الى الحريري والهمذاني ، ولكن الناقدين يغفلون شيئا هاما هو ان ابا زيد ليس مؤلفا وانما هو كممثل فقط ،والممثل يأخذ عن المؤلف ويلبس لكل حالة لبوسها باتقان فهو في مسرحية طبيب وفي اخرى مدرس وفي ثالثة محام ! اما كاتب القصة فله من سعة افقه ما يستطيع به تصوير الاشخاص المتناقضة كما يشاء ! وهل يعاب على شكسبير مثلا انه وصف الناس في مسرحياته او يحسب له ذلك في مجال التفوق والابداع !! واذا كانت هذه المقامات الرائعة قد وجدت من يزدريها من كتاب العرب وادبائهم فانها وجدت فيلسوفا فرنسيا ذائع الصيت كأرنست رينان يقول عنها في اعجاب ، نقلا عن ترجمة الاستاذ الكبير صديق شيبوب « بالبصير » ٢ ـ ١٢ ـ ٦١ :

« يجب علينا ان نتأمل كيف قاد الحريري شحاذه في خمسين موقفا مختلفا بقوة اختراع عجيبة ودقة تأمل في الاخلاق والعادات لنعلم المهارة والغرابة التي تنطوي عليها فكرة المقامات ، ارادوا ان يضعوا للقرن التاسع عشر مهزلة بشرية « يشير رينان الى مجموعة بلزاك المسماة بهذا الاسم » فلم يعرفوا كيف يجلونها في قالب مقبول في حين حقق الحريري هذه الفكرة للمجتمع الاسلامي في القرن الثاني عشر اما بلزاك فقد نقصته شخصية ابي زيد التي لا تكاد تلمسها حتى تفلت ، والتي تمثل في تهكم ادوارا مختلفة فلا يتبين الحارث بن همام من خلال هذا كله الا زي ممثل هزلي عجيب » .

انتقلت هذه المقامات الى الاندلس واحتفى بهـا ادباؤها شرحا ونقدا وتعليقا ، ومنهم من انشأ على غرارها مقامات مشهورة كمقامة ابي حفص عمر بن الشهيد ومقامة ابي محمد بن مالك القرطبي ومقامة عبد الرحمن بن فتوح ومقامة ابن المعلم وكلها مذكورة في ذخيرة ابن بسام ، كما وضع الدكتور احسان عباس بالجزء الثاني من كتابه عن الادب الاندلسي في صفحات ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ فهرسا طويلا بمن عثر عليه او سمع به من كتاب المقامات بالاندلس ! هذا الفهرس الطويل ذي الصفحات الاربع يطلعنا على مدى اهتمام الادباء بمعارضة المقامات ، واحتفالهم بها احتفال المقدر العارف ! اما من شرحوا مقامات الحريري بالذات من شيوخ الادب بالاندلس فكثيرون نذكر منهم عقيل بن عطية المتوفي سنة ١٢١١ وابا العباس احمد الشريشي المتوفي سنة ١٢٢٢ ثم ترجمت ايضا الى اللغات العبرية واللاتينية مما دعا علماء الادب المقارن الى القول بتأثيرها في ايجاد قصص الشطار المعروفة بالادب الاسباني، فاتجه الكتاب الروائيون بايحائها الى التحدث عن احوال المجتمع وظروف الاغمار من الناس ، واخذوا يفتحون عيونهم على ما يشاهدونه من خوالج الفرد العادي وكفاحه في محيطه واحتياله على اقتناص رزقه ثم ابدعوا روائعهم في هذا الاتجاه الواقعي متناسين هذه الاحلام الهادئة التي كانوا يملئون بها قصصهم الخيالية قبل ذلك متخدرين بأناشيد الرعاة، وتم لهؤلاء الاسبان من وراء ذلك كله قيادة الادب الاوربي الى عالم الواقع الملموس .

وقد اهتم الاستاذ الدكتور محمد غنيمي هلال بهذا التأثير الواقعي في كتابه « الادب المقارن » فضرب كثيرا من الامثلة الناطقة باقتباس قصص الشطار من ادب المقامات ، ونص على ان اول قصة من هذا الضرب القصصي في الادب الاسباني كان عنوانها « حياة لاسوريو ومحنته » وقد نشرت اول مرة سنة ١٥٥٤ ، وفيها وصف لطفل بائس كان ابنا لطحان فقير ، سجن والده لجريمة صغيرة كانت منه ومات في السجن دون عائل يرعاه ، فبدأ حياته شحاذا يتسول ، وقد اهتدى في حرفته الحقيرة بأعمى متمرس داهية كان يسن له طريق الشحاذة ثم يختلفان بعد حين لشراهة الاعمى وطمعه في ابتزاز صاحبه ! فيتركه ليعمل خادما لدى قس محترف يعيش على اموال الصدقات ، ويشاهد غرائب عجيبة من بخله وجشعه واثرته ثم يتركه هو الثاني الى خدمة نبيل يتشدق بعراقة منبته وهو فقير لا يكاد يجد ما يأكل فيضطر الى ان يتسول لحسابه ويعطيه من كسبه الشحيح ! والسيد النبيل يتعجرف عليه ويأبى ان يجلس معه على مائدة واحدة لانه سوقة وهو نبيل ! ثم ينطلق الى غيره فيرى من فضائح الشرف وهتك العفاف في اوساط دينية وملكية ما ينغص له الحياة .

هذه عناصر اول قصة تمثل ادب الشطار وصلتها بالمقامة لا تحتاج الى تبيين ! هذا وقد افاض الدكتور هلال في الحديث ايضا عن قصص الفروسية في الادب الاسباني وجعل الادب العربي ملهمها الاول ، ووضح الصلات القوية بين اقاصيص كريتيان دي تروا ، وسان بدروا وجارثي اوردوينس في صفحات ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ من الطبعة الثالثة وبين اقاصيص الفروسية والحب العذري لدى العرب ، ولم ينس المقامات في مطافه حيث عقد مقارنة هامة بين المقامة البشرية ذات القصيدة المشهورة للبديع :

افاطم لو شهدت ببطن خبث وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا
اذن لشهدت ليثا ام ليثا هزبرا اغلبا لاقى هزبرا

وبين قصة لانسيلو « الفارس ذو العربة » اذ يلاقي البطل محنا متوالية في تخليص حبيبته من السجن فيعبر على جسر حاد كنصل السيف فوق نهر مروع هائل يسمى نهر الشيطان ولا يستمع الى تحذير اخوانه ثم ينازل اسدين رهيبين في معركة ساخنة ينتقل منها الى مصارعة العملاق العنيف « ميلياجان » كل ذلك ليحوز رضا معبودته الحسناء ! وبطل البديع بشر بن عوان من هذا الطراز فهو يقوم بمغامراته الجنونية ليفوز بحبيبته التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحتجب عنه في قصر ابيها ويصارع الآساد والحيات مما يوحي بالتقارب الداني بين الاتجاهين !!

ومؤرخو الادب يذكرون ان اول قصة ظهرت في اوروبا تمثل الاتجاه الواقعي بعد ان كافحت في سبيل الظهور آمادا طويلة هي قصة باملا للكاتب الانجليزي رتشرد سن سنة ١٧٤٠ وكان ظهورها وليد المصادفة اذ طلب من المؤلف انيكتب سلسلة من الرسائل التعليمية بتثقيف الطبقة الوسطى ممن لم يصيبوا حظا من التعليم فخطر له ان يبدعها فينهج قصصي ليكون اشوق واجذب فأحدثت دويا رنانا لم يكن يتوقعه المؤلف وهي في مضمونها تعالج مسائل العفاف والشرف والتوبة والندم وقد جذبت الانظار اثناء تأليفها حتى كان القراء الذين يتابعون القصة مسلسلة في ابواب يلاحقون الكاتب ليخفف من وطأة حكمه على كلاريسا احدى بطلات القصة! واعتبرت بذلك اول قصة واقعية تتحدث عن مجتمع مشاهد متطور واشخاص يرون ويسمعون وجاز لبعض النقاد ان يبالغ فيضع رتشرد سن في مصاف هوميروس وشكسبير ! ولك ان تسأل عن بذور هذا الادب الواقعي فتجده في المقامات المترجمة الى اللاتينية ثم في قصص الشطار الاسبانية المتفرعة عنها ثم فيما يلي ذلك من الروائع حتى تصل اخيرا الى كبار القصاصين العالميين من امثال هيجو ودي موباسان وتشيكوف وعشرات من نظرائهم .

لقد تحدثنا عن الف ليلة وليلة وعن المقامات ، ولا بد ان نختم القول بكلمة عن كليلة ودمنة واثره العميق في ادب القرون الوسطى وما تلاها الى اليوم ، وكتاب كليلة ودمنة هندي نقل الى العرب عن طريق فارس ! ولكن الاصل الهندي كالصورة الفارسية مفقودان لم يعثر عليهما باحث في تراث الهند والفرس ، حتى ترجم الى الفارسية من العربية نفسها . ولك ان تضحك لهذه المفارقة حين تحتاج ادب من الاداب الى ما اعاره ادب آخر فيعود اليه ثانية بعد تحوير وتعديل لم يكونا لديه ! واقول بعد تحوير وتعديل لان ابن المقفع حين نقل الكتاب الى العربية تصرف فيه ببعض الزيادة على سبيل الجزم وببعض النقص على سبيل الاحتمال يدل على ذلك ما حكاه البيروني وقد قرأ الاصل الهندي وشاهد تصرف ابن المقفع فهم بترجمة للكتاب لاندري اصرفته عنها شواغله الكثيرة ام انه ابدعها ثم غرقت في خضم الضياع .

يقول ابو الريحان البيروني في تحقيق ما للهند من مقوله : « ولهم ـ للهند ـ فنون من العلم اخر كثيرة وكتب لاتكاد تحصى ولكني لم احظ بها علما وبودي ان كنت اتمكن من ترجمة « ينج تترا » وهو المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة فانه تردد بين الفارسية والهندية ثم بين العربية والفارسية على السنة قوم لا يؤمن تغييرهم اياه ، كعبد الله بن المقفع في زيادته باب برزويه فيه قاصدا تشكيك ضعيفي العقائد في الدين وكسرهم للدعوة الى مذهب المانيه ، واذا كان متهما فيما زاد لم يخل مثله فيما نقل » .

وقد تزيد البيروني على ابن المقفع فاشتط في حكمه عليه بالظنة لا باليقين ، ومهما كان من شيء فالنسخة العربية المقفعية هي التي سلمت من الضياع ، وبقيت اصلا لهذا النوع من القصص ، وقد سافرت الى الاندلس فيما سافر من كنوز اللغة العربية ، وقد ثبت انها ترجمت بيقين الى اللغة القشتالية سنة ١٢٦١ بناء على امر الملك القشتالي الفونسوا الحكيم وبذلك تكون اسبانيا اسبق الامم الاوروبية الى قراءته والاستفادة منه.

فاذا ظهرت بعد ذلك قصص « الفابليو » وانتشرت في فرنسا انتشارا جعلها على كل لسان ، وكان بينها ما أخذ نصا من كليلة ودمنة فذلك دليل على تأثير الكتاب في الادب الفرنسي ! والا فماذا يقال في قصة تذكر بحوادثها واشخاصها مطابقة لقصة سابقة في كتاب ذائع معروف ! لقد دافع بعض النقاد مثل « جوزيف بيديه » بان التشابه بين القصص الخرافي لدى الشعوب لا يدل على نقل وتأثر ، لان الشعوب الفطرية تتلاقى في تخيلاتها وتصاويرها تلاقيا عفويا من قبيل توارد الخواطر فقط ! وهذا مسلم اذا كان التشابه في الاطار العام او الروح المسيطر ، اما ان يكون في ذلك مع الاجزاء الدقيقة والتفاصيل الخاصة فهذا ما يتعذر قبوله ! قد تخترع قصة عن مكر الثعلب في اكثر من ادب دون ان يتأثر لاحق بسابق اذ ان الفكرة العامة عن الثعلب هي الخديعة والاحتيال ، وانها لتكون اطارا لكل ما يمكن ان يندرج فيه من عناصر المكر واساليب الدهاء ، اما ان تكون القصة عن الثعلب مطابقة في جميع خطواتها لقصة سابقة فان مما تنكره طبائع الاشياء ان تكون الموافقة اذ ذاك عفوية اعتباطية بل لك ان تحكم بالتأثر مهما انقطعت وسائله التاريخية عن عينيك ، فالتماثل المطابق هنا فوق النصوص الجازمة بالتأثر والتأثير ! بل اذا فرض ان هذه النصوص التاريخية قد وجدت فعلا ولم يوجد معها مثال التأثر فهي مدعاة شك وارتياب ، اما اذا عكس الامر كمسألتنا هذه فوجد النص وعزت الوسيلة ، فلنا ان نحكم بالتأثر الى ان تتمخض الايام عن نص تاريخي يشفع في تأكيد الصلة فقط ، ولكن اختفاءه لا يوهنها بحال ...

لقد كان فيما روي من اقاصيص « الفابليو » قصة اللص الذي حاول ان يتسلق ضوء القمر ، وملخصها ان « سارقا اعتلى بيت ثري من الاثرياء في ليلة مقمرة فشعر به صاحب المنزل ، فطلب من امرأته بصوت خفيض ان تسأله في الحاح كيف جمع ثروته ؟ فتسأله ! ويجيبها بعد تمنع انه جمع ثروته من السرقة وانه كان يتلو رقية

الوتر المجرح

أحبك ... لا لقـــاء ولا تمنـي ... فحبك ، فوق آثامي ، تجنـي !
أخافك فـــي اقترابك ان تبوحي ... وأخشى عنـك ان يحكى وعنـي
أحاذر منـــك ايمـــاء خجـولا ... وأحرص لـــو تململ فـــي ظني
اذا ارتقصت جفونك فـوق قلبي ... وغبـت ألملـــم الاشتات منـــي
صحوت عليك فـي دنياي شعرا ... أصوغك شعة فـي خيط فني !
انـــا أحيـا بحبك فوق نفسي ... فأفنى .. ثم يحييني .. ويفني!
أنـــا الوتر المجـرح دون لحـن ... أنـا الشادي .. ولكن لا أغنـي
زرعت على دروب العمـر كرمـي ... وما عرفت خموري ، بعد ، دني
هـــي الدنيا لـدي قصور حب ... وانثى ... تهـدم الدنيا وتبني !

عصام العريضي

سحرية فيحمله ضوء القمر الى داخل المنزل ليجمع مـا يريد ، ثم يتلو الرقية ثانية فيرفعه ضوء القمر ليخـرج سالما ، وهذه الرقية هي كلمة « سول » ينطقها سبـــع مرات واذ ذاك ينخدع اللص بما سمع وينطق بالرقية ثم يسلم نفسه الى الضوء ليقع فتنقطع اوصاله وتكســـر ساقه اليمنى وذراعه ويدركه صاحب المنزل فيقول لـه اللص : قد سمعت نصيحتك لسوء حظي وعملت بهـا وهانذا احتضر » الادب المقارن ص ٦٦ !

هذه الاقصوصة مأخوذة من كليلة ودمنة في بـاب برزويه وليس بينها وبين قصة الكتاب العربي غير اختلاف في كلمة واحدة وهي كلمة الرقيا ! اما جميع الجزئيات والتفصيلات فواحدة ! ومعنى ذلك ان تأثير كليلة ودمنة مبدئيا في قصص الفابليو امر لا شك فيه !

امـا انتشار نصائح كليلة ودمنة فـــي الاوساط المسيحية فأنبه من ان يشار اليه فقد صار المثل المحتذى في كتب الحكم والامثال وحاكاه دون خوان مانويـــل وارثبرست دي هيتا حتى جاء لافونتين فأحسن استغلاله بصورة واضحة ، بل ان الشك في خرافات « ايسوب » قد وصل ببعض الباحثين الى القول بأنها دخيلة علـــى اليونان ، اذ نسبها الى ايسوب بعض المزورين دون ان يكون له جهد في تأليفها وهي هندية في صميمها تنحـو منحى كليلة ودمنة وتتأثر به وتقتفيه .

يقول الاستاذ عمر الدسوقي في كتابه « دراسات ادبية » ص ٥ بعد حديث عن الحكاية الهندية « وقـــد انتقلت هذه الحكايات من الهند الى فارس ثم الى الشام فاليونان حيث ترجمها يلانودس وهو قسيس يوناني في القرن الرابع عشر ونسبها الى (ايسوب) ومن هـــذا الطريق دخل في الاداب الاوروبية كثير من الحكايـــات الهندية القصيرة ، ولا سيما الحكايات التي يتكلم فيهـا بعض الحيوان ، وهي التي تعرف في عالم القصة بالامثال نحت العنوان المزور (حكايات ايسوب) والذي يقرأ هذه الحكايات وهو عالم بالقرى الهندية وحياة الهنود يدرك تمام الادراك ان هذه الحكايات نبتت في بلاد الهنـــد ، وليست من عمل ايسوب اليوناني ، واصدق مثل علـى هذا حكاية الحمار في جلد اسد لان بوذا حين يحكـي الحكاية يصور فيها قرى الهند وحياتها تصويرا زاهيـا لا يدع مجالا للشك فيها ونطق الحيوان والطير في هذه الحكايات نشأ عن العقيدة التي دعا اليها بوذا وهي ان الانسان اذا مات رجع ثانية الى الحياة في صورة اخرى فان كان ما عمله في حياته السابقة شرا رجع في صورة حية او وحش ، وان كان ما عمله خيرا رجع الى الحياة في درجة اعلى من درجته التي مات عليها ، وكل هـذه الحيوات حياة واحدة ، ورجل صالح مثل بوذا يستطيع ان يتذكر ما مر به من حيواته المتقدمة والقصص الهندية الاصيلة ما هي الا الخمسمائة والخمسون مولدا التـي مر بها بوذا » .

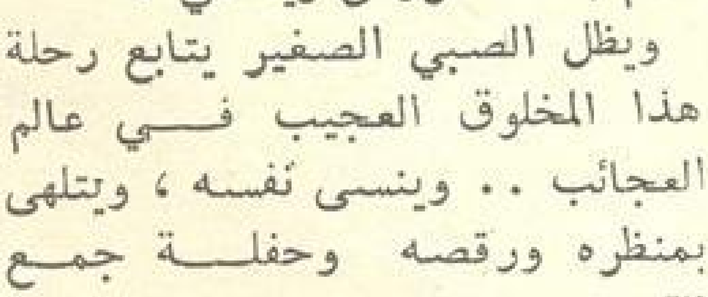
لعلنا قد اطلنا الاستشهاد : ولا بأس به في بيـان رأي جديد يقبل المناقشة متـــى اتيحت اسبابها ، واذا كانت قصص الخرافة لا تندرج في القصة بمعناها الفني فانها لون من الوان القصة ، ولها كتابها الفنيون مـــن ذوي الملكات الروائية وانصارها المستنبطون من اساتذة الحكم والاخلاق !! وتأثير كليلة ودمنة في هـــذا المجال اوضح من ان يذكر ! على ان الاندلس كانت معبرة الـــى الاداب الاوروبية جمعاء فليذكر لها ذلك مدعما بالاسناد.

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدية العيد

بقلم عدنان الداعوق



انينا متواصلا كان يصل اليه وهو يجتاز الجسر العريض .. انين خلائق تتعذب وتتلوى من سياط حمراء . كان يريد ان يستمر في السير .. ولكنه بين كل لحظة واخرى كان يقف ويصيخ السمع .. كانت هناك امراة عجوز تصدر عنها بعض الكلمات المبهمة مع الانين الطويل . الوقت اصيل بعيد يمتد طويلا حتى يكاد الزمن كله يذوب في لحظاته المحتضرة .. والشمس تترفق على الوجود فتصبغ ذلك الاصيل بلون باهت اجرد .

توقف قبل ان يصل الى الحافة الاخرى .. واقترب من عرض الجسر والقى نظرة مشفقة الى اسفل .

نساء وعجائز واطفال وشيوخ .. كلهم يتأوه .. وجميعهم يصرخ ويبكي ويندب . ثيابهم في لون واحد .. واصواتهم تتشابه الى حد بعيد .. ووجوههم تكون تكون وجها واحدا يتدرج في العمر وتترفق معه السنون . وارخى ساعديه على حاجز الجسر وراح يتأمل . وتمضي اللحظات بطيئة في ملل ، واذا شيخ مسن يتطلع اليه لايكاد وجهه يفارقه ويرفع يده ويشير للشيخ العجوز ان اطمئن فكل شيء على ما يرام . ويرتفع صوت العجوز يخاطبه :

– بني . امش . فالطريق امامك طويلة .. لا تتوقف وتنظر الينا ، نحن كلنا خطايا لم نعرف قيمة المسير . كان الطريق عندنا الهية والمسير ضياع .. مررنا يوما كما تمر انت اليوم .. فتوقفنا طويلا ، واستمتعنا بما تستمتع به الان .. فكان نصيبنا ان بني الجسر فوقنا وظللنا في اسفل هكذا لا تخطر لاحلامنا منافذ الامل .. امش بني ولا تتوقف .

العجوز المسن يبكي . دموعه حمراء . زوجته تخفف عنه بأنين . ثم تتكلم بكلام مبهم لا يفهم منه شيئا .. هنا عاشوا . وانجبوا . وهنا سوف يموتون .

قالت له امه يوما :

– بني . لا تتوقف وانت في طريقك الى المدرسة لئلا يضيع عليك الوقت وتتأخر .

وشاهد الصبي الصفير صباح احد الايام رجلا وقردا . كان القرد يشبه الادمي الى حد بعيد . كان يأكل الموز بعد ان يقشره ، ويصرخ به صاحبه فيتوقف عن الطعام . ثم يشير اليه من جديد فيعطيه الموز ثم يضرب له بدف يحمله فيرقص القرد رقصا عجيبا . ويدور الرجل والقرد تستعبده سلسلة حديدية طويلة ، ويمشي وراءه ويقدم الدف للمارة الذين توقفوا يشاهدون المخلوق العجيب ، فيرمي كل واحد منهم بضعة قروش ويمشي .

ويظل الصبي الصفير يتابع رحلة هذا المخلوق العجيب في عالم العجائب .. وينسى نفسه ، ويتلهى بمنظره ورقصه وحفلة جمع القروش .

وتمضي ساعة وساعة .. واذا هو اخيرا امام باب المدرسة المغلق كالقلعة المهجورة لا مجال لدخولها . ويعود الى المنزل . وتستقبله الام :

– لماذا عدت مبكرا .. اهناك حدث في المدرسة ؟ ويتلعثم وهو يجيب :

– كلا ، ولكنني كنت اشاهد القرد وهو يأكل ويرقص ويأتي عملا عجيبا ..

نظرات الشيخ المسن لا تزال متعلقة به ، ودموعه يذرفها في حنين مكبوت وزوجته الى جانبه تلاطفه وتعاطفه . اشار اليه وهو في اسفل :

– كنت اتلهى وانا حديث السن في طريقي الى المدرسة بمشاهدة القرد وهو يرقص . وكنت ادع كل شيء ولا التفت له ، ولا تهمني الا متعتي الصفيرة .

هل عرفت قيمة العظة ابدا ؟!

قالت له امه :

– يا بني . لئلا يفوتك قطار العلم الحق به سريعا .. ولئلا يفوتك قطار الحياة حاول الا تتوقف في اية محطة حتى لا تتأخر وتفقد وسيلة نقلك الى هدفك .

نهض من فوق حافة الجسر وحاول ان ينزل الى اسفل .. الى حيث تجمعت هذه الخلائق العديدة ، فسمع صوت الشيخ يهيب به :

– لا تنزل الينا . ماذا تبغي من نزولك ..؟ عاود مسيرك فلا بد ان تصل . اما نحن فمقضي علينا لا محالة .

ووجد مكانا ضيقا تهدمت حافته . ونزل .. كانت بينه وبين الجموع مسافة طويلة .. وشاهد العجوز المسن يركض نحوه في اسراع . واستطاع ان يلمح من بعيد سلسلة حديدية تستعبده من رقبته . وتذكر فجأة كل شيء .

– اماه ، صدقيني انني لن اتأخر بعد اليوم ولن اقف في الطريق مهما كانت الالهية .

وفي اليوم الثاني كان يذهب صباحا الى المدرسة .. وشاهد من بعيد الرجل والقرد يجلسان كصديقين حميمين على رصيف الشارع ، وكأنهما يتنادمان ويتشاكيان الذل والهوان . ففير الصبي الصفير طريقه ، وانحرف

في شارع فرعي ورغبته المحمومة تجره الى خلف ليعود فيشارك القرد وصاحبه التنادم والتشاكي . وليشفي غليل نفسه الصغيرة المنطلقة .

وحين اقترب الشيخ المسن قال له :

ـ ماذا تريد ؟ هل نسيت كل شيء تلقنته في حياتك؟ اننا قوم تافهون عجزت الحياة عن تعليمنا . اننا نرقص والقرود هي التي تدربنا ، انظر . ومد يده الى رقبته ، كانت السلسلة الحديدية قد جعلت وصمتها في عنقه .. وتدلت من الطرف الاخر لتسير وراءه كالظل.

ومد يده ، وقبل ان يتناول قطعة الحلوى من يد امه ، قال لها :

ـ هل سمعت يا اماه . القرد قتل صاحبه بالامس بينما كان يرقصه .. انه لم يفهم معنى الصداقة . كان الرجل يعامله بكل لطف وحب ، ويطعمه الموز ... ويجمع له القروش ليشتري له كل شيء . واخيرا قتله بكل وحشية. وحين نظرت اليه امه . استطرد في فزع يقول :

ـ كلا والله لم اشاهد . ولكن زملائي في المدرسة قصوا علي القصة . اليس ذلك شيئا رهيبا يا اماه .؟

كان العجوز المسن قد مسح عن عينيه اثار دموعه الغزيرة ، وتطلع نحوه طويلا ، ثم جلس فوق حجر كبير ، وقال :

ـ كنت اتعذب دوما .. كنت اشتاق الى الحرية ، ولكي اعيش كما يحلو لي العيش .. انام متى اريد ، واستيقظ متى اريد وآكل متى ارغب ، واحجم عن الطعام متى احب . كنت اتشوق الى العيش الحقيقي .

واسند العجوز راسه فوق راحتيه ، وقال :

ـ قصتي طويلة جدا . ودعني احكي لك شيئا منها : « .. خلقت عبد اعمل في حقل يملكه ثري كبير .. كنت مقيدا في كل شيء .. حتى في عبوديتي ، التي كنت اريدها في شكل ، فتفرض علي في شكل اخر . عملي في الحقل لا ينتهي .. الثور عمله ينتهي .. اما انا فكنت حين انتهي من عملي التفت الى الثور لاهتم به ، ولا يهتم بي احد . ومالك الحقل يقتني اجيرا ظالما . لا عمل له الا اخذ السوط وملاحقتنا في الظهيرة والشمس تحرق الاجساد . انظر . جسدي يحمل علائم عبوديتي . واخيرا . ماذا اقول .؟ ضقت ذرعا بحياتي التي لم تكن ملكي ابدا .. كلا . انا لم اخلق حرا . بل كانت امي عبدة. وكان ابي اجيرا عند المالك الكبير . فانا لم استعبد وقد ولدت حرا .. بل تدرجت في عبوديتي . وانجبت عبيدا انضموا الى القطيع الكبير الذي يعيش بلا هدف ولا امل .. ونويت الانتقام . اردت ان اعيش لحظة واحدة بحرية مطلقة . وفكرت ان اقتل المالك الكبير » .

ـ اماه ما تظنين القرد فاعل بنفسه . وهل اذا قتل صاحبه يتحول الى انسان ؟ انا لا اظن ذلك . فالقرد قرد سواء اقتل صاحبه ام بقي معه . وضمته الام بعطف وحب . وقالت له :

ـ انه لكذلك . وهيا الان الى مدرستك .

وافاق العجوز المسن من غيبوبته القصيرة .. واستمر في حديثه : « .. كانت ليلة شؤم . ولكنها كانت زاخرة بالحرية . ولاول مرة فكرت بحرية . وتناولت مدية مسنونة وذهبت الى قصر المالك الكبير ، وجلست عند الباب ابكي بصوت مسموع . فخرج الي الاجير الظالم ، وضربني . فما ازددت الا بكاء وعويلا حتى خرج بعد آن المالك الكبير .. وما ان رايته حتى انقضضت عليه وطعنته طعنات عديدة . ومات .. وبعد ذلك تدرجت عبوديتي .. وانطمرت اموالي في مستنقع نتن .. ولم تنته قصتي بعد . لم تنته . فها هو سجني . سجني الكبير الذي سوف اموت فيه .

ـ اماه . هل عرفت اخر قصة القرد الذي قتل صاحبه بالامس ؟

نظرت الام الى ابنها ، وقالت :

ـ وهل عرفت انت ؟

قال الصبي الصغير :

ـ ان الجميع يتحدث عنها . فبعد ان قتل صاحبه هرب الى شوارع عديدة ، ولاحقه رجال عديدون ، واخيرا رموا فوقه شبكة ضخمة واصطادوه .. وقالوا ايضا انهم سياخذونه الى حديقة الحيوان .. فهناك تربى الحيوانات ضمن اقفاص من حديد لا تخرج منها وهناك تاكل وتشرب وتنام .

والتفت الصبي الى امه متسائلا:

ـ الم يكن الافضل للقرد لو بقي مع صاحبه ولم يقتله لعاش اذن في سعادة اكثر .؟

قالت الام :

ـ كلا يا بني . لقد كان صاحبه يسجنه ايضا بسلسلة من حديد . بل الافضل للقرد لو كان يعيش كما يشاء في الغابة . ينام متى يرغب ويأكل متى يريد ولا تطوق عنقه سلسلة من حديد .

... والطريق طويلة طويلة ... اصيل ينطوي وشمس تشرق وتغيب . والجسر العريض يمتد بعيدا بعيدا . والانين لا يزال يتصاعد من اجساد خلائق تتعذب وتتلوى من سياط حمراء . ويستمر هو في المسير . وتستمر الشمس تشرق بمنتهى الحرية على كل الوجود .

حمص **عدنان الداعوق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نجاتي صدقي

فاسكو دا غاما وابن ماجد

بقلم نجاتي صدقي

* * *

ليس المقصود من هذا البحث دراسة طبيعة الزحوف الاوروبية نحو الشرق في القرن الخامس عشر للميلاد ، ولا تحديد معالم « الرأسمال التجاري » لتلك الحقبة من الزمن ، وانما المقصود منه تناول قضية فرعية لها مساس بتلك الزحوف ، وهي علاقة الرائد البرتغالي الاشهر فاسكو دا غاما (١) بالملاح العربي احمد بن ماجد .

امر ملك البرتغال عمانوئيل الاول ملاحه الكبير فاسكو دا غاما باكتشاف الطريق الموصل الى الهندا بحرا ، فاقلع من لشبونة في الثامن من تموز سنة ١٤٩٧ بأسطول صغير مؤلف من سفينة القيادة (سان غبرييل) ، و (سان رفائيل) ، و (بريو) ، وسفينة رابعة تحمل المؤن والهدايا .. وراح يمخر المحيط الاطلسي الى راس الرجاء الصالح في الجنوب الافريقي مباشرة ، فقطع مسافة اربعة الاف ميل في اكثر من ثلاثة اشهر ، ثم دار حول راس الاعاصير الى ان القى مراسيه في خليج موسل ..

وكان يرافق دا غاما مؤرخ (٢) يدون يوميات الرحلة ، فترك اليوميات ولم يترك اسمه ، فأصبح يدعى المؤرخ المرافق .. يقول هذا المؤرخ في يومياته : « بقينا في موسل ثلاثة عشر يوما بسبب تحطم سفينة المؤن وتحويل محتوياتها الى سفن اخرى ، واقمنا في هذا الخليج نصبا الا اننا ما كدنا نغادر الميناء حتى هاجمه الاهلون وحطموه » .

ويتابع يومياته بقوله : « وكان علينا ان نقطع ، منذ بدء الرحلة ، ٨٠٠ مائة ميل ونحن نرتاد شواطىء مجهولة قبل ان نبلغ الموانىء الاسلامية .. ونزلنا في ارض اطلقنا عليها اسم بلاد الناتال ، حيث لقينا استقبالا حسنا من قبائل الليمبوبو Limpopo والبانتو Bantu المسلحة بسهام واقواس طويلة وحراب حديدية .. والنحاس موجود هنا بكثرة ، ولذا اطلقنا على الليمبوبو اسم « نهر النحاس» واطلقنا على البانتو اسم «بلاد الشعب الطيب» .. ثم ابحرنا شمالا ومررنا بسوفالا Sofala في الثامن ولعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٤٩٨ ، ودخلنا نهر كيليمان Kiliman حيث لمسنا المدنية الاسلامية في شخص شاب جاء من بلاد بعيدة قد سبق له ان شاهد سفنا كبيرة مثل سفننا » .

واستمر دا غاما في رحلته على امتداد السواحل الافريقية الى ان بلغ الموزمبيق ، وهو اول ميناء اسلامي، فيقول المؤرخ المرافق : « وجدنا فيه اربعة مراكب عربية محملة بالذهب ، والفضة ، والزجبيل ، والتوابل ، وجوز الطيب ، وكميات من المجوهرات والحجارة الكريمة .. ولقد زار سفننا سلطان الموزمبيق ، الذي كان يعتقد اننا مسلمون ، ورفض قبول الهدايا التي قدمناها له ، طالبا اثوابا حمراء لم نكن نحملها » .

والتقى دا غاما في الموزمبيق بمرشدين عربيين خبيرين في البوصلة ، والمزولة ، والخرائط ، والحقهما بسفينة القيادة ، وتابع رحلته الى ان بلغ مومباسة حيث جرت محاولة من الاهلين للاستيلاء على السفن البرتغالية ليلا، الا ان الحيطة التي اتخذها دا غاما احبطت هذه المحاولة.

وبعد يوم جديد من الابحار وصل البرتغالي الصغير الى ميناء مالندي ، حيث استقبل بالترحيب من سلطان مالندي ، وهو ينتمي الى اسرة فارسية ، والتقى البرتغاليون في مالندي بجماعات من الهندوس فخيل لهم انهم مسيحيون .. فيقول المؤرخ المرافق : «الهندوس هم طائفة مسيحية ، حتى ان بلدتهم مالندي كثيرة الشبه ببلدة الكوشيته Alcochete البرتغالية الواقعة على نهر تاغوس بالقرب من لشبونة .. بيوتها عالية ، بيضاء اللون ، كثيرة النوافذ ، محاطة بأشجار النخيل ، وبحقول الذرة والخضار » .

وقدم سلطان مالندي الى فاسكو دا غاما ملاحا هنديا ليرافقه في رحلته البحرية الى الهند ، فغادرها في الرابع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٤٩٨ ، وبعد ثلاثة وعشرين يوما من الابحار المباشر في المحيط الهندي، وصل الاسطول البرتغالي الى مدينة كالكوت في غرب الهند ، وهي غير كالكوتا في شرقها ، ونزل المغامرون الى اليابسة وزاروا اهل ساموري Samuri وخيل لهم انهم مسيحيون ايضا ، فيقول المؤرخ المرافق : «قادونا

الـــى كنيسة كبيرة ، وشاهدنا علـــى جدرانها رسوم القديسين بأشكال مختلفة ، وهم يضعون على رؤوسهم التيجان ، ولهم انياب تبرز من افواههم .. واياد عديدة تبرز من جوانبهم ..! »

واقام فاسكو دا غاما وكالة تجارية برتغالية فـي كالكوت ، ثم عاد الى البرتغال وهو يحمل لمليكه كل غال ونفيس ونادر ، معيدا الطريق البحرية التي تربط القارة الاوروبية بالشرق الاقصى ، قاطعا عشرة الاف ميـل ، وهي اطول مسافة قام بها رائد في تاريخ الارتيـاد البحري ، بعد ان فقد ثلث رجاله لا في معارك ضارية وانما بفعل مرض الاسقربوط الناتج عن عدم تنـاول الخضار والفاكهة الطازجة .

والان من هو الشاب المطلع الذي التقى بفاسكو دا غاما في منطقة نهر كيليمان ؟ .. ومـن هما المرشدان العربيان اللذان الحقا بالاسطول البرتغالي من الموزمبيق الى مالندي ؟ .. ثم من هو الملاح الهندي الذي انضم الى قيادة دا غاما في اجتياز المحيط الهندي من مالندي الى كالكوت ؟ ...

يرى بعض الباحثين أن فاسكو دا غاما قد تعرف الى الملاح العربي احمد بن ماجد في مالندي ، وتحدث اليه واعجب بمقدرته في الشؤون البحرية، وان ابن ماجد هو الذي ارشد الملاح البرتغالي الى الطريق البحريـة المؤدية الى الهند بان رافقه في اسطوله الصغير ،بل شاركه قيادة هذا الاسطول وتوجيهه .

والواقع ان ليس ما يثبت ان احمد بن ماجد قـد قام بهذه المهمة ، فالباحثون يعتمدون في اثباتها ، كما يعتمد المؤرخ الفرنسي غبرييل فراند Gabriel Ferrand على عبارة وردت في كتاب « البرق اليماني في الفتـح العثماني (٣) لقطب الدين محمد بن احمـد النهروالي ، « ٩١٧ – ٩٩٠ هـ ، ١٥١١ – ١٥٨٢ م » ، تحدث فيهـا عن السفن البرتغالية التي كانت تحاول المرور بمكان من جنوب القارة الافريقية كثير الامواج ، فلا تستقر بـه سفنهم وتتكسر ، ولا ينجو منهم احد .. « الى ان دلهم شخص ماهر من اهل البحر يقال له احمد بـن ماجد ، صاحب كبير الفرنج ، وقال لهم : لا تقربوا الساحل مـن ذلك المكان، وتوغلوا في البحر ثم عودوا فلاتنالكم الامواج».

فهذا الوصف ينطبق علـى منعطف رأس الرجاء الصالح وليس على مالندي التي يقال أن دا غاما قـد التقى فيها بأحمد بن ماجد ، ثم ان « مخطط التوغل في البحر والعودة » اي التعرج البحري هو من بنات افكار الرائد البرتغالي بارتولوميو دياز Bartolomeo Diaz مكتشف رأس الاعاصير او رأس الرجاء الصالح (٤) .

وقصة هذا الرائد ان ملك البرتغال يوحنا الثانـي اراد ان يستغل « فكرة كريستوفر كولومبوس » بعد ان سخر منها، فأوفد سنة١٤٨٦ ملاحا قديرا هو بارتولوميو دياز ليكتشف الطريق البحرية الى الهند ، فتوجه دياز بأسطوله بمحاذاة سواحل افريقيا الغربية الى ان بلـغ راس الاعاصير ، فلاقى الاهوال وهو يحاول اجتياز ذلك الراس ، فلجأ الى طريقة التعرج في البحر الى ان تـم له اجتيازه ، وبلوغ خليج موسل ، ثم عاد الـى مليكه ليقول له انه عجز عن الوصول الى بلاد الهند بحرا .

وعلى ذلك يحتمل جدا ان يكون « كبير الفرنج » الذي تحدث عنه النهروالي هو بارتولوميو دياز وليس فاسكو دا غاما ، وقد التقى احمد بن ماجد في خليـج سانت هيلين ، وعبر معه راس الرجاء الصالح حتى خليج موسل .

ولا يستبعد ان يكون المؤرخ البرتغالي فرناو لوبيز دا كاستانهيدا FernaoLopez DaCastanheda قد اعتمد على النهروالي في حديثه عن الملاح العربي ، في كتابـه « تاريخ اكتشاف وفتح الهند من قبل البرتغاليين » (٥) مع ان المؤرخ العربي لم يأت على ذكر فاسكو دا غاما وانما قال « كبير الفرنج » فقط ، ثم لا يعقل ان يرافق احمد بن ماجد دا غاما من مالندي الى الهند ، ولعله عاد معـه الى الساحل الافريقي ، ويظل اسمه نكـرة بالنسبـة للمؤرخ البرتغالي الذي رافق الرحلة بأكملها ودونها فـي يومياته .. واخيرا المعروف عن ابن ماجد انه ناظم اراجيز يعبر بها عن ارائه ومشاعره ، فلماذا لم يترك لنا ارجوزة يتحدث فيها عن رحلته مع فاسكو دا غاما وهي رحلـة قد اقامت المنطقة في ذلك الزمن ولم تقعدها حتى ايامنا هذه .

هناك ارجوزة يقال انها لابن ماجد ورد ذكرها في كتاب « الخليج العربي » للاستاذ قلعجي ص ٣٥٢ ، يعزو العثور عليها الى المستشرق الروسي تيودور شوموفسكي يقول في مطلعها :

وساحل البحر وكل جزره فحكمها للبرتغال الكفـرة
والبرتغالي حكم الجميعـا كفيت كل الشر والتصديعـا
وجا لـ «كاليكوت» خذ ذي الفائدة لعام تسعماية وسنة زائـدة

فهذه الارجوزة تتحدث عن شرور البرتغاليين فـي الهند بعد ان استقر لهم المقام و« حكموا الجميعا » ولعام « تسعماية وسنة زائدة » ، وهو ما يعادل سنة ١٤٩٤ ، قبل وصول فاسكو دا غاما الى كالكوت بأربع سنوات .

من الثابت ان فاسكو دا غاما قد اعتمد على بعض المرشدين في طريقه الى الهند ، ولكن ليس ما يثبت انـه اعتمد على ابن ماجد بالذات .. فكتاب « تاريخ العالم » لسميث ، موزي ، ولويد يقول بهذا الصدد : « لقـد استفزت اكتشافات كريستوفر كولومبوس البحـار البرتغالي فاسكو دا غاما ، وحملته سنة ١٤٩٨ علـى الابحار حول رأس الرجاء الصالح متجها الى الساحـل الشرقي لزنجبار .. وهناك اعانه احـد الملاحـين العرب على اجتياز المحيط الهندي الـى ان بلغ كالكوت فـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هندستان » ص ١٨٥ .

ثم ان الاستاذ محمد عبد الغني حسن لم يأت على ذكر احمد بن ماجد في الجزء الخاص بـ «فاسكو دا غاما» من سلسلة قصص الرحالة والمكتشفين ، ويصف الشخص الذي رافق الملاح البرتغالي بـ « الدليل الهندي » ص ٧٦ .

ويقول الاستاذ محمد ياسين حموي في كتابه « الملاح العربي » ص ٨ و٩ ، وعلى لسان المؤرخ البرتغالي جواو دا باروس Joao Da Barros ان دا غاما التقى بملاح اسمه « كاناكا » ..

ويقول الاستاذ قدري حافظ طوقان : « ان ابن ماجد من الملاحين العرب الاقدمين الذين نبغوا في الملاحة، ووقفوا على دخائلها وعرفوا اسرارها .. ولد في نجد حوالي سنة ٨٤٠هـ ، ١٤٣٤م » .. الى ان يقول : « وثبت لبعض علماء الغرب ان فاسكو دا غاما استعان بابن ماجد في تسيير اسطوله من مالندي الى كالكوت في الهند .. وكانت وفاة ابن ماجد نحو سنة ٩٠٠ هـ الموافق لسنة ١٤٩٤ م » (٦) .

وعلى ذلك يكون احمد ابن ماجد قد عاش ستين عاما ، وتوفي قبل وصول فاسكوا دا غاما الى مالندي بأربعة اعوام .

ثم يحقق الاستاذ فؤاد افرام البستاني في هذا الموضوع ويذكر في موسوعته ان احمد بن ماجد المعروف بأبي الركائب ، والشيخ ماجد ، والملقب باسد البحر ، توفي حوالي سنة ١٤٩٥ ويقال انه هو الذي سير الاسطول البرتغالي بقيادة فاسكو دو غاما» (ج٣ ص٣١٠).

فكيف سير ابن ماجد الاسطول البرتغالي بعد وفاته بثلاث سنوات ؟ ..

وهكذا نشأت معضلة ابن ماجد بصدد علاقته بفاسكو دا غاما ، دون ان تجد حلا ثابتا ، لكن هناك شبه اجماع على ان ملاحا « عربيا او هنديا » قد قام بدور المرشد البحري للاسطول البرتغالي بقيادة دا غاما ، في البحر العربي وفي المحيط الهندي ، وهذا الاجماع لا يتناقض مع يوميات المؤرخ البرتغالي المرافق للرحلة ، ولا ينفي ما للعرب من فضل كبير على الملاحة البرتغالية .

خلاصة البحث : اولا : لم يثبت بعد ان احمد بن ماجد ، هو الذي ارشد فاسكو دا غاما الى طريق الهند البحري وان نفي هذا الامر عنه لا يؤثر في كونه علما من اعلام الملاحة العربية ، كما انه لا ينكر ما للعرب من فضل كبير على الملاحة البرتغالية في البحر العربي وفي المحيط الهندي .

ثانيا : ان المؤرخ البرتغالي الذي رافق دا غاما في رحلته لم يأت على ذكر احمد بن ماجد ، وانما قال انهم تعرفوا الى شاب مسلم في بلاد الناتال « قد سبق له وشاهد سفنا كبيرة مثل السفن البرتغالية » ، ثم استأجروا مرشدين عربيين في الموزمبيق حتى مالندي ، ثم ان سلطان مالندي قدم لهم مرشدا هنديا رافقهم حتى كالكوت .

ثالثا : ان الوصف الذي ورد على لسان المؤرخ العربي النهروالي ينطبق على رحلة بارتولوميو دياز وليس على رحلة فاسكو دا غاما ، ويحتمل ان يكون احمد بن ماجد قد التقى بدياز في خليج سانت هيلين سنة ١٤٨٦، وكان للملاح العربي من العمر ٥٣ سنة ، وليس بدا غاما سنة ١٤٩٨ ، بحيث يكون لابن ماجد من العمر ٦٤ ، في حين ان التواريخ الموجودة بين ايدينا تقول انه مات في الستين من عمره .

رابعا : ليس لدينا من التواريخ الثابتة عن الفترة التي وضع فيها ابن ماجد اراجيزه الا ما ذكره هو نفسه في ختام كتابه « الفوائد في اصول علم البحر والقواعد » اذ قال : « وختمنا هذا الكتاب في عام خمس وتسعين وثمان ماية ، على الاختصار بقولي اوصيكم بتقوى الله ، وقلة المنام ، وقلة الطعام ، ونستغفر الله من التقصير والزيادة والنقصان » .

فيكون ابن ماجد قد ختم كتابه قبل وفاته بخمس سنوات ، وتدل كتاباته على انه كان كهلا ، جم الخبرة ، مكتمل النضوج ، يلقب بالشيخ ، واسد البحر ، وابي الركائب .

خامسا : وردت في نهاية كتاب ابن ماجد عبارة اخرى مندمجة بالعبارة الاولى تقول : « تم الكتاب بحمده تعالى وعونه وحسن توفيقه وهو المسمى بكتاب « الفوايد في اصول علم البحر والقواعد » ، وذلك في يوم الاحد المبارك سابع عشر ربيع الثاني سنة اربع وثمانين وتسعمائة هـ ، احسن الله عاقبتنا وبالله التوفيق » .

فهذه العبارة خاصة بناسخ الكتاب ، اي انه اتم نسخه بعد انقضاء ٨٩ سنة على وفاة ابن ماجد ، فكان ان وقع المرحوم الشيخ سعيد الكرمي ، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٢ ، بخطأ فادح ، فظن ان العبارة الثانية هي لابن ماجد ، فذكر في المجلد الاول الجزء الثاني من مجلة المجمع ان ابن ماجد كتب بعض

(١) يلفظ اسم العائلة بالبرتغالية دا غاما وليس « دي » او « دو » .

(٢) A Journal Of The First Voyage Of Vasco Da Gama By : Ernest George, London 1898

(٣) غزوات الجراكسة والاتراك في جنوب الجزيرة المسمى (البرق اليماني في الفتح العثماني) منشورات الرياض سنة ١٩٦٧ . »

(٤) دياز هو الذي اطلق على ذلك المكان اسم رأس الاعاصير ، الا ان الملك يوحنا الثاني وجد ان هذا الاسم يوقع الرعب في نفوس الملاحين البرتغاليين فاستبدله باسم رأس الرجاء الصالح . (٥) صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب في لشبونة سنة ١٥٥٤ . (٦) من حديث اذيع من محطة الشرق الادنى في شهر تموز سنة ١٩٤٤ ، في باب مشاهير التاريخ .

الى فاطمة محمد برناوي

والى كل عربية مناضلة

يا اخت (خولة) يا فتاة بلادي ... يا فخر يعرب يا ابنة الامجاد
يا ظبية ضيمت فهبت لبوة ... تحمي الحمى وترد كيد العادي
زأرت فروعت العدى بزئيرها ... يا للرجال لصوتها الرعاد
غضبى وفي غضب الانوثة قوة ... ترعى وتدعم صولة الآساد

أرأيتها تصلي العدو بنارها ... والحرب ذات لظى وذات جلاد
والطائرات كأنها أسطورة ... للجن تقذف جمرة الاحقاد
والزاحفات كأنما في جوفها ... وقف الردى للناس بالمرصاد
ومدافع دوت بأرجاء الفضا ... مجنونة الارعاد والايعاد
لم تخش من أهوالها بل أقدمت ... عربية الامداد والانجاد
أعظم بها تأسو الجريح بعطفها ... والعطف أنجع بلسم وضماد
تحنو عليه كانه من أهلها ... لم تكتحل من أجله برقاد
وتروح تقتحم الصعاب لتقتفي ... أثر الكماة بعدة وبزاد
وتمد أيدي البر تقطر بالندى ... للبؤس ترفده بخير رفاد
وتخفف الآلام عمن جردوا ... مما لهم من طارف وتلاد
حيا الاله كفاحها وجهادها ... ورعى حماها من أذى الاوغاد

أرأيت من رزئت بفقد وحيدها ؟ ... أمل الحياة وفلذة الاكباد
وارته وهي تقول حسبي أنه ... نال الشهادة في سبيل بلادي
ان لم يذد عن موطن ابناؤه ... من يا بني يصد شر العادي
أنت الفداء فنم بقبرك هانئا ... والنصر بعدك اجر كل مفادي
هذا الدم الزاكي الذي خضب الثرى ... هو من دم الاجداد للاحفاد
قد اورثوك فكنت اكرم وارث ... بذل الدماء فدى ثرى الاجداد

وسجينة في اللد تصبر للاذى ... لم تستكن لارادة الجلاد
صاحت به عاشت بلادي حرة ... لا ترج يوما ان يلين قيادي
لن يفعل السوط الذي تهوي به ... ظلما علي سوى مزيد عناد
لن يخرج التعذيب حرفا من فمي ... يهديكم لمكامن الآساد
قد حيرت عقل العدى بصمودها ... وابائها وذكائها الوقاد
يا سجن (فاطمة) وألف تحية ... تهدى اليك مع النسيم الغادي
ان اظلمت فيك الحياة فانما ... في ثوب (فاطمة) سناء جهاد
وعزيمة لا تلتوي وتشبث ... بالحق يصدع باطل الاضداد
لله والوطن المقدس والفدى ... ما ذقت من ألم وطول سهاد
صبرا فقيد المعتدين محطم ... يوما وأنت طليقة الاصفاد
والسجن للفتيات في حفظ الحمى ... فخر يدوم على مدى الآماد

حلب

محي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرسائل سنة ٩٨٤ هـ وبعضها سنة ١٠٠١ هـ ، فيكون الملاح العربي قد عاش ١٦٠ !..

وقد رددت مجلة العربي الكويتية هذا الخطأ في العدد ٢٩ ص ٧٠ ــ ٧١ ، وقالت ان ابن ماجد عاش مائة سنة ..

سادسا : ان هذا البحث هو اجتهاد القصد منه تقويم بعض الاخطاء العربية والاجنبية المتعلقة برحلة فاسكو دا غاما وما لها من صلة بالملاحة العربية في القرن الخامس عشر للميلاد .

نجاتي صدقي

زكي مبارك بين الامل واليأس

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

اذا راض الاديب نفسه على قراءة لون معين من الادب والشعر ، في اوائل عهد شدوه بالادب ، كقراءة شعراء الغزل والنسيب والحب والعشق ، وغذى نفسه بأمثال هذه الموضوعات الوجدانية التي ترضي طبيعة الشباب والشهوة الجامحة والحيوية الوثابة ، ولم يلتفت للموضوعات الاخرى الا قليلا ، فلا شك ان جمرة الموضوعات الوجدانية تبقى متقدة متوهجة فيها ، حتى انها لتطبع حياته بطابع الوجدانية والحساسية ، ولا يرى الوجود الا من خلال هذا الفيض الزاخر من الاهواء العارمة الصاخبة ، ويقل اكتراثه بكل حاضر حسي فلا يثيره الا ما استقر في واعيته الباطنة من ثورات الوجدان، ويعيش حياته مرهف الحس مشتعل الصبوة رقيق الوجدان ، يتأهب للعشق والصبوة واقتناص الجمال مدفوعا بحرارة هذا الوقود الضخم الذي انصب في مسارب نفسه ، لا يهدأ ولا يركد ، فتي القلب حيوي الوجدان ، واذا ما هدأ قليلا وطلب النجدة معتزلا في صومعة نفسه يجتر ذكريات الالم والشجن والسرور ، فانه ما يلبث حتى يثور على ثورته الهادئة المفيظة اعصارا هدأ قليلا ، ثم انضم على نفسه محتشدا للوثوب والانفجار.

وهذا هو شأن الدكتور او الدكاترة زكي مبارك كما كان يلقب نفسه .. قرأ دواوين شعراء الغزل والنسيب في الجاهلية والعصور الاسلامية وغذى نفسه منها في مطالع شبابه ، فبدا على لون كتابته الطابع الوجداني الصرف ، ويتضح ذلك جليا فيما كتبه عن عمر بن ابي ربيعة ، وفي كتابه مدامع العشاق ، وصبابة بن الاحنف لقد تغلب الطابع الوجداني على طابع الباحث وامدنا بثروة جميلة من صدق تجاربه الشعورية الوجدانية ، فبدا كتابه عن ابن ابي ربيعة .. وكأنه مقالة وجدانية ادبية اكثر منه بحثا علميا ، وفي هذا كان على عكس ما كتبه الاستاذ عباس محمود العقاد عن ابي ربيعة اذ يتجلى فيما كتبه العقاد عنه ، الطابع التاريخي والتحليلي والمنطق الجاد والفكر الوقاد ، ويقل الطابع الوجداني .

لم يترك الدكتور زكي شاعرا قديما جاهليا او اسلاميا ، سفك دمعة على حبيب هجر واورانا دخائل روحه ونفسه ونبضات قلبه، الا واورد له نصا خاصا في كتابه «مدامع العشاق» . لقد التقت دموعهم فيما اورده من قصائدهم وشذراتهم ، تخلبك منه عبارات الاستحسان والتذوق ، تأكيدا لما في نفسه من حب مستعر ووجدان متقد ، تتغلب الوجدانية على كل تحليل وتدقيق ، لان الدكاترة مولع بالنص لذاته ، لا بالدوافع الذاتية التي تختفي وراء النص . لقد سادت كما قلت هذه الوجدانية الذاتية على كتابته في مطالع شبابه، بيد انها ايضا وجدت لها منافذ كبرى ارتسمت في مقالاته وكتبه التاريخية التحليلية ، التي كتبها في ابان كهولته ككتاب النثر الفني ، والتصوف الاسلامي ، ومحاضراته عن الشعراء والادباء .. كل هذا كان بسبب الاستيعاب المليء ، لادب العشق والحب والوجدان في صدر شبابه ..

لقد احس الدكاترة احساسا عجيبا بالجمال ، فافتتن بالوجه الجميل والنظرة الرشيقة والقامة الهيفاء ، وبكل مظهر جميل من مظاهر هذا الكون ، مثل ما افتتن بالمقطوعة الرشيقة والقصيدة العصماء والمقالة البليغة ، وكان اشبه بالقاص الانساني « تولستوي » يحدثنا في اعترافاته ، بانه ما اشرق عليه وجه جميل الا واهتزت له نفسه مشدوهة دهشة ، فكأن تولستوي الة موسيقية شدت اوتارها واحتضنها الجمال وعزفت انامله عليها واستخرجت منها اعذب الانغام وارق الاناشيد ..

لقد تضخمت شخصيته الوجدانية الى حد عجيب، فنبت فيها شعور الاستعلاء تغذيه العرامة والعنف ، وشعور الاستعلاء يربي الحاقدين وينشيء المبغضين ، ووضحت نفسه قلم يخبئها متخابثا كما كان يفعل المازني وبدت صريحة الى ابعد غايات الصراحة ، وكيف لا يكون صريحا وهو الذي استمد وقوده ، من شعراء الصراحة الذين انكبوا على انفسهم يشرحون اهواءها ويبدون ما خفي على الناس منها ، يترقرق على حلو نشيدهم وجمال موسيقاه صريحا خاليا من كل تصنيع ونفاق ..

والصراحة تجني على صاحبها في ميدان الحياة الاجتماعية ، اذ يتطلب في هذه الى التزلف والرياء ، فقد صفع بقلمه وحرارة قوته كثيرا من ارباب النفوذ ، الذين آلت اليهم القوة ، بحيث يضغطون على الزر ، فيسقطونه من المنزلة التي ارتقى اليها ، ينالون من رزقه وصفاء حالته المادية ، وهكذا كان ، الا ان الاحداث لم تنل من صفاء روحه فلملم نفسه ليصمد للكفاح وللنزال والمعاكسة امام الادباء والكتاب وارباب النفوذ ، عاش اواخر شبابه وكهولته مكافحا مناوئا، يتوثب كما يتوثب الفرس الجواد، ناعيا سوء تقدير المجتمع والناس له ، وناعيا محاربة الصراحة والعبقرية بوسائل المكر والخداع . ان تكوين الرجل الجثماني ، وما استمده من فحولة عارمة ارثا عن الاباء والاجداد ، وما ورثه من مضاء العزيمة وجراة القلب ، كل هذا اورثه الصمود في معركة الحياة ، ولكن الجواد لا بد له من كبوة وعثرة .

عـذاب

احقـا رحلـت ؟.. أنـا لا
أصـدق ... هـذا الهـراء
ولست أصـدق ان النجـوم
تنـام بحضن الاسى والشقـاء
لـو انـك قلـت وداعـا
وأبقيت فـي القلب بعض العزاء
لمـا قلـت انـك غـدارة
وانـك لا تعرفيـن الوفـاء

لاول مرة ...
اقـول اليـك بأني حزيـن
وانـي بكيت بغيـر انتهـاء
وأذللت دمعـي كأنـي اغتربت
وودعت عهـد الاماني الوضاء
لاول مرة ...
يلوح بآفاق عمري الفناء

احقـا رحلـت ؟.. أنـا لا
أصـدق هـذا الهـراء
أمـر أمـر كسابـق عهـدي
لعلـي أراك صبـاح مسـاء
وأسال عنـك ضميـر الليالـي
وعطـر الورود وبـدر السمـاء
ولا شيء يطفيء نـار اشتياقي
ويشفي الغليل ويروي الظمـاء
ومهما افترقنـا ... ستبقيـن
وحـدك انـت الرجـاء
ستبقين وحدك سـر الخلـود
وسـر الحياة وسـر البقـاء
ستبقيـن شمعـي المضـاء
ستبقيـن حبـي ! ... وتبقـى جميع فصول حياتـي شتـاء !!

عمان ـ الاردن
عبد الرحمن عاليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد وهب نفسه ، في اواخر حياته ، للحب والحق والنفم والتصوف محتميا في ظل هذه الاقانيم الاربعة يأسا من معاول اولئك الذين يتطاولون على العبقريـة واطفاء روح النبوغ بأنفاسهم الحرار الحاقدة ، ولكنـه وهو على سرير المرض اخذت شعلة الكفاح المستقرة في اعماقه تدفعه الى مناواة حاسديه ، فجاهد في كتابته ، ليستطيع ان يعثر بالقرش الشريف ليرد غائلة الجوع عن عائلته ، بعد ان مكن لها المسكن الرحيب . كان الدكاترة يكتب بقوة الرجل الجسور في كتابته عرام وشدة ، لا يخشى شيئا يلاحظ ويدقق ويأتي بالمعجب المطرب في تسجيل جوانحه وخواطره ، تنثال عليه الخواطر متدفقة كالسيل ، واذا هطلت عليه وسحت ، اشتدت حركـة وحيوية اسلوبه ، واذا بان على اسلوبه احيانا بعـض التفكك ، الا ان ذلك من فيض الحيوية لا من جدبها ، انه كاتب انفعال لا كاتب افتعال . ان كاتب الافتعال يستمد وقوده من كاتب الانفعال ، فيمط فـي اسلوبه ويحاور ويداور ولكن تنقصه تلك الحرارة التي يمتاز بها كاتـب الانفعال ..

ما اروع المبارك ، حين يتدفق بمقال كله احاسيس ، يصور صبوته بالمحبوب الذي سافر للقائه وهو علـى المحطة يقول : « في المحطة نزل جميع الركاب ، وبقيـت وحدي بمن انتصر على هذه الوحدة القاسية ، وقد هجم القيظ على القطار ، وهجم الوجد على قلبي ، سأخلـق لنفسي مجتمعا صخابا ، من احزاني واشجاني وسأبعث الاموات من ضلالاتي فيما سلف من ايامي وانا في جميع احوالي طبيب نفسي ، وانا لنفسي خير الاطباء » ويقول في موضع اخر « زار احد الناس احدى حدائق الحيوان، فطاب له ان يقدم للاسد قطعة من الخبز ، كالذي صنع في ملاطفة احد القرود ، ولكن الاسد عرف طعامـه الصحيح فانتزع لنفسه ذراع ذلك المخلوق ، وكذلـك صنعت لنفسي ، فما اكتفيت بمعاقبة العيون السود ، وانما اقتديت بذلك الاسد الصوال ، فتركت العيون السود مضرجة بالدمع النجيع ففي عين كل دعجاء لمع حمراء ».

وهكذا فالدكاترة ابي عزيز النفس حتى في حبه ، لم تنل الاحداث من روحه، ولا تطاولت الى انفته، ومات عزيزا كريما وهو ينشد :

اذا اعتكرت دياجي الظلم حينا
نظرت ظلامهـا ، ثـم ابتسمت
وان طالت ، مصاولـة الليالـي
هزمت حيالهـا ، فيمـا هزمـت
زمـان لـم اجـد فيـه صديقـا
اشاطـره سروري ان فرحـت

عمان ـ الاردن
مصطفى درويش الدباغ

ابن خلدون الاديب الناقد

بقلم محمد قنديل

* * *

عبد الرحمن بن خلدون علم من اعلام تراثنا الحضاري ، وتراث الانسانية جمعاء ، وهو ظاهرة فريدة في التراث العربي على مر العصور ، ذلك اننا لم نجد عقلية تشابه هذه العقلية ، في مقدرتها على دراسة الظواهر الاجتماعية التي سادت ـ بالاخص ـ في القرن الرابع عشر الميلادي، فهو الذي ابتدع علم الاجتماع ، او كما نسميه : علم العمران والاجتماع البشري ، وهو بهذا سبق اوجست كونت بعدة قرون في هذا المضمار .

وقد نال هذا العلم الفذ اهتماما كبيرا في مجال الدراسات الاجتماعية ، فكانت هناك الدراسات التي تتعمق اغوار نظرياته الاجتماعية، وكانت هناك الدراسات التي حللت نظريته السياسية تحليلا عميقا ناجحا ، وتكاد بعض هذه الدراسات تربط بين نظريته هذه ونظرية ميكافلي السياسية ، التي تعتبر الجملة المشهورة (الغاية تبرر الواسطة) محورها ولباب المحصل فيها .

الا ان القليل هو الذي يعرف ابن خلدون الاديب والناقد والمؤرخ الادبي ، والحق ان نظرياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية قد طفت على ما له من باع طويل في مجال الادب والنقد ، لذا سيكون موضوع حديثي عن ابن خلدون هو ادبه ونقده .

ولد ابن خلدون في تونس عام ٧٣٢ هـ ، وتوفي في القاهرة عام ٨٠٧هـ ، وتوفي والداه بوباء الطاعون الذي اجتاح تونس ، وهو سليل اسرة عربية اصيلة تنتمي الى حضرموت ، وهي اسرة تقدر العلم والادب ، فتوفيهما كل اهتمام . اخذ العلم عن والده منذ الصغر ، ولما توفي والده كان قد تجاوز السابعة عشرة من عمره ، فانقطع عن الدرس والتحصيل .

وقد اخذ علومه عن عدة اساتذة مختصين بمجالات مختلفة ، فقد قرأ على ابي عبد الله محمد الانصاري القرآن بالقراءات السبع ، كما درس عليه لامية ورائية الشاطبي ومن اساتذته في الادب واللغة ابو عبد الله محمد الزرزاني وابن القصار وغيرهم ، ونجد ثبتا طويلا في ترجمة ابن الخطيب للكتب التي درسها ابن خلدون والشيوخ والاساتذة الذين اخذ عنهم وحضر مجالسهم ، ونجد مثل هذا في ترجمة ابي المحاسن بن تغري بردى له ايضا ، وبالاطلاع على هذه التراجم يتبين لنا عظم الثقافة التي حصل عليها وتنوع هذه الثقافة .

كان اول عمل اشتغل به هو كتابة العلامة للسلطان ابي اسحاق ، وهي ، كما يعرفها الاستاذ محمد عنان في كتابه «ابن خلدون» : « التوقيع باسم السلطان وشارته على المخاطبات والمراسيم الملكية » .

وعندما رحل الى مصر اشتغل بالتدريس ـ بالاضافة الى منصب القضاء ـ في عدة مدارس منها : المدرسة القمحية ، وهي احدى مدارس المالكية ، والمدرسة الصالحية ثم المدرسة الظاهرية البرقوقية ، ومدرسة صرغتمش حيث كان يدرس الحديث .

يتضح لنا خطورة منصب « كتابة العلامة » الذي تولاه لابي اسحاق ، فقد كان يعني مقدرة ابن خلدون منذ حياته على معالجة القضايا الادبية . وبالفعل فقد بدأ حياة الاديب مع بدء حياة العمل ، فقد عالج الادب شعرا ونثرا منذ وقت مبكر ، ولكنه يبدع في مجال النثر ، بينما يقصر عن الابداع في مجال الشعر .

فقد حمل لواء الثورة على الاساليب النثرية الشائعة في عصره ـ عصر البديع والتلاعب بالالفاظ والزخرف من القول في الادب ـ فدعا الى العودة بهذه الاساليب الى ما كانت عليه في ايام عبدالحميد الكاتب فيقول : « وهذا الفن المنثور المقفى ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر ، فوجب ان تنزه المخاطبات السلطانية عنه » ، والمحمود في ذلك « الترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا في القليل النادر ، حيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له » .

وهو بهذا يدعو الى ان يكون النثر حسب ما تمليه طبيعة الغرض الذي وجد له ، ليس فيه من المحسنات البديعية الا ما جاء عفو الخاطر ، فلا كد ولا اعمال ذهن ، يخرج بالموضوع الى ان يكون تكلفا اكثر منه طبعا . الا اننا نلاحظ ان ذلك ما كان ليسير عليه في جميع نثره ، ويظهر ان للمجتمع الذي عاش فيه اثر على ذلك . فما كان الحاكم والسلطان ليرضى عن المدح الا بالطريقة الشائعة في عصره .

ونحن نرى شبيها لابن خلدون في هذا ، ابا نواس في شعره ، فقد ثار على الاساليب الشعرية القديمة من مقدمات طللية وغيرها ، الا انه عندما كان يتوجه لمدح خليفة كالمهدي مثلا ، فهو يبدأ بما بدأ به شعراء عصره ، من ذكر الاطلال والظعن والنسيب ومشاق السفر ، ليكون لشعره قبولا لا يقل عن قبول شعر غيره عند الخلفاء والحكام .

وهكذا نرى ابن خلدون رغم ثورته على المحسنات البديعية ، يدخل هذه المحسنات ، وخاصة السجع ، في خطبة كتابه المشهور « العبر » الذي اهداه الى السلطان ابي العباس عندما وضعه لاول مرة . ومن قوله في اول

خطبة له عندما عين مدرسا بالمدرسة القمحية ، وقد حضرها لفيف من سراة القوم ورجال العلم : « ولما سبحت في اللج الازرق ، وخلوت من افق المغرب الى المشرق ، وشجرة الملك التي اعتز بها الاسلام تهتز في دوحة المعرق ، وازهار الفنون تسقط علينا من غصنه المورق ، وينابيع الكلام والفضائل تمد وشلنا من فراته المغدق ... الخ »

والحقيقة ان ابن خلدون دعا الى الاهتمام باللفظ اهتماما يفوق الاهتمام بالمعنى حين قال في مقدمته : المعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضي ، فلا تحتاج الى صناعة » ، فهو يضع اللفظ في الموضع الاول ، ويجعل المعنى تابعا له ، وهو بهذا متأثر من بعيد او قريب بالجاحظ حيث يقول : « ان المعاني مطّروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي ، وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج .

ولن نرى احدا يوافق ابن خلدون على رايه هذا وراي الجاحظ من قبله ، فهو التعسف الواضح ، والتعلق الشديد بمذهب الصنعة اللفظية ، فان لكل من اللفظ والمعنى اهمية كبرى ، اذ ان الكلام لا يؤدي غرضه الا اذا تعانق اللفظ والمعنى ، ووجد في كل منهما الجودة والطلاوة ، لذلك نرى ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » يقسم الكلام الى اربعة اقسام : قسم جاد معناه ولفظه ، وقسم جاد معناه وقصر لفظه ، وثالث جاد لفظه وقصر معناه ، ورابع قصر معناه ولفظه ، وبطبيعة الحال فهو يفضل القسم الاول لتوفر الجودة في كل .

الا ان دعوة ابن خلدون الى هجر اسلوب الشعر في النثر قد خففت من غلواء تعلقه بهذا المذهب ، اذ ان معظم انتاجه النثري كان ترسلي الاسلوب ، ومن خير الادلة على هذا مؤلفاته العديدة ككتاب «العبر» و «المقدمة» و « التعريف » و « لباب المحصل » ، وخير الكلام عنده ما جاء عن سلامة طبع وبعد عن التكليف المقيت .

لقد عده البعض ذا اثر كبير في اسلوب النثر السائد في عصرنا هذا ، اذ يقول الدكتور علي عبد الواحد في كتابه (عبد الرحمن بن خلدون) : « وظل اسلوب الكتابة في معظم البلاد العربية على هذه الحال حتى طبعت مقدمة ابن خلدون بمصر في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، ثم في بيروت بعد ذلك بقليل ، وعم انتشارها ، وكثر تداولها بين الناس وتقرر تدريسها في بعض معاهد العلم ، وصاحب ذلك فترة ارتقاء ونهوض فكري ولغوي ، واحتكاك بالثقافة والاداب الاوروبية ، فأخذت حينئذ اقلام الكتاب والمؤلفين تتأثر بأسلوب ابن خلدون ، ولم يمض على ذلك امد طويل حتي سيطر هذا الاسلوب على جميع مناحي الكتابة » .

ويقول عنه العسقلاني « كان لسنا فصيحا حسن الترسل » ، وكانت اكثر الكتابة التي تصدر عنه «بالكلام المرسل الذي كان قد انفرد به ، وحاكى فيها طريقة عبد الحميد بن يحيى الكاتب » كما يقول ابن تغري بردى .

كنا نتوقع ان تصاحب دعوة ابن خلدون الى هجر المحسنات البديعية في النثر دعوة الى مثل هذا في الشعر ، ولكنا وجدناه يدعو الى هذه المحسنات في الشعر ، فالشعر كما يقول تناسبه اللوذعية وخلط الجد بالهزل ، والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات . الا ان دعوته هذه لم تكن ذات صدى عميق في نفسه ، فلم تظهر هذه اللوذعية والتلاعب في الالفاظ الا في القليل النادر من شعره ، كهذا البيت :

غربت ركائبهم ودمعي سافح فشرقت بعدهم بماء غروبي

فالطباق واضح بين غربت وشرقت ، والتورية ظاهرة في ماء الغروب الذي يقصد به الدموع .

والذي يظهر من قراءة ودراسة شعر ابن خلدون انه من ذوق اصحاب المدرسة القديمة ، التي كانت تسير على نهج واضح معين ، فقد كانت تبدأ قصائدها بذكر الاطلال والظعن والنسيب ، وقد ظهر اثر هذا الذوق في كثير من مطالع قصائده ، ويظهر ذلك ايضا من ايراده اراء شيوخه الذين كانوا يعيبون شعر المتنبي وابي العلاء لنكوصه عن التقاليد القديمة في بناء القصيدة العربية ، فمن مقدماته الطللية :

هذه الديار فجهن صباحا وقف المطايا بينهن طلاحا
لا تسأل الاطلال أن لم تروها عبرات عينك واكفا ممتاحا
فلقد اخذن على جفونك موثقا ان لا يرين على البعاد شجاحا

وقوله من قصيدة انشدها ليلة المولد النبوي ، والتي يمدح فيها محمد بن يوسف بن الاحمر ، وهي من اشهر ما نظم ، وفيها نلمح الشبه بين شاعرنا وشعراء العصر الاموي ولكننا لا نجد فيها غرابة وحوشية تلك الالفاظ التي نجدها في كثير من اشعار هؤلاء :

اسرفن في هجري وفي تعذيبي واطلن موقف عبرتي ونحيبي
لله عهد الظاعنين وغادروا قلبي رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعي سافح فشرقت بعدهم بماء غروبي

وقوله :

وقفت انشد صبرا ضاع بعدهم فيهم واسأل رسما لا يناجيني

الا ان اثره الشعري قليل لا يقاس بما خلف لنا من ثروة نثرية ، وليس له من الشعر الجيد الا القليل النادر ، ومعظم شعره يتأرجح بين التوسط والاسفاف والتكلف وتعسف القوافي ، وهو يعترف بهذا حين يقول : « ثم اخذت نفسي بالشعر فانثالت علي منه بحور ، توسطت بين الجودة والقصور » وقوله « اجد استصعابا في نظم الشعر متى رمته » . وهو يعلل هذه الصعوبة وهذه الصفة في شعره ، بانه حفظ كثيرا من المتون النحوية

المنظومة والشعر والقراءات فاثر بالتالي على قريحته وملكته الشعرية . ويقدر ابن الخطيب ـ معاصره وصديقه ـ بانه لم يكن ماهرا في نظم الشعر تلك المهارة التي تضعه في مصاف الفحول من الشعراء .

ولعل قلة شعره راجعة الى انه كان يعتبر نفسه من اهل المراتب والمناصب العالية ، التي تجعل من صاحبها كعبة الشعراء ومحجتهم ، يستجدونه العطاء بالمدح ، ولعل لهذا السبب دخل في ندرة شعره ايام اقامته في مصر .

وقد كانت تلك الفترة التي قضاها في المغرب قبل رحيله الى مصر هي ـ كما يقول الاستاذ عنان ـ عهد البيان والشاعرية فاشتهر في دوائر الادب والشعر بالمغرب والاندلس يومئذ ، ويقول « ان شعر ابن خلدون تبدو عليه مسحة من التصوف ، وانه ينحو في كثير من قصائده منحى الشعراء الصوفيين في صوغ الغزل الروحي » . فقد درس التصوف واظهر تفهما له ، ويبدو ذلك واضحا في معالجته لعلم التصوف في مقدمته .

اما ابن خلدون الناقد ، فقد كان كما قال عنه بعض معاصريه جيد النقد للشعر ، فقد وجه همه الى نقد الشعر باعتبار اساليبه . ومع ان نقد ابن خلدون لم يمس المضمون والجوهر ، او لم يتعرض له ، فقد افاد ، ووضع لبنة هامة في اسس توجيه النقد الى الاساليب الشعرية التي راى معاصريه يسيرون على هديها .

وقد تحدث في مقدمته حديثا طويلا عن البلاغة واللغة والادب ، يتبين منه مقدار ما كان يتمتع به من ثقافة واسعة وبصيرة نافذة ، فقد تابع في حديثه عن البلاغة حتى انتهت في عصره الى ان تكون صناعة مقصودة لذاتها .

وتحدث عن لغات العرب حديثا مستفيضا واوضح ان اللغة « ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها ، بحسب تمام الملكة او نقصانها » . فقد كانت اللغة ملكات اصيلة في العرب الاقدمين ، ولكن فساد هذه الملكات انما جاء عن اختلاط العرب بالعجم ، والعجم بالعرب ، فأصبحت اللغة بذلك ملكة صناعية تكتسب بالدراسة والتمرس على اساليب التعبير المختلفة، بعد ذلك يوضح ان لغة العرب الموجودة ـ على عصره ـ لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير ، ولا ينسى ان اللغة العامية الشائعة في عصره في الحضر والامصار فيقرر انها اختلفت عن اللغة الفصحى وابتعدت عنها ، ثم يوضح بعد هذا كله الطريقة التي يجب على المتعلم اخذ نفسه بها ليستطيع اللحاق بأهل الفصحى وهي عنده لسان مضر .

ويصل به الحديث الى الادب بقسميه : الشعر والنثر ، فيعيب على المتأخرين استعمال اساليب الشعر في النثر والالتزام في القوافي ، وتقديم الاطلال والنسيب بين يدي الاغراض الشعرية ، ويعلل ذلك باستيلاء العجمة على السنة الكتاب وبقصورهم عن اعطاء الكلام حقه في مطابقة مقتضى الحال .

الا ان ابن خلدون نفسه لم يكن بمنجاة من هذا العيب الذي اخذه على المتأخرين ، فقد وقع في مثل ما وقعوا من ذكر الاطلال والظعن في مطالع قصائده ،كما لاحظنا سابقا فيما اوردناه من شعره .

ثم يؤكد ان الاجادة في النثر والشعر لا تجتمع في شخص واحد ، الا الاقل النادر ، وسبب ذلك في رايه « انه اذا تسابقت الى محله ـ اللسان ـ ملكة اخرى ، قصرت بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة » .

وتظهر لنا ملكته النقدية وقدرته واضحة حين يتكلم عن كيفية صناعة الشعر ونظمه ، وانواع المقدمات التي كان يبدأ بها الشعراء القدامى قصائدهم ، ولكنا قلما نقع على راي شخصي محدد له في الناحية التي يعالجها.

ويعد ابن خلدون من مؤرخي شعر عصره ، فقد ارخ لعدة انواع شعرية كانت وليدة البيئة التي نبتت فيها ، ولم تعرف من قبل . فقد ذكر لنا كيف نشأت الموشحات في الاندلس ، وان اول من انشدها هو ابن معافر الفريري، واخذ عنه ذلك ابن عبد ربه ، ولكن موشحاتهما اندثرت وعفا عليها الدهر والنسيان ، لتفوق الموشحات التي جاءت بعدهما عليهما لاستكمال اسباب الصنعة وذلك عندما استكملت وجوه واسس هذا النوع من الشعر . وهو بذلك يقرر ان ليس للمشارقة شيء يستحق الذكر من الموشحات ، اذ ان التكلف ظاهر على ما عانوه منها .

ويؤرخ ظهور الزجل بظهور الشاعر ابو بكر بن قزمان القرطبي ، امام الزجالين بلا منازع . كذلك يذكر ما سماه « عروض البلد » ، وقد ظهر كما يقول في المغرب، ومبتكره رجل اندلسي هجر الاندلس ، ورحل الى فاس، وهو ابن عمير ، ويشبه عروض البلد الموشح في نظمه الا انه خال من الاعراب وباللغة العامية ، وقد استحسنه اهل فاس ، وولعوا به ، وانتشر في المغرب الاقصى .

ولا يفوته ان يؤرخ ظهور « الموال » او ما سماه في مقدمته « المواليا » في بغداد فقد استحدثه اهل بغداد، ولم يكن معروفا من قبل ، وهو باللغة العامية ، وتبع البغداديين في هذا الفن اهل مصر ، واتوا فيه العجائب. وهو في كلامه عن الموشح والزجل وعروض البلد والموال، يعني بالشواهد والادلة عنايته بتأريخ هذه الانواع نفسها، فقد اورد امثلة كثيرة على كل نوع ، يستطيع مطالعها في مقدمته ان يأخذ فكرة واضحة عن الفن نفسه .

واسلوب ابن خلدون يشوبه شيء من الاستطراد ، الا انه لا يصل الحد الذي وصل اليه الجاحظ ، ولم يشذ شذوذه عن الموضوع الاصلي الذي نذر نفسه له .

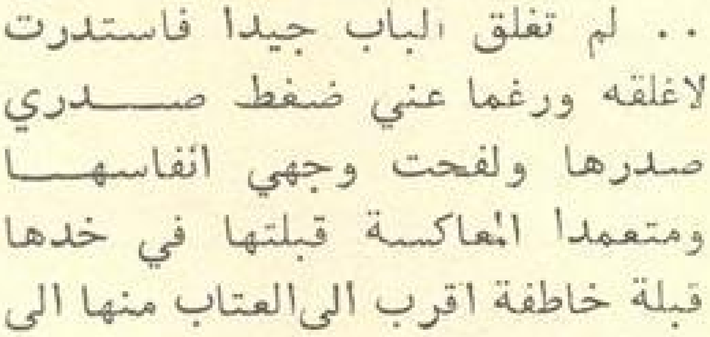
هذا هو ابن خلدون الاديب الناقد ، واننا لنأمل ان يتاح لهذه الناحية عند ابن خلدون دراسة وافية ، تفيه حقه ، والامل واسع في باحثينا الاجلاء ليكشفوا عن هذه الناحية الخيرة عند صاحبنا ، ليتبين الجميع نواحي الخلود في تراث هذا العلم الفذ .

الدمام ـ السعودية **محمد قنديل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطوات في الرمل

بقلم احمد محمد الامين



ذات مرة وهي بجواري في العربة .. لم تغلق الباب جيدا فاستدرت لاغلقه ورغما عني ضغط صدري صدرها ولفحت وجهي انفاسها ومتعمدا المعاكسة قبلتها في خدها قبلة خاطفة اقرب الى العتاب منها الى الغرام .. ولم تقل شيئا ، لم تعترض ولم تبد قبولا . ولم نعلق على الامر لا في حينه ولا بعد ذلك .

وفي مساء اخر وانا اودعها ضغطت على يدي ، ضغطة خفيفة قد تكون بريئة وقد تكون مجرد مشاكسة لكل منا .. ملء الفراغ في حياتنا ، احياء لعواطف اصابها الركود والكدر فكنا نخرج ومعنا احدى اخواتها لنقضي امسية في حديقة عامة او ندخل السينما او المسرح وكانت تتجه بالحديث عن زوجها .. عن الامسيات التي قضياها سويا ، الاماكن التي زاراها معا .. الافلام التي شاهداها معا . دائما تجعله يحضر جلساتنا كانما تخشى أن يتهمها بالخيانة ودائما تخرج معي بصحبة اخواتها كانها فعلا تخشى ان ترتكب خيانة . غير انه بمرور الايام اصبحت اكثر التصاقا بي واقل حديثا عن زوجها. لو دار الحديث عنه حولته بنفسها وعن قصد بعيدا عنه وغيرت الموضوع باصرار واضح الى شيء اخر .

عمر زواجها طفلة ما زالت تعبث بالثدي لتنام . ولما سافر زوجها للخارج في بعثة قصيرة ، لبضعة اشهر ، وبقيت خلفه ، لم تشعر لاول وهلة بالم الفراق . احاسيس مبهمة من الحزن والقلق والضيق كانت تنتابها وهي تراه يصعد سلم الطائرة ويلوح لها مودعا . لكنها لم تستطع ان تميز مشاعرها الى ان عادت الى البيت ورأت بعض ممتلكاته الخاصة مبعثرة في ارجاء المنزل فتجسم فيها نوع من حياته، لمسات من وجوده معها .. وبدأ احساس الفراق يطبق عليها وكادت تبكي .. بالفعل ترقرقت عيناها بالدموع ولكن الدموع لم تسقط ـ حبسها الحياء والعناد ونوع من اللامبالاة .

كنت صديقا لعائلتها اكثر مني صديقا لعائلته او له .. في الواقع معرفتي به سطحية لاتتعدى عبارات المجاملة عندما نلتقي في منزلهم صدفة .. في زيارة لي لاهلها .. وكانت الكلفة مرفوعة بيني وبينها ، تتشاجر معي وتخطف مفتاح العربة من يدي وتستولي على جرائدي قبل ان اراها وتفتش جيوبي وتقرأ خطاباتي الخاصة وان رفض زوجها ان يأخذها للسينما قالت له بكل بساطة انها ـ واخوتها ـ سيذهبن معي . وتجلس في المقعد الامامي وتصيح في آمرة ! تعال سوق !..

ولما ودعتهم في ذاك المساء .. اول مساء تقضيه بدون زوجها شعرت أنها تتشبث بي .. لا تريدني ان اذهب . وجدت في شيئا من زوجها ـ ربما اكثر ـ فهي قطعا تعرفني اكثر مما تعرفه .

وكنت في ذات الوقت في خلاف مع زوجتي ، وقد تركت المنزل وسافرت لاهلها في كسلا وتركتها تذهب وانا اتنفس الصعداء ، لم اعد احتمل عنادها ومناكفتها التي لا تنتهي . بدا لي اننا لا يمكن ان نعيش معا في ذلك الجو المشحون بالتوتر .

ولذا كان في وجودنا معا سلوى ولكني شعرت بها كيد امرأة جميلة تضغط على يدي .. وحررت يدي من قبضتها وذهبت في سبيلي وانا اتحسس مكان اصابعها واشعر بالخدر الذي خلفته .

احيانا اجدها في المنزل بقميص النوم .. قصير ، شفاف ومغري . وتجلس امامي في كرسي او بجانبي على سرير ولا أستطيع ان ارى فيها سوى امرأة جميلة ومرغوب فيها . وبدأ كل منا يقرأ افكار الاخر ويخجل منها ، كل منا يخشى ويود في نفس الوقت ان يسير في طريق الاغراء ، كل يمد يده في حذر وخوف وشغف الى التفاحة المحرمة . كان لا بد ان تسقط التفاحة في ايدينا من كثرة ما مددنا لها الايدي وبحلقنا فيها بالعيون ورجوناها ان تسقط .

ذات مساء خرجنا كالعادة ومعنا اختها الصغرى وفي الطريق قابلتها احدى صديقاتها فتركتنا وذهبت معها ونحن في قرارة انفسنا نحمد لها صنيعها ونكاد نشجعها رغم بعض عبارات جوفاء من الاعتراض تفوهنا بها بلا حماس حتى كادت تشك في نوايانا الحقيقية ـ او لعلها شكت فعلا .

وبذا وجدنا انفسنا وحدنا والعربة تسير بنا ببطء كانها تستحثنا ان نغير رأينا واستقبلنا البيت فاغرا فاه في دهشة ، اول مرة ادخله بصحبة امرأة غير زوجتي. وجلست على حافة الكرسي في ترقب كأنها تتوقع ان تدخل زوجتي وتطردها او يدخل زوجها ويجدها في بيت رجل اخر .. والصمت يطبق علينا الى ان فصلنا حتى من افكارنا . .

وتكررت زيارتها لمنزلي . لم تعد العربة تسير ببطء ولا البيت فاغرا فاه دهشا ولا الجو الصامت المشحون بالتوقع والوجل . امتزج وجودها في الكيان المنزلي حتى اصبحت جزءا منه بدات تألفه اكثر من بيتها . كانت لا تحدثني عن الخطابات التي تصلها من زوجها كانها لا تريد ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى المجاهدين

امتي امـــة الجبابـرة العظمـى ورمـــز الخلـــود فـــي الازمـان
ان ماضيك يدفـــع الحاضر اليـوم بنـــار البركـــان بالطوفـــان
صرخـــات اللصوص تـــروي حواليـك وتعـــوي حناجـر القرصان
فاصمدي فـــي وجوه مصاصة الدم ودكـــي معـاقـــل الغيـــلان
واسحقي كل غاصب جـــاء بالغـدر وردي العـــدوان بالعـــدوان
سوف تبقين فـــي الذرى الشم رمزا فـــي الليالي لعـــزة الانسان
واعاديك سوف يطمرهـــا التـــاريخ يومـــا فـــي هـــوة النسيان
لو اتـى اليوم الف (هولاكو) فـالدنيا ستروي هلاكهـــم بالهـــوان
انت انت يـــا امتي سوف تبقين وتفنـــى قوافـــل الطغيـان
امـة فـــي الحياة تبني الحضارات بهـــدي الانجيـل والقـــرآن

البحرين — احمد محمد الخليفة

تجعل بيننا صلة . تريد ان تفصـل علاقتها معي عن علاقتها مع زوجها كأن التي تعيش معي ليست التـــي تراسل زوجها . ولم يصلني مـن زوجتي ما يدل على انها ترغب فـــي العودة او تشتاق لبيتها ولم آبه بها.

وازددنا التصاقا ببعض كأن ملاذنا الوحيد ان نكون معا حتى بدا لي ان ليس من السهل ان نتخلى عن بعضنا البعض او توهن العلاقة التي توطدت بيننا ، الى ان قالت لي ذات مـرة ونحن ندخل دارى وقد كانت صامتة طيلة الطريق :

ـ يومنا هذا ليس له ثان ..

قلت وقد بدأ القلق يساورني

ـ ماذا تعني ؟

فقالت : لن تراني غدا .. لن تراني أبدا ..

لما رأت اني اطلب ايضاحا اكثـــر قالت :

ـ غدا سيصل زوجي .. لا .. لا تقل شيئا . ولا كلمة . لا مجـال لجدال .. فلنعش يومنا هذا كأحسن ما نستطيع كآخر يوم في حياتنا ..

وضح لي من تصميمها أن فعلا لا مجال لجدال .. اني لن اراها بعـد اليوم .. وقضينا يومنا ونحن ننظر الى وجودنا معا ينتزع منا دقيقـــة بدقيقة ويترك اثاره الما وحرمانا ..

وقفت وهي تودعني في مكاني علـى غير عادتي اذ كنت دائما اخذها الى منزلها . قالت والالم يقطر من كـل كلمة تنطق بها كمن تجري له عملية جراحية عليها تعتمد حياته ، يحس بالالم حتى يكاد يراه بعينيه ولكنـه يتجلد : على انه اخف الالمين .

ـ سنفترق من هنا .. لا تـــدع الصدف تضعك في طريقي تحـت أي ظرف ..

قلت محتجا : ولكني صديق لاهلك ..منذ امد طويل ..

قالت وعيناها تحبس دموعا كادت تسقط :

ـ ادري ذلك .. ولكنا قد ختمنا على ذلك النوع من الصداقة بخاتـم الموت يوم بدأنا علاقة اخرى .

ثم صمتت لتقول :

ـ لا بد ان اودعك من هنا .. شكرا .. شكرا على كل شيء .

واندفعت خارجة وتركتني احدق فيها وهي تبتعد وهمست كأني اكلم طيفها :

ـ وداعا .. وشكرا لـك انت ، شكرا على كل شيء ..

ودخلت لادير قرص التلفون واطلب مكالمة خارجيـة .. سألتني فتـاة الترنك سؤالها التقليدي وهي تقيد الرقم الذي امليت :

ـ عاوز المكالمة عادية واللا مستعجلة؟

فقلت بحماس :

ـ مستعجلة جداً جدا .

فضحكت قائلة :

ـ كلكم تريدون مكالماتكم مستعجلة

قلت : ليس هذه المرة .. اريد ان حدا جدا وغالبا لامر تافه ..!

قلت : ليس هذه المرة .. اريد ان احدث زوجتي .. اريدها ان تعود لي .

قالت فتاة الترنك :

ـ اني المح الالحاح في صوتك .. اني احسد زوجتك .. يبدو انكما سعيدان في حياتكما الزوجيـة ..

قلت كأني اكلـــم نفسي وحبات العرق تتجمع فوق حاجبي :

ـ سأبذل كـــل جهـدي لنكون سعيدين ...

وقاطعني صوتها قائلا في اهتمـام روتيني :

ـ قلم كسلا .. زوجتك في الخط

الخرطوم — احمد محمد الامين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



الاركان الاربعة في ضوء الكتاب والسنة

تأليف السيد ابو الحسن علي الحسني الندوي امين ندوة العلماء العام بلكهنؤ الهند وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الفتح ببيروت ـ مطابع معتوق اخوان ببيروت

تناول الكتاب اربعة من اركان الاسلام السنة : الصلاة والزكاء والصوم والحج في وضعها السماوي ، وحقيقتها الشرعية ، وتشريعها في الاسلام ، وغيره من الديانات السماوية ، ومكانتها في الدين وفي الحياة ومقاصدها واسرارها ... وذلك كله ـ كما يقول المؤلف ـ « في غير تكلف عجمي ، وتنطع فلسفي ، وتطرف شخصي ، وفي غير خضوع لافكار اجنبية واتجاهات عصرية ... » والمؤلف الفاضل يعترف بانه أعد بعض هذه الفصول لينشر في مجلة كانت تصدر في جنيف بسويسرا وليذاع من محطة الاذاعة العربية السعودية في مكة المكرمة.

ثم اكمل الكتاب بفصول اخرى اتماما للفائدة . ولكن المطالع لا يشعر بأي تفكك بين اجزاء هذا الكتاب الذي جاء سفرا جامعا لما تناوله من اركان الاسلام . سفر ننصح الى المسلمين اولا ، والى الشبان المثقفين منهم بصورة خاصة ، ثم الى غيرهم من المؤمنين بقراءته والتمعن في ما اورده من حقائق الدين والتشريع والفقه ، والفكر الفلسفي المنزه . وذلك كي يحققوا غرضين عظيمين : الاول هو معرفة الدين الاسلامي في موجباته على حقيقته . والثاني هو العلم بان اللغة العربية هذه ، ليست وقفا على العرب اصحابها الاصليين ، بل هي تراث انساني عام كما هي كل لغة حية عالمية .

والمؤلف العلامة السيد الحسني الندوي يقيم في كل فصل ، بل في كل صفحة دليلا تلو دليل على انه منبع غزير ، وعنوان بارز لهاتين المعرفتين : الدينية واللغوية ، برغم تواضعه في القول انه يلخص ما اورده « شيخ مشايخنا شيخ الاسلام احمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي » في مؤلفه « حجة الله البالغة » .

واجمل ما في هذا الكتاب الديني هي صيغته الادبية الآسرة . فانت لا تكاد تقرأ صفحاته الاولى حتى تجد نفسك مدفوعا الى الاستزادة من المطالعة ، فالى التهام الصفحات التهاما . ان اسلوب الكاتب رائع ، وهو يعلل وجوب الصلاة ـ اية صلاة ـ على اعتبارها مظهرا لتعلق الانسان بمثل أعلى . وان العبادة كانت على قدر مستوى الانسان وهو يتطورا صاعدا من عبادة الاوثان الى توحيد الله . وان الصلوات وجبات روحية ، تتغذى بها النفس كما يتغذى الجسد بالطعام المادي .

وهي فريضة دائمة مطلقة ، على عبد وحر ، وغني وفقير وصحيح ومريض ، ومقيم ومسافر . لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الاحوال . بخلاف الصيام والزكاة والحج .. حتى أمر بها ، في ساحة الحرب وميدان القتال . وهي تشحن نفوس المؤمنين بمقدار من غنى الروح وقوة القلب ، وطاقة النفس ، لا يوازيه شيء من غنى المادة وقوة البدن ، وطاقة التراب . ويروي المؤلف ما حدث لشيخ الاسلام « عزالدين بن عبد السلام » ، مع السلطان الملك الصالح « نجم الدين ايوب » اذ قرعه الشيخ على اهماله شؤون الدين ، والمحافظة على شعائره ، في المجتمع فقيل له بعد ذلك : « يا سيدي أما خفته ؟ فقال الشيخ : « والله يا بني استحضرت هيبة الله ، فصار السلطان قدامي كالقط » .

بل يرى المؤلف في الصلاة سبيلا للبرء مما يسمى اليوم بمركب النقص « اذ يقرن المصلي بينه وبين زملائه المصلين من فضلاء الامة ، وعباد الله الصالحين » . وهكذا يتسلسل البحث عن الصلاة ، فيقارن المؤلف بين صلوات الامم ، قديمها وحديثها ، ليرى ان الصلاة الاسلامية ادعى الى الخشوع . وانها باب الصلاح والاصلاح . وان كان ثمة صلاة وصلاة . فليست الصلاة مع الغفلة والجهل مثل الصلاة مع الاستحضار والثقة . وليست صلاة عامة المسلمين مثل صلاة العارفين واهل اليقين . ولا يجب ان تكون صلاة كل احد ، في اليوم ، مثل صلاته بالامس ـ وقبل شهور وسنين . »

وحينما يتحدث المؤلف عن الزكاة « يرى انها ليست في الاسلام ضريبة ، كما هي الضرائب المفروضة بالقوانين الزمنية ، ولا هي غرامة يدفعها الموسر ... بل هي عبادة كالصلاة التي يحرص على ادائها المسلم ، ويحافظ عليها بدقة ، ولا يقر له قرار حتى يقوم بها». وهنا يبرز المؤلف الناحية الانسانية في الزكاة ، ويذكر ان الاموال ليست هي حاجة الانسان الوحيدة ، وان المساواة فيها او الشركة لا تسد كل فراغ في نفسه ، وفي مشاعره واحاسيسه ، وفي حياته ، ولا تضمد كل جرح من جروحه . ان حاجته الى مؤاساة شاملة للحياة كلها أشد من حاجته الى المساواة في المال كله ، وفي المرافق كلها ».

ثم يورد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم القائل وهو يذكر وجوه البر والمعروف : « تعدل بين الاثنين ، صدقة . وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها ، او ترفع له عليها متاعه ، صدقة . والكلمة الطيبة صدقة . وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة . وتميط الاذى عن الطريق صدقة » ..

واجمل ما اورده المؤلف عن الصيام هو تلك المقارنة بين الصوم، لدى الامم الوثنية الغابرة ، واتباع الديانات السماوية السابقة للاسلام وبين الصوم الاسلامي . ثم يرى ان دوران هذا الصوم الاسلامي على فصول السنة ، لارتباطه بالتقويم القمري ، هو من ميزات الاسلام . « اذ لا يكلف المسلمون بالصوم في حر لافح ، وفي قيظ شديد ، ولا في برد قارس وشتاء كالح ، دائما وفي كل سنة فيتمتعون بتغير الفصول واختلاف الطقوس ويتعودون كل ذلك ، وهم في ذلك صابرون محتسبون ، او شاكرون حامدون » .

ومثل هذا اورده المؤلف للتدليل على ان الحج في الاسلام انما فرض لاصلاح ما فسد من عادات الناس ، في تلك المناسبة التي شرعها الله على لسان ابراهيم . « فقام الاسلام بدوره الاصلاحي التجديدي في الحج ، كما قام بدور مماثل في الاركان الثلاثة الاخرى . اذ تصدى للبدع الجاهلية ، ولمواقف الجاهليين الدخيلة ، فاجتثها واستأصلها وابدلها بخير منها . وبهذه الاصلاحات البعيدة الاثر ، رد التشريع الاسلامي هذا الركن العظيم الى أصله الابراهيمي ، ووضعه الاصيل النقي ، البعيد عن تأويل الجاهلين ، وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين »

رشاد دارغوث

الاصول العربيـــة للدراسات السودانية

جمع واعداد وتنسيق يوسف اسعد داغـــر الاختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة النجوى ببيروت

كل من يعني بين ادباء العرب اليوم بعلم الببليوغرافيا يعرف جيـدا المكانة التي يتمتع بها الاستاذ داغر في هذا المجال . فهو فـي طليعة المكتبيين العرب اليوم ، بعد الخدمات الجليلة التي اداها للمكتبـة العربية بالعديد من الكتب والمؤلفات التي وضعها والتي يعد بعضهـا بحق من المصادر والاصول التي لا يستغني عنها باحث والتي تعتمـد في كثير من الجامعات شرقا وغربا . فالاستاذ داغر من الرعيل الاول الذي تخصص بعلم المكتبات وفن تنظيمها والببليوغرافيا والتوثيـق العلمي من معهد المكتبات في السوربون . وقد اخلص الخدمة لمهنتـه ولعمله يعمل بدأب ونشاط فـي تزويـد الباحثين والعاملين في خدمة الثقافة بالاصول والمراجع الاساسية .

قدمنا بهذه الكلمة بمناسبة صدور كتابـــه الجديد « الاصول العربية للدراسات السودانية » الذي يؤلف اداة علمية لا مندوحـة عنها ولا بد منها لكل من يتصدى للبحث في اي ناحية مـن نواحي تاريخ السودان والبلاد المجاورة له او تتصل بالسودان ممـا يؤلف حوض نهر النيل .

فقد ارسلت منظمة اليونسكو الاستاذ داغر ، في السنة الماضية خبير في امور التوثيق العلمي وعهدت اليه العمل مـع وزارة التربية والتعليم في السودان على انشاء مركز للتوثيق التربوي يقوم على مـد المربين والاساتذة والمخططين للتنمية الاقتصادية في البلاد بما يلزم من المصادر والاصول . فقام بمهمته خير قيام .

وبالرغم من قصر الوقت الذي قضاه في السودان وهـو اربعة اشهر لا غير ، فقد وضع في اوقات فراغه كتابين تولـى نشر الاول منهما مكتب النشر التابع لوزارة التربية في السودان ، وذلك بعنوان « التوثيق التربوي . مفهومه ، اهدافه ومؤسساته » وهـو بحث طريف ، لعله الاول من نوعه في اللغة العربية، يقع في نحو ٧٥ صفحة.

اما الثاني فهو الكتاب الذي نحن بصدده وفـي سبيل تقديمه للقارىء العربي فقد جمع هذا الكتاب من الاصول الخاصة بالدراسات السودانية ، زهاء الفي مصدر بين كتب وابحاث وضعها او ترجمهـا سودانيون او كتبت عن السودان في الخارج او نشرت حول السودان في الحقبة الواقعة بين ١٨٧٤ ـ ١٩٦٧ . بذلك تضمهذه الببليوغرافيا مئات المقالات والبحوث المنشورة في المجلات العربية الكبرى التـي عرف بها تعريفا علميا في مطلع الكتاب ، او فـي المجلات السودانية التي ظهرت في السودان في السنوات الاخيرة ، مما استطاع الوصول اليه والاحاطة به . ولم يتعرض للابحاث والمقالات التي ظهرت فـي الجرائد والصحف اليومية او الاسبوعية . فمثل هـذا العمل يقتضي له جهودا طائلة وافقا اوسع او يدي عاملة .

وقد وزعت هذه المصادر علـى الابواب الرئيسية التاليـة : الببليوغرافيا والادلة والتقاويم ـ الدين وابحاث دينية ـ ادارة وحكم وسياسية ـ الادب ، النقد الادبي واللغة والشعر والدواوين الشعرية، القصة والمسرح ـ الاجتماع ودراسات اجتماعية ـ التربية والتعليم ـ التاريخ والجغرافية والسير والتراجم ، النيل ورحـلات واسفار ـ الاقتصاد ، عمل وعمال ـ الزراعة ـ الصحة ـ الفنـون ، فولكلـور واداب شعبية ـ دوريات : جرائد ومجلات. ويعتبر هذا الفصل الاخير اوفى واتم دراسة في تاريخ الصحافة فـي السودان ظهـر للان ، اذ عرف بمائة وخمسين دورية او صحيفة صدرت في السودان حتى عام ١٩٦٧ . وقد ساق المؤلف الكريم بعد كل مادة من هذه المواد المصادر والمراجع التي تعود اليها وفقا لاسماء مؤلفيها او كتابها مرتبة علـى الهجاء . ولكل مصدر او مرجع رقمه المسلسل .

وقد ختم دراسته هذه بفهارس ومسارد باسماء المؤلفين مرتبـة على الهجاء وبعد كل اسم ارقام المصادر التـي تعود لكاتب او مؤلف معيـن .

والكتاب يبرز في حالة قشيبة مـن الطباعة الانيقة والحرف الناصع والعناء المخدوم . وينتهي بمقدمة باللغة الانكليزية هي بقلم احد المكتبيين المشهورين في امريكا هو السيد موريس ليتش الـذي يعمل في مؤسسة فورد ، خبيرا في امور المكتبات .

ولقد قام الاستاذ داغر بوضعه هـذا الكتاب بخدمة كبـرى للدراسات السودانية وهي خدمة ستقدرها لـه الحكومة السودانية الكريمة . واننا لنرجو مع الكثيرين ان يتمكن الاستاذ داغر من اخراج المزيد من هذه الحلقات الببليوغرافية العلمية ولا سيما ما تبقى مـن اجزاء كتابه المشهور « مصادر الدراسة الادبية » الذي صدر منـه جزآن ، فيخدم بذلك الدراسات الادبية خدمة جلى يفيد منها العاملون في حقل الاداب العربية ، شرقا وغربا ، كما نتمنى عليه ان يخـرج قريبا قاموسه الكبير فرنسي عربي الذي يعمل على وضعه منذ نحو ٣٠ سنة . وقد بلغنا انه انتهى من وضعه .

فؤاد الخوري

●

١ ـ هنيبعـــل

تاليف جورج مصروعة ـ جزآن ـ ١١٥٠ صفحة ـ مزين بالرسوم الاثرية ـ حجم كبير ـ مطابع سميا بيروت .

استهل المعلم محاضرته ـ الدرس ـ وكان موضوعها « فلسفة التاريخ » بقوله : « ان من اعظم ويلات هذا الشعب انه يجهل تاريخه » ثـم رفع بيده كتابا ضخما كان يتابطه وقال : « ان مواضيع هذا الكتاب ـ وهو من انتاج اعظم دماغ عسكري الماني في القرن السابع عشر ـ تدور كلها حول معركة واحدة من معارك هنيبعل التاريخية وهي معركة « كان » ورسم المحاضر على اللوح الاسود خريطة ارض المعركة وعين مواقع الجيشين القرطاجي والروماني ، وشرح لطلاب مدرسته رمـوز الكماشة العسكرية التي ابتكرها القائد القرطاجي الساحر « هنيبعل » وطوق بها جيوش الخصم والتف حولها وابادها . واختتم الاستـاذ محاضرته بقوله « ان تاريخ هنيبعل وقرطاجة ـ ربيبة صور ـ هو لمعة مشعة من اشعاعات حضارتنا التاريخية المشرقة بالامجاد ، ان هنيبعل هو اعظم نابغة حربي في كل العصور وعند كل الامم » .

سمع هذا الكلام عشرات الطلاب ، وتناقلته الوف الالسن ، ودار على اكثر من دولاب مطبعة ... ولكنه لم يفعل ـ على ما ظهر ـ الا في طالب واحد ، لا تـراه بالعين المجردة اذا لـم يخاطبك ، لنحولـه الجسدي وقصر قامته ، وقد ظن الكثيرون انه « الطش » بـين الطلاب . فانتضى ريشته الساحرة ، وتسلح بالثقة بالنفس وبالارادة والايمان ، وغاص في ركام التاريخ ، وراح ينبش المعالم والقبور وينقب تلافيف الازمان والدهور ، ويفلي رمال الصحاري والخلجان والثغور ، ويغزو المكتبات والمتاحف العالمية في الاكواخ والقصور ، وكان يعمـل وحده بجد ونشاط وصمت وهدوء تحت طبقات الثرثرة والصيـاح ، ولما اكتملت عدته وخرج المولود سليما ، اطل بثمرة جهوده الناضجـة على المكتبة العربية بكتاب فريد ضخم بعنوان « هنيبعل » وهذا التلميذ « الطش » صاحب هذه المعجزة هو ابو زيكار جورج مصروعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مئات الكتب وضعت عن هنيبعل في مختلف اللغات العالميـــة ، وترجم منها الكثير الى اللغة العربية ، وظهرت نتف من محتوياتها في الكتب المدرسية عندنا ، وكثيرون من المؤرخين المحليين عالجوا هـذا الموضوع .. وبقي هنيبعل بالنسبة لنا اسطورة غامضة واحجية مجهولة، ومحارب قديم ، يعرفه العالم ونجهله نحـن ، الى ان طلـــع جورج مصروعة بكتابه الضخم « هنيبعل » بجزئين بالف ومئة وخمسين صفحة من الحجم الكبير مع مجموعة نادرة من الصور ورســـوم التماثيل والخرائط والاثارات عددها ٧٢ لوحة وكلها تدلنا على تاريخنا وتعبر عن معالم حضارتنا .. عندها ظهرت شخصية هنيبعل من خلال شخصيـة قرطاجة العظيمة ـ نصفنا المغترب ـ الموجة الكنعانية الفينيقية التـي انطلقت من صور مع أليسار ، فشادت المدن والمدنيات وزرعت النـور والمعرفة والحضارات بالحرف والشراع والمحراث والرسالات ، وفلشت على الدنيا بذور العقل والفكر والحكمة والعلوم والفلسفات من على رأس ذلك البرزخ الاخضر حيث تقمصت تونس اليوم بنهضتها القومية المباركـة .

من خلال هذا السفر النفيس الفريد في المكتبة العربية توضحت لنا شخصيتنا التاريخية وانتصب عملاقنا الجبار هنيبعل بيننا بحملته العسكرية الضخمة التي قطع بها جبال « البيرينيه » وقمم « الالب » قبل نابليون بعشرين قرنا ، وقهر روما في عقر دارها ، وبهذا اثبـت بالفعل انه « اعظم نابغة حربي عسكري في كل العصور وعند كـل الامـــم » .

كتاب تاريخ هنيبعل ، ـ هذا العمل الضخم الذي تعجز عن القيام بمثله المؤسسات والحكومات ـ انجزه ابو زيكار وحده ، وكان لظهوره فرحة كبرى عند ارباب الفكر وعشاق التاريخ الاصيل ، وضجة مدوية في المحافل الادبية وتقدير كبير لدى اركان القيادات وكبار القـادة العسكريين المعاصرين .

٢ ـ العبقريـــة المنسيـــة

تأليف يوسف مروة ـ قدم له سعيد عقل ـ ١٥٠ صفحة ـ منشورات مروة العلمية بيروت

« العبقرية المنسية » كتاب اصدره العالم اللبناني يوسف مروه ، مع سلسلة كتب ومجموعة ضخمة من المقالات والابحاث العلمية ، غمر بهـا حقول الصحافة العربية ، وهذا الكتاب هو الثاني بموضوعه الـذي يتحدث فيه المؤلف عن العالم المخترع كامل الصباح ، ذلك العبقري العظيم من ابناء لبنان الذي اغتاله الصهاينة لتفوقه على علمائهم وعلماء العالم .. والذي يعرفه العالم ونجهله نحن ! ! اما الكتاب الاول عـن الصباح « عبقري من بلادي » فقد كتبه يوسف مروه عام ١٩٥٤ وقـد كان لا يزال طالبا ثانويا .. اما ريع هذا الكتاب فقد خصصه المؤلـف للمساهمة بانشاء « مختبر كامل الصباح العلمي » واقامة نصـب تذكاري في النبطية بلبنان الجنوبي لتخليد ذكرى كامل الصباح .

يشرح المؤلف بهذا الكتاب ، بعد تلخيص سيرة حيـاة المختـرع اللبناني ، جميع اختراعات الصباح العلمية الكهربائية وهي ٧٥ اختراعا، باسمائها وانواعها وكيفية استعمالها وتواريخ تسجيلها واسماء الشركات التي احتكرت امتيازات استثمارها ، واهم هذه الاختراعات «الكهرباء من الشمس » .

يأخذ البعض على العالم يوسف مروة زج قضايا الدين بالعلـم والعلم بالدين ! ويجهل هذا البعض ان العلم لم يكن يوما ضد الدين ، ولا كانت الاديان الاصيلة عبر التاريخ ضد العلـوم الصحيحـة . وان العلم لا لون له ولا جنسية ، ولا هو محصور ببيئـــة ضيقـــة ، او بعشيرة وطائفة ، وان العالم غرضه تحقيق رسالة العلم التـي تخدم البشر وتحقق انسانية الانسان ، وان كل كشف علمي يظهر حقيقـــة التقارب والانسجام بين جواهر العلوم وروح الرسالات السماوية انما هو عمل نبيل تباركه الارض وتقدسه السماء لانه يبدد غيوم الجهـل واوهام وغباوة الضلال .

ان كشف الغطاء عن عبقرية كامـــل الصباح المنسية ، يدفعنـا لتذكير العالم ، ولتعليم الاغبياء ، ان ارضنا هي مهد الحضارات ، ومنبع الرسالات ، ومناجم العبقريات ، وان في حضنهـــا الدافىء تخمرت العلوم ـ كل العلوم ـ وفي مدارسها الفكرية نضجت وتبلورت، وفي مروجها الخصبة الخضراء تفتحت براعم بذورها واثمرت ، وعلـى اجنحة حروفها النورانية واشرعتها وصهوات صوافنها انطلقت ، عبـر السهول والجبال والبحور والخلجان ، وتوزعت مع خط الاجنحـــة والاعلام وروعة البطولة والايمان ، مشاعل هداية ومنائر عقول و «زواويد» افكار على جميع ابناء الامم والشعوب في كل زمان ومكان .

كامل الصباح ، عبقرية منسية ، يوسف مروه بالذات عبقريـة لا تزال مجهولة ومنسية ، الامير شكيب ارسلان ، امير البيان ، يكـاد ان يصبح عبقرية منسية ، وعبقريات اخرى خالدة كثيرة ... اما اليوم فقد انطلق النور من الظلام واشرقت الشمس بعد غياب وظهر فجـر الربيع ، وتخمرت روح النهضة العلمية في ضمير كل مجاهد مؤمـن وكل جندي مجهول متمرس في خنادق الحق وميادين معركة المصير ... فلا خوف بعد اليوم على اساطيرنا ان تدوب ، ولا على انتاج ادمغة عباقرتنا ان يتبخر ، ولن يبقى بعد الان في مناجم ارضنا كنز دفين ولا « عبقريـة منسيـــة » .

عجاج المهتار

●

مـع طـــه حسين ((٢))

تأليف سامـــي الكيالـي ـ سلسلـة « اقـرأ » ـ ١٢٨ صفحـــة ـ دار المعارف بمصر

لم يحظ في أدبنا المعاصر بالبحث والدرس كاتب مثل العقاد وكاتـب مثل طه حسين .. والكتابة عنهما والدراسة لهما لم تتوقف يوما . وفي المزيد من الكتابة والدرس آراء جديدة وأسرار غير معروفـــة وخفايا ومعلومات لم تتوفر من قبل .. لان لكل كاتب رأيه ومعلوماتـه ، وكل دارس له وجهة نظره وقدراته في التحليل والموازنة والحكم .

والكتابة عن أدبنا وأدبائنا المعاصرين اصبحت ضرورة للجيـــل الناشىء حتى يعرف كتابه حق المعرفة ويفهم فلسفتهم حق الفهم ،

صدر حديثا

محاجر في الكهوف

مجموعة شعرية — المرحلة الثالثة

ثريا ملحس

٤١٦ صفحـــة — حجـم كبـــير

توزيع دار الكتاب اللبناني فـي بيروت

ويطلع على وجهات نظرهم التي يصدرون عنها اطلاعا كاملا .. ويستطيع ـ بعد ذلك ـ ان ينطق بالحكم لهم او عليهم نتيجة تقويم موضوعي ، وتقييم صحيح لقدرة هؤلاء الكتاب المعاصرين .. فلا يصبحون ـ بعد الممات ـ عرضة للشطحات العاطفية التي تصل بهم الى عنان السماء او تسفل بهم الى قرار سحيق ! .. وان كان المأخذ في الكتابة عن الاحياء هو « المجاملة » .. فان المجاملة اذا تعدت حدود المعقول تصبح انحيازا وخروجا على النهج الموضوعي والدرس الصحيح .

وبين يدينا كتيب صغير عن الدكتور طه حسين بقلم الاديب السوري المعروف سامي الكيالي ، وهو ثاني كتيب يخرجه الاديب الكيالي عن عميد الادب العربي ، وقد صدر الاول منذ نيف وعشر سنوات . ويتناول الكتيب بعض الجوانب الهامة من حياة عميد الادب ، وتجلو كثيرا من الملامح التي خفيت على البعض او استغلقت عليه .. ولعل الكلمة التي صدر بها الكتاب لها علاقة بهذا الاستخفاء وذلك الاستغلاق . والكلمة تقول « الى خصوم الدكتور طه حسين ـ اذا بقي له خصوم ـ اهدي هذه الصفحات » وقد كان الاولى بالاستاذ الكيالي ان يهدي دراسة للانصار والاخصام على السواء ، لانها تهم الجميع .

وفي هذه الدراسة التي يسميها المؤلف بالخواطر ، نجد التجوال السريع بين دروب الحياة الحافلة لطه حسين هو الطابع الغالب على الدراسة او الخواطر .. ويتنقل بناء ابتداء من طه حسين الكاتب الحر ، والوزير الحق ، والممثل الجدير بتمثيل بلاده في المؤتمرات والجامعات ، الى طه حسين المسلم الصادق ، والاديب الاصيل ، والصديق الوفي .. ويعرض لنا الكتيب بعضا من آراء الرجل في : الشعر الحر ، والصحافة المصرية ، والازهر الشريف . والجامعة والحياة الجامعية .. ثم ينهي مؤلفنا كلامه عن طه حسين رئيس المجمع اللغوي « مجمع الخالدين » وحامل قلادة النيل أرفع وسام في مصر .

وأهم ما في هذا الكتيب هو اجلاء الموضوع المتعلق بطه حسين المسلم .. فقد ظن الكثيرون ـ انفعالا بمواقف سياسية معينة منذ الماضي البعيد ـ ان طه حسين مصاب في دينه ، لانه اخرج كتابا اسماه « الشعر الجاهلي » خالف ما تجاوب عليه الكتاب في عصره وما عرفه الادباء في زمنه ، فيسرد المؤلف ما يؤيد ايمان الرجل وصدق اسلامه وصلاحه ويذكر لنا طرفا عن رحلته الى الحجاز ، ودعائه الذي كان يدعو به ربه ، والذي كان قد حفظه منذ زمن بعيد .. وهو «اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض . ولك الحمد انت قيم السموات والارض . ولك الحمد أنت رب الارض ، السموات والارض ومن فيهن .. انت الحق ، ودعوك الحق ، والجنة حق ، والساعة حق . اللهم لك اسلمت ، ولك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك انبت، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت ، وما آخرت ، وما أعلنت ، وما أسررت . أنت الهي ... لا اله الا أنت ! »

وكان لهذا الدعاء أثره في وفود مؤتمر الحضارة المسيحية الذي حضره الدكتور طه والقاه هناك فقد دوت قاعة المؤتمر بالتصفيق الشديد « وجاءتني سيدة مسيحية ، وطلبت مني نسخة من الدعاء ، فأعطيتها نسخة وقالت وهي تبكي : خذ دموعي واعجابي ، وبلغهما للاسلام الذي أحبه كثيرا ، فقلت لها : لا داعي للدموع .. اعجابك يكفي » (ما بين علامتي التنصيص للدكتور طه حسين) .

وأشار الكاتب الى صداقة الدكتور ووفائه لاصدقائه .. وذكر قصة الصداقة بينه وبين صاحب « الرسالة » الاستاذ الزيات ثم عرج على صداقة العقاد ووفائه له .. ولم أدر هل اطلع الاستاذ الكيالي على مواقف الدكتور الاخيرة من العقاد ام لا ؟ . على أية حال فان هذا الكتيب ذو قيمة ادبية كبيرة في توضيح الصورة التي عرفناها لطه حسين .. وذو فائدة عظيمة في جلاء الشخصية العظيمة ودورها . ومن خلال التوضيح والجلاء تظهر كرامة الادب والادباء .

الاسكندرية — حلمي محمد القاعود



ظهر حديثا

● مخطوطات البحر الميت ـ تأليف محمود العابدي ـ مراجعة امين ابو الشعر وعبد الرحمن بشناق وهنري مطر ـ ٤٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دائرة الثقافة والفنون الاردنية ـ مطابع جمعية عمال المطابع التعاونية في عمان .

● العباسة ـ مسرحية شعرية من اربعة فصول ـ تأليف عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● مذكرات الحرب ـ الجزء لاول ـ النفير ١٩٤٢/١٩٤٠ ـ تأليف الجنرال ديفول ـ ترجمة عبداللطيف شرارة ـ مراجعة احمد عويدات ـ ٤٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● المذاهب الادبية الكبرى في فرنسا ـ تأليف فيليب فان تيغيم ـ ترجمة فريد انطونيوس ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة منشورات عويدات ببيروت .

● الفراة ـ تأليف اندريه مالرو ـ ترجمة فايز كم نقش ـ ٢٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● مفاضلة بين الطريقة الصوتية والطريقة الجميلة في تعليم القراءة للمبتدئين ـ اعداد الدكتور مسارع الراوي ـ ٣٨ صفحة ـ ملحق مجلة المعلم الجديد ببغداد ـ مطبعة وزارة التربية ببغداد .

● نظريات حركة العمل : اسباب نشوء الحركة ، اهدافها ، اساليبها للوصول الى القوة ـ تأليف الدكتور محمود محمد الحبيب مساعد رئيس جامعة البصرة في العلاقات الثقافية ومدرس اقتصاد العمل في جامعة البصرة ـ ٤٠ صفحة ـ ملحق مجلة الثقافة العمالية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● من الاعماق ـ تأليف اوسكار وايلد ـ ترجمة عبد اللطيف الدمياطي ـ ١٦٠ صفحة ـ نشر وطبع مطبعة ومكتبة الدار المصرية بالقاهرة .

● التقليم المقدس او تعاليم الحاخامين اليهود ـ اعداد وتقديم ابو صادق ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار البصري ببغداد ـ مطبعة البصري ببغداد .

● اعمدة النكبة : بحث علمي في اسباب هزيمة ٥ حزيران ـ تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فضائل الاندلس واهلها لابن حزم وابن سعيد والشقندي ـ نشرها وقدم لها الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب الخامس في سلسلة رسائل ونصوص ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حقوق الانسان في نظر الشريعة الاسلامية ـ تأليف الدكتور عبد السلام الترمانيني ـ تقديم الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٤٨ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جولة الأديب في شهر



مع الدكتور طه حسين

الى « رامتان » ، دارة استاذنا العميد الدكتور طه حسين (١) ، قصدت مع صديقي الاديب العراقي الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين ، وجلسنا نتساقى كؤوس العلم مترعة من رجل دائب في طلب العلم ، ينهل ولا يشبع ، ويفيض على دنيا الضاد ولا يتعب ، فهو ـ كما حدثنا ـ متواضع الحظ من المعارف قليل القسط من العلوم ، وكلما ازداد غوصا وراء كنوز المعرفة ازداد شوقا الى ما هو انفس منها واثمن .

قلنا للاستاذ العميد : هل ساعفتكم صحتكم بحضور دورة المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية ؟

فاجاب : اعتزمت شهود هذه الدورة فاعجزتني شيخوختي ومرضي . ولكنني تابعت كل ما جرى فيها من اعمال . وقد سرني أن اعرف ان المصطلحات العلمية التي صاغها المجمع قد عول عليها واضعو المعاجم الحديثة في لبنان . فقد قيل لي ان معجم « المورد » (لمنير البعلبكي) ومعجم « المصطلح » (لحسن السمران) وكذلك « معجم المصطلحات الفنية » لجماعة من العلماء ، قد اعتمدت كل ما سنه المجمع من مصطلحات ، وهذا كسب « كبير » للعمل المجمعي .

وسألنا الدكتور طه حسين : أأنت راض عن الفاظ الحضارة التي يفتن في وضعها والتقاطها استاذنا وصديقنا الكبير محمود تيمور ؟

فاجاب : راض عن بعضها ، وغير راض عن البعض الاخر كاختياره لفظة « المرتاة » لتكون مقابلا « للتليفزيون » .

وقلنا للدكتور العميد : وماذا ترون في مذهب « المعجم الوسيط » الذي تبنى طائفة من الالفاظ العامية ، واستضاف طائفة غيرها من الالفاظ الاعجمية مثل « البوكس » ، بل لقد استخرج من هذه اللفظة فعلا عربيا هو « باكس يباكس » ؟ وهل قراتم ما نشره صديقنا الدكتور عدنان الخطيب من ملاحظات سديدة على المعجم الوسيط في مجلة المجمع الدمشقي على امتداد اكثر من اربع سنين ؟

فاجاب الدكتور طه حسين : عن نفسي ، لا ارضى بأي ترخص في الضاد ، وكل لفظة غير عربية النجار ليس لها موضع في القاموس . وقد أمرت بتأليف لجنة من اعضاء المجمع القاهري للنظر في المعجم الوسيط توطئة لتنقيحه في ضوء ملاحظات الدكتور الخطيب وغيره من الباحثين ، حتى تجيء الطبعة الثانية منه ادنى الى الكمال وابعث على الرضا .

وقلنا للدكتور طه حسين : نعرف عنايتكم بالمصطلحات من زمان بعيد ، حتى انكم احتفينم في اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية بنشر الطبعة الثانية من « معجم الالفاظ الزراعية » للاستاذ الامير مصطفى الشهابي . ولكن هل تعلمون سيادتكم ان هذا المعجم طبع ثم ثوى في مستودع من المستودعات ولا يعرف احد مكانه او مصيره ؟

فقال الدكتور طه : غريب هذا الكلام ، فالذي اعرفه ان المعجم عرض في المكتبات بعد طبعه ، ولا يستبعد ان يهتدي اليه الباحث في بعض هذه المكتبات .

فقلنا : الواقع ان قصة هذا المعجم لغز من الالغاز . فالادارة الثقافية للجامعة العربية لا تعرفه ، ومطبعة مصر التي طبعته لا تعرفه، والمكتبات لا تعرفه ، وهو مع ذلك ثاو في مخازن عميقة القرار يخشى عليه فيها من التلف والخسران . وكدنا نقول ان حال هذا المعجم شبيه بحال « ديوان الشاعر القروي » الذي طبع ثم دفن باكرام !

واستطرد الدكتور طه فقال : من اسف ان زميلنا الاستاذ الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع الدمشقي لم تمكنه صحته من حضور دورة المؤتمر المجمعي ، وأرجو بالحاح ان تنقلوا اليه اطيب امنياتي واصدق مودتي .

كذلك قال انه يكن تقديرا خاصا للاستاذ الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي ، وان كان هو من غير الاعضاء المراسلين لمجمع القاهرة .

وسالنا الدكتور طه حسين : ما رأيكم في امارة الشعر ، وهل عقدتموها ، ولو مجاملة ، لبعض الشعراء المعاصرين ؟

فقال : انا لا أؤمن بامارة في الشعر ، ولم أدع اليها لا لشوقي ولا لغير شوقي . صحيح انني كتبت عن شوقي دراسة مطولة ، ولكنها كتبت بعد وفاته ولم يقصد بها ان تضفر له اكاليل الامارة . واستدرك الدكتور طه فقال : وقد دارت الايام ، ثم الفيت نفسي صهرا لاسرة شوقي لان نجلي الدكتور مؤنس الذي يعمل الان في هيئة اليونسكو في باريس تزوج حفيدة شوقي .

وسألناه : وما رأيك في شعر المهجر ؟

فاجاب : لي في ايليا ابي ماضي وفوزي المعلوف رأي معروف منشور في كتابي « حديث الاربعاء » . وانا اعرف شعر شفيق معلوف واستحسنه . ولكنني مع الاسف لا اعرف الشاعر القروي وجورج صيدح والياس فرحات .

فقلنا له : وهل تقرأون الادب المعاصر ؟ وما رأيكم فيه .

فاجاب : انا لا اقرأ من الادب المعاصر الا ما يرد لي من المؤلفين . وانا راض عن نجيب محفوظ في باب الرواية . ولكنني لا اشتري من الكتب الا ما يتصل بالادب العربي القديم .

وسئل الدكتور طه حسين : وهل تعتقدون ان الادب العربي يجتاز الان مرحلة ازدهار او مرحلة انحطاط .

فاجاب : ان النهضة الحقيقية للادب العربي كانت في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، حين لم تكن هناك اذاعة وتليفزيون وسينما وصحف مصورة تصرف الناس عن البحث الجاد وعن القراءة الجادة . ومن أسف ان هذه الوسائل المفيدة لم تكن من اسباب نشر الثقافة بل تحولت الى التسلية وجرفت معها الناس . وفي رأيي ان الكتاب هو المصدر الوحيد للثقافة ، ولا مصدر لها سواه .

وسئل الدكتور طه : هل ثمة فلسفة معينة تركت آثارها في اتجاه التفكير المعاصر . لقد كنت انت من المبشرين بفلسفة الشك التي نحا نحوها الفيلسوف الفرنسي دي كارت فهل ترك الفلاسفة الاخرون تأثيرا مماثلا في غيرك من الكتاب .

فقال الدكتور طه : لقد ترجم صديقنا الدكتورعبدالرحمن بدوي كثيرا من الفلسفات المعاصرة ولا سيما الوجودية ، ولكنني اعتقد انه ليس للوجودية ولا للفلسفات المادية أثر في الفكر العربي المعاصر . وقد يكون للفلسفات المادية تأثير في مناحي الحياة التطبيقية .

وتذكر الدكتور طه حسين أزمة كتابه « في الشعر الجاهلي » فقال : لقد قامت علي قيامة الجميع يوم صدر هذا الكتاب : السراي والازهر والحكومة والبرلمان ، واهتز من تحتي مقعد الاستاذية في الجامعة ، فسافرت الى فرنسا لانسى همي ، وكتبت ، او على الاصح ، أمليت كتاب « الايام » جزءا تلو جزء لاعيش في طفولتي

(١) لنا حديث سابق مع الدكتور طه حسين نشر في «الاديب» ـ فبراير ١٩٥٣ ـ ص ٦٩ ـ ٧٠ .

البريئة وقريتي الوادعة وانسى متاعبي.

اما كتاب « الشعر الجاهلي » فلم تكن عندي نسخة منه ، ولما درى بذلك صديقي المرحوم الاستاذ علي عبد الرزاق اهداني نسخته الخاصة منه .

واما كتاب « الايام » فقد ظهرت له في بيروت حلقة ثالثة عنوانها « ذكريات طه‌حسين » جمعها ناشروها من مقالات لي في مجلة « آخر ساعة » ووضعوا لفصولها عنوانات مستقلة . ولكنني سانسبها الى « الايام » باعتبارها جزءا ثالثا ، واتخلص من تلك العنوانات الفرعية ليكون الكلام مستطردا متسلسلا .

وقلنا للدكتور طه حسين : لقد اصدرت مجلة « العرفان » في صيدا عددا خاصا يشتمل على دراسة للاستاذ معلي الصارم عن كتابك « مع المتنبي » ، فهل اطلعتم على هذه الدراسة .

فقال : لم أطلع عليها . وهناك كثيرون يخالفونني الرأي في المتنبي • وانا لا استطيب اكثر شعر المتنبي الذي قاله في المدح . ويعجبني ثلث شعره لا اكثر .

وقلنا للدكتور طه : اماضون انتم في اتمام دراستكم عن الفتنة الكبرى ؟

فقال : أحاول ان اتمها ، وعسى ان تترفق بي صحتي .

وقلنا للدكتور طه حسين ان الصديقين العزيزين السيدة وداد سكاكيني وقرينها الدكتور زكي المحاسني يبلغانه تحياتهما واسمى شعائر مودتهما ، وان السيدة وداد قد فرغت من وضع كتاب كبير عن الاديبة « مي » بينما الدكتور المحاسني يتاهب لالقاء سلسلة من المحاضرات في معهد الدراسات والبحوث التابع للجامعة العربية عن المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام على نسق محاضراته عن الدكتور احمد امين رحمه الله .

فقال الدكتور طه حسين : هذه تحية كريمة من صديقين عزيزين . واستطرد فقال : ولكن هل تستحق « مي » كتابا كبيرا ؟ لقد زرتها لاول مرة في صحبة الاستاذ احمد لطفي السيد ، فطلب منها الاستاذ لطفي ان تقرأ فصلا من مجلة « الهلال » . فتلت الفصل امامنا وحسبتها تتغزل في الاستاذ لطفي السيد .

اما المرحوم عبد الوهاب عزام ، فكيف لا يهتم بدرسه تلميذه الدكتور يحيى الخشاب ؟

فقلنا للدكتور طه : ان دراسة المحاسني له لا تحول دون ان يدرسه الخشاب وغيره من الدارسين .

وقبل ان تختتم زيارتنا للدكتور طه حسين احببنا ان نوجه اليه بعض الاسئلة الخاصة ، فقلنا له ، لم اطلقت على دارتك اسم « رامتان » .

فقال : هذا اسم موضوع في جزيرة العرب ، وهو يذكرني بشميم عرار نجد . وفي فلسطين موضع يقال له « رام الله » ، وقد زرته واستطبت الاقامة فيه .

وقلنا له : وفي الانجيل اشارة الى مدينة فلسطينية يقال لها « الرامة » .

ثم سألناه : ما أحب مؤلفاتك اليك ، وهل انت عنها راض .

فأجاب : لست راضيا عن كل كتبي . ومتى امليت الكتاب ثم روجعت تجاربه في المطبعة ، لا أعود انظر فيه . فلا الكتاب يعرفني ولا أنا أعرفه .

وسألناه : وهل تعتقد انك اديت رسالتك كاملة .

فقال الدكتور طه حسين في تواضع جميل : كلا ، فانا مهما يطل عمري ، لا املك ان اكمل رسالة • وانا غير راض عن نفسي وعن عملي . ولعل الرسل هم وحدهم الذين اتموا ما نيط بهم من رسائل ، وما نحن برسل .

وودعنا استاذنا العميد وهو يعتذر بوهنه وضعفه ، ودعونا له من اعماق السرائر والضمائر بان يحفظه الله ويمد في عمره ويلبسه طيلسان الصحة الفياضة .

القاهرة

وديع فلسطين

•

جولة في الاندلس

ما هي الاندلس (١) .. ؟ سؤال يوحي بانها غصن بان يتضوع اريجه عطرا بالانتصارات العربية وتداعبه الانسام التاريخية ، فيرقص طربا على انغام الموشحات الاندلسية .

يا غزال الكرخ واوجدى عليك كاد سري فيك ان ينهتكا
هذه الصهباء والخمر لديك وهوايا في هواك احتبكا

فالاندلس اسم مليء بالعبر التاريخية طافح بالذكريات المجيدة ، فاذا ما زرت المدن الاندلسية سمعت كلمة (اسلاميك) و (العرب) تتردد على ألسنة السياح مع الاعجاب والاكبار ... فالكل قطع المسافات البعيدة وتجشم وعثاء السفر وعناءه يدفعه الشوق وتحدو به الرغبة للاطلاع على ما خلفه العرب في الاندلس من فن معماري وتراث حضاري خليقين بالدرس والتتبع والرعاية والعناية .

ـ لم لا تسافر الى الاندلس .. ؟

سؤال طرحه علي صديقي وكنا نتجول في جنيف نقتل الوقت حيث الوقت يذيب ساعتنا ويسرق لحظاتنا ، من حيث ندري ... ! ولا ندري • • • !

ـ كيف اسافر ... ؟ حيث لا رفيق سفر لي أدير معه الحديث وابدد غيوم الغربة ..

ـ لا عليك .. فهناك سفرة تقوم بها شركة للطيران ، وهي تنظم سفرتك بصحبة من السياح « التورست » ستالفهم ويالفونك ، وتندمج مع من تنسجم معه فتتابع الايام وطول الطريق ، يولد الرغبة لدى المسافرين بالتعارف ونشر التعاون والالفة .

وفي مساء غد رأيتني أحمل حقيبتي واجتاز مطار جنيف مع صحبة طيبة ممن رافقتهم السفرة من مختلف الجنسيات والاجناس فذا (هندي) وآخر (امريكي) وثالث (افرنسي) وانا ذاك (العربي) حيث جاء وكله شوق ليطلع على ضياع المجد في فردوسي المفقود ... بعد ان اضاء ثمانية قرون بكل عز وتحد ... !

ووصلنا (مدريد) (٢) .. • وبعد ان اخذنا قسطا من الراحة ، دعينا لزيارة المتحف ، وقد سرني ذلك كثيرا ، فانا رغم جهلي الفاضح في فن الرسم ، وعلى تواضع الدرجات المدرسية التي كان يهبها لي مدرسنا حيث اعتاد ان يعقب على رسومي « بانها لا تتميز .. فيما اذا كنت ارسم سمكة او عين انسان ... ! » اذ كلاهما ـ والحق يقال ـ في رسومي سيان .. كما كان زميله مدرس (الجغرافيا) يعقب على (خرائطي المدرسية) فيقول :

ـ ـ لا شك انك يا ناجي ضغطت على برتقالة فشكل عصيرها هذه الخريطة • .. ! فيضج الصف بالضحك ، بينما أذوب خجلا وحزنا .. فالعجيب اني رغم جهلي بهذا المحراب المقدس .. واظن هذا التقديس يعوض في اعماقي عن عجزي في هذا المضمار .

وما هي الابضع دقائق حتى وقف بنا (الاوتوبيس) عند باب المتحف الكبير ، فدهشنا لسعته وفخامته ، وكنا كلما تجولنا في

صالاته ورحابه المتعددة الرائعة تضاعف عندنا الاعجاب وازداد شوقنا للاطلاع ، ولما رايتني اعجز من ان استطيع ان اطلع على كل قاعاته وجل صالاته ، رحت اسأل (المرشد) ليهديني على قاعة الفنان العظيم (كويا) ... حيث اكن لشخصه الطيب كل تقدير ولفنه الرفيع كل اعجاب ، وكان حبي له صدى لتجاوبه مع شعبه ودفاعه عن حقوقه المغتصبة بيد مستغلي حريته وقوته ... فقد استطاع كويا بفنه الرائع وصوره المعبرة ان يجسد آماله ويشرح ظلامته ، فاذا ما وقفت امام صوره المتعددة التي يعتز بها كل اسباني واي فرد انساني .. وجدت نفسك امام عبقرية تستطيع ا نتجذبك جذبا وتشدك اليها شدا وثيقا فسرعان ما تندمج بها .. وذلك لدقة التعبير ورهافة الحس وجمال التصوير حيث وهبها الباري القدير لهذا الفنان في مزج الالوان وخفة الحركات التعبيرية بريشته العبقرية .• ومما ضاعف رغبتي في الاطلاع على جل اعماله الفنية ، هو ذلك (الفلم) السينمائي بالوانه الطبيعية الذي صور قصة حياته حيث عبر البطل بمقدرته التمثيلية عن جهاد (كويا) وجهوده الفنية والوطنية اصدق تعبير .

فالمعروف عن هذا الفنان الخالد انه قاسى ضروبا من الحرمان ، اذ لم تتوفر له الفرص المسعفة لسد رغباته وحاجاته لدرجة انه لم ينعم كغيره بنعمة التعليم ونعيمه ! ولم يتدرج في الدراسة العالية بينما كانت روحه العالية وقلبه الكبير وشعوره الانساني .. هو الطابع المميز لجميع اعماله الفنية .

وفي احدى القاعات وقف المرشد أمام صورة زيتية كبيرة وأخذ يشرح لنا قصتها فقال :

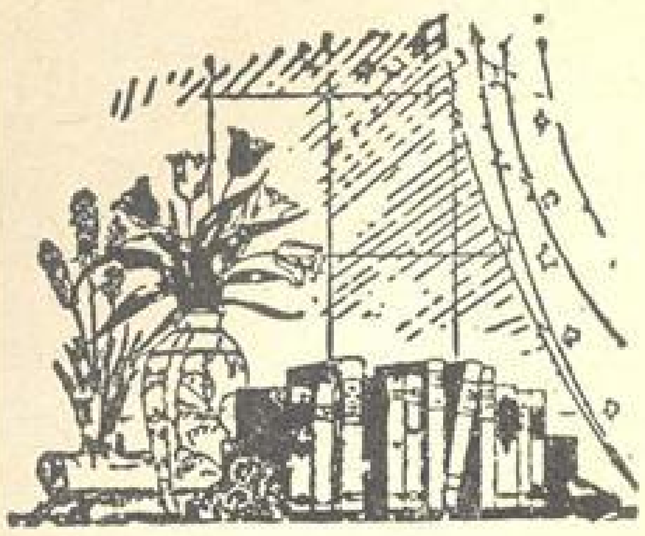
ـ انها تمثل افراد العائلة الحاكمة آنذاك ... ثم اشار بيده نحو الصورة .. قائلا لاحظوا مقدرة كويا التعبيرية ، حيث استطاع ان يرسم الاثاث الفخم ويظهر الثراء الفاحش والابهة والملابس المزخرفة بالذهب والمطعمة بالاحجار الكريمة والاوسمة الماسية البراقة .. ولكنكم تستطيعون ان تمعنوا النظر في وقفتهم المتعالية التي تدل على الغرور والكبرياء والخيلاء .. فلو صعدتم أنظاركم الى وجوههم الباهتة ونظراتهم الفاترة الباردة التي اودعها كويا بريشته القديرة كل ما يوحي بالبلادة والبلاهة .

ولقد ولد هذا الفنان الوطني عام ١٧٤١ م وتوفي عام ١٨٢٨ م وبين البداية والنهاية .. كان تاريخ حافل بالروائع الفنية والصور التاريخية ، والجهد الجهيد والكفاح الموصول العنيد ، حيث بلغ الذروة بالمقدرة الفنية وطبقت شهرته الافاق وتغلغل حبه في الاعماق .

ولما طال في مدريد مقامي علمت انها مبنية على هضبة مرتفعة ، ولم يبق من ابوابها القديمة الا ثلاثة ابواب منها (باب) القلعة ورحت ازور اكثر معالمها (كقصر وزارة الداخلية) و (دار الاكاديمية) و (القصر الملكي) السابق و (بنك اسبانيا) الكبير و (مجلس النواب) ثم دار الاديب الاسباني الشهير (سرفانتس) (٣) حيث سكنها منذ عام ١٦٠٦م الى وفاته عام ١٦١٦م وقد حافظوا عليها كتراث خالد فاضحى يزورها المعجبون بادبه وقصته الشهيرة (دون كيشوت) بشخصيتها الخيالية الطريفة التي غزت اطراف العالم فخلدت اسمه وجعلته في مقدمة الادباء العالميين.

وقصته دون كيشوت تحدثنا عن فارس شيخ فقير مختل الشعور عزم على احياء فروسية القرون الوسطى فركب حصانه الهزيل وحمل سيفه الصقيل ورمحه الطويل وخرج الى البراري للدفاع عن المظلومين والضعفاء والمحرومين ، وبالنظر لاختلال شعوره تصور الطواحين شياطين ، والاكواخ قصورا ، والجواري سيدات آمرات مطاعات .

لكنه رغم جميع المتاعب التي أحاطت به والمخاطر التي رمى نفسه وسطها لم يأل جهدا في الدفاع عن الحق ضد القوى القاهرة



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

ندفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل•ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونصرة المستضعفين في الارض .

فان شخصية دون كيشوت قد اصبحت رمزا للرجل الـــذي لا يقدر الواقع حق قدره ويمضي في سبيله دون ان يحسب حسابـا للعواقب والمصاعب والمتاعب .

ودون كيشوت شخصية تجمع الهزل بالمأساة ، وقصة تضحـك من يقراها قراءة سطحية ، وتبكي من ينفذ الـى اعماقهـــا ويتبصر بمغزاها البعيد ..

ويروى ان احد ملوك اسبانيا كان مارا بالطريـق فراى رجلا يقرأ كتابا ويضحك فقال : ان هذا الرجل اما انه يقرأ كتاب دون كيشوت او انه مجنـون ... ! والى جانب شخصية دون كيشوت تبرز شخصية غلامه (سانشو بانزا) الفلاح الامي الذي لا يخلو مـن الحكمة ، فهـو يحسب لكل امرحسابه ، ويتمسك بالتبصر والحذار ، فاذا كان دون كيشوت يمثل الخيال المثالي فان سانشو يمثل التعقل والواقعية .

واذا ما تجولت في مدريد وتطلعت الى المحلات التجاريـــة ومعارضها التحفية والفنية اذن لما وجدت معرضا يخلو من مجموعـة طريفة لتماثيل الفارس دون كيشوت خشبية كانت ام برونزية ، اذكثيرا ما يبتاعها السياح تذكارا لزيارتهم لاسبانيا او رمـزا لهـذه الشخصية الخيالية التي تجشمت جل المتاعب وعانت أقسى المصاعب للدفاع عـن الحق ... ونصرة المستضعفين في الارض .

(١) الاندلس : كلمة اشتقها العرب من اسم القبائل (الفندال) الجرمانية التي احتلت جزيرة (آيبريا) كلها وحكمتها حتى احتلهـا (القوط) ثم فتحها موسى بن نصير بجيش مؤلف من العرب والبربر .

(٢) مدريد : ذكرها العرب لاول مرة باسم (مجريط) في النصف الاول من القرن العاشر الميلادي ثم استولى عليها الملـــك الفونسو السادس عام ١٠٨٣ م ، ولم تصبح عاصمة اسبانيا الا في عهد الملك فيليب الثاني عام ١٥٦٠ م . (٣) ميغويل دي سرفانتس : ولد في مدينـة الكالادى هنارس القلعة عام ١٥٤٧ م وتوفي في مدريد في ٢٣ نيسان ١٦١٦ اي في نفس اليوم الذي توفي فيه وليم شكسبير في انكلترا ، دخـل سرفانتس سلك الجيش في شبابه ، وحارب وجرح في الحرب البحرية واخذوه الى الجزائر اسيرا ولم يتم فداؤه الا بعد خمس سنوات ، مال بعد ذلك الى الادب فكتب اشعارا وقصصا ومسرحيات ونشر القسم الاول من روايته الشهيرة « دون كيشوت » او « دون كيخوتي » عـام ١٦٠٥ م ولم تلبث حتى ترجمت الى الانكليزية والفرنسية والعربيـة وسائر اللغات الحيـة .

بغداد — ناجي جواد

•

تطـــور البلاغـــة العربيـــة

اطروحة الدكتوراه في جامعة الازهر للدكتور علي العماري

أحرز الدكتور علي حسن العماري اجازة الدكتوراه من جامعة الازهـــر باطروحة ضخمة عـن البلاغة العربية . وقد تعودت « الاديب » فـي بابها هذا ان تسجل نبذة عن هذه الرسائل تقديرا منها واذاعة لهـذه الاعمال الادبية في العالم العربي كله .

كانت لجنة المناقشة مكونة من الدكاترة عبد العظيم الروبي وعبـد الحسيب طه وعبد الحميد يونس وقد منح الدكتور العماري الدرجـة بمرتبة الشرف الاولى بعد مناقشة طويلة وعرض شامل للعمل الـذي وهبه سنوات حياته. والدكتور العماري رجل سمح مليء بالحياء والتواضع، لا يعلن على نفسه ، ولا يحاول أن يحيط نفسه بهالة من المظاهر ، في نفس الوقت الذي يتعمق عمله ويحيطه بكثير من الدقة والاستقصاء . فقد كان « العماري » احد كتاب « الرسالة » منذ مرحلتها الاولى ، وهو لا يغير ميدانه ولا يتحول عن فنه الذي احبه وشغل به ، ومؤلفاته السابقة لرسالته تتصل كلها بالبلاغة العربية وهو يتابع الجاحظ في عمله هذا الكبير ويعتبر دراسته امتدادا له مارا بالرازي والسكاكي وغيرهمـا .

يقول في عرض اطروحته :

لقد اهتدى الامام عبدالقاهر الى فكرة سمعت من يقول انها في نظر الغربيين الفلسفي الدقيق ، اهتدى الى ان الانسان يفكر بلفظ ، وهذا ما يؤكده كثير من النقاد الغربيين اذ يقولون : ان الفكر ذاته كلمـة وان المعنى حين يجول في النفس يكون معه لفظه .

وعلماء العرب يفصلون بين اللفظ والمعنى حين ينتقدون أثـرا ادبيا ، وكذلك يفصل بعض النقاد الغربيين ، غير ان اغلبهم يرفـض هذا الفصل ، مؤمنين بان الاثر الجيد هو ما جمع بين جودة المعنـى وحسن اللفظ . وفي مجال بحث هذه القضية تدور الفاظ باعيانها تتوقف على النظر فيها كثير من الاحكام التي يصدرها الباحثون وبعض هذه الالفاظ احتفظ بمعناه اللغوي الى حد ما ، ولكن اكثرها تجاوز معناه الاول ويؤخذ من كلام البلاغيين ان المعاني درجات : فالاول هـــو المعنى الحقيقي للفظ ، والثاني هو لازم المعنى الاول او ملزومه ، امـا المعنى الثالث فيكون مع التعريض .

وقد عرف « عبد القاهر » الاسلوب بانه للضرب من النظـم والطريقة فيه ، ولعل اوسع ما كتب عن الاسلوب عند المتقدمين هـــو ما كتبه « ابن خلدون » في المقدمة ، وعنده ان الاسلوب « هو المنوال الذي تنسج فيه التراكيب » .

ومن هذه الالفاظ : القالب ، والنظم ، ومنها الطبع والصنعة ، وهاتان الكلمتان تترددان في كل قضايا الادب والبلاغة والادب المطبـوع ما صدر عن فطرة سليمة والمصنوع ما جاء عن فكر ومعالجة ، والفصل بينهمـا هـو (الذوق) .

وقد كانت قضية اعجاز القرآن الكريم اقوى دافع الى البحـث في وجوه البلاغة واهم باعث على تدوينها ، وقد ايقن العرب ان القرآن فوق البشر ، ومضت الامة على ذلك الى ان نجمت ناجمة تكره العرب ولغتهم ، قالت ان فصاحة القرآن غير معجزة ، وان الناس يقدرون على مثلها ، فكان ذلك من اقوى الدوافع الى البحث في بلاغة القرآن وقد اتجه هذا البحث مباشرة الى البحث عن لفظ القرآن ومعناه . وكان أن نهض كثير من العلماء للدفاع عن القرآن فوضعوا كتبا فـي غريب القرآن وتاويل مشكل القرآن وقد خلصـوا الى القـــول بانه ليس في القرآن حرف واحد يوصف بهذا العيب من عيوب اللفظ .

اما الاراء البلاغية التي اعانت على تدوين هذه القضية فقد كانت أقرب الى القواعد مما رأيناه في مجال النقد الادبي وفي مجال القول في اعجاز القرآن وقد بلغ الكتاب في هذا قولهم « البلاغة الايجاز » ، والايجاز تعليل اللفظ مع الوفـاء بالمعنى وقد تناقلت كتب الادب والنقد صحيفتين ويبدو ان الجاحظ اول من رواهما . الاولى الصحيفـــة الهندية والاخرى صحيفة بشر بن المعتمر • ويقـــول « بشر » : ان البلاغة في ان يكون اللفظ رشيقا عذبا وفخما سهلا ، وان يكون معناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا .

وارجح ان الجاحظ هو اول من قضى قضاء واضحا بين اللفـظ والمعنى ، وقد عاش الجاحظ في بيئة كثر فيها الطاعنون من الزنادقة والشعوبيين وفيها اشتدت الخصومة بين الرواة والشعراء في استحسان الشعر واستهجانه ، وفي هذه الاجواء كتب الجاحظ في البيان وقـد عارض حكمه في هذه القضية واضحا حاسما فعنده ان المعاني مطروحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الطريق وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك وقد جعل الجاحظ غاية البيان (الايضاح) موافقة لهذا الرأي .

وقد صحعندي ان الجاحظ يريد بالبديع الاستعارةبقسميهاوالمجاز المرسل والتشبيه . وقد عرض الجاحظ لفنون البلاغة : الايجاز والاطناب ، والاستعارة والتشبيه ، والمجاز المرسل والكناية ، والسجع والازدواج ، والتنافر والاحتراس الذي اسماه (اصابة المقدار) . وقد كشف لنا حديث الجاحظ عن حقيقة لا سبيل الى تجاوزها دون اقرارها وهي « اصالة البلاغة العربية » حيث يذهب البعض الى ان البلاغة العربية راجعة الى البلاغة اليونانية وهذا الذي قدمناه يرد على هذا الزعم : فاذا اضفنا الى ذلك ان سيبويه والفراء وهما قبل الجاحظ قد عرضا لفنون من البلاغة بل اذا اضفنا بعض المصطلحات البلاغية التي رويت عند بعض الجاهليين تأكد لنا ان العرب لم يأخذوا بيانهم من احد .

والدكتور طه يرى ان احدا منالعربلم يفهم كتابالشعر لارسطووان الجاحظ لم يعرف كتاب الخطابة له ، فكيف اخذ العرب بلاغتهم عن (يونان) .

ومن تلاميذ الجاحظ ابن قتيبة وقد تدبر الشعر فوجده اربعة اضرب : (١) ما حسن لفظه وجاد معناه (٢) وما حسن لفظه وحلا فان انت فتشته لم تجد فيه طائلا (٣) ضرب جاد معناه وقصرت الالفاظ عنه (٤) وضرب تأخر لفظه وتأخر معناه . وهذا الرأي يكشف لنا ان ابن قتيبة من انصار اللفظ . وكان موقفه من قضية القديم والجديد ، اعجاب بالقديم وانصاف للحديث .

ومن الذين اسهموا في قضية « القديم والجديد » ابو العباس المبرد والقديم عنده فيه الحلاوة والطلاوة ، وقوة اللفظ وفخامته ، وامتلاؤه ، اما المعاني فلا تقصير فيها ولا اثر للمجهود الذهني ، وقد كان المبرد يميل الى الشعر السهل المطبوع ، وكان يفضل البحتري على ابي تمام وعند المبرد ان اول ما يحتاج اليه القول ان ينظم على نسق وان يوضع على رسم المشاكلة وهو لا يعنيه من المعنى الا ان يكون صحيحا .

وكان مدرسة البديع تطورا لمدرسة الجاحظ واشهر رجالها ثلاثة : عبدالله بن المعتز ، وقدامة بن جعفر ، وابو هلال العسكري . وقد كان ابن المعتز اول اساتذة هذه المدرسة تأثرا بادباء القرن السادس وعلمائه . وكان البديع بفنونه المختلفة اوضح مظهر القضية والمعنى كما كان اساسا للخصومة بين القديم والجديد في ذلك الوقت .

واذا كان الجاحظ رأى ان القضية قضية لفظ ومعنى ، وان قتيبة تدبر الشعر فوجده اربعة اضرب فان قدامة بعد ان اطال رأى ان اجناس الكلام ثمانية وبذلك دخل الى تمييز جيد الشعر من رديئه ، ولكنه لم يحكم حكما واضحا حاسما ، وقد جعل الشعر صناعة (المعنى) موضوع هذه الصناعة وشبهه بالخشب والفضة ونرجح ان قدامة لا يرى المهارة في الشعر في مادته وهي المعنى ، وانما يراها في صورته وهي تأليف الالفاظ . وقد اصل قدامة اصولا كانت مرجعا لكثير ممن كتبوا في النقد بعده ، وضع عددا من الاصطلاحات وحدد بعض الظواهر وذكر بعض التقاسيم ، اما في البديع فقد زاد على ما جاء به (ابن المعتز) ثلاثة عشر نوعا ووافقه على سبعة انواع .

ثم خطا ابو هلال العسكري في كتابه « الصناعيتين » خطوة أوسع في مجال (البديع) وقد ربط بين البلاغة وقضية الاعجاز وهو ابرز من كتبوا في اللفظ والمعنى بعد الجاحظ فربط هذه الثلاثة في رباط واحد : البلاغة ـ قضية الاعجاز قضية اللفظ والمعنى ، وهو الواسطة بين الجاحظ والجرجاني ثم جاء الامام عبد القاهر الجرجاني وكان له رأي ظاهر في قضية اللفظ والمعنى فهو لم يقف عندها بل تعداها الى ملاحظة (الصورة) وقد حاول المحدثون ان يجعلوا الجرجاني شيخ مدرسة المعنى واقلهم جعله الى مدرسة اللفظ اميل .

وقد وصلنا الى الرأي ان اللفظ اذا افرد بالنعت كان المراد وصف الكلام بحسن الدلالة ، فاذا قيل (كلمة فصيحة) فانما يراد خس ملاءمة معناها لمعاني جاراتها .

وفرق الجرجاني (عبد القاهر) بين نوعين من المعاني : المعاني النادرةاو الحكمية التي اشتملت على تشبيهات رائعة ، والمعاني المنقولة المتداولة فالاولى حسنها ذاتي ، والثاني حسنها حسن التصرف في ادائها ، ويرى ان كل كلام وصف بالفصاحة انما يرجع ذلك الى « المعاني دون الالفاظ » .

وصح عندي ان كتاب « اسرار البلاغة » سبق في التاليف كتابة « دلائل الاعجاز » وان الاول الف في علم البديع والثاني في علم البيان . كما صح عندي ان عبد القادر القاهر كان كغيره ممن سبقوه يجعل الاستعارة فنا من فنون البديع ، وليس يجرؤ احد ان ينكر فضل عبد القادر على البلاغة العربية ولكن اتباع الحق هو ـ دائما ـ الميزة الاولى للباحث النزيه الذي يقدر قيمة رأيه ، فمن الغريب ان يجعل الدكتور طه حسين (المجاز العقلي) من ابتكارات عبد القاهر فالحقيقة ان اول من اشار الى هذا المجاز (سيبويه) ثم تبعه (المبرد) ثم جاء عبد القاهر فاعاد امثلتهما ، وزاد عليها وسمى هذا اللون (المجاز الحكمي) .

ثم كانت البلاغة « التقريرية » نتيجة مباشرة لقضية اللفظ والمعنى ، فقد وجدنا بذورها عند ابو الهلال العسكري وعبد القاهر . اما العالم الثالث الذي أشاع روح الطريقة التقريرية فهو ابن سنان الخفاجي .

اما اول كتاب نقل البلاغة نقلة واسعة من رياض الادب الى ساحة المنطق فهو كتاب « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » لفخرالدين الرازي الذي كان اول من اشاع الطريقة التقريرية في دراسة العلوم كما يقول ابنخلدون ولعل الرازي هو اول من ادخل في البلاغة مبحث (الدلالات) .

ومن الحق ان نقول ان البلاغة التقريرية او البلاغة في صورتها الاخيرة كانت نتيجة مباشرة لقضية اللفظ والمعنى وقد تمت ملامح البلاغة التقريرية على يد (ابي يعقوب السكاكي) في كتابه « مفتاح العلوم » وقد ظهر فضلالسكاكي في ابواب من علم المعاني ، اما علم البيان فاضافاته قليلة ، اما البديع فقد قصر فيه عمن سبقوه . وقد وقع في خطاين اولهما الاكثار من الامثلة المصنوعة التي لا تفيد ، والثاني التزامه النظر العقلي في تقسيماته وتفريعاته ، والحق ان السكاكي وان قيد مسائل العلم من التفلت قد وقف حجر عنده دون استرار النظر في قضية اللفظ والمعنى . فلو ان احاسيس الاديب كان لها سلطان في ذلك التاريخ لكان للبلاغة العربية شان آخر ، ولا تسمع القول في قضية اللفظ والمعنى . ولكن صنيع الرازي والسكاكي من بعده ، وغلبة الروح المنطقية على الروح الادبية ، ثم شغف من جاءوا وابعد هذين بطريقتهما في البلاغة صد تيارا متدفقا ، فجر الجاحظ ينبوعه ورفده (العسكري) برافد ثر غزير ثم جاء (عبد القاهر) فوصل به ينابيع كثيرة ولكنها جميعا وقفت عند عتبة القرن السادس الهجري لانها وجدت سدا منيعا ، حال بينها وبين التدفق والانطلاق .

وبعد فان من اقرب الكلام الى الصواب ما قاله العماد الاصفهاني « اني رأيت انه لا يكتب الانسان كتابا في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهذا دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

القاهرة

انور الجندي

شعـــراء المهجـــر

فـلـيـكـس فـارس

بقلم شكر الله الجر

* * *

نثبت في هذا العدد من « الاديب » بعضا من الذكريات اللطيفة عن شعراء المهجر لصديقنا الاستاذ شكر الله الجر الذي عاش ثلاثين سنة ونيف فيعاصمة الاتحاد البرازيلي ريو ده جانيرو انفق معظمها في خدمة الادب والصحافة لا سيما في مجلته « الاندلس الجديدة » التي كانت في عهدها تنقل الينا اروع النفثات لادباء بيئته وقد عاد الشاعر الى وطنه منذ اربع سنوات ليستريح على شاطىء بيبلس، مدينةالحرف والمجداف، بعدجهود ادبية ووطنية مضنكة .. ولكنه ككل اديب يجد في الادب غذاء لروحه ما برح ينفحنا بخواطره الذكية وذكرياته الحميمة عن رفاق غربته من زملائه الشعراء مخصا منهم من غادر الحياة بفصول شيقة تطلعنا على الكثير من شؤونهم وشجونهم مما لم يتوفر لنا الاطلاع عليه قبل اليوم .

وفي المقال التالي لمحات عن فقيد الادب والمنابر فليكس فارس الذي عاش مشردا عن لبنان زهاء خمس عشرة سنة ثم قضى نحبه في مدينة الاسكندرية ، وفي ذيل المقال القصيدة التي رثاه بها الشاعر لما نعي اليه وهو في البرازيل .

* * *

كان في عهده اميرا من امراء الكلمة في هذا الشرق اشرأبت اليه الاعناق خطيبا على منابر الارز شمخت به راية البلاغة وصفقت في يديه . اطلقها صرخة مدوية يوم نفت حكومة عبد الحميد ولي الدين يكن الى سيواس فاهتزت لصرخته اعمدة يلدز وترددت بين جبال الدردنيل رعودا وبروقا .

ما وقف على منبر الا سحر السامعين بفصاحته وقوة حجته . تميز بعبارته الموسيقية وبشكله الجذاب. طويل القامة ابيض البشرة اسود العينين والشاربين .

سمعته متكلما للمرة الاولى في بيروت عام ١٩٢١ وذلك عندما قدم الشاعر البغدادي معروف الرصافي الى لبنان غاضبا ناقما على وضع الحكم في بلاده فاستقبلته نوادي الادب بالترحاب وبواته الماسونية مركز الصدارة في محافلها . فاذا نحن في محفل السلام امام الرصافي يقدمه فليكس فارس الىالجمهور ببيانه الخلاب ففرب وشرق في خطبته مشيرا الى مكانة الادب والاديب في الامم الراقية فأدهش السامعين . فقال الناس لله دره من خطيب . وقلت في نفسي لله دره من شاعر في خطيب .. وما زلت اذكر من قصيدة الرصافي في تلك الليلةوعنوانها «المهجورة» ابياتا يصور فيها احدىالحسان وقد هجرها زوجها فراح الشاعر يسألها عن البواعث التي ادت الى هجرها فأجابته :

فيا لك من حـر يسال حـرة شكت هجربعل لم يكن بالفتىالحر

ويلاحظ القارىء الكريم ان كلمة حر وحرة ترددت مرارا ثلاث في البيت الواحد فجاءت سائغة لذيذة .

ثم راح يتغزل بمسحة الكآبة التي تحلي جبينها فتزيدها جمالا :

كـان تلاميـح الاسـى في جبينها بقايـا ظـلام الليل في غرة الفجر

وهذه البقايا في غرة الليل ــ لمن اروع ما ورد في قصيدة الرصافي تلك الليلة .

ومما ضاعف من وقع القصيدة في النفوس هو شخصية الشاعر الجليلة وعباءته الفضفاضة ، وهراوته الغليظة تتحرك في يده مع نبرات شعره وطربوشه الاحمر الطويل وقد لاصق اذنيه ولهجته العراقية الى نكهة بدوية صحراوية في صوته المخشوشن .

وبعد ان تعبت الاكف من التصفيق للرصافي اطل على الجمهور من بعده الياس ابو شبكة واديب مظهر بقصيدتين رائعتين ما يزال عالقا في ذهني من قصيدة الاديب بيتان يصف فيهما ذلك الشلال المتدفق على صخور وادي قاديشا الرهيب وقد اودعهما صورة من خياله الطريف المهفهف قال :

وهناك في الوادي غدير تائـه متلفت بـين الصخـور نفـور
يهفو الصباح فيستحم بمائـه وينـام فـوق ضفافـه الديجور

كان فليكس رحمه الله لمعة في سماء الادب ، وبارقة من بوارق العبقرية ظلت الغمائم ترين عليها حتى اخفتها، وبلبلا مفقوء العين ظل يسكب من اغاريده في القلوب حتى ادركته الزوبعة فأخرسته .. ولله تلك الاغاريد ما كان اعذبها واشجاها انها حملت كل شجون الشرق وانينه ، وكل تنهدات المرأة الشرقية على شاطىء المتوسط من عهد ايزيس وعشتروت الى عهد مريم ام يسوع الى ثكالى الحرب الكبرى ..

ما عرفت بعد ولي الدين يكن شهيدا مثل فليكس احسن الى الادب فأساء الادب اليه . ولا رأيت بين امراء القلم من تنكر له الحظ وعبس الزمان في وجهه مثل هذين الاديبين فليكس وولي الدين وكلاهما كانا من كبار الاحرار . لفهما الدهر في رداء واحد . فلا السياسة اخلصت لهما ، ولا الادب وفاهما سهر الليالي .

لقد شهد الناس على العهد العثماني كيف كان فليكس « ميرابو » الاتحاديين ، يقف على منبر الشعب عشرات المرار بين مشرق الشمس وغروبها ، تتدفق البلاغة من فيه والاخلاص من عينيه ثم عرف الناس بعد ذلك ما كان جزاؤه (١) . ولكن فليكس ما كان للسياسة وللادب فحسب بل كان للامة وللوطن ، ولما كان جبران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يهدم بمعول « الاجنحة المتكسرة » باستيل التقاليد ، كان فليكس في كتابه « النجوى الى نساء سوريا » يصيح صياح الديك داعيا المرأة العربية الى اليقظة .

وفي نهاية الحرب الكبرى بعد ان سكبت عيناه اخر قطرة من الدموع فوق قبور شهداء الوطن ، حمل بين يديه جراحات لبنان الى ما وراء البحار ، الى اميركا الشمالية ، يكشف عنها النقاب كما كشف ماركوس انطونيو الغلائل عن جثمان قيصر .. وظل عامين كاملين في ذلك المهجر النائي يتنقل من منبر الى منبر مهيبا باخوانه المغتربين بأن يتدبروا امر الوطن وهم دون سواهم مناط رجائه وقبلة اماله . وكان له من جبران في غربته تلك اخا واي اخ لطف نواحه وضمد جراحه . اما لبنان فلم يأبه له .. فاذا هو بعد قليل شريد اليأس طريد التهم تخفق نعلاه في رمال الاسكندرية يناشد من النيل وشلة يبل بها ظماه ولكن هيهات . لقد عاش ثلثي حياته غريبا عن وطنه حتى غربت شمسه وانطفأ قمره .

كتب الي مرة وهو في الاسكندرية يقول « ان كلينا مغترب عن لبنان يا اخي اسمع تنهداتك من بعيد واقرا دموع الحنين في شعرك وقد عصر الشوق فؤادك ، فلله وطن يعق بنيه ويتنكر لمحبيه . اما نحن وامثالنا من العاملين على تخليده والناشرين على مناكب بيارق عزه فمرجعنا الى الله .. »

نظم فليكس الشعر فأجاد وابدع والقليل الذي تركه لنا من شعره يدلك على صدق الموهبة الشعرية التي تغلف كيانه وتبرز لك نواحي تفكيره ولنا مما ترجم والف شاهد على تلك النغمة الموسيقية التي ترافق بيانه وتمتزج حتى بعبارته الخطابية فتنساب مهللة شفافة الاداء . ومن قرأ النجوى اول كتاب اصدره ثم قرأ بعده فتى العصر مترجما عن شاعر فرنسا دي موسه ثم رسالة المنبر ـ ثم ترجمته لفردريك نيتشه ـ عرف اي قلم كان قلم فليكس فارس جمع بين لغة الكاتب والخطيب والشاعر .

ويسرني ان انقل الى القارىء الكريم بعضا من شعره لا سيما قصيدته الرائعة في رثاء صديقه اديب مصر الكبير مصطفى صادق الرافعي وقد بعث بها خصيصا الى مجتلي « الاندلس الجديدة » يوم كنت في البرازيل وكان هو في الاسكندرية مع رسم يمثله الى جانب الفقيد وفي القصيدة من غنة الاسى ونبرة الفيلسوف المفكر ما يجتذب الخاطر ويهز المشاعر قال :

تواريت في الملا الارفع ... فانت هناك وانت معي
هتكت عن الروح ستر التراب ... وستر ترابي لم يقشع
اماط القضا احد البرقعين ... وما زلت ادرج في برقعي

(١) ابعدت السلطة الفرنسية فليكس الى حلب ولما ضاقت به حكومة صبحي بركات صديق فرنسا وضاق بها شد رحاله الى مدينة الاسكندرية وبقي فيها حتى وافاه اجله حيث نقل جثمانه الى بلدته المريجات ودفن فيها . (٢) نجواك يعني كتاب النجوى الى نساء سوريا .

فاصبحت اقرب مني الى ... قرارة نفسي في اضلعي

الى ان يقول :

فقدناك يا مصطفى صورة ... لجيل باصلابنا مودع
لجيل سيعرف انسابه ... فينكر كل دخيل دعي
اذا نازعته الدنى روحه ... يهب بهوجائه الزعزع
يثور وفي قلبه ربه ... فيمشي على السيف والمدفع
عرفناك يا مصطفى جامعا ... شتيت بني العرب الاربع
غنمت من الارض ارواحها ... وعفت التهاويل للمدعي
اذا الروح نالت معاني الوجود ... تخلت عن الحرف والمقطع
سلام على غائب حاضر ... تكفكف ذكراه من ادمعي

ومن شعره ايضا :

ضحكت على الدنيا لعلمي بمكرها ... وقد ساءها اني أسيء بها ظني
واوليتها ظهري وعشت كمدمن ... على ثفره كاس وكاس على الدن
ولكنني لما التفت رأيتها ... وقد لف رأسي الشيب ضاحكة مني

والان من اقصى اماني يا فليكس وانا اليوم في لبنان ان احج الى مثواك وان احمل اليك هذه اللوحة من شعري والقي بها على ضريحك ، وفيها كل شجوي عليك وكل مرارة نفسي ونفسك من الايام لتبقى تاريخا لحياتك في كبوة من كبوات الدهر وصورة عن بني قومك ومدى اعزازهم للادب والادباء مما يجفل منه الغد وتخجل من تدوينه الاقلام ..

غرست لقومك ورد المنى ... فكان حصادك شوك الندم
فليكس اذا ما بكتك العيون ... بدمع بكتك عيوني بدم
أيجمعني فيك حظ الاديب ... الشقي على وفرة في الشمم
ولا استعير بيانك فيك ... ولا استعير لجفني الديم
واستصرخ الشرق حزنا عليك ... واذعر تحت التراب الرمم
لقد عشت في غمرة من همومك ... جم المصائب جم النقم
وذنبك انك ابن البيان ... وابن البيان كثير الالم
تهب عليك الخطوب الضخام ... فتلقاك للصبر طودا اشم
ويستهدف الجبل المشمخر ... لصخب العواصف دون الاكم
تعامت بلبنان عنك العيون ... وأذن الشآم عراها الصمم
فيممت وجهك صحراء مصر ... وملء الفضاء غيوم وغم
تلفك لف الرمال الهموم ... ويحدوك في السير يأس أصم
فصفق حول الضفاف النخيل ... وهش ورحب فيك الهرم
وكم رحب النيل بالمهمين ... ووطأ اكنافه للقمم
فواخجل المجد ان ندعي ... بانا منار الهدى في الامم
وانا نشرنا على الخافقين ... لواء التمدن منذ القدم
وانا نعظم اهل النبوغ ... وانا نكرم اهل الذمم ؟!
ونغمط مثلك حق الجهاد ... وكم حسد العرب فيك العجم
فعفوك عنا فما نحن الا ... صغار النفوس صغار الهمم
اذا مرد العبقري البناء ... عملنا على هدمه فانهدم
فيا امة ترجم الانبياء ... لجهل ويعبد فيها الصنم
لك الله من امة تزدرى ... بها العبقريات او تتهم
ايحرم فيك الكرام الكفاف ... وتغرق فيك اللئام النعم ؟
ويقضي بن فارس عنك شريدا ... طعين الفؤاد طريد التهم
فلم لا تزلزل زلزالها ... الجبال ، ولم لا يثور الخضم
تعشقت نجواك منذ الصبا (٢) ... ورضت عليها النهى والقلم
وألفيت فيك رسول الجديد ... الى امة اوغلت في الهرم
فكنت المربي لنشء اطل ... قصيص الجناح سخيف القدم
فتحت لنا مسبحا في النجوم ... واطلقتنا شعلا في الظلم
فنم في ثراك قرير العيون ... ودعنا وراءك نحمي العلم

جبيل ـ لبنان

شكر الله الجر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

☆

خبئيني في الدفء ، يا اخت، فالبرد صقيع ، والريح تعصف عصفا
والاصم ، الظلام ، يشتد من حولي ويطفو ، والثلج ينسف نسفا
وجناحي مضعضع ، واماني عطاش يهتفن بالشوق هتفا
وشفاهي كانهن من النشوة ، والحلم ، ودن صاف، وآخر اصفى
وليال ممزقات على الدرب رصفن الاوهام في العمر رصفا
مسحة الظن في اليقين ، فيا نعم يقينا رشفته منك رشفا
والقليل ، الاقل من ورق الورد ربيع ، يعيا على النفس وصفا

خبيئني، اخاف، يا اخت، فيالليل خيالا يمر في الذهن خطفا
هاربا من مخابىء الامس لا يعلم في اي نجوة يتخفى

انت لي صخرة الخليج الى الفجر وحرفي ، اذا روى البحر حرفا
ضمة، ان ضممت ، اخصبت الارض حنوا في ساعدي وعطفا
يكبر الحب فوق ما تكبر النفس ويصحو على العطاء ويغفى
مطمئنا كانه النغمة الغناء تهفو هفوا وتعزف عزفا
غنة اثر غنة ، وحنين كحنين الغريب لينا وعنفا

اخت ، ملت نفسي انتظارك حتى جفت النفس عن ضميري .. فاجفى
صرت كالليل قطعة من طيوف هائمات ، رفا يعانق رفا
وسموا هو السمو ، وانفاسا هيولى ، ترنح الذات رهفا
ضاع قلبي بين التضرع واللقيا وضاعت .. وحرت .. من اين تشفى
يرتوي اللحن دون ان يرتوي السمع وتبقى الرؤيا مطافا ولهفا

اخت، مالي والبرد؟! كفكفي حصني فهاتي هاتي ، من البرد كفا
تعكف النفس حول بيتك ، يا اخت مجوسا تزمزم الليل عكفا
قدست نارك القوية في ضعفي كاني ضعف يعارك ضعفا
وتأملت ... فانتهيت الى الايمان بابا ، عالي القباب ، وسقفا

الياس خليل زخريا

السـردیـون

بقلم حسن الكرمي
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

« السرديون » كلمة اطلقتها على طائفة من المتعلمين ، او طبقة من الناس عموما ، وقصدت بها ان اظهر ناحية من تفكير هذه الطائفة او الطبقة في الامور الدنيوية المهمة وغير المهمة . وقد لمحت في هذه الكلمة المعنى الموجود في الفعل (سرد) في قولنا : سرد الحكاية ، او سرد الممثل دوره في الرواية، بمعنى انه ذكر الحكاية مسلسلة، او ذكر الدور وقاله مسلسلا ، بحسب السماع او النص بدون ن يكون له دخل او تعديل في ذلك ، او بدون تفكير او تمحيص . والقارىء ، ولا شك ، خابر لمثل هؤلاء الاشخاص ، وخصوصا بين النساء والاطفال . ويجد الانسان منهم امثلة عديدة بين جميع الطبقات تقريبا ، لا فرق في ذلك بين متعلم وغير متعلم . وكنت اعرف من هؤلاء جماعة او افرادا يتخصصون بسرد الحكايات والشائعات ويتنقلون بها من مجلس الى مجلس، وهذا الطراز من الناس معروف لدينا في البلاد العربية، ومعروف ايضا في بلاد اخرى ، مهما بلغت من التمدن والرقي . واظن ان الحلاقين في جميع العالم هم خير مثال على طبقة « السرديين » .

ولست اقصر هذه الكلمة في معناها على اهل الكلام وحدهم، وان كنت اخصهم بالمعنى اكثر من غيرهم ، بل اريد بها ايضا الكتاب والاساتذة والمعلمين واصحاب الصناعات والعمال وسواهم . فان الاستاذ الذي يعلم درسه كأنه يقرأ من كتاب او يحفظه عن ظهر قلب ، والكاتب الذي يسرد كلامه كما يسرد (الحكواتي) حكايته، والصانع الذي يعمل بيديه على اسلوب معين لا يتخطاه ـ هؤلاء جميعهم « سرديون » . وان يكون الانسان سرديا ليس معناه ان يكوّن دون غيره في المقام في الميزان الاجتماعي ، لان « السردية » طبيعة في بعض الناس ، ولا يملك هؤلاء الناس ان يتخلصوا منها . بيد ان « السردية » داء من ادواء الفكر تجب محاربتها ، وخصوصا في جماعة المتعلمين ، لانها اشارة صادقة على ضعف عقلي وقصور فكري . ولعل القارىء الكريم يدرك معنى ما اقول اذا تذكر ان شخصا من جملة معارفه يشبع السامعين اخبارا واقوالا عن فلان وفلان وعن الجريدة الفلانية والفلانية وعن الدولة الفلانية والفلانية يسردها سردا بكل تفاصيلها ، بدون ان يبدي هو براي او يأتي بتعليل . وابداء الراي او اعطاء التعليل شيء اخر يختلف تماما عن عملية السرد هذه ، لانه يحتاج الى تفكير . ولا بد ان يكون احدنا قد خبر في ايام دراسته معلمين كانوا يلقون على الطلاب دروسهم كالببغاء ، ليس بينهم وبين الدرس صلة وثيقة ، وذلك لان الاصل في الدرس غير مفهوم . واذكر ان احد معلمي اللغة العربية طلب اليه ان يعلم الرياضيات في صف عال ، ولم يكن بينه وبين الرياضيات حسن تفاهم . فكان اذا صور الشكل على اللوح يصوره صغيرا كما هو في الكتاب خوفا من ان يختلط عليه الامر اذا كبره ، وكان يضع الحروف على الشكل مرتبة بحسب الكتاب حتى لا يخرج عن السلسلة في تقرير المطلوب . كان هذا المعلم يشرح الدرس ويقرر المطلوب بحسب الكتاب تماما . وقد ادرك الطلاب منه هذا الضعف فكانوا يغافلونه ويغيرون مواضع الاحرف على الشكل. وهنا « وقف حمار الشيخ » كما يقولون ، واختلط على المعلم الامر ، ولم يعد يدري ماذا يقول . واذكر معلما اخر كان لا يسمح للطلاب بمقاطعته بسؤال او استفهام ، لان ذلك كان يقطع عليه تسلسل الكلام المحفوظ .

ولا ينحصر ضرر هؤلاء الناس في هذه الناحية فحسب ، بل يتعداه الى ناحية مهمة اخرى . فان اعتياد هؤلاء على الحفظ بدلا من الفهم ، واعتمادهم على السرد دون الفحص والتمحيص ، وميلهم الى سلوك اهون المسالك ـ هذه تجعلهم ضعافا امام غيرهم ، لا يقوون على مقاومة الاراء او الافكار المدسوسة عليهم كالدعايات والتخرصات والتدليسات . وقد رأيت ان كثيرين من المتعلمين بين العرب يحملون افكارا وآراء تلقفوها تلقفا فآمنوا بها واعتنقوها دون ان يفهموها او يفهموا ما وراءها من القصد . ثم ان هذه الطبقة السردية من الناس ، بحكم التركيب العقلي عندها ، تأخذ دائما بالظاهر ، لا ينفذ بصرها الى ما هو ابعد من ذلك . فهي تهتم بالقشور وتترك الجوهر ، وتتعلق بتوافه الامور وتهمل الاسس والعوامل المهمة . فاذا واجه البلاد مشكلة من المشكلات كان هؤلاء السرديون اضعف عقليا من ان يتفهموا هذه المشكلة على حقيقتها ويتوصلوا الى علاجها . وقد يشتغلون بالسفاسف دون الجوهر ، وبذلك يمكنون عدوهم من التغلب عليهم . ولدينا في الشرق الاوسط امثلة عديدة على ذلك ، قديمة وحديثة .

ولعل مثالا او مثالين يكفيان للدلالة على ما قلته عن قشور القضية ولبابها وعن ان السرديين يعجزون عن الوصول الى كنه المشكلة ومبدئها الاول . لنأخذ مثلا الحكاية المشهورة عن العالم البريطاني « نيوتن » . فان هذا العالم رأى تفاحة تسقط من الشجرة الى الارض . فماذا كان تعليل ذلك عنده ؟ لو كان « نيوتن » سرديا لقال ان التفاحة سقطت الى الارض لان الخيط الذي كان يربطها بالتفاحة قد انقطع ولذلك فان التفاحة انفصلت عن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشجرة وسقطت . ولكن « نيوتن » لم يكن سرديا ولم يكتف بهذا التعليل الظاهري ، بل تخطاه الى تعليل عميق جوهري ، وتوصل بذلك الى نظرية الجاذبية الارضية والجاذبية الكونية ، وامكن بواسطة هذه النظرية الفذة تعليل هذا النظام الكوني القائم بين الكواكب والنجوم . وثمة حكاية مشابهة اخرى وهي أن احدهم رأى مرة غطاء القدر يرتفع وتخرج عند ارتفاعه دفعات من البخار . ففكر في ذلك ، وسرعان ما توصل الى نظرية ضغط البخار التي طبقت بعد ذلك بقليل في القطارات البخارية وغيرها. ولو كان هذا المخترع سرديا لاكتفى بقوله بان غطاء القدر يرتفع لان البخار يخرج من القدر وليس له مخرج غيره.

فالمسألة اذا تتلخص في القدرة على النفاذ الى لب القضية وعدم الاحتفال ببعض المظاهر المشوشة للذهن. وهذا بالطبع يحتاج الى قدرة على التجريد المعنوي والسمو بالفكر عن العوامل غير الجوهرية . والتفكير العلمي مبني على ذلك. والمفكر العالم يعرف كيف يختار من بين العوامل التي بين يديه تلك العوامل الجوهرية التي تؤدي به الى تعليل الظواهر الطبيعية ووضع نظرية او نظريات علمية مناسبة. وليس كل من يجمع المعلومات يستطيع ان يعللها او يختار منها المعلومات الجوهرية . ولذلك فان في دور البحث والتنقيب اناسا يتخصصون بجمع المعلومات واناسا اخرين يعللون هذه المعلومات. والجماعون من هؤلاء هم السرديون. وقد وجدت ان من الذين تدربوا على البحث العلمي افرادا لم يستفيدوا من هذا التدريب الا حشد المعلومات وصفها بدون تمييز . فهم ما يزالون سرديين حتى بعد تدريبهم . ويظهر لي ان الخروج من نطاق السردية امر يتطلب بعض الصفات العقلية .

وقد نضطر احيانا الى ان نكون سرديين لاسباب مختلفة . فالواحد منا قد يحتاج الى تعلم سياقة السيارة. فهو لضيق الوقت لا يهتم الا بحفظ بعض القواعد والحركات ، حتى اذا اتقنها اصبح سواقا ، بدون الحاجة الى معرفة الاسرار الميكانيكية للسيارة . وقد يجد احدنا نفسه في بلد لا يعرف لغتها ، فهو يتعلم عبارات هذه اللغة بصورة ميكانيكية بدون التعمق في دراسة صرفها ونحوها وقواعدها اللغوية واشتقاقاتها وما الى ذلك . وموقفنا في الشرق العربي من المدنية الغربية شبيه بموقف احد هذين الشخصين . فنحن مضطرون الى الاخذ بهذه المدنية رضينا ام ابينا ، ولذلك فاننا نأخذ منها كل شيء بدون ان نتوقف قليلا حتى نهضم ما اخذناه . وهمنا الوحيد هو ان نحيط بأكبر قسم منها ، وان كانت هذه الاحاطة سطحية لا تتعدى الظواهر . فنحن في اقبالنا على المدنية الغربية سرديون .

في هذه الحالة نحن مضطرون الى ان نكون سرديين، ولنا في ذلك عذر ، لان تيار المدنية الغربية تيار جارف لا يمهل الانسان حتى يستعد له ويعرف اسراره حتى يتحكم به . وقد حاول بعضهم التمسك بالقديم ، والاخذ بطرف من المدنية الغربية دون اخر ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل . ومن اكبر الامثلة على ذلك اقبال اليابان على المدنية الغربية دون تحرج . وقد اختلف الروس فيما بينهم قبيل الثورة الروسية هل يأخذون بالمدنية الغربية ام يحتفظون بمدنيتهم السلافية . اما الامم الافريقية الناشئة فهي تقبل على المدنية الغربية بلا تحفظ لانها لم يكن لها مدنية سابقة تحتفظ بها . هذه الامم الافريقية جميعها سردية . وقد تمر الامة الواحدة بدور ابداعي ودور سردي في تاريخها ، كما جرى مع الامة العربية . فقد مرت هذه الامة بالدور الابداعي في اوائل عهدها في الشرق والغرب ثم مرت بالدور السردي في اواخر عهدها حينما انصرف الناس عن الخلق والابداع والبحث والابتكار وانغمسوا في التصنيف والتبويب وتنميق العبارات واجترار الافكار . ويظهر من هذا ان ظروف المعيشة في الامة هي التي تكيف هذه الامة وتجعلها مبدعة مبتكرة او تجعلها خاملة سردية . وفي العالم العربي في الوقت الحاضر غمرة سردية ، ولا يدري المرء كيف يمكن الخروج من هذه الغمرة حتى تعرف الاجيال الحاضرة موقفها في الحال وفي المستقبل من مشكلات محلية وعالمية . ويبدو لي ان افضل شيء للامة في محنتها السردية ان يكون لها ايمان أو فلسفة ، فاذا كان الحصول على الايمان صعبا وكان غرسه في النفوس متعذرا فأفضل ما يلجأ اليه الانسان فلسفة تبنى على الواقع . ويرى بعضهم ان التعليم في المدارس قد يكفل هذه النتيجة ، ولكن هذا التعليم في رأيي يجب ان يكون من نوع خاص ، واقصد بذلك ان يكون على الإساس العلمي . وهذا يتطلب تغييرا جذريا في البرامج ونظم التعليم في مدارس البلاد العربية . وبحث هذا يطول .

ولنعد الان الى اوائل الكلام عن السرديين . واذكر في هذه المناسبة عبارة انكليزية توافق المقام ، وهي قولهم عند الكلام عن شخص ما : «هو لا يرى الحرش لوجود الاشجار» ويريدون بذلك ان هذا الشخص لشدة اهتمامه بالتفاصيل والجزئيات لا يرى الجملة ولا الكليات . اي أن هذا الشخص لا يستطيع ان ينتزع من التفاصيل فكرة عامة او ان يجرد من الجزئيات كلية شاملة . وهو في هذا المعنى خير مثال على الشخص السردي الذي وصفناه آنفا . ومن صفاته ايضا انه لا يرى ترابطا بين التفاصيل ولا يجمع بين الجزئيات بفكرة جامعة ، فهو بذلك اعدى من يكون على العلم والتقدم العلمي . ونظرته هذه المحصورة تصور لنا حوادث العالم بانها حوادث متفككة لا ترابط بينها وان العالم عبارة عن اختلاط وتشويش وفوضى . فهو لا يرى الا اشجارا متفرقة ولا يستطيع في ذهنه ان يجرد منها صورة اخرى وهي صورة الحرش . وامثال هذا الشخص في الحياة العامة كثيرون ، يوجدون في كل مكان وفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل طبقة ، وقد يكثر وجودهم بين من نسميهم بالادباء او المتأدبين . وقد يرى الواحد منا هذا الاديب او المتأدب يحتكر المجلس ويشبع السامعين حكايات واخبارا لا محصل لها ولا تؤدي الى فكرة مفيدة او تعليل نافع .

وقد نعكس الوضع فنقول عن شخص ما انه «لا يرى الاشجار لوجود الحرش» ، ونعني بذلك ان هذا الشخص تستحوذ عليه فكرة معينة بحيث انها تمنعه من ان يرى الحقائق والوقائع المنافية ، ولا تريه الا الحقائق والوقائع التي هو يريدها ، لانه لا يؤمن الا بما يروق له ولا يحمل من الاخبار والاقوال الا ما وافق الهوى . وقد قاسى العالم طويلا من هذا التعصب الفكري ، والحرب الباردة في الوقت الحاضر تقوم على امثال هذا الشخص . ويحكى ان احد الفلكيين الذين كانوا يؤمنون بالنظريات القديمة رفض ان يؤمن بوجود اقمار حول احدى السيارات ، وقال انه حتى لو رأى هذه الاقمار بعينه فانه لا يصدق ، والغريب ان العلماء هم من اكثر الناس تعصبا ضد الافكار الجديدة ، كما جرى مع « باستور » الفرنسي » و « كوخ » الالماني وغيرهما . وحكاية المثل القائل : « عنزة ولو طارت » اكبر شاهد على هذا النوع من التفكير .

هذا الشخص مع الشخص السردي يمثلان اسلوبين في التفكير :

الاول: صرف الذهن الى الجزئيات وعدم الوصول الى الكليات ، كالذي يرى الاشجار بمفردها دون ان يهتدي الى وجود الحرش . والثاني : الخضوع لفكرة معينة بدون استعداد لتغيير هذه الفكرة متى قامت الشواهد على بطلانها . والاسلوبان من نوع واحد في النهاية . لانهما يتفقان في اخطاء الحقيقة . والاول يخطىء الحقيقة لعدم مقدرته على استخراج الافكار العامة ووضع النظريات التفسيرية . والثاني يخطىء الحقيقة لوجود حاجز في الذهن يمنع وصول الافكار الجديدة التي قد تؤدي الى ازالة ذلك الحاجز . وقد كان الاسلوب الثاني ولا يزال من أعظم الاسباب في خلق حالات التوتر في العالم وفي احداث الحروب والفتن، مما ادى الى سفك الدماء والمجازر البشرية وتخريب البلاد والديار في جميع العصور . وكان يرجى من انتشار العلم واتساع تأثيره ان يقلع الكثيرون في العالم عن طريقة التعصب في الافكار . ولكن انتشار العلم انما امد اصحاب هذه الطريقة التعصبية بوسائل جديدة ووسائط حديثة لتقوية هذا التعصب وتثبيت أركانه . ويكفي من هذه الوسائط والوسائل ان نذكر أجهزة الاعلام كالصحف والمجلات والراديو والتلفزيون والسينما وغيرها . يضاف الى ذلك ان العلم الحديث أصبح معقدا غاية التعقيد فلا يفهمه الا نفر قليل . ولذلك يسهل على المتعصبين ان يبينوا صدق افكارهم عن طريق معلومات علمية قد تكون مصنوعة ولا يعرف الرجل العادي مبلغها من الصحة فهو يؤمن بها لانه لا يستطيع ان يكذبها .

وليس لهذا من علاج الا العلاج العلمي ، وهو ان يحجم الانسان عن تصديق فكرة ما لم يثبت لديه صدقها ، او ان يتخذ موقف المتفرج من الاوضاع الفكرية المختلفة ، فلا يتعصب لواحد منها وهو يعلم انه عاجز عن اثبات صحتها. وان هو اعتنق فكرة معينة بعد شيء من التمحيص فيجب عليه ان يقلع عنها حالما يتبين له بطلانها. هذه هي الطريقة العلمية . والعلماء اليوم لا يكادون يجزمون جزما قاطعا بأية نظرية ، لان هذه النظرية عرضة على الدوام للتغيير والتبديل بحسب ما يكشف عنه النقاب من حقائق ومعلومات جديدة . ولا اقول ان اتباع الطريقة العلمية في التفكير من يوم الى يوم امر سهل يستطيعه اكثر الناس ، لان هذا الاتباع يتطلب استعدادا طبيعيا اولا وتدريبا علميا ثانيا . والاستعداد الطبيعي ليس لنا حكم عليه ، ولكننا نستطيع الاستفادة من هذا الاستعداد اذا ربيناه ونميناه بالتعليم والتدريب . ولا سيما في المدارس . والغاية من كل ذلك غرس الميل الفكري الى التمحيص والانتقاد حتى لا يقبل الانسان فكرة معينة بدون نقدها وتمحيصها . وقد يبلغ بالمرء الناقد ان يكون على حذر من كل شيء يكتب او يقال . والنظريات الفلسفية الجديدة عن التعابير اللغوية تحضنا على فحص كل كلمة نقولها ، لان هذه الكلمة قد تنطوي على مخادعة فكرية . واذكر في هذه المناسبة مثلا ان اصحاب هذه النظريات الفلسفية اللغوية يقولون ان الانسان قد يظن انه اذا استعمل كلمة ما فان هذه الكلمة اسم لمسمى موجود فعلا ، واطلقوا على هذه المخادعة الفكرية عبارة : المخادعة اللغوية . من ذلك مثلا الكلام في المجال العلمي عن الطول والسرعة والحركة . فهذه الاشياء لا وجود لها في الخارج فعلا ، فهي من صنع التصور العقلي اللغوي ، وانما يوجد في الخارج اشياء طويلة واشياء متحركة لا غير ، ولا يمكن الانسان ان يتصور الطول مجردا عن الاشياء الطويلة ولا الحركة مجردة عن الاشياء المتحركة . وهذا ينطبق على كثير من الافكار المجردة او الاستعمالات اللغوية الغير الدقيقة .

فالتمحيص لا يقتصر على الافكار والاراء ، وانما يشمل اللغة بأجمعها بل كل كلمة منها بمفردها . واذا لم نعرف معنى ما نقول ومعنى الكلمات التي نستعملها ، فلا نستطيع ان نقف على الحقيقة او ننقل هذه الحقيقة الى غيرنا ، ولا سيما اذا كان هذا الغير يفهم عن الكلمات معاني مختلفة عن معانينا . ولهذا كان من الواجب ان يكون بين افراد الامة الواحدة تعارف واتفاق على معاني الكلمات ، والا كان التفاهم بينهم معدوما كالتفاهم المعدوم بين العميان . ويتسنى هذا الاتفاق على المعاني عن طريق التعليم من جهة وطريق التدرب الشخصي من جهة اخرى . ويجب اولا ان تكون اللغة واسطة طيعة يتكلم بها المتكلم والكاتب ويعرف معرفة حقة معنى كلماتها ، لا ان يكون هو طوع هذه اللغة يفكر بحسب تراكيبها لا بحسب الواقع . ويتهم العرب في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليك يا بيت الفداء

ذاك العدو وتلك الدار فاقتحم ... واغرس حرابك في الاحشاء وانتقم
وارفع لواءك فوق القدس منتصرا ... لله والمسجد الاقصى وللحرم
وللقيامة اذ ديست قداستها ... وتاج عذرائها في كف مفتتم
وللعروبة اذ هانت كرامتها ... وعاث في ارضها النؤبان في نهم
انت الفداء الذي بالنفس جاد وما ... من بعد ذلك من جود ومن كرم
رعاك ربك في حل ومرتحل ... فيك الرجاء لجرح غير ملتئم

طغى الطغاة وللطغيان طفرته ... فلا تدع بغيا يمشي على قدم
فمن كمثلك في الهيجاء من بطل ... يغشى العدو ببركان من الحمم
ومن كمثلك لبى صوت موطنه ... فهب يزأر في الاغوار والقمم
اوقعت بالبغي رعبا بات يقلقه ... فظل حيران لم يهدأ ولم ينم
وكيف يطلب طيب العيش في بلد ... قد رامه بشباك الغدر والنقم
فاضرب معاقله واحرق مزارعه ... واسحق كتائبه في المعرك الضرم
ومن ورائك شعب كله امل ... وعدةلك لم تبرح ولم ترم

يا ايها البطل الفادي براحته ... وبالدماء وبالاموال والنعم
وبالمراتب اذ ضن البخيل بها ... وبالبنين وبالاهلين كلهم
ان مت مت شهيدا خالدا ابدا ... او ان تعش عشت ممدوحا بكل فم
فانت والله في الدارين ذو شرف ... مكرم حاز اجرا غير منصرم
هذا العزاء وعمر المرء محتسب ... مقدر عند رب الخلق من قدم
فلا يظن العدى ان مات واحدنا ... انا جزعنا وكلت حدة الهمم
فان يمت واحد منا سيخلفه ... الف والف بعد غير منفصم

ولست ابكيه بل ابكي الديار الى ... ان ينجلي عن حماها احلك الظلم
ولست ابكيه ما تبكي مطوقة ... من الحمائم عند القدس والحرم
كانت تبكر في الاسحار شادية ... فهالها وقع ذاك الحادث العرم
فلا يظن العدى انا نسالمهم ... فليس والله من امن ولا سلم
حتى يبارح ارض العرب شاردهم ... او ان يبادوا بها لحما على وضم

حلب — محي الدين الحاج عيسى

الوقت الحاضر أنهم يخضعون تفكيرهم للفتهم ، وليس لغتهم لتفكيرهم .

ونقول في ختام هذا المقال ان السرديين الذين لا يستطيعون الخلوص الى الافكار العامة بل يظلون يتخبطون في التفاصيل والجزئيات اعجز من ان يكون لهم عقول فاحصة ناقدة . وهم ابعد ما يكونون عن الايمان بمبدأ او عقيدة ولو موقتا لان هذا يتطلب شدة تفكير واستقصاء منهم ، وهم عاجزون عن ذلك . وقد يخدعك السردي منهم بكثرة ما يورد لك من الاخبار والحكايات والاقوال والاشعار وما الى ذلك ، وتظن فيه الخير والعلم والذكاء . ولكنك انت مدرك ولا شك ـ اذا لم تكن انت سرديا ـ ان هذا المظهر من هذا السردي دليل على ضحالة الفكر وقصور العقل ، بل يجب ان يكون هذا المظهر دليلا على وجود شخص اقل ما يقال فيه ان ضرره اكثر من نفعه.

لندن — حسن الكرمي

أصـــداء

•

اديـــــل الخشن

الشويفات ـ لبنان

•

يدي في يدك ،
والشوق في خطونا ،
يدي في يدك
وقلبي في النار ،
عصفور ينام في اللهب
يفرق في ضباب الرغبة
يفرفر على جموح اللحن
يغني للهمسات
يشرب الهدير
ويسقط في الزلزال !

يدي في يدك
وقلبي هلة للضوء
لحـــن عابـــق
يشق الصدر
يدق في اذني
مثل الاجراس المختنقة
يخرج من دهليز الظلمة
نبضة ، نبضة
خفقة ، خفقة ...

ويسترخي قلبي ،
ينام في يدك
تقلبه ، تقشر غموضه
تشرع ابوابه
تطوف في غرفه ،
واذ تبحر فيه
تصاب بالدوار :
نهر لولبي ،
انت فيه النبع والمصب

يدك في يدي ،

وقلبك يغني
خطـــــاك
تفرش الدروب ربيعا
همساتـــــك
شمس تقطر الغيوم
تزرع الضحو والانداء
تصوغ الاحلام واللآلى
تشرع نوافذ اللهفة
تفتح شرفات الغروب

يدك تتفلفل في يدي
وابحر في غابة من نخيل
سعفها مراوح تدور
السنة تلوك الفصول
تثقب جسد الهواء !

اذرع قويـــة
تناهض الريح
اصابع مديدة
تنفض تعب الاشواق ..

واطـــل بعيني :
لاغرق قلبك
في بحيرة العيون ،
لاقشر الغلاف ،
لارى اللون والنسيج
لادخل فيه شرارة
لابحث عن البدء والنهاية !

يدك في يدي
ويبقى قلبك في الكهف
موسيقى رخية
تتالق ، في ليل من الضباب
صدى يموج في بئر ،
عميق ، عميق ..
اعمق من الصمت
وابحـــث ،
انقب عن مسالك ،
فتزحف يدك الى اهدابي
تمسح النار بالنار
واسأل ، ..
اهمس ندائي الظاميء
فتقطع قبلتـــك
عنق السؤال ، !
وتمحو ايقاعه مراوح تلاح
يتوهج في حفيفها
تلهف الرمال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموظف المحال على المعاش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي



قبل ان يعين فيصل بك في دائرة (...) عرض عليه ابن خاله ابراهيم ان يشترك معه في الاتجار بالمؤن المحفوظة في الصفائح كالجبن والزيت والزيتون ، ولكنه أبى ان يعمل بنصيحته وآثر الوظيفة على العمل الحر اذ كان يعد نفسه بالنسبة الى ابن خاله رجلا مثقفا مستنيرا لايليق به عمل يقوم به العامة من الناس .

وقد بذل فيصل ما يستطيع من جهد ليحظى بالوظيفة التي يطمح اليها . وبعد مضي بضعة اشهر استطاع ان يستولي على كرسي الوظيفة . وما زال يتدرج في سلمها من حين الى اخر حتى انتهى الى منصب مرموق ، فقد اصبح موظفا كبيرا يشرف على اعمال عدد ضخم من الموظفين ويصدر اوامره فتنفذ في سرعة .

وكان يمر في الشوارع والاسواق وهو مرتد بدلته الرسمية ذات الجيوب الواسعة فينهض له معارفه محيين بابتسام وقد حنوا له رؤوسهم احتراما . وحينما يدخل مكتبه يلتقط باذنه كلمات التحية من افواه الموظفين عن اليمين وعن اليسار ، وبعينيه صورهم وهم يؤدون له التحية في رزانة وتقدير .

وبعد ان بلغ فيصل بك الستين من عمره اخذ يفكر في نفسه وفي مستقبله .

(اصوات من الداخل : دعوني استمر في الوظيفة خمس سنوات اخرى . انني قادر على العمل وان بلغت الستين من عمري . صحتي جيدة كأنني شاب . انكم تعلمون انني اتقن عملي . وقد تعودت منكم سماع كلمات التشجيع والتقدير . ارجو زيادة مدة خدمتي خمس سنوات) .

(منظر في الداخل : يجلس فيصل بك وراء طاولته الواسعة المرتفعة ، ويأخذ ــ ووجهه يفيض ابتساما ــ في قراءة كتاب وجه اليه من رئيسه وقد ذكر فيه انه تقرر زيادة مدة خدمته خمس سنوات . وبعد هنيهة يقرأ فيصل بك وهو مقطب كتابا اخر ينبئه رئيسه فيه بأنه تقرر احالته على المعاش) .

فيصل بك موظف متكبر مبالغ في رزانته وثقته بنفسه وسموه على موظفيه . صوته جهوري وبريق عينيه مخيف وكتفاه جامدتان . ليس له اصدقاء اوفياء ، وموظفوه يبغضونه ويتمنون التخلص منه بأية طريقة . انه جبار لا يرق ولا يرحم .

(فيصل بك موظف يقوم بواجبه خير قيام . انه في المكتب غيره في خارجه . يفرض هيبته وقوة شخصيته على الموظفين ، ويتشدد في تطبيق الانظمة عليهم وعلى المراجعين . لايبتسم الا نادرا ليحتفظ بهيبته وقوة شخصيته . وهو يرد التحية بصوت منخفض هادىء لئلا يطمع الموظفون فيه . انه يأتي الى المكتب صباحا ويغادره مساء في الوقت المعين . وهذا ما يغيظ الموظفين ويضايقهم) .

واخيرا تسلم فيصل بك كتاب الاحالة على المعاش ، فخفق قلبه خفقانا متواصلا ، وكاد يهبط في جوفه خوفا وحزنا . ثم اعاد قراءة الكتاب ليتأكد من التاريخ الذي تقرر فيه احالته على المعاش . ولما استقرت عيناه عليه كاد يغمى عليه هما . واذن فانها الحقيقة السافرة : احالته على المعاش . نعم الاحالة على المعاش ، وترك هذا المكتب الفخم الواسع بمن فيه وما فيه من موظفين واضابير لينزوي في منزله . لا بد من خلع تلك البدلة الرسمية عنه وارتداء بدلة اخرى عادية بدلا منها . غدا يتحول الى رجل عادي بعد ان يجرد من شخصيته القوية ومن كلمة «بك» .

ومنذ انبأ بعض موظفيه الكبار بذلك والموظفون يتهامسون فيما بينهم عليه ويتحدثون عنه . انه مفارقهم الى غير رجعة . سيستريحون من غطرسته وكبريائه وشدته . لم يجدوا بدا من ان ينخسوه بكلمات ساخرة جارحة قبل ان يفترق عنهم وينسوه . تقدم احدهم وهو معروف بالجراة وخفة الروح ، ثم جلس ازاء طاولة فيصل بك ، واتكأ عليها في تحد وعدم اكتراث وقال له :

ــ لقد ساءنا نبأ احالتك على المعاش . ولكن موظفا قديرا مثلك في امكانه ان يجد له وظيفة في مكتب احدى الشركات براتب لا يقل عن ستين دينارا ، فان لك خبرة واسعة بادارة الموظفين بقوة شخصيتك ولباقتك .

(غدا ستلقيك الحكومة في الشارع كما يلقي المرء قشرة البرتقالة التي لا نفع فيها . اية شركة تقبلك موظفا لديها ولو براتب ضئيل ؟ انك لا تساوي قرشا واحدا) .

فهز فيصل بك رأسه هزة افهم بها محدثه انه يدرك مرمى كلامه ، ولكنه تظاهر بالثقة بنفسه وقال :

ــ ان وظائف الشركات الخالية كثيرة ، ولي معارف كثيرون يمكنهم في سهولة ان يجدوا لي عملا .

(سأشغل منصبا كبيرا في مكتب احدى الشركات واغيظكم جميعا . هل جئت لتتهكم بي يا كلب ؟)

ثم جاء موظفان اخران وجلسا على

مقربة من الموظف الاول ليستمعا الى ما يدور بين فيصل بك وزميله من الحديث . وكانا قد سمعا طرفا منه عن بعد . وقال الموظف الاول لفيصل بك متدرجا في جرأته :

ـ ان الموظف يحسب ان الوظيفة تدوم له طول حياته ، فيسرح ويمرح كما يشاء ويتفنن في اظهار مقدرته في ثقة واطمئنان كالرجل الفني يتصرف في الحياة دون ان يفكر في الموت وفي ان حياته لا بد ان تنتهي به . وحينما يأتي الموظف اجله ويحال على المعاش ينتبه لنفسه .

فابتسم موظف ثان وقال للموظف الاول :

ـ هل تعد الموظف المتقاعد من الاموات حتى يجيء اجله ؟

(رحمة الله عليك يا فيصل بك !)

فضحك الموظف الاول ثم قال :

ـ لا ، لا . لست اعني انه يغدو ميتا فقيرا تجمع له النقود لاعداد جنازة له ، بل اعني أن اجله يأتيه بالنسبة الى عمله في الوظيفة الحكومية . اما في الخارج فاذا سأله احد اصحابه : « كيف حالك؟» اجاب : « انني اتحرك ولله الحمد ».

(وهذا مصيرك ايها المتكبر المتعجرف) .

فانطلقت الضحكات من افواه الزملاء ، وانتشرت ابتسامة مسايرة خفيفة على وجه فيصل بك الكئيب، وقد شعر بصدمة قلبية وغاص في تفكير مذهل .

(اصوات من الداخل : لعنكم الله ايها الموظفون اللئام ! اتمنى ان اسحقكم سحقا) .

(منظر في الداخل : يهجم فيصل بك على زملائه لاكما بيده وراكلا برجله) .

★

لقد وقع نبأ التقاعد على كريمة زوجة فيصل بك وقوع الصاعقة . شعرت ساعتئذ أنها تقاعدت مع زوجها ، فقد كانت جاراتها يبالغن في احترامها والتحبب اليها لان زوجها كان موظفا ذا نفوذ يمكنه بحكم وظيفته ان يساعدهن وينتشلهن من كثير من الورطات . اما بعد اليوم فسيولين ظهورهن لكريمة اذ لم يبق فيها خير لهن .

قالت له بوجه ذابل ونفحة ضعيفة:

ـ يمكنك ان تجد لك عملا لدى احدى الشركات . انك وان بلغت الستين من عمرك لا تزال قويا نشيطا كالشباب .

(مهما كانت الوظيفة التي ستشغلها رفيعة لا تبلغ من السمو والرفعة عشر المقدار الذي بلغته الوظيفة التي خسرتها) .

ولكن فيصلا بك جلس الى احدى الكنبات في استرخاء وثقل كمن هوى من مكان مرتفع وقال :

ـ ارجو أن اوفق الى وظيفة راتبها مرض .

(ان كان الراتب ضئيلا رفضت تلك الوظيفة . ابعد ان كنت موظفا كبيرا ارضى بوظيفة صغيرة ؟)

فحدجته زوجته من مؤخر عينها وقالت :

ـ اقبل الوظيفة ولو كان راتبها ضئيلا ، فان اسرتنا كبيرة واولادنا عديدون . ولا بد ان يحتاجوا في المستقبل الى اضعاف ما ننفقه عليهم اليوم .

فقطب فيصل بك ، ثم قال في استياء :

ـ وظيفة صغيرة !

(هل انا حقير الى هذه الدرجة ؟ لن اسمح لاعدائي بالشماتة بي) .

ـ نعم . ان ذلك خير من قضاء وقتك هنا في المنزل .

فقال بنفمة زاجرة :

ـ اريد ان استريح اولا . انني في حاجة الى راحة . لي خمس سنوات لم امنح خلالها اجازة واحدة.

ـ ولم لم تطلب اجازة ؟

(الحق عليك . لماذا ارهقت نفسك هذا الارهاق ؟)

ـ لقد كنت اخشى ان يتدرب احد موظفي على عملي اثناء غيابي فيختلس منصبي مني وانقل الى وظيفة اخرى في بلد اخر .

(لولا قوة شخصيتي وانتباهي لضاع منصبي مني فان زملائي لئام كالذئاب) .

فتنهدت كريمة في تحسر وتألم ثم قالت :

ـ ارض في الوقت الحاضر بأية وظيفة ، وبعد ذلك تبحث عن وظيفة خير منها .

★

راح فيصل بك يتمشى في الاسواق ذاهبا راجعا بين جمهور غفير من المارة والباعة الثابتين والمتجولين . وكان كثيرون من معارفه يمرون به دون ان يلقوا عليه نظرة او تحية كأنه غريب عنهم . فكان يتألم في نفسه تألما شديدا ، ويسخط عليهم في عنف ، ويأخذ في لومهم ومؤاخذتهم على تجاهلهم له . وكثيرا ما كان يردد في نفسه قوله :

ـ لقد كان معارفي فيما مضى يستقبلونني قبل ان امر بهم بابتسامات منيرة وثغور مفترة حتى اذا دانيتهم سبقوني الى القاء التحية. اما اليوم فانهم يتجاهلونني كأنني غريب عنهم او كأنني لست موجودا على ظهر الارض . الا انني غيرت بدلتي تغيروا علي ؟ هل كنت في البدلة الرسمية شخصا يختلف عني وانا مرتد بدلتي العادية ؟

وكان كلما مر به صديق كان فيصل بك يعز عليه كثيرا وهو موظف ـ صافحه وسأله عن صحته وتأسف على احالته على المعاش ثم قال له :

ـ هل وجدت عملا تزاوله :

(من العسير عليك ان تجد عملا يلائمك) .

وكان فيصل بك يجيبه بقوله :

ـ انني لا ابحث عن عمل فقد عملت كثيرا . وليس لي الان ان استريح . ان راتب التقاعد يكفيني. فانا لذلك لست في حاجة الى وظيفة اخرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(لن يأتي اليوم الذي تراني فيه اقوم بعمل بسيط فتشمت بي) .

وفي بعض الاحيان كان يسمع واحدا من المارة يقول :

ـ متى تبيع خضروات يا حضرة البيك ؟

(انك لست افضل منا) .

واخر يقول :

ـ انت لا تصلح الا للعتالة .

(ان لفة السوق غير لفة الدوائر) .

وكان يقضي بعض ساعات من نهاره في المنزل حتى اذا مل النظر الى وجه زوجته العابس خرج من المنزل وقضى بعض الوقت في احد المقاهي حيث تعود لعب الورق مع معارفه الشيوخ . اما الشبان فكان يلاعبهم بعد العصر لانصرافهم الى عملهم قبل ذلك الوقت. وفي بعض الاحيان كان يتمشى على ارصفة الاسواق والشوارع .

مل تلك العادة ، ومل سماع تلك الكلمات القاسية التي تنطلق من افواه الناس كلما مروا به او وقعت انظارهم عليه . فصمم على البحث عن عمل يتلهى به ويستخلص منه مالا للانتفاع به في الانفاق على اسرته . انه في حاجة الى الوظيفة لا لانه تعود الاضطلاع بها فحسب بل لانه لم يجمع مبلغا كبيرا من المال يمكنه من الاتجار بالبضائع في حانوت ايضا .

وبينما كان يقرأ احدى الجرائد اذ وقعت عينه على اعلان من شركة السياحة يتضمن حاجتها الى من يجيد مسك الدفاتر الحسابية ، فقابل مدير تلك الشركة . وبعد محادثته قليلا قال له :

ـ كم عمرك ؟

وبعد هنيهة من التردد اجاب فيصل بك كاذبا بصوت منخفض :

ـ اربعون سنة .

(لا شك انني في الستين من عمري ، ولكن صحتي جيدة وانا نشيط في عملي كأنني شاب) .

فابتسم المدير ابتسامة صفراء وقال :

ـ آسف ! ان الشركة في حاجة الى شاب لا يزيد عمره عن خمس وعشرين سنة .

ثم قال :

ـ هل لديك شهادة في التجارة ؟

ـ كلا .

فابتسم المدير ثانية في لطف وقال:

ـ الشخص المطلوب يجب ان يكون حاملا شهادة في التجارة .

فخرج فيصل بك في بطء وثقل نتجا عن التفكير السام العميق الذي غاص عقله فيه ، ولم يدر الى اين يذهب ولا ماذا يفعل .

ولما انبأ زوجته بما جرى بينه وبين مدير شركة السياحة انقبضت نفسها، ولكنها لم تفقد الامل في العثور على وظيفة لزوجها . حثته على البحث عن وظيفة في شركة اخرى . فقال لها في سخط :

ـ اين هي الوظيفة ؟ لقد اصبحت في الستين من عمري . فأية شركة تنيط بي عملا ما ؟

(انني شيخ الان . لقد تقدمت في السن . وخير لي ان استريح . وان لم استرح في اواخر عمري فمتى استريح ؟ بعد موتي ؟) .

فأجابت كريمة بفمة حادة آمرة :

ـ وان يكن ؟ انك تتمتع بصحة ممتازة . هل تريد ان تقضي حياتك في البيت كالفتاة ؟

لم تكد تتم كلامها حتى حرق الارم سخطا ، وحز في نفسه ان تتفير زوجته عليه وتصبح آمرة بعد ان كان هو آمرا . ولم يخطر في باله ابدا ان البيت هو مملكة المرأة وان خارج البيت هو مملكة الرجل . انها تأبى ان يشاركها في مملكتها احد ولو كان زوجها . تلبدت فوق عقله غيوم من الضيق والآلام .

(اصوات من الداخل : انني انا رب البيت . انت لا حق لك ان تحاسبيني على شيء . ان راتبي التقاعدي يكفي نفقات الاسرة . فما هذه الفلسفة السخيفة ؟)

(منظر في الداخل : يصفع فيصل بك زوجته صفعة قوية تسيل الدموع من عينيها ، فتغضب منه وتخرج من المنزل مصممة على الا تعود اليه) .

★

وقف فيصل بك على احد ارصفة الاسواق يتفرج على التجار والمارة من الناس . يبدو كبحر زاخر بأمواجه ـ بحر صاخب من شدة الحيوية. هذا يحمل بضائع ليوصلها الى منزله ، وذاك يدفع امامه عربة موفرة بالخضروات ، وذاك ينادي على بضاعته في حانوته ، واخر يسير مستعجلا ليقوم بعمل يقتضي السرعة . بحر مؤلف من رجال ونساء واطفال وسيارات . حركة ولغط واصوات مرتفعة واضحة . رؤوس تعلو ورؤوس تنخفض .

وكان هو واقفا وحده يتفرج . كان يصغي بأذنين محشوتين افكارا تسربت اليهما من عقله المرهق من كثرة ما سمع من اقوال الشامتين التي يكررونها دائما بلا عطف ولا رحمة ـ الشامتين الذين يريدون ان يروه ذليلا حقيرا لانه كان اعلى منزلة منهم يأمر تارة ويصفح اخرى. وقد تصور نفسه غريقا في ذلك البحر الزاخر فشعر بحاجة شديدة الى من يمد اليه يده وينقذه منه ويسبح به الى شاطىء السلامة . ومما غاظه ان رجلا اصطدمت كتفه بكتفه هو ، فكاد يقع على الارض ، وشعر كأنما ذلك الرجل اراد ان ينحيه عن طريقه ليقوم بعمله .

وانه لكذلك اذ رأى احد اصدقائه يقترب منه ، ثم القى يده على كتفه وقال له :

ـ هل وجدت لك عملا يا عزيزي ؟

فابتسم فيصل بك ابتسامة مغتصبة ، واجاب كاذبا :

ـ انني لا ابحث عن عمل . ولكن لا مانع من قبول وظيفة تلائمني .

(ان كنت تعلم ان هناك وظائف شاغرة في بعض الشركات فاعلمني بها) .

فقال صديقه بنفمة مشجعة :

ـ لقد سمعت ان هناك وظيفة شاغرة في شركة الملاحة . هل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصبية اللعوب

ضاحكة لعوب ... حبيبة القلوب
بفمها كلامها ... من رقة يذوب
في وجهها صباحة ... جملها الشحوب
ضحكتها طيبة ... كنفحة الطيوب
كانها فجر الضحى ... او غيمة الغروب
لا ادري هل تحبني ... ام حبها يذوب
عن حبها لا انثني ... ولا انا اتوب
يا لائمي لا تنتقد ... ولا تكن غضوب
لو تدري ما رقتها ... وجوهها الطروب
لهمت بالحسن الذي ... يستأثر القلوب
وصرت مثلي عاشقا ... وتهت .. في الدروب

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

سمعت بها ؟ .

(لست ادري هل تقبل تلك الشركة ان تعين من هو في مثل سنك) .

فقال فيصل بك في فتور وعدم مبالاة مصنوعين :

ـ حسن ! سأرى . قد اقابل مدير شركة الملاحة .

(اخشى ان تنتهي مقابلتي اياه بمثل ما انتهت به مقابلتي لمدير شركة السياحة من قبل) .

وبعد ان مضى صديقه اخذ يفكر في المقابلة القادمة . لقد صمم في هذه المرة ان يبدو امام مدير شركة الملاحة شابا وان يصغر سنه اكثر مما فعل من قبل . فصبغ شعره ، وارتدى افخر بدلاته ، ووضع في جيبها العلوي منديلا حريريا مزخرفا امتد لسانه الى اعلى . وصفف على طرف ذلك الجيب بضعة اقلام ثمينة كان قد اهداها اليه بعض المتهمين حينما كان موظفا كبيرا . وقف ساعات وهو يحسن من هيئة وجهه امام المرآة . ثم قابل مدير شركة الملاحة وادعى انه في الثلاثين من عمره . ولكن المدير ايقن انه اكبر سنا من ذلك بكثير وان كان مظهره يخدع البصر . وحينما سأله المدير هل يتقن الانجليزية اجابه فيصل بك انه يعرف القليل منها . فعاد خائبا فاشلا .

وفي طريقه عرج على حانوت ابن خاله ابراهيم ، تاجر المؤن المحفوظة . فجلس عنده قليلا ليرفه عن نفسه . وكان ابن خاله يقوم بأعماله في الحانوت بنشاط غريب . يحادث هذا ، ويزن البضائع لذاك ، ويتسلم النقود من المشترين . وكان بنطلونه متسخا لظهور بقع من الزيت عليه . ولكن فيصلا بك كان يعلم ان بنطلونه لم يحل ان يجمع عددا كبيرا من الدنانير في كل يوم ويضيفها الى ما تجمع من ماله في البنك . وهو يعلم ايضا ان ابن خاله شيدت له دار فخمة ، وانه اشترى سيارة ممتازة ، وان اولاده يدرسون في الجامعات . فكاد يموت غما واسفا لانه ابى ان يعمل بنصيحته حينما عرض عليه ان يشاركه في الاتجار بالمؤن المحفوظة قبل تعيينه في الدائرة .

وفي ذات يوم التقاه صديق له لم يره منذ عدة سنين ، وقال له في ابتسام :

ـ اين انت يا عزيزي ؟ لقد سمعت انك احلت على المعاش وانك تبحث عن عمل . انا الان ادير مصنعا كبيرا للحلويات . اريد ان اعينك مراقبا للعمال براتب مقداره ثلاثون دينارا . فما رأيك ؟

فاضاء وجه فيصل بك بابتسامة ملؤها الفرح والراحة والشكر وقال:

ـ اشكرك يا عزيزي . لا شك انك صديق مخلص وفي . اشكرك شكرا جزيلا .

ولما علمت كريمة بنبأ تعيين زوجها مراقبا لعمال مصنع الحلويات كادت تطير فرحا ، وكذلك اولاده . اجتمع افراد الاسرة وتحلقوا حول ربها في ضحك ومرح . فشعر فيصل بك بأن حياة جديدة دبت في قلبه وفي قلوب افراد اسرته ، وان الثقة والطمأنينة عادتا الى نفسه الذابلة فاكسبتاها تفاؤلا وامالا وشبابا .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

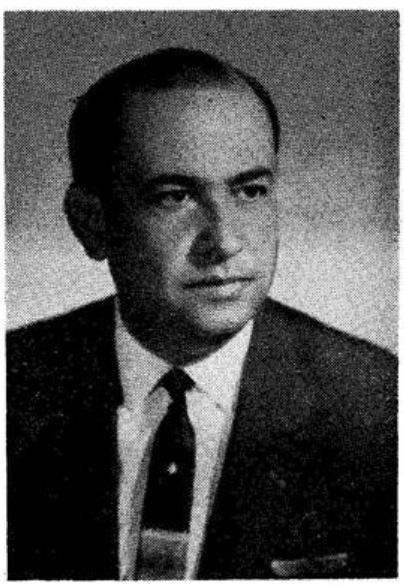
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى طفل الامس

•

فـــؤاد الخشـــن

•



ايها الطفل المغني للنجـوم
ياصديق القمرالذائب فيليل الكروم!
يا شراعا كاد في العمر يضيع
قم تطلع ، ان في الكون الوسيع
الف درب لم تمزق بحصاها قدميك
الف افق رائع اغلقت عنه ناظريك !

ايها العائش في الاحلام ..
في احلـى ضـــلال
يا فؤادا كان للناس لكل الناس حبا
يفدق الذات من الاعراق سكبا
ايها الطفل الذي قد صار شكا
في الذي يبدو ويخفى ويقال
هكذا شاء لعينيك القدر
رؤية تسفر عن وجه البشر !

*

لا تفجر في الرزايا نقمة
هي يا ابن النور ضعف بشري
واذا ما الصحب يوما اذنبوا
واساءوا مرة فاغتفر !
لا تجردهم ، لما يرضيك ، من
واقع في دمهم كالقدر
وتؤمل رشفـة الآل بمـا
لون القول ووهم الصور
ربما كان لهم معتقد
يرسم الدرب ووجه السفر ..
ليتك الان كما كنت على
زورق الحلم لتلك الجزر
غازلا غيم الاماني ... لا ترى
شبح الغدر ولمع الخنجر !

★

خل في نفسك غرفة
مخبـــأ للســـــر ...
غـــارا مقفـلا
يتشهى الناس كشفه
ويتوقون الى كنز من المجهول خلفه
خلـه للـــذات
للاعـراق ، خمـرا
ورؤى تـزرع بالآمال عمـرا
خل في النفس جزيـرة
لامـــيره
عينها الخضراء صحو .. ووفاء
وبحيرات منالشوق شفيفات الصفاء!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

محمد العدناني - نجاني صمدي

بقلم البدوي الملثم

• • •

١ ـ محمد العدناني

لو عدنا بعجلة التاريخ الى الوراء ، وقدر للشاعر العدناني أن يعاصر البعث الاسلامي في فجره الاول ، ويرى الرسول العربي الكريم داعية الى الجهاد في سبيل الله ، ويسمع رسول الله داعيا الى العدالة الاجتماعية والى المساواة بين الناس ، فلم يفرق بين السيد والمسود ولا بين الحر والعبد ولا بين الغني والفقير والقوي والضعيف ، وانما الناس كاسنان المشط لا يمتاز بعضهم على بعض ولا يصح ان يستعلي بعضهم على بعض . لو قدر هذا كله للشاعر العدناني في فجر الدعوة المحمدية لكان من أوائل من دخلوا في الاسلام ولهاجر الى يثرب مع الصفوة المختارة وشارك في الجهاد بما ملكت ايمانه في سبيل اعلاء كلمة التوحيد ونشرها ، ولنافس ابا ذر الغفاري في حماسه للاسلام والجهر به والدفاع عن الدين الطهور ، وحسان بن ثابت في حظوته لدى الرسول بشعر جزل يعبق منه عطر الايمان .

ولد العدناني في مدينة جنين بفلسطين عام ١٩٠٣ وكان والده المرحوم « فريد » قائم مقام في تلك المدينة ، وتلقى علومه في مدارس جنين وطولكرم وغزة ودوما ثم في مدرسة الفنون الاميركية بصيدا ثم في الجامعة الاميركية ببيروت . وعملا بوصية والده درس الطب سنتين تحضيريتين وسنتين اخريين في كلية الطب وعندما التقى بامير الشعراء أحمد شوقي في لبنان وأنشده بعض منظومه وتلا عليه قصيدته التي عارض بها قصيدة ابن زريق البغدادي ومطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه ... قد قلت حقا ، ولكن ليس يسمعه

ووصل الى قوله :

رأيته عندها ، والدمع مضطرب ... الجفن يحبسه ، والوجد يدفعه
فخلت نفسك تدري ما ألم به ... يوم الفراق ، وما تبديه أدمعه
وفي المآقي دموع لست تنظرها ... وفي الضلوع أنين لست تسمعه

قام شوقي وقبل العدناني من جبينه واصر عليه ان يترك كلية الطب الى كلية الاداب بالجامعة الاميركية ، فنزل عند ارادة شوقي وقد وعده ان يكون له أبا روحيا ، وتخرج عام ١٩٢٧ وسافر الى العراق والتحق بدار المعلمين العليا وبالثانوية المركزية ببغداد استاذا وزامل شاعر العراق الكبير معروف الرصافي ، وبعد أربع سنوات في سلك التعليم عاد الى فلسطين وعين استاذا للادب العربي في كلية النجاح الوطنية بنابلس « ١٩٣١ ـ ١٩٣٣ » وانتقل الى الكلية الرشيدية بالقدس استاذا للادب العربي مدة تسع سنوات وفي عام ١٩٤١ دخل مباراة شعرية كان موضوعها « حرب الطيارات » فتفوق على شعراء فلسطين والاردن وفاز بالجائزة الاولى ومن قصيدته الفائزة :

تروعت الافلاك وانتشر الذعر ... وضج الفضاء الرحب والبر والبحر
ودوى نذير الويل فارتعددت له الفرا ... ئص والاوصال وانقبض الصدر
وطار الى جوف الملاجىء معشر ... لهم كل فجر في ملاجئهم عمر
يؤمونها والليل مضطرب الحشا ... يطوف في أرجائه الرعب والنكر
تفاجئه أسراب جن عزيفها ... تميد له الدنيا ، ويرتجف الدهر

وجزاء نشاطه في القطاع الوطني اعتقلته السلطات البريطانية ثلاث مرات ونفته الى يافا ومكث فيها خمس سنوات ثم عاد الى القدس ليرأس القسم العربي للامتحانات الجامعية في دائرة المعارف العامة .

وفي عام ١٩٤٨ ، عام النكبة الفلسطينية القاصمة ، قصد مدينة الزرقاء بالاردن وعاش فيها مشردا وما لبث ان بارحها الى دمشق وعلم في كلية الهندسة بالجامعة السورية وفي كلية التجارة بجامعة حلب ثم عاد الى صيدا بلبنان خريف عام ١٩٦٤ مديرا لكلية المقاصد الاسلامية .

والمؤرخ المنصف لا بد ان يقف مليا أمام جهاده القومي ليسجل صراعه مع الاستعمار الغربي في كافة اسمائه والوانه . ففي عام ١٩١٨، وهو طالب في مدرسة الفنون الاميركية بصيدا قاوم الفرنسيين الغزاة ولولا صغر سنه لاجهز عليه الفرسان المراكشيون بسيوفهم . وانذر بالطرد مرتين لالقائه قصيدتين فيهما تهجم على الاستعمار ودعوة الى الوحدة العربية . وفي ٦ أيار ١٩٢٧ اعتقله الفرنسيون لقصيدة حماسية القاها يوم الشهداء وهموا بطرده من بيروت ولولا انه كان على وشك التخرج من الجامعة الاميركية لقذفوا به خارج لبنان مع زميليه أحمد الشقيري ، ويوسف الكيلاني (من بغداد) .

وابان تدريسه في بغداد اعتقل مرتين ، الاولى لتحريضه على الثورة ضد الانتداب البريطاني يوم وفاة الثائر العراقي الكبير الشيخ ضاري المحمود اثناء محاكمته ، والثانية لاشتركه مع طلابه ومع الشعب العراقي في الحيلولة دون دخول اليهودي البريطاني الفرد موند (اللورد ميلتشت فيما بعد) بغداد بعد ان أقام له يهود بغداد معالم الزينة فنجح في الغاء الزينة وحال دون دخول ذلك الصهيوني دار السلام .

وفي فلسطين اعتقل العدناني ثلاث مرات ونفي مرة الى يافا عام ١٩٤٢ مع الاقامة الجبرية متهما بالتحريض على الثورة ضد الانكليز بعد وصول القائد الالماني رومل الى العلمين ابان الحرب العالمية الثانية وبنظم الشعر الحماسي وبأحاديثه في المجالس ضد بريطانيا .

وفي سورية دعا الى تأييد الوحدة التي قامت في ٢١ شباط ١٩٥٨ بين مصر وسورية ، قولا وعملا ايمانا منه بان هذه الوحدة هي نواة الوحدة العربية الكبرى ، وأبقى الاتحاد القومي الفلسطيني ، في محافظتي حلب وأدلب ، (وكان العدناني رئيس لجنته العليا ابان الوحدة) مفتوح الابواب سنة كاملة ، بينما اغلق دعاة الانفصال جميع الاتحادات في كافة المحافظات السورية .

والذين يعرفون « أبا نزار » يشهدون انه لم ينتم طيلة حياته الى أي حزب سياسي واشتهر منذ شبابه بالدعوة الى الوحدة العربية الكبرى وبمحاربة التعصب الديني ولا عجب في ذلك فالعرب الفلسطينيون اول من قضى على التفرقة الدينية التي زرع بذورها المستعمر واليهود وغذوها سرا وجهرا لكن يقظة العربي الفلسطيني ووعيه قضت على هذه النامة الخبيثة وظل شعاره « العرب عرب قبل عيسى ومحمد ! » .

واعتزازا من العدناني ، بعروبته استبدل اسم جده لابيه وهو « خورشيد » باسم « العدناني » وأنشد في ذلك مخاطبا نفسه :

نشأت على هوى الفصحى صبيا ... ومع شعرائها خضت العبابا
ولم تر غير آي الله وردا ... فراح اللب يلتهم الكتابا
وحملت اسم « خورشيد » ولما ... تمت الى الاكاسرة انتسابا
لقد ظلموك ، فالدم يعربي ... من « الزهراء » سال سنى وطابا

من آثاره القلمية : كتب العدناني الكثير من المقالات، ونظم الكثير من القصائد ، لكنه لم ينشر الا القليل من منظومه ومنثوره . ودونك اسماء ما لفظته المطبعة العربية من مؤلفاته :

(١) اللهيب (٢) ملحمة الامومة (٣) فجر العروبة (٤) الوثوب (٥) روض (٦) في السرير « وهي قصة واقعية جرت لمؤلفها » (٧) شوقي بين العاطفة والتاريخ (٨) الاعراب الواضح « خمسة اجزاء تشمل جميع القواعد العربية » (٩) النحو البسيط (١٠) ابو بكر الصديق

(١١) الوردان الوفي (١٢) الروضة « خمسة اجزاء بالاشتراك مع آخرين » (١٣) قصص للاطفال « ثلاث قصص بالاشتراك مع آخرين » .

أما مؤلفاته المخطوطة فكثيرة وقد وقفنا منها على التالية اسماؤها :

(١) مقالات ومحاضرات متنوعة في ١٤ مجلدا (٢) روائع الادب العربي وطرائفه في ١٧ مجلدا (٣) العبير (٤) الغروب (٥) قلب (٦) وحي الفؤاد (٧) زهر (٨) سلمى « ملحمة غزلية » (٩) أقاصيص للاطفال في ٧ أجزاء (١٠) عمر بن الخطاب « جزآن » (١١) أقاصيص موضوعة (١٢) أقاصيص مترجمة خمسة اجزاء (١٣) أخطاء لغوية شائعة (١٤) الخواطر « جزآن » (١٥) تاريخ حياتي (١٦) عربي في برلين « قصة جرت حوادثها للمؤلف » (١٧) كلمات خالدة (١٨) المرأة (١٩) الشعر المقفى والشعر الحر (٢٠) نكاتي (٢١) قصص عالمية « تلخيص وتعليق » (٢٢) فلسفة الاسماء (٢٣) آراء وخواطر في الادب .

نماذج من شعره : يلمس الدارس في أدب العدناني نظما ونثرا معاني عصرية وديباجة بحترية مع سلاسة في اللفظ ورقة في العبارة . ويقف الباحث في شعره على أبيات حكيمة تدل على عمق في تفكيره وسعة في اطلاعه على الادبين العربي والغربي . ووقف العدناني جل منظومه على ظلامة فلسطين وبث شكاتها واسماع أناتها لمن يتوسم فيهم العدالة .

وفي اعقاب عام ١٩٤٧ تآمرت هيئة الامم على فلسطين فاقرت تقسيمها واثر ذلك نظم العدناني قصيدة مطولة منها :

اجهضت هيئة الامم ... عندما باعت الذمم
جهضها دولة الربا ... والمواخير والنقم
جيشها المكر والنسا ... تبذل العرض في الظلم
تحسب المال انه ... يخلق العز والشمم
وترى فيه فخرها ... وذرى مجدها الاشم
وترى الخلق انه ... لا يساوي سوى العدم
بئس ، والله ، دولة ... للخنا ترفع العلم
ولدت أمس ميتة ... دولة الشر والقرم
فاذا قيل : انها ... حية مهجة ودم
قلت : لا شك انها ... حية اللسع والالم
ملمس جلد لين ... وفم منه فاض سم
ليس تخشى زعافها ... أمة العزم والهمم
ان فينا حواتها ... يبطلون الردى الاصم
فاشهدي دفنها غدا ... ويك يا هيئة الامم !

ونعي الى العدناني القائد الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل مساء الخميس ٨ ـ ٤ ـ ١٩٤٨ فارسل شاعرنا ، وهو طريح الفراش في المستشفى الحكومي بالقدس قصيدة في تحية هذا الشهيد استهلها بقوله :

زغردي اليوم يا جنان الخلود ... واهتفي بالنشيد تلو النشيد
واجعلي النيرات في الافق يوقعن لحون الترحيب بابن الصيد
جاء سبط الرسول طلق الاسارير محاطا بهالة التمجيد
وعليه من الفخار رداء ... نسجته يد الجهاد الفريد
ارخص الروح ذائدا عن حماه ... بصيال أطار لب اليهود

وطوحت النكبة الفلسطينية الاولى بالعدناني الى الزرقاء بالاردن والى دمشق والشهباء في أقصى الشمال من سورية ، وقذفت به النوى الى شاطىء صيدا ورغم هذا التشرد ظل وفيا لفلسطين يسأل الشمس عنها كل صباح ، ويردد ذكراها ويهتف باسمها العذب ، الحبيب الى كل قلب :

ينازعني وجدا الى تربك القلب ... ويقرع باب الصدر يلهبه الحب
وتوري حنيني لهفة عربية ... فتحتدم الاشواق يعيا بها الصب
وتورق آمالي ، فيهفو الى اللقا ... حبيس ضلوع ضم أشلاءه الجنب
وتنعشني الذكرى ، فتعبق بالمنى ... أزاهير أحلام ، بها أينع اللب
وتومض آمالي ، فيغمر مهجتي ... ضياء من الايمان بالعرب لا يخبو
يبدد كربا في سمائي تلبدت ... سحائبه دكنا ، فينقشع الكرب
واهفو الى مغناك مضطرم الهوى ... وصدري بالاحلام مرتعه خصب
فهل أنت مثلي يا فلسطين ! للاسى ... وللشوق ، والبأساء بعدالنوى نهب
وهل تذكرين ابنا بحبك هائما ... يحطمه بعد ، وينقده قرب
قضت أمه بعد النزوح تحسرا ... فكنت له أما بها يخصب الجدب
أتاك وطي الصدر نار تأججت ... من الوجد ، حتى كاد يلهمه اللهب
ولولا دموع من حنين تدفقت ... وأطفأت البركان ، لاجتاحني النحب
وأشفقت أن أمشي على طاهر الثرى ... فجئتك كالاطفال ، فوق الثرى أحبو
وقبلت منك الوهد والحزن جاثيا ... وقد بز ثغري في صبابته القلب
تمرغ في ترب الجدود كلاهما ... وخطت عليه وجدها بالدم الهدب
وفي كل درب سرت والمسك رائدي ... فما فاتت الطرف الحفي بها درب
وان هوى الاوطان عندي عبادة ... يمجدها التاريخ والحق والكتب
فيا وطني ! قد كنت أول قبلة ... لها اتجه الهادي «محمد» الندب
وفيك الى الرحمن معراج أحمد ... وضم خليل الله من نجدك الترب
وحسبك ميلاد المسيح ابن مريم ... أبي المعجزات الغر ، يا وطني حسب
أياوطني ! هل تسمع اليوم خافقي؟ ... وهل نقل النجوى الى أرضك الوجب
لئن حال بالتقسيم بينك حائل ... وبيني فلا (يافا) احتفت بي ولا (النقب)
ولا (الرملة) البيضاء و(اللد) والربى ... تناثر في أرض الجليل ، ولا الهضب
ولا البحر في (حيفا) و(عكا) ضمني ... بامواجه ، والافق مبتسم رحب
لئن قيل : ماء البحر ملح فانه ... على كبدي ـ كالماء في نبعه ـ عذب
ولا الزهر أصبى في الرياض أريجه ... جناني ، ومن آرامها ما رنا سرب
فما كان تقسيما لارجاء موطن ... ولكن لشعب ضمه الشرق والغرب
ففي كل قطر لي أخ وشقيقة ... ونسل بروحي افتديه ، ولي صحب
نثرنا كماء المزن في كل بلدة ... ولولا انتشار المزن ، ما نبت الحب
وان نثر العقد النظيم فانما ... سينظم در العقد في سمطه الداب
فلم يعرنا يأس يفتت عزمنا ... ولا نالنا من بأس أخصامنا رهب
فليس يرجى الغيث كالدر هاطلا ... اذا السحب السوداء ماسحها الحلب
سنجعل دنيا المجد تجثو لنا غدا ... ونشهد اسرائيل ما تفعل العرب
تدور عليهم مثلما دارت الرحى ... على برها ، والناصري لها قطب
ونجتث طاعون الوري من جذورهم ... كما اجتثت للايقاد من جذره الدلب
فليس كقومي في البرية معشر ... وليس كشعبي في الدنى كلها شعب!

٢ ـ نجاتي صدقي

الكاتب العظيم ، كما قال الانسان المفكر سلامه موسى ، يمكن ان يكون بعضه فيلسوفا ، او بعضه عالما ، أو بعضه أديبا ، ولكن معظمه يجب ان يكون على الدوام « انسانا » وهذا هو « نجاتي صدقي » .

ولدنجاتي في بيت المقدس عام ١٩٠٥ وكان جده لأبيه احد قادة السلطان عبد الحميد ، برتبة آلاي أميني ، جاء الى دمشق وبيروت في أعقاب القرن التاسع عشر ، ثم انتقل الى القدس واقترن بآنسة عربية عريقة النجار .

أما والده فهو بكر صدقي المولود في بيت المقدس ومدرس اللغة التركية في المدرسة المأمونية وهاوي الفنون الجميلة كالموسيقى والرسم والتصوير واول من ادخل الحاكي « الفونغراف » الى مسقط رأسه اذ كان يضعه على شرفة بيته المطل على باب الساهرة ، والناس جالسون على الصخور في ضوء القمر ، يرهفون الاسماع الى الصوت الرخيم المنبعث من اسطوانة عجيبة ومن بوق أعجب !

تلقى نجاتي تعليمه الابتدائي في المدرسة التي اسسها الشيخ محمد الصالح ببيت المقدس ، ثم في مدارس « المأمونية » و « الرشادية » و « السلطاني » . وبعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها صحب والده الى الحجاز عام ١٩١٩ وكان والده برتبة زعيم في قوات

الشريف فيصل بن الحسين ، واقام في الطائف ودرس فيها ثم عاد مع أبيه الى القاهرة فبيت المقدس ليعمل موظفا في مصلحة البرق والبريد ثم سافر الى روسيا عام ١٩٢٥ والتحق بجامعة موسكو وحصل منها على شهادة بكلوريوس في السياسة والاقتصاد السياسي ودرس الاداب الروسية اجتهادا اضافيا منه ، وفي عام ١٩٢٩ عاد الى فلسطين وأسهم في الحركات السرية الوطنية الى ان اعتقلته السلطات البريطانية عام ١٩٣٠ وحكمت عليه بالسجن مدة ثلاث سنوات قضى شطرا منها في السجن المركزي بالقدس حيث اشترك وشجع على عصيان مدني ضد الادارة البريطانية ، فنقل على الاثر الى سجن عكا .

بعد أن أمضى نجاتي مدة السجن عام ١٩٣٣ قصد فرنسا واتصل بـ « عصبة مقاومة الاستعمار » وأصدر في هذا العام صحيفة شهرية باللغة العربية اسماها « الشرق العربي » باسم مستعار هو « مصطفى العمري » وكانت توزع خفية على الاقطار العربية الى ان أمر رئيس الوزارة الفرنسية وقتئذ المسيو بيير لافال ، الذي اعدم بعد الحرب الكونية الثانية لتعاونه مع النازيين ، باغلاقها وقد أصدر نجاتي منها ٢٦عددا واشتهرت هذه الصحيفة بمناصرة الحركات الاستقلالية في المغرب العربي وفي اقطار المشرق المغربي .

وفي باريس التقى نجاتي بالمرحومين رياض الصلح وعبد الحميد كرامي وقد جاءا لمفاوضة فرنسا ، كما التقى بالتونسي الاول الحبيب بو رقيبه ، يوم كان لاجئا سياسيا ، ينزل ضيفا على جمعية المساعدة الحمراء اليسارية « سيكو ـ روج » كما تعرف في العاصمة الفرنسية الى السيدة ليوفانر ، وهي عضو بارز في «عصبة مقاومة الاستعمار» .

وبعد ان اندلعت نار الثورة الاهلية في اسبانيا قصدها مراسلا صحفيا وحل ضيفا على الحكومة الجمهورية وقابل الزعيمة الاسبانية الشهيرة دو لوريس ايباروري المعروفة باسم « البا سيو ناريا » اي « الصورة » وتوجه الى الخطوط الامامية بالقرب من قرطبة وتحدث الى الاسرى المغاربة ، من اتباع الزعيم المغربي عبد الخالق الطريسي ، وساعدهم في محنتهم بوصفهم « ضحايا ابرياء » كما أسهم مع فريق من الاسبان في تأسيس « الجمعية الاسبانية المغربية » في مدريد .

وعاد « نجاتي » الى الوطن وعمل مدة عشر سنوات (١٩٤٠ ـ ١٩٥٠) مراقبا للبرامج في « محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية » في يافا والقدس وبعد وقوع النكبة الفلسطينية الاولى «١٩٤٨» صحبها الى قبرص واخيرا استقر في بيروت وعمل في حقل الاذاعة والصحافة والادب .

يملك « نجاتي » قلما خصبا اشتهر صاحبه بالقصة القصيرة وتأثر بادبائها الاعلام امثال : انطون تشيخوف « من الروس » وغي دي موباسان « من الفرنسيين » وادغار آلن بو « من الامريكيين » ، ونشر الكثير من نتاجه في أشهر المجلات العربية أمثال :

(١) مجلة « العرب » ، القدس ، لصاحبها ورئيس تحريرها عجاج نويهض ، سنة ١٩٣٣ بتوقيع « باحث » .

(٢) مجلة « الطليعة » ، بيروت ، في سنتي ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ ، نشر فيها ابحاثا هامة منها « آراء مادية في تاريخ الحركة الوطنية العربية » .

(٣) مجلة « الجمهور » ، بيروت ، لصاحبها ميشال ابو شهلا ، سنة ١٩٣٨ ، تحرير عام .

(٤) جريدة « النهار » ، بيروت ، لصاحبها جبران تويني ، سنة ١٩٣٨ ، محرر اقتصادي .

(٥) صحيفة « المكشوف » ، بيروت ، لصاحبها الشيخ فؤاد حبيش ، سنة ١٩٣٨ ، نقد .

(٦) جريدة « البشير » ، بيروت ، سنة ١٩٣٩ ، ابحاث اقتصادية

(٧) مجلة « المراحل المصورة » ، بيروت ، لصاحبها غبريال خباز ، سنة ١٩٤٠ ، تحرير عام .

(٨) مجلة « الرسالة » ، القاهرة « في سني ١٩٤٦ ـ ١٩٥١ » ، نقد ، قصص ، فلسطينيات .

(٩) مجلة « الاديب » ، بيروت ، لصاحبها البير أديب ، « في سني ١٩٥٠ ـ ١٩٦١ » نقد ، ترجمة ، قصص .

(١٠) مجلة « الكتاب » ، القاهرة ، « في سني ١٩٤٨ ـ ١٩٥٢ » دراسات وقصص .

(١١) مجلة « الاذاعة » ، بيروت ، لصاحبها فائق خوري « في سنتي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ » ، معالجة أهم القضايا الاذاعية في لبنان والبلاد العربية .

(١٢) مجلة « صوت المرأة » ، بيروت « في سني ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ » قصص ومقالات .

(١٣) مجلة « الهاتف » ، بغداد ، لصاحبها جعفر الخليلي « في سنتي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ » نقد ، قصص ، مقالات .

(١٤) مجلة « أهل النفط » ، بيروت ، سنة ١٩٥٧ ، مقالات .

(١٥) مجلة « الرائد العربي » الكويتية الصادرة في بيروت « في سني ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣ » تحرير عام .

(١٦) مجلة « قافلة الزيت » الظهران « في سني « ١٩٥٩ ـ ١٩٦٧ » قصص ودراسات .

(١٧) مجلة « الحوادث » ، بيروت ، لصاحبها سليم اللوزي « في سنتي ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ » قصص ونقد .

(١٨) مجلة « الاذاعة البريطانية » ، لندن « في سني ١٩٥٨ ـ ١٩٦٧ » قصص و ١٣ حلقة من أشهر القصص العالمية .

من آثاره القلمية : أثرى « نجاتي » المكتبة العربية بطائفة من الكتب الطريفة ، ودونك اسماء ما اتيح لنا الوقوف عليه من آثاره المطبوعة :

(١) النازية والتقاليد الاسلامية ، دراسة ، دار الكشاف ، بيروت سنة ١٩٤٠ ، وقد ترجم الى اللغة الانكليزية بلندن ، وقدم له السير حسن سهروردي ، مندوب الهند لدى البلاط الملكي .

(٢) بوشكين ، العدد ٢٨ سنة ١٩٤٥ من سلسلة « اقرأ » دراسة

(٣) تشيخوف ، العدد ٥٠ سنة ١٩٦٧ من سلسلة « اقرأ » طبعة ثانية ١٩٦٧ ، دراسة .

(٤) مكسيم غوركي ، العدد ١٦٢ سنة ١٩٥٦ من سلسلة « اقرأ » دراسة .

(٥) الاخوات الحزينات ، ١٨ اقصوصة موضوعة ، سنة ١٩٥٣ ، القاهرة .

(٦) الشيوعي المليونير ، ٢٣ اقصوصة موضوعة ، سنة ١٩٦٣ ، بيروت .

(٧) الخنفسة الذهبية ، ١٣ قصة للكاتب الامريكي ادغار الن بو ، سنة ١٩٥٤ ، بيروت .

(٨) بيتر زنجر ، مؤسس حرية الطباعة في العالم الجديد ، سنة ١٩٥٩ ، بيروت .

(٩) المختار من القصص الروسي ، سنة ١٩٥٢ ، بيروت

(١٠) المختار من القصص الصيني ، سنة ١٩٥٢ ، بيروت

(١١) المختار من القصص الاسباني سنة ١٩٥٣ ، بيروت

(١٢) الارملة الملول وقصص اخرى سنة ١٩٥٣ ، بيروت

(١٣) كارمن سنة ١٩٦٤ ، بيروت للكاتب الفرنسي بروسبير ميريمه .

ولقد تناول نتاجه القصصي الدكتور هاشم ياغي في محاضراته عن القصة القصيرة في فلسطين والاردن (١٨٥٠ ـ ١٩٦٥) والتي القاها على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ، كما تطرق الدكتور ناصر الدين الاسد الى ترجماته وقصصه في كتابيه « الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن » و « خليل بيدس » . واصدرت دار الاداب الاجنبية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في موسكو (١٩٦٣) كتابا عن القصة العربية وفيه ترجمة «الجثة الحية» المنشورة في « الاخوات الحزينات » .

ومن اعماله الاخيرة ترجمة قصيدة « الغراب » لادغار الن بو وبحث جديد عن « النظام الكنجوي ومجنون ليلى » ، وهو يعد العدة لاصدار مجموعته القصصية الثالثة وكتاب آخر يشتمل على المختار من ابحاثه ودراساته .

نموذج من نثره : « كنت ذات ليلة أغط في نوم هادىء ، لا أحلم بشيء قطعا ، فلا اشباح تتراءى لي ، ولا خيالات تضغط على نفسي ، ولا مغامرات مزعجة أقوم بها في مجالات تتغير وتتبدل سراعا .. كل شيء مستسلم الى السكينة في مخيلتي وكاني انام في غرفة مظلمة لا ابواب لها ولا نوافذ ... وفجاة احسست برعشة قوية ، تبعها خفقان سريع في القلب ، وتشنج في أعصاب المعدة ، فانتصبت على قدمي وانا الهث مرتعبا ، وتراءى لي ان كل شيء قد انتهى، فاستنجدت باهل البيت ، ثم تناولت بعض الملينات والمسكنات ، وآتبعتها بكوب من الشاي والزهورات ، وعبثا حاولت النوم ، وعلى الاصح كنت اطرد هذا النوم حتى آكون واعيا ، مترصدا للمفاجآت ، متحسبا للطوارىء .

هذه هي طبيعة الانسان ، يتمسك باهداب الحياة بشدة ، ويقاوم المخاطر التي تهدد حياته بعنف وشراسة ، لانه يدرك ان الحياة هي فرصته الكبرى في هذه الدنيا ، وانها نعمة الخالق وعليه ان يحافظ عليها الى ان تنفد كل وسيلة وحيلة .

حتى ان المنتحر الذي عقد النية بكامل عقله وادراكه على وضع حد لحياته ، تجده في اللحظة التي يدنو فيها من الموت ، يطلق صرخات الاستنجاد لانقاذه ، والحفاظ على حياته ، فاحيانا تجديه هذه الصرخات نفعا ، واحيانا لا يجد آذانا صاغية ، فيبتلعه البحر او النهر ، او يسقط جثة هامدة في شارع ، او يتحطم على صخر .

وهكذا قاومت الخطر ، وسددت في وجهه المسالك الى ان طلع النهار ، فاسرعت الى العيادة الطبية التابعة للمستشفى الاهلي ، فوجدت عند نافذة التسجيل جمعا من المرضى ، وخشيت الانتظار لانني أحس بخفقان القلب ، والخفقان معناه اصابة في القلب ، فاقتحمت الصف وطلبت من المسجل بالحاح ان يمنحني الاولوية لانني مصاب بالقلب ، وحملته المسؤولية الكاملة اذا لم يستجب الى طلبي ، فارتبك المسجل ، وتبلبل الحضور ، وفزت بالاولوية في التسجيل ، ثم حولت الى الطبيب الذي يجري الفحوص التمهيدية ، فسالني مم اشكو ... فاجبته بلسان مرتعش : انني مريض بالقلب يا دكتور .. فجس نبضي، وانصت بالسماعة الى دقاته ، وقيد ذراعي بمقياس الضغط ، واطبق أصابع يده على النفاخة المطاط مثنى وثلاث ورباع ، ثم قال لي : ان علائم التوتر العصبي بادية جلية ، لكنني لا استطيع الجزم بوجود مرض في قلبك ، وساحيلك على قسم تخطيط القلب الواقع في الطابق الخامس من المستشفى .. فقلت له : وكيف استطيع الصعود الى الطابق الخامس وانا في هذه المرحلة الخطرة من مرض القلب ؟ فطمأنني قائلا : ان المصعد الكهربائي يوصلني الى غرفة التخطيط ، فتركت مكتبه متثاقلا ، وأنا أحمل سجل الفحوصات التمهيدية بيدي ، ثم تبين لي ان المصعد معطل فارتعبت وعدت الى الطبيب لاخبره بالامر ، فطمأنني ثانية قائلا : لا بأس عليك من الصعود على الدرج ببطء وتؤدة، اذ ان في تحريك الدورة الدموية قبل التخطيط فائدة كبرى .

قلت : ألا يتعب القلب من الصعود وهو في أمس الحاجة الى الراحة :

قال : نحن الذين نقرر النفع من الضرر وليس انت !

ورحت اصعد درج المستشفى درجة درجة مستندا الى « الدربزين » ومستنشقا الهواء بعمق واصرار .. وحدث في هذه الاثناء ان مر من امامي اربعة من مستخدمي المستشفى يحملون رجلا على كرسي وكانه مهراجا .. فاستوقفت ممرضة وسألتها عما يشكوه هذا الرجل من مرض ، فاجابت مسرعة : « عنده مرض قلب بعيد عنك ! » وكان لكلام الممرضة هذا اثر ساحق في نفسي ، فجلست على الدرج ، ولولا الخجل لطلبت من مستخدمي المستشفى ان ينقلوني الى غرفة التخطيط حملا على الاكتاف .. فقسوت على نفسي وأكملت الصعود الى الطابق الخامس ، ثم ولجت غرفة التخطيط ، وناولت السجل الى الممرضة بيد مرتجفة ، فطلبت مني على الفور ان استلقي على سرير خاص ، ثم طوقت رأسي بسير من الجلد ، تتخلله اسلاك معدنية ، ووضعت سيرين متصلين بسلك معدني على معصمي ، وسيرين آخرين على رسغي ، وطوقتني بسير كبير وهي تقول لي : لا تخف .. أحس وكأنني مقيد الى كرسي كهربائي ، ولكن في حالة استلقاء لا في حالة جلوس ، او انني أجلس في صاروخ سينطلق بي الى الابعاد السماوية .. فابديت حركات عصبية عنيفة ، الى ان ضجت الممرضة وصرخت قائلة : ويلاه .. آنت أول زبون يبدي مثل هذه العصبية والمقاومة والممانعة .. اثبت! وادارت المفاتيح ، وأخذت القناديل الحمراء والخضراء ترسل الاشارات ، ثم اخذت آلة التخطيط تشخر وتخرخر ، والممرضة تدون على دفتر ما تريد تدوينه ، وبعد عشر دقائق حلت السيور ، واعانتني في ارتداء ثيابي وقالت لي : عد غدا الى الطبيب الذي عاينك ليعطيك النتائج التي توصلت اليها أجهزة التخطيط .

قلت لها متوسلا : هل لي ان اطمع بكلمة منك ؟ قالت بلهجة صارمة : لا استطيع ، ممنوع !

لقد هالني ان انتظر اربعا وعشرين ساعة حتى اعرف نتيجة مرض القلب الذي أرزح تحت وطأته ، فعزفت عن الاكل والحديث ، واظلمت الدنيا في ناظري ، فلا منظر جمال يسترعي انتباهي ، ولا خير يفرحني او يزعجني ، ولا طرفة تضحكني او ترفه عني .. لا شيء من ذلك قطعا ، فالحياة أضحت في نظري جامدة رتيبة ، خالية من كل قيمة او معنى !

وحلت الساعة العصيبة في اليوم التالي ، وتوجهت بالسيارة الى عيادة الطبيب الفاحص ، فاحالني بدوره الى طبيب آخر ، فبسط أمامه سجل فحوصي ، ومخطط قلبي ، ثم قال لي : اسمع النتيجة يا استاذ .. فجعلت حياتي كلها في هذه اللحظة تتركز في اذني ... قال : ضخ الاذينين ١٢٥ ضخ البطينين ١٢٥ يعني ان عملية الضخ طبيعية .. ثم راح يشرح لي بعض الرموز المشار اليها باحرف وكلها تقول ان حالة القلب طبيعية ، ثم وصل الى فحص المحور الكهربائي وقرأ امامه رقم ٤٢ درجة ـ طبيعي .. ثم خلص الى النتيجة العامة للتخطيط الكهربائي فكانت « نورمال » ! والقى علي الطبيب نظرة فاحصة وقال : انك في تمام الصحة والعافية ، وقلبك مثل الحديد ..

فصحت قائلا : عجبا ! قال : العجب ان تدعي انك مريض بالقلب .. والعجب ان تزعج نفسك واسرتك ، وترهق الاطباء والممرضات! فلم ارتح للاحظاته هذه وسألته كيف تفسر ظاهرة الهزة الليلية ، وخفقان القلب المتواصل ، والشعور التام بمرض القلب .. فهذه الظواهر مجتمعة هي التي حملتني على الاعتقاد بوجود هذا المرض ، وهي التي حددت سلوكي عند المسجل ، والطبيب الفاحص ، والممرضة المخططة للقلب .

فتلطف الطبيب المختص واخذ يقنعني علميا بانني سليم القلب، وقال : يعرف الطب عشرين نوعا من امراض القلب وهي ناتجة عن عطب في عضلات القلب او في صماماته ، او في تبطيناته الداخلية ، وان هناك ايضا مايعرف باضطرابات القلب الوظيفية ، وهي عابرة وغير ناتجة عن عطب عضوي ، والتحاليل التي توصلنا اليها بصددك لا تشير الى أية حالة من هذه الحالات بل انها تنفي وجودها تماما .

وتابع الطبيب كلامه ، بعد ان لاحظ انني بت اميل الى الهدوء والارتياح وقال : ان لمرض القلب ظواهر ومقدمات ، وانت لم تشك

الصيف قادم جري،

يا قاتـل الربيعفي الظلام ..
يا صالب السلام في مشانق الزيتون
يا سارق النعاس قبل الفجر من اجفان عيلبون
يا حاصد النجوم في مساجد الخليل
ستنبـل الازهار ..
ويقبل النهـار
يئن في ضلوع الشمس كالقتيل
تجتره الاشواك والالام
فينـزف السـلام .
وتذرف الاشعـة الصفراء
اضواءها على الدمـاء
فيلهث التراب : يسترحم السماء بالدعاء
يا مبـدع الالام
يـا غافـر الاثـام
قـد ذابـت الشمـوع
وجفـت الدمـوع
وامتد في عيونها السراب ..
القدس .. يا رفيقة الشباب
وفي معابد الخليل .. قد خيم الضباب

يا قاتل الربيع في الظـلام
يا موثق الحمـام

الصيف قـادم جـريء
وانـت عابـر جبان
وفي عيون القدس برعم بريء
تلوكـه الاحـزان .
يمد ساعديه للشعاع
فيهـرب النهـار
ويقبـل الخريـف
وتسقط الاوراق
فترقص السنونو وقصة الرحيل
تمر كالاطياف في عيون عيلبون
ترف في شوارع الخليل
فيطعن الاصيـل ..
يا قاتـل الربيع
ستهطل الامطـار
ويرعد الشتاء ..
ويعبـر النهـار ..
ويقبـل المساء ...
ويولد الربيع من جديد
يا قاتل الربيع في الظـلام
في كل عام يولد الربيع

حلب — عادل اديب آغا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منها قبلا ، ولم تراجع بشانها اي طبيب اختصاصي ، ومن علامـات هذا المرض الاولية : تضاؤل في التنفس عند القيام باية حركـة .. وألم في الصدر مصحوب بضغط ، تشعر بهما كلما انزلت ذراعـك اليسرى الى اسفل .. وتورم في الرسغين او في البطن .. ودوار في الرأس ورؤية الاشياء مزدوجة وهي ظاهرة خطرة .. وعسر هضم مبهم ودائم.. ووجع في الرأس متواصل .. وتعب غيرناتج عنارهاق ولامبرر له بتاتا .. فهل تعرضت لمثل هذه الظواهر ؟

قلت : كـلا !

قال : ما الذي يحملك اذن على تعذيب نفسك ؟

قلت : لم يكن لي يد في ما حصل ، لقد فوجئت بالهزة الليلية وهي اشبه بكابوس مروع ، وبت اسير مخاوفي وهواجسي ، ولجات الـى الطـب .

قال : لقد أحسنت صنعا بلجوئك الى الطب ، وانني اقول لك الان انت معافى ، وليس لقلبك أية علاقة لما حدث لك ، وبالخفقـان الذي اختبرته وانت نائم الا نتيجة لحالة عصبية !

قلت : لقد انتقلنا اذن من القلب الى الرأس !

فضحك وقال : لا شيء من هذا قطعا ، فانت سليم من حالات السيكوزا ، والنوروزا ، والسيكونوروزا ، وكل ما في الامر انك تقف احيانا امام مشاكل نفسية لا تجد لها حلا ، فتقول شيئا لا تريده ، وتقدم على امر انت عنه غير راض ، وتسعى الى شيء يتعذر عليـك بلوغه .. فتحدث لك هذه المواقف المتناقضة انفعالات داخلية ، تنفجر في شكل هزة عنيفة .

قلت : وهل من علاج لهذه الحالات النفسية ؟

قال : علاجك بيدك .. كف عن استعمال الادوية ، تنزه فـي الهواء الطلق ، اجلس عند شاطىء البحر في ساعات العصر ، اركـن الى الهدوء والدعة ، وسلم امورك المستعصية الى القدر .. واذا كنت لا تستطيع اتباع هذه النصائح فستجد نفسك ذات يوم مستلقيا علـى السرير ومقيدا الى السيور !

قلت : سرير تخطيط القلب ؟

قال : لا ، سرير الصدمات الكهربائية ، المعروف باسم (الكترو ـ شـوك) !

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

نقولا الحداد .. الاديب والعالم

بقلم نقولا يوسف

* * *

عندما انتقل الاديب العالم نقولا الحداد الى دار البقاء في ربيع ١٩٥٤ شيخا مثقلا منيفا على الثمانين ، ومخلفا من المصنفات الاجتماعية والعلمية والقصصية نحو الخمسين ، ومن النبذ والقصائد والمقالات بضع مئات ـ موزعة على وفرة من الصحف والمجلات ، لم ينتبه اصدقاؤه الى النعي المقتضب الذي نشرته اسرته يومذاك في احدى الجرائد ، فلما علموا بعد ايام كتبت قلة منهم كلمات رثائية موجزة تعبر عن تقديرهم ووفائهم ، وبدا بعضهم مقاله بمعاتبة الكتاب الذين لم يذكروه بمقالاتهم او قصائدهم او حفلاتهم (١) ـ ثم طوى معاصروه ذكره ، ولم يدرك الجيل الجديد خبره واثره ..

وكنت بين عارفيه ومقدريه ، ومع ذلك لم انشر عنه قبل اليوم سطرا واحدا .. اقول « لم انشر » وان كنت قد كتبت جل ما جاء هنا في هذا المقال عقب وفاته ، وضممته الى مخطوطة جمعت فيها الذكريات عن « ادباء عرفتهم » ـ املا في نشرها مجتمعة في كتاب لم يقدر له الظهور بعد ، وكان القلم اذا تحرك لبعث كلمة عن اديب عزيز راحل ، فجع بنعي جديد لاخ اخر لاحق .. واقول « بين عارفيه » ـ وكنا ايام الصبا نقرأ روايات نقولا الحداد البوليسية المترجمة ، ثم المنشورة في « مسامرات الشعب » ، وكنا في اعقاب ثورة ١٩١٩ نقرأ له بمجلة « اللطائف المصورة » قصصه المستلهمة من تلك الثورة .. وفي العشرينات ظهرت مؤلفاته الاجتماعية وتلتها ابحاثه العلمية . هذا الى سيل من المقالات والقصص المنهمرة على الصحف العربية لم ينقطع طوال نصف قرن .. وكان هناك من يعده من رواد القصة الحديثة ، ومن يراه مصلحا اجتماعيا يتخذ من شتى فروع الادب سبلا للتهذيب والتوعية والاصلاح ..

ثم سعدت في الثلاثينات بمجلسه ، تارة في احد المقاهي المنشورة على شاطىء النيل بناحية « روض الفرج » بالقاهرة ، حيث كان يخلو مع كتابه في الصباح الصائف ... وتارة باحد مقاهي « شارع عماد الدين » حيث ينفرد في الليل او ينضم الى حلقات الادباء السامرين هناك .. واخيرا كان من اليسور لقاءه في صيدليته بشبرا ، وكان يعرفها المتادبون لما يجدونه بها من رعاية حتى ليقص عليك بعضهم ان الاديب الفقير كان اذا قصد عيادة الطبيب الشاعر ابراهيم ناجي وصف له الدواء بالمجان وحوله الى صيدلية الحداد في الشارع نفسه ليتسلم الدواء بالمجان ايضا ..

ثم لا يلبث ان يكشف جليسه ومحدثه عما طبع عليه الحداد الانسان من دماثة في الخلق ، وصراحة في الرأي ، وتواضع وحياء ، وما يشغل رأسه من اهتمامات بمشاكل المجتمع الانساني عامة ، وقضايا العرب خاصة ، وما يدخر من اطلاع واسع على المراجع العلمية والاجتماعية الحديثة ، وما تتملكه من رغبة في تثقيف مواطنيه ثقافة علمية لا يهمل فيها شأن الادب ..

الصحفي

وكان نقولا الحداد قد شب على تعلق بالصحافة والكتابة في الصحف هاويا ومحترفا ، ولم تتركه هذه النزعة طيلة حياته . كما تشاملها بالادب وبخاصة القصة والشعر ، وساعدت البيئة الاولى ذات المحاسن الطبيعية حيث ولد وشب ، على تنمية هذه الميول الادبية . فقد ولد لابيه الياس الحداد في قرية « جون » بقضاء الشوف قرب دير المخلص شمالي صيدا بلبنان (في ٢٥ من ديسمبر ١٨٧٢) وهناك تلقى تعليمه الاول . ثم جاء الى مصر في مطلع الشباب ، والتحق بجريدة «الاهرام» مترجما نحو اربع سنوات ، واخذ أيضا يعرب الروايات البوليسية والاجتماعية .. ولكنه وجد العمل الصحفي ، وبخاصة في ذلك العهد ، لا يعين على الحياة المستقرة الميسورة ، فعاد الى بيروت ليدرس الصيدلة في « الجامعة الامريكية » وتخرج بعد اربع سنوات حاملا اجازة « صيدلي قانوني » ..

ورجع الى القاهرة عازما على انشاء صيدلية ، ولكنه انساق مع هوايته الصحفية وقبل التحرير بجريدة « الرائد المصري » اليومية ، وبجريدة « المؤيد » (التي انشأها الشيخ علي يوسف عام ١٨٨٩) .. ثم عاد الى « الاهرام » كما عاد يعاني متاعب العيش ..

وفي تلك الفترة عرف نقولا الحداد زميلا صحفيا واديبا لامعا ، يقاربه في السن والمبادىء التقدمية هو الكاتب فرح انطون (١٨٧٤ ـ ١٩٢٢) المولود بطرابلس الشام ، والذي جاء الى الاسكندرية في شبابه ، وحرر بجريدة « صدى الاهرام » نحو ستة اشهر ، وانشأ بالاسكندرية مجلته المشهورة « الجامعة » في مارس ١٨٩٩ واثابر على اصدارها سبع سنوات كانت خلالها مدرسة حديثة تثقف فيها الكثير من الكتاب . وفي الوقت نفسه عاون شقيقته السيدة روز انطون على انشاء مجلة نسائية باسم « مجلة السيدات والبنات » صدر عددها الاول في اول نيسان (ابريل) ١٩٠٣ ولكنها احتجبت بعد عامها الثاني لتظهر بالقاهرة عام ١٩٢١ في ثوب جديد وليشترك في تحريرها نقولا الحداد ..

وتزوج نقولا الحداد من شقيقة فرح انطون ، السيدة روز الحداد ، صاحبة مجلة « السيدات » .. واتفق الزميلان فرح والحداد على النزوح الى المهجر الامريكي ليصدرا هناك صحيفة عربية باسم «الجامعة» .. ورحلا عام ١٩٠٧ الى الولايات المتحدة الامريكية في اثر القافلة العربية التي غزت شتى بقاع الامريكتين حاملة معها لغتها وثقافتها وتقاليدها .. وهناك اصدرا « الجامعة » .. غير ان ازمات اقتصادية اجتاحت امريكا يومذاك وعصفت بهذه الصحيفة ايضا فتوقفت عن الصدور ، وعاد فرح انطون الى القاهرة وصحافتها وتنقل بين تحرير « مصر الفتاة » ١٩١١ و « المحروسة » ١٩١٣ و « الاهالي » ١٩٢١ . وكان يؤلف ويترجم المسرحيات والكتب الادبية والروايات ، وقد بلغت عند وفاته عام ١٩٢٢ نحو الثلاثين كتابا . وما زلنا نطلع على صفحة من جهاده في الكتاب الذي نشره نقولا الحداد بعنوان « تاريخ فرح انطون ومراثيه مع تمثيلية ـ صلاح الدين وفتح بيت المقدس » ، الى جانب مجلدات « الجامعة » ..

ولا شك ان نقولا الحداد قد تاثر في شبابه بنهج فرح انطون كما تاثر به كثيرون غيره وفي مقدمتهم الكاتبان الكبيران سلامه موسى وابراهيم المصري .. على الرغم من الحياة القصيرة التي عاشها فرح (٤٨ عاما) ..

عاد فرح انطون الى مصر واما نقولا الحداد فقد بقي فترة في المهجر الامريكي يتاجر بالسجاد ليكفل لنفسه واسرته العيش ولكنه ما لبث ان ترك تجارته وآب الى القاهرة وانشأ بها صيدليته التي اصبحت مورد رزقه .. ومع ذلك لم ينقطع عن الكتابة في الصحف والمجلات ، والتاليف والترجمة .. وتفرقت كتاباته بمجلات : الهلال والمقتطف واللطائف المصورة والرسالة والادب الحي ، وفي صحف الاهرام والمقطم والجهاد .. وغيرها ..

وفي عام ١٩٢١ اصدر نقولا الحداد وقرينته السيدة روز الحداد مجلة « السيدات والرجال » . وظلت تصدر حتى عام ١٩٣٢ حين حجبتها قوانين صدقي باشا مع كثير من الصحف والمجلات غيرها .

ودخلت مجلداتها وما حوت من قصص الحداد ومقالاته في تاريخ النقد الادبي .. وكما سلف كانت روز الحداد قد انشأت هذه المجلة بالاسكندرية عام ١٩٠٣ بمعاونة شقيقها فرح انطون وتوقفت هناك بعد عامين ، ولما اعادتها بالقاهرة عام ١٩٢١ مع زوجها شهرية مصورة مجددة تحت اسمها الجديد « مجلة السيدات والرجال » افردا بها قسما نسائيا عن الاسرة وتربية الطفل والمائدة والازياء وسائر شؤون المرأة ، وابوابا للفنون الجميلة وعلامات القطع الموسيقية . وكان نقولا الحداد ينشر بها القصص القصيرة والمسلسلة التي تحوم حول المسائل الاجتماعية والعلمية الى جانب مقالاته الادبية والاجتماعية والسياسية.

وفي عام ١٩٤٩ اختير نقولا الحداد رئيسا لتحرير مجلة «المقتطف» بالقاهرة خلفا للمرحوم اسماعيل مظهر صاحب مجلة « العصور » الذي تنحى عن تحريره لاشتغاله بالتاليف والمعجم . وبدأ الحداد رئاسته هذه منذ عدد ديسمبر ١٩٤٩ وتركه بعد عدد اكتوبر ١٩٥٠ – اي احد عشر شهرا كتب معظم اعدادها بقلمه . وقد ابدى اسباب تنحيه في حديث صحفي وخلاصتها عدم رضائه عن طريقة اخراج المقتطف وورقه وطبعه في تلك الفترة (٢) .. ولم يعمر المقتطف بعد ذلك طويلا ..

ولم يكن نقولا الحداد غريبا عن « المقتطف » وهو من نشأ في مدرسته ، وعاصر تطوره منذ نقله من بيروت الى القاهرة عام ١٨٨٥ في سنته التاسعة ، وكان الحداد مقربا الى العلامة يعقوب صروف (١٨٥٢ – ١٩٢٧) تجذبه نحوه اهتماماته بالعلماء وكشوفهم العلمية ، وحثه على الاخذ بالتفكير العلمي ، وجهاده في توضيح الاسلوب العلمي في البحث عن الحقيقة ، جهادا استغرق نصف القرن الاخير من حياته (٣) واخذ نقولا الحداد يكتب في « المقتطف » خلال حياة مؤسسه وبعدها حتى قبيل احتجابه .. ولم تزل مجلدات المقتطف تضم تلك الوفرة من مقالاته العلمية والاجتماعية والفلسفية ، ومن قصصه ورواياته ، ومن مؤلفاته الملحقة بالمجلة ، وكلها تشير الى ثقافة واسعة تزاوج بين العلم والادب ، وتهدف الى الاهتمام بالعلوم وتطوراتها الحديثة .. وعلى صفحات المقتطف ايضا كان دكتور شبلي شميل (١٨٦٠ – ١٩١٧) يعالج نظرية التطور ويعرض آراء داروين وزملائه ، ويتبعه اسماعيل مظهر ، ويثيران النقاش حول تلك النظرية ، ثم يعاضدها سلامه موسى ونقولا الحداد ويوضحان اثرها في المجتمع البشري .

ومما يذكر عن نقولا الحداد حين رأس تحرير المقتطف انه كان يكتب ثلاثة ارباع المجلة من مقالات وقصص ونحوها. فتراه مثلا في عدد ديسمبر ١٩٤٩ يكتب ست مقالات : – النسبية في العملة المتداولة ، ما هي الغاية القصوى ، الوراثة الاجتماعية تطغى على الوراثة الطبيعية ، الضمان الجماعي ، حجة فلسطين ومن ذا كتبها لليهود ، سقراط الفيلسوف ، ثم اقصوصة « ابن الطبيعة » ، ويلحق بهذا العدد رواية في نحو سبعين صفحة بعنوان : « دولة سيدات في مملكة نساء » تدور حول اسطورة « الامازونيات » المحاربات اللاتي تحدث عن دولتهن هيرودوت وهوميروس .. وتراه في العدد التالي (يناير ١٩٥٠) يكتب مقالتين علميتين : – تضخم الكون الاعظم ، منشؤه ومصيره ، ولو نضب البترول استخرجناه من الماء والهواء والصخور ، وقصتين قصيرتين : الحرية والعبودية ، وضريح شهيدة الامانة .. ثم كتابين فلسفيين مسلسلين : فلسفة الوجود ، والعزلة في رأس الجبل ... واخيرا قصيدة شعرية علمية « بين عام وعام » .. وهكذا مع سائر الاعداد ، مما يكشف عن اهتماماته وتشعب سبله ..

كذلك كانت مجلة « الهلال » ميدانا فسيحا لابحاث الحداد ، في حياة مؤسسها جورجي زيدان (١٨٦١ – ١٩١٤) وبعد وفاته ... وهذه مجلدات الهلال تحتفظ بابحاثه ومقالاته وقصصه الاجتماعية والعلمية ، ولم يجمع اكثرها في كتب مستقلة ، وبينها مقالاته في السياسة العالمية ، وقضية السلام والحرب ، وعصبة الامم ، وفي الاشتراكية (ومن ذلك مقالته الوافية عن الاشتراكية في عدد اكتوبر ١٩١٨) .. كما طبعت له دار الهلال كتابا بعنوان « الاشتراكية » .. غير ان الحداد تحدث في مقالة نشرت له قبيل وفاته بمجلة اخرى (٤) معبرا عن الم من اهمال المجلات العربية وقتذاك للابحاث الجدية وبخاصة العلمية وتوخيها اقبال العامة لا تثقيفهم .. وجاء بها يومذاك (ديسمبر ١٩٥٣) : « .. بقي الهلال وقد كان تاريخيا اكثر منه علميا ، وراق لمؤسسه المرحوم جورجي زيدان في حياته ان يجعله اجتماعيا وعلميا ، وطلب مني معاونته في هذا السبيل ، ولكن الله اخذ وديعته (١٩١٤) قبل ان نمضي في هذه المهمة . ولطالما كتبت في الهلال مقالات علمية واجتماعية كنت اكتبها بلا اجر . وكنت افعل ذلك لاني كنت اود خدمة العلم والادب .. وآخر مقال كتبته كان موضوعه « حجم ذرة الاثير » وقد صنعته من افكاري الخاصة التي تولدت عندي من مطالعاتي ودراساتي العلمية في مؤلفات كبار العلماء .. وبعد ان كتبته ارسلته الى صاحب الهلال فرده لي وهو يقول : انه آسف لعدم نشره لان القراء لا يلتذون موضوعا كهذا ولا يفهمونه ، فارسلته توا الى الاستاذ فؤاد صروف الذي كان يتولى تحرير المقتطف حينئذ فنشره في صدر العدد الذي كان يعده للصدور من المقتطف .. »

القصـــة

وكان نقولا الحداد من رواد القصة العربية الحديثة .. ترك عددا وافرا من القصص القصيرة والطويلة – المؤلفة والمترجمة والمقتبسة ، وكان ينشرها في الصحف والمجلات او في كتب مطبوعة ، منذ مطلع القرن العشرين .. وقد بدأ منذ صباه يترجم القصص البوليسية ثم الاجتماعية في سلسلة « مسامرات الشعب » .. ومنذ العشرينات كان ينشر القصص القصيرة والمسلسلة في مجلات « اللطائف المصورة » و « السيدات » و « المقتطف » و « الهلال » وغيرها .. وظل يكتب القصص العلمية والاجتماعية والرمزية والتمثيلية الى اواخر حياته .

ومن رواياته المترجمة في « مسامرات الشعب » : حب في ثورة ، وعقد الملكة ، وكلاهما عن ديماس ، والزهرة الحمراء للبارونة اورزي ، والحرب الجوية ، والعقرب ، وزوجة بالاسم ..

وفي « اللطائف المصورة »: فتاة آل عثمان ، تحت راية مصطفى كمال ، المنطاد المنتقم ، فتاة الاناضول ...

ومن رواياته المقتبسة : حواء الجديدة ، آدم الجديد ، الحقيبة الزرقاء ، فاتنة الامبراطور ، عين بعين ، الامبراطورة تيودوره (الهلال يناير ١٩٤٤) ، اين الكنز يا شرلوك هولز ..

ومن قصصه الموضوعة : فرعونة العرب عند الترك ، ثورة في جهنم ، وداعا ايها الشرق ، جمعية اخوان العهد ، العالم الجديد ، نبية لبنان ، الصديق المجهول ، ثورة عواطف ، المقدس .

ومن قصصه المصرية الموضوع: زغلول مصر ، زغاليل مصر ، زغلولات مصر ، حركات السيدات في الانتخابات ، من عرابي الى زغلول ، اسرار مصر ..

ومن قصصه العلمية والفلسفية : ابن الطبيعة ، ضريح شهيدة الامانة ، العزلة في رأس الجبل ، الحرية والعبودية ، مشاجرة بين احياء وأموات (نشرها جميعا بالمقتطف – ١٩٤٩ و١٩٥٠) واعلن عن قصة اعدها للطبع بعنوان « ليت الشباب يعود » .. وروايتين : دوقة في مصر ، وسر الكنز ..

ومن رواياته التي اعدها للمسرح : دولة سيدات في مملكة نساء (نشرها في شكل قصة بالمقتطف ديسمبر ١٩٤٩) .. واعلن عن تمثيليتين معدتين للطبع هما : خالد بن الوليد ، والحب الذهبي ...

وهو في كل ما الف وترجم من القصص ، ادى ولا شك خدمة ادبية للحركة القصصية العربية الحديثة ، وكان بذلك من رواد فن القصة .. ويضع النقاد قصصه المؤلفة ذات الافكار المبتكرة في الاعتبار الاول .. ولا شك انه اتخذ القصة وسيلة لعلاج نقائص المجتمع ودعوة الى الاصلاح ، الى جانب المقالة والكتاب ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ففي روايته الموضوعة : « دولة سيدات في مملكة نساء » (الملحقة بالمقتطف ديسمبر ١٩٤٩) والتي تدور حول اسطورة الامازونيات المحاربات اللاتي كان لهن دولة مستقلة في بنطس بآسيا الصغرى على شاطىء البحر الاسود ، ولا يعيش فيها رجال (كما حدث هيرودوت) يصور المؤلف الصراع بين الطبيعة البشرية التي تسير الناس وتعمل على بقاء النوع ، وبين العقيدة التي تفرضها عليهم نبوءات الكاهنات اللواتي كن يزعمن انهن نبيات بوحي من الالهة بينما كانت تلك التكهنات مكائد ينصبها هؤلاء ومن يلوذ بهم ، فلا غرو ان ينتصر الحب في النهاية.

وفي اقصوصته « ضريح شهيدة الامانة » التي يجريها على السنة الحيوان يصور الامانة والوفاء في نفس كلبة تذهب ضحية ولائها لسيدها الصياد الذي وكل اليها حراسة صيده من البط فذهبت طعمة لحريق الغابة ، ويرغم زوجها الكلب ، سيده الصياد ، على ان يحفر لها قبرا في حديقة الدار ويضع عليه الازهار ثم يلازم الزوج قبرها حتى يموت ، ويدفنه الصياد الى جنبها ويكتب على ضريحهما « هنا ضريح شهيدي الامانة والوفاء » .. وفي سياق الحوار البارع بين الكلبة وابن آوى والحمار يعقد المؤلف مقارنة بين الانسان والحيوان في بعض الصفات .

وفي اقصوصة : « ابن الطبيعة » (المقتطف ديسمبر ١٩٤٩) يعالج المؤلف حكاية زواج غير شرعي اثمر ولدا وضع في ملجأ ، وتبناه زوجان غنيان وعلماه حتى تخرج محاميا في سن العشرين ثم يعلم انه دخيل عليهما ويفضل فراقهما حافظا لهما الحب والوفاء ويقول لهما : « انا ابن الطبيعة ـ فبحكم الطبيعة ولدني والدي وبحكم الطبيعة عطف علي ابوان غريبان .. الطبيعة خلقت العطف هنا والشهوة هناك. فكلا الفريقين كانا ينفذان سنة الطبيعة . الآن انا ابن الطبيعة » .. ولما عثر على والديه الاولين اللذين وضعاه في الملجأ واظهرا له حبهما اجاب : « اين كان (حبكما) خابيا في العشرين سنة الغابرة فلم ينفجر ؟ تكاد جمراته تنطفىء ، فلم يبق بيننا حب يا والدي . وانما بقي بيننا احترام واكرام ! » .

وفي قصة : « الحرية والعبودية » تلتقي العبودية الشيخة بالحرية الطفلة ، ويدور بينهما حوار فلسفي موزع على ما يشبه القصة عن عالم مجنون لم يزل اناسه يتخبطون بين الحرية والعبودية في تصرفاتهم وحياتهم كلها ..

وتتنوع قصص الحداد وتكثر ، وتتعدد فيها المشاكل الاجتماعية والسياسية ، والمسائل العلمية والفلسفية .. ولهذا وجب جمعها في مجلد واحد او اكثر يلم شملها ، ويكمل بعضها البعض الآخر ، امام القارىء المستعرض والناقد الفاحص ..

الكاتب الاجتماعي

وكما اتخذ نقولا الحداد من القصة الهادفة وسيلة لمعالجة المشاكل الاجتماعية ، والنقائص الاخلاقية ، ودعوة الى تطوير المجتمع الشرقي على النهج العلمي الحديث ، فقد رمى ايضا من كتابة المقالات ووضع المؤلفات الى هذه الغايات .. والى جانب ما نشر في الصحف والمجلات من مئات الابحاث فقد رأينا له من الكتب ما يحمل هذه العناوين : الاشتراكية (اوائل القرن العشرين) ، علم الاجتماع (في جزأين نحو ٧٠٠ صفحة ـ ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) ، الحب والزواج (١٩٢٦)، ذكرا وانثى خلقهم (١٩٢٧) ، مناهج الحياة ، اسرار الحياة الزوجية (بتصرف عن دكتورة ماري ستوبس) ، كما ترجم كتابين يجمعان بين الاجتماع والتاريخ ،هما: « شعوب اوروبا » و « تاريخ اساس الشرائع الانجليزية » ..

ويعد كتابه « علم الاجتماع » في جزأيه من اهم واكبر مؤلفاته .. ومما شرحه في جزئه الاول : منشأ الاجتماعية وعللها ، حتمية التجمع واساليبه ومكانه ، الوحدة الاجتماعية ، اطوار الزواج ، التئام الوحدات الاجتماعية ، العلاقة النظامية بين الافراد ، نظام الدولة .. العقل الاجتماعي ، العادات الاصطلاحية ، طبيعة التقاليد ، الرأي العام ، الكدح لاجل الرزق ، عمران البيئة ، تزاحم السكان .. الخ وفي الجزء الثاني ، بحث في ماهية التطور ونواميسه الطبيعية ، والبون بين فردية الحيوان واجتماعية الانسان ، والتطور الاجتماعي التاريخي .. ودور تكون الدولة ، وضحى التمدن وظهر التمدن ... ومعنى التقدم التمدني وغايته .. الخ ..

وختم المؤلف كتابه بقوله : « ما هو التقدم التمدني ؟ هو التمادي في جمع القوى الطبيعية وانفاقها . فكلما خطت الهيئة الاجتماعية خطوة الى الامام جمعت من القوى اكثر وانفقت اكثر .. ولكي تستطيع ان تتمادى في جمع القوة وصرفها ، يجب اولا ان تتمكن من اعتقال قوات الطبيعة او الظفر بها . ثانيا ان يكون التنظيم الاجتماعي اتم . ثالثا ـ ان تكون شخصية الفرد الاجتماعي ارقى . هذه الاهليات الثلاث يجب ان تكون متعاونة ومطردة الرقي . اما شخصية الفرد فمركز القوة العقلية المسيطرة المدبرة ، ولولاها لاستحال الرقي التمدني بتاتا . والقوة العقلية ليست القوة التي تجمع وتنفق ، بل هي القوة التي اكتشفت نواميس القوى الطبيعية واعتقلتها .. فالقوة العقلية لا تولد قوة مادية بل تسيطر على القوة المادية ، وتجمعها كما تشاء وتحولها الى حيث تشاء ... »

ثم يقول : «.. لا يمكن ان يطرد التقدم الا اذا كانت الهيئة الاجتماعية تجمع من القوى اكثر مما تنفق . فاطراد تقدمها الذي شاهدناه يثبت لنا انها تجمع اكثر مما تنفق .. فماذا تفعل بالزائد ؟ الجواب : تارة يذهب الزائد سدى في التنازع (الحروب) ، وتارة يتحول الى نمو في جسم الامة ، وتارة ترتفع به درجة التمتع . وكثيرا ما تحدث الامور الثلاثة معا . والدليل على ذلك اولا ان عدد السكان اليوم زاد جدا عنه في الازمنة الماضية ، ثانيا ان الحروب الاخيرة كانت اهول الحروب ، واكثرها استهلاكا للقوى ، وثالثا ـ ان درجة التمتع قد ارتفعت كثيرا جدا عنها في الازمنة القديمة (اذا استثنيت بعض ملوك الاقدمين وهم نزر من الشعب) وكثيرون من الناس اليوم يعيشون عيشة الملوك » .

« اذا لم يبق عندك ريب ان الهيئة الاجتماعية متقدمة جدا في جمع القوى وانفاقها في تمتعها ، وانما يثلم هذا التقدم عيبان : الاول، انه مع غزارة ما تجمعة الهيئة الاجتماعية من القوى لا يزال جانب من افرادها منفصين لعدم التناسب في التمتع ، والثاني ان جانبا من القوى يتحول الى عوامل التدمير ، بدل التعمير ، كالحروب الدموية وغيرها ... »

ويقول نقولا الحداد انه في عام ١٩٠١ نشر كتابا بعنوان « الحب والزواج » ولما طلب منه اعادة طبعه فضل اعادة تأليفه على تنقيحه ، واضاف اليه بحثين هما «الحب والزواج عند الهمج» و « حب الحيوانات وجمالها » . وظهر الكتاب في طبعته الجديدة عام ١٩٢٦ باحثا في الحب وغايته ، والجمال وصنوفه ، وانواع الحب وموقف الرجل والمرأة ازاءه،

(١) منها مقالتان لوديع فلسطين في « الاديب » ١٩٥٤ ، و « العلوم » ببيروت ـ ١٩٥٩ .. واسعد حسني في « العالم العربي » ـ بالقاهرة ـ ابريل ١٩٥٤ .. وعباس محمود العقاد ـ الاخبار ١٩٥٤ .. وكامل السوافيري ـ الاهرام ٩ ـ ٤ ـ ١٩٥٤ .. وفي حياته نشر اسعد حسني مقالة في «المجلة الجديدة » بالقاهرة ـ سبتمبر ١٩٣٥ .. ومحمد علي الطاهر في الكفاح الفلسطينية ديسمبر ١٩٣٥ « وكان قد بلغه نعي الحداد خطأ » . (٢) و (٤) حديث بمجلة « العالم العربي » ديسمبر ١٩٥٣ . (٣) كتاب « يعقوب صروف » لفؤاد صروف ـ ١٩٦٠ بيروت. (٥) مجلة « الهلال » ـ ابريل ١٩٤٠ ص ٦٦٥ . (×) تجدر الاشارة هنا الى ان نقولا الحداد نشر الكثير من ابحاثه ومقالاته في مجلة «الاديب» في السنوات الاخيرة من حياته . (الاديب)

والزواج واختيار الزوج والزوجة ، والاسرة .. الخ .. وجمع الكتاب بين الدراسات التاريخية والاجتماعية والسيكولوجية في فصوله الثمانية وابوابها ..

وفي العام التالي (١٩٢٧) ظهر للحداد مؤلف ثان في موضوع الحب والزواج والاسرة سماه « ذكرا وانثى خلقهم » . ومما جاء في مقدمته : « بعدصدور كتابنا « الحب والزواج » لم يبق بد من العودة الى الموضوع من جهاته العملية ، فادرنا ابحاثنا في هذا الكتاب حول محور ارشاد الناشئة الى الصراط المستقيم المؤدي الى الحياة الزوجية التي لا حياة سعيدة للانسان سواها .. » وفيه بحث المؤلف في الغاية القصوى من الحياة ، ومعنى الزواج من الوجهات البيولوجية والاجتماعية ، كما بحث في حياتنا الجسمانية والعقلية والاقتصادية والروحانية .. وفي الزواج ومحاذيره ، والموبقات الموروثة ، وانتخاب الالف ، والعقائد والتقاليد وغيرها ..

كما دفعه التوسع في النواحي العلمية للزواج الى ترجمة كتاب الطبيبة ماري ستوبس والتعليق والاضافة اليه وسماه : « اسرار الحياة الزوجية » هادفا دائما الى السعادة الزوجية وتوثيق روابط الاسرة ..

ولم يقتصر اهتمام الحداد على التوجيه والارشاد والبحث عن سعادة المجتمع المحدود ، بل شملت نظرته سعادة المجتمع البشري عامة. فكتب المقالات عن السلام العالمي ، ونبذ الحروب ونزع السلاح ، والغاء الاستعمار والعدوان ، والحكومة العالمية الممثلة في تجربة عصبة الامم الاولى ، وفي استخدام العلم والمكتشفات العلمية من اجل سعادة الانسانية وتمدنها . ومن امثلة تلك المقالات : « السلام الابدي وعلى اي قاعدة يقوم ؟ » (الهلال ١ ـ ٦ ـ ١٩٤٠) ، و « التطبيق العملي لمشروع السلام الدائم » (الهلال ١ ـ ٧ ـ ١٩٤٠) ، و « النظريات السياسية في عهد الرشيد والعهد الحاضر » (الهلال ١ ـ ١٠ ـ ١٩٤٠) ، ومقالاته العلمية وقصصه الرمزية والفلسفية في المقتطف .. وكلها تضمر غايات انسانية تدور حول تقدم المجتمع البشري وسعادته وامنه .

ومن اجل قضية السلام ونبذ الاستعمار وبخاصة في الشرق العربي ، درس نقولا الحداد قضية فلسطين وصلتها بالصهيونية العالمية، وتتبع تاريخ القضية منذ القديم ، ثم اخذ ينشر بمجلة « الرسالة » بالقاهرة ، المقالات المتتابعة التي اربت على الاربعين مقالة ـ فيما بين ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ شرح فيها اهداف الصهيونية ومطامعها في العالم العربي ، وحث فيها الامة العربية على مواصلة الكفاح في عزم وحزم لاسترداد حقهم وارضهم .. كما كتب في المقتطف (ديسمبر ١٩٤٩) مقالة بعنوان « حجة فلسطين من ذا كتبها لليهود ؟ » وفي مجلات اخرى مما يجتمع منه كتاب تاريخي علمي قومي عن هذه القضية الكبرى، لا نظنه قد جمع ونشرفي مجلد بعد .. وكان قد ترك قبيل وفاته مخطوطا كبيرا عنها لا شك انه كان يعده للطبع .

الباحث العلمي

والى جانب المقالات العلمية التي نشرها نقولا الحداد في المجلات ـ وبخاصة في مجلتي المقتطف والهلال ـ ظهر له عدد من المؤلفات العلمية التي حاول فيها تبسيط العلوم وبث الروح العلمية ، ومن ذلك كتبه عن « هندسة الكون حسب ناموس النسبية » .. و « عالم الذرة او الطاقة الذرية » (ملحق بالمقتطف اغسطس ١٩٤٨) .. و « فلسفة التفاحة او جاذبية نيوتن » .. و « نظريات العلوم الطبيعية الجديدة » (وكان معدا للطبععند وفاته) ..

ومن مؤلفاته التي جمعت بين العلم والفلسفة : « فلسفة الوجود» (الحق بالمقتطف يناير وفبراير ١٩٥٠) ، و «العزلة في رأس الجبل» (حوار في فلسفة الاخلاق ـ في قالب قصة ـ الحق بالمقتطف يناير وفبراير ١٩٥٠) و«علم ادب النفس » .. و « ليت الشباب يعود » فلسفات في قصة .. و « الديمقراطية مسيرها ومصيرها » ـ (وكان قد اعلن عن قرب ظهور هذين الاخيرين) ..

فقد كانت نزعته العلمية متغلبة على مواهبه الادبية ، بل على منظوماته الشعرية .. وكان بالمهنة كما سلف صيدليا كيماويا ولكنه كان ينساق الى البحث في نظريات التطور والنسبية والذرة والفلك والعلوم الطبيعية والرياضية وكذلك الى علم الاجتماع ، وعلم النفس ، والتاريخ والفلسفة ..

وفي كلمة للمرحوم عباس محمود العقاد عن نقولا الحداد ـ عقب وفاته ١٩٥٤ ـ يقول : « .. واحق ما كان حين نذكر اينشتين ، وفي الاسبوع الذي يحتفلون فيه بميلاده الخامس والسبعين لان اللغة العربية لم تشتمل كتابا في « مذهب النسبية » اوفى من كتاب الفقيد الذي سماه « هندسة الكون» . ويصدق عليه غير ذلك انه يضارع خير الكتب في لغة من اللغات عن مذهب اينشتين من الوجهة العامة . وكتاب « نقولا الحداد » احق بالتنويه والتقدير لسبب آخر نقربه مثلا للشبان المتعطلين الى المعرفة والدراسة . فان الحداد لم يتعلم في صباه دروس الرياضة العالية ، ولكنه لما قرأ عن « النسبية » لم يقنع بمطالعات التبسيط والتقريب وفرض على نفسه وعقله ان ينقطع زمنا لدرس رياضاتها بعد ان قارب الخمسين . ثم تعمق في الاستقصاء فاطلع على مراجعه الخاصة ونفذ الى اسرارها وخرج منها بزبدة صالحة لتاليف هذا الكتاب الذي لا يزيد على قدره ذرة حين نقول عنه انه اوفى المراجع باللغة العربية وانه يضارع امثاله بجميع اللغات .. »

وكان من رأي الحداد ان « للعلم لغة خاصة به لا يمكن ان تتصرف بها امة من الامم بمقتضى قواعد لغتها ومعجمها . فلغة العلم ليست انجليزية ولا فرنسية ولا المانية الخ حتى يمكن ان تكون عربية ايضا بل هي لغة قائمة بنفسها ـ لغة العلم ـ يجب ان تستوعبها اي لغة كما هي ان كانت تستطيع ان تلين لها وتخضع لاحكامها ... »

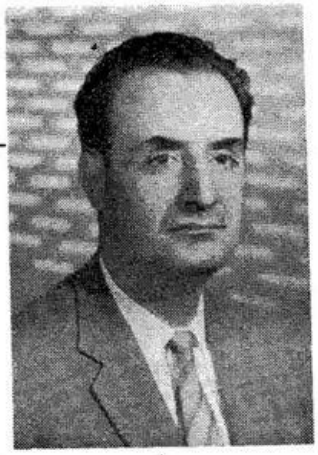
وضرب امثلة بالفاظ الراديوم والهليوم والبلهارسيا (نسبة الى مكتشفها بلهارس) ، وغيرها .. فانه « يمكنك ان تضع ما تشاء من الالفاظ العربية لكل لفظة اجنبية من الاصطلاحات العلمية والفنية التي نحن بصددها بل يمكنك ان ترتجل لها من الالفاظ ما تشاء ارتجالا من غير تعمل النحت ومن غير اعتبار للاشتراك بين اللفظتين في المعنى ، ولو كان هذا العمل يستغرق قرنا او قرونا . فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة ـ كما يرى الحداد ـ احد امرين : « اما ان نكون قد اقمنا حجابا بيننا وبين الاجانب (في العلم) فلا تبقى صلة لثقافتنا بثقافتهم .. ولا نعود ندري بما يستجد عندهم من التطورات العلمية ولا هم يدرون بما يستجد منها عندنا .. واما اننا نضطر ان نتعلم احدى اللغات الاجنبية الاكثر شيوعا والاغنى علما لكي نطلع فيها على العلوم الحديثة ـ يعني اننا ندرس العلوم فيها مع دراستنا لها بلغتنا ـ لكي نبقى على اتصال بالثقافة العالمية العامة .. وهذا يضطرنا ان نضاعف مجهودنا في تحصيل العلم بلغتين .. وان نستذكر لكل حقيقة علمية او فنية لفظتين احدهما عربي والآخر افرنجي .. »

وكان نقولا الحداد ينظم الشعر ايضا ، وله منظومات كثيرة ، ويبدو انه كان يتخذ القصيدة وسيلة اخرى ، كالقصة والمقالة في التعبير عن آرائه الاجتماعية والعلمية .

.. وبعد فهذه ذكريات عن كاتب عالم معلم ، افنى حياته في الكتابة الهادفة وكانت له مبادئه ورسالته ، لخدمة بلاده ونفع امته .. وعانى كثيرا من اجل تحرره الفكري وصراحته .. ولم يتكسب من قلمه ولم يثر من علمه .. وما زالت له مؤلفات مخطوطة لم تطبع ، ومقالات منشورة لم تجمع .. فلعل ناقدا باحثا من الجيل الجديد يتوفر على حصر تراث هذا الكاتب من قصص وابحاث ونقدات ، ويعيد نشره مبوبا منسقا في مجموعات مترابطة الموضوع .

الاسكندرية — نقولا يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شـواء الــذرة

* * *

نــار تلاطـم غربهــا المتوقـد ... متدفقــا بجوائـح لا تنفــد
عصفت مصفقة الشراع وزغردت ... في موقـد مـن حرهـا يتنهـد
ترمي بمنهمر الشرار ومثلهــا ... نار الاسى دون الحشا تتجـدد
قد تخمـد النـيران الا جـذوة ... لحـزازة مـن لاعج لا يخمــد
ومسعر النيران من حرق الجوى ... أنفاســه من وهجها تتصعـد
من شامـه في جنح ليل واللظى ... من دونــه مشبوبـة تتمـرد
ألفى به دهقـان فـارس قائمـا ... فـي ليلـه متبتـلا يتعبــد
وكأنمـا العرنـاس دون يمينـه ... قنديل نـور او شهـاب مرصد
خفقـت ذؤابتـه كخفق فراشة ... في عاصف لا تستكين وتخلــد
واسترسلت منسابـة كضفـيرة ... دون الترائــب لا تنـي تتأود
وتجمعت حبب كحبـات الندى ... او كالدمـوع بوجنـة تستطـرد
نثرت على العرناس وانتظمت به ... كالآلـىء بقــلادة تتوقــد
او انها زبــد المحيط تكتبـت ... في جنح أفـق ليلـه متلبــد
وترى ازاء النار مضرم جمرها ... مـن وقدهـا ولهيبها يتشهـد
ما تاتلـي يمنـاه دون شوائـه ... ممــدودة وكأنهــا تسترفـد
ويديـر عينًا بالضنى مكحولـة ... في موقـد اوداجـه تتــورد

عاينتـه والنـار تلفح وجهـه ... بجوائح مـن جمرهـا وتزغـرد
شرر تناثـر دونــه متطايـرا ... مـن دونه عين المنية ترصــد
صحب الاذى دهرا لتسعد صبية ... من دونهـا ريب الاذى يتوعـد
واهـا له ما كان أوجع عيشــه ... وأمـر مورده الذي يسترفـد
لقـم بشـوب مرارة ممزوجـة ... ولواعج مشبوبـة لا تخمــد

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت عينا الطبيب المنحني فوقي جامدتين .. وعيناي ترتجفان ، وقلبي يخفق اكثر .. اشعر بانقباض يجعلني ارتعش ، فانا لا زلت اخاف كل امتحان .. كشفت عن صدري وانا ممدد على السرير الابيض ، وراحت سماعة الطبيب تتجول فوقه ، تبحث عن شيء . حاولت الا تصدم نظراتي ملامح الطبيب الفارغة المستهترة . وكانت نظرات المرضة تفتش هي الاخرى عن شيء ضاع على صدري

المروحة المعلقة تلبس جلبابا من الغبار .. وشريط الجرس الكهربائي المحاذي لسريري متآكل .. وكل ما حولي يضايقني ، يثير في نفسي الضجر والقرف. حتى ستار النافذة القاتم يضع ثقلا فوق صدري ،انه مسدل دوما ، وكلما حاولت ازاحته تهرع المرضة لتسدله ، واثور .. ان الشمس لا تدخل هذه الغرفة المبللة بالسأم .

منذ خمسة ايام وانا حبيس هذه الغرفة .. حبيس الاوهام والاحلام والذكريات . في صباح كل يوم في حوالي الساعة التاسعة والنصف يفتح باب الغرفة بعنف ليدخل الطبيب تتبعه المرضة ، ودون تحية ما ، يبادرني بلهجة جافة :

ـ الم تتحسن ؟

واجيب بصوت جرحته الوحدة والانفراد :

ـ احسن ..

ـ اكشف عن صدرك .

اتمدد على السرير بتثاقل وملل واكشف عن صدري لتمتد اليه السماعة تعبث به .. تحصي دقات قلبي وتراقب الهواء الذي ابتلعه . وتمر فترة صمت احسبها اعواما .. صمت مشوب بالقلق والانتظار ... لا يمكن ان يشيخ قلبي بمثل هذه السرعة . لم لا يسألني شيئا ، انني اعرف نفسي اكثر من اي مخلوق كان . وعندما اراقب عينيه الصامتتين اتوهم اشياء اسمعها ولكنني لا اقدر على فهمها . يلتفت الى المرضة وهو ينتشل السماعة ويجمعها بين يديه :

ـ فحص دم .

وتوضح المرضة في الحال :

ـ يوم امس فحص الدم والبول .

وتناوله ملفا مكونا من عدة اوراق .. يقلبها كطفل يفتش عن صور ملونة .

ـ اذن .. صورة صدر .

واضحك مع نفسي .. كل ما كنت اشعر به هو صداع حاد لزمه اعياء بسيط انتابني اثناء العمل المرهق سببه فقر الدم .. فالتعب المستمر والغذاء الناقص ومشاغل الحياة لا بد ان تسقط اي فارس عن صهوته . وكم حاولت ان ابين

عندما تبكي الشفاه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم جهاد الكاتب

للطبيب ان جسمي قوي ، بل ادعيت انني امارس الرياضة منذ زمن ، ولكنه اصر على ان يبقي غذائي مجموعة من السوائل فقط .

واليوم ضاقت نفسي بهذه الحياة .. بهذه الزنزانة ، وعندما هم الطبيب بالخروج دون ان يقول حرفا صحت :

ـ اريد ان اخرج من هنا ..

التفت الي .. وبدت عيناه تتراقصان على صفحة وجهي، قرأت فيهما السخرية ، وتمنيت ان يقول



اي شيء ، ولكنه اكتفى بأن رفع كفه الى وجهه وكأنه يدفع عنه ذبابا، وخرج وهو يتحاشى النظر الى المغسلة الصفراء القاعدة قرب الباب.

ثم لحقت به المرضة وبيديها الملف، بعد ان ارتني أسنانها التي امتص جمالها دخان السجائر . قمت في الحال وازحت الستار بقوة، فمزقت قسما علويا منه . ووقفت امام زجاج النافذة اتأمل الحياة في البناء المقابل ، ولم يكن سوى امرأة عجوز تجلس في شرفتها العتيقة التي تكسوها اشعة الشمس .. وكان حولها طفل صغير يلهو .. وما لبث باب الشرفة ان انفتح ببطء وخرجت صبية سمراء صغيرة . ويبدو انها لمحتني فقد تعودت ان ترى الستار يخفي كل شيء فحملت طفلها بين يديها واسندت ظهرها على حافة الشرفة .. لماذا لايكون لي بيت وطفل حلو تنجبه لي امل .. لماذا اظل اكبر وتظل احلامي صغيرة.. وفجأة هزني صوت المرضة الناعم :

ـ لم ازحت الستار ؟

ـ اريد ان ارى النور ..

ـ الطبيب يريده مسدلا دوما .

اسدلت الستار ، وحاولت ان تدفعني نحو سريري بهدوء ، وهي تستجدي الابتسام ، ولكنني صرخت وكأني افتقدت شيئا عزيزا :

ـ الى متى يظل مسدلا ؟ هل تحبين العتمة مثل الطبيب ؟

رميت نفسي على السرير ، وبدا قد تحطم ، وتعانقت كفاي تحت رأسي .

ـ كل شيء هنا مقرف ..

وضعت المرضة يدها على كتفي، وبلهجة عتاب قالت :

ـ كل شيء ؟!

ازحت يدها عن كتفي :

ـ انت تعرفين انني لا اتشكى من شيء .

ـ غدا تخرج ..

اصبح الغد حلما بعيدا ، وهذا السكون المميت الذي ينساب في

ردهات المستشفى وغرفها يقبض قلبي . انني لا افعل شيئا هنا ، ولا يفعلون لي شيئا . لم تبق قصاصة مطبوعة عثرت عليها في المستشفى الا قراتها مهما كانت تافهة . رموش النساء الصناعية ، المناقصات الحكومية ، حرب الفيتنام ، واخر الازياء .. وحاولت أن امضي وقتي في الكتابة ، ولكنني كنت اقف عند وضع العنوان لامزق الورقة واكتب عوانا جديدا ، دون ان اخط سطرا. واسمع بين حين واخر اصواتا محشرجة .. امل لن تكون لك ابدا. واعجب كيف انني لا استطيع الكتابة عن نفسي . قلت للمرضة وانا انتفض لاجلس على حافة السرير وامسكها بيدي :

ـ الا يمكن ان اخرج اليوم ؟

ادارت ظهرها وتظاهرت بأنها تقرأ علبة دواء اخرجتها من جيبها .. ثم اجابت :

ـ يبدو انك مللتنا . . .

وراحت تقنعني انني القى الراحة وامتصها في هذه الغرفة . ولكنني مللتها ، سئمت من ملازمة المرضة الدائمة لي ، وكرهت رعايتها لي كطفل .. مللت الطبيب وسماعته الخبيثة التي لا عمل لها سوى قهر صدري . قفزت الى المرآة المثبتة فوق المغسلة .. تفرست وجهي .. لحيتي التي استطالت ، وتحسست خدي بكفي .. كشرت عن اسناني ، وشمرت بأصبعي طرف عيني ، وقربتها من المرآة ، وقلت :

ـ انظري .. الا يوجد اصفرار في عيني ؟

اقتربت مني ، وحاولت ان تمرر شعرها الفاحم قرب شفتي ، فانسابت الى انفي رائحة عطر ثقيل .. شعرت بالقرف وهي تمد اصبعها ذا الظفر الطويل الى جانب عيني . قالت بعد صمت :

ـ انت واهم ..

نظرت مرة اخرى الى المرآة ... انني انسان اخر ، سقطت البسمة عن شفته ، وتصاعدت اوهامه ومخاوفه وتاملاته الفارغة . انني حزين لانني اهدر ايامي في حساب مساحة الغرفة وتخمين ارتفاعها وعمر بنائها .

تباطأت الى سريري بعد ان تناولت مجلة ممزقة الغلاف والجوانب .. قلبتها ، لم أجد صورة واحدة ... او كلمة واحدة ، كانت الاوراق صفراء تنبثق منها ديدان تتراقص .. تسخر مني ، ورأيت اشباحا سوداء تتعارك ، وسمعت طنينا حادا .. لن تكون لك .. انت لاتملك شيئا ، وتشققت الجدران عن ضحكات عميقة .. عميقة . الاخلاق اسطورة .. اسطورة ايها الواهم . واحسست أن اصبعا حديدية تضرب صدغي مرات . تذكرت ان ابكي .. فالبكاء هو الشيء الوحيد الذي يمارسه الانسان دون أن يؤذي احدا. اخرجت من تحت الوسادة صورة امل ، وهي كل ما استطيع ان امتلكه منها الان ، وضعتها بين كفي .. انا ادري انني في أوهام .. ادري انني بعيد عن اصطياد القمر بسنارة السمك .. بعيد عن اخفاء الشمس بنظارة سوداء ، ولكن ماذا افعل ؟. كنت اشعر انني وحيد ، والصحراء تتسع يوما بعد يوم .. تلتف رمالها حول المجهول ، وتمنيت ان تشق حياتي ساقية غناء تخلق بقدرتها الخارقة دوحة فتانة ، تمنيت ان تصدح الطيور عند اقدام الساقية . ويوم التقيت بأمل وجدت نفسي في واحة وارفة انتشلتني بعد ان امتد السراب طويلا ، وزال صدأ الكره لمجتمع مريض يضع القيمة ، كل القيمة لمن يملك فقط . كنت لا اجد مبررا لاثق بأحد .. كانت حياتي فارغة .. كانت الشمس تلهب ظهري ، وكان القمر الحزين يتوارى بعيدا عن ناظري ليخفي دموعه .. كنت اؤمن انني صياد فاشل ، فلا انا احسنت صنع شباكي ، ولا البحيرة احسنت توزيع السمك . وفجأة بدأت اصمد امام الشمس .. ولمحت عيناي بسمة على شفتي القمر ، وابصرت من بعيد الشاطىء الطروب تضحك قلاعه لي.

في مساء ذلك اليوم الذي جمعني التصادف بأمل ظللت طوال الليل اسائل نفسي ، اين رأيتها قبل الان؟ ان قصص الحب التي ادمنتها وانا صبي مراهق ، كنت اعتقدها نوعا من خيالات لا وجود لها .. لذا كان الخيال يشتط بي فاتمنى ان تصدمني سيارة صغيرة لافيق بعدها واجد بجانبي فتاة جميلة تمسح جبيني وشفتي بأناملها . في تلك الليلة وانا اغمض عيني على صورة وجهها احسست بأن ما كنت اعتقده خيالا يمكن ان يصبح حقيقة ، ولم اتعب نفسي في معرفة نوع هذه الحقيقة، وادركت بعدها انها اقدس واصدق علاقة بين الانسان واخيه .

هزتني المرضة :

ـ انت تبكي ؟!

ان المثل التي اعتنقتها .. وجعلتها طريقا لي في هذه الحياة تحتضر بين يدي دون ان اصنع لها شيئا . تذكرت قول صديق لي .. عليك ان تعيش ، ان تسبح ، ولا تجلس على الشاطىء ترقب السابحين وتنتقدهم، فلعل احدا يدفعك من ورائك .. ولا بأس ان تسبح مع ذلك وان تصمد ، حتى ولو احسست بملوحة المياه الداخلة الى فمك . هذه الكلمات جعلتني أؤمن ان كل ما ادخره لهذه الحياة لا يمكن ان يعطيني الحياة ، وايقنت ان ما تعلمته من الكتب وما وجدته بذورا صغيرة في نفسي لا يمكن ان يقاوم ويقف امام ما يريده الناس ، الواحد منهم يظل لابسا ثياب الاخلاق ، يتزين بها ، واذ تصبح الاخلاق حقيقة يفر منها ، ويبدل ثيابه ..

عندما لمحت المرضة الصورة بين يدي ، حاولت ان تسترق النظر اليها . قالت :

ـ هل تحبها ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يدوم النصر للمغتصب

ايقظت روح الاسى في شاعر ... نكبة حلت بقومي النجب
فانثنى يبكي زمانا غابرا ... يوم كان المجد ملك العرب
عصف الخلق بهم فاصطرعوا ... واضاعوا عمرهم في لعب
اشبهوا الشمس علاء وسنى ... وجلال الحق عبر الشهب
وعبيد السوط كانوا هزأة ... للبرايا من قديم الحقب
ما عدا مما بدا حتى غدوا ... في ديار العرب اصل النوب
احرزوا بالخبث نصرا عاجلا ... ورمونا بالمقيم المنصب
واستباحوا القدس في اقداسها ... لم يراعوا عهد عيسى والنبي
فظعوا تفظيعهم في امة ... حرة المحسر مجلي الادب
مثلة لم يسمع الدهر بها ... ومآس صدعت قلب الابي
لاجىء يدفع فيها لاجئا ... وجريح هائم في سبب
وشهيد جاد ارضيها دما ... قد رشته ماضيات القضب
ولطيم ضائع في فدفد ... ويتيم فاقد عطف الاب
فاسكب الدمع على ارواحهم ... وابعث الشعر انينا وانحب
وبنو اسريل في اعيادهم ... تملأ الدنيا بعنف الصخب
يا بني صهيون لا تستكبروا ... نصركم زور الى منقلب
سوف نجليكم عن الدار غدا ... لا يدوم النصر للمغتصب

لاباز ـ بوليفيا — جورج كعدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كيف عرفت ؟ انني لم احك لها عن شيء خاص . نظرت اليها . هممت بطردها ، ولكنني تخاذلت . ماذا تعرف عن الحياة غير امتصاص نظرات المرضى من الشبان ، وسلب كلمات عذبة من افواههم ترضي بها انوثتها الهرمة ! قالت بعد ان قرأت في عيني كل شيء :

ـ لاول مرة أرى رجلا يبكي ..

خجلت ، على الرغم من انني اعرف انها كاذبة . واخفيت الصورة تحت الوسادة وضممت كفي على وجهي . ماذا اقول لها . انني لا ابكي . وهذه الدموع التي تبلل شفتي ! لم اشعر ان عيني تسقطان دمعا .. فشفتاي هما اللتان تبكيان . ومن الارض خرج صوت ثخين يهتف : « لن تكون لك ، فانت لا تمتلك شيئا وغيرك يمتلك » .

ودارت مروحة السقف تنشر اصواتا كريهة « يا واهم .. انت لا تمتلك شيئا » وتشققت الجدران ، سقط الستار ، تكسر زجاج النافذة امتلأت الغرفة صخبا « انت مريض .. انت واهم .. اين وقودك ؟ الحياة تريد الوقود وانت لا تمتلك شيئا » .

كيف اتصورها بين احضان رجل اخر ! هذا بيع ، والانسان اقدس من كل الاوزان ، اقدس من كل بائع. قلت للمرضة اريد ابعادها عني بعد ان جلست على حافة السرير :

ـ لعل احد المرضى بحاجة اليك .

اجابت وقد تشنجت اعصابها :

ـ اخترتك من بين كل المرضى .. وانت الان تطردني !

قلت بعصبية زائدة :

ـ ولم اخترتني انا ؟ ان وجهك يذكرني بصمت الطبيب الكريه ... كل المرضى يعرفون انك تلازمينني.

بدت وكأنها تغالب البكاء :

ـ وجهك يذكرني برجل كنت احبه ..

نهضت بتثاقل .. نظرت الي طويلا ، ورأيت دموعها تبلل شفتيها القرمزيتين ، وقبل ان تنسحب من الغرفة قالت لي بصوت مكبوت :

ـ استرح الان قليلا ..

غمرت رأسي باللحاف اريد النوم، وغرقت في ذكريات سعيدة . وعندما افقت، كانت الساعة الواحدة تقريبا ، فقفزت الى لوحة المريض المعلقة على حافة السرير وانتزعت اوراقها وقلبتها بسرعة ، فلم اعثر على خط جديد فيها . ضغطت باصبعي زر الجرس طويلا الى ان اندفعت المرضة عبر الباب ، فتصنعت الهدوء وانا ارى وجهها الشاحب :

ـ هل خرج الطبيب ؟

ـ خرج منذ ربع الساعة .

ـ وانا ؟

ـ يمكنك ان تخرج الان ..

حلب — جهاد الكاتب



الدكتور محمد رجب البيومي

فحول البلاغة عند البكري

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

اراد السيد ان يقدم للقراء مختارات جيدة مما قرأ في الشعر العربي ، فكان العصر العباسي مجال اختياره ، فانتقى من بين اعلامه ثمانية قال انهم من فحول الشعراء وائمة البلاغة وامراء الكلام ، وهم مسلم بن الوليد وابو نواس وابو تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والمتنبي والمعري شاعرا وناثرا ، ثم اصطفى ما راقه من آثارهم ، وشرح ما احتاج الى شرح في رأيه ، وجعل من ذلك كله كتابه المسمى بفحول البلاغة ، وقد قال في مقدمته بعد ان ذكر اسماء من رضي عنهم من الشعراء .

« وقد جعلنا في اثناء هذا الكتاب اشياء من ملح ما اخترناه لغير اولئك الفحول من الشعراء المحدثين فأصبح الكتاب بحمد الله خزانة جمع فيها كل معنى مخترع ولقط شريف وقافية بليغة وكان مثله في كتب الادب مثل النقطة الواحدة من العطر فهي وان صغر حجمها محصل جملة كثيرة من الزهر ! »

ولكي ننصف هذا الكتاب يجب ان ننظر الى ظروفه وبيئته ، والوقت الذي استغرقه السيد في جمعه وشرحه ، وقدرات المؤلف العقلية حين خرج على الناس بكتابه ، لان مراعاة ذلك تكفيه بعض النقد المتشدد ، وتضعه موضعه العادل دون تحيف وانتقاص !

لقد تولى المؤلف مشيخة الطرق في الثانية والعشرين وكان حديث العهد باجازة الشيخ الانبابي العلمية ، ونظر فوجد الاضواء تتسلط عليه بما نال من اوسمة والقاب ، وكان في نفسه طموح وتطلع فعمل بعد اشهر قليلة على تأليف المجمع اللغوي الاول ، وتقدم اليه بثلاثة من البحوث اللغوية والادبية افرغ فيها جهده وطاقته ، حتى وطد مكانته الادبية في عيون الناس لتساوق مكانته الرسمية في عالم المناصب والالقاب ، واذا كان المجمع قد انهى جلساته في اوائل عام ١٨٩٣ فان السيد قد والى البحث الادبي يحثه شغفه بالدراسة وتقوده موهبته الفكرية حتى خرج على الناس في منتصف عام ١٨٩٥ بكتابين ادبيين هما اراجيز العرب وفحول البلاغة ! ومعنى ذلك انه جمع الكتابين وشرحهما معا في اقل من عامين ونصف ! واذا كان شرح الاراجيز يتطلب من دقيق البحث ، وجميل الصبر وقوة الجلد على مشاق العويص الحوشي من القول والنافر المستوعر من الاسلوب فان ما بذل فيه من الوقت يعدل اضعاف ما بذل في فحول البلاغة بحيث يجوز لنا ان نحكم في اطمئنان ان ربع الزمن الذي حددناه لتأليف الكتابين كان من نصيب فحول البلاغة اما الجزء الاعظم فقد ادخر للاراجيز !

وقد كان استقبال النقد لكتاب الفحول ارق بشاشة واعظم ثناء ، واطيب حديثا ، اما الاراجيز فقد تعاورتها السهام من جهات كثيرة ، على اني وقعت من كتاب الاراجيز في حيرة ، فقد قرأته قبل ان اقرأ فصول ناقديه ، فكونت فيه رأيا رأيته الصواب ، ثم عمدت الى ما كتبه عنه الاستاذ المويلحي فرأيت من توارد الخواطر ما يدل على وقوع الحافر على الحافر كما يقال ، وقد آثرت ان اترك للرجل ما قال وان اعرض رأيه مكتفيا بالتعليق ، كيلا يظن احد اني سطوت على آرائه ، وهي تضحية تجرعتها صابرا وادخرها عند الله !

اما كتاب الفحول فلم ار من تعرض اليه بتحليل مسهب ، لذلك حمدت الله ان خلا لي الجو فأقول ما اريد دون ايجاس .

يرى القارىء ان السيد قد اغفل بشارا في اختياره وكان الظن بمن اختار اشعار مسلم وابي نواس الا يهمل اول الثلاثة ، فاذا كان قد تركه لان ديوانه اذ ذاك لم يكن رأى النور ، فان دواوين ابن الرومي والبحتري وابي تمام ومسلم كانت كذلك في سنة ١٨٩٥ وهي السنة التي ظهر فيها فحول البلاغة لم تعرف المطبعة ، وانما اختار السيد لهم مما حوته كتب الادب ، وامهات المصادر القديمة ، واغفال بشار لدى من يعرف اسباب التفضيل الادبي عند السيد مستغرب عجيب ولا كذلك ابو العتاهية ، فبشار قوي الجرس حسن التشبيه رصين الاسلوب ، وذلك ما يعجب به المؤلف ، اما ابو العتاهية فان سهولته وانقباضه النفسي ويسر حديثه في اكثر

ما نظم مما لا يدفع السيد الى الترحيب به ! فاهمال بشار في كتاب يصطفي المشاهير من فحول البلاغة في العصر العباسي مما يلفت النظر ، وكنت ارجح ان يختار السيد كذلك نماذج من اشعار الشريف الرضي يضعها بين ما اختير للمتنبي وابي العلاء ، فالشريف مع كثرة اغراضه ورقة وجدانه ورصانة اسلوبه ، يجتمع مع السيد في اواصر النسب العلوي من ناحية الام ، وقد ترجم له ترجمة مادحة في (بيت الصديق) فاغفال اختياره في كتاب الفحول كذلك امر عجيب ! على ان في الاهتمام بالمشاهير واغفال الاغمار استقراطية تنزه عنها ابو تمام والبحتري في حماسيتهما ، وكان على السيد ان يحذو حذوهما اذ ان الفضل لا يقتصر على افراد دون افراد .

ولم يختر السيد من البيان النثري الا لابي العلاء وحده فقد افرد لنثره نحو تسعين صفحة من كتاب الفحول ، وهو امر اشد غرابة ، لان المظنون بالبكري ان يختار لامثال ابن العميد والخوارزمي والهمذاني والصاحب والحريري ممن ينهج نهجهم في اسلوبه الادبي ! اما ان يكون ابو العلاء وحده صاحب الحظوة برسائله الخمس التي قدمها السيد فمما يدل على انه كان من الحرص على ظهور الكتاب في وقت عاجل بحيث لم ينبسط له وقت كاف لدراسة نماذج هؤلاء واختيار ما يروق ! ولسنا نعني بذلك انه لم يطلع على روائعهم قبل اصدار الفحول ، فان اسلوبه الكتابي ينبىء عن انه تملأ من آثارهم تملؤا كبيرا ، ولكن القراءة للاستفادة والاحتذاء غير القراءة للترشيح والانتخاب ! على ان ما اختاره للمعري ليس من اجود ما كتب ابو العلاء معنى وموضوعا، فالرسالتان الاوليان مدح مفرق لوزير يتجر بالمؤامرات السياسية وهو ابو القاسم المغربي وقد وصفه مؤرخوه بالحقد والكيد والعقوق وقال عنه ابن القارح في نقد مقذع « كم دم سفك وحريم انتهك ، وحرة ارمل وصبي ايتم ، سلب الكعبة ذهبها وفضتها ، وانهب العرب الرملة وخرب بغداد (١) » ولكنه في رسائل ابي العلاء المختارة صاحب الشرف الذي لا يتطاول والمجد الذي لا ينال ، وقد اقام بمعرة النعمان زمانا ثم رحل فكانت بعد رحيله « كقسيمة الوسيمة ذهب عطرها وبقي نشرها ، وانما شرفت على ما سواها ، وطالت عن البلاد دون ما والاها لاقامته بها في تلك الايام ، وانامته عن اهلها نواظر ازام فعرفت عند ذلك به وانما المنازل التي ينزلها كالشهب الشآمية واليمانية ، الموفية على العشرين بثمانية نزل بها الزبرقان فاشتهرت ، ونسبت العرب اليها كل سحابة امطرت .. ولقد سمونا بمجاورته قبل مجاورته سمو اليثربي بجوار النبي (٢) .. الخ »

والرسائل الثلاث الاخريات تنحو هذا المنحى من الاغراق والاغراب حتى ان المعري قد اضطر في الرسالة الخامسة ان يعتذر عن مبالغته في الثناء المغرق حين لامه في ذلك مراسله فذكر انه يمدح من صاحبه فلا بد ان يقابل المدح بأمداح « واما الفصل في ترتيب الخطاب فلا غرو لمن نزل الي درجات ان ارتفع اليه درجة ، ولمن سلك نحوي الشبهات ان اسلك نحوه المحجة ، وذلك فعل مدل ، وجهد مقل ، فانا حينئذ كمن قام ليتلقى الغمام شوقا الى عذب ماء قطع اليه ما بين الارض والسماء (٣) واذا كان لا بد في راي السيد من الاختيار النثري لابي العلاء فأحر به ان يختار من رسالة الغفران وقد كانت اذ ذاك ذائعة الصيت مشهورة طبعها اليازجي وقدم لها اما ان تكون هذه الرسائل الخمس وحدها هي كل ما اختاره المصنف من النثر الادبي فأمر جانبه التوفيق ، ولعل هذه المختارات النثرية بالذات هي التي دفعت الاستاذ المويلحي ان يقول عن فحول البلاغة في خاتمة نقده للاراجيز :

« وقد تسلى المقتطف عن هذا الكتاب عند كلامه عليه بكتاب فحول البلاغة للمؤلف نفسه، اما نحن فقد عزتنا هذه التسلية وفقدناها لان الكتاب المذكور لم يبق له اثر في ايدي الناس فقد اعدم بعد وجوده (٤) » وهو قول لا يخلو من الشطط ، فالكتاب لم يعدم ولكنه ذاع وازدهر .

اما ترتيب الشعراء في الفحول فالنظرة الاولى توحي بأن المؤلف قد راعى الترتيب الزمني في التقديم والتأخير، ولكن الذي يعلم ان مسلم بن الوليد قد مات بعد ابي نواس وان ابن الرومي قد مات بعد ابي تمام يرى ان يجيء بالترتيب الزمني هكذا : ابو نواس فمسلم فأبو تمام فابن الرومي فالبحتري فابن المعتز فالمتنبي فأبو العلاء ! ولكن السيد قدم مسلما على ابن هانىء والبحتري على ابن الرومي مخالفا بذلك منطق الزمن ! وهذه مسألة ليست جوهرية ولكن الاشارة اليها تفيد اما المسألة الجوهرية حقا فهي اهتمام المؤلف في اختياره بما يحفل بالصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية ، حتى ليسقط من الابيات المتماسكة ذات الغرض الواحد بيتا او ابياتا تخلو من الوان البيان غير عابىء بترابط المعاني، وتسلسل الافكار ، وقد تكون القصيدة جيدة فلا يختار منها غير بيت او بيتين يظهر فيهما التشبيه بوضوح ودليلنا على ذلك اختياره هذه الابيات منفردة دون نظر الى صلتها بقصائدها :

وعجت بأعناق المطى كأنها	هياكل رهبان عليها الصوامع ص ١٠١
وجاءت به أم من السود أنجبت	كليلة سر أنجبت بهلال ص ١٠١
لا يعجبن مضيما حسن بزته	وهل يروق دفينا جودة الكفن ص ١١٦
سقاك وحيانا بك الله انما على العيس نور والخدود كمائمه ص ١١٩	
حتى بدا الفجر به حمرة	كصارم غير منه الدم ص ١٥٢

اما اختياره البيتين فقط لذات التشبيه فما اكثره ومنه :

ولي صارم فيه المنايا كوامن ... فما ينتضي الا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفرند كانه ... بقية غيم رق دون سماء ص ٩٢
وعاط اخاك عاتقه ... بقار المدن مشتمله
تراها حين تبز لها ... كجمر الدن مشتعله ص ٩٠
وفتيان سروا والليل داج ... وضوء الصبح متهم الطلوع
كان بزاتهم امراء جيش ... على اكتافهم صدأ الدروع ص ٩١
فدونكه موشي نمنمته ... وحاكته الانامل اي حوك
يشكل يؤمن الاشكال فيه ... كان سطوره اغصان شوك ص ٩٧
وسيوف كانها حين سلت ... ورق هزه سقوط قطار
ودروع كانها شمط جعد ... دهين تفل فيه المدارى ص١٠٥
والبرق يخطف من خلال سحابه ... خطف الفؤاد لموعد من زائر
والغيث منهل يسح كانه ... دمع المودع اثر الف سائر ص١٠٧

وتتبع ذلك مما تضيق به الصفحات ، وهو يدل على ان الصور البيانية في نظر السيد ذات تقدير كبير ترتفع القصيدة بها او تنخفض لامتناعها ، واذا كانت الصور البيانية مما يبرز الانفعال العاطفي ، ويسعف الشاعر بنقل خواطره نقلا حارا يلمس موضع التأثير من قارئه فانها لا تؤدي رسالتها الشعرية اذا انفصلت هكذا عن سياقها ، وقدمت للقراء مبتورة وكأنها قصدت لذاتها كتطبيق بلاغي مجرد ! ونحن نرحب بالاستشهاد بالبيت المفرد او البيتين اذا دل كلاهما على حكمة صادقة او ذهب مذهب المثل في الاستدلال اما ان نختار للشاعر بيتا واحدا من قصيدة لانه يحمل تشبيها حسيا قد يكون من المكرر المعاد فهذا ما لا يجوز ان يكون في كتاب يجمع المختارات الشعرية ، وقد يهون هذا الابتسار المخل في المصنفات الخاصة بعلوم المعاني والبيان والبديع ولكنه في كتب النصوص الادبية جلل خطير !

على ان غرام السيد بهذه الالوان البلاغية يجعله في كثير من الاحيان يختصر القول قبل تمامه فتبدو المقطوعة كقصة ذات فصلين لم يعرض منها غير فصل واحد بل يأتي لحادثة خاصة حرص الشاعر على استيعابها وبيان نتائجها فيكتفي منها بما يحير القارىء ويتركه متسائلا عن شيء يفتقده ولا يدريه ! وكأنه ظامىء نزع الكوب من فمه فجأة دون ان يبلغ مأربه من الري، فهو يتطلع الى الماء المنتزع متلهفا الى معاودة الارتشاف ، لقد رأى ان يعرض وصف البحتري للذئب فاكتفى بقوله ص ٤٧ :

واطلس ملء العين يحمل زوره ... واضلاعه من جانبيه شوى نهد
له ذنب مثل الرشاء يجره ... ومتن كمتن القوس اعوج منآد
طواه الطوى حتى استمر مريره ... فما فيه الا العظم والروح والجلد
يقضقض عصلا في اسرتها الردى ... كقضقضة المقرور ارعده البرد
سما بي وبي من شدة الجوع ما به ... ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد
كلانا به ذئب يحدث نفسه ... بصاحبه والجد يتعسه الجد
عوى ثم اقعى فارتجزت فهجته ... فاقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فاوجزته خرقاء اضللت نصلها ... بحيث يكون اللب والرعد والحقد

يكتفي السيد بهذه الابيات ويترك الذئب ليحير القارىء فيما كان ، ولعله اراد ان يضطره الى مراجعة ديوان البحتري ليقف على ما جاء بعد ذلك من قوله :

فخر وقد اوردته منهل الردى ... على ظما لو انه عذب المورد
وقمت فجمعت الحصى فاشتويته ... عليه وللرمضاء من تحته وقد
ونلت خميسا منه ثم تركته ... وأقلعت عنه وهو منفغر فرد

وهذا مثال من امثلة تتخايل للقارىء في كثير من صفحات الكتاب ، ومنها ما يحار القارىء في تعليله فالسيد مثلا ينقل من نسيب المتنبي هذين البيتين ص١١٢

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي
حلت دون المزار فاليوم لو زرت ... لحال النحول دون العناق

ويترك بينهما هذا البيت الطريف :

انت منا فتنت نفسك لكنك ... عوفيت من ضنى واشتياق

وانا اسأل نفسي ايهما اولى بالذكر البيت المسطور « حلت دون المزار » على ذيوع معناه واستحالة وجوده ام البيت المتروك ومعناه الطريف ان المعشوقة ايضا من العشاق لكنها تعشق نفسها لا احدا غيرها ولذلك عوفيت من ضنى الحب وبرح الاشتياق ! ولكن السيد لم يرقه هذا المعنى فأسقطه وانتقل الى سواه ! ثم اتابع الكتاب فأرى نماذج كثيرة لاسقاط الجيد واختيار الضعيف فأحسب ان اختلاف الاذواق بين الناس هو الذي ملأ امهات المصادر الادبية بما لم نكن نأسى على فقده لو تبدد في زوايا النسيان .

اما شرح الابيات فلم يمض على منهج مجدد يوضح المشكل من كل بيت او يفسر الغامض من كل لفظ ، ولكن السيد في كثير مما كتبه يشرح ما يروق له وان كان واضحا ، ويغفل ما لا يروق وان كان غامضا ، وقد يوالي ابياتا كثيرة تتضمن العويص دون ان يشير الى شيء منه ، والعجيب حقا ان يكون البيت الواحد يتضمن لفظتين احداهما واضحة والاخرى غامضة فيشرح الواضح ويترك الغامض ، فاذا قال مسلم ص٧ في وصف المفازة :

عزوف بانفاس الرياح ابية ... على الركب تستعصى على كل جلعد

شرح السيد معنى كلمة عزوف وترك كلمة جلعد .

واذا قال بعد ذلك ص ٨

تناولت اقصاها اليك ودونه ... مقص لاعناق النجاء العمرد

شرح السيد كلمة مقص وترك كلمة العمرد .

واذا قال ابو نواس ص ٣ ٢ :

تخب بنا ادم المهارى وشيمها ... على كل نشز متلئب وفدفد

شرح السيد النشز والفدفد وترك كلمة متلئب .

واذا قال البحتري في وصف الذئب ص ٤٧ :

يقضقض عصلا في اسرتها الردى ... كقضقضة المقرور ارعده البرد

شرح السيد المقرور وترك اسرتها .

وهكذا يغفل الغامض دون اكتراث .

اما قصور الشرح عن ايفاء المراد فكثير ، نذكر منه على سبيل المثال قول مسلم في وصف الخمر ص٥ :

معتقة لا تشتكي وطء عاصر ... حرورية في جوفها دمها يغلي

فقد قال السيد «وقوله حرورية شبهها في الشجاعة برجل حروري يغلي دمه ليفور » اما من هو الحروري والى اي الطوائف ينتسب وما اصل التسمية فذلك ما

لا تجده .

ومن امثلة القصور كذلك قوله في شرح هذا البيت ص ١١ عن الناقة :

شدنية رعت الحمى فاتت ملء الحبال كانها قصر

فقد قال : الشدنيات من النوق منسوبة الى موضع باليمن ، وتشبيه الناقة بالقصر قديم قال عنترة :

فوقفت فيها ناقتي وكانها فدن لاقضي حاجة المتلوم

والفدن القصر .

ولم يكن المعنى في حاجة الى الاستشهاد ببيت عنترة قدر احتياجه الى شرح عبارة رعت الحمى اذ يترتب عليها ما بعدها من قول الشاعر فاتت ملء الحبال ومعنى هذه العبارة ان الناقة رعت ما يحمى من العشب الناضر ويمتنع على غيرها حتى ضخمت وسمنت فكانت ملء الحبال ، وبدون هذا الايضاح لا يتم المعنى ومن الاقتضاب المخل شرح هذين البيتين لابي تمام ص ٢٧ :

لا غرو ان فنان من عيدانه لقيا حماما للبرية آكلا
ان الاشاء اذا اصاب مشذب منه اتمهل ذرى واث اسافلا

فقد قال السيد ما نصه : « يقول ان مات ابنك فسيزيد نسلك كالنخل الذي اذا شذب وقطع منه طال وكثرت فروعه » هذا ما قال ، وقد ترك القاريء حائرا في معنى اتمهل واث واضرابهما واذا كان الضد يذكر بالضد فان هذا الاقتضاب المحير قد ذكرني بما ذكره السيد في شرح قول ابي الطيب ص ١٣٩ :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فقد قال الشارح : شعوب من اسماء المنية يقول : لولا الموت ما كان للشجاعة والصبر ونحوهما فضل وذلك لو ان الناس امنوا الموت ما كان للشجاع فضل على الجبان لانه قد ايقن بالخلود وكذلك كل الاشياء فلولا الموت لما كان لهذا كله فضل على غيره واستوى الشجاع والجبان والصابر والجازع ! » وهذا شرح متكرر لو انقصته الى النصف ما احتاج المعنى الى تكملة ، وكلا التطويل والاقتضاب لا يخلو من اعتراض وقد يلتمس بعض العذر فيما تقدم من امثلة لترك الغامض في الشرح وقصور التفسير عن الاستيفاء ، ولكن ما في الكتاب من الخطأ الصريح في المعاني يتصعب معه وجه المعذر ، ومن امثلة ذلك ما جاء في شرح قول مسلم ص ٥ عن السفينة :

فما بلغت حتى الطلاح خفيرها وحتى اتت لون اللحاء من القشر

فقد رواه السيد هكذا :

فما بلغت حتى اطلاح خفيرها وحتى اتت لون اللحاء من القشر

ثم قال في شرحه «يريد ما وصلت حتى كل خفيرها اي حافظها ومل من التعب وحتى اتت اي صارت واللحاء القشر الرقيق الذي دون القشر الغليظ ونصرف النظر عن ركاكة التعبير في قوله القشر الرقيق الذي دون القشر الغليظ لنقول ان معنى البيت هو لقد انهت السفينة رحلتها وهي متعبة منهوكة حتى صار الطلاح حافظها وحارسها وقد تغيرت الطبقة الاولى من لونها بما ذهب من قشرها ، وذلك ما لا يفهم من شرح السيد.

وقال ابو مسلم ايضا في القصيدة نفسها ص ٤ :

تخلج عن وجه الحباب كما انثنت مخباة من كسر بيت الى كسر

فقال السيد تخلج ان تنتحي عن مواضع الحجارة في البحر لئلا تصاب كما تنحت جارية من كسر ستر الى ستر وانا اسأل ما الذي جاء بمواضع الحجارة في البيت والشاعر يقول تخلج عن وجه الحباب قاصدا لطمات الموج ! لقد اختلط على السيد معنى هذا البيت بما قبله من قول مسلم :

تجافى بها النوتي حتى كانما يسير من الاشفاق في جبل وعر

اذ ان النوتي يتجافى بالسفينة عن مواضع الحجارة في البحر حتى كانه يسير في جبل وعر ! فنقل مواضع الحجارة من بيت الى بيت ـ كما فعل الشارح ـ لا يستقيم .

وقال مسلم ايضا ص٩ :

فكنت نديم الكاس حتى اذا انفقت تعوضت منها ريق حوراء عيطل

وقال السيد العيطل الخالية من الحلى ، وكتب اللغة تقول العيطل الخالية من الحلى حقا ولكنها تقول ايضا انها الطويلة العنق في حسن فأي المعنيين اقرب الى السياق والشاعر في مقام الغزل والثناء ! ان هذا يذكرني بشرح السيد لقول ابي نواس عن الناقة ص١٢ :

وتسف احيانا فتحسبها مترسما يقتاده اثر

فقد قال تسف اي تشدد النظر وتحده ، والذي اراه ان تسف هنا معناها تخفض رأسها الى الارض ويؤكد ذلك قوله فتحسبها مترسما يقتاده اثر اذ المترسم يتتبع مواقع الاثر في الارض ولا يشدد نظره الى اي مكان ! وآفة بعض الشراح ان يلتقطوا بعض المعاني التقاطا من المعاجم دون ترجيح ما يوحيه السياق .

هذه بعض مآخذ تعمدت ان اجمعها من الصفحات الاولى من الكتاب ونظائرها كثيرة تدل على تسرع المؤلف وتعجله وما كان احراه بالتأني والاستبصار !!

اما ما يحمد للمؤلف دون جدال فهو ذكره لابيات مماثلة تتفق في المعنى المختار او تشير الى ناحية منه مما قال شعراء العربية في شتى العصور ، وكانه بذلك يفسح مجال الموازنة لمن يريد ، وهو لا يقتصر على ابيات الشعراء بل يأتي بطرائف نثرية مناسبة او نكتات ادبية وقد دل ذلك على سعة اطلاعه وحسن تذوقه كما جعل كتاب الفحول شائقا يؤنس القارىء ويسليه ، وذلك ما افتقده الناقدون في الاراجيز !

ومهما يكن من شيء فقد احسن السيد في اكثر ما اختار ، واذا كنا نرى الان ان مختاراته العباسية في

(١) رسالة ابن القارح الى ابي العلاء ص ٥٣ من رسالة الغفران شرح كامل كيلاني ط ٣ . (٢) فحول البلاغة ص ٢٠٥ . (٣) فحول البلاغة ص ٢٧٧ . (٤) المقتطف المجلد ١٩ سنة ١٨٩٥ .

صمت

ذلك الصمت الذي يملأ ايامي خواءا
فيطن الرجع في جنبي عدما وفناءا
هو وحش ناشب الاظفار في صدري المزق
هو عقم يلد اليأس وشوق يتحرق
اي سور بيننا يمتد في الافق ويعلو
شاده الصمت .. وكابوس على الكون يظل
هو شيطان له في الف كف الف اصبع
كلها تمتد نحوي في الدجى والليل اسفع
ملء قلبي منه رعب غير اني لا اريم
مطلق ساقي للريح ولكني مقيم
صرخة بكماء لا تسمع قد اطلقتها
ودموع يابسات ليتني امسكتها
اينما وليت قام الصمت في وجهي جدارا
ضاربا من عزلة جدباء من حولي حصارا
حاجبا عن ناظري النور بأستار الظلام
قاذفا من لجة الشك على الشط حطامي
قد كفى ان المسافات نأت واشتد بيني
لم تعد الا بأطياف الرؤى تسعد عيني
ما لسور الصمت يمتد حجابا بيننا
مرخيا اسدافه دون بقيات السنى
صيحة.. وانهار ما شادت من الصخر ثمود
اين مني اختها تهدم اسوار الجمود
فتوافي من وراء الغيب انغام رقيقة
تسبح الروح على امواجها نحو الحقيقة
ايها اللحن الذي قاد الى حظي خطاي
يا شعاعا بددت انواره عني دجاي
لا تدع للصمت ان يحجبني عنك ويمنع
فانا لم اشاهدك واسمعك مضيع

الجزائر — جمال مرسي بدر

اكثرها من الذيوع والتداول بحيث لا تدل على جهد ، فانها حين صدور الكتاب كانت تتطلب البحث والتنقيب، وخصوصا ان مختارات البارودي بأجزائها الاربعة لم تكن طبعت بعد ، فقد يتطرق الي الوهم ان السيد قد استعان بالبارودي اذ ان جل ما بفحول البلاغة قد ذكر في مختارات الشاعر الكبير والحقيقة غير ذلك لان طابع المختارات البارودية يذكر ان البارودي قد بدأ في الاختيار سنة ١٣١٨ هـ واتمه سنة ١٣٢١ اما اتمام الطبع فقد كان سنة ١٣٢٩ واذا كان فحول البلاغة قد ظهر سنة ١٣١٧ فان من المحتمل ان يكون البارودي قد قرأه في منفاه . ولا يمكن بحال ان نقيس جهد البكري في الفحول بجهد البارودي في المختارات الا اذا قيس الجدول بالمحيط ! على ان البارودي قد صنف الكتاب ابوابا وفق الاغراض، فجاءت مختاراته مرتبة مبوبة ، وتلك ميزة لا يشينها تفرق القصيدة الواحدة في عدة فصول لأنها قابلة للتجزئة في ذاتها لانصراف اكثر شعراء العربية عن الوحدة العضوية التي يراها النقد الان شيئا لا محيص عنه في العمل الفني ، واذا اخذ على البكري عدم الاهتمام بالتبويب والترتيب ، فقد اخذ عليه عدم التمهيد للقصيدة بما يبين مناسبتها ويساعد على تفهم جوها ، واذا كان السيد قد قدم فحول البلاغة مباهيا به في مقدمته فانه بعد مرور اكثر من عشرة اعوام قد قلل من نظرته اليه ، اذ قال في بيت الصديق ص ١٨ انه وضعه للناشئة من الطلاب ، وهذا شبه اعتذار عما بفحول البلاغة من تقصير لان الكتاب الذي يوضع للناشئة لاتذكر فيه ابيات صارخة عن اعضاء التناسل كما في ص ٧٨ ، ولا تدون به هجاء ابن الرومي الفاحشُ المسف لبوران كما في ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ولا يذكر به ما بعد هذا البيت ص ١٠٦ :

كان الشمس يوم الفيم لحظ مريض مدنف من خلف ستر تحاول

ولا ما بعد هذا البيت ص ٨٢ :

يحب المديح ابو خالد ويفرق من صلة المادح كبكر

فكل ذلك مما لا يقال في كتب الطلاب .

ولكن السيد بعد ان اتسع افقه وعمقت دراسته نظر الى كتابه نظرة واقعية فرآه مما يصلح للناشئة ، ولو كان هذا رأيه عند تأليف لاشار اليه ، في مقدمته ، وهذا يؤكد ما سبق ان اشرنا اليه في مفتتح هذا الفصل من ضرورة تقدير الملابسات الزمنية للمؤلف والكتاب عند الحكم على اي اثر ادبي يقدم للنقاد هذا وقد كثرت بالفحول الاراجيز العباسية ، ولا ندري لماذا لم يلحقها المؤلف بكتابه « اراجيز العرب » لتلطف من خشونته وترقق من اهابه ، اذ ان اراجيز ابي تمام والبحتري وابي نواس وابن الرومي غير اراجيز رؤبة والعجاج وذي الرمة! لا سيما وعنوان الكتاب « اراجيز العرب » مما يصلح ان تندرج تحته كل ارجوزة عربية ، وان قالها المستعربون في العصر الحديث ، ويخيل الي ان السيد كان يريد اراجيز الاعراب لا العرب فقصر اختياره في الكتاب على اشباه رؤبة وابيه العجاج ! ومع كل ما نقد به كتاب الفحول فهو مرآة ذوق ادبي ، ووسيلة تطلع وطموح وآية شغف بالغ بالادب والادباء وقديما قيل :

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اللبيب اختياره

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يوسف عبد المسيح ثروة

مسرح برنارد شو والجنس الاخر

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

هذا كاتب ملأ الدنيا وشغل الناس ، ويكفي ان نقول انه يعرف بالبلاد الناطقة بالانكليزية بـ (ج. ب. اس) لنعرف مدى انتشار صيته وذيوع اسمه ، ولهذا فمن نافلة القول ان نتحدث عن مكانة شو .. وقد قتلت شخصيته وكتبه بحثا وتنقيبا ، حتى في بلادنا العربية ، التي كانت دائما في آخر الركب من حيث الاطلاع على مصادر الادب العالمي وعيونه وشواهدنا على ذلك ، ولا سيما ، في الثلث الاول من هذا القرن ، بل في الثلث الثاني منه ايضا ، اكثر من ان تحصى وهل ادل على ذلك اننا لم نترجم من بدائع الدراما الاغريقية الا القليل النزر ، ومتى كان ذلك ؟ أمن المعقول ـ ان نصدق ـ ان ذلك لم يكن ـ باستثناء ترجمات الدكتور طه حسين ـ الا قبل سنوات قلائل ..

لكن الامر الذي سنعنى به عناية خاصة هو انسانية شو ومدى تفهمه لمشكلات العصر وصلة هذه المشكلات بالمرأة من حيث كونها قوة هائلة في صياغة مستقبل الجنس البشري باسره ، ولهذا السبب بعينه كان شو يحرص كل الحرص على ان يقرب المرأة ـ جهد المستطاع ـ وهي البعيدة هذا البعد كله ـ يقربها من معترك الحياة ، بتضاريسها الاقتصادية والسياسية وبمنحدراتها ووهادها ، ومرتفعاتها ونجودها ، وهذا ما نراه على اوضح ما يكون من دلالة في كتابه النفيس « دليل المرأة الذكية الى الاشتراكية والسوفيتية والفاشية » وهذه محاولة جديدة وجدية من شو على عرض قضايا الساعة وما يتصل بها من تيارات باسلوب مبسط جذاب مفهوم ، لكي يكون مفهوما حتى على ربة البيت .. التي تكره القراءة عادة .. ومن هذه الطريق تسهم المرأة اسهاما يعدل اسهام الرجل في تصريف شؤون السياسة وشؤون الحياة باكملها بصورة فريدة في تاريخ المجتمع ، لان المرأة لاول مرة يكون لها الحق في ان تصبح انسانا حرا ، او هو في طريقه الى التحرر . بعد ان كانت متعة واناء وبضاعة لها سوق ولها بائعون وشارون وسماسرة محترفون ومن اغرب ما وصل الى علمي في هذا الصدد ، ان المرأة لم يكن يعترف بروحها على اعتبار هذه الروح روحا انسانية الا في القرن السادس عشر ، وفي اوربا المدنية بالذات ..

ومن هذا المنطلق ينبغي ان نفهم عناية شو بالمرأة ، ولما كنا لا نزال نواصل سيرنا في رحاب المسرح ، فلا بد لنا ان نولي اهتمامنا الى شخوص مسرح شو من النساء ، وألا نتطرق الى دراساته الاجتماعية والسياسية الاخرى .. ففي الرحاب الذي نحن فيه كفاية ومع ذلك فلا مفر لنا من ان نمضي قدما فيما نحن ماضون فيه اي ان نتطرق من حين الى آخر الى بعض الملاحظات التي نرى ـ من واجبنا ـ استتماما للبحث التطرق اليها .. فمن ذلك مثلا ان شو كان يحس بمرارة تصرفات والدته ، فيكتم غيظه ، ويسكت على مضض .. وهذا الغيظ ظل مكظوما في سائر مسرحياته .. فلم يصب مرارته على أي من شخوصه الانثوية .. وان كنا نجد عواقب هذه التصرفات في موقفه تجاه الجنس بصورة خاصة .. فهو كان ـ على ما نعلم اقرب الى البتولة منه الى الرجولة بالمعنى المستطرق من الكلمة .. وصلاته في هذا الشان لا تكاد تذكر . بالقياس الى عمره المديد ..

وفي صدد المرأة ودخولها الى عضوية المجتمع الحية ، لا خلاص لنا من ان نذكر رائد المسرح الحديث هنريك ابسن ، الذي كان الاب الروحي ، ولا شك لتلميذه النجيب جورج ب. شو .. فقد فتح الرائد الطرق المحرمة المستعصية على الرائح والغادي بطرفته « بيت الدمية » التي هزت المشاعر هزا عنيفا ، فاذا بالمحافظين يرتجفون هلعا وجزعا ، واذا بالتقدميين يهللون نشوة وطربا ، لانهم وجدوا الاول رجلا جريئا يقول الحق ولا يخاف شيئا غير الحق ، ويقول الصدق بملء فيه وعلى رؤوس الاشهاد .. بعد ان كانت كلمة الصدق والحق والصراحة .. كلمة محرمة ، منبوذة ، مهجورة ، في زاوية ظلماء من زوايا النسيان . في اخدود من الارض عميق . ومن ثم فان رد الفعل الطبيعي لهذا الانزواء والانكماش ، لا بد له ان يكون عنيفا مدويا ، لا يقف شيء قدامه ، لانه قوة عاصفة ، نار مدمرة في غابة يابسة الاشجار ، قتلها الظمأ ، وسلبتها ماء الحياة براكين تتطافر منها الحمم المسعورة .. وهكذا نجد شخوص شو « الميجر بربارة (١) » و « فيفي (٢) » و « كانديدا (٣) » و « رينا (٤) » على شيء من العزم شديد ، ذوات ارادة وشخصية وتأثير ، خصيلتهن المميزة هي العنف ، العنف في التصرفات الآتية واتخاذ القرارات الحاسمة ، في اللحظات المناسبة وغير المناسبة ، وروح التحدي للظروف ، ومبارزتها بكل سلاح وبأي سلاح ، وشو ـ في ذلك ـ يؤكد حرية الانسان وقدرته على تحويل ارادته الى واقع حي ، وامانه الى صيرورة حية .

انه يضع نسوته في مواضعهن الطبيعية ، ولكنه لا يحملهن من القوة والبأس ، ما يجعلهن قادرات على التحدي ، بأسلوب يتغير من مسرحية الى اخرى تبعا للسياق الزمني والاطار المكاني . وحرية الارادة وعوة التصميم تجعلان شخوص شو النسوية طاقات مبدعة تتملك ناصية المسرحية ، اي مسرحية ، فتشد النظارة « الجمهور » اليها شدا متواصلا ، لا هوادة فيه .. حتى تتحول الذروة الى ضد الذروة « المنحدر المسرحي » بقفزة نسوية غريبة مجازفة ، يظهر من عنفها وشدة هزتها انها انهيار لجبل من فتات بركان منهار في قاع يم عميق .. وهذه الحدة في الطبع والفورية في الانجاز والسرعة في اتخاذ القرارات لانجازات فورية اخرى امور ملحوظة بجلاء في المسرحيات التي تناولناها بالبحث ، وهذه هي الناحية العاطفية من مسرح شو الذي تتحكم فيه العواطف بكثرة وشدة وعرامة .. على الضد مما يذهب اليه كثير من النقاد المسرحيين ممن يتهمون مسرح شو بالبرودة والغثاثة . والعواطف هذه ـ على اختلاف ما بينها من درجات ومراتب ، دوائر متوسعة لمركز حيوي واحد هو الجنس . فهل اهتم شو بالجنس ، في عصر تفتحت فيه براعم الجنس ، فكان لها هذا الدوي الهائل في كتابات الكتاب ولا سيما منهم الكاتب الانكليزي صموئيل بطلر مؤلف

« طريق الجسد » باعتراف شو نفسه استاذه في فهم قضايا الجنس ؟ ان الذي يدرس شو ـ من خلال مسرحياته يجده يمر مر الكرام بالجنس انه يحوم احيانا على عتبة غرفة المنام واحيانا يسترق السمع الى بعض ما يقال في هذه الغرفة ، ولكنه ـ مع هذا وذاك ـ لا يتجاسر على تجاوز العتبة خشية العاقبة التي قد تكون وخيمة .

ولهذا يصح لنا ان نقول ان شو بيوريتاني « طهري » على الرغم من ازدرائه بالبيوريتانين وتوجيه كل سهامه اليهم . لانه ان وجد المجال من حين الى اخر الى ان يخوض في حوافي مستنقع الجنس بالطريقة التي خاض فيها د.هـ. لورنس في « عشيق الليدي تشاترلي » كما فعل في « حرفة السيدة وارن » فهو لا يفعل ذلك كله الا بكل تأدب ولياقة وحكمة . واذا ما استطال به الوقت في ذلك المستنقع والزمته الظروف بالتفاعل مع البيئة الآسنة ، فانه ـ بما وهب من موهبة تصريف الكلام وادارته ـ ينبئك بما تستطيع تفهمه من غير فحش في الكلام ، او سوقية حوشية في الاشارة والتلميح والتلويح ، او صفاقة صدوقية ، تتحدث عن الفضيلة في دور الرذيلة بغية استدرار منافع آنية ، او ترويج غرض ذميم ، بصياغة جميلة ، تنفرد بالنفاق والمداهنة ، وهي بالفحشاء والنكر الصق اديما !

ولما كانت الدراما هي عرض الشخوص عرضا يتطابق والفعل المسرحي بالقدرة على اكتساب السمات الحية لتكوين الشخوص ، ولما كانت هذه الشخوص موفورة الحيوية طافحة بالقوة والسيطرة وامتلاك نواحي الامور لدى شو فمن السهل ان نقول ان دراما شو ـ في شخوصها النسوية ـ دراما حية ، اشد ما تكون الحياة حركة وقدرة على ايفاء متطلبات الوجود الانساني .. والسبب الرئيسي في هذه الحيوية ـ على ما ارى ـ هو الصراحة الصارمة الشفافة التي تعرض الاشياء بكل عريها وتسميها باسمائها من غير مواربة او تدليس او مداهنة . فالليدي بريتومارت تكشف عن حقيقة ثروة زوجها ومصدرها بقولها وهي تحدث ابنها ستيفن : « .. لا بد ان يكون والدك غنيا جدا ، لان الحرب مندلعة دائما في ركن من اركان الدنيا . » فالمنتفعون بالموت والدمار تجار رابحون لان الحروب حلقات في سلسلة كبيرة متواصلة ، طالما عنصرا الاستغلال والربح قائمين على هذه المعمورة .. اما اذا كان الحق حقا والباطل باطلا ، كل له حدوده ، فان هذه الحدود تخوم لا يمكن ان يدركها « اندر شافت » لان من مصلحته الا يدركها ، والا انهار عمله برمته . وهو تاجر الاسلحة والبارود المتحكم مع صاحبه لازاروس اليهودي ليس في رقاب ساسة بريطانيا حسب بل في رقاب ساسة اوربا ايضا .. واذا كان كزنس خطيب بربارة يتساءل عن مكانة الشرف والعدالة والصدق والحب والرأفة الخ في دين اندرشافت ، فان الاخير لا يرى مانعا من الاعتراف بكل هذه الفضائل ووضعها في مكانها اللائق من دينه .. لكنه حين يخير بين هذه الفضائل وبين المال والبارود يفضل المال والبارود ، لان الفضائل كلها ليست شيئا ان لم تكن تعتمد على القوة اي على المال والبارود .

وما هي الحياة السعيدة بالقياس الى اندرشافت غير المال الذي يضفي نعيم السعادة على حياتنا ، ويمنحنا القوة التي تجعلنا سادة انفسنا .. وطبعا ان المال هو الذي يستطيع السيطرة على الحياة كما يستطيع البارود السيطرة على نقيض ذلك ، على الموت ..

ولما كان اندرشافت صاحب ملايين وكزنس شاعرا وبربارة مخلصة ارواح فما لهم والرعاع من العبيد والمتمسحين بالاعتاب .. انهم طبقة ارفع من عامة الناس الذين يزحفون على بطونهم ، وليتظاهر الفقير بنعمة الفقر وليتظاهر الجبان بالتواضع بصفته دين فشله وخيبته ومرارته . ولتتظاهر كل فئة وطبقة بما تشاء . فكل شيء في هذا العالم زائف مزيف ، راكد هامد ، ابتسامته تكشيرة صفراء ، خداع ، دخان من غش وتدليس وقناع من تزوير وتزويق ، وهذا العالم ، غير الحقيقي ، الكاذب هو الذي حاربه شو بقوة وقسوة وصدق وعنف .. وهذا هو الموضوع الرئيس في كل مسرحية من مسرحياته . فانت ترى شخوصه وخاصة المحببة للنفس الاثيرة علينا ، تراها شخوصا واهمة ، غارقة في وهمها ، تؤمن بالفردوس ، وهي تتمرغ في الاوحال ووهاد الدنس والشر والتحلل والفساد ، تتمسك بشيء مهما يكن واهيا ، لانها بغير الايمان تسقط في هاوية الضياع ، وتفقد معنى وجودها ، ومعنى تكامل شخصيتها .

فالميجر بربارة ، ابنة اندرشافت ، المليونير ، تأبى ان تعيش في كنف الملايين ، لانها تعرف اي جحيم هو هذا الكنف وأية اخلاق اخلاقها ابيها ، الذي لا يعرف كما يقول ابنه ستيفن بين الخير والشر ، لان امور الدنيا مرتبكة في ناظريه من شدة ادمانها على متابعة الارقام في الارصدة والصكات .. لقد غدا اعمش بفعل سحر المال الذي بهره وخطف بصره ، فكيف له ان يرى رؤية الانسان السليم وقد أخرجه المال من انسانيته والحقه بعصابة « الوحوش المقدسة » التي تعيش ، في كهوف المال والشر والرذيلة ، بعيدا عن القطيع الانساني ! الذي لا يمكن ان يأتلف معه ، لانه ـ وقد وجد مع القطيع ـ عرف طريقه الى السلالم ، فاذا به يرقاها على عجل ، وقد دفع خلفه بكل صلة من صلاته الانسانية بعد ان مزقها اربا اربا . انه قد تغرب عن القطيع فليكن القطيع غريبا عنه .

بربارة هذه ، تريد ان تنفصل عن عالم ابيها ، تريد ان تتعرف على الروح ، على النفس ، ولهذا فهي تنتمي بكل وجودها الى جيش الخلاص ، الجيش الذي يعمل على جمع شمل المؤمنين لتخليص ارواحهم من شرور المدنية العصرية وآثامها .. غير ان اندرشافت يتطاول على هذا الجيش المقدس ، فيتباهى بانه قادر على شرائه مهما غلى الثمن ، لان كل المنظمات الدينية ـ على حد قول اندرشافت ـ لا يمكن ان تعيش الا اذا باعت نفسها الى الاغنياء .. واذا ما تم ذلك اقتلعت اسنانها . وهذا امر مهم بالقياس الى رجال الاعمال .. فالعمال الامناء يوفرون اوسع الارباح ويقللون التكاليف .. وعدم اهتمام هؤلاء بمصالحهم وابتعادهم عن الانانية واهتمامهم بالاشياءالعلوية .. تجعلهم اعمدة ركنية في بناء صرح الاستقرار والاطمئنان ، وتوفير وسائل النظام والقانون والاخلاق ! غير ان بربارة لا تتصور ، لا تجرؤ على مجرد التأمل في فكرة البيع هذه ، وكيف يمكن ان تفعل ذلك وهي المؤمنة اعمق الايمان بان الخلاص نفسه لن يتم الا على ايدي جيش الخلاص ، وهذا الايمان هو الذي يدفعه الى القول وهي تحاور العامل السكير بل : « .. كلا ، الجيش لا يمكن ان يباع .. نحن نريد ان تقدم لنا نفسك ، ولن ناخذ اقل من ذلك . » بل هذا ، رجل قوي ، يستطيع ان ينازل من يشاء ، متى يشاء ، لانه يملك عضلات قوية ، وارادة على الشر مصممة ، وعن الخير متنصلة ، متباعدة . لكنه ، وقد صفع احدى سيدات جيش الخلاص ، جاء يطلب من الميجر بربارة ، ان تصفح عنه، بصفتها مسئولة هذا الجيش . ولم يكن في جيبه غير ذلك الجنيه اليتيم الذي تقدم به الى الميجر فدية وزلفى حق لبربارة ان تمتنع عن بيع الجيش ، فليس يمكن ان يهون الى هذا القدر من الهوان . وليس من حق هذا الانسان التافه ان يتفوه بما تفوه به .

وفكرة اقتلاع الاسنان هذه ، ماذا تعني ؟ انها تعني القضاء على المرارة والغضب في قلوب المعدمين حيال من هو المسئول عن حالهم هذه .. لان نوافذ السماء متى ما فتحت ، وتبين للناس ان الاغنياء خطاة شانهم شان الفقراء ، وانهم تبعا لذلك متساوون في حضيض الخطيئة لا يعلو احدهم على الاخر قيد انملة انعدم معنى الصراع بين الذين يملكون وسائل الحياة وبين الذين لا يملكون غير قوة عملهم .. ويزداد الاقبال على جيش الخلاص من الخطاة المساكين ، من العاطلين والمنبوذين من اعمالهم واشغالهم ، ويزداد الجيش افتقارا للمال كي يسد افواه هذه الحشود الحاشدة من المتهافتين على فتات مائدة الخلاص ، ويجد الجد واذا بالجيش بامس الحاجة الى المونة المادية ، ويتقدم اللورد

ساكسمند هام ، صاحب معمل ويسكي بوجر المشهور ، لد يـــده ، فيشترط من اجل ان يدفع خمسة الاف جنيه ، ان يتبرع خمســة اخرون كل بالف لكي يكون توقيعه للصك حقيقة واقعة ..

ان اللورد صاحب «بوجر» انسان له روح ونفس ، وهو في حاجة الى خلاص نفسه من تبعات هذه الدنيا الدنية ، وتتوسط له تبعـــا لهذه الحاجة الملحة ، السيدة بنيز الخبـــيرة في جيش الخلاص ، العارفة ببواطن الامور . غير ان بربارة لا تتصور ، على الرغم ، مـــن وجود روح لدى اللورد بوجر ، الا انه سيبقى ذلك الانسان الشرير ، الذي يبيع الكحول للناس ليغرقهم في حمأة الرذيلة والكسل والبطالة، ولهذا فهي لا تريد الصعود الى حيث هو ، بل تريده ان ينزل الـى حيث هي ، وقد عرف والدها بما في ضميرها من موانع وعراقيـل تحول بينها وبين قبول عرض اللورد ساكسمندهام ، ولذلك قـــال : « انها (يعني الخمر) تجعل الحياة اسهل على ملايين الناس الذيـن لا يستطيعون تحمل وجودهم لو كانوا صاحين تمام الصحو » . وتتـم الصفقة ويباع جيش الخلاص الى تاجر الخمر ، كاهن باخوس ، وتاجر البارود والموت ، كاهن مارس ، بكل هدوء وسكينة ، وتخرج بربارة من عرينها ذليلة ، مكسورة ، مهيضة الجناح .. تتلوى وتتلفت ويحـاول « شرلي » احد العاطلين ان يتحدث اليها ، فترنو اليه بقلب كسـير بحثا عن اكسير جديد في كتب توم بين (٥) او محاضرات برادلو (٦) !

اما ستيفن اخو برباره المهتم بالخير والشر ، والمتطلع الـى السياسة ، ودست الحكم ، فيعرفه ابوه بالساسة تعريفا دقيقـا . فهم يثيرون الحرب حين تكون الحرب في صالح اصحاب الاعمال ورجال الاقتصاد ، ويحل السلم متى ما لم تكن الحرب في صالحهم .. وحين يريد هؤلاء الدهاقنة رفع قيمة اسهمهم وعائداتهم ، يحملون الساسة على اكتشاف هذه الرغبة في نفوسهم ، فاذا بقضية رفع قيمة هـــذه الاسهم قضية وطنية وحاجة قومية ، واذا اختل ميزان هذه الاسهـم والمردودات ، جاز الاعتماد على الشرطـة والجيش بل استدعاؤهمـــا لتثبيت النظام والقانون .. ومن ثم فنظام الحكم القائم على اســاس الربح ـ على الصعيد الاقتصادي ـ نظام قمعي ، اداة ارهابية ، وكل ما يقال عن الصحافة وحريتها والانتخابات والتصويت الفردي السري ، والاحزاب والهيئات السياسية والقادة العظام والقضايا الملحة النارية لعب صبيان والعاب هواة ومحترفين ، ودمى .. ولكن ستيفن ـ على حرافة تعريف والده للساسة .. لا يرى باسا في ان يعزو ما وفـره ابوه من مال الى جده واجتهاده وتعبه ، ومن ثم فيحق له ان يكـون فخورا بكل ذلك .. وهنا يستطيع شو بما عرف به من لذعة ان يشير الى العامل الفردي في توفير المال اشارة فيها دقة في التصويـب ، وضبط في التوقيت ، وصراحة في الادلاء برأيه وماذا يعني كل ذلـك واندرشافت لا يرى شيئا معيبا فيما هو فيه مـن شغل شاغل ؟ فالشغل شغل ولا ضير ولا عيب الا في الكسل . ذلك ان الانسان لم تخلـق له يدان الا لكي يحمل السيف او البندقية او القنبلة اليدوية ، ولم يخلق الانسان الا ليقاتل ، فيقتل او يقتل ، وتبقـى طريـق النصر مفتوحة الى السماء .

اما الفيلسوف كزنس الذي جاء بوده ليطرحه امام قدمي برباره فلا يرى في حميه المقبل غير عبد يتصور انه سيد ، ها هو المال قـد اصبح السيد بعد ان كان عبدا ، لان انسانا معينا قد تنصل من انسانيته بريق الذهب ، فاذا به يستطيب العبودية والرق والفساد بعـد ان فقد اداة التمييز بين الخير والشر ، بين انسانية الانسان وبين اسار الذل وهو ان العبيد في قصور المرجان ، وجنائن الزنابق ، ومقاصير الحور العين ..

المكان قصر شامخ من القصور ، ولكن من هم المسئولون عن هذا القصر ؟ انهم اشد اجزاء المجتمع حطة ونذالة ، انهم صيادو المـال ، صيادو الملذات وصيادو المراتب البراقة والنجوم المتسامقة الى العلياء

ورأي كزنس هذا له ما يماثله اشد المماثلة ـ في قصة « قصة القروش الثلاثة » لبرتولت برخت اذ لا يجد ابطال تلك القصة مانعا من امتهان اسفل المهن ، قصد اصطياد المال ، مهما يكن مصدر الصيد ، والغاية التي يفترض ان تكون ملاذا للطرائد ومطرحا للمصائد . ولهذا السبـب بالذات كان انهيار آمال برباره شديدا ، لانها كانت تعرف موت ضمير والدها معرفة اكيدة ، وهـذا مـا يعرف بخيبة الاحـــلام المذهبة Disenchament (٧) والى هذه الخيبة تشير بقولها : « .. كنت اقف على صخرة اعتقدت انها خالدة ، وبغير كلمة واحدة من تحذيـر انحدرت ، وتدحرجت وتحطمت بددا تحتي . كنت احسب نفسي آمنة مطمئنة تحرسني عناية لا حد لها . جيش يمشي الى «الخلاص» معي . وفي لحظة ، وبضربة قلمك على الصك ، وقفت وحيدة . واذا بالسموات خاوية . هذه هي ضربة الزلال الاولى . اونا بانتظار الثانية » .

اذن لقد بيع الجيش واذ به الان في جيب اندرشافت ، وكيف لا يباع مثل هذا الجيش ، وثكنته مباءة الفقر والبؤس والبردوالجوع ، ذلك ان قادة هذا الجيش لم يعطوا افراده غير الخبز والدبس ، واحلام السماء .. غير ان اندرشافت لا يعرف معنى لفضيلة الفقر ، لانه يعده اسوأ الجرائم طرا ، لان جميع الجرائم ازاءه فضائل .. ذلك ان الفقر وباء يصيب مدنا باسرها ، وهو يقتل ارواح كل من يـــراه او يسمعه او يشمه بان يكون على مقربة منه .. انه يجعل الملايين ذليلة ، قميئة قذرة عارية ، جائعة ، مسمومة روحيا وجثمانيا .. ان الفقر ليس كفرا ، فالكفر رفض لشيء ، لايمان لعقيدة ، لدين فهو استغناء ، الا ان الفقر حاجة ، فقدان ، ضياع لشيء ضروري ومن ثم كان ضياع جيش الخلاص وتلاشيه حتما لا محيص منه لانه ، وقد ابتلي بالفقر ، قد اصبح وجوده عبثا لا طائل تحته ..

اما فيفي ، ابنة السيدة وارن ، فعسير علينا ان نصفها بوصف يليق بها ، لان شخصيتها من القوة والسيطرة والهيمنة ، بحيـث تسحرنا سحرا ، فهي فتاة مهذبة ، راقية التربية ، تعرف قدر نفسها ، وتجيد اصول المعاشرة وتحسن معرفة من يحيط بها ، وتثق بنفسهـــا ثقة كبيرة ، وتمتاز بالصراحة والوضوح والشفافية ، ان ثقافتها التي تيسرت لها ، جعلتها سمحة الخلق ، متينة الاخلاق ، صارمة فيما لا بد من الصرامة فيه . ومع ما تملك من قوة الارادة وفورية الحســم ، اصبحت لهذه الثقافة قيمة خلقية خاصة لا تعرف التردد او التراخي او التراجـع ! ان ما تؤمن به هو الذي يقرر مصيرها لا ما تطمح فيه، انها تجد نفسها بين يدي ام ثرية ، ممعنة في الرغد والدعة والحياة الفخمة ، لكنها لا تعرف من هو ابوها ، ولذلك وبعد ان تلتقي البنـت امها تستطلع منها عمن يكون ابوها ، فتردها امها خائبة ، لانها تريـد ان تشعرها بحقيقتها الفاجعة ، حقيقة حرفتها . الا ان فيفي تخبرها انها تستطيع ان ترفض الاجابة عن سؤالها اذا شاءت ولكنها ان فعلـت ذلك فلن يكون هذا اللقاء بينهما الا اللقاء الاخير . فتدهش الام مـن صرامة ابنتها واصرارها على معرفة ما تريد الاطمئنان اليه .. ان الام تصر على الكتمان وتلوذ بهيمنتها التقليدية ، بصفتها اما لتدافع عـن

(●) اقتصرت في دراستي هذه على الميجر برباره وفيفي بطلتي مسرحيتي (الميجر بربارة) واحرفة السيدة وارن نظرا لضيق المجال ي.ع. ثروة (١) بطلة مسرحية « الميجر بربارة » (٢) بطلة « حرفة السيدة وارن » (٣) بطلة « كانديدا » (٤) رينا بطلـة « السلاح والانسان » (٥) هـو الكاتب الحر والسياسي الانكليزي الذي عمل على تحرير الولايات المتحدة من ربقة الاستعمار البريطاني وقد اشتهر بكتابه «حقوق الانسان» وفيه يدافع عن الثورة الفرنسية الكبرى . (٦) مصلح بريطاني وكاتب اجتماعي ، حر التفكير (٧) هذا الاصطلاح من مبتكرات الناقد المسرحي المعروف اريك بنتلي ، وقد اورده في دراسته الممتعة الموجزة لشـــو في احـدى مقدماتـه .

سفر

يا زورقي المجنون هيا بنا
نمضي ولا يخيفنا البحر
حياتنا ليس لها ساحل
وعمرنا ليس له بر

دمشق — صالح درويش

نفسها وعن مسلكها في الحياة ، ولكن ذلك كله لا يجديها نفعا .. اذ لا بد للسؤال المحير من جواب لا بد ان ينجلي هذا الضباب الكثيف، لتظهر الحقيقة .

ولكن ما هي الحقيقة ؟ اهي الحياة كما تعيشها النساء الاعتياديات في المعامل ، في اواخر القرن التاسع عشر ، في غرف الخياطة الفاسدة ، المليئة بالدخان الخانق ، المحشودة حشدا بالانفاس المسلولة، الموبوءة بالامراض الوبيلة . بساعات عملها التي لا تنتهي الا لكي تبدأ ، والعمل المرهق الذي ينقض الظهر ويمزق النفس ويحرق الروح ، ويذيب الكرامة ، ويسحق الانسانية ، ويقطع صلات بني آدم الطبيعية مستمر في ثقله المتزايد ؟ . ان كانت هذه هي الحقيقة ، فقد رفضتها اخت السيدة وارن من قبل ، فلماذا لا ترفضها من بعدها ، لكي تحيا انسانة لها قدر ومنزلة ومكانة ؟ وكيف يمكن الحصول على كل ذلك من غير ان تلجأ الى كل وسيلة قد تؤدي الى هدفها . حدثتها اختها ليز ذات مرة ، وهي لما تزل في اسفل السلم ، تعمل كما تعمل العاملات فقالت : « ماذا تفعلين هناك ، ايتها الحمقاء الصغيرة ، تذبلين صحتك ومظهرك من اجل منفعة اناس اخرين ؟ » وكان لهذا التساؤل جدواه بعد ان عرف ان ليز قد استأجرت لها قصرا فخما في بروكسل ، فلماذا لا تسير على هديها ، وهي لا تقل عنها ادراكا لبواطن الامور ، ذلك ان كل شيء مظهر زائف ؟ وكل ما بني على الزيف فهو زائف فلماذا تقصر في ميدان تعرف الاستفادة منه احسن المعرفة ، ولها في اختها اسوة حسنة . وكل شيء يمكن تبريره من وجهة النظر المالية، يمكن تبريره من وجهة النظر الاخلاقية، لان المال والاخلاق صنوان لا يمكن ان يفترقا في مجتمع طريقة حياته تجمع بينهما باواصر اقوى من اواصر الدم واقوى من كل الفضائل التي يتحدثون عنها كثيرا في الامثال والحكم لتبقى امثالا وحكما ابد الآبدين! ان السيدة وارن ، امرأة واقعية ، تعترف بالحشمة الظاهرة وتكفيها هذه الحشمة لانها هي الحشمة الوحيدة المعترف بها في مجتمع النقائض . فما معنى ان يحتفظ الانسان بكرامته والجوع والعبودية والذل كوابيس تعذبه في احلامه ليلا وتسحقه سحقا بواقعها نهارا ، واذا بالليل والنهار عذابان متناوبان ، وطبيعي ان تكون خلاصة هذه الامور حكمة وهل ادل على الحكمة من قول السيدة وارن وهي تنصح ابنتها : « .. لا تجعلي الناس يضلونك ، الناس الذين لا يعرفون العالم ، يا بني . فالطريق الوحيدة للمرأة التي تريد ان تحتفظ بحياة كريمة ، هي ان تصبح طيبة ازاء من يقوم بأودها عن طيبة خاطر ؟»

واذن فالطيبة المتبادلة طريق لاستدرار المال ، باقصر وقت ، وايسر جهد ، وهي حجر الاساس في حرفة السيدة وارن التي يسهم فيها السيد كروفت اسهاما اقتصاديا رابحا ، وهذا رجل واسع سعة الحياة وطبيعي ضعف ذلك ، ذلك انه رجل عمل يجيد اصابة هدفه بيسر وتوفيق . فلماذا لا يشرك فيفي في هذا التوفيق بان يتخذها زوجا له ، فيكون الثلاثة في شركة رأسمالها كبير وعمرها مديد وربحها أكيد ! .

الا ان السيدة وارن تضحك من فكرة صاحبها ، وتعود الى ابنتها لتطلعها على جلية امرها ، فاذا بالبنت تذهل لما تسمع له ويختلط عليها الامر ، ثم لا يلبث ان ينجلي . وما تكاد الام تستطيع بما اوتيت من حجج متينة ان تثبت سلامة مركزها ماليا ، حتى يؤخذ على يدي فيفي فتصرخ : « أماه انك امرأة مثيرة للاعجاب ، انت اقوى من انكلترا كلها ـ ولكن احقا اصدقا ، لا تشعرين بشيء من الشك يراودك ، او بشيء من الخجل ؟ » وعن هذا السؤال الصريح تجيب الام بكل برود : « لم اشعر بذرة من الخجل قط . اعتقد ان لي الحق ان افخر بترتيب ما رتبت » .وبعد هذه الملاحاة بين الام وبنتها يعود كروفت ليرفع رأسه مغريا فيفي بقوله : « .. بينا نحن في العالم ، نحن فيه ، فالمال مال » . ويستطرد : « انا رجل مأمون الجانب من وجهة النظر المالية . » فعمله من جهة لا غبار عليه ، لانه مستقيم وشريف ، والدليل على ذلك اسهام امها معه ، ثم اليس من حقه ان يستغل ماله فيما يدر عليه من فوائد من مشاريع واسعة الانتشار ؟ ويختتم رأيه في الموضوع موجها كلامه الى فيفي : « اذا كنت تريدين ان تتنقي وتختاري اصدقاءك على وفق مبادىء اخلاقية ، فما عليك الا الرحيل من هذا البلد ، الا اذا اردت ان تقطعي اواصرك بالمجتمع الراقي المهذب بأسره . »

ولكروفت حجج كثيرة غير هذه فالعالم بالقياس اليه ليس مكانا رديئا كل هذه الرداءة كما يدعي الناعقون ، فطالما لا يتحدى المرء المجتمع تحديا سافرا ، لا يسأل المجتمع ايا كان اسئلة محرجة ، فالعمل بالنتيجة لا بالنية ، وهو لا يفترض في مضمونه حكما اخلاقيا ، لانه جهد وهو بذل وتعب وتنظيم غايته زيادة المال والاستمرار في هذه الزيادة ، وكل عمل لا ينتظم في هذه القاعدة يكون الحكم عليه بالافلاس امرا محتوما لا مخلص منه ولا مفر . غير ان كل هذه الحجج لا تدفع فيفي الا الى القول : « عندما افكر كيف يسمح لك المجتمع وكيف تحفظ القوانين وجودك ، ووجود تلك المرأة ذات الكرش الرأسمالي .. اشعر بنفسي بين زمرة الملعونين » . ما العمل اذن والحياة هي هي ؟ ان عليها ان تستعد لتقبلها كما هي . وما عليها وقد عرفت ما هي فيه من حمأة آسنة الا ان تنظر الى واقعها نظرة المشتغلين في الاعمال العامة ، من اولئك الذين يبقون اعزابا بعيدين عن الرومانسية.

ومع كل ذلك ففيفي لا تجد الشجاعة الكافية لكي تقضي قابل ايامها في الحديث عن عارها وعارهم هم ، وعن الرعب والخجل اللذين تشعر بهما الان ونصيبهم من هذا الرعب وهذا الخجل . ان الرذيلة كلمة شريرة اخترعها ابليس من العدم لتكون نارا تأكل الالسنة والافئدة وكل وتر من اوتار من لم يشعر الا بهذه الكلمة بحارا لاهبة تحيط بهم فجأة وعلى حين غفلة . كما كانت الحال بالقياس الى فيفي .. ولهذا السبب بالذات نرى الفجيعة تتلوى على لسان فيفي وتئن انينا مخيفا بقولها : « .. ان كلمتين شائنتين تستطيعان ان تصفا مركز والدتي .. كلمتين ترنان في اذني وتتصارعان على لساني .. غير اني لا استطيع ان انطقهما . »

ها هي اذن فتاتنا البريئة ، الزنبقة البيضاء تصطدم بجدار الزيف الذي تقول عنه السيدة وارن بصلافة : « كل شيء هو مظاهر ، للابقاء على الجناء اذلاء خانعين ، وعامة الناس هادئين » ذلك ان مثل تلك المظاهر ، مثل تلك الحياة تليق بها وتليق هي بها ، ولو لم تفعل ما فعلته ، لحل محلها من يفعل فعلتها واكثر من ذلك .. ومن ثم فلا ضير عليها ما دام المجتمع كله متالفا من جدران كثيفة الزيف .. وما دامت هي انسانة ، امرأة ضعيفة تسعى وراء لقمة الخبز سعيا حثيثا ، في ذلة العمل المرهق ، ونصب سهر الليالي المضنية .. واذ ببريق الذهب يتلصص عليها في زريبتها ذات يوم بائس غير ان الفتاة تبصق في وجه هذا اللص بينما تتخذ منه الام خدينا وعشيرا .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تذهب اليوم لتقابله ، وما اكثر اللقاءات التي تمت بينهما . لكنها اليوم تشعر بانقباض جعلها تفكر ثانية في امر لقائها به . ويرجع هذا الانقباض الى ضيق عانت مرارته حين حاولت ان تتبادل الحديث مع زميل لها ، فسألها عن هشام .. انه يسألها عن هشام ، لانه لا يراها الا معه . فأحست حينذاك بمرارة ، واسودت الدنيا في عينيها ، وشعرت بتفاهة الحياة التي تعيشها .

تتقدم خطوة وتتراجع تفكيرها خطوات الى الوراء . تندفع بقدميها، لكن تفكيرها يهيمن على احساسها ويجبرها على التراجع ، ولو في محيط الشعور .. وليس هنالك ثمة تغيير اخر في الظاهر . فهي لا شك ستصل اليه سواء رضيت ام لم ترض ، فقدماها تصران على مواصلة المسير .

هي في حيرة من امره ، لقد سألته ذات مرة: «ماذا انا بالنسبة اليك؟» افاقت من سؤالها على ضحكة ذات رنين خاص انطلقت مزغردة من فمه، التقت بنظراته على التو .. لكنه لم يلب رغبتها ، وانما قال لها :

ـ انت تفكرين بسرعة عجيبة ، وتسبقين الزمن .. لكني انصحك بان تتركي الامور تسير في مجراها الطبيعي .. فأنا اؤمن بالحظ والفرص والمفارقات ، وبأن الانسان مسير .

تعجبت شهيرة من اجابته .. ولا شك انها صدمت في امالها . تركته، وفي داخلها تتضارب الاحاسيس .. ويهتاج صدرها بثورة ادت الى اصرار عنيف على تقييد علاقتها به ، وعدم الانسياق في تياره . انها لا شك مختلفة عنه تماما .. ثمة فارق كبير يفصل بينهما .. لكن هذا الاصرار لم يخرج من دائرة التفكير الى موضع التنفيذ . وتواصل المسير .

لا شيء يضايقها غير التفكير في هشام ! انه ظل ثقيل عليها ان تمشي بجواره ، وان تواكبه . ربما يكون خسيسا ، حيث يعلم انها لا يمكن ان تقاطعه ، او ان تفكر في غيره . لكنها ـ رغم ذلك ـ مضطرة الى ان تربط مصيرها به .

انه فخور بها . يفخر بها امام باقي الطلبة ، بل ويزهو بها امام الطالبات . ولا يألو جهدا في البحث عن حديث يستطيع عن طريقه ان ينطق باسمها امام الجميع . واغلب طلبة الهندسة يستهويهم الاستماع الى تجارب الاخرين العاطفية ومغامراتهم عن خوض التجربة . ان صرامة العلم فيها جعلت الطلبة لا يبحثون عن غاية ، اللهم الا غاية العلم لاجل الالة . ونفر قليل من تلك الزمرة يشذ على هذه القاعدة ، ومنهم هشام ..

البحث عن طريق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حسني سيد لبيب

وشهيرة تعجب به كلما عرفت انه يفخر بها أمام الطلبة . حقيقة لا تثور عليها ، لانها نافذة مفتوحة تطل منها على قلبه ، وتتعرف على خبيئة نفسه . لكنه ثرثار .. وثرثرته هذه جعلت معاني كلماته ضئيلة ، وربما تفقدها اهميتها . كثيرا ما يبوح لها بكلمات حانية صافية كاللآلىء تسعفه في هذا محاولته تنفيم كلماته ، وجعلها تتموسق بطريقة جذابة ..

الشارع مزدحم ، ويتعب اذنيها الضجيج ، والضيق الذي تعانيه اصبح ضيقا من كل شيء .. من هذا الشارع المزدحم ، ومن صداع رهيب يحفر رأسها ويسد امامها مسالك التفكير . والاضواء المتلألئة تفسد جمال المساء . كل شيء حولها مزعج . وتفكيرها ايضا جزء من هذا الشارع ، باضطرابه وضجيجه .. الافكار تتزاحم وتتضارب .. كادت تصطدم بأحد المارة ، حاولت ان تخلي له الطريق .. فعل هو نفس الشيء .. تكررت المهزلة اكثر من مرة ، حتى جمدت عروقها من الخجل والاضطراب معا . تسمرت قدماها على افريز الشارع .. هدأت انفاس الرجل وابتسم معتذرا ، واستطاع ان يسلك طريقه في هدوء .. ومضت شهيرة في طريقها بخطى متثاقلة .

مرة ثانية ، عاودت التفكير في هشام .. انها تحبه ، وتريد ان تتكلم معه في امر هذا الحب .. لكن كبرياءها يلجمها، فلا تبوح بشيء ، وتكبت عاطفتها .. فهشام لا يريد ان يقول شيئا . ومع كثرة كلامه ، يحرص دائما على الا ترد لفظة «حب» في كلامه . ليس هذا لاتصافه بالخجل ، فجرأته المعهودة تنفي ذلك .. لكنه ذكي ، يستطيع ان يخفي مشاعره .

اما هي ، فمشاعرها فياضة ، ولا تستطيع كبتها .. تود لو تبوح له بكل شيء ، لكنه لا يعطيها الفرصة للتعبير عما يخالجها من احساس وعاطفة .

لاول مرة تشعر بالتعب . كانت تفرح دائما اثناء ذهابها اليه . ليس يفصل بينهما سوى هذا الشارع الصاخب . كانت تراه من بعيد حين كان يزور اخاها ايام كانا زميلين في الثانوي . كانا شابين طائشين . لم ينالا الشهادة الثانوية بسهولة . اعجبت به من بعيد . وتبادلت معه كلمات عابرة لا يمكن ان تنفذ الى الفؤاد ، لكن شهيرة كانت تبني

احلامها في الخيال ، وتعيش واقعها بأحلامها المرهقة ، انها تود ان يكون الواقع صورة من الحلم والامنية . وان كلمة واحدة منه كفيلة بأن تغير طبيعتها لايام غير قليلة .

كان الاثنان ـ هشام واخوها ـ رفيقي الفشل ، وكانت تجتهد لتلحق بهما . فاستطاعت ان تصل الى الشهادة الثانوية ، وهما ما يزالان فيها . فأحست بفخر وفرحة. بينا الاثنان قد عقدا العزم، منذ ذلك الحين ، على ان ينجحا في الثانوية هذا العام بأية وسيلة، وحتى لا تنتصر هذه البنت « المفعوصة » ـ كما يسميانها ـ عليهما .

تحقق النجاح للثلاثة في عام واحد .. وكان الحكم بينهم هو مجموع الدرجات . كان هشام اكثر جدية من حلمي ، واستطاع مجموع درجاته ان يؤهله لدخول كلية الهندسة ، وشاءت المصادفة الحلوة ان تقبل شهيرة في نفس الكلية . اما حلمي ، فقد قدم اوراقه الى الكلية الحربية وقبل فيها . وتوطدت بطبيعة الحال الصداقة بين هشام وشهيرة ، وقد ساعدتها الظروف على ذلك .

تنهدت شهيرة بعد ان استرجعت الماضي . ولكن !.. هنالك اشياء اخرى كثيرة تترى في خاطرها ، وتتزاحم في تلاحق مضن ادى بها الى صداع مخيف . اضطربت ، وجاهدت نفسها كي تتزن .. عانت صعوبة في ذلك ، لكنها حققت في النهاية نجاحا لا بأس به . وادى الاضطراب ـ في الظاهر ـ الى ان تنقل كراسة تقارير معمل الفيزياء من يدها اليسرى الى اليمنى ، دون ان تلاحظ هي ذلك .

تلفتت حواليها كأنها تخشى شيئا، هنالك الف مشكلة تزاحم تفكيرها.. نظرت عفوا الى مرآة احدى المحلات التجارية .. بدا وجهها شاحبا ، فاعتراها خوف . خطت خطوة كبيرة حتى لاتطيل النظر في المرآة ، فلربما تنزعج من هذا الشحوب . رمقت عيناها شابين يدور بينهما حديث حول المراهقة والجنس والزواج .. ودت لو تشاركهما الحديث ... استرقت السمع الى ما يقولان ... تباعد الشابان ، وتضاءل صوتهما حتى انعدم، نظرا للمسافة الشاسعة التي فصلت بينها وبين الشابين .. احدهما لا يرى في الزواج الا عنصر اتزان للحياة ، والاخر يراه كارثة تحل على الذي يتورط فيه . الاول يراه ضرورة وأجبة ، والاخر يراه كارثة محققة .

وهشام !.. انه لا يخوض في هذا الحديث . ربما يقول رأيه لاحد اصدقائه ، لكنه لا يبوح لها به ... هنالك ازمة عنيفة تكاد تجرح كبرياءها .. فهشام ، على كثرة احاديثه وتنوعها ، يصمت في الوقت الذي تريد منه الحديث في موضوع يعشقه كل الناس ، ويعيدون اللغو فيه ولا ينتابهم ملل ، ففي كل مرة يستشعرون اللذة والمتعة . انه لا يتحدث عن الحب .. انها تتمنى لو تحدث ، كي تبوح له بحبها . ويراودها سؤال .. فهل هشام كهذا الشاب الذي يمقت الزواج ويلعنه ، ام هو من الصنف الذي لا يرى في الحب معنى او عنصر جمال ؟

هنالك شاب اخر بدأ يشغل بالها في هذه الايام . فخيري من النوع الهادىء الوقور .. حيي، خجول .. ما ان يبادلها التحية حتى يتلعثم في القول وينهيه بضحكة فاترة تفصح عما يعانيه من توتر . صريح القول ، لكنه لا يجيد الحديث كهشام .

افكار كثيرة تتلاحق في ذهنها ، والشارع لم ينته بعد ، ربما تكاسلت خطواتها في المشي ، لكنها على العموم تحس براحة في الفكير والتكاسل معا . فليس هنالك حافز قوي يدفعها للذهاب الى هشام مثلما كانت تفعل في كل مرة تلتقي به . فلا يعدو الحافز امراً سوى تدوين نتائج تجربة فيزيائية اجرتها مع هشام . هذه التجربة العويصة التي اربكتهما ، واستعانا فيها بخبرة خيري ، الذي اظهر حصافته وفهمه لادق الامور فيها . كانت تجربة عويصة للغاية ، كانت بالنسبة لها طلسما لا تستطيع فك رموزه وحل الغازه . لقد تعودت ان تفهم كل التجارب من هشام ، لكن هذه التجربة بالذات قد تعسر عليها فهمها . انها شيء لا يشجع المرء على فهمه . تعقدت التجربة قبالتها ، وتاهت نظراتها في اسلاك عديدة اتصلت ببعضها بطريقة غير واضحة. وحين طلبت من هشام ان يشرح لها ما تفعله ، اجاب طلبها قدر استطاعته ، تطوع خيري لمساعدتها. تركته يشرح ، وشردت في تعبيرات وجهه . ليس هنالك ثمة انفعال ، اللهم الا ذلك الانفعال الذي يعقب الاجهاد . تأملته كثيرا . انه شاب من طراز اخر غير هشام ، كثيرا ما تهيبته ، لكنها دائما تتمنى لو تتفهمه .

.. وانساقت قدماها بحركة عفوية الى شارع جانبي منحن يلتقي عند نهايته بالشارع العمومي الذي كانت تسير فيه. انساقت قدماها طواعية بدون ان تدري ، ربما يرجع ذلك الى رغبتها في اطالة لحظات شرودها واجترارها هواجس الماضي القريب. وعلى العموم ، لم يخطر على بالها مثل هذا التفكير ، وانما استغرقت في تفكيرها في خيري .. وكيف طالعتها ضحكته الاولى الرقيقة . لم تره يضحك ابدا ، لاول مرة .. تراه يضحك .. وكانت ضحكته جميلة .

كان ذلك حين انتهى من شرح التجربة ، وبعد ان طلب منها تجهيز التجربة كما هو واضح في الرسم ، ووعدها بأن يعود اليها لينجز لها التجربة . وكان المفروض ان تجد هشاما بجانبها .. لكنها فجأة وجدت نفسها وحيدة . فتحت المذكرات ، ربما لاول مرة ، وحاولت ان تقرأ التفاصيل ، فوقفت عند « خطوات

التجربة » واجمة . كانت الخطوة الاولى تقول « وصل الدائرة الكهربية كما بالشكل » .. نظرت الى الشكل فاحتارت .. ظلت تحملق في الشكل المرسوم كثيرا الى ان جاء خيري ، فالفاها واجمة ساهمة ، فلم يستطع ان يحبس ضحكة انطلقت رغما عنه. كانت ضحكته جميلة ورقيقة، انسابت كنغم ضاحك وسط هذا الهدوء الذي يشمله . شعرت بالبهجة ، وتجاوبت مع ضحكته قائلة :

ـ اضيق شيء على نفسي تجارب الفيزياء .

حاول ان يعقب على ما قالت ، لكنه فشل في ان يكون جملة اختلطت كلماتها في ذهنه .. ربما كانت الجملة تعبر عن استعداده الطيب لشرح ما يتعسر عليها فهمه في التجارب الفيزيائية . لكنه لم يبح بوحا كاملا، او انه خجل من الضحكة التي انطلقت رغما عنه .

عادت ثانية الى الشارع الصاخب، فوجدت نفسها قد جاوزت بيت هشام ، فقفرت راجعة .. التقت به، تبادلا التحية ، ثم جلست قبالته . اعطاها كراسته في صمت وهمت بتسجيل نتائج التجربة ، تمهلت قليلا حين سمعته يقول :

ـ اتعبتني نتائج التجربة .. لكن تأكدي انها صحيحة ومضبوطة .

نظرت الى عينيه ، انهما عينان هادئتان وادعتان .. انها تعرف انه يكذب عليها ... ودائما يكذب ... لكنها اليوم لم تعد تطيق اكذوبة واحدة منه .. شلت يدها عن الكتابة ، وشردت قليلا .. ارتفت اهدابها وهمت بأن تقول له شيئا ، فارتعشت شفتاها ولم تتفوه بكلمة واحدة .. تناول لفافة من علبة اللفائف ، واشعلها . اخذ نفسا عميقا ثم اتجه الى المسجل وقال لها:

ـ لقد سجلت على « الريكوردر » احدى روائع موزار ..

ادار المسجل وهو يضيف :

ـ اتعجبين بموزار ؟

اومأت برأسها ، ثم عادت ثانية الى الكراسة قائلة لهشام :

ـ اريد ان اعرف ما فعلته في التجربة .

ابتسم هشام وقال :

ـ في الحقيقة ، نقلت النتائج من كراسة خيري .

ـ حسن .. يحسن بي ان افهم التجربة منه .

قالتها في صدق وحرارة . .

ـ كما يحلو لك ..

بعد فترة صمت قصيرة ، استأذنت اخت هشام ، ودخلت تشاركهما الحديث .. مر الوقت على شهيرة ثقيلا رتيبا .. انتهى التسجيل فنهضت مستأذنة . خرجت وهي تتمنى لو تصل الى البيت بأقصى سرعة ، انها لا تريد ان تفكر في شيء .. لا في هشام ، ولا في خيري .. لقد اكتشفت اكذوبة هشام ، وليس هذا غريبا عليها ، لكن وقع الاكذوبة كان مريرا .. كما ان هشام غاظها باعترافه بالكذب وهدوئه واتزانه . اوقفت احدى سيارات الاجرة واختبأت فيها . ان المسافة قصيرة، لكنها تشعر بالتعب، انها متعبة ، ضجرة .

وصلت الى البيت . هرولت الى غرفتها والقت بجسمها على الفراش، اجفلت عيناها ، لكنها لم تنم . تقلبت على الفراش في قلق .. اصبح الصباح ، فارتدت ثيابها وخرجت ..

وفي الكلية ، بحثت عن خيري . تنهدت في راحة حين رأته ، كأنها عثرت على ضالتها المنشودة . حيته، ربما لاول مرة ، فرد التحية وهو متردد ، فلم يكن يظن ان شهيرة ستحييه ذات يوم . تبادل معها بضع كلمات لا يربطها هدف ، ثم نظر الى ساعته فانتبه الى موعد المحاضرة . لم تحاول البحث عن هشام ، كعادتها ، وانما اتجهت الى المدرج وحدها .

ان خيري افضل من هشام ، ولعل الميزة الوحيدة التي تعجبها فيه هي صراحته ووضوحه . استحوذ خيري تفكيرها طيلة المحاضرة ، واستاذ « الطبيعة الذرية » غارق في بحوث العلماء عن الذرة ، محاولا دحض بعض البحوث واثبات صحة البعض الاخر .

وتتذكر شهيرة ما حدث بينهما ذات يوم .. كانت تقف مع هشام عند « البوفيه » .. كانا يشربان « الكوكاكولا » ، وتصادف ان وجدا خيري جالسا وفي يده كوب شاي، قالت له ضاحكة :

ـ اتدري .. انت تشرب الساخن ونحن نشرب البارد ..

ابتسم خيري ولم تسعفه بديهيته.

كانت شهيرة تحس بهوة تفصل بينهما . وجف قلبها حين رأته يبتسم . قالت له بجرأتها المعهودة:

ـ نحن مختلفان ، فما رأيك ؟

ـ الامزجة تختلف ، لكن هناك شيئا مشتركا يربطنا جميعا . بعضنا يستقل عربة ، والبعض يستقل سيارة ركاب ، وفئة ثالثة تأتي مشيا على الاقدام ، لكننا جميعا في النهاية نتلاقى معا في مكان واحد .. اننا جميعا طلاب حقيقة . لقد اجريت تجربة لتعيين مقاومة ملف ، وعرفت انها تساوي ٤ اوم، ثم تيقنت انها نتيجة مضبوطة ، فاذا توصلت الى انها ١٠ اوم فلا بد انك مخطئة، ولابد ان تقتنعي بالصواب . وستعرفين حقيقة ان مقاومة الملف اللازم للتجربة هي ٤ اوم . لن تقل، ولن تزيد .. انها تساوي ٤ اوم .. كلنا نكتشف ان هذا الرقم صحيح.

لاول مرة يسترسل معها في الحديث . كان حديثه مؤثرا ، فخيري شاب فقير .. انتابتها رجفة خفيفة من التأثر .. وبلا وعي ، وفي نوبة حماس ، سكبت على الشاي قليلا من الكوكاكولا ، ثم استرسلت في الضحك ، حين اكتشفت انها تورطت في عمل غير لائق . وشاركها خيري بابتسامة باهتة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نهاية الدرس

ساكتب الحرف بالسكين والنار ... وباللهيب الذي يجتاح اغواري
بنصلة الخنجر المغروس في كبدي ... بشهقة الجرح فيها .. بالدم الجاري
لن يسكر الحب بعد اليوم قافيتي ... ولن يهز رقيق اللحن اوتاري
ولن يذوب الهوى شعرا على شفتي ... او يستطيب ربيع الحب نواري
فكل ذاك الفناء العذب حشرجة ... وغصة في عروقي .. الف اعصار
وكل ذاك الجمال الخصب اقنعة ... تخفي الدمامة.. تكسو جسمها العاري
يا مهمه الزيف تاهت فيك قافلتي ... عبر السنين، وطالت فيك اسفاري
فما اهتدى ناظري يوما الى افق ... الا وكان سرابا يخدع الساري
حتى م تجهل معنى خطوها قدمي ... ويخنق الفجر في شلال افكاري ؟
حتى م تجهل معنى خطوها قدمي ... حتى م يرسم غيري خط اقداري ؟
قررت يا ظلمة القبر الرهيبة ان ... ازيح تربي .. وان اجتاز اسواري
ما عاد عمري جراحا مرة ودما ... على دروب الاسى والليل والعار
ما عاد نبضا وانفاسا ممزقة ... في شدو قافية او همس قيثار
ما عاد.. ما عاد.. اني قد كرهت فمي ... يردد النغم الممزوج بالنار
كرهت ان اسمع الامجاد ثرثرة ... في شعر مستشعر او لغو ثرثار
ماعدت..والخنجر المغروس في كبدي ... ما عدت اؤمن بالتطبيل والزار .

لندن — علوي الهاشمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يعبأ هشام بكل ما حدث ، ووقف خيري حائراً لا يدري ماذا يفعل .. ثم هداه تفكيره الى ان يضع الكوب على النضد ، وكانت حيرته هذه كفيلة لاثارتها، فاستغرقت في الضحك ثانية . انها اليوم تذكر كل ما حدث منها بدون وعي ، وتندم على كل ما فعلته . ان تعلقها بهشام اودى بها في النهاية الى شعور بالفراغ والتفاهة . ليس ثمة هدف تتعلق به . شعرت بسطحيتها واستهتارها .

ما يزال الاستاذ مستمرا في محاضرته ، وما تزال شهيرة تفكر في خيري .. حاولت ان تستعيد في ذاكرتها ملامحه . كان القلم الرصاص في يدها ، فخطت خطوطا قليلة محاولة رسم صورة لوجهه . نظرت الى ما رسمت فعرفت انها مخطئة . ان خيري الذي تعرفه لا يشبه هذه الصورة . افاقت على صوت زميلتها تهمس :

ـ ما هذه الصورة ؟ انها صورة هشام !!

صعقت شهيرة . كان لديها كلام كثير تريد ان تقوله لزميلتها ، لكنها جبنت ولم تتفوه ببنت شفة . اغلقت كراسة المحاضرات ، وخرجت من المدرج ، وعينا زميلتها تتبعانها ، وعيون الطلبة في اثرها .

مرت على « البوفيه » ، لكنها لم تشأ ان تجلس ، وتوجهت الى غرفة الطالبات . جلست وحدها ، فكل الطالبات الان في المدرجات. احست برغبة في البكاء ، لكنها حبست دموعها . اخرجت من حقيبتها صورة صغيرة لهشام ، ومزقتها قطعا صغيرة والقت بها من النافذة .. انها تكره هشام ، لم يعد في قلبها حب او بقايا حب . لن تربط مصيرها بهشام أو بغيره . وتنهدت في راحة .. فقد احست بأنها ليست تافهة ، وبأنها توشك ان تولد من جديد !

القاهرة — حسني سيد لبيب



وجهـــة نظـــر

تأليف : الدكتور زكي نجيب محمود ـ ٤٠٨ صفحة ـ طبـع ونشـر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

لعل صاحب هذا الكتاب ، غريبا على هذه الصفحة ، وان كـان ليس غريبا على قرائها في كل ميادين الثقافة والادب ، اينما ولوا وجوههم شطر اي بلد عربي ، او انتجعوا معـين القراءة الصافية ، والادراك السليـم .

ولعلي انا لا أخدع القراء ، اذا اعترفت لهم اعترافا صريحا ، بانني لم أحاول قراءة هذا الرجل الا في هذا الكتاب ، وبعض مـا يكتبه في مجلة « الفكر المعاصر » التي يرأس تحريرها ، لبغضي الشديد فيما ينتجه بعض فلاسفة العصر الحديث ، ممن لا اسميهم ولا أحـب ان أتناولهم ، التناول المعيب ، خوف اتهامي بالجهل ، او الهجـوم غير المستطاب علي . أقول هذا وانا على يقين من ثقة القراء فيمـا أقول : لا طلبا للاشفاق ، او ابتغاء الهوادة في النقد ..

لكن أيكون كل فلاسفة العصر الحديث على هذه الشاكلة الجافة ، والحجارة الصلدة ... واستجهال كل من ليس على شاكلتهم ، او لا يسير على دربهم ؟ قلت هذا في نفسي ، عندما وقع في يدي كتاب « وجهة نظر » ، وهو فيطريقه الى الاستاذ رجاء النقاش ، هديـة ، وان كان في غالب ظني ، سيأكل أوراقه ، او يطوي صفحاته علـى أخواتها اللائي قبعن ، اهداء ، او متن اهمالا .. فقلت لحامل هـذا الكتاب ، وهو صديق اديب ، أتسمح لي بالنظر العابر لهذا الكتاب سواد هذا الليل ، على ان احمله اليك مشكورا صباح الغد ، لتؤدي الامانة ، وتقوم بما عليك من واجب .. ؟ ولم يسع الصديق ، الا ان وافقني ، محذرا اياي من قص صفحاته ، او العبث باوراقه ، خـوف شكوى المهدى اليـه ...

ولا اكتم القارىء الحق ، اذا قلت : انني رأيت في هذا الكتاب عشية تلك الليلة ما أغنيت به عن العشاء والنوم والراحة ، حتـى كان الصباح الذي وعدت فيه برد هذه الامانة التي جـاز لي ان امـد في ميعادها يومين وثلاثة ، الى ان دفعني الفضول الى طلب الكتاب مـن صاحبه الذي أرسله الي صحبة هذا الصديق، بعد ان قلت له ما حدث لي نحو هذا الكتاب ، والظروف التي اجتمعت حولي ، واجبرتني على قراءته ، بعد زهدي في هؤلاء الفلاسفة سنين وسنين ، حتى خلـت مكتبتي من أي كتاب فلسفي ، الا ما كان غائبا عني او مختفيـا وراء مجلد ضخم ، او خائفا فتسلل داخل كتاب ...

ووجهة النظر في هذا الكتاب لا تتضمن الاعتراف باحتمال ان يكون هنالك وجهات نظراخرى للنظر ، وتتضمن كذلك انالصواب ليس مكفولا لها وحدها ، اكثر مما هو مكفول لغيرها ، لكن ذلـك لا ينقص مثقال ذرة من يقين الكاتب عن نفسه بانه قد حاول الدقة في عـرض وجهة نظر ما استطاع الى الدقة من سبيل ، وبانه كـان صادقا فـي الاعراب عن نفسه ما اسعفته القدرة على استخدام اللفظ في ان ينقل الى الناس ما اراد ان ينقله .

والواقع ان الاقسام الثلاثة التي اشتمل عليها هذا الكتاب ، تعد بمثابة الفتح فـي عالم التاليف ، اذ يقص المؤلف الدكتور زكي نجيب محمود في اولها : « شيئا من تاريخنا الفكري الحديث ، ومـن تقويـم ما أنتجـه المفكرون والادباء فيه » ويعرض في ثانيهـا : « مجموعة من اهم الافكار التي تتردد فـي حياتنا الفكرية القائمة » ويمضي في ثالثها : « الى رحلة قصيرة مع نفر من الادبـاء ، نسمر معهم ونقدرهم قدرهم » .

على ان التحليل كان ألزم للمؤلف ، والشرح كان أبين قضاياه في هذا الكتاب : فلم يترك قارئه يهيم في دنيا التخمينات ، او يضرب في مختلف الاراء : فكان في القسم الاول : مؤرخا للفكر ، والقى في القسم الثاني نظرة فلسفية تحليلية ، ووقف اديبا ناقدا في القسـم الثالث المتمم للكتاب ..

عالج المؤلف في قسم الكتاب الاول اربع قضايا ، تشكل تاريخنا الفكري الحديث ، وهي المعارك الفلسفية ، وتيارات الفكر والادب فـي مصر المعاصرة ، وحركة المقاومة في الادب العربي الحديث ، ونحـن وقضايا الفكر في عصرنا .

وعالج في القسم الثاني : ارادة التغيير ، ووحدة التفكـير ، ويمين الفكر ويساره : ما معناهما ؟ ، ورجل الفكر ومشكلات الحياة ، وطرازا من الفردية جديدا ، والفرد ، والمواطن ، والانسان ، ومن هـو المثقف الثوري ؟ وضوءا على معنى الصراع الفكري ، وازمة القيم فـي عصر الانطلاق ، وباي فلسفة نسير ؟ ، وقيادات الفكر المعاصر ، وروح العصر من فلسفته ، والماركسية منهجا ..

وصحب في القسم الثالث : العقاد كما عرفه ، وفلسفة العقاد من شعره ، وامين الريحاني وفلسفته الانسانية ، ونظرة محايدة الـى قضية الشعر الحديث ، ووقفة شاعر ، والشعراء الشبان في الجيل الماضي ، وشكسبير في عصره وفي كل عصر ، والناقد قارئا لقارىء .. وليس شك في ان كل قضية من هذه القضايا ، كان لها نصيب من المناقشة الحرة ، المتكئة على الركائز العلمية الاصيلة ، الراضية بهذه المناقشة ، الراغبة في دفع ما علاها من ركام الاراء المبتسرة التي عالجتها دون ارواء ...

ويستبين الرأي المحايد في نظرة المؤلف الى قضية الشـعر الحديث ، وتعرضه لتاريخه ومولده ، ونجاحه واخفاقه ، ونصحه الى حـد الغضب والهجوم ...

يقول الدكتور زكي نجيب محمود : « انه ليبدو لي ان الشعـراء المحدثين قد وفقوا في القبض على حقيقة الشعور الانساني اليوم بازاء الدنيا المعاصرة واحداثها وضواغطها وكوارثها ، كما وفقوا في تجسيد كثير من القيم الشعرية التي اجمع عليها البصيرون باسرار فن الشعر ، كالوحدة العضوية بكل معناها ، وكالتعبير بالصور تعبيرا غير مباشر عما يراد الايماء به مـن المعاني دون التصريـح الوعظي المباشر السخيـف ، وكتشخيص الحقائق الكونية العامة من خبرات نفسية جزئية محددة ، هي الخبرات التي تمر بتجربة الشاعر نفسه دون ملق أو كذب او رياء ، وانها لصفات كانت تنقص عددا كبيرا ممن كانوا ينظمون الشعر علـى منوال التقليد ، ولكن نقطة هامة لا بد هنا من ابرازها بكل وضوح ، وهي ان في هؤلاء الشعراء المحدثين من هم صادقون في التعبير عـن تجربتهم الحية ، ومنهم المقلدون الكاذبون » .

ويناقش المؤلف ، العقاد مناقشة فلسفية معترفا له بالسبـق والاستاذية ، وبخاصة في الشعر والشاعر الذي يقول فيه العقاد مـن قصيدة طويلة :

والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس ، رحمن

يقول الدكتور زكي نجيب محمود : « الصورة كما يتصورها العقاد ، هي وحدة تضم الكائنات جميعا في نسق واحد ، لا لتفرق الافراد الاحاد في طوفانها ، بل لتبقى على ذواتهم المستقلة مع قيام صلات بينها ، كما تقوم الصلات بين افراد المجتمع الواحد ، ولكن من ذا يتاح له ان يرى هذه الوشائج الحميمة بين الاشياء ؟ انه الشاعر ، موحى اليه من باريه ، ليعود بدوره فيوحي بالحقيقة نفسها الى كل ذي اذن تسمع ، والصلة الرابطة بين الاعلى والاوسط والادنى هو صلة الحياة ، كانما هي صلة الرحم التي تجمع الكل في اسرة واحدة ، فالشاعر :

يجني المودة مما لا حياة له اذا جفاه من الاحياء خوان
ويحسب النجم الحائا تساهره والودق يبكيه دمع منه هتان

ويسوق المؤلف تساؤلات العقاد حتى آخرها ، ثم يوضح موقفه الفلسفي ، ويتتبع شعره الى استخلاص الحقائق الاولى الفلسفية التي بنى عليها العقاد فلسفته ، واحسها في حياته ، واقام عليها شعره وارتكزت عليها عاطفته .

ثم يعنى المؤلف بالفلاسفة الانسانيين ، فيعقد فصلا ، يقيم فيه « امين الريحاني » ويضعه موضعه بين جماعة الانسانيين الذين يجعلون الانسان ، محورا ومدارا ، ويتعصب له فيضعه ندا لطاغور ، وصنوا لجون لوك ، وشبيها بروسو ، ويبلغ به التعصب حده الاعلى ، وذروته الشامخة ، فيجعل منه معيارا للسلوك الانساني في الرحيم الذي يستمد مبادئه من تجارب حياته ، لا يقرأ الكتب لينقل عنها ، بل يعيش ويحيا حياة مليئة خصبة ، وعيشا غنيا بالاحساس الغزير بالمشاعر ...

ويصحبنا الفيلسوف الناقد الى جولة مع الشعراء الشبان في الجيل الماضي : الشابي في تونس ، والتيجاني في السودان ، والهمشري في مصر ...

يقول المؤلف : انه اختار هؤلاء الشعراء الثلاثة لانهم في نظره « نماذج للاحساس الحاد الملتهب ، الذي يتاثر بما حوله ، فيتالم بائسا يائسا ، ثم يرنو ببصره الى السماء ، فيرجو الخير مستبشرا متفائلا ، ويظل هكذا بين يأسه ورجائه ، عازفا على قيثارة الشعر الحانا ، فيها مرارة الحياة الثائرة ، وكانما القيثارة من لحم ودم ، وكانما اللحن من نار ، فماذا نتوقع الا ان تحترق الالة وشيكا بلحنها : وهذا هو ما كان ... » .

ولست احب العفوية في هذا الاختيار ، هي التي صادفت المؤلف ، ليختار هؤلاء الشعراء ، بل كان اختيارهم لعدة اسباب ، لعل في مقدمتها : « انهم ظهروا جميعا في حقبة واحدة وفي سنين متقاربة ، وكذلك لانهم « يمثلون التجديد في الشعر ، ولكن لا بمعنى التخريب والتحطيم واشاعة الفوضى ، بل بالمعنى الوحيد الذي يجوز قبوله في كل فن جديد ، وهو المعنى الوحيد الذي تجرى على سننه الطبيعة في خلقها لكل جديد ... »

ولقد كانت خاتمة هذا الكتاب ، بمثابة النقطة التي انتهى اليها المؤلف في حياته، او الدرجة التي وقف عندها، بعد استجلاء واستخبار وخبرة .. اذ المعروف ان المؤلف الفاضل قد بدأ حياته فيلسوفا ، ثم هو ذا الان يختمها ناقدا ، ولعله بهذا الفصل الذي عقده في آخر الكتاب ، يقول لنا : « لقد اخترت هذا المذهب واثرته ، لاخطط فيه ، بعد ما خططت ورسمت في اتجاهات اخرى ، وابواب من العلم والمعرفة » او لعل الاستاذ زكي نجيب محمود ، يرى الان اهتزاز رسالة النقاد ، وصرفها عن ما خلقت او وجدت من أجله ، فاراد بهذا توجيها ، ودرسا ، يريد : « تحليل النص نفسه تحليلا كاملا شاملا ، لنعرف كل ما يتصل به ، ثم ينتهيا لنا بعد هذه المعرفة ان نستدل ما نستطيع استدلاله » ثم لا يكون اغفال المذاهب النقدية العديدة ، «فكلها وسائل متعاونة يقرأ بها النقاد الإعمال الادبية ، نيابة عن عامة القراء ، ليرى هؤلاء فيما يقرءونه أمادا وأبعادا ومستويات لم تكن لتخطر لهم



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : Tel : Dir : 223819 الادارة ٢٢٣٨١٩ Dle : 225139 المنزل ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على بال ، لولا اولئك النقاد » .

ولو ذهبت اعدد نفعية هذه الدراسات التي جمعها الدكتور زكي نجيب محمود في هذا الكتاب ، لما وسعتني هذه النفعية الا ان اخرجها في كتاب ، محاكيا او مقلدا او منصفا ...

على ان النظر في هذه « الوجهة » التي اختارها المؤلف عنوانا لكتابه لتغني عن الجري وراء تلك الدراسات التي قلبت سيرتها في الف كتاب ، ولكن في هذا الكتاب ، لا يغني عنها الا مطالعتها ، وشفاء النفس والعقل من ملامستها وسط هذه الصفحات التي زادت على الاربعمائة ، ولو كان لي علم ، لحللتها موضوعا موضوعا ، وان شق هذا على جملة القراء ، الا ان فيه النفع لهم ، والخير لابناء العربية الذين سعدوا بمطالعة هذا الكتاب .

القاهرة **ابو طالبَ زيان**

●

ديوان ليلى الاخيلية

عني بجمعه وتحقيقه خليل ابراهيم العطية وجليل العطية ـ ٢١٩صفحة ـ وزارة الثقافة والارشاد ، مديرية الثقافة العامة ، سلسلة كتب التراث رقم ٥ ـ دار الجمهورية ببغداد

خليل ابراهيم العطية من هؤلاء الشباب القلائل الذين نذروا انفسهم طواعية ومحبة و « هواية » للعلم واللغة والتحقيق . وكان وهو طالب بكلية التربية ببغداد يكرس للتوسع بالمعرفة وقتا يزيد على الوقت الذي يكرسه للدراسة الرسمية ، وقد هيأ له ذلك اختصاصا وتميزا ، ويكفي انه اكتشف مخطوطة نادرة لديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ، فجد في درسها وتسنى له نشرها ـ بعد تخرجه ـ سنة ١٩٦٢ . ثم سار قدما ينتقط النوادر مستهينا بالوقت والمال من أجل بلوغ هدفه الشريف . وكان من الامور التي اعتزم تنفيذها جمع شعر ليلى الاخيلية بعد ان جار الزمان على ديوانها ويئسنا من العثور على مخطوطة له .

جد في المشروع « بالاشتراك مع شقيقه السيد جليل العطية » حتى تهيأت لهما « سبع واربعون قصيدة ومقطوعة تحتوي على قرابة ثلثمائة بيت ... » رتباها على حروف الهجاء « للقوافي » مع ذكر مصادر التخريج وبيان البحر واثبات نتائج المقابلة وشرح الغريب والتعليقات المناسبة ..

وتفرد الشقيق الاكبر بكتابة مقدمة قيمة ذكية رصينة في حياة ليلى وشعرها وبيان ما حوته المصادر عنهما على مر القرون .

ثم قدما المجموع الى الطبع باسم « ديوان ليلى الاخيلية » وصدر بعد ان زوداه بالفهارس اللازمة بما في ذلك فهرس اللغة .

ولا شك في ان الذين سينتفعون بهذا «(الديوان)» كثيرون ، ولا شك في انه سيطبع طبعة ثانية تفوق الاولى كيفا وكما . وقد لحظت لدى تتبعي المظان انه قد فات المحققين الفاضلين النص على بيتين اوردهما الشريف المرتضى في اماليه (٢ : ١٩) هما :

مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه في كل فج ، وان لم يغز ينتظر

ويمكن ان يسجل المدققون ملاحظات اخرى في هذا الباب او في غيره ، ولكن جملة العمل لا تدل على ان فاتهما شيء ذو بال ، او انهما قصرا ـ عن قصد ـ في خطوة من الخطوات ، فلقد بذلا جهدا ووقتا ورجعا الى عشرات المخطوطات والمطبوعات المشهورة والمغمورة ، بينها ما لا يخطر ببال الخاصة فضلا عن العامة .

ان مجموع شعر ليلى يبعث على التقدير وسيكون منطلقا لاعمال اخرى يقل فيها مجال المؤاخذة وتزداد عناصر الكمال ـ والامل اكثر من وطيد .

لقد اصبحنا نملك « ديوانا جديدا لنابغة من شواعر العرب ... وانا لديوان توبة بن الحمير لمنتظرون .

جامعة الرياض **علي جواد الطاهر**

●

في الادب الصهيوني

تاليف غسان كنفاني ـ ؟ صفحة ـ سلسلة دراسات فلسطينية ـ مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ مطبعة (؟)

عنوان الكتاب صدمني ولذلك امسكت به اول ما رأيته وانتقلت عيوني من غلاف الكتاب الى مقدمته ، وما زلت اقرأ حتى انتهيت منه وانا في حاجة الى مزيد .

صدر الكتاب في الحلقة الثانية والعشرين من دراسات فلسطينية التي يصدرها مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . وكنت ما ازال اؤمن بشيئين اثنين : اولهما ان منظمة التحرير ليست في حاجة الى مركز ابحاث او الى بحث او نشر ، فذلك ما يمكن ان يقوم به الافراد والمنظمات والهيئات ودور النشر في مختلف البلاد العربية . اما منظمة التحرير فعملها الاساسي المسدس والمدفع والقنبلة والدبابة والطائرة لا الكتاب والصحيفة ومركز البحث .

وثانيهما ان ما ينبغي ان يكتب عن فلسطين يجب ان يكتب بلغات اجنبية وبالاخص منها الفرنسية والانجليزية والاسبانية والصينية اما الكتابة بالعربية فهي لا تزيد على اقناع الذات . واذا كنا ما نزال في حاجة الى اقناع الذات فسلام علينا الى يوم الدين .

ولكن الكتاب الذي بين يدي لا يتحدث عن فلسطين وانما يتحدث عن اسرائيل . فهو ككتب اخرى صدرت في هذه السلسلة يعرف العرب بعدوهم . وهي نقطة ما تزال في حاجة الى مزيد لان العرب اعتادوا ان يستهينوا بالعدو نتيجة جهلهم به ، واعتادوا ان يجهلوه نتيجة استهانتهم به ، ولذلك ظل الفكر العربي في حلقة مفرغة بالنسبة للعدو . ويظهر ان هذه النكسة الفكرية كانت سببا في النكسة العسكرية التي واجهتنا نحن العرب ثلاث مرات في العشرين سنة الاخيرة .

والكتاب الصغير الذي اقدمه للقراء يسد ثغرة من ثغرات الجهل الذي يعم الفكر العربي عن اسرائيل ، بل عن الصهيونية العالمية التي اوجدت اسرائيل اذ يتحدث عن الادب الصهيوني في اللغتين العبرية والانجليزية كيف نشأ ، وكيف تطور ، وكيف سخر الدين اليهودي لخدمة القومية الصهيونية ، وكيف سخر التخلف الذي عاش فيه اليهود طوال الفي سنة لخدمة الصهيونية ، وكيف سخر شخصية اليهودي التائه لخدمة الفكرة السياسية ، وكيف سخر كل ما عرف به اليهود طوال التاريخ من غدر وخيانة لمحاربة العرب ، وكيف سخر مركب الاستعلاء الذي وجد فيهم نتيجة الشخصية المنحرفة لاحتقار العرب والنيل من كرامتهم . وكيف سخر العنصرية التي مارستها ضدهم اوروبا في فترات طويلة من تاريخهم الاسود ليمارسوها ضد العرب الذين حموهم واستضافوهم يوم كانت اوروبا تحرقهم وتشردهم وتنفيهم . وكيف سخر الاستعمار والتخلف الذي ابقى عليه الاستعمار في فلسطين ليظهر اليهود الامريكيين والاروبيين الذين قدموا مستعمرين في شكل تفوق الجنس وتفوق الدين . وكيف سخر تآمر الاوروبيين

والامريكيين ضد العرب والبلاد العربية لاسباب استعمارية معروفة ليظهر التفوق في الشجاعة والانتصار في الحرب والتفوق في الانتاج الادبي والعلمي والفني .

انه كتاب يحمل شعار : اعرف عدوك .

ويبدأ في فصله الاول عن صراع الصهيونية في جبهة اللغة . وترتبط فكرة الدفاع عن اللغة العبرية عند الصهيونيين بفكرة مقاومة الاندماج التي حمل لواءها الصهيونيون في العصر الحاضر دعوة كما مارسها اليهود عمليا طوال التاريخ . فقد اخذ دعاة الفكر للقومية اليهودية يناهضون فكرة الاندماج حتى يظل اليهودي يهوديا بالقومية لا بالدين مهما انتسب الى قوميات واصول عرقية اخرى . وكانت العبرية احدى سبلهم لتحقيق الفكرة . فقد كانت العبرية طوال تاريخ الدين اليهودي لغة الصلاة والدين والاداب الدينية ، ولكنهم ناضلوا ليجعلوا منها لغة الحديث والكتابة حتى عند الذين لم يسمعوا بها قط كيهود امريكا واوروبا . وهكذا تضغط الصهيونية بكل ثقلها لاستنتاج معان قومية للغة لتصبح في رحلتها السياسية « مفتاح الصندوق الذي يضم اغلى الكنوز » واصبحت بالنسبة للصهيونيين « لا لغة الماضي فحسب ، بل لغة المستقبل ؟ لغة البعث ، اللغة التي تمكن اليهود من البقاء كشعب واحد » .

لا حاجة الى بيان تزييف التاريخ بالنسبة للغة العبرية كما مارسه الصهيونيون فقد تكفل الكتاب الذي نقدمه للقراء بذلك . وانما المهم ان تلاحظ انهم بدأوا من نقطة البداية : اللغة . فلا قومية بدون لغة ، ولا لغة بدون تعميقها في التعليم والادارة والادب . وهذا ما صنعه اليهود في فلسطين .

ومن فكرة القومية اللغوية انطلقت الصهيونية الادبية التي بدأت قبل الصهيونية السياسية . بدأ الادب الصهيوني الحديث معتمدا على فكرة التفوق العنصري ، بل ان فكرة التفوق استغلت الادب في خدمتها فكتب هالين في سنة ١٨٥٤ : اننى ارى ان الاغريق كانوا مجرد فتية يتحلون بالوسامة بينما كان اليهود دائما رجالا ، رجالا اقوياء لا يقهرون ، وتستمر فكرة احتقار كل الشعوب لتصبح اساسا في العمل « الفني » الادبي الصهيوني الذي صدر بعد ذلك والذي يصور البولونيين جبناء والالمانيين برابرة والاتراك مرتشين واليونانيين اذلاء والعرب فرادين وخونة والانجليز متواطئين والامريكيين انتهازيين الخ .. ليبقى العنصر اليهودي : شعب الله المختار .

واتجه الادب الصهيوني الجديد لخلق شخصية جديدة هي شخصية اليهودي الجديد الذي لا ينتمي الى شخصية اليهودي كما هو في الواقع ، وكما صورته الاديان ثم الاداب والقصص والفولكلور العالمي . وليس سهلا ان تخلق شخصية جديدة من شخص عرفه التاريخ وعرفته الشعوب طوال آلاف السنين . ولذلك تضافرت جهود الادباء لتحوير التاريخ ولاستغلال العقد النفسية لتنتج الضد عن طريق التمرد ، ولتجعل من البخيل كريما ومن اللئيم طيبا ومن الجبان شجاعا ومن التائه مستقرا .ويحاول الادباء الصهيونيون ان يعطوا للاشياء معاني غير ما تعارف عليها الناس حتى يخلقوا شخصيات جديدة في عالم الادب اليهودي .

وبدأ هذا التحول في الادب الانجليزي اليهودي منذ سنة ١٨١٧ حينما صدرت رواية « هارنجتون » لماريا ادجورت ، فقدمت شخصية يهودية تختلف عن الشخصيات اليهودية التقليدية التي عرفها الادب الانجليزي فيما سبق . وهي الرواية الاولى ، في اعتبار معظم النقاد الانجليز ، التي ابرزت في الادب الانجليزي « شخصية يهودية طيبة ».

وتوالت الروايات بعدها فقدم دزرائيلي ـ الاديب السياسي اليهودي الانجليزي الذي تولى رئاسة الحكومة الانجليزية ولاول مرة في تاريخ انجلترا يتولى يهودي رئاسة الحكومة في آخر القرن الماضي ـ قدم هذا الاديب السياسي روايته « دافيد الروي » ليطرح بطله اليهودي طرحا عنصريا عنيفا . ويتبنى الفكرة العنصرية الهتلرية قبل وجود النازية بثمانين سنة فينادي بأن : « كل شيء عرق وليس ثمة حقيقة اخرى » ويقدم ضد اندماج اليهود في الجنسيات التي ينتمون اليها ويعلن في روايته « انك لا تستطيع ان تهدم عرقا صافيا ، انها حقيقة سايكولوجية ، انها قانون الطبيعة البسيط » ويعلن « ان العبريين عرق غير مختلط » . ومهما تكن الفكرة السياسية التي يهدف اليها فانه لا يستطيع علميا ان يثبت ان اليهود لم يختلطوا بل ان اليهود العبرانيين لم يعد لهم الا وجود ضئيل في البلاد التي عاشت فيها جماعة منهم مستقرة ، اما في بقية انحاء العالم فقد كانوا مختلطين لان وجودهم في عزلة عن الاجناس الاخرى ـ وقد طوقوا في مختلف انحاء العالم ـ لم يكن يقبله الواقع .

وانطلقت الروايات الصهيونية تمتح من هذا النبع العنصري فكتبت جورج اليوت روايتها « دانييل ديروندا » سنة ١٨٧٦ لترسي قاعدة فعلية لليهودي الصهيوني الذي يتمثل في ابطال يؤمنون بضرورة التصميم والعمل على المساهمة في صنع مستقبل العالم ومستقبل اليهود وادراك قيمة التراث والاتجاه الى فلسطين . وبهذه الدعوة اصبحت هذه الكاتبة من ابطال الفكر الصهيونية واعتبر الصهيونيون الحاليون انها اضافت الى تكوين اليهودية الصهيونية قاعدة جديدة هي البطولية .

ويستغل الادب الصهيوني بعد ذلك قصة اليهودي التائه لتتحول في المسرحيات والروايات من شخصية خاطىء ابدي الى شخصية متهم (بكسر الهاء) ومن مستغفر الى ثائر .

ويأتي بعد ذلك هرتزل الزعيم السياسي للصهيونية ليقدم ادبا صهيونيا في روايته « الارض الجديدة القديمة » وهي الرواية التي حولته من اديب الى سياسي ينشىء المنظمة الصهيونية . وروايته هي التي حولت الادب من عمل فني الى عمل دعائي . ويزعم ان ارض فلسطين التي اضاعها اليهود « كانت تستلقي في انتظار اليهود ليعودوا ويصلحوها ويسكنوها » .

ونقف فوق « الابحاث » و « الدراسات » والروايات التي يكتبها اليهود ليزيفوا التاريخ ويسخروا الاحداث لخدمة الصهيونية الى ان نلتقي برواية كان لها دور كبير في خدمة الصهيونية وهي رواية « اكسودس » التي كتبها الانجليزي ليون اوريس ورغم انه كتاب فظ مبتذل سخيف كما وصفه النقاد الامريكيون انفسهم الا انه « كتاب رائع بالنسبة لليهود الامريكيين » كما قال نفس النقاد . وقد اصبح اكثر الكتب انتشارا بين اليهود الامريكيين الذين يعرفونه اكثر مما يعرفون التوراة . ورغم تزييفه للحقائق التاريخية والعلمية فانه استطاع ان يسمم عقول قرائه بهجومه الشنيع على العرب وبدعوته للجنس وتمجيد اليهودي وتمسكه بفلسطين ومحاربته في سبيلها .

ويسير الادب الصهيوني الذي انشىء بعد احتلال فلسطين في نفس الخط . كل قصصه ورواياته قائمة على الافكار الاتية :

ـ ابطالها دائما منبعثون من مآسي الاضطهاد والمذابح قادمون من اوروبا الى ارض الميعاد .

ـ العرب يبرزون كأفراد لا قضية لهم ، ماجورون متخلفون فكريا وحضاريا ، وحشيون لا علاقة لهم بالارض التي خربوها على مر الاجيال.

ـ تماسك اليهود في وجه الاضطهاد ، وعجز غير اليهود عن فهم اليهود .

ـ الدين والعرق دافعان قويان ـ الى جانب الاضطهاد والمذابح ـ تدفع جميعها اليهود الى القدوم الى فلسطين .

في هذا الاطار يدور هذا الكتاب « الادب اليهودي » الصغير الحجم الغني بالمعلومات والتحليلات ليكشف لنا عن عالم واسع يخوض فيه اليهود ويعززون به القضية التي يناضلون من اجلها .

وهو اتجاه لم يعد مقتصرا على الادب وحده ولكنه استغل كل

مجالات التعبير الفني من مسرح وسينما واغان ورقص وملاهي حتى استطاعوا بذلك ان يطوقوا الفكر الانساني في اوروبا وامريكا . فاذا اضيف ذلك الى عملهم في ميدان المال والاقتصاد والدعاية والصحافة والتلفزة والاذاعة عرفنا بأي سلاح يحارب هؤلاء .

ولعل هذا الاتجاه الذي يتجهه الادب الصهيوني يضع على عاتق الادباء العرب مسؤولية كبرى هي التزام الادب لخدمة القضية التي يدافع عنها العرب وتسخير الطاقات الفنية لخدمة الحقيقة والتاريخ والواقع الانساني في فلسطين ، ولكن باللغات التي يفهمها العالم وبالاسلوب الذي يتأثر به .

الرباط ـ المغرب — عبد الكريم غلاب

رئيس تحرير جريدة العلم
ونقيب الصحافة

•

حـــدث ذات ليلـــة

مجموعة قصص ـ تاليف محمود البدوي ـ ١٢٠ صفحة ـ سلسلة الكتاب الماسي ـ مطبوعات دار الكاتب العربي بالقاهرة

من المعروف عن الاستاذ محمود البدوي ، انه من من كبار قصاصينا الذين لا يزالون ينشطون في الكتابة ويثيرون المكتبة العربية بانتاجهم . والظاهرة الطريفة التي يتسم بها ظهور مجموعاته الاخيرة ، انها لا تخرج كثيرا عن اعادة طبع كتبه ، لا جمع قصصه الحديثة الكثيرة المتفرقة بين صفحات الجرائد والمجلات ! ولا يعني هذا بالطبع قلة جدوى اخراج هذه المجموعات ثانية ـ الغريب ان الاستاذ البدوي لم يتح له حتى الان دراسة ممتازة تستوعب فنه ـ بقدر ما يشير الى اهماله في نشر مجموعات جديدة تعرض لمزيد من النضج في قصصه !

ومن هذه المجموعات التي صدرت حديثا ـ ظهرت طبعتها الاولى في عام ١٩٥٣ ـ (حدث ذات ليلة) !

يصاحب عملية تحويل شريحة الحياة التي ينتقيها الفنان من الواقع الى قالب القصة ، حدة وصلابة في أغلب الاحيان ، للاختلاف العظيم بين الطبيعتين . والتخفيف من هذه الحدة والصلابة او تلافيهما تماما ، معناه قدرة الكاتب الممتازة على الاقتراب من روح هذا الواقع وفهمه ونقله الى القارىء ، بكل ابعاد الحياة الحقيقية التي لا تعرف الحدود الصارمة والخطوط الهندسية الباردة والتقسيمات الجدولية المصطنعة . ومحمود البدوي واحد من قصاصينا القلائل الذين امكنهم الوصول الى هذا المستوى الرفيع ، وهكذا جاءت بساطته المعروفة في اسلوب القص . ومن هنا نفهم مثلا ما يبدو على انزلاق المرأة في قصصه من عفوية وبساطة ، بدرجة مذهلة تحطم الملامح التقليدية والمشاعر العاصفة الثائرة التي تظل في العادة هذا الحدث ! وهذا النموذج كثير التناول في مجموعات قاصنا ، ونستطيع ان نجده ايضا في « حدث ذات ليلة » في قصة « اللهب الاحمر » .

فزوجة عبد الكريم افندي معاون العزبة ، مثال للسيدة العادية .. وادعة جميلة في الثلاثين من العمر ورجلها في العقد الخامس ، روحها اميل الى المرح الطروب فتحاول الا تبتئس وحسبها الساعة التي هي فيها . باختصار تعيش حياة ست البيت الروتينية . ويجيء المهندس الزراعي الشاب الجديد ، الذي يحتل الطابق الاعلى . وتمضي الامور كالمعهد بها في رتابة ، كما يحدث في الحياة لا في القصص التي تفسر احداثها قسرا على اتخاذ اتجاه معين ! فليس مقدم شخصية جديدة بقدر يحط فجاة ومنذ الدقيقة الاولى على الشخوص الاخرى ، يشكلها من جديد عابثا بحاضرها ومستقبلها ! وهكذا لم يكن مجرد ظهور مهندسنا على المسرح ، اشارة البدء لتغيير ملامح القصة . بل تحرك الزمن خطوات غير قصار ، ربما لتختمر اشياء تحتاج الى تخمير ، ولتعطى « العادة » طعم التمهيد للاحداث المقبلة . ثم بدا الامر لا يزيد عن مجرد اعجاب عابر ضئيل هامشي من المهندس الشاب للزوجة الحسناء .. ولكن الالتقاء اليومي بين الرجل والمرأة اذاب الحواجز التي تكون عادة بين غريبين ، وانطق الرغبات التي تساور صاحبيهما واطلقها .. فعندما التقت هذه الرغبات كان لقاء حميما صديقا . يعيش لحظاته ودقائقه من وراء الوعي الملتفت ، تماما كما نقوم بعملية التنفس بلا ارادة او انتباه . هذا هو وقع الالتحام الجسدي وانطباعه . ولكن ما بعد هذا الالتحام كان مرحلة واعية بكل منعطفاتها وخاصة عند المرأة . ولذلك عندما توفي الزوج العجوز بعد مرض لم يمهله طويلا ، ظنت العاشقة ان مطالبتها اياه بالزواج هو الخطوة الطبيعية المعقولة ، كما كان طبيعيا معقولا ان تقدم اليه جسدها بلا من او تمنع عندما ادركت رغبته فيه . وعندما لم يفعل حاولت الانتحار .

هذا هو المظهر البسيط لانزلاق المرأة في قصص البدوي ، بساطة مظهر وعمق مضمون لا يعني انحلالا او تهتكا ، بقدر ما يشير الى حدوثه ـ اي الانزلاق ، لا الانحلال والتهتك ! ـ بلا عواصف او فواجع !

ومن الموضوعات التي يميل محمود البدوي ايضا الى تناولها كثيرا في قصصه .. لعب القمار . وهذا اللون من اللعب باثارته

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

في كل مناسبة سعيدة خير هدية تقدمها :

الحـرب العالميـة الثانيـة

لريمـون كارتييـه

ترجمـــة

انطوان مسعود — وسهيل سماحة

اخراج رائع — وترجمة موفقة

الجزءان بسعر — ١٠٠ ليرة لبنانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشديدة لنفوس اصحابه ، وبما يحفل به من ضروب الانفعال البالغة المختلفة التي تصاحب الكسب والخسارة ، ميدان خصب يجول فيه قلم القاص الفنان ويصول ، واذ يفعل كاتبنا الكبير الا ان القارىء يكتشف ان هذا ليس باعث قاصه على عرض هذا الجانب ، لانه يتجاوزه الى افاق ابعد تلتمس المآسي الانسانية التي يفرضها وجوده بكل ابعادها النفسية . واذا كانت قصة « سارق النساء » تلفت الى ان لا شيء يأخذ بلب المرأة كالرجل المقامر ، وان لعب القمار يجمع حوله دائما اجمل الفتيات اللواتي يعز لقاؤهن في غير هذا المكان ـ كازينو القمار ـ واللاتي يقمن فريسة اصحاب المغامرات . و « الزوجة العصرية » تشير الى لعب الورق كصورة لاستخفاف سنية بزوجها الضعيف . و « طبيب الموكز » تعكس اثره كمخرج لبطل القصة الذي لم يجد ازاء خواء الريف العريض ، بعد فشله في توعية الفلاحين ، الا الانغماس في الشراب والقمار . فان « في منزل المقامر » ـ هذه القصة الممتازة ـ لا تقتصر على ان يكون لعب الورق موضوعا ثانويا كما في الاعمال السابقة ، بل تخلص له كلها . وهي تحكي مأساة امينة الفتاة الحسناء التي تعيش حياة ممزقة في جانبها الشخصي وغير الشخصي على السواء ، بسبب لعب الورق . فأبوها مدمن قمار كبير ، يمضي نهاره وليله بين لعب الورق والاستعداد له ، متجاهلا مسؤولياته ازاء اسرته فكانه لم يتزوج ولم ينجب . ويفري الاب الام فتندفع فيه هي الاخرى، وبين تهالك الزوجين تفقد الاسرة البقية الباقية من تماسكها ، فتتقطع الصلات بين الابناء والوالدين وكان يمكن ان تخفف حدة هذا التهالك شيئا لو ان اللعب يحدث خارج البيت ، ولكن الاب يقيم المائدة الخضراء في شقته ، فتصبح مجمعا للاصدقاء المقامرين ـ الذين تمتد السهرة بهم كل يوم الى ساعات الصباح الاولى ، فيبيت البعض في المنزل كيفما اتفق ـ وموضعا غير مهيىء لاستذكار الابنة الصغيرة التلميذة ، فتستعين ببيوت صويحباتها . واذ تسهل عملية خروجها وتكثر ، تنحرف الفتاة ولا تعود الى بيتها الا في ساعة متاخرة ، اما الاخت الكبرى المتزوجة فقد منعها الزوج من ان تطىء عتبة البيت المنحل

لم تكن هذه الاشياء جميعا الا الجانب العام من مأساة امينة ، اما الجانب الخاص فانه لم يتبلور في عدم انحرافها ومقاومتها المستميتة في هذا السبيل فحسب ، بل في عنوستها ايضا . فأي رجل يمكن ان يطمئن الى اتصال اسبابه بأسباب هذه الاسرة التي اصبحت بهذا الشكل ، فيقترن بأحدى بناتها ! وهكذا امتدت السنوات بأمينة الجميلة واحلامها ومستقبلها تتساقط حولها . وتجيء صحوة الاب عندما يحاول احد اصحابه الاعتداء على امينة فتقاومه وتصرخ ، ويستيقظ الجميع على قمة المأساة . اما الرجال الغرباء فقد ران عليهم صمت خجول وغادروا المنزل في الحال ومعهم المعتدي ، اما الاب فقد شده ، اذهلته الصدمة وايقظته في نفس الوقت . وفي غمار هذا الهول دخل حجرته واطلق على رأسه الرصاص .

ومن الواضح ان تعايش فناننا في « في منزل المقامر » ـ مهما اختلفت الاراء حول الخاتمة ـ كان بالغا وعميقا ورائعا بدرجة لم تتجمع كثيرا في بقية المجموعة كما فعلت في هذه القصة . ولعل من اروع ما صنعه البدوي ، ما لجأ اليه من اسلوب غير مباشر وهو يجعل القارىء يترك بصماته بوضوح على من لا يلعبه ولا يطيقه ! فأمينة مثلا ، تحاول الاسترخاء قليلا في الشرفة والدنيا ليل ، ولكنها لا تستطيع لا لان صخب القمار يأتيها في مكمنها فحسب ، بل لان اباها لا يفتأ يناديها لتصنع لهم القهوة وتقاسي الانقباض الشديد وهي تدخل الغرفة التي ينعقد فيها الدخان الازرق وتتناثر فيها زجاجات الخمر وصياح المهووسين . ومن اللقطات البارعة ايضا ، ذهول الاب ازاء محاولة اعتداء صاحبه على ابنته « ونظر والدها اليها والى الرجل ولم يقل شيئا ، كان يتصور ان كل شيء يمكن ان يحدث في البيت الا هذا .. فلم يخطر له قط على بال .. ووقف شاردا مصعوقا لحظات وعيناه تحدقان فيما حوله ولكنه لا يبصر بهما شيئا .. ثم انسحب من مكانه ودخل غرفته واغلق عليه بابه » (ص ٨٨) .

وتحتوي المجموعة بجانب اعمال ممتازة مثل « ليلة رهيبة ـ اللهب الاحمر ـ طبيب المركز ـ سارق النساء ـ حدث ذات ليلة ـ بنسيون منيرفا » على عدد قليل من القصص ينبىء القارىء بوضوح ان كاتبه لا يقدم فيه احسن ما عنده . فهو مثلا يكتفي بالسطح ، المنعكس في تجسيد مجرد فكرة بالية قديمة عن تصاغر المرأة الفنية المتعطشة للحب لشاب فقير وسيم ، كما في « حلاق للسيدات » . واستبداد الترقية بفكر الموظف الصغير المنسي في « صالح للعمل » . وتبلد عقل الصبية العاشقة التي لا خبرة لها واستسلامها للحبيب المتشرد في « عندما تحب النساء » . وضرورة الالم لانصهار الموهبة في « المايسترو » .

وتشمل «حدث ذات ليلة» على مستوى ثالث ، هو ما يمكن ان نطلق عليه، القصص الخفيف. الذي يتناول فيه القاص موضوعه بأسلوب لا يلمس القارىء جديته . ربما لان المؤلف يخطف معالجته خطفا ، او لم يكن عنده ما يقوله اذ ذاك الى الدرجة التي تستوعب قصته . وان صيغ هذا كله في القالب القصصي المعهود بمحمود البدوي . كما نجد نموذجا لهذا اللون في « الزوجة العصرية » ، وفي مقدمتها التي تبدو في معظم الاحيان عند قاصنا ، كخلفية الصورة ، نعرف ان عبد الخالق افندي ـ ظاهرة « الافندية » تكثر في هذه المجموعة بصورة واضحة ، ولا عجب فقد نشرت قصصها في الصحف قبيل الثورة ! ـ قد حقق امنيته بزواجه من الانسة سنية توفيق ، ولذلك فقد عمل على اسعادها بكل ما في وسعه ، ومن نقطة الضعف هذه بسطت الزوجة سيطرتها عليه حتى اصبح لعبتها . وجاء الصيف فتركته في القاهرة وسافرت الى الاسكندرية . ويذهب اليها بعد شهر فلا يجدها في استقباله ، وانما يعثر عليها على الشاطىء تلهو بلعب القمار بصحبة شاب مغازل ، وترحب به بفتور شديد . وعندما ينتهي اللعب تتركه يحرس برنسها وبرنس صاحبها الذي نزل معها الى البحر . وفي هذه اللحظة يدرك الزوج مدى بشاعة الموقف ، فيثور على نفسه ويعود الى الشقة آخذا حقيبته الى بنسيون ، وتعجبه صاحبة البنسيون ويخون زوجته للمرة الاولى ! هذه هي القصة وهذه هي معالجة القاص الكبير للزوجة الخائنة !

وليست هذه القصة وحدها التي تثير موضوع الزوجة العصرية في المجموعة فهناك قصة اخرى هي « طبيب المركز » تناولته ايضا ولكن لم تقتصر عليه وحده كما فعلت السابقة ، بل كان احد عناصرها . فيقول بطلها الطبيب معللا موقفه من رأيه المصر على فسق حواء « تزوجت مرة واحدة وكانني تزوجت مائة مرة .. تزوجت امرأة مرغتني في الاوحال .. كانت عصرية من بيئة مثقفة وكانت تلعب القمار وتدخن وتسكر حتى تفقد وعيها وحتى لا تدري ما يراد بها » (ص ٤٨) . ومن الطريف ان هذه هي نفس سمات سنية توفيق ايضا ! .

والحوار من الاشياء التي تستاهل وقفة في « حدث ذات ليلة » . ولست ادري هل يتخذ محمود البدوي من قضية لغة الحوار موقفا محددا يلزم نفسه به ، واذا كان يتخذ مثل هذا الموقف فما هو ؟! ام انه لا يلتفت الى هذه القضية ولايعطيها اهتماما زائدا ؟ اعني انه لا يراها جديرة بالانتباه الى حل بشأنها ؟! ويخيل الي ان قاصنا كما تعكس هذه المجموعة الصق بالفرض الثاني ! فمن الصعوبة ان يدرك القارىء موقف البدوي من لغة الحوار بوضوح ! لانه لا يكتبها بالعامية في قصة وبالفصحى في قصة اخرى فحسب ، كما يفعل الكثير من القصاص الذين لم ينتهوا بعد الى رأي اخير في هذه المشكلة الصغيرة . او يخلط الدارجة بالفصحى في قصة واحدة في المواقف المختلفة كما يحلو للبعض ان يفعل بحجة اختلاف مستوى الشخصيات الثقافي او الاجتماعي ، بل يجد القارىء هذا الخلط بين اللغة الام واللهجة المحلية في الموقف الواحد واللقطة الواحدة الصغيرة كما في قصة « اللهب الاحمر » ص ١٢ !!

المنصورة ج.ع.م.

علاء الدين وحيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط ـ تأليف الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ٢٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ مطبعة الترقي بدمشق.

● الغريب والبحر ـ مجموعة شعرية ـ مؤيد العبدالواحد ـ ١١٤ صفحة ـ منشورات دار المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الكراكي ـ مسرحية في ثلاثة فصول ـ تأليف نور الدين فارس ـ ١٠٨ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الانثربولوجيا وازمة العالم الحديث ـ تحرير رالف لنتون ـ ترجمة عبد الملك الناشف ـ ٤٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الصمت والحقيقة ـ قصة ـ تأليف ياسين حسين ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاصول العربية للدراسات السودانية ـ جمع واعداد وتنسيق يوسف اسعد داغر الاختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة النجوى ببيروت .

● المختصر في الصحافة ـ تأليف احمد عاشور راكس ـ تقديم محمد الشاوش ـ ١٥٤ صفحة ـ الكتاب ٦ في سلسلة الكتاب الليبي ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بليبيا ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة في طرابلس بليبيا .

● الاسلام في العقيدة والنظام ـ تأليف كاظم الشيخ جواد الساعدي ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع على نفقة الحاج محمد سليمان الذكير ـ مطبعة القضاء في النجف الاشرف بالعراق .

● اساسيات في علم الضرائب ـ تأليف علي محمود عبد المتعال ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة عين شمس ـ مطابع دار الجيل بالقاهرة .

● الوطن العربي : دراسة للامحه الجغرافية ـ تأليف الدكتور محمد سعودي ـ طبعة ثانية ـ ٧١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار النهضة العربية ببيروت ـ مطابع قدموس ببيروت .

● الحقيقة الواضحة عن السرطان : اعراضه ، اشاراته والتشخيص المبكر ـ تأليف الدكتور موريس ستون اخصائي امراض السرطان ـ تقديم البروفسور سير برايان وندءيا ـ ترجمة الدكتور فوزي بشير هنانو ـ ١١٦ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الموت .. اختيارا : دراسة نفسية اجتماعية موسعة لظاهرة قتل النفس ـ تأليف الدكتور فخري الدباغ اخصائي بالامراض النفسية والعصبية من جامعة لندن ـ ٢٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المكتبة) .

● زورق الحرية ـ مجموعة فلسفية من الشعر المنثور تتناول الانسان ـ فاطمة خليفة ـ ١٢٤ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المكتبة) .

● العصور الوسطى الاوروبية ـ تأليف الدكتور عبد القادر احمد اليوسف ـ ٣٨٦ صفحة حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الارض ـ رواية ـ تأليف اميل زولا ـ ترجمة رفعت السعيد ـ ٣٧٦ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المرأة في القرآن والسنة : مركزها في الدولة والمجتمع وحياتها الزوجية المتنوعة وواجباتها وحقوقها وآدابها ـ تأليف محمد عزة دروزة ـ طبعة جديدة منقحة وموسعة لرسالة المؤلف « القرآن والمرأة » ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● افكار معاصرة ـ تأليف احمد بهاء الدين ـ ٣٥٨ صفحة حجم كبير ـ منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ميشال ستروغوف او الواجب المقدس ـ تأليف جول فرن ـ اقتباس ميشال ابي صعب ـ ٢٢٤ صفحة ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● الدروب الخطرة ـ تأليف ج. كيروود ـ ترجمة ميشال ابي صعب ـ ١٢٤ صفحة ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● في غياب زوجها ـ قصة ـ تأليف جرجس الماريني ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● شجر الدفلي ـ رواية ـ تأليف اميلي نصر الله ـ الغلاف بريشة رضوان الشهال ـ ٢٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة النجوى ببيروت.

● آرا الجميل ـ ملحمة شعرية ـ لويس رزق ـ تقديم سعيد عقل ـ الغلاف والاطار بريشة يوسف فريجات ـ ٢٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حين يجف البحر ـ مجموعة قصص ـ تأليف يوسف الحيدري ـ ١٤٨ صفحة ـ منشورات الكلمة بالنجف ـ مطبعة النعمان بالنجف العراق .

● ابو عمرو الشيباني ـ تأليف الدكتور رزوق فرج رزوق ـ ٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● الذئب في حياتنا وتراثنا ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في سورية ـ ٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٠ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات في دير الزور ـ مطابع الف باء والاديب بدمشق .

● العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد ـ تأليف الاب هنري فليش اليسوعي ـ تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين المدرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ـ ٢٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● صفارة الانذار ـ مجموعة شعرية ـ سعد البواردي ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات دار الاشعاع ـ مطبعة الغريب ببيروت .

● Louis Cheikho et son livre « Le christianisme et la littérature chrétienne en Arabie avant l'Islam » — par Camille Hechaimé, S J. Docteur en littérature Arabe - 216 pages - gd. f. - Dar El-Machreq Editeurs, Beyrouth — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Poème d'Aujourd'hui ou des Delices du changement - par Georges Linze - 80 pages - Editions «Anthologie» Liège, Belgique.



عبد العزيز جادو

انفعالاتك.. كيف تستخدمها وتطبقها

بقلم عبد العزيز جادو

* * *

من اصعب الاشياء التي ستتعامل معها في خلال هذه الرحلة الشائقة التي سنجتازها معا : الانفعال .

والانفعالات يمكن ان يعبر عنها بطرق واساليب شتى . فنحن قد يكون لدينا حالات مزاجية وانفعالات مخربة ، هدامة ، وقد يكون لدينا حالات وانفعالات بناءة، خلاقة . كما ان هناك تشابها بين الانفعال والطاقة تسميه الكهرباء . ومع ان كلاهما غير منظور الا انهما قوتان قديرتان ، فعالتان ، لهما سطوة اي سطوة .. ويمكن ان يستغل كلاهما اما بطريقة بناءة ، او باخرى هدامة ، وذلك حسب الاتجاه الذي يتلقيانه منا ، وحسب الفهم والادراك الذي عندنا .

ودرجة الانفعالات التي نعبر بها ، واثرها على وجودنا الطبيعي ، انما تتوقف الى حد كبير على ما اذا كنا ذوي شعور شاذ يؤثر فينا بطريقة مخالفة للمالوف ام العكس . فالشخص الفاتر ، المتراخي ، يعاني من الانفعال ارتكاسا واعيا بسيطا . وهناك انماط معينة من اولئك الذين عندهم بلادة في الاحساس والتأثر وخمول في الشعور ، لدرجة يستطيعون معها مواجهة عمليات معينة ويجتازونها بدون حاجة الى تخدير . وليس في هذا اية شجاعة ، وانما يمكننا ان نقرر ان الاتجاه العقلي له نصيب من العمل ،ولكن الاعصاب ذاتها تكون في هذه الحالات اقل احساسا بدون شك . وجدير بالذكر ان معظم الاحساس بالالم ينشا عن الانسجة الخارجية حيث توجد اطراف العصب . وان الجروح التي تحدث في الانسجة العميقة ليست مؤلمة للغاية .

والانفعالات السلبية ، الهدامة ، تسبب تغيرا كيميائيا محسوسا في الاجسام ينتج عنه نقص في الحيوية وفي صحة البنية ـ من حيث النشاط واداء الوظيفة ـ فيكون الكسل الوظيفي . وسرعان ما يشتد احساس العصب ، فيصبح الجسم تربة خصبة للارتكاس من جميع الاشياء ذات الطبيعة الانفعالية ، وارضا صالحة ينمو فيها الاضطراب وينفشي فيها الفساد .

والانفعال اقوى طاقة فينا . فهو يدفعنا ـ كالقوة المندفعة من الة كبيرة ـ الى اعلا والى أمام ، والى خلف ، والى اسفل . وفي مقدوره ان يجعلنا سعداء ، ويرفعنا الى اسمى درجات السعادة ، او ينزل بنا الى اقصى دركات التعاسة . وفي امكانه ايضا ان يجعلنا نطير فرحا ونتهلل بشرا ونزهو طربا ، او نصرخ من الحزن والحسرة . وفي امكانه ان يجعلنا نطلق صيحة فرح او صرخة الم . انه كالبخار المحبوس في المرجل يجاهد في ايجاد تعبير .

والانفعال موجود في الناس منذ الولادة حتى يخبو من شمعة الحياة شعاعها . فالفلام الصغير الذي يوصف بالسوء او بالرداءة هو الذي يعبر عن هذه الطاقة بطريقة هدامة . وقد تكون قوى ادراكه ، وقيادته، والتوجيه الذي يتلقاه عن شخص اخر اكبر منه هي التي تمد هذه الطاقة بما تحتاجه .

ومهما يكن من شيء ، فاننا نرى ان من الناس البالغين الذين لديهم قوة ادراك مكتمل النمو من يستعمل هذه الطاقة بطريقة مخربة ، هدامة ، تماما كما يستعملها الفلام الصغير .

وكثيرا ما يكون الانفعاليون عصبيي المزاج ما لم يقوم هذا الانفعال ويوجه توجيها حسنا ، وتحكم قيادته بدقة . انه قوة يجب ان تخضعها لك ، وتسيطر عليها تماما ، والا فستقهرك وتتغلب عليك ، ومن ثم تصبح لها عبدا ذليلا .

وانفعالاتك في مقدورها ان تحرك اعصابك ، وان تلعب بها ، وتجعلك كريشة في مهب الرياح . او كمركب تلعب به العواصف والانواء . والانفعاليون كثيرا ما يغلب عليهم الهم ، وينطبع على ملامحهم طابع الحزن والاكتئاب . وانك لتجدهم ذات يوم في الذروة ، وفي اليوم التالي في اسفل درك يمكن ان يهبط اليه انسان .

يقول وليم جيمس : « اذا قسنا انفسنا الى ما يجب ان نكون عليه ، لاتضح لنا اننا انصاف احياء !.. فاننا لا نستخدم الا جانبا يسيرا من مواردنا الجسمانية والذهنية . او بمعنى آخر ، يعيش الفرد منا في حدود ضيقة يصطنعها داخل حدوده الحقيقية . انه يمتلك قوى كثيرة مختلفة ، ولكنه عادة لا يفطن اليها ، او يخفق في استخدامها » .

ما هو المزاج العصبي ؟

ومن المحتمل ان يميز الناس السلالة العصبية من خلال الانفعال اسرع مما يميزون الانفعال ذاته .

واذا سئلنا : ما هو المزاج العصبي ؟

اجبنا : انه المزاج الذي لا يكون فيه الجهاز العصبي بأسره تحت سيطرة الادراك والارادة . وهذا التعريف قد لا تجد مثيلا له في اي مكان آخر ، ولكنه الحقيقة في بضع كلمات قصار . والذين يتخلقون بمثل هذا الطبع غالبا ما يكونون ذوي ارادة قوية ، ثابتة للغاية ، ولكنها ارادة يضللها ويسيء توجيهها في اكثر الاحيان تاثير الانفعال . وكثيرا ما تحمل هذه الارادة الفرد على الوقوف في مواجهة ما يعتبره الشخص الهادىء الرصين امرا معقولا ، ولكنه يثابر على هذه الفكرة ، ويظل على هذا الامر الى ان يدعو الانفعال المضاد الى التوقف ، الذي ينتهي الى الانهيار والهبوط او التغير المفاجيء في الحالة بأسرها .

وثمة شخص عصبي المزاج يحتمل ان يكون ماهرا وذا ذكاء حاد وله عقلية قوية . وهذا في مقدوره ان يقوم باداء اي عمل اذا امكنه ان ينتظم في خطة العمل الذي يؤديه.

اما أسوأ حالات ضعف الاعصاب او الخورالعصبي (النوريستانيا) التي نشاهدها فهي تعبر عن عقول قوية ، بارعة ، ماهرة ، فعالة ، نشيطة ، اقرب ما تكون الى الاستبطان (١) ، ولكن استحالة ضبطها ، وكبح جماحها ، جعلاها اشبه بزوج من الخيول الجامحة .. وهكذا تغدو هذه الطاقة الدقيقة التي يملكها ، هدامة في ميولها واتجاهاتها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا نحن درسنا تاريخ مشاهير الرجال نجد انهم ذوو احساس ، وعندهم سرعة تأثر وانفعال ، ونزعة الى العصبية ، ولكن هناك مع ذلك ، ارادة جموح لا تقهر هي وحدها التي امكنها ان توجه هذه القوى الى وسائل بناء ، خلاقة . فاصبحوا سادة مسيطرين على هذي الطاقات العجيبة ، بدلا من ان يكونوا عبيدا لها مسودين . وهذه الطباع وهذه الامزجة هي التي خلقت القادة والعظماء والزعماء .

ولكي نحقق النجاح ونؤمنه نرى ضرورة ادخال العاطفة في جميع الاشياء ، فحياة الانسان تكيفها عواطفه ، بل ان العاطفة هي القوة الدافعة للحياة . فاذا اشتعل القلب ، شع العقل نورا .. يقول بيرون : « النور الذي يلمع في عينيك تأتي به النار التي تضطرم في صدرك » .

اما الاحساسات والمشاعر فهي الاساس في اثارة جميع اشكال الدافع . اذ ان جميع ما نراه من الاعمال الدقيقة ، الرفيعة ، الخالدة ، التي قام بانجازها كل من تيتان ورافاييل وليوناردو ديفنشي ، كانت نتيجة العواطف الحارة المتحمسة التي عن طريقها وتحت ظروف خاصة خلقت كل طرفة منها . فالفنان كما يقول الشاعر الالماني جيتيه : « انسان يمتاز عن سائر البشر ، فهو يأكل ويشرب مثلهم ولكنه يحس بغير احساسهم » .

والانفعالية التي احسن ترتيبها ، واجيد تنظيمها ، ضرورية للغاية . واني موقن تمام اليقين بان من الاخطاء الشائعة في تربية شبابنا ، اننا نبدأ معهم بتدريب الذهن قبل تدريب الانفعالات . فبدون المقدرة على الشعور بقوة ، لا يمكننا ان ننجح في تدبير شؤون حياتنا الضرورية . وارى من المناسب في هذا المقام ان انقل فيما يلي ما قاله احد الكتاب المعروفين :

« يجب علينا ان نقرر ونعترف بان الحياة الانفعالية هي الاساس او القاعدة للشروع في كل عمل سام ، رفيع ، وللوصول الى كل تفكير سليم نبيل . ونحن لا يمكننا ان نصنع الرجال اذا تجاهلنا العناصر الجوهرية في الرجولة . فلكي نعيش عيشة رغدة ، ميسرة ، موفقة ، يتحتم علينا ان نعرف الاشياء بوضوح وجلاء ، ونشعر بشدة ورغبة ، ونعمل بنبل وشرف . وبقدر ما سيكون هذا العمل سارا بهيجا ، سيكون لدينا ـ في الغالب ـ عملا نبيلا ، شريفا .. عملا يوحي به الشعور لا الفكر وينبع من الشعور لا من الفكر .. » .

والعالم لا يحكمه الفكر بقدر ما يحكمه الانفعال . والبواعث الدافعة ليست افكارا في العادة ، وانما هي مشاعر واحاسيس . اما الافكار الخاصة التي تتعلق بالمشاعر فهي غالبا ما تكون محدودة او مقدرة بما يبدو لنا من انها ليست الا مجرد ظروف فحسب .

والفكر يعتبر ميتا بدون انفعال . وللانفعال حياته الخاصة به ، وهو مستقل ، غير مرتبط بالفكر . والافكار ان هي الا ارواح هائمة ، واطياف شاردة ، تعتمد في حيويتها على تيارات من المشاعر مغنطيسية .

الادراك والارادة

وحين نعود الى التأمل في حياة الاسرة يتضح لنا في الحال ان الاعتماد هنا يجب ان يكون في الغالب على انفعالات مرتبة على اتم ما يكون الترتيب ، ومنظمة على خير وجه . واني اذا قلت : « انفعالات مرتبة » فلان العاطفة لن تكون مأمونة الا اذا كانت تحت رقابة شديدة ، رشيدة ، وقيادة حكيمة من : الادراك ، والارادة .. وينبغي ان يكون في كل بيت مزيد من العاطفة الجياشة لتجعل منه جنة وفردوسا ونعيما مقيما .. اما الهم والكدر فلن يكون لهما مكان مع القصد السعيد ، والغاية الهنيئة . واما الغيرة الحقيرة ، والحسد البغيض ، والضغائن والمضايقات الدنيئة ، فهي تسلب من الحياة رونقها وبهجتها ، وتمحو من الوجود تناسقه وحسن ايقاعه ، وتحيل النعيم جحيما ، والراحة عذابا مقيما .

وليس ثمة اعذار تلتمس لهذا النوع من تلك الصفات ، فالشاب ينبغي له ان يبدأ حياته بالعزم والتصميم على احتضان احسن الانفعالات ، وتنشئة نفسه على افضلها واقواها . وقد يلاحظ ان اسلوب الحياة الزوجية يسير في بعض الاحيان على نهج يبدو فيه طابع التعاسة مما جعل بعض الشبان يعرضون عن الزواج ، ويعزفون عن مجرد التفكير فيه . وكثيرا ما يواجهنا سؤال عن السبب الذي يجعل المحبين عرضة لان يصبحوا نفورين من بعضهم بعد الزواج مباشرة ، حتى ولو كانوا قد قضوا فترة طويلة في مطارحة الغرام ، واستجلاب الرضا في هناءة وغبطة ؟ فنجيب على ذلك بأن التجارب الجديدة التي كانوا يتطلعون اليها بشيء من السرور والانشراح ، دخلت في مشاعر اخرى متحركة ، اقرب الى القسوة والعنف . وكثيرا ما تنشأ المتاعب التي تنتهي في الغالب بالانفعال من تعقد الامور بسبب الانانية البغيضة والرغبة في التسلط .

فاذا تخلصت الرابطة الزوجية من رغبة التملك وحب السيطرة سواء أكان مبنيا على الرضا ام عدمه ، يمكن ان تظل الرابطة وثيقة العرى ، متماسكة الاركان . وانفعالات الحب يجب ان تتم بصورة مقنعة ، بدون اي اعتبار او تقدير لمعنى العواطف . ويجب ان يكون كل انفعال متفقا مع كل حرية تتلاءم مع العاطفة الاصيلة ، الحرة ..

وينبغي للزوج ان يظل لزوجته مثال الشرف والحنو والرقة . وان يكون هو ذاته العاشق الولهان المتيم بمحبوبته . ويحرص كل الحرص على ارضائها بكل الوسائل ، والتعبير لها عما يعتلج في فؤاده من وله وحب ، ويجب على الزوجة بدورها ان تبادله نفس الشعور ، وان تردد له نفس الحان الحب وانغام الهوى . وان تبعث فيه الثقة التي عرفها عنها قبل الزواج . وان تضع نصب عينها ان الرجل يحب ان تكون زوجته دائما هي نفس الفتاة التي تزوجها ، تلبس وتتزين من اجله ، ولا تفكر في شيء الا اسعاده ..

بل هناك اكثر من ذلك ، فالزوج يجب عليه ان يربط بين النبل والقوة من الناحية التي يوجهها نحو العالم ، بالناحية التي يوجهها نحو زوجته ، فيوفق بين الرعاية الطيبة ، واللفتات الرقيقة التي يقدمها حبا طاهرا ، صافيا ، وبين اللطف والانس الذي يجب ان يبديه لاحدى المحظيات ، كما ان الزوجة يجب ان توفق بين كرامة ربة البيت وعزة نفسها ، وبين التيه والدلال الذي تصطنعه نساء المجتمع او المرأة اللعوب .

وهناك رجال عزب وفتيات عازبات يفتقرون الى الفهم . ولهذا السبب يجدون صعوبة شديدة في الالتقاء بأخدانهم او الاجتماع بهم حتى ينعموا بالحياة التي نعتبرها طبيعية بالنسبة للرجل . ويبدو هذا بوضوح في كثير من الحالات الناشئة عن عدم وجود الغريزة الاجتماعية ، او الناتجة عن انفعال لم يحكم ضبطه يأتي في شكل تهيب واستحياء . ومن المحقق ان الاستحياء هو الذي يحدد حياة الفرد . فهو ـ كما اعتقد ـ احد النماذج الكئيبة ، السيئة ، للخوف والانفعال التي ورثها الانسان .

عناصر العقل

واذا سأل سائل : اذا استمرت الغريزة العاطفية او الانفعالية عند فرد في الاندفاع على هواها بدون تأمل او تبصر ، فكيف يتسنى لهذا ان يوقفها عند حدها ، ويكبح جماحها ؟.. وهذا يتم على احسن وجه اذا وضعنا نصب اعيننا عناصر العقل الثلاثة ، وهي : الارادة ، والذهن ، والانفعال ، واذا صممنا مرارا وتكرارا على التمسك بها ، والاستمساك باهدابها ، والمحافظة عليها ، لتثبيت العلاقات وتوازن الصلات . فالارادة يجب ان تكون دائما العامل السائد ، الثابت . وان تكون بمثابة السلطة التنفيذية ، او الضابط الاداري الذي يقوم بتنفيذ الاشارة وتلبية رغبات كل من الذهن والانفعال . وكل ابتكار وابداع انما ينبع من الانفعال ، ولكنه لا ينبغي ان ينقلب او يتحول الى ارادة حتى يقرر رضا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادراك . وفي اي حال من الحالات ، وفي اي ظرف من ظروف الحياة ، لن يكون في مأمن ذلك الشخص الذي يقول : « سأقوم بعمل هذا الشيء ولا يهمني بعد ذلك ما يكون ، سأقوم بعمله ولا يضيرني اذا كان مخالفا للعقل او بعيدا عن العدل والصواب » .

والانفعالات ذات طرازين شاملين : الاول ، مشرف يدعو الى السمو والرفعة، والثاني ، مذل، مثبط للعزيمة ، جالب للغم . وكلاهما يخدم غرضا نافعا . فلكي يحيا الفرد حياة حساسة ، محسوسة ، متزنة ، متوازنة ، يتحتم عليه ان يستفيد من جميع الانفعالات ، ويوفق بينها ، مستعملا اياها في تراكيب ومزاجات متناسبة ، متناسقة ، كما يفعل الرسام الماهر بالوانه المختلفة . اما عدم الاعتدال او الافراط في اي امر من الامور فهو يسبب الارتباك ، والفوضى ، والفساد .

ومن الاشياء الضرورية التي لا بد منها حين يكون الانفعال على اشده من السطوة والنفوذ ، وحين يكون سببا مباشرا في التعذيب العقلي او الالام البدنية الناشئة عن الغم والاكتئاب ، الشروع فورا في اقامة قيادة حكيمة ، ورقابة رشيدة ، وسيادة اكيدة .

والكفاح من اجل السيادة على الذات السفلي ، الضعيفة ، اقرب شبها بتسلق جبل عال ، قليل الانحدار ، كثير المنحنيات . وهذا الصراع المحتدم ، العنيف ، قد يتعرض له بعضنا في رحلتنا العقلية هذه .. وانا ـ كمرشد لك ـ سيكون من واجبي ان امدك بما تحتاجه من تعليمات ومعلومات وارشادات عامة . وهذا لانك ستجد نفسك في حالات كثيرة يتحتم عليك ان تمهد لنفسك طريقا خلال الغابات الكثيفة التي يكتنفها الظلام من كل جانب ، حيث العوسج والصخور ، حيث الريح تزمجر وتصك الاسماع ، واصوات الحيوانات المتوحشة التي تجوس بالقرب منك . فانت لا يمكنك ان ترتد او تنكص على عقبيك ، ولكن يجب عليك اما ان تستمر في السير وحدك بشجاعة وجرأة واقدام، واما ان تبحث عن مساعدة شخصية من احد الذين قاموا برحلة من هذا النوع ، وفي هذا الطريق بالذات مرات كثيرة ، ليدلك على معالم الطريق وينير لك السبيل الى (التخريمات) ، ويرشدك الى اسهل السبل الى المسالك المأمونة في الرحلة .

ولا تنتظر مني ان اضفي على صورة رحلتك شيئا من البريق لتبدو لك سارة، مغرية، لذيذة، لاني اريد منك ان تعرف ان هناك عملا كثيرا ينبغي لك ان تنجزه . واريد منك ايضا ـ اذا اردت ان تحقق الكثير من المتعة ـ ان تشعر نفسك بالسرور والمتعة .

يقول وليم جيمس : « الذي يبدو لنا جميعا ان الانفعال يتتبع الاحساس . ولكن الواقع ان العقل والاحساس يسيران جنبا الى جنب .. فاذا سيطرنا على العقل الذي يخضع مباشرة للارادة ، امكننا بطريقة غير مباشرة ان نسيطر على الاحساس . ومن ثم ، فان الطريق المضمون الذي يفضي الى الابتهاج ، ان نعمد اذا ما فقدنا ابتهاجنا الى الجلوس في ابتهاج ، والعمل والتكلم كما لو كنا مبتهجين » .

واذكر في اثناء طوافك ان هناك ، في الافق الواسع ، فوق رأسك، بين السحب القاتمة الداجية ، نجوما زهرا لا تفتا تتلألأ بوميضها المتألق .. وامامك على البعد طريقا آمنا ، خاليا من المصاعب والمتاعب ..واذكر انها مجرد رحلة لا يهمك فيها الا ان تسلك السبيل السوي السليم ، حتى تتضح لك معالمه ، ويبين لك في نهايته نور النهار ... وهناك عدة اشياء اخرى ينبغي لك ان تفهمها .. هي ان قواك الضعيفة الواهنة يجب ان تتحسن وترقى عن طريق تدريب امين ، مخلص ، مدعم بالمثابرة والصبر ..

(1) الاستبطان : حسب التعريف النفسي ، هو العملية التي بها تشاهد الذات ما يجري في الذهن من شعوريات بقصد وصفها لا تأويلها. وما هي في الواقع الا عملية تذكر اما للماضي القريب او البعيد . وبعبارة اوضح هي طريقة من طرق دراسة النفس تقوم على ملاحظة المرء نفسه وتأمله ما يجري في عقله من افكار ومشاعر .

ان الذي يحاربه ويناضل في سبيل الانتصار عليه هو عاداتك القديمة ، الراسخة ، التي غدت مع مرور الزمن اقوى من القوة . ولا يخفى علينا ان فينا جميعا ـ بفضل العادة وبسببها ـ ميلا عزيزا شديدا لسلوك اسهل السبل واقلها مقاومة .. فنحن نميل الى السير في الطريق الذي اعتدنا السير فيه .. نميل ؟.. بل اننا مسوقون سوقا ومدفوعون دفعا عنيدا الى هذا الطريق الذي علينا ان نسلكه ما لم نقبض على زمام الامور بأيدينا ، ونعقد العزم على اننا لم نعد بعد عبيدا، بل سادة اعزة نسيطر على انفسنا ، ونملك ناصية امورنا .

والمسافر حين يعتزم القيام برحلة يجب ان يعقد النية على ارتقاء ذلك الجبل بالرغم مما قد يكون هنالك من وحوش ضارية او حيوانات مفترسة ، ويصمم على انه سيتغلب عليها بقوة قدراته الغريزية ، حتى يصل الى غرضه ، ويتوصل الى النقطة التي يستطيع عندها ان يروض هذي الوحوش ، ويخضعها لارادته .. يأمرها فتطيع وينهاها فتنته ، وتكون جميعها رهن اشارته .

ولقد سمحت لنفسي ان استعير هنا لفظتي « الحيوانات والوحوش » من باب المجاز الى حد ما . فليس هناك من الوحوش الضارية ما يمكن ان نضفي عليها صفة المخادعة او المكر او الخبث او اللؤم او الاحتيال او المخاتلة او الغدر او الخيانة كما نضفيها على انفعالات الانسان. فمشاعرك يمكن ان تخدعك تماما ، وان تفتنك وتعبث بك ، وتسخر منك ، وفي امكانها ان تجعلك ترى الشيء مختلفا تمام الاختلاف عن حقيقته ، وتجعلك تسير على غير هدى ، وفي امكانها ان تفريك وتغويك بانتهاج الوجهة الخاطئة ، وتجعلك مقتنعا بالسير في الطريق المعوج .. حتى ادراكك يغدو غائبا عن وعيه تماما ، وحكمك معطلا معرقلا ، وارادتك مشلولة مرتبكة ، وتصير مدفوعا الى فعل مناقض لأحسن اهتماماتك ورغباتك .

سيادة الانفعالات

ان كل فرد انما يقع تحت سيطرة انفعالاته بدرجة كبيرة لا يسعه معها الا ان يتقبلها راضخا ، ويسلم بها ، او ان يكون ، في الحقيقة، على علم ودراية بها . وخيرنا من استطاع ان يتوصل الى قيادة خارجية معينة لا تعدو في الحقيقة ان تكون كبتا او قمعا للانفعالات . اما القلق ، والضجر ، والاستثارة ، والتوتر ، والخجل ، وعدم الثقة بالنفس ، والتشاؤم ، والتصور الساذج ، والحسد ، والغيرة ، والغضب ـ فهذه كلها انفعالات يجدر بك ان تحاول ما استطعت ان تتغلب عليها ، لا باخمادها او خنقها او دسرها ، وانما بالتخلص منها واقصائها عنك . وفي هذه الحالة يقول اميل كويه : « اذا ملكتك عادة تود لو تتخلص منها ، فلا تلق بها من النافذة ، بل اهبط معها السلم درجة درجة » .

وقد يأتي عليك وقت تعاني فيه يأسا شديدا ، او قلقا قاتلا ، او سخطا وغيظا، عندما تدرك انه كان ينبغي لك ان تبتسم وتعمل بسرور وابتهاج ، كالذين من حولك ممن يبدون في حالة طيبة مرضية . وستتملكك الرغبة في ان تسب وتلعن ، وان تقذف بالاشياء ، وان تصرخ وتبكي ، ثم تنفجر صارخا : « كيف يمكنني ان اطالب بان اكون سعيدا في حين اني اشعر بالتعاسة والشقاء ؟.. ولماذا تسير الاحوال بعكس ما اريد ؟ » .. نعم ، انها تسير ضد كل ما هو موجود فيك من ضعف وسلبية ، وهذا بالتقريب اكبر جزء فيك . واما الذي يجدر بك ان تشرع فيه فورا هو ان تقوم بمجهود كبير .. وفي هذا الصدد يقول هنري ثورو : « لست اعرف حقيقة اكثر تشجيعا من ان للانسان مقدرة فائقة على اعلاء حياته عن طريق بذل المجهود . فلو ان انسانا سعى الى ان يحيا الحياة التي يتصورها في خياله ، فسوف يصادف من النجاح ما لا يخطر له ببال » .

ويقول وليم جيمس ان الرجل يقاس بمقدار المجهود الذي يستطيع

القيام به ، وان « الذي لا يمكنه عمل شيء ان هو الا خيال ، واما الذي يمكنه ان يعمل كثيرا وينجز كثيرا فهو بطل » .. ثم هو يوجه نظرنا الى الحقيقة الجوهرية الهامة التي تؤكد ان الجهد الوحيد الذي يحتاج الشخص الى القيام به هو : الجهد في التفكير .

ان لدى معظمنا فكرة بأن الارادة معناها : جعل الفرد يعمل بنفسه شيئا ما ، او يعمل بطريقة معينة . ولكنها تعني في الحقيقة اننا نجعل انفسنا نفكر بطريقة معينة . والافعال انما تنمو وتبرز من الافكار والخواطر . وهذه الافكار التي تتحكم في الشعور او العقل الواعي وتتسلط عليه ، هي ذاتها التي تدفع الى العمل وتستحث اليه . والمسألة برمتها الخاصة بالارادة هي : الانتباه ـ الانتباه الى الافكار التي ترغب في تحقيقها ، والتي ترى ضرورة انجازها في حياتك ، والتمسك بهذه الافكار باصرار وحزم وثبات ، وتثبيتها امام العقل الى ان تملأه تماما ، وحفظ الافكار وصونها ، وتخيرها ، وعدم تركها وشأنها حتى لا تفلت وتبرح بعيدا . انني استعمل هنا كلمات « وليم جيمس » بنصها وفصها ، كلمة فكلمة ، وحرفا بحرف . انه يقول ايضا : « ان مأساة الحياة بحذافيرها انما هي مأساة عقلية ، والمشكلة كلها انما هي مشكلة عقلية » . وعلينا نحن ان نفهم وندرك المعنى الخفي الذي يستتر وراء هذا القول .

ومن الصعوبة التي لا يمكن ان تنكر ان نظل ابد محتفظين بالفكرة الصحيحة في عقلنا . والفرد حين يشعر او يتأثر بنهج معين ، فالميل انما يكون الى التفكير تجاه ذلك الخط فحسب . فاذا جاءت فكرات اخرى تفرض نفسها للفت النظر ، علينا ان ندفعها جانبا على الفور . واذا اردت ان تصغي باستمرار الى « الصوت الرخيم الهادي » ، صوت الادراك ، وان تبقى امينا مواليا للافكار الصحيحة ، على الرغم مما يعترضها من افكار اخرى سقيمة ، فانك بكل تأكيد ستحرز كسبا ونصرا وفوزا عظيما .

وانك لترى ـ قارئي العزيز ـ ان المقاومة الوحيدة التي يجدر بنا ان نتغلب عليها ونقهرها قهرا ، هي العادات القديمة الخاصة بالمشاعر التي تعمل كل ما في استطاعتها لمنعنا من تركيز الانتباه على الافكار الصحيحة . وما علينا ـ اذن ـ الا ان نتجاهل هذه المشاعر بقدر الامكان ، ونطأها تحت اقدامنا ، متجنبين اياها ، معرضين عنها ، مبعدين اياها عن العقل الواعي . وبالاضافة الى هذا ، يجدر بنا ، بطبيعة الحال ، ان نعرض امام العقل ـ بكل الطرق الممكنة ـ الفكرات التي نؤثر اجلاءها ، والكشف عن غوامضها . وعلينا ان نستعمل الايحاء الذاتي بجميع صوره واشكاله ، بمواظبة واصرار وبصفة منتظمة . والايحاء الذاتي ـ بكل بساطة ـ هو حصر الانتباه لامعان الفكر في فكرة واحدة .

فمن اين تأتي هذه المشاعر المزعجة في بادىء الامر ؟ .. وما مصدرها ؟ ..

انها تتولد من الافكار والافعال . فجميع المشاعر انما تنشأ بهذه الكيفية . وهذه حقيقة هامة يجب الا تفوتنا . فاذا ارغمت نفسك عن قصد وتعمد ، وبتبصر وأناة ، على ان تفكر وان تعمل بطريقة مختلفة فعالة فيها تحمس وصلابة وقوة ، فانك ستخلق مجموعة جديدة من المشاعر الطيبة التي تلائمك وتناسبك .

احكم مشاعرك

واذا ظفرت بالحصول على الشعور الصحيح ، القويم ، وجعلت منه ركيزة لك ترتكز عليها ، فانه سيدفعك الى هدفك قدما بدون اي عناء او مشقة . وبدون بذل اي جهد من جانبك سواء أكان عمليا او فعليا . وكذلك الحال مع المشاعر الخاطئة المؤذية ، فانها ستحثك على التدمير ، وتدفعك نحو الخراب والدمار ، ما لم ترد انت ان تكون هذه الاشياء على العكس من ذلك .

امتضان اليأس

بعد ماذا ؟
بعد ما فات الاوان .
بعد ان اسلمتني لليأس ، هذا الافعوان
بعد ان اسلمتني لليأس يمتص دمائي
قطرة من بعد قطره
بعد ان اسلمتني لليأس شهرا
فاستحال الشهر عاما ، واستحال العام دهرا
انا لا اقبل عذرا
انا لا املك ان اصفح ، هل يصفح ميت

لم جئت ؟
أوتأتي بعد ان روضت اشواقي
فنامت واسترحت
أوتأتي بعد ان اخمدت اصوات حنيني
فاستكانت وهدأت
أوتأتي بعد ان لففت نفسي بين اكفان امتثالي
وغفوت ...
لم جئت ؟
عد كما كنت ، فقد فات الاوان
عد كما كنت ، فما تبصر الا بعض ميت .

القاهرة — عبد المنعم عواد يوسف

واذا انت سعيت بجد واهتمام الى ان تحكم مشاعرك ، وتسيطر على احساساتك : بقوة ادراكك ، وحكمك ، وارادتك ، فلا شك انك ستخوض غمار معركة كبيرة .

فانشط وقو نفسك استعدادا لهذه المعركة الفاصلة ، ذاكرا انها لا تخرج عن كونها عملا نافعا ذا فائدة كبيرة ـ فمعناها هنا : النمو ، والترقي ، والتقدم .

واذكر ان فيك ، في داخل نفسك ، في طويتك ، قدرة لا نهاية لقوتها ، بل ان لك من القوة اكثر مما تدرك . واشد بأسا من قوتك المقاومة ـ وهذه القدرة يمكنها ان ترفعك وتنقلك الى اي شيء ، والى كل شيء. وتسمو بك الى القمة اذا بذلت جهدك فيما يعود عليك بالنفع.

وانك لواصل حتما الى النقطة التي تبدو فيها المشاعر على قسمات وجهك واضحة بينة ناطقة بما تقوله لنفسك ، بينك وبينها :

« لقد خبرتك الان ، وعرفت ان ليس بوسعك ان تحكميني ، وان ليس لديك القوة التي يمكنك ان تسيطري بها على حياتي .. كفى ما نالني من اذى وسوء .. فانا من الان الى ان يشاء الله ، السيد المسيطر على نفسي وروحي .. انا السيد المهيمن على عقلي وافكاري ، وعلى جميع افعالي .. وعلى قسمتي ونصيبي .. وعلى حظي في الحياة .. انا الربان الذي يدير دفة ذاته .. انا حر » .

الاسكندرية — عبد العزيز جادو

المـــرآة

بقلم الياس خليل زخريا

★

عاقدة على خصرها من الزهو عقدتين اثنتين ،
برتقالية متهدل هدالها على اليسار ،
وبنفسجية مرتفع ارتفاعها على اليمين .
وتتفاوى في الاختيال لفتة متماسكة على عذوبات غنة ،
من قنطرة البهو، الى مصراع الفرفة، الى ملتوى الرواق.
ثم الى كرسي المكتب المنزوي ، فمطاوي الإرتماء ، على مساند الديوان .
ثم الى البزرة المبروزة في جلاء المرآة الواقفة مع الجدار الصامت .
وساق عارية ، شبه عارية ، تمدها بحذائها الجديد في وجه البيت .
جذلى بحذائها تنقر وقعاته على حبات الرواء نقرا خفيفا سريعا ،
الين عندي من خطفات السنونو على مسحات الهواء .

اما الجديلتان الطويلتان فتتساقطان كمسارب الخواطر
وتنهض بالكتفتين العاليتين حتى يلمس طرف الجديلة معقد الخصر .
ويفنج الدلال ، كله ، من المفرقين الى القدمين .
وتحني برأسها على شفة أمها الراضية
... قبلات من هنا ...
... شمات من هنا ...
وربتة قاسية على الخدين من دفء الحنو .
ويا لتدافع الصور في معارج الخيال !!
ويا ، كيف تصبح الجديلة ، يصبح الحذاء ، تميمة غالية من تمائم المحبة
ومشى بيتنا كله في زوايا المرآة
وقد تكون ابنتنا على موعد ...

واحست المرآة بمضايق التنفس
في استيعاب الالوان المتزاحمة حيث كادت تتفلت
من انعكاساتها عقد الخصر المتمرع

وارسلت امها عينها الي من تحت النظارتين البعيدتين ،
فاذا بوجهي غارق في صفحتي كتاب كبير قديم
ـ مـــاذا تقـــرأ ؟!
ـ ورحت اقرأ على امها بعض ما اقرأ ..

« ضجر البحر من جرجرة الريح ورجرجة الهدير
القى بنفسه من الضجر على الرمل الموحش
شدت عليه الارض اليابسة بصدرها الضيق شدا
صار العباب من الملل خليجا هادئا موصدا
لم تتحرك في الخليج الا الموجة المتمهلة على جنبات الشاطىء
وقد تداعب الرمل مداعبة الود العائد من غربة الحنان.
وقد تتلاشى ملاشاة النفس المتهافت الى طمأنينة الموعد.
وتحطمت الصواري على المراسي الرازحة
ولم يبق للبحر من أمسه الصاخب الا الماء والصفاء ،
وبعض التأمل من الزمن القائم على السكون الغارق .
واشتاق اليم موجة من امواجه القدامى ...
وقالت حبة التراب لحبة السحاب :
ـ انزلي يا اختاه ،
عندنا ، تحت ، وعاء كبير طافح بالماء الراكد
ونزلت السحابة وحدها ، من فوق الى الخليج ، على مطارف الزرقة الصاحية .
وتنسم النسم ، واسرى الخاطر ، وهمس الرمل ، وتحرك على المجذاف طرف الشراع ..
... شق القمقم عنقه ..
انطلق من الهدوء والنضارة شلال العطاء
وسمعنا للماء ، من جديد ، على الواح النفس هدرة الهدير وجلجلة .. »

مسحت امها بأصابعها اجفان عينها الصافية الحالمة .
« اغلق هذا الكتاب المثقل بغبار الشفاه والاطياف .
يتعبني منك انك لا ترى الا بعينك المغمضة .
افتح على الضوء هاتين المقلتين الضائعتين »

وسمعت ابنتنا تسرب حديثنا من وراء الباب .
وهرولت مرتمية برأسها على حرج امها ،
ولففت خصرها بالساعدين ضما وشما ،
واقمنا نحن الثلاثة بين صفحتي الكتاب القديم
... نقرأ ، ونرسو ، ونبحر ،
ونشرع الجديلتين السارحتين في مدى الشوق ،
وشميم عميق من طراوة الشباب والامل المتفتح
على المرآة الصافية في خلجان المخبة
ويا ابنتـــي
شبكت الي امس عين المرآة
جديلتين
وحـذاء
وخصـرا

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهـــجرة الى الداخـــل

التم كالسجين في لوحه
تمتصه الاصباغ لافسحه
اجمع اشتاتي كما يستذكر المجنون
من امسه المسكون
وانكسرت مرآته ، تبعثرت يداه
يلم منها وجهه لو انه يراه
خد هنا ، ونصف عين ههنا ،
ورب كسرتين من شفاه
تجمعان من ((رمالات)) الزجاج : آه

ألمني
اكاد لا اعرفني
واختلطت يداي
رحلت كم هاجرت في سواي
اعطيتهم خطاي
احرقت في موقدهم عصاي
ليدفأوا ، كانني سواي
وحينما رجمت ((اولا)) صاحت باسمي باكيه
قيل بانها تبيع الصبغ للعذارى
قيل بانها .. وقيل زانية
تلك التي قلت لها : يا غاليه
بدايتي انت ومنتهاي
رجمتها لانني سواي
نسيتها ، قلت لها اعود
وفي يدي الرغيف والورود
نسيت يا حبيبتي الوعود
نسيت ان اعود

ومر في انكسار
حصاني اليابس كالحجار
انكرته ،
اغلقت شباكي عليه كاد ان يقول
وكاد ان يمشي ولا يقول
.. سمعته يجـرجـر الخطى
كانها البكـــاء !!
والتصق الجدار بالجدار
وانهار
اسرجته بالامس ـ كان لونه البهار
يبرق كالصهيل

عصمت ان اكونني
وها انا حادثة مبعثرة
شيخوخة قاتلها تاريخها ما اكفره
وخطوتي مسوره
مسوره
مسوره
مسوره
كالمقبره

المنـــي
اين انا يا كفني
اكاد لا اعرفني
اهذه حقا بقايا سفني ؟
اهذه تلك بقاياي التي ترسمني
اشياء هل كانت انا من معدني
كة شوهوها آه ما افقرني ، ابعدني
عني . كاني رقع في بدني

غريبة انت علي الان يا اشتاتي الشتى
اسمال ما خلفه الموتى

لندن

صلاح النيازي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى تلك الفتاة التي لم يواتيها الاستقرار في بدء حياتها الزوجية فكبا بها جواد حظها ... وراحت تنفس في حماة الرذيلة موارية قلبها الناصع البياض في اعماق الخطيئة ..

اليها والى مثيلاتها اقول : ان في الحياة أملا .. املا بسماما .. وهذه « عودة الامل » .

*

رباه ماذا اسمع .. انه أنين متواصل تارة .. ومتقطع تارة اخرى .. انه أنين الم ممض .. فما عساني ان افعل لهذا الجار الذي دخل الحجرة المجاورة لي في الفندق قبل قليل ؟ انا لا اعرفه .. ولم اذكر انني شاهدته في يوم من الايام .. ولكن سمعت عنه اشياء كثيرة .. سمعت عن شخصيته ورقته وحنانه ! .

سمعت كل هذا عنه قبل يومين فقط .. وكان مجيء هذا الشاب في هذه الفترة بعيد الاحتمال لانه يمثل بلده في الخارج ، ولكن هناك أشياء خفية في هذ الكون تربط حلقات متباعدة بحلقات اخرى بعيدة كل البعد عن تفكير الانسان وعى مدى استطاعته لربطها بقوته وقدرته!

لقد كان بي شوق لرؤيته ، شوق خفي أججه ما سمعته عنه . فأخذت تعتلج في نفسي شتى العوامل ازاء هذا الانين وازاء حب الاستطلاع ! أأفتح عليه باب غرفته ؟ .. وانا الذي لم يقدر لي لقياه قبل الان ؟! أأحجم عنه وانا اسمع انينه .. ؟ وهو الفتى الذي طالما نازعتني الى رؤيته شتى الافكار والاحلام .. لا ... يجب علي ان اقتحم الباب لاساعده .. عله يحتاج الى المساعدة .. فماذا يحصل لو رآني امامه وامتدت يدي لتجفف دموعه وتمسح آلمه .. ؟ لا شيء .. لا شيء .. ! بل بالعكس ، سيقدر لي هذا الصنيع اذا ما استرد عافيته .. ! وبعد اخذ ورد .. يدفعني قلبي وعاطفتي معا للدخول .. وتشدني فكرة اخرى هي فكرة الخجل والحياء .. وكنت مترددة فترة من الزمن وجدتني بعدها اثر صرخة قوية انبعثت من الداخل .. افتح الباب بقوة وادخل عليه .. واذا بي أراد يقطع اللحاف بأسنانه من شدة الالم ... وامتدت يداي محاولة الترفيه عنه .. فما كان مني الا ان شدت يداي على يديه اللتين تتصاعد منهما الدفء والحرارة ..

لقد شعرت بها .. وبيديه القويتين اللتين لا قبل لي بانتزاعهما من قضيب السرير الحديدي الذي يكاد يلتوي تحت شدة قبضتهما .. فخرجت مسرعة لانني لم أتمالك اعصابي اذ شعرت نحوه بشيء غريب .. هذا الشيء الذي فارق نفسي مدة طويلة .. وكنت اظن انه سوف لا يعود ..

هذا الشيء الغريب .. هو العاطفة التي استيقظت من سباتها

عودة الامل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم يعقوب عبد العزيز الرشيد

العميق فرافقها نوع من الحنان . ونزعات اخرى من ميل خفي ، نحو حب خفي ، بدأت تباشيره تشع في آفاق نفسي المظلمة المدلهمة والغارقة في بحر من الهم والالم والعذاب ..

وطرقت الباب على جيرانه الاخرين الذين طالما حدثوني عنه .. وقلت صارخة .. محمود ان صاحبكم احمد في حالة خطيرة والم قاتل .. أرجو مساعدته باستدعاء الطبيب .. وهرول الجيران الى غرفة احمد ودخلوها فوجدوه في أسوأ حالة .



لقد مزق اللحاف والوسائد .. يضرب رأسه بالجدار بدون وعي .. وحاول الكل تهدئته واستدعوا له الطبيب .. وبعد قليل جاء الطبيب وكان صديقا حميما لاحمد .. لقد حقنه بابرتين تخدر على اثرهما وهدأ روعه بعد ان تلاشى الالم في اعقاب الابرتين ، وفتح عينيه وتكلم فكانت كلماته متقطعة لا تساوق بينها ، وذلك من تأثير المخدر القوي الذي حقنه به صديقه الطبيب ليبدد عنه تلك الالام .. وكانت آخر كلمة قالها .. ونظرة حنونة القاها على الحضور .. اشكركم شكرا .. جز ... يلا .. وراح في سبات عميق !

واخذت تعاود وجهه مياه الحياة بعد ان صوح الالم الممض اشراقة ذلك الوجه الصبوح ! .

وفي هذه الاثناء كنت احاول ما امكنني ان اهيىء له الجو الهادىء .. دون ان اعرف ما هي الدوافع لذلك .. لقد كنت انسانا بلا قلب .. اعيش على ذكريات عابرة بعيدة تشيع في نفسي بصيصا من الامل ما يكاد يطل برأسه حتى يختفي تحت تأثير ما انا فيه من واقع ... واقع الحرمان الذي جردني من كل عاطفة طيبة .. جعلت انظر الى الحياة بمنظار اسودكالح .. فأخذت أتمنى الشقاء للجميع .. واستمطر اللعنات على كل ما حولي من بهجة بنظر الاخرين .. حتى بلغت مراحل اليأس حد انتزاع جوانب الرحمة والانسانية من زوايا قلبي المغلق على هم دفين .. !

اما ماذا حدث لي عند رؤية هذا الشاب عند اله وبعد ان شفي فأنا نفسي ما كنت اصدقه .. لقد وجدت في قسمات وجهه وفي عينيه وفي حديثه الهادىء الرزين اشياء خفية أثارت كوامن الاحساس بي . فبدأت اتحسس ما حولي وهرولت الى المرآة اتطلع اليها وعلى شفتي اسئلة حائرة قلقة كحيرة تلك القبلة الاولى والاخيرة التي التهبت فيها

القاسي .. عندما تفتحت براعم الحب في نفسي الهائمة في صحراء هذه الحياة القاحلة المجدبة .. تلك القبلة التي طغى عليها عارم الالم ففاضت في اعماق الحزن .. فجعلت شفتاي تتحسسانها وتنشدانها دون جدوى .. في فحمة الليل وفي بياض النهار !

واخذت اقول .. هل انا حقا كما يزعم البير ناقصة الانوثة ؟ .. وهل من جسمي تنبعث تلك الروائح الكريهة ؟ وهل انا طائشة نزقة ؟ .. وهل في حديثي ما يستحقه وينفر مني الناس ؟ ..

لقد هربت من وطني واتيت الى هنا لاتبين هذه الحقيقة التي ما برح خيالها يقرع نفسي منذ ان تركني البير .. ذلك الرجل القاسي الظالم الذي لاتعرف الرحمة سبيلها الى نفسه .. ولكنني مع هذا كنت احبه .. ولم يكن لي قدرة على نسيانه ..

لقد كان البير بجانب قسوته رجلا كامل الرجولة تتبين من لبرات صوته العنف المطلوب في الرجل الذي انا بحاجة اليه كامرأة ضعيفة تبحث عن شيء يغطي هذا النقص . فوجدته في البير .. البير الذي تذوقت الحب على يديه مرة ما لبث ان غادرني كمغادرة « ومض الشوق في احداق سكران » .. غادرني بعد ان الهب نفسي واصبح خياله لا يبرح مخيلتي .. تتراقص اطيافه امام ناظري فتسد علي منافذ الحياة وتشل حركة تفكيري فاستسلمت له حتى بعد ان هجرني .. وذهبت اليه متوسلة استحلفه بكل ما زرعه في احشائي وما خلفه في جسمي من بقايا .. ولكن دون جدوى .. فاكتشفت فيه ذلك الانسان الذي يعيش على حطام الغير .. فارتضيت ان اكون ذلك الحطام ليمشي علي ويقتطف احسن ثمار جنائني في ربيع حياتي .. ارتضيت ان اكون له كل شيء .. بيد انه ركلني بعيدا ، بعد ان امتص دمي الذي وهبته اياه والذي مجه اخيرا .. فحاولت نسيانه .. ولم استطع .. فهربت من واقعي في لبنان الى الكويت .. علني اجد السلوى .. وها انا ذا اعيش فترة قصيرة من الزمن الى جانب احمد الذي اخذت اتحدث اليه بعد ان اطمأن قلبي اليه !

وجدته متحدثا يشيع الامل في النفس .. مثقفا يغوص في الاعماق ليخرج الكلمة المناسبة في الوقت المناسب .. فهدأ وجيب القلب ورحت في الاحلام تتقاذفني امواجها .. تنتابني فكرة وتشدني اخرى وتطوف في مخيلتي هذه الاسئلة : هل سأجد في شخصية احمد ما ينسيني شبح البير وما غرسه في من حقد وكراهية للجميع ؟ .

لقد اتيت الى هنا فوجدت قبل ان ارى احمد شبانا مثقفين ترتسم على وجوههم امارات الذكاء والطيبة . ولمست من احترامهم وتأدبهم ما قد ازال عني تلك الفكرة السخيفة التي حاول البير غرسها في نفسي والايمان بها .. الا هي نفور الناس مني .. فاعتبرت ذلك اول مرحلة من مراحل نجاحي .. ولكن هل سأصل الى القمة في النجاح .. ؟

لقد بذر احمد في نفسي بذور الطمأنينة عندما ولجت غرفته في الصباح الباكر بعد ان شفي من وعكته .. وعندما استهل حديثه بابتسامة مشرقة قال .. اشكرك شكرا جزيلا على ما قدمته لي امس من مساعدة عندما المت بي تلك الوعكة .. وارجو ان اكون قادرا على رد هذا الجميل يا دورا ..

ـ انه واجب علي .. وسأكون بجانبك في اية لحظة تريدني يا احمد .. واسمح لي ان اقول بانك نزلت في نفسي منزلة كبيرة .. وفي الواقع انا اسيرة لك ..

ـ ماذا .. اسيرة لي يا دورا ؟ .. بالله عليك خبريني كيف تكونين اسيرة لي في الوقت الذي يجب ان اكون اسيرا لهذا الفضل !

وهنا اخذت الكلمات تتعثر .. ولم اعرف لماذا قلت هذه الكلمة التي حاولت اخفاءها عن احمد .. نعم انني اسيرة له لانه انقذني من البير ذلك الذئب البشري ! .. فتلاشت صورته امام صورة احمد التي بدأت تشغل زوايا قلبي ويحتضنها هذا القلب برفق وحنان . هذا الحنان الذي عاود نفسي بعد ان رأيت الامل المشرق البسام في وجهه .. ولمسته في حديثه الذي بداه عندما لمس في نفسي الحائر والحيرة القلقة .. بالامثلة المدعمة بقصص واقعية تكسب الانسان القوة والجلد على مقارعة خطوب الحياة .. واخر ما قاله لي في حديثه الهادىء الرزين :

ـ تمثلي دائما يا دورا بالحكمة التالية : « يا رب لا تدعني اصاب بالغرور اذا نجحت .. ولا اصاب باليأس اذا فشلت .. بل ذكرني دائما بان الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح ! .. »

اذن .. لقد فشلت مرة في حياتي العاطفية ، وكاد هذا الفشل ان يسلمني الى اليأس .. واليأس معناه الموت .. وما دمت الان آمنت بما قاله احمد .. فلماذا لاافتح قلبي مرة ثانية عله يهتدي الى واحة تظلله بعد ان سار في تلك الهامه المجدبة الموجعة ! .

لقد فتح احمد امامي طريق الحياة الجديدة .. فهل اطمع بحبه لي ..؟ لقد احببته .. ولكنه متزوج ولديه اطفاله وهو يعيش عيشة الاب البار الحنون وسوف لا يفرط بحياته وبعيشه الهادىء الجميل من اجل امرأة كانت الخطيئة تتقاذفها .. اذن سأطمع بصداقة احمد لانه قد مهد لي سبيل الحياة الجديدة ، وزودني بهذه القوة التي تسلحت بها لمواجهة البير الذي اصبح الان في نظري تافها حقيرا .

ان احمد يسألني الان .. فماذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقول له لا .. هل اصارحه بكل هذا؟ انه قد يحتقرني وينبذني وانا التي اطمع بالبقاء بجانبه لا لشيء الا لكونه قد اوجد في نفسي هذه القوة .. اجل سوف اصارحه .. واخيرا قلت له كل شيء حصل لي مع البير .. فانتظرت الجواب من احمد .. وهنا رايت نظرة انبعثت من عينيه كلها عطف وحنان .. وقال لي : انك لا تزالين صغيرة يا دورا .. وهذه التجربة التي مررت بها ما هي الا تجربة صغيرة بالنسبة لما يمر به الغير ، فلا تستسلمي لليأس وكوني اقوى من الايام واعنف من المخطوب .. وخططي لمستقبلك .. واذا كنت تثقين بي فاتخذيني صديقا يساعدك على مجابهة هذه الحياة !

انها كلمة قيمة يا احمد ، ولسوف اجعلها تعيش في حنايا قلبي واستمد منها القوة لاجتياز هذا الطريق المحفوف بالمخاطر والاشواك . انني لا اعرف كيف اشكرك يا احمد ولكن سوف اترك ذلك للايام علها تكشف لك عن جوانب اخرى من نفسي التي كان لك الفضل الاكبر في غرس بذورها . الا هي جوانب العرفان بالجميل .. و .. وهنا وقبل ان انهي حديثي مع احمد دخل خادمه المخلص .. سليم .. وقال بعد ان حياه تحية الصباح وحياني .. ان موعد الطبيب قد قرب ويجب ان نذهب اليه لتأخذ الابرة المقررة !

وبعد قليل غادر احمد الفندق متوجها الى الطبيب . وطالت غيبته . وكانت في نفسي بعض الاشياء اود ان يعرفها احمد عني . الا وهي حبي له .. وبقيت انتظره ولكنه لم يعد فى الظهيرة فازدادت مخاوفي عليه اذ انتابتني شتى الافكار والوساوس هل اشتد به الالم ؟ وهل نصحه الطبيب بالبقاء في المستشفى ؟ ام ماذا .. كل هذا لمع في مخيلتي .. وانتهى النهار وتلاشت فلول النور امام جيوش الظلام . غير انه لم يأت . وازف موعد العشاء الذي دعاني اليه الاستاذ ناصر .. فذهبت الى مكان الدعوة مع شلة من الاصدقاء .. وحاول الجميع ان يكونوا لطفاء معي ويخدموني بأدب واحترام . غير ان المكان كله لم يسعني رغم روعته وجماله .. اذ يقع على شاطىء الخليج العربي ، ذلك الشاطىء الهادىء الجميل .. الذي تتكسر امواجه على رماله الناعمة .. والقمر تتراقص اشعته على اديمه المتموج اثر نسيم الليل العليل .. رغم كل هذا ورغم ما كان الشلة ينثرون امامي من احاديث طلية احيانا ومسلية تارة اخرى .. لم أقو على البقاء الى نهاية الحفلة .. فاستأذنت بحجة الصداع الذي ألم بي . وقام الكل وودعوني .. فبلغت الفندق وكانت دقات قلبي تزداد .. هل سأراه في غرفته ؟ ام انه لم يأت؟ وهل نام في المستشفى؟ وصعدت الطابق الثالث مسرعة ودخلت الصالون .. واذا بي ارى غرفة احمد مضاءة ولكنها مغلقة ، تنبعث من داخلها اصوات اشخاص . فطرقت الباب . وفتح فألقيت عليه نظرة بعد ان سلمت عليه وعلى الحاضرين . فوجدته يبتسم وقال تفضلي . هل تعرفين الاستاذ خالد ، والاستاذ يوسف ، والاستاذ جميل .. انهم اصدقاء الطفولة. وجلست بجانب الاستاذ خالد مواجهة احمد القي عليه بعض النظرات التي تنم عن كل ما يعتمل في نفسي من شوق زائد له . والذي زاد من طمأنينتي هو انني لمست منه فهم كل ما ارمي اليه . فبادلني نظراني بنظرات حنونة .. ورحت اسبح في امواج عينيه العميقتين وكدت انسى نفسي .. وتمنيت ان اغفو وانا في هذه اللحظات السعيدة .. الا ان ضحكة عالية صدرت من الاستاذ يوسف اثر نكتة رواها خالد .. خالد هذا المحدث البارع والاديب الممتاز الذي يدخل السرور الى النفس .

فبدأت التفت الى الحضور واشاركهم احاديثهم ونكاتهم .. فأخذ يسرى في جسمي حديثهم ويشوقني المزيد منه وذلك لان احمد يتوج ذلك الاجتماع بتعليقه ونكاته اللطيفة .. وامضينا من الوقت فترة طويلة ولم ينفض سامرنا الا والساعة تقارب الثانية صباحا .. وذهبت الى فراشي لانام بعد ان ودعت احمد ورفاقه . وهيهات ان يجيئني النوم .. فحاولت ولكن دون فائدة .. فالشوق العارم يكاد يسلمني الى احضان احمد .. فاحتضنت الوسادة التي طالما مزقها باسنانه عندما المت به الوعكة ، فأحسست بأنفاسه الحرى وكأنها تنبعث في طيات تلك الوسادة .. فأخذت اضغط عليها جاعلة اياها على صدري .. اقبلها طورا .. واغرس فيها طورا شفتي اللتين هما بحاجة قوية لمن يعتصرهما ليسيل ذلك الرضاب الذي قد يطفيء حرقة القلب الصادى .. واخيرا غفوت بعد ان افرغت كل ما بي من احاسيس في هذه الوسادة . وفي الصباح الباكر نهضت وانا اسعد حالا من ذي قبل . وفتحت باب غرفته ووجدته نائما لم اشأ ازعاجه فرجعت الى غرفتي وطلبت الفطور . وكنت في هذه الاثناء اشغل نفسي بقراءة الجرائد الصباحية الى ان جاء الفطور فتناولته وكانت الساعة تقارب الثامنة صباحا وذهبت الى غرفة احمد ثانية فوجدته قد صحا من النوم فحييته تحية الصباح فرد بأحسن منها والابتسامة على شفتيه . وقال تفضلي وطلب لي فنجانا من القهوة تناولته معه .. وبدأت حديثي قائلة :

انني سوف اغادر الكويت الى لبنان غدا صباحا ودونك عنواني .. ورجائي ان تتصل بي عندما تزور لبنان .. لانني كما قلت مدينة لك فأرجو ان تتاح لي الفرصة لرد بعض ما احسه نحوك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ شكرا يا دورا .. وانا على اتم استعداد لكل خدمة تريدينها هنا في وطني ..

ـ شكرا يا احمد .. وسوف اودعك الان لانني سأكون مشغولة هذا اليوم خارج الفندق لانهاء بعض الالتزامات التي علي والذي ارجوه منك ان تتصل بي عندما تأتي الى لبنان او ترسل لي برقية لاكون في استقبالك في المطار . وهنا ودعته بعد ان تقابلت العيون وتحركت الشفاه مرتعشة كل في مكانها .. وخرجت مسرعة لانني لا اريد ان يرى الدمع مترقرقا في عيني .. فلمس ذلك .. ولم يشد علي .. وودعني بكلمة حنونة قائلا : ارجو ان لا تعرف الدموع سبيلها الى عينيك مرة ثانية ولا الحزن طريقه الى قلبك .. وارجو ان ترفرف على حياتك طيور السعادة، وتغرد على جنباتها عنادل الصفاء .. هذه الكلمات اخذت ترن في أذني ويمر بخاطري هذا السؤال .. هل سيحقق الله لي معاني هذه الكلمات فأعيش نهاية العمر في عش الزوجية السعيد .. ؟ واحتواني الشارع الفسيح ..

وغادرت الكويت وانا اقوى من ذي قبل .. ووصلت لبنان .. فلمس اهلي في هذه القوة وسألوني ماذا حدث ؟ فأخبرتهم بكل شيء ، وكانوا يعرفون قصتي مع البير .. وقالوا ماذا ستفعلين معه ؟ .. فأجبتهم انني سوف اذهب اليه واطالبه بكل ما عليه من التزامات لي وما عليه من نفقة لابنتي .. فاستغربوا ذلك . وقالوا هل ستجرأين على هذا القول لالبير .. فقلت نعم انني سأقوله بكل صراحة .. انني اكرهه .. اكرهه .. اكرهه .. اكره الذئاب البشرية لان في الوجود قلوبا اخرى تنبض بحب الخير ومساعدة الغير ، فلماذا اكون اسيرة لمصاصي الدماء ؟ انني بعد شابة وامامي مستقبل .. فلماذا اضيعه وراء هذا السراب الخادع ؟ ولماذا لا افتش عن واحة استظل بأفنانها من هجير حياتي .. لقد عقدت النية على ان اخوض الحياة بقلب غير ذلك القلب ونفس غير تلك النفس الضعيفة الخائرة .

ماذا اريد من الحياة ؟ وماذا تريد الحياة مني ؟ انني فتاة جامعية .. بشهادتي وعلمي اتمكن ان اكون شخصيتي واخوض غمار الحياة العملية الجادة لا الهازلة لاقتطف من الحياة اشهى ثمارها بعد ان عبثت تلك البراثن الخبيثة بثمار جنائني !

ومضى العام .. واحمد لم يأت الى لبنان .. ولم ادر ماذا حل به لانني لم أتزود بعنوانه . وفي ذات يوم وانا جالسة في حديقة منزلنا الكبير انتظر خطيبي جاك ، الذي تعرفت عليه اثناء عملي معه في البنك وهو من كبار الموظفين والذي كان قد تزوج من قبل .. ولكن القدر فاجأه باختطاف زوجته الشابة الجميلة زهرة ، بعد زواجهما بسنة واحدة .. وها نحن الان وقد مضى على خطبتنا ستة شهور ، وسيحتفل بزواجنا هذا الاسبوع .. واذا بالتلفون يرن .. ولا ادري لماذا خفق قلبي هذه المرة لرنات التلفون .. فقمت مسرعة .. واخذت السماعة واذا بصوت هادىء ينبعث من السماعة قائلا بكل ادب :

من فضلك هل استطيع التحدث الى السيدة دورا .. فاجبته نعم . دورا تتكلم .. هل اعرف من حضرتك؟ فقال انا احمد .. فصرخت .. احمد .. احمد .. أأنت هنا .. ارجو ان اراك الان لان عندي مفاجأة لك .. وبعد نصف ساعة جاء احمد .. واذا بجاك يدخل علينا الحديقة .. فقدمته بقولي : صديقنا احمد الذي سبق وان كلمتك عنه في الماضي .. فرحب جاك ترحيبا حارا .. وقال : انها لفرصة سعيدة يا احمد ان تحل بيننا الان .. اين تسكن ؟

ـ في الفندق !

ـ لا يا احمد انك يجب ان تنزل هنا في بيتك .. لقد كلمتني دورا عنك كثيرا .. وهي في الواقع مدينة لك بحياتها .

ـ لا يا جاك .. انا لم اعمل غير الواجب المفروض علي ازاء دورا .. وارجو ان تسمح لي بعدم تلبية رغبتكم لانني اتيت مع اصدقاء لي لا استطيع التخلي عنهم .. وعلى كل حال سوف اكون تحت تصرفكم .. واشكركم على هذا التقدير وهذا الكرم .

ـ احمد لقد اتيت في الوقت المناسب .. ارجو ان اراك انت واصدقاءك في حفلة زفافنا غدا مساء ..

ـ انني كنت انتظر هذه الفرصة السعيدة يا دورا لاسمع هذا الخبر السار . انني سوف اكون هنا وكل اصدقائي الذين سبق وان تعرفت عليهم بالكويت وهم خالد ويوسف وجميل .

ـ هل جاءوا معك .. ؟ انني فعلا سأكون سعيدة برؤيتهم !

وحان موعد الزفاف .. واقيمت الحفلة .. واذا بأحمد ورفاقه يدخلون وخلفهم شخص يحمل علبا كبيرة فيها من الهدايا الشيء الكبير .. وآخر يحمل سلة كبيرة من الورود يكاد ينوء بها كاهله .. وثالث يحمل قفصا ذهبيا وبداخله بعض العنادل تغرد تغريدا متواصلا بعثت البهجة والسرور في قلب الزوجين اللذين استبشرا خيرا في حياتهما المقبلة وانتحى الاربعة مكانا قصيا في الحديقة ، وتوافد المدعوون للتهنئة .. وصدحت الموسيقى ورقص الراقصون .. وانتشى الحاضرون فأصبح الكل في فرح ومرح .. ولفهم الليل فغاصوا في اعماقه ولججه ! .

عمان يعقوب عبد العزيز الرشيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محـروم

الى عبد الله الفيصل صاحب ديوان « من وحي الحرمان »

مهجتي ، مد بها ، شجو الرحاب ... والجوى ، مني يرويـه عـذاب
موعدي ، في العز ، موجوع الهنا ... فاته البوح ، واغـــراه المصاب
وهيامـي ، شف ، حتى لوحـت ... في الاماني ، رعشةاللقيا ، وخاب

التـعلات ، غمـرن المرتجـى ، ... وشوشات ، صبها البث كـذاب
ويحـه عمري وكـم خافقـة ... اومات فيـه ، فلاقاها التهـاب
محتدي ، بأسي ، بلادي ، امتي ، ... اسطـر ضاءت ، ومجد يستهاب
وابي .. اي سؤال عـن ابي فـي الشهامات ، يندِيـه الجواب
زينت الدنيا ، به ، وارتفعـت ... كبريـاء العـرب خلقا وصـواب
قلبـه حبـي ، واذ خبـاتـه ... نشر التاريخ فـي النجوى وطاب

يـا مواعيـد الشذا ، رددن لـي ... صبـوة الذكرى تولاهـا اكتئاب
نشوتي ، في رجـع ما اكتمـه ، ... تعصر الوصل ، وتسقيني الرغاب
حر من لفح النوى ، همي ، ومـا ... في انتظار البيـد للآسي شراب

شقيت بعدي المنى ، في حسرة ، ... ما على الظالم ، لي ، فيها عتاب
أم فؤادي ، حظه ، في ما هوى ، ... لوعة النجوى ، واوهام الشباب
يا سرابا ، هف يطـوي حلمـا ، ... انت في ارض الرؤى غير سراب
طيب التـوق ، صدى صحرائنا ، ... فتنشقت ، مع الهجر التـراب

ذلـك الرمل ، أفدي دفئـه ، ... وأقيـه الوجد بالشوق المـذاب
غرت من آهي على آهـي ومـا ... حيرتـي ، الا بآلامي العـذاب
واله شعري ، وحسبي في الدنى، ... لذة التيه ، اذا المحبوب غـاب

جـورج رجـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التجـربة في صور البيـان

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

هذه تحليلات بلاغية لتراكيب ، وصيغ من التعبير الادبي حديثة ، ومستجدة ، نقوم بها وفاء بالبلاغة العربيـة الحديثة ، والتي آلينا ان لا نتنازل عنها ، ولا عن اصالتنا فيها .. ولذلك ان يد النقد الادبي ، والدراسة الادبيـة قل ان تطول اليوم هذه الصور مـن البيان ، مـن حيث انصراف النقاد ،ودارسي الادب اليوم ، الانصراف الكلي تقريبا عنها الى غيرها من مسائل النقد ، والادب الحديثة، فيجملون فيها القول ، او يمرون بمواضع الحسن فيهـا مرور الكرام ، وتظل دون دراسة متأناة ، او دقيقة ..

وسوف نستعرض في هـذه التحليلات البلاغيـة الجودة والجمال ، او ايضـا الرداءة والقبـح ، معللين ، شارحين ، وناقدين ،خاصة وان الدراسة البلاغية اليوم تحليل مستقصى للاسلوب ، وصور البيان فيه ، تخـدم النقد الادبي ، والذي يجب ان يبتنى على خبرة واسعـة بها ، وترفده بالاصول ، والقواعد (١) .. ان بعض هذه التراكيب ، كما سنرى ، قوي جميل ، صحيـح مـن الوجهة النحوية ، او البلاغية ، وبعضه على العكس مهلهل، فاسد ، ومضطرب من هاتين الوجهتين من النظر ، او من احداهما دون الاخرى ..

١ ــ يقول سعيد عقل في تمجيد الوجود الانساني ، ونسبة تمجيد الجمال اليه :

لاننـا في الوجـود ، كانـت لفتـة دنيـا الى الجمـال ..

البيت ينطوي على تركيبين بلاغيين منحوتين علـى التعبير العادي ، لنقل العامي ايضا ، او منحوتين ايضـا على النثر نفسه ، وهما القصر بواسطة تقديم ما حقـه التأخير ، ثم الحذف .. ومضمون البيت فكرة وجـود لفتة الى الجمال بسبب الوجود الانساني . فقدم ما حقه التأخير ، وهي جملة : لاننا في الوجود ، وحذف فيهـا خبر اننا ، والذي يجوز اضماره ، ويجوز اثباته على نعت من النعوت ، او امر من الامور ..

كانت هنا فعل تام ، بمعنى وجد ، وصيغتها لا شك اكثر ايحاء من صيغة وجد ، اي مجرد حـدوث الفعـل الموجود ، او القائم ايضا ، وذلك لدلالتها على الزمنيـة ايضا .. واذن هي عامل تلقين فكري ، وايضا حسـن بياني .. وجمال البيت بالفعل في (القصر) الذي فيه ، اي تخصيص أمر بآخر (٢) ، وواسطته تقديـم مـا حقه التأخير ، فخصصت اللفتة الى الجمال كشيء وجـد ، بالوجود الانساني ، واعطيت الاهمية للوجود الانساني في التعبير ، وتوفق الشاعر في اظهارها ..

٢ ــ يقول خليل خوري في السلـوان ، ازاء عـودة حبيبة غـادرة :

« تتنكرين ؟ . وليس يسترك الرداء ، ولا قناعك !؟. ما وراءك ؟. توبة اخرى ؟. ولكن الجدار .. ولست ربا ، مات غفراني ، وليس لعازرا ، احرقت رايات الغواية ، بعتها ، ما عاد يرميني السعار ، الى متاهات الدوار ! .. »

هذا الشكل من النظم جديد ، لا نعرفه بالفعل الا في محاولات لخليل خوري عدة (٣) ، انه شكل عروضي بياني يستغني عن القافية ، فيمد القول الشعري الموزون الـى حدود الاستدارة ، حدودالجملة ، او ايضا حدود الفقرة ، ليستوعب موقفا من وجدان ، او فكرة من تجربة الحياة ..

وليس لهذا الشكل العروضي البياني من النظـم ، بعد ، من أسم يسميه ، فيميزه ، لا في العروض الحديث، ولا في البيان الحديث ، انه من البحر الكامل ، وهـو بحر صاف على حد تعبير المشترعة العروضية « نـازك الملائكة » ، ومحبب الى نفوس الشعراء المحدثين الذيـن آثروا التفعيلة ، وجرسها الايقاعي في الاذن .. فمـاذا نسميـه ؟ ! .

لقد افترضت نازك الملائكة هذا الشكل افتراضا في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » اي تمثلت وجـوده ، وتصورته ، ومثلت عليه بمثال (٤) ، افترضتـه ايضـا افتراضا ، ثم رفضته .. ولكني عند رأيي الذي كنـت أبديته في نقدي لكتابها المذكور ، من وجوب اعادتها النظر في الكتاب ، وفي احكامها المبدئية فيه ، وكنت بالفعـل اول من نبهها الى الايقاعات الموصلة والمفصلة العربيـة ، واثرها في العروض ، والموسيقى ، وضرورة افادة منها في تأصيلها العروضي ..

واقترح ، ما دام ان هذا الشكل يعتمد التفعيلة للوزن ، وما دام انه يأخذ شكل الفقرة ، او الاسترادة ، او الجملة، بحركتها ، او طولها ، او اعتراضها بعضهـا لبعض .. اقترح ان يسمى الشكل « ترسل التفعيلة » ، والفقرة، او الجملة فيه « فقرة تفعيلة » ، او ايضا « جملة تفعيلة » .. والصور الاسلوبية البلاغية (٥) في الفقرة هي :

ــ تتنكرين ؟. ــ الاستفهام هنا للتعجب ، ويشرحه تأكيد القول الشعري بعده ، ان لا مجال للتنكر ، اذ لا رداء بعد يستر ، ولا قناع ! .. توبة اخرى ؟. ــ هنا حذف اي هل وراءك توبة اخـرى .. ــ ولكـن الجدار .. ــ الحذف هنا غير تام ، ومعمـى ، لان التركيـب النحوي نفسه لم يتم ، وظللنا نسأل عن خبر لكن .. ثم جـاء الالتفات ــ ولست ربا ــ ، ويمكن اعتبـاره اعتراضـا ، ومثله اعتراض ــ وليس لعازرا ! ــ .. الجمل الاخيرة فيها اطناب ، اي توسع في شرح الحال ..

٣ ــ هذان بيتان من الشعر العمودي للشاعر يوسف

الخطيب ، كررهما مرتين في قصيدة قومية . عمودية ، يفتتحها بهما ، وهما :

عناقا لك الصبح رغم الظلام ويا أملا غائرا في الالم
عناقا لك النار تحت الرماد ويا ثورة في بطون الخيم

في المرة الاولى يرد فهما بقوله :

لاوشك في الليل ان استضيء باجنحة الصبح آن ادلهم

وفي المرة الثانية يقول اثرهما :

هذا أمة فرعها في السماء وفي كبد الارض منها القدم ..

وفي نظري ، كل من التركيب النحوي ، او التركيب البلاغي في البيتين غريب ، وناقص ، التركيب النحوي لا يشف عن عامل نحوي ، والتركيب البلاغي لا يفصح عن معنى واضح .. ولذلك أظن انهما بحاجة الى ان يعيد يوسف الخطيب فيهما النظر ، ويصححهما ..

يمكن ، على الارجح ، ان يفهم منهما المعنى التالي ، والذي يمكن صياغته بـ : يا أملا غائرا في الالم عناقا .. لك! الصبح رغم الظلام .. والمعنى في البيت الثاني مثله ..

وعلى افتراض ذلك ، يكون الشاعر قدم صيغة المفعول المطلق ، على جملتين ، لك الصبح ، ويا املا ، وهما موصولتان بالواو ، ولكن جملة ـ ويا املا .. ـ ظلت بدون جواب .. ومثلها الجمل في البيت الثاني ..

ويجوز ، وذلك راجح ، ان يكون الخطاب لصديق متخيل ، او للشاعر نفسه ، فيكون المعنى : عناقا يا شاعري لك الصبح رغم الظلام .. ويا املا غائرا قم وعش .. ومثله التقدير في البيت ، ولكني اظن انه لا يحق كل هذا التصرف ، بالحذف او الوصل ، او التقديم ، والتاخير للشاعر .. والله اعلم ..

٤ ـ هذه الابيات للشاعر محمد عمران ، اجراها على لسان ـ شهريار ـ ، رمز الانهزام في نظره ، قال :

في أضلعي تختنق المدينه
تساقط الشوارع الحزينه
يموت تاريخ من الغبار والغباوة
في أضلعي مقبرة ، نهر من الضراوة ..

الصياغة البلاغية العامة في هذه الابيات تعتمد الاستعارات المكنية : ـ تختنق ، تساقط ، يموت .. ،ثم التلميح (٤) : ـ مقبرة ، ضراوة ، وهي عامل حسن ..

ولكن سر الحسن في الابيات تقديم شبه الجملة ـ في اضلعي ـ ثم تكرارها ، ان تقديمها يلفت الانتباه الى مكان التجربة ومكانتها ، اما تكرارها فيؤكد الاسى ، الذي للتجربة ، والانهزام فيها ، والقنوط لها ..

التلميح في البيت الاخير مركز ، وعنيف حقا ، ويذكر بقصة شهريار مع غوانيه التي كان يذبحها كل صباح ، بعد ان يشبع منها نهمه ، انه تلميح واضح ايضا ، والتراكيب كلها رمزية واضحة ..

٥ ـ من طرائف شاعر العرب امين نخلة في الطبيعة والحياة ، هذه الابيات :

يا غصن ، يا مضنى بلا سبب مل حولنا ، يا غصن ، يا مضنى
يا نرجسا نعسان من وله قم من فراش الفنج غازلنا
يا ورد ، يا ابن الرقة اختبات في ظلك العشاق خبئنا ،
يا عشب ، يا نقش الوهاد ويا لج المروج ، وبحرها الادنى :
جئنا بركب الحب هرولة في دارك الخضراء انزلنا ..

انها مجموعة طلبات بوحية وجدانية يوجهها امين نخلة للغصن ، والنرجس ، والورد ، والعشب ، تراكيبها غاية في الابداع ، والجمال ، والقوة ..

في البيت الاول نلاحظ تكرارا لبعض الالفاظ : ـ يا غصن ، يا مضنى .. ـ ، مما يمكن اعتباره جناسا تاما ، في البيت الثاني طباق بين النعس من حب ووله ، والنوم في فراش الفنج ، والقيام للمغازلة . في البيت الثالث جناس بين ـ اختبأت ، وخبئنا .. ـ ، في البيت الرابع تقديم لشبه الجملة ـ في دارك الخضراء .. ـ قصد التفخيم ، والتلذذ بالتنويه ، واصلها : انزلنا في دارك الخضراء ..

اما صيغ الامر ، فهي في الابيات الثلاثة الاولى للتودد ، والملاطفة ، في : ـ مل حولنا ، قم ، وغازلنا ، وخبئنا .. ـ في حين صيغة الامر في البيت الاخير ، ـ انزلنا .. ـ فدعاء للالتماس ،وطلب الشيء ..

٦ ـ يقول علي كنعان في وصف الركود ، ثم النهضة:

ولان ضيعتنا تعيش بلا نسور
ولاننا فيها ، بأدمان ، نعيش على القشور
اليأس شرش في جوانحنا ..
فانهار المداد
يجري بلا جدوى .. بلا جدوى ،
كما نثرت بذور
فوق الصخور ..
وعلى الذرى السمراء
كان النسر يحيا كل أوجاع المخاض ..

هذه الفقرة الشعرية الموزونة المقفاة ، كما اقترحت التسمية مرارا ، تحوي على تراكيب جميلة قوية ، متنوعة .. انها تلاحق وصف اليأس للجدب ، ثم الارهاص للنهوض ، وهي تعتمد الاستعارة المكنية في ـ تعيش ، وشرش .. ـ ، والتمثيل في تشبيه جريان المداد بدون جدوى بنثر البذور فوق الصخور ..

(١) ـ راجع في ذلك كتابنا : ـ الدراسة النفسية ، والبلاغة .. ففيه توضيحات مختلفة . (٢) ـ نرجح ذلك ، على كون جمال البيت بسبب (المذهب الكلامي) ، وعلله فيه . (٣) ـ راجع مثلا في ديوان : ـ لا در في الصدف ـ لخليل خوري قصائد ليل بلا نجوم ، والشمس والنمل ، واغنية الى الشيطان .. (٤) ـ راجع : ـ قضايا الشعر المعاصر ـ لنازك الملائكة ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٩٨ . (٥) ـ يجوز نعت صور البيان باسلوبية بلاغية ، في كتابنا : ـ الاسلوب وصور البيان ـ توضيحات ذلك .. (٦) ـ التلميح نوع من (التضمين) ، ويكتون بالاشارة الى قصة ، وهو صورة بيانية شائعة اليوم بكثرة عند رواد الشعر الحر ، سواء بالشكل العادي ، او الشكل الرمزي منها .. (٧) ـ وهنا نرجح ايضا كون جمال البيت (القص) ، لا المذهب الكلامي

صيغة لان ، المكررة : ـ لان ضيعتنا ، ولاننا . . ـ تذكرنا بمثيلتها عند سعيد عقل ـ لاننا في الوجود . . ـ انها بالفعل صيغة شعرية (٧) مستحدثة يكسبها الاستعمال الشعري الحديث ، يوما اثر يوم ، قوة ورونقا . .

هذه الفقرة الشعرية ، في مجموعها ، اذن دليل على المساواة ، وهي نوع من الايجاز ، ويكون فيها المعنى على قد اللفظ لا يزيد عليه ، فلا حشو ، ولا بهرج ، ولا سفسفة ، وانما كلام مفيد . . نعم يوجد تكرار في الفقرة هو ـ بلا جدوى . . بلا جدوى . . ـ ، ولكنه تكرار في موضعه ، ويلبي حاجة الوجدان الى التعبير عن مضمونه . . اي انه يظهر حال الكتابة هناك ، واذن فاللفت الى الحال قيم ، ومفيد . .

٧ ـ يقول محمد احمد العزب في الصيف :

الصيف كان واحة الذين يتعبون
ومرفأ الذين في الشتاء ينزفون .. ينزفون
عرائس الكروم كان
واتكاءة السمر
ورقصة النماء في الجذور
وارتعاشة الوتر
الصيف كان كالقدر
يوزع الظلال في الغصون
والضياء في العيون
ويستريح في مخادع القمر . .

هذه الجمل الشعرية جميلة حقا ، لولا صيغة ، بل صيغتان من تقديم وتأخير ، اعاقت المعنى عن بلوغ موضعه من الوجدان . .

يقوم التركيب في البيتين الاولين على التقديم ، والتأخير ، تقديم الصيف في : ـ الصيف كان . . ـ ، وتأخير ينزفون في : ـ الذين في الشتاء ينزفون ـ ، ولعل ذلك بسبب التكرار ، او بسبب الضرورة الشعرية العروضية . .

هذا التركيب كابتداء ، اي كمطلع لقصيدة جميل ، ومعبر وجائز من الوجهة النحوية ، اذ يفيد زيادة تحديد ، ولكن تأخير كان في الجملة الثانية في : ـ عرائس الكروم كان . . و . . ـ غير مناسب ، وغير جميل ، لانه تكرار لتركيب نحوي سابق ، استنفد طاقة الانتباه ، واتعب الذهن . . ولذلك بهت التركيب الاخير : ـ الصيف كان كالقدر ـ ، ومهما حاولنا تبرير التركيبين بحرص على تأكيد ، على لفت الى شيء ، الى موضوع نكون متعسفين .

في هذه الجمل الشعرية الى جانب ذلك اطناب ، اي توسع في وصف ، وهو هنا بواسطة التشبيه ، التشبيه بخبر كان : ـ واحة الذين يتعبون ، مرفأ الذين في الشتاء ينزفون ، عرائس الكروم ، اتكاءة السمر ، رقصة النماء في الجذور ، ارتعاشة الوتر . . ـ ثم الاستعارة المكنية ـ يوزع الظلال ، يستريح في مخادع القمر ، وهي شيقة . .

٨ ـ تقول نازك الملائكة في الطبيعة ، والحياة :

وعد في شفة الزنبق غطى المرج شذاه
وتألق فجر منبثق فوق مسافات مبهورة ،
ونسائم تعبر في وديان مسحورة ،
ان شاء الله ، رؤى اغنية طافحة وندى وصلاه . .

هذا المثال القيم لفت نظري بالفعل البيت الاخير منه او كما تقول نازك الملائكة الشطر الاخير منه ، ويقوم على تركيب نحوي . ! وقد حرت حقا في صيغة : ـ ان شاء الله ، رؤى . . ـ اتكون صيغة دعاء ، ام صيغة تمن ، ام انها تحتمل الوجهين ؟!

فاذا كان الطلب التماسا من الله ، او من قوة علوية ، فهو دعاء ، ولكن لا شيء هنا يشعر بالدعاء ، ولا بالطلب ، ولا بالالتماس من قوة علوية ، او من الله . . واذن الارجح ان تكون الصيغة صيغة تمن ، حذف فيها فعل التمني ، ومؤداها اتمنى ان تكون . .

هذه الابيات ، وهي كما تبدو قريبة من الهمس الشعري الشعبي ، او العامي ، من وزن جديد في الخبب ، دعت اليها نازك الملائكة ، وهو اصطناع مفتعلن الى جانب فاعل ، وفعلن ، وفعلن فيه ، وانا نرجو لهذا الشكل من الخبب الذيوع ، والانتشار خاصة وهو يقربنا من وجدان الشعب ، ولغة الشعب ايضا . .

في الابيات استعارة مكنية : ـ غطى ، وتعبر . . ـ وفيها تقديم للمفعول في : ـ غطى المرج شذاه . . ـ ، والبيت الاخير الى جانب صيغة التمني فيه ، لنقل الشعبية أيضا ، ظاهر الايجاز ، يجمع المعاني الكثيرة في الفاظ قليلة ، معطوف بعضها على بعض : ـ رؤى اغنية ، وندى ، وصلاة ـ امنيات عزيزة لها . .

دمشق — عدنان بن ذريل

انشودة الغرباء

حتام نعيش غرباء
في صحارى الشوك
نحمل عار اللعنة
حتام تغرقنا الظلمة
يلطخ وجوهنا الغبار
نلف زادنا اليابس
في مناديل مهترئة
ثم نصطاد الحيتان
لا تسألوا اين نمضي
دروبنا تغيم في الضباب
امالنا من بعضها السراب
تبصقنا الابدية
كقطعة المرار

اللاذقية — عيسى فتوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

سعيد الكرمي - رفيق التميمي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ سعيد الكرمي

روى الشيخ سعيد الكرمي للسيد خير الدين الزركلي صاحب «الاعلام» ان اسرة « الكرمي » تنحدر من عرب اليمن الذين جاؤوا مع عمرو بن العاص لفتح مصر . ولما فرغ ابن العاص من فتحها قسم اراضيها على الفاتحين ، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان سهم هذه الاسرة في اقليم الشرقية الذي سكنته عدة قبائل ، ولم يزل اقارب اسرة « الكرمي » في ذلك الاقليم معروفين باسم : « بيت الدحار » . واول من جاء منهم الى فلسطين جد والد الشيخ سعيد الذي نترجم له ، اذ نزح عن مصر مع من نزح من اهالي قرى مصر لاسباب اختلفوا في تحليلها ، فمن قائل ان نقص النيل عن ارواء الاراضي هو السبب الاول ، ومن قائل ان الضرائب التي فرضها « محمد علي » رأس الاسرة العلوية ، على الاهلين ، هي السبب في حملهم على الهجرة .

ولد الشيخ سعيد الكرمي في طولكرم بفلسطين عام ١٨٥٢ (وتوفي عام ١٩٣٥) ، واتم فيها دراسته الابتدائية ثم بعث به والده علي بن منصور الكرمي الى الازهر الشريف ، جريا على عادة اسرته ، وحضر دروس الشيخ جمال الدين الافغاني واتصل بالشيخ الامام محمد عبده، وبقيت الصلة وثيقة ودارت مراسلات من الود والتقدير بينهما .

وبعد حصول الشيخ سعيد على الشهادة العالية عين مفتشا للمعارف في قضاء بني صعب ـ قضاء طولكرم ـ ثم اصبح مفتيا لذلك القضاء .

وبعد تخرجه من الازهر قويت فيه ملكة الادب والبحث والتعمق واسهم في حركة الاذهان لا فلسطين وحدها بل في بر الشام .

ولما ذر قرن النهضة العربية في اواخر العهد العثماني ، وتألفت الجمعيات العربية الوطنية انتمى الشيخ الكرمي الى حزب اللامركزية العثماني واصبح معتمده في قضاء بني صعب . وعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى وزعت منشورات في دمشق تدعو الى الانتقاض على الاتراك موقعة باسم « حزب الثورة العربية » فقررت الحكومة العثمانية ان هذا الحزب هو فرع لـ « حزب اللامركزية العثماني » فانبرت لمطاردة اعضائه والقت القبض على حافظ السعيد (يافا) والشيخ سعيد الكرمي (طولكرم) وسليم عبد الهادي (جنين) وعلى الكثيرين من اعضاء حزب اللامركزية العثماني في انحاء البلاد وساقتهم الى المجلس العرفي بعاليه (لبنان) .

وفجر يوم ٢١ آب ١٩١٥ نفذ حكم الاعدام في احد عشر شخصا من الذين حوكموا مواجهة وارجيء اعدام اثنين هما : حافظ السعيد والشيخ سعيد الكرمي ، ولتقدمهما في السن ابدل حكم الاعدام بالسجن المؤبد ، لكن حافظ السعيد توفي بسجن عاليه وبقي الشيخ الكرمي سجينا مدة عامين و٧ شهور . ونظرا للمساعي التي بذلها الشيخ عبد القادر المظفر لدى جمال باشا (الصغير) صدر عفو عن الشيخ الكرمي ورفيقه في السجن الاستاذ محمد الشريقي في شباط ١٩١٨ فخرجا من سجنهما وعادا الى الحياة .

روى الاستاذ محمد الشريقي للاستاذ عجاج نويهض حفنة من اخبار الشيخ الكرمي وهو في سجن عاليه مع رفاقه الذين تألفت منهما قافلتا الشهداء الاولى والثانية هذه بعضها :

الاولى ـ كان رئيس المجلس العسكري ضابطا تركيا اسمه فخري بك وكان اعرج ، ويبدو انه احب التشبه بالظالم تيمورلنك حتى في العرج .. وبعد ان علقت القافلة الاولى في ساحة الشهداء ببيروت (بعد منتصف ليل ٢٠ ـ ٨ ـ ١٩١٥) وانتشر باعة الصحف ينادون بعناوين مذهلة .. اتفق ان مر فخري بك بالشيخ الكرمي في باحة السجن ، عمدا او عفوا ، فتطلع نحو الشيخ فرآه واجما وجوما بليغا فقال له بالتركية بلهجة ملؤها الهزؤ والسخرية : « اقرأ الفاتحة على ارواحهم ! » فانتفض الشيخ سعيد من مقعده وقال لخليفة تيمورلنك : « أتقول لي مثل هذا الكلام ايها الكافر ؟ انك لست مسلما ! » فاخذت الصرخة الاعرج مذعورا وولى هاربا !

الثانية ـ عندما كانت موسيقى الجيش تمر في الشارع العام ، قرب سجن عاليه ، تشنف الجمهور بانغامها العذبة .. وقف الشيخ سعيد يهزأ بها على ملأ من الناس ويصرف لها الفاظا لاذعة .

الثالثة ـ جمع نوادر من حوادث السجن ذات النكتة وسماها تسمية مسجوعة « ضفوش المهن في حوادث السجن » .

ووصف الشيخ الكرمي وهو في سجنه بعاليه الجور الذي لحق به زورا وافتراء وندد بالمجلس العرفي بموشح طويل بليغ جاء فيه قوله:

انما حيرة فكري عجبا ... كونهم قد جرموا مثلي بري
والذي لفق عني الكذبا ... صلبوه مذ راوه مفتري
ويلهم لم يخافوا العطبا ... من سهام الليل وقت السحر
فدعا المظلوم ان جد السرى ... ليس ينجي منه جد الهرب

وترى الظالم مهما استكبرا ... يأته الموت بادني سبب
ظلموا والله فيما حكموا ... حين القوني بسجن ابدي
كذبوا والله فيما زعموا ... ليس في العالم شيء سرمدي
ويلهم اذ انهم ما علموا ... ان مولاي غدا معتمدي
وهو لا يبقي لظلم مظهرا ... ويفاجي اهله بالنوب
وترى الحال سريعا غيرا ... من عناء لصفاء معجب

وتعجب للذين قد عملوا ... من فعال ذكرها يبكي الجماد
ويلهم كم من بريء قتلوا ... واستباحوا نهب اموال العباد
وعن العدل بقصد عدلوا ... واذاهم كل يوم بازدياد
جعلوا فعل الدنايا متجرا ... وهو شر الكسب للمكتسب
لا يجلون سوى من سكرا ... او اضاع الرشد في حب صبي

ثم ساقوني الى الفيحا دمشق ... لاقضي السجن في قلعتها
عندما وافيتها ذقت الاشق ... رغم ما يؤثر عن سمعتها
بين ناموس وبرغوث وبق ... سال مثل السيل في بقعتها
فترى الكل يعاني السهرا ... من مساء لاختفاء الشهب
فلو الراحة كانت تشترى ... لشريناها بكل الذهب !

وفي سنة ١٩١٨ عاد الشيخ الكرمي من دمشق الى طولكرم ، ولما تشكلت الحكومة العربية في دمشق (٥ ـ ١٠ ـ ١٩١٨) دعي الى العاصمة السورية وعين عضوا في (الشعبة الاولى (١)) (من آذار ١٩١٩ لغاية ايلول ١٩٢٠) ثم عين عضوا في المجمع العلمي العربي فنائبا لرئيس المجمع (من ١ تشرين الاول ١٩٢٠ لغاية نيسان ١٩٢٢) .

وفي تقرير رفعه المرحوم محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي ، الى المرحوم صبحي بركات الخالدي ، رئيس الاتحاد السوري ، ورد قوله :

« كان المجمع العلمي العربي يعرف في اول امره بالشعبة الاولى

خريف ١٩١٨ ثم جعلت هذه الشعبة « ديوان المعارف » ووكل اليها النظر في امور المعارف والتاليف وتاسيس دار الآثار والعناية بالمكتبات ولا سيما دار الكتب الظاهرية ، ثم انقلب هذا « الديوان » باعضائه الثمانية ورئيسه الى «مجمع علمي» في ٨ حزيران ١٩١٩ . اما اعضاؤه فهم : امين سويد ، انيس سلوم ، سعيد الكرمي ، عبد القادر المغربي ، عيسى اسكندر المعلوف ، متري قندلفت ، عز الدين علم الدين ، ثم انضم اليهم الشيخ طاهر الجزائري بعد عودته من الديار المصرية .

وفي السادس من ايار ١٩٢٢ بارح الشيخ الكرمي دمشق الى عمان حيث عين قاضيا للقضاة وعضوا في مجلس المستشارين (مجلس الوزراء بلغة اليوم) ورئيسا لمجلس المعارف .

وفي شهر تموز ١٩٢٣ اجتمع لفيف من حملة الاقلام وبحثوا في موضوع تاسيس «مجمع علمي» في عاصمة الاردن وقابلوا الامير عبد الله بن الحسين (الملك عبد الله فيما بعد) وعرضوا الفكرة على سموه فشجعهم على المضي فيها واخراجها الى حيز الوجود . وبعد ان اخذ الموضوع مجراه الرسمي تلقى وكيل رئيس الوكلاء (رئيس الوزراء بلغة اليوم) كتابا بتوقيع رئيس الديوان الاميري هذا نصه :

« الرقم ـ ٨٠٥ التاريخ ـ ٤ ذي الحجة سنة ١٣٤١ الموافق ١٧ تموز سنة ١٩٢٣

فخامة وكيل رئيس الوكلاء الافخم

جوابا عن كتابي فخامتكم المؤرخين في ٢٧ حزيران ورقم ١٤٦٨ / ١٩٦٥ و٨ تموز ١٩٢٣ رقم ١٥٥٤ / ٢٠٤ ، رغبة في احياء الآثار القومية ، ورفع منار المعارف العربية ، فقد صدرت ارادة سيدي ومولاي صاحب السمو الملكي المعظم بتاسيس « مجمع علمي » بحماية سموه العالي ، يكون رئيسا له سماحة الاستاذ وكيل الامور الشرعية الشيخ سعيد الكرمي واعضاؤه الفيلسوف العلامة رضا توفيق بك والاستاذاللغوي المفضال الشيخ مصطفى الغلاييني والاستاذالفاضل السيد رشيد بقدونس ومدير الجريدة (٢) الاديب السيد محمد الشريقي ليكونوا اعضاء عاملين ينتخبون اخوانهم من الاعضاء المخبرين في الاقاليم العربية كافة على الطريقة التي يقررونها ، ليكون ذلك عاملا قويا من عوامل احكام صلة التعارف العلمي والقومي بين الناطقين بالضاد. كما ان الاعضاء العاملين يكونون في الوقت نفسه هيئة ادارية لمصلحة الآثار .

وقد امر سموه ايده الله بانشاء مجلة باسم « مجلة المجمع العلمي في الشرق العربي » على ان يقوم بشؤونها اعضاؤه العاملون وان ينفق على انشائها من واردات الجريدة والمطبعة الرسمية .

فتفضلوا بابلاغ من يلزم لاجراء ما يجب وفقا لمنطوق الارادة المطاعة . واقبلوا التحيات والاحترام » رئيس الديوان (محمد الانسي)

ولكن ذلك «المجمع العلمي» بعد ان التام عدة جلسات وقرر بعض المصطلحات الرسمية المعمول بها حتى اليوم في دواوين الحكومة الاردنية اعتبر منحلا لتغيب الاعضاء والغاء جهاز المطبعة والجريدة الرسمية واللوازم عام ١٩٢٩ . وكانت منشورات هذا المجمع واعماله القلمية منوطة بدائرة الجريدة الرسمية التي كانت في عهدة الاستاذ محمد الشريقي حينذاك .

وبقي الشيخ سعيد الكرمي في عمان يشغل منصب قاضي القضاة حتى عام ١٩٢٦ ثم عاد الى مسقط رأسه وبقي فيها حتى لحق بربه عام ١٩٣٥ .

١ ـ عرفت اولا بهذا الاسم وسميت فيما بعد باسم « الشعبة الاولى للترجمة والتاليف » . ٢ ـ عنى بها جريدة (الشرق العربي) الرسمية وكان الاستاذ محمد الشريقي يرئس تحريرها .

نموذج من شعره : قرض المرحوم الشيخ سعيد الكرمي الشعر

وحذا فيه حذو فحول شعراء الجاهلية وصدر الاسلام بجزالة الالفاظ وبداوة الصور والاخيلة . في كانون الثاني ١٩٢٤ قدم عمان عاصمة الاردن من الحجاز المغفور له الملك حسين بن علي فتلا الشيخ الكرمي بين يديه القصيدة التالية :

تجسم هول البيد يقطعها وخدا ... ولما يجد من خوض دامائها بدا
على جسرة ادماء كالرال خفة ... وان كان طول السير انهكها كدا
سرت كهلال الشك في حلة الدجى ... ورائدها عرف الخزامى به تهدى
وان ضامها طول السرى بكلالة ... فباللحن من انات راكبها تحدى
ويكسبها ذاك الحدا فضل قوة ... فتهوي به غورا وتسلو به نجدا
فتغري الفلا في سيرها بمناسم ... لقد فرشت فيح الصحارى لها خدا
تروح على اين وتغدو بمثله ... فما سئمت منها مراحا ولا مغدا
وقد حملتنضوا جفت جفنه الكرى ... وعاف على ما فيه من ظما وردا
ولم يروه الا سحاب مدامع ... له عذبت وردا وان لم تكن صدا
كما انها من فرط شوق لارضها ... جفت كل مرعى ما عدا الشيح والرندا
وقد عبدت في الدو اوضح منهج ... ليبلغ باغي المجد من عزمه الجهدا
فلا يعرف الشدات من هو خامل ... ولا يالف الراحات من يطلب المجدا
وما المرء الا حزمه وابتاءه ... فلا ينثني عزما وان خار او كدا
يقاوم لأوآء الصعاب بهمة ... تلين في صدماتها الحجر الصلدا
يساوره شوق يسايره الى ... بلوغ المنى حتى ينال به القصدا
ولا سيما ان كان غاية قصده ... اغاثة من اودى به الضر فاستجدى
فالبسه من فيض جدواه حلة ... واضفى عليه من تعطفه بردا
فهذا الذي ان فاح بالند ذكره ... فذكر (ابن عون) عرفه يفضح الندا
(حسين) امير المؤمنين وكهفهم ... وحصنهم الواقي على رغم من صدا
نمته قريش في ذؤابة هاشم ... وآباء صدق قد سموا في العلا جدا
دعا الله اشتات الفضائل والندى ... ونظمها في جيد عليائه عقدا
فصار بهذا الفضل والمجد امة ... تضمنها فرد وصارت له جندا
فجرد من سيف العزيمة صارما ... ابى في الجهاد الحق ان يالف الغمدا
يجاهد في احقاق حق لقومه ... تلقفه بالرغم عن اهله الاعدا
على غير ذنب غير حسن وفائهم ... فما اخلفوا وعدا ولا نقضوا عهدا
فاعيب شيء ان ترى الحق واضحا ... وتانف من اعطائه اهله عمدا
فتنسىء بالتسويف حاضر حقهم ... وتطلب منهم كل آبدة نقدا
فيمضي بعزم يكسب السيف حدة ... وجراة قلب علمت مثلها الاسدا
وحسن اتباع للنبي وهديه ... فما حاد عن حق ولا عطل الحدا
اقام لاحكام العدالة سوقها ... فصار بنصر الدين في عصرنا فردا
فقل للوك الارض شرقا ومغربا ... اذا زعموا مجدا او استشعروا حمدا
الا ان ما بين «الحسين» وبينكم ... من المجد والعلياء مختلف جدا
فما احد منكم يدانيه معشرا ... ولا شرفا بل ان بينكم بعدا
فهاتوا كعدنان ابا او كهاشم ... مفرج كرب الجوع في السنة الجردا
هم القوم لايرجى سواهم لحادث ... ولايرهبون الدهر ان جار واشتدا
يريشون من هاض الزمان جناحه ... ويبنون من صرح المكارم ما انهدا
يتمم تاليهم مآثر اول ... فيبرم ما ادى ويلحم ما سدى
وتهتز اعواد المنابر لاسمهم ... وكانت لطول العهد قد ولهت وجدا
وان غيرهم بغيا تسنم منبرا ... على رغمه صلى عليهم لكي يهدى
يرتل في نص الكتاب مديحهم ... فمن ذا الذي يحصي مآثرهم عدا
الا يا امير المؤمنين دعاء من ... لآل رسول الله قد اخلص الودا
اجل نظرا في هذه الامة التي ... بغير ولاء منك لا تبلغ الرشدا
تهيم اذا شامت لواءك خافقا ... وتحيا بعز ان رأت ملكك ممتدا
وتفديك بالارواح وهي عزيزة ... ولاشيء في الدنيا سواك بها يفدى
فانت الذي انقذتنا من عداتها ... وانعشتها والضر قد جاوز الحدا
فكم حملت ثقلا من الضيم آدها ... وقد كان حملا في فظاعته ادا
واغضت مع السير الجميل على القذى ... فكانت بذاك الداء اعينها رمدا
وكنت جلاها من غشاها ونورها ... وشمس هدى فاضت مطالعها سعدا

فاعليت ما بين العوالم شانهـا ... واوسعتها عـدلا واترعتها رفـدا
وعلمتها حلمـا وحسـن تجاور ... فان كرام الناس لا تحمل الحقدا
وها هي طوع الامر تنفذ نصه ... فمر تلـق كلا من جماعتها عبـدا
فكم من كمي تحت امـرك اشوس ... يرى عتير الهيجا فيحسبه مهدا
وان ابصرت عيناه مشتجر القنا ... ترآى لـه الخطى في لينـه قـدا
ويستاف آثار النجيع بلهفـة ... كذي شغف يهوى الشقائق والوردا
ودم عصمة للدين يا ابن نبيـه ... ففيرك لا يرجى ومثلك يستجدى

٢ ـ رفيق التميمي

كان شعـاره في كـافة مراحل عمره قـول فرانسس بيكن : « يجب على الانسان ان لا يزج بنفسه في ابراج من التشامخ والوقار المصطنع بل يجب عليه ان يتطلع الى ارتقاء وحضارة لا نهاية لهما » .

ولد « رفيق » في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٨٨٩ وينتهي نسبه الى تميم الداري احد كبار الصحابة ، واتم دراسته الابتدائية وقسما من الاعدادية في مسقط رأسه . وفي عام ١٩٠٢ التحق باعدادية مرجان في الاستانة ، ثم دخل الكلية الملكية بالمسابقة وامضى فيهـا ثـلاث سنوات. وعندبلوغه الصفالنهائي عزمت نظارةالمعارفالعمومية فيالاستانة على ايفاد عدد من الطلاب الى اوروبا طلبا للعلم ففاز «رفيق» بالمسابقة وارسل الى باريس ودخل جامعة السوربون وانتسب الى كلية الاداب ونال منها ليسانس في الاداب والتربية ، ثم عاد الى الاستانة وعـين معلما للتاريخ في مكتب سلطاني مناستر بسلانيك . وبعد فترة اضطر للعودة الى استانبول نظرا لنشوب الحرب البلقانية وعـين استاذا للتاريخ في سلطاني خربوت (احدى ولايات الاناضول الشرقية) وما لبث اننقل الىبيروت استاذا للاجتماعيات فيالمكتب السلطاني الثاني.

وبعد ان امضى « رفيق » مدة سنتين في عمله هذا الغي المكتب السلطاني فعين مديرا لنادي الاتحاد والترقي بدمشق ، وفي ذلك الحين عينته نظارة المعارف العمومية بالاستانة استاذا للاجتماعيات في سلطاني ازمير ، وبعد حين نقل استاذا للادب والفلسفة في المكتب السلطانـي الثاني بدمشق . وقبل ا نيزاول عمله هذا نقل مديرا للمدرسة التجارية التي انشاها ناظم باشا والي بيروت في هذه المدينة خلال الحرب العالمية الاولى . وعندما انشئت « الكلية الصلاحية » في بيت المقدس ابـان العهد التركي عين استاذا للتاريخ فيها ، وكان من زملائه المدرسـين المرحوم رستم حيدر .

كان « رفيق » المعيا ذكي الفؤاد منذ نشاته ، وكان في طليعة مـن عملوا في حقل الحركة العربية ، ومن اوائل الذين قامت على اكتافهـم جمعية « العربية الفتاة (١) » وتعهد مع اخوانه من اركانها نمو البـذور المباركة التي غرسوها . واستطاع بدهائه وحكمته وبعد نظره ان يسـد فراغا كبيرا في حركة جمعية « العربية الفتاة » حينما ناشت سيـوف الظلم والطغيان عددا كبيرا من رفاقه اثناء الحرب العالمية الاولى حتى كان قطب رحاها في بيروت ثم في دمشق في تلك الايام المكفهرة ، وربـح بكياسته ولباقته احترام ناظم باشا والي بيروت التركي وقتئذ .

وحينما دقت ساعة الجهاد العربي بادر « رفيق » مع نفر مـن اخوانه العاملين معه في الحقل القومي الى الالتحاق بالجيش العربـي الذي قاده الامير فيصل بن الحسين نحو الشام . وابدى مـن ضروب العقل والوعي ما نال به ثقة الامير الهاشمي وتقديره فكان من مستشاريه المقربين .

وبعد ان دخل الجيش العربي دمشق مظفرا منصورا اسس الامير فيصل حكومة عربية مستقلة كان « رفيق » من رجالاتها البارزين ، اذ عين مشاورا مدنيا للمعتمد العسكري العربي في بيروت ، فاستطاع بنشاطه وصلاته وذكائه ان يقوي المعسكر العربي في لبنان ويؤجج فيه حركـة قومية عربية تؤيد عهد الشام في مختلف المناسبات والحركات التـي كانت تجري في ذلك الظرف العصيب . وفي اكثر من مرة كان رفيـق عضوا بارزا في الهيئة المركزية لجمعية « العربية الفتاة » التي كانت دعامة قومية كبرى في ذلك العهد ، وكانت لها مواقف مشرفة مستمـدة من اهداف الحركة العربية .

وعندما عقد « المؤتمر السوري العام » في دمشق مثل فلسطين في جملة من مثلها من رجالات فلسطين . وبعد ان افل نجم الحكم العربـي الفيصلي في سوريـة ودخلها الفرنسيون حكم عليه هؤلاء بالاعدام غيابـا في عداد من حكموا عليهم بالموت من رجال الحركة العربية . ولما عاد الى فلسطين مع من عاد اليها من رجالاتها تفاعل في حركتها الوطنية فكان من اعضاء مؤتمراتها ولجانها القومية كلما تنادت لحمل راية النضال ومحاربة الانتداب والصهيونية هذا البلاء المزدوج .

وعندما شرع سماحة الحاج محمد امين الحسيني فـي تأسيس « الكلية الاسلامية » التابعة للمجلس الاسلامي الاعلى في بيت المقـدس اختار « رفيقا » مديرا لها لكن هذا المعهد العلمي لم يعمـر طويلا . وليواجه رفيق التزامات عائلية مترتبة عليه اضطر للعمل فـي ادارة المعارف العامة فعين مديرا لثانوية الخليل فمديرا لثانوية العامريـة ببافا وبقي فيها الى ان احيل على التقاعد . ورغم عمله الرسمي هـذا ظل على صلة بالحركة الوطنية والعمل في الحقل السياسي .

وبعد الحرب العالمية الثانية انتدب عضوا في « الهيئة العربيـة العليا » فاسهم في نشاطها وتولى ادارة مكتبها في بيت المقدس قبيـل قرار التقسيم ، وظل على نشاطه واندفاعه ولم ينسحب مـن الميـدان الوطني الا بعد ان رأى استحالة العمل في جو تسوده قوى الشـر والطغيان ، وتلمع فيه الحراب البريطانية ، وتعمل على تهويد فلسطـين وتشريد اهلها مهما كانت الخاتمة .

وبعد ان شرد عرب فلسطين بعد النكبة الاولى قصد رفيق دمشـق وتولى ادارة مكتب « الهيئة العربية العليا » مدة ثماني سنوات ، وكـان له نشاط مثمر ملموس في مختلف النواحي المتصلة بالقضية الفلسطينية ومصالح عرب فلسطين ، وظل مثابرا على نشاطه هـذا الـى ان سقط شهيدا في ميدان الحركة الوطنية يوم ١٩ تشرين الاول مـن عام ١٩٥٦ ودفن في مقبرة جبل المهاجرين بدمشق مبكيا على خلاله الرفيعة واخلاصه للقضية العربية .

من آثاره القلمية : كانرفيق الى جانب نشاطه القومي المتواصـل طيلة خمسـين عاما ، ذا نشاط مثمر فـي المجـال العلمي ، وعندمـا تولى ادارة المدرسة التجارية في بيروت كسب ، عن طريق الخدمـات التي اسداها ، ثقة الوالي ناظم باشا واحترامه فعهد اليه والى زميله محمد بهجة الكاتب (الحلبي الاصل) بالقيام بجولة في انحاء ولايـة بيروت (٢) لتصنيف كتاب يكون مرجعا في جغرافيتها وتاريخها ، فطافـا بأرجائها وبعد مدة عادا الى بيروت ووضعا كتابا باللغة التركية ثم ترجماه الى العربية بعنوان « تاريخ ولاية بيروت » في جزئين ضم الاول القسم الشمالي من ولاية بيروت التي كانت تضم لبنان الحالي واللاذقية ، وقد ضم الثاني القسم الجنوبي من ولاية بيروت الذي يضم متصرفيتي عكا ونابلس . ان هذين الجزئين كانا وما زالا من المراجع القيمة فيجغرافية ولاية بيروت وتاريخها وحركتها الاجتماعية . وبالاضافة الى هذه المعلمة الواسعة عرفنا لهذا المؤرخ الثقة الكتب التالية :

(١) ولاية مدحة باشا على الطونة (باللغة الفرنسية) .
(٢) سوق مدحة باشا بدمشق .
(٣) التاريخ عمومي (في ثمانية اجزاء) .
(٤) الاقطاع واول اقطاع في الاسلام طبع عام ١٩٤٥ .

(١) بعد ثلاث سنوات من اعلان الدستور العثماني تألفت هـذه الجمعية السياسية للعمل على ايقاظ الامة العربية من سباتها العميق لتستأنف حياة العزة والكرامة التي كانت لاسلافها . (٢) قبيل الحـرب العالمية الاولى كانت ولاية بيروت تضم كل المدن الفلسطينية باستثنـاء متصرفية القدس الممتازة التي كانت تضم كلا من يافا وغزة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥) الحروب الصليبية طبع عام ١٩٤٥ .
(٦) حوض البحر المتوسط طبع عام ١٩٤٥ (بالاشتراك مع الاستاذ وصفي عنبتاوي) .
(٧) تاريخ اوروبا الحديث طبع عام ١٩٤٦ .
(٨) تاريخ العصر الحديث طبع عام ١٩٤٦ .

نموذج من نثره : « في يوم مطير كثير الضباب من عام ١٩٠٩ اجتمع نفر من شباب العرب السوريين في غرفة صغيرة من الدور السادس لبناء ضخم مطل على « الكوليج دي فرانس » الباريزية وعقدوا النية على ان يكرسوا حياتهم ومواهبهم الادبية والعلمية والمالية في سبيل انهاض امتهم ، والفوا لهذه الغاية الشريفة جمعية دعوها جمعية « عربية الفتاة » وكان هؤلاء الشباب لا يزيد عددهم على سبعة اشخاص منهم من قضى نحبه في سبيل العروبة ومنهم من لا يزال حيا ، وقد ذهبوا الى عاصمة الفرنسيس ليرتشفوا العلم والادب من مناهل باريز الراقية ومكتباتها القيمة ، واخذوا يعملون وراء غايتهم الشريفة ويستخدمون جميع الوسائل ليكونوا قدوة حسنة لكل من يريد من ابناء جنسهم السعادة والحرية والاستقلال لوطنه ولامته ، وقد مر عليهم ثلاثة اعوام وهم يبثون فكرتهم بين الطبقة المثقفة من العرب وكانت خطتهم ان لا يدخلوا في جمعيتهم الا من توفرت فيه شروط الرجولة والاباء والاعتماد على النفس مع شيء غير يسير من العلم والادب ، لذلك لم يبلغ عدد الاعضاء في هذه الجمعية سوى ثلاثين عضوا ، على ان هذا البطء وذاك التروي كانا ضرورين لانجاح المشروع في بلاد خيم عليها الجهل عصورا طوالا وتضاءلت الفكرة القومية حتى اصبح من اصعب الامور ان تحدث عربيا يفهم قليلا او كثيرا وتقنعه بوجوب السعي وراء النهضة القومية العربية .

وكانت اساليب الحكم العثماني تحول دون انتشار مبدأ الجمعية لان الناس اعتادوا ان يروا في الشعوب الاسلامية شعبا واحدا و امة واحدة تجمعها العقيدة الدينية وكان لاعلان الدستور العثماني دخل كبير في احباط كل سعي يرمي الى تحرير العرب من الحكم التركي لان الدستور ينص على ان الشعوب التي تتالف منها الامبراطورية العثمانية متساوية امام القانون ، ولا امتياز لشعب على آخر . ولقد اراد رجال « تركيا الفتاة » في صدر نهضتهم ان يصدقوا في دعوتهم ، فدعوا الشعوب العثمانية لانتقاء نواب عنهم في مجلس المبعوثان وتمت الانتخابات . ورغم انهم اجحفوا بحقوق العرب وغمطوا من مجموع نفوسهم ، وضغطوا على الاهالي حتى ينتخبوا من كان ميله تركيا اتحاديا ونزعته ليست نزعة عربية ، فقد كان مجموع النواب العرب في سورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس الغرب نحو ٧٠ نائبا اي ثلث مجموع نواب المجلس العثماني . فلو كان التمثيل صحيحا وكانت الحكومة المركزية تخضع حقيقة لارادة النواب لقبض العرب على دفة الحكومة ان لم يشاركوا الاتراك في تسيير دفتها . كان هنالك من اصعب الامور على الشاب العربي الذي تتوق نفسه للحرية والاستقلال ان يدعو بني قومه للجهاد في سبيل هذين المبدأين . لذلك صرحت جمعية « عربية الفتاة » في دستورها الاساسي ان غايتها المثلى هي انهاض الشعب العربي وايصاله الى مصاف الامم الحية ، وكان مؤسسو الجمعية يعتقدون انهم بهذا القيد الاخير ينال العرب حريتهم واستقلالهم ، الا انهم لم يصرحوا بذلك الا لمن انسوا فيه الكفاءة والقدرة على فهم هذين البندين الرئيسيين .

وكان لاعلان الدستور العثماني رنة فرح في قلوب العرب الواعين فالفوا النوادي الادبية والسياسية في بلدانهم ، واسس فريق من صفوتهم جمعية « الاخاء العربي » و « المنتدى العربي » في استانبول كما اقدم فريق من الضباط العسكريين على انشاء « جمعية العهد » وكان هدف جميع هذه الاحزاب ان يروا شعبا عربيا ناهضا تتوفر فيه شروط الامم الراقية . وظلت هذه الجمعية تعمل مدة طويلة لا سيما « المنتدى الادبي » فانه جمع شتات الشبيبة العربية في استانبول وكان زعماء هذا العهد يعملون لتهيئة رجال عاملين .

لقد تمكن بعض الشباب المؤسسين لجمعية « عربية الفتاة » من اتمام دراستهم في جامعة باريز واخذوا شهاداتهم العلمية والحقوق والادبية العالية وقفلوا راجعين الى بلادهم ليعملوا في نشر مبادىء جمعيتهم وذلك في اواخر عام ١٩١٢ فكان موقف الدولة حرجا جدا بسبب الحرب الطرابلسية ، وكان عقلاء مدينة بيروت يرون المستقبل مظلما والدولة تتاخر وجميع مشاريع العمران والتمدين تتعثر فانتهز فرع الجمعية في بيروت هذه الفرصة واخذ يسعى لاقناع العقلاء لينهضوا ويطالبوا الحكومة بحقوق العرب الهضيمة ، واجتمع بعض الافاضل في مصر والفوا « حزب اللامركزية » وكانت غايته حمل الدولة العثمانية على ادارة بلادها على النهج المتبع في مملكة النمسا والمجر .

ورأت الجمعية من ناحية اخرى ، تعزيزا للحركة القومية التي دب دبيبها في الوطن ، ان تعقد مؤتمرا في باريز لتتمكن من نشر الدعوة القومية في الاندية السياسية ولتقنع الجمعيات العربية المؤسسة في عواصم الغرب لمساعدة الامم الضعيفة لتساعد العرب وتشجعهم على خطتهم . وعقد المؤتمر العربي الاول وشهدته وفود عن الجاليات العربية السورية في اميركا وعن حزب اللامركزية في القاهرة وعن الجمعية الاصلاحية في سورية وعن جمعيات اخرى وقامت الجمعية بالدعاية احسن قيام وكتبت امهات الجرائد الاوروبية المقالات الطوال عن نهضة العرب ، وتمنت لهذا الشعب ان يستعيد مجده الغابر ومدنيته الزاهرة ، الا ان ايدي جمعية « تركيا الفتاة » لعبت دورا هاما في احباطه ، على ان الجمعية ظلت سائرة على نهجها في ايقاظ الشعب وتنويره ودلالته على مواطن الخلل ، وكانت جريدة « المفيد » البيروتية ـ وهي لسان حال الجمعية ـ تنشر المقالات الطوال وتدعو الشبيبة الى نبذ التقاليد السخيفة والى التمسك باهداب النهضة الحقيقية .

ودخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الى جانب المانيا والنمسا ضد دول الحلفاء ، فشمرت الجمعية عن ساعد الجد والنشاط واخذت تعقد الاجتماعات حيث يتنافس الاعضاء في الخطة التي يجب اتباعها ازاء الكوارث والويلات الحربية. وكان جل الاعضاء ، ان لم نقل كلهم، لا يميلون الى الانسلاخ عن الدولة العثمانية ، بل كانت غايتهم ان تنال البلاد العربية جميع الحقوق المدنية تحت اللواء العثماني على قاعدة اللامركزية ، وكانوا يبشرون بتاسيس حكومة على شكل يماثل حكومة النمسا والمجر ، الا ان تعيين جمال السفاح في قيادة الجيش الرابع وفتكه بزعماء ووجهاء وادباء العرب جعل الجمعية تنهج نهجا آخر .

ان دخول تركيا الحرب اكسب الجمعية نشاطا عظيما في الاعمال فتقوت وادخلت رجالا بارزين تحت لوائها وكان الرؤساء هم على اتصال دائم مع بعض رؤساء القبائل . وصادف ان قدم الى دمشق من الحجاز اكبر شخصية عربية بارزة ، فادخلوه في جمعيتهم واتفقوا معه على ان يكون من جنود الجمعية العاملين ، وكان جمال السفاح يريد ان يفتك بالقافلة الاولى من شهداء العرب ، فتوسط هذا الزعيم وطلب اليه بلسان من هو اكبر منه ان يعفو عن المظلومين الا ان نفس جمال السفاح ابت الا ان تهرق دماء العرب ظلما وعدوانا » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

الرجل الاخر

•

صفاء الحيدري

•

بغداد



كان أمسي
ذلك الرابض كالهول بحسي
كفني كان ورمسي
عشت فيه
والاسى يمتص نفسي

كان لي أمس .. ولكن
لم يكن لي ـ لي وحدي
كان لاثنينا
كان عينينا
لم يكن ملكا لفرد

وترسمنا طريقينا على ضوء النجوم
وارتقينا ..
سلم الاشواق للحب العظيم
ومضينا
كالنسيم
وزرعنا في الليالي
الف بستان لآلي
هي تصفني
وانا اطوي سهولي وجبالي
أسبق الايام والاعوام يعدو بي ضلالي
وتلفت اليها
لم أجد غير صدى أمسي
وآثار خطاها
في الرمال
سوف لن يبقي عليها الغد الا
في خيالي

كنت وحدي
لم اجد من كان يصغي لمناجاتي ووجدي
نالها من غير جهد
رجل آخر
شخص مر بعدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ساعة استجمام بين الدعابة والمجون

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

اراني اذا ما اصابني الكلال والفتور والاعياء ، وحتى اثير في نفسي ما خمد من حيوتها ونشاطها ، لتنشط بعد فتور وتستجم بعد اعياء ، تجرني قدمي لامد يدي الى تراثنا العربي القديم ، كي استجلي ما فيه من جمال وفتون وحيوية وحرية وحياة ، يلتقي خيرها مع شرها وجمالها مع قبحها ويأسها مع املها، ورجاؤها مع خيبتها، ولا يسرني وانا لا شك يا سيدي القارىء ، صادق فيما ارويه ، وارجوك ان لا تطالبني بالقسم ، اقول انني في ساعة الملال هذه ، لا يطيب لي اولا الا اختيار دواوين اولئك الشعراء الذين جاهدوا في الحياة سعيا وراء مسرة ، خروجا من قبضة الحياة ، او دواوين اولئك الذين يتصادمون مع المجتمع بدون سلاح مادي ، يحملون اسلحتهم في افواههم يرسلونه كلاما بليغا ، يحز في الانفس حز المدى سعيا وراء المال يرهبون به خصومهم فيتوددون اليهم بالهبات والعطايا وهي فريضة الادب في ذلك الوقت ..

او دواوين اولئك المجان ، يقبلون على الحياة ومتعها مدفوعين بحيويتهم الجامحة وغرائزهم الضارية ، غير مبالين بأنظمة المجتمع ونواهيه ، لا يعرفون تحفظا ولا تقية ، يتحدونه بأقوالهم وافعالهم ، ويصورون انفسهم بصدق وصراحة معراة من نفايا ت النفاق والمراء ، التمس الجمال في بساطة تعابيرهم ، وما يشف عن صدق سرائرهم ، فنا صادقا يأتلف مع اجوبتهم المنطقية السديدة والجمال يلتمس احيانا في صدق التجارب وحيوية التعابير ، وان خالف العرف الاجتماعي .

التمس كل هذا لاروح عن نفسي ساعة او ساعتين ، كما تروح أيها القارىء الكريم عن نفسك في مشاهدة افلام السينما ، وفيها ما فيها من الوقائع ما يتلاءم مع وقائع اهل المجون ، من اصحاب تلك الدواوين ، وما افتأ حتى اعود بعدها نشطا اقبل على الادب الجاد يصور اشواق الروح، والنفس فيما يصوره من احساسات راقية والنفس كما لا يخفاك في حاجة للاسترواح ، والجمام من عناء ما يجثم عليها من تعب ونصب في ميدان الحياة .

وفي طبيعة الانسان صفة الاستغراق ، والتدسس الى طوايا النفوس لتدرك ما يخفق في طواياها من رذيلة ، وما تضمره من فضيلة ، والحياة الانسانية مزيج من خير وشر وكفر وايمان ، وكفاح وهزيمة وجد ومجون ، ولا يعرف الخير الا بالشر ، وكذلك لا يعرف الايمان الا بالضلال ، واذا ما قرانا حياة كبار العظماء في كتب تصور حياتهم ولمسنا ما ينطوي في دخائل انفسهم من ضعف وقوة ، فاننا بهذا نتحرى عن انفسنا توكيدا للصلات التي تربطنا بهم ، وهي الصلات الانسانية فاذا ازيلت الحجب، ووقعنا على حقيقتهم الانسانية ووجدناهم اناسا مثلنا ، خففت مشاعرنا وتعزينا اذ لم يعد ثمة فارق بيننا وبينهم، وليس لهم من فضل الا ميزة الجراة والكفاح المر في سبيل الحياة الانسانية .. وارجو من القارىء الكريم ان لا يزم شفته ، ولا يغامز بعينه اليمنى او اليسرى ، ولا ان يحرك وجنتيه هزؤا وسخرية ، فيضعني مع زمرة اهل المجون والسفه لاني اقرأ شعر اهله ، واستقصي حياتهم ، واضحك من عبث اصحابه ، فلست والله من هؤلاء بشيء ، ولكن لي نفسا تتحرى عن كل شيء ، يخفق في قلب كل انسان وضيعا كان او صغيرا ، فما يخفق في قلب الوضيع هو نفسه يخفق في قلب الكبير ، وليس الفرق بين الرجلين الا في المنزلة والمكانة ، تحفز نفسي الرغبة في متابعة اهل الجد بمثل رغبتها في متابعة حياة اهل المجون ودراستها ، والجد والمجون اصداء انسانية، واخالهما يسيران مع الدهر في مسيرة واحدة لايفترقان، ورب جد يحمل في طياته معاني المجون والعبث ، ورب مجون يتبطن بباطن الجد ، وهذا ما نلمسه في هذه الحياة الانسانية .. وخير للانسان ان يقرأ سفر الحياة مجموعا مقبلا عليه ، مفتوح القلب والبصيرة ، متوقد الذهن لماع الذكاء ، ولا يقصر دراسته على جزء من اجزائه ، ويطوي الاجزاء الاخرى ، ليتمكن ان يقبض على ناصية الحياة ، ويتملى ما فيها من عجائب وغرائب .

قرات ديوان بشار بن برد واطلعت على تاريخ حياته ، فوجدته انسانا حيوي الجثمان وثيق التركيب مضطرم الشهوة ، استغرقته حماها كلفا بالجنس بالرغم من عماه . واصحاب هذه العاهات ، بالاضافة الى ما حباهم الله من حيوية عارمة ، معنيون بلذائذ الحس اكثر من عنايتهم بأشواق الروح والنفس ، تتضخم محبة الجنس عندهم ، يركبون الناس بالدعابة والمجون ، ويتأهبون لهم تأهب العميان في احدى الزوايا حين يضربون دفاعا عن النفس ، والناس تركبهم بالعبث والسخرية اذ يطلب من امثالهم ان لا يجتنبوا طرق الفضيلة ، ولا يتخذوا من حياة المجون والعبث هدفا لهم وغاية .. نشأ وفي نفسه ميل الى السخرية والمجون والضحك على ذقون الناس ، وتهديدهم بالهجاء المر ليخافوا بطش وسوء قالته ، نشأ وفي ذوقه احساس الفنان ينفث بين الحين والاخر ، الوانا من الحكمة والوصف ، يلتقطها من اعماق الحياة وينظمها نظم الفنان الصناع شعرا متينا ، يأسرك منه دقة التعبير وخلابة الايجاز ، والاجوبة المسكتة والفطنة الحادة .

كان مارا في الطريق ذات يوم ، وسأله رجل عن

تـاج محـل

افخم بناء اثري اقامه « شاه جهان » مثوى لزوجته الحسناء « ممتاز محل » ملكة الهند في العصر المغولي .

الدكتور محمد رجب البيومي

•

أذلك قصر الحب ما أبـدع القصرا ... لعمري لقـد سفهت من خاله قبـرا
أقـبر وفينـان الحدائـق يرتمـى ... عليه فيكسو وجهه السندس النضرا
أقبـر وأنفـاس الازاهـير حولـه ... تفوح فانى سرت تستروح العطـرا
أقبر ونصـاع الرخـام يلفـه ... بأعمدة بيضـاء قد رصعت تبـرا
قبـاب تحليهـا الجواهـر زينـة ... تخـال بهـا الابهـاء قد سقفت درا
أهانت كنوز المال في الهند فاغتدت ... كبعض صخورالقبر اذ رصفت صخرا
لعمـرك ما هانت وقـد راح بذلهـا ... يصور وجد القلب في لوحة كبـرى
انمنحهـا الحسناء ابـان مجدهـا ... ونحرمها اذ فارقـت أوجها قهـرا
بذلنـاه في الاولى تزلف عـاشـق ... فكيف لعمر الحب يمنع في الاخرى
ضريـح يهز النفس فيض جلالـه ... فيهدر جياش الشعور بهـا هـدرا
تقاطـر جيـاش النوافـير ساكبـا ... لديـه فحاكى مزنة همـرت قطـرا
اخال هواميهـا سـيول مدامـع ... بها مقلة ((للكنج)) قد ذرفت حسرى
اذا لألأت شمس النهـار حياضهـا ... شهدت لجينا ناصعا قد جرى نهرا

منزل معين ، فأشار بشار الى مكانه والرجل لا يفهم ، واذ يئس من ضيق عقله برم به ، واخذه من مرفقه وقاده الى المنزل الذي يبتغيه منشدا في طريقه :

اعمى يقود بصيرا .. لا ابا لكمو ... قد ضل من كانت العميان تهديه

وظل يقوده الى ان اوصله الى المنزل ، وادخله فيه وهو يقول .. ادخل يا اعمى !!

وكان على الرغم من اتصاله بالناس برما بهم احيانا ، ويقول في دعابة كاوية : الحمد لله الذي حجب بصري فقيل له : لم يا ابا معاذ ؟ قال : لئلا ارى ما ابغض ... وكان شديد الحس ، والعميان من اكثر الناس حساسية ، يستعيضون عن فقدان النظر بتضخم الحس ، فكأنهـم يبصرون الحقائق والملموسات بقلوبهم .. كان جالسا امـام باب داره وفي يده مخصرة ، وامامه صحن فيه تفـاح واترج ، فاهتبلها فرصة احد مداعبيه ومد يده والتقـط تفاحة ، فما كان من بشار الا آن اهوى بكرباجه علـى يده ، وكاد ان يكسرها فقال الرجل : قطع الله يدك أانت اعمى ؟ فقال بشار : يا احمق واين الحس ؟! ونـوادره كثيرة يفيض بها ديوانه .. وبشار يصور مباذله ومجونه بشعر جميل انيق ، ما ان يسمعه الناس حتـى يحفظوه ويسير على السنتهم ومنه :

يزهدني في حب « عبلة » معشر ... قلوبهم فيها مخالفة قلبـي ..

فقلـت :

دعـوا قلبي وما اختـار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين ، يبصر ذو اللب

وان له من روائع الحكمة ينثرها في المقطوعـات القصيرة ما لا تقل روعتها ، قوة عن روائع حكمة المتنبي الفنية ، يقول :

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحـه ... ولا كل مؤت نصحه .. بلبيـب
ولكن اذا ما استجمعا فيد امرىء ... فحق له من طاعة .. بنصيـب

وما اروعه في تصوير ليلة داجية طال امدها، يقول:

خليلي ما بال الدجى لا يزحزح ... وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل النهار المستنير طريقـه ... ام الدهر ليل .. كله ليس يبرح
كان الدجى زادت .. ومازادت الدجى ... ولكـن أضل الليـل هـم مبرح

لقد ابتدات حياته بالمجون والهجاء وانتهت بهمـا ، وكاد المجون والهجاء له فأرديا قتيلا .. شوهد يؤذن وهو سكران فجيء به الى الحاكم ، واذ ثبتت التهمة امـر بجلده .. وكان يقول بعد لذع كل سوط ـ حس ـ فقال له رجل : قل بسم الله . فقال بشار : اطعام هو حتـى اسمي اسم الله . فقال اخر : افلا قلت الحمد لله فقـال بشار : او هو نعمة حتى احمد الله عليها ، ومات من اثر السياط في مشهد تمثيلي فكاهي محزن غفر الله له ..

عمان ـ الاردن — **مصطفى درويش الدباغ**

أضاع عليه ((شاه جهان)) كنوزه ... وخال الذي أهداه محتقرا نزرا
اذا قاس ما أهدى ببالغ حزنه ... رأى كنزه المبذول لا يبلغ الصفرا
اذا ازداد حزنا زاد بذلا كانما ... يبرد بذل المال في صدره جمرا
يروق له ان ينهض الصرح شامخا ... فيدرك كل الناس مأساته الحرى
بلى ربما أوحى له الوهم أنها ... قريرة عين لا تني تبعث الشكرا
ترى حظها أوفى الحظوظ فتزدهي ... وتسمو على الاتراب مختالة سكرى
رأت شاهقا ما شاده قبل قيصر ... لذات جمال او تصدى له كسرى
اذا قرنت أهرام خوفو وخفرع ... به ضؤلت وزنا وان خلدت ذكرى
لئن كانت الاهرام ذات جلالة ... فليس بها من رائع الحسن ما أغرى
ولكن تلاقى بالجلالة رونق ... ((لتاج محل)) فارتقى بهما قدرا
أنيط به عشرون الفا من الورى ... يوالونه جهدا ، وما ادخروا صبرا
لئن أرهق الجور الصريح جموعهم ... لقد ألفت أيامهم ذلك الجورا
أذاقهم المر المهوع عاهل ... فاجبرهم أن يطعموا مره خبرا
وما قاسموه قبل ذاك نعيمه ... فيرضي لهم من جوره قسمة شرا
نأت عنه ليلاه وطال زمانه ... فكان تراخي عمره ميتة أخرى
فأذعن للجلى ابتداء وعاده ... شبيه تحد للردى زاد فاستشرى
فصمم ان يبني ضريحا مخلدا ... فلا يستطيع الموت ان يمحو الذكرى
اذا ما رأى الراءون شاهق صرحها ... مضى ذكرها يتلى فتحيا به قسرا
تكر العصور التاليات وصيتها ... يدوي دوي الرعد كي يسمع الدهرا
فيعرف رائي قبرها عن فتونها ... أحاديث يشأو السفر في رصدها السفرا
ألم تشخص الابصار نحو ضيائها ... وقد سفرت في عرس سلطانها بدرا
جمال يحليه الشباب فاذ أتى ... اليه نعيم الملك ضاعفه سحرا
ألم تختم الاوراق في بعض أمرها ... فتذكو أريجا كالصبا لامست زهرا
ألم تنطلق كالسهم رأس كتيبة ... قد امتشقت صمصامة واعتلت مهرا
ألم تك بعد النصر ترنيم محفل ... يرجعه شدوا فتمثله سكرا
ألم تمنح الايتام قلبا تأصلت ... به نخوة الاسلام فاعتنق البرا
يرون ضياء الله في بسماتها ... اذا ثغرها بعد النوال قد افترا
فان خبلت ذا التاج بعد وفاتها ... فاني أرى هذا الخبال به أحرى
قليل عليه ان يشق ثيابه ... ويلطم كالمجنون منتفضا ذعرا
ألم تك خصبا للحياة وبهجة ... فكيف يصير الكون من بعدها قفرا
يبيت وعيناه لنور ضريحها ... فان جاءه نوم تحاشاه مزورا
اذا عكس البلور لألأ ساطع ... توهمها في اللحد قد اشرقت فجرا
وان جاءه نشر الازاهير فائحا ... تصورها قد ارسلت ذلك النشرا
وان رفت الاشجار نضجا ونضرة ... يظن صباها لامس الدوح فاخضرا
خيالات موهوم يعلل نفسه ... بها اذ توالت من مخيلة تترى
تراخى عليه الدهر حزنا وذلة ... فقوس منه في كهولته الظهرا
الى ان توخاه الردى فاغاثه ... وأرخى على مأساة مهجته سترا
لقد كان حتما ان يفارق حسنها ... فيخشع حزنا بعدما تاه مغترا

الفيوم ـ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

عروس الجليل

حين يطالعنا صباح الحادي عشر من ايار ، من كل عام ، يذكر فيه كل عربي في جوانب وطننا الكبير على امتداده، الفردوس الضائع والجنة المغتصبة والديار السليبة .. فلسطين يذكر فيها الساحل الجميل بثغوره وموانيه ، والسهل الاخضر بكرومه وحدائق البرتقال فيه ، يذكر فيها المدن العامرة ، والقرى الهاجعة في النعيم ، انها فلسطين ، واي عربي لا يذكرها في مثل هذا الصباح الجاهم ، الذي يعيد الى الاذهان مأساتنا الدامية ؟

ولكنهم قلائل اولئك الذين يذكرون فيها « وادي الليمون » الذي الهم الشاعر صلاح الدين الصفدي بأجمل قوافيه واعذب اشعاره ، اذ طالما اهاج شيطان شعره حفيف اغصانه وخرير سواقيه ، وبساط من الخضرة هناك ، توشك ان لا تنقبض حواشيه طيلة العام .

ويذكرون فيها « وادي الطواحين » الذي طالما نهلت من ينابيعه الكثيرة العذبة زحوف المجاهدين وهم ينحدرون من سفوح « الجرمق » ليتسلقوا منعرجات «كنعان» وهم في طريقهم الى القلعة الحصينة ، ليخلصوها من ايدي الغاصبين من الصليبيين وسواهم على توالي العصور وتعاقب الاجيال . ويذكرون « جبل كنعان » الذي غصت جوانبه بمراقد الشهداء ، ومقامات الصالحين من علمائنا المرابطين في غابر الدهر .

نعم ..انهم قلائل اولئك الذين يذكرون ذلك كله ، ليذكروا معه البلدة الجميلة التي احاطت بها الحدائق والكروم وغراس الزيتون . وامتلأت بالدارات الجميلة ، وما يغص فيها من اللوز والتين والرمان ..

ليذكروا « صفد » الحافلة بذكريات التاريخ ، ومآثر الماضيين ، والمزدحمة بشواهد الامجاد عند كل منعطف ، وفي جنبات كل طريق ، « صفد » الجميلة ، ذات القلعة الشاهقة المنيعة ، وذات المساجد والحصون ، التي تحدثك عن ماضي بناتها ، وبطولات حماتها . وحسبها انها كانت حامية الجليل بأكمله ذات يوم ..

انها « صفد » التي استقبلت في مثل هذا الصباح من عام ١٩٤٧ ، جموع الغاصبين وطلائع الافاقيين ، وذلك بعد ان شرد منها اهلها ، وابعد عنها ابناؤها ، وامضت اول ليلة من عمر هذا الجيل ، وليس فيها عربي واحد من ابنائها .

فلنذكر « صفد » ونحن نذكر فلسطين ، ولنذكر مع ذلك انها البلدة العربية الوحيدة في فردوسنا المغتصب ، التي لم يبق فيها عربي واحد من اهلها .. لنفعل ذلك .. ونحن في انتظار يوم العودة القريب .. وعلينا ان لا ننساه ..

عين الرضا

كان الرجل منصرفا الى حرفائه ، يعرض عليهم اصناف بضاعته ، فلم أجد بدا من الانتظار ، حتى تحين فرصتي بعد من سبقوني اليه . وجلست على مقعد كان خاليا هناك انتظر ان يفرغ بعض من وقفوا حوله يحاورونه ويجادلونه ويداورونه في الاسعار ، وهو يبين لهم صواب ما حدد وما طلب ، وكان الفتى ذلق اللسان ، بارعا في سوق الادلة والاستشهاد بها ، لا يفحمه احد ممن وقفوا يستمعون اليه .. فاعجبني منه ذلك ، وتابعت مجرى حديثه لا يحرجني طول الانتظار والترقب .

وتحول نظري عن غير قصد الى زاوية قصية في الحانوت ، فأبصرت هنالك شيخا يجلس على مقعد بعيد عن تزاحم المشترين ، وقد شخص ناظراه بالرجل ، وتوجه اليه بكافة وعيه ، وفي وجهه علائم الغبطة والبهجة ، والاعتزاز بكل ما يأتيه او يصدر عنه .

وامعنت النظر في الشيخ الجالس عند الزاوية القصية ، فالفيته في خشوع المتعبد حين يقف عند واحد من شعائر قدسيته ، بل رايته في نشوة من احرز الفوز وظفر بالغاية المرجوة ، وانتهى الى ما تطمح اليه نفسه ، وتمتد نحوه اماله وامانيه .

ودفعني حب الاستطلاع الى ان اتوجه نحو الزاوية القصية من الحانوت ، الى حيث يجلس الشيخ ، فمضيت متمهلا متأديا ، حتى لا اثير في نفسه ريبة ، او يظن انني اقتحم عليه خلوته ، وارقبه فيما يأتيه .

واطمأن بي الموقف هناك ، ورايت الشيخ لا يتحرج من المضي في سرحته الحالمة ، وانا اقف على مقربة منه لا يفصلني عنه قيد ذراع . واخيرا احس بي ، والتفت الي وفي وجهه تساؤل واستغراب .. فابتسمت له ابدد عنه ما اثرت في نفسه ، وبادرته بالتحية ، وانا اقول له متوددا : انهم مشغولون في هذا الحانوت ، لا يصل اليهم الواصل الا بعد ان يطول به الانتظار .

واغتبط الشيخ لهذه الشهادة، التي اعتبرها دليلا على نجاح صاحب الحانوت وبراعته في ان يجتذب نحوه الحرفاء والمشترين ، فما كان ليصبح في شغل شاغل عمن حوله ، الا حين يبلغ ذلك المدى من نجاحه .

وقال وهو في ذروة انفعاله : انه سعيد .. ولدي سعيد .. ابو مازن .. يرضيك ويرضي كل من يعرفه ، انظر كم هو بارع في الحديث حين يتحدث .. كم هو

فصيح اللسان لا يهاب ولا يتلجلج .. انه ولدي سعيد اطال الله عمره ، ويسر له اسباب الرزق ..

وهنا رايتني ابتعد عن الشيخ المعجب بولده .. ابتعد وراء الماضي ، ليطالعني وجه ذلك الشاعر ، وهو ينظر الى ولده بعين الشيخ ابي سعيد ، فيرى فيه دنيا حافلة بكل جليل ، مليئة بكل جميل .. فينشد :

ولـدى .. لو رايتـه لرأيـت السعد واليمن في المراح الخصيب

او يبلغ به الاعجاب بولده حدا يراه وهو في عينه الواحدة ، يفوق في مضائه كل مضاء ، ويعدل كل من كان ذي عينين فيقـول :

في عزمه كالسيف ذي الحديـن في عينه يعـدل ذي العينـين

انهم الآباء .. لا يـرون شيئا يفوق ابناءهم كمـالا وجمالا ، مهما كان هؤلاء الابناء ، بل انهم يرونهم على حد قـول الشاعـر :

وانمـا اولادنـا بيننـا اكبادنا تمشـي على الارض ..

ومن اجل ذلك لم اعجب .. حين سمعت ما سمعته من الشيخ ابي سعيد عن ولده بل انه « ابو مازن » .. وان الغريب عنده ان لا اراه مثلما يراه .. ! !

هـــل نتعلـم ؟

كان بين يدي سفر من اسفار هؤلاء الذين سبقونا في غابر الدهر ، ممن سطروا لنا تاريخهم الزاهر ، يوم كان لنـا تاريخ زاهر ، وذكر عاطر ، وفي هذا الذي قراته يقـول كاتبه : انهم سألوا « قتيبة بن مسلم » القائـد العربـي المعروف ، وكان يعد العدة ، لارسال جيش جرار الـى جهة من جهات خراسان الفسيحة ليلقى عدوه هنـاك ، فقال الذين سألوه : ما لك لا ترسل «وكيع بن ابي مسعود» على راس جيشك الذي تزمع ان تسوقه الى عدوك فـي خراسان ، لتستأصل شأفته ، وتمحو اثره ، فهو رجل صراع وقراع ، وفارس ملاحم ؟

فقال يرد على سائليه : اني لا اجهل ذلك منه ، ولا انكر له جهده وجهاده ، وصدق بلائه في عصيب الازمـات وحازبات الامور .. ولكني مع ذلـك لا اضعه في هـذا الموضع الذي اراكم تندبونه اليه ..

فعجب محدثوه من ذلك الذي يسمعونه منه ، وعادوا يسألونه : وفي م ذلك يا ابن مسلم ما دمت لا تجد ثغرة تلج منهـا اليـه ؟

فقال يجيبهم : بل هناك ثغرة يا ابن اخي ولجـت اليه منها ، فلم يغن معها ما ذكرتموه من حميد شمائله !

قالوا : وما تكون هذه الثغرة ؟!

قال : بلغني ان الرجل اذا ما توجه لعدوه ، اخذته العزة بنفسـه ، وملكه من الغرور بقوته ونجدته ، ما يحمله على عدم الاكتراث به ، ويصرفه عن الاحتفال بشأنـه ، فيكون ذلك وحده مجالا لعدوه ان يجد فرصته المؤاتيـة فيه ، من حيث يدري ويعلم ، لا من حيث يجهل .. ولا يدري !! ومن اجل ذلك وحده ترونني لا اندبه الى المكان الذي اشرتم اليه ، مخافة ان يكون حصاده من عملـه ، المصير الذي حدثتكم عنه ..

ذلك ما قراته من اقوال الماضيين .. وانه لقول جميل محكم .. تهيأت لي ذات يوم قراءته ، فاعجبت به ووقفت عنده واطلت الوقوف ـ واعاد الى نفسي قديم الاحداث وقريبها وذكرني منها باليم موجع .. ذكرني باننا لقينـا عدونا ذات يوم ، بمثل الشعور الذي كان يتملك ذلـك القائد المغامر الشجاع وكيع بن ابي مسعود ، فاذا هـو يجد منا الهدف الذي يبغي ، واذا هو يدخل علينا مـن تلك الثغرة المفزعة ، التي دخلوا منها على ذلك القائـد ذات يوم ، فيصيب منا فرصته المؤاتية ، من حيث ندري ونعلم ، وسبب ذلك ان هذا الذي ندريه ونعلمه لم نعـد له عدته ، ولم نحسب له حسابه ..

ترى .. هـل نتعلم من عبر السابقـين وتجـارب اللاحقين ؟ هل نتعلـم من اخطائنا التـي كلفتنا الثمـن الباهظ ؟! ليت شعري .. هل نفعل ذلك ؟!

عمان ـ الاردن **محمد سليم رشدان**

كيف ؟

كيف لا احمل فـي قلبي حسره
كيف لا اضرم في عيني عبره
ثم امشي في دروب النور عامـا
بعد عام
باحثا في مدن النمل وفي ارض الطغام
عـن ازاهير تنامى
لوحتها شمس انسان الحياة
واغان ضمخت بالذكريـات
مـنذ آلاف السنين !!
كيف لا اسهر في ديجور شعبي
مشعلا شمعة حب وامـان
في طريـق الفارس الآتي ،
على صهوة احـلام الزمان
عبر اشواك المنون !
كيف لا امضي الى الشوط الاخير
مع احرار بلادي الاوفياء
والملايين التي ترفع رايات الضياء !
كيف لا اهدم من سور الشقاء
حجرا من اجل ان يشرق فجر البشر
ضاحـك النـور
محلى بنشيد القمر

قنيطرة ـ سورية **رضوان عقل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما هبطت من السيارة ، رأيته على عتبة الدار شاحبا هزيلا . التجاعيد تملأ وجهه بأثلام عميقة ، كأرض مر عليها المحراث عدة مرات. نظر الي بعينيه الرماديتين الجميلتين. تهالكت الكلمات متعبة على فمه ، والقى عكازه جانبا . ضمني الى صدره وبكى . كانت عبراته الغزيرة تتساقط على خدي . فشرقت بدموعي ..

ـ هذا هو ابوك ! أترى كيف اصبح ؟ أهذا انا ؟

ردد ذلك بألم .

لا . لا يا ابي ! تجاوزت الثمانين وانت تتحدى الشباب بمشيتك وحيويتك ونشاطك . رددت ذلك في نفسي ، وانا اجتاز عتبة الباب ، ووالدي يستند على يدي . حتى اجتزنا الممشى فيطريقنا الى غرفته. ثمة زجاجات ادوية صغيرة ، الى جانب كتبه التي احبها . كتبه القديمة الصفراء التي يتفنى بشعرها ويردده في المناسبات. ابي لم يتعلم في مدرسة . ومع ذلك فهو يقرأ . ويحب الكتب .. وعندما يتعب كنا نقرأ له ونحن صغارا .

ابيما كان جبانا ، ولا كسولا . كان جبارا ، قويا ، عنيفا ، احيانا . وناعما ، رقيقا ، ضعيفا احيانا اخرى . يختال في مشيته متنقلا كالحجل . يهرب من الشوارع المزدحمة ، خوفا من السيارات المسرعة ، ويفضل عليها الازقة الضيقة . يكره الطب والاطباء ، ما تناول دواء في حياته حتى الثمانين.

منذ عامين ، كان يجلس على الرصيف بانتظار صديق . اجتاحت سيارة سائق ارعن الرصيف ، وضربت والدي . حمل الى اقرب مستشفى مصابا بعدة كسور ورضوض . عندما حضر الشرطي ، وسأل ابي عن الحادث ، اجابه بتؤدة وصبر ومن خلال الامه العنيفة: انه القضاء والقدر ، حصل الحادث عفوا . ليس لي دعوى ضد احد .

ووقع بامضائه .. عندما ذهب الشرطي نظرنا اليه مشدوهين . وكان يبتسم مرددا : هل يريد السائق فعل هذا ؟.. طبعا لا ..! حصل ذلك عفوا وكان من نصيبي . اعتقد ان السائق يتألم لما جرى ؟ ماذا استفيد من سجنه او ضربه ؟؟ ... كونوا متسامحين يا اولادي ، فالله متسامح كريم . وظل والدي اياما يسأل عن السائق الذي حطمه ، وعندما زاره ، استقبله بالابتسام والترحيب .

كان اطباء المستشفى يبتسمون للرجل العجوز الصابر ، ولا يفعلون شيئا . جاء كبيرهم اخيرا ، واطل بوجه كالح بغيض . نظارتاه تتراقصان فوق ارنبة انفه . القى

السحابة البيضاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم رياض نصور

التحية علينا . ثم نظر الى وسط المريض، والى قدمه المرفوعة بأنشوطة. ثم همهم بكلمات غير مفهومة ، مظهرا سأما وملالة .

ـ الافضل ان تأخذوه الى المنزل.

ـ وكيف نأخذه يا دكتور ، قبل ان يتعافى تماما ؟ وقبل ان يعود الى سابق عهده ؟

ـ انه رجل عجوز . لماذا لا تقول بأنك ستزوجه ايضا ؟

ـ هل هو في خطر يا دكتور ؟

ـ طبعا انه عجوز !



ـ انه ابي .. وانا احبه ..

ـ إعرف انه ابوك ، وانك تحبه !

ـ ابي ما كان عجوزا ابدا يا دكتور! لانه لم يستعمل ادويتكم ولا مرة واحدة في حياته . لم يعترف ابدا بكم وبشهاداتكم . انتم دجالون في نظره .. واعتقد انكم كذلك .

ضرب الطبيب بيده على الحائط . وردد ماذا تقول ؟ ما هذا الحديث يا استاذ ؟ خذوا والدكم لا اريد ان يموت في مستشفاي . ومضى من امامي مهرولا كالقط المذعور ..

بعد ساعات كنا مع والدي في سيارة مسرعة الى بيروت . كانت الابتسامة تعلو وجه الرجل المريض رغم الامه . هذا الرجل الذي لم يتناول الادوية في حياته .. وها هو يتناولها بالجملة مجبرا .

في بيروت ، طمئنا الطبيب ان صحة والدي العامة جيدة جدا. انما يلزمه عدة عمليات جراحية . وهو لا يكفل ان يعود ابي الى المشي ما لم يكن قوي الشخصية . الاعتماد على النفس هو الاساس . لان الضعف والانهزام والاستسلام للشيخوخة يتركه قعيدا في الدار .

لكن ابي مشى بعد العمليات . ومشى بمفرده ، وان كان يظلع قليلا في مشيته .. لقد مشى وعاش طويلا متحديا الطبيب الكهل، الفارغ، المتعجرف في بلدنا .

سنتان واكثر مضتا، لم ار خلالهما والدي . وها انا اراه من جديد . بداه الضعيفتان تلفاني ، وهو كالسحابة البيضاء يغمرني بحنانه . نحن في شوق .

وتنهمر الدموع على صفحة وجهي من جديد . وتتالى الذكريات. فليس للشيخ الا صور الماضي . تسكره الاحاديث عنها ، فيمضي حالما في خضم الذكريات . اما الحاضر فهو بالنسبة له صور مهزوزة تتأرجح امامه وتضيع .. انها ليست شيئا. يشكو التعب والنسيان . وليس لما يشكوه من دواء ، اذ ليس للشيخوخة

دواء .. ولو كان لها لاشتريته بكل ما املك .

وتهادت قصص والدي وانا الى قربه . وكلها من الماضي . كانت احاديثه تملؤني ظلا ، وفيء ، وحياة. ذكرني بأشياء وأحداث كنت نسيتها لكثرة ما اعترى حياتي من احداث جسام .

كنت موظفا في مصلحة السكة الحديدية ، وانا ما ازال فتيا طري العود ، قليل الخبرة ، كان ابي يزورني دائما في مقر عملي . يقضي معي اياما ، خوفا علي من الانجراف في تيار الميوعة والانحلال . كنت ظله . استأنس برأيه ومشورته .

كان زميلي في العمل آنذاك ، ورئيسي بنفس الوقت ، انسانا معقدا، خبيثا ، انانيا . يكره الناس ، كل الناس ، ويعاملهم بلؤم وقساوة وغدر . كانت المحطة بعيدة عن القرية . وذات يوم تركت المحطة لشراء زجاجة للقنديل المكسور في غرفتي . وعندما عدت مُساء وقبل موعد عملي بقليل ، كان القطار ما يزال واقفا في المحطة وباحدى غرفه كان المفتش يستمع الى زميلي الموظف وهو يشكوني بمرارة . وفجأة رآني المفتش ، فأشار نحوي قائلا : ها هو لقد حضر ؟ كيف قلت انه لن يعود الا مخمورا ؟ وقد رأيته بأم عينك ينتقل من حانة الى اخرى . وما زلت تقسم على ذلك بأغلظ الايمان .. انصرف من وجهي ايها الكاذب . وطلب مني ان اتقدم منه مستنشقا رائحة فمي .. ثم مزق الورقة التي كانت مكتوبة في دفتر مفكرته . وربت على كتفي مرددا :

ـ آمل ان تظل دائما عند حسن ظننا ، شابا طيبا مهذبا .

وصفرت القاطرة . ورحل القطار. ولم اعد اكلم زميلي الا لماما .

اما هو فقد كان مدمنا على الشراب والقمار ، وكثيرا ما حاول اشراكي معه . غير انني كنت ارفض باباء واهرب منه ..

ذات يوم ، كانت خسائره في القمار فادحة . وعندما نفدت نقوده بكاملها ، التجأ الى الصندوق فأخذ منه مبلغا ضخما خسره ايضا . وعندما صحا من سكرته في اليوم الثاني . كان يضرب رأسه بجنون ويصرخ . دعاني اليه وسلمني الصندوق على حالته من النقص في اموال الشركة مع مفاتيحه . وسافر الى بلدته ليجمع من الاهل والاقارب قيمة المال المسروق قبل حضور المفتش .

وبالصدفة ، وصل المفتش في اليوم الثاني . تركته في المكتب . واتيت الى غرفتي لاخذ مفتاح الصندوق وانا اضحك . واخبرت ابي الذي كان عندي ان ساعة الانتقام قد دنت . وبأن المفتش لن يلبث ان يكتشف السرقة ، وسيطرد الموظف السارق حتما .

تكورت يد والدي على كتفي بقوة . واحسست ان عظامي تكاد تتكسر . كدت اصرخ وانا اجلس على حافة الفراش . لن تأخذ مفتاح الصندوق! سقط المفتاح من يدي فتناوله ابي ، ووضعه في جيبه . كانت نظراته في وجهي صاعقة ، وكان يرتجف . قلت له : اذا لم احمل له المفتاح أجازى ، ويعتبر ذلك اهمال مسلكي، اذا لم يجر التسليم والاستلام بين موظف واخر .

اجاب بصلابة : التضحية ضرورية .. الجزاء اخف شرا من الطرد .

قلت له : انه خسيس وانانى .

فأجاب : لنكن احسن منه ، ولنعطه درسا في الشرف والاخلاق .

وادار ظهره لي حسما للمناقشة ، والمفتاح في جيبه . عدت الى المفتش وجلا معتذرا لضياع مفاتيح الصندوق . وصمني بالقصور والاهمال . وارسل لي اخطارا رهيبا سجل في دفتر الشركة مع حسم يومين من الراتب .

عند عودة زميلي بكى وهو يقبل يدي والدي ويتمرغ عند قدميه .

واصبح صديقا وفيا لي ، وظل يكاتبني فترة طويلة .

كانت زيارتي لوالدي قد انتهت عندما قبلته مودعا .

كان صمتنا ابلغ من الكلام . وكانت قصص الماضي الحلوة تلوح وترتد ، كانت كالسحاب المتهادي تهل لانظارنا وتمضي . كالايام التي تنقضي . تذوب وتتلاشى ، كأنها لم تكن ...

ابي ليس له الا الدموع يطلقها مدرارا من عينيه الحبيبتين الرماديتين . وهو يلوح بيده المعروقة وانا اصعد الى السيارة مودعا .

احس ان السحابة البيضاء كانت ، وما زالت تغمرني بحنانها وظلها وجمالها ..

وانا امضي ، والدموع في عيني ، في طريقي الى المجهول .

اللاذقية **رياض نصور**

صدود

عاطيتني متع الشباب ففضح بي ... قلب على الاحداث ليس يلين
واربد افق واحتواني عاصف ... وزهى الشباب وللشباب فتون
فارتعت اذ عبث الضياع بخافقي ... وحسبت اني بالفؤاد ضنين
ومضيت مطرقة ودمعك فائض ... وتلاحقت اثر الظنون ظنون
فنظمت في موج الضباب قصائدا ... والقلب من هول الصراع طعين
حتى اذا سمح الزمان بنجوة ... لا انت هنت ولا الشباة تهون

حلب **احمد يحيى بوادقجي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نسيب عريضة

بقلم شكر الله الجر

* * *

لو لم يكن شاعرا متصوفا لكان راهبا ورعا .. وقد البسته المدرسة الروسية في الناصرة ثوب المهيئين للرهبنة يوم كان من طلابها . ومن رفاقه فيها الاستاذ الكبير ميخائيل نعيمه . ومرت الايام تعمل عملها بالطالب الطاهر النجيب وهو يتفتح في جو مليء بالتخشع الذاتي والفضائل الادبية التي اشتهر بها المبشرون الروس في مؤسساتهم الخيرية ومعاهدهم العلمية في ذلك العهد .

خرج نسيب عريضة الى العالم وعليه ظل من ظلال البردة السوداء وقد تلفع بها سنوات عديدة في ارض يهيمن عليها من الاماكن المقدسة في فلسطين اجمل الهامات الروح وابعدها اثرا في النفس . ومن رافق هذا الشاعر في حياته عازبا ومتزوجا عرف فيه فضائل انسانية جمة الى مواهب ادبية غزيرة ، ومن وقف على مجموعة ما نظم ونثر دهش للتجانس الروحي بينه وبين صفيه وزميله الاستاذ نعيمه ولتلك النزعة الصوفية فيما انجباه من ادب جميل يصل بك احيانا الى ما وراء هذا الكون في تأملاته الروحية العميقة وبحوثه النفسية الجليلة اضف الى ذلك عند شاعرنا نسيب اشواقا ملحة مكبوتة ، تقف بك على عتبة الندب احيانا والزهد بهذه الدنيا الجاحدة التي لا تصلح مقرا لمعطيات الروح ولا ممرا للانفس المتعطشة الى معرفة المجهول . وطالما اننا لا ندرك ما هي الغاية من وجودنا .. بل من وجود تدور به المتناقضات فالعيش اذن بلا طائل ..

لماذا نحب ؟ لماذا نحس ... لما نعيش بلا طائله
لماذا تهب الرياح على ... شواهق ليست بها حافله
وتحرم من بردها مهمها ... به اوشكت تهلك القافله
لماذا السفينة تطلب ريحا ... ومن تحتها ابحر هائله
وفي القفر عطشى يريدون ماء ... وريح السموم بهم نازله

بلى بهذه النفس الحائرة المترعة بالاحساس ، المكبلة بسلاسل الضعف البشري ، المشدودة الى الارض المتأرجحة في الفضاء التائهة في صحراء الحياة تئن انينها نسمع الشاعر امام ذاته الباطنة يسائلها ويعاتبها ويهتف بها للرجوع الى الصواب .

يا نفس ما لك والانين ... تتألمين وتألمين
عذبت قلبي بالحنين ... وكتمته .. ما تقصدين
يا نفس ما لك في اضطراب ... كفريسة بين الذئاب
هلا رجعت الى الصواب ... وبدلت ريبك باليقين
او ما لحزنك من براح ... حتى ولو ازف الصباح
يا ليت سكرك لي مباح ... لاعي صدى ما قد تعين ؟

ويمضي الشاعر في حيرته وكلما امعن بالتحديق في غوامض الحياة واسرارها زاد شعورا بوحدته في طريقه البعيد .

دربي بعيد وانا وحيد
افلا رفيق او دليل في الطريق
افلا سلاح او دعاء من صديق
وارحمتاه لمن يسير بلا وطاب
بين القفار وقد تعلل بالسراب
ما من مجيب .. ما من حبيب

سر يا شقي كفاك تشكو ما دهاك
العل لا شاك من البلوى سواك
كم ذا تفتش عن مؤاس او معين
هيهات ان الناس مثلك اجمعين

ولو ان الشاعر عاد الى بيئته الشرقية المتواضعة المنكمشة على نفسها ليعيش عيشها الهادىء في احضانها لما عصفت به هذه الوساوس والشكوك تقض مضجعه وتغص بها اعصابه ولكنه وقد قذفت به الاقدار الى مدينة الاصنام الذهبية نيويورك جنة جمع سكانها شهوات الارض كلها بين جدرانها ووقف الدولار سيدا يخطب على منابرها مهيبا بابنائها الى موائد المدام وأسرة الغرام وانتهاب اللذات قبل الحمام فكان طبيعيا جدا ان يجد هذا التناقض بين ما انطبع على غلاف نفسه من صفاء الايمان وسذاجة الحياة في بيئته المدرسية وسماء بلاده الوردية وبين ما تراكم من غيوم الشهوات البشرية وصخب المدنية في سماء بيئته الاميركية . ولانه لم يقو على الجمع بين الطمأنينة والقلق والايمان والشك بين امسه ويومه انفجرت نفسه بهذه الروائع الشعرية الجميلة تحمل الينا صورة عن هذا الصراع النفساني العنيف يتردد في قوافيه المعذبة الجريحة .

واليك ايها القارىء الكريم من شعره « ترنيمة السرير » وكأنه امام ام حنون طوقها الفقر وطاف بسرير وحيدها الجوع وقد جف ثديها لجفاف الرزق في يدها فبسطت ذراعيها نحو السماء ضارعة متألمة .

ظلام الليل قد جنا ... وبوق الهم قد رنا
فنم يا طفل لا بهنا ... غني بات شبعانا
لجاف الياس غطانا ... فنم لا عين ترعانا
اذا ما صبحنا حانا ... حسبنا الصبح اكفانا
الا يا هم يكفينا ... لقد جفت مآقينا
لو ان الدمع يغذونا ... اكلنا بعض بلوانا
بكى طفل فلم يرضع ... ثديا درها المدمع
وظل الطفل جوعانا ..

لا مشاحة ان للثقافة الروسية اناملها المغموسة في نفسية الشاعر ترفرف عليها اجنحة سوداء من خيالات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارض الكرامة..

سلمت يمينك ايهـا البطـل ... فالبغي ولـى وهـو منخذل
قـد غره غـدر مضى زمنـا ... فالدهـر فـي ايامـه دول
هـذي الديار ديارنا رقـدت ... فيهـا الاصول ، اصولنا الاول
خسيء الدخيل فلـن يقر له ... عيش ولـن يحيا لـه امـل

ارض (الكرامة) انت خالـدة ... للعـرب فيك من الفدى مثل
جاء العدى يبغـون فيك اذى ... وتعللـوا مـا شاءت العلـل
فـاذا المعاقل وهـي مرعـدة ... ترديهمو مـن قبل ان يصلـوا
واذا الحـراب البيض عاملـة ... بـين الضلـوع كانهـا اسل
واذا الزنود السمر تحصدهم ... حصدا ذريعا اينمـا نزلـوا
حتى فتاة الخـدر قد خرجت ... بـين الرجال كانهـا رجـل
غضبى تخوض الحرب مقدمة ... لـم يثنها اذ اقدمت وجـل
تلقـى العـدو كانهـا قـدر ... قـد جاءه اذ جـاءه الاجـل
فاذا العـدو يفـر مـن جزع ... لـم يحمه سهـل ولا جبـل
ضاقـت بـه ذرعا مسالكـه ... فدروبـه بالنـار تشتعـل
ومدافع (الاردن) تمطـره ... حمـما تضيق بمثلهـا السبل
لـم يجـده عـدد ولا عـدد ... ابـدا ولا مكـر ولا حيـل
مـن رام مأسدة اصاب اذى ... او بات وهـو لاسدها أكـل

حلب — محيي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعض شعرائها الرومنسيين أمثال سولوكوب في قصيدته « النوم والمنيـة » وتيوكشف في قصيدتـه « الصمت » وسواهما من شعراء الامس وقد ترجم الشاعر القصيدتين الى العربية متوخيا الصد ق والاجادة فكان حليفه التوفيق كمـا قـال .

نشأ شاعرنا في مدينة حمص بين خمائل العاصـي واستحم بمائه ونشر جناحه للشمس والنسيم تحـت سمائه وما برح مدى اغترابه يحن حنينه الـى فردوس طفولتـه ومـن شـعره .

اعرفتها تلـك الربـوع النائيـة ... مـا بـين لبنـان وبـين الباديـه
والذكريـات وقد بديـن علانيـه ... نادين عنـك بحسرة المطـرود
يـا حمص يـا بلـدي وارض جـدودي
يـا جارة العاصي اليك قد انتهى ... املـي وانـت المبتغي والمشتهى
قلبـي يرى فيـك المحاسن كلهـا ... وعلـى هـواك ادين بالتوحيـد
يـا حمص يـا بلـدي ومهـد جـدودي

كـان شاعرنا واحدا من أعضاء الرابطة القلميـة في نيويورك مشى في موكبها وحلق في جوها والتفت بغيوم حيرتها وشكوكها وقد اجتمعت عليه الوان من المصائـب اترعت كأسه بالعلقم حتى اوشك ان يفقد ايمانـه بعطف السماء ولكنه ظل متمسكا ببقية من رجاء متجلدا علـى الفاقة والمرض حتى تدحرج الكاس من يده وطارت عصفورة الحياة من قفصه .

ومن شاء ان يتعرف على حقيقة هذا الشاعر ويلـم بصورة شاملة عن ذاتيته فليعد الى ديوانـه « الارواح الحائرة » فانه لواجد بين دفتيه نعشا مطرزا بالحسرات مكللا بالدموع . وكم شاعر كان ديوانه نعشه وقوافيـه اكفانه يطل من خلالها وجهه وعلى شفتيه ابتسامة الهزء بالحيـاة ..

ولما اقامت الجاليـة الحمصية في البرازيل حفلـة تأبينية للشاعر كان لصاحب هذا المقـال قصيدته فـي الحفلة وقد جاء في ختامها .

قـل للنسيب وقد عز النسيب به ... وعـز ان ترتقـي الارواح ذروتـه
هياكل الشعر ديك الجن دنسهـا ... فكنت كفارة الجنـي وتوبتـه
بلغت من (ارم ذات العماد) مدى ... كواكـب الشعر لم تبلغ مجرتـه
وظل رائدك الحق الـذي عميت ... ابصارنا عنه حتى جئت سدتـه
فضضت ختم الليالي عن طلاسمه ... لمـا اباحت لك الارواح عصمتـه
كفى بحمص فخارا انها ضفرت ... لمفرق الشعر تاجا كنت درتـه

جبيل ـ لبنان — شكر الله الجر



رومان رولان

رومـــان رولان

بقلم الدكتور قنبر مجيد الطويل
رئيس قسم اللغة الفرنسية في كلية اللغات بجامعة بغداد

« ان الذي يعرفني والذي قرأ ولو واحدا من كتبي ، سيقول عن لهجتي انها كانت لهجة رجل « منفصل عن العالم » او سيقول عني انني رجل قدمزقته آلام العالم فهو يكافح للتقليل من هذه الرزايا او للتخفيف من حدتها . . (الى هنري باربوس ١٩١٩) .

* * *

ليس بمستطاعي ان اكتب كلمة تعريف وافية برومـــان رولان ، لهذا اجد نفسي مضطرا كل الاضطرار لان اوجز غاية الايجاز ، مارا مرورا سريعا عابـرا ، وملما بأهـــم الاحداث الكبيرة في حياة رومان رولان الخصبة وفـــي اعماله الكثيرة .

ولد بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٨٦٦ في كلامسي من منطقة برغوني من عائلة برجوازية كاثوليكية ، سكنت منذ قرون هذه البقعة من فرنسا ، وعرف افرادها بأنهـــم مواطنون صالحون وجمهوريون مخلصون حتى ان احدهم كان من كبار ثوار « الثورة الفرنسية » .

كان رولان في طفولته مريضا ووحيدا وكان يحس بأن شبح الموت يهدد حياته ويجوب في ارجاء البيت . وكان شعوره بالوحدة شديدا بين اترابه فـي القرية . وعندما بلغ الرابعة عشر من العمر ، انتقلت اسرته الـى باريس ليتم دراسته العالية . وكان احساسه بالوحـدة اشد بالرغم من ان له زمـــلاء امثال : « ليون دوديه » و « جوزيف بديه » و « بـــول كلودل » و « انـــدره سوارس» . وقد عبر عن ذلك فيما بعد قائلا : «وتفاقمت حالي سوءا حين انتقلت الى باريس ، في شهر تشريـن الاول من عام ١٨٨٠ ، فان جو مدرسة الليسيه . وهذه الثكنة لليافعين الاغرار ، وثوران الحي اللاتيني وحمـى الشوارع القذرة والمدينة المهوسة . كل ذلك قد عصـــر فؤادي عصرا (١) » . شعر رولان ان اجواء باريس غـير نظيفة وانها لا تطاق ، فكأنه انتقل من قريته واجوائهـــا التي كان يحسبها سجنا الى باريس التي رآها سجنـا آخر . ومرت بـــه ، وهو في هـــذه المدينة الصاخبة المحمومة ، ازمة شديدة فقد فيها ايمانه بالدين المسيحي، فأنقذتـه مطالعاته العميقة للفيلسوف « سبينوزا » مـن شكه وحيرته ويأسه ، وادخلت في نفسه المظلمة اضواء من الايمان .

دخل رولان مدرسة المعلمين العليا وتخصص فـي التاريخ الا ان ميوله اتجهت الى الموسيقى فأعجب كـل الاعجاب بـ «بتهوفن» و بـ « فاكنر » . ومالت رغباته نحو الادب فأعجب ايما اعجاب بـ «شكسبير» و بـ «هوغو» ثم تأثر بالادباء الروس وبالاخص بـ «تولستوي» . وجـرت بينهما مراسلات ومن الطريف ان الحكيم الروسي اجابه على رسائله الاولى اليه ، برسالة طويلة من ثمان وعشرين صفحة ! وكتب رولان الى الفيلسوف « رينان » فدعـاه هذا لزيارته ودهش لذكائه . وبعد تخرجه في مدرسـة المعلمين العليا ارسل في بعثة الى « روما » وفي هـذه المدينة الخالدة تعرف على « مالفيدا فـون ميزانبورغ » صديقة فاكنر والفيلسوف نيتشه وكان عمرها آنـــذاك (٧٠ عاما) وكان تأثيرها عليه كبيرا اذ اخذت بيده ودلته على طريق الابطال والعباقرة .

بدأ رولان حياته الادبية بمحاولات فـــي كتابـــة المسرحيات المستوحاة مـــن عصر النهضة حتـــى بلغت مسرحياته احدى عشرة مسرحية (٢) . وفي هذه المرحلة من حياته راسل المسرحي النروجي « هنريك ابسن » معربا له على رأيه في مسرحياته التي كانت تمثل حينذاك فـي باريس ، ومصورا له ما اثارته في نفسه من المشاعـر . فأجابه ابسن برسالة شكر وتقدير لمواهبه .

تزوج رولان من « كلوتيلد برثال » وكان ابوها استاذا كبيرا في « الكوليج ده فرانس » ونزولا عند رغبة زوجته واهل زوجته اضطر ان يحضر للدكتوراة ، فنالها بدرجة شرف في الاداب سنة ١٨٩٥ ، وكان موضوع رسالتـــه « الجذور الغنائية للمسرح الحديث » . وقد اصـــدر مجموعة من المسرحيات في سلسلتين : سلسلة تراجيديا الايمان وسلسلة مسرح الثورة ، وقد نشر مقالات عديدة عن المسرح ، داعيا فيها الى « مسرح الشعب » . الـــى مسرح شبيه بمسارح القرون الوسطى والمسارح الاغريقية ولم تلق مسرحياته اجواء ملائمة لها فانصرف عنها الى حين .

لقد انفصل رولان عن زوجته ، في بداية القـــرن العشرين وترك الطلاق في نفسه المرهفة ، اثرا بليغـــا وجرحا عميقا . ولقد كان في هذه المرحلة مـــن حياته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحيدا مريضا وفقيرا وليس معروفا الا بين كوكبة من الاصدقاء المخلصين ، وفي أجواء نفسية صعبة وقاسية كهذه الاجواء ، اصدر كتابا صغيرا عن حياة « بيتهوفن » ١٩٠٣ ، داعيا فيه الى تنسم انفاس الابطال والسير على آثارهم في الحياة واصاب في كتابه هذا نجاحا باهرا وشيئا من الشهرة وبعد سنة تعين رولان استاذا في السوربون ليدرس تاريخ الفن ، في هذه السنة نفسها اخرج الجزء الاول من روايته الملحمية الكبرى « جان كريستوف » وكانت فكرتها تختمر منذ سنوات في نفسه وكان يدعو فيها الى البطولة الانسانية والاخاء البشري في العالم بأسره ، وقد صدرها بهذه الكلمة الرائعة : بهذا الاهداء العميق : « الى النفوس الحرة من جميع الاوطان، التي تتألم والتي تناضل والتي ستنتصر » وقد تناول في هذا الصرح الروائي الشامخ حياة موسيقي عبقري ، طفولته شبيهة بطفولة بيتهوفن ، حياة موسيقي يصطدم بمشكلات عصره واحداث زمانه ويلاقي من جراء ذلك الكثير من المتاعب والمصاعب ، مارا بمراحل عديدة حتى يتاح له ان يحقق في حياته وفي فنه المثل الرفيعة ، لقد بلغت الرواية حدا بعيدا من الروعة والابداع ، حتى اصبح رومان رولان بعد اتمامها في ١٩١٢ ، وهي بعشرة اجزاء ، مشهورا في اوروبا وفي العالم . وفي ١٩١٣ منحته الاكاديمية الفرنسية جائزتها الكبرى عن روايته « جان كريستوف » وسافر بعد سنة الى سويسرا وفي اثناء وجوده فيها ، اندلعت الحرب العالمية الاولى ، وكانت ضربة كبيرة الى دعوته الانسانية . وقد كتب سلسلة من المقالات السلمية ، منددا بالحرب ومثيريها ، وكانت اشهر مقالة فيها « فوق المعمعة » وهذه المقالة اسيء فهم عنوانها فقد كان عنوانها من قبل «فوق الاحقاد » وقد احدثت مقالته تلك دويا بعيد الاصداء وقد جلبت عليه سخط الفرنسيين والالمان على السواء .

وفي ١٩١٦ منحته الاكاديمية السويدية جائزة نوبل في الاداب : « تحية لنزعته العالمية في اعماله الادبية ، وتقديرا لعاطفته الكريمة ، وحبه للحق في تصويره للنماذج المختلفة من الشخصيات الانسانية (٣) » وقد وزع مبالغها على جمعية الصليب الاحمر وبعض المؤسسات الخيرية . وبعد انتهاء الحرب اصدر منشورا عالميا دعا فيه الى « استقلال الفكر » وقع عليه الاف من كتاب العالم ومفكريه نذكر منهم على سبيل المثال هذه النجوم اللامعة في سماء الفكر العالمي : رابندرانات طاغور ، برتراند راسل ، هـ. ج. ولز ، بنديتو كروتشه ، البيرت انشتاين ، ستيفان زفايج ، جورج دوهامل ، بول هيس، سنكلير يوبتن ، مكسيم غوركي .

وفي سنة ١٩٢٢ اقام رولان في سويسرا وانتج رواية « النفس المسحورة » بسبعة اجزاء ، وهي رواية ملحمية على غرار جان كريستوف تعالج مشكلات المرأة الحديثة واحداث جيلها واتمها سنة ١٩٣٤ . لقد خيبت حضارة اوروبا آمال رولان فيها فولى وجهه نحو الشرق العميق فأعجب بالمهاتما غاندي وبفكرة اللاعنف فكتب حياته ودافع عنه دفاعا حارا رائعا .

وعندما بلغ الستين من عمره بادر ثلاثة من كبار الادباء هم زفايج ، دوهاميل ، غوركي الى تكريمه تكريما اسهم فيه العديد من الشخصيات الكبيرة امثال : فرويد، انشتاين ، سلمن لاجرلوف ، شوايتزر ، طاغور ، غاندي. وقد جمعت كلمات الترحيب هذه في كتاب ضخم (٤) صدر بهذه المناسبة . وفي الوقت نفسه اصدرت مجلة « اوروبا » عددا خاصا به .

وفي فيل نف ــ في سويسرا ــ غدا بيت رولان ذي القلب الكبير والنفس السخية مزارا للمفكرين الاحرار فزاره طاغور ــ نهرو ــ من الشرق . وقد تعاظم اهتمامه بالفلسفة الهندية ، فنشر حياة المتصوف الكبير « راما كريشنا» وبعد سنة حياة تلميذه الشهير «فيفا كانادا» (٥). وفي نهاية ١٩٣١ ، نزل غاندي ضيفا عند رولان وكان زعيم الهند متلهفا لرؤيته . وفي سنة ١٩٣٢ ترأس المؤتمر العالمي ضد الحرب الذي انعقد في امستردام . وفي سنة ١٩٣٣ منحه هتلر وسام « غوته » ، تقديرا لعبقريته وتقديره للعبقرية الجرمانية المتمثلة في بيتهوفن وغوته الا ان رولان رفض الوسام وكان رده ردا عنيفا هاجم فيه النازية هجوما شديدا .

وعندما بلغ السبعين ، وكان في قمة الشهرة العالمية اقيم لتكريمه احتفال ضخم في باريس برئاسة « اندره جيد » . وكان رولان في هذه الاثناء يعيش في سويسرا منذ ربع قرن على التقريب ، ويبدو انه كان لتكريمه هذا من قبل مواطنيه ، اثر بليغ في نفسه ، شجعه على العودة الى فرنسا ، ارض اجداده فعاد اليها في ١٩٣٨ ، الى « فزليه » وهي قرية تقع بالقرب من مسقط راسه « كلامسي » . ونشبت الحرب العالمية الثانية وهو في قريته مريض ، ورغم مرضه وشيخوخته كتب حياة صديقه الشاعر « شارل بيكي » الذي استشهد في بداية الحرب العالمية الاولى . وفي ٣٠ كانون الاول ١٩٤٤ مات رومان رولان وبموته فقد العالم كاتبا انسانيا من اكبر كتاب القرن العشرين ، وخسر به رجلا من اعظم رجال العصر ومفكرا من ابرز اعلام الفكر العالمي . وقد اراد ادباء فرنسا برئاسة الشاعر « بول فاليري » دفنه في مقبرة العظماء الشهيرة . وعندما فتحت وصيته وجد فيها انه يطلب دفنه في مقبرة بسيطة وديعة هي مقبرة « برف » التي تبعد عشرة كيلومترات من مسقط راسه .

ترك رومان رولان بعد مماته يوميات ضخمة (٦) لو نشرت لبلغت خمس عشرة الف صفحة ورسائل (٧) بلغت اكثر من اربع عشرة الف رسالة كان راسل بها مختلف المفكرين والادباء ومن مختلف الاقطار نذكر منهم على الصعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العالمي البيرت شوايتزر ، وريشارد شتراوس ، وهرمن هيس ، وغبريل دانيزيو ، والبيرت انشتاين وستيفان زفايج ، وبرنارد شو ، وه. ج ولز ، وتوماس هاردي ، وبول كلودل، وجورج دوهاميل، واندريه جيد ، وطاغور ، وغاندي (٨) ... الخ وكتب رسائل الى آلاف القراء المجهولين في ارجاء العالم .

ترك رومان رولان من المؤلفات عددا ضخما يربو على الثمانين كتابا ، وهي من الوفرة والتنوع والاتساع بحيث تتناول الموسيقى وحياةالموسيقيين وفن السيرة والمسرحية والرواية والمقالة والمذكرات . وقد ترجمت مؤلفاته الى جميع اللغات الحية وقد مثلت مسرحياته في فرنسا وفي اوروبا كمسرحية « الذئاب » ومسرحية « لعبة الحب والموت » ومسرحية « ١٤ تموز » حتى ان بيكاسو رسم مشهدا من مشاهد هذه المسرحية الاخيرة . وقد عرضت رواياته الملحمية وغير الملحمية على الشاشة البيضاء في افلام : (جان كريستوف ـ النفس المسحورة ـ بيير ولويزة) وقد وضع موسيقي روسي اوبرا لرواية « كولا برينيون » .

لقد كان رومان رولان في سيرته على جانب كبير من النبل والسمو والعظمة ، وكان الانسجام رائعا بين افكاره وحياته اليومية . وكان التطابق بين اقواله وافعاله كأحسن ما يكون التطابق روعة ودقة . فهو روح انسانية مسالمة ونضال لا يعرف اليأس ولا السأم وارادة مخلصة لخلق نفوس ابية وحرة .

ولنستمع بخشوع الى صوته العذب يحدثنا من وراء القبر عن ايمانه العميق بالحقيقة وحبه الجم للانسانية : « من انتاجي برمته ومن حياتي باسرها تنبثق شريعة اخلاقية ، شريعة الادراك والعمل ، شريعة باطنية وشريعة عملية : ـ شريعة الحقيقة على الانسان ان يكون صادقا مع نفسه . عليه الا يقول او يكتب كلمة زائدة او ناقصة عما يعتقده هو الحق ، وهناك شريعة ثانية ، بذلت كل ما في طوقي لادمغ انتاجي بها .. الا وهي شريعة العطف (بالمعنى الصحيح) ان تتألم من المتألمين . شريعة الحب الانساني » (٩) .

ولقد شارك في قضايا عصره واحداث زمانه وكان أبعد كتاب العصر ومفكريه عن الابراج العاجية ، فكان ملتزما الى اقصى حدود الالتزام قبل ان يأتي الى الحياة دعاة الالتزام ! ودعا طوال حياته وفي كل مؤلفاته الى الاخوة الانسانية والتضحيةالبطولية من اجل القيم الرفيعة والمثل العليا ، وصار بحق رجلا عظيما في مصاف العظماء الذين كتب هو عنهم كـ « بتهوفن » و « تولستوي » و « غاندي » .

فيما يلي طائفة من اقوال رومان رولان ، لم يسبق نشرها اخترناها لعلها تلقي اضواء على جوانب شخصيته الفذة ومؤلفاته الكثيرة .

ـ ان الصاعقة تسقط أنى تشاء وحينما تريد . ولكن القمم تجرها اليها . وبعض الامكنة ـ وبعض النفوس هي اعشاش للعواصف .

ـ شعور الانسان بانه متجنب للناس لا يعني ذلك ان يظل عاطلا مكتوف اليدين .

ـ لكل وظيفته . فللجيوش حراسة أرض الوطن . ولرجال الفكر الدفاع عن الفكر .

ـ لا اعرف شيئا يسمى مطلقا . اذ ان كل شيء حركة في الوجدان النزيه المستقيم .

ـ ان التفكير بسلامة نية واخلاص هو بحد ذاته لصالح الجميع حتى لو كان موجها ضد الجميع .

ـ ليس صحيحا ا نالغاية تبرر الوسائل ، فان الوسائل بنفسها اكثر اهمية في سبيل التقدم الصحيح من الغاية .

ـ ان اشد آلام الحياة هو ان يشعر الانسان بالوحشة وسط الجمع الحاشد الذي يحيط به من كل الجهات .

ـ اما المؤرخ في شخصي فليس هناك من سبيل للعواطف والمخاوف الى اسراره . فان هذا المؤرخ يلاحظ ويحقق ويدقق ويأبى الحكم قبل ا نتتوافر بين يديه كافة البينات والوثائق المطلوبة .

ـ اذا اردت قول الحقيقة عن الطريقة التي اسلكها في العمل ، فانني اصرح ان حالتي النفسية هي على الدوام حالة موسيقار ، لا حالة رسام .

ـ ان لغتي الحقيقية هي الموسيقى .. فالموسيقى هي التي جعلت مني مواطنا عالميا . وليست روحي هي العالمية وانما قلبي هو العالمي .

ـ في المجتمع المتطور تطورا واعيا منسجما ليس لكلمة مثقف ان تعني طبقة متميزة على حدة .

ـ وانا كذلك اعاني من انعدام الاصدقاء ، فهل تعتقدون انني لا افتش لنفسي عن اصدقاء ؟ ولكن هؤلاء الاصدقاء ان كانوا جديرين بي ، فهم انفسهم يشابهونني ، اي انهم يعانون ما يعانون من الالام فيصمت وسكون ، فليس بوسعهم ان يداجوا ويحابوا الناس ، شأنهم كشأني ، فانا عاجز عن المداجاة والمحاباة . وعلى ذلك ، فينبغي اذن ان اجد وسيلة للتوجه الى النفوس المجهولة ، وهو الغرض الذي من اجله اكتب .. وهو الغرض الوحيد لحياتي .

ـ ان الذي يعرفني ، والذي قرأ ولو واحدا من كتبي ، سيقول عن لهجتي ان كانت لهجة رجل « منفصل عن العالم » او سيقول عني انني رجل قد مزقته آلام العالم

(١) مذكرات . (٢) لا يزال اغلبها مخطوطا . (٣) الترجمة للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد . (٤) شارك من العالم العربي المرحوم احمد ضيف . (٥) اعجب الاستاذ ميخائيل نعيمه بهذين المتصوفين « سبعون ج ٢ » . (٦) نشرت منها يوميات (سنوات الحرب العالمية الاولى) . (٧) نشر منها ستة عشر مجلدا . (٨) مراسلات رولان ـ غاندي مصدرة بمقدمة لنهرو . (٩) الى أ. د. كورتيوس ١٩٢٧ . (١٠) و (١١) من شخوص رئيسة في رواية « النفس المسحورة » .

فهو يكافح للتقليل من هذه الرزايا او للتخفيف من حدتها .

ـ ليست الشمس من المتمسكين بالاخلاق ولا من نبذة الاخلاق .

ـ ا نفكر اوربا محتاج الى فكر آسيا ، كما ان لفكر آسيا فائدة بالاتكاء على الفكر الاوروبي .

ـ اما انا فقد وجدت نفسي امام هذه المشكلة الفنية .. كيف اعبر اكمل تعبير عن الاشياء الحقيقية التي تراود افكاري ، دون جرح شعور اولئك الذين لا يقوون على مواجهتها او اثارة هياجهم ؟ .

ـ ان حرية الفكر هي انفس كنز في الوجود .

ـ ان غلطة تولستوى الخطيرة (كما هي غلطة اخرين كثيرين) هي رغبته المفرطة في تبسيط وتوحيد الطبيعة البشرية .

ـ كل فن حقيقي ، وكل فن عظيم هو فن ثوري .

ـ هل يتحتم ان يكون عظماء الرجال نماذجا للفن ؟ انهم نماذج للطاقة وشموس للقوة والجمال .

ـ انني لا اؤلف كتابا ادبيا وانما اكتب رسالة ايمان وعقيدة .

ـ فرنسا هي عبارة عن انسجام الاجناس ، والا فهي لا شيء . وان كلمة انسجام التي هي كلمة كريستوف المحتضر ، ستظل هي كلمتي على الدوام .

ـ فتش عن اجمل انسجام ، الانسجام الذي هو العسل الاسود لتنافر الالحان .

ـ ان ابناء جيلنا قد تعلموا التحليق . فاصبحت عيونهم كعيون الطيور بعيدة النظر .

ـ يحتاج الفكر الى مجالات واسعة .

ـ ان ابتهاجي وواجبي على الارض هما في ان افقه اعظم ما يمكن ان افقه من شؤون العالم وان اجاهد في الدفاع عن العقل النير والحفاظ عن أن تمسه يد اثيمة .

ـ سأرحل عن هذه الحياة ، دون ان اكون قد وقعت في فرنسا التي احبها على الصداقة التي كانت ضالتي المنشودة . لقد وجدت تلك الصداقة ولكن في موطن آخر ، في بقية انحاء العالم ولكنني كنت اود ان اعثر عليها في فرنسا .

ـ هل انكرت يوما على فرنسا روحها الحرة ، هذه الحديقة الغناء التي هي مزهرة ومثمرة منذ عشرة قرون متوالية ؟ هل جحدت روعة خريفها السرمدي وتذوقها العجيب للذكاء البشري وفن الحياة الذي برعت فيه ؟ هذا الفن الذي ينتقل من جيل الى جيل على هذه الارض الممتازة ؟

ـ لقد جعلت مني الطبيعة انسانا بعيد النظر . وهناك اخرون يرون خيرا مما ارى عن كثب . اما عيناي فمهيئتان للنظر من بعيد .

ـ ان خضمنا نحن القادمون من الشمال هو بحر متلاطم الامواج بالزوابع العاتية التي تمر في اعالي الغابات . هذا المد وهذا الجزر للريح التي تهب في الليل . يا لهذا الارغن الذي يحتضن الارض !

ـ انني اعود الى حديقتي كما عاد كانديد الى حديقته . حديقتي التي لا حدود لها . وها انني انتهي من تنقية اعشابها من فكرة « الغريب » .

ـ ليس فكر الانسان المنزوي بمنزو مثله ابدا .

من جرمان الى آنت (١٠) :

آنت ، انني ماض حقيقة لا مجازا . انني من طائفة روحية لا مكان لها بعد اليوم في النظام الجديد المقبل . طائفة مجردة من اوهام المستقبل ، كما هي مجردة من اوهام الماضي . لقد ادركت كل شيء ، فانني لم اعد اصدق شيئا . وهذا الادراك المفرط قد قتل في نفسي تذوق طعم العمل .

لقد نقل جرمان رسالته الى آنت وكأنها آخر كلمة في وصية ميت .. « قولي له باسمي الا يكتفي بان يفقه كل شيء مثلي ، وان يحب كل شيء مثلك .. فليحكم رايه وليختر .. جميل ان يكون المرء منصفا ولكن الانصاف الحقيقي لا يظل جالسا امام كفة ميزانه ، ناظرا تأرجح الكفتين . على العدالة ان تحكم وان تنفذ قرار الحكم . » بعيدا عن المواضعات الادبية والاجتماعية ، بعيدا عن السياسة وعن الندوات الفنية فقد حصلت ، عن طريق كتاباتي ، على الاستقلال المادي وهو حسبي لاعيش عيشة لا تتسم بالبذخ والترف ، ولكنها حياة على حدة « وهي اعظم البذخ واعلى درجات الترف » .

ان عواطف المحبة ونزوات البغضاء ، تذوب كلها في هدوء الطبيعة وسلامها . وان صمت الاجواء اللانهائية ليحيط بالانفعالات البشرية فتتلاشى هذه الانفعالات في الطبيعة ، كما تفور الصخرة في الماء .

من انتاجي برمته ومن حياتي بأسرها تنبثق شريعة اخلاقية ، شريعة الادراك والعمل ، شريعة باطنية وشريعة عملية : ـ شريعة الحقيقة . على الانسان ان يكون صادقا مع نفسه . عليه الا يقول او يكتب كلمة زائدة او ناقصة عما يعتقده هو الحق . وهناك شريعة ثانية ، بذلت كل ما في طوقي لادمغ انتاجي بها .. الا وهي شريعة النفاق (بالمعنى الصحيح) « ان تتألم مع المتألمين » شريعة الحب الانساني .

من آنت الى مارك :

بوسعي ان اتحمل كثيرا (١١) ، الخطايا السبع والرذائل وحتى القسوة . ولكن هناك شيئا واحدا لا سبيل الى غفرانه الا وهو النفاق . والتظاهر بعقيدة لا يعتقدها الانسان . والكذب على النفس وعلى الافكار والظهور بمظهر الايمان والاحتيال على الحق ، خير للانسان الا يولد من ان يكون رذيلا على هذه الشاكلة .. ويوم اراك قد انحططت ، سأنفضك عن نفسي نفضا كما انفض الوحل من حذائي . ومهما تكن وغدا ، فكن حقيقيا .. فانني افضل ان اكرهك على ان احتقرك .

بغداد — قنبر مجيد الطويل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

متى يخرج الادب العربي من القمقم

بقلم حسني سيد لبيب

* * *

متى يخرج الادب العربي من القمقم ؟.. متى ينزع من جسمه رداء المحلية وينطلق في الافاق الرحيبة ؟!

انطلق هذا التساؤل على السنة الكثيرين وفتشوا عن الاسباب ، وتعددت وجهات نظرهم . وهذا التساؤل يجدر بنا ان نسأل : هل أدبنا ذاته ادب اقليمي؟

ثمة خطأ نتردى فيه عن غير قصد حين نضع تعريفين لمعنى واحد . فهل هناك حقيقة ادب اقليمي وآخر عالمي ؟. في تصوري ان الادب الحقيقي لا ينزع ابدا الى الاقليمية ان الادب تعبير عن الحياة، وهو يخاطب الانسانبلغة واحدة هي الوجدان . ولقد تعاطفت ـ على سبيل المثال ـ مع توماس‌هاردي في رائعته «نافخ البوق» وتعايشت مع شخصياته في واقعها البسيط الذي قد يتراءى للذهن خاليا من المعالجة الفنية ، مما يدفعنا الى الزعم بأنه يحاكي الحياة بواقعها ويضع القضاء والقدر عنوانا بارزا لفصول روايته . لكنه على عكس ذلك ، فقد اكتسب روايته حيويتها واهميتها من هذا الواقع البسيط الغير مشحون بالانفعالات والعواطف المتأججة ، لكن قارىء هاردي تتولد لديه احاسيس شتى ويجد نفسه مشحونا بطاقات انفعالية لاحد لها ، ويصير انسانا جديدا يود لو يفعل شيئا لهذا الواقع العجيب . كما استطاع كازنتزاكي ان يجسد لنا شخصية زوربا الغريبة ، فزوربا انسان بدائي لا يتعاطف مع تيارات العصر ومفاهيمه ووضعياته وانما يبتني عالمه الخاص من تبسطه في الحياة ولا مباليته لما يجري حوله . انه انسان يعيش الحياة البسيطة ، ولا يتعلق بالمطلق اويمرن فكره على تصعيد الجزئيات البسيطة ويعطي لها مفهوما عاما كالحب والسعادة والصداقة ..

لا شك ان القارىء العربي تعايش مع هاردي الانجليزي وكازنتزاكي اليوناني في أدبهما . وأحس من خلال كتاباتهما انهما يعالجان مشكلته . فالادب لا يخص وطنا او تحده حدود ، وانما هو تعبير عن الانسان ايا كان موطنه بلغة واحدة لا تختلف . اما ما اصطلح البعض على تسميته ادبا اقليميا ، فأجدر بنا ان نخرجه من حظيرة الادب . فالادب لا وطن له ولا يصح ـ في ضوء هذا المفهوم ـ ان نصنفه في صنفين نجعل احدهما عالميا والاخر اقليميا ، ثم نبحث فيما يجب ان نفعل حتى يصبح ادبنا عالميا . اننا بذلك نعطي مفهوما ساذجا لاصالة فكرنا ذاته فالادب انساني بالدرجة الاولى ، ولا يمكن ابدا ان يكون هناك ادب عربي يخاطب الانسان العربي دون سواه من سائر البشر .

وما دمنا قد اتفقنا على ان هناك ادبا واحدا يستطيع ان يقرأه اي انسان ، فما هي السمة التي يتميز بها الادب العربي ما لم يكن عربيا ؟ ـ ويجدر بنا الا ننسى ان اي ادب لا بد وان ينتمي الى رقعة من الارض تحدد معالمه ـ ومعالم الادب العربي تتحدد على ارض الواقع العربي ، حيث يعالج مشاكل الانسان العربي وقضاياه . لكن بعض ادبائنا يتطرفون في هذه المعالجة فينقلب ادبنا الى نوع من الكتابات الدعائية او قل العنصرية .

حقا ، على الادب العربي ان يعبر عن هموم الانسان العربي ويدافع عنه وعن وجوده ولكن بنظرة انسانية لا تتطرف الى ادق التفاصيل او تغرق في التصريح المباشر ، او تجهض الرؤية الفنية بشعارات قومية . ان الرؤية الشاملة لمشاكل الانسان والنظرة الانسانية للحياة هما اللذان يخلقان الادب الحي الذي لا يتحدد بوقت كتابته ، ولا بأرضه العربية ، وانما يتمرد على قيود الزمان والمكان ، ويصير ادبا انسانيا يخلد على مدى العصور ويتعاطف معه الناس جميعا في كل زمان ومكان.

وقد تكون فئة المنتفعين الذين يطمعون في المناصب الهامة احد العوامل في قصور ادبنا في مجاله الانساني ، فهي تكتب دفاعا عن قضية او شعار ارضاء لذوي النفوذ وتطييبا لاعمالهم . ان فئة المنتفعين لا تخلص لقضية الانسان العالمي . وانما ترفع شعارات حماسية وتجهض فكرنا بكتابات عقيمة حول قضايا لاتهم احدا سوى كتابها، ولا ينفعل معها القارىء العربي ، وهو المتلقي الاول لهذا الادب .

على ان ادبنا المعاصر ليس قاتما الى هذا الحد ، فهناك صور مضيئة يحق أن نفخر بها ، لكنها تعيش في الظل حيث تواريها عبارات المجاملة والتحايا التي تطفحها الاقلام في سخاء على صفحات الجرائد والمجلات .

لكن المشكلة تتعدى هذا بكثير ، والاقلام النفعية ليست عاملا رئيسيا في قبر الادب العربي وحبسه في قمقمه الرهيب .

لا مشاحة في ان هناك أدبا عربيا له قيمته الفنية التي تجعله جديرا بالقراءة . وهناك اسماء لامعة في فكرنا العربي لا يمكن ان نطمسها باحكام ارتجالية تدعي ان هناك فقر دم يسري في اوصال ادبنا الحديث . ان الادب العربي موجود ، لكننا منصرفون عنه غير جادين في تقييمه . ونستطيع بقليل من الاخلاص ان نكتشف هذا الادب ونبرز اصالته والاخلاص لا يتأتى الا بواد الانانية التي يتفشى ميكروبها في اوصال امتنا ، او ما اسماه فاروق خورشيد بداء حب الانتحار .. « ولعله من اهم الاسباب التي ضيقت دائرة ادبنا ، ذلك الداء هو

حب الانتحار ، الرغبة في ان ندمر كل عمل جميل نقوم به ، الرغبة في أن نضع العراقيل بأيدينا في طريقنا ، وان نزرع الشوك امامنا لتدمي اقدامنا » . (١)

ويرجع الى هذا التقصير في تقييم آدابنا السبب في مفهومنا الشائع عن انه ادب اقليمي ذلك اننا لا نتذوق آدابنا بقدر ما نهلل لبعضها ونقعد صامتين عن تحليلها وابراز النواحي الجمالية والقيم الانسانية التي تحتويها .

لا وجود لادب عربي اقليمي ، فلا اقليمية في الادب، وانما هناك ادب عربي لم نتذوقه . هناك ادب عربي لم يقرأ لا على الصعيد العالمي فحسب ، وانما على الصعيد العربي ذاته ، فالجماهير العربية مشغولة بلوازم حياتية صرفة ، او بواقع مادي عما نسميه ادبا ... ان سعت الى مثل هذا الادب ، فعلى سبيل التسلية والترفيه .. وهو حكم عام اقصد به الغالبية العظمى من القراء العرب. ويبرز في هذا مدى الهوة التي تفصل بين الادب ومتذوقيه . وليس الادب مسئولا عن تلك الهوة ، وانما هي مشكلة جديرة بأن يبحثها المسئولون ويناقشوها في ضوء ازمة الكتاب العربي وما يتعرض له من مشاكل . ولا يمكن للادب ان يكتب بطريقة تتلاءم مع قارئه المنصرف عن النواحي الجمالية ، فالمشكلة تخرج عن طوق الاديب الى جهد المسئولين اذا كان هناك من يقدر مسئولية الكلمة وامانتها ... « وليس ذنب الادب العربي ان لا يقراه الناس ولا يعرفوه » (٢) .

اما على الصعيد العالمي ، فلا احسب ان بأدبنا وهنا او عمقا يصرفان القارىء الاجنبي عن تذوقه ، بينما هو يقرأ آدابا اخرى لا أحسبها سبقت الادب العربي في الابداع الفني ، وانما تكمن العلة في اننا نكتفي بحدود وطننا ، ليس فقط في توزيع الكتاب العربي ، وانما في بعض كتاباتنا ايضا . ويبدو ان همومنا الخاصة تكاد تبتلع اهتماماتنا بقراء ما وراء الحدود . ان التقوقع يضر أدبنا ضررا بالغا ، والانغلاق على انفسنا يشل مقدرتنا على الحركة .

ولعل مأساة ١٩٦٧ قد ابرزت بوضوح انزواءنا وتقوقعنا ، حقا نحن اصحاب حق ، ولكن « الساكت عن الحق شيطان اخرس » (٣) .. وعزلتنا لم تقتصر على العزلة الفكرية ، وانما تعدتها الى العزلة السياسية . أحكمنا الرتاج على حدودنا ولم نفتح النوافذ نطل منها على عالمنا الرحيب . والى جانب ما نعانيه من انزواء وتقوقع ، كنا نسيل مداد اقلامنا في عبارات حماسية عن امل العودة الى فلسطين ، ونتغنى بالبيارات وذكريات الصبا ! . واعتقد ان السطحية والتفاهة ولجتا الى أدبنا بعد مأساة ١٩٤٨ ، فقد سخرنا الادب لخدمة القضية الفلسطينية ، وملأنا اشعارنا بنداء العودة ، وصورنا تصويرا آليا مباشرا مأساة اللاجئين دون معالجة فنية . وقد تحولت نداءات العودة الى ما يشبه التنديد العنصري واسرفنا في الحديث عن امجاد الماضي وعن حملة مشاعل الحضارة العربية ، فما افدنا تراثنا العريق واصحابه ، ولا افدنا انفسنا . اننا لم نقرأ تراثنا الادبي — في الغالب — قراءة صحيحة ، ونتج عن ذلك اننا لم نعطه قيمته الحقيقية . لم نخضع هذا التراث الى مفهومات جديدة تبعث فيه روح الحياة ، او نقرب به من روح العصر ومفاهيمه ، وانما تفشت الانتهازية في محاولاتنا ، وخرج منا من يتشكك في قيمة هذا التراث .

ويرجع الدكتور جلال الخياط السبب في أن أدبنا غير مقروء الى هذه التجزيئية في قراءتنا للقصيدة ، و « ان القراءة السريعة هي العلة التي جعلتنا بعيدين عن مصادر الابداع في أدبنا ، وان الانانية هي التي قادتنا الى التجزيئية ، ولا بد لنا في اي عمل فني جديد يهدف الى مستقبل رائع للشعر العربي من ان نعود الى جذور أدبنا القديم فنفهمها بصورة صحيحة وبوضوح تام والطريق طويلة تتطلب أناة وصبرا ومشقة » (٤) .

ان الاخلاص مولد فعلي لكل عمل رائع ، وما دمنا نعمل مخلصين لاجل كرامة امتنا واصالة فكرها ، فلا بد وان نخلص في واجباتنا . نتلمس موضع الجرح ونعالجه. نقبر ذواتنا اللاهية وندفع عن وطننا مكايد الاعداء التي ما أرادت لامتنا سوى الجمود والعقم .

ان امة بلا ادب كجسد بلا روح ، وما لم نقدم للعالم ادبا انسانيا يرقى الى المستوى الفني الرفيع فكأننا لم نكن ، وكأننا غير جديرين بأن نكون أحفاد من حملوا شعلة الحضارة .

واذا ضربنا امثلة على أهمية الانفتاح على العالم الخارجي ، نذكر الفنان توفيق الحكيم والدكتور طه حسين ، حيث كانت باريس هي الملهمة الاولى لادبهما .

فلنترجم ادبنا الى مختلف اللغات ، ولنخلص من أجل ذلك بعيدين عن كل منطق دعائي يضرنا اكثر مما يفيد . وان البساطة في التعبير مع الصدق هما الركيزتان لكل ادب خلاق .

فلنتحرك اذن .. نكتب ، ونفكر ، ونتعايش مع الاخرين ونتفاهم معهم . فهذه لغة العصر ، بغير تعقيد او مواربة .

وبخصوص ادبنا ، فلا نطلب منه اكثر من ان يكون ادبا انسانيا ، يتعايش معه القارىء . وينفعل به . وليس ينقص الجيد من نتاجنا الادبي كي يكون عالميا سوى ان نهتم بترجمته على نطاق واسع ، ونطرحه في الاسواق العالمية .

القاهرة — حسني سيد لبيب

(١) الاداب سبتمبر ١٩٦٥ — ص ١٠ . (٢) طه حسين : من حديث الشعر والنثر — ص ١٧٨ . (٣) هذه العبارة طالعتها مرارا في مقالات الاستاذ الجليل امين الخولي . (٤) الاداب — يونيو ١٩٦٧ — ص ١٣ .

وهبي الوفائي

لمحمد العدناني

هو استاذي الروحي ، والمربي العربي العملاق ، والاداري الحازم ، والانسان العظيم الذي رعاني بمحبته ، بعد ان غادرت فلسطين عام ١٩٤٨ ، عام النكبة الاولى ، وجئت الى حلب ، بلد الفقيد الكبير الذي توفاه الله يوم الاربعاء ، في ١٩ رمضان ١٣٨٧ هـ. الموافق في ٢٠ كانون الاول ١٩٦٧ ، في مدينته حلب عن عمر يناهز الثمانين .

لقد نعي الي الفقيد الجليل ، وانا في المدينة المنورة ، اجاور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأنتظر جواب رسالتي الاخيرة اليه ، فهالني النبأ الاليم ، فقلت :

★ ★ ★

لقد لقنتني علم الوفاء ... وآي النبل يا وهبي الوفائي
ودرسا في الشهامة ليس ينسى ... عليه أشدت في الدنيا بنائي
وكيف أكون مثل أب لناس ... دمي عنهم برغم الود نماء
وليس لنا سوى الفصحى وشيج ... وليس سوى العروبة من لواء
يظللنا فننجو من لهيب ... من الارزاء ، تنذر بالفناء
وقد علمتني الود المصفى ... يفوح شذاه حتى في السماء
وزدت النفس في الجلى أباء ... ليضرب للورى مثلا ابائي
ودربت الفؤاد على صعود ... لاشتات المآسي والبلاء
وخففت الاسى لما جلونا ... عن الارض الفريدة في الرخاء
وقد خلفت في القدس الاماني ... وما فيها الحياة سوى ذماء
وأهلي شردوا في كل قطر ... وفي المهجات أنياب الشقاء
فضمدت الجراح ، جراح قلبي ... وفي كفيك اكسير العزاء
وأنستني ابتسامتك الدواهي ... يؤجج حقدها لهب العداء
وكنت لي الاب البر المرجى ... غداة أتيت منبت الرجاء
وكان القلب يسبح في ظلام ... فأضحى منك يسبح في ضياء
وقد بات التقى يحدو خطاه ... ويخشع في الصلاة، وفي الدعاء
وما للحقد من سبل اليه ... ويابى ان يميل الى الجفاء
ولم ينكب وحيد الصدر بغض ... لكي يقضي عليه في الخفاء
فما فيه لاهل الارض طرا ... ـ وان جاروا ـ سوى حاء وباء
فأين اليوم أنت، وكيف غاضت ... ينابيع المحبة والوفاء
وكيف يدك طود يعربي ... يطول المزن ، بالداء العياء
ومن لي في الخطوب الكثر حمرا ... وقد عكرن بعدك لي صفائي
بلينا في حزيران بشر ... نسينا فيه أيار الجلاء
جهنمه اشابت هام قومي ... وألوت بالاماني الوضاء
وبات ينالنا بالخزي جمرا ... فم التاريخ مكشوف العداء
لقد أملى عليه العرب قبلا ... مفاخر في الحروب بلا عناء
وسطر خالد أيات نصر ... فريد، في الصباح ، وفي المساء
فأين ترى اسود العرب راحوا ؟ ... وأين العزم فذا في الضياء
وأين اباءنا يطأ الثريا ... وفوق الراس تاج الكبرياء
وأين الثار ناخذه غلابا ... ولو خضنا بحارا من دماء
وأين الموت نرديه عتيا ... ولم تعبأ بسلطان الفناء
وأين المجد تكتبه زنود ... على صفحات تاريخ الفداء
واين العزة الشماء لما ... تجد غير الكواكب من حذاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واين حمية بالامس كانت ... تنيف على المجرة في العلاء
وأين ابن الوليد يكر ليثا ... على الاعداء مرفوع اللواء
واين صلاحنا ، والقدس باتت ... بأيدي عابثين بلا حياء
وأين فتى الدهاء البكر عمرو ... ليرجع ما خسرنا بالدهاء
وأين ، واين ما يلقي علينا ... لسان الدهر من درر الثناء
أكاد أجن مما قد دهانا ... وليس ليأس نفسي من دواء
افتش بين قومي عن عزاء ... فلا القى تباشير العزاء
فيا ليت الردى يجتاح روحي ... لانجو من أفانين الشقاء
فحسبي ما ختمت به حياتي ... من الخزي المغشى بالهراء
فمن امسى ظلام النفس قبرا ... له ، هيهات يحفل بالبقاء
ومن خسر المنى ، حسبوه ميتا ... ولو نزع الفؤاد الى الحداء
فليس يرى الفخار المرء حيا ... اذا هو لم يحصن بالاباء
وحقك أمتي ما خنت عهدي ... ولا حاد الفؤاد عن الولاء
وما زلت ابنك النجد المرجى ... لبذل الروح في يوم الفداء
لقد عربدت حين رأيت قومي ... قد اعتزلوا القصور الى العراء
ولم تطحن عدوهم رحاهم ... وهم اسد الحروب بلا امتراء
فقد شادوا عرائنهم ، وناموا ... وما حسبوا حسابا للجراء
متى صحت الليوث ارتج غاب ... من التزآر يقصف في الفضاء
وهرولت الكلاب بلا نباح ... لتبحث عن مكان لاختباء
غدا قومي اذا ابتدأوا وغاهم ... فقل صار اليهود الى انتهاء
نطوقهم بجيش يعربي ... ولن يجدوا سبيلا للنجاء
ومن لم نلقه في البحر منهم ... سيغرق في بحار من دماء
أبا عدنان ! عفوك طاش لبي ... وتاه الشعر عن سنن الرثاء
وراح يفور في صدري جحيما ... بها منيت ضلوعي باكتواء
لقد جمح القريض ، فلا شكيم ... ترد جماحه بعد استياء
أما علمتني قذف القوافي ... صواعقهن من كبد السماء
فرحت اصبهن اليوم وبلا ... كأني من همومي في شتاء
فكيف تطيق نفس الحر صبرا ... اذا منيت بطفح في الاناء
ابا الاشبال قد يتمت روحي ... غداة أفلت يا قمر الاخاء
سأفقد بعد بينك يا وفائي ... أهازيج المروءة والبهاء
وأفياء المنى ، والدهر ذئب ... بفيض لا يكف عن العواء
وأفقد روض احلامي ، وتنأى ... بي الدنيا الرهيبة عن حرائي
وابحث عن نجاة من همومي ... فلا القى سوى نذر العفاء
وانشد في الورى طرا وفاء ... فلا القى سوى اسم للوفاء
وكنت به تغذي امس نفسي ... فباتت منذ غبت بلا غذاء
لقد لقنتني صبرا جميلا ... على الارزاء فضفاض الرداء
سأصبر ، والفؤاد يسيل دمعا ... وان ناءت الجفون عن البكاء
وفي دنياك لم نك غير روح ... موحدة ، على رغم الثنائي
وهذي روحنا سلها ، تجدها ... تحوم في جنانك ، والجواء
وتهفو في النعيم اليك حتى ... تهب شذا عليك مع الهواء
تذكرك العهود ، عهود قلبي ... وما بين المشاعر من اخاء
وما خفق الفؤاد سوى نداء ... فاصغ ابا الوفاء الى النداء
وفي الغد نحو ربي سوف اسعى ... لنلقي عنده خير الجزاء

المدينة المنورة

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رغم العتمة التي تفرق الخندق .. وتعسر الرؤية على امتداده .. لا يكف افراد نوبة الحراسة عن الثرثرة .. بأصوات مهموسة يتقاذفون النوادر والنكات .. يتلقف الواحد منهم ما يتفوه به الاخر .. ويسارع بالتعليق عليه ، وهو في مكانه لا يبرحه ، ودون ان يرى ذلك الاخر ، فجميعهم يلوحون كالاشباح ، والصوت وحده هو الذي ينبيء عن مكان صاحبه من الخندق ، ويدل على هويته .

واحد فقط .. منذ بدأت نوبة الحراسة اثر غروب الشمس .. وهو بمعزل عنهم .. لا يسمع اليهم .. ولا يشارك في ثرثرتهم .. ذلك هو فهمي .. ويلحظ طاهر ذلك ، اذ لا يفصل بينهما في الخندق غير انكسار واحد .. وفي التو ، يرسل صوته اليه ، سائلا في تودد :

ـ ما لك يا فهمي .. ماذا يشغلك ؟

بعد برهة يرد فهمي في خفوت :

ـ لا شيء ..

يهتف طاهر غير مصدق :

ـ كيف ؟ .. لست اليوم كعادتك .. منذ الصباح وانت مستغرق في الصمت والشرود ..

ينطلق صوت من قرب مستفسرا :

ـ من تكلم يا طاهر ؟ ..

يستطرد مستغربا :

ـ ياخبر .. تصوروا ان فهمي لم يشاركنا الكلام .. تعالوا نعرف لماذا ينصرف عنا ؟..

صوت اخر يردد :

ـ دعه وشأنه .. لا تضايقه ..

صاحب الصوت الاول يعقب :

ـ وهل هذا يضايقه ؟ .. ربما يكون هناك ما يشغل باله فنخفف عنه .. هيا ..

الساهرون في الخندق يزايلون اماكنهم .. ويتجهون الى حيث يتمركز فهمي .. قبل ان يبادره احدهم بكلمة .. يصيح صوت بحدة ، وان بدا اكثر خفوتا من بقية الاصوات :

ـ عودوا الى اماكنكم .. فوزي .. كف عن هذرك والزم موقعك ..

حركة ارتداد سريعة .. تنعدم بعدها الاصوات على طول الخندق لفترة قصيرة ..

يدير فهمي رأسه تجاه طاهر ، الواقف على مقربة منه .. ويسأله بصوت يخرج من اعماقه غائما بشروده واساه :

ـ هل سنبقى ننتظر ان يبدأوا هم باطلاق النار علينا ؟ .. يلتفت طاهر اليه متسائلا :

ـ وماذا تريدنا ان نفعل ؟ .. هل هذا ما كان يشغلك ؟ .

ـ لماذا لا نبدأ نحن ؟ .. اليسوا في ارضنا ؟ ..

ـ انسيت اننا مجرد نقطة حراسة ؟

الباحث عن بطولة

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

احمد الله انهم لا يقصفوننا بمدافعهم

فهمي مستنكرا : انت تقول هذا !؟ ..

ـ وهل عندي غيره كي اقوله ؟ انها الحقيقة ..

شبح فارع الطول .. ينحدر من ناحية اليمين .. مقتربا من شبحي فهمي وطاهر .. يبلغ سمعه طرفا من الحوار .. فيبادرهما :

ـ اي حقيقة ؟ ..

يجيب طاهر في غير تهكم :

ـ يريدنا ان نكون البادئين باطلاق النار ..

فهمي بحنق :

ـ ليس معهم غير مدفع ميدان ثقيل .. ويمكن ان نحطمه .. وعندها لا يساوون شيئا ..

يتمتم الوافد الجديد بهدوء :

ـ ثمة قرار بوقف اطلاق النار التزمنا به ..

طاهر بصوت تشوبه نبرة ضيق:

ـ وحتى لو لم يكن ثمة قرار .. فكيف نحطم مدفعهم الثقيل وليس لدينا غير اسلحة كلها خفيفة ..

فهمي محتدا : ـ بعملية فدائية .

يتدخل الوافد الجديد معلقا بصوته الهادىء :

ـ وحتى هذه غير ممكنة .. فنحن جنود نلتزم بنظام واوامر ..

ينصرف فهمي عن محاوريه .. يهرب الى صمته .. يقضم افكاره .. لا القتال ممكن .. ولا العمليات الفدائية .. فما الممكن اذن ؟ .. منذ انحسر مد المعركة .. وهو يمضي اكثر ساعات النهار والليل .. خلف ساتر الرمال القائم على حافة الخندق المواجهة للعدو .. ولا شيء يفعله .. فقط .. يرقب وينتظر .. فالى متى يبقى هكذا ؟ .. واذا كان عليه ان ينتظر اكثر فما ذنبها هي ؟ ..

ـ لن اضيق بانتظارك .. فيكفي اني ساتوج حياتي بعده بالزفاف الى بطل .. بطل ! .. ما زال يذكر كيف تندى جبينه عرقا .. وغص حلقه بالمرارة .. حين لطمت هذه الكلمة اذنيه .. كان يعرف انها تود لو حقق بطولة يغسل بها عار انعزاله وانطوائه كل السنين التي انقضت من عمره .. وكان على يقين انه غير قادر على تحقيق البطولة التي تريدها .. فهو يخاف مرأى الدم .. ويفزع من الموت .. لم يشترك في مظاهرة خلال دراسته الثانوية .. ولم يسمح لنفسه ولو لمرة واحدة ان يشهد خناقة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وايام العدوان الثلاثي رغم الحماس الذي دهمه .. لم يقبل التطوع للقتال مثلما فعل ابناء الحي .. وبعض رفاقه في المصلحة .. زاعما لنفسه ان الجيش المنظم خير من العمليات الفدائية المتهورة .. وحين جند بالجيش بعد العدوان .. حمد الله ان مرت فترة تجنيده بسلام .. فكيف يقدر ان يصنع في فترة الاحتياط ما لم يصنعه قبلها ؟...

ـ اني واثقة انك ستصنع الكثير

متى ؟ .. في البدء ارتفع مد المعركة فجأة حتى صار كالطوفان .. واصابه ذهول .. فلم يدر ماذا يصنع ؟ .. ومضى يتخبط مشدوها في بحر الدماء الذي صنعه العدو اللئيم من دماء رفاقه .. وحين هدأ الطوفان .. وسكن هياجه .. وجد نفسه نزيل هذا الخندق .. حقيقة هو لم يعد يخاف مرأى الدم بعدما تمرغ فيه مرغما .. ولا يفزع من الموت بعدما حوم حوله لساعات طويلة .. لكن ما الفائدة ؟ .. العدو لا يريد ان يقصف نقطة تمركزهم مثلما يفعل في جبهات القتال الاخرى .. حتى ينتهزها فرصة فيتخفف من هذا الجمود القسري .. ويطلق التحفز المختنق في صدره .. ورفاقه هم الاخرون يصرون على الالتزام بقرار وقف اطلاق النار .. حتى التسلل الى مواقع العدو بهدف التخريب والتدمير .. لا يريدونه .. فماذا يصنع ؟ .. هل يقوم وحده بعمليات التسلل ؟ .. وهل ينجح في اتمامها دون عون من رفاقه ؟..

ويفوق فهمي من شروده على صوت يعلنه بانتهاء نوبة حراسته .. فيخلي مكانه .. ويتجه في خطى ثقيلة الى حيث يغفو بضع ساعات .. قبل ان تحين نوبة حراسته الثانية .

عند الفجر ، كان موعد فهمي مع نوبة حراسته الثانية ، وقد اشرقت الشمس ، وهو على غير ما اعتاد ، لا يقف في مكانه من الخندق خلف مدفعه .. فقد اعتاد ان يصحو قبيل الفجر، دون ان يوقظه احد، فيتسلم نوبة حراسته ، ويظل في وقفته خلف مدفعه ، الى ان يشهد طلوع الشمس ..

وهو كعادته ، صحا وخيوط الفجر تنبعث في الافق .. تماما مثلما يصحو كل ليلة ، دون ان يوقظه احد .. ووقف في موقعه من الخندق خلف مدفعه .. وراح يتابع بشغف واهتمام ما اعتاد ان يتابعه .. عراك الفجر مع الفلول الباقية من الليل .

ورآه طاهر على حاله تلك ، واراد ان يمازحه ، فبادره ضاحكا :

ـ يبدو انها مباراة مثيرة .. من الفائز حتى الان ؟ .. الليل ام الفجر؟

لم يظفر طاهر منه بجواب او حتى التفاتة ، فأردف يقول في عصبية :

ـ لا تظن انك ستصنع بعزلتك وصمتك المعجزات .. فقط سوف تزداد هما على هم ..

بقي فهمي على جموده برهة ، ثم ادار وجهه ناحية طاهر ، وقال بصوت حمله دون قصد حيرته وقلقه :

ـ كيف يتاح لخيوط الفجر الرقيقة ان تزيح كل هذه الاطنان من الظلمة وتخلص الافق منها ؟ ..

اسرع طاهر قائلا وهو يتصنع المزاح مرة ثانية :

ـ بعملية فدائية ..

ضاق فهمي برد طاهر ، فأشاح عنه ، ورجع الى صمته وحملقته في الفضاء .

عندما بدأ الفراغ المعتم يفتسل بضياء الفجر .. اخذ الخندق يتكشف .. ويلوح وسط الخلاء الواسع .. مثل نهر متعرج .. لا يدل عليه غير ساتر الرمال القائم على حافته المواجهة للعدو .. واضطراب جوفه بحركة المتمركزين فيه ..

وفي تلك اللحظة .. انطلقت قذيفة من جانب العدو .. لتسقط غير بعيد من الخندق .. محدثة دويا هائلا .. ومصعدة زوبعة من الغبار .. تتلوى في جوفها عشرات الالسنة من اللهب ..

لم يتوان افراد نقطة الحراسة المتمركزين في الخندق .. هبوا جميعا ، وانتظموا خلف مدافعهم .. وعند سماعهم الامر باطلاق النار .. جعلوا يردون على قذائف العدو التي توالت في جنون وهوس .

بعد لحظات ، اكتشف طاهر وهو في مكمنه خلف مدفعه ، ان فهمي قفز من الخندق ، وطفق يزحف صوب مواقع العدو ، فصاح به :

ـ فهمي .. هل جننت ؟ .. الى اين انت ذاهب ؟ ..

قبل ان يرد فهمي ، ترامى صوت اخر آمرا في قسوة :

ـ ارجع مكانك يا فهمي ..

كان فهمي لا يزال على مقربة من الخندق ، وبلغ سمعه رغم هدير القنابل ودمدمة المدافع ، صوت طاهر والصوت الاخر ، فتوقف عن الزحف ، واستدار الى الخلف ، وهو ما انفك منبطحا على الارض .. وهتف بصوت مرتفع :

ـ استمروا في اطلاق النار لتحموا تقدمي .. وسوف اسكت لكم مدفعهم الثقيل ..

وعاد يزحف تجاه مراكز العدو .. ولاحقته اصوات تحذر من التقدم وسط حقل الالغام ، لكنه لم يأبه لها .. واستمر في الزحف، وهو يقبض على مدفعه الرشاش في تصميم وعناد ، وظهره ينوء بحقيبة مهماته التي عبأها ببعض المتفجرات والقنابل اليدوية ..

وتمر فترة غير قصيرة .. لايتوقف القصف خلالها بين الجانبين ثم يدوي انفجار مروع في جانب العدو ، فيدرك افراد نقطة الحراسة انه في مخزن ذخيرته .. وفي اثره يتوقف العدو عن القصف ، فيمسك

الشعلة الضائعة

أنا يا حبيبي سألت الحياه ... عن النور عن شعلة باقيه
عن الحب اما تولى صداه ... عن الدرب اما بدت خاليه
وعمري اما طواه المسير ... غدا وشقيت بأوهاميه
عن الدمع، والشوق يكوي الحنايا ... عن السر في الهمسة الحانيه
عن الذكريات تثير حنيني ... فتأبى على الغل اعطافيه
عن الكبرياء تشل قواي ... فتخبو لديها لظى خافيه

أجل يا حبيبي سلكت طريقي ... بكل تفجر أعماقيه
بكل نداءات عمري ، بكل ... تلهف نفسي ، بأحلاميه
فكان الظلام يمد ظلاما ... وتهوي بأعماقه ذاتيه

دمشق — سلافة العامري

افراد نقطة الحراسة هم الاخرون عن قصفه .

سارع السكون يندس بين افراد نقطة الحراسة .. وفي حين انشغل نفر منهم بجريحهم الوحيد ، انجذب الاخرون الى التطلع شطر مواقع العدو .. يرمقون النار التي تشتعل في بعض منها ويفتشون عن فمهي .

ووقعت عينا طاهر على شبح يزحف مقتربا من الخندق ، فارتفع صوته محذرا :

ـ ثمة شبح يزحف نحونا ..

ثم استرسل متسائلا : ايكون هو فهمي ؟ ..

لم يعقب واحد بكلمة .. طارت عيونهم تحوم حول الشبح .. ترقب زحفه وتتفحصه .. وبعد دقائق هلل صوت في فرح عامر : هو فهمي ..

اشرقت الوجوه السمر على الفور ببسمات عريضة .. وومضت البهجة في العيون .. وانطلقت اصوات عديدة .. تحث فهمي ان يضاعف من زحفه .. فالكل في لهف الى عناقه وتقبيله ..

بغتة .. دوى انفجار على مسيرة قليلة من الخندق .. وحجبت سحابة الغبار التي صنعها الانفجار شبح فهمي .. ومرت لحظات مشحونة بالحيرة والفزع .. ثم تدافع المتمركزون في الخندق الى حيث انفجر اللغم . واذا فهمي ملقى على ظهره .. عيناه مفتوحتان، وقد تكفن السواد فيهما بالبياض ، فتوارت منهما نظرة التطلع التي لم تكن تزايلهما .. وشفتاه مزمومتان ، ليس على تصميم وعزم ، وانما على شحوب وذبول ، وظل ابتسامة لم تكتمل .. ودمه القاني الذي تفجر من جسده ، واختلط بالرمل من حوله ، يضم قبضة منه بين اصابع يسراه ، بينما يمناه تقبض على شيء لم ينتبه اليه احد بعد ، وتستقر به فوق صدره ..

وتسمروا حوله .. وانعكست ظلال المأساة على وجوههم صمتا وذهولا .. ثم مالوا عليه يمسحون الغبار عن وجهه ، ويقلبونه في رفق .. وسقطت يمناه من فوق صدره ، فبان ما كانت تخبئه بين اصابعها .. سلسلة معدنية من تلك السلاسل التي يعلقها جنود العدو حول رقابهم ، تحمل اسماءهم .. والتقط طاهر السلسلة .. ومضى يتأملها وهو يتمتم :

ـ لا بد انها لواحد من افراد طاقم المدفع الذين مزقهم الانفجار .. عاد بها لتكون تذكارا ودليلا ..

ونهض طاهر واقفا ، وهو يدس السلسلة في جيب سترته .. ولبث برهة تائها ببصره في الخلاء الذي انداحت منه الظلمة ، ثم غمغم والدموع تتجمع في عينيه : هيا نحمله من هنا ..

وانحنوا جميعا يشتركون في حمله .. ودموعهم تسيل في صمت .. وكانت خيوط الفجر قد تلاشت، بعد ان مهدت لبزوغ يوم جديد .. ثم اشرقت الشمس .. باهرة الضياء كعادتها .. رفيقة الدفء كعهدها عند شروقها .. ولم يكن فهمي كما اعتاد .. منتصبا في موقعه من الخندق .. ولا كان المدفع الثقيل في جانب العدو .. رابضا وفي فوهته الموت ..

كان فهمي محمولا فوق سواعد رفاقه .. وهم يمشون به تجاه حفرة صغيرة .. حفروها له في ارضه .. بعيدا عن حقل الالغام .. وكان المدفع الثقيل في الجانب الاخر .. حطاما ينتظر الصدأ .. ومن حوله افراد طاقمه .. اشلاء ممزقة .. يترصدهم العفن ..

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



حديث المفتي

تأليف احمد ابن سودة ـ جمعه ونشره وقدم لكل حديث حسن احمد المصمودي ـ ٢٨٦ صفحة ـ طبع في تطوان بالمغرب

بين يدي كتاب من طراز فريد ، جمعه ونشره وقدم له السيد حسن احمد المصمودي . والكتاب من اخراج المطابع المغربية وقد طويت دفتاه الانيقتان ، على ما يقارب ٣٠٠ صفحة ،احتوت على ٢٧٨ حديثا تحت عنوان جذاب هو « حديث المفتي » من تأليف الاديب العالم الاستاذ احمد ابن سودة ، السفير الحالي للمملكة المغربية بلبنان . وهذه الاحاديث التي جمعت اليوم في كتاب مستقل ، كان الاستاذ ابن سودة قد نشرها تباعا في جريدة « الرأي العام » الناطقة بلسان « حزب الشورى والاستقلال » في الدار البيضاء ، والحماية الفرنسية جاثمة بكلكلها الفادح على تلك البلاد الشقيقة ، قبل ان يحررها الشعب المغربي بقيادة الملك المجاهد المغفور له محمد الخامس .

المؤلف : هو الاستاذ احمد بن يحيى ابن سودة المولود بفاس متحدرا من اسرة اندلسية عريقة عرفت بالعلم والفضل والسابقة في الجهاد والوطنية . وقد نبغ من هذه الاسرة العديد من العلماء والكبراء سواء في الاندلس او في المغرب يمكن الرجوع الى طبقاتهم في الكتاب الموسوم : ب « الروضة المقصودة في مناقب بني سودة » للعلامة السيد عبد العزيز الحوات . اما مؤلف الكتاب الاستاذ ابن سودة ، فانه قد طلب العلم في مسجد عائلته ثم تقلب في عدد من المدارس الحرة الى ان تخرج اخيرا من المعهد الاسلامي الكبير جامع القرويين ، اقدم جامعة اسلامية معروفة حتى الان .

والاستاذ ابن سودة يعتبر من اوائل الرجال العاملين من اجل استقلال المغرب وقد ناله من اجل ذلك عنت كبير ولم يخل من الاعتقال والتشريد اكثر من مرة فلما ان كلل الله جهاد بلاده بالحرية والاستقلال شملته عناية جلالة الملك الحسن الثاني الذي اسند اليه مهمات رئيسية في الادارة الحكومية كان آخرها قبل سفارته بلبنان منصب مدير الاذاعة والتلفزيون .

الكتاب : ان عنوان الكتاب الذي نتحدث عنه هو «حديث المفتي» وهو نفس العنوان الذي اختاره المؤلف يوم كان ينشر احاديثه التوجيهية في جريدة « الرأي العام » المغربية . دون ان يفصح عن اسمه الحقيقي ، ذلك ان العاملين في الحقل الوطني في ظل الحماية الفرنسية ، كانوا مضطرين للابتعاد عن الاضواء التي تكشفهم لئلا يقعوا تحت يد السلطات الاستعمارية التي كانت اجهزتها ، من سرية وعلنية ، تقف بالمرصاد للبطش والتنكيل بكل من يتصدى لمكافحة اغراضها العدوانية في البلاد .

وبالفعل فان الاستاذ ابن سودة قد استطاع بهذا العنوان ان يحمي نفسه من الوقوع في شرك الادارة الفرنسية ورقابتها من جهة ، كما استطاع من جهة ثانية ، ان يقدم للقارىء المغربي عبر احاديثه في « الرأي العام » مادة دسمة ومغرية ، جعلت هذا القارىء الطيب ، يقبل على متابعة جريدته بحرارة وشوق ، ارضاء لفضوله المتعطش الى ما يقوله « المفتي » من اراء وانطباعات فيما تعانيه بلاده من جور الاجنبي وطغيانه ليكون على بينة من امره في كفاحه المضني من اجل الحرية والكرامة والاستقلال .

والكتاب كما قدمنا من قبل ، هو من طراز جديد سواء من حيث المادة او من حيث الاسلوب ، بل لعلني استطيع القول ، بأن « حديث المفتي » بين الكتب السياسية والادبية المعاصرة ، نسيج وحده ، ذلك ان المؤلف تناول فيه موضوعاته القومية الانتقادية بطريقة طريفة خاصة ، ظاهرها كلام هين رقيق لطيف ، وشيت حواشيه واطرافه باللفظ المسجع المتواتر ، وطرزت عبارته بزخرف القول المنمق بما هو الى السخرية والهزل اقرب منه الى الرصانة والجد ، اما باطن هذا الكلام فانه لدى الامعان فيه وتدبره يتكشف عن نقدات لاذعة وغمزات مريرة وفي هذه وتلك حض للناس على النهوض من كبوتهم واثارتهم الى البدار للدفاع عن بلدهم وكيانهم ودينهم . ولا بدع ، فان الاستاذ ابن سودة ليس من اولئك الادباء الذين اتخذوا من الكتابة متعة فنية ولا غاية في ذاتها ، بل انه ، في احاديثه على لسان المفتي قد جعل من كل كلمة ، نداء صارخا استطاع ان يصل من خلاله الى صميم ضمير المواطن المغربي فايقظه من غفلته وفتح بمعانيه المثيرة عيون مواطنيه الى خطر السياسة الاجنبية وفساد اساليبها المغرضة مع المحافظة فيما يكتب ، على هدوء اصحاب الرسالات ، متنقلا من حديث الى آخر ، بلغة سلسلة واضحة لا يعجز عن ادراك معانيها وفهم مراميها البسطاء من الناس ، في غلالة محكمة من الاحتراس اليقظ ، بحيث لا تتمكن « ادارة الرقابة » من تطبيق قوانينها الجائرة بحقه او ان تحول، بسيفها المسلط، دون استمراره في اداء رسالته القومية السامية ، عن طريق الشطب او الالغاء او التعطيل .

ومن يطلع على «حديث المفتي» فانه سوف يواجه عبر سطور هذا الكتاب ، واحدا من عمالقة الكتاب السياسيين ، استطاع التحكم فيما بين يديه من ادوات اللغة ، وتسخيرها في خدمة اهدافه القومية ، دون ان يستفزه الحماس الى الانزلاق بالحرف الى مخاطر الوقوع في شرك الخصم العنيد الذي يتربص به وبقومه عند اول سانحة تتاح له . ولعمري انها لموهبة موهوبة ، لا يؤتاها الا ذو حظ عظيم من ضبط النفس وسلامة الفكر ، وسلطان البيان واتساع الافق في الثقافة والوان المعرفة : ولعلني استطيع ان اجد فيما كتبه السيد محمد العربي الخطابي في مقدمة الكتاب الذي نحن بصدده ، ما يعبر عن رأيي الشخصي في ابن سودة واسلوبه . فقد قال الخطابي :

« .. وان الذي يعرف صاحب هذه الاحاديث ، معرفة شخصية، لن يصعب عليه اكتشاف روح صاحب « حديث المفتي » التي تتسم بالافاضة في الاعراب عن الرأي ، وباستحضار الاستشهادات الادبية والنوادر والمستملحات ، مع قدرة على تنميق اللفظ وتصريف الكلام » .

وانه قد قيل في قديم الزمان، ان الادب هو ظل الحياة الاجتماعية ..وهذا الكلام يعني ، ان ما يكتبه الاديب ، انما يعكس على الورق ، واقع المجتمع الذي يعيش فيه ، بكل ما في هذا المجتمع من مزايا ونقائص وبكل ما فيه كذلك من حقائق واباطيل ، وعلى هذا ، فابن سودة في كتابه « حديث المفتي » قد اعطانا عبر صفحاته صورة جلية واضحة عن واقع المغرب في عهد الحماية الفرنسية ، سواء لجهة مظالم هذه الحماية او لجهة البطولات الخارقة التي بذلها اشقاؤنا المغاربة في جهادهم من اجل كرامتهم واستقلال ديارهم .

واذا لاحظنا ان « الحماية الفرنسية » المفروضة على البلاد ، كانت حريصة اشد الحرص على عزل الشعب المغربي عن كل وسائل التطور والنماء والتقدم ، فاننا ندرك من غير شك ، ان مهمة ابن سودة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وامثاله ممن هو في مركز القيادة الوطنية لهذا الشعب ، كانت من الصعوبة بالمكان الذي كان يقتضيه ان يكتنف نفسه بسور من الحذر الشديد لكيلا يقع فريسة سهلة تحت غائلة القوانين الظالمة لهذه الحماية، ويؤدي ذلك الى ان يخسر الشعب قيادته المخلصة ويصبح ريشة تائهة في مهب التضليل والفساد والضياع ...!

لذلك وجدنا هذا القائد الالمعي يمارس دوره الطليعي في تحرير امته بواسطة قلمه السيال الذي شق به طريقا معبدا للوصول الى قلوب الجماهير الخافقة وعقولهم المتفتحة في آن واحد دون ان يكلف ايا منهم شططا في ادراك غايته والعمل بهدي رسالته . وهنا يطيب لنا ايضا اعادة ما قاله محمد العربي الخطابي في هذا الصدد :

« .. كان السيد احمد بن سودة، يقصد من غير شك، باختياره هذا الاسلوب في كتابه « حديث المفتي » احداث التأثير المباشر في جمهور عريض من المواطنين الذين يضنيهم اسلوب مفرط في الرزانة وتصلب المنطق ، ويميلون الى اسلوب فكه مبسط تقبع وراءه شخصية من صميم المجتمع الاسلامي العربي ، لا ترسخ صورتها في الاذهان الا مصحوبة بصورة اخرى عالقة بها ، من التزحلق في الكلام ، والاستطراد والاستشهاد ، او لاحداث اثر في السامع ، هذه الشخصية ، هي شخصية المفتي التي تقمصها السيد ابن سودة ، وهو متأثر ببيئته الاجتماعية التي عرفت كثيرا من العلماء والقضاة والمفتين ، فتأثر بثقافته الاولى النابعة من القرويين ومن مجتمع فاس ذي اللون والطابع المميزين !.. »

ومن خلال ما تقدم ، فاننا نستطيع ان نتحدث عن « حديث المفتي » هذا الكتاب الذي يمثل في الواقع ، صورة قلمية لا ينقصها الجلاء والوضوح ، عن الايام العصيبة التي عاشها الشعب المغربي في فترة نضاله المرير وهو يحاول تحطيم الاغلال المادية والفكرية التي كان يرسف بها تحت وطأة الحماية الاجنبية ، دون ان يكون له وزر ولا معين الا ايمانه الراسخ بحقه في الحياة الحرة الكريمة وثقته التي لا تحد بقدرته البطولية على بلوغ هذا الحق مهما كانت العراقيل ومهما طال الزمن .

ولقد صدق ظن الشعب المغربي بنفسه فما هي الا سنين قلائل ، واذال الله من ذل الماضي وبؤسه ، وها هو احمد ابن سودة يقدم لنا في « حديث المفتي » طرفا من الوان المكائد الاستعمارية التي كانت تنفث في عقدها سلطات الحماية بين اوساط الشعب المغربي كي تشل من قدرته على مقاومتها واقالة وطنه من نيرها ورزئها . قال ابن سودة بعنوان « المدارس مركز دعاية للاستعمار » :

« لم يسلم تاريخ المغرب من التعريض والتنويه . ولهذا الغرض الدنيء جند المستعمرون الاساتذة الاجانب في المدارس ، وكانت الصحافة الوطنية لهم بالمرصاد » .

« .. شعرت براحة ، فغادرت الفراش ، وجلست الى المائدة التهم لحم الكباش ، واذا بحفدتي يقفزون كانهم فراش .

قال لي عبد الحميد ، وهو لاخوته عميد : احقا يا جدي كنتم تملكون العبيد ، وتجعلون منهم الطباخ والوليد ، يربون الاطفال ويذهبون بهم الى المسيد (الكتاب) حتى جاء الاستعمار ومحا من المغرب هذا العار ، فقلت له : من انبأك هذه التواريخ ؟ فاجابني : حضرة استاذ التاريخ ، فقلت له : قل لاستاذك ، كان ما كان ، وانقضى هذا من الاكوان ، ولنفتح اعيننا الان ، اليس لكل اوروبي غلام وطباخ ، وحارس وصبان للاوساخ ، اليس لكل ادارة عساس ، ومناول وكناس، اليس لكل معمر قافلة من العمال المساكين ، يعملون كانهم مجانين . فان عزم واحد منهم على الخروج ، ولم يرض بالخدمة عند العلوج ، سيق الى السجان عوض النخاس ، وبات مع المجرمين من الناس . قل يا ولدي لاستاذك هذا الكلام الدقيق . واساله عن الفرق بين ذلك الرقيق وهذا الرقيق .

لقد اتقن الاوروبيون العناوين ، وخدعوا بها المجانين . لقد كنا



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 Tel :
المنزل ٢٢٥١٣٩ Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نقول الخادمة والعبيد ، وناديهم بميمون وسعيد . فجعلوا بدل ذلك : كوزينيي وكارصون والشاوش والبلانطون ، فليس هناك فرق في الاسماء ، فلما يسب الاستاذ الجدود الى الابناء . ان الفرسان غابت فصهلت الحمير ، واصبح كل جاهل يظن نفسه العليم الخبير .

قالوا تصاهلت الحمير فقلت اذا عدم السوابق خلت البيوت من الرخ فتفرزنت فيها البيادق »

هذه القطعة الادبية ، بل قل ان شئت هذه اللوحة الفنية ، التي استبدلها الكاتب بريشة الرسام ، حرصنا على نقلها من اولها الى اخرها ، لنضع بين يدي القارىء صورة حية من اسلوب الاستاذ ابن سودة في مناقشة دسائس الحماية في اوساط الطلاب ، ناشئة البلاد واملها المقبل . وليس من شك في ان هذا الاسلوب ، يذكرنا بطلاوته ومرونته بتلك الاقلام الطريفة ، التي كانت في عهود الظلام ، بكتاباتها الواعية ، تضيء السبيل امام المظلومين لينطلقوا من عقال العبودية في مسيرة الحرية نحو غايتها ، فلا يشعر اعداء الضياء الا وانوار الاحرار فوق رؤوسهم تخطف منهم الابصار .

فلسطين في « حديث المفتي » : و « حديث المفتي » ليس كله مغربي العناوين . وموضوعاته ، ليست كلها عن الحماية ومن وراءها من المستعمرين الاجانب . بل ان هذا الكتاب ، قد توزعته اللفتات الوطنية ، بين مشرق البلاد العربية ومغربها . فلكل قضية وطنية في بلاد العروبة والاسلام نصيب من صفحاته ، سطرها المؤلف بروح المؤمن الصادق ، الذي يعتقد اعتقادا مخلصا بوحدة امته في مصيرها ، ووحدتها في آلامها وآمالها ، ووحدتها في ديارها واوطانها .

وان حديث المفتي عن فلسطين بالذات ، يتكرر في الكتاب اكثر من مرة ، بكلمات يكاد ينجس من خلال حروفها دمع الكاتب او تفور دماؤه حزنا والما وهو يكتب تحت عنوان « من وحي المؤامرات على فلسطين » :

« نحن العرب ، اضعنا فلسطين » . كانت صحافة العالم العربي كلها تحمل حملات شعواء على الصهيونية ، وسال في ذلك كثير من المداد . ولكن العرب في كل مكان ، يجعلون جل معاملاتهم مع اليهود ويشجعون تجارتهم بكيفية مباشرة وغير مباشرة ، الامر الذي اوحى الى « المفتي » بالحديث التالي :

« عاد من الشرق رفيق ، فالتف الاخوان حوله كالكؤوس بالابريق، فحدث القوم عن فلسطين حديثا اسال الدموع ، وسبب القنوت والخشوع . اما انا فبقيت امسح نظارتي ، واصلح عمامتي ، فاستاؤا مني اشد استياء . فقال لي احدهم : كانك لست من العرب العرباء ؟. فرميت نظارتي وازلت عمامتي ، ورفعت صوتي صائحا : نحن الذين اضاعوا فلسطين ، وكلنا نتحمل المسؤولية من الشمال الى اليمين . من مون الصهيونية في فلسطين ، اليسوا هم اليهود المتفرقين في العالمين ، السنا نحن (نحلق شعورنا وذقوننا) عند اليهود ؟ السنا نخيط عند اليهود ؟ الحسابون هم اليهود ، السماسرة هم اليهود ، امناؤنا هم اليهود ، فاموالنا تذهب عند اليهود ! يرسلونها لليهود فيمونون اليهود ضد العرب ، بما ارسلتم من فضة وذهب . ايها القوم اقطعوا عنهم المال ، تدل دولتهم في الحال . قاطعوهم على الاقل في رمضان ، وانا اضمن ان يقدم استقالته وايزمان . قاطعوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم . قال الاخوان : الحق معك يا مفتي الزمان ، فقلت لهم هاتوا علبة الدخان قبل ان يفاجئنا رمضان ... »

اما بعد ،

فان الكلام عن « المفتي » وحديثه ، جدير بان لا تكفيه هذه العجالة، لان موضوعه واسلوبه يدفعان بالقلم الى الاسترسال الصفحات ذوات العدد لما يتميز به كلاهما من الطرافة والجودة والجاذبية ، على اننا نقف ، الان ، بهذا القلم عند هذا الحد ، والشوق يحدو بنا الى العودة مرة اخرى بهذا الكتاب الى دراسة تفيه حقه من التحليل والتفصيل ، لان القارى العربي في المشرق شديد اللهفة الى الاستمتاع بما ينتجه شقيقه في المغرب من رائعات ادبه وطرائف قلمه لا سيما اذا كانت هذه الرائعات والطرائف بقلم تناولته يد الاستاذ احمد ابن سودة الذي يعتبر ، عن جدارة واستحقاق ، سيدا من سادات الكلمة الوطنية التي تبعث في النفس نشوة المتعة الفنية وترتفع بها الى اعلى الدرجات في معارج الوعي القومي .

طه الولي

الباحث عن الحقيقة

تاليف محمد عبد الحليم عبد الله ـ ١٤٢ صفحة ـ منشورات مكتبة مصر مطبوعات مكتبة مصر بالقاهرة

« وشعر ان المشقات اعظم الابواب التي تؤدي الى الله . وان الذين يعانون المشقة من دنياهم محسوبون على الله في آخرتهم » .

« وماذا يضير ما دمت في الطريق اليه . ان المملوك لا يملك مرتين في وقت واحد ونفسي ملك الله . فهي في طلاقة الافق وحرية النسيم .. وماذا يفعلون بجسم رقيق ؟ لست ارى في هذا تناقضا يا ربي .. آه اين انت يا عابد (عمورية) لتقول لي رايك ؟ لست ارى تناقضا من ان اخدم عبدا واعبد الها ما دمت يا ربي قد كتبت علي ان ابكي في الطريق اليك » .

من الذي يقول هذا الكلام ؟ انه الباحث عن الحقيقة .. سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ كما تمثله محمد عبد الحليم عبد الله في قصته الجديدة عنه والتي تمثل انعكاسا جديدا للصورة التي نعرفها لعبد الحليم عبد الله . فقد كان قاصا لحكايا الريف بكل ما يعج به من آلام واحلام ، وكان راويا لمصر في عاداتها وتقاليدها ، وراسما لخطوط صورتها القديمة والحاضرة .. واحيانا القادمة . وعبد الحليم عبد الله في قصصه كاتب فريد ، من طراز خاص ، ليس تابعا لاخرين، ولا صورة منقولة عن احد ، فاحتفظ بطابعه الخاص ، ونكهته المتميزة ، وهو وان اغمطه النقد ، وتآمر عليه النقاد بالصمت في احيان كثيرة ، فانه يظل شامخا سامقا ، لا يخضع لعوامل التعرية ولا يتاثربها ، وذلك لان في ادبه اصالة ، وفي فنه ابتكار ، والاصالة والابتكار من الزم اللوازم للاديب الفنان في كل عصر واوان .

واتجاه عبد الحليم عبد الله الى دنيا القصة التاريخية الدينية غير مفاجىء لمن عرفه في قصصه السابقة ، فهي كلها مزيج من الكلاسيكية التي تعتمد الخلق كاساس متين تقوم عليه ، وتنفر من الرذائل ، وتوجب محاربتها بكل الوسائل والطرق ، وهو بالاضافة الى الكلاسيكية ينغمس في الرومانتيكية كطالب للمثل الاعلى ، والبطولة النادرة ، والابطال الافذاذ ، وهو بعد ذلك واقعي يعري الواقع المرئي ويكشفه ، ويفضح الزيف في اسلوب فريد . ونحن حين نضع «الباحث عن الحقيقة » على اساس المقارنة ، والاتجاه ، نجد « الباحث عن الحقيقة » امتدادا لما سبق ، بل هو نوع من التكامل وصل اليه عبد الحليم عبد الله ليستلهم عبق الماضي ، في اسلوب ادبي رفيع . وفي رأينا ان استلهام الماضي لا يتعارض مع ما نهدف اليه من اخصاب للادب العربي ، وبعث لحياته . والذين ينادون بالواقعية نقول لهم ايضا ان هذا لا ينفي الواقعية ، ولا يشنقها ، ولكنه واقع متجدد يتراءى في كل مكان وكل حين .. ولا يتبدد بمرور الازمنة وتغير الامكنة .. لانه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قطعة من وجدان كل عربي ، ينبض بها قلبه ، ويختلج بهـا صدره ، خاصة وانه ماض يتصل بالعقيدة . وعلى اية حال فان ذلك الماضـي يصبح واقعا بل ومستقبلا اذا استقبلته يد الاديب الفنان ثم صاغتـه في قالب ادبي بديع ، عندئذ تنتفي كل النقائص ويخرس المتحذلقون .

والواقع ان « الباحث عن الحقيقة » او سلمان الفارسي قصة فتحت ميدانا جديدا للادب العربي المعاصر ان يجرد فيه اسلحته ، ويظهر فيه براعته ، وينساب مع عطر السيرة ، واريج الشهيرة حين اخذ يغزل من عطر السيرة النبوية ثلاثة اجزاء من كتابه « على هامش السيرة » . وعبد الحليم عبد الله اثبت بهذه القصة بانه قادر علـى التجدد، وقادر على العطاء .. وعطاؤه ليس بسيطا او سطحيا او ساذجا ولكنه عطاء كبير وعميق وذكي .. يصوره بالكلمة الشفافة والصـورة الواضحة ، والتعبير الرائق الاصيل ، والتشبيه الذي لم يأخذه عـن سابق او معاصر ، وانما هو مبتكر مبدع ، ويساعده على كل ذلك انتاجه الدءوب الصامت بلا كلمة عالية او ضجة صاخبة ، ولكنه في صمـت يعمل ، وفي سكون ينتج دون ان ينظر الى عالم بلا انصاف ، ودنيـا بغير عدالة . فهل آن لنا ان نقدره وننظر الى ادبه نظرة فاحصـة موضوعية نوفيه حقه ، ونعطيه نصيبه كما اقسم غيره واستوفى ؟ انهم يقولون دائما ان عبد الحليم عبد الله هو كاتب الريف ، ونجيب محفوظ كاتب المدينة ، كل منهما اختص بجزء من الوطن يحلله ويحتضن مآسيه واحلامه ، ويشترك معه في رحلة العمر .. فهل حصل عبد الحليم على شيء مما حظى به نجيب محفوظ ؟ لست اسوي بينهما ، ولكن الرجل يستحق شيئا لم نعطه اياه ولم يأخذه . على اية حال فان المستقبـل لن يضن على من يستحقون مهما طال المدى، «وليس يتغير جوهر المسك ان سميناه طينا » ولنقل ايضا على لسان سلمان « فاني ارى في عذاب كل لحظة مرت به ورقة خضراء تتفتح على شجرة الحكمة .. حكمتـك التي تخفى على الناس يا ربي» ولتتفتح اوراق سلمان وعبدالحليم ابدا.

الاسكندرية — حلمي محمود القاعود

•

عـــود القصـــب

تأليف محمود حسن العزب ـ مجموعة قصص قصيرة ـ ١٤٨ صفحة ـ سلسلة الكتاب الماسي ـ مطابع دار الكاتب العربـي بالقاهرة .

من الاقلام الشابة الاصيلة التي بدأت تلمع في سماء القصة المصريـة القصيرة .. محمود حسن العزب ، الذي اصدر في هذه الايام فـي سلسلة الكتاب الماسي مجموعته الاولى « عود القصب » في اربع عشرة قصة . واكبر الظن ان الحديث عن العزب والقرية استهلال مناسـب لدراسة هذه المجموعة القصصية الجديدة .. وكثرة او قلة عـدد القصص التي كتبها محمود العزب في هذه المجموعة عن الريف ، ليست بالمعيار الدقيق لصلة اديبنا بالقرية ، فالاحصاء في هذا المجال ـ مجال الفن ـ كثيرا ما يخدع لانه لا يعكس جوهرا يقوم بالمادة، وانما الاعتبار هنا في المقام الاول لصدق التناول . ولا شك ان قاصا كان صادقا ، لا لاحساس القارىء بحرارة العزب واخلاصه وامانته في عرض شخصياته واجوائه الريفية فحسب ، بل لانه يجد اهتماما بالقرية يندس فـي قصصه الاخرى ايضا التي لا تتخذ الريف مسرحا لاحداثها بشكـل او بآخر . والعزب كريفي قبل كل شيء وكقاص شاب يهتز للامح التغيير الذي حدث في بلدنا ، يثيره بنوع خاص التغيرات التي وقعت فـي نطاق الريف . ويلتفت بوعي الى اثارها العميقة في نفس الفلاح المصري وكيانه . في قصة « الباب » يقتنص فناننا حيرة عطية الذي تختزن اعماقه استسلام فلاحنا الاف السنين لحكامه المستغلين وشكه الدائم في نوايا هؤلاء الحكام وكل من يمثل اجهزة السلطة نحوه ، وهو يستمـع الى مندوب العمال يعرض عليه وعلى زملائه عمال التراحيل ، اشياء تبدو لهم خيالية وبعيدة التصديق لو خلصت النية كما علمتهم تجاربهـم القديمة .. عشرون قرشا يوميا وقبض اجر شهرين مقدما مع الرعايـة الصحية ايضا . ويحاول عطية ان يقنع نفسه بان هذا بعض مكاسـب انشاء نقابة لعمال التراحيل ترعى مصالحهم ولكنه يذكر بينه وبين نفسه انضمامه الشكلي لهذه النقابة ، وكذلك اسلوب خداع مقاولي الانفـار لهم فيبوخ الاقتناع . ولكن عوزه ورغبته في اسعاد ابنتـه الطفلـة اليتيمة الام واستشعاره غير الواضح للحياة الجديدة في وطنه تدفعه في النهاية الى الاطمئنان الى مندوب العمال الوافد .. وتتناول قصـة « الميلاد الجديد » كذلك جانبا آخر من الاصلاح الزراعي وهـو توزيـع الارض على المعدمين منعكسة على « المغنواتي » المعدم عباس البيه . واذا كان الالتزام الحقيقي لا يعني اقتصارا على تناول المواضع السياسيـة وما يجري نحوها وحدها، فقد وجدنا العزب يلتفت باهتمام الى الجوانب الانسانية الكثيرة في الريف التي تعطي لحياة البشر ووجودهم معنى . ففي قصة « عود القصب » التي تذكرنا بقصة يوسف ادريس « اخـر الدنيا » مجموعة (آخر الدنيا) ـ يعالج مؤلفنا لهفة طفل ـ ما اشـد تعلق العزب بالاطفال في الكثير من قصصه ـ ريفي فقير على شراء عود قصب وضياع قرشه الثمين قبل ان يشتري العود ! وفي دنيا الطفـل ايضا يكتب « الطائرة » عن حب فتحي للطائرة الورقية التي يرفعهـا عاليا في سماء قريته ، وفي « الاتجاه الاخر » يحلل الصراع في اغوار كمال بعد حصوله على الدبلوم بين مساعدة ابيه خادم مسجد القرية في تربية اخوته وبين الاقتران بحبيبته سميرة ..

ولعل الدور الذي تقوم به قصة العزب ناجم عن ان صاحبهـا عنده فعلا ما يقوله . وهذا الذي يملكه ليس شيئا قليلا بالقياس الى قصتنا بوجه عام والى انتاج الكثيرين من ابناء جيله بوجه خاص . فهو يريد ان يدفع بدم جديد حقيقي في شرايين القصة لا مياه حمراء تزيفها الشعارات والمدارس الادبية ، يعوض لها جمودها بتوقف غالبية الجيل الاسبق من القصاص واصابة الجيل الفائت بالشيخوخة المبكرة وتحول الكثيرين منهم الى غير القصة . انه يبحث عن قصة تعكس بدقة اكبر الفلاح المصري والحياة القروية التي لم يرسم الكتاب في اكثر الاحيان الا سطوحها الخفيفة . وليس الصدق الفني فحسب هو الذي يدعـو اليـه العزب ، بـل الصدق الذي هو نقيض الكذب ايضـا .. فـلا يجب ان يكون هناك مناطق محرمة على القصة لا تطرقها خوفا من اغضاب احد من اصحاب المهن الرفيعة الشريفة ! فضباط الشرطة مثلا ليسـوا كلهم اطهارا ابرارا وملائكة منزلين من السماء السابعة ، فلا خوف على كتاب القصة ولا هم يحزنون اذا تناولوهم بالنقد والاتهام احيانا ـ تناول مؤلفنا ضابط الشرطة الدعي المستبد في قصة « الطائرة » .. ـ ولعل شباب العزب الذي يعيش في بلد ينادي بتكافؤ الفرص هو الذي اثاره على هذا الوضع الغريب في فننا وادبنا الذي يحافظ على ما يسمى بالحق المقدس لاصحاب المهن الشريفة الرفيعة .

وهذا الذي يحاوله العزب جميعا هو الذي يعطي قصته ابعادها الرحبة التي تلتقي مع القيم الانسانية في كل زمان ومكان ، ويجعل من المحلية خطوة الى العالمية التي يتعاطف عندها الجميع بلا تفرقة مـن اجناس . ولا نجد في هذا الموضع ما نتمثل به اصدق من هذه الصورة او الصور التي جاء بها فناننا في احدى قصصه وهي « السماء تمطر ذهبا » . « حاول الصبيان ان يصعدا اثناء هبـوط ركاب السيارة ـ الاتوبيس ـ ولكن ضغط الهابطين اوقف المحاولة ، واضطرا للانتظـار قليلا بجوار باب السيارة الخلفي . وراحا يرمقان وجـوه الهابطين ، ولاحظا ان غالبية هذه الوجوه ريفية فاستاءا من ذلك ، واقتنعا انهما

لن يجدا نصيبا موفورا من اعقاب السجاير .. وسيغلب على ما يجدانه من اعقاب انها بقايا سجائر (لف) مما ينتشر تدخينه بينهم . عندما خف ضغط الهابطين اشار منصور لزميله بالتوجه للباب الامامي . كانا ينويان جرد السيارة من الناحيتين ، وصعد منصور غير عابيء بقروي يحاول النزول بسلة . لم يحتمل ان يعوقه قروي بسلته فجذبهما معا الى الخارج ، وتفاقل القروي عن هجوم الصبي ، خوفا من اصطدام سلته بحائط السيارة ، وظهرت على شفتيه همهمة احتجاج ثم انشغل بما اتى من اجله الى المدينة . كان القروي ـ قبل ان يجذبه الصبي ـ يهم بوضع يده على جيبه ، ورغب ان يفعل ذلك مشتركا مع الركاب في ايثار الحيطة والحذر .. اذ كيف يتعجل الركوب صبيان بمظهرهما هذا؟ اليس من المحتمل انهما لصان صغيران ؟ ما الذي يبغيانه بهذا التزاحم؟ اليس في وسعهما الانتظار دقيقة واحدة حتى يتم نزول الركاب ؟ ولم تخطر غايتهما من صعود السيارة على بال اي راكب .. ولو عرف لرابه الامر اكثر .. واعتبر ذلك ذريعة يندسان بها بين الركاب بغية نشل بعضهم .. ان مظهرهما كاف لايحاء هذه الافكار المرعبة .. ويتضاعف هذا الرعب لان اكثرهم قادم من القرى المجاورة ، جاءوا يتسوقون بمال قليل طال كدحهم في جمعه .. وبانفسهم امل قوي في ان يضيفوا ـ في هذا اليوم ـ الى الخبز شيئاكالبلح الاحمر او الجوافة الصفراء شيئا يفرح به صغارهم ، كي يقال ان الاب عاد ممتلىء اليدين بفاكهة يوم السوق » (ص ٩٠ ـ ٩١).

واشياء كثيرة تطبع انتاج قاصنا بالريفية ، استخدمها مع اختيار الموقف والشخصية وزاوية التناول والاسلوب اللفظي السهل ، منها مثلا الوصف . فاذا هو ايضا ينبع صادقا بلا تزييف من القرية .. « عادت جفونه للاهتزاز تتامل الاشباح امامه . بشرة شاحبة كما لو كانت ليمونة عطبة . وجنات مهزولة مثل كيزان الذرة المسوسة . صدور مكدودة بانفاس الكدر والبصل . قامات جرداء تنافس جذوع الصفصاف في الخريف . عيون كاللمبة نمرة (٥) شحيحة الغاز ، يتوه في شحوبها بحثا عن لمعة قديمة في حقولهم الخضراء .. »

اهم ما قدمته مجموعة «عودالقصب» اذن انها تبلور شيئاهاما وهو اقليميةكاتبنا .. فمحمود حسن العزب يعكس بدقة نموذج الاديب الاقليمي الذي نريده .. الاديب الذي يؤمن بان اقليمه الصغير يجب ان يكون مصدر الهامه الكبير ، وعلى ارضه يتصاعد بناؤه الفني ، ومن اهل قراه ومدنه الصغيرة ومشاكلهم يقدم شخوص قصصه واحداثها .. هذه السمة هي التي تعطي اعمال العزب اصالتها الواضحة وتحدد امتيازه ، تماما كما يجد المتلقي عند الروائي د. شفيع سالم في « الفاتحة للشيخ حسنين» . ان براعةالفنان الاولى تكمن في الوقوف على اوجه الفروق والاختلاف او الاتفاق بين اهل اقليم والاقاليم الاخرى واقتناصها وتجسيدها فيما ينتج . واذا كنا نذكر في « الفاتحة للشيخ حسنين » عالم عربات الحنطور ومغامرات خوذيبها مثلا ، ففي احدى قصص « عود القصب » يصور القاص عربة « اعلان السينما » التي يجرها غلمان جامعي اعقاب السجائر عادة .. ان هذه الاشياء الفارقة في محليتها ـ والتي لا تجيء عمدا بالطبع كواقع تسجيلي ـ هي التي تعطي الادب الاقليمي بعض نكهته المعروفة .

من الاسس التي تقوم عليها قصة محمود العزب ، التقابل . والتقابل عامل مساعد كبير عند كاتب القصة ، فهو يزوده بامكانيات ضخمة اذ يوسع من رقعة المساحة الممنوحة له ، وبلفظ اخر يكتشف للقاص مناطق جديدة يمكن ان يستغلها في تعميق مفاهيمه واهدافه سواء اكانتمقابلة شخصية لشخصية او شخصية لحيوان او نبات او جماد ! فالتقابل اذن زيادة على ما يعمد اليه من توكيد المعنى الذي يذهب اليه القاص، يحاول ان يفجر كل ما في اعماق الشخصية او الموقف من قوى. في قصة « البحث عن نسمة مثلا نرى الجمود يظلل كل شيء ، فمقابل المتجر الصغير الكاسد ، نجد صاحبه المهموم ، والطقس الحار بلا نسمة واحده « اطراف النخلة تتصلب خلف النافذة كما يتصلب هو في دكانه طيلة نهار كامل .. ابتهلت عيناه للفضاء حتى يجود بنسمة منعشة . لصق رأسه بالحائط زافرا ثم طوى (فرخ) الورق مرتين ولوح به يستدر عطفه في جلب نسمة مؤقتة ، لكن كل شيء راكد كسوق تجارته ... فمتى تهل النسمات على اطراف السعف ، ورفوف دكانه ؟!» (صفحة١٦)

وفي احيان كثيرة يصل تعايش العزب مع ابطاله واحداثه الى درجة كبيرة من الاندماج العاطفي تكاد تتحول لو ارتفعت درجة سخونتها لحظة ، الى لون من الوان تطفل المؤلف على السياق . ومن هذه اللمسات الممتازة نذكر عطية في « الباب » وهو موزع النفس في الاطمئنان الى حديث مندوب العمال يصيخ لكلماته .. صداها يطن في رأسه بالرغم من خوفه (.. بلا ذل او تعسف) .. الكلمة الاولى مفهومة له .. عاش في ظلالها طويلا .. الثانية غريبة على اذنيه لكن لا بد انها سيئة .. ملعونة كزميلتها !..

والذين يعرفون محمود العزب يعرفون فيه انسانا مرحا كثير الدعابة لا تغادر البسمة شفتيه . والذين يقرءون قصصه يلمحون السمة نفسها فيها ، فهو من الادباء الذين لا يقيمون سدا صفيقا بين شخصياتهم الحقيقية وشخصياتهم الادبية .. وقد انعكس عنصر المرح في مجموعة « عود القصب » في اكثر من صورة . واذا اكتفينا هنا بالاشارة الى واحدة منها وهي عباراته الراقصة لوجدنا انها تصل في بعض الاحيان الى ان تعادي موقف القصة الجهم نفسه كما في «المرآة الصاخبة» ! ففي هذه القصة نجد المدرس يخرج من حجرة الناظر

منشورات دار المعارف بمصر

ودار المعارف لبنان

في معرض تقيمه

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

يحسم ٤٠ ٪

على الكتب الثقافية وكتب الاولاد

من ٢٣ ـ ٥ ـ ٦٨ الى ٥ ـ ٦ ـ ٦٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● من مقدمة ابن خلدون ـ نصوص جمعها ورتبها وقدم لها الدكتور البير نصري نادر من اساتذة الفلسفة في الجامعة اللبنانية ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● رياح كانون ـ رواية ـ تأليف فاضل السباعي ـ لوحة الغلاف للفنان السوري زكريا كايا ـ ٤٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليقظة العربية ببيروت ودار القصة العربية بحلب ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احزان البنفسج ـ مجموعة شعرية ـ عبد الخالق فريد ـ تقديم مصطفى عبد اللطيف السحرتي ـ ٩٦ صفحة ـ مطابع دار الهنا بالقاهرة .

● ديوان الحرية ـ مجموعة شعرية ـ عبد الكريم بن ثابت ـ تقديم عبد الكريم غلاب ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات « كتاب العلم » (بالرباط المغرب) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اشياء شخصية ـ تأليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ ٦٨ صفحة ـ طبع من هذا الكتاب ٥٠٠ نسخة فقط مرقمة ـ منشورات صحافيا ببيروت .

● وحي الفؤاد ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد شاكر ـ تقديم محمد سعيد العامودي ـ طبعة ثالثة ـ ٤١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع على نفقة السيد حسن عباس شربتلي ـ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بالسعودية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الهوى وحديث العينين ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات صحافيا ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جفون تسحق الصور ـ رواية تأليف الدكتور بديع حقي ـ لوحة الغلاف بريشة رضوان الشهال ـ ١٩٢ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● الحية في حياتنا وتراثنا ـ تأليف المحامي عبدالقادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية بسورية ـ ٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢١ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ طبع في دير الزور بسورية « لم يذكر اسم المطبعة » .

● صوت المارد ـ مجموعة شعرية باللغة العامية اللبنانية ـ ايليا ابو شديد ـ ٣٨٤ صفحة ـ مع عدة لوحات فنية ـ منشورات دار الفن (؟) ـ طبع في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● من شرفتي ـ تأليف بولس سلامة ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تاريخ واسط ـ تأليف اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل المتوفي سنة ٢٩٢ هـ ـ تحقيق كوركيس عواد ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● رسالة في الاحجار الكريمة ـ تأليف ابيفانيوس المتوفي سنة ٤٠٢ م. ـ قدم لها وحققها كوركيس عواد ـ ١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

بعد موقف عاصف معه الى الطريق حزينا متألما . ورغم ذلك فالمؤلف يكتب .. « اجتذبته لافتات مطاعم الميدان الفاتنة .. سيسلم لها قروشه الثلاثة كجندي محاصر يفرط كرها في ذخيرته الاخيرة » (ص ٣٠) وفي « البحث عن نسمة » بينما ابوالعز صاحب المتجر الكاسد مهموما في الطقس اللافح يصف العزب « طوح بيده ذبابة افتتنت بطرف انفه » ! وفي قصة « عود القصب » تتوقف نظرات الام الغاضبة من ابنها الطفل الذي يمزق جلبابه الوحيد باللعب في شوارع القرية ، على « ندبة بجبهته .. ميدالية تفوقه في العفرتة » الخ ..

وتيار اللاوعي الذي استخدمه العزب في بعض قصصه يبدو عند عدد غير قليل من كتاب قصتنا الشبان ، اسلوبا مثيرا سحريا يملك القدرة على ابهار القارىء من اقصر سبيل . ولقد ساعد على انتشار هذا المفهوم الخاطىء احتفال بعض الصحف والمجلات الادبية به ، مما انعكس اثره على ناشئة القصة ايضا فادمنوا استخدامه سواء عن حاجة فنية حقيقية ام عن غير حاجة ، تماما كما يفعل غالبية ناشئة الشعراء الذين يتهالكون على كتابة الشعر الجديد .. واذا كان الناشيء بحكم خطواته الاولى المضطربة سريع الاستهواء للاساليب الجديدة ، فلا يمكن بالطبع ان نلتمس نفس التعليل او الاعتذار لواحد مثل محمود العزب كتب القصة منذ سنوات واكد وجوده الفني في ادبنا . وهكذا بدت القصص التي كتبها بأسلوب تيار اللاوعي اضعف ما في المجموعة لانه انكر فيها شخصيته الحقيقية وتغافل عما يعرف من ان التجربة هي التي تحدد الاسلوب ، وساير « موضة » سائدة لم تنبثق اصولها من نفسه ، فاضطر الى تصنعها كما يفعل اخرون ، يسرعون بالايقاع الحركي والنبضي ـ الاول بين الجمل وبعضها البعض والثاني من داخل الجملة ذاتها ـ ويصيبون كلماتهم بالتشنج ومواقفهم بالتوتر ويقيمون اجواءهم بظلال من لهاث نفسي مع ما يتناسب من اقتباسات ساذجة من الادب الشعبي والفن الاسطوري . وهكذا خسر المتلقي جانبا من مجموعة العزب وهي قصص « امواج القاع الدفينة ـ الناي وحارس المقبرة ـ الدخان والنهار الابيض » . ولا يصل القارىء وحده الى هذا الرأي في هذا اللون من قصص العزب ، فالعزب نفسه يشاركه ذات الرأي ! فعل ذلك ـ ربما بوعي او بغير وعي ـ موضوعيا ، اي بكتابته قصتين ـ دلالة على شعور يساوره بعدم الاطمئنان الى الاسلوب المستحدث ـ احدهما بالاسلوب التقليدي « المرآة الصاخبة » والثانية بأسلوب تيار اللاوعي المصطنع « امواج القاع الدفينة » عن موضوع واحد ومن زوايا قريبة ، تناول فيها تعاسة مدرس في مدرسة خاصة .. كان الفارق بينهما الفارق بين العمق والضحالة والصدق وعدم الصدق ..

المنصورة ـ ج.ع.م.

علاء الدين وحيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيد

EL - CID

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

هو البطل القومي لاسبانيا . ويهمنا أمره لان « بطولاته » كانت في غالبيتها ضد العرب في اسبانيا . وقد أصدرت السينما الامريكية فيلما طويلا ملونا عن حياة هذا الرجل فيه الكثير من المغالطات التاريخية ولهذا راينا من الضروري ان نستعرض حياته ونراه بوضوح تحت مصباح التاريخ .

اسمه بالاسبانية « رودريك دييث دي بيفار » وعرفه العرب بأسماء عديدة منها (لذريق البيفاري) ومنها (السيد القمبيطور) . وكلمة القمبيطور هي تحريف لكلمة اسبانية El-Compeador ومعناها المظفر . اما لقب (السيد) الذي أصبح معروفا به اكثر من اسمه الاصلي فقد علق به عندما كان يعمل قائدا في جند المقتدر ابن هود امير سرقسطة . وكانت الجنود تناديه كعادة أهل شمال افريقيا بـ « سيدي القمبيطور » ومع الزمن اسقط اللقب الاخير .

ولد لذريق سنة ١٠٤٣ في برغش Borgos وهي عاصمة قشتالة في ذلك الحين لان طليطلة لم تكن قد سقطت في يدهم بعد . وكان من عائلة نبيلة وتقول الرواية الاسبانية ان والده كان قاضيا ولسبب من الاسباب استاء منه الكونت (عبيدة) Obida شقيق الملك فرديناند فصفعه على وجهه امام الناس وغضب ابنه الشاب (لذريق) فذهب الى الكونت وتحداه للمبارزة انتقاما لشرف أبيه وقد بدا عمل ذلك الشاب جنونيا في ذلك الحين لان الكونت كان من أبرز قواد قشتالة واقدرهم على حمل السلاح ولهذا عندما انتصر عليه لذريق وقتله أصبح الشاب حديث العامة والخاصة. وكان القتل في المبارزة مسموحا به امام القانون وقد اثار عمله اعجاب الجميع الى حد ان « خمينا » ابنة القتيل اعجبت به فتزوجته رغم الثأر الذي بينهما .

وقامت الحرب بين الملك فرديناند ملك قشتالة وبين أخيه ملك اراغون وذلك على ملكية احدى المناطق فاتفقا على تحكيم السيف وابراز فارسين بالنيابة عنهما واعطاء المنطقة لمن يفوز فارسه على الاخر وكان (لذريق) فارس ملك قشتالة وكان (مارتين غوماز) فارس ملك اراغون وعند اللقاء انتصر لذريق على خصمه .

بعد ذلك توفى الملك فرديناند وانقسمت مملكته بين اولاده فنال سانشو (شانجة) مملكة قشتالة ونال الفونسو (الاذفنش) مملكة ليون ونال الاخ الصغير (غرسيه) ملك جليقية والاخت (اوراكا) مدينة سمورة والاخت (البيرة) مدينة تورو . وبدأ الصراع بين الاخوة فهاجم سانشو مملكة جليقية وضمها الى بلاده وهرب ملكها غرسيه الى بلاط المعتمد سنة ١٠٧١ ثم هاجم سانشو مملكة ليون ولكن اخوه الفونسو (الذي اصبح فيما بعد الملك الفونسو السادس) كان مستعدا له فهزمه في معركة حاسمة اسمها موقعة (غولبيجارة) وبينما كان سانشو يتهيأ للهرب في جنح الليل مع فلول جنوده جاءه أحد قواده واشار عليه بأنه من الحزم ان يشن هجوما جديدا على جيش اخيه في نفس تلك الليلة لان اخاه منهمك مع قواته في الاحتفال بالنصر . واخذ سانشو بنصيحة قائده وبذلك تبدلت هزيمته بنصر ساحق . وكان ذلك القائد هو لذريق البيفاري وهذه اول مرة يظهر اسمه فيها ظهورا بارزا في التاريخ وتظهر معه خصافته العسكرية وأصبح لذريق منذ ذلك الحين صديق الملك سانشو يرافقه اينما ذهب . اما الفونسو ملك ليون المهزوم فيلتجىء الى المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة حاملا في قلبه حقدا عظيما على لذريق . ويتوجه سانشو الى مهاجمة اخته اوراكا فيحاصر قلعتها الرئيسية في مدينة سمورة وفي ٦ اكتوبر سنة ١٠٧٢ نفذ الى معسكره فارس وطلب مقابلته لينبئه عن احوال المدينة المحصورة وما كاد الفارس يراه حتى طعنه بحربته وأرداه مضرجا بدمائه وفر الى المدينة هاربا وكان (لذريق) واقفا مع الملك القتيل في تلك اللحظة بالذات .

واجتمع الاشراف في برغش واتفقوا على استدعاء الفونسو ليتولى الحكم مكان اخيه بشرط واحد هو ان يقسم بانه لم يشترك بأي حال في تدبير مقتل اخيه سانشو وبعثوا اليه رسلهم الى طليطلة حيث كان نازلا في ضيافة ابن ذي النون ولما وصل الفونسو الى برغش واجتمع باشراف المملكة وكبرائها طلبوا اليه ان يقسم بانه لم يشترك باية صورة في تدبير مقتل اخيه فنزل الفونسو عند رغبتهم بيد انه لما انتظم الجمع لم يجرؤ احد من الاشراف ان يتولى تحليف الملك وعندئذ تقدم منه الفارس (لذريق) قائد اخيه سانشو ومستشاره وتولى تحليفه اليمين بنفسه فلما اداها اضاف لذريق من عنده عبارة أخرى قال فيها انه يطلب الى الله ان كان الفونسو كاذبا ان يسلط عليه خائنا يقتله كذلك الذي اغتال اخاه سانشو . وقد خلفت جرأة هذا الفارس في نفس الفونسو اثرا لا يمحى ولم يصف قلبه له فيما بعد.

وظل لذريق في بلاط قشتالة فترة من الزمن ذهب اثناءها مرسلا من الملك الفونسو الى المعتمد بن عباد لاستلام الجزية السنوية من مملكة اشبيلية وكانت تغير على بلاد المعتمد سرية من قوات عبد الله ملك غرناطة فما كان من لذريق الا ان ذهب بجنوده وهزم قوات عبد الله فسر المعتمد وادى الجزية واضاف اليها طائفة كبيرة من التحف والهدايا .

وكانت الدسائس تحاك ضد لذريق في بلاط قشتالة وكانت اذن الملك الفونسو مستعدة للانصات الى تلك الدسائس اذ ان الفونسو لم ينس له قط وقوفه ضده الى جانب اخيه سانشو وانتصاره عليه فاتهمه باحتجاز بعض الهدايا والتحف لنفسه . ويقرر الملك ابعاد لذريق عن بلاطه ونفيه عن سائر اراضي قشتالة وذلك في سنة ١٠٨١م .

ومن هنا يذهب لذريق الى المعسكر العربي وتبدأ مغامراته الحقيقية ويصبح من هذا الوقت قائد جيش مرتزق ويذهب مع جيشه الى المقتدر بن هود امير سرقسطة ويضع نفسه وجيشه تحت تصرف مملكة سرقسطة العربية . ويتوفى المقتدر في نفس ذلك العام بعد ان يقسم مملكته بين ولدية المنذر الذي اعطاه دانيه وطرطوشه ولارده وبين المؤتمن الذي اعطاه سرقسطة اما لذريق (الذي يأخذ في ذلك الحين لقب السيد) فينضم مع جيشه الى المؤتمن وعندما تنشب الحرب بين الاخوين يحارب السيد الى جانب المؤتمن وينتهي الامر بانتصار المؤتمن ويعود السيد الى سرقسطة ظافرا ويحتفي اهلها به ايما احتفاء ويبالغ المؤتمن في اكرامه واثابته . ولما توفى المؤتمن سنة ١٠٨٥ (وهو عام سقوط طليطلة) خلفه ابنه المستعين والتحق السيد بخدمته واستمر على نفوذه ومكانته .

وفي العام التالي تأتي جنود المرابطين لخوض معركة الزلاقة ويحس ملوك الطوائف ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين لا يضمر لهم الخير ويقول في ذلك ابن بسام في الذخيرة « ولما احس احمد بن يوسف بن هود المنتزى الى وقتنا هذا على ثغر سرقسطة بعساكر امير المسلمين تقبل من كل حدب وتطلع على اطرافه من كل مرقب آسد كلبا من اكلب الجلالقة يسمى برذريق ويدعي بالكمبيطور وكان عقالا وداء عضالا له في الجزيرة وقائع وعلى طوائفها بضروب المكروه اطلاعات ومطالع وكان بنو هود قديما هم الذين اخرجوه من الخمول مستظهرين به على بغيهم الطويل وسعيهم المذموم المخذول وسلطوه على اقطار الجزيرة يضع قدمه على صفحات انجادها ويركز علمه في أفلاذ اكبادهم حتى غلظ امره وعم اقاصيها وادانيها شره » .

ومن الطريف هنا ان نذكر ان ابن بسام كتب « الذخيرة » عام ١١٠٩ اي بعد موت (السيد) بعشر سنوات ولذلك فان ابن بسام هو في الواقع اقدم مرجع تاريخي عن حياة (السيد) فهو يستمد معلوماته ممن عرفوا السيد معرفة شخصية .

وفي سنة ١٠٨٨ يخرج المستعين ومعه (السيد) لفتح بلنسية ويخبرنا ابن علقمة مؤرخ مأساة بلنسية ان قوة المستعين لم تكن تعدو ٤٠٠ فارس اما جيش (السيد) فكان يضم ثلاثة الاف فارس وهي قوة ضخمة في ذلك الحين . وعندما وصلت قوات المستعين والسيد ضواحي بلنسية رفض (السيد) ان يهاجم المدينة معتذرا بان صاحبها القادر بن ذي النون مستظل بحماية ملك قشتالة واية محاولة لافتتاحها هي اعتداء على حقوق الملك الفونسو ويغضب المستعين وينسحب بقواته الى سرقسطة وتنقطع العلاقة عند ذاك بينهما اما (السيد) فيذهب الى قشتالة وهناك يحصل من الملك الفونسو على وثيقة تؤكد بان كل الاراضي والحصون التي يستطيع (السيد) ان ينتزعها من العرب تغدو ملكا خاصا له ثم لاولاده وبناته وسائر عقبه من بعده ميراثا شرعيا . ويعود (السيد) ومعه سبعة آلاف مقاتل ويصبح في الواقع رئيس عصابة ناهبة تجوب انحاء الممالك الشرقية العربية من الاندلس طلبا للغنيمة والسلب فيفرض اتاوات على تلك الممالك فكان يأخذ من القادر بن ذي النون عن بلنسية ١٢٠ الف دينار سنويا ويأخذ عن طرطوشة ٥٠ الف دينار ويأخذ من ابن رزين عن شنتمرية الشرق عشرة الاف دينار ومن البونت عشرة الاف ومن المنارة ثلاثة الاف ومن كل من مربيطر واشكرب ٦ الاف ويقول في وصفه ابن بسام ما يلي « كان هذا البائقة وقته في درب شهامته واجتماع حزامته وتناهي صرامته آية من آيات ربه وكان ـ لعنه الله ـ منصور العلم مظفرا على طوائف العجم وكان ـ زعموا ـ تدرس بين يديه الكتب وتقرأ عليه سير العرب فاذا انتهى الى اخبار المهلب استخفه الطرب وطفق يعجب منها ويتعجب » .

محنة بلنسية : اعتزم البلنسيون أن يحطموا ذلك النير الذي فرضه السيد على المدينة وكان قاضي المدينة ابن جحاف يتزعم الحزب المناوىء للسيد وفاوض ابن جحاف قائد المرابطين ابن عائشة على تسليم بلنسية اذا ساعده على التخلص من السيد ويحي القادر فاستجاب ابن عائشة وارسل سرية من جند المرابطين وما ان وصلت بلنسية حتى قاد ابن جحاف جموع الثائرين واقتحموا القصر وبحثوا عن يحي القادر حتى عثروا به وكان قد اختفى في بعض حمامات القصر ومعه صندوق من الحلى والجواهر فقتل في الحال وحمل راسه على رمح وطيف بها في شوارع بلنسية وكان ذلك سنة ١٠٩٢م واحتوى ابن جحاف على طائفة عظيمة من الجواهر والاموال والذخائر التي كان يحتفظ بها القادر .

ويقول في هذا الحادث ابو عبد الرحمن بن طاهر

مخاطبا القاضي ابن جحاف وكان اخيفا اي له عين زرقاء واخرى سوداء :

ايهـا الاخيـف مهـلا فلقـد جئـت عويصا
اذا قتلت الملـك يحيى وتقمصـت القميصـا
رب يـوم فيـه تجزى لـن تجد عنـه محيصا

ويحي القادر هو نفسه الذي كان ملك طليطلة وقد ساعده الفونسو بعد سقوط طليطلة ان يصبح ملكا على بلنسية فكان هناك بمثابة عميل له ورمز لنفوذ قشتالة وسلطانها .

ولما علم (السيد) بهذه التطورات سار في الحال صوب بلنسية وارسل الى ابن جحاف يطلب اليه طرد المرابطين ويتعهد له بان يتركه حاكما في بلنسية واخيرا تم الاتفاق على ان يغادر المرابطون المدينة امنين . وان تؤدى للسيد الجزية السابقة كما كانت من قبل وان تبقى ضاحية الكدية بيد السيد .

ولكن السيد لم يلبث ان اخذ يشتط في مطالبه فطلب ان ينزل في ضاحية بشمال بلنسية الشرقي ثم طلب ان ينزل في ضاحية في جنوبها وهو يرمي الى تطويق المدينة ثم طلب من ابن جحاف ان يسلم له كل موارد المدينة وان يقدم له ابنه رهينة بولائه . وعندئذ رفض ابن جحاف وارسل يستغيث بالمرابطين من جديد وضرب السيد حصارا حول المدينة استمر ٢٠ شهرا ويقول ابن بسام في ذلك « وقوى طمع لذريق في ملك بلنسية فلازمها ملازمة الغريم وتلذذ بها تلذذ العشاق بالرسوم ينتسف اقواتها ويقتل حماتها ويسوق اليها كل منية ويطلع عليها من كل ثنية وبلغ الجهد والامتحان باهل بلنسية ان احلوا محرم الحيوان واكلوا الكلاب والجيف والفيران وغدوا كالاشباح هزالا» وعندئذ اجتمع اعيان المدينة وارغموا ابن جحاف على مفاوضة السيد وسلمت بلنسية على الشروط التالية « ان يبقى ابن جحاف قاضيا للمدينة وحاكما لها وان يؤمن في نفسه وماله واهله وان يتولى مندوب السيد الاشراف على تحصيل الضرائب وان تحتل المدينة حامية من النصارى المعاهدين (المستعربين) الذين يعيشون بين المسلمين وان يرابط السيد خارج المدينة والا يغير شيئا من شرائع المدينة واحكامها » .

ودخل السيد وجنده بلنسية سنة ١٠٩٤م وفي الحال احتلوا ابراجها خلافا لشروط المعاهدة ونزل السيد بالقصر وطلب من ابن جحاف جميع اموال القادر وذخائره فسلمها له ولكنه شدد عليه في السؤال عما اذا كان قد بقي لديه شيء منها وطلب اليه الحلف امام اعيان الشهود من الملتين فحلف ابن جحاف بانه لم يخف شيئا وليس لديه شيء منها وانذره السيد بانه ان وجد لديه شيئا منها فانه سوف يستبيح دمه ووافق على هذا العهد اعيان الملتين وتشاء الاقدار ان يقع السيد بعد ذلك بقليل على بعض الحلى والذخائر التي اخذها ابن جحاف من القادر حين مقتله. ويقال انها كانت مدسوسة من السيد وضعها بعض اعوانه في بيت ابن جحاف فكان ذلك نذيرا بنكبته المروعة التي ترك لنا عنها المؤرخ البلنسي المعاصر وشاهد العيان ابو العباس ابن علقمة صورا مؤسية مبكية .

قال ابن علقمة « ان القنبيطور امر بتعذيب ابن جحاف فعذب عذابا شديدا ثم امر به فجمع له حطب كثير وحفرت له حفرة واقيم فيها واصير الحطب حوله واوقدت فيه النار فكان يضم النار اليه بيديه ليكون ذلك اسرع لخروج روحه » .

وقال ابن بسام « اخبرني من رآه في ذلك المقام وقد حفر له الى رفقيه واضرمت النار حوله وهو يضم ما بعد من الحطب بيديه ليكون اسرع الى ذهابه واقصر لمدة عذابه كتبها الله له في صحيفة حسناته ومحا بها سالف سيئاته وهم الطاغية يومئذ بتحريق زوجته وبناته فكلمه فيهن بعض طفاته فبعد لاي ما لفته عن رأيه وتخلصن من يدي نكرائه واضرم هذا المصاب الجليل اقطار الجزيرة يومئذ نارا وجلل سائر طبقاتها حزنا وعارا » .

وامر السيد باحراق جماعة من اعلام بلنسية منهم ابو جعفر البتي الشاعر المشهور وغدا السيد كانه ملك متوج وغدا باستيلائه على بلنسية سيد شرقي الاندلس كله .

وزار ابن خفاجة مدينة بلنسية في تلك الفترة فرسم لنا صورتها وهي على تلك الحال في هذه الابيات :

عاثت بساحتك العدى يـا دار ومحا محاسنك البلـى والنـار
فاذا تردد فـي جنابـك خاطـر طال اعتبار فيـك واستعبـار
ارض تقاذفت الخطوب باهلهـا وتمخضـت بخرابهـا الاقـدار
كتبت يد الحدثان فـي عرصاتها لا انت لانت ولا الديـار ديـار

قال ابن بسام « وتجرد امين المسلمين (يوسف بن تاشفين) عندما بلغه هذا النبأ الفظيع واتصل به هذا الرزء الشنيع فكانت قذى اجفانه وشغل يده ولسانه » وبعد ثلاثة اشهر من سقوط بلنسية كان المرابطون قد بدأوا هجومهم عليها لاستردادها وضربوا عليها حصارا شديدا وسار جيش مرابطي آخر من الجنوب فهزم قوة قشتالية في موقعة قتل فيها ابن (السيد) الوحيد واسمه (دون ديجو) وكان السيد على فراش المرض فادمى قلبه مصرع ابنه الوحيد فمات غما والما وذلك سنة ١٠٩٩ وهي السنة التي فتح بها الصليبيون بيت المقدس وكان عمره ٥٦ عاما . وتولت مكانه زوجته خمينا واستطاعت ان تصمد امام هجمات المرابطين زهاء عامين آخرين الى ان تم تسليم المدينة الى الامير المرابطي ابي محمد المزدلي فدخلها في ٥ مايو سنة ١١٠٢م وخرجت خمينا من بلنسية مع جميع عسكر السيد ولم يحاول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



القهوة الفائرة

وشاتم قهوة من أجل فورتها ... وأنها الهبت كفيه فاحترقا
لم يدر ان التي بالنار عذبها ... ستطلب الثأر ممن سامها وسقى
فلو أصاخ لها غضبى مزمزمة ... لراعه الحقد اما يغتلي حنقا
هيهات يقبل كأس الظلم ذو شمم ... وان دهته رحى الايام فانسحقا

وديع ديب

المرابطون ان يتعرضوا بسوء لجيش خمينا راضين منهم بالجلاء فمشت المقدمة بقيادة بيرمودة Bermudez يحمل راية السيد ومعه ٤٠٠ فارس وتلاه ٤٠٠ فارس يحملون الدواب والاثقال ثم جاء حصان السيد المسمى (بابيكا) وعليه جثة السيد وقد وضعوا ترسه في عنقه والسيف في يده وكان له سيفان احدهما يسمى تيزونة Tisona والثاني كولادة Colada وكان السيد محنطا تحنيطا جيدا وكانت لحيته مرتبة كما لو كان حيا .

وسار المطران جيروم من جهة وميلدياز من جهة اخرى يخفران جثة السيد ومعهما ١٠٠ فارس وسارت هذه القافلة بتؤدة حتى بلغت برغش في قشتالة فلم يسارعوا بدفنه بل وضعوه على كرسي من عاج على يمين المذبح في دير مار بطرس واسندوا راسه على مخدة من المخمل وفي يده اليسرى سيفه تيزونة ثم دفن بعد ذلك في الدير ولا يزال قبره هناك حتى الان .

وماتت خمينا امراته بعد هذا باشهر قليلة وبقيت رايته وسيوفه في ذلك الدير يحملها ملوك قشتالة في حروبهم تيمنا بالنصر . وقد ترك ابنتين واحدة تزوجت ابن ملك نافار والاخرى ابن ملك اراغون .

وهنا نقف لنأخذ نفسنا قليلا ونتأمل في رجل لا شك في شجاعته ومهارته العسكرية الا انه في الحقيقة لم يكن الا رئيس عصابة من المرتزقة وقد استطاع ان يصبح سيدا لشرق الاندلس كله ويأخذ الجزية لنفسه من عدة ملوك من ملوك العرب وما ذلك الا لان ملوك العرب كانت متفرقة متناحرة ولكن تلك العصابة لم تجرؤ حتى على الوقوف والقتال امام المرابطين عندما اتحدت كلمة العرب وكونوا حلفا قويا منيعا . وهكذا عادت بلنسية الى « حظيرة العروبة » مرة اخرى لمدة ٣٠٠ سنة اخرى .

ومن المهم ان نذكر هنا ان بلنسية كانت رابع حاضرة اندلسية عربية في ذلك الحين تأتي مباشرة بعد اشبيلية وغرناطة وقرطبة . ويقول ابن بسام انها لذلك كانت في (مقدار الاسلام) . وكان العرب يسمونها (مدينة ابي طرب) . وكانت تحيطها البساتين النضرة لاميال عديدة وفي ذلك يقول مروان بن عبد الله بن عبد العزيز امير بلنسية :

كان بلنسية كاعب ... وملبسها سندس اخضر
اذا جئتها سترت نفسها ... باكمامها فهي لا تظهر

وكانت بلنسية من كثرة ما يحيطها من بساتين تفوح فيها دائما رائحة زكية من الزهور والرياحين وفي ذلك يقول ابو عبد الله محمد الرصافي (نسبة الى رصافة بلنسية) :

خليلي ما للارض قد عبقت نشرا ... وما لرؤوس الركب قد رجحت سكرا
هل المسك مفتوقا بمدرجة الصبا ... ام القوم اجروا من بلنسية ذكرا

هذه قصة السيد القمبيطور الذي اصبح فيما بعد اسطورة وبطلا قوميا لاسبانيا ونحن اذ لا نلوم الاسبان لاتخاذهم اياه بطلا يعظمون اعماله وينسجون حولها اثوابا فضفاضة من الاسطورة والخيال الا اننا نجد في الفيلم الامريكي عنه اجحافا بل وتشويها للدور التاريخي الذي لعبه ذلك الرجل في التاريخ العربي في الاندلس .

لندن — فؤاد جبور حداد

الى طفل الامس

فـــؤاد الخشـــن

الشويفات ـ لبنان



هــو ظلك !
هو في مرآة هذا الراكد الماسي شكلك
ايها الواهم في الصفو الغديري المثال
مغدقا من عذرة الذات ومن تيه الخيال
تنفق العمر اغترابا خلف آل
لامع ، ترقصه الشمس على وهج الرمال

لا تقبله فهذا الحسن وجه يتكسر
اذ تمس الماء يحفر في النفس غيابا
تجتني منه شحوبا وعذابا
ثم تغدو زهرة من نرجس مرتعش
تسكب الدمع على صورتها
لهفات وهياما يتقطر

طائفا ما زلت بين الجزر
بشراع السندباد
باحثا ناظر اصرار ومجذاف عناد
عن بقايا بيضة الرخ التي
يجتليها للاساطير خيال
ضاق عن آفاقه رحب المجال

باحثا ما زلت في بيروت عن
وجه انسان ابى ارث القناع
لم يزل في دمه الريفي للضوء شراع
واذا الجنة غامت فوق عينيك ظلال
رحت تهذي مثل « توما » وتحقق
مثله ترقص ، شكا ، ان تصدق
هاجس القول وصحو النظر

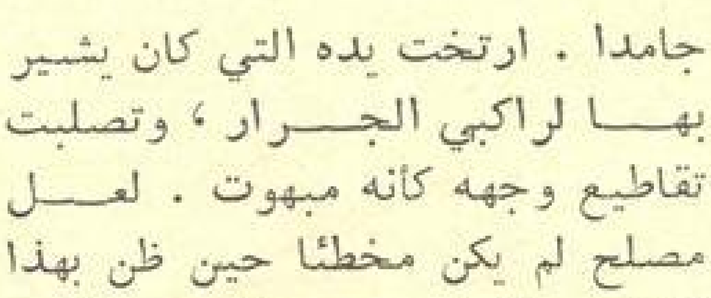
ذاهل انت وفي عينيك غيمه
غائب عن بهجة الحفل صموت
اي حلم خلف عينيك يموت ؟

قد حباك الله يا طفلا اثيريا شرود
كل شيء تبتغيه
كل اغداق نعيم تشتهيه
دعك مما يستثير الحزن ، من وجه الصراحه
من شؤون الناس ، من نصح على الناس كريه
اطفىء الشمع وقطع كل اوتارك
ان شئت بهذا العمر راحه
خل للفارق في الرجس جراحه
ولضلع الاثم ناره
خل للجرح السدومي جماره
لا تضع اصبعك المعقوف
في شكل سؤال خنجري الظفر ، فيه
انت في عصر ضياع
لست من طين بنيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدب والطوفان

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ١ ـ

في الظهيرة المحرقة كان كرنيك همبرسوميان ومساعده مصلح العواد ، تلفهما غبرة جرار الفوردسن الخانقة ، متجهين بجرارهما نحو الطريق العام ، الطريق المتجه الى حلب . صاح مصلح فجأة :

ـ انظر اليه يا معلم ... انه يشير الينا ويقاطعنا على الدرب .

فالتفت المعلم كرنيك الى حيث اشار مصلح . من بعيد والى يمين طريق الجرار كان رجل يعدو وهو يحرك بيده محرمته ، غطاء راسه ، ليسترعي نظرهما . في الجو المتقد وعلى الارض المبسوطة الغبراء بدا الرجل كأنه عود كبريت وكأن المحرمة الحمراء المتحركة فوق راسه شعلة اللهب التي تحرقه . قال مصلح :

ـ ربما كان عطشان . ياويل العطشان في نهار الجمر هذا .

فقال المعلم كرنيك وهو ينحرف بالجرار في اتجاه الرجل :

ـ لعله يريد منا ان نحمله مع نعجاته الى الطريق العام . الا ترى النعجات ؟ خمس او ست . يا ليت عندنا تريلا لننقله هو ودوابه ... كنا على الاقل حصلنا ثمن المازوت الذي يوصلنا الى حلب .

توقف الرجل عن الركض حين رأى الجرار يتجه نحوه ، ولكن يده لم تتوقف عن التلويح بالكوفية الحمراء . النعجات كن نقاطا غبرا صعبة التميز في لونها عن الارض المحروقة ، التي لم تذق طعم المطر منذ اسابيع واسابيع على الرغم من ان الربيع لا يزال في اوله . ست نعجات كما قال المعلم كرنيك، تبينت اشكالها واضحة لما اقترب الجرار منها ، برؤوسها المرخاة ، واقفة دون حركة تحت نار الشمس المسلطة كأنها تنتظر ان تذوب بتلك النار . وعاد الرجل ادراجه الى موقف النعجات حتى اصبح بينها وبين الجرار . قال مصلح :

ـ هذا الرجل عطشان ، ميت من العطش ، او مجنون . ماذا يوقفه في هذه البرية القاتلة ؟ الطريق العام ما عاد بعيدا منه .

اوقف المعلم الجرار عن السير دون ان يطفيء المحرك ، وقال بلكنته الارمنية التي تغيب فيها مخارج بعض الحروف :

ـ اعطه القربة ... الله يعلم من اين اتى ... ربما من الرصافة .

واشار الى الرجل ليتقدم ، بينما انحنى مصلح ليتناول القربة المعلقة تحت المقعد .

ولكن الرجل ظل في مكانه جامدا . ارتخت يده التي كان يشير بها لراكبي الجرار ، وتصلبت تقاطيع وجهه كأنه مبهوت . لعل مصلح لم يكن مخطئا حين ظن بهذا البدوي الجنون من منظره . فقد كان عاري الراس ، مشعث الشعر، قد خرط عقاله في عنقه وبدا وجهه مشققا ترابيا بلونه وبما تراكم عليه من غبرة البادية المجدبة ، وحول ملتقي شفتيه بقايا زبد جاف . لو كان عطشان لهجم على قربة الماء ، ولكنه ظل واقفا بين الجرار ونعاجه .

التفت المعلم الى معاونه وقال :

ـ اسأله ، ماذا يريد ؟

فرفع مصلح صوته حتى يبين في ضجة محرك الجرار ، وفي يده قربة الماء ، قائلا :

ـ ما تريد يا عم ؟ عطشان ؟

فادار الرجل راسه وتطلع الى الدواب الواقفة . كانت نعاجا هزيلة ، ضاوية ، تبدو بطونها ملتصقة بظهورها من خلال جرز الصوف الوسخ التي تتهدل على جنوبها المفضنة ... نعاجا مثل كل النعاج التي رآها كرنيك ومصلح في البوادي في سنة القحط المهلكة هذه ... لا بل انها اسوأ حالا ومنظرا من كل ما وقعت عليها انظارهما في هذه الايام الاخيرة .

قال مصلح للبدوي الذي كان ينقل نظره بين الجرار والغنم :

ـ انت ترى ... ليس لتراكتورنا تريلا مقطورة ، والا لكنا نقلناك انت والدواب . ما عليك الا ان تتابع السير فتبلغ الطريق العام .

فالتفت الرجل الى المعلم كرنيك، كأن كلام مصلح لم يعجبه ، وقال بصوت اجوف :

ـ لا اريد ان تنقلها ... اريد ان تقتلها .

صاح المعلم كرنيك الذي ظن ان ضجة المحرك ابهمت عليه كلام مخاطبه :

ـ تقول ماذا ؟

فتقدم الرجل من موقف الجرار مستديرا حوله حتى بلغ مقعد السائق في المؤخرة ، ووضع يده على ركبة المعلم كرنيك ثم انحنى عليها ليقبلها ، وهو يقول :

ـ دخيلك انا ... اقتلها . اعفسها . عجل .

كان صوته كصوت الباكي ، فادار المعلم وجهه الى مساعده وقال :

ـ هذا البدوي ذوبت الشمس نخاع راسه !

ثم التفت الى الرجل المسكين ، بعد ان ابعد رأسه عن ركبته ؛ وقال :

ـ الله يرضى عليك يا عمي ... نريد ان نصل الى الطريق العام . امامنا سفرة طويلة الى حلب . ابعد عن طريقنا .

ومد يده الى مفير السرعة يريد ان يسير الجرار ، فتباعد الرجل ثم عدا حتى وقف امام هيكل الآلة الضخم ، وصاح :

ـ اعفسني او اعفسها .

فصرخ مصلح في حنق :

ـ يا عم ، مجنون انت ؟ ابعد عن طريق التراكتور .

ورفع المعلم كرنيك قدمه عن ضاغط الوقود وهو يهمهم بالارمنية. لو ان الجرار تحرك شبرا لبطح الرجل ان لم يسر على جثته ، فالفرامل ينقصها الزيت وهي لا تطاوعه كل المطاوعة . وتناهض من مقعده متطلعا الى عيني البدوي من فوق كتلة الجرار ذات الغطاء الازرق الكالح . عينا الرجل لم تكونا عيني مجنون ، كما لم تكونا عيني انسان سوي ... كان فيهما حزن ، وكان فيهما حنق .

قال المعلم لمساعده :

ـ كما قلت لك ... هذا البدوي اذابت الشمس نخاع راسه . بعد عشرة ايام من التعطل والكساد لم نحصل فيها على عمل بقرش واحد، ما عاد ينقصنا الا ان نرجع بدمه في رقبتنا . اتركني اكلمه بالطيب.

واخرج المعلم كرنيك سيكارة من العلبة الورقية في جيبه ، واشعلها ثم انحدر الى حيث كان واقفا فقدمها له . لم يزحزح الرجل قدميه من مكانهما ، ولكنه تناول السيكارة بلهفة وسحب منها انفاسا عديدة متلاحقة . كان بياض عينيه محتقنا بعروق حمر ، وخيشوماه يتسعان ويضيقان في كل حركة تنفس . قال مصلح الذي انحدر من مجلسه على جناح الجرار ، وبلهجة مطايبة :

ـ الله يعاونك يا عم ... من اين اقبلت في هذا الحر الذي يشوي ؟

اجاب البدوي بفتور وشك ، كأنه لا يتوقع خيرا من هذا السؤال :

ـ من عنز وعنيز . ترى هذه النعجات الست ؟ كانت اثنتين وسبعين دابة .

ـ واين الباقيات ؟

ـ ماتت . ماتت وموتتني .

بعت الغالي والرخيص حتى اطعمها . في اول الشتاء امطرت السماء مرة واحدة ، وبعدها صحو وشمس ... شمس وريح شمالية ... شمس وغبار ... شمس وزوابع ، حتى ما ظلت نبتة على الارض . اطعمت غنمي لحم كتفي في انتظار المطر والربيع ... لا امطرت الدنيا ولا جاء الربيع . من اثنتين وسبعين دابة لم يبق غير هذه الست . البقية زرعت اشلاءها على الطريق من عنيز الى هنا ، عند كل قليب تركت شلية من الغنم ناشفة والغدران تسفها مجاريها الريح ...

كان البدوي يتكلم بسرعة وبطلاقة تشبه الحماس . ولم يفهم المعلم كرنيك كل مقالته ولكن الالفاظ التي يفوته معناها كانت واضحة في وميض العين ونبرة الصوت وتفضن الملامح . لقد كان البدوي يتكلم عن الجدب ، وهل غير الجدب عاد بالمعلم كرنيك خاوي الجيب ، مفلسا من المال والعمل ، الى حلب ، بعد دورة اسابيع بحثا عمن يفلح ارضه بالاجرة فلا يجد ؟ شريكه في حلب ينتظره بجزء من قسط الجرار المستحق في اول نيسان . ولكنه سيعود غدا ليقول له ان ما من انسان في السهول الممتدة في الشامية بين حلب والرقة يريد ، او يملك ، في هذه السنة المجدبة ، ان يفلح لموسم السنة القادمة . فسأل البدوي :

ـ والى اين انت ذاهب بهذه الغنمات الآن ؟

ـ لا الى مكان . اريدك ان تعفسها بهذا التراكتور حتى تسوي بها الارض . كنت اريد ان آخذها الى ابي هريرة . هناك ارويها على الاقل من ماء الفرات . اسقيها حتى تتفزر بطونها ريا . ولكني اعرف انها لا تصل الى هناك . انظر اليها : ميتة قبل ان تموت ... ليس لاجسامها ظل على الارض كأن جلودها غرابيل تنفذ الشمس منها، من هزالها . اريدها ان تموت امامي لاعرف انها ماتت ، واني استرحت ... لامشي الى ابي هريرة خفيف الحمل خفيف النفس .

تطلع المعلم ومساعده الى النعجات . في الواقع لم يكن لها ظل على الارض . لم تكن تتحرك ، ورؤوسها المدلاة ملامة الارض كانت جامدة لا تهتز ، وكأن لم يعد في انواهها ريق تجتر به طعاما او هواء . غير ان جنوبها كانت تضطرب كأنها في النزع . وادار المعلم نظره الى جراره وقال لنفسه : لولا ان هيكل الفوردسن من حديد لكان ، مثل هذه النعجات ، لا ظل له في هذه الشمس المحرقة : يبدو ابتر لانه اودع سكته في احدى القرى ، وما نفع سكة لا يريد احد ان يفلح بها ؟ الفرام لا يمسك لانه لم يبق فيه زيت ، والمازوت لا يكاد يبلغه حلب . وعاد الى البدوي يحاوره :

ـ وانا كذلك يا عمي قتلني الجفاف وقلة المطر . لا انسان في كل الشامية يريد ان يفلح شبر ارض ... اتراني اطلب منك ان تحرق الجرار ؟ لماذا تكلفني ان اعفس نعجاتك ؟ اتركها في الفلاة واكمل طريقك .

قال البدوي :

ـ لا اقدر ... لا اقدر .

تراكتورك حديد وخشب ، وهذه النعجات ارواح تتطلع الي بعيونها. وتظنها لا تفهم ؟ هي تدري ان ما بيدي شيئا ينفعها . ربيتها مثل اولادي ، وصرفت عليها كل ما عندي ، وغرقت في الدين وانا اعلفها ... في انتظار المطر . تدري ؟ بنتي نشمية ماتت بالحصبة لاني لم آخذها الى الحكيم الذي بالسخنة ... كنت اشتري للغنم كسبة من البلد ، وكنت بين ان اشتري الكسبة وبين ان اطبب البنت ، ماتت البنت . وبعدها ماتت الغنم الا هذه الست . لا اقدر على ان اتركها ... لا اقدر . خلصني منها والله يخليك !

التفت المعلم نحو مصلح ، فهز هذا كتفيه كمن يقول : الم اقل لك ؟ بدوي مجنون ! حينئذ قال المعلم كرنيك :

ـ واذا عفست لك هذه النعجات، الا تدعو علي ؟ الا تطالبني بشيء ؟

قال البدوي بحرارة :

ـ ابدا والله . وانما اريد ان يبرد قلبي بأن اراها تموت ، لا من الجوع والعطش ، ولا من يدي انا ... موتة مستعجلة تحت ثقل الحديد .

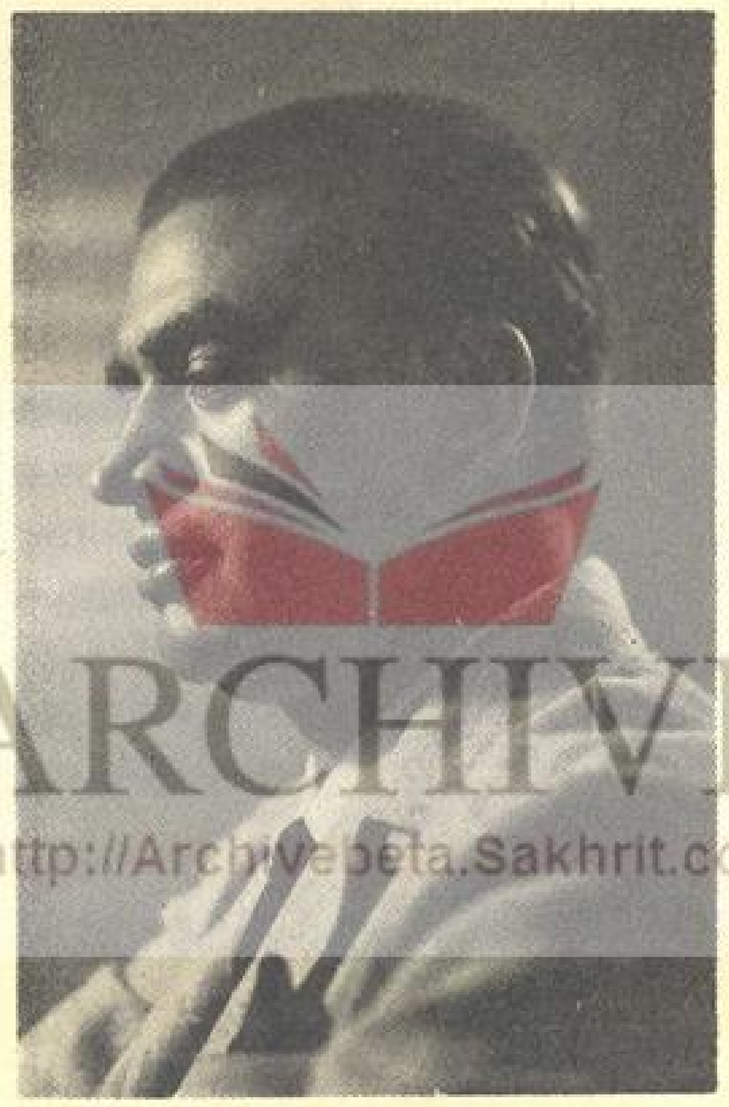
ـ اذن جمع النعجات الواحدة بجانب الاخرى وابتعد ... ابتعد كثيرا وادر وجهك . اخاف ان يكسر قلبك رؤيتهن تحت دواليب التراكتور .

فاستدار البدوي مسرعا كأنه لم يصدق ما يسمعه ، واخذ يجر النعاج حتى خالف برؤوس بعضهن اعناق الاخرى . كانت يداه ترتجفان وظهره محنيا على ظهورها كأنه كان يمرغ وجهه في اصوافها المثقلة بالغبار والاشواك . اما تلك الحيوانات البائسة فكانت تتكوم بين يديه في طواعية واستسلام ، ملقية رؤوس بعضها على اعناق بعض ، وقد اعانها ذلك في حمل ثقل رؤوسها على رقابها الواهية . اما المعلم كرنيك فقد صعد الى جراره، يتبعه معاونه ، وحركه الى الوراء مبتعدا عن كومة النعجات ، ثم صاح بالبدوي :

ـ زين ما فعلت . الآن ابتعد يا عم .

فابتعد الرجل بضع خطوات ، متراجعا بينما عيناه لا تفارقان دوابه . فعاد المعلم كرنيك يصيح به .

ـ هذا لا يكفي . قف عند شجرة الشوك التي تراها هناك .



الدكتور عبد السلام العجيلي

●

كما قلت لك ادر وجهك ... لا تتطلع الينا .

فامتثل البدوي لما طلب اليه ، وسار يجر رجليه الى بقايا شجرة شوك قد تجمع الرمل في اسفلها كثيبا صغيرا . عندئذ قال المعلم كرنيك لمساعده :

ـ مصلح . عندك تنكة لا يزال نصفها مملوءا ماء . انزل بها وضعها على الارض ثم الحقني . اخاف على الرجل ان ينفجر من العطش ومن القهر .

ففعل ذلك مصلح . وحين عاد فأخذ مكانه من جناح الجرار اعطى كرنيك همبرسوميان كل السرعة للمحرك ، الا انه بدلا من ان يسير بدواليب الكوتشوك ، المخيفة ، على الاجساد الضاوية لتلك النعجات ، مر الى جانبهن مسرعا في اتجاهه الى الطريق العام . وانطلقت من الارض العطشى زوبعة لفت كومة النعاج بستار من الغبار كثيف .

وبعد فترة ، ودون ان يلتفت الى الوراء ، سأل المعلم مساعده :

ـ هل ترى البدوي ؟

ـ نعم . النعجات في مكانهن ، لم يتحركن . من اين لهن القوة على الحركة ؟ اما البدوي فاني اراه يركض اليهن . انه يبرك على الارض ... اراه يرفع التراب من الارض ويحشوه على رأسه . المسكين . لو اننا قتلنا النعجات لقتل هو نفسه . عملنا طيبا اننا تركنا له تنكة الماء .

وبدا الطريق العام ، الطريق الذاهب من دير الزور الى حلب ، كشريط اسود يتموج فوقه السراب في الظهيرة . عندئذ القى المعلم كرنيك السيكارة التي كانت بين شفتيه بعيدا .. كان لها في لهاته طعم غبار هذه البادية المحرق ، وقال لمساعده :

ـ اعطني القربة يا مصلح ... احس باني اموت من العطش .

ـ ٢ ـ

المروحة الافقية تدور ، تدور بسرعة ، والمحرك يصم بضجيجه الآذان ، والهيلكوبتير تتجه بتؤدة تشبه البطء لتحوم فوق نهر الفرات . النهر يلتمع عن بعد كشريط من الفضة . وبينما كانت كف الملازم الطيار بدري على عصا القيادة كانت عيناه تتبعان المجرى من الغرب الى الشرق ، وهو يقرب من نظره فيبدو عريضا منسابا في

السهول مرة ، وضيقا محصورا بين ضفتين مرتفعتين مرة اخرى .

لقد قالوا للملازم بدري في القاعدة ، في حلب ، ان عليه ان يساير المجرى ابتداء من النقطة « ن » ، ليستكشف وليقوم بعمليات الانقاذ في الحوائج ، وهي الجزر التي عزلها الفيضان الطاغي عن شاطيء النهر . ولم يكن الملازم بدري بحاجة الى ان يتطلع الى الخريطة ليعرف انه بلغ النقطة « ن » ، فقد كانت منشآت مؤسسة جر مياه حلب على الشاطيء الجنوبي للنهر واضحة . فشغل عينيه بالتطلع الى جمال منظر الارض فيما دونه ، الممتدة بساطا اخضر حتى الافق ، زاهي الخضرة في القرب كامدها في البعد .

كان المنظر رائعا . ولروعة المنظر الذي كان يتأمل فيه الملازم بدري خطرت على باله خطيبته لمياء ... تمنى ان لو كانت الى جانبه لتتمتع بجمال ما تقع عليه في هذه اللحظات عيناه . في سهرة البارحة سألته لمياء عن سرعة الهيلكوبتير بالقياس الى سرعة الطائرة النفاثة . كأنها كانت تتمنى لو ان خطيبها كان قائدة طيارة مطاردة سرعتها تفوق سرعة الصوت . ولكن قائد الطيارة النفاثة هل هو الا آلة من آلاتها ، يكاد يفقد منعكساته الذاتية ونصيبه الانساني من التفكير والتأمل والتمتع ؟ اين لقائد النفاثة، اذا كان على مثل هذا الارتفاع المنخفض ، ان يرى ما يراه هو الآن من جمال الطبيعة في هذا الصباح وان يتمتع به ؟ لو كانت لمياء الى جانبه !... ولكن الذي كان الى جانبه مرافقه المساعد جميل ، فقال له الملازم بدري :

ـ نبدأ بالانخفاض بعد دقيقة واحدة . انتبه .

ـ حاضر سيدي .

وشد المساعد جميل يده على نهاية سلم الانقاذ دون ان يبعد وجهه عن زجاج منفذ النزول . وبدت لاعين الطيار ومساعده مياه الفرات، والهيلكوبتير تنخفض ، لا فضية لامعة كما كانت على البعد بل داكنة قريبة من الحمرة ، تتلاطم امواجها في سيرها السريع فتخدد سطح النهر بالاف آلاف الخطوط المتداخلة فيما بينها . اما الشاطئان فكانا خطين متعرجين يرسمان رؤوسا وخلجانا وتتشعب منهما بطائح وبحيرات تبرز منها ذرى الاشجار وسطوح المنازل الغارقة في الماء حتى فتحات نوافذها .

قال الملازم بدري محدثا مرافقه :

ـ هذه مسكنة على اليمين . وهذا تحتنا جبل البارك الفولاذي الذي تعبر عليه السفينة بين الشاطئين ، في غير هذا الموسم . هل ترى حويجة ما ؟

وادار المساعد راسه في كل الاتجاهات ثم قال :

ـ حويجة ؟ تعني جزيرة ... لا ارى شيئا . ولكن انتظر . هنا تحتنا عنزة . نعم عنزة ، على سطح بيت معزول وسط الماء .

فتناهض الملازم من مقعد القيادة وتطلع الى حيث اشار المساعد .

كان هناك كوخ مستطيل محاط بالماء ، جدرانه من اللبن وسطحه محدب مستور باعواد وتراب . على قمة هذا السطح كانت تقف عنزة ، كذبابة سوداء في طبق المياه اللامتناهي . خفف الملازم بدري من سرعة مطيته وحوم حول الكوخ المعزول ، فأخذت العنزة ـ الذبابة تتحرك في مكانها من السطح الضيق كأن ضجيج الطير المعدني فوقها اثارها ، فقال المساعد جميل :

ـ انها تتململ في مكانها ... حركة اخرى وتسقط في الماء .

قال الطيار :

ـ لا تخف على المعزي . تستطيع واحدتها ان تقف اياما طويلة على رأس غصن مدبب . ما رأيك ... هل ننقذها ؟

قال المساعد :

ـ لو سمحت لي ، انزل وآتيك بها .

فضحك الملازم بدري وقال :

ـ لا اظننا نستطيع ان نكتب هذا في تقرير المهمة. ثم اني لا اظنها في خطر . التيار هنا ليس قويا ، وانما هي زيادة في النهر غمرت البيت . ارى هناك صف اشجار كانها في جزيرة ، لعلنا نجد فيها من هو محتاج الى مساعدتنا اكثر من هذه البهيمة .

وتقدمت الطيارة في اتجاه المجرى آخذة الى اليسار ، الى حيث كانت حويجة في وسط المجرى الام للنهر . من بعيد لم يكن يبدو منها غير قمم اشجار ضاحكة الخضرة ، ثم ظهر ان الاشجار كانت تخفي في شرقيها بيوتا هدم الفيضان بعضها ، وظل منها كوخان سالمين . وكانت تتصاعد من احد الكوخين سحابة دخان خفيفة ، فقال المساعد :

ـ في الاكواخ ناس . وارى نعجات بين البيوت على حافة الماء .

قال الملازم :

ـ وانا ارى دولاب حديد بارزا من الماء . هدم النهر بناء المضخة فلم يبق منها غير دولاب المحرك ظاهرا . هؤلاء بحاجة الينا ...

وبرز من احد الكوخين رجل مشمر الذراعين ، عاري الساقين ، يلف على رأسه كوفية ، زرقاء ، اخذ يشير الى الهيلكوبتير وهي تحوم فوقه وتنخفض . قال الملازم :

ـ اذا كان الرجل وحده لا داعي لان نحط . يستطيع ان يرقى السلم . واذا كان هناك اطفال فان امام الكوخ فسحة تكفينا للنزول .

قال المساعد :

ـ انزل انا اولا .

وفتح المنفذ فادلى السلم ثم انحدر عليه حتى بلغ الارض امام الرجل الذي كان في دهشة فرحة ، يكاد لا يصدق عينيه اذ يرى الجندي

الهابط اليه من الهيلكوبتير ، من السماء . واقترب الرجل من المساعد جميل وصاح بكل صوته ليسمع في ضجيج الطائرة الذي ملأ جو الحويجة :

ـ يا حيا الله ... يا حيا الله !

فرد المساعد :

ـ حياك الله يا اخ ... معك عائلتك ؟

اجاب الرجل :

ـ انا وحدي هنا . العيال ارسلتهم من ايام الى راس العلو . كان معي مصلح ... مصلح العواد ماكينست الموتور . ولكن كما ترى : هدم الطوفان دار الموتور ، ومصلح عبر الفرات في حلة . بقيت وحدي هنا .. انا والنعجات .

واشار الرجل وهو يتكلم الى دولاب المحرك الذي بدا نصفه الاعلى ، فوق المحور ، على حافة الماء القريبة ، ثم الى النعجات الست التي كانت تحرك فكوكها تجتر غذاءها في بلاهة . كانت حافة النهر قريبة والماء ينحت في الشاطيء يأكل منه شيئا فشيئا . كما كان واضحا ان الكوخين والشجرات لم تسلم من الغرق الا لانها في مرتفع من ارض الجزيرة ، وان هذا لن يستمر اذا استمر الفيضان في ازدياد . وصاح المساعد جميل بالرجل :

ـ تعال يا عم . ارسلتنا الدولة لانقاذك . ايش اسمك ؟

ـ اسمي عبد الله .. عبد الله السليمان . الله يحفظ الدولة . تركبني بالطيارة ؟

قال المساعد، وبصوت عال دوما:

ـ نعم . اطلع على السلم يا عبد الله .

ـ انا والنعجات ؟

فضحك المساعد جميل من بلاهة الرجل وقال :

ـ النعجات لا مكان لهن . هذه طيارة لبني آدم . اطلع على السلم .

فهز الرجل راسه اشارة الرفض وقال :

ـ طول الله عمر الدولة . نعجاتي ، لا ارحل بدونها .

صاح المساعد :

ـ انت مجنون . لا تضيع علينا الوقت . اركب معنا والا اخذك الطوفان ، انت ونعجاتك .

فهز الرجل راسه من جديد في اصرار ، وقال :

ـ لو كنت اريد الرحيل بدون النعجات ركبت في الحلة البارحة مع مصلح . خذوها ، اجيء معكم !

قال المساعد :

ـ اي عقل هذا ؟ تخاطر بنفسك من اجل البهائم ؟ واذا زاد النهر وغرقت الحويجة ؟

ـ يدبرها الله . هي بهائم ، ولكنها نعجاتي وانا احبها . رح .. الله معك يا ابن عمي .

ـ فارتقى المساعد جميل السلم محنقا . وحين اخبر الملازم بدري بما يقول الرجل ضحك الطيار ومد راسه يتطلع الى هذا الفلاح العنيد .

قال المساعد :

ـ ما رايك سيدي ؟ انقله لك بالقوة ؟

اجاب الطيار :

ـ ولماذا ؟ هو حر في ما يريد . قمة الجزيرة عالية فيما ارى ، وغدا لنا عودة ، فاذا وجدناه في خطر نزلنا اليه مرة ثانية . ربما غير رايه غدا .

قال المساعد وهو يرى من مكانه في الهيلكوبتير عبد الله السليمان منحنيا على النعجات يلم بعضها الى بعض ، كانه يحضنها بيديه :

ـ لا اظنه يغير رايه . كانه لا يريد ان يفترق عن هذه البهائم الا بالموت . من يصدق هذا ؟

فضرب الملازم بدري بيده اليسرى على اللوحة التي تحمل العدادات امامه وقال :

ـ ربما كان على حق . تصور ان طائرتي هذه مهددة بالضياع ... بالاحتراق ... بالسقوط .. هل تظن انه يرضيني ان يفرق بيني وبينها غير الموت ؟ وهذه كما ترى من معدن وخشب ، فكيف اذا كانت حيوانات اليفة ! الحيوانات مخلوقات لها روح يا مساعد جميل.

وحلقا من جديد طائرين في اتجاه المجرى واعينهما تتطلع الى الشاطئين والى الجزر المبثوثة في النهر . وتمنى الملازم بدري مرة اخرى ان لو كانت لمياء الى جانبه ... مكان المساعد جميل . ولكنه سيلقاها في هذا المساء . سيلقاها وسيحدثها بحديث هذا الفلاح الذي يتحدى النهر الطاغي، يتحدى الطوفان ، وينام في قلب الخطر ، لانه لا يريد ان يفترق عن الروح التي يحبها ... ولو كانت تلك الروح روح بهيمة لا تعقل ولا تعي .

ـ ٣ ـ

كان مصلح العواد مستلقيا على احدى بالات القطن المحزومة والممركة ، في العنبر رقم ٣ في المحلجة . وكان يلوك بين اسنانه عودا يتلهى به عن التدخين الممنوع في العنبر ، وهو يحدث رفاقه عمال الفرز الذين تجمعوا حوله في فترة استراحة الظهيرة .

وفي اثناء الحديث مرت زنوبة قادمة من الباب الخارجي ، فكأنما تسرب شعاع من النور الى العنبر المعتم الذي تملأه غبرة الحليج ، وتوقف مصلح العواد عن الكلام . ثم عبرت زنوبة الباب الداخلي الى عنبر البنات حيث تبدأ نوبتها في العمل ، فعادت العتمة في عين مصلح العواد ، وتسربت من بين اسنانه زفرة اطاحت بالعود الذي كان يتلهى به الى الارض . ولم تلبث الزفرة حتى تركت مكانها لابتسامة اضاءت شفتي مصلح . وقال العامل محمد طربيني احد زملاء مصلح في دوريته :

ـ وكيف يكون لك قلب ان تعبر الفرات وقت الطوفان في طنجرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحاس ؟

قال مصلح :

ـ ليست طنجرة يا ابن عمي ... هي حلة . الحلة قدر كبير مما يستعمله الناس ، على الفرات ، في طعام الولائم . اما رأيت الحلل الكبيرة التي يصنعون بها البرغل في حارة الصفا ، بعد باب النيرب، وانت داخل الى حلب ؟ الحلة التي ركبتها مثلها . طبعا ليس ركوبها امرا هينا ، ولا سيما اذا كان في النهر دوامات الواحدة منها تبلع الجمل . ولكن ماذا تريدني افعل ؟ ابقى في الحويجة مثل المجنون عبد الله السليمان ؟ ما ظل في الحويجة غيري وغيره . ولما هدم الفيضان الجرف واغرق موتور الرستون فما عاد يبين منه الا الدولاب لم يبق لي مقام . اما عبد الله السليمان فقال انه لا يترك الحويجة الا مع نعجاته الست . ذكرني بذلك البدوي الذي طلب منا ، المعلم كرنيك وانا ، ان نعفس نعجاته بالتراكتور لانه لا يريد ان يراهن يتعذبن بالجوع والعطش . هذا وذاك ، كل منهما قال انه يحب نعجاته . الحب شيء عجيب يا جماعة ! حاصله ... كان صعبا ان نحمل معنا بهيمة واحدة في الحلة. اقل حركة منها تفرقنا جميعا . وبقي عبد الله السليمان في الحويجة ، هو ودوابه . تدرون ؟ بعد ان ذهبت انا جاءت طيارة لتنقل من هو محصور في الحويجة فما رضي عبد الله السليمان ان يترك نعجاته للفيضان وحدهن . وحين نزلت المياه وعدت الى موتور الروستون رأيت ان النهر لم يترك من الحويجة مكانا لم يأكله الا بقعة بسعة هذا العنبر ... كان عبد الله السليمان ونعجاته معسكرين فيها . لو استمر الفيضان نهارا آخر لكنا قرأنا فاتحة عبد الله السليمان ...

قال احد العمال الذين كانوا يستمعون لاحاديث مصلح العواد عن ذكرياته وهو معاون سائق تراكتور او ماكنيست لموتور مضخة على نهر الفرات :

ـ احمد الله يا مصلح على انك اصبحت عامل فرز في العنبر رقم ٣ في محلجة القطن هذه .. هنا لا الشمس تشوي جلدك ، ولا النهر يهددك بالفرق . معاشك مضمون ... تستلمه عدا ونقدا مساء كل خميس .

فحبس مصلح تنهدا كان يهم بالانطلاق من صدره ، وقال بدون حماسة :

ـ الحمد لله ... نصيب .

وسكت . في نفسه كان حنين تحرك باستعادة الذكريات التي قصها على اصحابه . حنين الى البادية الفسيحة الغبراء ، والى اعتلائه مقعده فوق التراكتور والسكك الفولاذية وراءه تشق اثلاما عميقة ، والشمس فوقه ترسل اشعتها نارا محرقة . حنين الى النهر المتلاطم الامواج ، والى دقات محرك السقاية وهو يدير المضخة التي تصب الماء العكر في الساقية وتوزعها في مشارات القطن . اما هنا فانه في حبس . جدران المحلجة عالية وعنابرها مظلمة وهواؤها مشحون بالغبار ، ليس كغبار البادية الطلق ، بل غبرة مخنوقة تتجمع فيها اوبار القطن الدقيقة كأنها آلاف آلاف الديدان في ماء راكد عفن . عمل لا يطاق ، وجو لا يطاق ، لولا ... لولا زنوبة !

قام العمال من مجالسهم وتهيأوا للعودة الى العمل ، اذ قربت فترة الراحة على الانتهاء ، وبقي مصلح وحده مسندا ظهره الى البالة . كان في حديث مع نفسه : آه لو كانت زنوبة ذات العينين الضاحكتين والوجنتين الورديتين في وجه مدور ممتلىء ، وذات الصدر الناهد الذي يخطف بصره كلما مرت امامه مستعجلة الى نوبتها في عنبر البنات ... آه لو ان زنوبة هذه كانت معه هناك ! هناك ، وهو معاون على التراكتور مع كرنيك همبرسوميان ، او في الحويجة المعزولة وسط النهر مع عبد الله السليمان ! اذن لتعلق معها بأعلى شجرة من اشجار الحويجة ينعمان بمنظر الطوفان يجرف الاخضر واليابس من تحتهما ، ويتركهما وحيدين بين السماء والماء . سيخطبها ... سيخطبها نعم ، ويتزوجها ، زنوبة هذه ولو حكمت عليه بأن يتنفس الغبرة الخنوقة طول عمره بين جدران المحلجة المرتفعة والمظلمة ، هو ابن البادية الذي لا يطيق الا الفلاة الواسعة ولا تملأ صدره الا الرياح السافية . صحيح ان الحب شيء عجيب يا جماعة ...

وقام مصلح بدوره الى العمل . ما الذي تجديه احلام اليقظة هذه التي يحلمها عن زنوبة ؟ وقبل ان يتفلفل في احشاء العنبر رقم ٣ البعيدة ، المظلمة ، توجه الى الباب الخارجي المفتوح على حوش واسع مملوء بشلول القطن غير المحلوج ، مدثرة بالقماش المشمع ، وملأ رئتيه بنفس عميق . كأن ابن البادية الشاسعة الابعاد والنهر الفجارف المتلاطم الامواه كان بهذا النفس يودع الهواء المشبع حرية وضوءا قبل ان يدخل جو المعمل ، جو المدينة الضيق ، حيث الراتب المقطوع والغد المرسوم سلفا ... حيث لا جدب ولا طوفان ، ولا فضاء طلق ولا بواد حرة ... وحيث الهواء المشبع بنسائل القطن تتلوى كالديدان في المستنقعات الآسنة ، والنور المتسلل خيوطا دقيقة الى الجو المعتم بالجدران العالية من الاحجار ومن الانظمة الدقيقة ... وحيث زنوبة !

الرقة ـ سورية عبد السلام العجيلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجليـد

★

لا الخمـر ترويـــه ولا السـهر ظمـأ كـــأن حـدوده القـدر
داويته فضجرت مـــن جلـدي وتركتـــه فاجتاحنـي الضجـر
حيـــران لا أدري بـــأي يـــد تتمـــزق الرؤيـــا وتنتشـــر
وتمـوت أشبـاح علـى صـور وتطـل مـن أشباحهـا الصـور

* * *

تلـــك الحنايـا فـــي معارجها أشيـاء تعيـــا دونهـــا الفكـر
حاولتهـا فوقعـت فـــي ابـد لا السمع يوسعـــه ولا البصـر
واد كوادي الظـــن ، منحـــدر يهوي بـــه فـــي الظن منحدر
دوى الفـــراع فكيـف امـــلأه ورسا الجليـد فكيف انصهـــر
والنفس غرقى فـــي مضايقهـا فكأنني فـــي قاعهـــا حجـــر

* * *

جمـح الخيال وغـــار غورتـه وسرى الحداء فقلت ما الخبر ؟
او تشتهـي الامـواه رقتهـا او تشتهي افياءهـا الشجـــر ؟
تلـــك الغمامة أيـــن منزلهـا ؟ تلـــك الخميرة أيـن تختمـر ؟
تتخبـــأ الالحان فـــي اذنـــي حتـــى يفتـق صمتها الوتـــر
هـــدأ الحنين فقلت : واعجبي ما الهمس، ما الانفاس، ما السمر
أترعت قلبـــي مـــن مجامـره وهجا فاخبي وهجـــه الحـذر
جسدي ويـــا للسر فـي جسد يفنـــى ولا يفنـى بـــه الشرر
ريـــان فـــي التحنان غصتـه عطشان يـروي جرحـه النظـر
والثلـــج نـــار ليـس يطفئهـا الا لهيـــب النـــار ينتشـــر

* * *

طـــال الطريق وطالت الحفـــر ونأى بنـــا فـــي المنتهى السفر
وترنحت فـــي البـــال قافلـة ضاعت وضاع الحـــدو والاثـر

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ندره حداد

بقلم شكر الله الجر

* * *

نجم من نجوم الرابطة القلمية في اميركا الشمالية وشاعر من المع شعرائها . وبعد سنين مثقلة باعباء الحياة والدنيا ، نفض قدميه من غبار الارض وراح يحلق على اجنحة قوافيه فحط في اعتاب جنةالشعر ينتظر الدخول اليها ، فقيل له : « ان الشاعر الذي لا اثر للمراة والخمرة في شعره لا يدخل جنة الشعر » ! فبكى المسكين وشل بيانه وارتجف عكازه في يده ..

ولكن كواحد كان من صفوة المرتلين في هيكل الفن الجبراني الاكبر .. ترفقوا به فادخلوه وطالما سمعوه وهو على الارض يصلي صلاته ويشكو الى الله شكاته .

ذهب الشباب وكل بهجته فالعيش بعد ذهابه مر
ورياضنا ذبلت ازاهرها والروض دون ازاهر قفر
لا عودة يا نفس ناملها وامامنا درب المنى وعر
يا ويح اهل الشعر كم شبعوا جوعا وكم سكروا ولا خمر
لم يبق الا الشعر نسكبه دمعا الى ان ينتهي العمر

تمشي عيونك في ديوان « اوراق الخريف » لندره **حداد فتقف من قصائده على جداول** بلورية من روحه الصافية وكأنك تمشي في غابة من شجر الياسمين او حديقة من زهور البنفسج . فقد اكتفى الشاعر عن سائر الالوان في الشعر ببياض الصباح في الياسمين وكآبة المساء في البنفسج الحزين . فهو شاعر لا يعرف عربدة الكؤوس على موائد الشراب ولا صهيل الشهوات في اقبية الليل وقلما ترى شاعرا خلا ديوانه من المراة والخمرة كهذا الشاعر واذا لمحنا لهما ظلا في شعره فكما يمر خيال الفراشة فوق الربيع .

خرج شاعرنا ندره من مقاصب العاصي فتى طري العود ونزل على ضفاف الهدسن وبين خمائله الوارفة واطياره الهازجة اخضل عذاره وغرد هزاره فراح يسمعنا من انغامه في دنياه الجديدة الطف الاحاسيس واشجاها. شانه في ذلك شأن زميله رشيد ايوب في تنهدات قلبه وصفاء لغته . وكلاهما من اعضاء الرابطة القلمية التي كان شعارها بساطة التعبير في الاعراب عن خوالج النفس وفي مذهبها ان الشعر هو اغنية الحياة وجد بوجودها وعلى مقدار صفائها يكون صفاء الشعر وجماله ومدى تأثيره .

يا نفس ليس الناس الا تائهين ببادية
متفرقين مضوا وكل منهم في ناحيه
هذا فتى ذو همة يدني الاماني القاصيه
هذا يلذ له الركوض هوى وراء الفانيه
هذا تطيب له السهول وذاك يهوى الرابيه
وسينتهون كما انتهى الشعراء عند القافيه

وهنا لا بد لنا من كلمة نقولها في الرابطة القلمية أولى منائر الادب المشعة وراء البحار امتد نورها الى سماء هذا الشرق فبددت الكثير من غياهب الادب التقليدي في جوه فكرة واسلوبا . اذ كانت وحدها يومذاك حربا على القديم العقيم ، وانقلابا خطيرا في دولته ، تناول تأثيرها الناشئة في سائر الاقطار الناطقة بالضاد . وفي طليعتها البلاد التونسية ، فما لبثت ان اطلعت لنا من وراء نخيلها ومروجها الخضراء شعراء نغموا انغام الرابطة وفكروا تفكيرها . وانك لتقرأ لابو القاسم الشابي مقاطع من الشعر تشتعل اطرافها بالفكرة الجبرانية خيالا وحكمة كما تشتعل بالكآبة والوحشة .

فلا الجو يحمل ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر

وقوله :

وتظل ترقص في جوار الموت افراح الحياة

ويصفي ابو شابي الى جبران عندما يقول :

« انا غريب عن هذا العالم وفي الغربة وحشة قاسية .. »

فاذا به يثور ويصيح عن ألم مكبوت في زوايا القلب :

يا صميم الحياة كم انا في الدنيا غريب اشقى بغربة نفسي
بين قوم لا يفهمون اناشيد فؤادي ولا معاني بؤسي

وله صورة جميلة عن الشاعر مع الناس وهي نزوة جبرانية طافية :

جهل الناس روحه واغانيه فساموا شعوره سوم بخس

وانه ليطربنا حقا هذا التأثير الشامل بالادب الجبراني خاصة وادب الرابطة القلمية عامة ثم ادب العصبة الاندلسية في البرازيل . لعلمنا ان توحيد المشاعر عن طريق الادب بين افراد الناشئة العربية هو خطوةواسعة المدى في توحيد سواه من المشاعروالعواطف والاهداف .

واذا قدر في الغد القريب لهذه الشعوب العربية المنتشرة على شواطىء المتوسط ان تتقارب وتتوحد على ضوء التفاهم والعمل المشترك فيكون الفضل ولا مشاحة عائدا الى وحدة شعورها الادبي والثقافي .. وهي من هذه الوجهة مدينة لتلك الحفنة من الادباء المغتربين وقد تسرب شعاعهم الى كل زاوية من زوايا العرب . فمن مقالاتهم وقصائدهم الوطنية ، الى الرومنسية الى شعر الحنين والغزل والفلسفة الى كل شأن عالجته اقلامهم من شؤون الحياة مما شاع في دنيا العرب فنور ارجاءها . والنفس العربية اشد النفوس تحمسا للشعر واهتزازا للقوافي ولا غروبذلك فلشعراء المهجر مبتكراتهم اللطيفة واساليبهم الجذابة تفتحت ورودا على خدود الصحراء وانهمرت رذاذا منعشا على تربتها . واليك ايها

القارىء الكريم هذه الابيات لشاعرنا ندره حداد . يعاتب فيها الزمان ابناءه العاتبين ابدا عليه . وفيها لون من الوان الشعر المهجري الشيق الجديد .

في ليلة غاب عن جفوني ... ألذ ما تشتهي الجفون
ذكرت قومي وحظ قومي ... فاستيقظ الشوق والحنين
رأيتني مبعدا واهلي ... عمن يحبون مبعدين
فرحت اشكو الزمان جبرا ... كأنه الغادر الخؤون

وهنا تلفت الزمان الى الشاعر وقال له معاتبا :

اكلما ساء حظكم يا بني الدنيا رحتم تعاتبون الزمان وتذمونه .. لا لا ايها الشاعر الاحمق انكم لمسؤولون عن انفسكم ولا بد للزمان بشؤونكم .

كل امرىء في الحياة رهن ... بما يسويه من مصير
لا يستوي خامل كسول ... وطامع حازم جسور
اكلما ساء حظكم ... قذفتموني بما يثير ؟

كم غادة في الشباب كانت ... رائجة أيما رواج
ابطرها الحسن فاستخفت ... بعاقل يطلب الزواج
مرت عليها السنون حتى ... تغير الوجه والمزاج
فاصبحت عانسا بقلب ... غادره الزهو والابتهاج
تطلب مني لها علاجا ... ومن اين لي ذلك العلاج

الى آخر ما في القصيدة من الوان العتاب والشكوى.

اجل لقد كان للبوق الذي نفخ فيه ادباؤنا في الشمال منذ خمسين سنة دويه المستحب . ولعل بعدهم عن اوطانهم واحتجاجهم وراء ضباب الغربة هو ما ضاعف من قوة صوتهم وزاد بتأثيرهم في نفس الناشئة العربية ، ناهيك بالبلد الذي اتفق وجودهم فيه ، وهو نيويورك ذلك البحر المزبد العجاج .. تتلاطم على شواطئه امواج الثقافات العالمية وتتوزع منه خلجات الباطنها على الشعوب في عصر اصبحت فيه الانسانية وطنا واحدا للانسان مما يحتم على اديب اليوم ان يكون اشمل شعورا واعمق ادراكا واوثق اتصالا بالاسرة البشرية .

لقد هيأت الرابطة القلمية في عهدها الطريق الى شعراء اليوم فعلى هؤلاء ان يهيئوا طريقا اوسع لشعراء الغد لا سيما وجو الشرق العربي يكتظ بالتطورات ، وجو الانسانية ينذر بالمفاجئات ناهيك بتمخضات فكرية وعلمية تنبىء بولادة كون جديد يفرض على ادبائه ان يكونوا على مستواه .

ويسرني ان اقدم الى القارىء الكريم في ختام كلمتي عن الشاعر ندره حداد هذا الدستور التربوي في ابيات من خالص الشعر قال رحمه الله :

يا من يفاخر بالجدود ... كفى افتخارا بالجدود
ما الفخر بالنسب القديم ... ولو بهارون الرشيد
ما الفخر في فرط الغنى ... والسعي في جمع النقود
ما الفخر في سهر الليالي ... بين قانون وعود
الفخر كل الفخر في ... التهذيب والعلم المفيد
والعز كل العز في ... ادب الفتى منذ المهود
اليوم يفتخر الانام ... بكل مبتكر جديد
هذا زمان للنهوض ... فقد مضى عهد الجمود
علم صغارك ان يعيشوا ... في الحياة بلا قيود
علمهم الا يخافوا الموت ... في سبل الصعود
فالمهد فاتحة الردى ... واللحد فاتحة الخلود

جبيل ـ لبنان — شكرالله الجر

صراع

مثل الملايين العديده
أترقب البشرى السعيده
واغير الاثواب .. اختار الموشاه الجديدة
لا يشغل القلب الخلي سوى اماني زهيده
بيت واطفال وزوج ، قد تشاغل بالجريده
واروح احفظ غنوة واعيدها وانا وحيده
والحب مقسوم تخبئه لياليا العنيده
وغداسيجمعنا الفرام .. وقصة تحكى فريده

يا للتفاهة اذ أفكر في الصغير من الامور
وبكم غدا سعر الخضار وما أجهز للفطور
وانظف الشباك ، أصلح من ملاءات السرير
أين الطموح واين احلام التفوق والظهور
والشعر يلهب جذوتي عند الضياع فاستنير
واروح فوق الشوك اعدو ، ما سئمت من المسير
وانا أرى قمم النجاح ، وغاية الحلم الكبير

كم كنت أهزأ بالمتاعب ، بالعراقيل الجسام
ولكم قضيت الليل أقرأ في الصحائف لا أنام
ومضى الزمان وجاء وقت ليس فيه سوى المنام
ويكاد يقتلني الفراغ ، واستفيث من السقام

ربي لماذا صفتني نفسا جموحا شاعره
وجعلت دربي شائكا يدمي خطاي العاثره
وتركتني بين المتاعب والاماني الحائره
الشوق يلهب جذوتي بلظى الجمار الفائره

القاهرة — اخلاص فخري عماره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

اثر الاندلس في الحركة العلمية بمصر

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

حفظت مصر الثقافة العربية بعد سقوط بغداد اذ كان النصر السياسي الذي اكتسبه المماليك بعد موقعة عين جالوت مدعاة الى هجرة كثير من العلماء من شتى الاماكن شرقية وغربية الى القاهرة ، لان قيام الخلافة العباسية بها ـ ولو على وجه صوري ـ قد جعلها تأخذ مكان عاصمة الرشيد ، فيهرع اليها الناس من كل حدب ، وقد وجد العلماء من رعاية السلاطين ما بعث فيهم الرضا والحمد ، ففي كل حي مسجد، ولكل مسجد اوقاف واحباس ، وله مدرسون وطلاب ، وكتب واوراق، وكتب التاريخ تحصى هذه المساجد ذات الصبغة العلمية والدينية معا، وتفيض في ذكر من يدرسون العلم بها على اختلاف فروعه من فقه وتفسير وحديث ونحو وصرف وبلاغة واصول وقراءات ومنطق ، كما تتحدث عن مشاهير العلماء من أئمة القول في الدين واللغة ، ومنهم الفزنوي والصقلي والمصري والمدني والعراقي والآمدي والاربلي والمقدسي والشامي والخراساني والمغربي والطوسي والنابلسي تعرفهم بأسمائهم كما تعرفهم بلهجاتهم وطباعهم الا انهم في نظر الحكومة المصرية اذ ذاك علماء مسلمون يؤدون اشرف واجب في اطهر مكان ، لهم واجب الرعاية والاجلال وبهم تزدهر المعرفة ويستنير الطلاب !

وقد كانت الاندلس احد هذه الجداول التي تصب في محيط القاهرة ، اذ كانت الرحلة من المغرب الى المشرق لا تكاد تنقطع ، وفي الراحلين من يرتشف ويرجع ومنهم من يؤثر البقاء حيث يستريح ، وقارىء نفح الطيب يقف على كثير من تراجم هؤلاء النازحين ، وهم من الكثرة بحيث يسجلون اعترافا صارخا بعلم المشرق واستاذيته ، ويطول بنا القول لو عرضنا لاشهر مشاهيرهم فضلا عن عامتهم ، ولم تكن الرحلة الى مصر والاقامة بها مقصورة على عهد السلاطين من المماليك بل كانت من يوم ان فتحت الاندلس ولكن العصر المملوكي بالذات قد كتب له ان يشهد مغرب الاندلس وما سبقه من ارهاصات منذرة توحي بالكارثة المتوقعة ، فدعا ذلك الى ضرورة الرحلة وجذب علماء الاندلس الى مصر ، فلاقوا رحبا فسيحا وسهلا مريحا ، ووجدوا اهلا باهل واخوانا باخوان .. ولئن اكتفى بعض هؤلاء بالاقامة في دمشق دون مصر فقد كانت مؤلفاتهم تطير الى القاهرة سريعا لتلقي نصيبها من الرواج فهم عنها غير بعيد كابن مالك ومحيي الدين ، واذا كانت الثقافة الاسلامية متقاربة متشابهة تأخذ منحى واحد في التاليف والصياغة وبخاصة في عصور التقليد والمحاكاة ـ الا ما ندر من افذاذ امائل يعدون عدا ـ فقد يصعب علينا ان نبرز تاثير الاندلسيين في الثقافة العربية المصرية اذ ان مؤلفاتهم في الاعم الاغلب نسخ متشابهة من مؤلفات اخوانهم سواء من رحلوا مصر من المشرق او من رحلوا اليها من المغرب ، ولكننا على الرغم من ذلك كله نلمس تاثير الاندلسيين بارزا في فروع خاصة من فروع الثقافة العربية اذ ذاك لان جهدهم كان من الذيوع والاشتهار بحيث يدل على نفسه ، وقد رزق من الحظوة والاقبال ما جعله بارزا جهيرا يشير بتاثيره ، واذا كان هؤلاء الراحلون الفضلاء قد كتبوا في كل علم تقريبا ، فان من هذه العلوم ما تاثر بتآليفهم تاثرا واضحا بل منها ما كاد ان يصبح وقفا على دراساتهم ، هم أهله واصحابه ، ولا يستغرب القارىء ذلك، فعلم القراءات مثلا يكاد يكون اندلسيا اذا نظرنا الى الكتب التي سبقت الى تسجيله ، ثم افاضت في شرحه ، وسنبدأ بايضاح ذلك فنقول ...

لئن كانت القراءات سبعا او عشرا مشرقية ، فان التاليف فيها لم ياخذ سبيلا علميا ممتدا على نهج شارح الا عند الاندلسيين، وسبب ذلك ان بعض جنود المنصور بن ابي عامر كان مثقفا عالما بالقراءات ثم ولي امارة داينة والجزائر الشرقية فبذل جهده في نشر هذا العلم تقربا الى الله واشباعا لرغبته العلمية فنفقت لديه سوق القراءة ـ كما يقول ابن خلدون ص ٤٣٧ من المقدمة ـ وظهر لعهده افذاذ دونوا العلم على نطاق شامل ، بحيث تضاءل جواره ما سبق ان كتب عنه شرقا وغربا ، وابرز هؤلاء الافذاذ هو الامام ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني صاحب كتاب « التيسير » وقد كان شيخ مشايخ المقرئين بالاندلس رحل الى المشرق وتخصص في العلوم الدينية اذ الف في الحديث والفقه والتفسير والقراءات تاركا مائة وعشرين مصنفا كما يقول مؤرخوه ، واحدها كتاب التيسير في القراءات السبع وقد نشره العلامة « برتزل » احد اعضاء لجنة النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية سنة ١٩٣٤ ، وصدره بمقدمة جيدة اشار فيها الى منزلة علم القراءات من العربية والاسلامية ! وهي منزلة عالية نحتاج اليوم الى تاكيدها اذ وقر في اذهان بعض المثقفين لدينا في هذا العصر ان هذا العلم وقف على بعض المنقطعين لتلاوة القرآن فقط ، وفيهم أميون حفظوه دون ان يفهموه ! وهذا خطأ واضح ، لان علم القراءات في العربية هو علم الالقاء في معاهد اوربا يتحدث عن مخارج الحروف ومميزات الاصوات ووسائل النطق الصحيح ! ولو قدر له ان يأخذ دوره الطبيعي في التطور لاصبح ذا اثر هام في اعداد الخطباء والمذيعين بعد ان توضع الخصائص المميزة للترتيل والتلاوة فيما يختص بالقرآن ، فلا نشكو اليوم ممن يميلون بالحروف عن مواضعها جاهلين او متجاهلين ! بل ان الازهر نفسه هو وراث علم القراءات لا يضعها الموضع المناسب ، اذ جعل قسم القراءات وهو ملحق بكلية الدراسات العربية لا يستمد طلابه من حملة الثانوية الازهرية بل ممن يحفظون القرآن من العامة ، واكثرهم لا يعرف شيئا ما عن قواعد النحو والتصريف ، واكبر الظن انهم يكتفون هناك بحفظ الشاطبية مع الاشارة الى بعض رموزها .. اما الاستاذ برتزل المستشرق الالماني فيرى لعلم القراءات من الخطر ما وضحه بقوله في مقدمة الكتاب ـ بتصرف ـ .

« ان البحث في مخارج الحروف والاهتمام بضبطها على وجهها

الصحيح لتتيسر تلاوة القرآن على أفصح وجه وأبينه كان من ابلغ العوامل في عناية الامة بدقائق اللغة العربية الفصحى واسرارها ، وكان ثمرة هذا الاجتهاد ان القراء تشربوا مزايا اللغة العربية وقواعدها ودقائقها ، ومما يؤيد ذلك ان الكثيرين من قدماء النحويين كانوا مبرزين في علم القراءة كما كان الكثيرون من ائمة القراء كأبي عمرو والكسائي بارعين في علم النحو ، فعلى كل من يتصدى للنظر في تاريخ اللغة العربية ودرس المسائل التي تتناولها كتب النحويين واللغويين والمفسرين ان يتتبع علم القراءة والتجويد ، ومن شرع في درس معاني القرآن واستقصاء لطائفه واستخراج حقائقه ثم اعتمد على القراءة الوحيدة التي يجدها امامه دون التفات الى غيرها فقد أغفل أمرا ذا بال » .

اصبحت الاندلس اذن مركزا اساسيا لدراسة القراءات في ديار الاسلام ، ونشأ من ابنائها من سبقوا الى التاليف فيها عن دراية واحكام حتى نبغ القاسم بن فهيره بن خلف الشاطبي وكان كفيفا منذ مولده فانصرف الى دراسة القراءات مع غيرها من علوم النحو واللغة والادب وكان قوي الحافظة لدرجة تستغرب بحيث اصبح يصحح النسخ المكتوبة من الموطأ والبخاري ومسلم اذ تليت عليه من حفظه ، ثم يعقبها بشروح وافية واثقة ، وكان عزيز النفس بعيد الهمة عرضت عليه الخطابة بالمسجد الجامع في بلدته فانف وتأبى ، لان الحكام يلزمونه مديح الملوك والرؤساء في الخطبة الثانية وهم ظلمة لا يجوز ان يذكروا بالخير في مثل هذا الموقف الجليل ، فاظهر الرغبة في الحج، ونزح الى مصر ، وسمع بالاسكندرية على الحافظ السلفي ثم عين للاقراء في مدرسة القاضي الفاضل بالقاهرة ، وتصدر لدراسة القراءات والنحو واللغة فبلغ شأوا بعيدا من العظمة والمهابة حتى كان الناس يزدحمون في حلقته ازدحاما يصل الى التشابك والتناحر حرصا على الدنو من مكانه ! وقد ترك فيما ترك منظومته الشاطبية التي يتناقلها الناس الى الان مكبرين مرددين وقد قال عنها ابن خلكان: لقد ابدع فيها كل الابداع ، وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم ولا يشتغل بالقرارات احد حتى يحفظها .. وقد ظلت كذلك من عهد ابن خلكان الى وقتنا ، حتى رأينا اكثر قراء الريف المصري يحفظونها ويسعون جاهدين الى من يفك رموزها ، ويوضح مغاليقها ، ومنذ الف الشاطبي منظومته وهي عمدة التاليف في هذا الفن وقد كتبت عليها شروح مستفيضة على توالي العصور نذكر هنا بعضها لنشير الى اثر هذا الاندلسي الجهير في ازدهار هذا العلم وانتشاره ، فأول من شرحها تلميذه ابو الحسن السخاوي بشرح اسماه فتح الوصيد في شرح القصيد ، ثم ابو شامة المقدسي في كتابه ابراز المعاني وبرهان الدين الجعبري في مؤلفه كنز المعاني وشروح اخرى لشهاب الدين بن عبد الدائم الحلبي وجلال الدين السيوطي وشهاب الدين القسطلاني ونفر غيرهم لا يحصون ، اشار الى بعضهم حاجي خليفة في كشف الظنون !

كما قام باختصارها ابن مالك النحوي في قصيدته حوز المعاني في اختصار حرز الاماني وقام باكمالها احمد بن علي المحلي شيخ القراء بالقاهرة وغيره من المشاهير فاذا قلنا ان علم القراءات كاد ان يكون اندلسيا وان اثر الشاطبي بمصر في هذا الفن كان من الخلود والذيوع بالمحل الاول لم نكن مبعدين .

وتذكرنا منظومة الشاطبي باخت لها في النحو والصرف نالت شهرتها الذائعة في بابها وهي الفية ابن مالك الاندلسي المسماة بالخلاصة ! فقد كان لها من التاثير العلمي منذ العصر المملوكي الى هذا الوقت ما لم يتح لمؤلف نحوي اخر ، ولم يكن ابن مالك مجددا في علمه ، ولكنه ضابط ومقيد وشارح ، لان كتاب سيبويه في النحو لم يجد من ائمة النحاة بعده من يشغل باله بمعارضته ، بل أصبح اماما يرجع اليه ، وهاديا يستنار به ، وقصارى المؤلفين من لدنه ان يلموا بموضوعه او يشرحوا غوامضه ويفصلوا مجمله ! وقد عرف باسم (الكتاب) لجلاله ! وكان يقال لمن درسه لقد ركبت البحر استعظاما واجلالا ، وقد رحل ابن مالك من الاندلس الى دمشق وهي يومئذ تحت سلطنة المماليك فسمع الحديث بها واخذ العربية عن غير واحد واعتمد في قراءة كتب الاقدمين على نفسه ، وهذا مما عيره به منافسه ابو حيان الاندلسي نزيل مصر أيضا وصاحب التآليف الذائعة الجهيرة في النحو والتفسير واللغة والقراءات ! وقد الف ابن مالك كثيرا ، وعارض الشاطبي بمنظومة في القراءات قال فيها :

ولا بد من نظمي قوافي تحتوي ... لما قد حوى حرز الاماني وازيدا

فمن بين مؤلفاته الفوائد والتسهيل وسبك المنظوم وشرح مقدمة الجزولي وشرح المفصل ، وعدة اللاحظ والتعريف وشواهد التوضيح لمفصلات الجامع الصحيح ومن بين منظوماته الكافية الشافية في ثلاثة آلاف بيت ، ونظم الفوائد ونظم لامية الافعال والاعلام في مثلث الكلام! أما منظومته الخالدة فهي الخلاصة المعروفة بالالفية ، فقد أذاعت ذكر ابن مالك على مدى الاحقاب وخدمت بالشروح والحواشي والتقريرات! ولذلك كان تأثيرها العلمي بارزا يذكر للاندلس ، وقد يكون لغير ابن مالك من مؤلفي المتون النحوية نظما ونثرا افضل منها ، ولكن البحث هنا عن الاثر والتاثير ، والثابت المشاهد ان ألفية بن مالك تركت دويا صاخبا في دنيا الشروح والتآليف لم يتركه متن نحوي آخر ، ومن شراحها السيوطي وابن الناظم وابن عقيل وابن هشام وابن الصائغ واكمل الدين البابرتي ، وناظر الجيش الحلبي وعبد الرحيم الاسنوي! هذا غير الحواشي المستفيضة التي كتبت على كل شرح والتقريرات الهامة التي ألحقت بكل حاشية ! وكلها تدور حول الفية بن مالك ! وقد نظمت ألفيات اخرى لغير ابن مالك ولكن لم تحظ بمنزلتها ، وربما كان لوضوح الخلاصة وسهولة صياغاتها اثر في ذلك ، ولكننا نرى منظومات ابن مالك الاخرى تشاركها هذا الوضوح ولم تحظ بمعشار ما حظيت به هما يدل على ان الاشتهار حظ مقسوم ، ولئن كان الشاطبي وابن مالك كلاهما محافظ يقلد في تاليفه ، وناقل صائغ في نظمه فاننا لا نبحث هنا عن الابتكار ، ولكن نشير الى التاثير وقد بلغت مؤلفاتهما التقليدية في مجال التاثير والسيطرة ما لم تبلغه مؤلفات المجددين من امثال ابن مضاء ! فوجب ان نشير الى دورهما الكبير في الثقافة العربية فلا نبخس احدا فضله في ميزان التقدير .

واذا ذكر تاثير الاندلس في مجال ما من مجالات التاليف العلمي بالعصر المملوكي وما لابسه من قبل ومن بعد ، فلا بد ان يذكر التصوف ، اذ ان الاندلس قد أمدت المشرق بنفر كبير من اعلام المتصوفين قادوا حركات روحية واسعة ، وشقوا شعابا رحيبة ، وتركوا مذاهب وآراء ومؤلفات ، بل ان بلدة واحدة بالاندلس هي مرسية امدت الشرق بأفذاذ المتصوفين الذين رحلوا اليه فشغلوا به وشغلوه ، وحسب مرسية ان يكون من نجبائها ابو العباس المرسي ومحيي الدين بن عربي ، وابن سبعين ! وكل واحد من هؤلاء أمة واحدة ! ومن الطريف ان اثر أبي العباس في مصر كان مضادا من وجهته الصوفية لاثر محيي الدين بن عربي ، ولكن كليهما قاد جماعة وجدد دراسة وحدد اتجاها ، واحدث تاثيرا ، ولايضاح ذلك عن ابي العباس المرسي نذكر انه كان تلميذ أبي الحسن الشاذلي وترجمان أفكاره ، وجامع صحابه ، واستاذ حلقته ، وخليفته من بعده ! لم يترك ابو العباس مؤلفات قائمة بذاتها ، ولكنه ترك اقوالا تنبيء عن معدنه ! وقد جاء دوره بعد ان عمت آراء الغزالي في التصوف واصبح الفقهاء من أهل السنة متصوفين بعد ان كانوا حربا على الصوفية ! وصار الاحياء كتاب تصوف اخلاقي يهدي السبيل الى الله بعيدا عن شحطات الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ! يقول صاحب نفح الطيب عن ابي العباس ان قبره بالاسكندرية مشهور باجابة الدعاء وقد زرته مرارا كثيرة ودعوت الله عنده بما ارجو قبوله ! ولو رجع المقري اليوم

الى الحياة لوجد مسجد أبي العباس أعظم مسجد بالاسكندرية ولشاهد من تعظيمه وتبجيله في القرن الرابع عشر الهجري ما شاهد قبل ذلك حين التمس القبول لديه !! وقد ظهر أثر أبي العباس العلمي في مجالسه الوعظية من ناحية وفي مؤلفات تلميذه الكبير ابن عطاء الله السكندري من ناحية ، اما مجالس وعظه فما حفظ لنا المقري منها في نفح الطيب يدل على ذوقه ولطافة حسه . وقد شرب التلميذ ابن عطاء الله السكندري من روح استاذه ، واصبح من المتفسر الشديد تمييز كلا الانتاجين ونسبته الى واحد منهما ! وقد احدثت حكم ابن عطاء الله دويها الشديد فكانت مجال الشرح والتفسير والدراسة منذ تأليفها الى الان ، حتى كان المفتي الاكبر الشيخ محمد بخيت المطيعي يلقي دروسه بجامع الحسين في رمضان شارحا لها ومفسرا ، هكذا يقول الدكتور زكي مبارك في التصوف الاسلامي ، والشيخ بخيت فقيه كبير يحفظ اقوال الفقهاء في مذهب ابي حنيفة ولكنه كما تشهد مؤلفاته لم يكن ممن يستطيعون السبح مع ابن عطاء فكيف جاز له ان يتخذ من حكمه مجالا للدراسة والتفسير ! من يدري لعله اعتمد على شرح الرندي او الشرقاوي او ابن عجيبة او احد شروح الحكم وهي كثيرات مختلفات !

لقد كان من آثار ابي العباس وتلميذه ابن عطاء بعد الغزالي ان أصبح علماء الفقه ينتسبون الى طريقة صوفية يحرصون على ذكرها عند التعريف بهم ، فيقولون مثلا فلان المغربي المالكي الاشعري الشاذلي ! ومعنى ذلك ان الطريقة الصوفية وجدت اتباعها من بين اعلام الفقه والتشريع ! بل ان كثيرا منهم من يتحدث في مؤلفاته الفقهية عن العبادات والمعاملات والحدود ثم يختمها بابواب صوفية تتصل بالمريد وآداب السلوك !! وقد ظل ذلك متداولا حتى العصر الحاضر اذ رأينا الشيخ محمد امين الكردي النقشبندي سنة ١٩٠٨ يكتب مؤلفه تنوير القلوب فيفرد للتصوف صفحات تؤاخي صفحات على التوحيد وفصول العبادات والمعاملات ! وهذا امتداد بعيد لتأثير الغزالي وابي العباس اما محيي الدين بن عربي فقد احدث تأثيره الصوفي في الدراسات المملوكية بآرائه المتأثرة في وحدة الوجود اذ أن تصوفه الفلسفي قد قاده الى مضايق حرجة تهتف بالثوائر ان تهب على عقيدته ! فأفردت مؤلفات كثيرة لشرح افكاره ما بين مؤيدة ومعارضة ! ومات الرجل والصخب لا يكاد ينقطع حوله في كل قرن ، حتى اضطر الشعراني ان يحذف من كتبه فصولا كثيرة يعتقد انها مدسوسة عليه لانها لا توافق ما عليه أهل السنة والجماعة من المسلمين ! ومن المسلم به انه على اختلاف القوم في اتجاهه قد امتع التصوف بادب فذ فريد حتى قال عنه الدكتور زكي مبارك في التصوف حـ ١ ص ١٧٩ « انه راض اللغة على الجري في شعاب مجهولة وانطلق يتحدث عن فروض غيبية جلاها قلمه في معارض شائقة فاصبحت وكأنها من الحديث المأنوس ! لقد هضم كل ما قرأ ووعى كل ما سمع ، وراح يهدر في لغة قوية عاتية لا يعيبها غير ما كان يقصد اليه احيانا من الغموض » .

لقد ظل العصر المملوكي مشغولا بابن عربي ، فالفتاوى توجه للفقهاء عن معتقده ، والمؤلفون يخطون الكتب في نقده تارة وفي الدفاع عنه تارة ، واظهر من حمل لواء الدفاع عنه سراج الدين البلقيني وجلال الدين السيوطي وعبد الوهاب الشعراني .

ولا بد من كلمة في مجال تفسير القرآن ، عن مؤلف اندلسي هام كان فريدا في اتجاهه اذ ان التفسيرات الذائعة لعهده وما وليه لم تكن على غراره ، كان هناك مجلدات تفسيرية بعضها مطبوع واكثرها مخطوط لابن عربي والعز بن عبد السلام وابن ظفر الصقلي وسبط بن الجوزي وناصر الدين الجزامي والقفطي وابن كثير والعليمي ولكنها لا تغني غناء تفسير القرطبي ! اذ كان ذا منحى خاص يضيف الاقوال الى قائليها ويضرب عن كثير من قصص المفسرين واخبار المؤرخين ويفصل آيات الاحكام تفصيلا شافيا ويوضحها بمسائل تسفر عن معناها وترشد الطالب الى مقتضاها في اسلوب سلس لا يصدمك بالاصطلاحات العلمية او التخريجات النحوية والصرفية او التمحلات البلاغية مما يغشي البيان القرآني بضباب يحول دون اجتلائه اشباعا لرغبة مفسر قارىء بحاث ! وهو لا ينقل نصا ما دون مناقشته كاشفا وجوه القول عما يجوز للمفسر ان يبديه من الرأي المؤيد بالحجة وما لا يجوز ان يتعرض له من الفروض والتأويلات القاصية، ذاكرا ـ ما دعت الحاجة ـ نصوصا وافية من احاديث الرسول واقوال الصحابة ومشيخة التابعين وائمة الرأي في الاسلام ، وقد بدأ تفسيره بأبواب يراها ضرورية تتحدث عن فضائل القرآن وكيفيه التلاوة وما يكره منها وما يحرم ، وجمع القرآن وترتيبه والقراءات السبع ومصحف عثمان ! ولعل دار الكتب المصرية لمست الحاجة اليه في هذا العصر فبدأت بنشره مطبوعا في اجزاء قدر لها ان تبلغ السادسة والعشرين ، وقارئه المعاصر لا يشعر انه يقرأ في تفسير سابق كتب في عهد بعيد ولكنه يجد من قرب التناول واشباع الفكرة ويسر العرض ، وسلامة الاستنتاج ووفرة النصوص والشواهد ما يجذبه الى متابعته !

واذا كان لكل تفسير وجهته العلمية ، فان ميزة القرطبي الاولى هي اهتمامه بالاحكام الفقهية ، يكشف عن وجهها كما تؤخذ صريحة من كتاب الله دون التعصب لمذهب فقهي خاص ! كما نقل كثيرا من آراء ابن عطية الاندلسي ، وهو مفسر خطير ضاع تفسيره الكبير ولم تبق منه الا اجزاء مبتورة في دار الكتب المصرية وقد اثنى عليه ابو حيان وقال عنه انه اجل من صنف في علم التفسير وافضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير ! فكأن القرطبي قد حفظ لنا من آثاره ما حفظ ابن بسام في الذخيرة من آراء ابن حيان المؤرخ ! وتلك احدى مزايا النقل الكثير في عهود الوراقة والمخطوطات !! وقد قدم القرطبي الى مصر وعاش بالصعيد الاوسط في منية ابن الخصيب ، دون ان تغره اضواء العاصمة بل انقطع للعبادة والتأليف في معزله الهادىء ! واذا كانت الايام قد حجبت تفسيره كثيرا عن التداول فانه الان بعد ان طبع طبعة راقية ممتازة بدار الكتب ، قد جاء بدعا بين قرنائه حتى ليعجب القارىء لتأليف مثله في منهجه الرائع واطراده السهل واستقصائه المطمئن في عصر يعج بالاعتراضات اللفظية وتزدحم تفسيراته بالقصص الاسرائيلية ! وهو عن هذه وتلك بعيد بعيد !!

هذه اشارات موجزة الى بعض المؤلفات الرنانة ذات التأثير البعيد ، وبجوارها اخوات كثيرات لائمة الاندلسيين الذين قطنوا المشرق في شتى فروع الثقافة الاسلامية ، ولكننا لم نشر الى احد منها عامدين ، حيث كانت على نفاستها مماثلة لسائر المصنفات العربية ذيوعا وتقليدا فلا يجوز ان تندرج في موضوع يبحث عن المصنفات المؤثرة ، بطابعها المتميز او بذيوعها المشتهر المتعالم ، ونمثل لها بمؤلفات المرسي السلمي في التفسير واشهرها ري الظمآن في تفسير القرآن وهو ضخم يزيد على العشرين من الاجزاء ، ومؤلفات ابي حيان الاندلسي المتنوعة في النحو والتفسير وهي من الشهرة بحيث يستغني عن الاشارة اليها وابن القطاع الصقلي في العروض والادب والتاريخ وابن ظفر الصقلي في اللغة والنحو والادب وعلم الكلام وابي بكر الطرطوشي صاحب كتاب الفتن وسراج الملوك في السياسة والمختصر في التفسير وحامل لواء السنة في محاربة المستحدثات من البدع ! ولا نريد ان ننقل هنا من فهارس المكتبات العربية ما يشبعنا في هذا المجال ، بل نترك ذلك لمن يشغف باستقصاء هذه النفائس ! وهي قيد المتناول !

هذا نمط يسير من القول في تأثير المقيمين بالشرق من الاندلسيين في الثقافة العربية ، اما لو اردنا الالمام بتأثير الافذاذ من غيرهم كابن حزم واضرابه فما اظن القلم يستطيع ان يقف عند حد ! وحسبنا الان ان نذكر للاندلس اسهامها في انعاش الحركة العلمية والادبية على ضفاف النيل زمنا غير قصير !

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومى

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

وديع البستاني - جبرا ابراهيم جبرا

بقلم البدوي الملثم

* * *

1 ـ وديـــع البستانـــي

في الدبية بقضاء الشوف بلبنان ، موطن البستانيين ولـد « وديع » واكمل دراسته الابتدائية ومنها انتقل الى « مدرسة سوق الغـرب » واجتمع فيها بالشاعر الشيخ فؤاد الخطيب .. وبعد ان نال الشهادة الثانوية انتسب للجامعة الاميركية في بيروت ونال شهادة بكلوريوس في الاداب والعلوم سنة ١٩٠٧ ودرس فيها العربية والفرنسية مـدة سنتين . وفي عام ١٩٠٩ هجر التدريس ليتولى منصب كبير المترجمين في القنصلية البريطانية بـ « الحديدة » من اعمال اليمن . وما لبث ان ترك عمله السياسي في الثغر اليمني وقصد القاهرة ليعمل فـي وزارة الاشغال العامة وشرع في حركة النقل من اللغة الانكليزية الـى اللغة العربية ، واول آثار عربها مؤلفات اللورد ايفبري الاربعة وهي :

(١) معنى الحياة (٢) السعادة والسلام (٣) مسرات الحياة (٤) محاسن الطبيعة . وفي هذه الآثار الاربعة يرى اهـل الحكمة وذوو العقول النيرة (دستورا) ينبغي تطبيقه في حياتهم اليومية .

وفي عام ١٩١١ بارح « وديع » القاهـرة الـى لنـدن للدراسة « رباعيات الخيام » في مكتبة المتحف البريطاني . وفي مطلع عـام ١٩١٢ نشرت « دار المعارف » بالقاهرة الطبعة الاولى مـن هـذه الرباعيات مترجمة الى العربية بقلم « البستاني » علـى طريقـة السباعيات الموشحة فكان بعمله هذا اول ناقل لهـذه الطرفة العالميـة الشهيرة وقابلها أهل القلم في دنيا العرب بالتقدير والاهتمام ، حتى ان المرحوم جرجي زيدان لم يذكر في كتابه الشهير « تاريخ (آداب اللغة العربية) الا تعريب « الياذة هوميروس » و « رباعيات الخيام ».

وفي عام ١٩١٢ قصد البستاني (١) الهند وسلخ فيها مدة عامين ضيفا على الشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم ملك اللؤلؤ العربـي وزار شاعر الهند الكبير رابندرانات طاغور واقام في ضيافته وعرض عليه ما نقله من شعره الى العربية .

« وفي عام ١٩١٤ عاد « وديع » الى القاهرة لكن انفق ان الباخرة التي ركبها من سيلان كانت المانية ، وهنـا دخلت بريطانيـا الحـرب العالمية الاولى ، فاعلنت الاحكام العرفية على الباخرة ، وكانت تتلقى الاوامر من الطراد الالماني « كونز برغ » ، وبعد ٢٥ يوما نفد وقودها فاستسلمت في جزيرة موزمبيق الى الحلفاء ومنها انتقل المترجم لـه الى عاصمة المستعمرة البرتغالية فـي شرقي افريقية ، حيث عرف نفسه الى القنصل البريطاني بمذكرة مسهبة ، فدعاه القنصل الـى اجتماع كانت نتيجته التفاهم الصريح على ان يتاح للبستاني الدخول الى أراضي الاتحاد الافريقي ، فيكون هو وكل سوري مشمولا بحماية فرنسة او بريطانيا او روسيا ، وذلك في حالة دخول تركيا الحرب . وعلى أساس هذا التفاهم اتصل « وديع » بقنصل تركيا في جوهنزبرغ وانتقل الى الترنسفال حيث اقام مدة سنتين » .

وفي ربيع عام ١٩١٦ بارع البستاني الترنسفال الـى مصـر ليشغل وظيفة في وزارة الداخلية ، وفـي خريف عام ١٩١٧ عيـن مساعدا مدنيا للكولونيل باركر (ابن شقيقة اللورد كتشنر) وكـان المدير العام الاول لبلاد العدو المحتلة (فلسطين) وأول مدني بريطاني اجتاز سيناء بالقطار العسكري مصحوبا باربعة موظفين مـن العرب اختارهم في القاهرة ليكونوا في عداد الجهاز المدني ، وقبل ان يبارح « وديع » القاهرة الى فلسطين نصحه صديقه الشيخ انطون الجميل باشا برفض المنصب الذي عين فيه لعلمه بنزعته العربية فكان جـواب وديع : « سأذهب الى فلسطين لادافع عنها ومن ورائها لبنان ! » .

وحققت الايام نبؤة البستاني فلقد شقي في مقاومة الصهيونية خلال عمله في حكومة فلسطين واستقال اثنتي عشرة مرة وكان اخرهـا عام ١٩٢٠ بعد ان نفته السلطات البريطانية الى بئر السبع لتدخلـه باضراب عام .

وطلق وديع الخدمة الحكومية واقبل على مزاولة المحاماة والعمل في الحقل الوطني واحتفظ بالمستندات والوثائق الرسمية على امل ان يضع مذكرات تشمل أهم الاحداث التي وقعت في فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٥) وسعى الى تأسيس « الجمعية الاسلامية المسيحية » التـي تحولت الى « اللجنة التنفيذية العربية » واخيرا أصبحت « الهيئة العربية العليا » .

وفي عام ١٩٢٣ انتخب وديع عضوا وسكرتيرا للوفـد العربـي الفلسطيني الذي قصد لندن لمفاوضة بريطانيا في ايجاد حـل للقضية الفلسطينية . ومضى البستاني يعمل بجد واخلاص في الحقل الوطني ويدعو الى الوحدة الوطنية ونبذ التفرقة الدينية ، واكثر مـن الحض على وحدة المسلمين والنصارى العرب ، ونظم قصائد في بعض حفلات « المولد النبوي » وفي احداها أنشد :

لئن عدد الاديان نـاس ومزقوا فما كنت في الاوطان الا موحـدا

وكاشف وديع النصارى العرب بان المستعمر لا يبالي بالدين ولا يقيم وزنا له الا بقدر ما يفيد منه ويؤمن مصالحه فـي مستعمراته ، وكان شاعرنا صريحا الى ابعد حدود الصراحة .

وهاك البستاني ان يحرم الفلاحون العرب من اراضي الجفتلك بغور بيسان ، فانهرت مساعيه لتثبيت اتفاقية هذا الغور التي تنص على تمليك اثنتين وعشرين قرية وعشيرة من تلك الاراضي التي كانـت بعينها موضع صفقة كبرى (٢) اراد انور باشا بيعها من شركة الكارن كايمت اليهودية لكن نسيبه المرحوم سليمان البستاني (معرب الالياذة ووزير الزراعة والمعادن في العهد العثماني) عارض في التوقيع علـى قرار مجلس الوزراء القاضي ببيع اراضي بيسان مـن الصهيونية . وازاء اصرار انور باشا على البيع استقال الوزير العربي وقال للصدر الاعظم : « ... تعين وزيرا غيري فيوقع ! » لكن انور خشي مغبـة هذا القرار فمزقه ولزم الصمت مكرها .

وفي عام ١٩٣٠ درس وديع الحقوق في معهد الحقوق الفلسطيني بالقدس وتمكن ببراعته وغيرته على مصالح امته العربية مـن تفويض مئات من الدونمات الى مزارعين من العرب يقطنون غور بيسان وبذلك حال دون تسربها الى الصهيونية .

واثارت الثورة الفلسطينية التي شب لظاها عام ١٩٣٦ فـي نفس شاعرنا عاطفته وهيجت احساسه ومست الوتر الحساس مـن نفسه ففاضت شاعريته بقصيدة قومية بلغت ابياتها ١٠٧ أبيات وقد تميزت ببراعة الاستهلال ، وخصب الخيال ، ودقة الوصف ، ومتانة الرصف، وبلاغة العبارة ، وحسن التعبير والاشارة ، وقد وجه فيها النداء الـى ملوك العرب وامرائهم ، مستنهضا هممهم للاخذ بناصر فلسطين والذود عن حماها وشد أزرها في جهادها الاكبر . ومن تلك الخريدة العصماء قولـه :

خطب يعم ولمـا يغضب العـرب الله أكبر بعـد اليـوم ان غضبوا
سبعون يوما على الاضراب قاطبة بالعز ما أكلوا بالعز مـا شربوا

والسعي للرزق والاوطان في خطر ... بقي وفي الذود عنها الغنم والطرب
بذل وجود بارواح وما ملكت ... يد الفقير الى ان قيل قد نكبوا
ثار الشباب وثار الشيب قبلهم ... والصبية احتشدوا للحرب ان لعبوا
وللنساء بلاء في معامعها ... وقد اميطت ولما تنزع الحجب
ينفون أحرارنا نفيا اذا نسبوا ... والنفي آنق ما أولاهم الادب
ويسجنون وقد ضاقت سجونهم ... ويدفنون وكادت تزحف التـرب
ويهدمون لتجميل مساكننا ... هدم القلاع وقد راقتهم الخرب
والفاز والماز يبكون العيون وما ... تبكي ومنها شرار البأس تنسكب
وقل لهم اننا نفدي القتيل متى ... نبكيه والموت دون الفوز مطلب
نحن القليل متى يحصى لنا عدد ... نحن الكثير متى ننمى وننتسب
قالوا وقلنا ولما أيقنوا كتبوا ... وقد غدونا وما قالوا ولا كتبوا
قد كذب الغدر صدقا من معاشرنا ... وبالصدق تولى أمره الكذب

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية وسقوط حيفا في أيدي القوات الاسرائيلية في نيسان ١٩٤٨ اضطرب حبل الامن اضطرابا شديدا دفع السكان العرب الى النزوح لكن البستاني وزوجته قررا البقاء في دارهما ، وما زالا فيها بعيدين عن أولادهما الاربعة وفي ذلك يقول :

من دون (اربعتي) ما الدار بالدار ... تبا لربع من الاحباب مقفار
قد كنت بيتي والاولاد فيك وقد ... أمسيت صنعة بناء ونجار
بالامس فردوسنا الارضي عن ثقة ... واليوم لا كنت الا طعمة النار
يا دار، أين غدت (ليلى(٣)) واخوتها ... اغدو ، وانت على سكانك انهاري

ولم تقف محنة شاعرنا عند هذا الحد ، فما غابت شمس ٢٣ نيسان سنة ١٩٤٨ حتى أطبق على داره ثلاثون من منظمة الهاغانا اليهودية ، فاحتلوا خمسا من غرفها احتلالا تمادى شهرا كاملا ، وما خرجوا منها الا في ٢٢ ايار ، ليبيت شاعرنا في « البرج » فأضرب عن الاكل وعن الشرب وعن النوم ، وفي ذلك يقول :

حبستم حرا لا تلين قناته ... عروبية ان راح يعجم عودها
أبى زادكم والماء والنوم انها ... حياة هوان عندكم ، لا يريدها
كفتني ستوني عزيزا بامتي ... وعيشة مثلي فضلها ، لا مديدها
تمادت بي الايام حتى رأيتكم ... حكمتم ، فيوما واحدا لا أزيدها

ولم يذهب هذا الاضراب (الثلاثي) سدى ، لانه انتهى باطلاق سراحه ، لكنه ما وطئت قدماه أرض داره الباكية الا وهو يزم حقيبة كبيرة ضمنها « المهبراته » مخطوطة وبعث بها خفية الى بيروت وهو باق في بيته على شاطىء البحر ، ينظر الى لبنان فيرى « جبل الشيخ » ويقول :

(جبل الشيخ) بعيني ناهض ... وأنا الشيخ على الشاطي ركودي
أرسل الطرف الى ذروته ... ولدى البحر قيامي وقعودي
أصحب النسكين شعري والهوى ... عربيا بين آلاف اليهود
شت اولادي ، ديوان المنى ... وبهم الحقت ديوان الهنود
كل ما عز وما أحببته ... كل ذخري من طريف وتليد
كل ما صرت وما أملته ... في يد المجهول من خلف الحدود
وباولادي يومي وغدي ... وبحي الشعر بعثي وخلودي
لم يدع لي الدهر شيئا في يدي ... غير قلب الصب يهفو من بعيد

وانتابت الشاعر البستاني حالة نفسانية مؤلمة وهو سجين داره في ظل حكم يهودي بغيض ، فراح يخاطب ياسمينة غرستها « ليلى » وحيدته أمام قصر والدها في حيفا المطل على البحر المتوسط :

يا ياسمينة « ليلى » ... يا سلوتي في نواها
نورت لي بسمات ... ضحاكة في لماها
ملأت بيتي أريجا ... عطريه من شذاها
بوركت يا غرس نبتي ... نورا يحاكي سناها
زيدي نضارة غصن ... احدوثة عن صباها
زيدي جمالا وحسنا ... حتى كاني أراها
بالرفق أجنيه زهرا ... ولا حرمت جناها
كأنه ثغر « ليلى » ... اللولو ينور فاها
يا ياسمينة ، « ليلى » ... كل الليالي فداها
من قبل شوقي قيس ... ما قال الا عناها
وطاب شعري نسيبا ... هلهلته في هواها
وفي هوى « أم ليلى » ... وما عشقت سواها
يا ياسمينة ، اني ... سبحت فيك الالاها
وكان قلبي عنه ... ضل السبيل وتاها
هذا زمان أضاعت ... فيه الرجال حجاها
فتلك أمة « ليلى » ... خطب الخطوب دهاها
فسل الشعوب تنزى ... مستعليا وعلاها
يا ياسمينة « ليلى » ... خلي السما وناداها
فارض أمة « ليلى » ... انا أروي ثراها
هذي دموعي اشربيها ... ولو شواك لظاها
ويوم تسأل « ليلى » ... قولي : أبوك بكاها
ولا تلم فيك « ليلى » ... الا الحزين أباها
هذي جناية حر ... لم يدر كيف جناها
غنى العروبة عمرا ... وعاش حتى رثاها !

وفي شتاء عام ١٩٥٢ عاد وديع الى لبنان فاغتنم حملة الاقلام فيه صدور « المهبراته » الطرفة الهندية الرائعة مترجمة شعرا بقلمه وتنادوا الى تكريمه . ومساء السبت الموافق ١٦ أيار ١٩٥٣ أقيمت حفلة تكريمه في قاعة اليونسكو ببيروت وحضرها كبار رجال الدولة والصحافة وخطب فيها نفر من اعلام الادب والفكر منوهين بالمكانة التي يحتلها هذا الشاعر الفحل **والناثر البليغ . وفي ختامها قلده رئيس** الجمهورية اللبنانية وسام **الاستحقاق المذهب** ، ثم وقف المحتفى به وألقى القصيدة التالية :

حسبي في الهند أمة يقظانه ... نبهت كل مقلة وسنانه
انه الشرق بعد تجديد « غندي » ... جدد الدهر عهده وزمانه
عل « غندي » من غينة (المهبراتا) ... بعد نهل من كوثر (الراميانه)
برهميا ، من أمة الفكر والروح ... أتانا ، لا برهمي كهانه
رام للهند ، من سديم ، كيانا ... فيه أضوى حتى الفناء ، كيانه
حكمة الهند للخلود اجتلاها ... شاعر ، حنك النهى شيطانه
أيها الحافلون بالشعر حولي ... يا رعى الله فيكم مهرجانه
انه شعر شاعر هندوي ... فاحمدوا سحره ، له ، وبيانه
لست للشاعر المخلد الا ... شبه ظل ، للضاد أدى الامانه
أنا حسبي ، في المهرجان ، هناء ... انني هاجر قضى هجرانه
هاجر اكثر الطواف ودوى ... جاعلا نصب عينه (لبنانه)
جاور الحد ديدبانا ولما ... يعلم الحد من غدا ديدبانه
وأمر الانكاد في العيش، ان الجار ... ، يخشى من جاره عدوانه
ساء فال الحر المرابط لما ... قلب الطرف ما رأى شجعانه
أقفر الحي حوله فهو باك ... بعد « ليلى » ، مقبل جدرانه
فاستوى سادرا يطوي حشاه ... كاظما في ضلوعه أشجانه
وذرى الارز والربى بعلاها ... لم تبارح خياله وعيانه
صدق القارئان لله فينا ... ذاك انجيله وذا قرآنه
وطني جنتي على الارض حتى ... يفسح الله في السماء جنانه
وطن الفكر والثقافة لبنا ... ن ، ان عد شرقنا أوطانه
شاء لبنان ان يكون منارا ... يملأ الخافقين نورا فكانه
أمراء البيان ، في الحي ، مرحى ... أيكم ، ينتدب ، يكن سبحانه
أي عقد من الغوالي فريد ... قد ضفرتم من حول جيدي ثمانه
جل هذا الصنيع عندي جميلا ... يحمل القلب ، للمدى ، عرفانه

من آثاره المطبوعة : عاش البستاني حياته بين الكتب والقراطيس وهام بها الى حد نسيان نفسه والذهول عن وجبات الطعام ، حتى غدا ، كما يقول الاميركيون في أمثالهم ، « دودة كتب » . وفيما يلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسماء كتبه المطبوعة :

(١) معنى الحياة : شعر ونثر (معرب) ١٩١٠.
(٢) السعادة والسلام : شعر ونثر (معرب) ١٩١٠.
(٣) مسرات الحياة : نثر (معرب) ١٩١١
(٤) محاسن الطبيعة : نثر (معرب) ١٩١١
(٥) رباعيات عمر الخيام : شعر (معرب) ١٩١٢
(٦) رباعيات الحرب : شعر بالانكليزية ١٩١٦
(٧) البستاني (رابندرانات طاغور) : شعر ونثر (معرب)١٩١٧
(٨) بطريركية اورشليم الارثوذكسية : بحث تاريخي وقانوني.
(٩) الانتداب الفلسطيني باطل ومحال : بحث في السياسة والقانون الدولي ١٩٣٦
(١٠) The Palestine mandate (بالانكليزية) ١٩٣٦
(١١) ديوان الفلسطينيات : شعر ١٩٤٦
(١٢) خمسون عاما في فلسطين : نثر (معرب) ١٩٤٧

أما آثاره القلمية المعدة للنشر فهي :

(١) رباعيات أبي العلاء : شعر (بالانكليزية)
(٢) الراميانه : ملحمة معربة شعرا (أدب هندوي)
(٣) نالا ودامينتي : قصة معربة شعرا (ادب هندوي)
(٤) كليلة ودمنة : شعر ونثر (معرب)
(٥) شاكنتلا : مسرحية ـ شعر ونثر (معرب)
(٦) موجز الاساطير الهندوية : نثر
(٧) الفيته (النشيد الالاهي) : شعر ونثر (أدب هندوي) (معرب)
(٨) عمر الخيام : شعر ونثر ـ دراسة للرباعيات ومراجعها
(٩) رسالة في الالف والهمزة والياء : دراسة لغوية صرفية
(١٠) مجاني الشعر : شعر
(١١) ذكرى الفراق : شعر
(١٢) الى ذي عبقر : قصائد وحواش مهداة للشاعر شفيق معلوف .

نموذج من شعره الملحمي : اقدم البستاني على ترجمة « المهبراته » الملحمة الهندوية الشهيرة ، وكبرى الملاحم العالمية شعرا عن الانكليزية عام ١٩٥٢ . وفي هذه الترجمة طاول القمة ، ودونك مقطوعة (ديباجة) من ذلك الشعر المعرب :

حديث الشعر عن حرب الحياة ... تخلد بين أمسك والغداة
روته للزمان المهبراتا ... كما أثر الحديث عن الثقات
دريتا رشترى الاعمى وبندو ... أخوه من بني القمر الاباة
وبين بنيهما الفتيان حرب ... تخبر عن درو بادي الفتاة
بنو الملك الضرير ، مليك كورو ... على طول المدى قرن العتاة
لدات اخوة ، مئة لام ... ليوم واحد عجب اللدات
وخمسة اخوة أبناء بندو ... سماويون في النسب البراتي
وسادسهم اخ ـ سر خفي ... الى حين ـ كاسرار البنات
وان اغنى عن الاصلاب مفن ... لدى نسب فصدق الامهات
وعمهم ابن جارية ، فدورا ... سري دأبه داب السراة
ومن جديهم عزب بتول ... بشيما الحي ، قهار الممات
وجد خالد غنى المواضي ... قوافيه الاوابد والاواتي
فيازى جامع الصحف القدامى ... ولي الشعر ، راوية الرواة

(١) كوثر الثفوس ص ٣٦٣ و ٣٦٤ بقلم ملحم ابراهيم البستاني .
(٢) اطلب تفصيل ذلك في كتابنا « البستاني والياذة هوميروس » .
(٣) هي كريمة الشاعر البستاني .

٢ ـ جبرا ابراهيم جبرا

من ابرز سمات هذا الاديب الموهوب تأثره بوليم شكسبير الشاعر الانكليزي وتفاعله معه في حياته وأدبه ، حتى أصبح نتاجه مشبعا بروح هذا الشاعر العالمي ، ويدل نتاجه كذلك على احاطة شاملة بثقافة هذا العصر بأوجهها الانسانية الكثيرة .

ولد جبرا ابراهيم جبرا في بيت لحم بفلسطين عام ١٩١٩ وغادرها مع اسرته الى القدس حيث تلقى دراسته في «الكلية العربية»، وقصد بريطانيا في بعثة علمية على نفقة ادارة المعارف العامة لحكومة فلسطين ، ودخل جامعة اكستر ثم جامعة كمبردج وعاد يحمل منها شهادة الماجستير في الادب الانكليزي ، وعين استاذا لهذا الادب في « الكلية الرشيدية » بالقدس .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) قصد بغداد وكان احد اساتذة الادب الانكليزي في كلية الآداب بجامعة بغداد لبضع سنوات ، وبعد ذلك ذهب الى الولايات المتحدة وانتسب الى جامعة هارفرد في زمالة دراسية للنقد الادبي ، وفي عام ١٩٥٤ عاد الى بغداد والتحق بشركة نفط العراق في منصب اداري ، وظل محاضرا في جامعة بغداد حتى عام ١٩٦٤ .

عالج « جبرا » القصة القصيرة والرواية والنقد والشعر ، وهو يكتب بالانكليزية ، ويقبل على رسم اللوحات الزيتية ، وقد اشترك في طائفة من معارض الرسم وله لوحات فنية رائعة .

و « جبرا » كأديب واسع الاطلاع له نظرات عميقة في النقد يبحثها في كتابيه « الحرية والطوفان » و « الرحلة الثامنة » ويجمع في نقده بين الشعر والقصة والمسرحية والرسم ويبرز الصلات القائمة فيما بينها . وقد شارك في حركة التجديد في الفكر العربي المعاصر ، وخاصة في قضايا الشعر والنقد والقصة . وامنيته الغالية ان يرى روايات المعاصرين والسابقين البارزين في العالم تنقل الى العربية ، وقد نقل احداها بنفسه وهي « الصخب والعنف » لوليم فوكنر . ومن ناحية المسرحية يصر الاستاذ جبرا على ضرورة ايجاد مكتبة كاملة منها في اللغة العربية ابتداء من اسخيلبوس الى كتاب المسرحية المعاصرين . ولم ينس ان ينقل الى العربية مأساة « هاملت » لشكسبير فاجمع النقاد على أنها أروع وأدق ترجمة عربية لهذا الاثر العالمي .

من آثاره القلمية : زود الاستاذ جبرا الخزانة العربية بطائفة من الكتب الادبية والدواوين الشعرية ، وبعض كتاباته ترجم الى الانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية . ودونك اسماء ما وقفنا عليه من آثاره المطبوعة :

(١) صراع في ليل طويل (رواية) مطبعة العاني ، بغداد١٩٥٥
(٢) عرق وقصص اخرى، المؤسسة الاهلية، بيروت ١٩٥٦ (اعيد نشره بعنوان « المغنون في الظلال »)
(٣) تموز في المدينة (شعر) دار مجلة شعر ، بيروت ١٩٦٠.
(٤) الحرية والطوفان (دراسات نقدية) دار مجلة شعر بيروت ١٩٦٠.
(٥) Hunters In a Narrow street (رواية) هاينمان ، لندن ١٩٦٠.
(٦) Art In Iraq To day ، لندن ١٩٦١
(٧) المدار المغلق (شعر) ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٤
(٨) الرحلة الثامنة (دراسات نقدية) ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٧
(٩) قصص من الادب الانكليزي المعاصر (مترجم مع مقدمات)، بغداد ١٩٥٥
(١٠) أدونيس (أحد اجزاء « الغصن الذهبي ») (مترجم) للسير جيمز فريز ، دار الصراع الفكري ، بيروت ١٩٥٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١١) هاملت لشكسبير (مترجم) ، دار مجلة شعر ، بيروت ١٩٦٠.
(١٢) ما قبل الفلسفة ، لهنري فرانكفورت وثور كيلدجاكسون وجون ولسون ، (مترجم) دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٠.
(١٣) وليم فوكنر (مترجم) المكتبة الاهلية ، بيروت ١٩٦١
(١٤) روبرت فروست (مترجم) المكتبة الاهلية ، بيروت ١٩٦١
(١٥) الاديب وصناعته ، لعشرة نقاد امريكيين (مترجم) مكتبة منيمنة ، بيروت ١٩٦٢
(١٦) الصخب والعنف ، لوليم فوكنر (مترجم) دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٣
(١٧) آفاق الفن ، لالكساندر اليوت (مترجم) دار الكاتب العربي ، بيروت ١٩٦٤
(١٨) البير كامو ، لجرمين براي (مترجم) ، بيروت ١٩٦٧
(١٩) ثلاثة قرون من الادب (في ٤ اجزاء) دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥

وفي ربيع عام ١٩٦٧ ظهرت في منشورات Oxford University Press بلندن مجموعة من القصص العربية بعنوان Modern Arabic short stories وقد نقلها من العربية الى الانكليزية المستشرق الانكليزي دنيز جونسون‌ديفز ، وكان في عدادها قصة بقلم الاستاذ جبرا

نموذج من نثره : يعتبر الاستاذ جبرا كاتبا موهوبا ، ويشهد له نثره بحس اسلوبي رهيف ، وعمق في النظرة لا تجده الا عند فئة من الكتاب الافذاذ ، ونثره قسمان : قصصي ونقدي ، وفيما يلي نموذج من نثره النقدي :

« قال ولتر باتر في اواسط القرن الماضي : « الفن هو فك أزمة الصراع » وسواء أكان هذا الصراع سياسيا ام اجتماعيا ام نفسيا ، فانه المميز الاهم في فن الرواية :، رغم المدارس المختلفة التي نشأت حوله . والقضية قديمة قدم الاغريق ، غير انها انتعشت من جديد بزوال القرون الوسطى وتفكيرها ، فقد تمثلت النزعة الانسانية حينئذ بالمفكرين والكتاب والعلماء الذين زعزعوا النظام «الهاياراركي» القديم ، وهو النظام الذي يظل فيه كل شيء (أو فرد) في منزلته مبنيا على شيء (او فرد) أحط منه ، حسب ترتيب لا يمكن للانسان ان يخرج عليه . وهو ينطبق على المجتمع الانساني (من الامير نزلا الى الشعب ، او من البابا نزلا الى الرعية) ، كما ينطبق على النظام الكوني (متمركزا في الارض ، والشمس والقمر والكواكب في درجات تدور حولها) .

ولكن كما قال « غاليلو » ان النظام الفلكي لا مركز له (مما اثار نقمة الكنيسة عليه فاكرهته بتهديده بالحرق ، على « سحب كلامه ») هكذا اوحى « مكيافلي » و « مونتين » وغيرهما بان الانسان ايضا حر لا مركز له يدور حوله . وهكذا نشأت فكرة تحرر الانسان (وبالتالي وحشته) التي تطورت من تأملات « مونتين » في الانسان الى كتابات الثوريين الفرنسيين .

وبضعف الوازع الذي ينص على بقاء الانسان في منزلته ، تصدع النظام القديم ، ونشأت الطبقة الوسطى وازدادت خطرا وشانا ، وكان لها اثر بعيد المدى في تطور الفنون ، لاختلاف نظرتها عن نظرة الارستقراطية الى الحياة .

وما كاد القرن الثامن عشر يقارب النهاية ، حتى علت صيحات الرومانسيين يدعون فيها الى الحرية والفردية والعدالة الاجتماعية . وكانت الصفة الاساسية التي امتازت بها آداب هذه الفترة وما تلاها هي (الوعي) ، الوعي بالذات ، الوعي بامكانات النفس ، الوعي بقوى الحياة . وهذا الوعي هو الذي جعل (الشعور) يوازي التفكير، والحدس (او النظرة الداخلية) يوازي التعليل ، والخيال يوازي العقل ، بل يزيده اهمية . والوعي بالذات ـ كما يقول اودن ـ يحدو بالمرء الى طلب اختبارات الحياة بخيرها وشرها . وهذا الوعي هو الذي جعل « الشخصية » في المسرحية او الرواية اهم من «الحادث» (مما وجه عناية الروائي الى اظهار ما لكل حادث من اثر في تنمية الشخصية) . وبعد ان كانت مآسي شكسبير تعظم لما في حوادثها من عرض للحياة ، جعل النقاد يعظمونها لما فيها من شخصيات تتمثل فيها الحياة . واذا اخذنا ابطال بعض المآسي ، كهاملت ومكبث وبروتس واوثلو وكوريو لانس ولير ، وجدنا ان القاسم المشترك الاكبر بينهم هو ما في حياتهم من نزاع رهيب ، اما في انفسهم (كما في هاملت وبروتس واوثلو ومكبث) او بينهم وبين القوى المتألبة عليهم (كما في لير وكوريو لانس) بل ان في شخصية معظمهم يلتقي نوعا هذا النزاع.

ولازدياد خطورة الفرد في نظر الرومانسيين غدا انعتاقه واجبا عليه . والانعتاق منطو على ضرورة الصراع بينه وبين التقاليد الموروثة والاحكام القائمة ، ولكن تحتم عليه ان يطلب الانطلاق انتصارا للانسانية ، ولو كان في انطلاقه موت أكيد .

كان قادة الحركة الرومانسية مزيجا من الارستقراطيين وافراد الطبقة الوسطى . وبنهوض هذه الطبقة بدأ انحطاط الطبقة الارستقراطية . وقد اوجدت هذه الحالة في الرومانسية اتجاهين أدبيين ، تطور كلاهما منفصلا عن الاخر ، وما زال يتطور حتى الآن . فان الارستقراطيين ، اذا أحسوا بالتداعي في بنيانهم القديم طفقوا يحنون الى عصر كان النظام فيه ثابتا وكانوا هم فيه اسيادا ـ وذلك هو العصر الوسيط ـ فظهرت روايات من ضرب الفانتزي (الخيال الحالم) مفعمة بالقصور والقلاع ، والفرسان والنبلاء المتنكرين ، والمكايد الجنسية المعقدة ، تطورت فيما بعد الى روايات تاريخية كروايات ولتر سكوت ودوماس وغيرهما ، او الى نوع من الادب الفانتزي الجنسي قد تسميه بالادب الرمزي . واشد اثر للرمزية نجده في الشعر الحديث ، ولكننا نجده احيانا عند بعض الروائيين الكبار ـ لا سيما من بدأ منهم حياته الادبية كشاعر ـ امثال جيمز جويس في « يوليسيز » ووليم فوكنر في « الصخب والعنف » و د. هـ. لورنس .

اما الاتجاه الاخر الذي نشأ من الوعي الرومانسي ، فكان الاتجاه الذي سار فيه ابناء الطبقة الوسطى ، وهي الطبقة التي تجسد الارستقراطيين وتتطلع الى النجاح المادي وتعظمه ، ويهملها ـ كما قال فرانك اوكونر ـ (الامانة) اكثر مما يعنيها (الشرف) فكان هم كتابها ان يصوروا الحياة (كما هي) ليتاسوا سير ابطالهم وتقلبات ايامهم في رحلتهم الاجتماعية ، ويرسموا نهوض الاسر وسقوطها ، لاسباب أخلاقية او روحية ، ضمن الاطار المادي الذي لا نجاة منه .

ومن هنا نشأ الادب « الواقعي » وهو ادب تلعب فيه المادة ـ او الدراهم ـ وعادات المجتمع دورين خطيرين متكافئين . فلكل انسان مكانة اجتماعية يعينها دخله المالي ويتصرف بموجبها . وقد تلتبس عليه مظاهر الحياة ، وينسى نفوذ المال وخطر العادات في تقليب أوجهها ، فيقع ضحية خلط الوهم في الواقع ، او يعجز عن تفريقهما فيعيش خارج نطاق المجتمع ، متصورا نفسه أسمى منه ، بينما يعده المجتمع غير لائق لان يكون واحدا منه . والجزء الاكبر من أحسن الروايات التي ظهرت بين ١٨٥٠ و ١٨٨٠ من هذا القبيل .

ولما طبقت فرنسا وانكلترا قانون التعليم الاجباري ، وفي اواخر القرن الماضي ، ظهر في ميدان الادب كتاب من طبقة الفقراء والعمال. فكان انصرافهم الى تصوير الحياة في الدركات الدنيا ، حيث يرى الفرد الحياة من الاسفل ، بين مشاهد من القبح والفقر والقذارة ، وركزوا جهدهم في لفت النظر الى ما في الحياة من شظف ومرارة وكفاح ، وكان أدبهم امتدادا للواقعية ، ولكنه امتداد نحو ما قبلها عليه المجتمع ، نحو الجانب المظلم المنسي ، وسمي « بالطبيعة » .

ولئن كان اميل زولا أبا لهذه الحركة ، فان الروائيين الامريكيين

القادم الغريب

أكان ما نعيشه افتراء ؟
وكل ما نحمله انطفاء ؟
يا ليت لو لم يفضح الرياء
لو انه يعشي خطانا مرة اخرى بلا انتهاء !
لكنما ، تكسر الطلاء
يا عرينا تشرد الشراع ، والبحار
مغلقة ابوابها الكثار
من اين لو يضمنا قرار ؟
من اين غاب الليل والنهار ؟
اذ نحن مصلوبان مشدودان لا اسار
لا موت لا اندحـار
دوامة دارت ... ودارت ، سلها اصفرار

متعبة وجوهنا يشلها العثار
فلنجمع الوجوه من حيائنا المعار
عما قريب يسدل الستار ..
وهكذا النزوات صدقنا
وحينمـا ...
حبل من الاعذار وشينا
شباكنا الموصود ، اوصدنا
في وجه وجهينـا ،
والقادم الغريب ـ يا غريبة ـ منا
من قلب قلبينـا ...

لندن — سامي حداد

في هذا القرن هم أحسن من يمثلونها ، امثال داير وارسكين كولد ويل ، وجيمز فارل ، وهمنغواي وغيرهم كثيرون . وقد نشأ معظمهم فقراء ولم يحظوا بدراسة كافية (فعلموا انفسهم بانفسهم) ، ولم يشعروا بكثير من التهيب ازاء تقاليد اللغة او اخلاق المجتمع ، فكتبوا رواياتهم باسلوب منطلق كثير الحوار بالعامية ، وتضمنه التفاصيل والصراحات الجنسية ، ويعج بالعنف والجنس مصورين بذلك (الجانب الاخر) من الحياة حيث لا بد للفقير، في عالم صناعي مادي، من حيوية ملتهبة وفظاظة مكشوفة اذا اراد البقاء » .

نماذج من شعره : يحمل شعر الاستاذ جبرا الوانا جديدة تطل، للمرة الاولى ، على الادب العربي ، وتحمل تجارب اسلوبية جريئة . ويعتبر ديوانه « تموز في المدينة » جزءا من مرحلة جديدة يتخطى فيها الشعر العربي القيود القديمة ، ويؤكد ديوانه اللاحق « المدار المغلق » على هذا الاتجاه نفسه . ودونك بعضا من شعره :

شبح في ضياء البدر سرى
بين الدوالي ، وجهه
أبيض كالقناع ، يداه
كفرعين مورقين ترتفعان
الى الجدران ، نحو الطريق ، الى
بيت صمتت ارجاؤه المظلمات ـ
لا الايام تقيه ، ولا الموت ،
هوى السارية في ضياء البدر ، على
شفتيها رغم القناع غناء
كالهواء يهب ، نحيب .
لست أنا ، بل الدنيا هي التي تنتحب

ـ ٢ ـ

عاصفا كالريح جئت
أصفر بيـن الخرائب
خلال الاشجار والحجارة
بين المباني القديمة ونوافذها
كعين بعـد عين
تنوء الى بيدا الشوارع ـ
كالريح في ليل ماطر
بعد لواهب التراب
والاماسي العواقر
أصرخ من هوجاء حبي
أشق الاشجار والخرائب والشوارع
برماح من مطر ـ
جئتك يا موت جئتك ،
خذها بين عينيك مني ،
أنـا فارس الفوارس
وجندك نمل تحت عقبي
أرهب الاطفال بنار شدقيك !
ولئن ارهبت أهل المدينة
بالسحب الغضبى من منخريك
وشحذت لهم انيابك البخراء
في طلب العذارى
فلن ترهب الريح التي جئت فيها
منقضا على عظامك الحشفاء :
جئت كالف رمح
أصرخ للشمس من ولهي ،
وفي صدري الف حب والف الف حياة !

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

السد والتلال

بقلم جورج سالم

لم يلحظ س .. ان هذا الصباح المشرق يختلف عن سائر الاصباح التي مرت به . ومع ذلك فقد كان يسيطر عليه ، وهو منطلق الى عمله، شعور بالضيق والقلق ، فسار بخطى مسرعة الى مكان عمله خوفا من ان يصل متأخرا .

ولكنه ما ان قطع عشرات الامتار، وخرج من الشارع الذي يقيم فيه حتى بدا له ان نور النهار المتلألىء قد اخذ يتعكر شيئا فشيئا ، وقدر ان الشمس التي كان وهجها يلمع في صفحة السماء قد تغطت ببعض الغيوم فلم يأبه بها ومضى يغذ السير . ولكن العتمة ما لبثت ان ازدادت ، فما كان منه الا ان التفت الى خلفه يتطلع الى الشمس التي كانت قد غمرت اسطح المنازل وبدأت تتسرب الى غرف المباني حين غادر المنزل ، فاذا هي قد احتجبت ولم يبق لها اثر في السماء ، ورأى من بعيد جدارا اسود عاليا يسد الافق خلفه ويفصله عن الشمس ، ومع انه دهش لهذه الظاهرة التي لم ير لها مثيلا من قبل ، الا انه تابع مسيره . وقال في نفسه : سأعرف ما هذا الجدار فيما بعد ، حين ابلغ مكان العمل ، ولا شك انني واجد عند رفقائي تفسيرا له ، اما الان فموعد العمل قد ازف واراني ما ازال بعيدا لما ابلغ مكان عملي بعد . وازدادت العتمة فتريث س قليلا يبحث حوله ، فاذا الجدار الاسود الذي كان بعيدا عنه قد اخذ يقترب منه ، فجرى مسرعا وهو يلتفت وراءه . كان الجدار يتقدم نحوه بسرعة وكأنه يقتفي اثره ، فما كان منه الا أن اطلق ساقيه للريح ، زائغ النظرات لا يلوي على شيء ، حتى نسي عمله ومكان عمله ، وظل يركض مبهور الانفاس حتى بلغ ارضا جرداء لم يسبق لقدميه ان وطأتاها . وتوقف هنيهة يسترد انفاسه ويمسح العرق الذي سال على جبهته ، وادرك ، دون ان يستدير الى الخلف ، أو يرفع راسه الى فوق ، انه محاصر وان هذا الجدار قد طوقه فلم يعد باستطاعته النكوص او التراجع او الهرب ، وان عليه اذا اراد النجاة ، ان يسير الى الامام ليتقي هذا السواد المحدق به ، وشعر باضطراب وضيق يأخذان بخناقه ، وتساءل في نفسه : ماذا يريد بي هذا الجدار؟ ولماذا يطاردني؟ والى اين ؟ وغفل عن كل ما عداه ، وتبددت من ذهنه كل الصور والمشاغل وسرعان ما احس بصلابة الحجر في ظهره فادرك ان الجدار قد حاذاه ، واصبح وراءه مباشرة ، ومد ذراعه ، دون ان يلتفت الى الوراء ، يتحسس ما خلفه ، فوقعت يده على حجارة ملساء قاسية صلبة، فاسند ظهره اليها فاذا هي تدفعه في حركتها المستمرة ، وتطلع الى الامام فوجد سهلا كبيرا يمتد من هذه الارض الخاوية فقرر ان يسير خطا مستقيمة الى الامام ، وليكن ما يكون ، فما كان له ان يتوقف لحظة واحدة بعد الان . فقد احس بانه مهدد بأن يسحقه الجدار الذي خلفه سحقا ، وازدادت العتمة التي حوله وانطفأ نور النهار انطفاء يكاد يكون تاما .

وكان س .. من الفزع بحيث يستطيع ان يسير الى ما لانهاية غير شاعر بما يحدث له او مبال به . فاطلق العنان لساقيه يندفعان بسرعة فائقة في هذا السهل ، وكان يركض لا يلوي على شيء ، اما حين كان يتوقف ليستريح ثانية او ثانيتين فقد كان الجدار بحجارته الملساء يدفعه بقسوة وعناد فيتابع جريه . وظل في ركضه هذا برهة لا يستطيع ان يحدد كم امتدت ، الى ان بدت له التلال . وكان ظهور هذه التلال مفاجأة بهرته وحيرته . اما كيف ظهرت ومتى ظهرت ومن اين جاءت فانه ليعجز عن الاجابة عن تلك الاسئلة جميعا . وخيل اليه ، الى حين ، ان ما يراه ليس الا وهما ناتجا عن شدة تعبه ، عن تعب قدميه اللتين اخذتا تتورمان خاصة . وومضت في ذهنه فكرة مفاجئة : لماذا لا يحتمي بهذه التلال من الجدار ؟ لماذا لا يضيع بين ثنياتها فتعجز هذه الحجارة الصلبة المتماسكة الملساء ان تمسه هناك ؟ وشعر بقليل من الطمأنينة ، أيكون قد آن اوان الخلاص ؟ ثم يعود الى عمله ؟ ولكن اين هو الان وكيف قطع هذه المسافات كلها التي تبعده عن عمله والناس والاخرين ؟ واين الاخرون ؟ خطر له في تلك الثانية ان يصرخ ويستجير ، ثم كتم صراخه ، فالارض التي حوله خاوية خالية . وكان الجدار في هذه الفترة القصيرة التي استسلم فيها س .. الى نفسه قد تابع مسيرته ، وها هو ذا يحاذيه مرة أخرى ويدفعه الى التلال دفعا .

حين وضع قدمه على احدى تلك التلال لم يكن يستطيع ان يجزم هل قفز اليها او انها كانت تسير في اتجاهه أو ان الجدار قد دفعه دفعة حملته الى ذلك التل . ماذا عليه ان يفعل الان ؟ وقبل ان يفكر في الاجابة عن هذا السؤال ، جاءه الجواب من بعيد ، من اغوار لايعرفها ولا يراها . « اركع واحفر ! » لم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دمعي على الامس

لا تلمسي الجرح ، اني تائه تعب ... لم يبق غير سنين القحط ، تقترب
جاء الشتاء ، وقد خلفت امتعتي ... في مطلع الدرب ، لا نار ولا حطب
يا ايها الليـل ، هل نجم يرافقني ... في رحلة الصمت ، ان الصحب قد ذهبوا
وحدي ، وكم شمعة ذابت تساهرني ... ودمعة خلفها الاشـواق تلتهـب
صليت في معبـد الاحزان مبتهلا ... كأن هذا الاسى ساعاته حقـب
أخشى على القلب في الظلماء من وجل ... ربي وما حيلتي ان غابت الشهب
سخية الشوق ، كيف الليل نعبره ... ونوقظ الصبح من غفو ، ونصطحب
نحو الرياض التي بالزهر غارقـة ... اللوز بعض غلال الصيف ، والعنب
مـر الصبا مرة في ساح بلدتنـا ... كنا صغارا هوانـا الدائب اللعب
وكانت الارض بالاعيـاد زاخرة ... لم يعترض لهونا هم ولا وصـب
كل الثمار لنـا والكـرم منزلنـا ... والطيب من حولنـا كالمزن ينسكب
دمعي على الامس مدرار ، ولو علموا ... امري لما فاتهم في علتي السبب

برلـين — ابراهيم شعيب

يختر تلا معينا . لم يكن امامه مجال للاختيار . وعاد الصوت المجـهول يقول له : « اركع واحفر ! » ايـن يركع وبم يحفر ؟

كان الجدار قد وافاه فشكل قوسا حوله وبدأ يقترب منه وعزله عـن التلال الاخرى حتى كاد يحجبهـا عنه . اذن يجب ان احفـر ههنا . وبحث بعينيه عن اداة يحفر بهـا ولكن المكان كان خاليا من اي اثـر انساني يستطيع ان يستعين به . نظر الى اصابعه واحس بقشعريرة تسري فـي جسمـه . ليس الا اصابعه . والصوت يلح عليه بقسوة متزايدة ان احفر !

وبدأ يحفر التراب ويزيحه بيديه. اذ ذاك انبعث الصوت الرفيع المتألم النافذ . كان صوتا صغيرا قصيـر النفس لم يستمر الا جـزءا صغيرا من الثانية . ولكنه استطاع ان ينفذ الى اعماق س .. وان يعتصر فؤاده كأنما تجمعت فيه آلام البشر جميعا. فضاعف من سرعته في الحفر . كان العرق يتصبب مـن جبهته بغزارة ويبلل التراب المرفـوع ، وس ... مسرع في حفره مندفع في ذلـك اندفاعا جنونيا ، وانطلق الصـوت مرة ومرة ومرة . وفي كل مـرة يزداد شدة ووضوحا واقترابا منه. كان صوتا يتألف من خليط مـن صرخات الالم والنشيج والنبـاح والصراخ تقطعه تنهدات صغيرة ضئيلة تنبعث من حنجرة مبحوحـة مخنوقة .

وعمل س ... بأقصى ما يستطيع ان يعمل وبأقوى ما تتيح له طاقته. حتى لقد دهش هو نفسه من هذه السرعة وتلك الطاقة ، كان الجدار خلفه قد بدأ يتضاءل فسمح لبعض النور بالتسرب الى اعلا التل . الا ان س .. لم يكن ليعود أو يتراجع او يهرب . كان الصوت وحده كافيـا لان يشده . ومضى يحفر بيديـه اللتين تشققتا ولم يلبث ان احس ان الصوت لم يعد بعيدا عنه وانـه موشك ان يصل اليه . وكان كلمـا اقترب من الصوت تضاعف غمـه واشتد .

وبـدت لـه آخـر الامر ذراعان صغيرتان بضتـان ، تتحركـان وتتلويان من الالم ، كان يعرف هاتين الذراعين ، وكـان باستطاعته ان يتعرفهما بين الاف الاذرع الصغيرة غيرها .

توقف يسترد انفاسه ويمسـح عرقه المتصبب ، ثم قال للطفـل : « انتظر يا بني ، انتظر قليلا ، انتظر ريثما تفعـل الابرة مفعولها فـي جسمك ، ريثما ينتشر الدواء فـي معدتك . ستبرأ بعد قليل » .

ولكن الطفـل لم ينتظر ولـم يصمت . حمله على ذراعيه المنهكتين وراح يهدهده . ما الذي يؤلمك . كانت اللغة الوحيدة التي يعرفهـا هي البكاء . وتنهد الطفل تنهـدة طويلة ، كان الهدوء قد بدأ يغمـره وراح يتعرق عرقا غزيرا باردا .

واحس س .. الان ، ان الجـدار الصلب الاملس قـد اختفى تماما ، وانتظم تنفس الطفل ، وكان يطلـق بين الحين والحين تنهدة طويلة ، ولم تلبث ابتسامته ان انعكست على فم س .. وتلاشى التل رويدا رويدا. ولم يبق امامه الا طفله . فاسنـد راسه الى وسادته الصغيرة واغفى اغفاءة قصيرة .

حلب — جورج سالم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشهد من مسرحية زنوبيا

الحارث :

انـــي ليملكني التعجب ... كلمـــا أمعنت فكـــرا
ملـــك تقاذفه الرغائب ... والهوى مـدا وجـــزرا
وحكومة انثـى تسيـر ... أمرهـا عنتـــا وكبـرا
فتنت كمـا فتن الفزاة ... بكاذب أغـــرى وأورى
ومضت تحث الى الردى ... أجنادها زجـرا وقهـرا
حسبت بأن المجد بالدم ... يجتنى او كـــان يشرى
والنصر لـــم يك قسوة ... بل رحمة وسعت،واجرا

يقف قليلا ويتابع :

انـــي بعين الغيب ألمح ... دون ستـــر الغيب أمرا
كشف الستـــار لعاقـــل ... فرأى الاذى سطرا فسطرا
واذا الحقائق لـــم تعد ... كالامس عن ذي اللب سرا
ملـــك النساء رغائـب ... كغمائم تطـوى وتـذرى

خولة بغضب :

ملـــك النساء طهـارة ... لاســوء فيـــه ولا أذى
ان الضراوة في الرجال ... مـع الرغائب والهـوى
هـم صيـروا الدنيـــا ... جحيما لا تطاق وتشهى
وجروا الـــى ورد الردى ... يتسابقون الـــى الردى
في كل ربع مـــن أذاهم ... شاهـــد دون الثـرى
ماذا رأيت مـن النساء ... سوى الوفاء لمـن وفـى
هل كنت تبصر ما تغص ... لـه الجفون مـن الاسى
او لـم تطاول (زينب) ... في ملكها نجـم السهى
رفعت على سفن المكارم ... شاهقـــا لا يرتقـــى
وجرت الـى العلياء في ... همـــم تجاوزت المـدى

الحارث :

مـــا كنت الا البيغـاء ... حكت ومـا وعت الكلاما
الملـــك بنيـــان وليس ... هـوى يلـــذ ولا مداما
من رام أن يزن الرجال ... على الهوى ظلـم الاناما
ماذا عرفت عـــن الرجال ... ومـا تجاوزت الفطامـا
تقضيـــن دون تريـــث ... حمـدا ومدحا او ملاما
والحكم ليـــس بشهـوة ... او كـان ثـارا وانتقاما
الحكـــم فيض عدالـة ... تحكي بنعمتها الغمامـا

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يعقوب فرام منصور

جبران تحت اضواء جديدة

بقلم يعقوب فرام منصور

* * *

في بحثي السالف المنشور في « الاديب » لشهر نوفمبر ١٩٦٧ ، نوهت بأني سأفرد بحثا مستقلا يعالج القضايا الذاتية التي أوردها بعض مترجمي جبران ، مناقضة للواقع ، غب تسليط « اضواء جديدة » على مراحل حياة جبران ، استقاها الاستاذ توفيق صايغ من مذكرات ماري هاسكل ورسائلها المودعة في كتابه « اضواء جديدة على جبران » . وها انا افعل ههنا .

في ربيع عام ١٩٦٠ ، حررت خطابا الى الاستاذ ميخائيل نعيمه اثر صدور كتابه « سبعون » ، وأعربت فيه عن آرائي في الكتاب المذكور ، وفي كتابه عن جبران ، فقلت : « اني لا أنكر قيمة كتابك في جبران أدبيا وفنيا ، بيد ان المنحى الذي نحوت في بعض فصوله قد اعتمد الصراحة التي لا تتورع عن التجريح ، كما انه استند الى الحدس والتأويل ، مضحيا بالحقيقة والواقع في سبيل الاسلوب الروائي الجميل ، فالتفلفل في الاحلام والغيب وخلق تفسيرات شخصية ، ووضع كلمات تخيلية على لسان جبران ، امور لها خطورتها ، وغالبا ما تربك المؤلف ، وتحرفه عن طرآن الحق ودرب الحقيقة ، ويقيني ان الصواب هو في مجانبة هذا المنحى في تآليف السير والتراجم ، فطارقه لا يسلم من العثار والزلل . واني لمؤمن ايمانا راسخا ان احدا لو كتب عنك وفيك ، منتهجا نهجك ، مقتفيا اسلوبك ، لثرت حانقا ، وانفجرت دغصا ، ولثرت وسخطت انا كذلك » .

وقبل ذلك ، عالجت ذات الموضوع في بحثي الموسوم « جبران كما كتب عنه لبنانيون واميريكية » المنشور في مجلة « الورود » البيروتية لشهري آب وايلول ١٩٥٨ ، اذ أبديت رأيي في كتاب نعيمة عن جبران ، قائلا : « ظل هاتف يصرخ في اعماقي قائلا : لا ... ليس هذا هو جبران الحقيقي الذي عقد عنه المؤلف فصلا عنوانه « نبأ كاذب » هذا النعت الذي لم يحاول الاستاذ جميل جبر ان ينفيه عن جبران بعد صدور كتاب بربارة يونغ في جبران ، بل شاء ان يفضل سابقه ـ ناسك الشخروب ـ بميزة اخرى وهي نعته جبران بالتاجر ، رغم علمه جيدا ان جبران لم يحيا حياة التجار ، بل حياة البساطة في المأكل والمشرب والسلوك، وخلف كل ثروته لبشري والفقراء . واشارتي الى كتاب بربارة تعود الى كون معنى « النبأ الكاذب » مشروحا في الصفحة الثانية عشرة منه باستطراد جبران ذاته وتعليق بربارة عليه . قال جبران : I am a false alarm. I do not ring as true as I would.

ما ترجمته : « انا جرس ـ او قرع او انذار ـ غير حقيقي . انا لا أقرع ـ أو أرن ـ بصورة مضبوطة كما اردت ـ او كما اود » .

ومما يؤيد صحة هذا التفسير هو تعليق بربارة على قول جبران بما يلي : « شعر انه مقصر الى حد في عمل كل ما كان يتوقع منه » .

فتفسير نعيمة اذا غير صحيح لسببين اولهما عدم وجود المناسبة والمبرر للاخذ به ، لان جبران كان آنذاك يخوض مع نعيمة موضوعا روحيا (قطعة عن المحبة) ، وثانيهما اقبال جبران على شرح عبارته I am a false alarm لانه كما يبدو لي قد شعر جبران ان رفيقه لم يفقه قصد جبران من العبارة . وهذا كتاب بربارة قد عربه الاستاذ سعيد عفيف بابا في عام ١٩٥٣ ، فيحسن الرجوع اليه اذا انص الاستيقان . وكان حريا بالدكتور جبر ان يعود الى النص العربي او الانكليزي من هذا الكتاب ، ليعالج هذه الناحية علاجا جريئا عادلا .

وفي فقرة اخرى من بحثي في « الورود » اوردت : « ان نهج نعيمة بسرده بعض اقوال ما فاه بها جبران ذاته، بل وضعها هو بأسلوب روائي غيبي على لسانه، كما تخيلها هو ، نهج غير مصيب ، وكان الاجدر به والامثل ان يتحاشاه في كتاب يضعه عن سيرة أعز واقرب رفيق من رفاق حياته . فأسلوبه ذاك يصلح ان يكون لرواية او قصة مختلقة . وكان الواجب الادبي يحتم عليه اما سرد اقوال جبران كما سمعها منه بالذات ، او من مصدر ثقة ، واما عدم سرد بعض الحكايات و (الوقائع) و (الاقوال) المستوحاة ، كما في حديث جبران مع ميشلين في غرفته في باريس ، فهذه اشياء خيالية ، ليس ما يثبت صحة حدوثها ودقة حروفها وكلماتها ، ولا

يستطيع احد اثباتها غير جبران نفسه . فهل جبران حكى لميشا تلك الحكاية ، أم هي ماري هاسكل أم هي ميشلين التي خرجت من غرفة جبران « ولم ترجع الى احد » والتي ارجح ان نعيمة لم تقع عليها عينه ؟ الجواب : لا » .

لقد أجبت حينذاك عن تساؤلاتي بالنفي القاطع نيابة عن الاستاذ نعيمة ، لاني الفيته لا يملك وثائق تؤيد مزاعمه ، ولانه لم يكن شاهد عيان ، ولو كان ثمة شيء من ذلك ، لاورده بالنص . فالتواتر اذا معدوم ، والمعاينة مفقودة ، والاسانيد المدونة لا وجود لها . وعلى هذا الاساس يتسم عمل الاستاذ نعيمة بالتجني .

وينصرم عقد من السنين ، فتبزغ « الاضواء » التي تثبت صحة ما ذهبت اليه في بحثي وخطابي الآنفي الذكر ، بفضل هذا النص من كتاب الاستاذ صايغ ، المقتبس من يوميات ورسائل : « اما حادث باريس ، فيبدو انه مختلق : فميشلين لم تلحق بجبران ، وانما كانت في الواقع في باريس يوم ذهب هو اليها ، والتقيا فيها مرارا عديدة ، كان يذكرها لماري بانتظام في رسائله ، وبقيا على الدوام على صلة طيبة حقا . واما خروجها تنتحب في الظلام ، الى انتحار فعلي او الى انتحار رمزي ، فالحياة ـ هذه المرة على الاقل ـ لم تكن فيها عناصر الرواية ، وكانت اقل منها مفاجآت ومدهشات . فسنرى ان ميشلين مهما كان ما حصل بينهما في لقاء معين ما ـ اذا كان قد حصل مثل هذا اللقاء ـ لم تمت ـ ولم تمت شيئا في ذاتها ، وتابعت صلتها بجبران وبماري ، وتزوجت فيما بعد ، وانجبت ، وبسدل ان يسدل الستار على حياتها في ١٩٠٨ او ١٩٠٩ او ١٩١٠ ـ سنوات اقامة جبران بباريس ـ عاشت بعد ذلك اعواما طويلة ، وماتت في امريكا حيث مات جبران ، في العام ذاته الذي مات فيه ـ بعده بستة شهور » (١) .

ومجمل راي جبران في ميشلين نعثر عليه في هذه الجملة من خطاب جبران الى ماري في اواخر عام ١٩٠٩ : « انها حلوة جدا وعزيزة جدا ، وصلاتي ان تجد سلاما وراحة في ظل رجل صادق طيب » (٢) ، ومنه يسير على المرء ان يستشف عواطف جبران النبيلة تجاهها ، المجردة من العاطفة الجنسية .

وقبلا ثار فيلكس فارس في كتابه « رسالة المنبر الى الشرق العربي » على اتهامات زعمها الاستاذ نعيمة ، نصت ان جبران ارغم ميشلين على الاجهاض ، واقترح ان تساكنه دون زيجة عندما طلبت اليه الاقتران بها في باريس . لكن الاستاذ توفيق صايغ يذكر في الصفحة ٢٤ من كتابه ان الدكتور خليل حاوي افصح له ان الاستاذ نعيمة ـ في الطبعة الثالثة العربية من كتابه ومن نصه الانكليزي كذلك ـ حذف هذه المقاطع عن العلاقات بين جبران وميشلين ، التي بلغ بها الى حد الاجهاض المزعوم ! فماذا يدل هذا الحذف الذي اجراه الاستاذ نعيمة غير الاعتراف الضمني بالخطأ الذي أدركه بعض المنصفين المتجردين منذ ثلاثين حولا ؟ اما المرحوم فيلكس فارس ، فتعود شكوكه الى اول العهد من علاقة جبران وميشلين ، فيقول : « نستميح القراء والمؤلف ان نتساءل في نفسنا عما اذا كانت هذه الحسناء ، الفامضة الاصل والمنشأ لدينا ، كانت لم تزل حتى عرفها جبران، تلك الصفحة البيضاء الناصعة البياض » (٣) .

ورغم حقيقة اقامة جبران بباريس في غرفة صغيرة على مقربة من مقام ميشلين مع رفيقة لها ، فان يوسف الحويك في كتابه « ذكرياتي مع جبران » (٤) ـ الذي في حوزتي ـ لم يذكر هذه الفتاة « ميشلين » مطلقا ، بينما قد ذكر عددا وفيرا من النساء اللواتي نفر بعضهن من جبران لفتوره الجنسي حيالهن . لهذا السبب لم أستحسن من الاستاذ جميل جبر سرده تلك المحاورة المزعومة في غرفة جبران بباريس بين جبران وميشلين، كما اوردها في الصفحات ٨٤ ـ ٨٦ من كتابه (٥) ، معتمدا كتاب نعيمة بشيء من التصرف ، خصوصا وان كتاب الدكتور جبر ظهر بعد عمل نعيمة بربع قرن .

وافضل دليل على ما يؤاخذ الاستاذ نعيمة عليه في عدم دقته في ذكر الحوادث وصدق الحوار ، هو قوله : « وانا مدين لها « ماري هاسكل » بالكثير مما صورته في هذا الكتاب من علائق جبران معها ومع ميشلين »(٦) . ذلك ان كلمة (صورته) في الجملة السالفة لا تدل على الدقة والحقائق الناصعة ، اذ ان (التصوير) شيء يغاير سرد الحقائق في مجال السير والتراجم ، كما ان اجتماع الاستاذ نعيمة بماري هاسكل كان قصيرا جدا ، اذا قورن بعمق الوشائج التي ربطت جبران بماري وميشلين ، وببعدها الزمني غير القليل عن وقت ذروة العلاقتين . لذا لجأ الى التصوير واختلاق الحوار في العديد من المواقف التي استوحاها ، لان الغاية القصوى من سرد نظير تلك (الحوادث) التي اختلقها نعيمة وجاراه في بعضها الدكتور جبر ، هي الابانة ان جبران احب حبا خسيسا ، وان جبران لا يعدو « النبأ الكاذب » ! وهذه مثلبة من اكبر المثالب التي شاعت في كتابي نعيمة وجبر، بينما جبران الحقيقي كان على النقيض من هذا الوصف المجحف ، بدليل قول الاستاذ توفيق صايغ : « واضح من الاوراق ان اية علاقة جسدية صميمة بين جبران وماري كانت علاقة محدودة جزئية لم تصل ذروتها الطبيعية قط ، وان الطرف الذي كان مسؤولا عن ابقائها

(١) ص ٢٧ ، (٢) ص ٢٨ ، (٣) اضواء جديدة على جبران ص ٢٥
(٤) تحرير ادفيك شيبوب ـ دار الاحد ـ بيروت ١٩٥٧ ، (٥) جبران: سيرته ـ ادبه ـ فلسفته ـ رسمه . دار الريحاني ـ بيروت ١٩٥٨ ، (٦) الطبعة الثانية ـ صادر ـ ص ٢٧١ ، (٧) ص ٧٩ ، (٨) ص ٨٥ ، ٨٠ ، ٨١ ، (٩) ص ٧٢ ، (١٠) ص ١٧٥ ، (١١) ص ١٨٠

محدودة جزئية وعن صدها عن الوصول الى حيث كان مقدرا لها ان تصل ، انما كان هو جبران لا ماري » (٧) . واعترافات ماري خير مصداق . وثمة نصوص عديدة تفيد ان جبران لم يكن متهافتا على الوصال الجنسي كغيره من الطائشين النزقين الشبقين ، بل كان يفضل عليه الوصال الروحي . فهل هذا اسفاف وحب خسيس ، أم « نبأ كاذب » ؟! ورغم اعتراف جبران بجمال ماري جسما وروحا في مواضع عديدة من الرسائل والمذكرات ، فانهما لم يعرفا أوج التجربة مطلقا (٨) . وقد بدا لي جبران من خلال هذه الاضواء رجلا مسيطرا على عواطفه وغرائزه ، عقله يسير سفينة فؤاده في خضم الرغبات . واسطع دليل على ما قلت هو ما يطالع القاريء بنفسه النص الوارد في الصفحة ٧٨ من كتاب الاستاذ صايغ ، لانه (خصوصي جدا) ، كما أحيل القاريء الى ص ٧٩ حيث يعثر ـ من جملة ما يطالع ثمة من يوميات ماري لعام ١٩١١ ـ على قول جبران « انت صافية جدا ، ومقدسة جدا . أوليس من الافضل ان تكون فينا رغبة ـ وان نبدل هذه الرغبة ونرفعها الى شيء اسمى ـ من ان لا تكون فينا الرغبة اطلاقا ؟ اما انت ، فكوني كما انت على الدوام ، كما انت تماما ، ولا تعبئي بي ابدا . واذا سمعتني اريد ، فلا تصغي الي » . هذا نهج من المجاهدات التي لا يستطيعها سوى اقوياء النفوس والعقول ، واغلب ظني ان ناسك الشخروب يقدر هذا النهج خير تقدير .

اما القصة التي رواها الاستاذ نعيمة بصدد امنية جبران في الاقتران بماري وان الباعث عليها كان رغبة جبران في الضمان المالي ، لا الحب الصحيح ، وبكآن ماري صدته عنها بسؤالها المقتضب « هل انت نظيف ؟ »، فليس ما يدعمها في مذكرات ماري ، رغم انها اطلقت نفسها على سجيتها في يومياتها ، وكانت صراحتها ثمة منقطعة النظير . وتلخص ماري رايها في الاقتران بجبران قائلة : « ان عمري هو ببساطة الحاجز القائم ما بيننا وبين هفوة زواجنا ... ان بانتظار خليل حبا يختلف جدا عن الحب الذي يحس به تجاهي ـ رؤيا الحب ـ وهذا سيكون زواجه . ان اعماله الكبرى ستكون ثمرة ذلك الحب وسعادته العظمى وحياته الجديدة الممتلئة . ولن تنقضي سنوات طويلة قبل ان يحصل هذا . انا لست الا خطوة في الطريق الى المرأة التي سيحبها ذلك الحب . ومع ان عيني الحساستين تبكيان ، الا اني افكر فيها بفرح ، ولا اريد ان اتزوج (خليل) لاني اعرف انها تنمو الآن له في مكان ما وانه ينمو الآن لها » (٩) .

بارك الله على روحك العظيمة يا ماري لانك نبيلة وصادقة ، ولانك دونت لنا هذا النص المفعم !

ان سؤال ماري المقتضب الموجه الى جبران « هل انت نظيف » بزعم الاستاذ نعيمة ورده غيره ـ مع الاسف ـ لا يعدو في اعتقادي عن كونه سؤالا خياليا طوباويا مثاليا ، وصدوره من الندرة بحيث يتضاءل امام ندرة الكبريت الاحمر ، واعتقد ان اية امراة او عذراء غربية لا تسأل خاطبها هذا السؤال .

اما راي الاستاذ نعيمة الذي مؤداه ان جبران لم يقرأ دوستوفسكي ، بل قرأ عنه ، فيدحضه هذا النص من كتاب الاستاذ صايغ : « ويقرأ دوستوفسكي ويجد (١٩١٥) فيه بذور حياة جديدة : فكل ما قاله نيتشه له بذوره في دوستوفسكي الذي كانت فيه ، بشكل غريب ، رؤى روح عصره كلها » (١٠) .

هذا ما انصت التعرض له في بحثي ، وختاما ابدي ملاحظتي بشأن الصورتين المنشورتين في ص ١٩٧ من الكتاب ، مرجحا انهما معكوستان . فالعليا هي صورة شارلوت تيلر ، والسفلى هي صورة ميشلين ، بخلاف ما ورد ثمة ، وآمل ان يتدارك المؤلف هذه الهنة في الطبعة القادمة اذا تسنى ذلك .

ويبهجني ان انهي بحثي بهذا النص الذي ينم عن اعتزاز جبران بالعرب وبالادب العربي ، من رسالة الى ماري عام ١٩١٥ : « انه اعظم ادب على وجه الارض ... والعرب هم الامة التي تحظى باعجابي اكثر مما تحظى به امة اخرى ... واهوى ما يتحلون به من بطولة » (١١) . لقد الفيت من المجدي ان اسوق هذا النص بخاصة الى المتعصبين المتزمتين الذين ينظرون الى الادب الجبراني والى جبران خصوصا ، والى الادب المهجري والى المهجريين عموما نظرة ارتياب ، ويقيمونه تقييما دون مستوى الاستحقاق ، لعلهم يبدلون نظرتهم ويصححون تقييمهم . سامحهم الله وهداهم .

بغداد — يعقوب فرام منصور

الى صورة

صورتي ! أنت في ليالي شتائي
كالصديق الوفي في ايناسي
ترجعين الماضي السحيق بصدق
ووضوح ، كابرع الجلاس
أسفي .. أن في لحاظك رمزا
لمآس عديمة الاحساس
بفم يكظم المرارة قاس
ما سقته الايام ليس بناس
قهقهي ، صورتي : فانا كلينا
قد جهلنا سلوك هذا الناس !

حلب — علي الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصـــداء

بقلم اديـــــل الخشن

الشويفات ـ لبنان

جماري مخبوءة
تنام في الرماد
مثل قطـة
تستكين للدفء
تغمض عينيها وترنرن .
حبيبة جماري
والف حبيب من اشعلها
حياة تحترق
حـب يخبو
ذكريات تلهب النار .

بين شظايا النجوم
ابحث عن مرآة
انقش فيها صورة
جفوني اطارها ،
اهرول اليها
تحت شراع ضائع
تدفعه رغبة ملتهبة
تنام في سرير الامس .

نادتني الشرفة
اشجار الزيتون تزهر حولها
اغصانها تميل
ويرعشني خيالك ،
قبابها تشهق للضوء
تسأل عنك
وينفرط الزهر حبات ندى ،
الشرفة تمتلىء بك
جدرانها مشحونة بهمساتك
طوقت الجدران
وشربت الصدى .

صوتك يلفني ، يهيج بي
يهدر كالموج ، يتعالى
يسقط في دموعي
ويضيع في الرمال .

شجرة غرستها يداك
حياة رغم الخريف
تحوك عروق الزمن
تحمل خلود الشمس
لي وحدي تنحني اغصانها
اغصانها ملتفة ،
اين ذراعاك
اين الحنين يرجه العناق
تفجره اللمسات
آه لو تأتي
فيتوهج رمادي الهاجع !!

كنت معك . . .
والخزام صمت عطر
أزهار الضفاف مطبقة
والنهر قافلة
تحمل هدير أشواقنا
تفتحي يا شفاه
تفتحي يا زهور
غني حبـا
يقطن في جناح تائه .
وجهك أين غاب
وجهك كيف شرد
الفراشات تهيم
تزرع التساؤل
تستلهم أكواب العطر
اجنحتها تنتصب
تمزق السكون
وتبحر اشرعة من وجد .

مصباح يضيء
وقلبي غلالة
دارت الفراشة
في دوامة اللهب
غاصت في شفاهه
شهيدة !!
تاريخها تلهف واشتعال
احتراقها هلة للتبر والبخور
تعمدت بالنار
واستكانت
وبقيت جماري
مخبـوءة
تنام في الرماد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفقيد الامير مصطفى الشهابي

★

نبأ هـز كياني ... وكفى ! يوم وافاك الردى يا مصطفى !
حمل الناعي الينا خبرا اوشك الصبر به ان يضعفا
جاء والصبح على اشراقه يطرد الليل ، ويمحو السدفا
حملته الريح من سورية عاصفا كالريح ... لا بل أعصفا
أعولت تنشره قائلة : انطوى الفاضل ، والفضل اختفى
آه من فعل الليالي انها لم تدع للعين فينا مطرفا
كل يوم بفتة من نبأ يدع الروضة قاعا صفصفا
الاحباء تولوا واحدا واحدا ، والصاحب الحر جفا
فاعذر العين اذا ما دمعت واعذر القلب اذا ما وجفا
كل يوم راحل عن حينا لم يكد يمكث حتى انصرفا
آه لو نعرف عن فرقتنا لتزودنا !! ولكن أسفا
كيف للمعصوب عينا ان يرى والمحجوب القضا ان يعرفا ؟

ذهب العالم منا فجاة والامير الحر منا اختطفا
كان ملء العين خلقا عاليا ومروءات ، وفضلا ، ووفا
جمع الاخلاق والعلم معا فهما في بردتيه ائتلفا
خفض العلم جناحيه كما وطأ العلم لديه الكنفا
فمتى تلق (الشهابي) تجد كاسيا بالحسنيين التحفا
يتلقاك بلطف لم يزد شرف النسبة الا شرفا

خسر المجمع ركنا ، وطوى الموت من صرح المعالي رفرفا
وصحا الساهر في الدرس على نغم الموت ، وأغفى ، وغفا
رقدة قد خسر العلم بها أدبا محضا ، وبحثا منصفا
أيها الراحل لا تبعد ! فقد كنت للفصحى حساما مرهفا
ذائدا عنها ، وعن أمجادها كاشفا عن درتيها الصدفا

القاهرة — محمد عبد الغني حسن



يوسف عبد المسيح ثروة

مسرح اليخاندرو كاسونا

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

الحق ان دراسة هذا الكاتب المسرحي الساحر ، اليخاندرو كاسونا (١٩٠٣ ـ ١٩٦٤) دراسة ينبغي لها ان تتقصى اثاره العظيمة لكي يكون الانطباع عنها وافيا بالقصد ، والا ـ والكاتب الاسباني ـ جديد علينا بعض الشيء ، فسيفلت منا كله او جله ، لان حلاوة منطقه الحواري ستضيع بين اذاننا والسنتنا ، تحت حمد موسى الابجدية والابتسار ..

ومع ذلك ، فليس لنا ، ونحن محصورون بين هذه الجدران الورقية الاربعة ، الا ان ننهض بواجبنا المسرحي نهوضا يليق بكاسونا ولو تعريفا لا درسا وتمحيصا . فمن العيب والغرابة والدهش ، الا يتعرف جيلنا نفسه على كاسونا ، وقد هزت شخوصه خشبة المسرح الاوروبي بل العالمي هزا لا تزال قرقعته المدوية تنتقل من صقع الى صقع ، في دنيانا المعمورة هذه ..

لن اتحدث ـ في هذه العجالة عن حياة كاسونا الحافلة ، فسنقتصر في بحثنا هذا على ملامح مسرح كاسونا ، بالاستناد الى نموذجين مشهورين من مسرحه وهما « مركب بلا صياد » و « سيدة الفجر » (١) وغرضنا من هذا الاقتصار ان نعرض صورا من مسرح كاسونا ، عرضا حيا متجاوزين التفاصيل التي لا تسمح لنا بها الظروف . فما هي ملامح مسرح كاسونا اذن ؟ وما هو اسلوبه ؟ وما هي فلسفته ؟ وهل نجح في تطبيق فلسفته على مسرحه ، من غير تخلخل ؟ وما هي صورة كاسونا وقسماتها في شخوصه ؟.. وهل هذه الشخوص شخوص ، شامخة الجبين ، حية ، نابضة بالحركة قادرة على المداورة والمناورة والتملص من المزالق والمشاكل بيسر وبغير تصنع وتكلف ؟ هذه الاسئلة وغيرها كثيرة تتوارد على الذهن ، ولكننا لن نجيب عنها بصورة متسلسلة منطقية ، ففي ذلك تحديد لانطلاقنا في هذا الشان ، وفي كل تحديد منطق بارد لا يأتلف وما نحن ساعون فيه ، من دينامية البحث ، وانتقالاته وانطلاقه وحريته . ومع ذلك ، فمن الملامح المسرحية المهمة ، في نتاج كاسونا باسره ملمح لا ينبغي ان يفوتنا مطلقا ، ذلك هو ايمانه العميق بالانسان . فايمان كاسونا بالانسان ايمان لا يقتصر على العمق والشفافية واللطف والمحبة حسب، بل يمتد الى التفهم الصحيح لمشاكل الانسان وظروف حياته ، والى المشاركة الحية المجدية ، في مشاكل بني الانسان ، من حيث عرضها عرضا امينا ، وتبيان ما يعتور حياة المجتمع من اوضار ومظالم وجور وما يحيق بالناس من سوء ومكر واستغلال وانتهاك للحقوق وتفتيت للمصائر وتشويه للاخلاق وتمزيق لعرى الانسانية ووأد لكل القيم وسمل لابصار النقد والتقويم ، وتحطيم للقدرات وقبر للمواهب !

ان الانسان ـ لدى كاسونا ـ كائن سام ، هو اثمن رأسمال في العالم .. ولكنه في عالمنا هذا عالم البورصة والمضاربة بضاعة تشرى وتباع . او هو ـ على الاصح ـ رقم من الارقام وهذا امر لا يمكن ادراكه ما زالت اقنعة المجتمع تغطي اوجهنا ، وما دمنا لا نميز بين تلك الاقنعة ووجوهنا .. ان مسرح كاسونا يريدنا ان نرى الحقيقة ، بان ننزع ـ والى الابد ـ الاقنعة عن اوجهنا ـ لنعود بشرا سويا ، لا بيارق في لعبة الشطرنج ... ولما كان البخل والنفاق والحسد والتملق والتظاهر ـ من آثار هذه الاقنعة .. ولما كان كاسونا ـ يمقت الاقنعة هذه مقتا شديدا مشروعا ، فلا بد ان نتحمل سيل هجماته الشديدة على البخل والنفاق والحسد وما يجري مجراها ـ من عوارض مرض المجتمع ـ المنحدر الى طرق التفسخ والانحلال .. وعلى ذلك فان كاسونا ناقد اجتماعي عنيف وحصيف ، ولكن ذلك لا يعني انه لا يفهم حدود البشر ، وامكانيات ابناء آدم ، فهو يعترف بهذه الحدود ـ وهذا ما يجعله واقعيا يستند الى تصوير الحياة ، في مسراها ـ وهو ـ لما يرى الامكانيات المكبوتة ـ بل المسحوقة ـ يرتفع عن سطحية الواقع ويحلق في اجواء لازوردية خيالية .. تطرزها له رؤياه الخيرة تطريزا موشى ، باجمل ما تكون الوشية . ومن هنا ـ فقد اجتمعت ـ فيه وفي فنه ـ قدرات الشاعر الساحر المتفتح على الآفاق القصية ، ورهافة حسه ، وجمال اسلوبه ، وجرس كلماته المجنحة ، كما تضافرت على قلمه خبرته الغنية ببواطن الحياة وظواهرها ، وما فيها من بؤس وقبح وتفاهة وحقارة ولؤم وتعاسة ، فكانت هذه الخبرة معينه الذي لا ينضب في استخدامه لنوع خاص من النثر الرفيع ، الذي هو اقرب ما يكون الى لغة الشعب ، وابعد ما يكون من سطحية هذه اللغة وبذاءتها وسماجتها ..

واذا كنا نعرف ان لغة الشعب ، هي تراثه الحي ومجمل ثقافته، وجامعة معارفه ، واداة اتصال افراده ببعضهم ، وزبدة تجاربه ـ واذا كنا نعلم ان الثقافة الاسبانية ـ بمفهومها الشعبي ـ كنز لا يفنى من الفولكلور الممتد على مدى الاجيال ، ابتداءا من الاصول الرومانية والرومانسية القديمة . ومرورا بالثقافة العربية ـ في العصور الوسطى ـ وانتهاءا بمأساة الحروب الاهلية التي اهلكت اكثر من ثلاثة ملايين من ابناء اسبانيا ـ ضحايا وقرابين ـ اذا كنا نعلم ذلك كله ، ونعلم سعة موهبة كاسونا وقدرتها على تشرب الثقافة الحية من مصادرها الثرة ـ صح لنا ـ ونحن نقتفي اثار ساحرنا ـ ان نفهم الى اي مدى كان كاسونا ابنا بارا لشعبه وكيف انه تجرع ما تجرع من كؤوس المرارة والحرمان ـ وهذه الحياة التي عاشها كاسونا ـ كان يمكن ان تورثه السخرية المرة والتهكم اللاذع ، والفزع من الوجود نفسه ، والتشاؤم ـ ولكنها لم تستطع ان تفعل ذلك ـ فرقته ولطفه وبشاشته وفكاهته وسماحته لم تفارقه قط في اسوأ الاحوال .. ولذلك نراه اذا ما اظلمت الدنيا في وجهه ـ يتجه الى الخيال ليجد فيه ملاذا ولو وقتيا عن الظلام الضارب اطنابه على وجوده ـ ومن هنا كان الخيال والواقع سمتين بارزتين في مسرحه تجدهما يتعاوران على رفد فنه .. واذ عرفنا ان الخيال لا ينفصم عن الشعر ، وان النثر لا ينفصم عن واقع الحياة ـ كان التزاوج بين الشعر والنثر فضلا عن تداخل الخيال والواقع ـ سمة اخرى من سمات مسرحه ...

ومع ذلك ـ فان كاسونا ـ لم يصطنع اجنحة الملائكة ، ولم يعرج الى الاعالي دفعا لسام الوجود الحالك ، وسماجة حياته المعطوبة !

ومما كان كاسونا يمقته اشد المقت (غابة الذئاب) التي تنتشر في كل البلدان التي ينتصب فيها المال ، سيدا ، لا كلمة الا كلمته ولا سطوة الا سطوته ، والقسم الاول من مسرحية « مركب بلا صياد » ينوء بالشواهد ، في هذا الشان . ومن مقته هذا ينبع حبه الشديد العميق ، الرهيف ، الذي يمحضه بملء قلبه وروحه ونفسه ، كل البشر الذين يستحقون مثل هذا الحب الذي تتفجر ينابيعه في ارجاء مسرحه بأسره ، ومن هم الذين يستحقون هذا الحب غير المطحونين المسحونين ، المضطهدين ، من كلا الجنسين .

ولكي نكون على صلة برأي كاسونا في (غابة الذئاب) علينا ان ندخل صميم (مركب بلا صياد) ، ففي مكتب رجل الاعمال ريكاردو خوروان ، نسمع اول ما نسمع عواء الذئاب واضحا ، فيه رجة وحشية ، وقسوة انانية موغلة في الدناءة والخسة ، فالصراع بين الذئاب الجائعة صراع بين (الشركة الكندية) وبين ريكاردو ، وما دام الموضوع موضوع الصراع ، فريكاردو قد رأى نفسه في مواقف اسوأ . ومع ذلك فقد عرف كيف يجابه العاصفة ذلك انه ما دام يعرف من اين تأتي الضربة فانه من اليسير ان يتجنبها ، واذ يذكر بيوشع مندل غريمه ، في عالم البورصة الرهيب ، لا يرى باسا ان يقول متبجحا : « ... انه تلميذ مغرور . ان اول ما خاضه من صفقات قذرة في حياته ، انما تعلمه على يدي انا . ولسوف اريه كيف يحترم استاذه (٢) . » نعم سيفعل ذلك ، وهو قادر لانه سيواجه خصمه بسلاحه نفسه ، سلاح الانانية التي لا تستطيع ان تفكر الا بالمقاتل التي تستهدفها ، فليس من شان اصحاب الجبارة ان يضيعوا اوقاتهم في التفكير في الاخرين . ان الذئب ريكاردو لا يعرف معنى الخوف ، ولذلك فهو لا يهتم بارتفاع اسهم البورصة او هبوطها، ولكن مدير البنك ، على تحجر قلبه المعروف ، لا يرى من المناسب الا يعطي صورة حية للذئب عن تلك الاغنام ، عن اولئك المساهمين ، فهو يخبره بجلية الامر بقوله : « .. انك لو رأيت المساهمين هناك لشاهدت قطيعا استبد الرعب به ، فاقبلوا يعوون ويصرخون ويتدافعون بالمناكب لكي يتخلصوا من اسهم تهوي الى الحضيض . » ولكن من الذي يستفيد من هذا الرعب ؟ انه ولا شك (مندل) الذي سيسمح بهبوط الاسهم الى الحضيض ، قصد تحطيم منافسه ، وحين تصل تلك الاسهم الى ذلك الحضيض (سيتقدم بكل هدوء لكي يلتقطها) وبذا تؤول الشركة اليه ... ارأيت كيف تكون المغامرة والمضاربة ؟ مندل يريد ان يقضي على (صاحبه واستاذه) ويخرجه من الميدان ، حتى اذا جن جنون المساهمين ، بعد ان تكون موجوداتهم قد تعرضت، بدورها ، الى الهلاك الاكيد ، والنفاد المحقق .. لا عليه ، فهو حر في المضاربة ، حر بالمغامرة ، حتى الى النفس الاخير ، وعلى حساب المساهمين المساكين ، بغية قصد واحد ، قصد شرعي ، معترف به ، هو القضاء على غريمه وابادته اقتصاديا ، والى من يستند (مندل) في نشر هذا الضباب الكثيف من الرعب ، انه يستند ـ حسب تجربة ريكاردو الطويلة ـ الى شراء الصحافة ، وناشري الذعر المأجورين والاشاعات التي تبث القلق بين اوساط الشعب بعامة وبين اوساط المساهمين بخاصة . وتزداد الصعوبات في وجه ريكاردو بقيام ثورة وطنية في موطن امتيازاته النفطية ، ومعنى ذلك ان نظام الحكم الجديد لن يعترف بالمصالح الاجنبية . يسمع ريكاردو هذه الانباء البالغة السوء الا انه يعزي نفسه قائلا : « هذه دعايات سياسية لا يجرؤ احد على ان يؤكدها . ان البترول ليس له وطن . »

ولما بدأت الضائقة المالية تأخذ بتلابيب ريكاردو ، بل بخناقه ، انتقل اصحابه ، اصحاب المصلحة من جانبه الواحد تلو الاخر وبسرعة مثيرة ، حتى عشيقته انريكتا فقد شوهدت وهي تتعشى مع غريمه مندل في فندق كلاريدج ، والانكى من ذلك انها نفسها لم تتوان عن محاولة سحب اسهمها . امور مذهلة حقا ـ في العرف الانساني ـ ولكنها ليست كذلك ، في عرف المال وزبانيته ، عندما تنحسر حظوظ وتتعالى حظوظ ، في ميدان المصادفة الهوجاء والفوضى المجنونة ، ميدان البورصة وهذا ما يلحظه ريكاردو بكل جلاء حين يقول : « .. ها انذا ارى اللعبة بوضوح . السفينة توشك على الغرق ، والفيران تسرع لمغادرتها » . غير ان الذئب هذا ، ليس له ان يستسلم ، فهو يجيد المداورة ، وكل من يجيد المداورة يعرف كيف ينقلب على خصومه عندما تؤاتيه الفرصة .. وها هي الفرصة تؤاتيه بعد ان اخذ منه الوصب ماخذه ، فانهار على كرسيه يرجو شيئا من الراحة لاعصابه التي كادت تتفتت.. ها ان رجلا متشحا بالسواد يدخل الغرفة التي فيها ريكاردو (الرجل ذو مظهر عادي لا يميز شخصيته الا وجه تلوح عليه علائم الجراة وذقن مدببة وابتسامة باردة) فمن يكون هذا الرجل ؟ انه شيطان مارلو في مسرحيته (الدكتور فاوست) ومفستوفيليس في مسرحية غوته (فاوست) انه الشخص الوحيد الذي يستطيع انقاذ اي انسان مهما تكن هاوية ورطته عميقة .. ذلك « ان الشيطان ليس شخصا من لحم ودم ، بل هو فكرة مجردة » . فكرة الاثم والشر والظلام والاسرار ، وبما ان كاسونا ـ لا يجد ـ في النظام المالي كله غير الشر المتراكم المتحول دائما في صوره واشكاله ، من تحولات الدورة الاقتصادية ، وبما ان هذا الشر لا يمكن ان يحل مشاكله بغير شر افدح منه مسؤولية واخطر منه شانا ، فان الشيطان هو العون الوحيد ، الذي يمكن ان يمد يده لانقاذ هذا النظام من تناقضاته التي تنتهي دائما في ازمات وحروب مدمرة .. ذلك ان الشيطان نفسه هو تجسيد معنوي لهذا النظام .. ومن ذلك كله فليس غريبا ان ينتبه ريكاردو الى هذه الحقيقة حين يقول « هذا مستحيل ! شيطان يتجسم في هذا العصر .. وفي هذا المظهر ! » غير ان هذه الاستحالة التي يريد ريكاردو ان يتشبث بها دفعا لانتباهته الفطرية ، ما تلبث حتى ان تنقلب الى واقع ملموس ، واذا بالرجل الشيطان قوة حقيقية لا قوة وهمية خيالية طارئة وهذا ما اثبته الرجل عندما حاول ريكاردو ان يزحزحه من مكانه ... والغريب في هذا الشيطان انه شخص عاطفي رقيق القلب ، لا يهتم بشيء اهتمامه بالروح ، على الضد من اصحاب ريكاردو الذين لا يهتمون بشيء اهتمامهم بالماديات وبشباك المال والاقتصاد ، وعاطفيته هذه فضلا عن رقة قلبه هي التي دفعته الى انقاذ ريكاردو من منزلقه الذي كاد يودي به الى قرار سحيق ..

والاغرب من ذلك ان هذا الشيطان يحتفظ ببطاقة كل رجل من رجال المال ، واذا ببطاقة ريكاردو (حافلة فعلا بالخيانات والشرور والفضائح والاضرار) حتى الالم الانساني لم يهز قلبه مرة واحدة . لانه لم يحافظ على يمين اقسم . ولم يحترم امراة غيره . اما وصيته التي لم تنفذ ، وصيته بعدم اشتهاء مال الاخرين ، فيرى انه من الخير لهما الا يخوض فيه . واذا علمنا ان هذه الوصايا هي وصايا سماوية . علمنا المدى الذي استغلها فيه كاسونا ـ من اجل تكثيف العمل الدرامي وشحن التازم النفسي شحنا اخاذا .. لقد خرق ريكاردو اذن كل ما أمره القانون باحترامه وضرب به عرض الحائط ، ولم يبق من الوصايا الا وصية واحدة هي : لا تقتل .. فلماذا لا يقتل لكي يتم خرق كل الوصايا .. وبذا يتوج حياته تابعا امينا للشيطان ؟

لانه وقد بلغ الدرك الاسفل من الانحطاط ، فليس بينه وبين هذا التتويج غير عمل بسيط واحد ، هو استلاب الروح ، جريمة القتل التي قد لا يسفك فيها الدم ، افلم يفعل ذلك من قبل ؟ بلى انه فعل ذلك وهاك ما لحظه الرجل (الشيطان) في بطاقة ريكاردو انه يضرب مثلا لذلك فيقول : « مثلا حينما كنت طفلا فقيرا كنت تتجول على ارصفة الميناء باحثا عن موزة فاسدة لكي تسد بها جوعك . وبعد ثلاثين سنة اصبحت تلقي في البحر بمئات من العربات الكاملة من الموز

حتى ترفع سعره . اي اسم يمكن ان يطلقه على هذا العمل اولئك الاطفال الجياع الذين ما زالوا يتجولون على ارصفة الميناء ؟ » ارايت الحكمة في اعلى اوجها ، في جلالها وروعتها وحقيقتها الواخزة العارية الصارخة ؟

وحكمة من هي هذه الحكمة ؟ انها كلمة يلقيها الشيطان لتكون موعظة العصر الجديد ، على جبل النار ، وهي ـ على بساطتها ـ تعطينا المفتاح الصحيح لفتح مغاليق النظام الآسن ، الموغل في الموبقات والاجرام . الاطفال يجوعون ويموتون جوعا ، وجوعهم يفتت الاكباد ويشوي النفوس ويهري الجلود ، ولكن الدنيا قاعدة لا تقوم ، لان (القلب ناصح مفسد لصفقات رجال الاعمال) . ومن الغريب حقا ان هذا الشيطان مطلع اوسع الاطلاع على كل صغيرة وكبيرة من شؤون هذا النظام الذي يصنع المرضى ثم بعد ذلك ينشىء المستشفيات لهؤلاء المرضى . غير ان ريكاردو لا يعرف ولا يكاد يصدق اذنيه ، ان الشيطان يمكن ان يكون رؤوفا بالانسان حادبا عليه . والا لما كان شيطانا جادا مقدرا لواجبات عمله وهو لا يرى في هذه المواعظ غير اثار بالية لم يبق لها معنى في هذا الوجود المستند الى الواقع الذي يحياه الناس ومع ذلك يوغل الشيطان في اثارة المشاكل وعرض الشرور التي تنبثق من طبيعة هذا النظام .

غير ان ريكاردو لا يرى نفسه المسؤول الوحيد عن ذلك كله فهو يقول : « لكن هذه الشرور التي تتهمني بها لست انا المسؤول وحدي عنها » فكثيرون غيره مشاركوه فيها وعليهم جميعا تقع التبعة .. غير ان هذه الشرور تهون في نظر ريكاردو فلا يبالي بها ، انه يراها امورا ثانوية اعتيادية يمارسها بعضهم بكل ضمير مرتاح ، اما القتل بالمعنى الحرفي من الكلمة فمسالة يرفضها ريكاردو ، لانه يجدها عسيرة الفهم ، صعبة الاجراء ، غير ان الشيطان وقد عرف انتهازية صاحبه لم يلبث ان لوح له بالصفقة فرجل مثله لا ينبغي له ان يرفض صفقة دون ان يسمع الشروط ، وهذه قضية حساسة بالقياس الى رجل المال . ماذا لو ان جريمة القتل لا تكون عملا محسوسا ماديا ؟ ماذا لو كانت المسالة تتعدى النية الاجرامية حسب . وكانت هناك مقابل هذه النية شروط مغرية لا يمكن دفعها ـ وقد وضعها الشيطان في صالح ريكاردو ؟ ان الجريمة ستقع على بعد وسيكون الجاني بعيدا عن ايدي العدالة الفولاذية . لا عليه اذن من جرم في صددها.. انه بريء ماديا. افلا يكفيه ذلك مقابل اعادة اعتباره والقضاء على منافسه مندل وهزم غرمائه ، في ميدان المال الجليل ؟ بلى يكفيه ذلك وزيادة . انه سينتصر وهذا امر عظيم بالقياس الى ذلك الصياد مثل الالوف من غيره من الصيادين « انه يصعد الان تلك الربوة في طريقه الى بيته المطل على البحر » فليوجه اليه ارادة القتل وليرمه من حالق بين الصخور ، وبخاصة والرياح تهب بشدة من هنا وهنا ، واسباب الجريمة غير واردة . فماذا ينتظر ؟ ان الضحية تكاد تقع في الهوة فليدفعها بارادته حتى تعود ثروته اليه وجبروته وسطوته . ماذا ينتظر؟ (لم يبق الا قليل من قوة الارادة) وتنفلت الارادة من عقالها ، ويتم سحر الاغراء ، فاذا بتلك الارادة « لفحة عنيفة من ريح سوداء على الربوة الصخرية ونهاية صياد . شيء يتكرر كل يوم » . وتسمع صرخة من مكان ما ، وتهز هذه الصرخة طبلتي اذني ريكاردو وتخترق اغوار نفسه فتتشنج اعصابه ويقول : « ولكن .. هذه الصرخة !.. لو انني على الاقل لم اسمعها ! »

ويحدث انقلاب شامل في اسعار الاسهم فجاة . واذا بالنصر الذي دبره الشيطان يأتي ذليلا صاغرا ليتمسح بقدمي ريكاردو ، واذا باتريكيتا تقسم له انها باقية على العهد ، وانها ـ ان فعلت ما فعلت فمن اجله وحده وهذا امر ليس غريبا منها وهو ما كان يتوقعه ريكاردو ! ولذلك فحين تحدثه باخلاصها له يقول معقبا : « .. هذا هو ما كنت انتظره منك . ولكني انصحك بالا تكوني قليلة الصبر مع « الاخر » كما كنت معي . فانه من الحكمة ان ينتظر موت الدب قبل ان يتفق على توزيع جلده » . ثم ان هذا الاخلاص ، بل الولاء له تصاعد بشكل حمى مع تصاعد الارقام ـ في البورصة ـ فاذا باصحابه الذين تخلوا عنه في وقت المحنة يتنافسون فيما بينهم ليعرضوا عليه ولاءهم وثقتهم واعتزازهم به ـ انهم جاءوا ـ وكلهم شجاعة وبطولة وبسالة ـ ليساعدوا المنتصر ! غير ان النصر هذا نصر مشكوك فيه طالما هناك بقعة دم تلوث رايته . لكن اين هذه البقعة ؟ ان اتريكيتا لا تراها ، بينما يراها الذي اهدرها ، يراها على شاطىء من الشطآن، في قرية من القرى يراها في جسد مسجى تحوم حوله اسراب من طيور الماء .. جسد يكتشفه طفل صغير .. وسرعان ما تعمل هذه الرؤية عمل المعجزة ، واذا برجل المال ريكاردو انسان اخر ، انسان وجد نفسه للتو واللحظة ، بعد ان فارق آدميته طوال هذه المدة .. انه الان انسان سليم يفر من المجذومين .. ولذلك فهو يناشد جماعته ـ ولاول مرة ـ ان يفهموا انهم بشر فيقول : « اني اسائلكم انتم يا من تشترون وتبيعون كل شيء : بكم يستطيع المرء ان ينزع من اذنيه صرخة مذعورة اطلقتها امرأة ؟ اي نهر من الذهب يستطيع ان يعيد النور الى هذه العيون الزرق التي جمدت فيها النجوم من برد الموت؟»

ها ان شاؤول قد اصبح بولص ، العدو اللدود الذي كان يناصب اتباع السيد الناصري العداء ، يؤمن بالسيد ايمانه باقدس مقدساته ، لقد ولد شاؤول اذن ولادة جديدة ، وكذلك جرى مع ريكاردو ما جرى مع بولص . لقد مات ريكاردو الدنيء ، المخاتل ، القاتل ، المنتهك لكل الحرمات المستهل لكل الموبقات .. فليحيا اذن ريكاردو الثاني ـ الانسان المولود من روح الانسانية المنبثق من رحم الرحمة ! فلننتقل الى قرية القتيل بيتر اندرسون ، في الشمال ، حيث نجد الجدة تتجاذب اطراف الحديث مع فريدا اخت ستيلا زوجة بيتر ، الجدة تشعر بفقدان بيتر شعورا بسيطا آسرا حين تقول : « .. متى نقص طبق الرجل لم تعد هناك ضحكات ولا نبيذ ولا غد . امرأتان وحيدتان ولا اكثر من ذلك .. » وتستطرد ، « ملعونة ! .. ملعونة هي الدار التي لا تضم الا نساءا وحيدات ! » الجدة لا تستطيع الا ان تمعن في الحديث لان الكلمات اذا ظلت في دخيلتها احرقتها ، فلتذهب اذن مع الريح ، فالكلمات التي لا تقال لا تلبث ان تتعفن في سرائر الصدور .. وتريد فريدا ان تبوح لها بسر في نفسها ولكنها تكظم ما في نفسها وهذا امر يزعج الجدة كثيرا ولذلك تخاطب فريدا بقولها : « .. اذا كان هناك شيء يعض روحك ويدميها فتذرعي بالصمت ودعيه يمزق احشاءك من الداخل » . ذلك بان الصمت هو اشد ما يفزعها ، وهو لديها والظلام صنوان ، في اثارة الرعب والفزع والرهبة !

وتعود ستيلا لتلتقي بفريدا ، واذا بالاختين وجها لوجه .. فريدا تتصورها في واد غير واديها وستيلا تنكر ان تكون موجودة في واد اخر ، فهي في الوادي نفسه مع اختها . فريدا تريد ان تعزيها بما حدث لغيرها من النسوة في القرية . فهذه مشيئة الله . لكن ستيلا لا تهدأ . وعندما تقول اختها : « ولكن من يحرك الريح اذن ؟ » تنفجر ستيلا فتقول : « لم تكن ضربة من ضربات الريح تلك، التي قذفت به الى سفح الجبل . بل كانت يدا اثيمة مجرمة » . وتذكرها اختها بقرب بيتها وبانقطاعها عنها ، فتلجأ ستيلا الى احلامها ترجو فيها ترويحا لنفسها كأنما هي تستعرض جيشا من الاشباح الماشية في الضباب .. اشباح صامتة ليس منهم من يرثي لالم امرأة وحيدة تمزق نومها اسئلة محرجة ، منكوبة ، شنيعة ، مفزعة ، لا تحظى بجواب .. ستيلا هذه تريد ان تقضي ايامها في بيتها ثابتة جامدة كما لو كانت المجداف المعلق على الجدار . فريدا تريد ان تعرف ماذا تفكر اختها

(١) لم يسر لنا ضيق المجال لنا دراسة (سيدة الفجر) . (٢) شواهد « مركب بلا صياد » من ترجمة د. محمود علي مكي .

هزيمة النصر

يـا حلـم يخـفق فـي الـرؤى ... قمـرا يضـوىء فـي الحنايـا
الليـل أسـحم ، والشـجون ... تثـير فـي روحـي أسـايـا
يـا قـدس ، صمتـك قاتـل ... كـم تصبرين علـى الرزايـا !
لـو تنطقـين ، لعلهـم ... قـد يخجلـون مـن الخطايـا
ردي الرمـاح الـى الصـدور ... فقـد شـبعت مـن البـلايـا
يـا قـدس واهبـة الخلـود ... أكـاد أغـرق فـي دمـايـا
قصفـوا المـآذن والقبـاب ... وأسـمعوا الدنيـا حكايـا
النصـر ؟ .. تلـك هزيمـة ... ستظـل ترجمهـم منايـا
ويظـل مجـدك فـي الضمـير ... سـنا يضوىء فـي الحنايـا

قطـر

راضي صدوق

فيه ، غير ان اختها لا تريد ان تبوح ما في نفسها ولذلك فهي تحدث اختها قائلة : « .. لو كان هناك شيء لكفاني ان افكر فيك انت وفي ابنك لكي اسكت عن قوله » . غير ان ذلك الجواب ذا المغزى القريب الذي طلعت به ستيلا بفاجئها برعدة مخيفة تتملكها من اخمص قدميها الى سمت رأسها ، فتلح في التساؤل وتفصح عن شكها في كرستيان زوجها ، ولكن حلم كرستيان هذا ، كان يراود ستيلا كانه برق اسود منتصب على الدماء التي تلطخ سفح الجبل ..

ويدخل ريكاردو بمعية ماركو الى بيت الارملة والجدة النفسة . فماذا الذي جذبه الى هذا المنزل بالذات ؟ انها الرغبة في التعرف على قرية بيتر والاشياء التي كانت خاصة به والناس الذين كان يحبهم .. هذه اشياء لا بد انها كانت تخطر على باله الخائض في بحر الوساوس والقلق والحيرة ، وتمضي ستيلا وكانها تجيب عـن اسئلته قائلة : « اما الاشياء فهي قليلة : هي هذه الجدران الاربعة ، ومركب صيد مشدود الى رصيف الميناء بعد ان لم تعد له جدوى . واما الناس الذين كان يحبهم فهم اهل القرية جميعا ونحـن الاثنتين » . ويشرح ريكاردو قضيته بصورة مبهمة ويبين « ان سعادته او شقاءه كانا رهينين بالتوقيع على وثيقة وكان اسم بيتر اندرسون هـو الذي قـرر مصيره كله » .. هذا شيء حدث يمكن فهمه ، اما الشيء الذي لم يكن له ان يفهمه هو « ان السعادة والشقاء يمكن ان يكونا شيئا واحدا » . امر غريب حقا ان تتحول السعادة الى شقاء مقيم ، ها ان الحصيلة اذن شر فظيع ، وما المال ـ بفقدان الضمير ، والتنكر للقيـم وضرب الاحاسيس الانسانية ـ الا قوة شريرة تحطم كل شيء قدامها ، لا من اجل هدف تسعى اليه ، ولا وسيلة تحقق ذلك الهدف ، فان المال ليس له هدف ولا وسيلة . لان كل وسيلة الى اي هدف مهما تكن الوسيلة ومهما يكن الهدف ، عمل زاد نصيبه من الجدوى او قل ، الا اكتناز المال فليس له ما يبرره الا الاستزادة منه ، وبالتالي فهو تراكم كمي ، ليس فيه من العمل نصيب .. ولهذا كان الراسمال ـ سواء منـه الثابت او المتحرك على طرفي نقيض مع العمل . وكان هذا التناقض بينهما تناقضا جذريا لا يمكن تسويته الا بان يصبح الراسمال نفسه اجتماعيا كما ان العمل جهد اجتماعي .

ومن ثم فليس في الدنيا مال يكفي لملء الفراغ الذي تركـه الصياد بيتر في بيت ستيلا .. وهذا العداء بين الانسان والمال هـو الذي يفسر لنا تردد ريكاردو في مسالة مجيئه الى القرية .. غير ان انسانية ريكاردو ـ وقد تغلبت على جشع المال ـ تنتصر فيجيء القرية بل البيت الذي انتصب في احلامه قصرا رهيبا ، سيداته امراتان ، الجدة التي تفصح عن ذات قلبها بيسر ، والارملة التي تتناوح بيـن جنبات نفسها رياح الحزن العميق . لقـد اصبح ريكاردو انسانـا حقيقيا ، بعد ان كان اسما ، رقما سندا من السندات ، لقد انفصل عن تاريخه القديم تمام الانفصال ، وعن كل ارض اخرى غير التـي يجدها في القرية بل في هذا البيت بالذات ، فليس هناك من ينتظره في اي مكان . ان ريكاردو ، الذي يعرف العالم الذي فارقه لا يجـد غضاضة ان يغض بصره حين ينظر الى انسانة قديسة هـي ستيلا . وعندما تتساءل ستيلا عن سبب ذلك يجيبها : « لا ادري . فاذا قادم من عالم لا يقدم فيه احد شيئا الا لقاء اجر . حتى احط الجرائـم واجبنها لا ترتكب الا لقاء مال معلوم .. حيث ينظر الناس الى كل من لا يعرفونه نظرتهم الى عدو منتظر » . ويلوح ريكاردو بموضوع شراء مركب الصيد ، فاذا بستيلا يجن جنونها ، فهـي تفضل ان تجـوب الطرقات سائلة كسرة الخبز على بيع المركب ، اذ لو فعلت ذلك لكـان بمثابة بيعه هو . كيف يمكن ان يباع هذا المركب الذي (كان سلمـا طويلا كل درجة فيه تعني اسبوعا جديدا مـن الالام والتضحيات) . وتنفتح الجدة على نفسها وعلى ستيلا وتتحدث عن مجيء ريكاردو فاذا بالبيت قد اصبح منذ وصوله وكانما قد فتحت فيه نوافذ جديدة من كل ناحية ، وتبادلها ستيلا هذا الانفتاح فاذا بالدم الذي يجري فـي عروقها ينبض نبضا خاصا ، لقد كانت من قبل تعرف ما تريد اما الان فلم تعد قادرة ان تفكر في شيء تفكيرا مطمئنا ذلك ان رجلا آخر دخـل حياتها .. رجلا خرج من البحر ليحل محل الذي هبط اليه فكـان خروجه خيرا لهذا البيت الذي كان اشد ما يكون تلهفا الى مثل هذا الرجل الانسان !

بغداد

يوسف عبد المسيح ثروة

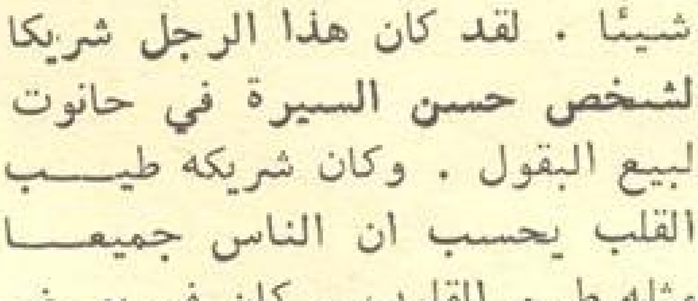
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجل سيء السمعة

بقلم عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« انك لا تعلم من امر منيب مسعود شيئا . لقد كان هذا الرجل شريكا لشخص حسن السيرة في حانوت لبيع البقول . وكان شريكه طيب القلب يحسب ان الناس جميعا مثله طيبو القلوب . كان في بعض الاحيان يغيب عن الحانوت لقضاء حاجة له تاركا العمل لشريكه منيب. وكان هذا يختلس بعض النقود المتجمعة في درج الحانوت حتى أدى عمله ذاك الى الافلاس . وشريكه الطيب القلب لم يخطر بباله ان منيبا اختلس من المال شيئا . كان يثق به ويعده اوفى اصدقائه ،



منيب رجل موفق في عمله قوي ، جريء ، ولكنه يعتدي على غيره من الناس دون ان يحسب حسابا لشيء . انه مجرم سافل بذيء اللسان لا يحترم احدا . انه غادر لا يقيم وزنا للاصدقاء . يفتك بمن يخاصمه فتك قاطع الطريق المسلح برجل اعزل بريء . يعبث بقلوب العذارى فيشوه سمعتهن . يا لخسارة ذلك الوجه الجميل الذي يلاصق راسا ملؤه الخبث والدس والشر .

(منيب رجل عصبي المزاج ثائر الطبع طائش الفكر . غير انه في ساعات هدوء باله وراحة نفسه تتجلى طيبة قلبه وحلاوة نطقه وذكاؤه وانسه . وهو يحب العمل والجد فيه في كل حال ، ويتغلب على اليأس في كثير من الاحيان) .

مضى عليه زمن طويل وهو يعمل بقالا في الحي الذي يقيم فيه ، وكان موفقا في عمله . غير انه تبين له اخيرا ان نفقات اسرته تزيد على ربحه . وهذا نتج من ازدياد في عدد اولاده ، فقد اصبحت اسرته اليوم مؤلفة من اولاد يبلغ عددهم ضعفي عددهم منذ سنين . لذا اعتزم ان يبحث له عن عمل آخر . وقد سمع منذ بضعة ايام ان مصنع الجوارب الذي انشيء حديثا في مدينته في حاجة الى موظف بارع في الحساب ومسك الدفاتر . فاستبشر خيرا ، وامل ان يفوز بالوظيفة الشاغرة فيه ، فان له موهبة فذة في الحساب قلما يجاريه فيها احد .

واجه مدير مصنع الجوارب ، وقدم اليه استدعاء يرجو فيه تعيينه كاتبا للحساب ، وبعد ان اجري له امتحان في هذا الشأن تبين للمدير انه كفء للوظيفة الشاغرة ، فوعده بتعيينه كاتبا عنده بعد مضي ثمانية ايام ، اذ يصبح المصنع في ذلك الوقت مهيأ للعمل .

اغتبط منيب بفوزه بالوظيفة ، وراح يتحدث الى اصدقائه ومعارفه عن براعته في الحساب ، وعن الامتحان الذي اجري له ووفق فيه كل التوفيق ، وعن ثناء مدير مصنع الجوارب على ذكائه وسعة عقله . فاستكثر بعض اصدقائه ومعارفه ان يفوز رجل بغيض مثله بتلك الوظيفة ، وآثروا ان يفوز بها رجل غيره ، وراحوا يسعون لتغيير قلب المدير عليه .

وكان احد الواشين رجلا معروفا بالاستقامة ومتانة الاخلاق ، وكثيرا ما حيا منيبا كلما مر به في طريق او صادفه في مكان . غير ان من طباع ذلك الرجل الوشاية . قابل مدير مصنع الجوارب وقال له :

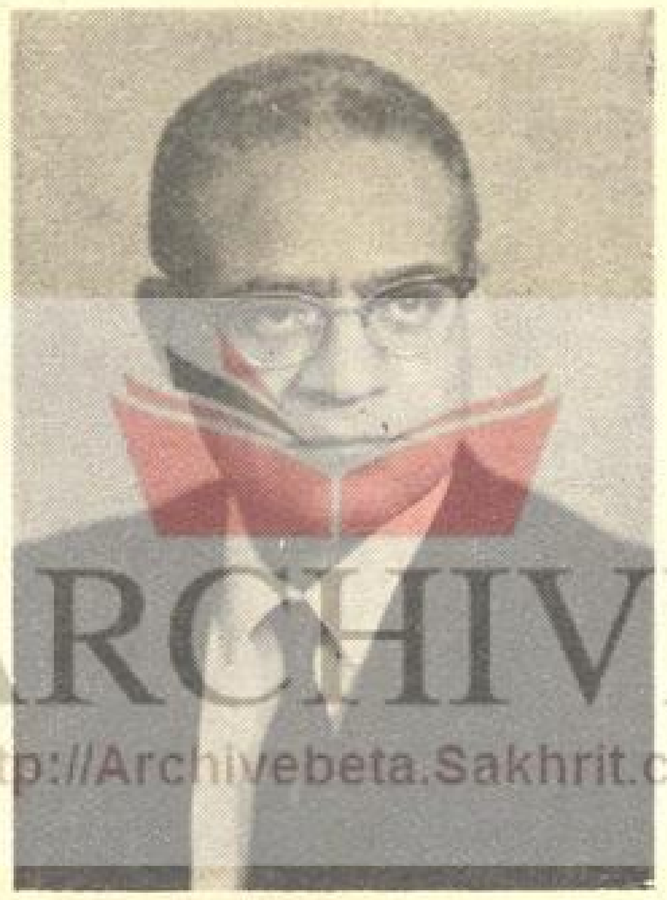
فان منيبا طلق اللسان كثير النكات يعرف كيف يساير محدثه ويضحكه ويدخل الانس والسرور على نفسه. خدع شريكه بذلاقة لسانه وطلاوة كلامه ، واستولى على عقله بما اظهره من فنون ذكائه في الحساب والبيع والشراء حتى سلم اليه ادارة الحانوت ، وراح يستشيره في كثير من الامور ، ويثني عليه امام اصدقائه في حماسة بالغة . ولكنه لم يلبث بعد مرور بضع سنوات ان تغير عليه، فقد مني بخسارة فادحة، اوقعه منيب في ديون كثيرة اضطر بسببها الى بيع حصته من محتويات الحانوت للوفاء بها . وقد حاول ان يتخلص من عبء الديون بكل وسيلة ممكنة ، ولكنه لم يتمكن من ذلك فان شريكه الذكي احكم الخناق حول عنقه وضيقه عليه حتى كاد يموت غما . وقد ادرك الناس ، ان منيبا هو الذي جلب الافلاس الى شريكه وان ادعى انه هو ايضا افلس مثله . كل يعرف ان منيبا ذميم الاخلاق يأتي المستحيلات لينال وطرا له . وشريكه الان فقير جدا ليس لديه راس مال يتمكن به من فتح حانوت آخر فيستقل به عن منيب . وقد علمت انه يعيش بأموال يقترضها من اقربائه واصدقائه . اما منيب فقد استقل في الحانوت، ثم انعشه واعاده الى ما كان عليه من الازدهار . غير انه لم يلبث ان مني بمثل الافلاس الذي جلبه على صاحبه ، فان الله مطلع على ما في القلوب . انه يعرف الخبثاء الذين يتظاهرون بطيبة القلوب ، ويعلم كيف يعاقبهم على سوء عملهم » .

وواجه مدير مصنع الجوارب ايضا رجل آخر . انه اعز صديق على منيب . كثيرا ما قضى معه اوقاتا سعيدة ذاقا خلالها حلاوة الهناء ولذة الحياة . مرارا ترددا الى دور السينما فشاهدا الافلام التي تدور موضوعاتها حول الحرب والبطولة والحوادث الفجائية . وكثيرا ما

جلسا الى طاولات المقاهي فلعبا الورق والدومينو . وكثيرا ما تناولا الطعام معا . وكان ذلك الرجل احد معارف مدير المصنع . وقد الفه حتى زال ما بينهما من كلفة . قال للمدير :

« ان منيبا لا يستحق الوظيفة التي وعدته بها ، فهو مجرم اثيم ، لقد عجلت بتعيينه . وكان من المستحسن ان تتريث قليلا للتأكد من سيرته واخلاقه قبل ان تسند اليه تلك الوظيفة . كل يعلم ان منيبا رجل شرير يعتدي على الناس . كل يعرف ما جرى بينه وبين تاجر الجملة ابي سلمان الشامي من عراك شديد انتهى بكسر يد ابي سلمان الشامي . كسر يد ذلك الرجل المسكين . هل هناك شخص اشرس اخلاقا واغلظ قلبا من منيب ؟ انه قوي العضلات يميل الى المصارعة والمشاجرة . اما ابو سلمان الشامي فهو دمث الاخلاق حلو المعشر . وقد ظلمه حينما كسر يده . ان منيبا هو الذي يستحق كسر اليد . لاشك ان منيبا هو الذي اعتدى على ذلك الرجل ، واتهمه بما هو بريء منه . اتهم ابا سلمان الشامي بأنه باعه كروسا من الكبريت ينقص ثلاث دزينات . مع ان ذلك كان ادعاء من منيب ، اذ كيف يتقن لف الكروس الناقص ؟ ان النقص يظهر فيه قبل اللف وليس في الامكان لف الكروس وهو ناقص . وهبه صادقا في قوله ، فهل يعتدي الانسان على اخيه من اجل نقص بسيط كهذا ؟ وقد نصح بعض الناس ابا سلمان الشامي برفع قضية ضد منيب يطالبه فيها بالتعويض عن كسر يده وبدفع ما انفقه عليها حتى جبر عظمها . ولكن ابا سلمان الشامي دمث الاخلاق كما قلت لك . لقد ابى ان يرفع قضية ضد منيب ، واكتفى بعودة يده الى ما كانت عليه من السلامة قائلا : سيحاسبه الله على جريمته . فلا شك ان رجلا كمنيب اذا اسندت اليه وظيفة في مصنعك عاث فيه فسادا وحول الهدوء فيه الى شغب والمحبة الى بغضاء والربح الى خسارة . ان منيبا لا يؤمن جانبه ولا يوثق به . ولست ادري كيف اهتممت به وعطفت عليه وعينته موظفا في مصنعك . لماذا لم تستشرني قبل تعيينه ؟ انني ادرى الناس به ، فقد صاحبته وعاشرته زمنا طويلا . فأنصحك بتعيين رجل اخر ذي خلق حميد وسيرة طيبة » .

وقد سمع شيخ جليل معروف بالتقوى والصلاح ان منيبا عين في مصنع الجوارب ، فساءه ذلك النبأ



عبد الحميد الانشاصي

●

لما يعلمه من علاقات منيب الغرامية بالنساء وعبثه بالتقاليد ، ورأى ان يعين ابن قريب له صالح بدلا منه . قابل المدير وقال له :

« لست ادري كيف عينت منيبا كاتبا في مصنعك وهو معروف بمغامراته النسائية . انه زان لا يتقي الله ولا الناس . همه ان يوقع الفتيات الحسان في حبائل خبثه وخداعه . انني جاره وادرى الناس به . ولو علمت انك تريد ان تعينه موظفا عندك لاطلعتك على جلية امره . لا شك ان بعض الفتيات سيعملن في مصنعك . فهل ترضى ان يعمل معهن رجل كمنيب لا يخاف الله ولا يخافك ؟ هل ترضى ان يغريهن كما اغرى ثلاث فتيات وهو يبيع البقول في حانوته ؟ ان منيبا قادر على تحويل حانوتك الى عش غرام . وبذلك يشوه سمعتك ويلوث سمعة الفتيات اللواتي يوقعهن حظهن التعس بين يديه . بقليل من الحلويات تمكن من الاستحواذ على قلوب فتيات مسكينات ، فجر الذل والتهكم والتحقير على اولياء امرهن ، ووصم اسرهن الكريمة بالرذيلة والخلاعة .. ان منيبا كالوباء يكافحه الناس اينما وجد . انني اعرف شابا نجيبا تخرج في المدرسة منذ بضعة اشهر . وهو خير من منيب الف مرة . انه حيي لطيف رقيق الطبع طيع . وليس كمنيب المشاغب المشاجر . انك ان اصررت على توظيف منيب ذقت منه من البلاء شره . كيف يمكنك غدا ان تتغلب على مجرم مثله ، انت في حاجة الى شاب خرج من المدرسة الى الحياة منذ عهد قريب ـ شاب بريء طيب القلب لم يتمرس بعد بدنيا الخداع والمكر والخبث ، لا الى رجل تمرس بكل الوان الرذائل حتى تحول الى جيفة نتنة تدار عنها الانوف وتصد عنها النفوس » .

لم يجد مدير مصنع الجوارب بدا من ان ينبيء منيبا بأنه عدل عن تعيينه كاتبا عنده . وقد سمع منيب بما وشى به الوشاة فكاد قلبه يتقطع اسى وسخطا . فقد وظيفته بعد ان اطمأن الى انها اصبحت في يده . فزع الى احد معارفه وهو صديق مخلص لمدير المصنع ، ورجاه في حرارة ضارعة أن يقنع مدير المصنع بأنه بريء مما وصمه الوشاة به من سوء السمعة والتلفيق . اقنعه منيب بأنه مظلوم منحوس الحظ . تعقد جبينه ، وفاض الحزن من عينيه الذابلتين مع نظراته المستفيثة المتضرعة . فأيقن الرجل انه مظلوم يستحق كل مساعدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقدمها من اجله . وقد وعده بأن ينبىء مدير المصنع بأن اولئك المدخلين كاذبون ، وطمأنه الى انه سيعاد الى وظيفته .

واجه الرجل مدير مصنع الجوارب ، وقال له بنغمة جدية رزينة :

« يا صديقي ! انك تعلم انني لا اقول الا الصدق . وانا اليوم جئتك لانبئك بان اولئك الذين شوهوا سمعة منيب هم مبالغون ، في نفوسهم اغراض لا تعرفها . انمنيبا اصلح الرجال للوظيفة التي عينته فيها ، فهو بارع في الحساب وفي مسك الدفاتر كما تعلم . وهو رجل اجتماعي يعرف كيف يعامل الناس ويرضيهم . صحيح ان منيبا كان فيه شيء بسيط من حب الاعتداء وانشاء علاقات غرامية سطحية مع النساء مثل كثيرين من الرجال ، ولكنه الان غيره في الامس . لقد غدا الان رجلا متقدما في السن مسؤولا عن اسرة عديدة الافراد . لذا اصبح اليوم هادئا رزينا . زال عنه الطيش ، وفارقه حب الخصام. ان الناس يتغيرون يا صديقي . الظروف هي التي تغيرهم . ان الانسان كتلة من الحساسية والفكير والتمييز مبنية على كتلة من المخ واللحم والعظام والاعصاب . امنحه فرصة . دعه يسلك طريقا آخر غير الطريق الذي سلكه من قبل . انه يعول اسرة كبيرة ويتحمل مسؤوليات جساما . فان تخليت عنه هلك . انني اؤكد لك انك سترى منه ما يسرك . فأرجوك الا تستبدل به رجلا اخر . لا تصغ الى كلام اولئك الوشاة . لقد كانوا مبالغين فيما وصفوا به منيبا . وانا كفيله».

حينما قابل منيب ذلك الوسيط طمأنه هذا واعلمه انه اعيد الى الوظيفة التي فقدها . ولكن احد اصدقاء مدير المصنع انبأ منيبا ان المدير ما زال مصرا على تعيين رجل اخر بدلا منه . فحار في امره ، ولم يدر ماذا يصنع . وقع في يأس مميت . غير أن زوجته لم تيأس . فكرت في الامر مليا . واخيرا اهتدت الى فكرة ايقنت انها صائبة. رأت ان تقنع ابنتها غادة ، وهي فتاة في التاسعة من عمرها ، ذات ذكاء ولباقة ، ان تواجه مدير مصنع الجوارب وتقيم له البرهان على ان والدها رجل طيب حميد الاخلاق والسلوك . مانعت الفتاة في ذلك أول الامر ، ولكنها لم تلبث ان نزلت على رغبة امها وخضعت لمشيئتها ولا سيما ان الاسرة مشرفة على الفقر والجوع .

نقرت غادة باب غرفة مدير مصنع الجوارب بأصبعها الفضة نقرا خفيفا . فأنصت المدير بكل انتباهه. ان النقر هذه المرة يختلف عن النقر الذي تعود سماعه . نقر لطيف مهذب .

— تفضل !

وفتح الباب عن وجه غادة . وقفت في الباب في خفر وحياء . وجه بيضوي املس لم يمر عليه الزمان بعجلاته الثقيلة بعد . وعينان متعبتان تعودتا رؤية زميلاتها من تلميذات المدرسة . وفم مطبق الشفتين لم تتفتح فيه الجراة بعد . وشعر ارتفع على راسها كانه منطاد يهم بالطيران . وساقان صغيرتان كساقي دمية من الحلوى . كانت ملابسها بسيطة ، ولكنها نظيفة ومرتبة ومنسجمة مع جسمها النحيف الصغير .

لم يكد نظر مدير المصنع يقع عليها حتى قال لها في رقة ولطف :

— تفضلي !

القت غادة تحية الصباح ، ثم خطت في تردد وهدوء وخفة . ثم اشار لها المدير الى كرسي امامه . فجلست عليه . القى المدير عليها نظرة رزينة ، وقال بصوت منخفض عميق :

— ماذا تريدين ؟

(ان هذا مصنع وليس مدرسة . فما دخولك اياه ؟) .

واجابت غادة وهي تقاوم حياءها ناظرة بعيدا عن عينيه :

— ان منيبا والدي .

ففكر المدير برهة ، ثم فتح عينيه في دهشة واهتمام وقال :

— اهلا وسهلا !

ثم عبثت غادة بثوبها المدرسي بابهامها وسبابتها مطرقة الى الارض حياء . وبعد ذلك رفعت نظرها الى المدير وقد شعرت بأن شيئا من الجراة بدأ يفشى قلبها الفتي ، وقالت وهي تنظر اليه نظرة حزينة مؤثرة :

— لقد علمت انك وظفت ابي في مصنعك ثم عدلت فاستغنيت عنه .

(لقد ظلمت ابي يا حضرة المدير . ان ابي رجل مسكين يعول اسرة عديدة الافراد . ما كان لك ان تستغني عنه . انه رجل ذكي وطيب القلب . انني احبه وكذلك امي واخواتي . كلنا نحبه . كل الناس يحبونه . وهو بارع في الحساب . فلماذا استغنيت عنه ؟ لماذا عدلت عن استخدامه عندك ؟)

فسرح المدير بصره المستطلع في وجهها الحزين ، ثم قال بعد برهة من الصمت والتفكير كأنه لا يرغب ان يخوض معها حديثا عن ابيها :

— من ارسلك الي ؟

(هل ابوك هو الذي ارسلك الي؟)

شعر ان الفتاة احست بنخسة مفاجئة في قلبها اذ غشي جبينها قليل من العبوس . انها لم تكن تتوقع منه ذلك السؤال . كانت تتوقع ان يطمئنها ويعدها في الحال باعادة والدها الى الوظيفة التي فقدها . اعملت الفتاة فكرها قليلا، ثم قالت كاذبة وقد احمر وجهها حياء :

— لا احد . انا جئت من تلقاء نفسي .

(امي هي التي ارسلتني . ولكنني لا اريد ان افضحها لئلا تعاقبني على ذلك) .

غواص الخليج العربي

شبح تصارعه الرياح وعزمه ... ترتد عنه زوابع وقساور
لا يرهب الحيتان وهي مخيفة ... وسلاحه في البحر عزم ثائر
ورث اقتحام الهول من (فينيقيا) ... ابدا فهانت ابحر ومخاطر
يصطاد في القعر الخفي بكفه ... دررا فيجني الربح منها تاجر
نال الخلود من الطموح ورده ... عن مترفات العيش دهر جائر
اما الشتاء فيستقر بأرضه ... حينا واما الصيف فهو مسافر
ما تمتمت تلك الشفاه (بنهمة) (١) ... الا لها في القلب معنى حائر
والعين في الافصاح يعرف سرها ... قبل الكلام ورب خاف ظاهر

(١) النهمة لحن من الحان الغوص معروف في البحرين والكويت وسواحل عمان

البحرين — احمد محمد الخليفة

فاراق المدير على وجهه ابتسامة لتشجيعها على الحديث في حرية وانطلاق وقال :

ـ واذن فقد اتيت لتدافعي عن ابيك . حسن ! انني على استعداد للاستماع اليك . انك فتاة صغيرة السن . ولا شك انك تنطقين بالصدق والصراحة .

(ان ملامح وجهك تنم عن ذلك) .

فابتسمت في حياء ، وقد مالت بوجهها الى ناحية ، وقالت متشجعة وهي تنظر الى عينيه :

ـ ارجوك يا حضرة المدير ان تعيد ابي الى وظيفته التي خسرها . انه رجل ذكي وطيب القلب . كلنا نحبه : انا واخواتي واخوتي وامي . وما دام موفقا في حياته البيتية فلا بد ان يكون موفقا كذلك في حياته الخارجية ، فقد جاء في درس تلقيته في المدرسة ان المنزل عالم صغير والدنيا عالم كبير وان الرجل الذي يوفق في ادارة عالمه الصغير يفوز بالنجاح في عالمه الكبير .

(من ذلك تستنتج أن ابي يصلح موظفا في مصنعك . وخير لك ان تعدل عن قرارك وتعيد ابي الى وظيفته ، فقد تصرفت تصرفا خاطئا يا حضرة المدير) .

لم تكد غادة تتم كلامها حتى قهقه المدير مسرورا ومعجبا بكلامها ثم قال :

ـ واذن فكلكم تحبونه .

(اني استغرب كيف يبغضون اباك في الخارج . لعل اولئك الوشاة أعداء له) .

فقالت في حماسة وتأكيد :

ـ ان الناس جميعا يحبونه . انه بقال محبوب . اصدقاؤه ، وهم عديدون ، يضغطون جرس باب دارنا دائما ، ويسألون عنه . وهذا دليل على انهم يحبونه . اليس كذلك يا حضرة المدير ؟ هذا برهان على ان ابي موفق في الخارج كما هو موفق في المنزل .

فابتسم وقال مداعبا :

ـ ولكن المصنع غير حانوت البقول . ان عمله الرئيسي هنا هو الحساب لا البيع .

(سأعيده الى الوظيفة من اجلك لانك لبقة وذكية . لقد ملأت قلبي عطفا) .

فقالت وهي تحرك يدها حركات تعبيرية :

ـ ان ابي ماهر في الحساب . له موهبة فذة في الحساب . انه يحل لي أصعب المسائل الحسابية التي في كتاب الحساب . ومعلمة الحساب شديدة الاعجاب بي لان اجابات والدي كلها صحيحة .

فقهقه المدير ثانية وهو يهتز على كرسيه ، ثم قال وهو يهز راسه :

ـ حسن ! حسن ! اعدك ان اعيد اباك الى وظيفته . فأعلميه بذلك .

فأشرق وجه غادة ابتساما وقالت:

ـ اشكرك يا حضرة المدير ! شكرا جزيلا لك يا سيدي !

(اصوات من الداخل : ما اطيب قلبك ايها المدير ! ادامك الله لزوجتك واولادك ! البشرى لك يا والدي ! طيبي نفسا يا امي فقد اعيد ابي الى وظيفته) .

(منظر في الداخل : تدخل منزلها وهي ترقص فرحا وتصيح بملء فيها قائلة : هاي ! هاي ! لقد نجحت ! لقد وظف ابي !)

ثم انها نهضت من مكانها وحنت راسها قائلة :

ـ استودعك الله يا سيدي !

ـ مع السلامة !

وبعد مرور شهر من تاريخ تعيين منيب سأل مدير المصنع المراقب : اراض انت عن منيب ؟ فأجابه في سرور : كل الرضى .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى بني وطني

في ذكرى الخامس من حزيران التي لا نود لهـا ان تعيش اكثر

•

بني وطني هبـوا ببيض الصفائح ... فقد آن للاحرار ذبـح الذبائح
وقد آن للابطال ان يصبغوا الحمى ... بفيض نجيع طاهر السكب فائـح
ذكي كـان المسك ابـان ودقـه ... يفوح عبيرا من شذي الروائـح
فان يك فينا الخصم قد شام ذلة ... وراح يشد الذيل شدة رامـح
وقد نسي الخصم الجبان بأننـا ... ركبنا خيول الدهر من كل جامح
عشية قدناها سراعا الـى الوغى ... بفرسان صدق فيهم كـل صالح
اباة اولي عـزم شديد وحكمة ... وعقل سديد الرأي بالحلم راجح
فشدوا الى الهيجا على كل ضامر ... وطيروا الى الجلى على كل قارح
وكونوا غداة الثار جيشا عرمرما ... خميسا عليه كـل شهم مكافح
وغفوا اذا دارت رحى الموت والوغى ... على هامة الاعداء مثـل الجوارح
فانتم قروم مـن اصول عريقة ... لها ذكريات فـوق هذي الاباطح
سيوف بني مروان تلكم سيوفكم ... تمد بها أيدي رجـال جحاجح
فان تنتضوها تنتضوا كل صارم ... يشق عظام الرأس حتى الجوانح
فـلا تتركوها للبلـى ان خطبنـا ... عظيم وليس الخصم فينا بمازح

بني وطني قد قمت بالامس ناصحا ... واني لاسدي اليوم خير النصائح
فهيا نلم الشمل يـا آل يعرب ... ففي لم شمل العرب نجح لناجح
وفي الشمل ملتما مضاء وعزمـة ... تطيح الاعادي فوق هام الصحاصح
وتترك هام الشر مصبوغة دمـا ... وفاغرة فاهـا بطرف مشايـح

ونحن أنـاس مـا افترينا عليهم ... ولكنهم قامـوا بشتى القبائـح
فقد أزهقوا منـا نفوسا كريمة ... وعاثوا باعراض الثكالى النوائـح
وهم قتلوا طفـلا بريئا وغـارة ... وهم شردوا بالامس مليون نـازح
فـلا تأخذنكم رحمـة بعدوكـم ... فأن بني صهيون شعب الفضائح

بني وطني هذي تباشيـر نصركم ... تلوح بوجه مشرق جـد واضح
تهيـب بكـم ان تحرزوها عزيزة ... بكل فتى للهول نـدب منافـح
أبي يعاف العـار حتى كأنـه ... غداة احتدام الروع شبل الصمادح
فان تحرزوها تكتبوا الخزي للعدا ... وللعرب الاحرار زهـر المدائح .

دمشق

خليل خلايلي

مكتبة الاديب



عباس محمود العقاد

تاليف عبد الحي دياب ـ ٨٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة بالقاهرة

لعل أبرز الجوانب في أدب المرحوم عباس محمود العقاد هو جانب النقد، وهل الادب الا نقد الفكر في اطواره والحياة في ظواهرها وخفاياها ؟ فقد بدأ هذا الاديب العملاق حياته الفكرية ناقدا ثائرا ، ولم تعجبه آثار الادباء المضعوفين والمتكلفين في عصره ، وكان هذا العصر يجر أذيال التقليد والترديد في فنون القول والتعبير وينفض عن منكبيه أعباء ماضيه في الصناعة اللفظية ولما اتسعت آفاق الفكر عند العقاد وأحاط فهما وعلما بثقافة الغرب وباللغة الانكليزية ومذاهب الفن والنقد في ادب العالم هبت ثورته بالزيوف والمحاكاة مشاركا صديقيه عبد الرحمن شكري وابراهيم عبدالقادر المازني في الحملة على الشعراء والكتاب الذين سموهم مقلدين ووصموهم بأشتات النعوت .

واذا عدنا اليوم الى « الديوان » الذي جمع نوادرهم في النقد العنيف ونظرنا اليها بروح الزمن الذي نعيش فيه وجدنا اندفاع العقاد وصاحبيه في النقد باقلام حداد كالمعاول ان صح هذا التشبيه ، ولكم يصح في بعض الاحيان والاطوار ، ورب قلم صنع ما لم تصنع المدافع في التدمير والتنكيل ، غير ان الادباء الذي انصبت عليهم ضربات النقد في تلك الحملات الثلاثية كانوا جسرا لادبنا الحديث ، فشوقي وحافظ والمنفلوطي تلقوا ذلك النقد العنيف بتحدي ذويه ماضين فيما أخذوا به أنفسهم وتجاربهم محاولين التطور في تفكيرهم والاجادة في تعبيرهم بما كان يستسيغ ذوق العصر ووعي القراء ، فبقيت آثارهم تبني وتستهوي على الرغم من ذلك النقد الهادم الذي شيد به العقاد وصحبه مدرستهم الاولى في الحركات الادبية المعاصرة ، وقد جمع كتاب « الديوان » صورا من حملاتهم المشهورة ، وبقي العقاد وحده في المعارك بعد ان غاب زميله شكري واتخذ المازني سبيلا جديدا في أدبه وأسلوبه ، وكانت حياة العقاد في آثاره شامخة الجبهة متعددة المعالم لكن النقد فيها كان أبرز ما ميزها من غيرها حتى عرف صاحبها في مصر والعالم العربي بصاحب مدرسة النقد الادبي الحديث على طريقته في التحليل والتنقيب ، ومثل بطل خاض معارك الدماء خاض العقاد بقلمه ورايه معارك النقد أكثر من نصف قرن وابتلي بخصوم الداء لم يكفوا عن اذاته ويلقي ضرباته حتى ألفوا الكتب في التشنيع عليه والتنقص من مكانته ، فلما غاب وجهه وبقي أدبه تحول بعضهم الى معتزين بنبوغه ومجهوده ، وبعض آخر اصطنع شجاعة وبراعة في الغض من قدر العقاد .

وهذا الموج الصاخب من النقد الادبي الحديث الذي رافق الحركات الفكرية والتعبيرية لم يكن أكثره موسوما بطابع التجرد ، اذ غلبت عليه النزعات الذاتية ، لكنه على عنفه وأهدافه قد افاد الحياة الادبية ومنحها الحركة والتنافس والانطلاق ، على ان العقاد فيها كان فارس المعارك حتى استراح في ثراه .

وما كادت « أسوان » مثبته ومأواه تضمه في ثراها حتى هبت أقلام الادباء والاصدقاء تكرم ذكراه وتحيط بأدبه من جديد في دراسات ومؤلفات كان من أقواها وأوفاها كتاب جامعي ضخم الحجم والمحتوي ، ألفه أديب من الشباب العربي الصاعد في مصر هو الناقد الموهوب عبد الحي دياب الذي اتصل بالعقاد منذ كان طالبا لم تفته ندوة من نداوته الاسبوعية او لفتة من لفتات العقاد الى كل ما جد بمذاهب النقد والادب، فاطلع على خطى العقاد في نقداته منذ ابتدأ يشارك افراده في هذا الجانب القوي من جوانب أدبه ، وقد تناول الاديب دياب في بحثه القيم طريقة العقاد في النقد وانفراده بفلسفة فيه تربط النتاج بذات الكاتب او الشاعر ، فكان في هذا الاتجاه سباقا الى منهاج في النقد مشى فيه قبل ان تأخذ به وبغيره الدراسات الجامعية في مصر والبلاد العربية ، ولا ريب في ان الباحث الجامعي مؤلف هذا الكتاب قد لقي المتاعب والمتاهات في هذه الدراسة الواسعة المترامية الاطراف والابعاد ، على ان ايمانه بتفوق العقاد وسبقه الى هذه الناحية البارزة في أدبه لم يجعله منساقا برضاه عما صنع العقاد فيها حتى ملأها ، فان الباحث المحقق قد اصطنع المنهج العلمي الذي اقتضاه الموضوع قدر الطاقة في التجرد والحيرة ، فكان تارة موافقا وتارة مخالفا وكان لا مناص له من الرجوع الى بواكير النقد والنقاد في تاريخ الادب الحديث واتجاهات التجديد عند العقاد وافادته من ثقافة الغرب وأدبه في تطبيق ما راقه من المذاهب النقدية .

وفي الباب الاول من هذا الكتاب تناول المؤلف ميراث النهضة المعاصرة في النقد الادبي وموقف العقاد منه ، وحركة التطور فيه واسبابها ، وكان واسع الافق في حديثه عن الاسس الجمالية عند العقاد ومفاهيمها وقد كرر القول في ان نقد العقاد للشعر قديمه وحديثه كان ممتدا متجددا ثم جاء على مناهج العقاد في الدراسة الادبية ، فمن التحليل النفسي الى أثر العصر في تكوين الشخصية ثم المنهج التجريبي او العلمي الذي اصطنعه العقاد لاستنباط الحقيقة وكشف الزيف والتلفيق .

لقد جاء بحث الاديب دياب مؤلف هذا الكتاب واسعا ضخما اذ اضطرته طبيعة البحث والاستقصاء للشرح والتفصيل والاستطراد ، ولا يعاب الاستطراد في تشعب الدراسة للاحاطة بالموضوع حسب النهج الموضوع .

ولكن هل كان على المؤلف حرج لو جاء كتابه هذا بنصف حجمه اذن لشجع على قراءته غير المعنيين بالدراسات الجامعية وهل تتطلب التطويل والتفصيل في كل موضوع ، والقراء اليوم بعصر السرعة وضيق الانفاس ، فالكتاب الضخم كالبحر الكبير يتهيب المرء الخوض فيه وبوسع أي باحث متمكن كالاديب دياب ان يستوعب موضوعه من كافة نواحيه فيجعله موجزا مركزا دون ان تفوته نقطة او فكرة ولكن يبدو ان الدراسة الجامعية تحتفي بالضخامة وهي سنة غير مستحبة وقديما قيل خير الكلام ما قل ودل .

وقد اطلعت على أمثال هذا البحث الذي اقتضى الرجوع الى عديد من الصحف والمجلات والرسائل فكان من جرائه الاطالة والاستطراد ، وكان المرجو في كل دراسة حديثة ان تستجيب لمطالب العصر وبخاصة اذا كانت محددة المعالم مقيدة بالمنهاج الجامعي الذي يؤثر الفكرة متسلسلة متماسكة ، ويتجافى عن الحشو والتكرار .

واذا ضفت تبعة المؤلف فيما اضطر اليه فما الصق التبعة بالمشرف على البحث ، وقد نلتمس للمؤلف عذرا فنقول : كان العقاد كبيرا فجاء فيه الكتاب كبيرا ، وما اجدر صبر الباحث على هذه

الدراسة الجدية الطويلة بشكر العلماء والادباء ، ولـــو ان الارواح تتجسد بعد موت اصحابها لاقبلت روح العقاد على هذا الكتاب تقـرأ فيه نفسها مبتسمة راضية وكان العقاد يحب الرجعة الى الدنيا أفلـم يؤلف كتابه « رجعة ابي العلاء » فيعيده الى الحياة ، والعقاد نفسـه لم يمت فمن يؤلف في مذهبه النقدي مثل هذا الكتاب يكن خالـــدا ويرجع دوما الى الحياة .

دمشق — وداد سكاكيني

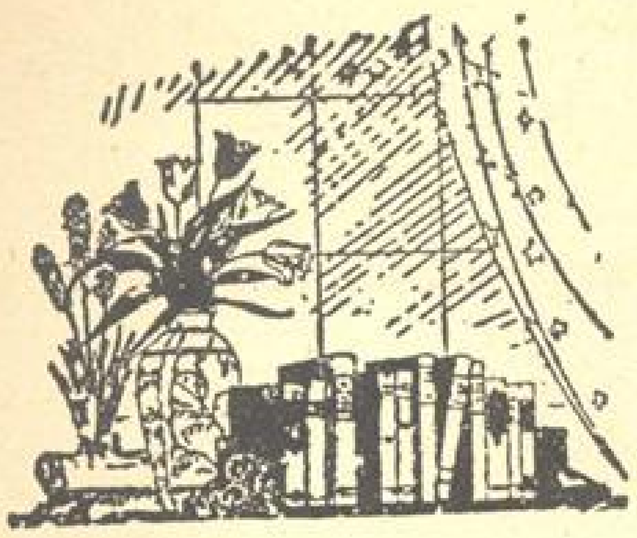
•

تطـــوري الفلسفـــي

تأليف برتراند رسل ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات جورج الن وانوين بلندن

تتدرج اعمال الفيلسوف البريطاني برتراند رسل بين الكتابة الاكاديمية الصرفة التي لا يفهمها الا اصحاب العلاقة وبين كتابة الكتب العلميـــة والفكرية المبسطة التي يطالعها الجميع ، والكتاب الذي نقدمه هو من النوع الاول .. يتناول فيه رسل المراحل التي اجتازتها فلسفته خـلال تطورها ، وقد لبث اكثر من ستين عاما يؤلف في الفلسفة تأليفا متصلا حتى بلغت مؤلفاته بضع عشرات من امهات الكتب ، وكان محـــالا ان ينتهي آخر الشوط الطويل الى نفس ما بدأ به . فهو فيلسوف يحمل في ثنايا فلسفته التقليد الفلسفي ، وهو معاصر مجدد ، وبناءا علـى ذلك يتحمل كل ما ينجم عن موقفه هذا من مشكلات ومفارقات . فبالرغم من انه مؤمن بالنسبية ، الا انه يبحث عن حقيقة مطلقـة ، وبالرغم من أنه مؤمن بضيق الخبرة الانسانية بازاء انساع الكون ، الا انه لا يجـد بداية سواها للعلم والمعرفة ،وبالرغم من انه يشعر بضآلة الانسـان بالنسبة لرحابة الكون ، الا انه لا يجد سواه شيئا ذا قيمة . والقارىء لفلسفته لا يمكن ان يفوته ثنائية تسري في تفكيره : بين الواقعيـــة والمثالية ، المادية والتجريبية ، الموضوعات الخارجية والانطباعـــات الداخلية . وهي ثنائية يحاول ان يحلها باقامة جسر يمتد بين طرفيها مستعينا في ذلك بالمنطق الرياضي .

ويرجع رسل أصل اهتمامه بالفلسفة الى مصدرين : فقد كـان همه ان يكتشف ما اذا كان في امكان الفلسفة ان تقدم لنا دفاعا عمـا يمكن ان نسميه بالعقيدة الدينية ، مهما كانت غامضة المعالم ، وقـد أراد من ناحية اخرى ان يقنع نفسه بأننا يمكن ان نعرف شيئا ، فـي ميدان الرياضة البحتة ان لم يكن في غيرها . وقد فكر في هاتـين المشكلتين كليهما أثناء فترة المراهقة ، وحده ودون عون كبير من الكتب. وقد بدأ يفكر في المسائل الفلسفية وهو في الخامسة عشر من عمـره ، ومنذ ذلك الحين الى ان التحق بجامعة كمبردج بعد ذلك بثلاثة اعوام، كان يفكر بمفرده ، ومن قبيل الهواية ليس الا . فلم يكن قد أطلـــع بعد على أي كتاب فلسفي ، حتى قرأ « منطق » ميل في الشهور الاخيرة قبل التحاقه بكلية ترينتي . وكانت الرياضة تشغل معظم وقته، وتسود الى حد كبير محاولاته الاولى في التفكير الفلسفي . لكـــن الحافز الوجداني الذي دفعه الى التفكير ـ كما يقول ـ كان على وجهالخصوص في العقائد الدينية الاساسية . الا انه أضمر شكوكه اللاهوتية ، لا لانه كان يجد في الدين طمأنينة فحسب ، ولكن لانه شعر ايضا ان هـذه الشكوك اذا ما اعلنها ، سوف تسبب له الالم ، وتجلب عليه السخرية. لذلك ازداد وحدة وانفرادا . وقبل عيد ميلاده السادس عشر وبعـده مباشرة ، كتب بعضا من اليوميات التي تناول بها ما كان يؤمن به ومـا



الاديـــب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

فـي الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنـى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلـة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
Tel : المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـــر اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان ينكره مستخدما أحرف الهجاء اليونانية ، وقواعد التهجي في علم الصوتيات حتى يخفي شكوكه .

وما ان انتهى من مرحلة الدراسة حتى تحول الى مرحلة التاليف، وقد كرس هو وايتهد طيلة اعوام ١٩٠٠ الى ١٩١٠ في العمل الذي صار فيما بعد كتاب برنكيبيا ماتماتكا . ويمكن القول ان وايتهد ترك لرسل المشكلات الفلسفية واخذ هو المشكلات الرياضية ، حيث وايتهد هو الذي ابتكر الجانب الاكبر من الرموز ، الا ما كان ماخوذا عن بيانو. لكن رسل قام بالجانب الاكبر من العمل المتعلق بالتسلسلات ، وقام وايتهد بالباقي . غير ان هذا لا ينطبق على المسودات الاولى ، لان الاثنين اعادا كتابة كل جزء من الاجزاء ثلاث مرات ، وكانا كلما الف واحد منهما مسودة اولى ، أرسلها الى الاخر الذي كان يعدل فيها عادة الى حد كبير . وبعد ذلك يقوم من كتب المسودة الاولى بصياغتها الصياغة الاخيرة . لذلك لا يكاد يوجد في المجلدات الثلاثة سطر واحد لم يكن انتاجا مشتركا بينهما .

كان الهدف المبدئي من برنكيبا ماتماتكا هو اثبات ان الرياضة البحتة باكملها تترتب على مقدمات منطقية خالصة ، وانها تستخدم مدركات عقلية لا يمكن تعريفها الا على اساس من المنطق . وكان هذا الرأي بطبيعة الحال نقيضا لنظريات كنط . بيد ان الكتاب ـ بمرور الزمن ـ قد تطور في اتجاهين مختلفين . فمن ناحية الرياضة ، تكشفت لهما موضوعات جديدة باكملها تتضمن وسائل جديدة لضبط القياس العددي ، تتيح لهما ان يتناولا بالرموز الدقيقة امورا تركت من قبل نهبا لما في اللغة العادية من تطويل وعدم ضبط . اما من الناحية الفلسفية ، فقد كان هناك تطوران متعارضان : أولهما تطور سار ، والاخر تطور مكدر . وقد خاب أمل الفيلسوفين ، لان احدا لم ينظر الى كتاب برنكيبا ماتماتكا الا من زاوية فلسفية . فقد اهتم الناس بما قالاه فيه عن التناقضات وبمسالة ما اذا كانت الرياضة العادية قد استنبطت استنباطا صحيحا من مقدمات منطقية بحتة . ولم يهتم الناس بالتكنيكات الرياضية التي طوراها في سياق الكتاب .

وقد تناول هذا الكتاب فيما بعد كبار العلماء والفلاسفة بالنقد ، منهم رامزي وفتجنشتين وغيرهما . وفي رأيي ان في فلسفة رسل مجموعة من الاخطاء ، التي لا ينكر هو ذاته انه قد يكون مخطئا بها ، ولعل هذه الاخطاء تستمد مصدرها من خطأ اساسي وقع فيه في مرحلة مبكرة من مراحل تطوره الفلسفي وكان له اثر حاسم في سائر مراحل تفكيره . هذا الخطأ هو توحيده بين المثالية والواحدية . فقد اعتقد منذ ثورته على هيغل وكنط أن ثمة مرادفا بين هذه وتلك .

على ان الاخطاء التي يتورط فيها فيلسوفنا مرتبطة بخطأ ثان يتعلق بالمنهج فمنهجه هو التحليل . والتحليل لا غبار عليه في ذاته ، أي اذا وضعنا في أذهاننا على الدوام انه مجرد اداة لفهم الظاهرة موضوع التحليل ، وانه لا يصلح تفسيرا للظاهرة او تصورا لها . فرسل يقول انه وجد نقصا في التحليل قد سلم الناس بمقادير هائلة من الاستدلال غير البرهاني ، لان لديهم تحيزا ذاتيا في صالح انواع معينة من المعرفة ، وانهم قد رفضوا مقادير اخرى منه نتيجة تحيز مضاد . وقد بدا له أن على المرء في أي حالة جزئية من حالات الاستدلال الذي يبدو غير قابل للشك ـ عليه ان يكتشف المبدأ الذي تقوم عليه الحالة. وأن يقبل استدلالات اخرى تقوم على نفس المبدأ . وقد اكتشف ان جميع الفلاسفة تقريبا قد أخطأوا بصدد ما يمكن ان يستدل من الخبرة وحدها وما لا يمكن . على أن رسل قسم مشكلة المعرفة التجريبية الى مراحل ثلاث : (١) معرفة عن نفسه (٢) معرفة عن عقول الاخرين ـ وتتضمن شهادة الغير (٣) معرفة عن العالم الفيزيقي . ولما بدأ بالمعرفة التي عن نفسه ، وجد ان مذهب انحصار الذات في نفسها كما يشرح عادة يقر قدرا كبيرا من المعرفة لا يتفق وذلك الحذر الذي يلهم مثل هذا المذهب .

ان قدرا كبيرا مما نقله دون شك فيه بوصفه معرفة ـ هذا القدر يقوم على شهادة الغير ، وشهادة الغير بدورها تقوم على اعتقادنا بان هناك عقولا اخرى غير عقولنا . ووجود عقول اخرى لا يبدو للفهم المشترك عرضة للشك .

ويتناول رسل بعد ذلك الحوادث الفيزيقية البحتة . خذ على سبيل المثال ما لدينا من مبرر لنؤمن بموجات الصوت . فاذا حدث انفجار مدوي في موضع ما فان الزمن الذي يسمع فيه أشخاص مختلفون صوت ذلك الانفجار يتوقف على بعدهم عن ذلك المكان . ونحن نعتقد أنه يستحيل علي التصديق ان يمر هؤلاء الناس المختلفون الذين هم في أزمنة مختلفة بخبرة الاستماع الى صوت مرتفع ، ما لم يكن هناك شيء ما يحدث في الاماكن المعترضة . ذلك أن مجموعة من الحوادث في أماكن كانت فيها اذان ، مصحوبة بانعدام شامل لحوادث ترتبط بها في سائر الاماكن يبدو لنا من الغرابة بحيث لا يمكن ان نصدقه . بل ان هناك مثلا ابسط من ذلك هو دوام الاشياء المادية . فنحن لا نستطيع ان نصدق ان جبل افرست ينعدم عندما لا يراه احد ، او ان حجراتنا تتلاشى في فرقعة حينما نغادرها . ليس هناك من سبب يدعونا الى ان نؤمن بمثل هذه السخافات . فالمبادىء التي تدفعنا الى ان نرفضها هي ذاتها في حقيقة الامر المبادىء التي تدفعنا الى ان نؤمن بأن أشياء قد حدثت لنا مع أننا نسيناها الان .

وليس العلم وحده ، بل ثمة قدر كبير من الفهم المشترك أيضا يعنى بالقوانين العامة لا بالحوادث الفردية . الا اننا نستدل معرفتنا بالقوانين العامة ـ اذا كانت تجريبية ـ نستدلها على نحو صحيح او غير صحيح من معرفتنا بعدد من الحوادث الجزئية . فالكلاب تنبح قانون عام ، لكن ما كان للناس ان يعرفوه لو لم يسمعوا كلابا بعينها تنبح في مناسبات بعينها . ولقد وجد رسل ان معرفتنا بمثل هذه الحوادث الجزئية تثير مشكلات لم يعرها بعض الفلاسفة ـ والوضعيون المنطقيون خاصة ـ ما يكفي من الاعتبار . غير ان هذه المشكلات ليست هي المشكلات المتضمنة في الاستدلال غير البرهاني ، ما دامت الاستدلالات التي نحن بصددها لا يمكن ان تكون مشروعة الا بفضل قانون عام من قبيل ما نستخدمه عندما تستدل وجود كلب من سماعك نباحا . والقوانين التي يسعى اليها العلم هي في الغالب الاعم قوانين سببية بمعنى عام .

ان المبادىء العامة اللازمة لتدعيم الاستدلالات العلمية غير قابلة للبرهان باي معنى مالوف . فهي مستخلصة بالتحليل من حالات جزئية تبدو واضحة كل الوضوح مثل تلك الحالة التي يملي فيها (١) على (ب) . ذلك أن هناك تطورا تدريجيا مما يسميه رسل بالتوقع الحيواني حتى أرقى قوانين الفيزياء الكمية . فالعملية بأسرها تبدأ من وقوع الحادثة (ا) في الخبرة ، وتوقع الحادثة (ب) . اذ تقع للحيوان في خبرته رائحة بعينها ، فيتوقع ان يكون الطعام صالحا للاكل . فاذا كان من المعتاد ان يخطىء في توقعه ، كان لا بد ان يموت . ويؤدي التطور والتكيف بالبيئة الى ان تكون التوقعات في أغلب الاحوال

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

صائبة أكثر منها خاطئة ، بالرغم من ان التوقعات تتجاوز نطاق كل ما يمكن البرهان عليه منطقيا . فيمكننا ان نقول ان للطبيعة عادات معينة، ولا بد لعادات الحيوان من ان تتكيف على نحو معين بعادات البيئة لكي يواصل الحيوان بقاءه .

وهذه الحجة ستكون واهية اذا ما اتخذناها ضد الشك الديكارتي . لكنني لا اعتقد ان من الممكن ان ننتقل خطوة واحدة اذا نحن بدأنا من الشك . فعلينا ـ كما يشرح برتراند رسل ـ ان نبدأ من تسليم عريض بكل ما يبدو أنه معرفة ايا ما كان وانه ليس ثمة سبب معين لرفضه . فالشك في الفروض الاساسية نافع في عملية التشريح المنطقي ، اذ يمكننا من ان نرى الى أي حد نستطيع ان نمضي في استدلالاتنا بدون هذه المقدمة او تلك ـ مثال هذا اننا نستطيع ان نتساءل ما الذي يمكننا اقامته من الهندسة بدون بديهية الخطين المتوازيين . لكن مثل هذا الشك لا يكون نافعا الا في مثل هذه الاغراض

يصرح رسل في آخر فصول كتابه الذي بين ايدينا ان الرياضة لم تعد تبدو له غير انسانية في مادة بحثها . اذ أصبح يعتقد ـ وان كان هذا على كره شديد منه ـ ان الرياضة تتألف من تحصيلات حاصل . وانه ليخشى ان الرياضة باسرها قد تبدو لعقل على قدر كاف من القوة تافهة تفاهة العبارة التي تقول ان حيوانا ذا أقدام أربع حيوان. وأعتقد ان ما تتصف به الرياضة من لازمانية ليس له من السمو ما قد بدت له به في يوم من الايام ، وما قوام هذه اللازمانية الا كون الرياضي لا يتحدث عن الزمان . ولم يعد بوسعه ان يجد أي رضى صوفي في تأمل الحقيقة الرياضية .

هذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه من احسن الكتب التي كتبها فيلسوف في شرح تطوره الفلسفي ، وقد كان من المتعذر على المشتغلين في ميدان البحث الفلسفي ان يتبعوا رسل في تطوره المستمر على مدى حياته العلمية الطويلة ، حتى قام هو نفسه بما يتعذر على سواه القيام به ، فوضع لنا هذا الكتاب الذي اسماه تطوري الفلسفي .

دمشق — بسمير عبده

فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب

تأليف احمد ابو حاقة ـ ٢٠٠ صفحة ـ طبع ببيروت

شعر الملاحم فن جديد يدخل حديثا أدب العرب المعاصر ، اذ لم تكن الملاحم معروفة بمعناها الحربي فيشعرنا القديم ، وبخاصة في الشعر الحماسي . ولم ترد كلمة الملحمة دليلا على قصيدة كبيرة مخصوصة بوصف الحرب والجلاد ، حتى ان الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ، حين ذكر هوميروس لم يعن بوصف الالياذة على أنها شعر حربي ولا وصفها بالملحمة وانما اكتفى ان يضم صاحبها الى الفلاسفة فاخذ ببعض حكمه ومواعظه التي وردت في شعره .

وحين اخذت بالتحري عن اسم الملحمة لم أجد أبعد وأعلى في التقصي مما ذكره الرسول محمد صلوات الله عليه ، بقوله « انا نبي الحرب والملحمة » . وقد اراد ان يضم كلمة « الملحمة » الى الحرب ، لان لغة العرب تدل في شرحها لهذا اللفظ على ان الملحمة مشتقة من امتزاج اللحم بعضه ببعض من شدة المقتلة والتذابح . ومن غريب ما رحت اجده في أيامنا هذه ان الجزارين يسمون دكاكينهم «بالملاحم» فيضع احدهم لافتة عليها مثل هذه العبارة « ملحمة الصالحية » .

لكن ادب عصرنا المغنى راح يضيف في دراساته مسميات جديدة منها كلمة الملاحم ، فيجعلها علما على القصائد الغر الطوال التي تسجل حروب الامم وتحشد في حوادثها تهاويل واساطير في الجن والخوارق ، كما جاء في ملحمة الالياذة لهوميروس وملحمة الرمايانا والمهابهاراته الهنديتين وملحمة الشاهنامة الفارسية لابي القاسم الفردوسي .

ومن بديع ما ظهر في دنيا أدبنا الحديث من الدراسات المكينة الموفقة في ادب الملاحم : كتاب الاستاذ الكبير احمد أبو حاقة الذي سماه « فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب » . ولقد توفدت همته لابراز هذا الفن الجديد الذي لم يكتب له نصيب من العناية الا في القليل من امره .

وكم أود ان أقف عند كلامه على خلو شعر العرب من الملاحم وقيم لم تظهر الملحمة في العصر الجاهلي ، فتردني هذه الوقفة الى كتاب الاديب العظيم عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ حين الف كتابه الاخير « أشتات مجتمعات في اللغة والادب » فقد ناقشني فيه هذا النقص في حياة الفكر والشعر العربي حين عقد فصلا ضافيا عن كتابي « شعر الحرب في أدب العرب » (١) . فذهب الى ان العرب لم يطر لهم خيال في عالم الاوهام والخوارق ، وكانت انفاسهم في الشعر محدودة لا تتجاوز مراحل مئة بيت الا في القليل . والظاهر أنهم وجدوا بنظم الملاحم والمطولات ما لا يجدون في أنفسهم جلادا على قوافيها ، اذ كانت قوافي الملاحم اليونانية والهندية متنوعة وليست على وتيرة واحدة كشعر العرب ، فمن للشاعر العربي بآلاف القوافي تنتظم ملحمته . فمن ههنا لم يكن للعرب همة تنهض بنظم الملاحم ، حتى جاء العصر الحاضر فخفف من تسريد القوافي على روي واحد . وكان محط رأيه الحصيف ان موضوع الملحمة لم يكن موجودا في قديم العرب .

ومن البراعة حقا وقد صدر كتاب الاستاذ النابغ احمد أبو حاقة قبل كتاب العقاد ، أن يكون له السبق في ايراد هذا التعليل الذي يناط بروح الملاحم وطريقة نظمها عند العرب وتعودهم عنها للاسباب ذاتها .

وفي أعقاب هذه الخطرات المبكرة عند المؤلف الاستاذ أبي حاقة اخذ يوالي الافتراض حينا ومس الحقيقة أحيانا في معطيات الشعر في العصر الجاهلي ، واجدا أن مواتاة الفن كانت مهيأة لنظم الملاحم في عهود الجاهلية اذ كانت المغازي قائمة على قدم وساق بين العرب انفسهم في حروب داحس والغبراء وأمثالها . وفي بطولات العرب

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها تشكيلة ضخمة

من روائع الكتب القيمة

التي لا غنى عنها لمكتبتكم

التي كانت مثارا للتفاخر والحماسة الواقدة . وان من رواج الشعر وتداوله الدائم في تلك العهود ما كان يعين على نظم الملحمة لو أبه لها العرب ، على حين كان تمازجهم باليونان والروم معروفا في الاحوال التجارية ومناسبات الخلطة واللقاء .

ثم اخذ المؤلف بتجواله البارع في دنيا الادب الجاهلي يخرج بنتائج صائبة كتفكك القبائل العربية وخلوحياتهم من حروب قومية مع غيرهم من الامم المجاورة . وهذه الاخيرة هي مناط القول والمعول عليه من الحدثان في أسباب نظم الملاحم . اذ ان العرب الجاهلين لم يجالدوا أمة بحرب قبل « يوم ذي قار » حين نازلوا الفرس ففلبوهم شر غلبة ولو اتيح لشاعر فيهم ان ينظم يومئذ الملحمة لجعل مبادئها من هذا اليوم العظيم الذي أظهر العرب على الفرس . وكان الفرس في منعقد الويتهم وغفير عديدهم ، في آلة حرب ما عرف مثلها العرب .

وحين مارس المؤلف كلامه على وجود مثل ملحمية في الشعر الجاهلي والشعر العربي عامة تناول الروح الحماسية في وصف البطولات والمعارك فعد ذلك ضربا من الشعر الملحمي ، بل هو المقوم الاول للملحمة . ومن ههنا جاء لقراءه بصور بطولية روائع من أعمال البطل الجاهلي والعاشق المفتون عنترة بن شداد الذي يضيف المؤلف شعره وسيرته الى الملحمات الشعبية الفولكلورية .

ولقد وجدتني منساقا الى ترداد هذين البيتين لعنترة مخاطبا معشوقته عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الصفح تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

واذا بالمؤلف الكريم يذكر من المطولة المعلقة العنترية ابياتا كثرا كل منها يصور موقفا من مواقف عنترة بن شداد في الحرب والعراك تتيه بمثله اشعار الملاحم .

وان في تصوير المودة بين عنترة وجواده لمجالا روحيا في حياة البطولة وشجونها عند قوله فيما أورده المؤلف الفاضل من هذا الشعر :

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا الي بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

فطار بي الخيال الى رائعات بطولية مشابهة لدى شعراء القرون الوسطى في أوربة وهم على ظهور خيولهم يهزجون بتحيات لها وأيديهم تمسح أعناقها وتعبث بغررها المنسدلة وهي تنفخ انفاسها من خياشيمها بعد المعركة . وفي القصة البطولية « الفرسان الثلاثة » لاسكندر دوماس الابن مشاهد ملأى بالغرام والفداء .

وكان من المؤلف فتح جديد في تبيان الشعر الملحمي في الجاهلية بقصيدة عمرو بن كلثوم التي يقول في اولها :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

فان ما جاء باهجية أحد الشعراء لبني تغلب في قوله :

الهي بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبدا مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسؤوم

يجعلني أقر بأن قصيدة عمرو بن كلثوم كان لها من الذيوع والتداول ما لشعر الملاحم يرويها الاباء للابناء ولا يسأم الرجال ترداد أبياتها على الدوام .

وتترادف الخواطر الناضجة عند الاديب الموهوب الاستاذ أحمد أبو حاقة حتى يريك كالعيان بطولة الخوارج وفي بهرتهم كبيرهم وقائدهم وقطري بن الفجاءة ولمام الذي يزجر نفسه الواجفة قبيل المعركة ، والذي يخاطب محبوبته « أم حكيم » بشعر يذوب رقة ويثور حماسة حين جمع فيه بين الحب والحرب فيعد المؤلف هذا الشعر لونا من ألوان شعر الملاحم في عهود الاسلام ، حتى اذا تحدر ببحثه الكبير الى العصور العباسية وجد المظاهر الملحمية في شعر ابي تمام في قصيدته البائية في وصف معركة عمورية وظفر الخليفة المعتصم فيها فلا يفرط في بيت من أبياتها اذ كانت جميعا تشكل وحدة موضوعية في شعر الملاحم ويرد فيها بتحليل ادبي رفيع ليس فيه حشو ولا تكلف وبعد حماسة أبي تمام يكلل بحثه الحصيف بقصيدة الحدث الحمراء لابي الملحمة العربية القديمة البطل والشاعر الاعظم ابي الطيب المتنبي الذي يميزه شعره وبطولته من سائر الشعراء وأكاد أعد حماسة شعره الحربي غالبة على حماسة الالياذة في وصفها لمعركة طروادة .

ويشوق المؤلف بعد العصر العباسي ان يتقصى وجود الملاحم في الشعر الاندلسي . ويكون بعد كلامه على القصصي الشعبي الذي يعده ملاحم نثرية بحثه الاخير في وجود الملحمة في الادب العربي المعاصر ، فتكون محاولات احمد محرم وبولس سلامة وسواهما بواكير ومقدمات لعهد سوف تبرز فيه الملحمة العربية بقضها وقضيها وبطولات امتها وأهوالها وبتصوير معاركها مع خصومها ، اذ لا بد من يوم تطل فيه الملحمة العربية المنشودة التي تناص بحق ملاحم الامم القديمة والحديثة . فتضم المجد الغابر الى العز الحاضر ، وتكون عدة العروبة والاسلام في توالي الشهور والعصور .

وكم ترك في خاطري المؤلف النابغ رنين كلامه يدوي في مسرح خيالي اذ أجدني امام تمثال فوزي المعلوف « بزحلة » أعيد أناشيد من ملحمته الفنية « شاعر في طيارة » أو « على بساط الريح » حيث يعده الاستاذ الكبير أحمد أبو حاقة في شعره وخياله وروعة اثره وخلوده ندا لميلتون في « الفردوس المفقود » وضريعا «لدانتي الليفري» في « القوميديا الالهية » .

وكان نابغة الشعر العربي المعاصر فوزي المعلوف ـ عليه رحمة الله ـ صديقا للشاعر الاسباني « فيللا اسبيسا » الذي شاركه الشعور في الحياة والفكر وراح يرثيه بعد الموت . ولقد رحت أردد باحزاني عليه شعر اسبيسا في نظيمه المعلوفي الاخاذ :

غرناطة أواه غرناطة
لم يبق شيء لك من صولتك

واستسمح السوانح في تحياتي لصديقي الحميمين شقيقيه الشاعرين الكبيرين شفيق ورياض . مختتما كلامي بتحية عبقة بالاعجاب والتقدير للمؤلف « فن الشعر الملحمي » الاستاذ أحمد أبو حاقة .

دمشق — ذكي المحاسني

(١) طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ ص ١٤١ .

صدر حديثا

خبانا الصواريخ في الهياكل

مجموعة شعرية — المرحلة الثانية

ثريا ملحس

٥٤٦ صفحة — حجم كبير

توزيع دار الكتاب اللبناني في بيروت

مشتل صور يبدأ انتاجه لمائة الف مزارع



يبدأ مشتل صور الذي انشأه المشروع الاخضر انتاجه الزراعي لاغراس ، ونصوب اشجار الفاكهة ، وسوف يضم مليونين منها •

وقد اقيم هذا المشتل وهو احدث مشتل في الشرق الاوسط على مساحة من الارض مساحتها ٦٠ الف متر مربع ، وجهز تجهيزا فنيا كاملا ، بما فيه المعدات الاوتوماتيكية والمعدات التي ترش الماء عن طريق قذفه الى الاعلى بحيث تتساقط قطرات ، الى جانب القاعة الزجاجية المكيفة بالحرارة التي تتيح في خلال ٣٦ يوما انبات العقلات وجذورها • وقد بلغ مجموع تكاليفه حوالي ١٠٠ الف ليرة لبنانية، دون ثمن الارض وهي ملك للدولة ، ويبلغ عدد المستفيدين منه حوالي مائة الف مزارع من ابناء الجنوب • وهذا المشتل هو واحد من اربعة مشاتل هامة في لبنان : اولها مشتل الشويفات الذي سوف يتضاعف انتاجه ، ومشتل طرابلس الذي سيبدأ اعداده وتجهيزه بعد ايام قليلة ، ومشتل البقاع الذي سيبدأ اعداده خلال الصيف الحالي • ومن مزايا هذه المشاتل انها سوف تنتج اصنافا مختلفة من اغراس وانصاب اشجار الفاكهة كالبرتقال ، والليمون الحامض ، والكرمة ، والخوخ ، والمشمش ، والزيتون ، والرمان ، والفستق والاكيدنيا •

ومن مزاياها كذلك انها سوف تتيح تنويع اصناف المزروع من اشجار الفاكهة وعدم الاكتفاء بانواع قليلة منها • ويستند هذا السعي الى التنويع على دراسة زراعية واقتصادية اجرتها في هذا المجال مؤسسة اجنبية في ٣٥ بلدا وشملت ٢٥ نوعا من اشجار الفاكهة ، الاكثر ملائمة وفائدة ورواجا •

وينبثق هذا العمل الزراعي الاقتصادي من سياسة الدولة التي تنطلق من التخطيط لحث خطوات التنمية وتحقيق العدالة الاجتماعية في جميع المناطق اللبنانية ، وتثبيت دعائم الوحدة الوطنية على اسس متينة راسخة •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضمانات المصرفية واثرها في الاستقرار المالي وطمأنة الجمهور

*

واصل البنك الاهلي وبنك الرهونات اللبناني سيرهما الطبيعي بعد وضع اليد عليهما بموجب القانون رقم ٦٧/٢٨ الذي ضمن جميع الودائع لاصحابها • ويقوم مصرف التسليف الان بمهمة الاشراف على تسيير العمل في المصرفين المذكورين لتأمين دفع الودائع عند الطلب •

وقد ادى تطبيق هذه الضمانة الى طمأنة الجمهور وحصر السحوبات حتى الان في حدود مليونين ونصف مليون ليرة ، وذلك من اصل مجموع الودائع البالغ ٥٥ مليون ليرة ، اي ما يعادل نسبة خمسة بالمئة تقريبا •

ARCHIVE

ويأتي هذا التدبير في نطاق التشريعات والتنظيمات المصرفية التي اعتمدتها الدولة لتنقية القطاع المصرفي من الشوائب وتعزيز مركز لبنان المالي ولا سيما بعد انشاء مصرف لبنان الذي باشر نشاطه بتاريخ اول نيسان ١٩٦٤ •

واذ تضطلع بيروت بدور العاصمة الاولى للمصارف في الشرق الاوسط ، فقد كان من الضروري تركيز العناية بقطاع المال والنقد ، وهذا ما جعل مصرف لبنان المركزي يتحمل مسؤولياته التي واجه بها ازمة انترا والتي لم يبق من اثرها الا ما يدخل في نطاق اختصاص القضاء ، وذلك نتيجة للحل الذي ساعد مؤسسة انترا على اعادة فتح ابوابها واستئناف نشاطها •

وبعد ازمة انترا نشأت ازمات مصرفية عمل مصرف لبنان لازالتها وخصوصا في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ مما ضمن حماية زبائن المصارف وأمن السهر على سلامة الاوضاع المصرفية والاستقرار المالي •

جرح الضوء

بقلم الياس خليل زخريا

★

خرجت ابنتنا الكبرى ، وحدها ، امس ، من النافذة .
رمت بعينيها كلها من الشرفة على بعد الابعاد ،
... قلقة ، حائرة ،
هي دائما على الشوق والتردد في همة الرحيل .
تنام في ضوضاء السهر وجلبة الحي كأنها مقيمة في اطراف الغابة الموحشة .
تستيقظ ، واهية ، متعبة ، كأن الليل والشمس لم يمسحا بأصابعهما الحالمة شفتيها الضائعتين ،
تخبيء ناظريها بنظارتين سوداوين اشترتهما لها امها لترد بهما عن ناظريها قساوة الضوء .
يا لقساوة ذلك الضوء المتخفي في كثافة الزجاج ،
كيف تسرب كالوان الصور في ثنايا الخيال !؟
يا لقساوة ذلك الطبع الفطري النابض نبضة في فورة الخلق
... سألتها فتذمر فيها الضجر ،
نبهت فثار فيها النزق ،
... لنت في العنف فاشتدت فيها على الكبت والطمع ،
والليونة نفسها ، خشونة الجفاء .
رأيتها تقرأ ، فظننت انها تأكل الحروف من جوانبها أكلا .
نهم في تخمة ، اندفاع في انكفاء .
ظل يطوف طوفانه في جوانب البيت ،
يحاول ان يدخل علينا ، ثم ينقبض
انقباضه ويتوارى
وتلك الكتب المكدسة المخلعة ، بعضها على بعض ،
وتلك الدفاتر والاوراق المنسقة ، المشوشة ،
وقميص على الارض
ورداء ، ومنشفة ، والف شيء وشيء على حافة السرير ،
وقيتارة مرمية وحدها في الزاوية كأنها
منهزمة في صهوة العراك ،
وصبية متكئة على مسندها ، آخذة مأخوذة ،
تكتب باطراف اصابعها اليسريات كأنها تلهو
لهوها بوقار الزمن العابر في ممرات البيت ،
ايتها الصبية الصغيرة التي كبر فيها
قلبها كما يكبر الامل في فسحة المضيق !!
ايتها الدالية الخضراء التي امتدت فيها احلامها
بعيدا الى الجزيرة النائية في بحر الاغتراب !!

ابحري ، يا بنيتي ،
شقي الماء كما يشق الزورق المطمئن اسرار الافق ،
ارفعي عن عينيك هذه النظارة السوداء الواقفة
كالجدار بين مفرق الشوق وخلجان الرصيف ،
افتحي النافذة على كلا المصراعين ...
لتدخل اليك الشمس باقدامها اللينة ،
ليسرح عندك الهواء باجنحته الملساء ،
ليفعم صدرك طيب الشباب المتطاير من قارورة العمر ،
على جفنك بقايا متناثرة من طيف هارب
قصت علي امك مرارا حكاية الطيف الهارب
ذلك الطيف الذي تملص في غفلة العين من اهداب الجفون ،
ونزل في الكرم الشرقي عند الدالية يروي على عرائس القرية اخبار
المارد الاشقر الذي يشق القمقم ويقف وحده عاريا في عرض الطريق .
متى تقصين علي ، يا ابنتي ، قصة الفارس المجهول الذي
يضرب بحوافره الذهبية خد القمر في ليلة العرزال ؟؟
متى تقصين علي قصة التنفس : ونعمتي التنفس
نعمة التضرع ، ونعمة الانين ...
أسمع في هدوء هذه الغرفة الصامتة شبه انين
ويا ابنتي ،
أضحكني جدا هذا البلبل الشارد الذي يحاول
ان يفتح بمنقاره الطريء باب القفص ليطلق جناحيه
على التلال في مهب الريح .
حسبته مشتاقا الى الفضاء
يتنقل من غصن الى غصن ، ومن تينة الى تينة ، سارحا، مارحا
كأن الارض كلها منبر من منابر جناحه وحنجرته
حسبته يحلم بما كان يحلم به السجين المكبل
الذي اذاقته سلسلة القضاء مرارة العقاب
في براءة النفس
حسبته ينشد تلك (العنقاء) المغربية التي قيل ان اسراب الطير
تغنت بها في لمحات من ساعات الخلق عند ولادة الزمن
واها له من بلبل عجيب ...
واها له من شارد مشرد
يحمل بريشه من تراب الكرم حبات قديمات يشد به
خصبها الخصيب من ضيق القفص الى رحابة التلال
والاوداء والظلال المتعانقة .
لو كان القفص ترابا نديا لمرغ البلبل فيه على الرخاء ،
والقناعة ، منقاره
الفاضب ،
لو كان القفص ورقا اخضر ، لرف عليه بجناحه المشتاق،
وهذا اليابس القاسي من الخشب ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حلم

١- من انت يا احلى من النغم ... اترى التقينا قبل في حلم ؟
٢- عيناك - بالدنيا فديتهما - ... تتقاسمان مدامعي ودمي
٣- تتضاحكان وتبكيان معا ... فأحار بين اللاء والنعم
٤- يعيي بياني وصف سحرهما ... هل يحصر الفردوس في كلم ؟
٥- لا تشمخي في خاطري صنما ... اخشى على تقواي من صنم
٦- ايقظت في قلبي وساوسه ... يا ليتها ماتت ولم تنم
٧- قد كنت احسب ناره انطفات ... فاذا بها نار على علم
٨- هبت عليها الريح ، فاتقدت ... تحت الرماد كوامن الضرم
٩- يا انت يا احلى بنفسجة ... صلى عليك بنفسج الاكم
١٠- ذهب الصبا الا علالته ... كيف ابتعثت شذاه في ادمي ؟
١١- اتجددين بنظرة املي ... وتبددين ببسمة المي
١٢- لا لن اصدق مقلتيك فما ... تغرى العيون بهيكل ردم
١٣- ما زال قلبي في نضارته ... لكن باقي الجسم في سقم
١٤- ماذا تفيد السيف حليته ... ان لم يكن بالصارم اللهم ؟
١٥- لم يبق عندي في الهوى جلد ... ما اضيق الدنيا على برم
١٦- حولت عن جناته نظري ... وثنيت عن آفاقه قدمي
١٧- للحب مرحلة ، وقد ذهبت ... يا من يساعدني على هرمي !
١٨- يا حلوتي لا تنقلي خبري ... للزهر او تفشيه للنسم
١٩- ((غلواء)) خلف خطاي ساهرة ... تحصي علي سفاسف التهم
٢٠- ماذا اقول لها اذا نشقت ... رياك ملء يدي وملء فمي ؟
٢١- ساقول عانقني الربيع فيا ... غلواء عبي الطيب وابتسمي
٢٢- ساقولها .. لكن اذا اكتشفت ... اني ادس السم في الدسم
٢٣- فلسوف ازعم دونما حرج ... ان التلاقي كان في الحلم ..

بوانس ايرس - الارجنتين — زكي قنصل

لو عادت اليه نضرته ، ومواهته لرأيت صاحبنا يزقزق فيه ، ويصفق ، ويملأ البيت طربا طروبا ، وانطلاقا طليقا ، وشكرا شكورا ،

ويا ابنتي ،

الحمد لله ، ان التراب الذي نثرته امك على قدميك في اسرار المعمودية هو قطع مقدسة من قلبها الغني

ان الزيت الذي مسحت به في قوة الايمان جسدك الطيب هو عصارات مباركة من نفسها المتضرعة ،

ويا ابنتي

اقيم ليلا نهارا في نظارتيك السوداوين

اسهر العمر عند سريرك القلق

سلم لي قلبك الطريء من جرح الضوء

الياس خليل زخريا



اميـل توفيـق

مناقشة حول الفن ماهيته واهدافه

بقلم اميل توفيق

* * *

ما هو الفـن ؟

عرف الفن كثير من كبار الادباء والفنانين والنقاد جاءت تعاريفهم مختلفة متباينة وفقا لاختلاف وتباين الزوايا التي يراه بها كل منهم .

يكتب تولستوي عن الفن قائلا : ان جميع مناحـي الحياة مشبعة بالفن .. من أغنيات المهد الى الحان الرقص ـ ومن ترنيمات الهيكل الى اناشيد الشعب ، ان الفـن يتخلل شعاب الحياة بأسرها ويجري سيالا مع جداولهـا ويجتاز فائضا مع طاقاتها الناشطة . والفن كما يبدو في الشعر وفي غيره ـ هو الصنع او هو **الانتاج ـ والفنـان** هو الصانع او هو المنتج .. فالفن هو الاسم الذي نخلعه على تلك الطاقة التي يتألف منها تيار نشاطنـا الحيوي حينما يتبلور او حينما يستهدف غاية من غايات التعبير عن داخل نفوسنا ـ فليس هناك تعريف للفن ولكن هناك تمييزا بين الفن الرفيع والفن الوضيع .

يقول هـ.ج. ولز : ان الفن نوع خاص من اللعـب يصاغ في قالب انشائي او بنائي ـ فليس هناك بين انواع اللعب الاخرى والفن ، بحيث يمكنك ان تقول هنا ينتهي اللعب وهنا يبدأ الفن ، ان الفن هو الطاقة البشرية فـي زيادتها او فيضها عن حاجاتها البيولوجية او عن تأديتها للوظائف الحيوية العادية .

لقد كان ارسطاليس يعد الرياضيين والاطباء ومن اليهم بالفنانين ـ فالفن في نظره هو القوة التي تصـوغ شكل التحصيل الانساني الذي استطاع الانسان علـى مدى الازمان ان ينتجه ـ فهو الحقيقة لما نسميه تسـمية غير تامة بالاخلاق . انه كل خلق انساني .

وحق لنا ان نفهم ان الحاسة الفنية تتضمن شيئين : ففي الانسان صفتان متميزتان هما صفة العمل وصفـة التأمل . وفيه اثنان متميزان : الانسان الفنان والانسان الشاعر الجمالي ـ اي هناك قدرتان : الاولى القدرة على الصنع والابتكار وهي قوام الفن ، والثانية هـي القدرة على التأمل وهي **قوام الشعور بالجمال .**

وهاتان القدرتان تتحدان فتكونان « **الحاسة الفنية** » وهي تتفاوت في الافراد والجماعات . فالفن الرفيع اذن يتضمن القـدرة علـى الصنع بجانـب القـدرة التأملية والتخيلية .

وعلى رغم ان هاتين القدرتين تنتهيان الى غايـات بعيدة واحدة فنحن نفرق بينها تفرقة تامة في الفنـون الرفيعة ـ وفي فن الحياة الذي يتضمـن الاخـلاق ـ فالقدرة الفنية تنبع مـن تيار **النشاط الانساني الـذي** يوجب العمل ـ ونحن نحس جمال العمل الفني حينمـا ننظر اليه نظرة تأملية ، تلك النظرة التي تخلق الجمال . وكما قال ريمي دي جورمون : حيثما تكون الحياة فهناك الجمال ـ ويضيف هافلوك اليس قائلا : بشرط ان تكون هناك نظرة تأملية نحو هذه الحياة .

والخلق كفن ينتمي ـ اكثر ما ينتمي ـ الى القدرة العملية لا الى القدرة التأملية ـ وقد كان هذا الموضـوع من الموضوعات الجدلية التي تباين فيها الفلاسفة اشـد تباين واختلفوا اوسع خلاف .

كانت نظرة اليونانيين نظرة جمالية اي انهم كانـوا يرون الخلق متصفا بالعنصر التأملي الـذي يبعث علـى الشعور الخيالي المقيد بواعث الفضيلة ـ وكانت تلـك النظرة وراثية في طبيعتهم ولكنهم لم يحلوا المشكلات التي تتعلق بالموضوعات الجمالية لانهم ـ رغم تمجيدهم للفنون الرفيعة وتقديرهم اياها ـ كانوا يحقرون الفنانين انفسهم اذ كانوا يعتبرون الصانع او الفنان الـذي ينتج بيديـه انسانا همجيا وليس متمدينا .

كان افلاطون يوثق العلاقة بين الفضيلة والسعادة ، ويزاوج بين الرذيلة والشقاء . ولم يكن يقر كاتبا مسرحيا

اهم المراجع لهذا التحليل :

1 - **The Dance of Life : Havelock Ellis**

2 - **Art and Education : by John Dewey (& Others)**

٣ ـ حواس المدنية (هدية المقتطف السنوية لسنة ١٩٥١) : اميل توفيق

او قصصيا يجعل من الرجل الفاضل انسانا شقيا . او الرجل الآثم انسانا سعيدا . وعند افلاطون ان الرجل الفاضل لا يمثله صانع او عبد . وانما يرجع سبب هذه الفطرة المعنة في النقاء والخلق الى انهم كانوا ينظرون الى الكائنات والموجودات نظرة فلسفية تأملية بدافع من دوافع السلوك الخلقي المثالي . تلك كانت نظرة الفن للخلق .

اما ارسطاليس فقد راى في الفن مرآى جديدا اذ اعتبر الفن مستهدفا لاهداف التعبير الانساني وهي الاهداف التي تتضمن في حد ذاتها نهاية اللذة والمتعة . وكانت نظرة ارسطاليس هذه حديثة العهد على اليونان ـ ولذا لم يكن من المستطاع ان تطغي على النظرة القديمة .. ومع ذلك فقد خلقت هذه النظرة .. نظرية الفن للفن ـ يقول شوبنهور ان الفن في الموسيقى وفي الشعر وفي الفلسفة وفي الرسم ، عديم الفائدة من الناحية المادية وهذا ما يجعله عبقريا ، وتلك هي ميزة النبل في الفن . فالفن لذاته تماما مثل الزهرة الناضرة والعبير العطر ، فنحن اذ نستمتع الفن ترتفع قلوبنا فوق جو الحاجات الضرورية الثقيلة ، فالحياة هي جهاد الارادة ـ ولكن في الفن تصبح الارادة ملموسة منظورة اي منطلقة وهي قاتلة للتأمل الخالص النقي .

ويقول برجسون ان الفنان يرفع الحجب المادية عن الاشياء ليعلن لنا الطبيعة اذ هو موهوب بذلك التجدد العذري للنظر والسمع والتفكير . انه الالهام الغريزي او الغريزة التي فقدت عنصر النفع منها . ويقول برجسون : ليس للفن غرض الا ان ينزع الرموز النافعة عمليا او تلك الخواص الثقافية والاجتماعية لكي يقف وجها لوجه امام الحقيقة نفسها . ويصبح الفن مؤديا وظيفته الحقيقية عندما يبعدنا عن الحياة العادية .

على ان النظرة الثالثة هي ان الفن للمجتمع او هو للحياة . فيقول نيتشه : ان الفن هو الباعث القوي للحياة فهو يولد البهجة والانتعاش ولذا فللفن خاصة النفع التي تفوق بمراحل هدفه المباشر . وفي رأي نيتشه ان نظرية الفن للفن نظرة خطيرة مثل الحق للحق ـ والفضيلة للفضيلة . فما الفن والمعرفة والخلق الا وسائل قيمة نحو تمكين الميول الباعثة للحياة . فنيتشه يتفق مع شوبنهور وجورمون في الغض من الوظيفة الخلقية للفن فيرون فيه وظيفة اجتماعية ـ وبهذا المعنى يذهب جويو الفرنسي الى ان الفن رغم تميزه المستقل انما يتحد في اساسه مع الدين ومع الاخلاق وهو يقول : ان هناك وحدة كلية لمعاني الحياة والخلق والمجتمع والدين والفن ـ لذا فالفن عنده في كلمة واحدة هي الحياة . وعلى ذلك فهو يعتقد انه لا محل مطلقا للتباين بين نظرية الفن للفن .. ونظرية الفن للخلق .. لان للفن وظيفة خلقية واجتماعية .

واختم بفكرة هافلوك اليس الذي يعقب على هذه الاراء ـ حول مفهوم الفن ـ في كتابه The Dance of Life فيوفق بينها قائلا :

ان جميع الفلاسفة المتقدمين كانوا مخطئين في الاجابة لانهم لم يعرفوا تماما السؤال الذي هم بصدد الاجابة عنه ، وموضع الخطأ هو انهم لم يروا ان الخلق ـ كسائر الوظائف النفسية الحيوية للانسان ـ فن من الفنون ـ واذا كانت الفنون هي مجموعة الوظائف النفسية التي تنبع من نشاط المرء ، فليس هناك اذن ما يدعو الى التفرقة بين الخلق والفن وما اليها لان هذه الوظائف سيتحتم ان تتحد معا اتحادا متناسقا منسجما . اذ هي تنبعث جميعا من مصدر واحد هو الطاقة الانسانية .

وقد يمكن ان نصل الى مثل هذه النتيجة من زاوية اخرى كما سأبين بعد حين .

تحليل سيكولوجي : بين العلم والفن

اولا ـ ان كل نشاط انساني ، اذا تناولته دوافع اللعب والانشاء في خارج حدوده البيولوجية او الحيوية المباشرة ، انما يتبلور الى انتاج فني . ولكنا نفرق بين الفنون الرفيعة كالموسيقى والشعر والادب والنحت والرسم وما اليها ـ وبقية الفنون الاخرى. فنقول ان الفن الرفيع هو صدى لانفعالات الفنان في غير النهج البيولوجي. بل هو على وجه ادق املاء التجربة الاجتماعية الوجدانية التي يمر بها الفنان او يعانيها . فلو ان المتألم او المنفعل بالحزن كان يعبر عن المه او حزنه بالبكاء ـ أو لو ان شخصا احس بمشكلة وجدانية واستطاع ان يجد لها نهاية بيولوجية لما كان هناك انتاج فني ، ولما تكونت آثار وجدانية تتفاعل بعمق في داخل اللا شعور .. فالفن هو الانتاج الذي يدفعه اللا شعور المفعم بالذكريات والفكر المتصارعة ، الى استخدام الشعور في التعبير والعمل . انه ناتج للتخيلات Phantasies ولكن بلغة شعورية .

ثانيا ـ ولكي تزداد معرفتنا بالفن وخصائصه ، ينبغي ان نفرق بين العلم والفن . فنستعرض البحث الذي ذهب اليه س. هربرت في كتابه « العقل الباطن في الفن والحياة » The Unconscions in Art and Life تحت موضوع « الفكر والخيال » Thought and Phantasy ويتلخص فيما يلي :

١ ـ ان تفكير الطفولة تفكير رمزي يقابل تفكير الانسان البدائي من بعض الوجوه كتعبيره بالصور الذهنية مثلا ، فالمطر صورة تعبيرية عن خصوبة الارض ، والخضر او النباتات صورة تعبيرية عن الجوع وهكذا .

٢ ـ وقد تكون التفكير العقلي المنطقي اذ اصطدم الانسان بعقبات الطبيعة وواقع الحياة وصعابها ، ومن هنا نشأ التعليل . Reasoning

٣ ـ اما التفكير الرمزي Symbolic فمن خصائصه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انه داخلي ـ يسقط الاشياء في داخل العقل ـ تفكير ذاتي ـ اما التفكير العقلي فتفكير موضوعي .

٤ ـ وفي الانسان يسير التفكيران جنبا الى جنب، وبحسب درجة كل منهما يكون التمييز بين **نوعين من** الشخصية : الشخصية المنطوية Introvert والشخصية المنبسطة Extrovert

٥ ـ وهناك نظريتان تتعارضان . تقول احداهما ان الحقيقة التي يفكر فيها الانسان ويسعى اليها انما هي خارج نفسه اي في العالم الخارجي ، وان المعرفة الحقيقية التي يرغب فيها هي تلك التي يحصل عليها بمعرفة هذا العالم الخارجي . **وتقول الثانية : بل الحقيقة التي يسعى** اليها انما هي معرفة النفس ، ومن خلالها يرى الانسان الاشياء الخارجية .

على ان الدراسة النفسية تخلص الى ان الفكر الانساني لا يقوم على احدى هاتين النظريتين فحسب ، فالداخلية والخارجية تتمشيان معا في الفكر الانساني غير ان هناك اختلافا بين الافراد من حيث الصبغة التي يصطبغ بها تفكيرهم ، الامر الذي يجعلنا نقسم الناس من حيث الانطوائية والانبساطية .

٦ ـ ونحن اذا قارنا بين العلم والفن نقول : ان **الفنان هو الشخص المنطوي** النزعة الذي يخرج للعالم تلك الصور الذهنية ، والتخيلات التي يتخيلها تبعا لحاجاته النفسية وذلك في قالب من التفكير العقلي ـ او بعبارة اوضح ان تفكير الفنان تفكير رمزي ، وهو لكي يعبر عنه يستخدم التفكير العقلي . عالم الفنان هو الرمز في حين ان العلم يقوم على معرفة الكون من الناحية الموضوعية . حتى في دراسة الظواهر النفسية الداخلية.

والآن يجمل بنا ان نسير شوطا آخر في التحديد :

الفن والجدة

ان كونك تنظر فتعلم او ترقب وتفحص العلاقات الاجتماعية او غيرها ، هذا علم ، ولكنك اذا نظرت فرأيت «رؤية جديدة» تفسرها وتؤولها في نظام فكري ، وبموقف اجتماعي معين ـ فهذه النظرة ، وهذا التفسير المفعمان بالوجدان الراقي ، والمفرغان في قالب جمالي ـ هو الفن . ان الفنان ينظر فيتطلع الى « الجديد » . فالجدة في نظره هي التي تبعثه على الانتاج ، وهي كذلك المحك الذي تجعلنا نحكم على هذا الانتاج وينبغي ان يفهم ان الشيء الجديد هو الشيء المتطور من القديم . **الجديد هو** النامي من ثقافتنا وحضارتنا بقديمها وحاضرها . والفنان الذي يزيد من تراث الانسانية ويثريها هو الذي يجعل من التقاليد نقطة انطلاقه، فيطورها بتفاعله. ومن هذا التطور .. **تنبثق رؤياه الجديدة** فالفن يغزو في الافق المتسع ، والثقافة الشاملة . ومن هذه الزاوية نحن نلمح هذا التطور في اغراض الفن ، فمن « الكلاسيكية » التي تعنى بمجرد الحدود وتناسق اجزاء **العمل الفني** ، الى « الرومانسية » التي تعنى بأن تخلق في اجواء عليا من الاحلام الذاتية ، الى الوصفية ومنها « الواقعية » التي تعنى بموقف الفنان من مجتمعه .. ومن الحضارة السائدة بأجمعها . فنحن لا نفهم طبيعة النفس البشرية الا من خلال الفن ، كما لا تتفتح امامنا منافذ الطبائع ، ولا **تتكشف نوازع المفارقات، او ظواهر التوافقات والتكيفات،** بل ولا تدرك فلسفة للحياة .. **الا من خلال تلك الصور** الانسانية المبتسرة .. من روائع النغم او القصة او المسرحية او القصيدة او النحت او التصوير او الفكر المتكامل .

الفن والصوفية

ان الالم والحزن والاخفاق ، وامثال هذه الانفعالات والمشاعر ، هي التي تجعل المرء يحس الغربة والانعزال والشعور بالوحدة (او تركه وحيدا) ، وهي لذلك تحمله على ان يزيد من توثيق الروابط بينه وبين مجتمعه . وتدعوه لان يتعاون وان يتفاهم تفاهم العقل والقلب معا . وحيثما توجد حاسة التجاوب بين الفرد ومجتمعه او حاسة التوافق الانسجامي العاطفي ، فهنا تنبثق التجربة الصوفية الغامضة The Mystic Experience فالوطنية ، حيثما يخضع الفرد تحت تأثير التوحد في الفكر والشعور والهدف بين ابناء وطنه ، هي في الواقع شعور صوفي Mystical Feeling

وان تكن الوحدة ليست **تامة بين الوطنيين ، ولكن** الخلاف امامها وامام التصورات الاجتماعية الواحدة يفقد دلالته كخلاف . وكذلك الامر في عاطفة الحب . فحينما يخضع الفرد تحت تأثير الحب ، فانه يجد ان مدى التجاوب مع الحبيب ، في الرغبات والاهواء ، قد اصبح مدى كبيرا لدرجة تصبح معها الخلافات اشياء هينة وطفيفة يمكن احتمالها بل ولا يلتفت اليها . فحاسة الاتحاد هذه ، تمحو ـ على الاقل لفترة ما ـ حاسة الفرقة او الغربة .. ومن هنا .. من هذه الحاسة الموحدة ينبثق الشعور الصوفي . وهذا الانتشار الصوفي بين الاشخاص الذين توحدهم الوطنية او الحب وما اشبه هو انتشار وهمي . وكثيرا ما ينعت الحبيب باسمى الخصائص النبيلة ، والفضائل النادرة التي قد لا توجد في الحقيقة . اعني ان هناك ميلا للعقل في حالاته الصوفية هذه لان ينغمس في الوهم والانفعالية .. ومن هنا يرتبط الفن بالصوفية . بعبارة موجزة ان الفن يرتبط **بالتوحد بين الفنان وبين مجتمعه . والفن ايضا صوفي ،** والصوفية لها قطبان : انفعالية ذاتية .. وتصورات اجتماعية .

وروائع الفنون قد ابدعها اصحابها بقصد اشباع رغباتهم . وينبغي ان يفهم ان الفارق بين **الحاجات المادية**

وحاجات الفن هو ان روائع الفنون تجد صدى مباشرا لدى القلب الانساني والشخصية الانسانية . ان الفنان يضع كل نفسه في فنه وعالمه مفعم بالانسانية بدرجة لا نراها في عمل المهندس او الصانع . فالفن بلا شخصية لا قيمة له. ان الفن يوسع بطريقة مباشرة من رؤيانا، بأن يطلعنا على رؤى الفنانين ، ويبصرنا بنظراتهم الخاصة الانسانية المستمدة من مجتمعنا ، وبذلك نشعر بتلك الحاسة التي تتجاوب معها وجداناتنا وعواطفنا ، ونجد انفسنا مسوقين بالادراك نحو ما ارتآه الفنان وما اشار اليه العمل الفني .

فالفن ــ اذن ــ من هذه الناحية ، اعني من ناحية ارتباطه بفنان وبمجتمع ــ تسوده مشاركات وجدانية ومشاعر موحدة نتيجة حاسة التجاوب . هذا الفن يمدنا بمشاعر وآراء وافكار وجدانية تنتشلنا من وهاد الفشل واليأس ــ فأمام الفن لا نجد الفشل نهاية ، ولا نرى اليأس حلا . ولا نرتئي في الظلام او الهزيمة الا انهما مرحلتان من مراحل الضياء والنصر . ان الفنان المشارك لمجتمعه فنان له (موقف) .. وهو يسهم في ان يغزو الاحساس بكل القيم الانسانية النبيلة ، ويرمي ان يبعث الامل في الملايين البشرية ، التي يهدها الملل والكلال والضنك والفاقة ، ويقيم من اصحاب العرق والدمع الضائعة وسط الجموع ، بطولات حقة .. فينتشل هذه القلوب الانسانية من زحام الطريق الذي ضللته الافكار البغيضة والعنصرية أو البطولات الزائفة .

هذه النظرة تجمع بين النقيضين ــ ان الفن ذاتي ــ وان الفن اجتماعي فلا غنى للفنان عن مجتمع يتجاوب معه ــ ولا غنى عن المجتمع من فنانين يقودونه نحو رؤى جديدة .

الفن والحضارة الانسانية .. والفن والتكامل ..

وفق النظرية الخاصة بالتقدم الاجتماعي لموريس جينزبرج Sociology - by Morris Ginsberg والقائلة بأن المجتمعات وحدات نزوعية للتقدم نحو وحدة حضارية .. اي حضارة انسانية .. ومن هذه الزاوية نحن نعتبر الفن الاصيل الهادف للحياة هو الفن الذي يرمي الى تخطي الحواجز الذاتية ليس فقط للفنان ، بل والعنصرية ايضا. حقا ان للاقليمية طابعها الخاص وللشرق قوميته وسماته المميزة والتي ينبغي ان تدرس وتدرك مفاهيمها فتمثل في كل انتاج فني. ولكن الشيء المهم هو ان تصبح اصالة هذه الاعمال الفنية بحيث تسهم من انسانية الحضارة العالمية في انسانية الحضارة العالمية وتزيد من تراثها . وليس معنى ذلك ان تنقطع الصلة بين ماضينا الادبي او الفني .. وانما تكون فنون ثقافتنا مستوعبة للماضي وللحاضر ولمختلف الثقافات بحيث نستطيع ان نهضم وان نتمثل في لا شعورنا جميع المتجهات ، ومن هذه الخامات يمكننا ان نعبر تعبيرنا الذاتي المطبوع بشخصيتنا والمتجه نحو الحضارة الانسانية اما من حيث الفنان ، فالاتجاه السوي هو ان ينظر الى الفن على انه نوع من الحياة المتكاملة بالنسبة للفنان ، بحيث تظهر في اعماله الفنية اصالة الشخصية الكلية ، اي أن فنه يكون دالا على عمل شخصية انسانية لها (موقف معين) . ومن هذه الزاوية يصبح لزاما على الفنان ان تتكامل عنده النظرة الى العلم والاخلاق والفن ، بحيث يوحد بينها في حياته ، وينسق في فنه بين هذه النظرات وبحيث يكون عمله الفني اشبه بكائن حي ، لو نظرت اليه من وجهة العلم ، او نظرت اليه من وجهة الاخلاق لرأيته انسانا تلتقي عنده هذه النظرات ولا تتعارض . او ان هذا العمل الفني هو ملتقى نظراته جميعا التي اتحدت في وحدة هي وحدة الحياة ، هي فلسفة تأملية لحياة ظافرة .

فاذا استثارته انانية غاشمة مثلا ، كان عمله الفني الحقيق بالخلود ، قصة جماعية تدعو لقهر النفس المنطوية على ذاتها ــ اي تدعو الى الاخذ بناصرها في طريق البطولة الحقة ــ وفي الاتجاه التعاوني الحق . لا ان يكون قصيدة هجاء او وصفا لانفعالاته السوداوية المنكفئة على نفسها بالحقد والالم .

فالتكامل في النظرة من وراء ثقافات متعددة ، ونتيجة الدفع النزوعي للمجتمع نحو الاتصال بالثقافات الاجتماعية الاخرى .. تحتم على الفنان الا ينعزل . فان اتصاله بالحياة .. وبالفكر سيطور نظرته ويجدد رؤياه .

ان الخلق والفن يلتقيان ما داما يهبطان على ارض الواقع يستمدان نبعهما من المجتمع . فالخلق الذي يميز الشخصية المتكاملة هو الخلق النامي الذي يتصف سلوكه بحاسة العدل والمسئولية الفردية المرتكزة على تقدير موقف الفرد بالنسبة للمجتمع .. وهذا الخلق يلتقي نعلا بالفن الذي يستمد نبعه من الطبائع البشرية .. ومن هنا جاءت الضرورة بأن الفنان « مسؤول » ومسؤولية الفنان وحريته لا تتعارضان ، او تتناقضان ــ بل انهما دعامتا الابداع الممثل للقيم المطلقة .

شبين الكوم ــ ج.ع.م **اميل توفيق**

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذكريني

الى وردة الشام .. عليها السلام

١- وردة الشام قفي عند السنين ... وانبشي آثار ماضينا الدفين
٢- ذلك العهد اذكريه تنشقي ... أرجا من شذوات الياسمين
٣- حبنا الاول يا فاتنتي ... مثل يضرب للمفتتنين
٤- ابعثي ذكراه ، بثي طيفه ... في دروب العمر حينا بعد حين
٥- اذكريني كلما شق الفضا ... سرب اطيار كما بنا تبين
٦- اذكريني كلما شاد شدا ... مثلما كنت بشعري تهزجين
٧- اذكريني كلما الليل سجا ... وتندى أهلا بالسامرين
٨- اذكريني كلما البدر سرى ... ساهرا يحصي هموم الساهرين
٩- طالعي حسنك في مرآته ... تذكري من هام بالحسن المبين

١٠- اذكري مدرستينا واذكري ... حائطا بين بنات وبنين
١١- ورواقا واصلا بابيهما ... وزقاقا يجمع المنصرفين
١٢- في حنايا ه كمنا ساعة ... أبدي ذكرها . هل تذكرين ؟
١٣- ذلك اليوم تعارفنا فما ... نلت اعجابي امام المعجبين
١٤- ثم عدنا للتلاقي ، والهوى ... لم يزل طي فؤادينا جنين
١٥- تستقي الحاظنا أخباره ... ناطقات بمراد الصامتين
١٦- غامزات ، سربت اشواقنا ... بين أنظار الرفاق العابرين .

١٧- ثم ماذا ؟؟ دخل الحب على ... قلب قلبينا دخول الفاتحين
١٨- وأغار السحر في أعقابه ... فطوى الجد بساط اللاعبين
١٩- بدأت مأساتنا لما بدا ... من غرامي فيك ما لا تفهمين
٢٠- شره منك ، ومني وله ... لم تجفف ناره ماء الجبين
٢١- لم تنل عذرة حبي حظوة ... كالتي أحظيتها للفاسقين
٢٢- الهوى الروحي ، واخيبته ! ... وردة الشام تود القاطفين ..

٢٣- اذكري العلة اضنتني وقد ... غبت استشفي فاضناني الحنين
٢٤- واذكري كيف تزوجت بمن ... غال كالسارق كنز الغائبين
٢٥- اذكري يوم تجاهلت الهوى ... فاذا بالدمع فضاح سخين
٢٦- يوم أزمعت النوى في خفية ... رأفة منك بمهجور حزين
٢٧- دلني قلبي ، فبادرت الى ... مشهد التوديع أجتر الانين

٢٨- قد عشقنا وافترقنا دون ان ... نتحاكى بلسان العاشقين

باريس

جورج صيدح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت تريد ان تشعر بأنهـا قـد اصبحت فعلا حرة . فرات ان اول عمل يمكن ان تقوم بـه ، ويـدل ـ بدون شك ـ على انها قد صارت حرة فعلا ، هـو ان تذهب الـى السينما بمفردها . ارتدت ملابسها على عجل ، ولـم تهتـم بوضع مساحيق على وجهها . انها فقط ، تريد ان تثبت لمن حولها ، انها يمكن ان تقارن ـ وبدون ادنى فرق ـ بأي رجل . اليس من حق اي رجل ، ان يذهب وحيدا الى السينما . هنـاك بعض النساء ، يذهبن الـى السينما وحيدات ، الا ان نظرات الجالسين كثيرا ما تلتهمهن ، وقـد يثقـل احدهم على احداهن ، وربما نشأت علاقة سريعة في الظلام .

وكان شعورها الذي جعلها تحس بحريتها ، هو يوم عودتها من الكلية بعد ان ظهرت نتيجـة الليسانس . لم تفرح بحصولها علـى الشهادة ، قدر فرحتها بما قاله لها أبوها منـذ اكثر من اربعة اعوام : فاطمة يـا بنتي ، انت صغيرة ، يوم ان تأخذي شهادتك الكبيرة ، يمكن ان تتصرفي كما تشائين ، ستكونين حرة تماما ، ولكن بعد ان تكوني قد عرفت ما هو خير وما هو شر . وحينما دخلت على والديها والبسمة المشرقة علـى وجهها فاجأتهما بقولها : انني منـذ الان حرة ، اخرج متـى اشاء واعود متى أريد . عندئذ ، نظر أبوها اليها نظرة ذات معنى ، الا انـه لم ينطق بحرف ، ظل رانيا اليها ، وكأنـه لا يدري ما يقول . امـا امها فقد ابتسمت وهي تقول لها : ايه اللـي بتقوليه ده يـا فاطمة ، انت لسه برضه صغيرة . وشعرت فاطمة ، بأن كلام أمها يعني شيئا مـا ، وان صمت أبيها ، يبدو محملا بكلام كثير لا تدري ما هـو على حقيقته ، وان كانت تـدرك انـه لا بـد يرفـض هذه الحرية . وارادت ان تخفف من وقع كلامها ، فربما يكونان قد فهمـا خطأ ، أو ان معنى سيئا جال بخاطر احدهما وقالت : انا قصدي انـي فاهمه كل حاجة ، واعرف ما ينفع ومـا يضر ، انـا مش صغيرة . ابتسمت امها عند سماعها هـذا الكلام وقالت : طـول عمـرك عاقلة يا بنتي . حولت فاطمة نظرها الـى أبيها ، فلمحت ظل ابتسامة ساخرة على شفتيه : « بتضحك على ايـه يـا بابا » ؟. جـذب نفسا مـن سيجارته ثم قال : انـا بأضحـك عليكي ، يظهر انـك فاهمه الحرية خطأ . واعتقدت ان أباها ، سيدخل معها في مناقشة لا اول لهـا ولا آخر ، فابتدرته قائلة : انا قصدي اني اصبحت افهم كل شيء ، وانـت نفسك قلت لـي يوم دخلت الكلية ، انها تشعر بقلبها يرقص في صدرها ، وبأقدامها تكاد تطير بهـا من علـى الارض . وقبل ان يبـدأ حديثه اسرعت قائلة : انا فاهمة كل حاجة عاوز تقولها ، ولكن انا قصدي انني اقدر اذهب للسينمـا ، او لبعض الصديقات او اشياء من هذا القبيل .. الن اعمل ، وقد اعين في بلـد واعيش بمفردي ، من سيكون فـي هذه الحالة الرقيب علي ؟ انا رقيبة نفسي بلا شك ، انـا التي يمكن ان تصون نفسها ، اليس كذلك يا ابي ؟

اعجب الام هـذا الكلام فعبـرت قائلة : الله يحميك يا بنتي ، طـول عمرك عاقلة . اما الاب ، فقد اغطبت في نفسه ، وشعر كما لو انه كان قد غرس شجرة ، والان بـدات تثمر . وهز راسه موافقا مؤمنا على كـلام ابنته ، ولم يستطع منع نفسه مـن القيام وتقبيلها في جبينها قائـلا : مبروك يا بنتي مبروك . وشعـرت الام ان هذا واجبها ايضا ، فطوقتها بذراعيها وقبلتها في خديها قبلتين ، سمع صوتهما الاب وهـو يغـادر الغرفة . واعلنت فاطمة ، بين هذه القبلات انها قررت الذهاب اليـوم الى السينما ، ووافق الاب بـدون قيد ولا شرط ، وربتت الام علـى كتفها داعية لها : الله يحميك يـا بنتي .. الله يحميك .

☆

لن تكن تفكر فـي الرواية او دار السينما ، كل مـا يهمها ان تعبـر تجربة الانفراد ، فتنتزع الاعجاب من الجالسين وخاصة كبـار السـن باستقامتها وجديتهـا . واستقلت الاتوبيس وجلست في مقعد بالدرجة الاولى . والغريب انها كانت تجلس دائما في الدرجة الاولى ، وهي في طريقها الى الكلية ، الا ان شعورها اليوم يختلف تماما عـن اي شعور سابق . تحس اليوم انها قد حصلت على شيء ما ، وضعها فـي صف امامي ، غير تلك الصفوف التـي تقف فيها اغلب البنات ، ثم انهـا



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم مصطفى ابو النصر

ان حريتي مرهونـة بالشهـادة . اعتدل الاب في جلسته ، متهيئـا لالقاء درس اخلاقي مـن دروسه الكثيرة . وايقنت فاطمة ان والدها ، لن ينتهي من هذا الدرس قبل ساعة او ساعتين على الاقل ، فهو دائما اذا ما بـدأ فـي القاء نصائحه ، لا ينتهي منها غالبا الا اذا حان موعد صلاة المغرب ، وعليهـا ان تظـل مصغية في أدب وخشوع لا تقاطعه او تناقشه ، الا حينما يسمح لها . ولم يكن هذا اليوم ، يـوم نجاحها ، مما يلائم هـذه الجلسات الطويلة .



اليوم تستطيع ان تقول وبشجاعة انها حاملة الليسانس ، الا ان ذلك لم يكن فقط هو حقيقة شعورها انها تحس بان كيانها كله قد اعيدت صياغته بشكل اكثر تحديدا وصلابة ، لقد دخلت باب الحياة ، وعليها هي فقط ، ان تحافظ على هذه الصلابة ، انها الان تضحك من هؤلاء الفتيات اللاتي يعتقدن ـ في لحظة ما ـ ان الرجل هو املهن ، ستكون هي امل الرجل ، وليس الرجل هو املها . ولفت نظرها من نافذة الاتوبيس اعلان لرواية تعرض منذ اكثر من خمسة اسابيع ، وبدون تفكير قررت ان تدخل هذا الفيلم .

وامام شباك التذاكر ، اخذت موقفها في الطابور الطويل . كان يقف امامها رجل طويل اشيب ، وبعد برهة وقف خلفها شاب في حوالي الثلاثين من عمره . ولا تدري اي شعور هذا الذي تملكها ، فقد احست برغبتها في النظر اليه ، فقط لكي تحدق في عينيه بتحد صارخ وكأنها تقول له : انني فتاة وحيدة ، وسأدخل السينما بمفردي . وطال انتظارها ، والطابور يتحرك كالسلحفاة ، وبدأت تشعر بالتعب والملل ، متلفتة يمينها وشمالها ، وفجأة ، تسلل الى اذنها صوت هادىء رزين : لقد تعبت ، هل أحجز لك التذاكر وتستريحين خارج الصف ؟. التفتت خلفها ، فاذا ابتسامة مرتسمة على شفتي الشاب وللحظة فكرت ، الا ان ضيقها جعلها تقول :

ـ متشكرة .. متشكرة خالص.

ومدت يدها بالنقود ، فاخذها منها وهو يسألها :

ـ كم تذكرة ؟

ـ واحدة .

ـ واحدة فقط ؟

ـ نعم ، واحدة لي .

خرجت من الطابور ، وارتكزت بظهرها على الباب الخارجي للسينما في مواجهة الشباب . ظلت تتأمله ، وهي تحاول ان تبعد نظرها عنه ، الا انها في كل مرة كانت تفشل وتعود تنظر اليه . كان شابا طويل القامة ، انيق الملبس ، يتميز بنبالة تبدو عريقة ، اذ لم يلتفت اليها اطلاقا . وربما يكون ذلك قد غاظها ، الا انها لم تصرح لنفسها ، وجعلت ترقبه ، وهو يقترب خطوة خطوة الى الشباك . وانحنى الشاب يشتري التذاكر . وما كاد يفعل ، حتى تلفت يبحث عنها ، واقترب منها وقدم لها التذكرة ، وباقي النقود ، وحين رفعت عينيها لتشكره ، كان قد مضى . احست بطعنة في كبريائها ، وخيل اليها انها قد اخطأت في شيء واحد : موافقتها وسماحها له بشراء التذكرة . ولكنها عادت تقول لنفسها : ربما سبب ذلك انني لم اضع المساحيق على وجهي .

حينما مدت يدها بالتذكرة لرجل الباب ، فكرت انه ربما حجز تذكرته بجانبها ، فابتسمت وهي تتناول التذكرة ثانية . وخطت الى الداخل بضع خطوات ، ووقفت في البهو الكبير ، وكل جدرانه من المرايا اللامعة . نظرت الى نفسها من جميع الاتجاهات ، تتأمل قوامها ، شعرها ، ملامحها ، وندمت على انها لم تستعمل المساحيق ، وهمت ان تدور حول نفسها في اعجاب بنفسها ، ولكنها تذكرت انها في مكان عام . ولا تدري ما الذي دفعها الى استراحة النساء ، ولم تكن في حاجة الى ذلك ، واخرجت مشطا من حقيبتها ، وسرحت شعرها ، امام المرآة الصغيرة المعلقة فوق الحوض ، ثم نظرت الى وجهها من الجانبين . وحين اطمأنت الى شكلها غادرت الاستراحة ، ودون ان تلتفت يمينا او شمالا صعدت الدرجات القليلة التي تؤدي الى صالة العرض ، وقدمت التذكرة الى المرشد . وقبل ان تجلس القت نظرة عاجلة على باقي المقاعد في الصف . لم ترد ان تعترف لنفسها انها كانت تبحث عنه ، فجلست وشيء من ضيق بدأ يتحرك في نفسها . كان مقعدها على الحافة ، ولم تكن الكراسي التي بجانبها مباشرة قد شغلت بعد ، فارتاحت الى هذا الخاطر ، وأملت انه ربما لم يدخل بعد ، وان الكرسي المجاور لها قد يكون هو شاغله . وظلت ترقب كل الداخلين ، وفي كل مرة تأمل ان يظهر ، ونظرت في ساعتها، لم تبق سوى دقائق وتظلم القاعة ، ويبدأ العرض ، وما زالت الكراسي التي بجانبها شاغرة . وراحت تنظر في الساعة بين لحظة واخرى في حركات عصبية . كانت تكبح جماح نفسها خشية ان يبدو عليها شيء ما . وفجأة ، لمحته يظهر في أول الممر ، وهو يسير خلف المرشد. توالت ضربات قلبها في كل خطوة يخطوها ، كانت تحدث نفسها بأنه لا بد سيكون الجالس بجانبها ، وارتقى المرشد درجات السلم الواسعة التي تؤدي الى المقاعد ، الا انه مر من امامها وخلفه الشاب دون ان ينظر اليها . واذا ابتعد عنها ، شعرت ان شيئا ما قد فقد منها ، وهمت ان تلتفت وتتبعه بنظراتها الا ان الضوء بدأ يخفت وما لبث ان ساد الظلام على نغمات الافتتاحية الموسيقية .

بدأت صور الجريدة الاخبارية تتوالى ، وصوت المعلق يدوي في ثبات ذاكرا اخبار العالم . بعد فترة ، اكتشفت انها لم تر شيئا ، ولم تسمع ما يقول . هزت رأسها في عنف وفتحت عينيها عن آخرهما ، محاولة تركيز انتباهها في ما ترى وتسمع . ولمدة دقيقة او اقل ، امكنها ان تعي صورة وبضع كلمات ، الا ان عقلها ما لبث ان شرد ، وعادت فاكتشفت انها لم تنتبه ، فحاولت ثانية ان تشد انتباهها الى ما يعرض امامها ولكنها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعلان

١- الا حسناء رائعة الجمال ... من الخفرات ربات الحجال
٢- فتفهمني وترضى بي قرينا ... على فقري الشديد وسوء حالي
٣- وشيب عادني لولا خضاب ... اكابده ويأذن بالزوال
٤- وتقبل مهرها المعدود شعرا ... اعز من الجواهر واللآلي
٥- رداح زانها هيف وقد ... توسط او يميل الى الطوال
٦- عروب بضة بيضاء خود ... هضيم الكشح نادرة المثال
٧- لها قلب من الذهب المصفى ... وطبع راق كالماء الزلال
٨- وثغر اشنب عذب الثنايا ... لذيذ في السكوت وفي المقال
٩- وعينا ظبية ترعى طلاها ... وصدر شامخ الخفقات عالي
١٠- ووجه مشرق كالبدر حسنا ... يفيض علي بالسحر الحلال
١١- فانظم ما اشاء من القوافي ... وانسى جور ايامي الخوالي
١٢- وتهوى الشعر مثل هواي حتى ... لتؤثره على الدرر الغوالي
١٣- فتنجب لي غلاما المعيا ... جميل الوجه محمود الخلال
١٤- وتتبعه بآخر لوذعي ... اشد الى اليمين به شمالي
١٥- وانثى بعده لم يشق اهل ... بها يوما ولا زوج بحال
١٦- فاني سوف اجزيها وفاء ... وحبا ناره ذات اشتعال
١٧- يظل مدى الحياة له اوار ... اذا خمدت براكين الرجال
١٨- وشعرا سائرا في كل ارض ... يخلدها على مر الليالي

١٩- وقال لي الرفاق طلبت امرا ... بعيد المنال اشبه بالمحال
٢٠- وما تغني القصائد عن عروس ... اذا كان القرين قليل مال
٢١- فقلت فانها احدى الامانى ... وكم اخذ الوجود من الخيال

حلب — عمر ابو قوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فشلت ايضا ، وضبطت نفسها تفكر في ذلك الشاب . الحق ، انها لا تدري ما الذي جعلها تفكر فيه . انه فيما يبدو شاب مهذب لم تجل في راسه اية فكرة سيئة . كان فقط يريد تقديم خدمة لفتاة . ولكن تفكيرها هي الا يعني انها كانت تنتظر شيئا ما ، اكثر من مجرد خدمة ؟. حاولت ان تستبعد هذه الفكرة « انني لا اريد اكثر من تاكيد حريتي وشجاعتي . هل تفكيري هذا يعني انني لم اكن جادة بما يكفي ؟ » انتهت الجريدة ، وتوالت الاعلانات، ثم مقدمة لفيلم سيعرض قريبا . وحين اضاءت الانوار وجدت نفسها تنظر الى الخلف ، تبحث بعينيها عنه ، ولما لم تعثر عليه ارتدت رقبتها وقد خجلت من نفسها . واقترب بائع المرطبات ، فتناولت زجاجة كوكا كولا ونقدت البائع الثمن ، ثم اخذت ترشف منها في بطء . لم تكن تحس لها طعما ، ولا تدري لماذا اشترتها ، لم تكن بها ادنى رغبة في اي شيء .

عادت القاعة الى ظلامها ثانية ، وبدأ عرض الفيلم . شيء ما بدأ يتحرك في نفسها ، لا تدري ما هو تماما . وفي الظلام شعرت بمن يقترب منها ، ثم أضاءت البطارية ، وقاد المرشد مجموعة من الفتيات فجلسن في الكراسي الخالية بجانبها ، تأملتهن على الضوء الخافت ، كن في سن متقاربة منها، وجلسن في اماكنهن ، وكانت تنبعث منهن ضحكات مكتومة . وشعرت انها فشلت فيما كانت قد صممت عليه ، لم تعد تعي شيئا مما يعرض امامها : صور تتلاحق ، وحوار يتبادل ، دون ان تفهم شيئا . لا تدري كم من الوقت مضى عليها ، الا انها فجأة وبدون تفكير مسبق ، وقفت وغادرت السينما دون ان تلتفت الى شيء . حينما كانت تنزل السلم في حذر خشية السقوط في الظلام ، كان صوت بطل الرواية يضحك ضحكة عالية ساخرة .

القاهرة — مصطفى ابو النصر



الدكتور محمد رجب البيومي

البكري في معترك السياسة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

ينسب الى الاستاذ الامام محمد عبده انه لعن السياسة ومادة ساس يسوس ومشتقاتها ، وذلك لما شاهده من عصف السياسة برجالها في عصره ، واكثرهم من ذوي العزم الصادق الذين يحتالون للامر ، فيتخلصون من الشباك ، ومع هذه الحنكة الماهرة ذات الدربة والمران فان السياسة تفاجئهم من دواهيها الخاتلة بما لا يقدرون ، فكيف تكون العاقبة اذا خاض غمارها شاب ناشيء غير مجرب ! او ولج اليها انسان من نافذة جانبية دون ان يأتي البيت من بابه الاصيل !

لقد تبوأ السيد محمد توفيق البكري منصبه الديني الجهير ، فلم يشأ ان يسلك مسلك اخيه وأبيه في محايدة السياسة ومجافاتها الا اذا لزم الحال ودعي الى ذلك من أصحاب الامر ، كما قام والده بدعوة اعيان الامة في منزله بايعاز اسماعيل، وكما اضطر اخوه الى التوقيع على وثيقة عزل توفيق مع مئات الموقعين ! ولكن السيد رأى ان يكون رأسا في ادارة الشئون السياسية ، فزاحم ، وناضل ، ولم تكن لديه الاعصاب الفولاذية لتحميه من الانهيار المفاجيء في حلبة الصراع ! كما انه فقد خلق التؤدة والتربص ، ومطاولة الايام ، واستعجل الثمرة القريبة فهاجم ونافس ، ثم ضل طريقه في ضباب الحوادث فلم يعرف مهيعا قويما يلتزمه ، بل تردد بين الوفاق والشقاق، والثورة والمسالمة، والاستخذاء والتكبر، حتى صار يصادق في الغد عدو الامس ويعادي في اليوم صديق الغد ! وهكذا دخل السياسة عاطفيا وجدانيا ، لا مفكرا منهجيا ، والرجل العاطفي المنفعل قد يكون قمة في الادب ، ولكنه لن يكون ذروة بين السياسيين !

اني لاذكر السيد محمد توفيق البكري في مضطربه السياسي المرجحن ، فأتذكر معه اديبا من ادباء عصره ، كان على مثل حاله في القلق والتنقل وعدم الاستقرار على وجه خاص ، ذلكم هو الكاتب الكبير ابراهيم المويلحي فقد كان لا يعرف وجهته السياسية بين الناس يقف حينا في صف اسماعيل بعد ان ينقم عليه ، ثم يتمدح بآثار عبد الحميد أسبوعا وينقلب عليه فيما يليه ، ويناصر صديقه عباسا ثم يعمد الى الدس له عند السلطان، ويثني على الاستاذ الامام ، ثم يقف لمحاربته في فتاويه الدينية وهو لا يبلغ عشر مبلغه في الفقه والافتاء ! هكذا كان المويلحي الكبير ! وهكذا كان البكري في اكثر مواقفه ، وانها لكثيرة تتطلب السرد المنظم كيلا تضيع الحقائق في غبار كثيف ! بدأ السيد البكري يلج موالج السياسة منذ اختير شيخا لمشيخة الطرق الصوفية ، فتنوعت مواقفه مع تركيا وعباس ، ومحمد عبده والانجليز تنوعا مبالغا يدفعها من النقيض الى النقيض ! وسندع الحوادث الصادقة تتحدث بما كان !

لم يكن السيد يأخذ مكانه حتى رحل الى القسطنطينية ، فدعاه السلطان لحضرته اكثر من مرة وقلده النيشان العثماني الاول ومنحه رتبة الوزارة العلمية ، وهي قضاء عسكر الاناضول ، وقد سبق ان اشرنا الى دور أبي الهدى الصيادي في اغداق هذه النعم الجزيلة مرة واحدة على الشاب الناشيء ، بحيث كان يكفي ان يتقلد نيشانا من الدرجة الثانية او الثالثة فيعود وقد اعتقد انه ظفر بالشيء الكثير ! ولكن رغبة الصيادي في اصطناع شيخ مشايخ الطرق ونقيب الاشراف بمصر ليحارب به جبهة القادرية في العراق قد زينت له ان يرفع مقامه لدى السلطان فوق كل مقام ، حتى يرجع غريقا في مكارم أبي الهدى فيذيع فضائله بين اتباعه ، وهم كثرة لا يستهان بها في البلاد .

رجع السيد توفيق الى مصر ليجد الجرائد المصرية تستقبله برتبه والقابه استقبال الفاتح المتوج فالمؤيد تعلن في ٢٢ صفر سنة ١٣١٠ ـ بعد مقال طويل في منزلة السيد ـ ان هذه الرتب لم تمنح لاحد من الناس مرة واحدة في تاريخ الدولة العثمانية سواه ، وصحيفة الاستاذ تعلن ابتهاجها بسيد ارتفع مقام سياسته الى أسمى المراتب ، وان امير المؤمنين أعرف الخلفاء بمقام اهل الفضل والسيادة فالسيد البكري بذاته الشريفة فرد لا يثنى بين الناس فيما له من الفضائل والخصائص ! وقد عرف السيد قدر رتبه والقابه فساق مدائحه للسلطان وأبي الهدى ، وصهاريج اللؤلؤ يجمع بعض ما قاله نثرا

وشعرا بهذه المناسبة اللامعة ! وكان المنتظر ان يظل السيد على ولائه لامير المؤمنين والخلافة التركية ! ولكنه عمد الى اغضابه ، فجاءت التقريرات عنه الى السلطان بما لا يحمده من تنكره ! والحق ان السيد قد سيق الى ذلك سوقا لم يتبصر عواقبه ، وقد أتاه ذلك من ناحية عباس ، والمسألة هنا تحتاج الى توضيح !

لقد رجع السيد من تركيا مزهوا فخورا برتبه ، وكأني به وقد اعجبه ان ينال من الالقاب ما لم يتح لاكبر عالم في مصر ، فاخذ يقول لجلسائه « لن يظفر سمو الخديوي بالانعام على رتبة الوزارة العلمية على مصري غيري » . وانتقل الحديث الى عباس فغضب وانعم بالنيشان العثماني الاول على الشيخ الانبابي والشيخ محمد العباس المهدي وقاضي القضاة جمال الدين افندي ثم ارسل للسلطان ملتمسا بالانعام على شيخ الازهر والمفتي برتبة الوزارة العلمية وهي قضاء عسكر الاناضول ، وعلى القاضي برتبة قضاء عسكر الروملي فلم يصادف مطلبه قبولا ، واذ ذاك تضاعف غضبه على السيد ، وازور عن لقائه فبادر بالاستعفاء من نقابة الاشراف فاجابه :

يخطىء بعض الكتاب فيجعل هذه الحادثة من اسباب الانفصال النهائي بين السيد البكري والخديوي سنة ١٩٠٨ ، ويرجع اليها اسباب انهياره العصبي ، وهو وهم صريح ، لان القاب السيد قد سيقت اليه سنة ١٨٩٢ ، وقد قال الرجل قولته الاليمة في اعقابها ، فبادر الخديوي اذ ذاك بالانعام على العلماء وطلب الوزارة العلمية لهم من الاستانة ، ثم عفا الخديوي عنه بوساطة على يوسف واصبح حينا بعد ذلك من اخلص خلصائه ، يسعى لمرضاته في الازهر والاوقاف ودعوى الخلافة ، فكيف يقول الاستاذ عمر الدسوقي بالجزء الثاني من كتابه ما نصه :

« وقد كان اخفاق الخديوي مضاعفا لغضبه فتوعد البكري وبلغ البكري هذا الوعيد فأزعجه واستولى عليه الهم ثم الوهم حتى خيل اليه ان اعوان الخديوي يطاردونه لقتله فلجأ الى احدى حجرات بيته ولزمها وامتنع عن الزوار وكان البكري يبعث في اثناء ذلك برسائله الى المحافظة والنائب العام والى رئيس النظارة يستنجدهم ويطلب حمايتهم .. الخ »

ان المحنة الاخيرة التي انهارت بها اعصاب السيد بعيدة الصلة عن فخره على الخديوي في احرازه الالقاب كما توهم الاستاذ عمر الدسوقي ، وكما توهم الاستاذ طاهر الطناحي في مقاله عن السيد بكتابه « الساعات الاخيرة ص ٧٧ » ويكفي ان يكون التاريخ شاهدا حاسما على ذلك ، فالمدة ما بين سنة ١٨٩٢ ، سنة ١٩٠٨ ابعد من ان تتيح اختلال اعصاب لكلمة قيلت منذ ستة عشر عاما ، بدا بينها من الوئام بين الخديوي والسيد ما سنلم به عن قريب ! وان كمن مع ذلك اثرها النفسي الذي لا يجحد فانضم الى غيره من اسباب العداء الكثيرة التي تمخضت عنها الايام .

مهما يكن من شيء لقد ادرك السيد خطأه ، فسارع الى استرضاء الخديوي بمساع كثيرة ، يهمنا منها الان موقفه من السلطان العثماني ، اذ نسي السيد فضل السلطان عليه فيما اسبغه من الالقاب ، فأحرق سفنه التركية حين زين لعباس ان يستقل بالخلافة ، ثم مدحه بقصيدة اشار فيها الى احقيته بامارة المؤمنين ، وقد كتب يوسف طلعت باشا تقريرا خاصا عن ذلك رفعه الى المابين الهمايوني بالاستانة ونشره السيد محمد رشيد رضا بالجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ص ٥٦٢ وما بعدها وجاء فيه عن السيد توفيق البكري بعد حديث طويل عنه:

« وسمو الخديوي يريد ان يجعل لنفسه سلطة دينية آلتها الازهر وماليتها الاوقاف وقد حدث بهذا كثيرين وقال ان اوروبا تهاب البابا والسلطان لاجل السلطة الدينية وهذه سهلة علينا ، وانه ما دام الشيخ محمد عبده مفتيا للديار الاسلامية وعضوا في الازهر وفي مجلس الاوقاف الاعلى وفي مجلس شورى القوانين فلن يتم له في ذلك الا العمل الرسمي القانوني الظاهر لكل احد ، وان الشيخ توفيق البكري الذي حسن له هذا الراي لا نفوذ له في البلاد ، وقد ساءت الناس قصيدته التي زين فيها للخديوي دعوى الخلافة ورضي عليه وحده بسببها ، وقد اتخذه الان ساعيا فيها بينه وبين مشايخ الازهر ولكن بدون ذكر الخلافة » ثم ذكر السيد رشيد ان بالتقرير سبا كثيرا في البكري لم يجد ضرورة لنشره ، وهو مصدق بطبيعة الحال لدى السلطان !

هذا المسعى المنكر لدى الخلافة العثمانية كان حريا ان يقطع صلة السيد البكري بها ، فلن يجد بعد منها ظهيرا يعينه في مآزقه ! ولعلنا نجمل القول في سياسته العثمانية بالحكم عليها والتسرع والجموح ، وعدم الالتفات الى يدها الفضلى عليه ، حين منحته من الالقاب ما عز على شيخ الازهر وقاضي القضاة ، وقد تكون مناوءة الخلافة العثمانية مقبولة لدافع وطني صادق او ديني مخلص ، اما تكون مرضاة للخديوي وحده ! فما ابعدها عن السداد ! ولا سيما وقد افتخر بألقابها من قبل على عباس !

نترك الحديث عن دور السيد مع السلطان الى دوره الطويل مع عباس ، وقد رأينا كيف اغضبه حين اشاع انه لا يستطيع ان يظفر برتبة الوزارة العلمية لاحد من العلماء ، وكانت هذه بداية الصراع بين الرجلين ، واذا كان من المعروف ان السيد قد تلقى دروسه الاولى بمدرسة الانجال فكان رفيق الامير وزميله ، فان هذه الصلة المبكرة كان من الممكن ان تكون سبيلا لصداقة وطيدة يرعى فيها الزميلان حقوق النشأة لو احسن السيد اغتنام الفرصة ، فلم يجاهر بما يجلب الشوائب على الود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنتظر ، لا سيما وقد بدأ عباس مصافاته فلم يتلكأ في اختياره مكان اخيه ، واسرع باسناد جميع الوظائف البكرية اليه ثم اصدر امره بتعيينه عضوا في مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وقد يقال ان جميع ذلك كان للشقيق الراحل فاستولى عليه السيد كحق طبيعي ، ولكن يقال مع هذا ان عباسا لو اراد التعويق لفعل او لاكتفى من الكل بالبعض دون ملامة ، ولكنه جامل فأفاض حين اضاف الى ذلك كله الانعام على السيد بكسوة التشريف من الدرجة الاولى وبالنيشان المجيدي الثاني .. وكل ذلك في نصف عام !

لقد عثر السيد توفيق حين بدأ المباهاة فأحرج صدر زميله القديم وصديقه القائم بالامر واضطر الى الاستعفاء من نقابة الاشراف بارادة عباس لهذا الخطأ بعينه ، لا لسعيه في تقدير ميزانية للازهر ، كما احب السيد ان يفهمنا ذلك ، وقد ناقشنا هذا الموضوع في الفصل الخاص بنقابة الاشراف بما لا يدع مجالا للشك في هذه الحقيقة ومما لا شك فيه ان السيد قد غضب لهذا الاعفاء .. ولم يشأ ان يستكين للامر منتظرا ان يحل الزمن عقدته ، فيفيء عليه عباس وده العازب ، ولكنه اندفع الى مأزق جديد ففي نوفمبر سنة ١٨٩٧ عاد الامير من مصيفه باستامبول فنشرت جريدة الصاعقة التي كان يصدرها الصحافي اللاذع احمد حلمي قصيدة هجائية لعباس بعددها الصادر في ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٧ وفي مقدمتها :

قدوم ولكن لا اقول سعيد ... وملك وان طال المدى سيبيد
علام التهاني هل هناك مآثر ... فنفرح او سعي لديك حميد
تمر بنا لا طرف نحوك ناظر ... ولا قلب من تلك القلوب ودود
تذكرنا رؤياك ايام انزلت ... علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم مقدونيا فاصابنا ... مصوب سهم بالبلاء سديد
فلما توليتم طفيتم وهكذا ... اذا اصبح التركي وهو عميد
فكم سفكت منا دماء بريئة ... وكم ضمنت تلك الدماء لحود
وكم ضم بطن البحر اشلاء جمة ... تمزق احشاء لها وكبود
وكم صار شمل للبلاد مشتتا ... وخرب قصر في البلاد مشيد
وسيق عظيم القوم منا مكبلا ... له تحت اثقال القيود وئيد
فما قام منكم بالعدالة طارف ... ولا سار منكم بالسداد تليد
كأني بقصر الملك اصبح بائدا ... من الظلم ، والظلم المبين يبيد
ويندب في اطلاله البوم ناعبا ... له عند ترداد الرثاء نشيد
اعباس ترجو ان تكون خليفة ... كما ود آباء ورام جدود
فيا ليت دنيانا تزول وليتنا ... نكون ببطن الارض حين تسود

وقد ذيلت القصيدة بامضاء مصطفى لطفي المنفلوطي فاهتزت لها دوائر القصر ، واسند الاتهام بادىء ذي بدء الى الشاعر وصاحب الصاعقة ، ولكن الانباء قد تواترت بان السيد محمد توفيق البكري قد اشترك في نظم القصيدة وهو صاحب المطلع ، وتضاربت الاقوال في مبعث هذا الهجاء فصوره قوم على انه انتفاضة وطنية وصرخة مدوية لمقاومة استبداد القصر ، وقال اخرون انه خيانة كبرى ارتكبها المنفلوطي والبكري بتحريض الاحتلال اذ ان بريطانيا كانت تدفع الادباء الى مهاجمة الخديوي وعبد الحميد معا (١) .. ثم عظمت الضجة فوقفت صحف المقطم والمنبر والصاعقة تدفع عن المنفلوطي، وكتب نجيب الحداد في مجلة لسان العرب ١٧ ـ ١١ ـ ١٨٩٧ مقالا حماسيا يدافع عن الشاعر ويقول مهونا من شأن جريرته « ان الحكومة قد اخطأت في توليها هذه القضية لانها ان كانت تعتبر هذه القصيدة هجوا فهي قد شهرت هذا الهجو، واعانت عليه بما جعلت له من الاهمية» وظهرت جريدة ممفيس التي كان يحررها الاستاذ محمد مسعود تقول بالعدد ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٧ وما وليه ما نلخصه في هذه النقاط :

١ ـ ان المنفلوطي قد حصل على مكافأة كبرى في قهوة بالقرب من مدرسة الفرير الكائنة بجوار سراي السيد محمد توفيق البكري بالخرنفش !

٢ ـ ان هدف السيد البكري من تحريض المنفلوطي على الطعن في عباس هو الانتقام من رجال المعية اذ لم يلحقوه في زمرة العلماء الذين توجهوا الى محطة العاصمة لاستقباله يوم عودته وان البكري ناقم على الخديوي اشد النقمة من يوم ان عزله من نقابة الاشراف.

٣ ـ ان المنفلوطي قد انكر صلة السيد البكري به لانه وعده بتعيين محام للدفاع عنه وموافاته بالمأكل والمشرب والمال اثناء سجنه .

وقد صدر الحكم القضائي بسجن المنفلوطي ستة اشهر واحمد فؤاد الصاعقة عشرين شهرا وقالت جريدة ممفيس : « ان الانجليز قد تدخلوا في التحقيق لابعاد التهمة عن البكري ، ومن اجل ذلك غيروا محققا بآخر ، وعينوا المستر كورييت نائبا عموميا لمباشرة التحقيق بعد فصل النائب العمومي المصري اذ رفض توجيهات المستشار القضائي الانجليزي » وواضح ان ابدال المحقق بغيره وتعيين نائب عمومي جديد لمباشرة التحقيق كان تدخلا انجليزيا يوحي بالتهمة البكرية ، كذلك زاد سخط عباس على السيد ، وامر رجاله بمقاطعته، واستبدت الهواجس بالبكري عدة سنوات ولكنه بحث عن حل موفق فعثر عليه بعد حين !!

لقد كان من عادة السيد البكري اصطناع اصحاب الاقلام من رجال الصحافة بما يمنحهم من هبات تنقذهم من الافلاس في عهد لا تستطيع الصحيفة النزيهة فيه مواصلة حياتها دون تعضيد ! ظهر ذلك لي من حديث السيد محمد كرد علي بمذكراته ج١ ص ٣٤ اذ قال عن البكري «بعث الي ذات يوم يستدعيني الى داره لغرض مهم فذهب الفكر حالا الى انه يريد ان يستنصرني في مسألة له خاصة وقدم لي مبلغا من الجنيهات لمعاونتي على اصدار المقتبس فقلت له يا

١ ـ الشوفيات المجهولة ج٢ ص ١١٤ للدكتور محمد صبري

لا فـرار

الى صغيرتي « رلى » حيث لا أعلم

شدي علي فم الضماد ، اكـاد اصـرخ مـن جنونـي
جرح يسيل على فمي .. جرح يسح علـى عيونـي
والنار تغضب فـي العروق ، تكاد تعصف في سكوني
شدي علي ضمـادك المنذور يحفـر لـي جبينـي
فـوق الجراح انا ، وفوق الموت ، والالـم اللعـين

سأظل اضرب فـي ليالي الريـح ، اسأل عن سمائي
حمـراء لوحها الكفـاح ، ورش قبتهـا دمائـي
ولقـد زرعـت نجومها خضـراء في لون الرجـاء
اسمـي علـى الافـاق محفـور كرغرغـة الضيـاء
اطعمـت عـين الشمس حنجرتي ، ولم تسمع ندائي

يا انت ، ذاهلة الضمير ، حـذار يسمعنا الجـدار
الصمت سيدنـا الكبـير ونحن يا كبـدي صغـار
ابتاه ... ان الـدرب ثعبان ، وليس لنـا فـرار
هاتـي اشـد يديـك قبرتـين ، فـي قلبـي القـرار
نمضي معـا ، في الوهـم ، تسفعنا الريـاح ولا نثار

قطر — راضي صدوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صاحب السماحة ، ان للمجلة رأس مال ودخلها يفـي بخرجها وشكرته وقد ظهر علي الانقباض » .

ولقد اشار الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « رجال عرفتهم » ص ٥٩ الى ان السيد البكري ارسـل لصاحب الدستور الاستاذ محمد فريد وجدي مبلغا من المال عند تأييده له يوم امتناع مشايخ الطزق عن حضور حفلة المحمل ، فلم يقبل منه فريـد وجدي غيـر قيمـة الاشتراك لعام واحد ، ثم رد اليه البقية قبل ان ينتصف النهار » .

ومن المعروف تاريخيا ان السيد كان شديد الصلة بجريدة المؤيد وصاحبها علي يوسف ، وكم وقع الصحافي الكبير في مآزق مالية ، مما يجيز احتمال مساعـدة البكري لصديقه ، ما دامت اعانات الصحف من خططـه السياسية !! وقد تكون صداقتهما منزهة عن المادة لترفع علي يوسف ، فهذا لا يجزم به عن يقين ، ولكننا نشهدصلة قوية بين الرجلين ، جعلت صاحب المؤيد يبذل وساطتـه الكثيرة المتكررة لـدى الخديوي عباس حتى استطاع ان يستل سخيمته وانيرجع بالمياه الى مجاريها قبل انتتكدر النفوس فأثمر مسعى الشيخ علي يوسف ، وصفح عباس عن صاحبه !

وقد اكد هذه الحقيقة احد اصدقاء السيد علـي يوسف وزملائه في المؤيد هو الاستاذ عطية شلبي اذ نقل عنه الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه « ادب المقالـة الصحفية في مصر » ـ الجزء الرابع ـ (علـي يوسف) ص ١١٣ ما نصه :

« هذا وقد كانت بين الخديوي عباس الثاني والسيد محمد توفيق البكري جفوة فاتهم الاخير بانه قائل قصيدة الهجاء ، ولكن المغفور له السيد علي يوسف باشا سعـى في اخراجه من هذه التهمة ونجح في مسعاه ! »

اما احمد شفيق باشا فيؤكد دور الشيخ عليوسف في تصفية العلائق بين الخديوي والبكري اذ يقول فـي مذكراته الجزء الثاني ص ٣٥ :

« وقد ذكرته ـ علي يوسف ـ بهذه المناسبة انـه هو السبب في اتصال السيد توفيق البكري بعد مجافاته لانه سعى في صفح الخديوي عنه » .

ونخرج من هذا كله بان الخديوي قد تناسى كـل شيء واعاد السيد الى نقابة الاشراف سنة ١٩٠٣ بعـد تولية السيد البلاوي مشيخة الازهر ، وبدات صفحـة جديدة في العلاقات بين الرجلين تمخضت عن اثار هامة.

دار المعلمات ـ الفيوم — محمد رجب البيومي

شعراء المهجر

رشيد ايوب

بقلم شكر الله الجر

* * *

تلك النرجسة الجميلة في حدائق الادب ، والروح المنبثقة من شعاع القمر .

شاعر الاحلام والانغام .. شاعر البؤس والشقاء .

شاعر الضحكة المهلهلة يطلقها في وجه حظه العابس المتجهم .

عاش متعاليا على دهره نظيف الغلالة حلو الشمالة . ومن مواهب الحياة عليه طبيعة نفس تتلاءم مع شاعريته الحالمة . وامانيه الحائرة في ديوانيه اغاني الدرويش وهي الدنيا .

خرج منذ خمسين سنة من سفح جبل جبار اسمه (صنين) الى مدينة المتناقضات نيويورك .. وكما هي معبد للاصنام كما يقال عنها هي ايضا هيكل للفن والجمال وبدائع الخيال .

نزل ايوب في اوساطها وعدته لاقتناص الثروة خلق نبيل وساعد مفتول . وان هي الا جولة واختها على ملعب الاقدار حتى عاد مندحرا وقد تمزقت اعلامه وتبعثرت احلامه فانطوى على نفسه في زاوية من زوايا الفشل .. راح في ظلها يدوزن اوتاره ويغازل اشعاره ويمد يده حينا بعد حين الى قمم صنين يغترف من ثلجه حفنة يصبها في كأسه مبردا بها لواعج نفسه .

وما ان ارتفع للرابطة القلمية صداح وامتد لها جناح حتى سمعنا لرشيد ايوب نغما يختلف عن انغام المغردين من حوله فاذا هو نسيج وحده بين رفاقه يمر قوس السنين على اوتار كمنجته فيرقصها بين يديه رقصة الطائر الذبيح ويصيح .

هات الكمنجة هاتها
وأعد على سمعي حد ... يث الحب من رناتها
فالليل مد رواقه ... والخمر في كاساتها
والقلب دق ليجمع ... الاحلام بعد شتاتها
هات الكمنجة هاتها
فالليل ساه ساكن ... مصغ الى حركاتها
تهفو القلوب لشدوها ... وتهيم في أناتها
يا صاحبي هجرت طيور ... حديقتي شجراتها
انا اعشق النفس التي ... تلتذ في حسراتها

ومن أجل هذه النفس التي تلتذ في حسراتها احببت رشيد ايوب ومن سمعني اغني أغنيتي « معنى الوجود » منذ ثلاثين سنة عرف كيف توشج الآلام بين روحين وتتشابه الانغام بين شاعرين دون ان تتلاقى العيون والعيون . ومن تشدك اليه آصرة الالم هو غير من تشدك اليه آصرة القلم فكيف اذا اجتمع الاثنان .. وهاك مقطع من قصيدة لي في معنى الوجود .

انت لولا الهم لا تفقه معنى للوجود ؟
انت لولا الحزن لا تسمع انغام الخلود
لا ولا تسمع همس الله في قصف الرعود
ان في الحزن سرورا لا تراه في السرور
ان في الآلام لذات لارباب الشعور

صاح كم اشعلت الآلام في ليلي نورا
ولكم هزت لي الاحزان في الامس سريرا
وحنا الهم على مهدي لارضاعي صغيرا
ضاحكا في وجه امي ناقشا فيه سطورا
ساكبا من عينها السوداء في عيني الضياء
مسمعا اياي من انغامها لحن السماء

اجل ان من يسمع من وراء ألحان الكآبة ألحان السماء لهو ولا شك من سلالة الصالحين .

لما اصدرت مجلتي « الاندلس الجديدة » وهي ادبية مصورة عام ١٩٣١ في مدينة الغمائم الزرقاء ريو جنيرو آليت على ان اجعل من صفحاتها روضة لبلابل الشعر العربي في اي قطر من الاقطار فزقزق على افانينها شعراء من مصر والعراق والاردن وسوريا ولبنان بين مغترب ومقيم . وكان لها حظ من يراعة رشيد ايوب في نيويورك يرسل القطعة تلو القطعة فأنشرها في اطار من التقدير ومما قالته يومذاك جريدة السائح الغراء وهي لسان حال الرابطة القلمية « ان رصيفنا صاحب الاندلس على رغم ما بيننا من مسافات شاسعة ما برح يوصل روحه بارواحنا هنا وكأنه يعيش في جونا » .

ويوم اعتزم رشيد ايوب اصدار ديوانه هي الدنيا كتب الي يقول « الك ايها الاخ الودود ان تضع المقدمة لديواني الجديد وانا الضمين ان كلمتك فيه ستضاعف من قيمته وتزيد في رونقه الخ .. »

وهاك قطع من المقدمة التي صغتها لتلك الاناشيد الخالدة في الديوان :

« لم ار حتى الان شاعرا تفرد باغاريده الحنونة فغنى ربيع بلاده وخريفها وصيفها وشتاءها وراعيها وناطورها يهز بهم اراجيح الذكرى ويهدهدهم على انغامه باسلوب يفيض بساطة وجمالا مثل هذا الشاعر على ما بينه وبين بلاده من تراخي الزمن وطول الهجر قال مناجيا بلدته بسكتنا متذكرا لياليه المشرقة على ضفاف واديها .

× الا أين وادي الغرام ... فقد ظل قلبي هناك
× فانى لعيني المنام ... وقلبي استلذ الهلاك
× هناك ـ بوادي الغرام
× لقد طال عهد النوى ... ومرت عليه السنون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نسيت مكان الهوى ومستودعات الجنون
الا أين وادي الغرام
فيا خافقات الرياح اما مسعد في الطريق
فجسمي براه النواح فهلا لروحي رفيق
الى ان يزول الظلام

ومن شعره في الحنين :

يا ثلج قد هيجت اشجاني ذكرتني امي بلبنان
يا ثلج قد ذكرتني الوادي متنصتا لغديره الشادي
يا ثلج قد ذكرتني الموقد ايام كنا حوله ننشد
ايام كنا قربه نرقد ..

ان شاعرا حمل من خيمة الناطور منجيرته وظل يوقع الحانه عليها طيلة هذه العقود من السنين في عالم متجدد الالحان متعدد الاصوات والانغام كالولايات المتحدة دون ان يتسرب الى جوهر طبيعته رشاش من بيئته لهو شاعر اصيل الطابع قوي المشاعر صادق الاحساس .

وحاشا لهذا الدرويش اللبناني ايوب ان تقتلع من بين اضلاعه تلك الروح القروية الزاخرة بكل معاني الجمال لتستبد لها بروح عجينية تلين وتتأثر بظواهر الحياة المحيطة بها فتنسيها شخصيتها الاصيلة وصوفيتها المتحدرة من شلالات روح الشرق القديم وهو القائل .

فما اشقى الذي يهتم للدنيا وما أغبى

واليك به مقهقها في وجه الغرب هازئا متهكما متطلعا الى ناطحات السحاب في وجوه وكأنها قصور من الورق ..

يا طالب الدنيا وما ادركت في الدنيا المعاني
فكفيت نفسك بالغنى وانا غنى نفسي كفاني
لكن مغانيك التي شيدتها ليست اغاني !

ان من ينطق بمثل هذه الحكمة لهو من دراويشة هذا الشرق بما فيه من اشراق روحاني وتفوق عريق وقناعة راضية عن قسمتها في الحياة .

دخلت مرة احدى المكاتب الكبرى في الريو جنيرو لاشتري كتابا . واذا بسيدة برازيلية تقف الى جانبي وتسأل بالحاح عن رواية « غرازيللا » للشاعر الفرنسي لمرتين . وكم كان اسفها عظيما عندما قيل لها ان الطبعة الاخيرة من هذه الرواية المترجمة الى البرتوغالية نفدت كلها .

مائة سنة ونيف مرت تلاعب اذيالها على ضريح الشاعر المسجى تحت قبة « البانتيون » وما يزال في مكاتب العالم من يفتش بلهفة عن مؤلفاته العاطفية . بيد انها العاطفة الزاخرة بالحب والجمال يجلوها الادب الصادق في كؤوس من الاحساس العميق هي ما يجتذب النفوس اليها .

وما دام على سواحل (بروسيدا) الايطالية صيادون وزوارق وشباك تنشر وتطوي . وفي سهولها هامات تعلو وتنخفض في مواسم الزرع والحصاد . وفي اكواخها فتيات يحلمن بالحب والسعادة « فلمرتين » حي في روايته « غرازيللا » الى ما شاء الادب العاطفي الرفيع .

وما دام في قمم لبنان المعلقة على السحاب رعاة ينفخون المزمار ويغنون الميجنا . وعجائز يشغلن مصابيحهن في احشاء الظلمة وشيوخ تجالس تذكاراتها حول مواقد الشتاء . تعبث ملاقطها بالجمر والرماد . وصبايا تغتل مغازلها على اعتاب المنازل في عشيات الصيف وشباب ترقص الدبكه ونواطير تنصب خيامها في كروم الجبل وكواعب ترقص في ضوء القمر فرشيد ايوب خالد في ارواحهم وقلوبهم كما هم خالدون في شعره .

والان يا رشيد — ايها الدرويش الحبيب وقد نسجت رياح السنين على صفائح قبرك في بلاد غريبة ما ينسج العنكبوت .. قل لي بروحك الطاهرة أليس من غرائب الاقدار ان تمتد بي الاعوام فاعود بعد غربة الثلاثين عاما لاستريح في افياء هذا الجبل الاخضر ثم لا ابث ان ارى ذاتي موزع القلب بين جنوب الارض وشمالها اطل من قمم التذكار على مهرجانات الموت تقام على ضريح بعد ضريح لاخواني الشعراء ثم اراني واقفا كالحارس الابله على مدينة الاموات اغمر قبر هذا بالزهور وانضح البخور .. واوقد على قبر ذاك الشموع وانثر الدموع .

اليس هذا من مهازل البقاء يا سماء ؟

جبيل — لبنان

شكر الله الجر

الحسناء والبلبل

جلست الى قفص البلبل
ففنيت لي كما غنى لي !
تعالي الى جانبي واسحري
سماعي وقلبي ولي عندلي ..
فصوتك اجمل من صوته
وانعم من لمسة المخمل
اراه تعلم منك الغناء
تباهي بهذا ولا تخجلي !
يرفرف في سجنه منشدا
يريد انفلاتا من المعزل
اطال التأمل فيك كثيرا
بحسنك كم ود ان يختلي !
فانت ضلوعي هنا تعتلين
وبلبلنا غصنه يقلي ..
وراح يسبح فيك الجمال
وكم غرت منه فلا تسالي !

زحله — لبنان

رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

عبدالله غوشة - ضياء الدين الخطيب

سعيد زين الدين - يوسف النجار

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ عبد الله غوشه

يمثل الشيخ عبد الله غوشه نموذجا عصريا لرجل الدين المثالي ، البعيد عن التزمت ، المتعالي على التعصب ! ويتسم هذا الشيخ الوقور بزي أنيق ، وحديث رقيق ، وبعقل نير ، ويعشق سماحته كل نافع مفيد ، ويصبو لكل طريف جديد !

ما ذكرت يوما هذا الشيخ العصري ، الكبير في جسمه وعقله، الا وذكرت قولا للرسول الكريم هو « الحكمة ضالة المؤمن » وكلمة لزعيم الهند الروحي المهاتما غاندي هي :

« لا أريد لبيتي أن يكون مسورا من جميع الجهات !
ولا أريد ان تكون نوافذي مغلقة !
افتح بيتي للشمس والهواء !
واترك عقلي مفتوحا لكل ثقافة تحقق انسانيتي ، او تعمق معرفتي مهما كان لونها ومأتاها !
اريد ان تهب على بيتي ثقافات سائر الامم ! » .

ولد سماحته في بيت المقدس عام ١٩٠٨ وأتم دراسته الثانوية المتوسطة في « روضة المعارف الوطنية » في عهد مؤسسها الشيخ محمد الصالح وفي عام ١٩٢٢ قصد سماحته الازهر الشريف وانتسب له ونال الشهادة العالية في عام ١٩٢٥ ، وبعد ثلاث سنوات سلخها في مدرسة تخصص القضاء الشرعي بالازهر الشريف نال شهادة التخصص في الشريعة الاسلامية وهي أعلى شهادات التخصص ويلقب حاملها بلقب « علامة » كما جاء في البراءة الملكية الممنوحة له اذ جاء فيها : « من فؤاد ملك مصر بعناية الله تعالى الى حضرة العلامة الشيخ عبد الله غوشه » . واشتهر سماحته في كافة مراحل دراسته بانه كان « الاول » بين أقرانه .

وعاد الشيخ غوشه الى بيت المقدس وعين استاذا للدين واللغة العربية في ثانوية الخليل ، والتحق بمعهد حقوق القدس ونال الشهادة عام ١٩٣٢ ، والجدير بالذكر ان اغلب دروس هذا المعهد كانت تدرس باللغة الانكليزية .

وفي عام ١٩٣٤ نقل سماحته رئيسا لكتاب محكمة الخليل الشرعية وظل يزاول عمله هذا حتى عام ١٩٣٨ اذ عين قاضيا شرعيا في يافا وبقي يمارس القضاء الشرعي متنقلا بين الناصرة وجنين والخليل ونابلس الى ان رقي عام ١٩٤٦ عضوا في محكمة الاستئناف الشرعية وبقي في هذا المنصب الى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية المروعة (١٩٤٨) قصد سماحته باكستان وافغانستان بتكليف من « الهيئة العربية العليا » على رأس وفد فلسطيني للدعاية للقضية الفلسطينية .

وفي اعقاب عام ١٩٤٩ عاد سماحته الى بيت المقدس وانتخب عضوا في « لجنة توحيد القوانين » وفي عام ١٩٥٠ عين قاضيا للقضاة (في الوزارة التي ألفها السيد سعيد المفتي) وبعد ان استقالت هذه الوزارة شكل السيد سمير الرفاعي وزارة فعين الشيخ غوشه قاضيا للقضاة ووزيرا للعدلية ، ثم استقالت هذه الوزارة فعين سماحته في آب ١٩٥١ رئيسا للهيئة العلمية الاسلامية براتب ورتبة وزير ، وبقي في هذا المنصب الى ان ألف السيد سمير الرفاعي وزارة فعين سماحته فيها قاضيا للقضاة ، وبعد ان استقالت هذه الوزارة عين سماحته رئيسا للهيئة العلمية الى اوائل عام ١٩٦٤ حيث عين قاضيا للقضاة براتب ورتبة وزير .

ومنذ عام ١٩٥٥ وسماحته يلقي حديثا دينيا اسبوعيا قبل صلاة الجمعة في المسجد الاقصى المبارك ويذاع هذا الحديث الاسبوعي من الاذاعة الاردنية في عمان والقدس . ولهذه الاحاديث اثرها البعيد في المجتمعات الاسلامية اذ تعالج مختلف النواحي الخلقية والاجتماعية والشؤون الدينية والدنيوية . وتلقى سماحته عشرات الرسائل من مختلف الاقطار العربية والاسلامية كالسودان وليبيا والعراق والكويت وسورية والسعودية والجمهورية العربية المتحدة وتركيا اعجابا بهذه الاحاديث ، ويطلبون من سماحته طبعها لتكون مرجعا من المراجع الهامة التي يلوذ بها العلماء والخطباء والمدرسون .

ونظرا للشهرة التي يتمتع بها في العالمين العربي والاسلامي تلقى سماحته طائفة من الدعوات فلبى بعضها وزار الاقطار التالية :

١ ـ الولايات المتحدة : قصدها سماحته عام ١٩٥٣ للاشتراك في مؤتمر الثقافة الاسلامية وعلاقتها بالعالم المعاصر ، ذلك المؤتمر الذي عقد في جامعة برنستون بدعوة منها ، وقد حضره ستون عالما نصفهم من مختلف الاقطار الاسلامية والنصف الآخر من اساتذة الجامعات الذين لهم عناية خاصة بالدراسات الاسلامية .

وخلال هذه الرحلة زار سماحته عددا من المراكز الاسلامية والجامعات الاميركية في الولايات المتحدة ، وألقى فيها عدة محاضرات باللغة الانكليزية كانت تدور حول القضية الفلسطينية والحريات في الاسلام .

٢ ـ المانيا الغربية : زارها سماحته عام ١٩٦٢ بدعوة من الجمهورية الالمانية للاطلاع على النهضة في المجالين الثقافي والصناعي.

٣ ـ الجزائر : زارها سماحته عام ١٩٦٢ على رأس وفد اردني للاشتراك في حفلة استقلال الجزائر .

٤ ـ العراق : زاره سماحته عام ١٩٦٢ على رأس وفد اردني للاشتراك في عيد بغداد الالفي وفيلسوفها الكندي .

٥ ـ سورية والعراق والسعودية والخليج العربي : زار سماحته هذه الاقطار العربية خلال عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ لجمع التبرعات لاعمار المسجد الاقصى المبارك والصخرة المشرفة .

٦ ـ الجمهورية العربية المتحدة : زار سماحته القاهرة مرات عدة لحضور مؤتمرات البحوث الاسلامية ، وقد عقد الاول عام ١٩٦٤ والثاني عام ١٩٦٥ والثالث عام ١٩٦٦ بدعوة من فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر .

٧ ـ المغرب : زار سماحته هذا القطر العربي بدعوة من عاهله الحسن الثاني للاشتراك في القاء دروس دينية في جامع مولاي الحسن الاول بالرباط . وتقديرا من العاهل المغربي للاحاديث التي ألقاها سماحته زين صدره بوسام الكفاءة الفكرية المذهب من الدرجة الممتازة.

من آثاره القلمية : صنف سماحته طائفة من الكتب والرسائل الطريفة في مادتها وابحاثها وقد عرفنا منها :

أ ـ الاجتهاد والتقليد : الاطروحة التي قدمها سماحته لمدرسة القضاء الشرعي ونال بها شهادة التخصص في الشريعة الاسلامية .

ب ـ فلسفة الحريات في الاسلام : الرسالة التي قدمها سماحته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عام ١٩٥٣ الى مؤتمر الثقافة الاسلامية وعلاقتها بالعالم المعاصر ، وهو المؤتمر المنعقد في جامعة برنستون بالولايات المتحدة .

ج ـ حديث الجامعة : عدة اجزاء تشتمل على الاحاديث الدينية في التفسير ، التي القاها سماحته في المسجد الاقصى المبارك .

ولقد نميز الشيخ غوشه بارتجال خطبه ومحاضراته ، وتأثر بفلسفته وآرائه الفكرية بالمصلح الشهير الشيخ محمد عبده وبالسيد رشيد رضا . وخلال دراسته في الازهر وفي مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة تأثر باساتذته وفي مقدمتهم الشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ محمد حسنين والشيخ عيسى منون والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الرزاق السنهوري وغيرهم من اساتذة وشيوخ الازهر ومدرسة القضاء الشرعي الذين عرف فيهم التحرر والانطلاق .

نموذج من نثره : « الحرية هي احد الفصول الرئيسية الهامة التي تتحقق بها سلامة الافراد والجماعات ، بل الشعوب والحكومات . وعليها تعتمد الامم ذات الرسالة الانسانية في اداء رسالتها وهي حق طبيعي للانسان ولازمة له لزوم الروح للجسد والضوء للعين ، بل هي فطرة الله التي فطر الناس عليها .

والامة انما تكون مثالية اذا وفرت لافرادها وجماعاتها السعادة المادية والمعنوية واطلقت لهم حرياتهم الشخصية ، وكفل دستورها ونظمها المحافظة على هذه الحريات وصيانتها من كل اعتداء وعبث .

والحرية اليوم هي الشغل الشاغل للعالم اجمع ، والبحث عنها في أي معنى من معانيها يتطلب نشر تلك الصحائف الدامية التي سجلها تاريخ الانسان في الصراع بين الحق والطغيان .

ولقد اشترك في هذا الصراع أبطال الانسانية وقادة الفكر منذ ان وجد الانسان ووجد الفكر . وبالمقدار الذي ارتقت اليه مداركه وتحررت أفكاره كان الصراع يقوى ويضعف ويمتد ويتقلص .

ولقد كان دور الاسلام في هذه المعارك دورا فاصلا فاضاء بمبادئه مشعل الحرية ووطد بتعاليمه اركانها ، وايد سلطانها ، ونشر بعدالته الويتها وبعثها في القلوب بعثا لا يعتريه التراجع والفتور ، ولا تاخذه قوى الطغيان مهما عظمت وتضافرت .

والاسلام ـ وهو التشريع العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان ، والدستور الجامع المنظم لشؤون الامة الدينية والدنيوية ، المحقق لصالح الفرد والجماعة والامة على السواء ـ قد عالج المواضيع الحيوية الهامة وفي طليعتها موضوع الحريات معالجة حكيمة ناجعة . فقرر الحرية للافراد والجماعات ضمن نطاق الحكمة والمصلحة العامة وشرع من النظم والاحكام ما يكفل تحقيق ذلك ويصونه ، بازا جميع النظم الدستورية الاخرى التي عرفها الانسان .

والاسلام بمبادئه وتعاليمه خير كفيل لايجاد مجتمع تسوده المحبة والسلام ويخيم عليهم الامن والاطمئنان . وما أجدر العالم ـ وهو يقاسي ما يقاسيه بسبب مختلف المبادىء والافكار والنزعات التي قد تودي بالحضارة والمدنية وتقضي على المثل العليا التي تحقق خير الانسانية ـ أن ياخذ بمبادىء الاسلام الرشيدة وتعاليمه السامية بروح المحبة والتسامح ، ففي ذلك سلامه واطمئنانه وسعادة البشرية وهناءتها » .

٢ ـ ضياء الدين الخطيب

كثيرا ما تهزني النشوة الروحية عندما اقرأ سورة من آي الذكر الحكيم او اعثر على حديث شريف يصح أخذه دستورا لدنيا نعيشها او لاخرة نرجو حسن ختامها .

ومن الاحاديث التي تستهويني وتبعث النشوة في نفسي الحديث الشريف القائل : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه .. ومن هذه ! » وهذا الحديث الرائع ينطبق على الاستاذ ضياء الدين الخطيب نصا وروحا .

ولد الخطيب في بيت المقدس عام ١٩٠٥ واكمل دراسته الابتدائية في المأمونية ودراسته الثانوية في كلية الفريد والكلية الانكليزية (كلية الشباب) في عهد استاذ العربية وآدابها المعلم نخلة زريق . ونظرا لذكائه اختارته ادارة المعارف العامة بالقدس بعثة على حسابها للجامعة الاميركية في بيروت وتخرج في عام ١٩٢٥ يحمل بكلوريوس في التاريخ وعين معلما في الكلية العربية بالقدس ونشر في مجلتها مقالات تاريخية .

وفي عام ١٩٢٧ اوفدته ادارة المعارف العامة بالقدس الى جامعة لندن للتخصص في التاريخ او قل في موضوع The Eastern Question وفي عام ١٩٣٠ عاد الى بيت المقدس يحمل شهادة M.A في التاريخ وشرع يعلم في الكلية العربية . وفي عام ١٩٣٥ عين مديرا لثانوية الخليل وفي عام ١٩٣٦ نقل مساعدا لمفتش المحاكم الشرعية وعين خطيبا للمسجد الاقصى .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية نزح الى سورية وعين استاذا للاجتماعيات في ثانوية حلب ، وفي عام ١٩٦١ استقر في دمشق وعين مساعدا لمدير التربية والتعليم في وكالة غوث اللاجئين بسورية .

نموذج من نثره : « ما فتىء الناس منذ العصور الخوالي يتطلعون الى الحرية ويصبون الى التمتع بها ، وما فتئت اقلام مفكري الامم تناضل عن الحرية وتدفع عنها كل عنت وضيم ، وما برحت القلوب تتعشقها والنفوس تتوق اليها .

ولكم قاتل الناس من أجلها ، ولكم نشبت الحروب واهرقت الدماء في سبيلها ! وهذه الامنية النفيسة ايدها الله تعالى في محكم الآيات .

هذه الحرية التي قدسها الاسلام وجعل لها مكانة عليه وقال فيها (عمر) رضي الله عنه موجها خطابه لوالي مصر : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ » . هذه الحرية التي عاش في ظلها العربي احقابا طويلة هي ما كانت عليه في عصورها الغابرة مقدسة غالية تتعشقها القلوب الطاهرة وتتطوع من اجل الجهاد في سبيلها النفوس الزكية الابية .

لا جدال في ان الناس متفقون على مكانة الحرية الرفيعة ، ويود كل امرىء من صميم قلبه ان يكون حرا في تصرفاته ... حرا في حركاته وسكناته ... لا يطيق ان يرى نفرا آخر يعمل على تقييدها والحد من منطلقها .

قيل لرجل لم يخرج في حياته من بلده : « ان حاكم المدينة قد أمر بمنعك من تجاوز تخومها ! » فشق عليه هذا الحظر وأصبح يشعر بالقيد الثقيل الذي طوق به ، وصار يشبه نفسه بالعصفور الذي احتجز في القفص وحرم من التمتع بالحرية المطلقة ، مع ان نفسه لم تحدثه في يوم من الايام ان يتجاوز تلك التخوم التي كانت مباحة له .

بيد ان طائفة من الناس يسيئون استعمالها ، وبذلك يكونون قد اساءوا فهمها ، وهنا نرى لزاما علينا ان نعين الحد لهذه الطائفة ، اذ ان الحرية المطلقة لا يتمتع بها الا الوحوش من الحيوانات التي تعيش في البراري والقفار ، فتستبيح ما شاءت ، وتأتي بكل ما توحيه اليها غريزتها .

اما الانسان فانه يعيش في نظام اجتماعي يحتم عليه ان يتنازل او يتخلى عن شطر كبير من مطلق حريته ، وبدون ذلك لا يكون مدنيا. فحرية المرء في النظام الاجتماعي مقيدة بالامتناع عن الحاق الضرر بالغير ، وما دام الانسان المتمدين في حاجة الى الاندماج في هذا النظام ليتاح له الحصول على غايات متنوعة ، اصبح من الواجب عليه ان يراعي مصلحة الغير من مواطنيه الذين يعيش بينهم ، ويتقيد بالعادات والتقاليد التي من شأنها الحفاظ على مصلحة الغير ، هذه المصلحة التي نجمت عن الضرورة واكتسبت ، مع الزمن ، الصبغة القانونية » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ـ سعيد زين الدين

منذ عرفت هذا الاديب النابه وشعاره الذي يتغنى به : « حب الوطن عاطفة تشرف الانسان ! » .

ولد « سعيد » في غزة هاشم بفلسطين عام ١٨٩٤ وفقد اباه في سن مبكرة ، فتعهدته امه بالتربية والتوجيه وبعثت به الى دمشق لاستكمال دراستيه الابتدائية والثانوية . وبعد ان انهى تعليمه الثانوي عين معلما في السويداء بـ « جبل العرب » وأمضى فيها مدة ثلاث سنوات ثم انتقل الى بيت المقدس مديرا لمدرسة « المأمونية » والى يافا مديرا للمدرسة الرشدية . وبعد ان عمل في حقل التعليم عدة سنوات اقبل على التجارة يزاولها في يافا وانتسب لمعهد الحقوق الفلسطيني بالقدس ونال الشهادة عام ١٩٢٧ ومارس المحاماة ودافع عن حق الضعيف والمظلوم والفقير ، وتطوع ، في كثير من الثورات الفلسطينية للدفاع عن المتهمين العرب ، وانتخب نقيبا للمحامين في يافا ورئيسا لجمعية المقاصد الاسلامية وشجع على انشاء مستشفى كبير يحمل اسمها .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) نزح الى غزة وواصل عمله فيها وانتخب نقيبا للمحامين ، وخلال عمله في المجال العام تميز بالدفاع عن امته ، والاعتزاز بقوميته ، وكان خطيبا سياسيا بارعا ومؤمنا بان الاسلام الصحيح هو عز العرب وعمودهم ، وان السير على نهج النبي العربي الكريم والتأسي بخطى الخلفاء الراشدين هدي للعرب وغنم للمسلمين . وفي الثالث من شهر آب ١٩٥٩ توفي بغزة ودفن في المقبرة القريبة من دار المجلس البلدي .

نموذج من شعره : قرض « سعيد » الشعر في سن مبكرة وظل ينظمه وينشده في المجتمعات العامة والمؤتمرات الفلسطينية السياسية ، ودونك ابياتا يخاطب بها فلسطين موطنه الاول :

وطني الحبيب وحق من سواكا ... لم يهو قلبي في الحياة سواكا
ما همت يوما في سواك وكيف ذا ... والقلب لم يشغف بغير هواكا
أرخصت روحي في هواك ومهجتي ... من كل سوء قد جعلت فداكا
الله يأمرني بحبك والهوى ... لا عاش يوما كل من عاداكا
لك في شغاف القلب أسمى منزل ... ومكانة عظمى وحق علاكا
فرياضك الغناء تحكي جنة الـ ... ـفردوس حسنا والنعيم رباكا
وكذاك ماؤك كالفرات حلاوة ... ولكم شفى بزلاله مرضاكا

وظل سعيد زين الدين يهتف باسم فلسطين ويشيد بذكراها ويتغنى بثراها الطيب الطهور ويقول :

تربيت طفلا من ترابك في الحشا ... وانميت جسمي من دقيقة مولدي
سماء صفت حسنا زهت بشموسها ... وارض كلون التبر مثل الزبرجد

٤ ـ يوسف النجار

للسلف الصالح ، خلفاء وشعراء ومؤرخين ، فرائد غوال من الحكم والامثال التي يصح أخذها « مئاثر » يسار على هديها . ومن تلك الفرائد البليغة قول سعيد بن جبير :

« ما رأيت للانسان لباسا أشرف من العقل ، ان انكسر صححه ، وان وقع اقامه ، وان ذل أعزه ، وان سقط في هوة جذبه منها واستنقذه ، وان افتقر أغناه . وأول شيء يحتاج اليه البليغ العلم الممتزج بالعقل ! » .

ونصيب يوسف النجار من هذه الحكمة « العلم الممتزج بالعقل !»

ولد النجار في بيت المقدس سنة ١٩٢١ وكانت مرحلة دراسته الابتدائية والثانوية في كلية روضة المعارف الوطنية ونال شهادتها عام ١٩٣٦ ومرحلة دراسته الجامعية في كلية اصول الدين (فلسفة ودراسات اسلامية) وتخصص في كلية اللغة العربية في التربية وعلم النفس ونال شهادتها عام ١٩٤٢ ، وعكف على دراسة الخط العربي وألم بقواعده واصوله واحرز دبلوم مدرسة تحسين الخطوط الملكية في القاهرة عام ١٩٤٢ وبلغ في الخط العربي ما بلغه ابن مقلة (٨٦٦ ـ ٩٤٠) الاديب الذي اشتهر بحسن الخط حتى عد احد مبتدعيه !

وعاد النجار من القاهرة الى مسقط رأسه وعين في دائرة الاوقاف مساعد مدير عام وفي المجلس الاسلامي الاعلى مساعد سكرتير المجلس ثم سكرتيرا اصيلا بعد زوال الانتداب البريطاني ، ثم وكيلا لمدير عام الاوقاف في فترات مختلفة . وفي عام ١٩٥٠ عين سكرتيرا للحاكم العسكري في القدس حتى تشكيل الادارة المدنية فيها بالاضافة الى عمله في الاوقاف .

وما عتمت هذه النفس الكريمة ان عزفت عن الوظائف فطلقتها ..وانطلقت تبحث عن « السلوى » في التدريس فعين صاحبها استاذا للعربية وادابها في الكلية الاهلية برام الله عام ١٩٥١ و ١٩٥٢ فاستاذا للعربية وآدابها ثم للفلسفة والمنطق والاجتماع في الكلية الابراهيمية ببيت المقدس .

ولم يقف نشاط يوسف عند حد التدريس بل تجاوزه الى تخوم الصحافة فتولى رئاسة تحرير « فلسطين » منذ استانفت الصدور في القدس بعد انتهاء الانتداب ودرج على كتابة الافتتاحيات والمعالجات الاجتماعية والمحلية ، وظل دؤوبا على عمله هذا حتى عاد صاحبها الاستاذ رجا عيسى العيسى وتسلم رئاسة تحريرها .

وحرر النجار في جريدة « البعث » يومية واسبوعية وظل يعمل في حقلها من تاريخ صدورها الى تاريخ احتجابها واختص في التعليقات السياسية وفي باب اجتماعي يومي بعنوان « منبر الرأي الحر » .

وبعد ان صدرت جريدة « الجهاد » يومية في بيت المقدس ظل يوسف محررها المسؤول لثلاث سنوات واحد كتابها البارزين حتى عام ١٩٦٥ وتولى فيها كتابة الافتتاحيات والتعليقات السياسية واليوميات وزاوية ثابتة بعنوان « ومضات » .

وأسهم يوسف في تحرير جريدة « المساء » المقدسية منذ صدرت عن دار « الجهاد » الى يوم اغلاقها ونشر فيها قصصا قصيرة بعنوان « من صور الحياة » . والذين قرأوا يوسف في مقالاته ومعالجاته و « ومضاته » قرأوا فيه كاتبا سياسيا واجتماعيا وشاعرا مقلا . واتيح للذين سمعوه على المنبر ان يكتشفوا فيه خطيبا موهوبا يرتجل الخطبة كانه يقراها في كتاب !

وتقديرا لمواهب النجار وآرائه انتخب عضوا في مجلس امانة القدس ونائب رئيس جمعية تنظيم وحماية الاسرة الاردنية ، وقد مثلها في المؤتمر العالمي المنعقد في كوبنهاجن عام ١٩٦٦ .

من آثاره القلمية : (١) المنطق قديما وحديثا . (٢) مبادىء في علم الاجتماع . (٣) مباحث في الفلسفة . وهي كتب للطلاب .

(٤) دراسات في الحكر وتقديره .

(٥) اسرائيليات : رسالة اعدها بعد تخرجه من الازهر في أربعة مجلدات للحصول على درجة استاذ ، لكن هذه الرسالة القيمة كانت من نصيب العلج الاسرائيلي الذي استباح كل غال ونفيس في الاحياء العربية الفلسطينية ، بعد ان سهل له المستعمرون وقوع النكبة .

(٦) دراسات النصوص : مخطوطة تناول فيها الطريقةالمثلى لاختيار النصوص وتدريسها .

(٧) اساليبنا في التعبير من خلال قواعد اللغة وبلاغتها .

نموذج من شعره : للنجار شعر كثير من شعر الاخوانيات والمباسطات والمناسبات . ومن هذا الطراز ابيات هنا بها صديقه الاستاذ موسى علي الغول بقرانه وهي :

سال فيض الحنان من اوتاره ... حين ناجى المنى على قيثارة
فتهادى الى القلوب صداه ... صافيا كالنسيم في أسحاره
عبقريا كانه نغم الفجر ... شدا بالحياة في ابكاره
يالها نشوة سرت في حنايا ... الروض مسرى الربيع في أزهاره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وادي الطواحين

يقع وادي الطواحين في غرب مدينة « صفد » ويبدأ من نبع قرية « ميرون » ، ويسير بمحاذاة سلسلة جبال الجرمق وترفده في طريقه روافد كثيرة من الينابيع حتى ينتهي الى بحيرة طبريه .

١ـ وادي الطواحين كيف الروض والزهر ... والظل والدوح والجنات والثمر
٢ـ هل هن فيك كأيام لنا سلفت ... بيض يسر بهن القلب والبصر
٣ـ وهل غديرك ماض في تدفقه ... كأنه من جنان الخلد ينحدر
٤ـ صاف تغني له الورقاء اغنية ... يكاد يطرب من ترجيعها الحجر
٥ـ ام قد تعكر من وجد ومن حزن ... على فراق احباء له غبروا
٦ـ خريره يشتكي للورق غمته ... وتشتكي هي مما انزل القدر
٧ـ وادي الطواحين كم في السفح من نزه ... كانت لنا فيك بالابكار تبتدر
٨ـ ناوي الى ظل دوحات قد اشتبكت ... اغصانها وتبدى حسنها النضر
٩ـ والارض مشرقة حاكت خمائلها ... غلائلا تاه في توشيحها النظر
١٠ـ والطير في الايك بالشطين لاغية ... بكل لحن له في النفس مدكر
١١ـ وللمياه اصطخاب في تدافعها ... وللرحى اذ تدوي الوعظ والعبر
١٢ـ ونحن في نشوة من طيب مجلسنا ... ومن نسيم عليل جوه عطر
١٣ـ فما نزال من الاصباح في مرح ... الى المساء وحتى يطلع القمر
١٤ـ ايام صفو تقضت في مرابعنا ... والشمل مجتمع والعيش مزدهر
١٥ـ حتى اذا الدهر ابدى ناجذيه لنا ... حالت بنا الحال واستشرت بنا الغير
١٦ـ وادي الطواحين هل عود اليك وهل ... يصفو الزمان ويجلى عنك من غدروا
١٧ـ وادي الطواحين لا جادتك غادية ... ما دام فيك عدو غاصب خطر
١٨ـ وجاد اهلك غيث اينما نزلوا ... من البلاد وشاقتهم لك الذكر

حلب — محي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فانتشى طيره وقام يغني ... هاتفا بالجمال في آذاره
باعثا من غنائه الحلو لحنا ... ضحكات القيان بعض نثاره
لهلالين اشرقا في علا الكون فتاها زهوا على اقماره
أين هذه النجوم من مشرق يبدو فتروي الارواح من انواره
كلف بالعلاء يانف ان يلقى فوق السها عصا تسياره
أين هذي النجوم من نجمة المجد التي اختارها اليفة داره
ايه «موسى» الحبيب مني تقبل ... خاطرا فاض طائفا غير كاره
يا سليل العلا اليك تحايا ... باسمات كالصبح في أسفاره
حاملات اليك شدو التهاني ... ناشرات عليك أصفى نضاره
كلل الله عرسك باليمن ... ن وأدلى العلا جني ثماره

نموذج من نثره : « سألني صديق : « هل حضرت مؤتمر امس الاول ؟ » » .

قلت : جانبا منه فقط !

قال : وهل استمعت الى كلمة (فلان) ؟

قلت : كلا !

قال : لقد فاتك الشيء الكثير ، ليتك سمعتها ، فقد أتى فيها على وصف شامل للاوضاع ، فصور حقيقة الداء ، ووصف الدواء !

قلت : هون عليك ! ما فاتني الا كلام .. ما أنا بالآسف قط على انه فاتني .. فانا ، وأنت ، وهم ، وهن .. جميعا ، نعلم ما قيل من قبل ان يقال ، وان لم نؤت البراعة في تنميق الكلم وتزويقه ، واخراج الحروف من مخارجها ، ليكون لها أثرها الموسيقي في الاذن ، وعمق تأثيرها ـ العاطفي ـ في النفس !

نحن لا نعدم ، ولن نعدم « قوالين » والحمد لله .. فهم كثر .. ولو ان جامعا عني بتصنيف كل قول قيل .. منذ حلت بنا النكبة النكراء ، لخرج من كل ذلك بمجلدات تفوق في عددها وضخامتها ما ألقى « المفول » في نهر دجلة .. وترجح ما وصلنا من ادب العرب منذ جاهليتهم !

نحن يا صاحبي بحاجة الى شيء واحد !

ذلك هو .. ان نكم افواهنا الى الابد ، وان نصم آذاننا .. الا عن سماع قائد الكتيبة التي تقتحم خط النار ، غسلا للثار ! » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

مدرس من فرنسا

بقلم مصطفى الخش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



في منتصف العقد الثاني ، ارستقراطي حتى اطارف انامله ، ذو شعر ذهبي متموج ، وبشرة من رحيق الشهد ، معتدل القامة أميل الى الطول ، موفور الصحة ، متمل العافية ، عيناه عسليتان متسعتان وفمه حسن التكوين ، صوته موسيقي النغمة ، وابتسامته عذبة الى درجة عظيمة ، يمشي على الارض مرحا فيشيع الحبور في النفس بشبابه الريان وبهجته الغامرة .

جاء الينا ، قبل ثلاثين عاما ، مدرسا للرياضيات في المدرسة الثانوية العلمانية بطرطوس ، فلا والله ما عرفت أرق منه ولا الطف ، فالحيوية دفاقة في كيانه ، والبشر يضفر أكاليل الغار فوق جبينه ، والمحبة – سبيل الخير – تعمر قلبه .

كان يبعث نسمات من الهواء العليل الطلق ، اما داخل الصف ، فيهب التلاميذ وقوفا ، منشرحي الصدر ، يؤدون له مراسم الاحترام ، شاخصة اليه ابصارهم ، وساعية اليه قلوبهم ، فلا يجلس الى نضده بوجه عبوس قمطرير بل يظل واقفا طوال فترة الدرس ، ينقل خطوه كالحجل او كراقص في حفلة ساهرة ، مشرق الوجه ، انيق الملبس ... وبدون أية مقدمة ، وفي سبيل أن لا تضيع ثانية واحدة ، فانه يمسك قطعة الحكك ، بأنامل تحسبها يد طفل ، ويبدأ في الشرح : عملية حسابية فعملية حسابية اخرى ، وهكذا دواليك .

وخلال ذلك لا يفتأ يتأمل الاوجه ، فيما اذا كان الانتباه تاما . ولا ينتقل من مرحلة في الدرس الى مرحلة اخرى ، قبل ان يسأل التلاميذ عما اذا كانوا قد استوعبوها كلها . ولا يكتفي بجوابهم بل يختار اضعفهم في هذه المادة فيدعوه ان يتقدم نحو اللوح ، ويناوله قطعة الحكك في سبيل ان يدلل على صحة تفهمه للعملية حتى اذا لم يقم الدليل ، اجلسه في مقعده واعاد شرحها من جديد . فان لم يعرف اعاد الشرح مرة ثانية وثالثة . بدون كلل . وفي احدى المرات استمر التلميذ في غبائه ، فعيل صبر المدرس ، وقذفه بعبارة استفهامية :

– أوانت حمار ؟

ومثل هذه العبارة ، ما تعود ان يتلفظ بها أبدا ، فما على لسانه الا الكلام الحلو .

كان من فرط حبه للتلاميذ ، يود أن ينقل معلوماته الى اذهانهم جميعا ، لا يستثني منهم احدا . وكانوا يتجاوبون معه بالمحبة ، فيستشعرون غيرته عليهم وحرصه على ان يفيدوا منه ، فكان أحب الدروس اليهم هي مادته ، ولو أنها اصعب المواد ، فلا يكدون في تحضير أية وظيفة قبل وظيفة الرياضيات .

كانت قاعدته ان التعليم ليس مجرد تلقين معلومات بل لا بد للتلاميذ ان يتعلموا من تصرفات أستاذهم اكثر مما يتعلمون من اقواله . ولذلك فلم يعرف التهاون لا مع نفسه ولا مع تلاميذه .

بدأ تعليمه لنا بشرح الارقام الحسابية التي تم التعارف عليها وعن سبب اعتبار الرقم خمسة مقياسا للعد فيقال : ٥ – ١٠ – ١٥ ولا يحسب ٧ – ١٤ – ٢١ . واوكل الينا فرضا في شأن العد لنقوم بتحبيره – تحت اشرافه – وخرج يتطلع الينا من النافذة والباب اللذين ينفذان الى البهو .

وكنت الاول في صفي بمادة الرياضيات . وقد كبر علي ان البي رغبة المدرس ، فأقوم بكتابة هذا الفرض الذي لا يليق بتلاميذ صف الكفاءة فرحت اليه اسأله :

– اية فائدة لنا من هذا الفرض ؟

رفت على شفتيه ابتسامة رقيقة ولكنه تصنع التعاظم فقطب حاجبيه قبل ان يقول لي ببساطة ، كالماء ،

– لا شأن لك بهذا السؤال ... أنا أدرى منك بفائدة الفرض وأردف بنبرة جازمة : عد الى مكانك .

ولما كان الجواب سلبيا ، فقد حرنت عن الكتابة ، فلاحظ ذلك مني – وكنت أدور بعيني فيما حولي – فأشار الي باصبعه يدعوني اليه :

– لماذا لا تكتب ؟

– اني لا اكتب مثل هذا الفرض.

– اذن فانت معاقب بساعتي حبس .

ما نبت ورجعت الى مقعدي اعاود سكوني فلا أحفل بقصاصه وقد عز عليه فلم يطاوعه قلبه الا اكتب فذهب يشكوني الى المدير . فلما مثلت امامه قذفني بعبارة اشبه بقنبلة صاروخية :

– أوتعرف اكثر من الذين يضعون برنامج الشهادة الثانوية ؟

وقفت امامه ، زريا ، كحذاء قديم ، وبمجرد ان نفيت هذه المعرفة فقد فرض علي المدير قصاصا آخر بساعتي حبس اقضيهما في عطلة يوم الاحد الاسبوعية .

وكما في المرة السابقة فقد لذت بالصمت وعدت الى مقعدي غير هياب بالقصاصين معا . غلبني الانفعال فارتسمت امارات الضراوة

على وجهي ... تفرسني المدرس فشق عليه امري وكان قد تقضى زمن غير يسير على الوقت المحدد لكتابة الفرض فناداني الى البهو .. وعلى مدخل الباب مد يده فاجفلت محاذرا ان كان يود ضربي ولكنه استمالني اليه بصوته الفني النغمة، ذي الاصالة الموسيقية ، التي تجعله مستحبا في الاذن :

ـ تعال نتنزه .

مشيت معه جنبا الى جنب . وبلهجة الصديق او الاب الحنون فقد نصحني ان لا احجم عن كتابة الفرض والا جعلته ان لا يهتم بي فيهمل شأني فيكون حاصل ذلك رسوبي في فحص الشهادة الثانوية لاني عندئذ اكون متأخرا في مادة الرياضيات بدل اني فيها متقدم .

وما بالقصاص وانما بفعل هذه الكلمات الحلوة التي اورقت في نفسي ازنبقا ووردا وريحانا فقد عدت هذه المرة الى مقعدي لاعجل في كتابة الفرض قبل ان تحين نهاية الوقت المحدد ... واذكر انه في اليوم التالي بدا درسه في التنديد بي ، برقة وايناس ، معددا فائدة الفرض الذي كتبناه وانه في سبيل تفتح المحاكمة الذهنية في عقولنا . وهذه المحاكمة هي اسس النجاح في مادة الرياضيات .

☆

وبعد ان كان شعره الذهبي مرسلا الى ما وراء اذنيه، جاءنا ذات يوم مقصوصا الا من غرة في المقدمة . وتلك قصة يطلق عليها الحلاقون اسم « الفرشاة » لان الشعر يسوى بها من غير المشط . ويكتسح الفضول احد التلاميذ فيسأل عن سبب القص فينهره بخبث برىء :

ـ اخرج من القاعة

اعترض التلميذ على هذا التدبير فاصطنع الكدر ، دلالا ، مثلما يتصنع الطفل الابتعاد عن ثدي أمه ولكنه اشار عليه ـ والابتسامة تسبح في عينيه ـ ان يخرج من الباب ، امتثالا لامره ، ثم يعود الى مقعده فما يطيق ان يراه محروما من فائدة الشرح .

وعقب المدرس على فضول التلميذ فاوضح ان قص شعره كان بسبب نصيحة الطبيب . فارتسمت على وجوهنا علامات التعجب فصحته جيدة ونشاطه متوقد ولا دلالة فيه لاي مرض كان .

مضت الايام سريعة متلاحقة . وبعد ان تقضى نصف العام الدراسي ، اذا بالمدير يفجؤنا ذات صباح :

ـ اذا جاءت الساعة العاشرة والنصف فسآتي اليكم لاختار لكم فرض مادة الرياضيات وكانت العادة ان نكتبه في المدرسة تحت اشراف المدرس خلال ساعة ونصف قبل ان تحين فرصة الفداء لكيلا يعتمد بعض التلاميذ الى نقل الحل عن البعض الاخر .

وزاد المدير فكشف لنا عن ان استاذنا بالمستشفى في بيروت وقد انتابته الحمى الدماغية وانه بعد العدة في سبيل ان يغادر البلاد ، نهائيا ، فما واتاه المناخ، وان معاملته لن تنتهي قبل يومين أو ثلاثة لانه انما يدرس وهو يقوم باداء خدمة الجندية الالزامية المفروضة عليه نحو وطنه .

كان بريد بيروت اليومي يصل طرطوس في العاشرة . فلما وافت الساعة العاشرة والنصف جاءنا المدير مبتسما ابتسامة اسفية وهو يحمل مغلفا بداخله اسئلة الفرض بخط المدرس فأملاها علينا واخذنا في الاجابة داعين ان لا يصيب استاذنا مكروه وان لا يفارقنا قط على اننا اكبرنا في الوقت نفسه مثاليته في القيام بالواجب . واي دليل ابلغ من ان يرسل لنا الاسئلة وهو على فراش المرض ؟! ...

ومرة اخرى ، في اليوم الثاني ، وفي الموعد المحدد لكتابة الفروض ، فوجىء التلاميذ برنين الجرس ، يدعوهم الى اجتماع عام ، في بهو المدرسة . هجس هاجس الخوف في صدورهم فوقفوا امام صفوفهم واشرأبت اعناقهم ، في صمت ، نحو المدير الضخم الجثة ، والواقف في الصدر وحوله هيئة التدريس . راعهم ان عينيه تشرقان بالدمع وهو ينعي اليهم وفاة مدرس الرياضيات « ايسورا » Hyssaurat في مستشفى بيروت ... أعلن الصمت دقيقة واحدة احتراما لذكراه ...

اكتسح التلاميذ شعور من الرهبة والاشفاق والقلق حيال طبيعة الموت الغامضة المقتحمة فطفح الحزن من القلوب فاحتقنت الوجوه بالدم واغتسلت بالدموع ... وكانت مناحة التلاميذ لفقد مدرسهم الحبيب .

☆

تركت هذه الذكرى الاليمة اثرا باقيا في قلبي ، كالندبة ، وكلما نكأ بي الجرح القديم ، اشتعل في صدري الم حارق فيتملكني اسى عميق يكاد يبكيني ... وتتماوج الافكار في خاطري فاطرح هذا السؤال على نفسي متحدثا ـ على طريقة من يتكلمون من بطونهم ـ :

أويخلص مدرسو بلادي لواجبهم، ويحبون تلاميذهم ؟ بل هل يكونون لهم مثلما كان هذا الغريب لتلاميذه؟! ومن يحب وطنه يتقن عمله !

مصياف ـ سورية **مصطفى الخش**

العباسة

مسرحية شعرية

لعدنان مردم بك

منشورات عويدات ببيروت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحكاية

★

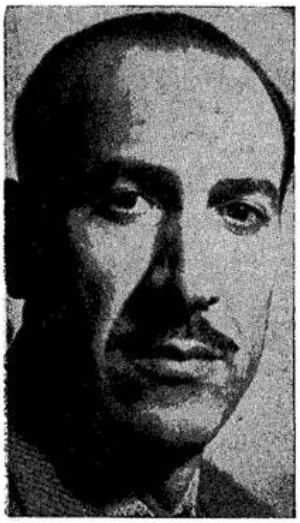
الحلم بـرد . اعطني جرعـة ... مـن السراب . علنـي اسكر
يابسة حروف وجهي ، وكانت ... بأغاريـد الشـذا تقطـر
اين؟ طريقي من هنا .. لا ارى ... نجيمـة بيضاء لـي تسفـر
اضعتـه المصباح والخاتـم ... السحري.. يا علاء كم تخسر !
يا ليل خبرني ... انا من انا ... حتى تجيئني وبي تسخـر ؟
أمـر بي مـر ربيـع فعـا ... تبتـه حتى لم يعـد يزهـر ؟
اقص قصتي علـى زوجتـي ... وطفلتي وابني.. الم يشعروا؟
تقـول زوجتي . وماذا تقول ... زوجتـي ؟ اظنهـا تكفـر
وطفلتي في صمتهـا تقفـر ... وكـان وجـه طفلتي يقمـر
ومثل نسر عالق فـي شـراك ... هكـذا طفلـي اذ ينظـر ...
الطائـر الكـان هـنا ينقـر ... الحب بقلبـي الطائر الاشقـر
الطائر الفناكـم مـن زمـان ... طار .. طار .. لم يعد يحضر
البيت مفتـوح الشبابيك ما ... يجدي اذا الهواء لا يخطـر ؟!
أبصر حالتي وحال العيـال ... والعيـال همـي الاكبـر
حلمت بالبيـت الذي يعمـر ... يضحك فيـه القلب والمحجـر
والان ما لي في دروب المنـى ... احمل جرحي وانـا اعثـر ؟!
ان لفنـي الصبح بانداثـه ... وضمني النجـم الذي يعبـر
اصبحـت أحتمـي بايديهم ... علـى جبينـي وهي تستمطر
حمامـة بيضـاء ايديهـم ... على جبينـي وهي تستمطـر
حمامـة بيضاء رفـت علـى ... لحـن من القرآن يستقطـر !
ما ابخل العمر ! اقص الجناح ... والفضاء واسـع نـير ؟
أوان ان انشـد اغنيتـي ... اوان ان اطـير هل اقبـر ؟
با حب سليني .. يكاد الهوا ... يطفىء قنديلي لـو تشعـر !
الليـل والبيداء فـي غرفتي ... عليهما اشرعتـي انشـر
فكيف يا حب دروبي رمال ... كيف يا حب انـا ابحـر ؟

ما زال في قلبي لحون ، ومـا ... زلت اغنـي . لم اكن اضجر
ادق بـاب اللـه في خشعـة ... صوفية لعلـه يغفـر ...

حلب

علي الزبق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سعد صائب

اورخان ميسر .. اديبا ونافداً

بقلم سعد صائب

* * *

مع الموت

في محاورة « فيدون » « لافلاطون » يروي « فيدون » نفسه « لأشكرات » قصة موت سقراط قائلا : « في الواقع ان شعوري كان غريبا حقا وانا الى جانبه . وفي الحقيقة لم تتملكني الشفقة عندما كنت اشاهد موت رجل كنت اتعلق به ، ذلك لانه بدا امام عيني ـ يا أشكرات ـ رجلا سعيدا .. سعيدا في تصرفاته وفي حديثه . وكم كان في لحظاته الاخيرة هادئا نبيلا الى درجة انه وهو الذاهب الى مقر « هاديس » اوحى الي باحساس بأنه لا يذهب الى هناك دون عون من الآلهة ، بل انه عند وصوله الى هناك لا بد واجد سعادة لم يعرفها انسان ابدا . تلك اذن العلة في انه لم يتملكني البتة اي احساس بالشفقة كما قد يبدو طبيعيا عند من يحضر وفاة . ولكن لم يكن ايضا شعورا بالغبطة التي اعتدناها في ساعات تفلسفنا ، وان كانت هذه الساعات الاخيرة هي ايضا فلسفية . والحقيقة انه كان هناك شيء غريب يتملك مشاعري ، كان مزيجا عجيبا من السرور والالم في آن واحد ، الالم الذي كان ينتابني عندما كنت افكر في ان نهايته قد دنت ، وكان هذا شعورنا جميعا نحن الذين كنا حاضرين نضحك تارة ونبكي تارة اخرى » (١) .

اخال ان شعورا مماثلا قد انتابني وانا الى جانب « اورخان ميسر » في ساعاته الاخيرة (٢) ، فلم تتملكني الشفقة عليه وانا اشاهده يدنو من نهايته ، اذ كان يبدو لعيني ، كما بدا سقراط لفيدون رجلا سعيدا في تصرفاته وحديثه ، كما كان هادئا نبيلا وكأنه موقن انه سيجد في حياته الثانية سعادة لم يعرفها انسان ابدا . ولعل سعادته تلك كانت ترين علي وانا استمع اليه يحدثني عن قضايا الادب والنقد عندنا ، والمشاكل التي تعتور هذه القضايا ، والحلول التي يجب علينا انتهاجها للخروج منها .. لقد كان شعوري غريبا حقا امتزج فيه السرور بالالم ، السرور مما اسمعه واطرب له ، والالم من اشفاقي من النهاية التي سينتهي صديقي اليها عاجلا.

ولكم كنت اعجب لهذه الظاهرة التي توشك ان تثير في الشك في صمود الصديق ، ومغالاته في اظهار الصبر والتجلد اللذين لا يمكن ان يعانيهما انسان يدنو من نهايته .. بيد ان شكي لا يبرح ان يزول حين استمع الى زوج الصديق وهي تتحدث عن صموده العجيب حيال الداء الذي كان يفتك به فتقول : كان يرفض ان يستسلم للالم .. وكان يلحن آلامه متحاشيا ان يصرخ مهما بلغت قسوة الاوجاع ..

ولكم ساءلت نفسي : ترى اكان مبعث هذا الرفض النزوع الى الاستمتاع بالدقائق الاخيرة التي يهبها الموت للحياة فيهتبلها من يشرفون على الموت يعتور الفلاسفة والمفكرين فحسب ؟

ان ثمة من يؤكد ان الفيلسوف الحق الذي يزاول المعرفة والفضيلة الفلسفية القائمتين على الفكر ، ويكون عمله الدائم هو الاستعداد للموت ، يصل الى حالة من الطهارة والنقاء بحيث يتلقى الامر بالذهاب في يسر (٣) « .. لذا فقد آمنت بأن الصديق ـ وهو الذي زاول طوال حياته المعرفة والفضيلة الفلسفية بلغ في لحظاته الاخيرة من الطهارة والنقاء ما جعله يستقبل الموت لا استقبال المؤمن بحتميته فحسب بل استقبال المؤمن بأن الحياة الحقيقية هي الموت هو الفكرة التي في داخلنا على حد تعبير الشاعر الغامبي « بيترز » .. ولعل لحن الصديق الذي كان يتناهى الى زوجه حين ينتابه الالم من قسوة اوجاعه ليس سوى لحنه الاعلى لفنائه الذي كان يتغنى به حين زاول المعرفة والفضيلة الفلسفية ، وهو هنا يشبه البجعة التي تروي الاسطورة اليونانية : انها حين

(*) القيت في الحفلة التي اقيمت يوم ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٦٨ في المركز الثقافي العربي بحلب بمناسبة مرور ثلاثة اعوام على وفاة الاديب الناقد الشاعر « اورخان ميسر » .

(١) الاصول الافلاطونية ـ فيدون ـ الجزء الاول ـ ترجمة الدكتور نجيب بلدي ص ٢١ ـ ٢٢ ـ الطبعة الثانية . (٢) توفي مساء يوم الجمعة في ٧ ـ ٥ ـ ١٩٦٥ . (٣) المرجع نفسه ـ تعليق ص ١٦٠ .

تشعر بدنو اجلها فان ما كان لها من غناء من قبل يمسي حينئذ اكثر واعلى منه في اي وقت مضى لفرحتها بأنها على وشك الرحيل بجوار الاله الذي تخدمه ..

مع الحياة :

ولد اورخان ميسر العربي الاصل في « اسطمبول » في ٧ ايار عام ١٩١٤ وظل فيها حتى عام ١٩٢٨ حيث انتقل مع أهله الى بلدته « حلب » التي نزح اليها اجداده من مكة المكرمة منذ ٨٥٠ عاما . وفي حلب تلقى دراسته الابتدائية ، وحين انهاها مضى الى « عاليه » يدرس الثانوية في « الجامعة الوطنية » وقد تتلمذ على « مارون عبود » الذي تأثر به البدء ، ثم انتقل الى « الجامعة الاميركية ببيروت » آملا ان يدرس الطب ، بيد انه هجره بعد زمن مؤثرا عليه دراسة الادب والفيزياء ، وبعد سنوات نال شهادة (ب.ع.) بكالوريوس علوم فقدم لجامعة «شيكاغو» اطروحة تناول فيها دراسة « الانسان تحت تأثير غدده اللاقونية وسلوكه الفردي » نال على اثرها درجة اكاديمية (م.ع) ثم عاد ثانية الى حلب ليشرف بعد وفاة ابيه على املاكه ويسهم في الحركات الوطنية التي كانت تجيش بها بلاده ، خلال رزوحها تحت الانتداب الفرنسي كما يتحمس للدفاع عن حق العرب في فلسطين ، ومما يؤثر عنه انه كان يشتري السلاح من ماله الخاص ويمد به المناضلين عن ذلك الجزء الغالي من وطننا المقدس . ومنذ بضعة اعوام ولاتقانه اللغات : العربية والانكليزية والفرنسية والتركية عين مدبرا للعلاقات في وزارة الاعلام السورية وظل في منصبه هذا حتى وفاته .

مع الادب :

بدأ الكتابة عام ١٩٢٩ يوم كان طالبا في « عاليه » ثم والاها نثرا ونظما متأثرا بشعراء المهجر ، وبعض الشعراء الانكليز بخاصة « ت.س. اليوت » و « روبرت بروك» كما تأثر بمفكرين عرب كيعقوب صروف واسماعيل مظهر وسلامة موسى ، وفؤاد صروف . ومفكرين غربيين كالفيلسوف الالماني « بوخنر » و « داروين » و «فرويد» وظل يتابع الكتابة ناقدا ومؤلفا ومترجما فنشر في العربية العديد من البحوث والقصائد المترجمة والعديد من البحوث باللغة الانكليزية التي كانت تنشرها له « المجلة الشهرية للبحوث العلمية » الصادرة في «بوسطن» بأمريكا وقد دعته جامعتها عام ١٩٣٦ لتدريس الادب العربي فيها .. ظهر له في حياته كتابان بالعربية : « شوقي وعصره » ، و « سريال » وهو دراسة عميقة في السريالية والشعر السريالي ضمنها قصائد له ولصديقه الدكتور علي الناصر تنحو هذا النحو . وكتاب مترجم بعنوان « الرقص في امريكا » وكتاب بالانكليزية بعنوان «الانسان تحت تأثير غدده » . وما زالت آثاره المنشورة التي حرصت زوجه بعد وفاته على جمعها وتبويبها تنتظر من يخرجها من ظلمات الادراج لتلامس النور فينتفع بها جيلنا والاجيال الآتية .

اسلوبه وطريقته في النقد :

لئن لم يقلع تلاميذ « سقراط » عن عادتهم بالاجتماع به ، كذلك لم يقلع اصدقاء « اورخان ميسر » عن الاجتماع به ، وكنت في اواخر ايامه اجتمع به لاسري عنه من نحو، ولأتطارح واياه القضايا الادبية والفكرية التي لا تفتأ تفرض نفسها على حياتنا الادبية والفكرية من نحو آخر ، موقنا بأن من شاء ان يعرف « اورخان » الانسان فليصحبه يجد الانسان ، ومن شاء ان يعرف « اورخان » الاديب والمفكر فليسمعه يجد الاديب والمفكر فكأن انسانيته واحاديثه توأمان متكاملان من الصعب على من لم يصحبه الكشف عن هاتين الظاهرتين . وفي لقاء جرى لي معه قبيل وفاته بثلاثة اشهر دار حديثنا حول اسلوبه وطريقته في النقد فابتدرني قائلا : ما رايك في اسلوبي ؟

قلت : ليس اسلوبك كما وضح لي من خلال قراءتي كتاباتك بالاسلوب الساحر الخلاب الذي يأسر برنينه ، ولا بالاسلوب ذي الديباجة الذي يعنى بالشكل ولا يحفل بالمضمون ، بل هو اسلوب يقترن شكله بمضمونه في سهولة وايجاز مع الدنو من الاسلوب العلمي المليء بالافكار ، والبعيد عن الاسلوب الادبي ، المليء بالاخيلة والتشابيه التي لا تجدي نفعا .. فانت اديب مفكر وعيت البلاغة التي تعني الايجاز فحسب ، وضعت آراءك على اسس فكرية مركزة دون الاحتفال بتنميقها .. ولست متأثرا ـ كما أرى ـ بسواك من الادباء ممن قرات لهم او تتلمذت عليهم ، لانك تحرص اشد الحرص على ان تكون لك آراؤك الخاصة في الادب والنقد ، كحرصك على ان يكون لك اسلوبك الخاص ، وهذا يعني ان لك شخصية مميزة ، وان هذه الشخصية تتجلى واضحة اتم وضوح في كتاباتك وتفكيرك . ويبدو لي أن لثقافتك التي بنيتها من اطلاعك الواسع على ثقافات الامم التي اتقنت لغاتها الى جانب اطلاعك على ثقافة امتك ، اثرهما البارز في تكوين شخصيتك ، ولعل لمراحل حياتك التي عشتها اثرها في بلورة هذه الشخصية .. قلت له هذا وقد خامر قلبي شك في قعودي عن مقصود غرضه واذ بان لي انه وجد رأيي فيه عند ارادته وحسب بغيته ، ابتدرته قائلا : **هذا رايي فيك فما هو رايك في نفسك ؟** قال وهو يغالب الما دب في أسارير وجهه : يعتمد اسلوبي في النقد بخاصة على مرتكزين :

احدهما الموضوعية المطلقة ، وثانيهما الاستنتاج الرياضي في حدوده التجريدية المعروفة في الرياضيات .. اما الطريقة فيمكن تعريفها بأنها طريقة قياس تلعب فيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النسبية دورا كبيرا ولتبيان ذلك اقول : اني اعتمد في تقييمي اي نتاج ادبي علـى ثقافتي الواسعة ومتابعتي تطور الادب العالمي في شتى مجالاته على قدر المستطاع ، وحين اتناول النتاج الادبي الذي هو موضوع نقدي اقيم توازنا بينه وبين اي نتاج عالمي يقابله ، ان في القصة او في الشعر او في البحث على تباين موضوعاته ، ومن هنا استمد مقومات تقويم النتاج بصرف النظر عن النسبية المحلية كما يريد بعض اخواني وزملائي ان يجعلني التزم الاعتبارات المحلية .. ان التقويم الذي يقوم على اعتبار النسبية المحلية ليس تقويما جديا ذا اثر فعال في تطور النتاج المحلي . فمثلا لا استطيع ان اقول ان قصة فلان سخيفة بالنسبة للمستوى العالمي الا انها جيدة بالنسبة لما يكتب عندنا من قصة ، وقس على ذلك في الشعر وفي اي مجال ادبي آخر .. ان النقد عندي ليس عملية يمكن حصرها في النسبة المحلية لانه محاولة تقويم نتاج انساني اكثر منه محاولة تقويم نتاج محلي او فردي . وهب ان بلدا متخلفا استطاع بعض الميكانيكيين فيه ان يصنع دراجة عادية يمكن استعمالها واستخدامها بدلا من الدراجات المستوردة من الخارج بيد ان السؤال الذي يطرح بعد ذلك هو : اي قيمة لهذه الدراجة في عصر يصنع فيه الكثيرون سفنا فضائية وصواريخ تنطلق من كوكب الى آخر ؟ ليس من شك في ان قيمة هذه الدراجة تبقى في مثل هذه المفاضلة قيمة بدائية ، ولو ان الدراجة التي صنعناها تعود علينا بفوائد اقتصادية وقومية جمة .. يتضح من قولي ان ليس في العالم مستوى ادبي محلي ، بل هناك مستوى ادبي عالمي هو ارقى ما استطعنا الوصول اليه عبر قرون واجيال عديدة من النضال الفكري ..

آراؤه ونظراته في الادب والنقد :

واذا احسست من قلبي الاصغاء اليه مضيت في الحديث معه فترامى بنا الى ذكر ادبنا العربي المعاصر فسألته ما رايك اذن في ادبنا المعاصر ؟

اجاب : ان ادبنا اليوم مزيج من تيارات متباينة جاءتنا من الغرب ، وهي نتيجة طبيعية للحياة السياسية التي عشناها ، فرحبنا بسخاء عفوي بكل التيارات التحررية دون ان ننتبه الى طابعها .. لقد رحبنا « باليوت » و « عزرا بوند » وثوريين غيرهما . كما رحبنا مؤخرا بعد استقلالنا « بسارتر » و « كامو » وسواهما .. اننا ـ في الواقع ـ لم نفهم من التحرريين نزوعهم التحرري بقدر ما فهمنا منهم ثورتهم التحررية ، فكانت لنا ثورتنا المخفقة في شتى ميادين الفكر .. ان الادب العربي اليوم يجتاز مرحلة دقيقة في حياته اذ نراه يتأرجح بين تراثه الادبي وبين الاغلفة الشفافة ذات الالوان البراقة التي اجتذبت واغوت العديد من رجال الادب والفكر عندنا ، فدبت فينا الفوضى الفكرية التي لا نبرح نعاني بعض جوانبها بينما نرى في بعض الجوانب الاخرى ما يشجع على توليد افكار جديدة من شأنها ان تبدل من المفاهيم الغامضة في معاجم مجتمعنا الفكري والنفسي .. صحيح اننا لم نسهم حتى اليوم في بناء الادب العالمي ، بيد ان خطانا الواسعة الحثيثة تبشر بغد ادبي جميل خير .. ليس ثمة في الادب العالمي المعاصر اي اتجاه الزامي ، بل ثمة ادب ينبثق من رصيد فكري غني جمعه انساننا المعاصر عبر المائتي سنة الاخيرة اللتين عاشهما في تاريخه ، ولقد ابعد هذا الانسان والاصح انسان الفكر الحر عن اي التزام على الرغم من انه جعل الصلة وثيقة بينه وبين الارض التي يعيش عليها .. حتى النقاد السوفييت الذين حملوا اول لواء للالتزام اخذوا اليوم يتراجعون عن خطة المفروض عليهم فرضا عقائديا ، فبرز كتاب انشقوا عليه امثال : الكسندر ابوش والفريد كوريلا الالمانيين ، والكسندر فوتشو وغالب يوغسلاف ، اليوغسلافيين على الرغم من ان هؤلاء الكتاب كانوا على التزام بالعقائد نفسيا وليس بقسري ، وعلى الرغم من ان الحكومات التي يعملون تحت ظلها منحتهم فرصا جميلة رحبة العطاء .

اما نحن فقد التزمنا « الالتزام » من حيث اللا التزام فجاء كل ما نكتبه عن طريقه وكأنه شيء منفصل تماما عن تاريخنا وتراثنا وحضارتنا ، او كأنه التزام لفترة سياسية وليس التزاما فكريا لعقيدة معينة او اتجاه معين، ولا غرابة في ذلك لان ادباءنا عاشوا اصداء السياسة ، ولم يعيشوا السياسة نفسها ، فكان لنا نتيجة لذلك ولعوامل اخرى هذا الالتزام المشوه الطرح الذي ينكره اي التزام آخر في ظلال اي حكم عقائدي عرفه تاريخنا المعاصر .. ان اي نزوع نجده في الادب العالمي ان في قديمه او جديده نزوع يحمل طابعا ذا قيمة تاريخية وفكرية ، الا اننا هنا قد ضللنا الطريق ورحنا في متاهات ليس لها بداية ولا نهاية واضحة ، نرقص ضمن خطوطها رقصات لا هي رقصاتنا الابتهالية ، ولا هي رقصات الدعارة الواردة الينا من الخارج .. لقد ظهر في العالم خلال السنوات الاخيرة مثلا نزوع جديد الى القصة هو النزوع الى الخرافة ، بدأ في قصص الكاتب الالماني « كورت كوسنبرغ » ثم انتقل الى السويد فظهر في قصص الكاتبة « ماريانا آينبرغ » ثم انتقل الى مناطق اخرى في اوروبا فأخذ يظهر في سويسرا وفرنسا وايطاليا .. قد يكون لهذ لنزوع في الالتجاء الى الخرافة مرتكزه العلمي من حيث النفسية والذهنية الاوروبيتين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ من المعروف ان اوروبا قد تمزقت بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت هناك دول ودويلات تحمل فيما تحمله عقدا نفسية معينة ، منها ما كان نتيجة للانهزام ، ومنها ما كان نتيجة للنصر ، بينما ظل واقعها الحضاري التاريخي والجغرافي واقعا لا يتغير ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لذا كان لا بد للهروب من هذا الواقع ، فكان ثمة هـذا النزوع الى الخرافة في القصة ، بيد اننا هنا التزمنـا حتى الخرافة كبضاعة مستوردة لا علاقة لنا بها في تاريخنا القديم ، اذ نعمد الى الخرافة كرمز للاعراب عن افكـار معينة لم تكن اجواؤنا السياسية تتيح لنا فرصة الاعراب عنها بصراحة ووضوح .

ان نزوع بعض كتابنا وشعرائنا الى الخرافة لا يمكن ان يعتبر الا تقليدا هو من اسفاف الالتزام اللا الزامـي ، والا ظاهرة لتفكك نفسي تهنا في مداه بين ماضينا وغدنا الذي لم تكتحل بعد اجفاننا بأحلامه ..

وقبل ان نخرج عن نمط ما نحن عليه في مجلسنـا القيت عليه سؤالين اخيرين شئت ان اختم بهما حديثنا فقلـت :

ما رأيك في الشعر العربي الحديث ؟

أجاب بلسان الذليق : ليس عندنا شعر عربي حديث .. ان كل ما عندنا ليس الا ومضات من ماضينـا الذي كناه .. كناه حينا على الذرى ، وكناه حينا آخر علـى السفوح ، وبالاضافة الى ذلك يبدو في شعرنا العربـي المعاصر تيـاران واضحان : احدهما التيـار التقليـدي للتيارات التحررية التي ملأ بعض اصدائها اسماعنـا ، كما يتميز التيار الثاني بالعودة الى النفسية المراهقة التي كانت لدى الشعوب التي انتقلت من اوضاع اجتماعيـة معينة الى اوضاع اشتراكية عن طريق اللا اختيار . وكما تغنى شوقي بالرمال والاطلال وهو بين القصور والرياض كذلك راح بعض الشعراء يتغنى اليـوم باطلال الثـورة الشيوعية عام ١٩١٨ مع العلم ان بيننا وبين ذاك العـام فترة مديدة ، استطاع خلالها الذهن الانساني الجبار ان يبدع كثيرا مما نعيش اليوم في نعيمه ، كما استطـاع ايضا ان يغزو مجاهل كان غزوها في الماضي حلما بعيدا .. ان كل ذلك يعتبر سلوكا غير اصيل في أدبنا ، سلوكا تقليديا لا يرمي الى هدف معين يتعلق بواقعنا ، بيومنا ، بغدنا ، بكل ما نعانيه من امراض اجتماعية ، ونكسـات ذهنية ، نهدف من خلال معاناتنا اياها الى بناء امـة ، واستعادة ما كان لها من عزة ومجد ، والى تبوىء مكـان يليق بنا في المجتمع العالمي الكبير .

ثم سألته : ما الذي كان يدفعك الى التقديم لبعض آثار الادباء الناشئين والتعريف به ، وما هو رأيك فيهم ؟

اجاب : ليس ثمة من يدفعني ، بـل كان ثمة مـا يدفعني .. اما هذا الشيء الذي كان يدفعني فهو ضرورة تشجيع النتاج الادبي الناشيء لعل في ذلك بعض الخير بالنسبة لادبنا وذلك عن طريقين : طريق تعريف القـراء بهم وطريق ترك المجال لهم لاضافة المزيد من المعرفة الى رصيدهم وبالتالي الى تطويرهم تطويرا ذاتيا يمكـن ان يسمو بهم الى مستوى الادب الرفيع حيث يستطيعون ان يسهموا في بناء الفكر الانساني أنى كان .

فالادباء الناشئون عندي قسمان او فئتان : فئـة يطغى على افرادها الغرور فيحسبون انهـم عمالقـة في الادب والفكر فتراهم ينصرفون عن المطالعة الجديـة ليدوروا في أقبية متاهاتهم الذاتية ، وقد يلمـع بعض هؤلاء وذلك بسبب وسائل الاعلام الرخيصة ، غير انـه لا يلبث ان يعود هباء منثورا .. وفئة اخرى لا تفتر بمـا يكتب عنها او تجد اسماءها تتردد على الالسن ويتكـرر ظهورها في الصحف والمجلات .. انها ماضية في الدرس والمطالعة التي تضيف الى رصيدهـا الثقافي ارصـدة جديدة تعينها في مجالاتها الفكرية التي نذرت نفسها لها .. ولقد عرفت في حياتي الفكرية عددا غير قليل مـن أفراد هذه الفئة كان يندفع في حماسة بالغة نحو تعلـم لغة او اكثر من اللغات الاجنبية ، وهو في سن غير مبكرة ابتغاء الوقوف على قدم ثابتة في مجـالات الفكر التـي لا ترحم عواصفها . واخال ان افراد هذه الفئة سيكتـب لهم التوفيق والنجاح والخلد ، ما داموا واثقين من انفسهم مؤمنين برسالتهم ..

شـعلة لـن تخبـو :

وبعد ... أوليس ثمة شعاع من نور لمحتموه مـن خلال عرضي عليكم شخصية فقيدنا « اورخان ميسر » ونظرته الى الادب والنقد ؟ .. انه عندي الشعاع الذي سيظل ينير دروبنا ما بقيت الحياة مستمرة في صعودها الحضاري .. تلك الحضارة التي قدسها « أورخـان » في حياته كما لم تقدس اية ظاهرة من الظاهرات المبدعة التي تجسد الحق والخير والجمال .

ولشد ما ساءلت نفسي : ترى .. اين الجامـع المشترك الذي يوحد بين موقف اديـب امضى عمـره يصور الحياة تصويرا صادقا ، ويعبر عن وعي امته تعبيرا صادقا كذلك وبين موقفنا نحن الذين هالنا غياب هـذا الاديـب ؟

ان ثمة فرضية نفترضها في اديبنا الغائب هي ان مجرد وجوده يؤكد ارتباطه بحياتنا فكريا وعاطفيـا وان ثمة فرضية ثانية يفترضها تاريخنا الادبي المعاصر تبدو في ارتباطه به فكريا وعاطفيا كذلك . بهاتين الفرضيتين يسهل علينا استيعاب دور الاديب في حياتنا وتاريخنـا الادبي ، ويسمح لشاعرنا بمصاحبة هذا الدور والانطلاق منه نحو تقويمه واحلاله المحل اللائق به .. فقضيتنـا اذن ليست قضية اصطفاء بقدر ما هي قضية تقويم . قضية كشف عن هوية كانت بالامس تحمـي نفسهـا بالمحافظة على ارتباطاتها الفكرية والحياتية معا ، وأمست اليوم وليس من يحميها الا ابداعها وحـده الـذي فرض نفسه على الحياة وما بعد الحياة ، وعلى الحاضر الـذي عاش حقبة منه ، وعلى المستقبل القريب والبعيد ..

اغنيـة للعيد

يـا واهـب البشر والامـال للبشر ... ما لي ارى الدمعة الخرساء في بصري
ما لي ارى اللوعـة السوداء جاثمـة ... في دفتر العمر، في دنياي، في قدري
عشرون حقل جليـد مقفر زرعـت ... كف الزمان ولم احصد سوى ضجري
عشرون بذرة احـلام مجنحـة ... رويتها من دمي ... ماتت ولم أثر
وقلت للنفس مهلا عل زهـر غـدي ... ينمو، وعل الاماني الخضر في سفري
ركبت خيل سنيني المجهضات دمـا ... وحاصب الريح تذري عزة الشجر
وسرت فـي غابة الايـام مرتحـلا ... وربة الشعر تنزو الدمع في الفكـر
فهل جنيت من الاسفار يا املـي ... في رحلة العمر غير اليأس والخور
يا زارع الورد في ثغر الصغار ومـا ... اهديتني زهرة يزهو بها صغـري
لا تقتل البسمة الخضراء في شفتي ... وهاتها مزنة تروي صدى كبـري

بعقوبة ـ العراق — هادي الربيعي

وفـاء :

ليس من شك في ان « اورخان ميسر » الاديـب والناقد قد خلف لنا آثارا جمة مبثوثة في ثنايا الصحف والمجلات ، استقطبت كل تجربته فـي الادب والفكـر والحياة ، والمت بكامل تعبيره الحر عن وعيه ووعي امته ، فمن حقه علينا ان نجمع شتاتها فننشره على الملأ لندل على وفائنا له ، واعجابنا بالدور الذي اداه فشف عن امكانات دعمت ادبنا وفكرنا المعاصرين ، وبعثتهما على النمـاء والتجديد .. اوليست التجربة والتعبير عنها بصـدق صورة من صور الحياة ؟

اوليس الحفاظ على الصورة حفاظا علـى الحيـاة نفسهـا ؟

وهل ثمة احوج منا اليوم على حياتنا ، على فكرنا ، وبالتالي على وجودنا ؟

ان « اورخان ميسر » ما كان بالنسبة لنا شخصا ، بل كان مناخا ، مناخا فكريا لا نبرح نستمتع بجوه ومـا اشبهه بالفيلسوف « رافيسون » الـذي قـال عنـه « برغسون » في رثائه : « كان اقل الناس محاولة للتأثير في الآخريـن .. بيد ان روحـه كانت اكثر تمردا علـى على سلطان الاخرين بطريقة طبيعية هادئة قوية » ..

قد يكون « اورخان » لدى عارفيه اقل الناس تأثيرا في الاخرين .. بيد ان روحه كانت كانت اكثر تمردا على سلطانهم ، لانها ظلت طبيعية هادئة قوية ، ومرد ذلك الى انه كان واسع الخلق رحب الاناة ، صفت نفسه من شوائب الخيلاء ، ومقابح الزهو والكبر ، لم يثن طرفه عن الرقـة لمن اخلص لهم الود واخلصوا له ، وذلك دليل على استواء خلقه ، وحسن تقويمه ..

حسبي ان استعير الساعة ما قاله في رثاء صديـق له ابان فيه عن نفسه بقدر ما اشار به الى صديقه :

لـن تغيـب
ان هيولاك ستظل تتفتح مع كل برعم خير
وستبقى تحتضن كل صراع ينثر المجد والبطولة
وستدوم تنبض في كل زند يبني الحياة

واذ بح صوتك في تراتيلك التي رددتها في اورقـة معبدك الاصم ، وابتلع ضباب البخور الخدر هذه البحة فان همسا ناعما من ندائـك المغلف بالنشـوة والحسرة والتوق سيمضي ابدا يضم كل صدى مئذنة او يعانق كل اهتزاز ناقوس . اما رؤاك التي صبغت دماها من جبلـة يأسك المشرق ، ومن ذوب الملك الذي تاه ، وهو يحيـل الآهة بسمة ، والانة نغمـة .. رؤاك هـذه ستبقـى في حلقات دبكاتنا عروسها التي تلهم المزمار ، تلهب الرقص، وتلوح للفجر ان يغفو ! ..

اجل .. لن يغيب « اورخان ميسر » الذي كـان بيننا طاهر القلب ، سري الخلـق ، حر الضمير ، حـر التفكير ، لان هيولاه ستظل تتفتح مع كل برعم خيـر ، وستبقى محتضنة كل صراع ينثر المجد والبطولة، وستدوم تنبض في كل زند يبني الحياة ، وفي كل فكر يسمو بها !

دمشق — سعد صائب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بطاقات شوق للقنيطرة

عزيزتي القنيطره :
ـ تحية ، وبعد :
لئن سألت عن فتاك يا مدينتي ،
فانني ، يثيرني الحنين ..
يداي تذهبان في المسا اليك
لتمسحا جرحك الثخين ..

ـ لئن بعدت الآن يا حبيبتي ،
وغامت الكروم خلف كومة الحجاره
لئن تعبت اليوم من كثافة الظلام
لئن تهاوت من وراءك التلال والحقول
فأنت تصمدين
لاجل ان تنتصر الحضاره ..

قنيطره ، حبيبتي :
يداي من اعماق خندقي تلوح
وانت في مشابك الرصاص تومئين لي
وقلبك الجريح
لا ينثني يدق في خواصر النهار
يفيىء كل دار
ويبتني لكل أصيد مزار ..

عزيزتي قنيطرة ،
ما زلت أنت ، أنت يا مدينتي ، مسيطره
لان في سمائك البعيدة القريبه
تشع لي في الافق نجمة الرجوع
يشرش النداء كالجذوع
لأن في قرميدك الملون الحزين
يا حبيبتي ..
نقشت سمت عودتي
وانت من نوافذ الصباح ، ترقبينني ..
أجيىء في مواسم الرياح
وتحضنينني ...

اليك يا مدينة الصمود ، تحيتي
فانني من ها هنا
من لفتة المفارق
أقول للرفاق في مداخل الخنادق
تكاتفوا ، وأطلقوا الرصاص في منابت الرمد

عزيزتي القنيطره :
تحية وشوق
اليك من دمشق ،
حنين كل والد له ولد
في ظاهر البلد
ينتظر الاشاره
لاجل ان تنتصر الحضاره ..

ـ سمعت مرة :
وانت تؤسرين يا حبيبتي ـ
وجيبك الحزين
ووجهك المشمس الرزين ،
مخمشا ، في قسوة ، ملقى
على الحزون ..
لكنني ـ أثارني الانين ـ
فاظلم القمر ..

وبعد يا قنيطره
يا نجمة تشع في سمائها المسيطره
سحابة ، تحملني ، وتبذر المطر
لنلتقي ، ويزهر القمر
عيناى تذهبان في المسا اليك
كنجمتي حنين ..
يا قنيطره ..

دمشق

اسماعيل عامود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احمد راسم الشاعر الناقد

في الذكرى العاشرة لوفاته

بقلم نقولا يوسف

* * *

اشتهر احمد راسم ـ الشاعر الناقد ، العربي المصري السكندري ـ بشعره الفرنسي المرسل ونقداته الفنية ، منذ فجر حياته التي انتهت في يناير ١٩٥٨ ، وشغلت كتاباته عددا من النقاد في بلاده وخارجها ، وترجم بعض شعره الى العربية واليونانية ولغات اخرى (١) .. ثم احتجبت مؤلفاته في مكتبات الاصدقاء بعد ان توارى عن المجتمع الذي كان من نجومه ، وكان قد نشر معظمها بالفرنسية ، فلم يتذوقها غير القليل من الملمين بهذه اللغة ..

وكان احمد راسم ثمرة من ثمرات مدرسة الثقافة الفرنسية التي ظهرت بمصر وبعض الاقطار العربية الاخرى منذ أوائل القرن التاسع عشر ـ اي منذ ان بدأت الصلات المباشرة بفرنسا ولغتها وثقافتها في اثناء حملة نابليون على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) وما اعقبها ـ في حكم محمد علي وخلفائه ـ من بعثات تعليمية الى فرنسا ، وانشاء معاهد فرنسية في ربوع الشرق العربي تثقف فيها عدد وافر من ابنائه ... وكان منهم ذوو المواهب الادبية ممن عبروا في هذه اللغة التي اجادوا التعبير بها كتابة وحديثا عن الهاماتهم الشعرية والقصصية وشتى فروع الادب .. وكان نتاجهم الادبي يفيض ويتوالى حتى لتستطيع ان تحصي في النصف الاول من القرن العشرين ـ من ثمار الشعر الى جانب مصنفاتهم النثرية المنوعة الاخرى في هذه اللغة .. وجلها مكتوب بأسلوب بليغ رشيق ـ فالمعروف عن الشرقي موهبته في حذق اللغات الاجنبية ـ وبذلك كانوا سفراء للروح الشرقي العربي لدى الغربيين.. فلما ان كثرت اليوم المدارس العربية ، وتضاعف عدد المتعلمين والكتاب والقراء في اللغة العربية ، واتسعت حركة الترجمة اليها ، ومنها ترجمة مؤلفات الادباء العرب المكتوبة بلغات اجنبية ، استطاع مواطنوهم ان يطلعوا عليها في لغتهم كما اطلع عليها ابناء اللغات الاخرى ، وكان النفع مزدوجا ...

ولد الشاعر احمد راسم بالاسكندرية عام ١٨٩٥ ، ونشأ في اسرة كبيرة تصاهرت مع بعض الاسر التركية بمصر .. وبرز افراد منها في الفنون والاداب ـ مثل ابن خاله وزميل صباه ـ محمود سعيد ـ رائد الفن التشكيلي (١٨٩٧ ـ ١٩٦٤) كما تقلد نفر منها المناصب الحكومية العالية .. وتعلم شاعرنا بالمدارس الفرنسية ، وتلقى العربية على استاذ خاص ، والتحق بمدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية وحاز شهادة « البكالوريا » ، ثم درس القانون « بمدرسة الحقوق الفرنسية » ونال اجازتها ، وارادت اسرته ان تلحقه بوظائف السلك القضائي التي تؤهله للمناصب الرفيعة ، ولكنه فضل الاشتغال بالادب والفن ، واكب على مطالعة الكتب الادبية والفلسفية والعلمية .. ثم قبل العمل في مناصب ثقافية تتفق مع نزعته الادبية حين رأت حكومات بلاده ان تنتفع بمواهبه ، فاوفدته بعد الحرب العالمية الاولى ملحقا ثقافيا بالسفارات المصرية في عواصم ايطاليا واسبانيا وتشيكوسلوفاكيا .. فكان يطلع هناك على مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية ، ويصور انطباعاتها في شعره ..

ثم عاد الى وطنه عام ١٩٢٨ فقلد منصب « السكرتير العام » لرئاسة مجلس الوزراء ، فوكيلا لمحافظة القاهرة فمحافظا لمدينة السويس (١٩٤١) ثم اعتزل الوظائف جميعاً بعد هذه الاعمال والتنقلات، ليتفرغ للادب وحده حتى وفاته في يناير ١٩٥٨ ، ولو انه لم يهجر الادب والقلم خلال تلك الوظائف ، ولم يلهه الادب عن القيام بمهام واجباته ، فعرف في بلاده وخارجها بوطنيته والاعتزاز بشرقيته وعروبته ـ وكان يضع دائما مصلحة وطنه ومواطنيه فوق كل اعتبار ـ وكان لذلك موضع تقدير المواطنين والاجانب جميعا . .

وكان في نحو العشرين من العمر حينما نشر كتابا بالعربية سماه: « الدين والانسان » ـ (طبع بالاسكندرية عام ١٩١٦ ـ وكتب على غلافه : الجزء الاول ـ وضع بالفرنسية ثم ترجم وروجع) .. ووضعه في قالب حوار قصصي تتخلله صور واوصاف فكهة ـ بين فيلسوف مادي ملحد ، وشاب روحاني مؤمن .. ويرد في سياق المناظرة عدد من اسماء الفلاسفة وبعض النظريات الفلكية ، والاراء العلمية والتجارب الكيماوية .. وفي النهاية يقول الشاب لمناظره : «اعذرني اذا الجأتني المناظرة لمخالفتك في جميع آرائك . فهذا لا يمنعني من احترام افكارك بالرغم من تمسكي بالايمان الذي يشترك معي فيه السواد الاعظم من الناس ـ عظيمهم وحقيرهم ، عالمهم وجاهلهم . ونحن قانعون بما لدينا من الادلة والبراهين على وجود الله ـ اذ لم يقم للآن برهان صحيح ينفي وجوده . وبعبارة اوضح اقول لله اني لست متعصبا ، بل اني مستعد ان اخضع لك في تغيير معتقدي ان امكنك ان تقيم برهانا ناصعا على صحة دعواك ـ لا كما فعلت الليلة من اطالة القول بلا جدوى ولا نتوج ! اكرر لك قولي اني ثابت على ايماني ، فبرهن لي على فساد حسي وشعوري ببرهان يقبله العقل ، اصير ماديا مثلك » .

ويدل هذا الكتيب الباكر على اهتمامات هذا الاديب بالمسائل الفلسفية والعلمية منذ صباه ، وايضا بترجيح الايمان والروحانية على الالحاد والمادية ، ثم على النزعة الشعرية التي كانت تلازمه منذ كتاباته الباكرة ، فتراه مثلا يصف البحر في هذا الكتيب بقوله : « .. فارقته وركبت عربة قافلا الى بيتي ، متخذا طريقي رصيف البحر ، كان البحر اذ ذاك ساكنا كانه مخلوق عظيم انهكه التعب فاستلقى على ظهره يستنشق الهواء العليل ، شاخصا ببصره الى السماء التي اخذت زخرفها وتزينت بتوائم النجوم ، وما يحوط ذلك من جمال وبهاء . وبين برهة واخرى يجري في قبة الافق شهاب فيخترط قوسا يخترق ظلمة الليل ، وتستنير به زرقة السماء فتزداد جمالا .. »

وفي العشرين ايضا كان احمد راسم يتردد على مرسم الفنان « ارتورو زانييري » بالاسكندرية (فيما بين ١٩١٦ ـ ١٩١٨) ليتمرس بفن التصوير ، مع بعض اصحابه الشباب ومنهم الفنان محمود سعيد، وابراهيم راتب ، وسباستي ... حتى قضت ظروف بان يغلق المرسم بعد ثلاث سنوات ..

كما بدأ يتعرف الى الاوساط الادبية الاوروبية ـ المنتشرة يومذاك بالاسكندرية ـ وكانت اللغة الفرنسية التي يجيدها همزة الوصل بين تلك المنتديات الاوروبية المختلفة اللغات .. ثم عرف بعض الصحف والمجلات الفرنسية ومنها مجلة « مصر الحديثة » و « الصحيفة المصرية الاسبوعية » ـ فأخذ ينشر بها بواكير شعره الفرنسي الذي ضمنه على مر السنين خمس عشرة مجموعة ، كانت تصدر تباعا حاملة هذه العناوين : ـ « كتاب نيسان » ١٩٢٧ و « جدتي تقول ايضا .. » ١٩٣٠ (وكانت هذه المجموعة الاخيرة ضمن كتاب نيسان ثم طبعت على حدة) .. و « الابتسامة الاخيرة ليسوع » ١٩٣١ (وهي من وحي مدينة براغ) و « زمبول تقول ايضا » ١٩٣٢ و « سقت حماري » ١٩٣٥ و « مهبول عتاقة » ١٩٤١ و « في الحديقة العتيقة » ١٩٤١ (وهذه الاخيرة مجموعة من سابقاتها)و « الكتبي الصغير الاستاذ علي» ١٩٤٣ و « نثر لا جدوى منه » ١٩٤٩ و « ملك » ١٩٥١ و « حاتم الطائي » ١٩٥١ و « نوال » ١٩٥٢ و « نهى » ١٩٥٣ و « سامية »

١٩٥٤ و « يوميات مصور خائب » ١٩٥٤ و « صحف مختارة » ج ١ ـ ١٩٥٤ (وتوجت الاكاديمية الفرنسية بباريس هذا الكتاب الاخير في ذلك العام) ...

وكان قد اصدر عام ١٩٥٢ كتابا سماه : « عنـد تاجر المسك » ترجم فيه الف مثل وحكمة عربية الى اللغة الفرنسية ، هادفا الى تعريف الغرب بحكمة الشرق ..

وكتب بالفرنسية مقالات نقدية لبعض الشعراء ، وقدم ديوان الشاعرة « كوليت نيفين » ١٩٤٧ احدى شاعرات المدرسة الفرنسية بمصر ..

وفي لغته العربية اصدر غير كتابه السالف الذكر : « الدين والانسان » ١٩١٦ ـ كتاب : «الحديقة المهجورة» ومسرحية «السكرتير الفني » وكتابه في النقد الفني : « الظلال » الذي نقد فيه اعمال بعض الشعراء والمصورين من معاصريه مثل : الفنانين احمد صبري ، والتلمساني ، وصباغ ... والشعراء موسكاتيلي ، وفيشتر ، ورؤول بارم ... وغيرهم ويعد بهذا الكتاب من رواد النقد الفني ـ وكان في نقده يبدي آراءه الخاصة في الاتجاهات الفنية الحديثة ، وفي حركة التجديد التي لا تستدعي في مذهبه نبذ التراث القديم ، والمبالغة في محاكاة كل جديد . ومن ذلك قوله في كلمة عن المصور احمد صبري : (٢) وكان في هذا معبرا عن اتجاهه في ادبه الجامع بين الجديد والتراث الشعبي ..

« .. ما من احد ينكر ان المدنية الحالية استلزمت كثيرا من التطور ، فطفت بمستحدثاتها على كل قديم خصوصا بعد حرب سنة ١٩١٤ ، فقد شمل التجديد مختلف نواحي الحياة ، وامتد الى مقومات الثقافة من علم وفن وادب . ولكن التطور ان كان من مقتضياته نبذ القديم كلية في ميدان ما ، فانه في ميدان الفنون مثلا يصعب النيل من تراث لها تساندت الاجيال المتعاقبة على ابداعه ، ولقي في كل جيل منها ما يعززه ويزيده قوة ومناعة . ثم هو في الوقت نفسه خالد خلود الالهام والحس والوجدان ، ومجموعة المشاعر المودعة فيه ، والتي تغذيه بالحياة . غاب ذلك عن اولئك الذين ظنوا ان في الفن مجالا لبطولة يقتضونها باحداث تطور فيه ، يشبه تطورات الحضارة الحالية في عنفها وسرعتها والانقلاب الذي تحدثه ، فجاهدوا في ابتكار نظريات في الفن ـ كل ما يمكن ان توصف به انها تجديد ـ ولكن على هامش الفن ـ اي على غير اساس من التعمق فيه والتمكن من اسراره » ..

وفي البيئة السكندرية البحرية ، بخصائصها الجمالية والاجتماعية حيث ولد احمد راسم ونشأ وتعلم ، وخالط الادباء والفنانين من شتى الاجناس ، وقضى طفولته وصباه بين اسرة شرقية محافظة تبلورت شاعريته ، وانعكست على قصائده الباكرة مثل : « وجدتي تقول ايضا .. » و « زمبول تقول ايضا .. » و « احمد يقول .. » ـ وكلها تصور طفولته ، وكانت جدته هذه جركسية حسناء تسمى « رنججيل » ـ كلمة تركية تعني لون الورد ـ يهدي اليها ديوانه « كتاب نيسان » ١٩٢٧ بقوله : « الى جدتي رنججيل ـ من كانت جميلة وتحب صور السحب ، ومن تطوي الان يداها العجوزان في سلام الله . » واما زمبول فاسم خادمة الاسرة العجوز ، واحمد هو الشاعر الصبي .. ثم

(١) ترجم له الياس ابو شبكة وغنطوس الرامي والبير اديب عدة قصائد (مجلة الاديب ١٩٤٢ و١٩٤٣) ، وترجمت الشاعرة اليونانية السكندرية اليزابيت بساراس نحو عشرين قصيدة لاحمد راسم من الفرنسية الى اليونانية في مجموعتها « المزمار الغريب » ١٩٥٤ .
(٢) مجلة الهلال فبراير ١٩٤٨ . (٣) شعراء بمصر لجان مسكاتيللي الاسكندرية ١٩٥٥ ص ٥٥ ـ ٦٥ . (٤) المجلة الجديدة بالقاهرة ديسمبر ١٩٤١ مقالة لحليم متري .. وللدكتور زكي المحاسني مقالة عن احمد راسم بالاديب ١٩٦٤ .



احمد راسم

•

تصادفك في هذه القصائد القصصية اسماء عربية كالست حنيفة واحسان هانم وسليمة واقبال .. واسماء مساجد واماكن والفاظ عربية ، تتناثر في السياق الفرنسي وتضفي عليه جوا شرقيا وروحا عربيا ومرحا شعبيا صادرا عن شاعر شرقي صميم . .

ويشبه الناقد الفرنسي لوسيين الدبير (في مقدمته التحليلية لديوان احمد راسم : « في الحديقة العتيقة » ١٩٤١) تفتح هذه الروح السكندرية في شاعرنا منذ نشأته الاولى في تلك البيئة المحافظة وانعكاس مؤثراتها على اشعاره الباكرة بقوله : « ... ومثلما تتجمع عناصر الضوء السبعة في شعاع ابيض نهارا ، وتتحلل على وجه الماسة الى الوان قوس قزح ، وتنطلق في حزمة من الالوان لا يفصل احدها عن الاخر غير لون خافت ، هكذا كان تفتح الروح السكندري لاحمد راسم ، فان شعاع البهجة الابيض ، او ما يماثله من العناصر الخالدة

لشعر الحب ، ينتشر على الفور مثل مروحة من الصور المتألقة .. كما كان هذا الروح ينبعث من سلالة ظل نساؤها طويلا لا يتذوقن الحياة الا فيما يدور باحلامهن في اعماق القصور المزدوجة الرتاج : «بالمشربيات» العربية الطراز ، وبالسياج الكثيف المرصع بالياسمين المتراخي . هي نافذة تزيد القنوط ثقلا على القلب المعتكف .. ثم لا يلبث حفيد «رنججيل» ان يبلغ عهدا تبدأ فيه الصبايا حوله في استرواح الحريات البريئة والمعارة من الحياة الغربية .. ومن ثم فان « الاشعار القديمة » تستظل بالحنين في رقة وفي وقت يتألق فيه الحب المراهق .. » !!

ثم شب الشاعر ، وعرف الحياة ، وعرف الحب .. وزادت معرفته ببلاده وبما وراء بلاده .. وتدفقت اشعاره من ينابيع الانسانية جميعا.

ومن وحي بلاده كتب عشرات القصائد ونرى في مجموعة سماها : « اشعار من مصر » قصائد تحمل هذه العناوين : الساقية ، سقت حماري (خلال دغل من النخيل) ، الجار الفقير ، المهد الحزين، مرثاة، المقعد رقم ٢٢٣ ، حاتم الطائي ، وابور الزلط ، مسكن واحد ، التاكسي رقم ٣٩٠٢ ... ويستوحي قصيدته او قصته الشعرية : « مهبول عتاقه » من جبل عتاقة بالسويس ، وبطلها زاهد يضرب في الصحراء ويسكن كوخا عتيقا مع ذكريات حبيبته الغائبة ـ (على طريقة مجنون ليلى) ...

وفي رأي الشاعر جان موسكاتيلي (في تقديمه لمختارات من شعر احمد راسم في « مجموعة : « شعراء من مصر » ١٩٥٥ (٣) : ـ

« احمد راسم اكثر الشعراء مصرية بين من كتبوا بالفرنسية ، واكثرهم شهرة وشعبية . وان المرء ليكشف في مؤلفاته المتعددة عن بواطن بلاده ، حيث لم يتفن سواه من قبل بغير ظواهرها . وكان عليه كيما يوفق بين آراء القدماء والمحدثين ، في تنازعها الدائم ، ان يقدم منها مزيجا مقبول المذاق او كما يقول ايليان فينبير : مزيجا من الثقافة الاسلامية الرفيعة ، ومن ثقافة الغرب الاقل شفافية .. وهو الى جانب عمله الشعري جمع الف مثل عربي ترجمها الى الفرنسية ، وقام بهذا العمل في غيرة ودقة ، وارضى به عشاق الادب الشعبي المهتمين به في بلده .. واذا كان شعر احمد راسم يذكر « فينبير » بشعر فيليب سوبولت (الشاعر الفرنسي) فالواقع ان في شعر راسم شرقية تذكر بحافظ الشيرازي والخيام مع فرض انهما نزودا بقراءة الشعراء السيرياليين بباريس ! !» .

وكان الناقد الفرنسي ايليان فينبير كتب مقدمة تحليلية لديوان احمد راسم المسمى « كتاب نيسان » ١٩٢٧ ومما جاء بها :

« كان ذلك فيما اذكر بناحية المكس بالاسكندرية في البيت الريفي المنفرد الذي سكنه الشاعر هنري تويل .. حين سألني هذا الشاعر مرة : « هل تعرف احمد راسم ؟ الم تلتق به قط ؟ يا له من نخلة بديعة ! » .. ولقد عرفت راسم بعد ذلك ، والحق ان له قامة من اروع قامات بلاده ، قوام ممشوق كاحدى النخلات التي تحف بضفاف النيل .. غير ان هناك ما هو اكثر ، فقد ترامت النخلة الى ما هو ابعد من جسدها ، والى ما هو اعمق من روحها ، وامست سمة فحسب .. وتحولت الى مصنع عجيب تدور فيه الف الة تكرير ، واتخذت الحياة الداخلية منها هذا القالب .. وصدرت هذه العاطفة المنظومة مباشرة من هذا الجذع .. »

ويقول في شعره : « ان هذه الغنائية (الليريكية) في استمداد مادتها من الطبيعة ، لم تعتمد على الاخيلة وتداعي المعاني ، فان ترسم الخطى القديمة ظاهر متعدد .. وهناك عناية في البحث والتنقيب .. وكأنما هناك سارية هوائية .. تتلمس وتلتقط الفا من الممكنات .. ثم هذا المزيج من الثقافتين الاسلامية والغربية .. فهنا تياران مزدوجان استطاعا مزج قواهما المتضادة في حذق ومهارة ، والتغلغل في ارض عميقة .. ثم اليك ما هو اجمل ـ فهنا شعر محلي مطبوع بروح الشعب ـ هو اسهام في « الفولكلور » المصري .. وهنا يسيطر الجو، وهنا حرارة معهودة ، واريج خاص يسري في كل الانسجة ، وسماء معينة ، ونهر مفضل .. وليس هنا نقش زخرفي خارج عن نطاق المكان والزمان .. وليس هذا الشعر مصريا بصوره الريفية فحسب ، بل ايضا بالتوقيع المنغم ، وبالمثل والحكمة ، وبالعادات المترجمة الى فرنسية طارئة ـ ذات بساطة وجلاء ـ ما يجتذب اليه الروح الاجنبية».

وكانت رحلات راسم في ربوع اوروبا واقامته للعمل في روما ومدريد وبراغ ـ محركا جديدا الهمه عددا من القصائد البديعة ـ فمن وحي اسبانيا كتب : كونشيتا ، مروخا القرطبية ، البهلوان ، السيرك، صورا من الطريق ، من نساء اسبانيا ، ارتداد .. ومن براغ : اين انت ، ٢٣ تحت الصفر ، امواج ، أوتيلي ، وداع ، في الكنيسة ، الابتسامة الاخيرة ليسوع ..

ويميل احمد راسم ـ في جل قصائده الفرنسية ـ الى اساليب الشعر المرسل ، والشعر الحر ، والشعر المنثور .. ولم يتقيد كثيرا بالقوافي والنظم العمودي .. وخرج بعض قصائده في شكل مقالات وقصص شعرية ، تتقطع سطورها وترتبط بوحدة المعنى .. وتتجه دائما الى الابتكار في الفكرة والاسلوب ..

وشعره ـ من وجهة عامة ـ مشحون بعاطفة متوثبة ، وخيال لطيف لايشتط ولا يجمح، ولا يغوص في الابهام والغموض .. وسخريته دعابة رقيقة .. وغزله لا يسف ولا يتماجن .. وصوره : الانسان في دروب حياته وعمله وكفاحه ، في الطريق والدكان والمعبد والبيت والملهى وفي الحقل والصحراء .. واينما كان ..

ولهذا فشعره الفرنسي اذا ما ترجم الى العربية لا يفقد موسيقيته ومعناه ..

« .. يقول الكاتب الفرنسي كلود افلين في كتابه : « النزهة المصرية » (٤) ان مطرانا شاعر مصري ادخل في العربية اسلوبا وافكارا غربية ، كما ان احمد راسم ادخل في الفرنسية طائفة من التشبيهات والاستعارات والكنايات ـ بل لقد استحدث اسلوبا جديدا في الادب الفرنسي .. اما اسلوبه الادبي فهو اسلوب الشاعر الذي يهز القلب والعقل معا . فهو لا يتحدث الى العاطفة بخياله والهاماته ، ويتحدث الى العقل بمنحى تفكيره الخاص ، وبمنطقه القائم على الاستنتاج .. وقد قدم طه حسين كتابه عن المتنبي الى احمد راسم بهذه الكلمة : هذا الكتاب اقدمه ذكرى لشعركم الممتاز » .

الاسكندرية — نقولا يوسف

بوح

أيا همسة الصبح فوق الندى
تغني الشروق اغاني المدى
وتنثر عطر زهور الحياة
كحب عميق كوقع الصدى
فتشدو للحن العطاء المثير
وتهفو لجرس بهي بدا
وتحضر لمح النهار لحسن
لسحر جميل المعاني شدا
أيا همسة الصبح هام خيالي
ولم تمض ذكرى نهاري سدى

سورية — محمد خالد رمضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

الصواب لا يخفى

رأيته ساهما حائرا كأنما هويته في صحراء لا بداية لها ولا نهاية ، وقد اغلقت في وجهه المسالك ، وسدت بين يديه مسارب النجاة ، فقلت له : ماذا بك ؟ ان وجهك يوشك ان يكون صفحة قاتمة ، يقرأ فيها من يشاهدك آلام الناس جميعا ، ومصائب الدهر كاملة غير منقوصة ، فماذا نزل بك .. اخبرني .

فقال : ومالي لا اكون كذلك وقد اضعت كل أمل ، وفقدت كل رجاء ، ولم يعد لي اي مطمع فيما يتطلع اليه الناس من مفاجآت ..

قلت : وكيف كان ذلك ؟ .

فقال : انه كان لي من الطموح ما لا حدود له ، وقد حملني على ان اضرب في آفاق الارض سعيا وراء الكسب، وانا اطمع ان اعود بمثل ما عاد به سواي من المغامرين الذين حالفهم النجاح والفوز ، فعادوا بالسعة والرخاء ..

وتنقلت في مختلف الآفاق ، وكان حليفي اينما توجهت ان اجد الابواب موصدة ، على نحو يدعو الى العجب ، ويثير الدهشة ، فكأنما اعلن القدر في وجهي حربه الشعواء ، بل كأنما تواصى هؤلاء الذين اتصلت بهم جميعا بأن لا يقسموا بين يدي مجالا ..

وعدت ـ يا اخي ـ ادراجي ، بعد ان اعيتني الحيلة ، ولم اترك طريقا الا سلكته وانا صفر اليدين من كل شيء ..

عدت لكي انزوي في عقر داري ، وقد خمد في نفسي كل نشاط ، وخبا فيها كل طموح فهل تريدني بعد ذلك كله ان افعل غير هذا ؟ ..

قلت : انك حر فيما تفعله ، وليس لي سلطان عليك، لكي احملك على ما ابتغي ولكني اريد ان اذكرك بحكمة مأثورة عن « تولستوي » يعمل فيها :

« ان الشيء المفزع حقا ليس هو الموت ، وانما هو الحياة التي لا تصحبها آمال فتلك في عرف الناس حياة بينما هي في الحقيقة والواقع شر من الموت .. »

ذلك ما اذكرك به .. وبعدها ـ يا اعزك الله ـ لك ان تمضي في غلوائك الى ما لا نهاية ، ولك ـ ان شئت ـ كذلك ان تتريث في الامر ، فتنظر الى ما حولك ، لترى على مقربة منك ، وفي كل منحى تتجه اليه ، بوادر الامل وعلائم الاستبشار .

اجل .. لك ان تتخير احد السبيلين ، فتسلكه لا تنحاز عنه ، ولكن عليك ان تذكر ذلك قبل ان تفعل ذلك ، ان الصواب لا يخفى على ذي عينين ..

انه الشيطان

قال وهو ينظر الي نظرة التحدي والاستفزاز : من هو ذاك الذي لا يحبه احد ؟!

قلت : يا سبحان الله .. كأني بك قد تلبستك روح معلم ، فتوهمتني احد طلابك فجئت تختبرني لتحكم علي. أجل كأني بك هذا شأنك ، وانت تسألني متحديا مستثيرا، مثل سؤالك هذا ، وما ادري كيف ادلك على ذاك الذي لا يحبه احد !! .. الا ترى معي انه الشيطان ، وليس احد عداه ؟! ..

وابتسم صاحبي ، وتبدت في وجهه بشائر الغبطة، وكانما هو يمسك بي متلبسا بجريمة (الفش) في الامتحان ، ثم جعل يهز رأسه ذات اليمين وذات الشمال، وهو يقول : كلا .. كلا .. ليس هو الشيطان ، ان هذا تعبير عتيق ، ما ادري كيف يجري على لسانك !! .. لماذا لا تقول :

ان الذي لا يحبه احد ، هو ذاك المتعاظم ، الذي يسير في الطريق ، وهو يوشك ان لا يتسع له ، غرورا منه واختيالا ، ثم هو لا يرى الا نفسه ، يتحدث عنها ما اتسع له المجال فاذا لم يتسع هذا المجال بين يديه ، اوجده لنفسه اعتباطا وتحديا ، فاقتحم على كل متحدث، يسكته ويسفه رأيه ، ويعلو عليه بصوته الجهوري ليتشدق بالحديث عن نفسه وعن نفسه دون سواها ، وانه لا يفرغ من هذا الحديث ابدا . واما جلائل اعماله ، وامجاده التي لا نهاية لها ، فتلك التي لا يتسع لها حديثه مهما طال وتشعب ..

والويل كل الويل لمن يعترض على ذلك ، او يتساءل فيه عن بداية او نهاية . انه اذن يلبس من صفات الذم ما لا يحصيه عد ، ولا يحيط به حصر ، ولا يدخل في حسبان !!

واذا سأله سائل عن زيد او عبيد ..

واذا ما سأله سائل عن ذلك ، رأيته يفيض بالحديث كالموج الصاخب ليبين من معايبه ما يذهل سائله ويثير دهشته .

ذاك ـ يا اعزك الله ـ هو الذي لا يحبه احد ، لانه لا يحب احدا غير نفسه ولا يجد في الناس رجلا يستحق ان يذكر بخير عداه ، بل لا يجد فيهم رجلا ، لا يلصق به عيبا ، او يبتكر له علة .. !!

قلت : ومثل هذا جدير ان تسميه بين الناس شيطانا ، ما دام لا يجد في من يعاشرهم موضعا للخير . وهل كان (شياطين العرب) الا اناسا اشرارا ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين الامس واليوم

بالامس كنت وردة حمراء
ضاحكة في ربوة النقاء
يهفو اليك الحب والرجاء
والامل البريء والضياء
وكنت تحت زرقة السماء
في أول الربيع
مورد وجد دائم الصفاء
للطير والانسام والمياه
وللحياه !
بالامس كنت في فم النجوم
أغنية تجاوب الاقمار
تفتح الف باب مستحيل
في ظلمات الليل
كنت شراعا ابيضا جميل
يمخر في بحيرة اللحون
وحولك الفتون

يعطر الشواطىء الزرقاء
والقصب الحالم بالفراش والسكون
واليوم بعد ان مضت عشرون
سود ، وشاهت الظنون
أراك في سجون
يقيننا المشوه الحزين
ذابلة ياكل قلبك الذباب
ضائعة العينين
في لجج السراب
تدوس تاجك المذهب القديم
قوافل المسافرين
كانما لم تكن الدروب
حالية تغري بأن يموت
فيها السعيد والمعذب الكئيب

دمشق — رضوان عقل

فقال وكأنما ارضاه تأويلي : ان كنت اردت ذلك فأنت لم تخطيء ..

اليوم المنتظر ..

يا اخي القارىء ، انها اسماء غريبة من نوع ما الفنا من مثله ، ولا تردد على الشفاه بيننا ، فتخيل ـ ان شئت ـ متحدثا يقول لك : « عميروش .. زيغود .. ديدوش .. المهيدي » !!

تخيل متحدثا يلقى في سمعك مثل هذه الاسماء ، اتراك تعرف شيئا عنها .. ؟ أتراك تجد في ذهنك ما يذكرك بحادثة من التاريخ ، او مشهد من المشاهد ، او خبر من الاخبار ؟! اجل .. انك لا تذكر شيئا من ذلك ، ومن اين لك ان تذكره ؟ انها كلام جديد عليك ، وانها اسماء لم تطرق سمعك من غير شك .. !!

ولكنك لو كنت هناك .. لو كنت في الجزائر .. في الريف .. في القرية .. في الجبل .. في المدينة .. في اي مكان من التخوم الى التخوم ، ومن شاطىء البحر الى اعماق الصحراء . لو كنت هناك في الجزائر، لسمعت عن هذه الاسماء العجب العجاب ، ولسمعته من الصغير والكبير ، ولسمعته من القاصي والداني ، ولسمعته من الرجل والمراة .. انهم بعض ابطال الجزائر ، الذين دوخوا المستعمر ، واذاقوه من الاهوال ضروبا ، ولم يستكينوا ولم يذلوا ، ولم يولوا الادبار حتى تساقطوا تباعا وهم يحمدون الله على نعمة الشهادة .

بذلك حدثني قادم من هناك ، وكان شديد الاعجاب بما رآه عندهم من اكبارهم للشهداء ، انهم هناك هم الابطال ، ولا بطولة لاحد سواهم ، وان من عداهم زاملوهم في الطريق ، ولكنهم لم يصلوا الغاية التي وصلوا اليها ..

ان الذين حرروا الجزائر هم اولئك الابطال ، وان ما سوف يخطه التاريخ من امجاد الجزائر سوف يكون عنوانه المشرق ، ما دونوه هم بدمائهم الطاهرة ، وارواحهم الزكية ، وان ابرز ما في كل كتاب عنوانه .

وان فردوسنا المغتصب في فلسطين ، لن يعيده الى اصحابه غير ابطال مغامرين مثل اولئك الابطال ، وسوف يكون لهم هناك مكان فسيح يترقبهم في صفحات التاريخ ، ليتسع فيه المدى ليسطر امجادهم وبطولاتهم المرتقبة ، يمهد لنا طريق العودة ، ويرد المشردين الى وطنهم المغتصب ..

فهل يبعد عنا كثيرا ذلك اليوم الذي نطالعهم فيه ، فتبهرنا منهم جلائل الاعمال ؟ ترى هل يمتد بنا الزمان كثيرا .. وهل يطول بنا الانتظار ؟!

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القلوع الشاردة

عيناي تبحران لا شراع
ورحلتي كم الف عام في ضياع
وزورقي ، ضاقت به الشواطيء السوداء
تغوله مخالب الفناء
حيث خطى المنون
تسف في جنون ...

من ذلك الربان
مدثرا بالسهد والاحزان
شابت على قيثاره الاغان
يستنزف التجوال والرحيل
بقية من عمره الثقيل
معانقا في لهف مرنح الشراع
عناق مثقل الذنوب
تعويذة المصلوب
في حلبة النزاع ! ..

وهكذا ، عيناي تبحران
والشوق يا للشوق كالبركان
يمد جسرا رائع البنيان
ما اطول الجسور عنده ، ما اقصر الجسور
الخافق المجنون يستخف بالجسور
أحسه في ثورة يطير
يمزق الضلوع
عاصفة ما اضعف القلوع !
السنة من اللهيب في اشتعال
شيئا غريبا لا يحده خيال
وكيف لي ، خمرية الخالين
يا ثرثارة اللفتات ـ
ان انقل الخفقات
بالحبر والقلم
فتولد الكلمات
باهتة بلا حياة !! ..

في لجة السعير
تغنى بقايا احرفي ، في لجة السعير
وقلبي الاسير
يقتات بالقصائد الجوفاء
في عالم الخمور والاماء
احلامه احلام من يمشي بلا اقدام
لساحة الاعدام
تمعكت في دربه الغشوم
رقط الثعابين
اشداق تنين
تزفر بالسموم ..

وفي المدى البعيد انشر القلوع
الوانها الاشواق والدموع
لدارنا الحبيبة تزينها الحسان
يغزلن اغنيات
بسيطة المعان
وتحت اقدام النوافذ المنيره
متكأ الورود والطنافس الوثيره
تنحل عقدة الظلام
وترقص الانوار في اختصام
ويصفر الصفار في اصغاء ناسكين
والجد ذاك البشر الجني في حنان
يزبد او يرعد او يهدأ كالفصول
بصوته الفارغ كالطبول
الشيخ صدق ما يقول
الشيخ قد صدق ما يقول
حكاية طليقة العنان
يمزق السعال
قلوعها الواهية الحبال ..

عيناي تبحران ..
تتوجان طلعة الاثير ترقبان
الموجة العذراء فلذة الصبير
تظفر شعرها المذهب الوثير
انامل السحر
حاملة عوليس عائدا جناح عنفوان
وقلبه مجرتا أغان
ووجهه بحيرة امواجها جمان
بشراك يا زمان
بشراك يا صديقتي حنان
الفجر اقحوان
على دروب المجد والنضال والطعان

لندن

سامي حداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس في وسع احد ان يعرف مصير عربات القمامة التي تطوف في اول النهار شوارع احدى ضواحي القاهرة . قلة قليلة من الناس يعرفون بالضبط هذا المصير ، حيث ينتهي تطوافها في أقصى المدينة عند الخط الفاصل بين الحضر بصخبه وضجيجه والريف بمفاتنه وهدوئه. ونادرا ما يدور في خلد المرء سؤال عن مصير القمامة ، واذا سئلوا عن ذلك يقولون ان هناك استفادة ما منها ولو انهم لا يتعرفون في الغالب على نوع هذه الاستفادة وكيفيتها . لكن القمامة تشغل اهتمام افراد قلائل ، ويعدونها مصدر رزقهم ، ففي المستودع ينتظر خمسة افراد ـ وان شئت الدقة ستة افراد ، اذا ادخلنا المعلم ابو دومة في زمرتهم ـ .. ينتظرون وصول الطابور اليومي في مطلع النهار حيث يبدأ عملهم وهو فرز الاوراق والخرق وقطع الزجاج المتكسرة وفصل كل نوع على حدة ، واعدام الباقي .. وما أسهل التخلص من النفايات المتبقية .

والمستودع عبارة عن ارض خلاء مسورة بخشب قديم ، وبه ماكينة تقوم بتخليص النفايات المستغلة من الاتربة ، ولو ان الماكينة تصر على اثارة الاتربة والغبار مما يجعل الوقوف في المستودع أمرا بالغ الصعوبة .. فالغبار يزكم الانوف ، علاوة على كونه مرتعا خصبا لمرض ذات الرئة . يتحمل عمال المستودع هذا الجو الخانق ، وهم وحدهم القادرون على المكث داخل المستودع طول النهار دون ان يشكوا او يتوجعوا .

يقف حامد السكران امام الماكينة ، وهو وحده المسؤول عن تشغيلها . وقد لقبوه بالسكران لانه غالبا ما يكون في حالة غير طبيعية، ولو انه لم يتعاط الخمر لضيق ذات اليد . وهو في الثلاثين من عمره ، يرتدي سروالا ليس من الممكن التعرف على لونه الاصلي بسبب الاتربة العالقة به ، والتي تراكمت فوق بعضها وكونت لونا آخر قاتما. ويصر حامد على ارتداء قميص مشجر، كما يصر على ان يظل الزرار العلوي مفتوحا حتى يسمح لشعيرات صدره الكثيفة ان تتعرض للهواء ، ولو انه غير نقي . وهو مفتول العضل ويعد اقواهم جسديا ، الا ان حالة الهياج التي يكون عليها أحيانا تجعل قوته الجسدية بلا معنى او اهمية ، كما انه لا يحاول استغلال هذه القوة في شيء ، او هو لم يدر في خلده مثل هذا الامر .

تساعده « سكينة » في تشغيل الماكينة ، فهي تقوم بوضع القمامة ـ خامة الماكينة ـ في فتحة

جنيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حسني سيد لبيب

مخروطية اعلى الماكينة . وسكينة هي الفتاة الوحيدة في هذا المستودع ، ومفاتن جسدها لا تخفى على أحد ، ولم يحدث ان طمع احدهم فيها ، الا انهم لا يمنعون شفاههم من المصمصة ، وصدورهم من التأوه . كما انه أصبح معروفا لدى الجميع ان فاروق النمر هو عريسها المنتظر . وقد أشيع ذلك منذ سنوات ولم يتم هذا الزواج حتى الان ، كما انهم لم يحاولوا ان يستفسروا عن السبب .. فهم غالبا يتناسون ان الزواج لم يتم ، ويعدون



فاروق زوجا لها . وهذا الزوج المتعارف عليه شاب هادىء ، ودائما يستنفر هذا العمل ويمقته ، وكثيرا ما تمرد عليه وتغيب ، لكنه يرجع ثانية لما يجد ان المستودع هو المصدر الوحيد لقوته اليومي . صادفت سكينة هوى في فؤاده ، وصارت أملا يداعب خياله ، ولما خشي على الامل اشاع بينهم انه سيتزوجها . فاستقبلوا الخبر بهدوء .. وحين سألوه عن موعد الزواج ، اكد لهم انه سيتم في القريب وقتما يتدبر المهر المناسب . أصبح المهر مشكلة لا يقدر على حلها ، فالى الان لم يتدبر منه قرشا واحدا . عرف المعلم ابو دومة هذه العلاقة من النمر نفسه ، لكنه لم يعرها اهتمامه .

اما عليوة ، فهو رجل صاحب مزاج كما يصف نفسه . وله نظرة لا انسانية تسف اسفافا مشينا ، وكأن عينيه جمرتا نار متوهجتان . شفتاه مكتنزتان ، وله شارب كث يكمل الصورة الكلبية لوجهه ، علاوة على فكيه البارزين .

واخيرا ، شحاتة ... ودائما يجيء ترتيبه في آخر الدور ، وهو لا يحنق على هذا الوضع ، ولا يطمع في غيره ، لانه لا يفقه هذا او ذاك ، او يعي واقعه تماما .. له عالم خاص يبتنيه في خياله ، كثير الضحك ، نادر الاكتئاب ، صاخب القول ، هادىء الفعل .. ويعتبره العمال شخصية هزلية تسري عن أفئدتهم مشاق العمل ، وقيل ان المعلم وجده راقدا بجوار قضبان السكة الحديدية فألحقه بالمستودع كعامل يرضى بالقليل . ولم يكن من الهين تنويره بما يجب ان يفعل ، وكثيرا ما صفعه السكران على وجهه ، وقذفه عليوة بشتائم مخزية تتعداه الى ابويه واجداده الافاقين. لكن الامر يزداد تعقيدا حين يشك حامد في تأثره بصفعاته القوية ، ويشك عليوة في تأثره بشتائمه

القبيحة ، فيزيدهما هـذا الشك صفعا وشتما ، وتزداد ضراوتهما . ثم الفا هـذا الوضع ، وشجعه بالطبع المعلم ابـو دومة ، وباتـا يعتبرانه ـ اي شحاتة ـ مصـدر قوة لهما، فهما في لحظات سرورهما يتسليان بضربـه وشتمـه ، وفـي لحظات غضبهما يفرجان عن كربهما بالضرب والشتم أيضا .

☆

زمهرير اغسطس يغيـر مـن طباعهم ، فيكونـون اكثـر ضراوة وشراسة ، واحيانا ينقلبون قططا طيعة تتكلم في همس غير مسموع ، ويبدو على وجوههم الاعياء والسقم . آثار الجدري على وجه عليوة الكلبي تعطي للكآبة معنى آخرا يصيب المرء بالغثيان . وهو في قسوته وضراوته اكثر ملاءمة مع خلقته الناشزة ، اما حين ينتابه الهـم والكآبة ، فانـه يتحول الى انسان هزيل مستكين .

لا شيء يستثير العمال ، فالجـو الخانق مع الاتربة المنتشرة فيه علـى الدوام تجعل العمل نوعا من البطولة . حتى تصرفات شحاتة الماجنة تعجز عن جذب الانتباه . وسكينة بعينيها السوداوين النجلاويـن لا تبث في النفوس امـلا او تبعـث في الروح همة ، كما ان ارداقها المكتنزة والتي تبرز في وضوح عندمـا تنحنـي او تقعـد القرفصـاء ، لا تستثـير شهواتهم . لم يعبأ عليوة بشيء مما حوله ، ارتكن على الجدار الخشبـي وانهمك في لف سيجارة ، ثم أخـذ يدخنها في هدوء واستكانة ، قـال له حامـد :

ـ يحلو المزاج الان ، في هـذه النار المحرقة ! ..

اجابه عليوة بنظرة شزراء .

ويبدو ان شحاتة هـو اسعدهم حالا ، فقد انسل من بينهم ومشـى الى الترعة التي لا تبعد كثيرا عـن المستودع . يلتذ شحاتة بسخريـة النسوة اللاتي ينظفن الملابس ويجلون المواعين . يضحك في مجون حتـى يكاد يشرق ، والنسوة يجهلن تماما سبب انسجامه وانبساط اريحيته ، فهن يوبخنه ويستهزئن منه ، وكثيرا ما تتطاول ايديهن فيعملن على ايذائه بينا هو يستكين لهن ولا تند عنـه دمعة واحدة ، او صرخة ضيق ، او حتى كلمة استنكار واحدة .. وانما يجابه افعالهن مثلما يجابه الحيـاة برمتها ، بالضحك المتواصل . وحين يضحك ، يصر على افتراش الارض ، ربما تواضعا ، أو تحقيرا لنفـس الانسان وما تبديه من مشاعر فجـة متهرئة ، أو ربما يجد في الضحـك عبادة يتقرب بها الى الناس . وليس مهما التعليل ، لانه لن يؤدي الـى نتيجة مرضية . كما انه من السخف ان تكون تصرفاته مثار جدل ونقاش ، فصاحبها نفسـه لا يوليها أدنـى اهتمام .

يستحم شحاتة في الترعة بكامل ملابسه ، وهي ليست بكثيرة كمـا يتراءى للذهن . فهو يتجلبب بجلباب له فتحتان ، الاولى للصدر وتمتد من أعلى الى اسفل صدره ، والثانيـة لجيب غير موجود . والجلباب هـو كل ما يمتلكه من ملابس . واحيانـا يتحلل منه بعضا مـن الوقت ، فـلا الرجال يعيرون ذلك اهتمامـا ، ولا النساء يتحرجن من جسده العريان ، اما الاطفال فيمنعون النظـر فيـه كدمية لا تبعث البهجة في نفوسهم ، وان كانت تستميلهم الى التسـاؤل والحيرة والغموض .

يقف المعلم ابو دومة بجلباب ناصع البياض ، يمسك طرفه بيده في زهو وشموخ . انطلق صوته الجهوري :

ـ أهذا شغل؟ لا نشاط ، ولاهمة . أهذه قعدة يا عليوة ، يـا ابو فراج قطران ؟ . واين شحاتة ؟.

ردت سكينة : ذهب الى الترعة . يستحم ، ويغسل للنسوان الملابس والمواعين . والنبي يا معلم باين عليه فاهم حاجات . لكنه يتلاءم امامنا ، يتهيأ لي انه ناصح .

قال السكران : ماذا تقصدين ؟.

والله يا معلم ما يساوي شيئا . انت رافت بحاله والثواب عند اللـه . انما يعني شحاتة من غـير عقل ولا كياسة ، ولا حتى يفهم حاجة . اليس كذلك يا معلم ؟

جال بعينيه فـي الوجوه وقـال بنبرة قويـة :

ـ أليس كذلك يا جماعة ؟ .

شد عليوة النفس الاخير من عقب السيجارة ثم ألقاه علـى الارض ، وأهال عليه التراب .. وقال :

ـ معقول يا سكران .

ولما احس المعلم ان الموقف كـاد يفلت من زمامه ويتحول الى سفسطة قد تضر بهيبته ، عـاد يزعـق من جديـد :

ـ أنا احب الشغل الجاد . مطلوب منكم عشرة اكياس ورق في آخـر اليـوم .

رفع فاروق صوته محتجا :

ـ هذا كثير يا معلم .

وهمهم الباقون بالعبارة ذاتها . وكانت الفرصة للمعلم كي يثبت قوته ويؤكد سيطرته ، فرفع عقيرته في انفعال :

ـ انـا قلت كلمـة ، وضروري تمشي .

فصدعوا لكلمته ولم يعترض احد ، ولو ان عليوة ساخط ومتبرم ، لكنه لم يتفوه بشيء .

اطمأن المعلم الى ان كلمته ستنفذ ، فهدأت ثورته ، وخرج . لكنه لـم يكن راضيا ، فقد تصدع رأسه مـن هذا الحر اللافح ، ومن زعيقه الذي كان في غير موضعه . هرول الـى المقهى التي تجابه المستودع ، وجلس في الظل على كرسي مـن القش ، وطلب « البوري » ، فهو وحـده الكفيل باصلاح كل شيء .

تقلب سكينـة في الاوراق بيـد متعبة ، والقيظ يلهـب جسمها بسياط من نار ، فينتابهـا اعيـاء وملل . تحاول ان تتحامل . صـورة اكوام القمامة امامها لا تبعث علـى الارتياح . بدأت تضيق من منظرهـا

الكئيب . حاولت ان تغمض عينيها وتحلم باشياء اخرى جميلة ، بينما يداها تعبثان في القمامة . ولما تعبت ، فتحت عينيها .. لمحت ورقة خضراء . حملقت فيها جيدا .. انها جنيه !

عم الفرح كيانها كله ، وندت عنها صيحات محمومة :

ـ جنيه .. جنيه .. جنيه ..

واخذت تقلب الورقة الخضراء وتطوف بها . ترك الجميع عملهم والتفوا حولها . حملق عليوة في الورقة ، ولما تأكد منها قبض بيده الغليظة على معصمها . لكمه فاروق، فانهارت قواه ، وتخاذل عما كان ينتويه ، وقال في صوت واهن :

ـ نقسم الجنيه .. نحن خمسة، كل واحد يخصه ريالا .

واردف السكران موافقا :

ـ وطبعا شحاتة لن يأخذ مليما واحدا .

صرخت سكينة :

ـ انا عثرت عليه ، انه لي ..

رماها فاروق بنظرة عتاب ، وقال:

ـ نقسمه مناصفة انا وانت ..

ووافقت سكينة ، بينما السكران وعليوة يتميزان غيظا ، وكان الموقف دقيقا بالنسبة لهما . اتعثر سكينة على جنيه بالكامل ولا يخصهما شيئا ؟ .. حامد يهز عليوة من كتفيه :

ـ اتسكت ؟ .. امعقول هذا ؟ .. نخرج من المولد بلا حمص . وانت يا فاروق ، ترضى المناصفة ، ونحن لا يخصنا شيء .. يعني لاجل انك رجلها ، توافق على اعطائك نصفه .. نحن هنا عمال ، زملاء .. نعمل ونتعب .. وأي رزق ، هو رازقنا كلنا ..

ارتكن عليوة الى الجدار الخشبي وقال في حزم :

ـ انا يخصني ريال .. والا سأبلغ المعلم .

وأخرج سيجارة . فرماه السكران بنظرة مؤنبة ثم قال في ضيق :

ـ وانت فاكر ان المعلم سيعطيك ريالا ؟ ..

ولما سمع فاروق كلمة « المعلم » انتفض في ذعر وصاح :

ـ لا .. المعلم يأخذ الجنيه ويضحك علينا . ولن يخصنا مليم واحد .. نقسمه بيننا احسن .

شدت سكينة ذراعه ، وقالت :

ـ وانت ايضا يا فاروق ، يبقى لن يخصك شيء .. الجنيه ملكي .. انا التي عثرت عليه .. كان من الممكن الا آخذ بالي .

وخبأت الجنيه في صدرها المكتنز . صعق الجميع ، تبادلوا النظرات وهم يتميزون غيظا . ماذا يفعلون !؟ . سؤال دار في خاطرهم .. عليوة لا يفكر في الامر بجدية واتزان ، كان ينفث الدخان في راحة كأن الريال الذي يحلم به قد صار في جيبه . فهو يعتبر هذا الامر بسيطا ، ولا يحتاج الى صراع يصدع راسه ويرهق بدنه .. يكفيه هذا القيظ .

اما سكينة ، فقد جلست القرفصاء ، واخذت تغني في فرح وغبطة . هي وحدها التي تملك الجنيه . معها ثروة لا تقدر اذا ما قارنتها بأجرها اليومي . كم تأخذ في اليوم ؟ .. نصف ريال .. واحيانا يماطل المعلم في هذا الاجر، أو يؤجل دفعه ، او يخصم منه . معها جنيه كامل . لكن ماذا تفعل به ؟ . طاف بخاطرها هذا السؤال . واقترحت ان تشتري به اشياء تلزمها ، لكنها خافت على الجنيه وخشيت من بعثرته في توافه لم تكن تشتريها . وفضلت ان تحتفظ به لوقت الشدة . لا بد ان تضعه في مكان امين لا تتطاول اليه أيدي احد من اسرتها .

افاقت سكينة من شرودها على صوت عليوة يجلجل :

ـ عندي فكرة ، شحاتة ينتزع الجنيه من صدرها .

صاح فاروق في ذعر :

ـ **شحاتة ! .. يمد يده** في صدر سكينة ؟! . لا .. لا .. لا .. اصبروا قليلا ، ربما توافق على التقسيم .

رفضت سكينة ، واصرت على الرفض ..

ـ الجنيه من نصيبي . اشتكوني للنيابة ! .

توسل اليها فاروق :

ـ يا سكينة ، لا تكوني عنيدة .

همس عليوة في أذن فاروق ، بينا يده تدفن عقب السيجارة في التراب :

ـ يستطيع شحاته انتزاعه من صدرها . لماذا تخشاه ؟. انه عبيط، ولا يفهم الامور اياها .

لم يعقب فاروق بشيء، فاعتبروا سكوته دليلا على الموافقة . قدم شحاتة بخطوات مضطربة . كان يزحم ما حوله بالغبار وهمهماته البدائية . لقد حضر في الوقت المناسب .

اوى عليوة ذراعيها بشدة وقسوة. فتلوت كالثعبان بين يديه . حاولت ان تفك الاسار ، فأعيتها الحيل . احست بأنفاسه المزوجة برائحة التبغ تنفذ من خلل شعرها الاسود الفاحم ، وتصيب راسها بالدوار . أثارت بقدميها التراب ، وجلجلت بصوتها ، لكن فاروق عاجلها بيده النحيلة فأخرس صوتها. نظرت اليه في حنق . مات الحب في لحظة ، وانفجر بركان من الغضب . نظرت اليه في غضب وحقد ، فلم تكن تتوقع منه ان ينقلب فجأة الى وحش همجي . ونظر اليها فاروق كامرأة عاصية ينبغي عليه تقويمها، فلا يصح ان تعصى امر الجماعة التي تنتمي اليهم .

يهمس السكران في أذن شحاتة، وهي الطريقة الوحيدة التي يفهم بها شحاتة انه المقصودبالكلام. ضحكات شحاتة المتواصلة جعلتهم يجزمون بأنه لم يفهم شيئا .

تتأذى سكينة من رؤيته . انه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجربة

١ ـ واغضي خشوعا وتهمي دموعي ... واجثو بذل ويهوي جمودي
٢ ـ واغرق في مستفيض الخيال ... احاسيس صدر غريب فريد
٣ ـ وارخي العنان للهفي الحبيس ... يعب افاويق نبع بعيد
٤ ـ واغفو على اغنيات العذارى ... تسلسل في همسات وريدي
٥ ـ فاسبح في صوفي الشعور ... واعتق روحي بوهمي العتيد
٦ ـ فقد استعيد بذلك نفسي ... وقد استنير بفك قيودي
٧ ـ ألملم حيرتي بقايا جموح ... اضر بفكري وادنى وجودي
٨ ـ واسعى امزق ستر الضلال ... فاعدو وراء السراب الفقيد
٩ ـ سراب يضيء بغور ضلوعي ... يهدهد روحي بغدر مريد

دمشق — سلافة العامري

يبعث على الغثيان . تجاهد كي تتحامل ، فتئن في صمت . لكن املا ما يداعبها في فك الحصار ، فتتلوى وتقاوم .. تضايق عليوة لهذا الابطاء ، فصاح :

ـ اسرعوا ، لا يمكن ان اتحمل هذا الوضع طويلا .

بدا شحاتة يفهم بعد طول عناء . اقترب من سكينة . لكنه جمد ، وبدا كأنه نسي ما قيل له . صرخت سكينة وبكت . لكزت عليوة في صدره لكنه لم يتزحزح ، ولم يلن .

مد شحاتة يده القذرة في صدرها ، بدا عليه الانبساط والاريحية ، لعق شفتيه بلسانه في تلذذ ، واحمرت اذناه . يده تتحسس الصدر البكر ، صارت يده كتلة من النار تحرق صدرها . زعق فاروق :

ـ الجنيه .. الجنيه ..

أفاق على زعيقه ، واطاع عن خوف .

اخيرا ، ظهر الجنيه الاخضر . ابتسم شحاتة وجلجلت ضحكاته ، وبدا عليه الانبساط . الجنيه مرفوع في يده كتحفة نادرة . تمرغت سكينة في التراب باكية ثائرة . انها لا تبكي على الجنيه الذي انتزعوه من صدرها ، وانما على كرامتها التي اهينت ، صرخت مولولة :

ـ شحاتة ضحك عليكم ! .. شحاتة ضحك عليكم ! ..

لم يفهم احد ما تعنيه ، واعتقدوا انه هذيان محموم . صرفوا انتباههم عنها ، فقد حدث ما هو اهم من ذلك .. لقد جرى شحاتة وهو يهلل ويصيح ، رافعا الجنيه في يده ، كأنه اكتشف كنزا واصبح ثريا .

هرول السكران في اثره ، وجمد الباقون مذهولين . كان التفكير في هرب شحاتة مهمة شاقة وعسيرة . تذكروا ما قالته عن شحاتة . اقترب منها فاروق فنهرته ، ولفظته لفظ النواة ..

ـ كل شيء انتهى يا فاروق .

كلماتها قاسية ومريرة . حاول ان يدافع عن نفسه ويبرر لها موقفه، لكن السكران فاجأهم بما هو اقسى وأمر :

ـ شحاتة اعطى الجنيه للمعلم .

تناقلت السنتهم كلمة « المعلم » وهم في ذهول ودهشة . قال عليوة في اكتئاب :

ـ فعلا ، ضحك علينا شحاتة ، كما قالت سكينة .

صرخت سكينة :

ـ لا .. لا ..

همت بتصحيح ما تعنيه ، لكنها ألجمت النطق حين حملقت عيناها في وجوههم . أزعجها وجه عليوة الكئيب واقلقتها نظرته الكلبية . ان الجدري الذي يحفر وجهه يبعث على الغثيان . وحين نظرت الى السكران افزعتها عيناه الجاحظتين . وتناهى اليها صوته وهو يوبخ شحاتة ويلعن يوم مولده ، مؤكدا انه «ابن حرام». وارتجفت في خوف حين نظرت الى فاروق .. كلهم لا يبعثون على الارتياح . نهضت ونفضت التراب عن ثوبها الكالح . مشت في تؤدة واناة لا تكاد تحس حزنهم الدفين وآمالهم المقبورة ، وكأنها من عالم غير عالمهم .. كأنها مخلوق غريب عنهم لا يفهمهم . تبادلوا النظرات في حيرة . توقعوا ان يسمعوا منها كلمات تأنيب ، لكن صمتها حفزهم على الاستفسار عما تعنيه بما قالته اخيرا . سألها الثلاثة ، ولم يتلق واحد منهم جوابا . آثرت ان تدفن احاسيسها . لا يمكن ان تبوح لهم بشيء ، فلن يصدقها احد ، حتى فاروق لن يصدقها . بدا الجميع بالنسبة لها كأناس غرباء ، أو بدت هي كانسان غريب في عالم غير مفهوم ! .

القاهرة — حسني سيد لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



١ ـ المستشرقـــون

كتاب في ثلاث مجلدات ضخام ـ تاليف نجيب العقيقي ـ ١٤١٥ صفحة ـ من الحجم الكبير ـ طبع دار المعارف بمصر .

يكبر المرء ، وقد يكبر عمله ، ويجسم ، حتى يبين كالبناء الشاهق ، فيعجب المتأمل كيف استطاع هذا الانسان ان ينهض بعمل شاق رجيح. وهو وحده فيما تعجز عنه العصبة اولو القوة .

وان عمل الاستاذ الكبير نجيب العقيقي في تأليفه هذا الضخم ، يشبه الاثار العاديات التي تجثم على الارض لتكاثر الزمن وتفاخر الاجيال.

لقد ألف كتابه الاول واسمه « المستشرقون » (١) سنة ١٩٤٧ فجمع فيه اخبارا وقام بدراسات لطائفة مختارة من المستشرقين ، لكنه وجد غليله في العلم وفي البحث والدرس ما زال ظامئا فصبر سنين طوالا يمتاح من نبع التنقيب ويصابر الايام والليالي حتى طلع على العالم العربي والغربي بكتابه الجديد ، في أجزاء ثلاثة كبرى مليئة بالجهد ، تكاد الصفحات تتنفس الصعداء من طول ما عكف عليها المؤلف النابغة الاستاذ العقيقي بالاكباب والتحبير .

ولقد رحت أشبه عمله هذا الجاهد بعمل المعلمات والموسوعات . فكتبه هذه الثلاثة موسوعة أستشراقية رتبها على الحروف الابجدية وقسمها الى معاشر وسير وجعلها شراذم واصلابا فالمستشرقون الالمان نجدهم في معتكف خاص ، والسويديون في صفحات موقوفة عليهم ، والفرنسيون في مناح متواصلة من التتبع والذكر .

وكان من العسير علي ان اتناول كل جزء بالتحليل والتدليل وبالتعريف والتصنيف فقد كفيت قرائي وقارئاتي في « الاديب » الاغر مؤونة التطويل ، وبحسبي ان ادلف اليهم بالكلام على الجزء الثالث من هذا العمل الكبير ، فان فيه اشعاعا على كل ما ذكر ضمنه وقبله ، اذ احتوى الفهارس العلمية الشافية في الاعلام الغربية والشرقية بوضع عام . ثم فهارس الفصول والكتب ومراجع المؤلفين والاعراض وختم هذه الفهارس بثبت مديد لاعلام المستشرقين ، فكان هذا الكتاب محتوى التراث العربي والاسلامي في متابعته وتطوره وآثاره وفيما يترامى به على الثقافة الاغريقية القديمة واللاتينية الحديثة .

اما الفصول فقد احتوت على طرائف الاستشراق حسب البلاد والنواحي . واما الكتب فهي ما ذكر في اصلاب الكتاب كله ، مما يؤلف مكتبة برمتها . وناهيك عن الجهد بسائر هذه الفهارس الجامعة الوعية .

وكنت أنقصى الاخبار عن مستشرق لامع هو « جورج سينفلي رنس » فقد كتب عنه الاستاذ « كارل برنت » فصلا مكينا (٢(ذكر فيه نشأة هذا المستشرق الدائب ودراسته وتحصيله الادبي والعلمي في تفصيل لضروب ثقافته ، ثم فيما كان له من وظائف وأعمال ، وما كابد من جهد في الحصول على مخطوطات نادرة والقيام بتصويرها ونشرها وتقصي مؤلفاته باوصافها وموضوعها وفيما نماه في الهيئات والجمعيات العلمية في الغرب وفي امريكا .

وظل يعاودني الاستقصاء للاستزادة في شأن المستشرق « رنس » حتى اصدر الاستاذ العقيقي مؤلفه هذا النادر فعيبت فيه زيادة ووجدت ريا فيما كتبه عن هذا المستشرق (٣) وبخاصة في مؤلفاته وكتبه .

ولقد عرف قرائي وقارناتي في طويل ما يكرمونني بالاطلاع عليه انني أوثر الكلام على خلطائي وأصدقائي وأتجانف عن الكتابة في أمور التهديم والتشهير وقد عشت في أدبي بانيا ولم أهدم لاحد كوخا حتى عرفني قرائي في الشرق وفي الغرب وفي أرجاء الهند وافريقيا ، فبنيت سمعتي في عالم الادب كما يبني النحل بيته ، ورحت أعجب لظاهرة معاصرة بلي بها النقد ، فان شداة وبادئين يأخذون اول ما يأخذون به بوضع المباضع في أجسام الادباء والمؤلفين ، وأهل المواهب يحسبون أنهم يجرحونهم واذا بالناس يلتفتون اليهم كما يلتفتون لكل مخالف واغل يطلب الشهرة من اقرب السبل بالايذاء والتهديم .

هذه خاطرة تخصني مرت بي وأنا أكتب هذا المقال من أجل صديق العمر الاستاذ الكبير نجيب العقيقي أحد أركان الفكر والادارة بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

لقد صفقنا باب منزله منذ شهرين حين كنت بمصر أحاضر في معهد البحوث والدراسات العربية عن أستاذي وصديقي « عبدالوهاب عزام في حياته وآثاره » (٤) .

واستفتحنا وفتحت لنا زوجته الفينوسية ، فتلقتني وقرينتي بترحاب مبين وقالت بلهجتها المصرية المحببة :

ـ مش معقول .

فأجابها قرينها الاستاذ نجيب العقيقي :

ـ بلى انه لجد معقول .

وكم ارجو ان يتاح لي قلم ساكب فأتناول به اثار هذا الكاتب الاديب الذي نماه لبنان الاشم وغالت به مصر وكاثرت ، فان له رواية كبرى سماها « برج بابل » وصف فيها هجرات اللبنانيين الى مصر منذ فاتحة هذا العصر وكيف كان شارع الفجالة وحي الضاهر موئلا لحوادث هذه الرواية . وان له في تأليفه كتابه « الادب المقارن » اصدره سنة ١٩٤٨ بطبعة المعارف بمصر وكان من المعاصرين السابقين الى هذا الموضوع الادبي الحديث .

كذلك اكتب لقرائي في « الاديب » الاغر وكاني احدثهم جالسا قربهم اشعر بدفء المودة وجمال اللقاء .

٢ ـ مـــع الخالديـــن

تاليف سمير شيخاني ـ الطبعة الثانية منقحة ومزيدة ـ ٤٦٠ صفحة ـ من الحجم الكبير ـ منشورات دار السمير للطباعة والنشر ببيروت

قلت للصديق الاستاذ سمير شيخاني : انك لست تنسب لشيخ ولا لشيخين كما حسب غيري وانا أجدك منتسبا الى مشايخ ، فالشيخة جمع الشيخ ، فلقبك بكسر الشين ، وقد قال الشاعر القديم :

وتضحك مني شيخة عبشمية كان لم تجد قبلي أسيرا يمانيا

(١) طبع دار المعارف بمصر « في جزء واحد ب ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير . (٢) نشر في مجلة « المنهل » التي تصدر بجدة سنة ١٩٦٦ لصاحبها الاستاذ الكبير عبد القدوس الانصاري الذي يعد ركنا متينا في النهضة الفكرية ببلاده . (٣) ص ١٠٢١ ج ٣ . (٤) أصدرت هذا الكتاب منذ حين مكتبة المعرفة بالقاهرة باسم معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية في مصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحقا ـ بلا مراء للصديق ولا محاباة للخليط ـ ان الاستاذالعبقري سمير شيخاني شخص عجيب ولو كان يجوز في مصداق العلم الاعتقاد بمزاج الجن للكتاب المتفوقين لجاز ان اقول ان سميرا يسكنه جني لعله هو القمقم والجني فيه . وقديما قيل عند العرب ان عبقر دار للجن تنسب اليها الخوارق والاعاجيب .

وكتاب الاستاذ شيخاني « مع الخالدين » سفر نفيس . وهذا الكتاب يدخل في سجلات التاريخ ويعد مصدرا ادبيا ومرجعا علميا لمعرفة نبذ طوال او قصار عن جهابذة الفكر البشري أدباء متفوقين وموسيقيين موهوبين وأهل ترحال وتجوال ، ضربوا في الارض وجابوا الافاق ، وفيه عرض ودراسات لمخترعين ومكتشفين وسير شيقة لقادة وفاتحين ، اما الفلاسفة والمفكرون فقد زاد لهم المؤلف في كفة الموازين، وكذلك الشعراء ، لانه من قبيلهم ، ولو كان سياسيا او رساما ونحاتا لرحنا نجد في مؤلفه هذا الكبير مجالات لهؤلاء ، فيها بحبحة أكثر مما هي عنده من دقة الموازين للقسط .

وميزان الاستاذ سمير شيخاني في هذا الكتاب ، ميزان علمي ، ومنهجه في الدرس والبحث علمي ايضا على خلاف مما جرى عليه في مؤلفاته السابقة التي جهد فيها ان يمضي بالقارىء في نزهة مرحة وتسلية جميلة وفكاهة محببة تروى .

اما شخصيته في كتابه هذا فهي شخصية الجد ، وكانه لبس لباس الحاكم الغربي ، او الشرقي فيما جرى عليه المشارقة في العصر الحديث ، من لبوس الرداء الاسود وعلى رؤوسهم قبعة الحكم القاتمة وكانه في محكمة لعرض القضايا الفكرية والادبية والانسانية .

وعمله هذا كان خطيرا كعمل من يتقدم لمس سلك من الكهرباء ، او دخول في كهف افلاطون او الاستنارة بمصباح ديوجين في رابعة النهار، اذ من يجسر ان يعيش مع الخالدين او يعاشرهم ؟ ان الاصابع لتحترق لدن مس واحد منهم فانهم في تجاليدهم واكفانهم وفي اضرحتهم يشعون نورا عبقريا على الوجود . ومنذا الذي يستطيع ان يحيط علما بالخالدين الذين لم يكتب عليهم الفناء على الرغم من صحة العدم وفناء الوجود . لقد راح سارتر في كتاباته عن العدم المطلق يرمي البشرية في تأملات مخيفة ، فكانه كان ينكر الخلود على الخالدين . واذا كان هذا مذهبه ، فما اتفه حياته هو . على انني اجده مسؤولا امام الوجود ذاته ، لانه اراد انيلقي البشرية في سحيق من العدم وكان على الدوام مزريا في أفكاره . أقلم يشع في اعماق الانسانية المعاصرة قضية القلق . ثم الم يكشف عن أدواء المجتمع في كل مؤلفاته ، ولكنه لم يداو أحدا ولم يصف دواء . وكم أشبهه بجراح فتح الجثة وتركها غير مخيطة ، بل لعله خاط الجرح ، لكنه نسي مبضعا من المباضع تحت الجلد المخيط .

والمؤلف نفسه نحا منحى روح عدمية حين اثبت عبارة بيضاء ضمن مربعأسود في اول كتابه للشاعر الاميركي لونغفيلو اذ يذكر فيه :

« اننا عندما نغادر هذه الحياة نترك وراءنا أثار خطانا على رمال الزمان » .

وناهيك بما يبقى من اثار الاقدام على الرمال ، وقد سبق المؤلف النابغ شاعر العباقرة الاعظم أبو الطيب المتنبي حين انكر قضية الخلود فقال :

تتخلف الاثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع
أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما يومه ما قومه ما المصرع

لكني وقد مارست أبا الطيب عمري وألفت فيه ، أجد فكرة العدم عنده سببا وباعثا ، فلو ان كافورا الاخشيدي أحسن اليه ، ولم يتنكر له حسدا وبغيا لما نفى الخلود عن الفراعين الذين يجثمون على مصر جثوم الاهرام وابي الهول الذي ما زال حتى اليوم أثر قنابل نابليون في وجهه وأنفه وان وجهه السافر الذي بقي بعد نابليون من اعظم الخالدين ، يحمل ميسم عجز المدافع الفرنسية عن ازالة الاسد



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانساني الذي يحرس صحراء مصر في وادي الملوك .

وقد كتب المؤلف مقدمة متتابعة في مختاراته للخالدين في لمحات مسببية .

وقد احب في آخر مقدمته ان يجبر خاطر النساء كما نقول في لهجتنا المعاصرة فذكر للقارئين والقارئات ان في كتابه سيرا لخالدات لا يبخسهن المؤلف المنصف حقهن بين الرجال فاذكرني بقولته هذه قولة للفرزدق ما أجدها في كتابه هذا وهي ان الفرزدق سئل يوما عن رأيه في الخنساء فقال :

ـ تلك امرأة فاقت الرجال .

ونحن نقول مثله في عصرنا :

ـ لقد كانت كاتبة العصر « مي » تفوق عباقرة الرجال (1) .

وما كنت موسيقيا ولا عازفا بالمعازف واللحون حتى أتكلم على باب الموسيقيين والملحنين في كتابه هذا ، وان اكن اطرب لسماعهم وآنس بأخبارهم ، وقد كان شوبرت وليست يشغلان بالي زمنا بسيرتيهما الغراميتين والفاجعتين ، واسجو طويلا الى السنفونيات التسع لبتهوفن ويعجبني توسكانيني وبخاصة « فردي » ملحن اوبيريت عائدة ، واجد « دفورجاك » الروماني البوهيمي قد خدم امته خدمة أصبو في أمتي العربية الى مثلها ، فانه طاف آفاق بلاده يجمع التلاحين من الفلاحين والسوقة والمترفين ، ثم عاد في اواخر عمره يصفي هذه الالحان ويروقها بسكبها في غناء وطني خالد . ومن للامة العربية بأن يقوم موسيقار عظيم فيها بمثل ما قام به « دفورجاك » فان الحاننا العربية على ما فيها من تشتت لا تكاد تبين صورتنا الحقيقية خلال الزمان .

وكم للانصاف من أسباب مع قلمي ، فانني حين كنت اكتب عن الالحان ههنا ، كان يغني في المذياع المغني العراقي « ناظم الغزالي » المأسوف على غيابه ، فانني أجدني والها متطربا عند سماعه في مرنان صوته الحزين وغنائه الشجي المبين . على أن لي نظرية ورأيا في قراءات القرآن في العراق ، وفي الغناء العراقي بأنهما منحدران برنة محزونة وصوت باك من عهد مقتل الحسين . اذ كان النتواح عليه في هذه النغمات والقراءات الموروثة .

كما اجد « البزق » الذي خلد فقراته المغني اللبناني « محيي الدين بوعيون » ما يزال يطن خلال مسمعي فأجد فيه الروح اللبنانية العريقة.

وكان مصطفى هلال المطرب الشامي يجمع الاغاني العتيقة ليلبسها الثوب الجديد . وكان كل ذلك قليلا حين يضاف الى ما تصنع الامم من أجل لحونها وغنائها .

اما كلام المؤلف الباهر على الادباء ، فكان فيه تجوالي ومرحي ، وكنت أحسبني مثل جواد ابن الرومي الذي كان يقول « مرح الطرف في اللجام المحلى » . اذ وجدتني في بهرة حلقتي ونياط فكري وعزة خيالي ومثالي .

فرحت أعطي شكسبير الطوابع الابدية وأهفو الى فولتير الساخر العميق ، فتطيف بخيالي مشاهد من روايته الشرقية « زاديك » ـ صديق ـ كما يسميها استاذنا الدكتور طه حسين حين قام بترجمتها ترجمة فاتنة قويمة ، فأذكر تلك المرأة الحسناء التي مر بها زاديك الوزير الشريد فوجدها في بعض البلاد جالسة على قبر طري الطين تجففه بمروحة بيدها ، معملة عجلى، فسألها : ماذا تصنعين؟ فأجابت:

ـ اجفف تراب القبر الذي فيه زوجي .

وفيم تفعلين ؟

ـ لقد اقسمت له اني لن امارس التزويج بعده حتى يجف تراب قبره وقد حضر لي خاطب ملحاح فهانذي اعاجل جفاف القبر ..

اما روسو المهيء لثورة فرانسة فان المؤلف عرضه في نطاق أديب وعالم نفسي ، ومشرع اجتماعي بأكثر مما يعرف سياسيا . والكسندر دوماس اختاره المؤلف الاستاذ شيخاني شيخا فرما وترك ابنه الشاب صاحب رواية « لادام اوكاميليا » وكان يشوقني ويشوق سائر القراء ان يروا بقلم الاستاذ سمير كلاما رائعا عن عاشق غادة الكاميليا . وقد مثلت سارة بيرنار رواية مصيرها فأبكت الجماهير .

اما مدام دوستال فقد كنت اجدها قد وزنها الادب الفرنسي بميزان صائب وكان معاصرها صاحب مذكرات ما وراء القبر شاطوبريان ، يعرف قيمة ذلك الادب النسائي الخالد .

ووقفت وقفة مديدة عند فيكتور هوغو حين مررت بباريس بالمدرسة التجهيزية « كوندورسيه » فقرأت على الجانب الايمن لوحا نحاسيا خالدا نقش فيه : « من هنا تخرج فيكتور هوغو » . وعلى الجانب الاخر لوح ثان منقوش فيه « ومن هنا تخرج باستور » فقلت متى نجد على ابواب تجاهيزنا الواحا منقوشا فيها ذكريات العباقرة الذين تخرجوا منهـا ؟

ومن غرائب ما يمكن ان يلقاه القارىء في هذا الكتاب العجاب ، أي كتاب « مع الخالدين » ان المؤلف حن ـ وله الشكران ـ على الادب العربي وعلى الشعر العربي بترجمة لبيت « هوغو » الذي أجاب به على رسالة نابليون اليه بالعفو عنه :

ابـرىء يعفـو عـنه مجـرم كيف تسـدي العفو كـف المجـرم

ويظهر اختلال الوزن في الشطر الاول والاعراب ولو قيل : « أبرىء قد عفا عن مجرم » ، لاستقام الوزن والاعراب .

وكيف تم الامر في الكلام على طائفة الادباء ، فانها معين عند المؤلف لا ينضب وهو من سكب ادبه واحاطته وثقافته المتسعة .

ولست آخذا عليه انه اورد الخالدين شراذم في غير تعاقب أبجدي ، وبذلك نجا من الاستقصاء والاحصاء .

والخاطر العربي يلازم المؤلف فذكر شجرة الدر في الباب السياسي الذي ذكر فيه سميراميس وكلاهما من النساء اللواتي قمن بنوبة بالغة في الحكم والسياسة والحب ، وكانت خواتمهن فاجعة ومتشابهة ، لكنه لم يذكر احدا من العرب في باب الادباء ، وذكر طائفة جيدة من الفلاسفة العرب كالكندي والفارابي والبيروني والغزالي وابن رشد وابن باجة ، مع سقراط وأفلاطون وأرسطو وديكارت وديوي، ومع العلماء والفاتحين كان جوادا على العرب ايضا .

وفي الملحق الذي اضافه لكتابه ذكر طائفة مختلفة المشارب والهبات . ووقفت عند سيد المسرح الفرنسي الحديث ساشا غيتري الذي كان مثل موليير يؤلف الرواية ويخرجها ويمثلها ، ولست ناسيا روايته السينمائية «فلنصعد شارع الشانزليزيه» وكنت عام ١٩٦٠ وانا اجوس خلال هذا الشارع الاعظم بباريس اذكر ساشا غيتري واكبر نبوغه . اما « جورج دوهاميل » الذي ذكره المؤلف في هذا الملحق فيثير عندي ذكرى صديقي ناقد الادب المعاصر الاستاذ الكبير محمد مندور حين نهض بترجمة اجمل أثر لدوهاميل وهو كتابه « دفاع عن الادب » . ومن الصفات العلمية لهذا الكتاب النفيس « مع الخالدين » استناده الى المصادر الفرنسية والعربية مما يجعله ذا قيمة جامعية ومصدرا من المراجع الموثوق بها .

قلت لصديقي الكاتب الموهوب الاستاذ سمير شيخاني هات كتابك « مع الخالدين » قبل ان يلبس جلدته المزدانة ، فانه ليشوقني ان اكتب عنه وان ابعث الشوق اليه في قراني وقارناتي بمجلة « الاديب » التي اكتب فيها منذ صدورها لأزف كتابك ولا زفة « العوالم » في رواية « بما كثر » التي رأيتها أخيرا في مصر وأعجبت بها غاية الاعجاب .

دمشق زكي المحاسني

(1) تدور الان مطابع دار المعارف بمصر لانجاز الكتاب الجديد للكاتبة العربية الكبيرة السيدة وداد سكاكيني وموضوعه عن « مي » رائدة العصر العشرين (الاديب) .

تـــرام القاهـــرة

تأليف مهد سيد كيلاني ـ ١٤٤ صفحة ـ مطبعة المدني بالقاهرة

انه دين قديم في عنقي لهذا الباحث المثابر ان اعرض لاثر من آثاره ، وكتاب من كُتبه ، فانه واحد من اولئك الابرار الذين يمضون يومهم بين اضابير دار الكتب بالقلعة باحثا ومنقبا عن تراث الدوريات العتيد ، وقد اصدر من قبل عددا من المؤلفات من ثمرة هذا البحث اهمهـا : الادب القبطي ، السلطان حسين كامل وعصره ، طه حسين الشاعر ، الازبكية . وله تحقيقات على المؤلفات القديمة واضافات عليها وخاصة كتاب الملل والنحل للشهرستاني . وما زال منذ اعوام يعمل في اعداد كتابه الضخم عن الادب والمجتمع في عصر الخديو عباس الثاني وهـو عمل ضخم مجهد راجع من اجله صحف المؤيد والمقطم والاهرام يومـا بيوم خلال فترة لا تقل عن عشرين عاما .

واليوم يقدم للقراء كتابا صغير الحجم ولكنه خطير المعنى ، اذ يتناول موضوعا غاية في الدقة ليرسم به صورة للمجتمع وهو تاريخ ترام القاهرة منذ ان بدأ سيره في ١٢ اغسطس ١٨٩٦ في القاهرة وما كان له من اثار . يقول : « فلما انشىء الترام حدثت ثورة هائلة في جميع نواحي الحياة القاهرية ، فطاب السهر واصبـح في متناول الجماهير وبخاصة الشبان الذين كانوا يقضون الليـل في الملاهي والمراقص ، وبدأت الروابط الاسرية في التفكك وضعفت رقابة الاباء على الابناء ، كما ساعد وجود الترام على اتساع حركة العمران » .

ويرى الاستاذ كيلاني ان الترام قد انشأ ادبا يمكن ان يطلق عليه « الادب الترامي » فكان لـه اثره في الحركة الثقافية والوطنيـة والفنية والرياضية والتجارية ، ولا شك ان هذا البحث هو قطاع مـن دراسة كيلاني الواسعة للعصر والمجتمع في هذه الفترة الدقيقة الشائقة التي لم يؤرخ لها بعد على وجه التفصيل والدقة . ومن هنا فاننا نجد كتاب « ترام القاهرة » من الكتب الطريفة الشائقة التي تعرض لصورة مجتمع القاهرة من خلال الترام ، متصلا بذلك ما هنالك من نكات وملح ترامية وادب شعبي وما يتصل بذلك من هجاء الترام ومدحه .

هذا هو الفن الذي اوشك ان يتخصص فيه الاستاذ كيلاني ويقدم فيه اثارا نافعة حقا ، وهو في ذلك يتابع قلة قليلة من كتابنا في العصر الماضي يمكن ان يكون ابرزهم توفيق حبيب « الصحفي العجوز » الذي ظل يكتب عاموداً كاملا في جريدة الاهرام تحت عنوان « على الهامش » اكثر من عشر سنوات متوالية .

ولعل الاستاذ الكيلاني لن يكتفي بتاريخ الترام وادبه ، ولعلهسوف يصدر كتبا متوالية عن قطاعات مختلفة من المجتمـع ، كالندوات ، والاعياد ، والمسارح ، فيقدم بذلك خدمة لا حد لها للباحثين في شؤون المجتمـع .

ولقد كان ميدان « صورة العصر وملامح المجتمـع » من ادق الموضوعات التي لم يحفل بها كتاب الجيل الماضي في دراسات التاريخ والنقد والفنون الادبية المختلفة وقد لفـت نظري الى هذا الموضـوع الاستاذ يحيى حقي فأتاح لي بذلك ان اقدم كتابي « الشرق فـي فجر اليقظة » متضمنا اكثر من ٢١ صورة للمجتمع من مختلف قطاعاتـه « المحامين ، الاطباء ، الصحافة ، الفن ، الاعياد ، الموالد ، حلقات التصوف ، المقاهي ، الاندية ، الخ .. » ثم كان ان اصدرت كتـاب « تطور الصحافة العربية في مصر » وجعلته « محاولة لرسم صورة للعصر وملامح المجتمع » .

غير اني لا ابالغ اذا قلت ان الاستاذ كيلاني يفوقني في هـذا المجال لصموده واصراره ومتابعته الدقيقة لهذه المرحلة على نحو جدير بالتقدير والتنويه واني في شوق ولهفة لكتابه الضخم الذي اوشـك الانتهاء منه عن « عصر عباس حلمي الثاني » حيث يجلي هذه المرحلة الطويلة الدقيقة في مجال المجتمع والثقافة والحضارة .

القاهرة — انور الجندي

•

علم النفس في الحياة اليومية

تأليف الدكتور معمر خالد الشابندر ـ ؟ صفحة ـ مطبعة ؟

هذا كتاب حري ان يلم به كل ذي نفس يعنيه ان يعرف من أمرها مـا ينبغي ان يعرف ، ويزيد الكتاب أهمية انه من المصادر العربية المعدودة ـ بل النادرة ـ في مثل هذه البحوث وذلك أن علم النفس بما يحمل من المعاني وما يفرض اليه من قضايا النفس واحوالها المتقلبة يعد علمـا بكرا اشتغل فيه علماء الغرب مستقصين ومتتبعين فاكتمل على ايديهم او كاد يكتمـل ..

ومن هذه الناحية فان أمهات مصادره لم تبـرح أجنبية الالفاظ والتعابير والمصطلحات وعلى رغم ما الف وترجم من هذه المباحث فمـا برحت مسائل من علم النفس غامضة معقدة في البيئات العربية فهـي تفتقد المصادر المكتوبة لتكتمل بها أهبة المعنيين بالدراسات النفسية في ارجاء وطننا .. وقد يكون من بعض ذلك مسألة علم النفس في العلاجات الطبية ازاء مجموعة غير قليلة من الامراض التي يظن انها جسدية بحتة وما هي كذلك ، او يظن انها امراض منتحلة موهومة وما هي بذلك ..

كان من ضمن تلك الامراض ما يسمى بالامراض العصابية وهـي فريق من الامراض التي لم تبحث في العربية على الوجه الذي يكشف به عن خصائصها واعراضها فوق ان ما يرجع اليه من مصادر هذا البحث في اللغات الاخرى تزر يسير ثم انه كذلك مضطرب التناول في المعروف من مطبوعات هذه المصادر ..

هذا الموضوع هو اصل الكتاب الذي ألفه الدكتور معمر خالـد الشابندر الطبيب الاديب والباحث النفساني الذي عرف في الاوساط البغدادية بغزارة الانتاج والدأب الحريص على البحث والاستقصاء في كثير وكثير من مجالات المعرفة ..

ومن أجل أن نعرف شيئا عن المؤلف ينبغي ان نشير الى شيء آخر من مصادر معرفته فلقد استفاد حصيلته الضخمـة في الدراسـات النفسية من خلال الفرص التي قضاها مديرا لمستشفى الامراض العقلية والعصبية في بغداد ، وطبيبا معالجا في غير مستشفى واحد هناك .. وكذلك من خلال وجوده عضوا في هيئة محكمة الاحـداث العراقية ، يضاف الى ذلك احتكاكه بكثير من مجالات الثقافة الحديثة .. ومـا عرفنا في بلدنا ـ بغداد ـ من ضاهاه او حاكاه على كثرة اهل الفضل في الناس ..

وقد تحدث الدكتور المؤلف من البدء عما بد من جهد في سبيل تأليف كتابه فقال « فلقد طالما فكرت في ان أنهض بهذا العبء الـذي لم أجده مبحوثا بالعربية بالشكل الذي يستحقه » .

ثم يقول « الله ارجو ان أكون قد وفقت ولو بقدر محدود فـي تأنيس المعرفة في مجال هذا البحث وفي تقريب هذا الموضوع الشائك الى الاذهان وفي تزويد القارىء المتتبع بمفاتيح تدلل له بعض الابواب المغلقة التي جعلت هذا العلم مجالا لذوي الاختصاص وحـدهم فـي ابراجهم العاجية البعيدة ـ شيئا ما ـ عن واقع الحياة العملية » ..

قرات كتاب الدكتـور الشابندر ـ وانا فـي مقر عملـي في بكين

عاصمة الصين الشعبية ـ فكان على رغم تزاحم المصطلحات العلمية في أرجائه ممتعا طريفا .. والعجيب في المسألة ان الكتاب استطاع ان يصحح في ذهني حكاية العلاج النفسي والعيادات النفسية التي عرفت في العهد الاخير ، فاني كنت أجد ذلك مما لا طائل فيه ولا حقيقة له ..

فلقد أورد الدكتور في تضاعيف كتابه نماذج لبعض الاخطاء التي وقع فيها اطباء الاجساد عند تشخيصهم امراضا كانت ذات طبيعة نفسية غربت عن بالهم ، بل لعلهم تجاهلوها استهانة بها ..

وشاء المؤلف ان يكون على الحياد والنصفة في دراساته فأورد كذلك نموذجين لخطأ طبيب نفسي عند تشخيصه بعض الامراض ذات الطبيعة الجسدية جاهلا انها ليست من بعض شأنه ..

وأشار الى أثر الامراض الجسدية في النفس وأثر الامراض النفسية في الجسد فقال ـ ص ٢٥ ـ « ولقد ثبت اليوم بالبرهان والتجربة ان بعض الامراض الجسدية العضوية تنبعث من عوامل نفسية صرفة » .. وفي اكثر من مكان واحد من الكتاب عدد المؤلف التغيرات الجسدية التي تحصل في حالات الانفعالات والتصرفات الشخصية الاخرى من نحو الغضب والحزن والخوف .. ونوه بما ينشأ من تعقد الحالة الصحية وتازمها لدى المرضى الذين لا يلاحظ الاطباء ظروفهم النفسية للتاكد من طبيعة ما يشكونه من الامراض والتثبت من تشخيص عضويتها او نفسانيتها .. ويؤكد الدكتور ان حكاية التطبيب النفسي لم تكن وليدة الازمان المتاخرة بل ان ذلك كان مما اهتدى اليه البشر القديم منذ دهور بعيدة ..

فراينا المؤلف يقتبس من مصادر طبية عربية ألفت في عهود الحضارة الاسلامية المشرقة شواهد تومىء الى علاقة النفس بالجسد في امر الامراض والاسقام ، كالذي فعله في الاقتباس من « كامل الصناعة الطبية » لابن العباس المجوسي المتوفي سنة ٣٨٤ هـ .. مما يستدل به على ان العرب نظروا في هذا الموضوع واتجهوا الى دراسته والتنويه به ..

وفرق المؤلف بين الامراض العصبية والامراض العقلية فذكر ـ ص ١٣ ـ قوله « والناس بمختلف مستوياتهم الثقافية ـ الا بعض المتخصصين منهم ـ يعتقدون بان الامراض العصبية والامراض العقلية شيء واحد » ..

والفيت المؤلف كبير الحرص على ان ينال الطب النفسي عناية تامة فيكون حيث كان الطب الجسدي .. فهو يقول ـ ص ٣٢ ـ «وحبذا لو ان التدريس في الطب عندنا يتجه هذا الاتجاه السليم ويهتم بالنواحي النفسية بقدر ما يستحقه » ، وكذلك اقترح ان يكون هناك مجلس اعلى للتخطيط النفسي في البلاد .. ونراه يقول ـ ص ١٤٥ ـ « ومن الضروري ان يبدأ العمل على الصعيد الرسمي الذي هو اقدر على المبادرة من غيره في تحقيق فكرة العيادات النفسية للاطفال والاحداث والمراهقين الشباب » ..

وأفاض الدكتور الكلام على اهمية علم النفس فكان ذلك ـ على ما أظن ـ مما استطاع الدكتور ان يتوصل به الى اقناع غير واحد ممن لم يألفوا مثل هذه المسائل بعد ولم يستمرئوها ..

وعمد الدكتور الى علم النفس فجعله ذا شأن في التوجيه الموسيقي والتمثيل والشعر ، وكانت هذه قبل اليوم معدودة من جماعة علم المنطق ..

والمؤلف كثير التواضع ودمائة الخلق ، ورأيت آثار ذلك في تضاعيف كتابه غير مرة ففي ـ ص ٣٤ ـ يقول « والانفعال عند علماء النفس من السلوك .. وهو عندي ـ على كوني من المتعلمين ـ مادة السلوك ومؤلف ظواهره » .. وفي ـ ص ١٧ ـ قال « ولعل شفيعي في العجز والتقصير عند القارىء المنصف الذي يعرف مشقة البحث انني الى الخير العام قصدت وانني اقدم اليه في هذا البحث خلاصة

● مجلة « الاذاعة والتلفزيون » ، القاهرة :

.. وفي الادب العربي الحديث رأينا ادباء يمكن ان نسميهم « ادباء الاسرة » ، فهم يدرسون العلاقات داخل الاسرة ، ايمانا منهم بانها اصدق تعبير عن حياة المجتمع . ومن الادباء العرب الذين يمثلون هذا الاتجاه ، الكاتب السوري فاضل السباعي الذي يهتم اهتماما خاصا بدقائق الحياة في الاسرة ، وعن طريقها يعكس حياة المجتمع السوري وبفلسفة رؤاه .

● سليمان موسى ، عمان :

.. ان احسن التوفيق في « رياح كانون » يبرز في ابداع السباعي لشخصية بطله « رامي حسام الدين » : ذلك الفتى المكافح بكل ما يعتمل في صدره من نوازع الطموح وعذابات القلق . وقد نجح المؤلف كثيرا في تحديد « المثل الاعلى » الذي يتطلع اليه « فتى العصر » : انه يبحث عن طينته الاصيلة ، حتى اذا وجدها ، مرورا بنار التجربة المرة ، توصل الى الحل ، الى السر الاعظم في نفس الانسان : الى ان يعرف نفسه .

● الدكتور نقولا زيادة ، بيروت :

.. ان ادب فاضل السباعي يمثل الحياة التي يلحظها بين جماعته وامته . انه يعالج ، في كل قصة ، مشكلة من المشاكل الاجتماعية والنفسية التي يتعرض لها مجتمعنا ، وهو يكتب عنها بعمق ، فكانه يحاول ان يسبر غور هذه النفس البشرية ويعرض ما يعتمل فيها من عواطف وبواعث ومنازع .

● عبله الخماش ، لندن :

.. واتيح لي، من خلال قراءتي روايتك «رياح كانون»، ان اطل على ما يجري في « مجتمع الرجال » ، حين يكونون وحدهم ، لا رقيب عليهم ولا سميع من الجنس الآخر . وباطلالتي تلك عرفت ما يدور بينهم من احاديث وتعليقات، ولا سيما ما يخصنا نحن معشر النساء ! وبغض النظر عما احسست به وانا اقرأ بعض الفقرات التي تمسنا ، فانه لا يسعني الا ان اهنئك على صدقك واخلاصك في عرضها .

ويسر دار القصة العربية بحلب للطباعة والنشر ان تقدم رواية الروائي السوري فاضل السباعي الجديدة التي طال انتظار القراء لها :

رياح كانون

وتعلن استعدادها لتلبية الطلبات التي تردها من مختلف الاقطار ، سواء طلب المكتبات لكميات معينة ويتفق بشانها مع الادارة ، او الطلبات الفردية ويرسل ثمن النسخة الواحدة ، وقدره سبعمئة وخمسون قرشا سوريا او ما يعادل دولارين (الكتاب من ٤٤٨ صفحة من القطع الكبير ، طباعة انيقة وورق فاخر) بحوالة بريدية او مصرفية او شيك الى الدار التي تتولى ارسال الكتاب بالبريد المسجل على نفقتها . وثمن النسخة لخارج الاقطار العربية ثلاثة دولارات.

المراسلة مع :

دار القصة العربية

حلب ، سورية ، شارع اسكندرون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسلوب عملي لموضوع مغرق في النظريات » ..

وتجلى حسن أدب المؤلف وفرط وفائه لاستاذه في الطب «الدكتور هاشم الوتري » الى حد أنه وصفه عند الاشارة الى اسمه بالشيخ الرئيس تشبيها له بالشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا ..

والحس الديني لدى المؤلف يشع على سطور الكتاب بلمعان باهر في بعض الاحيان من نحو قوله ـ ص ٣١ ـ « ومنها ما يحصل في النظام الكهربائي الدماغي الذي هو من اعاجيب ارادة الله في خلق هذا الانسان » ..

ولم يخل الكتاب من اشارات الى بعض نظم التربية الاجتماعية القلقة لدى الناس بل قد يكون ذلك شيئا متلبسا بمختلف موضوعات علم النفس في الحياة اليومية ..

فان الدكتور يقول ـ ص ١١٢ ـ « ان شعور الطفل بنقص المحبة من ابويه او ممن يقوم مقام احدهما او كليهما وبانه غير مرغوب فيه قد لا يؤدي الى قلق مرضي فحسب وانما الى تعويض او انتقام ايضا مما هو طريق الجنوح .. كما ان الافراط في المحبة قد يؤدي الى عدم نمو الشخصية والى بقائها معتمدة على الغير مما هو طريق العصاب والمراهقة المختلة غير المتوازنة » ..

ومن الفصول القيمة في الكتاب ما عدده المؤلف من اسباب الامراض العقلية واعراضها وما قدمه لقرائه من نصائح وتوصيات قيمة في معالجة هذه الامراض ، وختم هذا الفصل بمقترح قيم يتعلق بانشاء جمعيات وهيئات من اختصاصها حماية الصحة العقلية ..

ثم ألحق المؤلف بكتابه لحقا مفصلا للمصطلحات والتعابير المتعلقة بعلم النفس .

ان كتاب الشابندر في علم النفس لعب نفس الدور الذي لعبه كتاب الاغاني لابي الفرج بما نقله الى اوساط الناس من ذخائر الادب والتاريخ، وهكذا صنع الدكتور الشابندر فأتاح بذلك للقارىء العادي ان يفقه نفسه في امر النفس وعلمها ، ويعرف من شأن هذه القضايا ما ينتفع به بعض الانتفاع ، ويرد من فضوله في هذا الشأن ما يرد ..

وفي تضاعيف الكتاب أثبت المؤلف حقائق علمية حكيمة متناثرة هنا وهناك من مثل قوله ـ ص ٥٦ ـ « وليس في الناس من هو سوي كامل مطلق السوية والا خرج من نطاق الانسان » .. ومثل قوله ـ ص ٦١ ـ « والذي يعتقد بان الجدل يؤدي الى نتيجة منطقية دائما مخطىء بلا شك ، لان الالتزام بالتفكير المنطقي الموضوعي المجرد نادر حتى بين العلماء .

ان الكتاب حسن العرض والتعليل وربما كانت بعض فصوله اكثر توفيقا من غيرها في هذه الناحية .. والمؤلف قوى الحجة وذو نظرات انتقادية نافذة ففي كلامه على « الهستيريا » نجده يقول «لعلي لم أجد لفظة أسيء الى مدلولها وحملت ما ليس منها وقرنت بسوء الاخذ والتناول واستخدمت في غير مجالها كهذه اللفظة التي تدل على معنى محدود وتشير الى حالة مرضية معينة ذات اوصاف خاصة وسمات مميزة وعلامات دالة .. ولكنها اتخذت في أذهان معظم الناس خواصهم وعوامهم صورة مهزوزة ومشوشة وظالمة في اكثر الاحيان ، بل لقد صارت في عدد من المجتمعات من كلمات الزراية والسب والتحقير ومن أوصاف الغش والكذب والتدليس .. »

وفي الكلام على العوامل المسببة للامراض العقلية نرى المؤلف يقول « ان البطالة عامل مهم في هذا الباب لا من الناحية الاقتصادية وحدها وانما من ناحية التطمين لدوافع الحركة والانجاز عند الفرد وان الصد والملل الناجمين عن البطالة لا بد ان يؤديا الى اضطراب نفسي .. ان العمل الملائم يؤدي الى اثبات الذات وتطمينها وبعكسه يفقد المرء ثقته بنفسه وينساق الى طريق الاضطراب النفسي » ..

واخيرا فاني ارجو للكتاب ان يلعب دوره في الثقافة النفسية وان تؤتي جهود الاستاذ الدكتور المؤلف اكلها كل حين .. وعساني قد وفقت للتنويه به وبكتابه على وجه حسن وطريقة مرضية ..

بكين — جلال الحنفي



● العهد المخضرم في سوريا ولبنان ١٩١٨ / ١٩٢٢ ـ تأليف محمد جميل بيهم ـ ٢٢٤ صفحة ـ منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع دار غندور ببيروت .

● خبأنا الصواريخ في الهياكل ـ مجموعة شعرية ـ المرحلة الثانية ـ ثريا ملحس ـ رسم الغلاف المهندس نائل ملحس ـ ٥٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الغريب ببيروت .

● هذا جنى زرعك يا سامي ـ مجموعة شعرية ـ هلال ناجي ـ ٢٤ صفحة ـ دار الارشاد للطباعة والنشر ببيروت .

● التوت المر ـ رواية ـ تأليف محمد العروسي المطوي ـ الرسوم بريشة محمود التونسي ـ ٢١٦ صفحة ـ فازت هذه القصة بجائزة بلدية العاصمة عام ١٩٦٣ ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ طبع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● المرأة العربية والروح النضالية ـ تأليف ثريا ملحس ـ ٣٢ صفحة ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .

● بيت الذكريات ـ رواية ـ تأليف حازم مراد ـ الرسوم بريشة مقبل رزق الله ـ ١٧٢ صفحة ـ مطابع دار البصري ببغداد .

● نظريات الاجور في الفكر الاقتصادي ـ تأليف الدكتور محمود محمد الحبيب مساعد رئيس جامعة البصرة في العلاقات الثقافية ومدرس العلوم الاقتصادية ـ ٥٢ صفحة ـ منشورات المؤسسة الثقافية العمالية في العراق ـ مطبعة الحرية ببغداد .

● تطور حقوق الانسان ـ دراسة اعدت لمناسبة المؤتمر الدولي لحقوق الانسان ـ تأليف روكس بن زائد العزيزي ـ تقديم نزار الزين صاحب مجلة العرفان بصيدا ـ ٥٤ صفحة ـ ملحق مجلة العرفان ـ مطابع الوفاء ببيروت .

● العصا في حياتنا وتراثنا ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم بسورية ـ ٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٩ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ مطابع الف باء والاديب بدمشق .

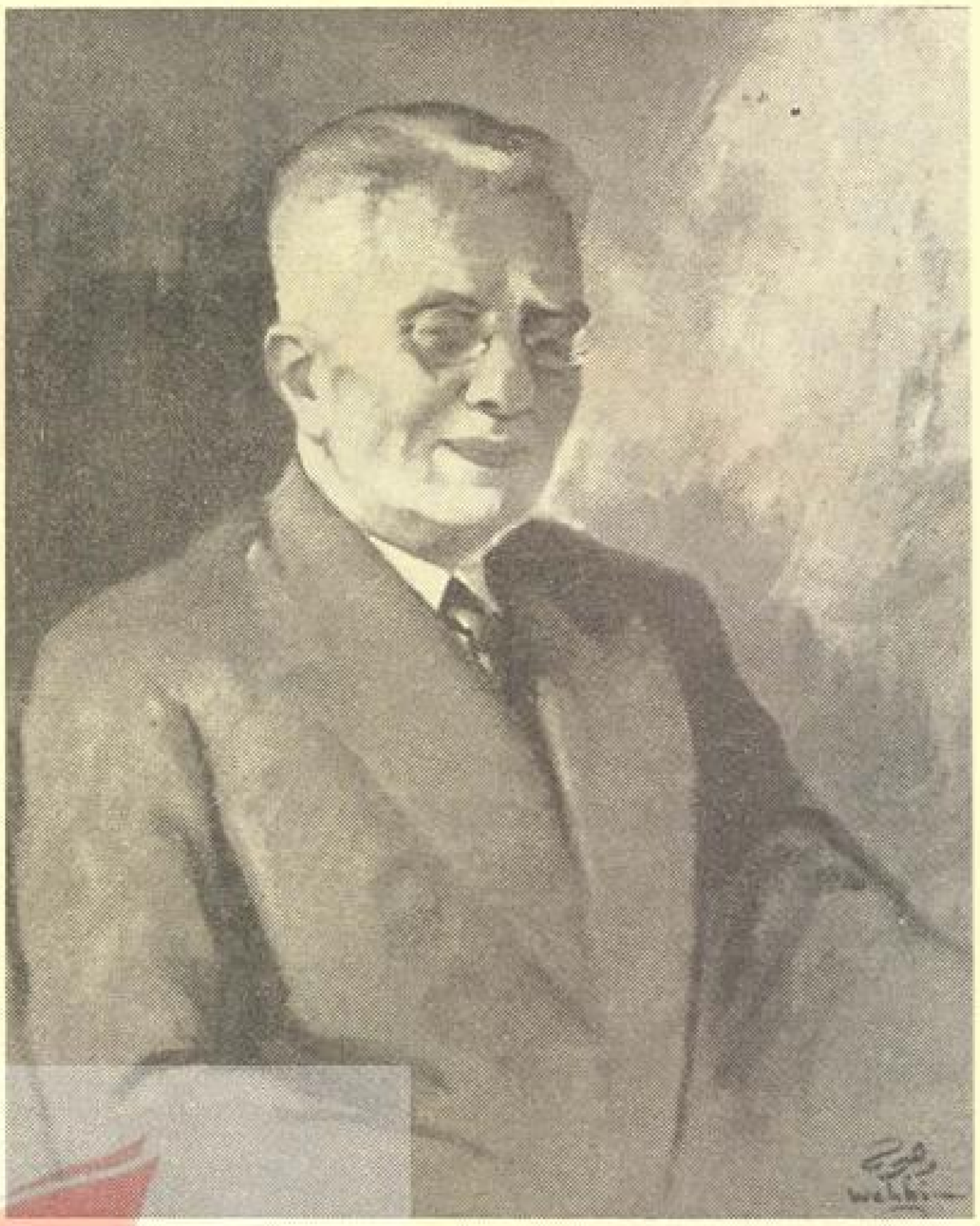
● الطواحين الثلاث وقصص واقعية اخرى ـ تأليف فتوح هب الريح ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار الرائد بحلب ـ مطبعة كنيدر بحلب .

● توازن القوى بين العرب واسرائيل ـ دراسة تحليلية استراتيجية لعدوان حزيران ١٩٦٧ ـ تأليف امين النفوري ـ ٢٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الاعتدال للطباعة والنشر بدمشق .

● نهر الشعاع ـ مجموعة شعرية ـ احمد علي حسن ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الثقافة في دمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● النار في حياتنا وتراثنا ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم بسورية ـ ٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٢ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ صدر في دير الزور بسورية (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بشارة عبدالله الخوري

صاحب جريدة البرق ـ الاخطل الصغير
ابو عبدالله ـ امير الشعراء

بقلم الياس خليل زخريا

● ● ●

سافر امس صديقنا « ابو عبد الله » سفرته القريبة في الارض البعيدة .

تمدد في بزته الجديدة الانيقة ، وسبحته اليسر ، وناظريه الهادئين الباردين ، وعكازه المتوكيء القصير ، وتابوت مشرع الباب من الخشب السنديان المحفر الملمع ، وشمعتين نصرانيتين ، طويلتين من الجبل ، واقفتين وحدهما في مسرجتي النحاس ، عن اليمين والشمال ، تحت العلم تتمتمان على جدران القاعة الواسعة ، العارية ، في صمت المدينة الجامعية الصاخبة .

نظرت اليه مليا ، فكأنه هو نفسه .

مطل وحده من الزاوية في شرفة مكتبه الى رصيف « الشهداء » في ساحة العاصمة بين النخلات العاليات ، وبركة الماء العثمانية التي انصب فوقها تمثال بحري غريب لشهداء غير غرباء .

.. وينساب « الاخطل الصغير » بخياله على مسارب نظارتيه .

ويتنقل بجسده النحيل المفتول فتلا على عصاه المتعبة المتزنة .

ويقتنص هنا ، ويتربص هنا ، وينتظر انتظاره هناك ويكر الدقائق على حبات سبحته القصيرة .

ويبتسم ابتسامة شفافة دائمة كأنها الرضى الى كل شيء والاستخفاف بكل شيء .

ويلف ، ويدور ، ويرود ، ويتأمل ، ويرحب ، ويغض النظر .

يدخل في قنطرة من قناطر البرج ليخرج من قنطرة برجية اخرى .

يستقبل في عرض الطريق بالشم والتقبيل ،

... وقد يفرق في التودد ..

... وقد يتناهي في الجفاء .

ثم تراه يفيء عند كأس ، ودن ، في ضجة او خلوة ، او نشوة منتشية لا ابهة ، ولا ترف ، ولا مظاهر ثراء ، في حي كان زاخرا بالمظاهر ومدارج الرتب وابواب الفخفخة وبيوت الثراء وسارية العلم ونفخ البوق .

ويصحو صحوه عند الالتفات في غمزة ، او لمزة ، او رفة عين وينسحب من المجلس ، على السكت ، انسحابا خفيا .

وقد تراه يتوارى على الوقار في اكمام ثيابه تحت نظارتيه الدائمتين .

وقد تراه ينزوي على التبصر في مداخل نفسه وخفيء اجنحته

وقد تراه ينفعل انفعال النار في دفع الريح .

وقد تراه ينطفيء انطفاء الموت في برودة التراب .

يعربد ويثور .. اذا ما غمزت قناته .

ينفر ويجافي .. اذا ما قوطعت كلمته .

يحقد وينقم .. اذا ما مست قافيته .

يحب النقد مديحا في شعره ومديحا في نثره
في كل شعره وفي كل نثره

فاذا ما تحرك القلم او اللسان في لفظة قلقة من الفاظه ، او الى بيت مضطرب من ابياته ، او على صورة غير مكتملة من صوره ، او قصة شاردة من اقاصيصه ، انتفض كما ينتفض الثأر ، فلم يترك للناقد نثرا قائما ولا شعرا منتظما ولا رأيا سليما ، وقد يجرحه في خلقه ، في ادبه ، وفي اهل بيته .

اني اذا جنت رياح سفينتي ذهب الجنون بحكمة الملاح

واشياء ، واشياء ، من حكايات العمر في رفقة طويلة غنية ، في ثلث قرن ، نتركها الى الغد لروايات الخبر ومجالس الحديث المنبسط .

ويعود « ابو عبد الله » من تطوافه النائي في الساحة الى غرفته ، الى بيته ، الى داره .

كانت غرفته تلك ، ايامذاك ، في غربي ساحة الشهداء ، او في جنوبها ، كل داره ، كل بيته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيها « البرق » والمطبعة ، والمحبرة ، والدفاتر القديمة ، والسجلات الجديدة ، والمكتبة ، والرسائل ، والديوان ، والمسند ، والمائدة ، وادراج الضيافة ، وسلة المهملات العتيقة ، وخزانة الثياب ، واخبار المحبين ، وأثاث كامل من اثاث الدنيا غير الكاملة .

كانت هذه الغرفة ، هذه الدار ، اعمق ما كانت . انها الصومعة اللبنانية العالية التي نزل فيها على نصف قرن في شق من كرسي واحد بقميص واحد ، على اللاهوت الشعري ، ثلاثة قدامى « ابن ابي ربيعة » و « ابن هاني » العباسي ، و « ابو الطيب » .

ورقة عفوية فطرية «كالصوت للطير وكالنشر للزهر» على حبكات مطيبة في سهولة التسلسل ، ولين الحوار ، وحرارة السرد ، وتنغم الكلمة ، وسكب القافية ، وابراز الصورة ، والاقتباس العيني والخطف الاذني ، وتأملات التتبع ، وجمال الارض ، ولذائذ هن من غير لذائذ « نعم وعمر » .

ثم دالية عجيبة تفتح في الجسد ، وفي النفس ، مغالق السر ، ومكامن اللذة ، ومصاعد الجموح .

ثم حكمةدهرية انصهرت فيها الاحداث، والبطولات، انصهار الماء في الغمام ، والغمام في السماء ، والسماء في الضمير المتيقظ المتعطش ابدا الى معطيات الجمال ، وقرابين الحق ومقدسات الحرية .

ثم طموح دنيوي عجيب الى فوق .

قد يغضب فلا يتمرد الا في الكبرياء ، والترفع ، والتعالي ، ونحت الصور ، واطلاق الخيال ، وبناء القصيد بناء الصعوبة الفخمة .

وقد يجنح احيانا الى مثل : « التأمر» ، او التولي ، او التحكم ، او القناعة الوديعة ، المنحدرة عند الضجر والحرمان الى القليل القليل من اوسمة هؤلاء الحاكمين ، الفقراء ، المحتاجين الى من يرفع قدرهم في عين الكلمة .

او قل معي في غبار تلك الصومعة التي سمعتها امس تقهقه قهقهتها في وجه قاعة الاستقبال الكبيرة ، الكبرى ، من قاعات كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية .

وفوق هذا ، وذاك ، قبة صافية من قباب الجبل ، رفعها « الاخطل الصغير » ، ورفاق « ابي عبد الله » وتلاميذ صاحب « البرق » ــ وقد كان معلما سخيا من معلمي الجيل ــ على هذه الدنيا العربية ، الواسعة ، تستظلها الارزة فلا تيبس ، وتنبسط فيها الصحراء الحالمة فلا يجف فيها الماء ، ويمتد تحتها الريف فلا ينقطع فراته ولا ينضب نيله ، ويتدفق بردى ، جارنا بردى ، فلا يبقى في واديه الخصيب الا هذا القلب اللبناني العربي الذي يخفق كالشعاع على قمة حرمون ، ويذوب كالندى على ضفاف الغوطة ، ويسيل كالامل على « العاصي » المتفجر من قلب الصومعة الهرملية من عندنا في الجبل الاخضر .

ويسألون الوادي الدمشقي عن قديم هوى « هذا الفتى العربي في الزي الغريب » فلا يجدون غير خفقات قلبه مع المجد ، والسرى ، والسراب ، والامل الاكبر ، الى الرمل ، والنخيل وجبال الشمس في واحات الزمن .

ويوم نادينا ، شاعرنا ، بهذه الاسماء الثلاثة : « ابو عبد الله ــ الاخطل الصغير ــ امير الشعراء » كنا نشعر بأن هناك اسما رابعا فوقها تنتهي فيه هذه الروافد اللفظية .

تتساقط عن مجده ويبقى، تنتثر عن دوحه ويدوم.

الم يعشق « بشارة عبد الله الخوري » نفسه كما يعشق البلبل حنجرته ؟!

الم تكن هذه الاسماء تمدحا به ، نعوتا عابرة في معدنه .

الم يلقب نفسه باسم شاعر بني امية فخورا بمفاخره مطمئنا الى نصرانيته ، ومكانته ، ومجالسه ، وافيائه في مشارف الافياء ، حتى اذا سرى اسمه ، وتناقل على الواح القلوب ، تضايق فخلعه ، وتألم فأنكره، وتمنى علينا مرارا في محبتنا له ان نهمل التسمية : « ذلك عبث من ايام الصبا في طفولة الشاعرية » .

الم يناج ابا الطيب :

طلبت بالشعر دون الشعر مرتبة ... فشاء ربك ان لا تدرك الطلب

ويسعى اليه منظمو مهرجان الامارة ، شعراء الكهولة الراغبين في الارث غير الموروث ، فيرحب باللقب ، ويهلل بالتتويج ، ويحني راسه العالي لاكليل المهرجان وصولجانه والتقيه بعد « التأمر » واذكره ولا اهنئه ، فيعتب بجفاء ويودع بقساوة ، وكم وددت حقا لو تحركت فيه علي شاعريته الغضبى فهجا كما كان يهجو ، وحطم كما كان يحطم ، غير انه انطوى عنا في لين الغربة على عتابه الاخير ، وموته الاخير ..

وادركت ان اقصى ما كان يطمح اليه « بشارة عبد الله الخوري » في اوائل حياته واواخر هذه الحياة الدنيا لقب « امير الشعراء » وان كان في قرارة ذاته واثقا بأنه ليس للشعر امارة وليس للامارة (ولي عهد) وليس لولاية العهد (اكليل او صولجان) .

ويا صديقي .. يا امير الشعراء .

لا اوتارك انقطعت عن عودك .

ولا شموسك توارت عن مشارفك .

ولا اقمارك غابت عن ضلوع جبلك .

اراك في نفسي كأنك الجبل .

غرد يا ابا عبد الله ففي كل واد حداء من قلبك .

سلم قلبك من الموت .

الياس خليل زخريا

الحيـاة بين السعادة والشقـاء

بقلم الفقيد مصطفى درويش الدباغ

* * *

لكل اديب مكين فلسفة خاصة ازاء الحياة ، تأخذ عليه منافذ فكره ومسارب حسه ، لا يتخلى عنها ، فهو دائما شغل بها لا يفتأ ينفثها شعلة حارة ينبض بها حسه ، ويتوهج بها فكره ، ما دامت انفاس الحياة تتردد اصداؤها مشتعلة في جسده وروحه . وستبقى هذه الافكار حية، يتوارثها الخلف عن السلف منبثة في ضمير الانسانية ، لا يتناولها عادي الفناء ، وان غدت تتبرج في اثواب فضفاضة اخرى ، على اقلام الكثيرين من الكتاب والفلاسفة ، ولو قدر لهذا الكون من الاسباب ما يمنع حياة الانسان من الانطلاق لما شعرنا بمعنى الحرية ، لان معناها لا يتجسد شعلة مضيئة الا اذا كانت ثمة اسباب تمنع مجاريها من الاندفاق في السبيل الذي ارادته لها الحياة بعد صقلها واندفاقها ، في المجاري المشروعة التي توحيها معاني السماء .

واذا استعرضنا تاريخ الانسانية منذ اقدم عصورها حتى الان نجده صراعا بين الحريات ، ومهما كتب الفلاسفة ونظم الشعراء ، فان حرية الفكر تبقى في عراك مع الافكار التي تصادمها ، لان جوهر الحياة مركوز على الصدام ولذتها تنبعث من حيوية هذا العراك ، ولا يمكن ان تخلد الانسانية الى العالم الروحي الذي يتألق في احلام اهل الفلسفة والفن ، وما يتدفق في مشاعرهم وافكارهم فاذا اخلدت الى مثل هذه الاحلام واقامت في النهاية حياتها على نسيج احلامهم ، فانها لا تلبث ان تركد كالمستنقع الآسن ولكنها لا تني حتى تتمرد على حياتها ، وتنشد حياة اخرى تستمدها من حيوية ما يضطرم في اعماقها .. وفي اعتقادي ان الانسانية لو وثبت الى هذا الطور الذي خفق في احلام افلاطون ، والفارابي ، وتوماس مور ، لأحست بالسأم والملل والركود ، ولكنها ستبقى وهي في هذا الطور تتذوق جمال المعاني التي رسمت في كتاباتهم وستبقى قافلة الفكر تعرض منتوجاتها الفكرية ، ازياء اثر ازياء ، متنوعة الاساليب ، استجابة لروح التمرد ولفطرة الحياة الانسانية .

واذا احس بعضهم بالمرارة ، لعدم قدرة الافكار ، والمثل العليا ان تخضع الحياة الانسانية للمدلولات والمعاني الروحية فليس مرد ذلك الى ضعف الافكار وعدم جدواها، وانما مردها الى تمرد الانسان وعدم تشربه معانيها السامية ، وطبيعة الحياة هو الهدم والبناء ، والشعور بتذوق معنى المأساة الانسانية يتطلب من ناحية ثانية الشعور بتذوق معنى السعادة الانسانية ، ولا يدرك الانسان حقيقة هذين المعنيين ، الا اذا تذوقهما معا ، وهكذا الحياة سعادة وشقاء :

ومحال ان يسعد السعداء الدهر ، الا بشقوة الاشقياء .

وقف المتنبي في خضم الحياة يصارع اهواءها واعاصيرها ، تدفعه الى ذلك عزيمة ماضية وجراة جنان ومضاء فكر ، وقد هدته تجاريبه وما وقع في وطابه من احداث منذ ان شب عن الطوق الى ان قتل في معركة كانت الغلبة فيها لاعدائه عليه ، اقول لقد هدت المتنبي تجاريبه ، على ان الحياة صراع واحتكاك ، صراع خفي وظاهر ، لا يتفوق فيها الا الاقوياء .. اقوياء العزيمة والفكر ، والجلد والصبر ، واذا هادن الناس بعضهم بعضا ، فانما يتهادنون على البغضاء ، حتى اذا لاحت لهم بارقة ضعف من احدهم ، شنوا عليه حربا لا هوادة فيها ولا لين ، بدون رحمة ولا شفقة ، كجماعة الذئاب اذا لمحت ضعفا واستسلاما في احدها هجمت عليه ، وجعلت لحمه جزرا لانيابها .. يقول :

ومن عرف الايام معرفتي بها ... وبالناس ، روى رمحه ، وهو قائم
فليس بمرحوم .. اذا ظفروا به ... ولا بالردى الجاري عليهم بآثم

ويقول في موضع آخر :

انما انفس الانيس ، سباع ... يتفارسن جهرة واغتيالا
من اطاق التماس شيء غلابا ... واغتصابا .. لم يلتمسه سؤالا

الى غير ذلك من الحكم الغنية التي امتلأ بها ديوانه، وكلها مصفاة من منجم الحياة الحقيقي ، وكذلك وقف ابو العلاء المعري امام الحياة يواجهها بفكره وقلبه ونفسه ، فهو مفكر وشاعر وفيلسوف ، خبر الدنيا وتأمل الحياة الانسانية الباطنية ، فوجدها مما لا يستطاع اصلاحه ، لان طبيعة الشر كامنة فيها .. يقول :

لبيب القوم ، تالفه الرزايا ... ويأمر بالرشاد ، فلا يطاع
فلا تأمل .. من الدنيا صلاحا ... فذاك هو الذي لا يستطاع

واذا وقف العقل المفكر يزجر الناس ويردعهم عن مقارفة الاثم والفي والغدر ، فان طبيعة الفي الراسخة في النفوس تطغى على قوة العقل ، فيستجيب الناس الى صوت الفي غير مبالين بنصيحة الدين ولا بنصيحة العقل يقول :

فاوسع بني حواء هجرا فانهم ... يسيرون في نهج من الغدر لاحب
اذا ما اشار العقل، بالرشد، جرهم ... الى الفي ، طبع اخذه، غير ساحب

والناس تضمر غير ما تظهر ، واذا بان عليهم اظهار مقت الحياة ، ولكنهم في الحقيقة يضمرون عشقها ، وان اظهروا الزهد فيها ، يقول :

شقينا بدنيانا .. على طول ودها ... فدونك مارسها حياتك واشفها
ولا تظهرن الزهد فيها .. فكلنا ... شهيد .. بأن القلب يضمر عشقها!

وستبقى معاني الانسانية الروحية في صراع ابدي مع القوى المضادة ، وستبقى الثنائية متفلفلة في حياة الانسان ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، ما دامت عجلة الحياة في سيرورة مستديمة .

عمان ـ الاردن — **مصطفى درويش الدباغ**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى ابني

★

على انقاض مجدي سوف تبني ... فطاول قبة الجوزاء يا ابني !
عقدت عليك آمالي ، واني ... لأرويها اذا ظمأت بعيني
ليحي ابوك في حرج وخوف ... وترتع انت في فرج وأمن
اذا طافت بخاطرك الاماني ... شعرت كأنها طافت بذهني
وان بشت لك الدنيا ترامت ... بشاشتها الى اعماق حزني
سهرت لكي تنام على حرير ... اذا اغفيت انت ارتاح جفني
وجعت لكي تشب ، ولا ابالي ... اذا استقويت من ضعفي ووهني
تموت ارومتي شيئا فشيئا ... لتمتص الحياة عروق غصني
وتخبو نجمتي لتطل شمسا ... مشعشعة على سهل وحزن
ويذوي مرتعي زهرا ونهرا ... ليضحك وجه مرتعك الاغن
واهبط سلم الدنيا لترقى ... والتزم السكوت لكي تغني
بني لانت في الضراء سيفي ... وانت على عواديها مجني
نشأت على المكارم ، لم تخيب ... رجاي ، ولم تحد في الدرب عني
صغيرا لم تزل ، لكن تعالى ... ذكاء القلب عن قد وسن
اكاد ارى على عينيك طيفي ... واسمع في هديلك رجع لحني
اعدت الى طفولته فؤادي ... فدعه في ملاعبه ودعني
غدا تطوي بشاشته الليالي ... وتمشي النار في جنات عدني

★ ★ ★

بروحي افتديك ولا اغالي ... وما انا من يمن ومن يمني
لأنت احب من نفسي لنفسي ... واكرم موضعا في القلب مني
نصحتك لا تكن للمال عبدا ... فحسن الذكر عن «قارون» يغني
ولا تفتح لغير الحب قلبا ... تعالى الحر عن حسد وضغن
سألت الله ان تحيا سعيدا ... اذا حققت او خيبت ظني
ارق قصائدي معنى ومبنى ... واحلاها بيانا انت يا ابني !

بوانس ايرس – الارجنتين

زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرة في « معاهد التنصيص »

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

يقابل بعض القراء هذا الكتاب بقليل من الترحيب قبل ان يسموا به لان اسمه من جهة وعصر مؤلفه من جهة اخرى لا يوحيان بكثير من البشاشة والاقبال ، فاسم الكتاب « معاهد التنصيص على شواهد التلخيص » يلقي ظلا فاتما يثيره ما عرف عن متن التلخيص من تقعيد وتعقيد ، وظهور المؤلف في القرن العاشر الهجري – وهو زمن تدهور فيه الفن الادبي تدهورا لا يؤذن بالاجادة الرائعة والتفوق الناضج – مما يشي بضآلة نفعه ، وقلة جدواه . والحق ان الكتاب عظيم النفع كثير المحاسن ، وساحاول ان اشير الى مزاياه من قريب . ونحن نسأل اولا عن رسالة هذا الكتاب ؟ فاذا اتضحت على وجهها الصحيح برزت مزيته بجلاء ، وحسبنا ان نعلم انه كان خطوة أولى في طريق النهوض بعلوم البلاغة ، والخروج بها من دائرتها الضيقة الى أفق التذوق والاستمتاع ، وهي خطوة موفقة سارة ، اذا نظر اليها كعمل مبدئي تضافرت بعده الجهود المتتابعة حتى كتب للبلاغة بعد اجيال ان تنهج نهجها القويم ! اما كيف برزت هذه الخطوة المبدئية فذلك ما اخصه بالحديث !

لقد كان عمل السكاكي في محيط البلاغة بالقرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع حدا فاصلا بين ازدهار البلاغة وارتكاسها ، اذ انه نظر اليها بعين المنطق والفلسفة ، واكثر من التعريفات والتفريعات اكثارا سيطرت عليه المصطلحات والحدود ، وضاعت بجواره فائدة النصوص الادبية فلم تعد البلاغة فنا جماليا يتجه الى الاسلوب الجيد والمعنى الرائع ، ولكنها اصبحت رسوما وقواعد تحوطها التعليلات الذهنية، والاعتراضات المنطقية، وجاء الخطيب القزويني فلخص هذه التعريفات والرسوم تلخيصا جافا أحال البلاغة الى الفاز ذهنية ورسوم منطقية ، واسمى عمله هذا «متن التلخيص» ومن المؤسف حقا ان هذا المتن قد لقي الحظوة والاقبال لدى من عرفوا بين الناس بعلماء البلاغة فيما بعد القرن السادس فكتبت له الشروح ووضعت عنه الحواشي والتقادير واصبح مركز الدائرة في كل ما يقال عن بلاغة الاسلوب وفصاحة التركيب وقوة التشبيه وجودة الاستعارة ،ونقد المحسنات والموازنة بين السرقات ، واشتهرت شروح التلخيص اشتهارا جعلها صاحبة الكلمة الاولى في المضمار البلاغي، وأصبح عالم البلاغة بمنأى عن النصوص الشعرية والآثار الادبية ، ولكنه يجيد تعريف الفصاحة كما رسمه السكاكي مع ما قيل في الاعتراض عليه ،ويفتن في ارجاع الضمائر، واخراج المحترزات ، فاذا سألته ان يحكم على نص ادبي على مثال ما كان يصنع عبد القاهر والجرجاني والامدي ضاق مجال القول امامه ، وعجز حتى عن فهم ما فاض به مؤلفو دلائل الاعجاز والوساطة والموازنة بل عد ذلك بمنأى نازح عن علم البلاغة الاصيل ، وقد ذكر الاستاذ عبد العزيز البشري انه يعرف زميلا يحفظ جميع شروح التلخيص ثم يعجز عن كتابة رسالة أخوية لا تتجاوز ثلاثه أسطر ! ولئن كانت هذه نتيجة دراسة التلخيص وشروحه فيا لهول المأساة !

ادرك مؤلف معاهد التنصيص ما تورط فيه البلاغيون من بعد عن النص الادبي والمام بحيوات قائليه من الشعراء والكتاب ، فألف كتابه ليذكر كل نص من شواهد التلخيص فيشرح معناه ويذكر مناسبته وجزءا كبيرا مما قبله وبعده عن الآيات الشعرية ، ثم يتجه الى سرد كثير من الابيات التي تشير من قريب او بعيد الى معنى النص ليتسع مجال الموازنة على مر العصور بين السابق واللاحق ! واذا عرفنا ان المؤلف قد عاش في القرن العاشر الهجري فالم بأكثر دواوين الشعر العربي من لون العصر الجاهلي الى زمنه ثم استخرج منها ما يشابه بيت الشاهد او يناقضه ، وسرد ذلك كله بمناسبته ، اذا عرفنا ذلك ادركنا قيمة هذه الذخيرة الثمنية التي قدمها المؤلف في كتابه ، وقد يكون غيره من التقدميين قد سبقه الى ذلك في القرن الرابع او الخامس او السادس مثلا ، فانتفع بآثارهم المدونة ، ولكن تأخره الزمني اتاح له ان يتابع الشعراء المحدثين فيجمع ما قالوه من الشوارد ، ويقدم سجلا حافلا متناقضا حيث يجمع شعر الطبع والصنعة ويقرن الغث بالسمين متيحا لصاحب الملكة الادبية ان يستمتع بالجيد الرائع وان يحكم على الغث المرذول !

هذا العمل وحده في تتبع معنى النص على مر العصور يحيي حاسة التذوق الادبي ، ويدعو الى الارتقاء البلاغي صياغة وتفكيرا فاذا اضاف الى ذلك كله ترجمة حافلة لصاحب النص تبين خطوات حياته وترسم بيئته ومؤثرات انتاجه وتلم بزبدة ما قيل عنه فقد خدم الملكة الادبية خدمة راقية ، واعان على التذوق البلاغي اعانة مسعدة مسعفة ، وما ظنك بمائتين وخمسة وعشرين من الابيات هي كل شواهد التلخيص يكتب المؤلف حولها ألفا وثلاثمائة وخمسين من الصفحات يخرجها الاستاذ محي الدين عبد الحميد في اربعة اجزاء كبار هي ما يعرف بمعاهد التنصيص ! اي ان النص الواحد قد استغرق اكثر من ست صفحات ! وليس ذلك مطردا بطبيعة الحال . ولكنه احصاء تقريبي يوقف على مدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جهد المؤلف الكبير !!

اما نصيب البلاغة الرسمية من هذه الموسوعة فلا يتجاوز بضعة أسطر تلحق بكل نص وقد تصل في كثير من الاحيان الى سطر او سطرين !! الا يدرك القارىء معي مبلغ ضيق المؤلف بمماحكات البلاغيين ونزوعه الى السمو بهذا الفن الى افقه الاوسع باذلا جهده الاكبر في خدمة النص والتعريف بظروف قائله اذ هما لباب اللباب !! وان مؤلفا يخطو هذه الخطوة في القرن العاشر الهجري حول متن التلخيص مع جبروته العلمي اذ ذاك لصاحب رسالة في مضمار البلاغة الادبية دون نزاع ، وقد اشار الرجل في مقدمة كتابه الى عمل مشابه لم يكمل بل لم يخرج عن حيز المسودات قام به الجلال السيوطي ، وليس لدينا الان مجهود الجلال حتى نحكم عليه ، ولكننا نعرف نزعته العلمية الفقهية من خلال كتبه الكثيرة ، وبعيد جدا على عالم فقيه مفسر لغوي متكلم محدث مؤرخ ان يبرع في الادب الخالص براعة صاحب المعاهد ، او يوفق توفيقه الفني في دراسة الدواوين الشعرية ، والتنقيب عن حيوات الشعراء بالذات ! لذلك نعد كتاب المعاهد خطوة بلاغية جديدة كتب لها الذيوع والبقاء .

وقد ذكر الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ان « كتاب معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص » كان من سمار الاستاذ الامام محمد عبده مفتي الديار المصرية الاسبق وأنه كان كثير القراءة فيه والمعاودة له، وكان رحمه الله اذا اراد ان يختبر طالبا ممن يتقدمون اليه لبث شكاية او رجاء شفاعة قدم اليه هذا الكتاب وطلب ان يسمعه قطعة منه ثم امره ان يعيد ما قرأ ، فان أجاد القراءة والفهم والابانة توسم فيه الخير وقضى حاجاته ، وهذا غير مستغرب من الاستاذ الامام فقد نشأ في عهد سيطرت فيه حواشي التلخيص على دروس البلاغة بالازهر وأراد الشيخ ان يسلك بالطلاب واديا آخر فأخذ يقرأ عليهم كتابي عبد القاهر ، ولعله حين اطلع على معاهد التنصيص وجده خطوة للتخلص من هذه المناقشات الذهنية الجامدة فأخذ يعرضه بطريقته الخاصة على الطلاب ليذيع أمره ويرقى به الازهريون الى مستوى البلاغة الفنية بعد ان هبطت بها الشروح والحواشي الضافيات .

اما مؤلف الكتاب الشيخ عبد الرحيم بن احمد العباسي المتوفي سنة ٩٦٣ هـ فلم اجد ما يعرفني به اكثر من كتابه ، واثر المرء دليل عليه ، اذ ان ما كتبه عنه معاصرو عهده من امثال الشهاب الخفاجي قد غرق به في بحر من السجعات الذائعة فهو « **حسيب طرزكم المجد واعاد** برقة شمائله نسمات نجد ، وله رايات فضل عليه ، نعمت الاقلام بسواد انفاسها العباسية » الى امثال ذلك مما يمكن ان يقال لكل اديب ، وقدعرف عنه انه من ابناء بني العباس الذين تفرعوا بمصر من شجرة الخلافة العباسية التي احياها سلاطين المماليك على يد الظاهر بيبرس ، حتى اذا انتهى مجدهم الروحي بدخول مصر تحت حكم الاتراك بقي احفادهم في وادي النيل وقد اندمجوا في الشعب المصري واصبحوا بعض افراده ، ومن بينهم عبد الرحيم مؤلف الكتاب ، اذ سلك سبيل انداده في تحصيل الادب والعلم فقرأ علوم عصره ، وروي عنه شرح كبير للبخاري ، وحين الف معاهد التنصيص رحل الى بلاد الروم قاصدا القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية واتصل بكبرائها وائمة العلم من رجالها فأتيح له من يقدر كتابه ويذيع في الآفاق حديثه ويثيبه عليه ، والحق ان الشعور العام في مصر والشام كان منحرفا عن الدولة العثمانية حين احتل سليم الاول مصر عدوانا وبغيا فاشعل حربا طاحنة بين ممالك الاسلام خسرت بها مصر مجدها السياسي ونفوذها الحربي وتقدمها العلمي والحضاري ، ولكن زوال سليم وتولية سليمان القانوني من بعده قد استطاعا ان يخمدا روح العداء في النفوس فانطفأ ما كان يشتعل بها من غيظ نحو ابيه، اذ استطاع ان يقود الجيوش الاسلامية من نصر الى نصر في أوربا ، وقهر ملوك المجر والنمسا والمانيا وفرنسا والروسيا ، وثار له دوي رنان في بلاد الاسلام وتحدث انه حامي الشريعة ورجل الملة وخاقان المسلمين! واصبح من عادة العلماء والادباء ان ينتجعوا حاضرة الخلافة العثمانية ، رغم انها لا تقاس في مجدها العلمي بالقاهرة وكان عبد الرحيم احد هؤلاء ، ولا ريب انه كان يكتم في نفسه حسرة كاوية حين توجه الى من استلبوا جلال الخلافة من آبائه واجداده . . على انه كان في شظف من العيش كما يلوح من بعض قوله ، ومما يوجهه الى زملائه الادباء فهو **يقول مثلا :**

ارى الدهر يكرم جهاله واعظم قدرا به الجاهل
وانظر حظي به ناقصا ايحسبني انني فاضل

ويقول عنه صديقه الشهاب بن محمود النابلسي « حين قعدت به الاحوال وقامت الاهوال » كما عبر عن نفسه :

عبد الرحيم اضاعوا بدولة ضيعته
ما فيه لو ولا ليت ! انما ادركته !

فالرجل كان مساقا الى انتجاع القسطنطينية لظروف عيشه وقد وفقه الله فقضى حاجة في نفس يعقوب !

ومن يقرأ شعره يلمس به ارتفاعا عن مستوى عصره فالرجل لا يتكلف الشعر في المناسبات العامة ولا يحشوه حشوا ببهارج المحسنات وزخارف البديعيات ، بل يعبر عن ذات صدره ، وما أثر من مقطوعاته ينطق بتجاربه الذاتية ، ويدل على اهتمامه بالمعنى على عكس اقرانه من شعراء العصر ومحترفي النظم والتشطير والتخميس ! ولي ان ازيد على ذلك فأزعم أن وحي الخبرة العاقلة يلوح في خطراته فيأتي بما يوقفك على الحقيقة المرة حين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتحدث عن ضعف الشيخوخة فيقول :

فـد كنت امشي ولست اعيـا فصرت اعيـا ولسـت امشي

وتارة يكشف لك عن الحقيقة في قضايا الـــود والصداقة فيقول قوله الحكيم عن تجربة :

لست عـن ود صديقي سائـلا غير قلبي فهـو يـدري وده
فكمـا اعلـم مـا عندي لـه فكـذا اعلـم ما لـي عنـده

وهما بيتان نفيسان من ناحية ومدلولهما العاطفي صحيح الى حد بعيد ولكن صياغتهما اقرب الى المنطـق منه الى الشعر ، وقد يلجئك الى الابتسام حين يتهكـم ببعض الناس فيقول في سخرية :

رأيت لئيم قـوم في ممـر وبـين يديـه اشخاص لئـام
فسلـم من جهالتـه ابتـداء فقلت له متى كسد السلام ؟

ووجود هذا الطراز مـن الشعر في القرن العاشر الهجري معجب رائق ، على ان الشاعـر بحكم بيئتـه وثقافته مهمـا سـما بروحـه عـن الاسفـاف اللفظـي والعبث الزخرفي لا بد ان يجذبه محيطه الـى مداره ، فينجذب احيانا الى ما تورط فيه سواه مما شاع وعـم من اصباغ البديع، وهو اذا تورط في ذلك لا يهوى مهوى الفاضب البليد ، ولكنه يحافظ الى حد ما على مكانتـه الفنية صياغة ومعنى . فهو مثلا يسرد بيتا للبحتري في الاستخدام البديعي ج٢ ص ٢٦٩ :

فسقى الغضا والساكنيه وان همو شبـوه بـين جوانـح وقلوب

ثم يذكر لنفسه من هذا الوادي ص ٢٧٠ :

تمر الصبا عفوا على ساكني الغضا وفـي اضلعي نيران تتسعـر
فتذكرنـي عهـد العقيـق وادمعي تسافطه والشيء بالشيء يذكـر
ويورث عيني السفح حتى ترى به معالـم بالاحبـاب تزهـو وتزهر

فهذه الابيات الثلاثة تضمنت ثلاثة امثلة للاستخدام في كلمات الغضا والعقيق والسفح ، ومع سبق الشاعر بما الم به وتورطه في مجاراة عصره فقد بدا في نظمـه تماسك قوي لا يفقده الرونق والبهاء ، وقد يضعف قليلا عن هذا المستوى في بعض ما استشهد به لنفسه فـي صفحات الكتاب ؟ ولكن من الذي يحلق دائما من فحول الشعراء حتى نحاسب اديبا مثله عن بعض الهنات !

وشخصية العباس تظهر واضحة في مؤلفه فهو لا ينقل نقلا دون تمحيص ولكن يقف من المنقول وقفات ناقدة قد تقصر وقد تطول ، ونقد الروايات الادبية يحتاج الـى خبرة ذهنية ونفسية ، ويكشف عـن عقلية صاحبـه ومنازعه ، لا سيما اذا اتجه النقد الى اخبار متواتـرة ترويها الكتب على مر العصور كاتبا بعد كاتب ، فالرجل يرفض مثلا ما تعورف عن ابيات ابي تمام :

اقدام عمرو في سماحة حاتـم في حلم احنف في ذكاء ايـاس
لا تنكروا ضربي له مـن دونـه مثلا شرودا في الندى والبـاس

ويروي ان القصيدة قيلت في احمد بن المعتصم لا في امير المؤمنين حتى تنسب اليه الاقاويل ، كما ينفـي ما حكاه الرواة من ان العباس بن الاحنف مات مـع الكسائي في يوم واحد ، وقد صلى عليهما الخليفة مبتدئا بالعباس دون الكسائي ، ويستند في نفيه الى ارقـام التاريخ اذ ان الكسائي قد توفي قبل العباس ببضعـة سنوات ، وقد ظهرت براعته النقدية في نسبة الشواهـد الى اصحابها ، فهو ينقل آراء كثيرة للعلماء ثـم ينقضها او ينفيها بالدليل ، وقد يرجع الى ديوان الشاعر فلا يجـد الشاهد فينص على ذلك في اكثر من موضع مما يوجبـه التحري الدقيق ، على انه رغم شفافيته الادبية ، واستكمال حاسته النقدية لم يستطع الخلوص مما درسه من اقـوال السابقين ، فوقع في بعض ما وقعوا فيه من اخطاء فهـو مثلا يروي قول ابي تمام :

اعوام وصل كاد ينسى طيبها ذكـر النـوى فكانها ايـام
تم انبرت ايام هجر اردفـت نجـوى اسـى فكانهـا اعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانهـا وكانهـم احـلام

ثم يقول عقب روايتها « ولابن الفارض رحمه اللـه في هذا المعنى مع الاختصار المعجز :

اعوام اقبالـه كاليوم فـي قصـر ويوم اعراضه في الطول كالحـج

وهذا تعقيب من يفضل بيت ابن الفارض على ابيات ابي تمام لعلة واحدة وهي الاختصار ! وذلك ترديد لمـا تعورف لدى بعض الناقدين من ان البلاغة هي الايجاز في كل موقف كان ! مع ان الايجاز بليغ حقا عند مقتضاه ، امـا ابو تمام فيستعرض ذكريات يروق له ان يفصلها ويطيـل الحديث عنها ليردد كل لفظ منها صدى يجول في اطوائه، وليوحي انبساط القول من الظلال مـا يرسـم شـعوره المختلف في الوصل والهجر ولن يؤثر في نفس قارئه حين يرمي بالعبارة الموجزة فلا تحمل اصداء نفسه المتماوجـة فاخذ يستعرض تقلبات ماضيه استعراض مـن عانـى التجربة وتلذذ بنعيمها ثم انقبض لبأسائها ، فأتى هـذا الاسهاب الجيد على ما في نفسه من الشجون ، ولـن يستطيع قول ابن الفارض على ايجازه ان يبلغ مبلغ ابـي تمام !! وفي رأيي ان نقد ابن الاثير لمثل قول ابي نواس :

اقمنا بهـا يوما ويوما وثالثـا ويوما له بعد الترحـل خامس

ورميه بالتطويل الممل ، والحاح من قبله ومن بعـده على تفضيل الايجاز دون التفات الى ظلال الالفاظ وايحاء الصور .. كل ذلك قد جار على الصواب وقاد صاحـب معاهد التنصيص وكثير من نظرائه الى ما تأباه .

ويلحظ من يطالع هذا الكتاب كثرة اشعار المجون به بدون داع ملح فليس في اكثر ما ذكره من روائع المعانـي وجميل الصور ، وحلاوة الفكاهة ما يشفع فـي تدوينه ، بل يرتطم الناظر بألفاظ نابية صيغت في ابيات منظومة ، ويدعي قوم انها من الفن الادبـي مهما انحدر اتجاهه ، ولسنا ممن نرى هذا الرأي ، لان ذكر الالفاظ المستهجنة في ابيات عارية فاضحة لا تعد فنا ما دام قد خلا مـن الصورة الموحية والمعنى البارع ، واللفتة الساخرة المتندرة! واكثر ما جرى هذا المجرى في معاهد التنصيص كلام اذا نثرت ابياته كان حديث الساقطات والساقطين في ملاهي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاخطل الصغير

جورج غريب

* * *

هو يا بلاد الارز نسر تاه من بين النسور
سحب الجناح على الذرى ومضى يجوب مدى الاثير
قصفت جناحيه الرياح ففي العلى هزج المغير
وتخطفت ريش الجناح عواصف الزمن الغرير
فهوى من العلياء مخضوب الجبين بلا مجير
جمعت بقاياه المنى ورمت بها شم الوعور
فالنسر يهوي يا سماء تلفتي ! .. يا أرض ثوري
ثقلت سلاسل في اليدين ومنهما غزل الحرير
من كان يحمل عمره من قبل أعمار الدهور
لن يهجر الآفاق والوطن الحبيب بلا سمير
ستظل اغنية الهوى قسما بأقداس المصير

هو في الشموع حبورها ، وظلامها بعد الحبور
هو ما أسال الشعر الا كان لحنا في الثغور
لم يبق منه سوى يراع رازح تحت الصرير
قلبي .. فيا دنيا اهزأي بهوى ويا أوجاع غوري
وتضاحكي يا أنجم الزهراء في الفلك المنير
هو من شدا في عرسه ، من هز اعماق الضمير
شهدت عليه الارض لم يسكب لها غير العطور

من علم الطير المغرد ان يغني في البكور
صدق القوافي ان يجردك الغرام من السفور
وأخو البراقع غارق في الخز ، يشمخ بالغرور
نعق الغراب وبلبل الادواح في صمت مرير

التهتك والفسوق ! ولا كذلك الفن الادبي بحال ، وقد يكون الثعالبي في يتيمة الدهر رائده السباق اذ اربى على من قبله من رواة الادب في تسجيل هذه المنتديات ! والغريب ان عبد الرحيم العباس يستشعر بعد الاكثار الممل من هذه الفضائح بعض الخجل فيستغفر الله ، ويشهد القارىء انه راوية فقط ، ولو شاء ماارتكب ذنبا يوجب الاستغفار ، وفي كلامه عمن سماهم بالملاحدة كابن الراوندي واشباهه بعض ما كان الاولى طيه . او اتباعه بالنقد مع سهولته وقربه ، ولكن الرجل يذكر الآراء الكافرة دون تعقيب نقدي، وكل ما يختم به الحديث لا يخرج عن مثل قوله (ح١ ص١٥٧) « ولو ذهبت اورد ما ذكره هذا الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والالحاد لطال الامر ، والاشتغال بغيره اولى وانا اعوذ بالله من هذا القول ، واستغفره مما جرى به قلمي مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله وكتابه الحكيم » . ولعل ما يشفع له ان احال الى مرجع لابن الجوزي في نقض امثال هذه السقطات . لقد جاء كتاب المعاهد سجلا حافلا ،ومرشدا هاديا ، وثمرا مستطابا وقد رايت ان اسجل خواطري عنه ليجد من الاقبال لدى الجمهور ما وجده من اهتمام الخاصة من مقدري الكتب وعارفي الرجال .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما صـاغ قافيـة ولـم تصـدح علـى النغـم الاخـير
فالام يصدمـه الهـوى بالجـور في حمـى الهجـير
سـكب النجيـع علـى يديـه وفي المدى شـبح الحفـير

لبنـان يـا وطـن الكواكـب ايـن اضـواء الجديـر
مثـل الغديـر حملتـه وخنقـت عندلـة الغديـر
يـا غربـة مـلأت نجـي جوارحي في الافـق طـيري
انـي فرشـت لـك السـماء كواكبـا وسـنا بـدور

أوتذكـر الايـام شاعرهـا علـى امـد الدهـور
والعبقريـة والصبـا ، يـوم الجمـال بـلا نظـير
يـوم الدنـى قبـل وقـد غرقـت أنامـل في الحريـر
في الناحل المغناج يسحـب موجعا ، في الشـعر الضفـير
في شـقرة مـن عسجـد ، في سـمرة او فـي نحـور
يـوم البهـاء تدافـع في الشـط ، في عليـا القصور

يـا شـاعـرا مـل الطريـق فـلا يفنـي في المسـير
حبس العطـور بزهـره ومشـى الى الابـد الوثـير
نثر الجـراح مباسـما وعشـا الـى الحلـم القريـر
عـين على الرؤيـا وعـين للجمـال علـى السريـر
بالامس عصـب أخطـل فـي مهرجـان للعبـير
يـوم المبايعـة انتشـت وجـدا علـى الوطـن الصغير
رؤيـا مـن الحـب القديـم حدت بهـا أسراب حـور
هـذي تقبـل جيـده ، وتشـق تلـك مـن الحـرور
فتغيـب كف فـي النـدى وتغيـب كف في الخصـور
والشعر في الابعـاد يهتف باسـم شـاعـره الكبـير
وتلفتـت سـمر الطـيور الـى عمالقـة الطيـور
لبنـان عـانق أخطـلا ورنـا الامـير الـى الامـير

يـا أيهـا الحادي بلبنـان الحبيـب ، بمجـد صـور
وببعلبـك تشـد موطننـا المسـن الـى العصـور
بالحامـلات الشمس قبـل البـدء فـي ليـل ضرير
بالارز يـزرع فـي قديـم الارض امجـاد البـذور
هـذي الجبـال هياكـل جثمـت علـى صخـب الهديـر
أنـا ان وطئـت صخورهـا قبلـت أعطـاف الصخـور
وسفحـت بالاجفـان لـون العـز في المهـد الطهـور

قسمـا بقدسـك يـا تـراب ، تجـوب أبعـاد الثغـور
سنظـل نذكـر اخطـلا فـي عالـم الوطـن الكبـير

جـورج غريـب

قالت وهي تبكي بين ذراعيه :

ـ قل لي ، كم سيطول بنا العمر ونحن لا نستطيع ان نعيش كما يعيش غيرنا في دنيا الله ؟ ..

اجابها وهو يزفر بضيق ويضرب الارض بقدمه لينتقم من الاقدار :

ـ لا ادري ..

قالت بحزن عميق :

ـ والى اين سيقودنا هذا الحب الجارف الذي نحن فيه .. هل فكرت يوما بذلك ؟ .. الى اين ؟ ..

ـ الى لا شيء .

ـ لكننا لا يجب ان نبقى هكذا نتعذب الى الابد .. الا ترى انه يجب ان نفكر ولو مرة واحدة بجد ؟

ـ من قال اننا نهزأ ؟ ..

ثم وهو يمسح قطرات الدموع من عينيها بمنديله :

ـ الحياة ظالمة ، وبقدر ما هي رائعة احيانا فانها قاسية ..

وقال ايضا ونظراته الدافئة تتيه في سماء عينيها الصافيتين :

ـ وما دامت هذه الحياة قد خصتنا بقسوتها فاننا لن نستطيع ان نقف ونتصدى تيارها الجارف .

ـ اعرف فتاة كانت تحب شابا غير ان اهلها كانوا يريدون ان يزوجوها لاخر .. قررت الفتاة ان تضحي ، وهربت من بيت اهلها لتتزوج من الذي احبته ..

ـ اني اعرف اكثر من شاب قد فعلوا اكثر من الذي فعلته هذه الفتاة .. لكننا نحن ، انا وانت لا نستطيع .. ولكل منا ظروفه ..

ـ اذن فلا امل لنا من وراء هذا الحب .. اهذا ما تريد ان تقوله ؟

ـ من الخير لنا ان نبقى هكذا ، والايام .. من يعلم ، ربما تتساهل قليلا معنا .. و .. قاطعته :

ـ اذن لم يبق لنا الا ان نخدع انفسنا ونتحايل عليها قدر اجتهادنا، اية دنيا ظالمة هذه الدنيا ..

ـ انت تبكين .. لماذا ؟ .. لماذا تبكين يا ايتها المجنونة ؟ .. هل تعرفين كم هي غالية عندي دموعك هذه ؟ ..

ـ ليتني استطيع ان اقتل نفسي بالبكاء فاتخلص من هذا العذاب الذي انا فيه ..

ـ تعالي نعود الى البيت ..

لم تقل شيئا ..

وقامت من مكانها ، وبقي هو في مكانه ،تركته في مكانه ..وعادت هي الى بيتها ..

★

دائما يصدمها الواقع المرير الذي هي فيه .. واقعها هي ، فترتعد كل اوصالها ، ويتسرب الخوف الى نفسها .. الخوف من الحقيقة المخيفة التي تعيش فيها ..

وحاولت في البيت ان تبحث لوحدها عن الحل ..

وعادت بسرعة من سماء الخيال الى دنيا الواقع خائبة ..

كلاهما قد خلق للاخر ، لكن الاقدار تقف لهما في كل خطوة قد يحاول احدهما ان يجتازها للتقرب من الآخر ..

كلا .. ليس الاقدار وانما المجتمع ..

المجتمع لا يريد ان يضعهما معا في مكان **واحد** .. **والظروف** مع المجتمع دائما لانه القوي .. لا لشيء ، وانما لانانية هؤلاء الذين ينتمون بمجموعهم اليه ..

وتعذبت **كثيرا** . .

كانت **امها راقصة** ، ومن قبل ان تكون راقصة كانت امراة شارع تبحث عن اللقمة بين احضان الرجال ..

ثم تعرفت بأحد الرجال ، احبته ، وتزوجته ، ثم طلقته في ظرف ايام..

واستطاع الرجل ان يثبت وجوده بحق في حياتها ، فخلف اثره في نفسها .. وقلبها .. وفي بطنها ..

وحملت منه ..

واتت هي الى العالم حاملة لامها الشؤوم ووجع الراس . .

وكان على أمها ان تضاعف من عملها قدر الامكان لتستطيع ان تدبر اللقمة لنفرين بعد ان كانت وحيدة في العالم ..

وعملت بجد.. وضاعفت العمل..

ثم ، استطاعت ان تتقدم بسرعة في الدرب ، وبدل ان تبيع جسدها في الشارع والشرطة تلاحقها في كل مكان لتقبض عليها فتودعها الموقف .. ثم السجن ، اخذت تعرضه ـ في احدى الصالات الرخيصة تحت حراسة صاحبها ونفوذه وهي آمنة لا تخشى شر اقوى الناس ..

وتقدمت اكثر ..

وعرفها احد الرجال ، وكان صاحب صالة من الدرجة الاولى ، اعجب برقصها ، وبالطريقة الرائعة المغرية التي تلوى فيها جسدها الناعس ، وعرض عليها العمل في صالته ..

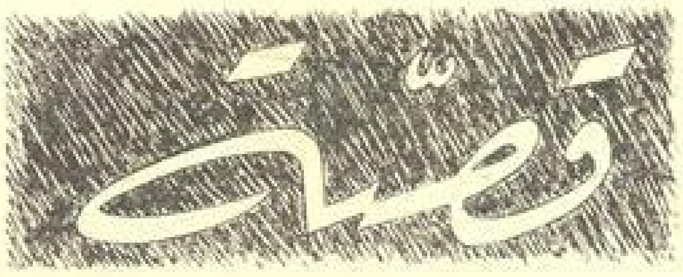
احست بالحظ يبتسم لها قليلا ..

ووافقت .. وعملت في الصالة..

وعرفها الرجال .. كل الرجال ، وانتشر اسمها بسرعة في الاوساط الفنية ، وذاع بين الناس ..



بقلم حازم مراد



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نعيمة السورية ..

وهي ليست سورية ، ولم تر سورية في حياتها ، لكنها اختارت هذا الاسم لانه قد اعجبها ..

هذه هي امها ..

★

من الطرف الآخر ، كان هو يفكر ، ويحاول ان يبحث عن الحل .

وكانت مشكلة كبيرة .. اكبر من ان يستطيع ان يحلها ..

عائلته محافظة ، ووالده مازال يستمد افكاره من قلب العشيرة التي نزح منها اكثر من ثلاثين سنة ، وامه ما زالت متحجبة .. لم يرها في حياتها اي رجل غريب .. واخواته الثلاث قد حرمهن والده من مواصلة التعليم في المدرسة واقعدهن البيت كيلا يراهن الشباب وهن في الطريق فيتصدون لهن ، وعقل البنت صغير ، وقد يغرى احداهن احدهم ، وقد يفقد سمعته، حتى يأتيهن النصيب فيتزوجن ويزول الشر عنهن ، والخطر منه ..

و .. انفجر العذاب في نفسه .

ثم .. قرر ان يضحي بكل شيء ، ما عاد يجد غير هذا الطريق ليستطيع عن واسطته ان يبلغ الهدف الذي يرسمه له قلبه في كل لحظة ، وقد تكون التضحية جسيمة، غالية، وربما مدمرة .. لكن ليس امامه الا ان يخوض غمارها ..

وثارت ثائرة الاب ..

وانقلب البيت الهادىء الى جحيم لا يطاق ، وهب الكل مرة واحدة في وجهه ليوقفوه عند حده من العبث بمصائرهم .. والده ، والدته ، اخواته ، اقاربه ، اصدقاؤه ..

وبقي هو الوحيد في قلب المعركة.

حاول ان يقنعهم باللسان والقلب معا ، فكانوا اقوى منه ، ثم .. قرر ان يحاربهم بالتحدي والخروج عن الطاعة ..

قال له والده والثورة تندلع في كيانه كالبركان الهائج يبحث العمر كله عن اي شيء ليلتهمه وهو في الطريق نحو الفناء :

ـ تصور ، بعد كل هذا العمر الطويل الذي قضيته وانا اتمسك بالعفة والفضيلة اجد ولدي .. ولدي الوحيد الذي ابني عليه كل املي في الحياة ، أجده يتحداني ، ويتحدى كل مثلي في الحياة فيذهب ليتزوج من فتاة تشتغل امها راقصة .. ترى ، ما الذي سيقوله الناس عني .. وعنك ؟ ..

قاطعه وقلبه يتمزق في صدره ببطء :

ـ قلت لك انها من اشرف الفتيات ، فان كانت امها راقصة في صالة فما ذنبها هي ؟ ..

ـ بالنسبة لي لا اجد لها اي ذنب، واني اؤيدك انها من خيرة الفتيات ، واشفق عليها .. ربما اكثر منك ، واسامحها .. لكن المجتمع ، هل سيسامحها ويغفر لها الذنب الذي ارتكبته غيرها وطوق الاقدار به عنقها ؟ ..

ـ لكني انا الذي ساتزوجها لا المجتمع ..

ـ انت منه ..

ـ انا لا شأن لي بالناس ..

ـ ونحن .. انا وامك واخواتك .. ماذا سنفعل تجاه الناس .. ماذا نقول لهم ،واخواتك .. من سيغامر ويضحي باسمه وسمعته ليتزوج منهن .. قل لي ؟ .

وسكت الاب ، ابتلع انفاسه بضيق ، وقال بعطف واشفاق وهو يرى ولده يتعذب بين يدي الاقدار :

ـ انتبه قليلا الى نفسك يا بني ، والبنات كثيرات .. ان اية واحدة سيشرفها ان تتزوجك .. اية واحدة ..

ـ لكن قلبي لا يحب الا هذه الفتاة ..

ـ ستحب غيرها، وستنسى هذه بسرعة .. **ان حبك لها ليس اكثر من نزوة عابرة ستزول بعد ان تتزوج من غيرها ..**

ـ اني احبها ، ومهما حاولت ان افعل فلن استطيع ان ..

قاطعه الاب بمرارة :

ـ حسنا ، يمكنك ان تضحي بحبك وتدوس على قلبك اكراما لنا جميعا .. على الاقل من اجل مستقبل اخواتك .. ثم ، ابتلع الاب انفاسه ، واردف برجاء :

ـ ان الرجل يجب ان تكون له ارادة ، وان تكون له عزيمة .. وان يكون على استعداد دائما للتضحية بشيء في سبيل اشياء مقبلة .. وان يكون صلب الراي .. وانت رجلا، ولك ارادة ، وانت .. انت بامكانك ان تضحي قليلا لبعض الوقت ، لكن اخواتك المسكينات لا يستطعن ان يبقين هكذا بلا زواج كل العمر .. حاول ان تفكر بمستقبلهن قليلا .

ـ انت تطلب مني ان اذبح نفسي.

ـ كلا ، فقط ان تفكر قليلا بنا .

★

لم يفكر بهم : كان قلبه يعمل بسرعة .. اسرع من عقله ..

وقرر ان يضع حدا لكل شيء بسرعة لينهي به عذابه .. حدا فاصلا يفصل ما بين حبه وبين الناس الذين يريدون ذبح هذا الحب.

و .. ذهب اليها ..

قال لها واعصابه الثائرة تتمرد ببطء في داخله :

ـ فلنتزوج ..

ارتعدت اوصالها للمفاجئة ، وارتعد قلبها ، واعصابها ، وغارت عيناها في عينيه تبحث فيهما عن مبلغ الحقيقة من الخيال ..

وكان جادا ..

وقال وهو يطويها بين ذراعيه برفق وحنان :

ـ قررت ان اتخطى كل عقبة قد تقف في وجهنا لتحجب عنا نور الحياة الذي نتطلع اليه من خلال حبنا العنيف ، ودست على كل القيم والاعتبارات البالية التي تغلف قلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تسامح

★

أقول : وداعا ؟.. وهل من لقاء ؟ ... سعدت صباحا ، سعدت مساء
أكافرة بالهوى ... انني ... بخيل بكل حروف الهجاء
ضممتك في خاطري جمرة ... وأنت جليدية كالشتاء
وعانقت فيك رفوف المنى ... وأسقيت كل الليالي الظماء
وما كنت أدري بأنك زيف ... وأنك شائهة الكبرياء !

صنعتك من حلمي طفلة ... يموج بروحك فيض النقاء
رأيت بعينيك رحلة عمري ... تسير على زورق من صفاء
وأشعلت في عمري شمعة ... لغيرك ما كان شمعي يضاء
ولكنه الحب .. لا يأتلي ... يزيف للقلب حتى الرياء !
رضيتك زيفا .. ويا ويلتا ... من الزيف في مهج الانقياء !

قطر — راضي صدوق

هذا المجتمع المنافق .. ولن تقف بعد اللحظة اية قوة في طريقنا ..

احست لاول مرة بالخطأ الكبير الذي تقدم عليه في غفلة من الوعي ، وهبت نفسها من سباتها العميق تثير في عقلها ما قد ينجم عليه هذا الزواج الغير متكافىء من متاعب في المستقبل ، وبكى قلبها في الجوارح .. احست به يخفق بشدة في كيانها وهو يتعذب ، حاولت ان تقاوم قليلا هذا العذاب الشديد الذي راحت تعانيه ، وان تسكت نداء القلب لتترك للعقل حرية التصرف في امر مستقبلها ، وقالت وهي تسحب نفسها ببطء من بين ذراعيه :

ـ لكن ، كيف سيتم الزواج من غير ان يباركه اهلك ؟ ..

ـ لا شأن لك بهم ، وابعديهم من رأسك ..

ـ كنت اتمنى لو يكون الكل في صفاء ونحن نتزوج، لكن .. وا اسفاه

ـ نحن الذين سنتزوج لا هم ، واللعنة على الذي يرضى والذي لا يرضى ..

ثم ، وهو يحاول ان يستعيد بعض هدوئه :

ـ كم حلمنا ان نرى اليوم الذي نرتبط فيه معا بذلك الرباط المقدس المتين الذي لا يعرف الانفكاك حتى الموت .. وها انت ترين .. ان الله يريد لنا ان نكون لبعض ، اما الناس ، فاللعنة عليهم ما دمنا بخير.

لم تتكلم ، فقد كانت مطرقة تفكر والحزن يلتهم كل نفسها ، وقال هو :

ـ ان اهلي كما اخبرتك موديل قديم، ووالدي يعيش بعقليةالعشيرة التي قضى سنين عمره الطويلة فيها .. انه من مخلفات عهد لا يمكن ان تقنعه الدنيا الجديدة التي تتطور في كل يوم .. والزوجة التي يريدها يجب ان يختارها هو بنفسه دون ان ابدي انا اي رأي في الموضوع .. كيف تريدين ان يوافق مثل هذا الاب ان يتزوج ابنه من فتاة لم يعرفها هو ؟ ..

ـ لكن ، كان من الضروري ان يوافق على زواجنا ..

ـ اني لا اجد اية ضرورة في الامر .. ما الضرورة فيه ؟ ..

ـ كل الناس يتزوجون هكذا ..

ـ اني لا اؤمن بهؤلاء ..

ـ لكننا بعضا منهم .

ـ اللعنة عليهم ، نحن لا نريد ان نعرفهم ، ولا نريد ان يعرفوننا .. يكفي اني احبك ، وانك تحبينني فنقضي العمركله في سعادة لا حدود لها ونحن بعيدين عن هؤلاء العقارب الآدمية ..

★

و .. تزوجها ..

ثم ..

طلقها في اقل من شهر ..

لم يستطع ان يحتمل كلام الناس وقد كان يحبها اكثر من كل الناس .

بغداد — حازم مراد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفقيد محمد فؤاد عبد الباقي

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

في أوائل هذا العام الهجري : (عام ١٣٨٨ هـ) انتقل الى رحمة الله عز وجل الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وهو العالم الجليل الذي خدم مباحث السنة النبوية المطهرة بما لم يخدمها بمثله أحد من معاصريه فيما يبدو لنا ، ولا نزكي على الله أحدا ، وهو أيضا المؤلف الجليل الذي يدين كل مشتغل بعلوم القرآن والسنة ، حيث يسر لكل هؤلاء السبل الامينة ليغترفوا من مفردات القرآن والسنة ونصوصها ، ما يريدون وما يحتاجون اليه عند الكتابة والتاليف ، بما وضعه بين أيديهم من معاجم مفصلة لآيات القرآن وكلمات السنة ، وستمضي مئات السنين واسم « محمد فؤاد عبد الباقي » أمام ابصار العلماء والباحثين ، لان كتبه لا يمكن الا ان تكون على مقربة من يمين كل باحث وكل كاتب ، يفزع اليها يستثبتها كلما خانته الذاكرة أو أعوزه الشاهد والدليل .

وقد يحسن أن نأخذ فكرة عاجلة عن ترجمة الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ثم نستعرض جهوده ، ومؤلفاته ، ولد عليه رحمة الله في الثاني من شهر آذار (مارس) سنة ١٨٨٢ م ، وكان والد الفقيد يعيش في بلدة « ميت حلفا » في محافظة القليوبية بالجمهورية العربية المتحدة (مصر) ، ثم انتقلت الاسرة الى القاهرة ، فعاشت في أحياء : « الماوردي » و « البغالة » و « شبرا » ، وهي من أحياء القاهرة .

ولم ينتظم في دراسة رسمية مألوفة ، بل أخذ يدرس دراسة حرة مضطربة حسب هواه ورغبته ، وبعد ان أنس من نفسه الكفاية العلمية ، والقدرة على التعليم قام بالتدريس في بعض المدارس الحرة والمدارس الحكومية في مصر ، وكان من زملائه في هذا المجال الاستاذ صادق عنبر الاديب المصري المشهور ، والاستاذ عبد الله أمين اللغوي المصري الضليع .

ثم اشتغل الاستاذ فؤاد عبد الباقي موظفا في البنك الزراعي المصري من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٣٣ ، وحينما تحول عمل البنك الى الحكومة أخذ الاستاذ فؤاد مكافأته منه ، وترك الوظيفة ، ثم فتح مكتبة للنشر ، ومكث يديرها زمنا طويلا ، ثم تفرغ لخدمة البحوث المتعلقة بالقرآن والسنة ، ووضع المعاجم المختلفة المتعلقة بها ، وأقام مدة في « الروضة » ، ثم انتقل منها الى « الجيزة » ، حيث أقام في جزء من عمارة على شاطىء النيل المبارك ، وظل في هذا المكان حتى توفاه الله ، وقد زرته في هذين المكانين أكثر من مرة عليه رحمة الله ، وطلب مني قبل وفاته بشهور ان اكتب مقدمة لكتابه « جامع مسانيد أطراف البخاري » واستجبت لرغبته ، وأخذ المقدمة فبعث بها الى المطبعة ، وكان يتمنى ان يرى هذا الكتاب مطبوعا بين أيدي المنتفعين به ، ولكنه مات والكتاب بين عجلات المطبعة ، وهو الكتاب الذي أذهب في تأليفه وتأليف أمثاله أشعة عينيه ، فكان في أواخر حياته مكفوف البصر عليه رضوان الله .

وقد تزوج الاستاذ فؤاد عبد الباقي في سنة ١٩١٠ ، ورزقه الله بأولاد : ثلاثة أبناء أكبرهم « عز الدين » الموظف بالشهر العقاري ، والثاني « جمال الدين » الموظف بالاسلحة والمهمات ، والثالث « عبد الباقي » الموظف بالشهر العقاري ، وله بنتان احداهما مفتشة بوزارة التربية ، والاخرى احدى ناظرات المدارس ، وقد حدثني عنهم الفقيد في لقاء لي معه يوم ٢٦ مايو سنة ١٩٦٤ .

وحدثني عليه رحمة الله بأنه تلميذ للمرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ، وصاحب « تفسير المنار » ، والذي يعد خليفة للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وبأنه تلميذ للمرحوم العلامة في الحديث وعلومه الشيخ أحمد محمد شاكر . وذكر لي الفقيد ان صلته بالسيد رشيد رضا رحمه الله بدأت سنة ١٩٢٢ ، وظلت حتى مات السيد رشيد رحمه الله في الثالث والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٥ . والسبب في نشأة الصلة بينهما ان مطبعة « المنار » أصدرت رسالة عن الاحتفال بذكرى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، فذهب الاستاذ فؤاد لشراء هذه الرسالة من مكتبة المنار، ولم تكن له حينئذ صلة وثيقة بالشئون الدينية ، لانه كان مشغولا بوظيفة في البنك الزراعي المصري ، وفي مكتبة المنار تعرف الاستاذ فؤاد الى الاستاذ عبد الرحمن عاصم ـ ابن عم السيد رشيد رضا ـ ثم التقى الاستاذ فؤاد بالسيد رشيد رضا في المكتبة ذات زيارة ، فاعجب فؤاد بروح رشيد رضا القوية وعلمه الغزير ، وأرشده رشيد رضا الى طائفة من الكتب ليطالعها ، ثم توثقت الصلة العلمية بينهما ، وكان البنك الزراعي يغلق ابوابه يوم الاحد من كل اسبوع ، فكان فؤاد يجعل يوم الاحد شبه خالص للقاء السيد رشيد ، والاستمداد من علمه وارشاده وتوجيهه .

وظل الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي يثني على السيد رشيد رضا حتى آخر حياته ، وكنت كلما لقيته يحلو لي ان اسمعه يعود الى الحديث عن رشيد رضا ، ولقد قال لي عنه : انه لا جدال في ان السيد رشيد رضا هو التلميذ الاول للشيخ محمد عبده ، وهو امتداد لحياته ، ولولا رشيد لما عرفنا الشيخ محمد عبده ، ولا نال هذه الشهرة ، لان مجلة المنار نشرت تفسير الاستاذ الامام وعرفت به ، والواقع ان السيد رشيد رضا كان خليفة للشيخ محمد عبده ، مع ملاحظة الفرق بين الشخصيتين .

وكان يتدفق في الحديث حول هذا المعنى فسألته : « اذا كان الشيخ رشيد رضا هو الذي خلف الشيخ محمد عبده فمن تراه أشبه الناس اليوم بالسيد رشيد رضا ؟ » فأجاب : لعله الاستاذ محمد بهجت البيطار عالم الشام .

وعدت فسألته : ان للسيد رشيد رضا كتابا عن « الربا » فيه أجزاء لم تعجب كثيرا من العلماء ، لانه أباح بعض صور الربا كما يقولون ، فما رأيك في الكتاب ؟ . فأجاب : لقد كتب السيد رشيد رضا كثيرا ، ولكنه لم ينته الى الرأي الفصل ، وهو نفسه كان لا يرى انه وصل الى النتيجة الحاسمة في هذا البحث .

وسألته ايضا : ما رأيكم في موقف السيد رشيد رضا من السياسة ؟ . فأجاب : ان رشيد قد اشتغل اولا بالقضية العربية ، ولما انتهت الحرب العالمية الاولى تمزق العالم العربي ، وانصرف رشيد عن السياسة الى الكتابة الدينية ، ولعل السبب في ذلك هو أنه وجد الجهود ستذهب هباء .

وسألته كذلك : يقول بعض الناس ان السيد رشيد رضا كانت له صلة بالانجليز ؟ . ففضب الاستاذ فؤاد ، ورفع صوته يردد قوله : لا .. لا .. هذا غير ممكن بالمرة ، هذا بعيد عن الحقيقة ، ومن يقول هذا فهو مخطيء . نعم كانت لرشيد صلة بالوهابيين والحجازيين ، وكانوا يعاونونه عن طريق امير البيان شكيب أرسلان ، وهو قد أيدهم.

وللاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي مجموعة من الكتب الجليلة النافعة التي تدور كلها حول خدمة علوم القرآن والسنة ، وأعظم كتبه التي كانت يعتز بها هو كتابه « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » الذي طبع لاول مرة سنة ١٣٦٤ هـ بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، وهو الكتاب الذي يجمع الالفاظ القرآنية ، ويرتب موادها حسب أوائلها فثوانيها فثوالثها ، وهكذا ، ويضع الكلمة وأمامها الآية او

الآيات التي وردت فيها ، مع التنبيه على المكي والمدني من هذه الآيات التي تذكر أرقامها .

وقد وضع الاستاذ عبد الباقي كتابه بعد ان راجع ما ألفه السابقون في هذا المجال ، من أمثال كتاب « نجوم الفرقان في أطراف القرآن » للمستشرق الالماني « فلوجل » ، وكتاب « مفتاح كنوز القرآن » ، وكتاب « فتح الرحمن » ، وكتاب « ترتيب زيبا » وغير ذلك .

وقد صرح المؤلف بأنه جعل كتاب « فلوجل » اساسا لمعجمه ، فراجع الكتاب مادة مادة على معاجم اللغة وتفاسير الائمة اللغويين ، وناقش مواده ، حتى أعاد كل مادة الى بابها ، ولم يكتف بذلك بل عرض عمله على لجنة من خيرة العلماء الاصدقاء ، فما كان ظاهر الصحة أقروه ، وما خفي عليهم وجه الصواب راجعوه في المعاجم .

ولقد اخطأ « فلوجل » في عشرات من الكلمات حين ردها الى موادها ، واستدركها عليه الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وكانت طريقته في ترتيب مواد المعجم ، هي الطريقة التي سار عليها من قبل الزمخشري في « أساس البلاغة » ، والفيومي في « المصباح » ، والتي اتبعها اصحاب المعاجم العصرية ، مثل البستاني في « محيط المحيط »، والشرتوني في « أقرب الموارد » ، وهذه الطريقة ترتيب أصول الكلمات على حسب اوائلها فثوانيها فثوالثها، فافتتح معجمه بمادة : «أ.ب.ب» وختمه بمادة : « ي.و.م » .

وكذلك اتبع في مشتقات المادة الابتداء بالفعل المجرد المبني للمعلوم ، الماضي فالمضارع فالامر ، ثم المبني للمجهول من الماضي والمضارع ، ثم المزيد بالتضعيف ، فالمزيد بحرف .. الخ ، ثم باقي المشتقات من المصدر واسم الفاعل واسم المفعول ، فباقي الاسماء .

ومما يدل على الجهد المضني الذي بذله في هذا الكتاب أنه أعاد نسخه وقت طبعه ، وحينما خشي ان تسقط منه لفظة في أثناء النسخ لجأ الى طريقة مأمونة في الحصر ، وهي ان يلتزم وضع خط ـ في مصحف اعده لذلك ـ على كل لفظة ورد ذكرها في تصحيح التجربة الاخيرة قبيل الطبع ، حتى اذا انتهى الكتاب ، رجع الى المصحف ، وعرضه لفظة لفظة ، فوجد انه لم يسقط من جميع الفاظ المصحف في المعجم الا خمس عشرة لفظة قيدها في أول الكتاب ليستدركها كل قارىء له .

في مثل هذا العمل الجليل الدقيق النافع أذهب محمد فؤاد عبد الباقي نور عينيه رضي الله عنه . ولذلك حق له ان يرجو من الله ان يسير هذا المعجم مسير الشمس .

واذا كان « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » يعتمد على خدمة اللفظ القرآني بالنص على مواطنه من كتاب الله عز وجل ، فان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي قد قام بترجمة كتاب آخر لخدمة القرآن الكريم وآياته ، ولكن من ناحية الموضوعات والمعاني ، لا من ناحية الالفاظ والكلمات ، وهذا الكتاب هو « تفصيل آيات القرآن الحكيم » الذي وضعه باللغة الفرنسية المستشرق الفرنسي « جول لابوم » وهذا الكتاب مقسم الى ثمانية عشر بابا هي : التاريخ . محمد صلى الله عليه وسلم . التبليغ . بنو اسرائيل . التوراة . النصارى . ما بعد الطبيعة . التوحيد . القرآن . الدين . العقائد . العبادات . الشريعة . النظام الاجتماعي . العلوم والفنون . التجارة . علم تهذيب الاخلاق . النجاح . وتحت كل باب منها فروع تبلغ عدتها ثلاثمائة وخمسين فرعا ، وتحت كل فرع جميع ما ورد فيه من آيات القرآن الكريم ، مما لم يسبق جمعه وتنسيقه في كتاب قبل هذا الكتاب .

ويبدو لنا ان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي قد عرف طريقه الى هذا الكتاب عن طريق عضويته في اللجنة الاستشارية للمجامع العلمية للمستشرقين .

وفي هذا الكتاب يقول الاستاذالكبير المرحوم محمد فريد وجدي : « جاء هذا العمل من خير الاعمال وأجداها على الكتاب والمؤلفين والبحاثين ، فان الذي يحاول ان يكتب عن الزكاة ، او الاديان ، او بعض الانبياء ، او مبدأ المساواة ، او النظر الى مخلوقات الله .. الخ، مما يحب الكاتب ان يقتبس فيه من الكتاب الكريم ، يعجز عن استيعاب الآيات الواردة في هذه الموضوعات ، فاصبح بهذا الكتاب الجديد يستطيع ان يلم في مجال واحد بكل ما يود ان يقرأه عنه من الآيات ، لا بالهداية الى ارقامها من المصحف فحسب ، ولكن باثبات تلك الآيات نفسها في صلب الصفحات .

هذا عمل جدير بالاعجاب ، فاني كثيرا ما كنت اتطلب تلك الآيات ، فأتعب في استجماعها ، ولا أكاد أوفق لاستيعابها ، اما اليوم فقد زالت هذه العقبة من طريقي بسبب هذا الكتاب ، فأشكر لحضرة الاستاذ المحترم محمد افندي فؤاد عبد الباقي عمله المتواصل في ابراز هذه الذخائر العلمية » . وقد انتفع الشيخ محمد عبده بهذا الكتاب من قبل ذلك كثيرا .

وكما خدم الاستاذ كتاب الله عز وجل بهذين المعجمين الجليلين ، خدم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع معجم حديثي عنوانه « مفتاح كنوز السنة » وهو معجم مفهرس عام تفصيلي موضوع للكشف عن الاحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الائمة الاربعة عشر الشهيرة ، وذلك بالدلالة على موضع كل حديث في صحيح البخاري وسنن ابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدرامي ، ببيان رقم الباب ، وفي صحيح مسلم وموطأ مالك ومسندي زيد بن علي وابي داود الطيالسي ، ببيان رقم الحديث ، وفي مسند احمد بن حنبل وطبقات بن سعد ، وسيرة ابن هشام ومغازي الواقدي ببيان رقم الصفحة ، وبذلك يستطيع الباحث ان يقف على الحديث الذي يطلبه بغير عناء .

وكان هذا المعجم في الاصل موضوعا باللغة الانجليزية ، وضعه المستشرق « أ.ي. فنسنك » الهولندي ، وقد حاول المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر ان يترجمه ، مع عدم معرفته اللغة الانجليزية ، وبعد ان ترجم نحو ثلثه بمعونة بعض اصدقائه الذين يعرفون الانجليزية، لم يستطع المضي في العمل لكثرة الشواغل ، وكان المرحوم السيد محمد رشيد رضا قد اطلع ايضا على هذا الكتاب في لغته الاولى فاعجب به ، واستأذن مؤلفه في ترجمته ، فأذن له ، واتفق السيد رشيد مع الاستاذ فؤاد عبد الباقي على اقتسام العمل بينهما ، بالتعاون على تصحيحه وتنقيحه ، ولكن الشواغل شغلت السيد رشيد رضا ، ومضى الاستاذ عبد الباقي في العمل وحده بجد ومثابرة ، حتى أتم ترجمة الكتاب .

ولقد أثنى السيد رشيد رضا كثيرا على هذا الكتاب ، فعده احد نفائس الكتب الاسلامية ، وذكر انه لا يستغني عنه أعلم علماء الحديث ، وقال عنه انه « يهديك الى جميع السنن القولية والعملية وما في معناها كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازي وغيرها ، فلو كان بيدي هو أو مثله من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة لوفر علي ثلاثة ارباع عمري الذي صرفته فيها ، ولمكنني من الاستجابة لمن اقترحوا على ان اضع كتابا جامعا للمعتمد فيها ، وكتابا آخر للمشكل منها في نظر علوم هذا العصر وفلسفته والجواب المقنع عنه » .

ويقول عن الكتاب ايضا الاستاذ محمد فريد وجدي : « قد كان هذا الفهرست حاجة ماسة لكل مشتغل بالاحاديث النبوية ، فان أحدنا كان يرى الحديث فلا يعرف له تخريجا ، ويحار في البحث عنه ، فاصبح يجده على طرف الثمام منه » .

هذا وقد اتم الاستاذ عبد الباقي عمله في هذا الكتاب يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣ هـ ٢٧ يولية سنة ١٩٣٤ م. ثم أعقبه بكتاب آخر في عدة اجزاء بعنوان : « تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة

طوفان

هات السفن ، تأوينا
هذا وقت القمر
أدخل من كل صنف زوجين
وابحر فينا
عبر الامداء المجهوله .

ارفع مرساة السفن
تمضي حيرى ، غربا شرقا
غمنا بالاوحال تطمينا
قد آن وقت الخلق .

لم يبق ما يغرينا
غاص الحب في الوحل
أية قيمة ، تحيا في عالم نكر
يرفض حتى الرفض ؟

اللاذقية — عيسى فتوح

والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي » . ويراد من هذا الكتاب تذليل العقبات التي تعترض الطالب للمنفعة من « مفتاح كنوز السنة » بسبب اختلاف الطبعات لكتب الحديث الاصول .

والكتاب الذي ذكره فؤاد في عنوان كتابه ، وهو « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي » كتاب ضخم جدا ، اشترك معه في وضعه مجموعة من المستشرقين ، وهو يطبع في هولندة ، وقد نشر منه حتى وفاة الاستاذ فؤاد عبد الباقي واحد وأربعون جزءا ولا تزال فيه بقية كبيرة .

ومن الكتب التي اخرجها المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي كتابه « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » وهو في ثلاثة أجزاء، ويضم الاحاديث التي اتفق على روايتها الامام البخاري والامام مسلم ، وهناك كتاب سابق لهذا الكتاب اسمه « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم » للشيخ حبيب الله الشنقيطي ، ولكن الاستاذ فؤاد عبد الباقي زاد على ما في كتاب الشنقيطي خمسمائة حديث فاتت الشنقيطي .

وللاستاذ عبد الباقي كتاب عنوانه « معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري » وعنوانه واضح في الدلالة على موضوعه ، وقد نشر كذلك نشرا علميا مفهرسا كتاب « الموطأ للامام مالك » في جزئين ، وسنن ابن ماجه في جزئين ، وصحيح مسلم في خمسة اجزاء ، وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، وأشرف على تصحيح وتحقيق التفسير المسمى « محاسن التاويل » للقاسمي في سبعة عشر جزءا ، ونشر كتاب مناقب الامام علي والحسين وامهما فاطمة الزهراء ، وكتاب الادب المفرد ، وخرج آيات وأحاديث كتاب « شواهد التوضيح » .

وهناك كتب مخطوطة جليلة للاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي عليه رحمة الله ، منها كتاب « قرة العينين في اطراف الصحيحين » ، وهو في خمسة اجزاء ، وكتاب : « جامع مسانيد صحيح البخاري » وهو في ستة اجزاء ، وكتاب : « جامع الصحيحين » ، وكتاب « دستور المسلمات المؤمنات : ما لهن وما عليهن ، من كتاب الله والحكمة » .

ومن جهود الاستاذ فؤاد في خدمة السنة ان الحكومة المصرية فكرت في سنة ١٩٥٠ في مشروع لجمع السنة الصحيحة في كتاب واحد ، وألفت لجنة برياسة المرحوم الشيخ مأمون الشناوي شيخ الجامع الازهر حينذاك ، وكان من اعضائها المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر ، والمرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري ، والمرحوم الشيخ عبد الرحمن حسن ، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، والشيخ رضوان محمد رضوان ، وفقيدنا ، ومضت الايام ولم تحقق اللجنة غرضها ، ثم انفضت ، ولكن الاستاذ عبد الباقي ظل يعمل وحده حتى جمع البخاري ومسلم على ترتيب مسلم ، وقدم الكتاب ، ورجا أن يطبعوه ، ولكنهم لم يفعلوا ، وهذا الكتاب فيما أرجح هو الكتاب الذي سبق ذكره باسم « جامع الصحيحين » .

ومن الطريف في ترجمة الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي انه كان يقول الشعر في شبابه ، وكان هائما بحب الخلافة التي كانت قائمة حينئذ ، وبالتمدح في شخص الخليفة الذي يراه رمزا لدولة الاسلام وأمة المسلمين ، وقد قال قصيدة في سنة ١٩٠٥ ألقاها في جمعية الشاة الحديثة التي كانت في درب الجماميز بالقاهرة ، في المدرسة التحضيرية الكبرى ، وكان في أوائلها :

صحاالقلب من ذكرى حبيب ومنزل — وبات على وعد من السعد مقبل
فلم يتطربني غزال مرب — ولم يشجني قد ولا طرف أكحل
فقدما تولى القلب وانفك هازئا — بما بث فيه من جوى وتململ

ومنها قوله :

وان لم يزن عبد الحميد قصائدي — فلا كنت في هذا المقام بأول
وكم لك في اغفاءة الفجر يقظة — لترتيل آيات الكتاب المنزل
تمخض عن فكر يذب عن الحمى — ويحمى حماه عن عداة وعذل

وله قصيدة أخرى أوسع فيها التغني بمقام الخليفة ، ومنها قوله:

صاحب العرش والخلافة والتا — ج ، وليث الوغى ، ورب الممالك
ان عيد الجلوس عيد البرايا — واقتبال الزمان في اقبالك
وهدى العالمين ما دمت فيهم — تجمع الكل تحت ظل هلالك
وجمال الدنيا بقاؤك فيها — تهتدى في كمالها بكمالك
لك عيدان في السماء وفي الار — ض ، فعيد هنا وعيد هنالك

وقد نظم هذه القصيدة سنة ١٩٠٥ ، وهي منشورة في كراسة صغيرة باسم الاستاذ « سيد محمد » ناظر المدرسة التحضيرية بدرب الجماميز .

وكان الاستاذ فؤاد يكتب احيانا بعض المقالات في بعض المجلات ، ولكنه في كتابه هذا لا يكاد يخرج عن مجال علوم القرآن والسنة ، ومن بين مقالات نشرها تباعا في مجلة الازهر عن « منزلة السنة من الدين » .

هذه لمحة عاجلة عن سيرة هذا العالم الجليل الذي قضى حياته وأفنى بصره في خدمة المعاجم الخادمة للقرآن والحديث ، فرحمة الله عليه ورضوانه له .

ويبقى بعد ذلك واجب الامة نحو هذا العالم الجليل ، ولعل في طليعة هذا الواجب ما يلي :

أولا : كتابة ترجمة مفصلة عن حياة الاستاذ محمد فؤاد عبدالباقي وآثاره .

ثانيا : طبع ما لم يطبع من كتبه وبحوثه .

ثالثا : اعادة طبع ما نفد من كتبه المطبوعة ، او قلت نسخه .

رابعا : جمع مقالاته وبحوثه المتناثرة في كتاب مطبوع .

والله تعالى هو المسئول ان يوفق امته للوفاء لذكراه ، انه ولي التوفيق .

القاهرة — احمد الشرباصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطفـلة .. الام

الـى طفلتـي ريـــا

لم لا تنامين ؟
يا باقة مــن لين
الليل للكبـــار
لم لا تنامـين ؟

تبكرين الصبح ، يا قداحة صافيه
بشرى على السرير ، عنقود رياحين
ثرثارة اليدين ، آذار على الداليه
وتسالين جمة عن حال ((لعاباتك)) الغافيه
يا ام ، يا عذراء ، يا حانيه ..
ارضعتهن اليوم ؟ يا طيبا ويا عافيه
أدبتهن اليوم ؟ لا شـــاك ولا شاكيه
القطة القطنية السوداء ، والعصفور في ائتلاف
والقرد ذاك القارع الطبول في حلاوة الزفاف
والطفلة ـ النايلون في فراشها أميرة شرقية العفاف
وأرنب صاغ ، وثعلب يتوب في نهاية المطاف
سفينة نوحية جمعت الضفاف
لا حقد ، لا خصام ، لا اختلاف
وانت يا ريا تغنين
لم لا تنامين ؟
الليـــل للكبار
لم لا تنامين ؟

مشطت ذاك الشعر المسرور كم مره
زرعت فيه وردة بنفسجية الندى ثره
نثرته للريح ، فالريح على فوديك مفتره
دورت خصلة على الجبين ، ما اغلاك يا دوره !
هل انت اسبانية الفطره ؟
يا ام ، يا عذراء ، يا غانية البشره
((غلقت ابوابا)) عليك فالحجره
قامت قيامات بها ، لا خوف ، لا حسره
سرقت اصباغا من الدولاب، في صمت، وفي حيره
كقطة رشيقة النظره
شمست خديك ولونت الشفاه الحمر بالحمره
فجنت المرآة مستره

وجه صغير يشتهي سحره
.. وانت يا ريـا تغنـين
لم لا تنامين ؟
لم لا تنامين ؟

قفزت ، صرخت كاوركسترا زرازير
بدء احتفالات تشارين ، وموسيقى ازاهير
سألت آلافا . أيا فمـا سكير
لعبت ، رفرفت كالوان تصاوير
رسمت حتى ضجت الاوراق من فرط انحناءات
وتدوير
قرأت ـ كم لثغت ـ فالحرف له نشوة تحوير
.. لم لا تنامين ؟
الليل للكبـــار
لم لا تنامين ؟

غسلت ثوب الطفلة ـ العروس ما ارشقه !
أجريت انهارا حواليك ـ
ـ ألم ينظف ؟ أما استعاد رونقه ؟
عاتبتها كالام ـ لن تلعب في التراب ـ
صدقت حكايا الثقه
والطفلة العروس من آدابها مطرقه
ملفوفة اليدين كالشرنقه
.. وجاءك الصغار ضيفانا ، ينابيع من الفصون
مورقه
موسقة ترضع من موسقه
يا باقة نشوى مزقزقه
شربتم الهواء في الاكواب ، لا شايا ولا حليب
ضحكتم .. سمرتم ، فالارض عرس وطيب ..
وانت يا ريا تغنين
تغنين .. تغنين
تغنين تغنين
الليل للكبار
اقسى من النهار

لندن

صلاح النيازي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

وصفي العنبتاوي - شكري المهتدي

عصام حماد

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ وصفـــي العنبتـــاوي

ظل الشعار الذي يحمله ويتغنى به قول « افلاطون » : « من القبيح ان نشذب من كرومنا الورق والاغصان ، ولا نشذب مـــن نفوسنـــا الشهوات والنزعات ! » .

ولد وصفي العنبتاوي في نابلس عام ١٩٠٣ واكمل دراستيه الابتدائية والاعدادية فيها ، ويمم بيت المقدس واتم دراسته الثانوية في «الكلية الانكليزية » وكان اللغوي الشهير المعلم نخلة زريق استاذه في العربية وآدابها ، ونال شهادته في صيف ١٩٢٣ وعينته ادارة المعارف بفلسطين استاذا للغة الانكليزية في « المدرسة الصلاحية » الثانويـة بنابلس ، كما انتخبته في العام نفسه بعثة على نفقتها الى الجامعة الاميركية في بيروت حيث نال شهادة بكلوريوس علوم في الاجتماعيات والتربية عـام ١٩٢٦ وعين مدرسا للتاريخ والادب الانكليزي واصول التربية والتعليم في « الكلية العربية » بالقدس . ثم انتخب عام ١٩٢٧ بعثة على نفقـة حكومة فلسطين الى جامعة كمبردج بانجلترا . وبعد ان اقام فيها ثلاث سنوات عاد الى فلسطين عام ١٩٣٠ يحمـــل شهادة بكلوريوس علـوم (بشرف) في التاريخ والجغرافيا وعـــين استاذا لهاتين المادتين فـي « الكلية العربية » و « الكلية الرشيدية » بالقدس (١٩٣٠ ـ ١٩٤٠) وخلال تدريسه احرز شهادة استاذ علوم من جامعة كمبردج عام ١٩٣٤، وعهد اليه بتفتيش مادتي التاريخ والجغرافيا فـي سائـر مدارس فلسطين الاميرية وظل يزاول عمله هذا حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين (١٩٤٨) .

وبالاضافة الى تدريسه فـي « الكلية العربية » و « الكليـة الرشيدية » اختير عضوا في مجلس التعليـم العالـي الفلسطيني ، وترأس الوفد الفلسطيني الذي اشترك في المؤتمر الثقافي العربـي الاول الذي دعت اليه اللجنة الثقافية فـي جامعة الدول العربية ، المنعقد في بيت مري بلبنان عام ١٩٤٦ .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى عينتهوزارة التربية والتعليم السورية مفتشا اختصاصيا للاجتماعيات واللغة الانكليزية وبقي فـي عمله هذا مدة اربع سنوات (١٩٤٨ ـ ١٩٥٢) كما حاضر فـي كلية الآداب بالجامعة السورية بدمشق .

وفي عام ١٩٥٢ انضم الى اسرة البنك العربي بعمان حيث شغل وظيفة كبرى ، وفي عام ١٩٥٦ زار الولايات المتحدة وحاضر في نـواد عديدة في شؤون الشرق الاوسط ، وفي مطلع عام ١٩٦٤ احيل علـى التقاعد في البنك العربي وعين استاذا للجغرافيا في الجامعة الاردنية.

من آثاره القلمية : اسهم الاستاذ « وصفي » في تصنيف وترجمة طائفة من الكتب المدرسية في الجغرافيا والتاريخ ، كما اشرف عـام ١٩٤٦ على اعداد اطلس جغرافي باسم « اطلس العالم » بتكليف مـن ادارة المعارف بفلسطين . وهذه بعض اسماء الكتب التي اسهم فـي وضعها وترجمتها بالمشاركة مع اخوان له من لبنان والعراق وفلسطين امثال خليل السكاكيني وعبد الله مشنوق وجورج شهـلا وسعيـد الصباغ واحمد خليفة ورفيق التميمي وسعيد الدره :

(١) جغرافية الدنيا الجديدة .
(٢) جغرافية الدنيا القديمة .
(٣) الجغرافية الحديثة المصورة (٣ اجزاء) .
(٤) الجغرافية الاقتصادية .
(٥) معالم التاريخ القديم .
(٦) جغرافية الشرق الادنى .
(٧) المجمل في تاريخ العصور المتوسطة والحديثة .
(٨) القراءات الجغرافية المصورة (٣ اجزاء) .
(٩) القراءة التاريخية المصورة .
(١٠) جغرافية فلسطين والبلاد العربية .
(١١) حوض البحر الابيض المتوسط وغربي اوروبا .
(١٢) جغرافية البلاد العربية .
(١٣) الجغرافية الاعدادية .
(١٤) الجغرافية الثانوية (جزءان) .
(١٥) القارات الخمس .
(١٦) المملكة الاردنية الهاشمية .
(١٧) الوطن العربي والعالم .

نموذج من نثره : « ان هذا اليوم السعيد ، يـوم هجرته عليـه السلام ، من مكة الى المدينة يذكر المسلمين عامة ببـــدء تاريخ العرب والاسلام ، ويذكرنا يوم كان العربي يهب نفسه لله يوم يدعـــو الداعي الى الجهاد في سبيله ذلك لان الدين الجديد علمهم ان الامة يجب ان يكون لها ، كما للفرد ، مثل اعلى ، وان المؤمنين فـي مشارق الارض ومغاربها امة واحدة ، لكل منهم على الآخر ما للاخ على أخيه من حق ، فيجب ان يكونوا يدا واحدة فـي سبيل اللـــه ، يتحابون بنوره ، ويبذلون في سبيلهم المهج والارواح .

يذكرنا هذا اليوم السعيد بانتشار الدين الاسلامي الطهور فـي مدة تكاد لا تصدق حيث خضع له الاسمر والاسود والابيض والاصفر . يذكرنا بالدعوة الاسلامية وما فيها من تعاليم سامية ، وما تخللها مـن محن ونكسات صبر عليها ابطال العرب . يذكرنا فوق هذا كله بسيرة نبي ارسله الله هاديا وبشيرا ونذيرا ، لـه من المواهب الممتازة ، والمواقف المشرفة والاحاديث القيمة والسيرة التقية النقية مـا يعجز الانسان عن وصفها .

أأتحدث عن الرسول عليه السلام وقد ورث مجده وشرفه عـن طريق الدين ؟

أأتحدث عن نشأته يتيما لا تحدب عليه ام ولا يحميه أب ، حيث نشا فقيرا لم يترك له ابوه سوى خمسة جمال وقطيع مـن الغنم ، فعرف طعم اليتم وطعم الفقر .

رعى الرسول عليه السلام الغنم في مكة فعرف من رعايته الغنم كيف ترعى الامم .. رأى اخلاق الناس موبوءة ، ورأى فريقا منهم يعبد المال من دون الله ، فكره عبادة المال في الحضارة كما كـره عبـادة الاوثان في البداوة ، ووقف على اخلاق هؤلاء وهؤلاء فما اعجبته هذه ولا ارضته تلك ، انما كـان يرضيه مواقف يدعى فيها للحق والعدل !

جاءه الوحي فلمعت نفسه ، واضاء العالم حوله ، فكشف لـه عن كل شيء ، وبدأ يقرأ العالم من جديد ، فاذا كل شيء جديـد . كانت لحظة رائعة كل الروعة ، جليلة كل الجلال ، رهيبة كل الرهبة، عندما رأى ما لم يكن من قبل قد رأى ، وسمع ما لم يكن من قبـل قد سمع ، ساعة تجلى لهالحق في كل شيء ، وكانت لحظة فارقة بين « محمد » بشرا و « محمد » بشرا ورسولا . من ذلك الحنين استهل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حياته في الجهاد وتصوير الدعوة وتبليغها كما أوحيت اليه والسعي في ايصالها الى كل صقع وناد والسير بها خطوة خطوة كما أمر الله حتى بلغت غايتها ، وجاهد في حمايتها بالرفق ان أغنى وبالسيف ان عجز .

هاجر رسول الله الى المدينة ليكون بين انصاره وحماة دعوته فصبغت المدينة بصبغة اسلامية ، وتآخى المهاجرون والانصار ، واقيمت المساجد ، وجلجل الاذان وتردد صداه ، واقيمت الشعائر في طمانينة وأمن ، وجاء الاسلام ينظم الحياة الاجتماعية كما نظم الحياة الروحية ، ثم سار بخطى واسعة حتى عم الجزيرة ، ثم ولى الرسول عليه السلام وجهه حول فارس والروم فكتب الى ملكيهما يدعوهما الى الاسلام ، ويحملهما وزر قومهما وضلال شعبيهما ، وأخذ يعد لغزو الروم في الشام وترك العبء لرجال اهتدوا هديه ، واستنوا سناه ، فادوا الامانة التي حملوها ، ونهضوا بعظائم الامور التي كلفوها ، فما وهنوا في سبيل الله وما استكانوا . فاذا فارس مسلمة ، واذا الروم مستسلمة، واذا الارض تردد جنباتها «لا اله الا الله محمد رسول الله»

لقد علمنا الاسلام ان نعد انفسنا ما استطعنا من قوة ، ونتسلح بالعلم ، ونندفع نحو الصالح من الاعمال ونتحلى بالخلق والتقوى . واستطاع بناة الاسلام الا يقيموا امبراطورية عربية امتدت من شواطىء الاطلسي الى تخوم الصين ، وتمكنوا من صهر الاقوام المغلوبة في بوتقة الاسلام . ولم يكتف هؤلاء الرواد ببناء امبراطورية عربية بل شيدوا صرحا ثقافيا فكانوا هم ورثة المدنيات القديمة التي ازدهرت في ما بين النهرين وضفاف النيل وعلى الشواطىء الشرقية من حوض المتوسط ، وهضموا اهم مظاهر المدنية والثقافة اليونانية والرومانية فكانوا بذلك اداة لنقل هذه الثقافة الى اوروبا خلال القرون الوسطى . وفرضوا العربية التي تتكلم بها الملايين من الناس لغة العلم والثقافة . ومن ثمار هذا التاريخ العربي المجيد نرى ما لا يقل عن ٣٠٠مليون مسلم منتشرين في العالم ، يهدفون هدفا واحدا ، ويعبدون ربا واحدا ، ويولون وجوههم شطر المسجد الحرام ، خمس مرات في اليوم الواحد. لقد ساهم الاسلام مساهمة فعالة في رفع مستوى الثقافة البشرية وقدم العرب للعالم خدمات يذكرها المؤرخون المنصفون بالشكر والاطراء»

٢ ـ شكـــري المهتـــدي

ولد شكري المهتدي في بيت المقدس عام ١٩٠٦ وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية في « مدرسة المطران » بالقدس ونال الشهادة الثانوية عام ١٩٢٤ وقصد الجامعة الاميركية في بيروت طلبا للعلم ، واحرز شهادة بكلوريوس في التاريخ بدرجة الامتياز عام ١٩٢٧ ، وكان من زملائه الدكتور فاضل الجمالي رئيس وزراء العراق الاسبق والدكتور شارل مالك وزير الخارجية اللبنانية الاسبق واسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة في السودان ومحمد العدناني المربي والشاعر المعروف .

وخلال وجوده في الجامعة الاميركية أعلنت الجامعة عن «مسابقة مونرو (١) للتاريخ » وسمحت لطلاب سائر الكليات بدخولها فوضع « المهتدي » دراسة تاريخية نفيسة باللغة الانكليزية بعنوان :

« سقوط مملكة القدس اللاتينية The Fall of the Latin Kindom of Jerusalem فنال عام ١٩٢٦ الجائزة الاولى وكانت نقدا . وفي هذا العام اعلنت الجامعة الاميركية عن مسابقة خطابية باللغة الانكليزية وسمح لطلاب سائر الكليات بدخولها فالقى « المهتدي » خطبة نفيسة في ردهة « ويست هول » بالجامعة كان عنوانها :

« مسؤولية الطلاب في الشرق الادنى Student Responsibility in the Near East فنال الجائزة الاولى وكانت مدالية فضية محفورا عليها شعار الجامعة الاميركية واسم الفائز بها .

وعاد « المهتدي » الى القدس وتعين استاذا للتاريخ واللغة الانكليزية في « الرشيدية » و « المطران » و « الكلية الانكليزية » وسلخ في التدريس عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ وفي عام ١٩٢٩ عين مترجما في المحكمة المركزية بالقدس وفي عام ١٩٣٦ نقل رئيسا لكتاب محكمة الاستئناف فيها . وفي عام ١٩٤٠ عين حاكم صلح في بيت المقدس فمسجلا لمركزيتي يافا وحيفا (١٩٤٢ ـ ١٩٤٤) وفي عام ١٩٤٧ عين عضوا في المحكمة المركزية بنابلس .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) لجأ الى مدينة رام الله بفلسطين مخلفا مكتبة قيمة في داره بالشيخ جراح تضم مجموعات من المراجع التاريخية والقانونية بالعربية والانكليزية ، لكن العدو الغاشم سطا على المكتبة ، وقصف الدار بنيران مدافعه لان مالكها عربي !

وبعد توحيد ضفتي الاردن (١٩٥٠) عين « المهتدي » عضوا في محكمة الاستئناف بالقدس . وفي عام ١٩٥٢ نقل مستشارا حقوقيا لوزارة العدل بعمان وفي عام ١٩٥٤ استحدث منصب « المستشار الحقوقي » لرئاسة الوزراء فكان « شكري » اول من شغله وما زال فيه.

وخلال عمله الرسمي مثل الاردن في « مؤتمر قانون البحار » المنعقد في جنيف عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٠ وانتدب عضوا في الوفد الاردني في دورة هيئة الامم المتحدة المنعقدة في نيويورك عام ١٩٥٨ وفي ١٩٦٢ رأس الوفد الاردني الى القاهرة للنظر في تعديل ميثاق جامعة الدول العربية .

عالج « شكري » موضوعات تاريخية هامة ، وفي عام ١٩٢٨ نشر فصلا قيما في « السياسة الاسبوعية » بعنوان « الفلسفة الاسلامية » قابله ذوو العقول النيرة في البلاد العربية بالاطراء والتقدير . وفي الفترة الواقعة بين (١٩٢٨ ـ ١٩٣٠) نشر سلسلة مقالات في «المقتطف» بعنوان « مفكرو الاسلام » دلت على وعيه والمامه الشامل بالفلسفة الاسلامية والتاريخ العام .

وفي اعوام (١٩٤٤ ـ ١٩٤٧) أذاع من «دار الاذاعة الفلسطينية» بالقدس سلسلة احاديث طريفة بعنوان « السوابق القضائية في فلسطين » وقد عالج فيها قضايا هامة كانت من صميم واقع الناس ومعاملاتهم اليومية . وقد لاقت هذه الاحاديث استحسانا من رجال القضاء واسرة المحاماة في فلسطين .

خلق الله « شكري المهتدي » مؤرخا واسع الاطلاع ، ولو أتيح له جو من البحث العلمي ، كما أتيح للموهوبين الاخرين ، لزود خزانة التاريخ العربي بموضوعات قيمة ، ولكشف القناع عن مطويات طريفة ونقاط خفية في تاريخنا القومي .

لكن القضاء كسب فيه قاضيا فاضلا ثم مشرعا له آراؤه ونظرياته، فخسر التاريخ به محققا بارعا بعيد النظر صائب الراي .

٣ ـ عصـــام حمـــاد

بين اطلال « جرش » المدينة الاردنية العريقة بآثارها راى عصام حماد نور الحياة من أب فلسطيني وام جركسية الاصل . وبعد ان شدن وترعرع عاد به والداه الى « نابلس » فانهى دراسته الابتدائية في

(١) جيمس مونرو (١٧٥٨ ـ ١٨٣١) خامس رئيس للولايات المتحدة ، أسهم في حرب الاستقلال وعين وزيرا مفوضا للولايات المتحدة في باريس (١٧٩٤ ـ ١٧٩٦) وتولى المفاوضة لشراء لويزيانا ، وزير خارجية (١٨٠١ ـ ١٨١٧) تولى رئاسة الجمهورية (١٨١٦ ـ ١٨٢٤) اقترن اسمه بـ « مبدأ مونرو » الذي بسطه في رسالة للكونغرس الاميركي (١٨٢٣) معارضا فيه كل تدخل اوروبي ضد ثورة اميركا اللاتينية على الحكم الاسباني ، ومؤكدا ان القارة الاميركية لن تخضع بعد الان للاستعمار الاوروبي ، وان كل محاولة لامتداد الاستعمار الى اميركا تعد خطرا على سلام الولايات المتحدة وامنها .

« كلية النجاح الوطنية » والثانوية في « الكلية الرشيدية » بالقدس. وفي عام ١٩٤٢ اجتاز « عصام » امتحان التعليم العالي الفلسطيني ، وبعد عامين انضم الى اسرة دار الاذاعة الفلسطينية كمساعد لمراقب البرامج العربية وظل يعمل فيها حتى دخلت الجيوش العربية فلسطين (١٤ ـ ٥ ـ ١٩٤٨) ووقعت الحرب الفلسطينية (١٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨) فاشترك مع بعض الموظفين العرب في دار الاذاعة الفلسطينية امثال السادة : محمد اديب العامري وراجي صهيون وحازم نسيبه وعصمت النشاشيبي وعصام النشاشيبي وعباس حماد وتوفيق ابو شنب في نقل بعض الاجهزة الاذاعية من القدس الى رام الله ابقاء على صوت « هنا القدس » يلمع في بلد عربي .

وفي أعقاب عام ١٩٤٩ عمل « عصام » في دار الاذاعة السورية بدمشق مراقبا رئيسيا لشعبة المذيعين وامضى في عمله الاذاعي هذا حتى نهاية عام ١٩٥٢ ثم عاد الى دار الاذاعة الاردنية برام الله مراقبا للبرامج العامة .

وفي اوائل عام ١٩٥٧ حملته ظروف قاهرة على مبارحة الاردن الى دمشق حيث عمل في دار الاذاعة السورية مستشارا للاذاعة ومديرا عاما لبرامجها . وفي نهاية عام ١٩٥٨ تلقى عرضا من اذاعة المانيا الغربية وعين المسؤول العربي في القسم العربي منها ، وظل في عمله هذا حتى منتصف ١٩٦٥ .

وخلال السنوات السبع التي أمضاها في برلين الغربية تعلم اللغة الالمانية والدرامانولوجيا ، وتخصص في العمل التلفزيوني ، كتابة واخراجا ، وأعد اطروحة لنيل (الدكتوراه) تحت عنوان « أثر أجهزة الاعلام في تطور الادب العربي الحديث » لكن دعوته الى الوطن الاول حالت دون تقديمها .

وبعد ان صدر قانون العفو العام سنة ١٩٦٥ في الاردن عاد « عصام » وأشرف على البرنامج الذي كانت منظمة التحرير الفلسطينية تقدمه من دار الاذاعة الاردنية .

والمتعمق في درس « عصام » من الناحيتين النفسانية والفكرية يخرج بالملامح التالية :

ـ انسان : من طراز رفيع يعتز بانسانيته وبالمثل العليا التي طالما بشر بها الانبياء والمصلحون وقادة الفكر الانساني منذ فجر التاريخ .

ـ مسلم : موحد بالله خالق كل شيء ، مؤمن بان العقل قبس من نوره ، والدين في نظره جوهر لا مظهر .

ـ عربي ، يفخر بعروبته ويؤمن بان للعرب حقا كاملا في كافة أقطارهم ، لا ينازعهم فيه منازع . ويوقن في قرارة نفسه بان للامة التي تحدر منها دورا هاما في المجال الحضاري .

ـ وطني : يفهم ان الوطنية ، بعد حلول النكبة الاولى والنكبة الثانية ، حرب على الاستعمار والصهيونية ، وكفاح في سبيل مستقبل أفضل .

ـ حر : في تفكيره ومؤمن بالحرية المطلقة الى حد لا تتعارض فيه وحرية الاخرين .

وهذه الملامح العريضة لتفكير « عصام » هي نتيجة لمشاعره النفسانية وقراءاته المنوعة وتجاربه طيلة عراك عنيف مع الايام .

و « عصام » تأثر في ميوله واتجاهاته العامة بالمرحوم والده الذي لقي وجه ربه شهيدا برصاص الجند البريطاني في ثورة عام ١٩٣٦ . وكان هذا الوالد ، في حياته ومصرعه ، درسا خالدا لشاعر مقت الاستعمار في أي لون من الالوان ، ومناجزة البغي وكبت الحريات في كل زمان ومكان .

من آثاره القلمية : لو قدر لـ « عصام » ان يرى وطنه المغصوب حرا طليقا من العلج الاجنبي ، وان يحيا حياة محفوفة بالطمانينة والاستقرار لسخا على الخزانة العربية بالوان من شعره ونثره . ورغم تشرده من جراء النكبتين المريرتين اللتين اصابتا امته المظلومة فقد طلع علينا بالآثار القلمية التالية :

(١) الاذاعة للجميع : (مجموعة دراسات اذاعية في الكتابة والاخراج) طبع عام ١٩٥٢ .

(٢) ديان بيان فو : (ملحمة شعرية) طبعت عام ١٩٥٤ .

(٣) رسالة الى ولدي : مطولة شعرية يخاطب بها « مهدي » اكبر انجاله طبعت عام ١٩٥٧ .

(٤) في الفن العربي والالماني المقارن : طبع في برلين عام ١٩٦٢ .

(٥) متفرقات منثورة من الشعر والابحاث والقصص : طبع في برلين عام ١٩٦٢ .

وبعد أن وقعت رام الله ذليلة في قبضة اسرائيل في ٧ ـ ٦ ـ ١٩٦٧ ترك في منزله مجموعتين من الشعر وملحمتين ومجموعة من القصص المؤلفة وقصة مطولة وثلاث مجموعات من القصص المترجمة ومجموعة عن الحركة الوطنية في فلسطين والاردن . بالاضافة الى دراسات ادبية وموضوعات سياسية واجتماعية منوعة ، ومجموعات من البرامج الاذاعية المختلفة .

نموذج من نثره : « في عام ١٨٩٣ تحفزت المانيا لخوض معركة التحرير ، وشعبها الكسيح المهيض الجناح من أثر التمزق والفرقة ، وجراح الاعتداءات الاجنبية ، يتأهب لرفع رأسه في هذا العام بالذات، رفع في المانيا حق ، ووضع حق ، أما الحق الذي رفع فكان بوفاة المصلح الكبير « فيشت » وأما الحق الذي وضع فكان بميلاد « ريشارد فاجنر » الموسيقار العبقري .

وكان « فيشت » قد ترك لـ « فاجنر » في « نداءات للامة الالمانية » رسالة شخصية وضعها على عاتقه مدى الحياة ، وهي العمل من أجل تحويل كبوة الشعب الالماني الى وعي عارم في المجال الذي يحسن الخوض فيه ، سواء أكان ادبا ام فنا أم علما .. ام استشهادا في ساح الوغى الهلوك .

وما كان من « فاجنر » ، تنفيذا لهذه الوصية ، الا ان استطاع ان يبدع لالمانيا والعالم فنا قويا ، ويخلق من الضعف قوة ومن العدم حياة . وكانت تحفته الفريدة « تريستان وايز ولده » تاجا لكفاحه كله ، لا لشيء سوى انها حملت بين جوانحها ، بذرة الثورة .. ثورة المواطن الالماني على ظروفه التعسة ، وثورة الانسان على الاقدار خيرها وشرها !

وكانت هذه الثورة ، القديمة في الحق قدم التراث الفني الاغريقي ، بمثابة حجر الزاوية للمسرح الفاجنري الفني ، والنبراس الوضاء الذي قاد خطى « فاجنر » في طريق حياته . وذات مرة قال ما معناه : « ان الانسان الذي لم يعرف الثورة على ما هو كائن ، منذ نعومة اظفاره ، لا يتعرف البتة الى الجديد ! » .

من هنا .. من هذا القلق .. من هذا التشاؤم .. من هذه العواطف الموارة .. من هذا الايمان بالقوة المطلقة .. اللازمة جميعا للمواطن الالماني في صراعه مع ظروفه السياسية ، واللازمة ايضا للانسان في صراعه مع اقداره .. استطاع الفاشيون ان يتسللوا الى « فاجنر » فيستغلوا تراثه الفني ، وجعلوا من موسيقاه حافزا لاستعراض العضلات ، ولتسلم مقاليد الحكم في نورنمبرغ ويتخذوا من فكرته عن الانسان الحقيقي بوجه عام واجهة لفكرتهم عن المواطن الالماني وحده دون غيره من بني البشر .

وحين تقوضت أركان الفاشية في المانيا ، لم تجد الدولة العمالية التي قامت في شرقي المانيا من بعد ، الا ان تسدل رواق النسيان على ذكرى « فاجنر » ، لا لشيء سوى ان ذكراه أصبحت تشير في أذهان البسطاء ذكريات الفاشية واهوالها .

وهكذا كان « فاجنر » لردح من الزمن جد مفترى عليه .. افترى عليه الفاشيون فمهروا فنه ، وانطلى هذا الافتراء على اعداء الفاشية

هونا ، فقاطعوه وتجاهلوه ! .

غير ان « فاجنر » بقي هو .. هو .. وبقيت طرفته العظيمة « تريستان وايز ولده » تلك الطرفة التي اجترحها عام ١٨٥٩ .

ولا غرو اذا رأينا الناس في المانيا ، يسارعون الان الى رد الاعتبار لفاجنر ، بل الى الكشف عن « فاجنر » جديد .. « فاجنر » الانسان الحقيقي ، الذي طالما استغله اعداء الانسانية .. « فاجنر » الفنان الفذ الذي لم يفصل ابدا بين الفن والحياة .

واندمج « فاجنر » اندماجا كليا في قضايا وطنه وعصره ، وبقي يكافح من اجل تطور الانسانية ، وينافح ابدا عن صفاء التراث الالماني !

« فاجنر » الموسيقار العبقري هو أحد رسل الوعي البشري ، الذي غاص الى أعماق الحياة وأعطى ملامح واضحة لصورة العالم كله ، وكشفت كل نغمة من نغماته النقاب عن الانسان .. الانسان الحقيقي ، الذي يملأ ارجاء العالم ويبني بكده وجده ، وبتكاتفه وتآزره مستقبله الوضاء المنشود » ! .

نموذج من شعره : عالج « عصام » القريض في كل ابوابه ، وتغلب على شعره مسحة اللوعة على بلاده .. فلسطين الفجيع وقلب العالم العربي ، من ويلات وكوارث . وله قصائد جمعت بين الرقة واللوعة ، والفجيعة والدمعة ، ومن قوله :

تقول : علام هجرت النسيب وفيم سلوت حديث الغزل ؟
أجف معين الهوى الثر في قلبك البكر ... أم غاض نبع الامل ؟
أصوح روضك قبل الاوان وزهر الصبابة فيه ذبل ؟
أأنسيت ايامك الخاليات وخلفت ذكرى الليالي الأل ؟
أشاخت أحاسيسك الفائرات واخنى عليها قضاء نزل ؟
وما زلت في عنفوان الشباب وشرخ الصبا العارم المكتمل
أشاب شعورك يا شاعري وحلكة شعرك .. لما تزل
وفل الزمان الخيال الرهيف وعودك ماض مضاء الأسل
واطفات الوهج ريح السنين وعهدي به ثاقب مشتعل !

أجبت .. وفي كبدي حرقة وفي مقلتي دمعة حائره
وغصة حلقي لا تنثني تلجلج الفاظي العاثره
يمينا .. بعينيك .. بالثغر .. بالنحر .. بالسحر .. بالطلعة الناضره
أحبك .. لكن فطمت الفؤاد حياء .. عن الفتنة الآسره
فما انا بعد من المدنفين وما مهجتي في الهوى سادره
وكيف تراني أهفو غراما وأشرب من كاسك العاطره
وما في صحابي سوى ساغب يلوك مصائبه القاهره
وآخر ظمآن .. والماء عنه قصي ... واطرافه قاصره
وانى لعيني أن تغمضا وفي موطني أعين ساهره ؟
وكيف أطيق الغطاء الوثير وأختي عن صدرها حاسره ؟
أأصدح بالاغنيات ... وأمي تجول نائحة هادره ؟
أأرقص في مأتم الثاكلات وأضحك في النكبة القامره ؟
وأستقبل الدمع من اخوتي وصحبي .. بالضحكة الساخره ؟
كأني لم أحب في دراهم وادرج في ارضها الطاهره !
ولم اطعم الخبز من خيرها وأنعم بآلائها الزاخره !
ولم اشرب الماء من راحها وأطرب لانغامها الساحره
كأن ليس بيني وبين بنيها من الاهل والصحب من آصره
أناخت على موطني الحادثات ودارت على مربعي الدائره
فما كان لي أن أهيم غراما وتخطر لي في الهوى خاطره

غدا .. سأناديك .. عند انبلاج الصباح من الافق المظلم
غدا .. سأناجيك .. عند انقشاع الغمائم عن زهر الانجم
غدا .. سألاقيك .. عند انحسار الرماد عن اللهب المضرم
غدا نرقم المجد بالتضحيات سطورا تعز على المرقم
غدا ننفض الغار عن هامنا وننهض كالقدر المبرم
غدا يطلع الفجر .. فجر الاماني بهي السنا ، ضاحك المبسم

غنوج

ومفناجة شقراء خضر عيونها
لها مبسم يفتر عن برعم نضر
تقول بزهو هل تراني جميلة
وهل رف شعر مثل شعري على نحر
فان كنت في عينيك للوحي منهلا
فرنم بحسني واملأ الكأس من خمري
لكم لمعت شمس المغيب غدائري
وفي وهمها اني شعاع لها يجري
فقلت لها يا ليت لي كف مبدع
لانسج من فرعيك قيثارة الشعر

وديع ديب

غدا أحمل الناي يا غادتي وأنفخ في روحه من دمي
أخلد ذكرك في الخافقين وأهتف باسمك ملء فمي
فانك رمز جمال بلادي وعنوان ابداعها اللهم
وحبكما واحد لم يجزأ بقلبي يوما ولم يقسم
ولا غرو ان كنتما عنصرين فريدين في جوهر أعظم

وكيفما حل «عصام» وارتحل يظل ولوعا ببلاده ، لصوقا بتربتها ، مفاليا بذكرياتها ، فخورا ببنائها ونساجها ، وفلاحها ، واسمعه يقول :

دعك مني .. فقد سئمت التغني برؤى فتنتي .. واطياف حسني
دعك مني .. فقد سئمت سهولي ووهادي .. وكل دوح وغصن
وسئمت الاحلام .. والوحي والالهام .. بل عفت كل علم وفن
وسئمت الغناء .. في الليلة القمراء .. بل عفت كل صوت مرن
أتراني .. والنار تأكل «روحا» مثل « نيرونها » اداعب لحني !
ما النسيم العليل .. ان كان من اهلي عليل اراه في كل ركن ؟!
ما غناء الطيور ملء جناني وانين الجياع يقرع اذني !
ما عيوني تفيض بالسلسل العذ ب .. اذا أعشت المصائب عيني ؟
ما دموع الندى الرطيب .. اذا كا نت دموع الاسى على كل جفن ؟!
انا لولا الانسان يحيي مواتي ويداري ضعفي ويدرأ وهني
انا لولا عقل يدبر أمري ويد برة توطد ركني !
انا لولا البناء ينحت من صخري صروح التاريخ نحتا ويبني !
انا لولا النساج بين دروبي من خيوط الخلود يغزل ردني !
انا لولا الحراث طي أديمي يبذر الحب والحياة لاجني !
ما تراني لولا اولئك اغدو ؟ ما تراني من دونهم كنت أعني !
أتراني أثير حسا بسحري ولو اني اشبهت جنة عدن !
ان أهلي أعز عندي وأغلى من ربوعي .. ومن ربيعي الاغن
وصفاء السماء لا يزدهيني كصفاء القلوب من كل ضغن
واخضرار الرياض عندي عن سحر اخضرار الامال ليس بمفن
دعك مني ومن جمالي وانهض زحزح الضيم عن قبيلي وعني !
كن لطفلي الفرير نورا بعينيه ونارا في عزم شيخي المسن
وامض بالمرض الذي تاه في اللج قرونا للشاطىء المطمئن
وقد الموكب اليمم شطر المجد والخير والسلام .. وقدني

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوسف الفاخوري

بقلم شكر الله الجر

* * *

شاعر من شعرائنا المفتربين غاب نجمه عن العيون منذ اشهر قلائل تاركا لانجاله الثلاثة ثروة استنفدت جهود حياته . غادر مجدلون قريته المتواضعة في منطقة البقاع وسافر الى البرازيل عام ١٩٢٠ . وهناك بدأ عهد هجرته متجولا تجاريا لبعض معامل النسيج في سان باولو مدينة الدواليب . متنقلا من طائرة الى طائرة ومن ولاية الى ولاية مروجا لبضائع المعمل الذي كان يمثله .

اتقن اللغة البرازيلية واجادها حديثا وكتابة ومن نوادره انه اضطر في بعض اسفاره ان يلقي خطابا في حفل من رجال الادب والثقافة في مدينة بورتو الكري فصفقوا له طويلا واعجبوا بهذا اللبناني يجيد لفتهم كواحد منهم فاقبلوا عليه يسألونه ان يترجم لهم شيئا من الشعر العربي وكانت البلدة يومذاك في حالة من التوتر والنقمة على الزنوج السود لاسباب سياسية وجنسية . فمر بباله بيت المتنبي في كافور :

لا يقبض الموت نفسا من نفوسهم الا وفي يده من نتنها عود

فكبروا وهللوا للمعنى الغريب المبتكر . ثم اردفه ببيتين آخرين وهما :

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبي موجع الراس باكيا

ثم قوله :

كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

فاعجبوا بشاعر يأتي بهذه الصور الجديدة في شعره منذ الف سنة ونيف .

كان الفاخوري رحمه الله ينظم الشعر بينه وبين نفسه ، فلم تكن له الجراة على نشره في الصحف خوفا من النقد انما بعد ان تعرفت اليه وتوثقت بيننا روابط الولاء راح يطلعني على بعض ما لديه من مقاطع شعرية استهواني ما فيها من عذوبة في العاطفة فشجعته وتنبأت له بمستقل جميل واخترت واحدة من تلك المقاطع لانشرها في مجلتي « الاندلس الجديدة » التي كنت اصدرها عن عاصمة الاتحاد وكانت واسعة الانتشار فكان حيث مشى في داخلية البلاد يجد من يهنئه ويمحضه الاعجاب كشاعر جديد اطل على مسرح الادب في اوساطنا المغتربة فكان ذلك من دواعي اقباله على النظم .

ثم ما لبث ان قاده الحظ الى فتاة ذكية مثقفة فتزوجها هي كريمة المليونير اللبناني الياس زرزور من كبار رجال الصناعة في مدينة سان باولو فكان زواجه منها فاتحة لمستقبل كبير وحياة سعيدة . فولج ابواب الصناعة من بابها الواسع وجنى منها الارباح الطائلة تعززها مكانة اجتماعية مرموقة في كافة الاوساط . وبالرغم من ثروته ما كان ليجد نفسه في يوم من الايام عبدا لماله كما هي الحال عند بعض الاثرياء المتهافتين على الدنيا المشغولين بجمع حطامها والمعرضين عن اعمال البر فيها . يعدون عدوهم على دروب شائكة طويلة ليحشدوا الذهب في خزائنهم على حين عين الموت تراقبهم وتمشي مسمرة في نعالهم . وفي هؤلاء يقول الفاخوري :

من زاده الله مالا وعاش عبد المال
كحامل الموت يعدو على الدروب الطوال
والموت يسخر منه مسمرا بالنعال

واليك من شعره في اوائل نظمه وهو في طفرة الصبا وعنفوانه تخطب وده الكواعب اللواعب لجمال في شخصيته واناقة في مظهره :

احبك ملء فؤادي الفتى وملء الوجود وملء الشباب
وحسبي منك هوى صادق **افتت معه صخور الصعاب**

وهذا صحيح ، فكم من المحبين الذين ذللوا الصعاب وفتتوا صخورها فبلغوا قمة النجاح وذلك بفضل الحب وجذوته المتاججة في صدورهم . ولنصغ اليه الان بعد خمس وعشرين سنة . بعد ان صعد في جبال الحياة وهبط سفوحها ووديانها وادار منجله في الشوك والزهر من حقولها يقول :

لم يبق من امسنا المستحب سوى ذكريات على الخاطر
نمر سراعا مرور السحاب ونركض خلف هوى عابر

لقد صور الشاعر حياته كلها في هذين البيتين بل صور الحياة نفسها تمر مرور السحاب بما فيها من هوى عابر يترك ذكرياته في الخاطر .

وكأني به قد ادرك بتلك الحاسة الخفية في نفسه التي تلتقط الاحداث قبل وصولنا اليها فراح يقول :

تعالي نجمع بقايا الشباب فقد لوحت شمسنا للغروب
تكاد سفينتنا في الضباب تضل عن الشط عند المغيب

فهذه السفينة المغلفة بالضباب وهذا المغيب الكئيب الذي سيضلها عن الشاطىء كلها احاسيس وندب شجي خفي يلامس القلوب فيفعمها حسرة على شاعر اندفع بكل قواه العقلية والجسدية في مضامير الصناعة والتجارة ومسؤولياتها الضخام في بلد كمدينة سان باولو لا يفكر سكانها في الموت حتى اذا صحا الى نفسه فيها وجد ان شمس شبابه على نوافذ المغيب وان سفينته اوشكت ان تضل طريقها الى الشاطىء في ضباب الغروب فيصيح صيحة اليأس :

تعالي نجمع بقايا الشباب فقد لوحت شمسنا للغروب

انه لموجع حقا ان نرى الشاعر بعد مسافة من الزمن يدور على بيادر الحياة وحقولها ليلتقط من وراء مناجلها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضيـاع

أكذا عمري يمضي دون سعـــد ... وأنا أعبـــد أيامـي ... للحدي
كـــل أعوامـي مضت كالحـــة ... مـــا أرتني غيـــر آلام وكـــد
ورمتني ... مزقا ... حائـرة ... بـــين جزر عبت الريح ومـــد
وأنـــا فـــي الدهر فلك تائـه ... يتهادى بين امـواج التحدي ..

أيـــن أطيـاف حنـان رنقـت ... بين آفاقي ولـــم ترس بساحي
وعلـــى أشـلاء نفسـي أبـــدا ... أقطع الدرب ، وحيدا ، بجراحي
آه ، مـــا أقسى زمـــان غادر ... فجره ، عنـــدي ليلـي الوشاح
وكذا (أيوب) مـــن قبـل غفا ... بـين أنيـاب ضنـى جد وقـاح

ان عمـــري يتنزى مـــن أسى ... مثل شلـــو بين أنيـاب سبـاع
آه ، قـــد لف الدجـى ساريتي ... وطوى الموج بقايا مـــن شراعـي
وشجونـي ، صخـــرة ثابتـــة ... وأنا قد عدت (سيزيف) الضياع
رقة الحس ، ومـا أفجعها ...! ... قـــد رمتني بـين أثباج الصراع
وبأعماقي هتـاف ساخـر ... انت تحيا، في ضياع .. في ضياع

بغداد ... واجد شريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحاصدة نفايات ايامه ولياليه .

ولا يعجب القارىء الكريم من هذه الغمائم الكئيبة في سماء الشاعر الفاخوري وقد تدفق الذهب جداول بين يديه وله من بيئته واسرته كل ما يشتهي من صفاء العيش ولذلك اقول واصر على القول انه عبثا ان تطلب من الشاعر المغترب لا سيما ابن لبنان شعرا مهللا ضاحكا أغنيا كان ام فقيرا ، فهو ابدا مشدود بحبل الحنين الى ماضيه تبطن نفسه الكآبة ومهما قيل لك غير ذلك فلا تصدق .

فالمغترب اللبناني شاعرا كان ام غير شاعر تراه ابدا متلفتا الى ما ورائه من ذكريات في ارض نشأته ومطلع طفولته وصباه . لم تضعف الغربة من حنينه الى وطنه وحبه له ولم تبدل مصاعب الجهاد عنده من ايمانه به ولا مهرجانات الشعوب وامجادها انسته حب قريته ومباهج ايام الصبا فيها ولكن لا حيلة لـــه فكلما طالت ايامه طال سجنه وتضاعفت القيود التي تقيده .

ومن زفرات الفاخوري الحزينة الملتهبة الابيـــات التالية :

يـا هاجـرا لبنـان ... فـي ريـق الصبا ... فتخسـر الرسمـال ... وتخلـف الوعـود
حملتهـا احـزان ... نـاءت بها الربـى ... مـن يقطف الكـروم ... مـن يعصر العنـب
تسعى وراء المـال ... فـي القلب البعيـد ... مـن يحرس التخوم ... في زحمة النـوب
... مـن يزرع الحنطـه ... في تربنـا الخـير
... وينشـر الغبطـة ... فـي افقنـا النير
... من يقـرع الناقوس ... فـي ساعة الخطر
... ويحفـظ الناموس ... من سطوة القـدر
... ان غبت عـن لبنان ... عـن جنة الخلـود
... فـي اخـر الزمان ... هل يا ترى تعـود

اجل لقد عاد الشاعر الى وطنه ولكن بعد اربعين سنة مليئة بالشوق والحنين فكانت لياليه في لبنان اعيادا ومسرات بين اهله ومريديه وكانت لي معه ذكريات محببة عن ليالي اغترابنا في البرازيل . وشاء ان يطبع ديوانه « نوى » في لبنان واراد أن تكون مقدمة الديوان مـــن يراعتي فكان له ما اراد ، وما كاد يعود الى البرازيل حتى اشتد عليه الداء الذي كان يحمله منذ سنوات في احشائه فقضى الى ربه وهو يردد بمرارة والم :

ما تنفـع القصور ... وكثـرة الفنـــى
وظلمـــة القبـور ... تضمنـا هنـــا

جبيل ـ لبنان ... شكر الله الجر

العبـــاءة

بقلم سميرة المانع

كانت « عواشه » تنافسها قبل ان يتوفاها الله ، وحتى قبل ان تموت، ما كانت تقدر على خطف زبائنها ، بنات البنات ، وامهات الامهات ، كلهن يلحفن : « لقد تهرأ راس عباءتي القديمة ، اترينها ؟ اعملي معروفا واكمليها في ليلتين او ثلاث » وهي توعد مبتسمة ، وهن يأتين اليها متوسلات ، خاطت لهن عباءات بالمئات والابرة طيعة وخيط (الابريسم) معوان وابنة الجارة قادمة لتأخذ عباءة امها وهي تعتب:

ـ امي تقول اما انتهيت من خياطة عباءتها للان .

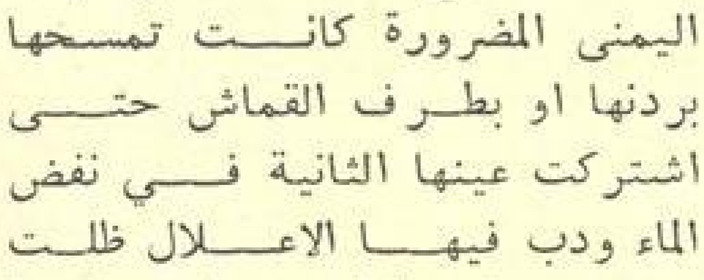
ـ فقط ساعتين ، ساعتين وتكون جاهزة .

ثالث مرة تنسحب فيها الفتاة من العتبة ، لتعود الحاجة « نفيسة » الى سلة العباءات . كانت تضعهن في سلة خيزران ، قماشا على قماش ، كلهن ينتظرن يديها ، ابرتين ساحرتين ، تنسجان من ذاك القماش المعتم حواشي رقيقة تسكب القوام في كتلة السواد . عرفت كيف تطرز نجوما صغيرة سودا اصغر من ان تراها عين انسان غشيم ولا تخفى على من تعود رؤية الكمال وليس الشغل هينا ولا كل من ادعى الخياطة كان خياطا للعباءات . من يتجاسر على مسك قماشها وهي لولب من الحرير ، تتلوى في الذراع وتراوغ ما بين الاصابع ، حية ملساء ، ليس غير الحاجة نفيسة من يجبر القماش البارد الاسود على التماسك فتلتم العباءة وتستكين خاضعة في حضنها ، ذائبة منقادة ، لتنفذ ابرتها فيها غرزات ناعمة مضبوطة تشكل فيها قواما وراسا وذراعا . ما كانت تبخل في الاعتناء بهن ، كلهن عزيزات ، وكل عباءة خاطتها ، ابنة لها تحظى بالادب والدلال . وعلى ركبتيها هاتين كانت تضطجع رؤوس العباءات فتخيط وتخيط حتى يكل متناها ويبدأ فانوسها بالاضمحلال . ان العباءات تنمو عندها فتتكاثر صباح مساء .

رحمة على الاموات ، كلهم ماتوا، لقد ورثت هذه المهنة عن والدتها حين تخلت عن اللعب ومشاغل الصبيات ، وكثيرا ما دعا لها والدها بالستر طالما سترت بنات الناس . وقد سترت الجميع وحشمت رؤوسا وسيقانا ، ولم تقصر كما لم تقصر والدتها من قبل، كانتا تتقابلان على العباءة الواحدة ، وكل منهما ماسكة بطرف منها وساعة تنتهي تكون والدتها على وشك الانتهاء . كانت تشمت منها فهي اسرع انجازا واخف انامل وابرة ، ووالدتها تبتسم ابتسامة الاعتراف مطوية العباءة الجديدة بتمهل مملسة اياها بافتتان ، وحين ابتدأت تمسح نقط الماء عن عينها اليمنى المضرورة كانت تمسحها بردنها او بطرف القماش حتى اشتركت عينها الثانية في نفض الماء ودب فيها الاعلال ظلت تستعين بنفيسة كي تلضم الابرة العمياء ، وثقب الابرة بخيل لا يرحم . لقد تشكت في يوم ما والماء جاثم على عينيها الاثنتين مستنقع اشهب لا يروم الفكاك ، تزحزحه كي يسقط قطرات قطرات لتعود وتتجمع ثانية امام ثقوب عينيها طينا ورمادا . وحين قال الطبيب انه الماء ولا جدوى من علاج عيون داؤها الماء عرفتا الماء الاسود مداد محبرة تزداد نيلا حتى تخيط النفس ببعض من خيوط العباءة السود الكثار .

وستأتي ابنة الجارة عما قليل ولا زال في عباءة امها سانان يريدان البرم الناعم اللحوح فهما حواشي الردنين وردنا العباءة مهمان والا ستكون كعباءة « منيرة » حين خاطتها لها خياطة في « الاعظمية » قبل شهرين والمسكينة « منيرة » جاهلة تنسى اللبس وذوق النساء، لقد جاءت بالعباءة ولم تلبسها الا مرة واحدة ، كان في تلك المرة في عباءة « منيرة » اذنان منتصبتان ، تدعي خياطة « الاعظمية » انهما ردنان ! كل شيء في العباءة مهم والحاجة نفيسة ذائعة الصيت بين الخياطات ، تأتي النسوة لها من كل فج في بغداد ، سمعتها مهابة ، ولم تفتقد زبونة بسبب عيب منها ، عيب تعج به الخياطات القديمات والجديدات مهما تعددن واختلفن على ابوابهن القابا واسماء فهن لن يطمحن بالوصول الى براعتها في التطريز وقص القماش . كانت تصنع من فضلات القماش المتروكة مناديل للراس موشية بالالوان وتخيط صداري صغيرة وطرابيش للاطفال . كل شيء باعها فيه طويل ولم تترك فضلة الا ويدها مبروكة ونظرها صائب ، ولم يخنها خائن . ولا زالت الحاجة نفيسة تواصل البرم والابرة زواغة كي تثبت في الثغرة خيطا اسود في المكان الاسود ، لا ضوء الا من مجسات الحاجة تقود الابرة الضالة حيث يجب ان تكون وحتى تبدو الفرزات قطيعا من النمال كما يتعشش الضوء الابيض ويتبقع عندها كلما رفعت راسها بين آن وآن .

ابنة الجارة قادمة ، ولم تكمل الا ردنا واحدا والردن الآخر يريد



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الشاطىء

★

البحـــر يبسم خلفها وامامهـا ... والموج قبلهـــا وضم قوامهـــا
تلـك الصبيـــة كالشعاع بهاؤهـا ... تخفي وتبدي عينها احلامها ...
أحلام عشرين مـــن الاعوام قـد ... عبرت..وددتلو ان ليإعوامها..
والبحر كم فيـــه تمرى وجهها ... من بعدما اتخذت به حمامها ...
والمـــوج داعبها بكـــل لطافـة ... ومشى يقهقه ضاحكا .. قدامها
فترى العيون كهالة مـــن حولها ... عطشى تحدق كي تبل اوامها ..
فاذا مشتفيالشط يضحكرمله ... فرحا ويلثم رملـه اقدامها ...
في كل نقلة خطوة طبعت لنـــا ... قلبا.. بقلب الشط لاح امامها..

زحلة ـ لبنان ... رياض معلوف

الوقت وقطرتان من الملح في عينيها ويدمع الدخان . كانت تنهي العباءة في ثـــلاث ساعات وكانت العباءة واسعة اكبر منهـــا بكثير ، طالما اختبئت بـــين طياتهـــا مسرورة لتضحك امها . كانت تكركر خافية راسها الصغير لتخرج عينا واحـدة امعانا في الاحتيال ، وهي تعرف من خاط عباءة المراة فـي محلتهم وان بدت رقعة كالكيس فـــي الشارع لا معنى لها سوداء . كانت تعرفهـا من استدارة ذيلهـا ونهضة الصدر وعناق الردنين تعرف مـــن صـاغ القماش كالخاتم وليس هناك مـــن يعيب على خياطتهم وبيت الخياطـة مشهور والبـــاب مفتوح للرائحات القادمات .

عليها ان تسرع فابنة الجارة فـي الطريق ، لـــن ترضى بفقد زبونة واحدة من اللواتي كن يلهجن بالثناء، والنسوة ، ومـــا اكثرهن ، كلهن معجبات بها . لم يتجاهلن عتبتهـا والعباءات في السلة بازدياد . نفذة قصيرة تردفها نفـذة طويلة والخط مائل والردن اليمين اقصر مـن ردن الشمال . الوقت محدود والحاجـة نفيسة تحرث والابرة تطارد لتنهي عباءة الجارة وهـي عندها منـذ اسبوعين ، وعدتها ان تنتهي منهـا باربعة ايـــام . مـــا كانت تفـرغ لتمشيط شعرها ، من يدري بـــه وهو تحت الفوطة مصان مستور . قبل يومين جاءتهـــا عروس كانت تعطيها دينارا اجرة لهـــا علـى ان تنتهي مـــن خياطة عباءتها يـــوم الخميس فليلـة الجمعة الزفاف . بلعت الحاجة نفيسة ريقها اذ لـــم تلبس العروس عباءتها في الزفاف . ابرتها طائشة والخيـــط يتخبط ، جعلته طويلا كي تنهي مقدارا مـــن الخياطة وسرعان مـــا انتهى مدده ، ابرتان بل ثلاث راقصات مستهينات بها وبالخيط الملضوم وثقب الابـرة ضائع لقد فرحت حين قرع الباب ، انها ابنة الجارة ، وهو وقتها ها قد مضت ساعتان .

كانت الفتاة واثقة فرضت الخيط على ابـــرة الحاجة نفيسة فرضـا وجلست على طرف التخت منتظرة. ما كان الوقت يتسع كـــي تطـرق الحاجة حديثها حول الزمان الـذي ستلبس فيه الفتاة العباءة . وهـل انبها اخوها او ابوها او ابن عمها من ان سنها اربعة عشر وهـــو موسم العباءة كما ترتأي . اسئلـــة كانت الحاجة تمسهـــا دومـــا وتصيب مرمى ، غير انها اليوم في واد آخر تدور فيـــه وتلف حـــول العباءة ، تدخل من ردن وتخرج مـن ذيل ، تريد ان تنتهي منهـــا معجلة حين اكتشفت ان ردن اليسار اطول مـن اليمين . عليهـا ان تعيـــد القياس وتفتق البرم والنجوم السود ، عليها ان تعيد الساعتين وترجـع للوراء ، للبقع الشهب ودمـــوع الدخـــان وخياطة الحاجة نفيسة لا عيب فيها ولن يعاب عليها فـــي يوم مـــا .

تململت ابنة الجارة :

ـ أولم تنته ؟!

ـ لا لقد انتهيت منها .

لندن ... سميرة المانع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصف مولوي

★

قلب لـه مـن صبـوة يثـب ... ووسـاوس كالنـار تلتهب
ما ينطـوي مـن لاعج سبـب ... الا وينشر دونـه سبـب
عصفت وسـاوسـه بمعتلج ... تهـذي غواربـه وتصطخب
وتزاحمت في صـدره غصص ... تهمـي بمضطـرم وتنسكب
شابت ذؤابتـه وما وهنـت ... فـي حلبـة قدم له تثـب
يجري بهـا ويلـف منفلتـا ... كطريـدة تنأى وتقتـرب
ويـدور والاشـواق تنشره ... بيـد وتطويـه فيحتجب
دفعـا وجذبـا مثل ساريـة ... رعنـاء دون الريـح تضطرب

★ ★ ★

طالت لـه وسـمت قلنسوة ... لـم يطفهـا في حالق رحـب
قامت كعرف الديك وانتصبت ... ولها الى نجم السهى نسـب
طهرت صحيفتهـا وعوضهـا ... عـن بهرج ما زيـن الادب
لم يعر فـي حرمانهـا طنـب ... يومـا ولم يهتك لهـا طنـب
كملـت على الاملاك تحسبهـا ... تاجـا وليس يزينها ذهـب
من فقرها كانـت مهابتهـا ... فالليث يضوى وهو مرتهـب
وكأن جبتـه التـي نشرت ... ليل حيـال الافـق منتصب
غامـت مسالكهـا بمعتكـر ... تطغـى غياهبـه وتأتشب
ران الظـلام بكلكـل ويـد ... مـن دونهـا واقـام يرتقب
وتشابهـت فيهـا مدارجهـا ... كالليل كـل دروبـه حجـب

★ ★ ★

أعطى الهوى ما ليس يتهـم ... للحب مـا يعطي ومـا يهب
مـد اليمين كسائـل وجـرى ... فـي حلبة سمارهـا عجـب
نشوان من شغف يسـاوره ... كصريـع كأس حفهـا الحبب
ويدور مثل فراشة لمحـت ... نـارا فهز جناحهـا طـرب
مـا زال يفتـل غـير متئـد ... والشـوق هـدار ومصطخب
فكأنه كـرة يطـاح بهـا ... في حلبـة حينا وتجتـذب
دورانـه عجـب يثـير شجـا ... مـا دون سـمار ويختلـب
يجري فـلا تنفـك زائفـة ... عين توسن جفنهـا وصـب
فتخاله نسرا جـرى صعـدا ... فـي عاصف والليل مختضب
وحنينه في كـل جارحـة ... نـاي علـى الايام ينتحـب
ما كـان في دورانه ريـب ... هيهات ليس مـع الهوى ريب

دمشق — عدنان مردم بك

التضمين في الشعر الحديث

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

يقولون : عبثا نحيي مصطلحات بلاغية قديمة (١) ، لان تجربة الشعر الحديث شيء جديد ، سواء في تمثل الشعراء اليوم لها ، أو في أساليبهم فيها .. ولكن كيف يتناسون ان هذه التجربة الشعرية الجديدة ، وما وراءها من تمثل جديد ، او ما ظهرت فيه من اساليب جديدة ، لا بد ان تخضع لمبضع البلاغة ، والنقد ، وبالتالي لا بد ان تربط بأرثنا البلاغي ، والنقدي ..

يقولون : هذه المصطلحات البلاغية القديمة جامدة ، وبالتالي عاجزة عن انصاف التجربة الشعرية الحديثة ، بله نعتها ، وهي تجربة مضمون .. وذلك غير صحيح أبدا ، ان المصطلحات البلاغية القديمة لا تزال كلها الحياة، والابداع ، ويمكنها ان تنصف كل مضمون حديث ، وان تنعته .. والدليل ان اجمل الصور البلاغية التي تشيع اليوم في الشعر الحديث ، مثل (التضمين) ، على اختلاف أشكاله (٢) ، وعلى الخصوص (التلميح)، العادي منه ، او الرمزي ، لا يمكن تمييزها اليوم الا بواسطة هذه المصطلحات البلاغية المتجددة .

واذا ذكرنا ان التضمين ، باشكاله ، ومنها التلميح من صور التحسين البديعية ، والبلاغيون القدماء يميلون الى اعتبارها تحسين كلام لفظيا ، ودرسها المتأخرون منهم مع السرقات الشعرية (٣) وتقوم على ذكر شيء من كلام الغير ، أو التلميح لبعض الاحداث ، او القصص .. حق لنا ان نتساءل عن هذا المضمون الحديث الذي يتحدث عنه المحدثون من الشعراء والنقاد ، وعن قيمته ..

هذه التلميحات الشعرية التي تشيع اليوم في الشعر الحر ، بعضها تلميح الى أحداث ، وقصص ، واساطير ، وبعضها الآخر سرد جديد ، او لنقل فهم جديد لها ، وتعاطف جديد معها .. ولكن ليس استعمال اسم البطل ، او المدينة في حادثة ، أو اسطورة ، او التلميح للحادثة نفسها ، أو الاسطورة نفسها ، يوجد بالضرورة الرمز ، والرمزية ..

ومن هنا وجب الحذر من كثير من تحليلات النقاد والدارسين اليوم ، الذين يتحدثون عن هذه التلميحات المختلفة ، او يعتبرونها (رمزية) ، ويعتبرون شخوصها رموزا ، في حين كثير منها عادي.. ولذلك معناه ، بعبارة اخرى ، انه لا بد من تحديد الالفاظ، والمصطلحات اليوم، تحديدا بلاغيا ، ونقديا ، بتعريفها ، وشرحها من فوق كل منهج في نقد ، أو بحث ، أو كل تمثل في تجربة .. والرمز صورة حسية ، أي الفضلة ، المادية المحسوسة الاصل ، المتبقية في النفس بعيد غياب منبهاتها ، وهو بلاغيا مجاز ، مجاز تشبيه ، واستعارة ، قرينته المشابهة، صرح فيه بهذه الصورة الحسية ، رمزا للمعنوي الذي يكنيه ، ويوحيه (٤) ..

والتضمين ، وخاصة التلميح في الشعر الحديث ذكر أسماء اعلام ، من ابطال ، ومدن ، أو سرد حوادث ، وقصص، واساطير.. وهذا الذكر ليس بالضرورة رمزيا ، بل كثير منه اليوم عادي ، كالتلميحات القديمة في الشعر القديم (٥) ، ووحده التلميح الذي يقوم على الصورة الحسية التي تكني بالمشابهة عن المعنوي هو التلميح الرمزي .. تلك تعريفات بلاغية ، نقدية طال ما تدارسناها اليوم ، ولا بد من التعريف اليوم ، ومعظمها لنا ، والآن الى الشواهد ..

١ ــ من أجود الامثلة الحديثة على التضمين ، على اختلاف اشكاله ، قصيدة : ــ رؤيا فوكاي ، وفوكاي اسم راهب في البعثة اليسوعية في اليابان ، فقد عقله من هول ما شاهده غداة ضرب مدينة هيروشيما ، وقد ضمن « بدر شاكر السياب » منها أسطورة كونفاي ابنة ملك الصين العذراء التي تقدم قربانا في عملية صهر الحديد بالذهب ، والفضة ، والنحاس ، قال :

ما زال ناقوس أبيك يقلق السماء
بأفجع الرثاء
هياي ، كونفاي ، كونفاي ..
فيفزع الصفار في الدروب
وتخفق القلوب
وتقلق الدور ببكين وشنغهاي
من رجع كونفاي ، كونفاي ..

هل هذا التلميح في مجموعه ، أو في اجزائه ، تلميح رمزي ؟!

في الحقيقة ، هذه الصور الحسية ، الناقوس ، الرثاء ، رجع الصدى ، القلوب ، بكين، شنغهاي .. صور مشبعة بالفعل بالمعنى ، والايحاء ، واللذين يلقنهما سياق التعبير كله ، ومن هذا التلميح اميل الى ان يكون انسانيا عاما ، وبالتالي رمزيا معنويا من هذه الناحية نفسها ، اي توفر المعنوي في سياق الحسي .. ولولا ذلك لكانت القصة قصة ذكرى ، او قصة عبرة ..

ومثل هذا التلميح الذي اكتسب بأنسانيته ، ومعنويته السمة الرمزية ، تضمين الاديبة مستويل قصة البابيون التي تربي طفلا يتيما في قاع البحر ، وقد ضمن بدر شاكر السياب أشعارها في نفس القصيدة ، وهذا النوع من التضمين اسمه استعانة ، قال :

ما زال طائر الحديد يزرع السماء
وفي قرارة المحيط يعقد الكرى

أصوات طفلك اليتيم حيث لا غناء
الا صراخ البابيون : زادك الثرى
فازحف على الاربع .. فالحضيض والعلاء
سيان ، والحياة كالفناء ..

ان تربية القردة بابيون للطفل اليتيم الذي قتلت الطائرات أهله ، وذويه ، ثم مخاطبتها اياه خوفا عليه من الطائرات نفسها ، بل يأسا من الحياة ، والاحياء ، بأن زاده الثرى ، وغير ذلك لا شك توحي بعمومية انسانية ، وبالتالي بالرمز ، خاصة ان مرتكز الصور تعاطف مع التجربة ..

ومن الاستعانة في القصيدة ، تضمين بدر شاكر السياب ، قول لوركا :

أهم بالرحيل في غرناطة الفجر ؟! .
فاخضرت الرياح ، والغدير ، والقمر ؟! .

هنا استعان الشاعر السياب ايضا بأشعار للغير ، ليحسن بها شعره ، ولذلك سموا هذا النوع استعانة ..

١ ـ يقول « عبد الوهاب البياتي » في صبية خاطئة ، لا تعود الى حبيبها :

ستعودين الي ..
لتقودي في أعاصير الرماد
والديناميس شراع السندباد ،
ستعودين مع الطوفان للفلك حمامه
تحملين غصن زيتون من الارض علامه
ستظللين الى يوم القيامه
وعلى قبر المحبين غمامه
تمطرين وتموتين ندامه ..

الصور ، والاستعارات ، والكنايات في هذا المثال ، كثير منها ذو ايحاء نفسي ، ذهني ، ولكن ليست كلها رمزية ، او ينطبق عليها تعريف الرمز .. انها مجموعة ومضات جامحة ، لا رابطة بينها حقا ، حتى انها هي نفسها كصور ، واستعارات ، وكنايات كثير منها بمضمون محير قلق ، بعضه فارغ من المرتكز .

فمثلا عودة الصبية لقيادة شراع سندباد في الدياميس ، واعاصير الرماد ، ليست رمزا ، انها مجرد تقرير .. حتى شراع سندباد في الدياميس ، واعاصير الرماد مجرد كناية متخيلة ، وعادية ، وكذلك كونها ستظل الى يوم القيامة ، وعلى قبر المحبين غمامة ، تمطر ، وتموت ندامه ، ايضا مجرد كناية وصفية ، وحال هذه (الغمامة) ، وان كانت توحي بالمعنوي المجرب ، الا انه معنوي مشخص ، مجسد ، ولذلك ظل التعبير مجرد كناية ..

في حين يشتم في قول الشاعر البياتي في عودة الصبية مع الطوفان الى الفلك حمامة تحمل غصن زيتون من الارض علامة ، الرمز والرمزية .. لان الرصد هنا شمل حالة انسانية عامة ، جردها برموز شهيرة ، وربطها بتجربة معينة ، وهذا الزخم المعنوي ، العاطفي يبرد في قوله الرمزية .. يقول عبد الوهاب البياتي اثر ذلك :

ستعودين بلا جارية ، هاربة من أسر هارون الرشيد
ومع الميلاد والموت شرارات شموس من جليد
ستعودين الى الارض التي تخضر عودا بعد عود
لتضيئي الحجر الساقط في بئر الوجود
لتموتي من جديد ..
لتعودي عشبة صفراء في حقل الورود
عندليبا في الجليد
ستعودين .. ولكن لن تعودي ..

الحال هنا شبيهة بها في الصور والاستعارات والكنايات السابقة ، ان صورة صبية هاربة بلا جارية من الحريم ، او شرارات شموس من جليد مع الميلاد والموت ، هي بالاحرى ايضا كنايات عادية لتقرير عادي ، الاولى اجتماعية التلميح ، والثانية فارغة من المرتكز ، ومحيرة .

اما عودة الصبية الى الارض المخضوضرة ، لاضاءة الحجر الساقط في الوجود ، فترشيح رمزي ، لانه ذو مرتكز من المعنوي المجرب ، والانساني .. بينما عودتها للموت من جديد : مجرد تقرير ، او عودتها عشبة صفراء في حقل ورود ، او عندليبا في الجليد ، فتخييل عادي لتقرير عادي .

٣ ـ يقول «مكسيم فرج» في صلاة رجل فلسطين :

حضارة الانسان مثل الشمس لا تموت
قد حاول التتار ذات يوم خنقها
فاحترقوا في سرها العظيم
وانتصرت حضارة الانسان
عرق المناضلين ، زهرة الوجود
من اجل هذا يطمئن قلبي الشريد
على الذي اودعته في بيت لحم
فالجسد الذي ينبض بالحياة
يطارد الجرثومة التي تقتحمه
والكون حي
وها أنا أصغي لقلبه السعيد

(١) راجع في عدد حزيران (يونيو) ١٩٦٨ من الاديب الغراء مقالة التجربة في صور البيان لعدنان بن ذريل . (٢) ـ انواع التضمين هي الاقتباس والاستعانة والابداع والرمز والحل والتلميح ، وسندرسها في عدد قادم .. وقد ذكرنا في العدد السابق الذكر ان (التلميح) نوع من التضمين يكون بالاشارة الى قصة ، او حادثة . (٣) ـ اعتبرها (ابن المعتز) من محاسن الكلام ، في حين اعتبر (الخطيب القزويني) القول فيها متصلا بالقول في السرقات الشعرية . (٤) ـ حددنا في مناسبات سابقة عدة الرمز بلاغيا ، ونقديا ، وهذا التعريف خلاصة من هذه التحديدات ، وتنطبق على المفهوم الحديث للرمز في الفن والادب (٥) ـ من اشهر الامثلة القديمة على التلميح قول الشاعر :

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى ارق واصفى منك في ساعة الطرب

اشار فيها الى قصة الاستجارة في حرب البسوس بعمرو ، ثم نكثه بها ..

السنديانة

فلقي الصخر بالجذور الغوالي ... واهزئي بالعصور والاقيال
وتعالي بالجو ما شئت صعدا ... وانشري الطيب في ربوع الجبال
فحفيف الاوراق نفح زكي ... طيب الضوع منعش الآمال
أنت للطير ملجأ ومقيل ... تستظل الاغصان وقت الزوال
قد طويت الايام قدما ولكن ... باخضرار الاوراق فوق التلال

وأنزويت الظل الظليل وقلبي ... خافق نافث سموم ((الدوالي))
راح بي الفكر للوراء يغادي ... كل ركب على ظهور البغال
يتراءى فوارسا ورجالا ... حطوا احمالهم وثقل الرحال
تسمعين الانام قولا بليغا : ... ان بالصبر قوة للنضال
علميني الصبر الجميل فاني ... متعب الفكر مثقل الاحوال

أيها الشامخ المرجي دواما ... ومسيغ ((الكذب ملح الرجال))
هل خبرت الايام وهي عظات ... ملء سمع الازمان والاجيال
أوتسمو الى العلاء ارتفاعا ... في مطاوي السحاب بعد الكلال
أنت للناس عبرة ومثال ... فمقام الخداع تحت الرمال
ذكره غابر وكبره ظل ... يطوى طي السجل ، مثل الخيال

فلق الصخر يا شباب بلادي ... واكسر القيد واخفض المتعالي
فسبيل السلام قول جلي ... قدسوا الحب فهو كل الكمال

عيسى ميخائيل سابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في صوتك المضيء يا ألهنا الودود ..

التضمين هنا في التلميح الى محاولة (التتار) ذات يوم خنق حضارة الانسان ، ثم احتراقهم ، وانتصار الحضارة .. التلميح عادي ، انه مجرد سرد للواقعة ، او مجرد التذكير بها ..

وهذا النوع من التلميح العادي شائع اليوم ايضا ، شيوع التلميحات الرمزية ، الواضحة منها او المعقدة ..

بقية صور البيان في الاشعار عادية ، لتقرير عادي .

٤ ـ يقول «عبدالوهاب البياتي» في الحمل الكاذب :

بابل لم تبعث ولم يظهر على اسوارها المبشر الانسان
ولم يدمرها ولم يغسل خطايا أهلها الطوفان
ولم يقم من قبره عبر الفرات سارق النيران
فالعقم والصيف الذي لا ينتهي والصمت والتراب
والحزن والطاعون
طعام هذي المدن المنفوخة البطون
والبشر الفانون فيها ككلاب الصيد
يحترقون تحت شمس الصيف
ما بين مهزوم وبين راسف في القيد ..

التلميح في هذه الابيات صار الى تلميح رمزي ، ولكنه تلميح متداخل ، ومعقد الى حد كبير ، بابل المدينة، بل الحضارة ، والاناسي ، لم تبعث ، ولم تبشر بالبعث ، الا انها لم تدمر ، ولم يغسل الطوفان خطايا اهلها ..

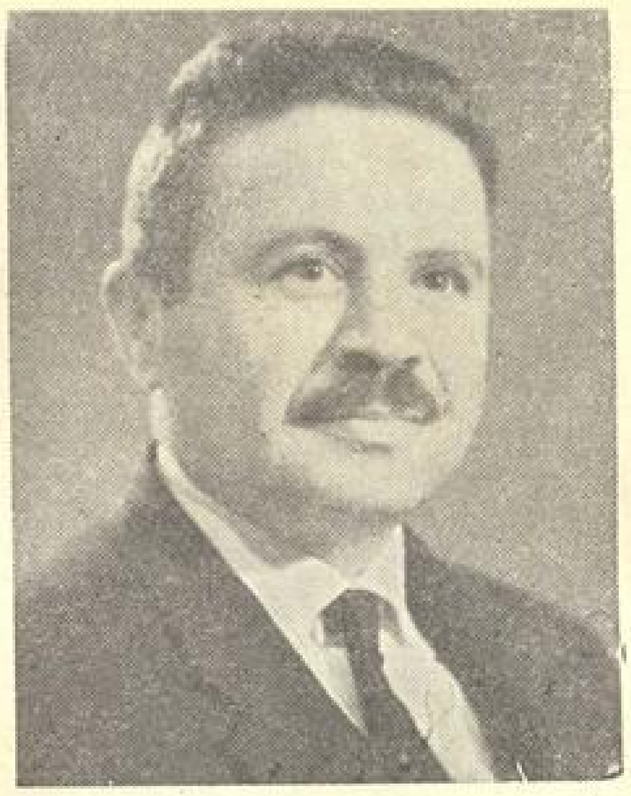
ها هنا بالاحرى مجموعة تلميحات رمزية، متشابكة متضادة ايضا .. البعث ، الاستمرار ، استمرار الخطايا .. ثم قيام سارق النيران عبر الفرات ليبدع ، ويخلق ، ان لم يكن ليبشر ، او ينذر ، كل ذلك تلميحات رمزية تتساوق في زخم محموم ..

انه العقم حقا ، بل الانهزامية ، وبالفعل فقد تابع الشاعر البياتي قصيده بحديث تقريري ، وصور بيان عادية ، لمجرد الوصف ..

فالعقم والصيف الذي لا ينتهي والصمت والتراب
والحزن والطاعون
طعام هذي المدن المنفوخة البطون
والبشر الفانون فيها ككلاب الصيد
يحترقون تحت شمس الصيف
ما بين مهزوم ، وبين راسف في القيد ..
وفي الاعداد القادمة سنتابع هذا الجرد ..

دمشق

عدنان بن ذريل



يوسف عبد المسيح ثـروة

مسرح تيرنيس راتيغان

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

تيرنيس راتيفان ، كاتب انكليزي وهب حياته للكتابة عـن المسرح ، ووقف كل جهوده له لكي يكون هذا المسرح مرآة للواقع بصدق وشجاعة ونبل ، انه ـ على الضد من الكتاب الميتافيزقيين ـ لم يحلق في الاجواء بعيدا عن ارضية البشر ، ولم يتغلغل في الذات الانفرادية ، الـذات المنعزلة عن المجتمع . بل هو ـ انطلاقا من مفهومه للحياة ـ قصر همه على تصوير الظواهر الاجتماعية واسبابها ، من غير فصل بين ظاهـرة واخرى ، ومن غير تحذلق او تأنق او افتعال .. فجاء اسلوبه سمحـا بسيطا ، لطيف المأخذ ، حلو المـذاق ، مشوب العاطفة ، متدفـق العبارة ، واضح الاشارة ، مهضوما ، سهلا ، بلا اسفاف او تنطح . والفضل ـ في كل ذلك ـ يعود الى نفسية الكاتب التي تمتاز بالاصالة والاستيعاب والعمق . وهو ـ في كل كتاباته ـ يتطرق الى مشاكـل المجتمع وما يعتمل في داخل هذا المجتمع من ادواء وعلل ، فيعرضهـا بقوة وعنف ، ان اقتضت الحال ذلك وبرفق ولين عندما تتطلب الضرورة هذا الرفق وهذا اللين .. فقلمه اقرب ما يكون الى الريشة وهي تخطط وترسم وتضع الالوان هنا وهنا في اللوحة ، لتتكامل الصورة الناطقة ، في قسماتها الحية ونبضاتها المتململة الساعية الى الحركة والحياة .. راتيفان يتأمل الاشياء والموضوعات من الخارج فيعرضها كما هـي ، ويتأمل الشخوص من الخارج والداخل فيصورها كما هي . في صلفها وصفاقتها وتبجحها وانحطاطها ، وفي سموها ورقتهـا وشفافيتهـا وانسانيتها .. ولكن لا ينبغي مطلقا ان يغيب عنا ان هذا التصوير هو ابعد ما يكون من الفوتوغرافية المبتذلة المعروفة ، التـي عرفت بهـا المدرسة الطبيعية في فترة معينة من فترات حياتها في المسرح الغربـي في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي . ذلك بأن الفوتوغرافية تهتم اشد الاهتمام بالحرف بدلا من الاهتمام بالروح ، وفي ذلك قصر للكيان الروحي على الموروثات البيولوجيـة وعوامـل البيئة الطبيعيـة والاهتمام جزئيا بالبيئة الاجتماعية التي هي البناء العلوي المتفاعل مع الاساس الاقتصادي ، الذي هو في المدى البعيد محرك الحياة فـي اعلى صورها الفكرية او اسفل مظاهرها البربرية في الصراع اليومي من اجل لقمة الخبز المعجون بالعرق والدم والتعب المميـت ، وفـي الصراع الدموي الوحشي بين القطعان البشرية من اجل زيادة كنـوز قوارين المال ، وسدنة العجل الذهبي من حراس الليل وشرط النهار ، والقائمين ليل نهار على تثبيت اركان النظام والقانون وسيادة العـدل بين مختلف صنوف ابناء آدم .

تيرنيس راتيفان يعرف المجتمع الانساني بعامة والمجتمع الانكليزي بخاصة ومعرفته هذه تؤهله لان يتحدث بقلب مفتوح عـن كـل كبـيرة وصغيرة في هذا المجتمع ، وهو ـ حين يصدق نفسه ـ يصدق القارىء والمشاهد معا ، لا يخبيء عنه شيئا مهما يكـن ذلك الشيء من الاهمية او القداسة او الرهبة ، انه يعرض ما يريد عرضه من غير محاباة او مداجاة او غرور او نفاق ، فالصراحة ديدنه والانفتاح على الغير شانه ، والامانة ظله الذي لا يفارقه ولا هو بمستطيع مفارقته . ومع اهميـة مسرح راتيفان ودوره الكبير في تبصير الناس في انكلترا او الاقبال المنقطع النظير عليه ، فان راتيفان لم يترجم الى العربية الا مسرحية واحدة (ترجمة براوننغ) قام بها الدكتور كمال قاسم نادر ، وهو جهد ـ لم نشعر باهميته يوم أداه الدكتور نادر مشكورا ، ولكننا وقد عدنا اليه وجدناه عملا يليق براتيفان ، لا من حيث الاخراج واناقته ، ولكن من حيث امانة النقل التي هي الصفة الرئيسية من صفات مسرح راتيفان ومن الميزات التي لا يمكن الا ان يتأثر بها قارىء راتيفان هي رقتـه اللطيفة غاية اللطف كأنها النسمة البليلة تتهادى في ليل ساج من ليالي نيسان بين ازهار البرتقال . وهذه الرقة تجدها منسجمة غير مبعثرة ولا مشتتة في اجزاء هذه المسرحية او تلك . انما تجدها حيث ينبغي لها ان تكون في الذروة من العمل المسرحي لتكون جاذبيتها اقـوى وسيطرتها الروحية اوثق وتأثيرها اعمـق وهي تتوازى مع السلوك الانساني ـ في منعطفاته وطفراته وتقلباته من غير ان يكون لهذا التوازي غير عمل واحد وهو المحافظة على الفعل المسرحي من الانزلاق الى هاوية الانفعالية العاطفية التي لا ضابط لها ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحية : سليل ونسلو

ومن اهم المسرحيـات التي كتبهـا راتيفـان « سليل ونسلو » و « فرنسيون بلا دموع » و « مسار اللهـب » و « ترجمة براوننغ » ولاحتواء الثانية على بعض الجمل الفرنسية التي نجهلها تركنا دراستها مجبرين ، وسائر المسرحيات الاخرى تتحدث عن مؤلفها كما لا تتحدث اية مسرحيات . ففيها نجد الميزات التي ذكرناها واضحة للعيان . و « سليل ونسلو » تبحث عـن قضية ارتشير ـ شي المشهورة .. ومؤادها (ان احد الطلبة الصغار في الكلية الملكية البحرية في اوزبورن طرد من الكلية بتهمة سرقة ولكنه برىء من هذه التهمة بعد ان اصبحت هذه القضية مثار جدل عنيف بين عامة الناس وفضيحة من فضائـح البرلمان الانكليزي) يمثل ارثر ونسلو الاب المسن المتداعي البطل الحق في المسرحية ويمثل روني ونسلو البراءة بكامل معانيها وغريس ونسلو ، الام ، ربة البيت التي لا تريد ان يحدث في البيت ما يعكر صفاءه ، وتمثل كاترين ونسلو التضحية بأجمل معانيها واطهرها بل واقدسهـا .. اما المحامي السير روبرت مورتن فيمثل التعلق بالحق العام باصرار غريب على رجل عرف عنه انه لا يهتم كثيرا بما يسمو من معان فـي حرفة طالما وجدت ، في مجتمع الربح ، كي تكون بقرة حلوبا تدر الربح والشهرة . جو المسرحية العام جو محافظ كل المحافظة . ارثر ونسلو رب الاسرة ، رجل له قيمته واعتباره ومرتبته في المجتمع ، وهو اب يقدر نفسه حق قدرها بين افراد اسرته بما يمتاز به من اتزان ورزانـة .. (حدث المسرحية يجري في دار ارثر ونسلو في كينسنكتن ، لندن ويمتد الى سنتين قبل حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨) .

ينفتح الفصل الاول على مشهد يجمع بين من يجمع بين جون ويدزستون وكاترين ونسلو ، وجون هو خطيب كاترين الاثير الذي يعلن مدى تشرفه واعتزازه بقبولها للمشاركة في مستقبل حياته وانه عازم ان يكون زوجا مخلصا امينا وان يبقيها في المرتبة التي تعودت عليها .. وفيما هما فيه ، اذ بروني ينظر بارتياب من خلل فجوة البواب ، مظهر وسخ موحل يبدو عليه الحزن ،وبدلته يقطر منها الماء . كاترين تنشده عندما تراه فتصرخ باسمه ، وتسارع لتخبر اباها بوصول اخيها قبل الموعد بيومين ، ولكن روني ينشادها الا تفعل ذلك وهو يرتجف هلعا وبردا ، ويتحدث دكي اخو روني فيقول : « هل طردوك ؟ » فيوحي برأسه موافقا فيستطرد اخوه ، « حظ سيء ، ولماذا ؟ » فيجيب روني: « لم افعلها » ويؤكد دكي قول اخيه بقوله : « لا ، طبعا لم تفعلها » وبمثل هذه المجابهة يواجه امه حين تأتي مع اخته لاستجلاء الحال . ويحاول دكي ان يبعد الرجل العجوز عن الصعود الى الطابق الاعلى .. لانه لا يريد ان يكون على بعد الف ميل من الانفجار المتوقع ويتدخل الخطيب جون في الامور ويتساءل عن تهمة روني فتجيبه خطيبته بانه متهم بسرقة بعض النقود فيثير ذلك فيه آهة ذات مغزى . غير ان كاترين تعرف ما كابده اخوها وهو في ذلك المكان ولمدة عشرة ايام ، وحيدا ، لا احد يحميه ولا يداريه ويفرج عن كربه وهو يعرف ماذا سيواجه في النهاية ، كاترين تعرض ذلك بحماسة الاخت المتألمة من الم اخيها ، وخطيبها يرد عليها ببرود ، بان الامر طبيعي جدا ، فلا بد لها ان تتذكر انه ليس في المدرسة بل هو في (الخدمة) ويدخل الاب الغرفة ، بعد ان يكون قد عرف بعودة روني ، ويتساءل غاضبا . « هل الولد مريض جدا ؟ لماذا يجب ان ابقى في ظلام مثل هذا ؟ من المؤكد ان لي الحق ان اعرف » وينزعج الاب من ولده ويثار ولكن الام تخبره انه يجب الا ينسى ان الولد طفل . ويقترب الاب من ابنه ويقول له . « اين كنت ؟ » فيجيبه . « كنت في الحديقة » ويقول الاب . « لماذا ؟ » فيرد الابن بارتباك « كنت مختبئا » فيقول الاب . مختبئا مني ؟ فيومىء روني برأسه موافقا . فيستطرد الاب بقوله . « الا تتذكر مرة بانك وعدتني اذا ما وقعت في مازق من أي نوع ان تاتي الي قبل اي انسان .. » فيجيبه الابن بالايجاب .. ويشعر الاب بالخوف الذي يشع منه ويقول . « هل انت خائف كل هذا الخوف مني ؟ » فلا يجيب روني عن هذا السؤال ويقدم الاب الرسالة الى ولده ويبلغه فحواها ويساله ان كان ما جاء فيها هو الصدق ، ويبلغه بانه لا يريد منه غير الصدق لان الكذب بينهما لا يمكن ان يستخفي بأي حال من الاحوال .. فهما صريحان مع بعضهما ـ في كل شيء ـ ولذلك ، فان الابن بعد ان وجد ملاذا في صدر أبيه ، اعلمه انه لم يفعل ما عزى اليه ، وانه بريء من التهمة التي وجهت اليه ، ويحدق الاب في عيني ولده ويساله . (هل سرقت هذا ؟ .. فيرد الابن من غير تردد . كلا ، يا ابي ، لم افعل ذلك) .

وتستمر الضجة تتعالى في الصحافة ويتدخل كثير من الناس في القضية بعضهم يعرض مساعيه الحميدة للتوصل الى حل للقضية وبعضهم يزيدها ارباكا ، وكل ذلك على حساب اعصاب العائلة ، لا سيما الام والاب ويتوافد الناس زرافات ووحدانا على زيارة دار ونسلو بحثا وراء الاخبار الجديدة ، واذا من جملة الزوار واحدة تدعى مس بارنيس ، مندوبة احدى الصحف ، انها تتساءل عن كل شيء له علاقة بالولد ، فاذا تبين لها انه التحق باحدى المدارس القريبة من لندن ، وانه آت الى لندن لكي يحقق معه المحامي الشهير السير روبرت مورتن ، تجفل المس بارنيس من هذا الخبر ، كيف يمكن لهذه المسالة الحقيرة ان تثير السير مورتن شخصيا ؟ ولكن ارثر ، لا يعجب من شيء عجبه مما تقوله . قضية صغيرة ، انها ليست قضية صغيرة ، ومهما يكن من امر ، فالمال يمكن ان يجتذب السر مورتن الى اي قضية، ولكن هذه القضية ليست كأي من القضايا . الاب لا يرى فيما تهونه المس بارنيس الا تهوينا من كرامته وشخصيته ومرتبته الاجتماعية ، بل شرفه بالذات .. صحيح ان التحقيق جرى مرة ثانية مع الصبي ، وقد وجد سارقا ومزورا ، ولكن اي تحقيق هذا ؟ يقول المستر آرثر بهذا الصدد « .. ولدي ، طفل في الرابعة عشرة لم يحظ بدفاع او محامين او اصدقاء » ومع ذلك تحولت التهمة الى جريمة مرة ثانية كما تحولت في المرة الاولى ، غير ان ارثر ، وقد سمع بكلمة العار تنطق بها مس بارنيس لم ير بدا من القول وقد لسع لسعة مخيفة . « .. ساظل احارب هذا الظلم الفظيع بكل سلاح ووسيلة في حوزتي » الرجل يجد نفسه محاطا بجدار من الظلم سميك ، فلا بصيص من امل ، ولا ضوء ولا كوة تنبيء بأمل وصول ضوء . الظلام مطبق على انكلترا متمثلة في دار ونسلو ، الاب جاد كل الجد في بعثرة ما يملك وما لا يملك ، في سبيل احقاق الحق ، وارجاع اعتبار ولده ، كل شيء يهون الا الشرف .

لقد افلت الامر من يده . لقد دنس شرفه بما انثلم من شرف ابنه. كيف يمكنه ان يهجع او ينام او تأخذه غفوة من نوم حقيقي ، وهو يعرف جيد المعرفة ان ابنه بريء ولكنه في رأي الاميرالية والدولةوالملكية مجرم بحق الجميع ، سارق ، ثابتة عليه التهمة ، لا يحيد عنها ولا يميد ، لان الادلة كلها تشير اليه صارخة مولولة ؟ وتحاول كاترين ابنة ارثر ان تقنع اباها ان السير مورتن ليس بالانسان الذي يمكن ان يقف بجانب الحق اذ كان جانب الباطل ارفع شانا في المال والجاه والسلطان ، ان كاترين لا تؤمن ـ انطلاقا من غريزتها ـ بتوفر ابسط مقومات المحاماة في السر مورتن ، من حيث كون المحاماة دفاعا عن حق هضيم وانتصارا لقضية عادلة ، ولكن كل هذه المقومات متوفرة فيه واكثر ، اذا كان ذلك يعني الحاسة الدرامية والقدرة البلاغية ، والاجادة التمثيلية ، وعلى ذلك ، ففي رأي كاترين ان السير مورتن لن يتوكل في الدفاع عن الصبي ، غريزتها تقول بذلك وعقل ونسلو يقول غير ذلك .. وينتصر عقل ارثر ونسلو .. ويأتي السر مورتن الى الدار ويلتقي بالصبي ويجري التحقيق معه فاذا بالولد يتعثر لا يدري كيف يجيب عن الاسئلة المنهالة عليه، ويصدم الجميع، عندما يعلن السر مورتن ان الصبي المتهم سارق ، لص ومزور ، ويصيبهم انشداه يرين على نفوسهم جميعا ، ثقيلا مقيتا ، مرعبا مخيفا .. وبعد فترة صمت قاسية موجعة ، يعود الجميع الى رشدهم حين يعلن السير مورتن انه سيتوكل بالدفاع عن الصبي لقناعته التامة بانه بريء .

وتثار القضية في البرلمان ، وتأخذ اطوارا حادة ، بسبب حساسية موضوعها ، واصرار الاب على الدفاع عن شرف ابنه . ويكون في المجلس مناقشة حادة بين الذين يدافعون عن تصرف الاميرالية وبين الذين يدافعون عن براءة الصبي . ويستمر الاب في الاطلاع على سير الامور ـ في الصحف التي استغلت المسالة استغلالا تجاريا معروفا .. الاب منهمك في القراءة وعينه تعثر على العبارة التي شرفها الزمن ـ « دعوا الحق يتحقق » وفي الوقت نفسه ينظر الى جملة اخرى مناقضة « .. لا شك في انه في بعض القضايا ، من الضروري تضحية الحقوق الفردية من اجل الصالح العام » ويهز الاب رأسه مستنكرا في قرارة نفسه القول الثاني لان معنى ذلك ان الصالح العام يتناقض مع الحق ، ولو كان هذا الحق فرديا ، خاصا بفرد معين ، وهذه مسالة لا يمكن ان يدركها رجل مستقيم مثله ، كيف يمكن ان يكون الحق بجانبه ولا يكون بجانب الصالح العام في الوقت نفسه ؟ ومع برود الام ، فانها وقد وصلتها الانباء تترى ، تحركت هي الاخرى واخذت الحمية تحرك شيئا من وجودها ، وهذا ما جعلها تقول . « .. المسالة مثيرة كل الاثارة ، هذا حق ، لكنها لن تعيد وجودها ، وهذا ما جعلها تقول . « .. المسالة مثيرة كل الاثارة ، هذا حق ، لكنها لن تعيد الينا ما خسرناه » .. وتستمر في القول في وجه زوجها . « .. لا استطيع الا ان اصلي الى الله حتى تعرف ما انت فاعله .. »

هذا ، في الوقت الذي يتحرك روني فيه في منامه . الا ان الاب

وقد تجرع مرارة الاهانة حتى الثمالة لا يرى معنى للخسارة المادية ازاء شرفه المتمرغ في الوحل ، ولذا فهو يقول ردا على زوجته . « انا اعرف بالضبط ما انا فاعل، يا غريس . سانشر براءة ابني قدام العالم، وبغية ذلك لست مستعدا ان ازن التكاليف » . لقد حدث ظلم وليس له الا ان يعيد الحق الى نصابه وما من تضحية في العالم لن يتحملها كي يضمن ذلك .. هذا ، في حين ان الام لا ترى اي معنى في كل ما يفعله زوجها وبخاصة والولد في مدرسة اخرى يتقدم من صف الى صف ، وكأن مسالة اوزبورن لم تكن .. لا شك في ان الاب هو الذي اثار هذه الضجة فجعل الرائح والغادي يتحدث عنها . الام تريد ان تكون واقعية ترى الامور كما هي في انظار الناس ، لا كما هي في الحقيقة ، وما معنى الحقيقة والناس كلهم ، الملايين منهم يتحدثون عن المسالة وكأنها امر واقع . ويرفض الاب هذا المنطق الظاهري الذرائعي، ويصر بعنف وشدة واباء على رأيه الخاص في الحقيقة كما هي لا كما يحلو للناس الاعتقاد بها . انها لا يمكن ان تكون رأيا يراه الناس فيتصورونه حقا ، في حين هو باطل ليس له من الحق اي نصيب . وتمس الام الموضوع من ناحية اخرى ، ناحية مستقبل الصبي نفسه فتقول . « .. انك تتحدث عن التضحية بكل شيء من اجله ، ولكنه لن يشكرك متى ما شب عن الطوق حتى اذا قدمت حياتك لتنشر براءته كما تدعي » .

وفي هذا المنطق البارد ما فيه من رجاحة فكر وصواب اجتهاد . لا بد لارثر اذن ان يحطم نفسه ويحطمها ومعهما الاسرة بأسرها .. فلماذا كل ذلك ؟ الاب يعرف المنحدر الذي اليه يهوون ، ولكنه يعرف ايضا ما يعنيه جهاده النبيل ، في سبيل قضية جليلة القدر ، سامية ، رفيعة الهدف ، لماذا ؟ يجيب ارثر بكل هدوء . « غريس ، من اجل العدل » وتعلق غريس على هذا الجواب فتقول . « هذا يبدو نبيلا كل النبل . هل انت متأكد انه حق . هل انت متأكد انه ليس الا كبرياء اعتيادية ، وتوكيد للذات وعناد همجي لا غير » لقد اوصلت الام تعليلاتها الى نهايتها المنطقية المذهلة . اين هي الكرامة اذن ؟ الكرامة لم تعد الا كلمة مزوقة لها معان مختلفة ، على حسب الظروف والاحوال . ماذا يعني الشرف غير ما يتداوله الناس في عملة سوقها رائج ومردودها رابح . وقديما قيل : الشرف شهرة .. وتلطخ سمعة اسرة ونسلو ، ويسكت الاب على لطخة العار التي ستبقى محفورة في جبين الاسرة والى الابد، ويكون الامر كما تريد الام فلا قال ولا قيل وتنتهي الحال بالصمت الثقيل ..

ارثر ونسلو رجل ، انسان شريف لا يمثل نفسه ولا اسرته ولا جيله ، بل هو يمثل ابناء الشعب الامناء على شرفهم ، الاوفياء لتراثهم ، الذين لا يقدرون الشرف بالمال ، ولذلك فهم يمنعون المال عن ان يغزو دوحة شرفهم الفيناء وكانه ارجال الجراد الزحاف ، وتتدخل كاترين اخت روني ، في موضوع شخصية السير مورتن ، فتقول عنه . « انه سمكة ، متحجر القلب ، بارد الدم ، متعجرف ، مهذار بسخرية» وفي هذه الاثناء تعلن فايوليت ، الخادم ، وصول السر مورتن ، وما ان يستقر المقام بالضيف ، حتى يعلن الاب عن تراجعه ، فيبهت السر مورتن ويقول : « .. من الجنون ان تستسلم الان » فما عدا مما بدا ؟ اين هو ذلك العناد المقدس ، النار المطهرة التي كانت تتوهج في قلب آرثر ؟ . لقد انهار ذلك العناد وانطفأت تلك النار ، لان مستقبل كاترين اصبح مهددا ، بعد تلك الرسالة التي بعث بها ابو خطيبها . الرسالة الملعونة التي تحاول سحب الارض من تحت قدمي خطيبها . السر مورتن يذهب الى ان الاستسلام جنون وهذا ما يعترف به آرثر عندما يقول . « مجنون ؟ عقلي اصبح موضع تساؤل هذه الليلة لاستمراري في التعلق بالقضية الى هذا الحد البعيد » وهنا يشتد غضب السر مورتن فيصر على المضي في المعركة مهما تكن محتويات الرسالة . اما الاب فلا يرى بدا من ان يفضي بمكنونات نفسه فيقول.

« لقد قدمت تضحيات كثيرة من اجل هذه القضية . بعضها لم يكن لي الحق بتقديمه ، ومع ذلك فلم اتوان من تقديمه . لكن ثمة حدا وقد وصلت هذا الحد » .

وتعرض كاترين مجمل محتويات الرسالة على السر مورتن ، وما فيها من تهديد لقطع معونة العقيد ورثرستون عن ابنه جون ، خطيب كاترين، فيما اذا استمرت القضية في مجالها المقرر لها . الموقف واضح اذن ، اما ان يتخلى جون عن معونة والده ، باستمرار القضية ، ويعيش الاثنان عيشة ضنكا ، او ينسحب جون من عقد الخطوبة ، وبهذا تنهار آمالها في مستقبل حياة رغيدة .. احتمالات شتى وكلها ما عدا سحب القضية ، خطر يهدد مستقبل كاترين ابنة ونسلو ، فماذا هي فاعلة وقد اطبق طبق العبودية على رقبتها اللدنة ؟ وقبل ان تفعل شيئا لا بد لها ان تأخذ رأي خطيبها ، فماذا يقول ؟ ها هوذا يحدثها بقوله « اذا قرر والدك الاستمرار بالقضية فاخشى ، اشد ما اخشى ان ينفذ تهديده » (يعني اباه) . وهذه بادرة مخيفة تنبيء ببداية تراجع الخطيب لا محالة ، وفي ذلك الضربة الماحقة التي ستقضي على مستقبلها قضاء مبرما ، وقد يكون اخوها سرق ما سرق وقد يكون بريئا ، ولكنها تهتم بشيء واحد مهم هو « لا بد للناس من معرفة تجاهل دائرة حكومية لحق اساسي من حقوق الانسان ، ولا بد من اجبار تلك الدائرة على الاعتراف بذلك الحق » وتسبر كاترين غور خطيبها فاذا هذا الغور شاطيء ضحل الماء ضوضاح ، ومن ثم فعليها الاستمرار في القضية ، ولهذا عندما تاخذ المبادرة من ابيها نراها تحث السير مورتن على المضي فيما هو ماض فيه من غير هوادة . ويرن جرس التلفون ، واذا بالمتكلم ينبيء السر روبرت بـ « ان قضية ونسلو ضد الملك قد حلت الان في ساحة القضاء » وعندما يكون الامر قد وصل الى هذا الحد يطالب السر روبرت كاترين بالتعليمات فتقول له بصوت جلي : « سير روبرت ، هل انت بحاجة الى تعليماتي ؟ اليست التعليمات في المريضة المقدمة ، الا تقول . دع الحق يتحقق ؟ » .

ولما يرى جون ما حل به من هوان ونبذ ، ياخذ طريقه الى الخارج والغضب واضح في محياه . وتتدخل الحكومة بكل ما تملك من وسائل الاغراء والتهديد ، فيقدم الى السر مورتن منصب رئيس القضاء ، فيرفض ذلك لا لشيء الا من اجل الاستمرار في قضية ونسلو ضد الملك ، وهذا الخبر هو ما ينقله صديق العائلة ديزموند كاري ، ويضيف اليه قوله . « غريبة هي طرائف الناس ، اليست كذلك ؟ » وديزموند هذا رجل ميسور الحال ولكنه كبير السن ، وهو بطبيعة الحال يستغل صداقته للعائلة لكي يتقرب من كاترين بعد ان حدث ما حدث بينها وبين جون .. كاترين ترى هذا الاحتمال وجيها ولذا تعرضه على والدها بقولها : « .. اما ان اتزوج من ديزموند واحظى بحياة مستقرة مريحة .. او اقضي بقية حياتي ، معتمدة على جنيهين في الاسبوع ، في خدمة قضية لا امل فيها » ويرفض الاب ذلك الاحتمال رفضا باتا ويأسف اشد ما يكون الاسف على ما اجترحه بحق ابنته ، غير ان ابنته ، سليلة ونسلو ، تأبى ان ترى رأيه وتقول ببطولة نادرة . « ابتاه ، لا تأسف . كلانا عارف ما كنا نفعل . » ومع ذلك يقول الاب . « كان المنطق الجهنمي دائما يرافق خصومنا ، اليس كذلك ؟ » وتؤيده ابنته كل التأييد ، واذن فالعناد الهمجي والرفض الاناني للاعتراف بالهزيمة. هذا هو ـ كما تعتقد الام ـ هو الدافع من وراء القضية كلها . غير ان الاب يرفض هذا الرأي بشدة ويقول : « لكن ربما العناد الوحشي ليس شيئا رديئا الى هذا الحد في وجه الظلم » كيف تكون النفس الانسانية سامية ، تعلو درجات ودرجات على حيوانيتها ، ان لم تكن قد امتلأت بهذه الروح الوحشية حقا والانسانية حقا ، الروح التي لا تعرف الهوادي والتي لا تتراجع ، ولو اعادت الكرة من جديد ومن اول خطوة، وهذا ما نراه في ارق ما يكون التعبير سلاسة ، واعمق ما يكون دلالة ، واجمل ما يكون معنى في كلمات كاترين . (ابتاه اذا رجعت ، وكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لك الخيار ـ فهل يكون خيارك مختلفا) فيجيبها « ربمـــا » فتقـول كاترين . « لا اظن ذلك » فيرد عليها : « وانا كذلك لا اظن » .

وتتحدث فيوليت عن المشهد العاصف، مشهد الانتصار الكبير الذي احرزه السير مورتن فاذا بالدموع تتهادى على وجهه من غير ان تكـون له القدرة على البكاء بسبب الضجة العارمة التي اثارها الجمهور فـــي قاعة المحكمة ، كأن به مسا من الجنون ، وهو الجنون المطبق . ويقرأ السر مورتن قرار المدعي العام بالنيابة عن الاميرالية قدام الاب ونصه. « اعترف ان رونالد ارثر ونسلو لم يكتب اسمه على قسيمة البريد ولم يأخذ تلك القسيمة ليصرفها ، ولم يصرفها ، وتبعا لذلك فقد برىء من التهمة التي وجهت اليه قبل سنتين » وبعد اتمام قراءة القرار يقدمه السر مورتن الى ارثر ، فما يكون من الاخير الا ان يقول . « من الصعب ان اجد الكلمات التي اتحدث بها اليك » فيرد عليه السر روبرت قائلا : « سيدي ، اتوسل اليك الا تتعب نفسك في البحث عنها » ويحاول ارثر القيام من مقعده المتحرك ويصرخ مطالبا بعكازته ويقول : « انا سعيد لاني عشت كل هذا العمر الطويل لارى العدل وقد عاد الى ولدي » هـذا العدل لم يكن نصرا لولده حسب فهذا شيء تافه . ولم يكن نصرا لـه فذلك شيء تافه ايضا وانما هذا النصر هو نصر الناس جميعا ، وهـذا ما يحمله على القول . « هذا النصر ليس نصرا لي . انما الشعب هو الذي انتصر ، كما سينتصر دائما على الطغيان » .

مسرحية : مسار اللهب

وننتقل الى « مسار اللهب » والمسرحية تتناول حياة الطياريـن واسرهم في فندق « فاكون » في ملنشتر اثناء الحرب العالمية الثانية ومن ابطالها الملازم الطيار غراهام « تيدي » وزوجته باتريشيا غراهام والممثل المشهور بيتر كايل والطيار البولندي الكونت سكريشيفينزكي (دوريس) وقائد السرب سوانسون .. جو المسرحية محموم مضطرب، غارق في القلق والرعب والموت ، زوجات الطيارين والنوتية تتقاذفهن امواج متلاطمة من الانتظار والترقب والفرح بالوصول والنوح للانطلاق، ولا سيما في الليل الذي يضفي على المبنى ظلالا من الاشباح تتحرك هنا وهناك بين ازيز الطائرات الهابطة وهزيم القنابل المتساقطة ، وصاحبة الفندق هي السيدة اوكس التي تعمل بنشاط غريب لتلبية طلبـــات النزلاء . ويحل بيتر كايل ضيفا على الفندق ولكن صاحبته لا تجد له مكانا فيه غير انه يصر على البقاء مهما يكن من امر ، لانه يبحث عـــن ساحرته التي رمته وفرت بنفسها ، وكيف يفارق الفندق وفتاته فيه . ويلتقي الاثنان . الغزال الشرود والصياد العنود ، بعد فراق سنة مرة. فمن تكون هذه الساحرة ؟ انها باتريشيا زوجـــة غراهام الطيار .. باتريشيا سرعان ما تتعرف بمطاردها لكنها لا تأبه به . انها الان زوجـة الطيار الذي يتعرض في كل يوم ، بل في كل ساعة من اليوم الى الموت حرقا .. ها هو يقص عليهم جميعا احدى انطلاقاته الجهنمية فيقول : « .. كان ذلك في الليل .. وكنا نحوم على الساحل الهولندي ، واذ بي فجأة اسمع صوت (العريف) دستي يناديني . كانت ايم. اي ١١٥ تطاردنا فاذا بها تغط في الماء بعد ان تناهبتها النيران » . ويصـــف دستي المشهد بتفصيل حيث يقول : « .. رأيتها (يقصد الطائـــرة) بوضوح كما اراكم . فتح (يقصد مدفعي الطائرة) النار من مدفعه على بعد خمسمئة قدم ، رأيتم يكبرون طوال الوقت ، فضغطت على الزناد واذا بلهب احمر عظيم يسطع فجأة . وهوت (الطائرة) متقلبة ، ملتوية. الى البحر » . وتحين ساعة الخلوة بين المطارد والمطارد ، ويتســـاءل بيتر عما اذا كانت باتريشيا قد اخبرت زوجها بحقيقة علاقاتها السابقة فتقول ردا على هذا التساؤل : « لاتكن ثقيلا . بيت (١) . فلو اخبرته عن كل شيء بصددك . توجب علي ان اعترف باني كنت لا ازال احبـك حين تزوجته . وهذا شيء لم اكن لاعترف به حتى بيني وبين نفسي ». ها ان فجوة سنة من الفراق تفصل بينهما فماذا كانت نتيجة هذه التجربة ؟ يقول بيتر في هذا الشأن : « كنت اصطنع تجربة كبيرة ، يا عزيزتي . هي محاولة العيش بدونك . غير انها لم تكن ناجحـة » . واذن فخيبته في تجربته لا بد لها ان تدفعه ليكون غيورا كل الغيرة من الزوج المحظوظ ، ويسأل بيتر ساحرته عما تشعر به حيال زوجهـــا فتقول بصراحة غريبة : « انا لا اشعر بأي شيء حياله » . فاذا كان ما بينهما ود صاف وعلاقة حميمة وحب عنيف ، فلماذا اذن هجرته وخلفته رهين الوحدة ، طريح اليأس ؟ باتريشيا تجيب عن هذا السؤال بقولها، « لقد فررت لانني ببساطة لم اعد احتمل عدم الزواج منك » ويعـــود تيدي ليكون مع الاثنين ويتحدث ببساطة ولطف وسذاجة عن الممثلـين فيقول : « الممثلون اناس لطيفون . انهم ليسوا يبدون كأنهم هـــم انفسهم . الشيء الذي يهمهم هو نوع تأثيرهم في الناس الاخرين » . اي انهم بكلمة اخرى كما تقول باتريشيا : « انهم يمثلون » « انهم لا يقولون شيئا ولا يفعلون فعلا مابصورة طبيعية » . هكذا يقول تيـــدي وفي هذا القول ما فيه من حق لا يناله شيء من الوهم ، ولكن اليس ما يبدو لنا واقعا لا تمثيلا ، هو نفسه تمثيل ؟ تيدي يتوسع فـــي التفكير ، يريد ان يرى الامور نظرة ابعد واعمق واشمل ، ولهذا يقول: « عزيزتي ، هاانذا افكر . لقد تكلمنا عن الممثلين وهم يمثلون ومـــا شابه ذلك . ولكن نحن ايضا نمثل بطريقة من الطرق . على الاقل انـا اعرف انني افعل ذلك » وتتساءل عما يقصده بذلك القول ، فيبـــادر بانه لا يقصد موقفه منها، بل هو يعني مجمل موقفه من اصحابه الطيارين والنوتية . وبعد ان ينهي كلامه تدير باتريشيا راسها بعيدا عنه فيلاحظ تلك الحركة ويقول : « اصبحت مضجرا لك » غير ان باتريشيا ، وقد مسحت دموعها تعود الى سر المهنة فتقول : « لا شيء ، انا ممثلة » . ولكنه لا يقتنع بقولها ويرى الضجر الـــذي يحيط بها فيقول : « اعتقد ان هذه الحفرة قد نالت من نفسك ، فتردت فيما تردت فيه» وتسرع باتريشيا الى مخدعها تتناوح في نفسها هموم وتتلبد غيوم ... وترتقي باتريشيا السلم وحيدة لان عملا مهما ينتظر زوجها على مـــا افاد سوانسون ، ويخلو الجو للاخير لكي يتحدث الى غراهام بعنـــف فيقول : « ما هي الفكرة من زواجك بفتاة لامعة ؟ انها جميلة وعلى قدر وافر من الجمال بالقياس الى فردمن اضرابك » فيجيبه تيدي : « كنت أستطيع ان اتزوج غاربو (٢) نفسها لو حاولت . ثم ماذا جرى ، يـــا غلوريا ؟ » فيرد عليه صاحبه : « كما تعرف » لا بد اذن من انطلاقـــة جديدة تبدأ في الساعة العاشرة مساء باشتراك اربع طائرات بضمنهـــا طائرة تيدي .. اما العريف دستي الذي لم يكد يرى وجه زوجته حتى يتسلل اليه امر الانطلاق فيؤخذ على يديه ويقول مخاطبا زوجتـــه : « مودي ، شيء يسير من الحظ السيء . ينبغي لي ان اتركك هـــذه الليلة » فتجيبه ، « عندي ليلة واحدة ، دين ، لا تذهب هذه الليلة » ماذا يفعل دستي والامر ليس امره ، فالاوامر تأتي من مركز القيـادة ، وتريد زوجته ان تتدخل في الاوامر ولكن عبثا ما تفعل . ان عليه واجبا لا بد من القيام به مهما تكن العقبات ومهما تكن الليلة حلـــوة مـــع زوجته المشتاقة اليه التي قطعت كل تلك الطريق الطويلة كي تحظـــى بتلك الليلة . وبعد ان يبت دستي فيما لا مفر من البت فيه يطمئـــن زوجته ويقول : « .. سأعود نحو الرابعة او الخامسة وسيكون لنـــا بعض الوقت معا » .

وتخضع مود للواقع المر ، وتقول : « حاول ان تعود سريعا » فيطيب خاطرها قائلا : « سأعود قبل ان تعرفي بذهابي . ان عندي احسن طيار في انكلترا وساخبره ان يسرع في اداء المهمة » . وفيما مودي علـــى السلم تلتفت الى تيدي وتقول ، « اعتن به ، يا سيدي ولا تدعـــــه يصطنع الحيل والخدع كالتي كان يتحدث عنها كفتح النار على الاضواء الكشافـــة » .

(١) بيت تصغير تحبيب لاسم بيتر . (٢) هي الممثلة السويدية المشهورة غريتا غاربو .

امانة هم الصغار

لا تفرشوا الطريق بالنسرين
ولا تعلقوا على النوافذ الزرقاء
للغد ضحكة ترن في مسالك السماء .
لا تزرعوا الورود في حدائق الاهواء
أو تملأوا العيون
بما يمر من مواكب الفتون
أو تقلعوا مع المسافرين
الى بلاد الحب والغرام
لتحفروا في جذرها سخرية السلام .
فدارنا غارقة بالطين
وحولها المستنقعات
يلفها ليل شتاء عاصف حزين
وأهلنـــا المشردون
أدمت رياح صرصر وجوههم ،
وانهارت الحياة
بهم وأطبق المصير
من كل جانب عليهم ، كفول
ينذرهم بالموت والضياع ،
في بلاقع السنين .
يا اخوتي في الوطن الكبير
لا بد أن نضمخ الدماء
بنخوة تهب من ((ذي قار))
من شمس ((حطين)) ومن غبار
((حامي حمى حلب))
وقاهري التتار
اما اردنا ان يكون في زماننا عرب !!
اليوم يا رفاق
تساقطت أقنعة الذئاب
وامتلأ الافق
بالبـــوم والغربان
وكل شيء حولنا يصيح :
((أمانة هم الصغار
والارض والشرق وزرقة البحار
والشوق والتذكار))

فتيطرة ـ سورية

رضوان عقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويلتقي الاثنان مرة اخرى ، باتريشا وبيتر وتتحدث باتريشيا عن نجوم السينما بل عن النجمة السينمائية بالذات فتقول : ((النجمة السينمائية المثقفة الخجول المحتشمة المسيطرة على نفسها ؟ هذه النجمة غير معقولة . بيت . الناس يرونها على حقيقتها ، ويفهمون بالبداهة ان ما يبدو في السطح على هذا القدر من الجمال لا بد ان يكون في الداخل على قدر مماثل من البشاعة)) وبيتر هذا لا يفهم الحرب ولا يفهم ما معنى الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان ولكنه يفهم انه معزول من المجتمع وهو يقول في هذا الشأن : ((كل ما اعرفه هو ان عالمي الصغير الخاص ذاهب ، بل هو ذهب فعلا ، اما بقية العالم ـ العالم الحقيقي فقد انقلب علي وهجرني ، ومع اني احاول ان ادخل في الدائرة ، فلست قادرا على ذلك)) ويجيء دور سوانسون في الكلام في الكلام على الحرب فيقول : ((انا اكره كل هذه الضجة في الصحف ولكن ـ يا الهي ـ نحن مدينون بشيء ما لهؤلاء الاولاد ((يقصد الطيارين)) .

وتحدث حركة في الخارج قرب المطار . فاذا بمسار اللهب ينبيء عن نفسه . نقاط صغيرة من الضياء . فماذا يعني ذلك ؟ انه يعني انطلاقة جديدة . ((مشغلة جهنمية محفوفة بالمخاطر ، ولا سيما في ليلة كهذه الليلة لا ريح فيها والطائرة محملة بالقنابل الى اقصى طاقتها ، مخاطرة جهنمية اسوأ من الهبوط)) . وتمضي الساعات ثقالا كدبيب النمال في ارضية لزجة واذا بالباب قرع ، يدخل على اثره دستي ، فيهب الجميع مهللين مرحبين ويعقبه تيدي وما ان يستقر المقام بهما حتى يتحدث كل منهما عن المهمة الجوية ، لقد نجت طائرتهما بأعجوبة بينما تحطمت الطائرة التي كانت ترافقهما ، وينطلق دستي فيقول عن طائرتهما : ((كانت (طائرتنا) تتقلب متمرغة ونحن في طريقنا الى الوطن ، كامرأة بدينة عجوز تتعلم السباحة)) .

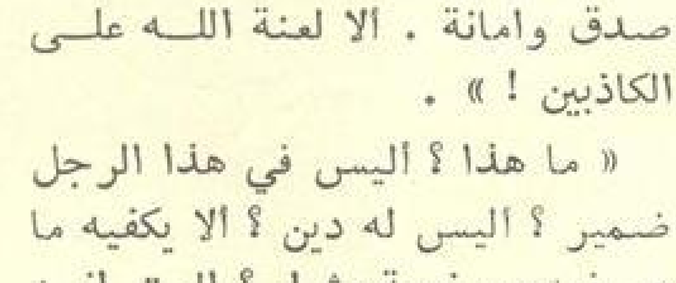
ويحل الهلع ضيفا على باتريشيا وتريد ان تفعل شيئا لابعاده عن نفسها المضناة ولكن ماذا تفعل وليس لها في الامر حيلة ؟ وتبدو علائم هذا الهلع في وجهها وحركاتها وسكناتها ، ويفطن تيدي الى ذلك فيقول : ((اتريدين ان يفصلوني من القوة الجوية ؟)) فتبوح له بما في نفسها قائلة : ((اتعرف ما بي ؟ خوف ، خوف اعتيادي ، خوف مرعب)) انها لا تريد فصله من الخدمة . كل ما هنالك تريده ان يصبح مدربا ينال شيئا من الراحة . ولكن ماذا يعني ذلك ؟ انه يعني الهزيمة من المعركة ، الجبن في الساعة التي هي احوج ما تكون الى الشجاعة . وتحين لحظة من الصفاء الذهني الوهاج ، فيتحدث تيدي نفسه عن ذلك الرعب فيقول : ((انت لا تعرفين ماذا يعني الشعور بالخوف ، طعم مر وحشي في الفم ولسان جاف واحساس بالمرض)) ومع كل ذلك يمضي صاحبنا في القتال ، وتمضي باتريشيا في احتمال القلق المخيف والساعات التي لا تتحرك ، وجنون الحرب يزداد هياجا ، ويأتي النصر متأنيا متثاقلا ليقول : ((ها اني كبدتكم كل هذه الخسائر من اجل غد تهون في سبيله التكاليف والضحايا .

بغداد

يوسف عبد المسيح ثروة

حي جسمه

بقلم عبد الحميد الانشاصي



حانوت واسع ممتلىء بألوان مختلفة من البضائع : معلبات وصابون واكياس منتفخة بالارز والدقيق والسكر . علب سجائر وسمن وشاي . حبوب كثيرة: قمح وشعير وعدس وفول وحمص وبن .

حانوت غني بكل ما يطلبه الانسان وما لا يمكنه ان يعيش بدونه . كل ما فيه يدل على ان صاحبه لا بد ان يكون ثريا هانئا مطمئنا .

(حانوت واسع الارجاء كثير البضائع امتص من صاحبه راحته وهناءه واقض مضجعه وشغله عن متع الحياة ومسراتها . انه دنياه التي لايجد لذة ولا سعادة خارجها) .

صاحبه الحاج درويش تقي مواظب على اقامة الصلوات متوسط القامة تعلو راسه عمامة مؤلفة من لفافة خفيفة مزوقة وطربوش احمر طويل نصف شرابته بارز ونصفها الآخر مكتوم تحت اللفافة . لحيته انيقة وشارباه مهملان . وبدلته قديمة وقذرة لا تتناسب مع بياض وجهه النظيف وحمرة خديه الصافية وبريق عينيه النشيط الحرن . ومن يلق عليه نظرة فاحصة يوقن ان بدلته تلك لم يرتدها الا منذ عهد قريب ، فانه لا يأخذ حريته في الحركة بها فضلا عن عدم انسجام اعضاء جسمه مع اجزائها . ويوقن كذلك ان صاحبها كان من قبل يرتدي قنبازا .

(الحاج درويش اناني كل همه ان يكسب نقودا ويدخرها في المصارف . يخشى الفقر والذل اكثر مما يخشى جهنم يوم القيامة. يحترمه الناس لانه ثري ، ويحترمه بعضهم لانه تقي يرونه في المسجد في اوقات الصلوات وان كانوا يتذمرون في بعض الاحيان من سوء معاملته وكذبه) .

« ــ يا حاج! ان البن الذي بعتني اياه منذ ثلاثة ايام فاسد ممزوج بمواد رخيصة كريهة الطعم . لقد ضاعت النقود التي دفعتها اليك ثمنا للبن سدى . ــ ممزوج ! فاسد ! انه بن ممتاز . انني انا الذي اشرفت على طحنه . أنا نفسي . اؤكد لك يا ابا ابراهيم انه افضل بن في المدينة . والله انه افضل بن في الاسواق . ــ تفه ! السلام عليكم ! ــ وعليكم ... السلام ! » .

« ــ يا حاج ! علبة مسحوق الحليب التي اشتريتها منك في الامس باربعة وثلاثين قرشا تباع عند ابي يوسف الشاهد بمبلغ واحد وثلاثين قرشا . ــ علبة مثلها تماما ؟ ــ نعم ، علبة مثلها تماما . الماركة نفسها والحجم نفسه . ــ هذا عجيب ! كيف باعك تلك العلبة بذلك الثمن ؟ في ذلك خسارة . ــ لا ، ليس في ذلك خسارة بل فيه صدق وامانة . الا لعنة الله على الكاذبين ! » .

« ما هذا ؟ أليس في هذا الرجل ضمير ؟ أليس له دين ؟ الا يكفيه ما هو فيه من نعمة وثراء ؟ الحق انه لا يستحق هذه النعمة » .

امتلأ حانوت الحاج درويش بالعملاء . بعضهم يحادثه في باب الحانوت ، وبعضهم يسعون في داخله ، بينما يسمع صوت الحاج درويش مرتفعا تارة ينتهر العامل الذي يناول العملاء ما يطلبونه من البضائع ، واخرى يفرق في الجدال مع عميل له .

« ــ ارفع ذاك الكيس لا هذا . كم بلغ وزن الارز ؟ هل أخذت ثمن علب السجائر ؟ ــ لا يا ابا حسن . ان الشاي الذي لدينا افضل بكثير من الشاي الذي يعرض في السوق. يا أبا محمود ! انك لم تف بالدين الذي عليك . لقد بلغ حتى الآن عشرة دنانير. متي تقضي الدين ؟» .

وكان يسمع من حين الى آخر صياح الحاج درويش او صياح العملاء . وكان يسمع كذلك جدال عنيف وحدة في الكلام مع علامات السخط البادية على الوجوه وفي الايدي الممتدة بحركات عصبية . وفي خلال ذلك كانت تنطلق ضحكات قوية عالية جافة موجزة . وكان الحاج درويش منهمكا في أخذ النقود من العملاء ووضعها في الخزانة الحديدية او تقييد اثمان البضائع على المديونين في السجلات، بينما كان يبلع ريقه ، وكانت سحب صفر تظلل وجهه الابيض .

واخيرا قال لمساعده :

ــ هل جاء فريد مهيوب في غيابي ؟

(انه رجل صفيق الوجه يأبى ان يقضي لي ما عليه من الديون) .

ــ كلا . لم يمر بالحانوت منذ اسبوع تقريبا .

(انه يخشى ان مر ان نطالبه بالدين الذي عليه) .

ــ ان مر مصادفة ناده وطالبه بالديون . قل له هذه آخر مطالبة وبعدها أرفع قضية ضده في المحكمة . افاهم انت ؟

ــ حسن ! سوف انبئه بذلك .

وبعد برهة من الصمت قال الحاج درويش :

ــ انا الآن ذاهب الى البنك العثماني . اريد ان اسدد كمبيالة .

(أوف ! انني في حيرة من أمري . لست أدري ماذا افعل .



أطالب العملاء بقضاء الديون التي عليهم أم اقضي للبنك الديون التي علي ؟ العالم كله ديون . ديون . ديون في الحوانيت والاسواق وديون في المصارف . لم يبق لدى الناس نقود . لقد اختفت الاموال).

(اصوات من الداخل: انا مرهق! اعصابي محطمة ! لقد سئمت العمل ! اترك الحانوت ! اخرج من المدينة ! اقض شهرا في لبنان لتستريح من أعمالك . ان صحتك اهم واثمن من جميع اموال العالم).

(منظر في الداخل: يركب الحاج درويش طائرة تقله الى لبنان ، ثم تهبط به في المطار ، وبعد ذلك يسرح ويمرح بين اشجار الصنوبر) .

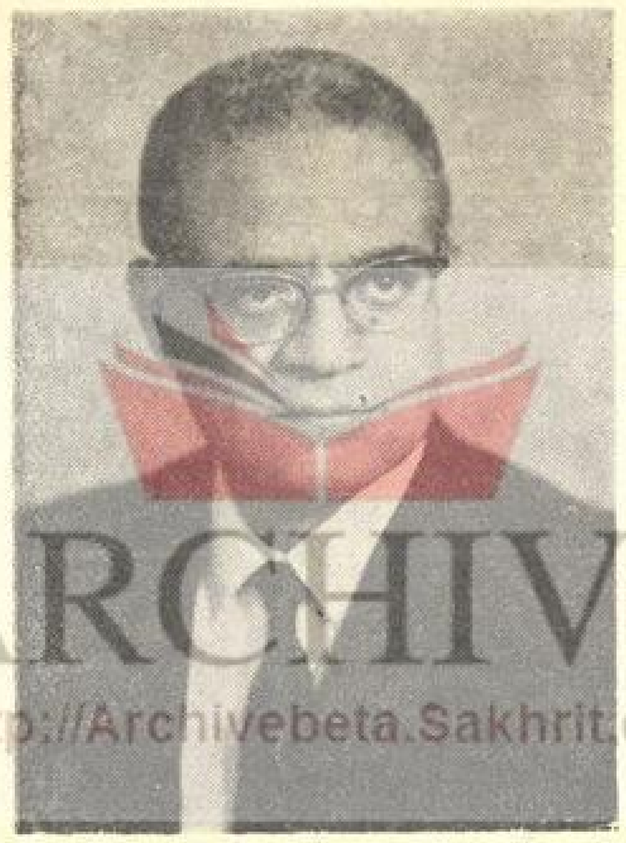
ومهما يكن من شيء فقد شعر الحاج درويش في طريقه الى البنك العثماني بشيء من الراحة وصفاء الذهن ، فقد استراح ذهنه الثقيل من كلمة « حاج ! » واذناه الكبيرتان من صياح العملاء وجدالهم وقهقهاتهم الساخرة . لقد استرد شيئا من هدوء باله وحريته .

وبعد المساء بقليل اغلق الحاج درويش الحانوت وذهب الى اقرب مسجد الى حانوته . وهناك رآه الناس راكعا ساجدا ، وسمعوا فمه الواسع يهمس بآيات قرآنية ودعوات غائبة .

ثم خرج من المسجد ، وتوجه الى منزله . كان يسير في بطء . وكانت يده تعبث بحبات سبحة جميلة الشكل في صمت ، اذ كان ذهنه مشغولا بالديون التي له والتي عليه، وبأسعار البضائع التي هبطت منذ عهد قريب ، وبالخسارة التي سيمنى بها بعد بيع تلك البضائع . ومن شدة تفكيره في ذلك لم يرد على تحية القاها عليه احد اصدقائه من التجار وهو راكب سيارته ومتوجه الى منزله . دعاه صديقه الى الركوب معه ليوصله الى منزله، ولكن الذهول حال بين الحاج درويش ورؤية اليد المشيرة . غير انه انتبه بعد فوات الاوان . تبين له وهو بين الغيبوبة واليقظة ان رجلا راكبا سيارة اشار له بيده يدعوه الى الركوب .

فاتحه مرة احد اصدقائه باقتناء السيارات الخاصة ، فقال له الحاج درويش :

ـ كل التجار البارزين اشتروا سيارات خاصة لهم ، وراحوا يستعملونها عند خروجهم من منازلهم الى حوانيتهم او حين عودتهم منها الى منازلهم ، ما عداي . كثيرون منهم استغربوا



عبد الحميد الانشاصي

●

احجامي عن شراء سيارة خاصة . وما حاجتي اليها ؟ انني في صحة جيدة استطيع ان اسير عدة كيلومترات بدون ان اشكو تعبا او عجزا . اولادي اولى بالنقود التي ادفعها ثمنا للسيارة الخاصة المستوردة من الخارج . مالي ولاولئك التجار ؟

(الحق ان السيارة الخاصة تكسب صاحبها هيبة وعزا . مرارا فكرت في شرائها . مرارا اعتزمت ان اشتريها ، فاقعدتني المشاغل عن ذلك . انني اشعر بخزي وذل بين التجار الكبار كلما فاتحوني بأمر السيارات الخاصة . لا شك ان السيارة الخاصة ضرورية لي لان منزلي بعيد جدا عن الحانوت وهو لا يقع على طريق السيارات العامة . ان كنت اشعر بقوة الآن فاني شاعر بضعف فيما بعد. ان كانت السيارة ضرورية لي فلم لا اعجل بشرائها ؟)

حينما دخل الحاج درويش منزله وجده هادئا لا حركة فيه ولا صوت ما عدا دويا كان منبعثا من الحمام ، فأيقن انه صوت الغسالة ، وان زوجته عائشة مشغولة هناك بغسل الملابس . مشى نحو الحمام ، وقد اتجه نظره مع خطواته الى الحمام . ولما وصل اليه اطل من بابه فوقعت عيناه على وجه زوجته عائشة وعلى كومة من الملابس ملقاة بجانب الغسالة ، ثم تبادل مع زوجته ابتسامة خفيفة .

كانت زوجته مرتدية ثوبا فضفاضا رخيصا لا يتلاءم مع اعضاء جسمها . ارتدته لتقوم بأعمال الغسيل . ومع ذلك فان الحاج درويش لم ينفر من شكل جسمها في ذلك الثوب الفضفاض الرخيص ، فقد اعجب بوجهها المستدير المتورد من كثرة العمل وحرارة ماء الغسالة . بدت في ذلك الوقت جميلة فاتنة كأنها قضت برهة طويلة امام مرآة التواليت وهي تحمر خديها وشفتيها وتبيض بشرة وجهها بالبودرة .

كان في عينيها وعلى اسنانها وخديها لمعان جذاب .

وبعد هنيهة قال الحاج درويش لزوجته :

ـ اين الاولاد ؟

(لقد اشتقت الى رؤيتهم) .

ـ الاولاد ؟ لقد ذهب واصف واخوه ربحي الى السوق .

(ذهبا لمشاهدة فيلم سينمائي).

ـ الى السوق ؟ الآن ؟ في هذا الوقت ؟ وماذا يريدان ان يفعلا هناك ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد برهة من الصمت اجابت عائشة :

ـ يريدان ان يشاهدا فيلما ـ فيلما هنديا اثنى عليه بعض الجيران الذين شاهدوه .

فهز الحاج درويش راسه في سخر ثم قال :

ـ مساكين ابناء هذا الجيل ؟ لا شيء يشغل بالهم غير الافلام السينمائية . كل ما لديهم من النقود ينفق على الافلام السينمائية ـ على مشاهدة مناظر الخلاعة والحب والنساء العاريات . هذا ما يفكر فيه شبان هذا العصر . هذا ما يفسد اخلاقهم ويؤدي بهم الى الانحلال . لي ثلاث سنوات لم اشاهد خلالها فيلما واحدا .

(ان ما اشتاق الى مشاهدته من الافلام السينمائية هو تلك الافلام التي تضج بالحروب والقتال فهي تعلم الناس الرجولة والفروسية) .

صمت قليلا ، واستغرق في التأمل هنيهة ثم قال :

ـ ووجدان ؟ اين ذهبت ؟ انها ليست في المنزل .

فرفعت زوجته وجهها عن الغسالة ، واخذت تعصر ثوبا ثم أجابت :

ـ وجدان ذهبت مع اختها لزيارة صديقة لها من الجيران .

(انها مخلصة جدا لصديقتها حنان ولا تستطيع ان تبتعد عنها لحظة واحدة) .

ـ متى ذهبت ؟

(لا شك انها ذهبت لزيارة صديقتها في الوقت الذي اغلقت فيه حانوتي . كيف تذهب الملعونة ليلا ؟)

ـ منذ ساعة تقريبا . وستعود عما قليل .

(من عادتها ان تطيل المكث عند صديقتها) .

ـ آ ! وماذا تفعل عند صديقتها؟ لماذا لا تزورها نهارا ؟

(انك مقصرة في مراقبتها . كيف تهملين ابنتنا الى هذا الحد ؟)

نشرت عائشة ثوبا بين يديها ، ثم نفضته في قوة ، فوقع شيء من رشاش ماء الغسيل على وجه زوجها ، فمسحه بكفه . وبعد هنيهة قالت وهي تنظر في وجه الحاج درويش نظرة آسفة :

ـ انها تشاهد مناظر التلفزيون .

(انها لا تمل النظر الى التلفزيون والاستماع الى صوته) .

ـ التلفزيون ؟ هل كل هذه المدة تقضيها في مشاهدة مناظر التلفزيون ؟ ان التلفزيون يتلف انظار مشاهديه ويلهي الاولاد عن الدراسة .

(انني اشك في تصرفات بنات اليوم . يجب ان تشددي الرقابة عليها . االى هذا الحد انت ساذجة ؟)

انصرف من عند زوجته ساخطا ثائرا ، ومشى نحو غرفة الاستقبال . هناك القى جسمه المرهق الاعصاب على كنبة . ثم استل جريدة مطوية طيا محكما اكسبها شكل لسان طويل ممتد من جيبه المكتظ بمجموعة من المفاتيح ونماذج من اللوبياء والترمس والقضامة الملبسة بالسكر . نشر الجريدة بين يديه ، واخذ يتصفحها .

وبعد قليل دخلت عليه زوجته وهي مرتدية فستانا انيقا ، ثم جلست بجانبه ، وقالت له مبتسمة العينين والثغر :

ـ ماذا تقرأ يا حاج ؟

فأجابها دون ان يرفع اليها وجهه :

ـ لقد شغلتني اعمالي في الحانوت عن قراءة الجرائد . انني اطلع على اسعار الارز والسكر والبصل . هذا ما يهمني من الجريدة .

(أنا مالي وللسياسة والمقالات واللطائف الادبية والاجتماعية . لست متفرغا لها . ان هذه الامور للشبان والرجال العاطلين عن العمل)

فقالت زوجته في استغراب :

ـ فقط ؟! ماذا تم من امر الحرب في الفيتنام ؟

فأجاب مقطبا :

ـ الفيتنام كما هي واخبارها كما هي . لا شيء فيها تبدل .

(اخبار مملة . مالنا ولامثال تلك الاخبار ؟)

وبعد هنيهة رفع حاجبيه في تألم واجفال قائلا :

ـ له ! في الجريدة خبر هام . مسكين ابو داود الصراوي !

(لقد كان رجلا تقيا لا يهمل فرضا) .

ـ ماذا جرى له ؟

ـ لقد مات . مسكين !

(كان في مثل عمري . ترى بأي مرض مات ؟)

ـ العمر لك .

ـ انه لم يكن متقدما في السن .

ـ الاعمار بيد الله .

وبعد تأمل طويل قالت عائشة لزوجها :

ـ متى نزور ابن عمك لطفي ؟ لقد زارنا هو وزوجته منذ زمن طويل . ولهما علينا زيارة . فمتى نزورهما يا حاج ؟

(انك تؤجل الزيارة كثيرا . كل ما يهمك ويشغل بالك الحانوت والبضائع . كأنك لست في الدنيا . ان لم تذهب معي الى منزل ابن عمك ذهبت اليه انا وصديقة لي من الجارات) .

فكر الحاج درويش برهة ثم اجاب :

ـ في مساء يوم الجمعة القادم ان شاء الله . ذكريني بذلك في مساء يوم الجمعة .

(ان هذه الزيارات تضيع اوقاتي سدى . انني لست متفرغا لها . ولست ادري متى تبطل هذه العادة) .

وان الزوجين لكذلك اذ قدمت وجدان ومعها اختها وهي صغيرة السن . دخلتا الغرفة وهما تكادان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى شاعر

ايه ـ هزار ـ آثرت في أعطافيه أوهام عـــذراء وشوق الغانيـه
وسكبت عبر مسالكي انـداء دنـ يا ثرة قـــد كنت عنها غافيـه
وفتحت آفاق الجمال لناظـري ونثرت فـي دربي قطافا دانيـه
وشرعت أسباب الحياة لخافقـي ومددت أعماقي برؤيـــا باقيـه
فشدوتلحن الحبفيحلو الرؤى وعرفت نجوىالزهر بوح الساقيه
ورتعت في سبل الحياة تحف بي أطياف عيش لاح فـــي أحلاميه
فانـا العبير البكر أزكت عطـره أجواؤك النشوى دناك الحانيـــه
وانا الربيع الطلق اغوته المنـــى حد القريض جموحه والقافيـــه

دمشق — سلافة العامري

تطيران من الغبطة والفرح . وقالت وجدان في ابتسام وهي تنظر الى امها وابيها :

ـ لقد سررت كثيرا وانا اشاهد رواية تمثيلية مضحكة على شاشة التلفزيون . وكذلك طربت طربـــا شديدا بعدما استمعت الى غنـــاء صباح . يـــا لهـــا من ساعة سعيدة يا أبي ! لقد تمنيت لو انك انت وامي كنتما معنا . ليت لدينـــا تلفزيونا مثلـه !

فقال الحاج درويش فـي رزانة وعبوس :

ـ ساعة واحدة فقط ؟

(انك طائشة . اين كنت ؟)

ففاض الابتسام من وجه وجدان، ولم تفه بكلمة مـن شدة الصدمة . غيـــر ان عائشة تداركت الامـــر بقولها :

ـ انها صبية صغيرة . دعهـــا تبتهج وتفرح . ان لم تسر في هذه الايام فمتى تسر ؟!

(هـــل تقيس وضعها بمقياس وضعك ؟ انت كهل وهي صبية) .

وبعد مضي بضع دقائق سمـــع الجميع صوت واصف وهـــو يصفر وصوت اخيه ربحي وهـــو يغني . كانا يتمايلان طربا . ولمـــا وقـــع نظرهما على والديهما كفـــا عـــن الصفير والغنـــاء . قالت عائشـة لواصف وهو يدخل الغرفة ومـــن ورائه ربحي :

ـ هل قضيتما وقتـــا سعيدا يا بني ؟

وفي الوقت نفسه قال الحـــاج درويش لواصف :

ـ اين كنتما ؟

(اصحيح انك كنت انت واخوك تشاهدان فيلما سينمائيا ؟)

فحار واصف في امره ، ولم يدر ايهما يجيب اولا اباه ام امه . التفت الى ابيه قائلا :

ـ كنت اشاهد فيلما هنديا يـا ابي .

ثم التفت الى امه مبتسما متطلق الوجه وقال :

ـ الحق انه فيلم رائـــع . ليتك تشاهدينه يا امي !

(احب ان اشاهده مـــرة ثانية بصحبتك . اما ابـــي فهو مشغول دائما) .

وقال ربحي لامه بصوت يفرد من الفرح :

ـ انني لم اشاهد فـــي حياتي فيلما كذلك الفيلم الهندي . انـــه حافل بالنكت والرقص والغنـــاء . لن انسى مناظره ابدا .

وقال واصف بنغمـــة تفيـض حيوية :

ـ لقد كانت دار السينمـــا غاصة بالنظارة . كل جاء لمشاهدة ذلـــك الفيلم الرائع : الرجـــال والنساء والاولاد . انه فيلم عالمي ما في ذلك ريب . ان الافلام الهندية تفـــوق الافلام الاميركية براعة وجمالا .

(ليتني أشاهده مرة ثانية . هذا فيلم لا يمل) .

وكان الحاج درويش يلقي علـــى ولديه نظرات ذاهلة صامتة . لم يدر ماذا يقول لهما . ان حاسبهما على انفاق ما لديهما مـــن نقود علـــى مشاهدة الافلام السينمائية دافعت عنهما امهما . لذا آثـــر الصمت . وكان يخشى ان تنطق زوجته بكلام تشجعهما به على مشاهدة الافـلام السينمائية . وقـــد نطقت بذلـك الكلام وقالت لولديها :

ـ خذا حظكما مـن الدنيا يـــا ولدي . ان الدنيا فانية .

(وان كان والدكما لا يرغب فـي ذلك) .

ونظرت الى زوجها لترى مـــاذا يقول ، فحدجها بنظـــرة ناريـة ، واطلق نفسا طويلا دون ان يفـــوه بكلمة .

(اصوات من الداخل : هل هذه تربية ؟ أهكذا تقـول الام لاولادها ؟ اصبح الاب لا يستطيع ان يتحكـــم في مصير اولاده في هـذه الايام . هذا ما يشغل بال الاولاد في هـذا العصر : سينما ، تلفزيون ، راديو ، السيارات الخاصة . لا ديـــن ولا تقوى) .

(منظر في الداخل : ينهال صفعا على وجوه اولاده ، ثم يصيح فيهم قائلا : اياكم ان تفعلوا ذلك مـــرة ثانية ايها الطائشون) .

ثم التفت الى ابنته فـي عبوس قائلا :

ـ هاتي السجادة لاصلـي صلاة العشاء . ان ذلك خير من الاستماع الى هذا الكلام الفارغ .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الـزواج الســعيـد

بقلم حسن فتحي خليل

* * *

السعادة شيء جوهري في حياة المتزوجين ، يحلمون بها قبل زواجهم ، ويحاولون تحقيقها حين تتصل حياتهم بعد الزواج . فهي المداد الذي يسطرون بـه صفحات حياتهم الهانئة ، والامل الذي يجري وراءه كل مـن يحاول ان يربط حياته بحياة أخرى رباطا ابديا مقدسا .

ولما كان الزواج أمرا ضروريا في الحياة ، بل هـو الحياة نفسها ، لانه الاداة الرئيسية التـي تكون النتاج الآدمي على مر العصور ، بل ولما كان أمرا واجبا نزل به الوحي وحبذته سائر الاديان، والنتيجة الطبيعية الشريفة لاتحاد الغرائز الجنسية المسيطرة على حواسـنا جميعا ، فان السعادة يجب ان تكون مزاجه الدائم وملء حياة كل زوجين ، واهم ما يرغب في الزواج ويدفع الكل الـى طريقه الهانىء .

لذلك كثرت البحوث في أسباب السعادة ، وكثرت النصائح لكل من الزوجين ليحاول كل من ناحيته فـي قدر طاقته ان يوفرها لزميله دائما .

ولكن للاسف الشديد ـ بالرغم من هذا كله ـ فقد كثرت حوادث الطلاق اخيرا ، وخاصة في ايامنـا هـذه ، وحاول الكثيرون بحث أسباب ذلك ، وتساءلوا جميعـا :

لماذا تفشل اكثر الزيجات الحديثة ؟ ولماذا يحـدث الانفصال بعد مضي مدة قصيرة على الزواج ؟ ولمـاذا يقصر أمد تلك السعادة المنزلية التـي كـان يرجوها الزوجان ؟ ولماذا يتمزق ذلك الثوب مـن الاحلام الذهبية الذي نسجاه قبل الزواج ؟ ولماذا يندر الآن ان نسمع عن زوجين عاشا طيلة حياتهما الزوجية كأنهما ما زالا فـي شهر العسل الذي لا ينتهي أبدا ؟

لو استعرضنا الامر جيدا لوجدنا لذلك عدة اسباب، منها الخداع والزيف قبـل الزواج بين الرجل والمـرأة وخاصة في فترة الخطبة . فلو امكن لكل منهما ان يظهر على حقيقته الطبيعية ، ولا يتكلف ولا يتصنع الرقـة والدماثة وهدوء الاخلاق ان لم تكن طبيعية فيـه ، ولا يغالي في عواطفه نحو الآخر مغالاة شديدة ، لاصبح كـل منهما سعيدا . ولكن .. يأتي الزواج ، واذا بكل مـا حدث كان مجرد اوهام وسراب . ويتضح ان كلا منهمـا كان يخدع الآخر ويغشه ، ولما يرفع ستار الحقيقة اذا بهما مختلفان جوهريا واخلاقيا ، واذا بحياتهما تقـوم بدايتها على هذا النفاق .. واذا مـا قامت حياة على النفاق فلن تطرق السعادة بابها بطبيعة الاحوال .

فالكذب ، اذا ما لابس الحياة الزوجية كان دمـارا لها واجتاحها بل واقتلعها من جذورها .. الكذب بكافـة انواعه ، الكذب المادي ، والكذب الحسي ، كذب المظاهر، وكذب العواطف ، انه أداة مهلكة وشر من الشرور التـي تأباها طبيعة الحياة الزوجية القائمة على المعاونة والعواطف الثابتة العميقة والاجتهاد والتشجيع والعمل على تحسين الاحوال على اشرف الاسس . اما اذا سادها ذلك الخداع والزيف والنفاق والكذب فـلا سبيل للزوجين سـوى الانفصال بعد ان اصبح كل منهما يتهم الآخر بأنه قد غدر به والقى به في ذلك المصير المحتوم .

كما ان التعاون هو اهم ما يقوم عليه عمـاد الحياة الزوجية المرجو لهـا السعادة ، التعاون بـين الزوج والزوجة ، التعاون الصحيح القائم على الحب المتمكن من قلبيهما معا ، التعاون في سبيل حيـاة يغمرها الهناء لتزدهر وتنمو وتثمر خير الثمار . فيجب على الزوجة ان تكون اليد التي تدفع زوجها نحو الكمال دائما ، فكم مـن الزوجات كن ذوات اثر فعال في حياة ازواجهن ، وكـم من عباقرة في هـذا الجيل والاجيال الماضية كـان لزوجاتهم اكبر الفضل في نجاحهم . ان المرأة التي تقدم كل ما يمكنها من معونة لزوجها امراة تشرق السعادة في سماء حياتها . والرجل اذا ما أحس بمثل هذه العواطف الشريفة من زوجه أحبها حبا يفوق كل حب ، وكانت هي لديه اهم ما يملأ حياته بهجة وسرورا . فعلـى المرأة اذن ان تعاون زوجها بكافة الطرق ، بعواطفها الحارة ، بكلماتها المشجعة ، بابتسامتها الحلـوة ، باقبالهـا عليـه دائمـا ، باهتمامها بكل اموره ، بتوفير سبل الراحة لـه دائما ، باشعاره بانه كل شيء لها ، وان سعادتها مستمدة دائما من سعادته .

هذا ، ولما كانت السعادة في الزواج تقوم دائمـا على الحب المتبادل بين الزوجين ، فـان اهم ما يجب ان يضعه الزوجان نصب أعينهما هو دوام ذلـك الحب ، ودوام فورته وحرارته ، لانه اذا ما خمدت هذه الحرارة فان السعادة المتعلقة بها والتي تسير معها جنبا الى جنب سيصيبها الوهن هي الاخرى ويشقى كل مـن الزوجين في حياته .

ولكن .. كيف يحتفظ الزوجان بهذا الوهج مـن الحب دائما ؟

لقد سئل الكاتب الايطالي المشهور بيراندللـو عـن ذلك فأجاب :

يجب علينا ان نعنى عنايـة فائقة بتلك الحقيقـة الكبرى ، الا وهي الخيال . فالزواج يجب ان يكون خيالا لا نهاية له . والزيجات السعيدة هي التي يمكن ان يعيش

فيها الخيال دائما والتي تتجدد بتجدد الطبيعة نفسها . فاذا حاولنا ايضاح ذلك نجد ان المرأة تحب الرجل كما تعتقد هي وكما تراه بغرائزها وحواسها ، لا كما يراه غيرها ، فهو في عينيها يبدو حينئذ بطلا من الابطال او شخصا ممتازا ، بينما هو نفسه يبدو في أعين الغير رجلا عاديا لا يميزه شيء ، يختلف تمام الاختلاف عن الصورة التي تحتفظ بها هي ولا نملك حينئذ نحن الذين نراهما على تلك الحال الا ان نضحك ساخرين من ذلك الحب الجنوني الذي تفمره به .

ويمكن تطبيق نفس الفكرة على حب الرجل للمراة ، فهو يحبها لا كما تبدو لنا ، ولكن كما يرجو هو ان تكون، فهو ان تكلم عن الجمال والرقة والجاذبية وغير ذلك انما يتكلم عن وحي من شعوره الخاص نحو شخص معين هو بطبيعة الحال المرأة التي يراها بعينيه وغرائزه واحساساته .

فالسعادة مثل الحقيقة . . ليست بالشيء الثابت ، انما هي تتغير مثلها ، لاننا نحن انفسنا نتغير ، فنرى السعادة في ضروب مختلفة تبعا لاختلاف فترات حياتنا، فاذا ما حطمنا الخيال ، وحطمنا العقيدة ، فاننا نحطم السعادة الزوجية نتيجة لذلك .

وفي كلمة اخرى فان الحب يبقى كلما عنينا بدوامه ، يبقى ما دمنا نخلقه خلقا ونحييه دائما ونجدده كلما تجددت حياتنا . فالحقيقة ليست مجردة ، فان كانت كذلك ولا تتغير ، كان لها سكون الجثث والتماثيل . وعلى ذلك ، فلن تكون هناك حياة بل هو الموت الدائم . فكل اثنين يتحابان يريان بعضهما بعين الحقيقة التي تخصهما هما فقط ، وليس بمنظار الحقيقة الذي يراهما به الناس ، فاذا ما حطمنا الحقيقة . . وحطمنا القوة التي نرى بها احياءنا كما نرجو فكأننا قد حطمنا الحب نفسه .

هذا وقد ثبت دائما ان الزواج والحب يجب الا يقوما على الغريزة الجنسية فحسب ، بل يجب ان تدخلهما بعض العواطف الروحية . . وهو دليل آخر على ما سبق القول به ، وها هو تولستوي الكاتب الروسي الكبير يعلن نظريته التي اصبح يؤمن بها بعد تجربة زواجه التي دامت طويلا ، وهي تقول : ان الحياة الزوجية اذا ما قامت على علاقات متبادلة اساسها الرغبة الجنسية فحسب فهي حياة فاشلة مسممة . . اذ ان الاستسلام الى هذه الرغبة نتيجته الدمار دائما .

فالعواطف الروحية في الزواج واجبة ، على الا تطغى على ما عداها ، بل يجب ان تكون لها اوقاتها الملائمة حتى تشتعل دائما قوة الحب الكامن في قلبي الزوجين ونفسيهما وروحيهما معا .

ولكن . . لعل هناك سببا آخر للزيجات التعسة الحديثة ، فالحب بطبيعته المعقدة نادرا ما يأخذ طريقا واحدا بالنسبة للرجل او المراة ، ونادرا ما يسير حب كل منهما موازيا للآخر ، بل ونادرا ما نرى شخصين متكافئين في الحب في بدء حياتهما الزوجية، ويستمران في حبهما لبعضهما بنفس القوة ، فغالبا ما يحدث ان يضعف حب أحدهما بمرور الزمن ، وحينئذ يجب على المراة ان تلعب دورها المهم حتى تحتفظ بسعادتها الزوجية .

ولعل اكثر النساء اليوم قد تناسين ان الزواج ليس مجرد حقوق تؤخذ ، بل هو من ناحية اخرى واجبات تعطى ، ولعلهن لا يذكرن ايضا ان مهمة المراة الكبرى هي ان تعطي افضل واشرف واسمى ما تملك من عاطفة .

ونحن نتهم ايضا تلك المدنية الحديثة ، لانها من اهم اسباب فشل الحياة الزوجية وتقويض دعائمها ، المدنية الحديثة التي يسرت للمراة ان تجرفها تيارات من الافكار الجديدة والآراء التي تضرها اكثر مما تنفعها ، اذ ان النساء في هذا العصر الحديث يحاولن تقليد الرجل في كل شيء والخروج عن طبيعتهن ، ولكنهن أخطأن بذلك في حق أنفسهن ، فالمراة المسترجلة تعادل الرجل المخنث ، والمراة التي تحاول ان تكون رجلا انما هي نسخة رديئة من بنات جنسها .

فالمراة لها دورها التي خلقت من اجله لتؤديه على مسرح الحياة ، وعليها ان تحتفظ بأنوثتها اذا ما ارادت السعادة في الزواج ، وحظها في هذه السعادة سيلازمها ما دامت لا تحيد عن مهمتها التي وجدت لها .

والمراة السعيدة هي التي تبقى على حقيقتها وطبيعتها في حياتها ، أعني تلك التي تظل دائما زوجة وأما التي تعتقد دائما انه قد القيت على عاتقها مهمة كبرى تتقبلها في سرور وشجاعة ولا تتبرم بها ، فتحتفظ دائما بروح الهدوء والسلام في مجرى حياتها ، وهما اساس السعادة العامة . وسعيدة هي المراة التي تشع من حولها تلك الروح . . وستكون السعادة قطعا ملء بيتها ما دامت لديها القوة الكافية التي تجعل الرجل يستسلم اليها عن طريق الحب والحب فقط .

كل هذه الاسباب اذا تأملها الرجل والمراة معا كانت السعادة رائدة حياتهما وعليهما تتوقف نتائجها وخاصة المراة ، فهي كالتربة الخصبة التي تتلقى الماء من السماء فتنبت البذرة وتحمل الثمار التي وجدت من اجلها . . ثمار الحب التي تتعهدها وتنميها وتعنى بها .

فلندعها تسير وفق غريزتها الطبيعية لتلعب الدور الذي خلقت له ، وحينئذ لن يعلق بحياتها اي شقاء . . بل ستحوطها السعادة دائما .

الاسكندرية

حسن فتحي خليل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاثون الف سائح في صور ـ الغد



تم اعداد الملامح الاخيرة لمشروع تجهيز من شانه ان **يطور جنوب لبنان تطويرا كاملا** . ذلك هو مشروع اعداد مدينة صور اعدادا سياحيا ، في عملية تضاهي اشغال مشروع الليطاني ، في حجم الاموال المرصدة لها وفي اثارها الاقتصادية والاجتماعية المرجوة .

والواقع ان هذا المشروع الذي بدا تنفيذه سوف يهيء للبنان مجمعا سياحيا لا مثيل له في حوض البحر الابيض المتوسط .

وقد كشف النقاب عن هذا المشروع منذ يومين ناطق رسمي بلسان المجلس الوطني لانماء السياحة ، واشار الى المحادثات التي اجراها رئيس المجلس الوطني في بيروت وروما ، ثم اكد ان البنك الدولي والشركة المالية الدولية التابعة له يمكن ان يهتم بمشروع دراسة لتجهيز صور سياحيا ، تمهيدا لتمويله ، وهو مشروع كانت قد قدمته لجنة من الخبراء الايطاليين ، ووافقت عليه الحكومة اللبنانية .

واضاف الناطق الرسمي قوله : واننا لا ريب ما نزال في المرحلة الاولى من اشغالنا ، غير ان التعهدات التي عقدت توحي بالتفاؤل في مستقبل المشروع . وذكر الناطق الرسمي بان البنك الدولي كان قد اوفد لهذه الغاية الى بيروت احد كبار المديرين فيه وهو السيد ديفيد احد اهم الخبراء في تمويل المشاريع السياحية في العالم .

وقد اقترح بعض التعديلات التي من شانها ان تجعل الدراسات اكثر ملائمة لاصولها المألوفة لدى البنك الدولي والشركة المالية العالمية . واول هذه التعديلات يتعلق بمدة تنفيذ المشروع ، التي يرجو البنك الدولي ان تختصر من عشر سنوات الى خمس . وثاني هذه التعديلات يتعلق بالاعتمادات المالية اللازمة . ذلك ان الخبراء الايطاليين قد حددوا مبلغ ٢١٥مليون ليرة كموازنة اجمالية للمشروع ، الا ان البنك الدولي يقترح عملية تصاعدية ، يكون في اولى مراحلها تحقيق مشروع رائد .

وهذه الاقتراحات اخذها المجلس الوطني بعين الاعتبار ، وكذلك الشركة الايطالية التي وضعت المشروع. وقد عرض هذه المساعدة السيد فنفاني وزير خارجية ايطاليا عند مروره ببيروت في نيسان عام ١٩٦٧ ، وتقع في نطاق اتفاق المعونة التقنية بين لبنان والاسرة الاقتصادية الاوروبية ، وهي عامة لا تتعلق بمنطقة معينة بالذات .

وقد ارتأى السيد ميشال الخوري ، وكان آنذاك وزيرا للسياحة والتصميم ان تستفيد منطقة النجوب من هذه المعونة .. وبادرت ايطاليا التي اخذت على عاتقها تمويل الدراسات ، الى ايفاد بعثة من الخبراء ، عكفت على العمل منذ كانون الاول عام ١٩٦٧ .

واعلن الناطق الرسمي بلسان المجلس الوطني بقوله: انه لا يسعنا في هذه المناسبة الا ان نشيد بمعونة وزارة الخارجية الايطالية وسفارة ايطاليا في لبنان ، وقد سهرا على حسن تنفيذ المشروع ، وما زالا يقدمان لنا مساعدتهما الجدية في جميع خطواتنا . ومن مهمات اللجنة الايطالية ما يلي :

١ ـ تحديد طبيعة الدراسات السياحية المطلوبة ،

والتي تستجيب للمطالب الراهنة ، والمنتظرة من رواد صور .

٢ ـ تحديد جميع الشروط التي يجب ان تتوفر في المجمع السياحي ، ليجتلب ، ويستبقي عددا كافيا من الزبائن والرواد .

٣ ـ تقديم المخططات التي تتيح (تجسيد) المرافق، والتجهيزات المقترحة .

٤ ـ تقييم التوظيفات المالية والنفقات اللازمة لاقامة وانجاح المشروع .

٥ ـ اجراء تحقيق بواسطة مؤسسات عامة وخاصة مختصة لتحديد شروط تمويل مشروع كهذا ، مع العلم بان رؤوس الاموال المطلوبة تكون من مصادر اجنبية .

٦ ـ تحديد نسبة المساهمة التي توافق الدولة على تقديمها ، لتشجيع المجمعات المالية اللبنانية .

٧ ـ تحديد المبالغ التي تكون الدولة اللبنانية مستعدة لبذلها ، وتحديد الفترة الزمنية لذلك .

وقد أجابت لجنة الخبراء الايطاليين ، التي اختارتها روما ، لما لها من تجربة ، وخبرة ، على اكثر الاسئلة المطروحة . وهي وان لم تنجز رسميا مهمتها ، الا انها اكتسبت نظرة واضحة لمستقبل صور ـ الحمامات . وفضلا عن هذا اعلن الناطق الرسمي بلسان المجلس الاعلى لانماءالسياحة ان المشروع يتضمن انشاء مجمع يضم خمسة عشر الف سرير ، ويستطيع استقبال ثلاثمائة الف سائح في العام . والى هذا المجمع ستضاف منشاءات دائمة ، تستمد مصادرها من المجمع . وتتألف هذه المنشاءات من نشاطات هامشية كالمطاعم ، وسوق النوفوتيه ، والبقالة، والصناعات اليدوية ، وما الى ذلك .

ومما لا ريب فيه ان منطقة صور ، وبالاحرى جنوب لبنان كله سيفيد من هذا المشروع . وقد صمم الخبراء صور ـ الحمامات لتكون موقعا محاطا بالمياه الساحلية العذبة ، وبمياه البحر .

وبهذا سوف تعيد صور المستقبل ذكرى صور القديمة في بعض جوانبها . وتكون مدينة بحرية تجري المياه فيها باستمرار ، ويتم الانتقال اليها بالبواخر . اي انها ستكون « بندقية لبنانية » مقامة على مجموعة من التلال التي تغطيها الاكواخ « بنغالو » وتفصل بين اجزائها البحيرات ، والاقنية . اما المساحات المسطحة فانها سوف تخصص للفنادق . وتبلغ مساحة الموقع البحيري ٣٣٠ هكتارا ، الى جانب ٤٢ هكتار من المسابح التي لا يقوم فيها اي بنيان .

وجميع ذلك سوف يكون مجمعا سياحيا لا مثيل لجماله ومداه ثمانية كيلومترات ، وتغطيه رمال ناعمة لا تضاهيها رمال . وسيضاف الى هذا الموقع مرفأ للسلوى يؤوي اليخوت ، والمراكب الشراعية ، والزوارق البخارية، وزوارق الدورية التي تقوم بمهمتها بين صور وبيروت .

وخشية من تأخر انشاء اوتوستراد الجنوب ، فضل الخبراء الايطاليون تجنب اية عراقيل لا طائل تحتها ، وذلك بجعل الانتقال بين انحاء صور بواسطة البواخر ، والطائرات الخفيفة ، والسكة الحديدية ، مما يجلب متعة للسياح من هواة الاثار ، والسلوى . واخيرا ، يتوقف سير السيارات على طول الساحل ، عند شاطىء صور ، حيث يقام موقف واسع للسيارات . تلك هي الخطوط الكبرى للمشروع الايطالي ، وهو مخطط اولي عام . ذلك ان المخطط النهائي لم يقرر بعد ، ولا يتوفر اي استنتاج حول الدراسات التي جرت ، وهي بعد في مرحلتها التمهيدية .

هذا وان كل ما كتب او قيل عن مجمع صور المقبل لا يمكن الا ان يكون سابقا لاوانه ، أو غير صحيح .

الا ان هناك فكرة كبرى تشق طريقها ، فكرة سوف تبدل الواقع الاجتماعي والاقتصادي للبنان الجنوبي ، وتحقيقها يملك المجلس الوطني لانماء السياحة سلاحين :

ـ الاول له طابع قانوني ، ويمنح الدولة بموجب قانون ٧ تموز ١٩٦٧ الحق ، ضمن شروط معينة ، في الاستملاك لفوائد سياحية او لاستعمال الارض لمشاريع سياحية وكذلك الحق في انشاء شركات للاقتصاد المشترك .

ـ والثاني له طابع اقتصادي . ذلك ان مشروع صور سوف يدر ارباحا كبيرة . ويقدر الخبراء الايطاليون تقديرا جذريا بان المشروع سوف ينتج ربحا يقدر بعشرين في المائة ، وانه يمكن ان يستجلب رؤوس اموال لبنانية واجنبية، وبانتظار النتائج النهائية لاعمال لجنة الدراسات الايطالية ، اطلق المجلس الوطني لانماء السياحة عملية تجريبية ، لاستكشاف ردود فعل السياح . فقد انشئت دارة استراحة في الطرف الشمالي للشاطىء ، عند حدود المنطقة الاثرية .

وهذا الدارة التي تديرها المدرسة الفندقية ، والتي سوف تضم عشرين سريرا ، ستستقبل السياح الاوائل قبل نهاية العام الحالي . وهكذا ، ستجد صور ، التي اعتبرت حتى اليوم مدينة منسية ، طريق الامل ، بانتظار طريق الازدهار .

وقد شاءت الدولة اعمار الجنوب وتطويره لاسباب واضحة تتعدى الفائدة المادية ـ وسواحل صور اجمل سواحل المتوسط ـ لتشمل الدافع المعنوي للعدالة الاجتماعية الاولية ، الضرورية لاستقرار لبنان وتقدمه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب

بـــلاد العـــرب

تاليف الحسن بن عبد الله الاصفهاني ـ تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي ـ ٥٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليمامـــة للبحث والترجمـة والنشر بالرياض

يقول اديسون ، ليس في هذا الوجود من نحني له الراس اجلالا عن حب وتقدير الا صناع الزاد للانسانية .

وحينما اعترض صديقه فورد قائلا : اذن فانت تفضل رجـــال الحقول على عمال المصانع . ضحك اديسون قائلا : لست اعني هؤلاء ، انما أقصد زاد الارواح ، اقصد رسل الفكر من رجال الفلسفة والادب والفكر .

ورجال الفكر هم تتمـــة للموكب الخالـــد ، موكب الرسالات السماوية ، التي احتضنت الروح الانساني وربته وهذبته . واخذت بيده الى المعاني العليا والمثالية التي تسمو بالحياة ، لتكون جديـــرة بعالم يصدر عن الله .

وليس من شك في ان العالم الفاضل الشيخ حمد الجاسر ـ عضو المجمع اللغوي بمصر وعضو المجمع العلمي بدمشق ـ في مقدمة هؤلاء الرجال الذين نذكرهم بكل اجلال وبكل تبجيل واكبار ، وسيبقى جميع الناطقين بالضاد متأثرين بمحاولاته الاصلاحية فـــي الادب والتاريخ والدين سواء في الشرق او الغرب .

والعالم الفاضل من خيرة علمائنا واعمقهم وابرزهم انتاجا فـــي مجال التاليف والتحقيق كثرة ، وجودة . وله جولات موفقة في تحقيق المخطوطات . فمن مؤلفاته وتحقيقاته التي تزهو المكتبة العربية وتعتـز بها عدا ما نشر له من بحوث قيمة في مختلف المجلات العربية والكتب الآتية :

١ ـ « مدينة الرياض عبر اطوار التاريخ » وقـــد الحق بهـذا الكتاب مجموعة من الصور الاثرية للمدينة وخريطة كبيرة .

٢ ـ « غزوات الجراكسة والاتراك في جنوب الجزيرة » تاريـخ اليمن في القرن العاشر الهجري ، مـــع توسع فـــي اخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر . تاليف قطب الدين محمد بن احمد النهرواني المكي (٩١٧ ـ ٩٩٠ هـ) .

٣ ـ « بلاد ينبع » وهو عبارة عـــن لمحات تاريخيـــة جغرافية وانطباعات خاصة .

٤ ـ شارك في تحقيق احد اجزاء كتاب « المغانم المطابة من معالم طابة » تاليف مجد الدين الفيروز آبادي (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ) . وهـــو كتاب يعتبر من اهم المصادر في دراسة تاريخ المدينة الشريفة القديم ، وفي خططها ، وفي مساجدها وآثارها الاسلامية .

وانه ليعد للطبع كتابين آخرين عـــلى جانب كبير مـــن الاهمية احدهما عن « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ، والآخر عن « ابن عربي موطد الحكم الاموي في نجد » ، وابن عربي هذا امير مجهول عاش في القرن الاول الهجري .

وتحت يدنا الآن كتاب ضخم جديد بعنوان « بلاد العرب » . ومؤلف هذا الكتاب هـــو ابو علي الحسن بن عبد الله الاصفهاني مـن أهل القرن الثالث الهجري ، وكان من كبـار أئمة اللغة المشهورين ، ولم يكن له في آخـر ايامه نظير في العراق .

وهذا الكتاب يعتبر ـ كما جاء في المقدمة ـ اثرا من آثارنا القديمة يرجع الى الربع الاول من القرن الثالث الهجري فما قبله . ولهذا الاثر ميزات اهمها :

١ ـ انه يحدد اجزاء كثيرة من منازل القبائل العربية ، التـــي كانت تقطن وسط جزيرة العرب ، متجاورة ، ويحاول ان يحصي ما لها من مناهل وجبال وامكنة ، مما يعين دارسي الادب العربي في عصوره القديمة . وهذا ما لا نجده الا في هذا الكتاب ، في عهدنا الحاضر .

٢ ـ انه حوى اسماء كثيرة ومنها ما ورد في الشعر، مما لا نجده فيما بين ايدينا من المصادر .

٣ ـ ضم طائفة من المعلومات المتعلقة بالقبائل من انساب واسماء شعراء ، وكلمات لغوية ، ينفرد بها عن غيره مما وصل الينا ، ومـــن الشعر ما لا يوجد في غيره ، بحيث نفقـد بفقده جزءا مـــن ثقافتنا العربية .

٤ ـ يتضمن تفصيلات لا نجدها في غيره ـ من الكتب التي وصلت الينا ـ عن معادن قلب جزيرة العرب ، وهي معلومات علـى بساطتهـا لا يستغني عنها أي باحث في المجال الاقتصادي .

٥ ـ وأمر على جانب كبير من الاهمية ، هو انه يذكر لنا المواضع التي تتفق في الاسم ، ولكنها تختلف باختلاف القبائل التـــي كانت تسكن في تلك المواضع ، وهذا من الامور التي اوقعت اللبس والخطـا والخلط في تحديد كثير من مواضع الجزيرة ، مما لا تمكن معرفته الا بمعرفة من يسكنه من القبائل .

مما تقدم ذكره من الميزات ومن غيرها مما لـم نذكره ، يستطاع القول بان هذا الاثر ذو قيمة كبيرة في تراثنا العلمي العربي ، وذو اثر عظيم بالنسبة للمعنيين بدراسة التراث العربي ، بوجه الاجمال .

ولقد قام بتحقيق هذا الاثر النفيس ايضا استاذنا الكبير العلامة الشيخ حمد الجاسر بالاشتراك مع العالم الجليل الدكتور صالح احمد العلي ، رئيس الدائرة العلمية للتاريخ والآثار فـــي جامعة بغداد ، وعميد « معهد الدراسات الاسلامية العليا » .

وقد بذلا في تحقيق الكتاب جهدا عظيما مشكورا يبرز اثره فـي كل صفحة من صفحاته . وكان التحقيق قائما على ما ياتي :

١ ـ التعريف بالكتاب ، وبمؤلفه ، وبنهجـــه ـ وصف النسخ الخطية ـ ايضاحات حول النشر .

٢ ـ الحاق بعض الحواشي والتعليقات المفيدة .

٣ ـ ثبت بأسماء المواضع (الاودية والجبال والميـــاه والامكنة) وعددها ٢٠٨٨ موضعا مرتبة حسب الحروف الابجدية .

٤ ـ بيان بأسماء المعادن وعددها ٣٠ اسما .

٥ ـ بيان مفصل مرتب حسب الحروف الابجدية بأسماء الامـــم ويشمل : القبائل والعشائر والافخاذ والاسر .

٦ ـ بيان بأسماء الاعلام ـ الرجال والنساء ـ مرتب ايضا حسب الحروف الابجدية ويحتوي على ١٩٦ اسما .

٧ ـ بيان بأسماء الشعراء ويحتوي على ١٠٨ اسماء .

٨ ـ فهرس للشعر مقسم الى قسمين : قسم القصيد ويحتـوي على ٣٥٦ بيتا ، وقسم الرجز ويحتوي على ٥٣١ شطرا .

٩ـ بيان بأسماء النبات .

١٠ ـ بيان بأسماء الايام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١١ ـ ثبت بالكلمات اللغوية .

١٢ ـ ثبت بالمصادر الوارد ذكرها في الهوامش .

فجاء الكتاب بذلك كاملا في مجلد ضخم تبلـــغ صفحاته ٥٢٨ صفحة ، مقدما له ببحث واف ممتع يقع في ٢٢ صفحة للدكتور صالح العلي ، أبان فيه ما لدراسة جزيرة العرب من اهمية خاصة في تاريخ العرب والاسلام ، ففيها ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعا الى الاسلام وأسس دولة الاسلام ، وعلى أهلها اعتمـــد الرسول والخلفاء الراشدون في فتح البلاد وتوسيع رقعة دولة الاسلام ، ومـــن ابنائها كان الجند الذين وسعوا حدود دولة الاسلام وثبتوا فيها الامن والنظام.

كما اشار الدكتور صالح الى امر اوقع الغافلين عنه فـــي اخطاء فاضحة ، وخلق في اذهانهم بلبلة محيرة ، الا وهو التنوع الكبير فـي اجزاء الجزيرة ، والتبدل الذي تعرضت له ، التنوع في تركيب الارض واحوال سطحها ، ومدى توفر المياه والنباتات والمزروعات فيها ، ومـا يتبع ذلك من تنوع في مظاهر الحضارة ، واثر ذلك في تنوع تفاصيل مظاهر الحياة واللغة .

وبعد ان لخص الدكتور صالح محتويات الكتاب تلخيصا وافيـــا ووصفه في النهاية بانه « واضح في تعابيره ، بسيطة جمله ، مالوفة كلماته ، مركز خال من الحشو والتكرار » ، انتهى الـــى نسبة تاليف الكتاب الى الاصمعي فهو يقول في ختام بحثه : « في هذا الجو العلمي الف الاصمعي كتابه عن جزيرة العرب ، مركزا اهتمامه بوصف ديار كل عشيرة كانت قائمة ، ومواطنها . فهدفه محدد واضح ، وهـو ينسجم مع تاليف الكتب آنذاك وحيث كان لكل كتاب هدف محدد معين ، يمثل جانبا من ثقافة المؤلف ، ولا يمثل نظرته ، اذ ان نظرة المؤلف تتجلـــى في جملة ما يكتب ، وقد كتب الاصمعي كتبا اخرى عن جوانب اخرى من حياة الجزيرة واهلها » .

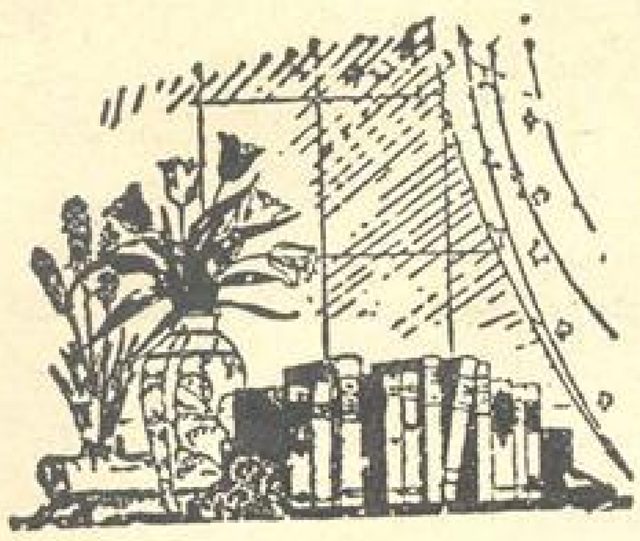
وهنا يقف القارىء متحيرا في معرفة من هو مؤلف الكتاب الى ان يقلب الصفحة التالية ليقرأ فصلا آخر بعنوان « ليس هـــذا الكتاب للاصمعي » ينتهي منه الى ان المعلومات التي يتضمنها هذا الكتاب قد اثرت عن رواة من الاعراب من معاصرين للاصمعي ، وممن جاءوا بعـــد عصره ، ومنهم من قد يكون الاصمعي روى عنه او اجتمع به ، وقـــد يكون في بعض كتبه من معلوماتهم ما هو في هذا الكتاب ، فجاء عالـم متاخر عن عصر الاصمعي فجمع تلـــك المعلومات ، واضاف اليها مـــا استطاع اضافته ، وقد يكون هذا العالم هو الاصفهاني ، فلما جـــاء الاسكندي والزمخشري وغيرهما رأوا ان هذه النصوص منسوبة الـى اعراب متقدمين ، وان عمل الاصمعي او غيره لا يعـدو مجرد الجمع ، فاستفادوا من تلك المعلومات ، ولم يجدوا الحاجة داعية الـــى معرفة الجامع لها ، فاوردوها في كتبهم ، وقد يكون القسم الاوفر منهـــا منسوبا الى الاصمعي ، في أحد مؤلفاته، وعلى هذا حكم ياقوت الحموي بانها من جمع الاصمعي وتاليفه ، معتمدا على وصول احـــد مؤلفات الاصمعي اليه برواية ابن أخي الاصمعي ، بطريق ابن دريد ، الـــذي لا نرى له اثرا يمكننا من الجزم بما جزم به ياقوت من كونه من رواته، فيما وصل الينا من مؤلفاته ...

وأيا كان الامر ، فالكتاب ـ كما قلنا فيما تقدم ـ اثـر من آثارنا التي ليس للاصمعي ولا لغيره من الرواة فيه الا مجرد التدوين ممـــا لا يؤثر في القيمة التي يتوخاها كل باحث .

لقد بلغ الكتاب بالحق حدا من الكمال والجودة ، وحسن الترتيب وروعة الاخراج وجمال الحروف ووضوحها .

والكتاب فضلا عن ذلك يعد ثروة تاريخية وجغرافية وادبية كبيرة، وكنزا ثمينا بالغ الاهمية ، ذا قيمة علمية لا تقدر في دنيا التراث .

واذا كان لنا من ملاحظة عاجلة عابرة نبديها ـ وان كانت لا تمس جوهره ، بل تنحصر في بضعة اخطاء طفيفة لا تؤثر مطلقا على قيمتـــه العلمية ، ولا تقلل من شأنه ، هي ما سبقنا الى الاشارة اليها الاستاذ



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : Tel : Dir : 223819 الادارة ٢٢٣٨١٩ Dle : 225139 المنزل ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـــر اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفاضل الدكتور صلاح الدين المنجد في الجزء الثامن من السنة الثانية من مجلة «العرب» صفحة ٧٥٩ وهي ان كلمة Saudi Arabian صحتها Saudi Arabia وكلمة Belad صحتها حسب النطق الصحيح Bilâd ، وكلمة Revised by صوابها كما هو متبع دائما هو Edited by

وفي ختام هذا التحليل لكتاب « بلاد العرب » نرى لزاما علينا ان نسدي الشكر وافرا وجزيلا للمحققين الفاضلين لما بذلا من مجهود في سبيل تحقيق هذا الكتاب الفخم ، حتى جاء على هذه الصورة المشرفة الجديرة بالفخر والاعجاب والتقدير معا .

ولا يفوتنا كذلك ان نزجي الشكر مضاعفا للمشرفين على « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » على نشر هذا الكتاب ـ الذي سد فراغا كبيرا في المكتبة العربية ـ في سلسلة مطبوعاتها القيمة التي ما فتئت تتحف بها قراء العربية من آن لآخر وكلها ذات سمة تاريخية او جغرافية او اجتماعية .

الاسكندرية — عبد العزيز جادو

●

القامـــوس السياســـي

وضع احمد عطية الله ـ ١٤٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ دار النهضة العربية بالقاهرة

عندما يصدر الاستاذ احمد عطية الله « القاموس السياسي » على هذا النحو وبهذا الحجم الضخم ، بالاضافة الى عمليه الكبيرين : دائرة المعارف الحديثة « القاموس الاسلامي » (صدر منه مجلدان) وتضم في مجموعها عند اكتمال القاموس الاسلامي اكثر من خمسة آلاف صفحة ، نجد اننا في حاجة الى نظرة واسعة الى ابعاد هذا العمل ، والى جهد هذا الباحث الكبير .

فليس هذا العمل وليد الساعة ولا الزمن القريب ولا يمكن ان يكون كذلك ، وانما هو خلاصة عمر باحث أفرغ فيه كل جهده وعصارة ثقافته وخلاصة تجربته ، فالاستاذ « احمد عطية الله» يبلغ هذا العام، العام الستين من عمره المديد باذن الله ، وقد شغل نفسه بفكرة الموسوعات ودوائر المعارف منذ عام ١٩٢٧ تقريبا . ففي هذه الفترة كان الحديث يتردد على حاجة اللغة العربية والعالم العربي والباحثين العرب الى موسوعات ودوائر معارف ، وقد زخرت الصحف بالحديث في هذا الامر ، وتصدى الكثيرون لهذا العمل ، وفي مقدمتهم المسؤولون الرسميون ومن بينهم عبد الخالق ثروت واحمد فريد رفاعي وعرض الدكتور محمد حسين هيكل لذلك في جريدة السياسة الاسبوعية وتبخر ذلك كله عن مجموعة من الآمال والاماني ، ولم يكن العهد قد بعد بدائرة معارف فريد وجدي التي اصدرها بعد الحرب الاولى ١٩٢٢ ومن قبلها دائرة معارف البستاني التي لم تكتمل .

عاشت كل هذه الصور والاحلام في نفس احمد عطية الله الشاب الذي لم يكن قد عدى العشرين من العمر ، والذي كان قد سافر الى اوروبا في بعثة رسمية ليتم تعليمه في جامعة لندن ليحصل على درجة بكالوريوس ثم هو يطوف اوروبا فيشاهد مكتباتها ودوائر معارفها وجامعاتها ويحادث المفكرين بها ويعود وفي اعماقه تصميم اكيد على ان يقوم بجهد في مجال القواميس والموسوعات ودوائر المعارف غير انه يظل سنوات يجرب خطواته في دراسات وابحاث مختلفة في مجال التاريخ والسيرة والتراجم ثم لا يلبث في عام ١٩٤١ خلال الحرب العالمية الاولى ان يبدأ عمله ويظل يواصله حتى اليوم من خلال سبعة وعشرين عاما لا يتوقف ، وقد اتيح له في هذه الفترة ان يسافر مرة اخرى الى اوروبا وان يقف على اعمال دوائر المعارف العالمية وان يزداد خبرة واتقانا لعمله ، فيصدر خلال ذلك دائرة المعارف والقاموس الاسلامي ثم يقدم اليوم هذا العمل الضخم الذي يضم اكثر من ٤ آلاف مادة تتعلق بكل ما يهم الباحث والمفكر من التعريف بجميع دول العالم من حيث جغرافيتها واقتصادياتها ونظم الحكم فيها ومجرى الاحداث حتى عام ١٩٦٧ كما يتضمن تعريفا بالمنظمات والهيئات الدولية والاقليمية والاحزاب والمؤتمرات والمعاهدات واشهر الشخصيات السياسية المعاصرة كما يتضمن تعريفا بالمصطلحات الدولية والسياسية والدبلوماسية والمذهبية والدستورية والادارية والتكتيكية والاقتصادية مع توسع في كل ما يتصل بالعالم العربي .

يقول الاستاذ عطية الله : دام العمل في سبيل اعداد هذه الطبعة من القاموس اكثر من عامين وتضاعفت مواده حتى ارتفعت الى نحو اربعة آلاف مادة ، ويقول : ان اكبر ما يشغل الباحث ويحتاج فيه الى قاموس هو هذا العدد الضخم من الالفاظ والمصطلحات والتعابير واسماء الاعلام التي برزت بعد الحرب العالمية الثانية ولم تكن مألوفة او معروفة ، ترددها الصحف والاذاعات وما اليها ، وكان لا بد وقد عزت المراجع التي تتابع هذه التطورات وتبسط الحقائق بسطا موضوعيا لا يستهدف سوى نشر المعرفة ، من ان يقوم من الباحثين من يتصدى لسد هذا الفراغ في المكتبة العربية .

ويكشف المؤلف في قاموسه السياسي عن منهج في الكتابة جديد، يطلق عليه اسم « الاسلوب الموسوعي » او طريقة الكتابة الخاصة بدوائر المعارف ، وهذا اسلوب يختلف اختلافا كبيرا عن اساليب الكتابة الصحفية والادبية ، اذ يستهدف تقديم اكبر قدر من المعلومات في اقل قدر من المساحة على ان تضم هذه المعلومات : (أولا) : تعريفا عاما للمادة . (ثانيا) ، تاريخ حياة هذه المادة . (ثالثا) : التطورات المختلفة والفروع .

رياح كانون

طرافة
صدق
فن
لغة

فاضل السباعي

دار القصة العربية بحلب

٤٤٨ صفحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقول الاستاذ عطية الله : ان شرط الاسلوب الموسوعي ان يكون شاملا متكاملا ، وان تكون عين المؤلف الموسوعي على المستقبل والغد البعيد ، حيث تنمو بعض الشخصيات وحيث تتطور مواد مصطلحاته ، فيكون محتفلا بالفرعيات الصغيرة دون اهمال لها ، الى حد ان يظل القاموس قادرا على الاستجابة لحاجة الباحثين سنوات طويلة .

وعندنا ان المؤلف الموسوعي ـ وعدد هؤلاء قليل في المكتبة العربية ـ لا بد ان يكون مزودا بثقافة تاريخية واقتصادية وسياسية واسعة وان تكون مراجعه منوعة وكثيرة بحيث تضمن له عصارة وافرة في المادة الواحدة ، كما ان تكون له قدرة اصيلة في اللغات الادبية ، وعين لا تنام عن المادة اليومية المتداولة في الصحف والتي قد تمر على الكثيرين دون ان تلفت نظرهم ، او تشغل خواطرهم .

واذا كان « الاسلوب هو الرجل » كما يقول بوفون ، فلا شك كان لشخص احمد عطيه الله وطبيعته وثقافته ابعد الاثر في هذه القدرة والكفاية البالغة للتصدي لمثل هذا العمل والصبر عليه هذه السنوات الطوال والانتفاع بكل ما اتصل به خلال هذا الزمن من تجارب وابحاث وكتب ودراسات .

فالاستاذ احمد عطيه الله رجل اسواني المولد ، يحمل تلك الخصائص التي عرفت لابناء مصر الاصليين من صلابة وصمود وصبر ، وهو من القلائل القادرين على امضاء يوم كامل من صباحه الى مسائه جالسا الى مكتب يعمل لا يشغله شيء عن العمل ، ولا يعينه في ذلك الا فنجان من القهوة او لقمة ساندوتش يتبلع بها .

ثم هو قادر على الجري وراء المراجع دون ملل للبحث عن كلمة ، قد ترد في كتب الادب او كتب الفلسفة او كتب القانون او كتب الدين او كتب علم الركه ، دون ان يزعجه هذا التقليب الطويل ، والامتحان العسير المتصل حتى يصل الى روح الكلمة ومدى اثرها وامتدادها هنا وهناك .

ثم هو الى ذلك رجل لا هواية له الا هذا العمل ، يستطيع ان يقبع في مكتبه اياما واسابيع منفصلا عن العالم كله دون ان يزعجه شيء .

وهو ليس من الكتاب والادباء الراغبين في الشهرة او التطلع الى الظهور الا بقدر ما يحتاج عمله الى التعريف به . فهو عازف عن اهواء الادباء ، يعرف قدره كعالم باحث متخصص ، جاد ، لم تستطع المناصب المتعددة التي تولاها ان تصرفه عن طابعه كعالم باحث ، كما عجزت مغريات الادب والصحافة ان تحوله عن خلقه كرجل صارم جاد ، لا يقبل انصاف الحلول او مرضيات المجاملات ، وانما يأخذ الامور مأخذ الجد ، ويحب عمله حبا شديدا ، ويرى فيه سبيل التقدير الحقيقي ، ولا يضيق بان يطول امد عجز الناس عن تقدير العمل العلمي الخالص ، ويكتفي بان يقدر الفضل ذووه .

ويعمل الاستاذ عطيه الله الان في اكمال « القاموس الاسلامي » الذي صدر منه مجلدان ـ وبقيت ثلاثة مجلدات . وهو عمل موسوعي له طابع آخر يختلف عن القاموس السياسي . فهذا مجاله الواسع في التراث الاسلامي من الاعلام والكتب والمصطلحات الفقهية والتاريخية والروحية . وقد اثبت الجزآن الصادران اهمية هذا العمل والحاجة اليه ، فاذا كان القاموس السياسي يمثل حاجة اليوم والعصر والعمل المتصل بالحضارة والحرب والسياسة والاقتصاد ، فان القاموس الاسلامي يمثل حاجة المجتمع في دينه وثقافته ومايتعلق بالانسان ومعاملاته وعباداته وما يتصل بشؤونه الدنيوية والاخروية .

ومن هنا فان الاستاذ عطيه الله حين يكمل القاموس الاسلامي يكون قد قدم جناحي الثقافة الانسانية العربية الحديث منها والقديم ، الروحي منها والمادي ، الاجتماعي والسياسي جميعا .

القاهرة — انور الجندي

عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية

تأليف الدكتور عبد العزيز محمد الشناوي ـ ٣٩٦ صفحة ـ سلسلة اعلام العرب ـ العدد ٦٧ ـ مطبعة دار الكاتب العربي بالقاهرة

أحدث دراسة عن الزعيم عمر مكرم أصدرها هذه الايام الدكتور عبدالعزيز الشناوي استاذ كرسي التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الازهر . وقدم لنا فيها صورة صادقة عن حياة هذا الزعيم الشعبي المصري الذي اشترك في تلوين قسمات تاريخنا المعاصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وفي البحث القيم الذي يتكون من سبعة ابواب كبار ، يحاول المؤلف ان يحيط بأبعاد هذه الشخصية الفريدة بين زعماء العرب وخاصة في التاريخ الحديث ، فيتناول البيئة التي تنفس فيها زعيمنا وخطواته في العمل السياسي والوطني منذ ان تولى منصب نقيب الاشراف مكافاة له من المماليك لوساطته التي قام بها امام حاكم مصر العثماني . وقد اكسبه هذا المنصب مكانة دينية كبيرة والتف المصريون حوله وساندهم مع رجال الازهر في رفع ظلم المماليك والعثمانيين وتبلور ذلك بصورة واضحة في موقفه من الحملة الفرنسية ونابليون سنة ١٧٩٨ ، وفي ثورة القاهرة الثانية سنة ١٨٠٠ أيام كليبر ، وفي ثورة ١٨٠٥ ضد الحاكم العثماني . وكانت الثورة الاخيرة صورة من صور الكفاح المسلح الذي حمل الشعب المصري شعلته اربعة اشهر وحدثا سياسيا فريدا في تاريخ مصر القومي . فلاول مرة يقوم زعماء الشعب وعلى رأسهم عمر مكرم بثورة يطيحون فيها بأحد الباشوات العثمانيين الظالمين الذي يمثل نظاما كان يبدو خالدا الى الابد . ويسندون الحكم الى الحاكم الذي وقع عليه اختيارهم بمحض ارادتهم. فالزعماء والمشايخ لم يقنعوا بالدور التقليدي وهو بذل الوساطة بين الحاكم والشعب بل « تزعموا المحكومين وخاطبوا الحاكمين بلهجة شديدة الجراة بعيدة المعنى » .. ويقول الجبرتي في هذا الموضع وكان « الفقير من العامة يبيع ملبوسه او يستدين ويشتري به سلاحا » ..

ويلتفت الدكتور الشناوي في بحثه الى التساؤلين اللذين يفرضان نفسيهما فرضا دائما في الحديث عن عمر مكرم .. مجال الاول

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها تشكيلة ضخمة

من روائع الكتب القيمة

التي لا غنى عنها لمكتبتكم

.. لماذا لم يناد الشعب المصري بعمر مكرم او بزعيم مصري آخر واليا على مصر ؟ . والثاني .. لماذا اتجه اختيار عمر مكرم الى محمد علي بالذات ليكون واليا على مصر ؟ .

ويجيب دارسنا بأن الثورة الشعبية كانت موجهة ضد حاكم عثماني ظالم بصفته الشخصية ولم تكن الثورة موجهة ضد السلطان العثماني ، فالمجتمع المصري كان في ذلك الوقت مجتمعا دينيا ينظر الشعب المصري للسلطان على انه سلطان الاسلام وليس حاكما اجنبيا دخيلا مستعمرا . وعلى سبيل المثال نذكر الاجتماع المشهور لكبار مشايخ الازهر مع الجنرال كليبر عقب اخماد ثورة القاهرة الثانية في ابريل سنة ١٨٠٠ الذي سخر فيه القائد الفرنسي من تأرجح رجال الازهر بين الولاء للفرنسيين وبين الولاء للعثمانيين .. فانطلق الزعماء يصفون سلطان الدولة العثمانية بصريح العبارة بانه سلطان للمسلمين قبل كل شيء .

ويرى الدكتور حسين مؤنس ان عمر مكرم « يقبض على زمام الشعب ويسيطر عليه تماما ولكن ما عساه ان يفعل ؟ انه يرجو الخلاص من ولاة السلطان لا السلطان نفسه ، يسعى للانقاذ ولكنه لا يريد ان يكون ملكا او اميرا . »

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فالسلطان ما كان ليقر تعيين مصري واليا على مصر ، واحداث حركة علي بك الكبير وقعت في الفترة ١٧٦٨ ـ ١٧٧٣ كانت لا تزال عالقة في اذهان المصريين ، بل ان كثيرين ممن شاركوا في ثورة سنة ١٨٠٥ قد عاصروا تلك الحركة وكانوا يعلمون ان علي بك لم يجرؤ على قطع جميع الروابط مع السلطان .

وبالنسبة للتساؤل الثاني ، فهناك عدة اعتبارات كانت تحدد الرؤية امام عمر مكرم وهي .. ان محمد علي كان في منصب يمثل والي مصر وان محمد علي اظهر عطفا مصطنعا على الشعب المصري ومناصرة زائفة له ابان المحن التي تلاحقت بالجماهير مما جعل عمر مكرم يتعاطف معه بقلب صادق . هذا بالاضافة الى ان محمد علي كان يتردد على بيت عمر مكرم يتملقه باعتباره كبير زعماء مصر .

يقول الجبرتي وهو يترجم لمحمد بك الالفي « ومحمد علي يداهن السيد عمر سرا ويتملق اليه ويأتيه ويراسله ويأتي اليه في أواخر الليل وفي اوساطه مترددا عليه في غالب اوقاته حتى تم له الامر بعد المعاهدة والمعاقدة والايمان الكاذبة على سيره بالعدل واقامة الاحكام والشرائع والاقلاع عن المظالم ولا يفعل امرا الا بمشورته ومشورة العلماء وانه متى خالف الشروط عزلوه واخرجوه وهم قادرون على ذلك كما يفعلون الان » (عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار في التراجم والاخبار . طبعة بولاق ١٢٩٧ هـ ج ٤ ص ٣٣) ومن هنا جاء اطمئنان زعيمنا لمحمد علي . ولقد توسم الرجل الطيب فيه الخير والتزام العدل لذا اقترح اسم محمد علي على المشايخ والاعيان الذين اخذوا باقتراحه او ترشيحه وكان هذا الاجراء انهاء للفوضى السياسية واراحة الشعب.

ويفند المؤلف الزعم الفرنسي بأن الفضل في تولية محمد علي يرجع الى مساعي نابليون بونابرت الدبلوماسية في الاستانة الذي ادى الى صدور فرمان السلطان بتعيين محمد علي واليا على مصر . بعد ان رشحه ماتيو لسبس مبعوثه السري الذي ارسله الى القاهرة ليتعرف على الشخصية القادرة على اعادة النظام لمصر والعمل لصالح فرنسا . والحقيقة ان الباعث الحقيقي لهذه الاسطارة الفرنسية كان اغراء ولاة مصر من اسرة محمد علي بخدمة المصالح الفرنسية والتمكين لها في البلاد . ولا شك ان هذا الزعم أتى اكله وأوضح أمثلة ذلك .. عقد امتياز انشاء قناة السويس وعقد امتياز انشاء حوض لاصلاح السفن في ميناء السويس والاخير جاهدت انجلترا ثلاثين عاما للحصول عليه وفشلت ! .

ويعتمد الدكتور شناوي في تفنيد الاسطارة على المصادر والمراجع التاريخية وكتابات المحيطين بمحمد علي وكبار المؤرخين المصريين فهذه المصادر والمراجع لا تذكر على الاطلاق شيئا عنها رغم ان اغلبها فرنسية ومعاصرة للاحداث ، حتى كتاب « التاريخ العلمي والحربي للحملة الفرنسية في مصر » الجزء التاسع والجزء العاشر الذي انفرد بكتابتهما اكيل دي فولابل وهو فرنسي متعصب يهتم بابراز أثر الفرنسيين في مصر في جميع القطاعات ، لم يشر المؤلف الى تلك الاسطارة من قريب او بعيد بل اشاد بدور عمر مكرم في تعبئة الجماهير وتدبير المقاومة الشعبية وفي تولية محمد علي حكم مصر .

ويستعرض المؤلف اراء ثلاثة اساتذة اجلاء هم محمد شفيق غربال ومحمد فؤاد شكري وعبد الرحمن الرافعي في تفنيد هذه الفرية. وتتلخص دراساتهم في هذا الموضع في ان ماتيولسبس وصل الى مصر في مايو ١٨٠٣ لرعاية المصالح التجارية الفرنسية ونتيجة الاضطرابات الداخلية عاد لفرنسا في نوفمبر سنة ١٨٠٤ قبل اندلاع الثورة الشعبية وما تبعها من احداث ، وان ماتيولسبس بعث لوزارة الخارجية الفرنسية اثناء اقامته في مصر قرارا بأن محمد علي قائد الالبانيين لا يتمتع بعبقرية او بنبوغ يمكنانه بوصفه قائد اكبر فئة من الجنود من ابتكار خطة واسعة ووضع برنامج شامل وتدبير الوسائل اللازمة لتنفيذه . بالاضافة الى ان نابليون نفسه اتجه الى التعاون مع المماليك وليس مع محمد علي لاقامة حكومة مستقرة في مصر . أوفد الامبراطور نابليون الى مصر فراميراي في ٣٠ ـ ٤ ـ ١٨٠٤ يحمل رسالة بالشفرة الى ماتيولسبس يطلب فيها الاتصال بالامراء المماليك والوقوف منهم على المساعدة التي ينشدونها من فرنسا !

وانتهت ثورة سنة ١٨٠٥ بتولية محمد علي حكم مصر وقد وافق السلطان على ذلك ما دام قد اختير برأي العلماء وبدأت نوايا محمد علي لتنفيذ خطته وهو يعمل على ان يكون حكم مصر وراثيا في اسرته واستعان محمد علي بدهائه في استغلال مساندة عمر مكرم له وخاصة عندما بدأ المماليك في تدبير مؤامرة للاطاحة بحكمه وعندما اصدر السلطان فرمانا بنقله الى سالونيك في سنة ١٨٠٦ ، وفي ربيع عام ١٨٠٧ تعرضت مصر لعدوان بريطاني بقيادة فريزر فلم ينتظر الزعيم مجيء محمد علي الذي كان يحارب المماليك في الصعيد واخذ يتلكأ في العودة بل بادر باستنصار الشعب الذي كسب معركة رشيد . وعندما علم محمد علي بهذا النصر « تراجعت اليه نفسه » كما يقول الجبرتي واسرع في العودة !

ومن هذا الوقت تبدت احقاد محمد علي للزعيم الشعبي وايدت المواقف المختلفة الصدام بين الرجلين ، فلم يعد محمد علي يلتفت الى آراء عمر مكرم ولا الى نصحه له في تخفيف الضرائب الذي أخذ يكثر منها او كف يد جنوده عن العبث بالناس .. واسفر محمد علي عن وجهه تماما غير عابىء باحد الى درجة التزوير في الكشوف المالية المرسلة للاستانة وكان قد ارسلها الى الزعيم المعتكف طالبا توقيعه عليها فرفض واتهمه بالسرقة واشتد الصراع اذن بين كبير الزعماء والقولي وهدد الزعيم بالكتابة للسلطان واسقاطه كما رفعه .. فما كان من محمد علي الا ان أقصى عمر مكرم عن الزعامة الشعبية وساعده على التخلص من الزعيم انقسام الزعماء وحقدهم على كبيرهم فقرر عزله من نقابة الاشراف ونفاه الى دمياط وبنفي عمر مكرم انتهت الزعامة الشعبية في مصر ..

وقد حاول الدكتور الشناوي ان يقدم صورة دقيقة وصادقة لعمر مكرم ونجح في ذلك الا انه في احيان قليلة جنح الى تبرير غير موضوعي في رسم هذه الصورة مثل خروج عمر مكرم مع العثمانيين سنة ١٨٠٠ بعد فشل ثورة القاهرة الثانية التي استمرت ثلاثة وثلاثين يوما ، لقد خاف ان ينكل به الفرنسيون وترك الشعب لمصيره الرهيب بين أيدي الغزاة المستعمرين . وكذلك مسايرة عمر مكرم لاكثر طغيان محمد علي ثم عزلته واعتكافه عن دفع الطغيان والشعب ينوء بحمله القاسي ، لقد كانت لزعيمنا اليد الطولى في تأييد محمد علي واختياره واليا على مصر فكان عليه اذن ان يعلن للشعب الحقيقة التي اتسمت بها علاقته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع محمد علي وينفذ تهديده الذي اعلنه ويقصيه عن الحكم لا ان يترك الشعب يواجه مصيره المؤلم .

ولقد ابدى الجبرتي حنقه على عمر مكرم لانه كان السبب في تولية محمد علي حكم مصر فقال بعد ان نفي الى دمياط ان الضيم الذي نزل بالزعيم على يد محمد علي هو بعض ما يستحقه .

مركز طلخا ـ ج.ع.م بهاء الدين علوان

●

قصة الدراما الهندية

تأليف محمد فكري ـ ١٠٠ صفحة ـ العدد ١٨٦ من « المكتبة الثقافية » ـ دار الكاتب العربي بالقاهرة

أوضح المؤلف في البداية ان الحضارة الهندية تقوم على الروحانيات والغيبيات . كما أن النهضة الحديثة الكبرى قد طرحت جانبا كل هذه الافكار الغيبية والروحانيات الهندية ثم تحدث عن الديانات الهندية والادب الهندي كمدخل لدراسة قصة الدراما الهندية منذ اقدم العصور حتى الان .

مر المسرح الهندي الحديث بعدة مراحل حيث بدأ هذا الفن الرواد الاول ، الذين كونوا الفرق المسرحية المختلفة ، وترجموا المسرحيات الاوروبية ، واقتبسوا منها ايضا ، ثم ظهرت كتابات مسرحية هندية تعالج المشكلات الاجتماعية . وقد انبثقت الدراما الهندية عن الرقص والموسيقى والكتب الدينية والاساطير .

ازدهر المسرح الهندي القديم على أيدي بهاسا وكاليداسا وشودراكا الذين كتبوا باللغة السنسكريتية، وعرف مسرحهم بالمسرح السنسكريتي. ثم جاء بها فوبتي في القرن السابع بعد الميلاد ، وفيشاكاردا في القرن الثامن ، وقد احدث الاول تحولا جديدا في الدراما الهندية حيث لم يخضع مسرحياته لقواعد الفن الدقيقة .

والعناصر الاساسية التي قام عليها المسرح السنسكريتي هي الشعر والموسيقى والرقص ولا تتقيد الدراما السنسكريتية بوحدتي الزمان والمكان . ونفى الكاتب تأثر الدراما السنسكريتية بالدراما الاغريقية برغم ما كانت عليه العلاقات السياسية والثقافية بين الهند واليونان وقتذاك من اتصال وتقارب ، الا ان المسرح الهندي الحديث قد تأثر بالمسرح الغربي واتبع اصوله .

ثم احتجبت الدراما السنسكريتية ولم يظهر من الكتاب من استطاع تطويرها ، لكن الدراما الشعبية عاشت في نفوس الشعب وازدهرت . ففي البنغال ، ازدهرت الاوبرات الغنائية الشعبية التي تتناول مبادىء العقيدة الدينية وأصولها . كما انتشرت مسرحية « البهاجا فاتام » في جنوب الهند .

وفي الشمال ، كانت الجماهير تحتشد في المناسبات الدينية لمشاهدة اجزاء من « الرامايانا » .

فتن فنانو الهند بالدراما الغربية ، فتأثروا بها وعمدوا الى محاكاتها. وكان منهم الرواد الذين عشقوا المسرح فجاهدوا لارساء قواعده، فتكونت فرق الهواة والنوادي ثم ظهرت فرق المحترفين . ومن بين هؤلاء الرواد ظهر الكتاب والممثلون والمخرجون . وقد بدأ الرواد نشاطهم بتمثيل الروايات الغربية ، ثم اقتبسوا منها ، ثم كتبوا مسرحيات هندية تستمد جذورها من المسرحين السنسكريتي والاوروبي . وقد انحصرت الكتابات المسرحية في الموضوعات الدينية والتاريخية والاجتماعية .

نشأ المسرح الحديث في الهند نشأة اقليمية بمعنى ان كل اقليم قد تأثر بلون معين من الفنون . وقد خصص المؤلف فصلا لنشأة وتطور المسرح في البنغال ، وفصلا آخر عن المسرح في هندوستان . ثم اشار الى النشاط المسرحي في الاقاليم الاخرى .

ان الهند تملك تراثا روحيا تستطيع ان تستوحي منه أسس المسرح الهندي ، الا ان الفنون الهندية ـ وعلى الاخص فن الدراما ـ شغلتها القضايا القومية ، ومحاولة التخلص من الاستعمار . وحدد أحد الكتاب طريق المسرح الهندي في عدة نقاط منها دراسة نصوص المسرح القديم ، واستلهام الوجدان الشعبي ، وايجاد وحدة مشتركة في اخراج النص المسرحي .

واني اذ أحمد الكاتب على اتجاهه الى التعريف بالدراما الهندية، آمل ان يكون كتابه بداية لدراسة عميقة مستفيضة عن نشأة وتطور الدراما الهندية ، فلا شك ان الكاتب حاول ان يبرز النقاط الاساسية والاحداث البارزة ، فكان كتابه عرضا سريعا حاول ان يلم فيه بجوانب الموضوع ، فلم تأت الدراسة وافية كاملة . وما دام قد حاول تناول قصة الدراما الهندية نشأة وتاريخا وتطورا ـ كما قال في مقدمته ـ في مائة صفحة من القطع الصغير ، فلا بد ان يكون موضوعه بمثابة اطلالة قصيرة ونظرة عاجلة ، آمل ان يعمد هو أو غيره من الدارسين للادب الهندي وفنونه الى كتابة هذه الدراسة لتسد نقصا ما تزال تعاني منه المكتبة العربية ، ولا يمكن ان يملأ الفراغ بترجمة عدة كتب عن فن الدراما الهندية ، وانما نحن في حاجة الى قلم أديب عربي يحكي لنا قصة الدراما الهندية بعمق واستفاضة .

القاهرة حسني سيد لبيب

صدر في الاسواق

للدكتور بديع حقي

رواية

جفون تسحق الصور

اتجاه جديد في ادب الرواية العربية المعاصرة

●

تطلب من دار العلم للملايين ببيروت

ومن جميع المكتبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com